المجلد الاول من تفسير ابي السعود

آيا صوفيه

١٤٥

توفيقى لعمد پاشا فولرندن

٥٥٥ ورقدر

١٤٥ ١٤١

الحمد لله الذي هدنا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدنا الله

استصحبه العبد الفقير ابو الفضل محمد ... غفر له

قد وقف هذه النسخة الجليلة سلطاننا الاعظم والخاقان المعظم
مالك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي محمود خان ...
... اكرمه الله تعالى ...
حرره الفقير احمد شيخ زاده المفتش باوقاف
الحرمين الشريفين غفر لهما

استصحبه الفقير عبد الباقي
كان الله له

(1)

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحقّ وبيّن له من شعاير الشّرايع كل ما جلّ ودقّ انزل
عليه اظهر بيّنات وابهر حجج قرانًا عربيًّا غير ذى عوج مصدّقًا لما بين يديه من الكتاب ليدّبّروا
اياته وليتذكّر اولوا الالباب ناطقًا بكلّ امر رشيد هاديًا الى صراط العزيز الحميد
امرًا بعبادة الصّمد المعبود كتابًا متشابهًا مثانى تقشعرّ منه الجلود تكاد الرّواسى لهيبته
تمور ويذوب منه الحديد ويميع صُمّ الصّخور حقيقًا بان يسيّر به الجبال ويسيّر به كل
صعب محال معجزًا افحم كلّ مصقع من مهرة قحطان وبكّت كلّ مُفلِق من سحرة البيان بحيث لو
اجتمعت الانس والجنّ على معارضته ومباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل اية من اياته نزّل عليه
على فترة من الرّسل ليرشد الامّة الى اقوم السّبل فهداهم الى الحقّ وهم فى ضلال مبين
فاضمحلّ ومحى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتّبع هداه فقد فاز بمناه واما من عانده وعصاه
واتخذ الهه هويه فقد هام فى موامى الرّدى وتردّى فى مهاوى الزّور ومن لم يجعل الله له نورًا
فما له من نور صلّى الله عليه وعلى اله الاخيار وصحبه الابرار ما تلوّنت الانوار وتعاقبت
الظلم والاضواء وعلى من تبعهم باحسان مدى الدّهور والازمان وبعد فيقول العبد
الفقير الى رحمة ربّه الهادى ابى السعود بن محمد العمادى ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم
وما كان حرف منها مسطورًا والحكمة الكبرى فى تخمير طينة ادم ولم يكن شيئًا مذكورًا ليست
الا معرفة الصّانع المجيد وعبادة البارئ المبدئ المعيد ولا سبيل الى ذلك المطلب الجليل
سوى الوقوف على مواقف التنزيل فانه عزّ سلطانه وبهر برهانه وان صدر ايات قدرته فى
صحايف الاكوان ونصب رايات وحدته فى صفايح الاعراض والاعيان وجعل كلّ ذرّة من
ذرات العالم وكل قطرة من قطرات العيلم وكلّ نقطة جرى عليها قلم الابداع وكل حرف
رقم فى لوح الاختراع مراة لمشاهدة جماله ومطالعة صفات كماله حجّة نيّرة واضحة المكنون

وآية

وآية بيّنة لقوم يعقلون برهانًا جليًّا لا ريب فيه ومنهاجًا سويًّا لا يضلّ من ينتحيه بل ناطقًا
يتلو ايات ربّه هل من سامع واع ومجيبًا صادقًا فهل له من داع يكلّم النّاس على قدر عقولهم
ويدرجهم بحسب عقولهم بحاورتاه باوضح عبارة ويلوّح اخرى بالطف اشارة لكن لاستدلال
بتلك الاية والدّلايل والاستشهاد بتيك الامارات المخائل والتّنبيه لتلك الاشارات السّرية
والتّفطن لمعانى تيك العبارات العبقرية وما فى تضاعيفها من رموز اسرار القضاء والقدر
وكنوز آثار التعاجيب والعبر ممّا لا يطيق به عقول البشر الا بتوفيق القوى والقدر فاذن
مدار المراد ليس الا كلام ربّ العباد اذ هو المظهر لتفاصيل الشّعاير الدّينيّة والمفسّر لمشكلات
الايات التكوينيّة والكاشف عن خفايا خطاير القدس والمطلع على خبايا سراير الانس وبه
تكتسب الملكات الفاخرة وبه يتوصّل الى سعادة الدّنيا والآخرة خلا انه ايضا من علوّ الشّان
وسموّ المكان ونهاية الغموص والاعضال وصعوبة الماخذ وعزّة المنال فى غاية الغايات
القاصية ونهاية النّهايات النّائية اعزّ من بيض الانوق وابعد من مناط العيّوق لا يتيسّر
العروج الى معارجه الرّفيعه ولا يتاتّى الرّقىّ الى مدارجه المنيعه كيف لا وانّه مع كونه متضمّنًا نسخة مدارجه
لدقايق العلوم النّظرية والعمليّه ومنطويًا على رقائق الفنون الحقيقيّه والجليّه حاويًا لتفاصيل
الاحكام الشّرعيه ومحيطًا بمناط الدلايل الاصليّه والفرعيّه منبئًا عن اسرار الحقايق والنّعوت
مخبرًا باطوار الملك والملكوت عليه يدور فلك الاوامر والنّواهى واليه يستند معرفة الاشياء
كما هى قد نُسِج على اغرب منوال وابدع طراز فاحتجبت طلعته بسبحات الاعجاز طويت حقايقه الابيّة
عن العقول وزويت دقايقه الخفيه عن اذهان الفحول يردعيون العقول سبحانه ويخطف
ابصار البصاير بريقه ولمعانه ولقد تصدّى لتفسير غوامض مشكلاته اساطين ائمة التفسير
فى كلّ عصر من الاعصار وتولى لتيسير عويصات معظلاته سلاطين اسرّة التقرير والتحرير
فى كلّ قطر من الاقطار فغاصوا فى لجه وخاضوا فى ثبجه فنظموا فرايده فى سلك التحرير وابرزوا
فوايده فى معرض التقرير وصنّفوا كتبًا جليلة الاقدار والفواز بر اجميلة الاثار امّا المتقدّمون
المتحقّقون فاقتصروا على تمهيد المعانى وتشييد المبانى وتعيين المرام وترتيب الاحكام
حسبما بلغهم من سيّد الانام عليه شرايع التّحيّه والسّلام واما المتاخّرون المدقّقون فراموا
مع ذلك اظهار مزاياه الرّائقه وابراز خباياه الفائقه ليعاين النّاس دلايل اعجازه ويشاهدوا
شواهد فضله وامتيازه عن ساير الكتب الكريمة الرّبّانيّه والزّبر العظيمة السّبحانيّه فدوّنوا
اسفارًا بارعة جامعة لفنون المحاسن الرّائعه يتضمّن كلّ منها فوائد شريعه تقربها عيون
الاعيان وعوايد لطيفه يتشنّف بها اذان الاذهان لا سيّما الكشّاف وانوار التّنزيل
المتفرّدان بالشان الجليل والنّعت الجميل فان كلًّا منهما قد احرز قصب السّبق اى احراز كانه مراة
لاجتلاء وجه الاعجاز صحايفهما مرايا المزايا الحسان وصدورهما عقود الجمان وقلائد العقيان

ولقدكان فى سوابق الايّام وسوالف الدّهور والاعوام اوان اشتغالى بمطالعتهما وممارستهما
وزمان انتصابى لمفاوضتهما ومدارستهما يدور فى خلدى على استمرار آناء اللّيل واطراف النّهار
ان انظمّ درر فوايدهما فى سمط دقيق وارتبّ غرر فرايدهما على ترتيب انيق واضيف اليهما ما الفيته
فى تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر الحقايق وصادفته فى اصطاف العيالم الزّاخرة من زواهر
الدّقائق واسلك خلالها بطريق التّرصيع على نسق انيق واسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة
شان التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل مانسخ للفكر العليل بالعناية الرّبّانيّه وسنح
به النظر الكليل بالهداية السّبحانيّه من عوارف معارف يمتدّ اليها اعناق الهمم من كلّ
ماهر لبيب وغرائب رغائب ترنوا اليها احداق الامم من كل نحرير اريب وتحقيقات رصينه
تقليل عثرات الافهام فى مداحض الاقدام وتدقيقات متينه تنزيل خطرات الاوهام من خواطر
الانام فى معارك افكار يشتبه فيها الشؤن ومدارك انظار يختلط فيها الظّنون وابرز من وراء
استار الكون من دقائق السّر المخزون فى خزائن الكتاب المكنون ما تطمئن اليه النّفوس وتقرّ
به العيون من خفايا الرّموز وخبايا الكنوز واهديها الى الخزانة العامرة الغامرة للبحار
الزّاخرة لجناب من خصّه الله تعالى بخلافة الارض واصطفاه لسلطنتها فى الطّول والعرض الا
وهو السّلطان الاسعد الاعظم والخاقان الامجد الافخم مالك الامامة العظمى والسلطان الباهر
وارث الخلافة الكبرى كابرًا عن كابر رافع آيات الدّين الازهر مُوضح آيات الشّرع الانور
مُرغم انوف الفراعنة والجبابره معفّر جباه القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد المشارق و
المغارب بنصر الله العزيز وجُند الغالب الهمام الّذى شرّق عزمه المنير فانتهى الى المشرق
الاسنى وغرّب حتّى بلغ مغرب الشمس اودنا بخميس عرمرم متزاحم الافواج وعسكر كخضمّ متلاطم
الامواج فاصبح ما بين أُفقَى الطّلوع والغروب وما بين نقطتى الشّمال والجنوب منتظما فى سلك
ولايته الواسعه ومندرجا تحت ظلال راياته الرّائعة فاصبحت منابر الرّبع المسكون مشرّفة
بتذكار اسمه الميمون فيا له من ملك استوعب ملكه البر البسيط واستغرق فلكه البحر المحيط
فكانّه فضاء ضُربت فيه خيامه او نُصبت عليه الويته واعلامه مالك ممالك العالم ظل الله
الظّليل على كافّة الامم قاصم القياصرة وقاهر القروم سلطان العرب والعجم والرّوم سلطان
المشرقين وخاقان الخافقين الامام المقتدر بالقدرة الرّبّانيّه والخليفة المعتزّ بالعزّة
السّبحانيّه المفتخر بخدمة الحرمين المعظّمين وحماية المقامين المفخّمين ناشر القوانين السّلطانيّه
عاشر الخواقين العثمانيّه السّلطان ابن السّلطان السّلطان سليمان خان ابن السّلطان المظفّر
المنصور والخاقان الموقّر المشهور صاحب المغازى المشهورة فى اقطار الامصار والفتوحات المذكورة
فى صحايف الاسفار السّلطان سليمخان ابن السّلطان السّعيد والخاقان المجيد السّلطان بايزيدخان
لا زالت سلسلة سلطنته متسلسله الى انتهاء سلسلة الزّمان وارواح اسلافه العظام متنزّهة فى روضة

الرّضوان وكنت اتردّد فى ذلك بين اقدام واحجام لقصور شانى وقلّة المرام اين الحضيض من الذّرى
شتّان بين الثريّا والثرى وهيهات اصطياد العنقآء بالشّباك واقتباء الجوزاء من بروج الافلاك
فمضت عليه الدّهور والسّنون وتغيّرت الاطوار وتبدّلت الشئون فابتليت بتدبير مصالح العباد
برهة فى قضاء البلاد واخرى فى قضاء العساكر والاجناد فحال بينى وبينما كنت اخال تراكم
المهمّات وتزاحم الاشغال وجموم العوارض والعلائق وهجوم الصّوارف والعوائق والتردد الى
المغازى والاسفار والتّنقل من دار الى دار وكنت فى تضاعيف ملابتك الامور اقدّر فى نفسى
ان انتهز نهزة من الدّهور وينسنى لى القرار وتطمئنّ بالدّار واظفر بوقت خال اتبتّل فيه الى
جناب ذى العظمة والجلال واوجّه اليه وجهتى واسلم له سرّى وعلانيتى وانظر الى كلّ شئ
بعين الشهود واتعرّف سرّ الحق فى كل موجود تلافيا لما فات واستعداد الما هو آت وانصدى
لتحصيل ما عزمت عليه واتولّى لتكميل ما توجهت اليه برفاهة واطمينان وحضور قلب وفراغ
جنان فبينما انا فى هذا الحال اذ بدا لى ما لم يخطر بالبال تحوّلت الاحوال والدّهر حوّل فوقعت فى
امر اشقّ من الاوّل امرت بحلّ مشكلات الانام فيما شجر بينهم من النّزاع والخصام فلقيت معظلة
طويلة الذّيول وصرت كالهارب من المطر الى السّيول فبلغ السيل الزّبى وغمرنى اىّ غمر غوارب
ماجرى بين زيد وعمرو فاصبحت فى ضيق المجال وسعة الاشغال اشهر ممّن يضرب بها الامثال
فجعلت اتمثّل بقول من قال لقدكنت اشكو الحوادث برهة واستمرض الايّام وهى صحايح الى
ان تغشّتنى وقيت حوادث تحقّق انّ السالفات منايح فلما انصرمت عرى الآل عن الفوز
بفراغ البال ورايت ان الفرصه على جناح الفوات وشمل الاسباب فى شرف الشتات وقد هجم
الكبر وتضاءلت القوى والقدر ودنى الاجل من الحلول واشرفت شمس الحيوة على الافول
وعزمت على انشاء ماكنت انويه وتوجّهت الى املاء ما ظلت ابتغيه ناويًا ان اسمّيه عند تمامه بتوفيق الله
تعالى وانعامه ارشاد العقل السّليم الى مزايا الكتاب الكريم فشرعت فيه مع تعاقم المكاره على
وتزاحم المشادة بين يدىّ متضرّعًا الى ربّ العظمة والجبروت خلّاق عالم الملك والملكوت
فى ان يعصمنى عن الزيغ والزّلل ويقينى مصارع السوء فى القول والعمل ويوفقنى لتكميل ما ارومه
ويهدينى الى تكميله على احسن الوجوه ويجعله خير عدّة وعتاد واتمتّع به يوم المعاد فيا من
توجّهت وجوه الذّل والابتهال نحو بابه المنيع ورفعت ايدى الضّراعة والسّؤال الى جنابه الرّفيع
افض علينا شوارق انوار التّوفيق واطلعنا على دقائق اسرار التّحقيق وثبّت اقدامنا على مناهج
هداك وانطقنا بما فيه امرك ورضاك ولا تكلنا الى انفسنا فى لحظة ولا آن وخذ بناصيتنا
الى الخير حيث كان جئناك على جباه الاستكانة ضارعين ولابواب فيضك قارعين انت الملاذ
فى كل خطب ملمّ لا ربّ غيرك ولا خير الّا خيرك بيدك مقاليد الامور لك
الخلق والامر واليك النّشور

سورة فاتحة الكتاب

الفاتحة فى الاصل اول ما من شانه ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة فى فتح الكل
ثم اطلقت على اول كل شئ فيه تدريج بوجه من الوجوه كالكلام التدريجى حصولا والسطور والاوراق
التدريجية قراءة وعدا والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية او هى مصدر بمعنى الفتح اطلقت
عليه تسمية للمفعول باسم المصدر اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقى
بواسطته لكن لا على معنى انه واسطة فى تعلقه بالباقى ثانيا حتى يرد انه لا يتسنى فى الخاتمة لما ان ختم
الشئ عبارة عن بلوغ آخره وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسه عن اجزائه الاول بل على معنى
ان الفتح المتعلق بالاول فتح له اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا
الكلام فى الخاتمة فان بلوغ آخر الشئ يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذى
تحققته والمراد بالاول ما يعم الاضافى فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحه على السورة
الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصى لا القدر المشترك
بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول ولا ضير فى اشتهار السورة الكريمة بهذا
الاسم فى اوايل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان التسمية من جهة الله عز اسمه او من
جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفى فيها تحصله باعتبار تحققه فى علمه عز وجل او فى اللوح
او باعتبار انه انزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبرئيل عليه السلام على السفرات ثم كان ينزله
على النبى صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما فى
جزء الشئ لا بمعنى من كما فى خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئى له ومدار
التسمية كونها مبدا الكتاب على الترتيب المعهود لا فى القراءة فى الصلوة ولا فى التعليم ولا فى النزول كما
قيل اما الاول فبين اذ ليس المراد بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرء فى الصلوة حتى يعتبر
فى التسمية مبدائيتها له واما الاخيران فلان اعتبار المبدائية من حيث التعليم او من حيث النزول
يستدعى مراعات الترتيب فى بقية اجزاء الكتاب من تينك الحيثيتين ولا ريب فى ان الترتيب التعليمى
والترتيب النزولى ليسا على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القران لكونها اصلا ومنشاء له اما
لمبدائيتها له واما لاشتمالها على ما فيه الثناء على الله عز وجل والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده
ووعيده او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التى هى سلوك الصراط المستقيم و
الاطلاع على معارج السعداء ومنازل الاشقياء والمراد بالقران هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب
ايضا كما يسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل الكاينات والايات الواضحة الدالة على معانيها لكونها
بينة تحمل عليها المتشبهات ومناط التسمية ما ذكر فى ام القران لا ما اورده الامام البخارى فى صحيحه
من انه يبدا بقراءتها فى الصلوة فانه مما لا تعلق له بالتسمية كما اشير اليه وتسمى سورة الكنز لقوله
عليه السلام انها انزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر فى ام القران كما انه الوجه فى تسميتها الاساس
والكافية والوافيه وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسالة لاشتمالها عليها وسورة الصلوة

لوجوب

لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفا والشافيه لقوله عليه السلام هى شفاء من كل داء والسبع المثانى
لانها سبع آيات تثنى فى الصلوة او لتكرر نزولها على ما روى انها نزلت مرة بمكة حين فرضت
الصلوة وبالمدينه اخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى وهى مكى بالنص

بسم الله الرحمن الرحيم

اختلف الامة فى شان التسميه فى اوايل السور الكريمة فقيل انها ليست من القران اصلا وهو
قول ابن مسعود رضى الله عنه ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفيه وعليه
قراءة المدينه والبصرة والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة من القران انزلت للفصل والتبرك
بها وهو الصحيح من مذهب الحنفيه وقيل هى آية تامة من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس
وقد نسبت الى ابن عمر ايضا رضى الله عنهم وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزى فى زاد المسير
حيث قال روى عن ابن عمر رضى الله عنهما انها انزلت مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن
جبير والزهرى وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وهو القول
الجديد للشافعى ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من
الشافعى لم يسبقه اليه احد وقيل انها آية من الفاتحه مع كونها قرانا فى ساير السور ايضا
من غير تعرض لكونها جزءا منها اولا ولا لكونها آية تامة اولا وهو احد قولى الشافعى على ما ذكره
القرطبى ونقل عن الخطابى انه قول ابن عباس وابى هريرة رح وقيل انها آية تامة فى الفاتحه
وبعض فى البواقى وقيل بعض آية فى الفاتحه وآية تامة فى البواقى وقيل انها بعض آية فى
الكل وقيل انها آيات من القران متعددة بعدد السور المصدرة بها من غير ان تكون
جزءا منها وهذا القول غير معزى فى الكتب الى احد وهناك قول آخر ذكره بعض المتاخرين
ولم ينسبه الى احد وهو انها آية تامة فى الفاتحه وليست بقران فى ساير السور ولولا
اعتبار كونها آية تامة لكان ذلك احد محملى تردد الشافعى رضى الله عنه فانه قد نقل عنه انها
بعض آية فى الفاتحه واما فى غيرها فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرانا اولا وقيل بين
ان يكون آية تامة اولا قال الامام الغزالى والصحيح من الشافعى هو تردد الثانى وعن
احمد بن حنبل رح فى كونها آية كاملة وفى كونها من الفاتحه روايتان ذكرهما ابن الجوزى ونقل
انه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القران هذا والمشهور من هذه الاقاويل هى الثلثة
الثلثه الاول والاتفاق على اثباتها فى المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله
عز وجل يقضى بنفى القول الاول وثبوت القدر المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية
احدهما فان كونها جزءا من القران لا يستدعى كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعى كونها
آية منفردة منه كما لا يستدعى كونها آية منفردة منه واما ما روى عن ابن عباس رح ان من تركها
فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى وما روى عن ابى هريرة من انه صلى الله عليه

وسلّم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهنّ بسم الله الرّحمن الرّحيم وما روى عن امّ سلمه رحمها الله من
انّه عليه السّلام قرا سورة الفاتحه وعدّ بسم الله الرّحمن الرّحيم الحمد لله ربّ العالمين الآية وان دلّ كلّ
واحد منها على نفى القول الثّانى فليس شئ منها نصًّا فى اثبات القول الثّالث امّا الاوّل فلانه لا يدلّ
الّا على كونها آيات من كتاب الله تعالى متعدّدة بعدد السّور المصدّرة بها لا على ما هو المطلوب
من كونها آية تامّة من كلّ واحدة منها الّا ان يلتجاء الى ان يقال ان كونها آيات متعدّدة بعدد السّور
معتدة المصدّرة بها من غير ان يكون جزءً منها قول لم يقل به احد وامّا الثّانى فساكت عن التّعرض
لحالها فى بقيّة السّور وامّا الثّالث فناطق بخلافه مع مشاركته للثانى فى السّكون المذكور والباء
فيها متعلّقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدّر بها كما انّها كذلك فى تسمية المسافر عند الحلول والارتحال
وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة او الملابسة تبرّكا اى بسم الله اقرا
او اتلو وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التّخصيص كما فى ايّاك نعبد وتقديره ابدا لاقتضائه
اقتصار التّبرّك على البداية مخلّ بما هو المقصود اعنى شمول البركة للكلّ وادّعاء انّ فيه امتثالا بالحديث
الشّريف من جهة اللّفظ والمعنى معًا وفى تقديره اقرا من جهة المعنى فقط ليس بشئ فانّ مدار الامتثال
هو البدء بالتّسمية لا تقديره فعله اذ لم يقل فى الحديث الكريم كلّ ذى بال لم يقل فيه او لم يضمر فيه
ابدا وهذا الى آخر السّورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفيّة التّبرّك
باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سمّيت السّورة الكريمة بما ذكر من تعليم
المسالة وانّما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفيّة والجرّ كما كسرت
لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريّين
من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوايل على السّكون قد دخلت عليها عند الابتداء همزة
لانّ من دابهم البدء بالمتحرّك والوقف على السّاكن ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمىّ كهدى لغة
فيه قال والله اسماك سما مباركا آثرك الله به ايثاركا والقلب بعيد غير مطّرد واشتقاقه من
السّمو لانه رفع للمسمّى وتنويه وعند الكوفيّين من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوّضت عنها
همزة الوصل ليقلّ اعلالها وردّ عليه بانّ الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره فى كلامهم
ومن لغاتهم سِمٌ وسُمٌ قال بسم الّذى فى كلّ سورة سمه وانّما لم يقل بالله للفرق بين اليمين و
التّيمّن او لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة ههنا فانّها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب
المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اى افاضة القدرة المفسّرة عند الاصوليّين من اصحابنا بما
يتمكّن به العبد من اداء ما لزمه المنقسمة اى ممكّنة وميسّرة وهى المطلوبة بايّاك نستعين وتارة
اخرى باسمه عزّ وعلا وحقيقتها طلب المعونة فى كون الفعل معتدّا به شرعًا فانّه لم يصدّر باسمه
تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولمّا كانت كلّ واحدة من الاستعانتين واقعة وجب تعيين المراد
بذكر الاسم والّا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لاسيّما عند الوصف بالرّحمن الرّحيم هى الاستعا

الاولى

الاولى ان قيل فليحمل الباء على التّبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما انّ التبرك لا يكون الّا به
قلنا ذاك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهل التشاجر الّا فيه فلا بدّ من ذكر الاسم لينقطع احتمال
ارادة المسمّى ويتعيّن حمل الباء على الاستعانة الثّانية او التّبرك وانّما لم يكتب الالف لكثرة
الاستعمال قالوا وطوّلت الباء عوضًا عنها اصله الاله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ
عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجرّدا عن معنى التّعريف ولذلك
قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسىّ فى حكم الثّابت فلا يحتاج الى التّدارك بما ذكر من الادغام
والتّعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل
ليمتاز بذلك عمّا عداه امتياز مسمّاه عمّا سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله فى الاصل
اسم جنس يقع على كلّ معبود بحق او باطل اى مع قطع النّظر عن وصف الحقيّه والبطلان لا مع اعتبار
احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بالحق كالنجم والصّعق وامّا الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود
الحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهيّة بمعنى العبادة حسبما
نص عليه الجوهرى على انّه اسم منها بمعنى المالوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انّه صفة منها بدليل
انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شئ اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال
شئ كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له فى الصّفة هو الذّات المبهمه باعتبار اتّصافها بمعنى معيّن
وقيامه بها فمدلولها مركّب من ذات مبهمة لم يلاحظ معها خصوصيّة اصلا ومن معنى معيّن
قائم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصيّة فباىّ ذات يقوم ذلك المعنى يصحّ اطلاق الصّفه
عليها كما فى الافعال ولذلك تعمل عملها كاسمى الفاعل والمفعول والموضوع له فى الاسم المذكور هو الذّات
المعيّنه والمعنى الخاصّ فمدلوله مركب من ذينك المعيّنين من غير رجحان للمعنى على الذّات كما فى
الصّفه ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من أَلِهَ بمعنى تحيّر لانّه سبحانه يحار فى شانه العقول
والافهام وامّا أَلَهَ كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق من أَلِهَ بالكسر وكذا تالّه واستاله
استفعال الاستنوق واستحجر من النّاقه والحجر وقيل من اله الى فلان اى سكن اليه لاطمئنان
القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به وآلهه
غيره اذا اجاره اذ العائذ به تعالى يفزع اليه وهو يجيره حقيقة او فى زعمه وقيل اصله لاه على انه
مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذّات الجليل
ابتدا وعليه مدار امر التّوحيد فى قولنا لا اله الّا الله ولا يخفى انّ اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه
بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كان فى ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق
الغلبه بعد ان كان اسم جنس فى الاصل وقيل هو وصف فى الاصل لكنّه لمّا غلب عليه بحيث
لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم ويردّه امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنكّر فى كلمة
التّوحيد هو المعبود بالحقّ فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحقّ الّا ذلك المعبود بالحق وقيل

اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانيه وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر
ماقبله سنة وقيل مطلقًا وحذف الفه لحن تفسد به الصلوة ولا ينعقد به صريح الايمان وقد جاء
لضرورة الشعر في قوله الالابارك الله في سهيل اذا ما الله بارك في الرجال والرحمن الرحيم
صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازمًا بمنزلة العزائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقد
قيل ان الرحيم ليس بصفة مشتبهة بل هي صيغة مبالغة نص عليه سيبويه في قولهم هو رحيم فلانا
والرحمة في اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحيم لانعطافها على ما فيها والمراد بها ههنا التفضل
والاحسان او ارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب فان اسماء
الله تعالى توخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي هي انفعالات والاول من الصفات
الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب في بابه من غير نظر الى
الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود فعلانة فاعتباره يوجب اجتماع الصرف
وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان تقاس الى نظائرها من باب فعل
يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا في اصلها مما
تحقق فيها وجود فعلى فتمنع من الصرف وفيه من المبالغه ماليس في الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا
والاخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس تاخيره رعاية لاسلوب الترقي الى الاعلى كما في
قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به عز وجل صار حقيقا بان
يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما يدل على جلائل النعم وعظائمها واصولها احق
بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة
الحمد لله الحمد هو النعت بالجميل على الجليل اختياريا كان او مبدا له على وجه يشعر بتوجيهه الى
المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فان خال عنها يرشدك الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف
في كيفية التعلق بالمفعول في قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثاني بمفعوله على منهاج تعلق
عامة الافعال بمفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله منبئ عن معنى الانهاء كما في قولك كلمته فانه
معرب عما يفيده لام التبليغ في قولك قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها
منبئ عن معنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل في الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا
يتصور في كيفية تعلق الفعل به اي فعل كان اختلاف اصلا واما المفعول به الذي هو محله و
موقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما يقتضيه خصوصيات الافعال
بحسب معانيها المختلفه فان بعضها يقتضي ان يلابسه ملابسة تامة موثرة فيه كعامة الافعال
وبعضها يستدعي ان يلابسه ادنى ملابسة اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء منه كالاستعانة
مثلا اعتبر في كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لائقة بذلك النحو مغائرة لما اعتبر في النحوين الاخرين
فنظم القسم الاول من التعلق في سلك التعلق بالمفعول الحقيقي مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل

واحد من القسمين الاخيرين من قبيل التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانهاء
الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها منه وقد يكون لفعل واحد مفعولان يتعلق باحدهما على
الكيفية الاولى وبالاخر على الثانيه او الثالثه كما في قولك حدثني الحديث وسالني المال فان
التحديث مع كونه فعلا واحدًا قد تعلق بك على الكيفية الثالثه وبالمال على الاولى ولاريب في
ان اختلاف هذه الكيفيات الثلث وتباينها واختصاص كل من المفاعيل المذكوره بما نسب اليه
منها مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان كان لا يظهر حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان
مدار ذلك الاختلاف ليس الا اختلاف الفعل او اختلاف المفعول واذ لا اختلاف في مفعول
الحمد والمدح تعين ان اختلافهما في كيفية التعلق لاختلافهما في المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح
مطلق عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدًا على حسنه ورشاقة قده واياما كان فليس بينهما ترادف
بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام في المعنى كالنصر والتاييد فانهما متناسبان معنى
من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف في كيفية التعلق بالمفعول وانما مرادف النصر الاعانة
ومرادف التاييد التقوية فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد واللائق
بالارادة في مقام التعظيم واما ما ذكر في كتب اللغة من معنى الرضا مطلقًا كما في قوله تعالى عَسَى
اَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا وفي قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة وفي قول الاطباء بحران محمود
مما لا يختص بالفاعل فضلا عن الاختيار فبمعزل من استحقاق الارادة ههنا استقلالا او استتباعًا
بحمل الحمد على ما يعم المعنيين اذ ليس في اثباته له عز وجل فائدة يعتد بها واما الشكر فهو مقابل النعمة
بالثناء وآداب الجوارح وعقد القلب على وصف المنعم بنعت الكمال كما قال من قال افادتكم
النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا فاذن هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى ونقيضه
الكفران ولما كان الحمد من شعب ادخل في اشاعة النعمة والاعتداد بشانها وادل على مكانها بما في
عمل القلب من الخفاء وفي اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر وملاكا الامر في قوله
صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره الظرف
واصله النصب كما هو شان المصادر المنصوبة بافعالها المضمرة التي لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا
وعجبًا كانه قيل نحمد الله حمدًا بنون الحكاية ليوافق ما في قوله تعالى اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ
لاتحاد الفاعل في الكل واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون قيل اياك
نعبد فمع انه لا حاجة اليه مما لا صحة له في نفسه فان السوال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه
انتظام الكلام وينساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب في ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى
على تلك الكيفية اللائقة لا يخطر ببال احد ان يسال عن كيفيته على ان ما قدر من السوال غير مطابق
للجواب فانه مسوق لتعيين المعبود لا لبيان العباده حتى يتوهم كونه بيانا لحمدهم والاعتذار بان
المعنى نخصك بالعبادة وبه تبين كيفية الحمد تعكيس للامر وتمحل لتوفيق المنزل المقرر بالموهوم

المقدّر وبعد اللّتيا والّتي ان فرض السّؤال من جهته عزّ وجلّ فاتت نكتة الالتفات الّتي اجمع
عليها السّلف والخلف وان فرض من جهة الغير يختل النّظام لابتناء الجواب على خطابه تعالى وبهذا
يتّضح فساد ما قيل انّه استيناف جوابا لسؤال تقتضيه اجراء تلك الصّفات العظام على الموصوف
بها فكانّه قيل ما شانكم معه وكيف توجّهكم اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان
تناسي جانب السّائل بالكليّة وبناء الجواب على خطابه عزّ وعلا ممّا يجب تنزيه ساحة التنزيل عن
امثاله والحق الّذي لامحيد عنه انّه استيناف صدر عن الحامد بمحض ملاحظة اتّصافه تعالى بما
ذكر من النّعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلّي عليه من غير ان يتوسّط هناك شئ اخر كما ستحيط به
خبرا وايثار الرّفع على النّصب الّذي هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد له تعالى لذاته لا لاثبات مثبت
وانّ ذلك امر دائم مستمرّ لاحادث متجدّد كما تفيده قراءة النّصب وهو السّرّ في كون تحيّة الخليل
للملائكة عليهم التحيّة والسّلام احسن من تحيّتهم له في قوله تعالى قَالُوا سَلَامًا وتعريفه للجنس ومعناه
الاشارة الى الحقيقة من حيث هي حاضرة في ذهن السّامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعي
لتخصيص جميع افرادها به سبحانه على الطّريق البرهاني لكن لا بناء على انّ افعال العباد مخلوقة له
تعالى فيكون الافراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة اليه تعالى
بل بناء على تنزيل تلك الافراد ودواعيها في المقام الخطابي منزلة العدم كيفًا وكمًّا وقد قيل للاستغراق
الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحقّقها في ضمن جميع افرادها حسبما تقتضيه المقام وقرئ
الحمد لله بكسر الدّال اتباعا لها باللّام وبضمّ اللّام اتباعا لها بالدّال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة
استعمالهما مقترنتين منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل رَبِّ الْعَالَمِينَ بالجرّ على انّه
صفة لله فان اضافته حقيقة مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعيّن ارادة الاستمرار وقرئ
منصوبا على المدح او بما دلّ عليه الجملة السّابقة كانّه قيل نحمد الله ربّ العالمين ولا مساغ لنصبه
بالحمد لقلّة اعمال المصدر المحلّى باللام وللزوم الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرّبّ في الاصل
مصدر بمعنى التربية وهي تبليغ الشّئ الى كماله شيئا فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل
وقيل صفة مشبّهة من ربّه يربّه مثل نمّه ينمّه بعد جعله لازما بنقله الى فعل بالضّمّ كما هو المشهور
سمّي به المالك لانّه يحفظ ما يملكه ويربّيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كربّ الدّار وربّ
الدّابه ومنه قوله تعالى فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وقوله تعالى ارجع الى ربّك وما في الصّحيحين من
انّه صلّى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربّك وضّئ ربّك ولا يقل احدكم ربّي وليقل سيّدي
ومولاي فقد قيل انّ النّهي فيه للتنزيه وامّا الارباب فحيث لم يمكن اطلاقه على الله تعالى جاز
في اطلاقه الاطلاق والتّقييد كما في قوله تعالى ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ الايه والعالم اسم لما يُعلم
به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصّانع تعالى من المصنوعات اي في قدر المشترك بين اجناسها
وبين مجموعها فانّه كما يطلق على كلّ جنس منها في قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النّبات

وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا كما في قولنا العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو اسم
لاولي العلم من الملئكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق الاستتباع وقيل اريد به النّاس
فقط فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظايرها في العالم الكبير من الجواهر والاعراض يعلم بها
الصّانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك امر بالنّظر في الانفس كالنظر في الافاق فقيل وفي انفسكم
افلا تبصرون والاوّل هو الاحق الاظهر وايثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيّته تعالى لجميع الاجناس
والتّعريف لاستغراق افراد كلّ منها باسرها اذ لو افرد لربّما توهم ان المقصود بالتّعريف هو
الحقيقة من حيث هي او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذي اشير اليه في تعريف الحمد
وحيث صحّ ذلك بمساعدة التّعريف نزل العالم وان لم ينطلق على احاد مدلوله منزلة الجمع حتى قيل
انّه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان الجمع المعرّف يستغرق احاد مفرده وان لم يصدق عليها كما
في مثل قوله تعالى وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ اي كل محسن كذلك العالم يشمل افراد الجنس المسمّى به وان
لم ينطلق عليها كانها احاد مفرده التقديري ومن قضيّة هذا التنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما
ان الاقاويل يتناول كل واحد من احاد الاقوال يتناول لفظ العالمين كل واحد من احاد
الاجناس الّتي لا تكاد تحصى روي عن وهب بن منبّه انّه قال لله تعالى ثمانية عشر الف عالم
والدّنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنّون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء على غيرهم واعلم
انّ عدم انطلاق اسم العالم على كل واحدٍ من تلك الاحاد ليس الّا باعتبار الغلبة والاصطلاح
وامّا باعتبار الاصل فلا ريب في صحّة الاطلاق قطعًا لتحقق المصداق حتما فانّه كما يستدلّ على الله سبحانه
بمجموع ماسواه وبكلّ جنس من اجناسه يستدلّ عليه تعالى بكلّ جزء من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد
من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى المؤثر الواجب لذاته في الكل فانّ كل ما ظهر في المظاهر ممّا
عزّ وهان وحضر في هذه المحاضر كائنا ما كان دليل لائح على الصّانع المجيد وسبيل واضح الى
عالم التّوحيد وامّا شمول ربوبيّته عزّ وجل للكلّ فممّا لا حاجة الى بيانه اذ لا شئ ممّا احدق به نطاق
الامكان والوجود من العلويّات والسفليّات والمجرّدات والماديات والرّوحانيّات والجسمانيّات
الا وهو في حد ذاته بحيث لو فرض انقطاع اثار التّربية عنه انا واحدا لما استقرّ له القرار ولا
اطمأنت به الدّار الا في مطمورة العدم ومهاوي البوار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس
تعالى شانه وتقدّس في كلّ زمان يمضي وكلّ ان يمرّ وينقضي من فنون الفيوض المتعلّقة بذاته
ووجوده وصفاته وكمالاته ما لا يحيط به فلك التّعبير ولا يعلمه الّا العليم الخبير ضرورة
انّه كما لا يستحقّ شئ من الممكنات بذاته الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانّما ذلك من جناب المبدا
الاوّل عزّ وعلا فكما لا يتصوّر وجوده ابتداء ما لم ينسدّ عليه جميع انحاء عدمه الاصليّ لا يتصوّر
بقاؤه على الوجود بعد تحقّقه بعلّته ما لم ينسدّ عليه جميع انحاء عدمه الطّاري لما انّ الدّوام من
خصائص الوجود الواجبي وظاهر ان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجوديّة الّتي هي علله

وما في حكمها من الاعلام للاله على معنى العالم مع اعتبار تغليب العقلاء ع

وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب تناهى ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدميّة الّتى لها
دخل فى وجوده وهى المعبّر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة فى ان يكون لشئ واحد
موانع غير متناهية يتوقّف وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اى بقائها على العدم مع امكان وجودها
فى نفسها فابقاء تلك الموانع الّتى لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشّئ من وجوه غير متناهية
وبالجملة فاثار تربيته عزّ وجلّ الفائضة على كلّ فرد من افراد الموجودات فى كلّ آن من آنات الوجود
غير متناهية فسبحانه سبحانه ما اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه العقول
بافكارها شانه لا يضاهى واحسانه لا يتناهى ونحن فى معرفته حائرون وفى اقامة مراسم
شكره قاصرون نسالك اللّهمّ الهداية الى مناهج معرفتك والتّوفيق لاداء حقوق نعمتك لا
نحصى ثناء عليك لَا اِلٰهَ اِلَّا اَنْتَ نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ اِلَيْكَ الرّحمن الرّحيم صفتان لله فان
اريد بما فيهما من الرّحمة ما يختصّ بالعقلاء من العالمين او ما يفيض على الكلّ بعد الخروج الى طور
الوجود من النّعم فوجه تاخيرهما عن وصف الرّبوبيّة ظاهر وان اريد ما يعمّ الكلّ فى الاطوار
كلّها حسبما فى قوله تعالى وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فوجه التّرتيب انّ التّربية لا تقتضى المقارنة
للرّحمة فايرادهما فى عقبهما للايذان بانّه تعالى متفضّل فيها فاعل بقضيّة رحمته السّابقة من غير
وجوب عليه وبانّها واقعة على احسن ما يكون والاقتصار على نعته تعالى بهما فى التّسمية لما
انّه الانسب بحال المتبرّك المستعين باسمه الجليل والاوفق لمقاصده مالكِ يوم الدّين صفة رابعة
له تعالى وتاخيرها عن الصّفات الاول ممّا لا حاجة الى بيان وجهه وقرا اهل الحرمين المحترمين
مِلك من المُلك الّذى عبارة عن السّلطان القاهر والاستيلاء الباهر والغلبة التّامّة والقدرة
على التّصرّف الكلّىّ فى امور العامّة بالامر والنّهى وهو الانسب بمقام الاضافة الى يوم الدّين كما
فى قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهّار وقرى ملك بالتّخفيف وملَك بلفظ الماضى
ومالك بالنّصب على المدح او الحال وبالرّفع منوّنا ومضافا على انّه خبر مبتدا محذوف وملك مضافا
بالرّفع والنّصب واليوم فى العرف عبارة عمّا بين طلوع الشمس وغروبها من الزّمان وفى الشرع
عمّا بين طلوع الفجر الثّانى وغروب الشّمس والمراد ههنا مطلق الوقت والدّين الجزاء خيرًا كان او
شرًّا ومنه الثّانى فى المثل السّائر كما تدين تدان والاوّل فى بيت الحماسه ولم يبق سوى العدوان
دنّاهم كما دانوا واما الاوّل فى الاوّل والثّانى فى الثّانى فليس بجزاء حقيقة وانّما سمّى به مشاكلة او
تسمية للشئ باسم مسبّبه كما سمّيت ارادة القيام والقراءة باسمهما فى قوله عزّ اسمه اذا قمتم الى الصّلوة
وقوله تعالى فاذا قرات القران فاستعذ بالله ولعلّه هو السّرّ فى بناء المفاعلة من الافعال
الّتى يقوم اسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللّص ونظائره فانّ قيام السّرقة الّتى هى سبب للعقوبة
باللّص نُزّل منزلة قيام المسبّب به وهى العقوبة فصار كانّها قامت بالجانبين وصدرت عنهما
فبنيت صيغة المفاعلة الدّالة على المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة

سائر الظّروف الزّمانيّة اليه ما وقع فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من
بين ساير ما يقع فيه من القيامة والجمع والحساب لكونه ادخل فى التّرغيب والتّرهيب فان ما ذكر من القيام
وغيرها من مبادى الجزاء ومقدماته واضافة مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظّرف على نهج الاتّساع
المبنىّ على اجرائه مجرى المفعول به مع بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الله اهل النّار اى مالك امور العالمين
كلّها فى يوم الدّين وخلوّ اضافته عن افادته التّعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة وانّما هو اذا اريد
به الحال او الاستقبال وامّا عند ارادة الاستمرار الثّبوتى كما هو اللّائق بالمقام فلا ريب فى كونها اضافة
حقيقيّة كاضافة الصّفة المشبهة الى غير معمولها فى قراءة ملك يوم الدّين ويوم الدّين وان لم يكن مستمرًّا
فى جميع الازمنة الّا انّه لتحقّق وقوعه وبقائه ابدا اجرى مجرى المتحقّق المستمرّ ويجوز ان يراد به الماضى
بهذا الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضى وما ذكر من اجراء الظّرف مجرى المفعول به انّما هو
من حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظيّة الا ترى انك تقول فى مالك عبده امس
انّه مضاف الى المفعول به على معنى انّه كذلك معنى لا انه منصوب محلّا وتخصيصه بالاضافة اما لتعظيمه
وتهويله او لبيان تفرّده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلائق المجازيه بين الملّاك والاملاك
بالكليّه واجراء هاتيك الصّفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من اختصاص الحمد به تعالى
المستلزم لاختصاص استحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة والاستعانة عليه فانّ
كل واحدة منها مفصحة عن وجوب ثبوت كل واحد منها له تعالى وامتناع ثبوتها لما سواه امّا الاولى
والرّابعة فظاهر لانّهما متعرّضتان صراحة لكونه تعالى ربّا مالكا وما سواه مربوبا مملوكا له تعالى
وامّا الثّانية والثّالثة فلانّ اتصافه تعالى بهما ليس الّا بالنّسبة الى ما سواه من العالمين وذلك يستدعى
ان يكون الكل منعمًا عليهم فظهر انّ كل واحدة من تلك الصّفات كما دلّت على وجوب ثبوت الامور المذكورة له
تعالى دلّت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعنىّ بالاختصاص اِيّاكَ نَعْبُدُ وَاِيّاكَ نَسْتَعِين
التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين للنّظم من باب الى باب جار على نهج البلاغة فى افتنان الكلام
ومسلك البراعة حسبما يقتضى المقام لما ان التّنقل من اسلوب الى اسلوب ادخل فى استجلاب النّفوس
واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التّكلم والخطاب والغيبة الى كلّ واحد من الاخرين كما فى
قوله عزّ وجلّ اَللّهُ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا الاية وقوله تعالى حتّى اذا كنتم فى الفلك وجرين
بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة فى التّنزيل لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها وممّا استاثر به
هذا المقام الجليل من النّكت الرّائقة الدّالة على ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجرى
عليه من النّعوت الجليلة الّتى اوجبت له تعالى اكمل تميّز واتمّ ظهور بحيث تبدّل خفاء الغيبة بجلاء
الحضور فاستدعى استعمال صيغة الخطاب والايذان بان حق التّالى بعد التّامّل فيما سلف من تفرّده تعالى
بذاته الاقدس المستوجب للمعبوديّة وامتيازه بذاته عمّا سواه بالكليّة واستبداده بجلائل الصّفات
واحكام الرّبوبيّه المميّزة عن جميع افراد العالمين وافتقار الكل اليه فى الذّات والوجود ابتداء وبقاء

على التّفصيل الّذى مرّت اليه الاشارة ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم
الغيبة الى معالم الشّهود ويلاحظ نفسه فى حظاير القدس حاضرا فى محاضر الانس كانّه واقف لدى مولاه
ماثل بين يديه وهو يدعو بالخضوع والاخبات ويقرع بالضّراعة باب المناجات قائلا يا من هذه شؤن
ذاته وصفاته نخصّك بالعبادة والاستعانة فانّ كل ماسواك كائنا ما كان بمعزل من استحقاق
الوجود فضلا عن استحقاق ان يُعبد او يستعان ولعلّ هذا هو السّرّ فى اختصاص السّورة الكريمة
بوجوب القراءة فى كل ركعة من الصّلوة التى هى مناجات العبد لمولاه ومنّته بلا تبتّل اليه بالكليّه
وايّا ضمير منفصل منصوب وما يلحق من الكاف والياء والهاء حروف زيّدت لتعيين الخطاب والتكلّم
والغيبة لا محلّ لها من الاعراب كالتاء فى انت والكاف فى ارايتك وما ادّعاه الخليل من الاضافة
محتجّا عليه بما حكاه عن بعض العرب اذا بلغ الرّجل السّتين فايّاه وايّا والشواب فممّا لا يعوّل عليه
وقيل هى الضّماير وايّا دعامة لها لتصيّرها منفصلة وقيل الضّمير هو المجموع وقرئ ايّاك بالتّخفيف
وبفتح الهمزة والتشديد وهيّاك بقلب الهمزة هاء والعباده اقصى غاية التّذلّة والخضوع ومنه
طريق معبّد اى مذلّل والعبوديّة ادنى منها وقيل العباده فعل ما يرضى به الله والعبوديّة الرّضى
بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة على الوجه الّذى مرّ بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر
من القصر والتخصيص كما فى قوله تعالى وايّاى فارهبون مع ما فيه من التّعظيم والاهتمام به قال
ابن عبّاس رضى الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على
تخصيصه تعالى بكلّ واحد من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ بالمناجات والخطاب
وتقديم العبادة لما انّها من مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصّفات الجرات عليه
ايضا وامّا الاستعانة فمن الاحكام المبنيّة على الصّفات المذكورة ولانّ العباده من حقوق الله تعالى
والاستعانة من حقوق المستعين ولانّ العبادة واجبة حتمًا والاستعانة تابعة للمستعان فيه
فى الوجوب وعدمه وقيل لانّ تقديم الوسيله على المسئول ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير
كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انّه لما ان
المسئول هو المعونه فى العبادة والتّوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغى وهو اللائق بشان التّنزيل
والمناسب لحال الحامد فان استعانته مسبوقه بملاحظة فعل من افعاله ليستعينه تعالى فى ايقاعه
ومن البيّن انه عند استغراقه فى ملاحظة شؤنه تعالى واشتغاله باداء ما يوجبه تلك الملاحظه من الحمد
والثنا لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلى عليه والتّوجيه التّام اليه ولقد فعل
ذلك بتخصيص العبادة به تعالى اوّلا وباستدعاء الهداية الى ما يوصل اليه اخرا فكيف يتصوّر ان
يشتغل فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه او بما يعمها وغيرها كانه قيل وايّاك نستعين فى ذلك
فانا غير قادرين على اداء حقوقه من غير اعانة منك فوجه التّرتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار
بعلوّ رتبة عبادته تعالى وعزّة منالها وبكونها عند العابد اشرف المساعى والمقاصد وبكونها

من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن الملائمة لما يعقبه من الدّعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال اى
ايّاك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلّم مع الغير فى الفعلين للايذان بقصور نفسه وعدم
لياقته بالوقوف فى مواقف الكبرياء منفردًا وعرض العباده واستدعاء المعونة والهداية مستقلًّا
وان ذلك انّما يتصوّر من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من زمرتهم كما هو ديدن الملوك او
للاشعار باشتراك سائر الموحّدين له فى الحاله العارضة له بناء على تعاضد الادلّة الملجئة الى ذلك
وقرى نِستعين بكسر النّون فى لغة بنى تميم اهدنا الصّراط المستقيم افراد لمعظم افراد المعونة المسئولة
بالذكر وتعيين لما هو الاهمّ او بيان لها كانّه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة تلطف
على ما يوصل الى البغيه ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صِرَاطِ الجحيم وارد على
نهج التحكم والاصل تعديتها بالى واللام كما فى قوله عزّ وجل قل هو من شركائكم من يهدى الى الحق
قل الله يهدى للحقّ فعومل معاملة اختار فى قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله تعالى
لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وهداية الله تعالى مع تنوّعها الى انواع لا تكاد تحصر منحصرة فى اجناس مترتبة منها
نفسيّه كافاضة القوى الطّبيعيّة والحيوانيّة التى بها يصدر عن المرء افاعيله الطّبيعيه والحيوانيّه
والقوى المدركه والمشاعر الظّاهرة والباطنه الّتى بها يتمكّن من اقامة مصالحه المعاشيّة والمعاديّة
ومنها افاقيّة فامّا تكوينيه معربة عن الحق بلسان الحال وهو نصب الادلّة المودعة فى كلّ فرد من افراد
العالم حسبما لوّح به فيما سلف وامّا تنزيليّة مفصحة عن تفاصيل الاحكام النّظرية والعمليّه بلسان
المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التى من جملتها الارشاد الى مسلك
الاستدال بتلك الادلّة التّكوينيّة الافاقيّة والانفسيّه والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا
فى قوله تعالى وَفِى الْاَرْضِ اٰيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِى اَنْفُسِكُمْ اَفَلَا تُبْصِرُونَ وفى قوله عزّ وعلا انّ فى اختلاف
اللّيل والنّهار وما خلق الله فى السّموات والارض لايات لقوم يتّقون ومنها الهداية الخاصّه
وهى كشف الاسرار على قلب المهدىّ بالوحى والالهام ولكلّ مرتبة من هذه المراتب صاحب ينتحيها
وطالب يستدعيها والمطلوب امّا زيادتها كما فى قوله تعالى والّذين اهتدوا زادهم هُدًى وامّا
الثبات عليها كما روى عن علىّ وابىّ رضى الله عنهما اهدنا ثبّتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير
مجازا قطعًا واما على الاوّل فان اعتبر مفهوم الزّيادة داخلا فى المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا
وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقرائن كان حقيقة لانّ الهداية الزايدة هداية كما ان العبادة
الزايدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقه والمجاز وقرئ ارشدنا والصّراط الجادة اصله السّين قلبت
صادًا لمكان الطاء كمصيطر فى مسيطر من سرط الشئ اذا ابتلعه سمّيت به لانّها تسترط السّابلة اذا
سلكوها كما سمّيت لقمًا لانّها تلتقمهم وقد تشمّ الصّاد صوت الزّاء تحرّيا للقرب من المبدل منه وقد
قرئ بهنّ جميعًا وفصحاهنّ اخلاص الصّاد وهى لغة قريش وهى الثابتة فى الامام وجمعه صرط
ككتاب وكتب وهو كالطّريق والسّبيل فى التّذكير والتّانيث والمستقيم المستوى والمراد به طريق

الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل وهو في حكم تكرير العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التاكيد والتنصيص على ان طريق الذين انعم الله عليهم وهم المسلمون هو العلم في الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فانه نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن فاز بها فقد حازها بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر انهم المذكورون في قوله عز قائلا فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بشهادة ما قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهي في الاصل الحالة التي يستلذها الانسان من النعمة وهي اللين ثم اطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها ينحصر اصولها في دنيوي واخروي والاول قسمان وهبي وكسبي والوهبي ايضا قسمان روحاني كنفخ الروح فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة في انفسها وجسماني كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبي تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة والحلى المرضية وحصول الجاه والمال والثاني مغفرة ما فرط منه والرضى عنه وتبوئته في اعلى عليين مع المقربين والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم ورحمتك الواسعة غير المغضوب عليهم ولا الضالين صفة للموصول على انه عبارة من احدى الطوائف المذكورة المشهورة بالانعام عليهم وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدي الوصفين المذكورين اعني مطلق المغضوب عليهم والضالين فاكتسبت بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما في قولك عليك بالحركة غير السكون وصفوا بذلك تكملة لما قبله وايذانا بان السلامة مما ابتلى به اولئك نعمة جليلة في نفسها اي الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التي هي نعمة الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون بمعنى النكرة كذي اللام اذا اريد به الجنس في ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهني وبالمغضوب عليهم والضالين اليهود والنصارى كما ورد في مسند احمد والترمذي فيبقى لفظ غير على ابهامه نكرة مثل موصوفه وانت خبير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طائفة غير معينة مخل ببدليته ما اضيف اليه مما قبله فان مدارها كون صراط المؤمنين علما في الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذي تحققته فيما سلف ومن البين ان ذلك من اضافته وانتسابه الى كلهم لا الى بعض مبهم منهم وبهذا تبين ان لا سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شان البدل ان يفيد متبوعه

مزيد تاكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب في ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسي مما اضيف اليه نوع تعريف مصحح لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء ان فسر النعم بما يعم القبيلتين والغضب هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله تعالى يراد به غايته بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام وعلى مسببه البعيد ان اريد به نفس الانتقام ويجوز حمل الكلام على التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم بما ينتزع من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه واراد ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جرى على منهاج الاداب التنزيلية في نسبة النعم والخيرات اليه عز وجل دون اضدادها كما في قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتاكيد ما افاده غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب جواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوي وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضالين بالهمزة على لغة من جد في الهرب على التقاء الساكنين امين اسم فعل هو استجب وعن ابن عباس رض سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى امين فقال افعل بني على الفتح كاين لالتقاء الساكنين وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا عن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبرئيل امين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليست من القران وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عند ابي حنيفة رح ان المصلي ياتي بها مخافتة وعنه انه لا ياتي بها الامام لانه الداعي وعن الحسن رح مثله وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها لما روى وائل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرا ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل في التورية والانجيل والقران مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرء صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ الالفاظ التى يعبّر بها عن حروف المعجم التى من جملتها المقطّعات المرقومه فى فواتح السّور
الكريمة اسماء لها لاندراجها تحت حدّ الاسم ويشهد به ما يعبّر بها من التّعريف والتنكير و
الجمع والتّصغير وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نصّ على ذلك اساطين ائمة العربيّة وما
وقع فى عبارات المتقدّمين من التّصريح بحرفيّتها محمول على المسامحه وامّا ما روى عن ابن مسعود
رض من انه صلّى الله عليه وسلّم قال من قرء حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنه بعشر
امثالها لا اقول الٓمٓ حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف وفى رواية الترمذىّ والدّارمى
لا اقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الالف حرف واللام حرف والميم حرف والذال
حرف والكاف حرف فلا تعلّق له بما نحن فيه قطعًا فان اطلاق الحرف على ما يقابل الاسم والفعل
عرف جديد اخترعه ائمّة الصّناعة وانّما الحرف عند الاوايل ما يتركّب منه الكلم من الحروف
المبسوطة وربّما يطلق على الكلمة ايضا تجوّزا فاريد بالحديث الشريف دفع توهّم التجوّز وزيادة
تعيين ارادة المعنى الحقيقى ليتبيّن بذلك ان الحسنة الموعوده ليست بعدد الكلمات القرآنيّه
بل بعدد حروفها المكتوبه فى المصاحف كما يلوّح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او القران وليس
هذا من تسمية الشّئ باسم مدلوله فى شئ كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفيّه واستتباع الحسنه
انّما هى المسمّيات البسيط الواقعة فى كتاب الله عزّ وجلّ سواء عبّر عنها باسمائها او بانفسها كما فى
قولك السّين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك ممّا لا يصدق المحمول الّا على ذات الموضوع
لا اسماؤها المؤلف كما اذا قلت الالف مؤلّف من ثلثة احرف فكما ان الحسنات فى قراءة قوله
تعالى ذلك الكتاب بمقابلة حروف البسيطة وموافقه لعددها كذلك فى قراءة قوله تعالى الم بمقابلة
حروفه الثلثة المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمائها الملفوظه والالفات الموافقة فى
العدد اذ الحكم بانّ كلا منها حرف واحد مستلزم للحكم بانّه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة فى ذلك
بالمعبّر عنه دون المعبّر به ولعلّ السّر فيه ان استتباع الحسنة منوطة بافادة المعنى المراد
بالكلمات القرآنيّه فكما انّ سائر الكلمات الشّريفه لا تفيد معانيها الّا بتلفّظ حروفها بانفسها
كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعانى المقصودة بها الّا بالتّعبير عنها باسمائها فجعل ذلك
تلفّظا بالمسمّيات كالقسم الاوّل من غير فرق بينهما الا ترى الى ما فى الرّواية الاخيرة من قوله عليه
السّلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبّر كيف عبّر عن طرفى ذلك باسميهما مع كونهما ملفوظين
بانفسهما ولقد روعيت فى هذه التّسمية نكتة رائعة حيث جعل كل مسمّى لكونه من قبيل الالفاظ
صدر الاسم ليكون هو المفهوم منه اثر ذى اثير خلا انّ الالف حيث تعذّر الابتداء بها استعيرت
مكانها الهمزة وهى معربة اذ لا مناسبة بينها وبين مبنىّ الاصل لكنّها لم تليها العوامل ساكنة
الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك قيل صاد وقاف مجموعا
فيهما بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء وان وليها عامل مسّها الاعراب وقصر

ما اخره الف عند التهجّى لابتغاها الخفّة لا لانّ وزانه وزان لفظ لا لاتقصر تارة فتكون حرفا وتمد
اخرى فتكون حرفا وتمدّ اخرى فتكون اسما لها كما فى قول حسان رض ما قال لا قطّ الّا فى تشهّده
لولا التشهد لم تسمع له لاء هذا وقد تكلّموا فى شان هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انّها
من العلوم المستورة والاسرار المحجوبه روى عن الصّدّيق رضى الله عنه انّه قال فى كلّ
كتاب سرّ وسرّ القران اوايل السّور وعن على رضى الله عنه ان لكلّ كتاب صفوة وصفوة
هذه الكتاب حروف التّهجى وعن ابن عباس رض انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبىّ
عنها فقال سرّ لله عزّ وجل فلا تطلبوه وقيل انها اسماء الله تعالى وقيل انّها صفات الافعال
الالف الاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرطبىّ وقيل انّها من قبيل الحسنات
وقيل الالف من الله واللام من جبرئيل والميم من محمّد اى انزل الكتاب بواسطة جبرئيل على محمد وقيل
هى اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللّغات ومبادى كتبه
المنزله ومبانى اسمائه الكريمه وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام اخر وقيل ولكنّ الّذى
عليه التّعويل امّا كونها اسماء للسّور المصدّرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه
قالوا سمّيت بها ايذانا بانّها كلمات عربيّة معروفة التّركيب من مسمّيات هذه الالفاظ فلولا
انه وحى من الله عزّ وجلّ لما عجزوا عن معارضته ويقرّب منه ما قاله الكلبى والسدى وقتاده
من انّها اسماء للقران والتّسميه بثلثة اسماء فصاعدًا انّما تستنكر فى لغة العرب اذا ركبت و
جعلت اسمًا واحدًا كما فى حضرموت فامّا اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها والمسمّى هو المجموع
لا الفاتحه فقط حتّى يلزم اتحاد الاسم والمسمّى غاية الامر دخول الاسم فى المسمّى ولا محذور فيه كما لا
محذور فى عكسه حسبما تحققته انفا وانّما كتبت فى المصاحف صور المسمّيات دون صور الاسماء
لانه ادلّ على كيفيّة التلفظة بها وهى ان يكون على نهج التّهجى دون التركيب ولانّ فيه سلامة عن
التّطويل لا سيّما فى الفواتح الخماسيّه على انّ خطّ المصحف ممّا لا ينافس فيه لمخالفة القياس وامّا
كونها مسرودة على نمط التّعديد واليه جنح اهل التّحقيق قالوا انّما وردت هكذا ليكون ايقاظا
لمن تحدّى بالقران وتنبيها لهم على انه منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انّه خارج عن
طوق البشر نازل من عند خلّاق القوى والقدر لما تضائلت قوّتهم ولا تساقطت قدرتهم
وهم فرسان حلبة الحوار وامراء الكلام فى نادى الفخار دون الاتيان بما يدانيه فضلا عن المسارعة
بما يساويه مع تظاهم فى المضادّة والمضادة وتهالكهم على المعازّة والمعارّة او ليكون مطلع ما
يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما فى الباقى من فنون الاعجاز فان النّطق بانفس
الحروف فى تضاعيف الكلام وان كان على طرف الثّمام يتناوله الخواصّ والعوام من الاعراب
والاعجام لكنّ التّلفظ باسمائها انّما يتاتّى ممّن درس وخط وامّا ممّن لم يحم حول ذلك قطّ فاعزّ
من بيض الانوق وابعد من مناط العيّوق لا سيّما اذا كان على نمط عجيب واسلوب غريب

منبئ عن سرّ سرمدي مبنى على نهج عبقريّ بحيث يحار فى فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول
كيف لا وقد وردت تلك الفواتح فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبًا
بحيث ينطوى على انصاف اصنافها تحقيقا او تقريبًا كما يتضح عند الفحص والتنقير حسبما فصّله بعض
افاضل ائمة التفسير فسبحان من دقت حكمته من ان يطالعها الانظار وجلّت قدرته عن ان
ينالها ايدى الافكار وايراد بعضها فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسيّة جرى على عادة الافتنان
مع مراعات ابنية الكلم وتفريقها على السّور دون ايرادكلّها مرّة لذلك ولما فى التّكرير والاعادة
من زيادة افادة وتخصيص كلّ منها بسورتها ممّا لا سبيل الى المطالبة بوجهه وعدّ بعضها اٰية
دون بعض مبنىّ على التّوقيف البحت امّا الم فاٰية حيثما وقيل فى اٰل عمران ليست باٰية والمص اٰية
والمر لم تعدّ اٰية والر ليست باٰية فى شئ من سورها الخمس وطسم اٰية فى سورتيها وطه ويس اٰيتان
وطس ليست باٰية وحم اٰية فى سورها كلّها وكهيعص اٰية وحمعسق اٰيتان وص وق ونون لم تعد واحدة
منها اٰية هذا على راى الكوفيّين وقد قيل ان جميع الفواتح اٰيات عندهم فى السّور كلّها بلا فرق
بينهما وامّا من عداهم فلم يعدّوا شيئا منها اٰية ثم انها على تقدير كونها مسرودة على نمط التّعديد
لا تشم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف التّمام وعلى تقدير كونها اسمآء للسّور او للقران كان
لها حظّ منه امّا الرّفع على الابتداء او على الخبريّة وامّا النّصب بفعل مضمر كاذكروا وبتقدير فعل
القسم على طريقة الله لافعلنّ وامّا الجرّ بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه النّظام
ولا وقف فيما عدا الرّفع على الخبريّة والتّلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الّا ان ما كانت
منها منفردة مثل ص وق ون يتاتى فيها الاعراب اللّفظى ايضا وقد قرئت بالنّصب على اضمار فعل
اى اذكروا واقرا صادَ وقافَ ونونَ وانّما لم تنوّن لامتناع الصّرف وكذا ما كانت منها موازنة
المفرد نحو حم ويس وطس الموازنة لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال فى باب
اسماء السّور من كتابه وقد قرء بعضهم ياسين والقران وقاف والقران فكانه جعله اسما اعجميًّا ثمّ
اذكر ياسين انتهى وحكى السيرافى ايضا عن بعضهم قراءة ياسين ويجوز ان ذلك فى الكلّ تحريكًا
لالتقاء السّاكنين ولا مساغ للنّصب باضمار فعل القسم لانّ ما بعدها من القران والقلم محلوف
بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد قبل انقضآء الاوّل وهو السّر فى جعل
ما عدا الواو الاولى فى قوله تعالى واللّيل اذا يغشى والنّهار اذا تجلّى وما خلق الذّكر والانثى عاطفة
ولا مجال للعطف هٰهنا للمخالفة بين الاوّل والثّانى فى الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل الاوّل مجرورًا
باضمار البآء القسميّه مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صادِ وقافِ بالكسر على التّحريك لالتقآء
السّاكنين ويجوز فى طاسين ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه وامّا ما عدا
ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجئ تفاصيل سائر احكام كلّ منها مشروحة فى مواقعها
باذن الله عزّ سلطانه امّا هذه الفاتحة الشّريفه فان جعلت اسما للسّورة او للقران فمحلها الرّفع امّا

على انه

على انّه خبر لمبتداء محذوف والتّقدير هٰذا الم اى مسمّى به وانّما صحّت الاشارة الى القرآن بعضًا
فى حكم الحاضر المشاهد كما يقال هٰذا ما اشترى فلان وامّا على انّه مبتداء اى المسمّى به والاوّل
هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع حقّه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند
المخاطب واذ لا علم بالتّسمية قبل تحققها الاخبار بها وادّعاء شهرتها ياباه التّردد فى انّ المسمّى هى
السّورة او كلّ القراٰن ذلك ذا اسم اشارة واللام عماد جئ به للدّلالة على بعد المشار اليه والكاف
للخطاب والمشار اليه هو المسمّى فانّه منزّل منزلة المشاهد بالحسّ البصرىّ وما فيه من معنى
البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلوّ شانه وكونه فى الغاية القاصيه من الفضل
والشّرف اثر تنويهه بذكر اسمه وما قيل من انّه باعتبار التقضى او باعتبار الوصول من المرسِل
الى المرسَل اليه فى حكم المتباعد وان كان مصحّحا لايراده لكنّه بمعزل من ترجيحه على ايراد ما وضع
للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمّى هى السّورة لانّ المشار اليه هو المسمّى بالاسم المذكور
من حيث هو مسمّى به لا من حيث هو مسمّى به من حيث هو مسمّى بالسّورة ولئن ادّعى اعتبار الحيثية
الثّانية فى الاولى بناء على ان التّسمية لتميز السّور بعضها من بعض فذلك لتذكير ما بعده وهو
على الوجه الاوّل مبتداء على حده وعلى الوجه الثّانى مبتداء ثان وقوله عزّ وعلا الكتاب امّا خبرٌ
له او صفة امّا اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه الاوّل مستانفة مؤكّدة لما افاده الجمله الاولى
من نباهة شان المسمّى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه الثّانى فى محل الرّفع على انّها خبر للمبتداء
الاوّل واسم الاشارة مغنى عن الضّمير العائد والكتاب امّا مصدر سمّى بها المفعول مبالغة كالخلق
والتّصوير للمخلوق والمصوّر وامّا فعال بنى للمفعول كاللّباس من الكتب الّذى هو ضمّ الحروف
بعضها الى بعض واصله الجمع والضّم فى الامور البادية للحسّ البصرىّ ومنه الكتيبه للعسكر كما
ان اصل القراءة الجمع والضّم فى الاشياء الخافية عليه والطلاق على المنظوم عبارة لما ان ماله الكتابه
والمراد به على تقدير كون المسمّى هى السّورة جميع القران الكريم وان لم يتم تنزيله عند نزول السورة
امّا باعتبار تحقّقه فى علم الله عزّ وجل او باعتبار ثبوته فى اللّوح او باعتبار نزوله جملة الى السّمآء
الدّنيا حسبما ذكر فى فاتحه الفاتحه واللام للعهد والمعنى انّ هٰذه السّورة هو الكتاب اى العمدة القصوى
منه كانّه فى احراز الفضل كلّ الكتاب المعهود الغنىّ عن الوصف بالكمال لاشتهاره فيما بين الكتب
على طريقة قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى تقدير كون المسمّى كلّ القراٰن فالمراد بالكتاب الجنس
واللام للحقيقة والمعنى انّ ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخصّ به اسم الكتاب لغاية تفوّقه
على بقيّة الافراد فى حيازة كمالات الجنس كانّ ما عداه من الكتب السّماويه خارج منه بالنّسبة
اليه كما يقال هو الرّجل اى الكامل فى الرّجوليّه الجامع لما يكون فى الرّجال من مراضى الخصال
وعليه قول من قال هم القوم كلّ القوم يا امّ خالد فالمدح كما ترى من جهة حصر كمال الجنس
فى فرد من افراده وفى الصّورة الاولى من جهة حصر كمال الكلّ فى الجزء ولا مساغ هناك لحمل الكتاب

على الجنس لما انّ فرده المعهود هو مجموع القرآن المقابل لساير افراده من الكتب السّماويّة لابعضه
الّذى ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءً لهذا الفرد لاباعتبار كونه جزئيًا للجنس على حياله
ولان حصر الكمال فى السّورة مشعر بنقصان سائر السّور وان لم يكن الحصر بالنّسبة اليها لتحقّق
المغايرة بينهما هذا على تقدير كون الكتاب جزاء لذلك وامّا اذا كان صفة له فلذلك الكتاب على
تقدير كون الم خبر مبتداء محذوف امّا خبر ثان او بدل من الخبر الاوّل او مبتداء مستقل خبره
مابعده وعلى تقدير كونه مبتداء امّا خبر له او مبتداء ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتداء الاوّل
والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمّى سواء كان هى السّورة او القرآن ومعنى البعد ماذكر من
الاشعار بعلوّ شانه والمعنى ذلك الكتاب العظيم الشّان البالغ اقصى مراتب الكمال وقيل المشار
اليه هو الكتاب الموعود فمعنى البعد ظاهر خلا انه ان كان المسمّى هى السّورة ينبغى ان يراد بالوعد
ما فى قوله تعالى انّا سنلقى عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القرآن فهو ما فى التّورية والانجيل
هذا على تقدير كون الم اسمًا للسورة او للقرآن وامّا على تقدير كونها مسرودة على نمط التّعديد
فذلك مبتداء والكتاب امّا خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف او بتقدير مبتداء اى المؤلف
من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرئ الم تنزيل الكتاب وقوله تعالى لاريب فيه امّا فى محلّ
الرّفع على انّه خبر لذلك الكتاب على الصّور الثلث المذكورة او على انه خبر ثان لالم او لذلك على
تقدير كون الكتاب خبره وللمبتداء المقدّر اخرا على راى من يجوّز كون الخبر الثّانى جملة كما فى قوله
تعالى فاذا هى حيّة تسعى وامّا فى محلّ النّصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى
الاشارة وامّا جملة مستانفة لامحلّ لها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل انّ
بحملها عليها لكونها نقيضا لها ولازمة للاسم لزومها واسمها مبنى على الفتح لكونه مفردا نكرة لامضافا
ولا شبيها به وامّا ما ذكره الزّجاج من انه معرب وانما حذف التّنوين للتخفيف فمّما لاتعويل عليه
وسبب بنائه تضمّنه معنى من الاستغراقيّة الا انه مركّب معها تركيب خمسة عشر كما توهّم وخبرها
محذوف اى لاريب موجودًا ونحوه كما فى قوله تعالى لاعاصم اليوم من امر الله والظّرف صفة لاسمها
ومعناه نفى الكون المطلق وسلبه عن الرّيب المفروض فى الكتاب او الخبر هو الظّرف ومعناه سلب
الكون فيه عن الرّيب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفًا وجعل المذكور خبرًا لما بعده وقرئ
لا ريب فيه على ان لا بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاوّل انّ ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوّز
له والرّيب فى الاصل مصدر رابنى اذا حصل فيك الرّيبه وحقيقتها قَلَقُ النّفس واضطرابها ثمّ استعمل
فى معنى الشك مطلقا او مع تهمة لانّه يقلق النّفس ويزيل الطّمانينه وفى الحديث دع ما يريبك الى
ما لايريبك ومعنى نفيه عن الكتاب انه فى علوّ الشّان وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنّة ان
يرتاب فى حقيّته وكونه وحيا منزلا من عند الله تعالى الا انه لايرتاب فيه احد اصلا الايرى كيف
جوّز ذلك فى قوله تعالى وان كنتم فى ريب ممّا نزّلنا الخ فانّه فى قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما

نزّلنا وان ارتبتم فى ما نزّلنا الخ الا انّه خولف فى الاسلوب حيث فرض كونهم فى الرّيب لاكون الرّيب
فيه لزيادة تنزيه ساحة التّنزيل عنه مع نوع اشعار بان ذلك من جهتهم لا من جهته العاليه
ولم يقصد ههنا ذلك الاشعار كما لم يقصد الاشعار بثبوت الرّيب فى سائر الكتب ليقتضى المقام
تقديم الظّرف كما فى قوله تعالى لافيها غول هُدًى مصدر من هداه كالسُّرى والبُكى وهو الدّلالة بلطف
على ما يوصل الى البغية اى ما من شانه ذلك وقيل هى الدّلالة الموصولة اليها بدليل وقوع الضّلالة
فى مقابلته فى قوله تعالى اولئك الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى وقوله تعالى وانّا او ايّاكم لعلى
هدى او فى ضلال مبين ولا شك فى ان عدم الوصول معتبر فى مفهوم الضّلال فيعتبر الوصول
فى مفهوم مقابله ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره فى مفهوم الهدى المتعدّى اذ لا فرق بينهما
الّا من حيث التّاثير والتّاثر ومحصّله انّ الهدى المتعدّى هو التوجيه الموصل لانّ اللازم هو
التّوجه الموصل بدليل انّ مقابلة الّذى هو الضّلال توجّه غير موصل قطعًا وهذا كما ترى مبنىّ
على امرين اعتبار الوصول وجوبا فى مفهوم اللّازم واعتبار وجود اللّازم وجوبًا فى مفهوم المتعدّى
وكلا الامرين بمعزل من الثّبوت امّا الاوّل فلانّ مدار التّقابل بين الهدى والضّلال ليس هو الوصول
وعدمه على الاطلاق بل هما معتبران فى مفهوميهما على وجه مخصوص به يتحقّق التّقابل بينهما وتوضيحه
ان الهدى لابدّ فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه الايصال الى البغية كما ان الضّلال
لابدّ فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال قطعًا وهذه المرتبة من الاعتبار
مسلّمة بين الفريقين ومحقّقة للتقابل بينهما وانّما النّزاع فى انّ امكان الوصول الى البغية هل
هو كاف فى تحصّل مفهوم الهدى ولابدّ فيه من خروج الوصول من القوّة الى الفعل كما انّ عدم
عدم الوصول بالفعل معتبر فى مفهوم الضّلال قطعا اذا تقرّر هذا فنقول ان اريد باعتبار الوصول
بالفعل فى مفهوم الهدى اعتباره مقارنا له فى الوجود زمانا حسب اعتبار عدمه فى مفهوم مقابله
فذلك بيّن البطلان لانّ الوصول غاية للتوجّه المذكور فينتهى به قطعًا لاستحالة التّوجه الى تحصيل
الحاصل وما يبقى بعد ذلك فهو امّا توجّه الى الثّبات عليه وامّا توجّه الى زيادته ولانّ التّوجّه
الى المقصد تدريجىّ والوصول اليه دفعىّ فيستحيل اجتماعهما فى الوجود ضرورة وامّا عدم الوصول
فحيث كان امرا مستمرًّا مثل ما يقتضيه من الضّلال وجب مقارنته له فى جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه
فى ان من انات تلك الازمنة لقارنه فى ذلك الان مقابله الذى هو الوصول فما فرضناه ضلالا
لا يكون ضلالا وان اريد اعتباره من حيث انّه غاية له واجبة الترتب عليه لزم ان يكون التّوجه
المقارن لغاية الجدّ فى السّلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلّفه عنه لمانع خارجىّ كاخترام المنيّة
مثلا من غير تقصير ولا جور من قبل المتوجّه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع
انه لا جور فيه عن القصد اصلا فبطل اعتبار وجوب الوصول فى مفهوم اللازم قطعًا وتبيّن منه
عدم اعتباره فى مفهوم المتعدّى حتما وامّا اعتبار وجود اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثّانى فبيانه

مبنیّ على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الّذی يصدر عنه ويتمّ من قبله لكن لما لم يكن له فی تحقّقه فی
نفسه بد تعلّقه بمفعوله اعتبر ذلك فی مدلول اسمه قطعًا ثم لمّا كان له باعتبار كيفيّة صدوره عن فاعله
وكيفيّة تعلّقه بمفعوله وغير ذلك آثار شتّى مترتبة عليه متمايزة فی انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها
باسماء خاصّة وعرض له بالقياس الى كلّ اثر من تلك الآثار اضافة خاصّة ممتازة عمّا عداها من الاضافات
العارضة له بالقياس الى سائرها وكانت تلك الآثار تابعة له فی التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ
لا مؤثر لها سوى فاعله عدّت من متمّماته واعتبرت الاضافة العارضة له بحسبها داخلة فی مدلوله
كالاعتماد المتعلّق بالجسم مثلا وضع له باعتبار الاضافة العارضة له من انكسار ذلك الجسم الذی
هو اثر خاصّ لذلك الاعتماد اسم الكسر وباعتبار الاضافة العارضة له من انقطاعه الذی هو اثر آخر
له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة له بالقياس الى آثار اللازمة له وهذا امر مطّرد فی
آثاره الطّبيعيّه واما الآثار الّتی له مدخل فی وجودها فی الجملة من غير ايجاب لها تترتّب عليه تارة و
تفارقه اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها كالآثار الاختياريّة الصّادرة عن مؤثّراتها
بواسطة كونه داعيا اليها فحيث كانت تلك الآثار مستقلّة فی انفسها مستندة الى مؤثراتها غير لازمة
له لزوم الآثار الطّبيعيّه التّابعة له لم تعدّ من متمّماته ولم تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة
فی مدلوله كالاضافة العارضة للامر بحسب امتثال المامور والاضافة العارضة المدعوّة بحسب اجابة
المدعوّ فان الامتثال والاجابة وان عدّا من آثار الامر والدّعوة باعتبار ترتبهما عليهما غالبًا لكنّهما حيث
كانا فعلين اختياريين للمامور والمدعوّ مستقلّين فی انفسهما غير لازمين للامر والدّعوة لم يعدّا من
متمّماتهما ولم تعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة فی مدلول اسمهما بل جعلا عبارة عن نفس
الطّلب المتعلّق بالمامور والمدعوّ سواء وجد الامتثال والاجابة اولا اذا تمهّد هذا فنقول كما انّ الامتثال
والاجابة فعلان مستقلّان فی انفسهما صادران عن المامور والمدعوّ باختيارهما غير لازمين للامر
والدّعوة لزوم الآثار الطّبيعيّه التّابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين عليهما فی الجملة كذلك
هُدى المهدیّ ای توجّهه الى ما ذكر من المسلك فعل مستقل له صادر عنه باختياره غير لازم للهداية
اعنی التّوجيه اليه لزوم ما ذكر من الآثار الطّبيعيّه وان كان مترتّبا عليها فی الجملة فلمّا لم يعدّا من
متمّمات الامر والدّعوة ولم يعتبر الاضافة العارضة لهما بحسبهما داخلة فی مدلولهما علم انّه لم يعدّ
الهدى من متمّمات الهداية ولم يعتبر الاضافة العارضة لها بحسبه داخلة فی مدلولها ان قيل ليس
الهدى بالنّسبة الى الهداية كالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما فان تعلّق الامر والدّعوة
بالمامور والدّعوة لا يقتضی الّا اتصافهما بكونهما مامورا او مدعوّا وليس من ضرورته اتصافهما بالامتثال
والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاوّلين اصلا بخلاف المهدى بالنّسبة الى الهداية فان تعلّقها بالمهدی
يقتضی اتّصافه به لان تعلّق الفعل المتعدّی المبنی للفاعل بمفعوله يدلّ على اتصافه بمصدره الماخوذ من المبنی
للمفعول قطعًا وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الّا اعتبار وجود اللازم فی

مدلوله

مدلوله المتعدی حتمًا قلنا كما انّ تعلّق الامر والدّعوة بالمامور والمدعو لا يستدعی الّا اتّصافهما
بما ذكر من غير تعرّض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلّق الهداية الّتی هی عبارة عن الدّلالة
المذكورة بالمهدیّ لا يستدعی الّا اتّصافه بالمدلوليّة الّتی هی عبارة عن المصدر الماخوذ من المبنیّ
للمفعول من غير تعرّض لقبوله لتلك الدّلالة كما هو معنى المهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل
الهداية عين الدّعوة الى طريق الحقّ والاهتداء عين الاجابة فكيف يؤخذ فی مدلولها واستلزام
الاتّصاف بمصدر الفعل المتعدّی المبنیّ للمفعول للاتّصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انّما هو
فی الافعال الطّبيعيّة كالمكسوريّة والانكسار والمقطوعيّة والانقطاع وامّا الافعال الاختياريّه
فليست كذلك كما تحققته فيما سلف ان قيل التّعلّم من قبيل الافعال الاختياريه مع انّه معتبر فی
مدلول التّعليم قطعًا فليكن الهدى مع الهداية كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على
الاطلاق ولا لكون التّعليم عبارة عن تحصيل العلم للمتعلم كما قيل فان المعلّم ليس بمستقلّ فی ذلك
ففی اسناده اليه ضرب تجوّز بل لان كلّا منهما مفتقر فی تحقّقه وتحصّله الى الآخر فان التّعلّم عن
القاء المبادی العلميّة على المتعلّم وسوقها الى ذهنه شيئا فشيئا على ترتيب يقتضيه الحال بحيث
لا يساق اليه بعض منها الّا بعد تلقّيه لبعض آخر فكل منهما متمّم للآخر معتبر فی مدلوله واما الهدى
الذی هو عبارة عن التّوجه المذكور فعل اختياریّ يستقلّ به فاعله لا دخل للهداية فيه سوى
كونها داعية الى ايجاده باختيار فلم يكن من متمّماتها ولا معتبرا فی مدلولها ان قيل التّعليم نوع
من انواع الهداية والتّعلّم نوع من انواع الاهتداء فيكون اعتباره فی مدلول التّعليم اعتبار الهدى
فی مدلول الهداية قلنا اطلاق الهداية على التّعليم انّما هو عند وضوح المسلك واستبداد المتعلّم
بسلوكه من غير دخل للتعليم فيه سوى كونه داعيا اليه وقد عرفت جلية الامر على ذلك التقدير
ان قيل اليس تخلّف الهدى عن الهداية كتخلّف التعلّم عن التعليم فحيث لم يكن ذلك تعليما فی الحقيقه
فليكن الهداية ايضا كذلك وليحمل تسمية ما لا يستتبع الهدى بها على التجوّز قلنا شتّان بين
التّخلّفين فان تخلّف التّعلم عن التّعليم يكون لقصور فيه كما ان تخلّف الانكسار عن الضّرب الضّعيف
لذلك وامّا تخلّف الهدى عن الهداية فليس بشائبة قصور من جهتها بل انّما هو لفقد سببه الموجب
له من جهة المهدى بعد تكامل ما يتمّ من قبل الهادی وبهذا التحرير اتضح طريق الهداية وتبيّن انها
عبارة عن مطلق الدّلالة على ما من شانه الايصال الى البغية بتعريف معالمه وتبيين مسالكه من
غير ان يشترط فی مدلولها الوصول ولا القبول وان الدّلالة المقارنة لهما او لاحدهما والمفارقة
عنهما كلّ ذلك مع قطع النّظر عن قيد المقارنة وعدمها افراد حقيقيّة لها وانّ ما فی قوله تعالى انّك
لا تهدی من احببت وقوله تعالى ولو شاء لهديكم ونحو ذلك ممّا اعتبر فيه الوصول من قبيل المجاز
وانكشف ان الدّلالات التكوينيّة المنصوبة فی الانفس والآفاق والبيانات التشريعيّة الواردة
فی الكتب السّماويّة على الاطلاق بالنّسبة الى كافّة البريّة برّها وفاجرها هدايات حقيقيّة فائضة

من عند الله سبحانه والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله للمتقين اى المتصفين
بالتقوى حالا او مالا وتخصيص الهدى بهم لما انهم المقتبسون من انواره المنتفعون باثاره وان كان
ذلك شاملا لكل ناظر من مؤمن وكافر وبذلك الاعتبار قال الله تعالى هدى للناس والمتقى اسم
فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهى فرط الصيانه والتقوى فى عرف الشرع عبارة عن كمال
التوقى عما يضره فى الاخرة قال عليه السلم جماع التقوى فى قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان
الاية وعن عمر بن عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقى من
تبرك ما لا باس به حذرا من الوقوع فيما فيه باس وعن ابى يزيد ان التقوى هو التورع عن كل
ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقى من تبرء
عن حوله وقدرته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك وعن ميمون
بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح والسلطان الجائر
وعن ابى تراب بين يدى التقوى خمس عقبات لا ينال من لا يجاوزهن ايثار الشدة على النعمة
وايثار الضعف على القوة وايثار الذل على العزة وايثار الجهد على الراحة وايثار الموت على الحيوة
وعن بعض الحكماء انه لا يبلغ الرجل سنام التقوى الى ان يكون بحيث لو جعل ما فى قلبه فى طبق فطيف
به فى السوق لم يستحى ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق و
التحقيق ان للتقوى ثلث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرء عن الكفر وعليه قوله تعالى
والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم
وهو المتعارف بالتقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة
ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه بكليته وهو التقوى الحقيقى المامور
به فى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة عرض عريض يتفاوت فيه
طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية الالهية المبنية
على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم الصلوة والسلام حيث جمعوا بذلك بين
رياستى النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح عن العروج الى معالم الارواح ولم يصدهم
الملابسة بمصالح الخلق عن الاستغراق فى شؤن الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية
وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده
اياهم الى تحصيل المرتبة الاولى ونيلها فالمراد بهم المشارفون للتقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل و
ايثاره على العبارة المعرفة عن ذلك للايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه تعالى وتفخيم
شانهم وان اريد به ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخيرتين فان عنى بالمتقين اصحاب الطبقة
الاولى وتعينت الحقيقة وان عنى بهم اصحاب احدى الطبقتين الاخيرتين تعين المجاز لان الوصول
اليهما انما يتحقق بهدايته المترقبة وكذا الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة فانه ان اريد بالهدى

الارشاد الى تحصيل المرتبة الثالثة فان عنى بالمتقين اصحاب المرتبة الثانية تعينت الحقيقة
وان عنى بهم اصحاب المرتبة الثالثة تعين المجاز ولفظ الهداية حقيقة فى جميع الصور واما
ان اريد بكونه هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه او ارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون
مفهومها داخلا فى المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام
متعلقة بهدى او بمحذوف وقع صفة له او حالا منه ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف
اى هو هدى او خبر مع لا ريب فيه لذلك الكتاب او مبتداء خبره الظرف المقدم كما اشير اليه او
النصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل معنى الاشارة او من الضمير فى فيه والعامل
ما فى الجار والمجرور من معنى الفعل المنفى كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه
قيد للنفى لا للمنفى وحاصله انتفى الريب فيه حال كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب
اما للمبالغة كانه نفس الهدى او لجعل المصدر بمعنى الفاعل هذا والذى يستدعيه جزالة التنزيل
فى شان ترتيب هذه الجمل ان يكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يتخلل بينها
فالم جملة برأسها على انها خبر لمبتداء مضمر او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها دالة على
ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة
لجهة التحدى لما دلت عليه من كونه منعوتا بالكمال الفائق ثم سجل على غاية فضله بنفى الريب فيه
اذ لا افضل اعلى مما للحق واليقين وهدى للمتقين بما يقدر له من جملة المبتداء جملة مؤكدة لكونه حقا
لا يحوم حوله شائبة شك ما ودالة على تكميله بعد كماله او يستتبع السابقة منها اللاحقة استتباع
الدليل للمدلول فانه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا
عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه فى غاية
النزاهة عن مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه الشك وما كان كذلك كان لا محالة هدى للمتقين
وفى كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا يخفى جلالة شانه حسبما تحققه الذين يؤمنون
بالغيب اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه صفة مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصى
فقط مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية وموضحة ان فسر بما هو المتعارف شرعا والمتبادر عرفا
من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانه حينئذ يكون تفصيلا لما انطوى عليه اسم الموصوف اجمالا
وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها
امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب الداعية الى
التجنب عن المعاصى غالبا الا يرى فى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه الصلوة
والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر
من فعل الطاعات وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها
على سائر ما انطوى تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على المدح بتقدير اعنى او الرفع عليه

بتقديرهم واما مفصول عنه مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سياتى بيانه فالوقف
على المتقين حينئذ وقف تام لانه وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل واما على الوجوه الاول
فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق ما بعده به وتبعيته له اما على الجر على الوصفية
فظاهر واما على تقدير النصب او الرفع على المدح فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان
خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه فى الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان
له حقيقة الا ترى كيف التزموا حذف الفعل والمبتداء فى النصب والرفع روما لتصوير كل منهما
بصورة متعلقة من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال ابو على اذا ذكرت
صفات للمدح وخولف فى بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان اى للتفنن الموجب لايقاظ السامع
وتحريكه الى الجد فى الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعانى وصرفه عن سننه المسلوك
ينبئ عن اهتمام جدير بشانه من المتكلم ويستجلب من يد رغبة فيه من المخاطب ان قيل لا ريب فى ان
حال الموصول عند كونه خبر المبتداء محذوف كحاله عند كونه مبتداء خبره اولئك على هدى فى
انه ينسبك به جملة اسمية مفيدة لاتصاف المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير
المحذوف والموصول عبارة عن المتقين وان كلا من اتصافهم بالايمان وفروعه واحرازهم
للهدى والفلاح من النعوت الجليلة فما السر فى انه جعل ذلك فى الصورة الاولى من توابع المتقين
وعد الوقف غير تام وفى الثانية مقتطعا عنه وعد الوقف تاما قلنا السر فى ذلك ان المبتداء
فى الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر فى الاولى لما كان تفصيلا لما تضمنه المبتداء
اجمالا حسبما تحققته معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل و
التوضيح نظم ذلك فى سلك الصفات مراعات لجانب المعنى وان سمى قطعا مراعات لجانب اللفظ
كيف لا وقد اشتهر فى الفن ان الخبر اذا كان معلوم الانتساب الى المخبر عنه فحقه ان يكون وصفا
له كما ان الوصف اذا لم يكن معلوم الانتساب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له حتى قالوا
ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات واما الخبر فى الثانية فحيث لم
يكن كذلك بل كان مشتملا على ما لا ينبئ عنه المبتداء من المعانى اللائقة كما ستحيط به خبرا مفيدا
للمخاطب فوائد رائقة جعل ذلك مقتطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والايمان
افعال من الامن المتعدى الى واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال امنته غيرى
ثم استعمل فى التصديق لان المصدق يؤمن المصدق اى يجعله امينا من التكذيب والمخالفة
واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن
وطمانينة ومنه ما حكى عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اى ما صرت ذا امن وسكون وكلا
الوجهين حسن هٰهنا وهو فى الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا
صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف فى ذلك او لا بد

من انضمام الاقرار اليه للمتمكن منه والاول راى الشيخ الاشعرى ومن شايعه فان الاقرار عنده منشأ
لاجراء الاحكام والثانى مذهب ابى حنيفه ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان
الاقرار ركن محتمل للسقوط بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلثة امور اعتقاد الحق والاقرار
به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو
منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج وخارج
عن الايمان غير داخل فى الكفر عند المعتزله وقرئ يومنون بغير همزة والغيب اما مصدر وصف
به الغائب مبالغة كالشهادة فى قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل خفف كقيل فى قيل
وهين فى هين وميت فى ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل فى نظائره واياما كان
فهو ما غاب عن الحس والعقل غيبة بحيث لا يدركه بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو
قسمان قسم لا دليل عليه وهو الذى اريد بقوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم
نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرائع والاحكام واليوم
الاخر واحواله من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد هٰهنا فالباء صلة للايمان اما
بتضمينه معنى الاعتراف او بجعله مجازا من الوثوق وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر
على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل كما فى قوله تعالى الذين يخشون
ربهم بالغيب وقوله تعالى ليعلم انى لم اخنه بالغيب اى يؤمنون به ملتبسين بالغيبة اما عن
المؤمن به اى غائبين عن النبى صلى الله عليه وسلم غير مشاهدين لما فيه من شواهد النبوة لما روى
ان اصحاب ابن مسعود رض ذكروا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال
رض ان امر محمد عليه الصلوة والسلام كان بينا لمن راه والذى لا اله غيره ما امن مؤمن افضل
من الايمان بغيب ثم هذه الاية واما عن الناس اى غائبين عن المؤمنين لا كالمنافقين الذين
اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم وقيل المراد بالغيب القلب
لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كالذين يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم فالباء
للالة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلاثة اما للقصد الى احداث نفس الفعل كما فى قولهم
فلان يعطى ويمنع اى يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما سيجئ فان الكتب الالهية ناطقة بتفاصيل
ما يجب الايمان به **ويقيمون الصلوة** اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع فى
شئ من فرائضها وسننها وادابها زيغ من اقام العود اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة
عليها ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق
الذى يرغب فيه وقيل عن التشمر لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه
اذا جد فيه واجتهد وقيل عن ادائها عبر عنه بالاقامة لاشتماله على القيام كما عبر عنه بالقنوت
الذى هو القيام وبالركوع والسجود والتسبيح والاول هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلوة

فُعلة من صلّى اذا دعا كالزّكوة من زكى وانما كتبت بالواو مراعات للفظ المفخّم وانّما سمّى الفعل المخصوص
بها الاشتماله على الدّعاء وقيل اصل صلّى حرّك الصَّلَوَيْن وهما العظمان النّابتان فى اعلى الفخذين لانّ
المصلّى يفعل فى ركوعه وسجوده واشتهار اللّفظ فى المعنى الثّانى دون الاوّل لايقدح فى نقله عنه
وانّما سمّى الدّاعى مصليًّا تشبّها له فى تخشّعه بالرّاكع والسّاجد وممّا رزقناهم ينفقون الرّزق
فى اللّغة العطآء ويطلق على الحظّ المعطى نحو ذِبح ورِعى للمذبوح والمرعىّ وقيل هو بالفتح مصدر و
بالكسر اسم وفى العرف ماينتفع به الحيوان والمعتزله لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانّه
منع من الانتفاع به والامر بالزّجر عنه قالوا الرزق لايتناول الحرام الايرى انه تعالى اسند
الرّزق الى ذاته ايذانا بانهم ينفقون من الحلال الصّرف فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب
المدح وذم المشركين على تحريم بعض رزقهم الله تعالى بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق
فجعلتم منه حراما وحلالا واصحابنا جعلوا الاسناد المذكور للتّعظيم والتّحريض على النّفاق والذّم
لتحريم مالم يحرّم واختصاص ما رزقناهم بالحلال للقرينة وتمسّكوا لشمول الرّزق لهما بما روى
عن فى حديث عمرو بن قرّة حين اتاه فقال يا رسولَ الله ان الله كتب علىّ الشّقوة فلا ارى ارزق
الامن فىّ بكفى فاذن لى فى الغناء من غير فاحشة من انه قال عليه الصّلوة والسلام لا اذِن لك
ولا كرامة ولا نعمة كذبت اى عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا طيّبًا فاخترت ما حرّم
الله عليك من رزقه مكان ما احلّ الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن المتغدى
به طول عمره مرزوقا وقد قال الله تعالى وما من دابّة فى الارض الّا على الله رزقها والانفاق و
الانفاد اخوان خلا انّ فى الثّانى معنى الاذهاب بالكليّه دون الاوّل والمراد بهذا الانفاق الصّرف
فى سبيل الخير فرضا كان اونفلا ومن فسّر بالزّكوة ذكر افضل انواعه والاصل فيه اوخصّصه بها
لاقترانه بما هو شقيقها والجمله معطوفه على ما قبلها من الصّلة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظه
على رؤس الاى وادخال من التبعيضيّة عليه للكف عن التّبذير هذا وقد جوّز ان يراد به الانفاق
من جميع المعادن الّتى منحهم الله تعالى من النّعم الظّاهره والباطنه ويؤيّده قوله عليه الصّلوة والسّلم
ان علما لاينال به ككنز لاينفق منه واليه ذهب من قال وممّا خصّصناهم من انوار المعرفة يفيضون
والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك معطوف على الموصول الاوّل على تقدير
وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه فى زمرة المتّقين من حيث الصّورة والمعنى معًا او من حيث
المعنى فقط واندراج خاصّين تحت عامّ اذ المراد بالاوّلين الّذين آمنوا بعد الشّركة والغفلة عن
جميع الشّرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالاخرين الّذين آمنوا بالقرآن بعد الايمان
بالكتب المنزلة قبل كعبد بن سلام واحزابه او على المتّقين على ان يراد بهم الاوّلون خاصّة ويكون
تخصيصهم بوصف الاتقاء للايذان بتنزههم عن حالتهم الاولى بالكليّه لما فيها من كمال القباحة
والمباينة للشرايع كلّها الموجبه للاتقاء عنها بخلاف الاخرين فانّهم غير تاركين لما كانوا عليه

بالمرة

بالمرّة بل متمسّكون باصول الشّرائع الّتى لاتكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان يجعل كلا الموصولين
عبارة عن الكل مندرجا تحت المتّقين ولايكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف الذّوات بل لاختلاف
الصّفات كما فى قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم وقوله يا لهف زيّابه للحادث
الصّابح فالغانم فالائب للايذان بانّ كلّ واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان
بما يشهد بثبوتها من الكتب السّماويّة نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمّة حقيق
بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل احدهما تتمه للاخر وقد شفع الاوّل باداء الصّلوة والصّدقة
اللّتين هما من جملة الشّرايع المندرجة تحت تلك الامور المؤمن بها تكملة له فان كمال العلم بالعمل و
قرن الثّانى بالايقان بالاخرة مع كونه منطويا تحت الاوّل تنبيهًا على كمال صحّته وتعريضا بما فى اعتقاد
اهل الكتابين من الخلل كما سياتى هذا على تقدير تعلّق الباء بالايمان وقس عليه الحال عند تعلّقها
بالمحذوف فانّ كلا من الايمان الغيبىّ المشفوع بما يصدّقه من العبادتين مع قطع النظر عن المؤمن
به والايمان بالكتب المنزلة الشّارحة لتفاصيل الامور التى يجب الايمان بها مقرونا بما قرن فضيلة
بامرة مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انّهم الجامعون بين الايمان بما يدركه
العقل جملة والاتيان بما يصدّقه من العبادات البدنيّة والماليّة بما لاطريق اليه غير السّمع وتكرير
الموصول للتنبيه على تغاير القبلتين وتباين السّبيلين فليتامّل وان يراد بالموصول الثّانى بعد
اندراج الكلّ فى الاوّل فريق خاصّ منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب بان يخصّوا بالذّكر كتخصيص جبرئيل
وميكال بالذكر اثر جريان ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم فى
تحصيل ما لهم من الكمال والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلّقه بالمعانى انّما هو بتوسيط تعلّقه
بالاعيان المستتبعة لها فنزول ماعدا الصّحف من الكتب الالهيّة الى الرّسل عليهم السلام والله تعالى
اعلم بما يتلقاها الملك الى جنابه عزّ وجلّ تلقيًا روحانيًا او يحفظها من اللّوح المحفوظ فينزل
بها الى الرّسل فيلقيها عليهم عليهم السّلام والمراد بما انزل اليك هو القرآن باسره والشّريعة عن
آخرها والتّعبير عن انزاله بالماضى مع كون بعضه مترقّباح لتغليب المحقق على المقدّر او لتنزيل ما فى
شرف الوقوع لتحقّقه منزلة الواقع كما فى قوله تعالى انّا سمعنا كتابًا انزل من بعد موسى مع انّ الجنّ
ماكانوا سمعوا الكتاب جميعا ولاكان الجميع اذ ذاك نازلا وبما انزل من قبلك التّوريةَ والانجيل
وسائر الكتب السالفه وعدم التّعرّض لذكر من انزل اليه من الانبياء عليهم السّلام لقصد الايجاز
مع عدم تعلّق الغرض بالتّفصيل حسب تعلّقه به فى قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابرهيم واسمعيل الاية والايمان بالكلّ جملة فرض وبالقرآن تفصيلا من حيث انّا متعبّدون بتفاصيله
فرض كفاية فانّ فى وجوبه على الكل عينا حرجًا بيّنا داخلا لله بامر المعاش وبناء الفعلين للمفعول
للايذان بتعيّن الفاعل والجرى على سنن الكبرياء وقد قرئا على البناء للفاعل وبالآخرة هم يوقنون
الايقان اتقان العلم بالشئ بنفى الشّك والشّبهة عنه ولذلك لايسمّى علمه تعالى يقينًا اى يعلمون

علماً قطعيّاً مريحاً لما كان اهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التى من جملتها زعمهم انّ الجنّة
لا يدخلها الا من كان يهوداً او نصارى وانّ النار لن تمسّهم الّا ايّاما معدودات واختلافهم فى
انّ نعيم الجنّة هل هو من قبيل نعيم الدّنيا اولا وهل هو دائم اولا وفى تقديم الصّلة وبناء يوقنون
على الضمير تعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فانّ اعتقادهم فى امور الآخرة بمعزل من الصّحة فضلاً
عن الوصول الى مرتبة اليقين والاخرة تانيث الاخر كما انّ الدّنيا تانيث الادنى غلبتا على الدّارين
فجرتا مجرى الاسماء وقرئ بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللّام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة
اجراء لضم ما قبلها مجرى ضمّها فى وجوه ووقّتت ونظيره ما فى قوله لحب الموقدان الىّ مؤسى
وجعدة اذا اضاءهما الوقود وقوله تعالى اولئك اشارة الى الّذين حكيت خصالهم الحميدة من حيث
اتّصافهم بها وفيه دلالة على انّهم متميّزون بذلك الحمل تميّز منتظمون بسببه فى سلك الامور
المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلوّ درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتداء
وقوله عزّ وعلا على هدًى خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التّنكير لكمال تفخيمه كانّه قيل على
اى هدى هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلاء بناء على تمثيل حالهم فى ملابستهم
بالهدى بحال من يعتلى الشّئ ويستولى عليه بحيث يتصرّف فيه كيفما يريد او على استعارتها لتمسّكهم
بالهدى استعارة تبعيّة متفرّعة على شبهه باعتلاء الرّاكب واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة
للاستعارة بالكناية بين الهدى والمركوب للايذان بقوّة تمكّنهم منه وكمال رسوخهم فيه و
قوله تعالى من ربّهم متعلّق بمحذوف وقع صفة له مبنيّة لفخامته الاضافيّة اثر بيان فخامته
الذّاتيّة موكّدة لها اى على هدًى كائن من عنده تعالى وهو شامل لجميع انواع هدايته تعالى
وفنون توفيقه والتّعرض بعنوان الرّبوبيّة مع الاضافة الى ضميرهم لغاية تفخيم الموصوف والمضاف
اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه ويقتضيه وقد ادغمت
النّون فى الرّاء بغنّة وبغير غنّة والجملة على تقدير كون الموصلين موصولين بالمتّقين ومستقلّة
لا محلّ لها من الاعراب مقرّرة لمضمون قوله تعالى هدًى للمتقين مع زيادة تاكيد له وتحقيق
كيف لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما منحوه واستقرّوا عليه من الهدى حسبما تحقّقته
لا سيّما مع ملاحظة ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل واقعة موقع الجواب عن سؤال ربّما
ينشاء ممّا سبق كانّه قيل ما للمنعوتين بما ذكر من النّعوت اختصّوا بهداية ذلك الكتاب العظيم
الشّان وهل هم احقّاء بتلك الاثرة فاجيب بانّهم بسبب اتصافهم بذلك ما لكون لزمام اصل
الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فاىّ ريب فى استحقاقهم بما هو فرع من فروعه
ولقد جاز عن سنن الصّواب من قال فى تقرير الجواب انّ اولئك الموصوفين غير مستبعد ان
يفوز وادون النّاس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا واما على تقدير كونهما مفصولين عنه فهى
فى محل الرّفع على انّها خبر للمبتداء الذى هو الموصول الاوّل والثانى معطوف عليه وهذه الجملة

استيناف

استيناف وقع جواباً عن سؤال ينساق اليه الذّهن من تخصيص ما ذكر بالمتّقين قبل بيان مبادى
استحقاقهم لذلك كانّه قيل ما بال المتّقين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم
اجمالا من نعوت الكمال وبيان ما يستدعيه من النتيجة اى الّذين هذه شؤنهم احقّاء بما هو
اعظم من ذلك كقولك احبّ الانصار الّذين قارعوا دون رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مجتهم
فى سبيل الله تعالى اولئك سواد عينى وسويداء قلبى واعلم انّ هذا المسلك يسلك تارة باعادة اسم
من استونف عنه الحديث كقولك احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان واخرى باعادة صفته
كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك ولا ريب انّ هذا ابلغ من الاوّل لما فيه
من بيان الموجب للحكم وايراد اسم الاشارة بمنزلة اعادة الموصوف بصفاته المذكورة مع ما فيه من
الاشعار بكمال تميّزه بها وانتظامه بسبب ذلك فى سلك الامور المشاهدة والايمان الى بعد منزلته
كما مرّ هذا وقد جوّز ان يكون الموصول الاوّل مجرى على المتقين حسبما فصّل والثّانى مبتدا واولئك
الخ خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضاً بغير المؤمنين من اهل الكتاب حيث كانوا
يزعمون انهم على الهدى ويطعمون فى نيل الفلاح واولئك هم المفلحون تكرير اسم الاشارة لاظهار
مزيد العناية بشان المشار اليهم وللتنبيه على انّ اتصافهم بتلك الصّفات يقتضى نيل كل واحدة
من تينك الاثرتين وان كلا منهما كاف فى تميّزهم بهما عمّن عداهم ويؤيّده توسيط العاطف بين
الجملتين بخلاف ما فى قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضلّ اولئك هم الغافلون فانّ التّسجيل
عليهم بكمال الغفلة عبارة عمّا يفيده تشبيههم بالبهائم فيكون الجملة الثّانية مقرّرة للاولى واما الافلاح
الّذى هو عبارة عن الفوز بالمطلوب فلمّا كان مغايراً للهدى نتيجة له وكان كلّ منهما فى نفسه اعزّ
مرام يتنافس فيه المتنافسون فعل ما فعل وهم ضمير فصل يفصل الخبر عن الصّفة ويكّد النّسبة ويفيد
اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتداء خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين للدّلالة
على انّ المتقين هم النّاس الّذين بلغك انّهم المفلحون فى الاخرة او اشارة الى ما يعرف كلّ احد من حقيقة
المفلحين وخصائصهم هذا وفى بيان اختصاص المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات
الرّائقة اللّائقة حسبما اشير اليه فى تضاعيف تفسير الآية الكريمة من التّرغيب فى اقتفاء اثرهم
والارشاد الى اقتداء سيرهم ما لا يخفى مكانه والله ولىّ الهداية والتّوفيق انّ الّذين كفروا كلام
مستانف سيق لشرح احوال الكفرة الغواة المردة العتاة اثر بيان احوال اضدادهم المتصفين بنعوت
الكمال الفائزين بمباغيهم فى الحال والمال وانّما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى
انّ الابرار لفى نعيم وانّ الفجّار لفى جحيم لما بينهما من التّنافى فى الاسلوب والتّباين فى الغرض فانّ
فانّ الاولى مساقة لبيان رفعة شان الكتاب فى باب الهداية والارشاد واما التّعرض لاحوال المهتدين
به فانّما هو بطريق الاستطراد سواء جعل الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستيناف
مبنىّ على سؤال نشاء من الكلام المتقدّم فهو من مستتبعاته لا محالة واما الثّانية فمسوقة لبيان

احوال الكفرة اصالة وترامى امرهم فى الغوايت والضلال الى حيث لايجديهم الانزار والتبشير ولا
يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون فى تيه الغىّ والفساد عن منهاج العقول وراكبون فى مسلك
المكابرة والعناد متن كلّ صعب وذلول وانّما اوثرت هذه الطّريقة ولم يؤسّس الكلام على بيان ان
الكتاب هاد للاولين وغير مجدّ للاخرين لان العنوان الاخير ليس ممّا يورثه كمالاحتىّ يتعرّض له
فى اثناء تعداد كمالاته وان من الحروف التى تشابه الفعل فى عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم
الاسماء ودخول نون الوقاية عليها كانّنى ولعلّنى ونظائرهما واعطاء معانيه والمتعدى خاصّة فى
الدّخول على اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعىّ وهو نصب الاوّل ورفع الثّانى ايذانا بكونه فرعا فى
العمل وخيلافيه وعند الكوفيين لاعمل له فى الخبر بل هو باق على حاله بقضيّة الاستصحاب واجيب
بانّ ارتفاع الخبر مشروط بالتجرّد عن العوامل والالما انتصب خبر كان وقد زال بدخولها فتعيّن
اعمال الحرف واثرها تاكيد النّسبة وتحقيقها ولذلك يتلقّى بها القسم ويصدّر بها الاجوبة و
يؤتى بها فى مواقع الشّك والانكار لدفعه وردّه قال المبرّد فى قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه
وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شاكّ فيه وان عبد الله لقائم جواب منكر لقيامه وتعريف
الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابى لهب وابى جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم
واحبار اليهود او للجنس وقد خصّ منه غير المصرّين بما اسند اليه من قوله سواء عليهم الخ والكفر
فى اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اى السّتر ومنه قيل للزرّاع واللّيل كافر قال تعالى كمثل غيث
اعجب الكفّار نباته وقول لبيد فى ليلة كفر النجوم غمامها ومنه المتكفّر بسلاحه وهو الشاكى الذى
غطّى السّلاح بدنه وفى الشرع انكار ما علم بالضّرورة مجىء الرّسول عليه السلام به وانّما عدّ لبس الغيار
وشدّ الزّنار بغير اضطرار ونظائرهما كفر الدلالته على التكذيب فان من صدق النبى صلّى الله عليه
وسلّم لايكاد يجترئ على امثال ذلك اذ لاداعى اليه كالزّنى وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث
القران بما جاء فيه بلفظ الماضى على وجه الاخبار فانه يستدعى سابقة المخبر عنه لامحالة واجيب بانّه
من مقتضيات التّعلق وحدوثه لايستدعى حدوث الكلام كما انّ حدوث تعلّق العلم بالمعلوم لا
يستدعى حدوث العلم سواء هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال الله تعالى
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم وقوله تعالى عليهم متعلّق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر
لانّ وقوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم مرتفع به على الفاعليّة لانّ الهمزة وام مجرّدتان عن معنى
الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما كما جرّد الامر والنّهى لذلك عن معنيهما فى قوله عزّ وجلّ
استغفر لهم او لاتستغفر لهم وحرف النّداء فى قولك اللّهمّ اغفر لنا ايّتها العصابة عن معنى الطّلب
لمجرد التّخصيص كانّه قيل انّ الّذين كفروا مستوٍ عليهم انذارك وعدمه كقولك انّ زيدا مختصم اخوه
وابن عمه او مبتداء وسواء عليهم خبر قدّم عليه اعتناء بشانه والجملة خبر لانّ والفعل انّما يمتنع الاخبار
عنه عند بقائه على حقيقته امّا لو اريد به اللفظ او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتّساع

فهو

فهو كالاسم فى الاضافة والاسناد اليه كما فى قوله تعالى هذا يوم ينفع الصّادقين صدقهم وقوله تعالى
واذا قيل لهم لاتفسدوا فى الارض وفى قولهم تسمع بالمعيدى خير من ان تراه كانّه قيل انذارك وعدمه
سيّان عليهم والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التّجدّد والتّوصل الى ادخال الهمزة ومعادلها
عليه لافادة تقرير معنى الاستواء وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتداء وما بعده خبره وليس
بذاك لانّ مقتضى المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لبيان كون المستوى الانذار وعدمه والانذار
اعلام المخوف للاحتراز عنه افعال من نذر بالشّئ اذا علمه فحذره والمراد ههنا التخويف من عذاب
الله تعالى وعقابه على المعاصى والاقتصار عليه لما انّهم ليسوا باهل للبشارة اصلا ولانّ الانذار
اوقع فى القلوب واشدّ تاثيرا فى النّفوس فانّ دفع المضارّ اهمّ من جلب المنافع فحيث لم يتاثروا به
فلانّ لايرفعوا للبشارة راسًا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزتين مع تحقيقهما وبتوسيطها
والثّانية بين بين وبتخفيف الثّانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه
والقاء حركته على السّاكن قبله كما قرئ قد افلح وقرئ بقلب الثّانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن
لايؤمنون جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبيّنة لما فيها من اجمال ما فيه الاستواء فلامحلّ لها من
الاعراب او حال مؤكدة له او بدل منه او خبر لانّ وما قبلها اعتراض بما هو علّة للحكم او خبر
ثان على راى من يجوّزه عند كونه جملة والاية الكريمة ممّا استدلّ به على جواز التكليف بما لايطاق
فانّه تعالى قد اخبر عنهم بانّهم لايؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الّذى
هو عدم مطابقة اخباره تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باقين على التكليف ولانّ
من جملة ما كلّفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمرّ والحقّ انّ التّكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلاً
من حيث انّ الكلام لايستدعى اعراضًا لاسيّما الامتثال لكنّه غير واقع للاستقراء والاخبار
بوقوع الشّئ او بعدمه لاينفى القدرة عليه كاخباره تعالى عمّا يفعله هو او العبد باختياره وليس
ما كلّفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القران حتى يلزم ان يكلّفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمرّ
بل هو الايمان بجميع ما جاء به النبىّ عليه السّلام اجمالاً على انّ كون الموصول عبارة عنهم ليس
معلومًا لهم وفائدة الانذار بعد العلم بانّه لايفيد الزام الحجّة واحراز الرّسول عليه فضل الابلاغ
ولذلك قيل سواء عليهم ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم
صامتون وفى الاية الكريمة اخبار بالغيب على ما هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهى من
المعجزات الباهرة ختم الله على قلوبهم استيناف تعليلىّ لما سبق من الحكم وبيان لما يقتضيه او
بيان وتاكيد له والمراد بالقلب محلّ القوّة العاقلة من الفواد والختم على الشّئ الاستيثاق منه بضرب
الخاتم عليه صيانة له او لما فيه من التّعرض له كما فى البيت الفارغ والكيس المملوّ والاوّل هو الانسب
بالمقام اذ ليس المراد صيانة ما فى قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم فى الغىّ وانهماكهم
فى التّقليد واعراضهم عن منهاج النّظر الصّحيح بحيث لايؤثر فيها الانذار ولاينفذ فيها الحقّ اصلا

اما على طريقة الاستعارة التبعية بان يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية المبنية للسكنى
تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلى هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه وحقه ان يقلبه ويستعار
له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضى واما على طريق التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل
بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من ان يصل اليها ما خلقت هى لاجله من الامور الدينية النافعة
وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة
وقد منع من ذلك بالختم عليها وحيل بينها وبين ما اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على
الهيئة المشبه بها فيكون كل من طرفى التشبيه مركبا من امور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما
عليه يدور الامر فى تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم والباقى منوى مراد قصدا بالفاظ متخيلة
بها يتحقق التركيب وتلك الالفاظ وان كان لها مدخل فى تحقيق وجه الشبه الذى هو امر عقلى
منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوى لكن ليس فى شئ منها على الانفراد تجوز
باعتبار هذا المجاز بل هى باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز فى المجموع
وحيث كان معنى المجموع مجموع معانى تلك الالفاظ التى ليس فيها التجوز المعهود ولم تكن الهيئة
المنتزعة منها مدلولا وضعيا لها ليكون ما دل على الهيئة المشبه بها عند استعماله فى الهيئة المشبهة
مستعملا فى غير ما وضع له فيندرج تحت الاستعارة التى هى قسم من المجاز اللغوى الذى هو عبارة
عن الكلمة المستعملة فى غير ما وضع له ذهب قدماء المحققين كالشيخ عبد القاهر واضرابه الى جعل
التمثيل قسما برأسه ومن رام تقليل الاقسام عد تلك الهيئة المشبه بها من قبيل المدلولات الوضعية
وجعل الكلام المفيد لها عند استعماله فيما يشبه بها من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل
الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة فى قلوبهم الى الله تعالى لاستناد
جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود الاية الكريمة ناعية عليهم
سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه سبحانه
ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبايح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله
عليها بكفرهم ونحو ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا فى ذلك عدة من الاقاويل
منها ان القوم لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك فى قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقى
المجبول عليها ومنها ان المراد تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التى خلقها الله تعالى خالية عن الفطن
او بقلوب قد ختم الله تعالى عليها كما فى سال به الوادى اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت
غيبه ومنها ان ذلك فعل الشيطان او الكافر واسناده اليه سبحانه باعتبار كونه باقداره تعالى
وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت فى الكفر واستحكمت بحيث لم يبق الى تحصيل ايمانهم طريق سوى
الالجاء والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عنها بالختم لانه سد لطريق ايمانهم
بالكلية وفيه اشعار بترامى امرهم فى الغى والعناد وتناهى انهماكهم فى الشر والفساد ومنها ان

ذلك

ذلك حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر
ومن بيننا وبينك حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك فى الاخرة وانما اخبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه
ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم
بسمة يعرفها الملئكة فيبغضونهم وينفرون عنهم **وعلى سمعهم** عطف على ما قبله داخل فى حكم الختم
لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما فى
الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد وللاشعار بتغاير الختمين وتقديم ختم قلوبهم
للايذان بانها الاصل فى عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم سمعهم بناء
على انه طريق اليها فالختم عليه ختم عليها بل هى مختومة بختم لو فرض عدم الختم على سمعهم فهو باق
على حاله حسبما يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم
معرضون والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل اليها وهو المراد ههنا اذ
هو المختوم عليه اصالة وتقديم حاله على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم فى تلك
الحال او لان جنايتهم من حيث السمع الذى به يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم
منها من حيث البصر الذى يشاهد الاحوال الدالة على التوحيد فبيانها احق بالتقديم وانسب
بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وعلا حيث ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط
النبوة ولذلك ما بعث الله تعالى رسولا اصم ولان السمع وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف
التى يتلقف من اصحابها وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار الاصل ولتقدير المضاف اى وعلى
حواس سمعهم والكلام فى ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل **وعلى ابصارهم غشاوة** الابصار جمع
بصر والكلام فيه كما سمعته فى السمع والغشاوة فعالة من التغشية اى التغطية بنيت لما يشتمل على
الشئ كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهى على راى سيبويه مبتدأ خبره الظرف
المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام مضمونها فان ما يدرك
بالقوة الباصرة من الايات المنصوبة فى الافاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم
من ذلك ايضا كذلك واما الايات التى تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا
او نزيبا ن الختم عليها وعلى ما هى احد طريقى معرفته اعنى القلب الجملة الفعلية وعلى راى الاخفش
مرتفع على الفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب على تقدير فعل ناصب اى وجعل على ابصارهم
غشاوة وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم على ابصارهم بغشاوة وقرئ
بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة وبالفتح مرفوعة ومنصوبة
وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع **ولهم عذاب عظيم** وعيد وبيان لما يستحقونه فى الاخرة
والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشئ اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لما
انه يقمع العطش ويردعه ولذلك يسمى نقاخا فانه ينقخ العطش ويكسره وفراتا لانه يرفته على القلب

ويكسر ثم اتّسع فيه فاطلق على كلّ الم فادح وان لم يكن عقابا يراد به ردع الجانى عن المعاودة وقيل اشتقاقه
من التعذيب الّذى هو ازالة العذب كالتعذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض
الصّغير فمن ضرورة كون الحقير دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان فى الجثث والاحداث
تقول رجل عظيم كبير تريد جثّته او خطره ووصف العذاب به لتاكيد ما يفيده التنكير من التفخيم
والتهويل والمبالغة فى ذلك والمعنى انّ على ابصارهم ضربا من العشاوة خارجا ممّا يتعارفه
النّاس وهى غشاوة التّعامى عن الايات ولهم من الالام العظام نوع عظيم لايبلغ كنهه ولايدرك
غايته اللهمّ انّا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الرّاحمين ومن النّاس شروع فى بيان ان بعض
من حكيت احوالهم السّالفة ليسوا بمقتصرين على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر والعناد بل
يضمّون اليه فنونا اخر من الشرّ والفساد وتعديد لجناياتهم الشنيعة المستتبعة لاحوال هائلة
عاجلة واٰجلة واصل ناس اُناس كما يشهد له انسان واناسىّ وانس حذفت همزته تخفيفا كما قيل
لُوقه فى الوقة وعوّض عنها حرف التعريف ولذلك لايكاد يجمع بينهما واما ما فى قوله انّ المنايا
يطّلعن على الاناس الامنينا فشاذ سمّوا بذلك لظهورهم وتعلق الايناس بهم كما سمّى الجنّ جنّا
لاجتنانهم وذهب بعضهم الى انّ اصله النّوس وهو الحركة انقلبت واوه الفًا لتحرّكها وانفتاح ما
قبلها وبعضهم الى انه ماخوذ من نسى نقلت لامه الى موضع العين فصار نيسا ثمّ قلبت الفا سمّوا
بذلك لنسيانهم ويروى عن ابن عبّاس رض انّه قال سمّى الانسان انسانا لانّه عهد اليه فنسى واللّام
فيه اما للعهد او للجنس المقصور على المصرّين حسبما ذكر فى الموصول كانه قيل ومنهم او ومن اولئك
والعدول الى النّاس للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التّبعيض ومحلّ الظّرف الرّفع على انّ مبتداء
باعتبار مضمونه او نعت لمقدّر هو المبتدا كما فى قوله عزّ وجلّ ومنّا دون ذلك اى وجمع منا ومن
فى قوله تعالى من يقول موصولة او موصوفة ومحلّها الرّفع على الخبريّة والمعنى وبعض النّاس او
وبعض من النّاس الذى يقول كقوله تعالى ومنهم الّذين يؤذون النبىّ الخ او فريق يقول كقوله
تعالى من المؤمنين رجال الخ على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاصالة اتّصافهم بما فى حيّز
الصّلة او الصّفة وما يتعلق به من الصّفات جميعًا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل
الظّرف خبرا كما هو الشّائع فى موارد الاستعمال فيا باه جزالة المعنى لانّ كونهم من النّاس ظاهر
فالاخبار به عار عن الفايدة كما قيل فان مبناه توهّم كون المراد بالنّاس الجنس مطلقًا وكذا ما دار
الجواب عنه بانّ الفائدة هو التنبيه على انّ الصّفات المذكورة تنافى الانسانيّة فحق من يتصف بها
ان لايعلم كونه من النّاس فيخبر ويتعجّب منه وانت خبير بانّ النّاس عبارة عن المعهودين او
عن الجنس المقصور على المصرّين وايّاما كان فالفائدة ظاهرة بل لانّ خبريّة الظّرف تستدعى ان
يكون اتّصافهم هؤلاء بتلك الصّفات القبيحة المفصّلة فى ثلث عشرة اٰية عنوانا للموضوع مفروغًا
عنه غير مقصود بالذّات ويكون مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولاريب لاحد

فانه

فى انه يجب النّظم الجليل على اجرى المعانى واكملها وتوحيد الضّمير فى يقول باعتبار لفظة من وجمعه
فى قوله تعالى اٰمنّا بالله وباليوم الآخر وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الاخر من وقت
الحشر الى ما لايتناهى او الى ان يدخل اهل الجنّة الجنّة واهل النار النّار اذ لاحدّ وراءه و
تخصيصهم الايمان بهما بالذّكر مع تكرير الباء لادّعاء انّهم قد حازوا الايمان من قطريه
واحاطوا به من طرفيه وانّهم قد امنوا بكلّ منهما على الاصالة والاستحكام وقد دسّوا تحته
ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما ايمانا فى الحقيقة ان كانوا
مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الآخر بقولهم لن تمسّنا النّار الّا ايّامًا
معدودة ونحو ذلك وحكاية عبارتهم لبيان كمال خبثهم وعادتهم فانّ قالوا لو صدر عنهم
لا على وجه الخداع والنّفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك ايمانا فكيف وهم يقولونه تمويهًا
على المسلمين واستهزاء بهم وماهم بمؤمنين ردّ لما ادّعوه ونفى لما انتحلوه وما حجازيّة فانّ
جواز دخول الباء وخبرها لتاكيد النّفى اتفاقىّ بخلاف التميميّة وايثار الجملة الاسميّة على
الفعليّة الموافقة لدعوهم المردودة للمبالغة فى الرّد بافادة انتفاء الايمان عنهم فى جميع
الازمنة لا فى الماضى فقط كما يفيده الفعليّة ولا يتوهّمن انّ الجملة الاسميّة لايجابيّة تفيد
دوام الثّبوت فعند دخول النّفى عليها يتعيّن الدّلالة على نفى الدّوام فانّها بمعونة المقام تدلّ
على دوام النّفى قطعًا كما ان المضارع الخالى عن حرف الامتناع يدل على استمرار الوجود
وعند دخول حرف الامتناع عليه يدلّ على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما فى
قوله عزّ وجلّ ولو يعجّل الله للنّاس الشّرّ استعجالهم بالخير لقضى اليهم اجلهم فان عدم قضاء
الاجل لاستمرار عدم التعجيل لا لعدم استمرار التّعجيل واطلاق الايمان عمّا قيّدوه به للايذان
بانّهم ليسوا من جنس الايمان فى شئ اصلا فضلا عن الايمان بما ذكروا وقد جوّز ان يكون المراد
ذلك ويكون الاطلاق للظّهور ومدلول الاية الكريمة انّ من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه
لايكون مؤمنًا فلا حجّة فيها على الكراميّة القائلين بان من تفوّه بكلمتى الشّهادة فارغ القلب عمّا
يوافقه او ينافيه مؤمن يخادعون الله والّذين اٰمنوا بيان ليقول وتوضيح لما هو غرضهم
ممّا يقولون واستيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الذّهن كانه قيل ما لهم يقولون
ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الخ اى يخدعون وقد قرئ كذلك وايثار صيغة المفاعلة
لافادة المبالغة فى الكيفيّة فانّ الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعًا او الكميّة كما فى الممارسة
والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من
المكروه ليوقعه فيه من حيث لايحتسب او يوهمه المساعدة على ما يريده هو به ليغتر بذلك فيخوّمته
بسهولة من قولهم ضبّ خادع وخدع وهو الّذى اذا امرّ الحارش يده على باب جحره يوهمه الاقبال
عليه فيخرج من بابه الآخر وكلا المعنيين مناسب للمقام فانّهم كانوا يريدون بما صنعوا ان

يطّلعوا على اسرار المؤمنين فيذيعوها الى المنابذين وان يدفعوا عن انفسهم ما يصيب سائر الكفرة
وايّاما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على طريق الاستعارة والتمثيل لافادة كمال شناعة جنايتهم اى
يعاملون معاملة الخادعين واما على طريقة المجاز العقلى بان ينسب اليه تعالى ما حقه ان ينسب
الى الرّسول صلى الله عليه وسلّم ابانة لمكانته عنده تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى انّ الّذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله تعالى من يطع الرّسول فقد اطاع الله مع
افادة كما الشّناعة كما مرّ وامّا لمجرّد التوطئة والتّمهيد لما بعده من نسبته الى الذين آمنوا و
الايذان بقوّة اختصاصهم به تعالى كما فى قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وقوله تعالى
انّ الّذين يؤذون الله ورسوله وابقاء صيغة المخادعة على معناها الحقيقىّ بناء على زعمهم
الفاسد وترجمة عن اعتقادهم الباطل كانه قيل يزعمون انهم يخدعون الله والله يخدعهم
او على جعلها استعارة تبعيّة او تمثيلا لما ان صورة صنعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى
معهم باجراء احكام الاسلام عليهم وهم عنده اخبث الكفرة واهل الدّرك الاسفل من النّار
استدراجا لهم وامتثال الرّسول عليه السّلام والمؤمنين بامر الله تعالى فى ذلك مجازات لهم
بمثل صنيعهم صورة صنيع المتخادعين كما قيل مما لا يرتضيه الذوق السّليم امّا الاوّل فلان المنافقين
لو اعتقدوا انّ الله تعالى يخدعهم له لم يتصوّر منهم التصدّى للخدع وامّا الثّانى فلان مقتضى المقام
ايراد حالهم خاصّة وتصويرها بما يليق بها من الصّورة المستهجنة وبيان انّ غائلتها آئلة اليهم
من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عزّ وجلّ **وما يخدعون الّا انفسهم** فالتعرض لحال الجانب
الاخر ممّا يخلّ بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اى يفعلونها يفعلون والحال
انهم ما يضرّون بذلك الّا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الّا
انفسهم حيث يغرّونها بالاكاذيب فيلقونها فى مهاوى الروى وقرئ وما يخدعون والمعنى
هو المعنى ومن حافظ على الصّيغة فيما قبل قال وما يعاملون تلك المعاملة الشبيهة بمعاملة
المخادعين الّا انفسهم لانّ ضررها لا يحيق الا بهم او ما يخادعون حقيقة الّا انفسهم حيث يمنّونها
الاباطيل وهى ايضا تغرّهم وتمنّيهم الامانى الفارغة وقرئ وما يخدّعون من التخديع و ما
يخدعون اى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض
والنّفس ذات الشئ وحقيقته وقد يقال للرّوح لانّ نفس الحىّ به وللقلب ايضا لانّه محل الرّوح
او متعلّقة وللدّم ايضا لانّ قوامها به وللماء ايضا لشدّة حاجتها اليه والمراد هنا هو المعنى الاول
لانّ المقصود بيان انّ ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم الى غيرهم وقوله تعالى **وما يشعرون**
حال من ضمير ما يخدعون اى يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون اى ما يحسّون
بذلك لتماديهم فى الغواية وحذف المفعول اما لظهوره او لعمومه اى ما يشعرون بشئ اصلا جعل
لحوق وبال ما صنعوا بهم فى الظّهور بمنزلة الامر المحسوس الذى لا يخفى الّا على مؤف الحواسّ

مختل

مختل المشاعر **فى قلوبهم مرض** المرض عبارة عمّا يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب
الخلل فى افاعيله ويؤدى الى الموت استعير ههنا لما فى قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة
النبى عليه السلام وغير ذلك من فنون الكفر المؤدى الى الهلاك الرّوحانى والتنكير للدّلالة على
كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه النّاس من الامراض والجملة مقرّرة لما يفيده قوله تعالى وما هم
بمؤمنين من استمرار عدم ايمانهم او تعليل له كانه قيل ما لهم لا يؤمنون فقيل فى قلوبهم مرض
يمنعه **فزادهم الله مرضا** بان طبع على قلوبهم لعلمه تعالى بانّه لا يؤثر فيها التّذكير والانذار والجملة
معطوفة على ما قبلها والفاء للدّلالة على ترتّب مضمونها وبه اتّضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم
مع زيادة بيان السّبب وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعيّة لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف
بنزول الوحى يزدادون كفرا ويجوز ان يكون المرض مستعارا لما تداخل فى قلوبهم من الضّعف
والجبن والخور عند مشاهدتهم لعزّة المسلمين فزيادته تعالى ايّاهم مرضا ما فعل بهم من القاء
الرّوع وقذف الرّعب فى قلوبهم عند اعزاز الدّين بامداد النّبىّ عليه السلام بانزال الملئكة
وتاييده بفنون النّصر والتّمكين فقوله تعالى فى قلوبهم مرض الخ حينئذ استيناف تعليلىّ لقوله
تعالى يخادعون الله الخ كانّه قيل ما لهم يخادعون ويداهنون ولم لا يجاهرون بما فى قلوبهم
من الكفر فقيل فى قلوبهم مرض اى ضعف مضاعف هذه حالهم فى الدّنيا **ولهم فى الاخرة عذاب
اليم** اى مولم يقال الم وهو اليم كوجع وهو وجيع وصف العذاب للمبالغة كما فى قولهم تحيّة بينهم
ضرب وجيع على طريقة جدّ جدّه فانّ الالم والوجع حقيقة للمولم والمضروب كما ان الجدّ للجادّ وقيل
هو بمعنى المولم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما سيجئ فى قوله تعالى بديع السّموات
والارض **بما كانوا يكذبون** الباء للسببية او للمقابلة وما مصدريّة داخلة فى الحقيقة على
يكذبون وكلمة كانوا مقحمة لافادة دوام كذبهم وتجدّده اى بسبب كذبهم او بمقابلة كذبهم
المتجدد المستمرّ الّذى هو قولهم آمنّا بالله وباليوم الاخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم
الايمان فيما مضى لا انشاء الايمان ولو سلّم فهو متضمّن للاخبار بصدوره عنه وليس كذلك
لعدم التّصديق القلبىّ بمعنى الاذعان والقبول قطعا ويجوز ان يكون محمولا على الظّاهر بناء
على راى من يجوّز ان يكون لكان النّاقصة مصدر كما صرّح به فى قول الشّاعر ببذل وحلم
ساد فى قومه الفتى وكونك ايّاه عليك يسير اى لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون
على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر موجباته القويّة امّا لانّ المراد بيان العذاب
الخاصّ بالمنافقين بناء على ظهور شركتهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حسب اشتراكهم
فيما يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن النّاس الى اخره واما للايذان
بانّ لهم بمقابلة سائر جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للرّمز الى كمال سماجة الكذب
نظرا الى ظاهر العبارة المخيّلة لانفراده بالسّببيّة مع احاطة علم السّامع بانّ لحوق العذاب

بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق رض ويروى
مرفوعا ايضا الى النبى عليه السلام واياكم والكذب فانه مجانب للايمان وما روى ان ابرهيم عليه
السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض وانما سمى به لشبهه به صورة وقيل ما موصولة والعائد
محذوف اى بالذى يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل
للمبالغة كما فى بين فى بان وقلص فى قلص او للتكثير كما فى موتت البهايم وبركت الابل وان يكون
من قوله كذب الوحشى اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف فى امره متردد
فى رايه ولذلك قيل له مذبذب **واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض** شروع فى تعديد بعض من
قبايحهم المتفرعة على ما حكى عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف زمن مستقبل ويلزمها معنى
الشرط غالبا ولا تدخل الا فى الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل ومعناها الانهاء
والتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور
والفساد خروج الشئ عن الحالة اللائقة به والصلاح مقابله والفساد فى الارض هيج الحروب
والفتن المستتبعة لزوال الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمعاد والمراد
بما نهوا عنه ما يؤدى الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين الى الكفار واغرائهم عليهم وغير
ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك فى النار اذا اقدم
على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان كلمة من موصولة فلا محل له من الاعراب
ولا باس بتخلل البيان او الاستيناف وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس توسيطا
بالاجنبى وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى ومن الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين
عما هم عليه من الافساد فى الارض قالوا اراءة للناهين ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم
الاصلى انكار كون ذلك افسادا وادعاء كونه اصلاحا محضا كما سياتى توضيحه **انما نحن مصلحون**
اى مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق به شائبة الافساد والفساد مشيرين بكلمة
انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغى ان يرتاب فيه واما كلام مستانف سيق لتعديد
شنائعهم واما عطفه على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم بكذبهم وبقولهم حين نهوا عن الافساد
انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان هذا النحو من التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة العلية
مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشهرة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكر صريحا
كما فى قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكى عنهم من قولهم امنا بالله
وباليوم الاخر او لذكر ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما فى قوله عز وجل ان الذين يضلون عن
سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب فان ما ذكر من الضلال عن سبيل الله
مما يوجب حتما نسيان جانب الاخرة التى من جملتها يوم الحساب وما لم يكن كذلك فحقه ان
يخبر بعليته قصدا كما فى قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الاية وقوله تعالى ذلك

بان الله

بان الله نزل الكتاب بالحق الاية الى غير ذلك ولا ريب فى ان هذه الشرطيه وما بعدها من الشرطيتين
المعطوفتين عليها ليس مضمون شئ منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه
المذكورة حتى تستحق الانتظام فى سلك التعليل المذكور فاذن حقها ان يكون مسوقة على
سنن تعديد قبائحهم على احد الوجهين مفيدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا
كيف لا وقوله عز وجل **الا انهم هم المفسدون** ينادى بذلك نداء جليا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم
المحكية ابلغ رد وادله على سخط عظيم حيث سلك فيه مسلك الاستيناف المؤدى الى زيادة تمكن الحكم
فى ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفى التاكيد الا المنبهة على تحقق ما بعدها فان الهمزة الانكارية
الداخلة على النفى تفيد تحقيق الاثبات قطعا كما قوله تعالى اليس الله بكاف عبده ولذلك لا يكاد
يقع ما بعدها من الجملة الا مصدرة بما يتلقى به القسم واختها التى هى اما من طلائع القسم قيل هما
حرفان بسيطان موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان المقررة للنسبة وعرف الخبر ووسط ضمير
الفصل لرد ما فى قصر انفسهم على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى **ولكن
لا يشعرون** للايذان بان كونهم مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهذا الكلام
فى الشرطيتين الاتيتين وما بعدهما ممن رد مضمونهما ولولا ان المراد تفصيل جناياتهم وتعديد
خبائثهم ومناتهم ثم اظهار فسادها وابانة بطلانها لما فتح هذا الباب والله اعلم بالصواب **واذا قيل لهم**
من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد **امنوا** حذف
المؤمن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان **كما امن الناس** الكاف فى محل النصب على انه نعت لمصدر
مؤكد محذوف اى امنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او كافة كما فى ربما فانها تكف الحرف عن
العمل وتصحح دخولها على الجملة ويكون للتشبيه بين مضمونى الجملتين اى حققوا ايمانكم كما تحقق ايمانهم
واللام للجنس والمراد بالناس الكامل فى الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس كما
يستعمل فى مسماه يستعمل فى ما يكون جامعا للمعانى خاصة به المقصوده منه ولذلك يسلب عما ليس
كذلك فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما من قال اذ الناس ناس والزمان زمان او للعهد والمراد
به الرسول عليه السلام ومن معه او من امن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى امنوا
ايمانا مقرونا بالاخلاص متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم **قالوا** مقابلين للامر بالمعروف
بالانكار المنكر واصفين للمراجيح الرزان بضد اوصافهم الحسان **انؤمن كما امن السفهاء** مشيرين
باللام الى من اشير اليهم فى الناس من الكاملين او المعهودين او الى الجنس باسره وهم مندرجون
فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة راى يورثهما قصور العقل ويقابله الحلم والاناة وانما
نسبوهم اليه مع انهم فى الغاية القاصيه من الرشد والرزانه والوقار لكمال انهماكهم انفسهم فى السفاهة
وتماديهم فى الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فراه حسنا فمن حسب الضلال هدى يسمى الهدى لا
محالة ضلالا او لتحقير شانهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او

للتجلد وعدم المبالاة بمن امن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله واياما كان
فالذى يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم
بمحضر من المؤمنين الناصحين لهم جوابا عن نصيحتهم وحيث كان فحواه تسفيه اولئك المشاهير الاعلام
والقدح فى ايمانهم لزم كونهم مجاهرين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السباق والسياق وعن
هذا قالوا ينبغى ان يكون ذلك فيما بينهم لا على وجه المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه عليه السلام
والمؤمنين بذلك عنهم وانت خبير بان ابراز ما صدر عن احد المتحاورين فى الخلاء فى معرض ما جرى
بينهما فى مقام المحاوره مما لا عهد به فى الكلام فضلا عما هو فى منصب الاعجاز فالحق الذى لا محيد عنه
ان قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضى كونهم مجاهرين فانه ضرب من الكفر
انيق وفن فى النفاق بريق مصنوع عن شاكلة قولهم واسمع غير مسمع فكما انه كلام ذو وجهين مثله
محتمل للشر بان يحمل على معنى اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بان يحمل على معنى اسمع غير مسمع
مكروها كانوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين ارادة المعنى الاخير
وهم مضمرون فى انفسهم المعنى الاول مطمئنون به ولذلك نهوا عنه كذلك هذا الكلام محتمل للشر
كما ذكر فى تفسيرين وللخير بان يحمل على ادعاء الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق
على معنى انؤمن كما امن السفهاء والمجانين الذين لا اعتداد بايمانهم لو امنوا ولا نؤمن كايمان
الناس حتى تامرونا بذلك قد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم مرائين لارادة المعنى الاخير
وهم معولون على الاول فرد عليهم ذلك بقوله عز قائلا الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ابلغ
رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفى التاكيد حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت
السفاهة مقصورة عليهم وبالغة الى حيث لا يدرون انهم سفهاء وعن هذا اتضح لك سر ما مر فى
تفسير قوله تعالى انما نحن مصلحون فان حمله على المعنى الاخير كما هو راى الجمهور مناف لحالهم ضرورة
ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كون ما نهوا عنه من الافساد اصلاحا كما مر اظهار منهم للشقاق
وبروز باشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم للمشركين كما ذكر
فى بعض التفاسير وبالاصلاح الذى يدعونه اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان معنى قوله تعالى
الا انهم هم المفسدون انهم فى تلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية
وانبائها عن ضعفهم الملجئ الى توسيط من يتصدى لاصلاح ذات البين فضلا عن كونهم مصلحين مما
لا سبيل اليه قطعا فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ناطق بفساده كيف لا وانه يقتضى ان يكون
المنافقون فى تلك الدعوى صادقين قاصدين للاصلاح ويأتيهم الافساد من حيث لا يشعرون
ولا ريب فى انهم فيها كاذبون لا يعاشرونهم الا مضارة للذين وخيانة للمؤمنين فاذن طريق حل
الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن مصلحون محتمل للحمل على الكذب وانكار صدور
الافساد المنسوب اليهم عنهم على معنى انما نحن مصلحون لا يصدر عنا ما تنهوننا عنه من الافساد

وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم واراءة لارادة هذا المعنى وهم معرجون على المعنى الاول
فرد عليهم بقوله تعالى الا انهم هم المفسدون الايه والله سبحانه اعلم بما اودعه فى تضاعيف كتابه
المكنون من السر المخزون نساله العصمة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق وتفصيل هذه الاية
الكريمة بلا يعلمون لما انه اكثر طباقا لذكر السفه الذى هو فن من فنون الجهل ولان الوقوف على ان
المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما لا يتسنى
الا بالنظر والاستدلال واما النفاق وما فيه من الفتنه والفساد وما يترتب عليه من كون
المتصف به مفسدا فامر بديهى يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الاية الكريمة السابقة
بلا يشعرون واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم فى اثناء
المعاملة والمخاطبة حسب تباين المخاطبين ومساق ما صدرت به قصتهم لتحرير مذهبهم والترجمة
عن نفاقهم ولذلك لم يتعرض ههنا لمتعلق الايمان فليس فيه شائبة التكرير روى عن عبد الله بن
ابى واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين فقال ابن
ابى انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابى بكر رض فقال مرحبا بالصديق
سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار الباذل نفسه وماله
لرسول الله عليه السلام ثم اخذ بيد عمر رضى الله عنه فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق
القوى فى دينه الباذل نفسه وماله لرسول الله عليه السلام ثم اخذ بيد على كرم الله تعالى وجهه
فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله عليه السلام وختنه وسيد بنى هاشم ما خلا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فنزلت وقيل قال له على رضى الله تعالى عنه يا عبد الله اتق الله ولا تنافق فان
المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن انى تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم
وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابى لاصحابه كيف رايتمونى فعلت فاذا رايتموهم فافعلوا
مثل فعلت فاثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اى صادفته
واستقبلته وقرئ اذا لاقوا واذا خلوا من خلوت اى فلان اى انفردت معه وقد يستعمل بالباء او من
خلا بمعنى مضى ومنه القرون الخاليه وقولهم خلاك ذم اى جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه
من خلوت به اذا سخرت منه على ان تعديته بالى فى قوله تعالى الى شياطينهم لتضمنه معنى الانهاء اى
واذا انهوا اليهم السخريه الخ وانت خبير بان تقييد قولهم المحكى بذلك الانهاء مما لا وجه له والمراد
بشياطينهم المماثلون منهم للشيطان فى التمرد والعناد المظهرون بكفرهم واضافتهم اليهم للمشاركه
فى الكفر او كبار المنافقين والقائلون صغارهم وجعل سيبويه نون الشيطان تارة اصلية فوزنه
فيعال على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن واخرى زائدة
فوزنه فعلان على انه من شاط اى هلك او بطل ومن اسمائه الباطل وقيل معناه هاج واحترق

قالوا انّا معكم اى فى الدّين والاعتقاد لانفارقكم فى حال من الاحوال وانّما خاطبوهم بالجملة الاسميّه
المؤكّدة لانّ مدّعاهم عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدّين والتّاكيد للانباء عن صدق
رغبتهم ووفور نشاطهم لا لانكار الشّياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فانهم انّما يدعون عندهم
احداث الايمان لجزمهم بعدم رواج ادّعاء الكمال فيه والثبات عليه انّما نحن فى اظهار الايمان
عند المؤمنين مستهزؤن بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان حقيقة وهو استيناف مبنىّ على سوال
ناشئ من ادّعاء المعيّه كانّه قيل لهم عند قولهم انّا معكم فما بالكم يوافقون المؤمنين فى الاتيان
بكلمة الايمان فقالوا انّما نحن مستهزؤن بهم فلا يقدح ذلك فى كوننا معكم بل يؤكّده وقد ضمّنوا جوابهم
انّهم يهينون المؤمنين ويعدّون ذلك نصرة لدينهم او تاكيد لما قبله فانّ المستهزئ بالشئ مصرّ على
خلافه او بدل منه لانّ من حقّر الاسلام فقد عظّم الكفر والاستهزاء بالشئ السخريّه منه يقال هزئت
واستهزئت بمعنى واصله من الهزء وهو القتل السّريع وهزء يهزء مات على مكانه وتهزّء به ناقته اى
تسرع به وتخفّ الله يستهزء بهم اى يجازيهم على استهزائهم سمّى جزاؤه باسمه كما سمّى جزاء السيّئة
سيئة امّا للمشاكلة فى اللّفظ او للمقارنة فى الوجود او يرجع وبال الاستهزاء عليهم فيكون كالمستهزء بهم
او ينزل بهم الحقارة والهوان الذى هو لازم الاستهزاء او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم امّا فى الدّنيا
فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال والزّيادة فى النّعم على التّمادى فى الطّغيان
وامّا فى الآخرة فبما يروى انه يفتح لهم باب الى الجنّة فيسرعون نحوه فاذا صاروا اليه سدّ عليهم الباب
وذلك قوله تعالى فاليوم الذّين آمنوا من الكفّار يضحكون وانّما استؤنف للايذان بانهم قد بلغوا فى
فى المبالغة فى استهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت شناعته عند السّامعين وتعاظم ذلك عليهم حتّى
اضطرّهم الى ان يقولوا ما مصير امر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه انه تعالى هو الّذى يتولّى امرهم
ولا يحوجهم الى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذى ليس استهزاؤهم عنده من باب
الاستهزاء حيث ينزل بهم من النّكال ويحلّ عليهم من الذّل والهوان ما لا يوصف وايثار صيغة الاستقبال
للدّلالة على التّجدد والاستمرار كما يعرب عنه قوله عزّ قائلا او لا يرون انّهم يفتنون فى كلّ عام مرّة
او مرّتين وما كانوا خالين فى اكثر الاوقات من تهتّك استار وتكشّف اسرار ونزول فى شانهم
واستشعار حذر من ذلك كما انباء عنه قوله تعالى يحذر المنافقون ان تنزّل عليهم سورة تنبّئهم
بما فى قلوبهم قل استهزؤا انّ الله مخرج ما تحذرون ويمدّهم اى يزيدهم ويقوّيهم من مدّ الجيش و
امدّه اذا زاده وقوّاه ومنه مددت الدّوات والسّراج اذا اصلحتهما بالحبر والزّيت وايثاره على
يزيدهم للرّمز الى انّ ذلك منوط بسوء اختيارهم لما انّه انّما يتحقّق عند الاستمداد وما يجرى مجراه
من الحاجة الدّاعية اليه كما فى الامثلة المذكورة وقرئ يمدّهم من الامداد وهو صريح فى انّ القراءة المشهورة
ليست بالمدّ فى العمر على انّه يستعمل باللام كالاملاء قال الله ونمدّ له من العذاب مدّا وحذف الجارّ
وايصال الفعل الى الضّمير خلاف الاصل لا ايصال اليه الا بدليل فى طغيانهم متعلّق بيمدّهم والطّغيان

مجاوزة الحدّ فى كلّ امر والمراد افراطهم فى العتوّ وغلوهم فى الكفر وقرئ بكسر الطّاء وهى لغة فيه
كلِقيان لغة فى لُقيان وفى اضافته اليهم ايذان باختصاصه وتاييد لما اشير اليه من ترتّب المدّ
على سوء اختيارهم يعمهون حال من الضّمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرًا فهو مرفوع
حكمًا والعمه فى البصيرة كالعمى فى البصر وهو التّحيّر والتّردّد بحيث لا يدرى اين يتوجه واسناد
هذا المدّ الى الله تعالى مع اسناده فى قوله تعالى واخوانهم يمدّونهم فى الغىّ محقّق لقاعدة اهل
الحقّ من انّ جميع الاشياء مستند من حيث الخلق اليه سبحانه وان كانت افعال العباد من حيث
الكسب مستندة اليهم والمعتزلة لما تعذّر عليهم اجراء النّظم الكريم على مسلكه نكبوا الى شعاب
التّاويل فاجابوا اوّلا بانّهم لما اصرّوا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم الطافه فتزايد الرّين
فى قلوبهم فسمّى ذلك مددًا فى الطّغيان فاسند ايلاؤه اليه تعالى ففى المسند مجاز لغوىّ وفى الاسناد
عقلىّ لانّه اسناد للفعل الى المسبّب له وفاعله الحقيقىّ هم الكفرة وثانيًا بانّه اريد بالمدّ فى الطّغيان
ترك القسر والالجاء الى الايمان كما فى قوله تعالى ونذرهم فى طغيانهم يعمهون فالمجاز فى المسند
فقط وثالثًا بانّ المراد به معناه الحقيقى وهو فعل الشّيطان لكنّه اسند اليه سبحانه مجازًا لانّه
بتمكينه تعالى واقداره اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتّصافهم بما ذكر من الصّفات الشّنيعة
المميّزة لهم عمّن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا كانّهم حضّار مشاهدون على ما هم عليه وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الشّرّ وسوء الحال ومحلّه الرّفع على الابتداء خبره قوله تعـ
الّذين اشتروا الضّلالة بالهدى والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان كمال جهالتهم فيما حكى
عنهم من الاقوال والافعال باظهار غاية سماجتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له
ادنى تمييز فضلا عن العقلاء والضّلالة الجور عن القصد والهدى التّوجه اليه وقد استعير
الاوّل للعدول عن الصّواب فى الدّين والثّانى للاستقامة عليه والاشتراء استبدال السلعة بالثّمن
اى اخذها به لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزمًا له فانّ المعتبر فى عقد الشّراء ومفهومه
هو الجلب دون السلب المعتبر فى عقد البيع ثم استعير لاخذ شئ باعطاء ما فى يده عينا كان كلّ
منهما او معنى لا للاعراض عمّا فى يده محصّلا به غيره كما قيل وان استلزمه لما مرّ سرّه ومنه قوله اخذت
بالجمّة راسًا ازعرا وبالثنايا الواضحات الدّردرا وبالطّويل العمر عمرًا جيذرا كما اشترى
المسلم ان تنصّرا فاشتراء الضّلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرّغبة فيها
والاعراض عنه ولما اقتضى ذلك ان يكون ما يجرى مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما
يجرى مجرى المبيع غير حاصل لهم حينئذ حسبما هو فى البيت ولا ريب فى انّهم بمعزل من الهدى مستمرّون
على الضّلالة استدعى الحال تحقيق ما جرى مجرى العوضين فنقول وبالله التوفيق ليس المراد بما تعلّق
به الاشتراء ههنا جنس الضّلالة الشّاملة لجميع اصناف الكفرة حتى يكون حاصلة لهم من قبل بل هو
فردها الكامل الخاصّ بهؤلاء على انّ اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالمدّ فى الطّغيان المترتّب

على ما حكى عنهم من القبايح وذلك انما يحصل لهم عند الياس عن اهتدائهم والختم على قلوبهم وكذا ليس المراد
بما في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وتاخذ المقدمات المستتبعة
له بطريق الاستعارة كانه نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع الجدوى ولا مرية في ان هذه المرتبة من
التمكن كانت حاصلة لهم بما شاهدوه من الايات الباهرة والمعجزات القاهرة من جهة الرسول صلى الله
عليه وسلم وبما سمعوه من نصايح المؤمنين التي من جملتها ما حكى من النهي عن الافساد في الارض والامر
بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم واخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي هي العمه في تيه
الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد يا باه ان اضاعتها غير مختصة بهؤلاء ولئن
حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب المختصة بهم فليس في اضاعتها فقط من
الشناعة ما في اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك يفضي الى كون
ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى ههنا ضائعا وابعد منه حمل اشتراء الضلالة بالهدى على
مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين
الكائنين في شرف الوقوع على الاخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق التشبيه
الاتي على هذا تقدير جعل الاشتراء المذكور عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بتجاوب
اطراف النظم الكريم واما اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا
عليه من معرفة صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وحقية دينه بما كانوا يشاهدونه في التورية
من نعوته عليه السلام وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا يستفتحون به على المشركين ويقولون
اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته في التورية ويقولون لهم قد اظل
زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سياتي
ولا مساغ لحمل الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة متضاعفة **فما
ربحت تجارتهم** عطف على الصلة داخل في حيزها والفاء للدلالة على ترتب مضمونه عليها و
التجارة صناعة التجار وهو التصدي للبيع والشراء لتحصيل الربح وهو الفضل على راس المال
يقال ربح فلان في تجارته اي استشف فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذي هو عبارة
عن الخسران اليها وهو لاربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدته المبالغة
في تخسيرهم لما فيه من الاشعار بكثرة الخسار وعمومه المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم وايرادهما
اثر الاشتراء المستعار للاستبدال المذكور ترشيح للاستعارة وتصوير لما فاتهم من فوائد الهدى
بصورة خسار التجارة الذي يتحاشى عنه كل احد للاشباع في التخسير والتحسير ولا ينافي ذلك ان
التجارة في نفسها استعارة لانهماكهم فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة
عن كون ذلك صناعة لهم راسخة اذ ليس من ضروريات الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا
للاستعارة لا يقصد به الا تقويتها كما في قولك رايت اسدا في البراثن فانك لا تريد به الا زيادة

تصوير

تصوير للشجاع وانه اسد كامل من غير ان تريد بلفظ البراثن معنى اخر بل يكون مستعارا من ملائم
المستعار منه لملائم المستعار له ومع ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما قوله فلما رايت
النسر عز ابن داية . وعشش في وكريه جاش له صدري فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا
من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطائر للتفريخ للراس واللحية وللفودين اعني جانبي
الراس ترشيح باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية للشعر الاسود
وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمرين ترشيح لتينك الاستعارتين
بالاعتبار المذكور وقرئ تجاراتهم ونعددها التعدد المضاف اليه **وما كانوا مهتدين** اي الى
طرق التجارة فان المقصود منها سلامة راس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة
فربما يتدارك في صفقة اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا
فهؤلاء الذين كان راس مالهم الهدى قد استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا
خائبين خاسرين نائبين عن طريق التجارة بالف منزل فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على
ما قبلها مشاركة له في الترتيب على الاشتراء المذكور والاولى عطفها على اشتروا الخ **مثلهم**
زيادة كشف لحالهم وتصوير لها غب تصويرها بصورة ما يودي الى الخسار بحسب المال بصورة
ما يفضي الى الخسار من حيث النفس تهويلا لها وابانة لفظاعتها فان التمثيل الطف ذريعة الى
تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقام الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل
الغبي وقمع سورة الجامح الابي كيف لا وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابرازها
في معرض المحسوسات الجلية وابدا للمنكر في صورة المعروف واظهار للوحشي في هيئة المالوف
والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال مِثْل ومَثَل ومثيل كشِبْه وشَبَه وشبيه ثم اطلق على
القول السائر الذي يمثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك الا قولا بديعا فيه غرابة صيرته
جديرا بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال وصفة
او قصة لها شان عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينها وبينه شئ اخر تشبيه ومنه قوله عز
ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد
المتقون اي قصتها العجيبة الشان **كمثل الذي** اي الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي
خاضوا خلا انه وحد الضمير في قوله تعالى **استوقد نارا** نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم
جواز وضع القائم مقام القائمين لان المقصود بالوصف هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه
بل انما هو وصلة لوصف المعارف بها ولانه حقيق بالتخفيف لاستطالته بصلته ولذلك بولغ
فيه فحذف ياؤه ثم كسرته ثم اقتصر على اللام في اسماء الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام
بل هو كجزئه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شان اخواته وليس الذين
جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة

الفصيحة او قصد به جنس المستوقد او الفوج او الفريق المستوقد والنار جوهر لطيف مضئ حارّ محرق
واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لانّ فيها حركة واضطرابا واستيعادها طلب وقودها اى سطوعها
وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم فلمّا اضآءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله
تعالى هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ويجئ متعدية ولازمة والفاء للدلالة على ترتبها
على الاستيقاد اى فلمّا اضاءت النّار ما حول المستوقد او فلمّا استضاء ما حوله والتأنيث لكونه
عبارة عن الاماكن والاشياء او اضاءت النّار نفسها فيما حوله على انّ ذلك ظرف لاشراق النّار
المنزّل منزلتها لا لنفسها او ما مزيدة وحوله ظرف وتاليف الحول للدّوران وقيل للعام حول
لانه يدور ذهب الله بنورهم النّور ضوء كلّ نيّر واشتقاقه من النّار والضمير للّذى والجمع
باعتبار المعنى اى اطفاء الله نارهم الّتى مدار نورهم وانّما علّق الاذهاب بالنّور دون نفس النّار لانه
المقصود بالاستيقاد لا الاستدفاء ونحوه كما ينبئ عنه قوله تعالى فلمّا اضاءت حيث لم يقل فلمّا ثبت
ضرامها او نحو ذلك وهو جواب لمّا او استيناف اجيب به عن سوال سائل يقول ما بالهم اشبهت
حالهم حال مستوقد انطفات ناره او بدل من جملة التّمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين
للمنافقين والجواب محذوف كما فى قوله تعالى فلمّا ذهبوا به للايجاب والامن من الالباس كانّه قيل
فلمّا اضاءت ما حوله فبقوا فى الظّلمات خابطين متحيّرين خائبين بعد الكدح فى احياءها واسناد
الاذهاب الى الله تعالى امّا لانّ الكلّ بخلقه تعالى وامّا لانّ الانطفاء حصل بسبب خفىّ او امرٍ
سماوىّ كريح او مطر واما للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه من معنى الاستصحاب
والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله تعالى عزّ وجلّ فامسكه فلا مرسل
له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذى هو مقتضى الظّاهر الى النّور لانّ ذهاب الضّوء قد يجامع
لقاء النّور فى الجملة لعدم استلزام عدم القوىّ لعدم الضّعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه
قوله تعالى وتركهم فى ظلمات لا يبصرون فانّ الظّلمة التى هى عدم النّور وانطماسه بالمرّة لاسيّما
اذا كانت متضاعفة متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمىّ وما بعدها من
قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقّق الّا ان لا يبقى من النّور عين ولا اثر وامّا لانّ المراد بالنّار ما لا
يرضى به الله تعالى من النّار المجازيّة التى هى نار الفتنة والفساد كما فى قوله تعالى كلّما اوقدوا
نارا للحرب اطفاها الله ووصفها باضاءة ما حول المستوقد من باب التّرشيح او النّار الحقيقيّة
الّتى يوقدها الغواة ليتوصّلوا بها الى بعض المعاصى ويتهدوا بها فى طرق العيث والفساد
فَأَطْفَأَهَا اللّٰهُ تعالى وخيّب اعمالهم وترك فى الاصل بمعنى طرح وخلّى وله مفعول واحد فضمّن
معنى التّصيير فجرى مجرى افعال القلوب قال فتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم
والظّلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اى ما منعك لانّها تسدّ البصر وتمنعه من الرّؤية
وقرى فى ظلمات بسكون اللّام وفى ظلمة بالتّوحيد ومفعول لا يبصرون من قبيل المطروح كان الفعل

غير

غير متعدّ والمعنى انّ حالهم العجيبة الّتى هى اشترائهم الضّلالة الّتى هى عبارة عن ظلمتى الكفر والنّفاق
والمستتبعتين لظلمة سخط الله وظلمة يوم القيمة ويوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم وظلمة العقاب السّرمدى بالهدى الّذى هو النّور الفطرى المؤيّد بما
شاهدوه من دلائل الحقّ او بالهدى الّذى كانوا حصّلوه من التّوريه حسبما ذكر كحال من
استوقد نارا عظيمة حتى كاد ينتفع بها فاطفاها الله تعالى وتركه فى ظلمات هائلة لا يتيسّر
فيها الابصار صمّ بكم عمى اخبار لمبتداء محذوف هو ضمير المنافقين او خبر واحد بالتّاويل
المشهور كما فى قولهم هذا حلو حامض والصّمم آفة مانعة من السّماع واصله الصّلابة واكتناز الاجزاء
ومنه الحجر الاصمّ والقناة الصّماء وصمام القارورة سدادها سمّى به فقدان حاسّة السّمع لما
انّ سببه اكتناز باطن الصّماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هواء يحصل الصّوت بتموّجه
والبكم الخرس والعمى عدم البصر عمّا من شانه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم
المعدودة لما انّهم حيث سدّوا مسامعهم عن الاصاخة بما يتلى عليهم من الايات والذكر
الحكيم وابوا ان يتلقّوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم يجتلوا ما يشاهدوا من المعجزات
الظّاهرة على يدى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى ايات التّوحيد المنصوبة
فى الآفاق والانفس بعين التّدبّر واصرّوا على ذلك بحيث لم يبق لهم احتمال الارعواء عنه
صاروا كفاقدى تلك المشاعر بالكليّه وهذا عند مفلقى سحرة البيان من باب التمثيل البليغ
المؤسس على تناسى التشبيه كما فى قول من قال ويصعد حتّى يظنّ الجهول بان له حاجة فى السّماء
لما ان المقدّر فى النّظم فى حكم الملفوظ لا من قبيل الاستعارة الّتى يطوى ذكر المستعار له بالكليه
حتّى لو لم يكن هناك قرينه تحمل على المعنى الحقيقىّ كما فى قول زهير لدى اسد شاكى السلاح مقذّف
له لبد اظفاره لم تقلّم فهم لا يرجعون الفاء للدّلالة على ترتّب ما بعدها على ما قبلها
اى هم بسبب اتّصافهم بالصّفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذى تركوه وضيّعوه او عن الضّلالة التى
اخذوها والاية نتيجة للتّمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى امر التّمثيل بقاءهم فى
ظلمات هائلة من غير تعرّض لمشعرى السّمع والنّطق والاختلال مشعر الابصار وقليل الضّمير المقدّر
وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضّماير المتقدّمه فالاية الكريمة تتمّة للتمثيل وتكميل له بانّ
ما اصابهم ليس مجرّد انطفاء نارهم وبقائهم فى ظلمات كثيفة هائلة مع بقاء حاسّة البصر بحالها
بل اختلّت مشاعرهم جميعًا واتّصفوا بتلك الصّفات على طريقة التّشبيه او الحقيقه فبقوا جامدين
فى مكاناتهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدّمون ام يتاخّرون وكيف يرجعون الى ما ابتدؤا
منه والعدول الى الجملة الاسميّة للدّلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرى صمّا بكما عميًا امّا على
الذّم كما فى قوله تعالى حمّالة الحطب والمخصوص بالذّم هم المنافقون او المستوقدون وامّا على الحاليه
من الضّمير المنصوب فى تركهم او المرفوع فى لا يبصرون وامّا على المفعوليّه لتركهم فالضّميران

للمستوقدين **او كصيب** تمثيل لحالهم اثر تمثيل ليعم البيان منها كل دقيق وجليل ويوفى حقها من
التفظيع والتهويل فان لعنتهم فى فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال حقيق
بان يضرب فى شانه الامثال ويرخى فى حلبته اعنة المقال ويمد لشرحه اطناب الاطناب
ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة وقسط من الجزالة والبراعة
لابد ان يوفى فيه حق كل من مقامى الاطناب والايجاز فما ظنك بما فى ذروة الاعجاز من التنزيل
الجزيل ولقد نعى عليهم فى هذا التمثيل تفاصيل جناياتهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف
كما سياتى من الضماير المستدعية لذلك اى كمثل ذوى صيب وكلمة او للايذان بتساوى القصتين
فى الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة منهما وبهما معًا والصيب فيعل من
الصوب وهو النزول الذى له وقع وتاثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال الشماخ عفا اية
نسج الجنوب مع الصبا واسحم وان صادق الرعد صيب ولعل الاول هو المراد هٰهنا لاستلزامه
الثانى وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هائل كالنار فى تمثيل الاول وامد به ما فيه من
المبالغات من جهة مادته الاولى التى هى الصاد المستعلية والباء المشددة والبناء الشديد ومادته
الثانية اعنى الصوب المنبئ عن شدة الانسكاب ومن جهة بنائه الدال على الثبات وقرئ او كصائب
من السماء متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة وهى فى الاصل
كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف اى ممنوع بقدرة الله عز وجل من
السيلان وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من افاقها
اى كل ما يحيط به كل افق منها سماء على حدة قال ومن بعد ارض بيننا وسماء كما ان كل طبقة من
طباقها سماء قال تعالى واوحى فى كل سماء امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق
اخذ بالافاق وقيل المراد بالسماء السحاب واللام لتعريف الماهية **فيه ظلمات** اى انواع منها
وهى ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة ما يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الاخذ بالافاق
مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتى الغمام والليل لما انهما جعلتا من توابع
ظلمته مبالغة فى شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث تغمر ظلمته ظلمات
الليل والغمام وهو السر فى عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع للبواقى مع ظهور ظرفيتها للكل
اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب الخ لما افاده ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على
غيرها **ورعد** وهو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها
ببعض او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفًا **وبرق** وهو
ما يلمع من السحاب من برق الشئ بريقا اى لمع وكلاهما فى الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما
فى الصيب باعتبار كونهما فى اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما فى الظلمات الكائنة فيه
والتنوين فى الكل للتفخيم والتهويل كانه قيل فى ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف

وارتفاع

وارتفاع الجميع بالظرف على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاتفاق وقيل بالابتداء والجملة اما صفة
لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن فى الظرف الاول على
تقدير كونه صفة لصيب والضمائر فى قوله عز وجل **يجعلون اصابعهم فى اذانهم** للمضاف الذى
اقيم مقام المضاف اليه فان معناه باق وان حذف لفظه تعويلا على الدليل كما فى قوله عز وعلا وكم
من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فان ضمير للاهل المدلول عليه بما قام مقامه
من القرية قال حسان رض يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل فان
تذكر الضمير المستكن فى يصفق لرجوعه الى الماء المضاف الى بردى والا لانث حتما وايثار الجعل
المنبئ عن دوام الملابسه واستمرار الاستقرار على الادخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج الى
الداخل للمبالغة فى بيان سد السامع باعتبار الزمان كما ان ايراد الاصابع بدل الانامل للاشباع
فى بيان سدها باعتبار الذات كانهم سدوها بجملتها لا بانامله فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون
هذا ايماء الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على الوجه
المعهود وكذا الحال فى عدم تعيين الاصبع المعتادة اعنى السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استئناف
لا محل لها من الاعراب مبنى على سؤال نشاء من الكلام كانه قيل عند بيان احوالهم الهائلة فماذا يصنعون
فى تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله عز وجل **من الصواعق** متعلق بيجعلون اى من
اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد هائل تنقض معها
شقة نار لا تمر بشئ الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة
الرعد او للرعد والتاء للمبالغة كما فى الرواية او مصدرا كالعافية وقد تطلق على كل هائل مسموع او
مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت وسد الاذان انما يفيد على
على التقدير الثانى دون الاول وقرئ من الصواقع وليس ذلك بقلب من الصواعق لاستواء كلا
البنائين فى التصرف يقال صقع الديك وخطيب مصقع اى مجهر بخطبته **حذر الموت** منصوب بيجعلون
على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله واغفر عوراء الكريم ادخاره واصفح عن شتم اللئيم تكرما
ولا خير فتعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية اى يحذرون
حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقرئ حذار الموت والموت زوال الحيوة
وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحيوة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة
والله محيط بالكافرين اى لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته تعالى لهم وانطواء
ملكوته عليهم باحاطة المحيط بما احاط به فى استحالة الفوت وشبه الهيئة المنتزعة من شؤنه تعالى معهم
بالهيئة المنتزعة من احوال المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية
فى الصفة متفرعة على ما فى مصدرها من الاستعارة تبعية والمبنية على الثانى تمثيلية قد اقتصر من طرف
المشبه به على ما هو العمدة فى انتزاع الهيئة المشبه بها اعنى الاحاطة والباقى منوى بالفاظ متخيلة بها يحصل

التركيب المعتبر فى التمثيل كما مرّ تحرير فى قوله عزّ وجلّ ختم الله على قلوبهم والجملة اعتراضية منبهة على
انّ ما صنعوا من سدّ الآذان بالاصابع لا يغنى عنهم شيئا فانّ القدر لا يدافعه الحذر والحيل لا ترد باس
الله عزّ وجلّ وفائدة وضع الكافرين موضع الضمير الرّاجع الى اصحاب الصّيب الايذان بان مادهمهم من
الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صرّ اصابت حرث قوم
ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك النّاشى من السّخط اشدّ وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال
المشبّه على انّ المراد بالكافرين المنافقون قد دُلّ به على انّه لا مرفع لهم من عذاب الله تعالى فى الدّنيا
والآخرة وانما وسّط بين احوال المشبّه به مع انّ القياس تقديمه او تاخيره لاظهار كمال العناية وفرط
الاهتمام بشان المشبّه يكاد البرق استينافا اخر وقع جوابا عن سؤال مقدّر كانّه قيل فكيف حالهم
مع ذلك البرق فقيل يكاد ذلك يخطف ابصارهم اى يختلسها ويستلبها بسرعة وكاد من افعال
المقاربة وضعت لمقاربة الخبر من الوجود لتاخذ اسبابه وتعاضد مباديه لكنه لم يوجد بعد لفقد
شرطه او لعروض مانع ولا يكون خبرها الّا مضارعًا عاريًا عن كلمة ان وشذّ مجيئه اسمًا صريحا كما
فى قوله فابت الى فهم وما كدت آئبا وكذا مجيئه مع اَن حملا لها على عسى كما فى مثل قول روبة قد كاد
من طول البلى ان يمصحا كما تحمل هى عليها بالحذف لما بينهما من المقارنة فى اصل المقاربة وليس فيها
شائبة الانشائيه كما فى عسى وقرئ يخطِف بكسر الطّاء ويختطف ويَخَطّف بفتح الياء والخاء بنقل فتحة
التّاء الى الخاء وادغامها فى الطّاء ويخِطّف بكسرهما على اتباع الياء الخاء ويُخطّف على صيغة التّفعيل ويتخطف
من قوله تعالى ويتخطّف النّاس من حولهم كلّما اضآء لهم كلّما ظرف وما مصدريّة والزّمان محذوف
اى كلّ زمان اضاءة وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف اى كلّ وقت اضاء لهم فيه
والعامل فى كلّما جوابها وهو استينافٌ ثالث كانه قيل ما يفعلون فى اثناء ذلك الهول ايفعلون بابصارهم
ما فعلوا باذانهم ام لا فقيل كلّما نوّر البرق لهم ممشىً ومسلكًا على انّ اضاء متعدّ والمفعول محذوف او
كلّما لمع لهم على انه لازم ويؤيّده قراءة كلّما اضاء مشوا فيه اى فى ذلك المسلك او فى مطرح نوره خطوات
يسيرة مع خوف ان يخطف ابصارهم وايثار المشى على ما فوقه من السّعى والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم
لهما واذا اظلم عليهم اى خفى البرق واستتر والمظلم وان كان غيره لكن لما كان الاظلام دائرا على
استتاره اسند اليه مجازا تحقيقيًا لما اريد من المبالغة فى موجبات تخبّطهم وقد جوّز ان يكون متعديًا
منقولا من ظلم اللّيل ومنه ما جاء فى قول ابى تمام هما اظلما حالىّ ثُمّتَ اَجْلَيَا ظلاميهما عن امرد اشيب
ويعضده قراءة اظلم على البناء للمفعول قاموا اى وقفوا فى اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيّرين مترصّدين
لخفقة اخرى عسى يتسنّى لهم الوصول الى المقصد او الالتجاء الى ملجاء يعصمهم وايراد كلّما مع الاضاءة واذا
مع الاظلام للايذان بانّهم حراص على المشى مترقبون لما يصحّحه فكلّما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك التوقف
وفيه من الدّلالة على كمال التّحير وتطاير اللّب ما لا يوصف ولو شآء الله لذهب بسمعهم وابصارهم
كلمة لو لتعليق حصول امرٍ ماضٍ هو الجزاء بحصول امر مفروض فيه هو الشّرط لما بينهما من الدّوران حقيقة

او ادعاء

او ادّعاء ومن قضيّة مفروضيّة الشّرط دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل وقيل والحقّ الّذى لا محيد عنه انّه
ان كان ما بينهما من الدّوران كلّيا او جزئيّا قد بُنى الحكم على اعتباره فهى دالّة عليه بواسطة مدلولها الوضعى
لا محالة ضرورة استلزام انتفاء العلّة انتفاء المعلول اما فى مادّة الدّوران الكلّى كما فى قوله عزّ وجلّ ولو شاء لهديكم
اجمعين وقولك لو جئتنى لاكرمتك فظاهر لانّ وجود المشيّة علة لوجود الهداية حقيقة ووجود المجئ
علّة لوجود الاكرام ادّعاء وقد انتفيا بحكم المفروضيّة فانتفى معلولاهما حتما ثمّ يساق الكلام لتعليل انتفاء
الجزاء بانتفاء الشّرط كما فى المثالين المذكورين وهو الاستعمال الشّائع لكلمة لو ولذلك قيل هى لامتناع
الثّانى لامتناع الاوّل وقد يساق الاستدلال بانتفاء الثّانى لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء الاوّل
لكونه خفيّا او متنازعا فيه كما قوله سبحانه لو كان فيهما الهة الّا الله لفسدتا وفى قوله تعالى لو كان
خيرا ما سبقونا اليه وان فسادهما لازم لتعدّد الآلهة حقيقة وعدم سبقهم الى الايمان لازم لخيريّته
فى زعم الكفرة ولا ريب فى انتفاء اللازمين فتعيّن انتفاء الملزومين حقيقة فى الاوّل وادّعاء بالطلاق فى
الثّانى ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببيّة الخارجيّة كما فى المثالين
الاوّلين بل بطريق الدّلالة العقليّه الرّاجعة الى سببيّة العلم بانتفاء الثّانى للعلم بانتفاء الاوّل
ومن لم يتنبّه له زعم انّها لانتفاء الاوّل لانتفاء الثّانى وامّا فى مادّة الدّوران الجزئى كما فى قولك لو
طلعت الشمس لوجد الضّوء فلانّ الجزاء المنوط بالشّرط الذى هو طلوعها ليس وجود اى ضوء كان
كضوء القمر المجامع لعدم الطّلوع مثلا بل انّما هو وجود الضّوء الخاصّ النّاشى من الطّلوع ولا ريب فى
انتفائه بانتفاء الطّلوع هذا اذا بنى الحكم على اعتبار الدوران وامّا اذا بنى على عدمه فامّا ان يعتبر
هناك تحقّق مدارٍ اخر له اوّلا فان اعتبر فالدّلالة تابعة لحال ذلك المدار فان كان بينه وبين
انتفاء الاوّل منافاة تعيّن الدّلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشّمس لوجد الضّوء فانّ وجود الضّوء
وان علّق صورة بعدم الطلوع لكنه فى الحقيقة معلّق بسببٍ اخر له ضرورة انّ عدم الطّلوع من
حيث هو هو ليس مدارا له فكانّه قيل لو لم تطلع الشّمس لوجد الضوء بسببٍ اخر كالقمر مثلا
ولا شبهة فى انّ هذا الجزاء منتف عند انتفاء الشّرط لاستحالة وجود الضّوء القمرىّ عند طلوع الشّمس
وان لم يكن بينهما منافاة تعيّن عدم الدّلالة كما فى قوله صلّى الله عليه وسلّم فى بنيت ابى سلمة لو لم تكن
ربيبتى فى حجرى ما حلّت لى انها لابنة اخى من الرّضاعة فانّ المدار المعتبر فى ضمن الشرط اعنى كونها ابنة
اخيه عليه السلام من الرّضاعة غير منافٍ لانتفائه الذى هو كونها ربيبته عليه السلام هل مجامع
له ومن ضرورته مجامعة اثريهما اعنى الحرمة النّاشئة من كونها ربيبته عليه السّلام والحرمة النّاشئة
من كونها ابنة اخيه من الرّضاعة وان لم يعتبر هناك تحقّق مدار اخر بل بنى الحكم على اعتبار عدمه فلا
دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا ومساق الكلام ح لبيان ثبوت الجزاء على كل حال بتعليقه بما ينافيه
ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطّريق الاولى كما فى قوله عزّ وجلّ قل لو انتم تملكون خزائن رحمة
ربّى اذا لامسكتم وقوله عليه السّلام لو كان الايمان فى الثّريّا لناله رجال من فارس وقول على رض

لوكشف الغطاء ما ازددت يقينًا فان الاجزية المذكورة قد نيطت بما يناقيها ويستدعى نقائضها ايذانا
بانها فى انفسها بحيث تجب ثبوتها مع انتفاء اسبابها او تحقق اسباب انتفائها فكيف اذا لم يكن كذلك
على طريقة لو الوصليّه فى مثل قوله تعالى لايكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار ولها تفاصيل وتفاريع
حرّرناها فى تفسير قوله تعالى او لو كنّا كارهين وقول رض نعم العبد صُهَيب لو لم يخف الله لم
يَعْصِهِ ان حُمل على تعليق عدم العصيان فى ضمن عدم الخوف بمدار اٰخر نحو الحياء والاجلال وغيرهما
ممّا يجامع الخوف كان من قبيل حديث ابنة ابى سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة
كان من هذا القبيل والاٰية الكريمة واردة على الاستعمال الشّائع مفيدة لكمال فظاعة حالهم و
غاية هول ما دهمهم من المشاق وانّها قد بلغت من الشدّة الى حيث لو تعلّقت مشيّة الله تعالى
بازالة مشاعرهم لزالت لتحقّق ما تقتضيه اقتضاء تامًّا وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجرّدة
عن الدّلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الاٰخر بمنزلة كلمة اِن ومفعول المشية محذوف جريًا على القاعدة
المستمرّة فانها اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمونا للجزاء فلا يكاد يذكر الّا ان يكون شيئًا مستغربًا
كما فى قوله فلو شئت ان ابكى دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصّبر اوسع اى لو شاء الله ان يذهب
بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن لم يشاء لما يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على
زيادة الباء كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والافراد فى المشهورة لانّ السّمع مصدر
فى الاصل والجملة الشّرطيّة معطوفة على ما قبلها من الجمل الاستينافيّه وقيل على كلّما اضاء الخ وقوله
عزّ وجلّ انّ الله على كلّ شئ قدير تعليل للشّرطيّة وتقرير لمضمونها النّاطق بقدرة الله تعالى
على ازالة مشاعرهم بالطّريق البرهانى والشّئ بحسب مفهومه اللّغوى يقع على كلّ ما يصحّ ان يعلم
ويخبر عنه كائنا ما كان على انّه فى الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفى فى ذلك باعتبار تعلّق
المشيّة به من حيث العلم والاخبار عنه فقط وقد خصّ ههنا بالممكن موجودًا كان او معدوما بقضية
اختصاص تعلّق القدرة به لما انّها عبارة عن التّمكن من الايجاد والاعدام الخاصّين به وقيل هى صيغة
يقتضى ذلك التّمكّن والقادر هو الذى ان شاء فعل وان لم يشا لم يفعل والقدير هو الفعّال لكل ما يشاء
كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير البارى جلّ جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال وجوده
انه ان شاء ابقاءه على الوجود ابقاء عليه فان علّة الوجود هى علّة البقاء وقد مرّ تحقيقه فى تفسير قوله
تعالى ربّ العالمين وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حال عدمه انه ان شاء ايجاده
اوجده وان لم يشاء لم يوجده وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكّن من الفعل والترك وقدرة الله
تعالى عبارة عن نفى العجز واشتقاق القدرة من القدر لانّ القادر يوقع الفعل بقدر ما يقتضيه ارادته
او بقدر قوّته وفيه دليل على انّ مقدور العبد مقدور لله تعالى حقيقة لانّه شئ وكلّ شئ مقدور
له تعالى واعلم انّ كلّ واحد من التّمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التّمثيل المفرّق كما فى قوله
كانّ قلوب الطّير رطبًا ويابسا لدى وكرها العنّاب والحشف البالى بان يشبه المنافقون فى التّمثيل

الاول

الاوّل بالمستوقدين وهداهم الفطرىّ بالنّار وتاييدهم اياه بما شاهدوه من الدّلائل باستيقادها
وتمكّنهم التّام من الانتفاع به باضاءتها ما حولهم وازالته باذهاب النّور النّارىّ واخذ الضّلالة بمقابلته
بملابستهم الظلمات الكثيفه وبقاءهم فيها ويشبّهوا فى التّمثيل الثّانى بالسابلة والقران وما فيه من
العلوم والمعارف الّتى هى مدار الحيوة الابديّة بالصيّب الّذى هو سبب الحيوة الارضيّه وما عرض
لهم بنزوله من الغموم والاحزان وانكساف البال بالظّلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرّعد
والبرق وتصامّهم عمّا يقرع اسماعهم من الوعيد بحال من يهوله الرّعد والبرق فيخاف صواعقه
فيسدّ اذنه منها ولاخلاص له منها واهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه او رفد يحرزونه
بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلّما اضاء لهم وتحيّرهم فى امرهم حين عنّ لهم مصيبة بوقوفهم اذا اظلم
عليهم لكنّ الحمل على التّمثيل المركّب الّذى لا يعتبر فيه تشبيه كلّ واحد من المفردات الواقعة فى احد
الجانبين بواحد من المفردات الواقعة فى الجانب الاٰخر على وجه التّفصيل بل ينتزع فيه من المفردات
الواقعه فى جانب المشبّه هيئة فتشبّه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة فى جانب المشبه
به بان ينتزع من المنافقين واحوالهم المفصّلة فى كلّ واحد من التّمثيلين هيئة على حدة وينتزع
من كلّ واحد من المستوقدين واصحاب الصّيّب واحوالهم المحكيّة هيئة بحيالها فتشبّه كلّ واحدة
من الاولين بما يضاهيها من الاٰخرين هو الّذى يقتضيه جزالة التّنزيل ويستدعيه فخامة شانه
الجليل لاشتماله على التشبيه الاوّل اجمالا مع امر زايد هو تشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بانّ اجتماع
تلك المفردات مستتبع لهيئة عجيبة حقيقة بان يكون مثلا فى الغرابة يا ايّها النّاس اعبدوا ربّكم
اثر ما ذكر الله تعالى علوّ طبقة كتابه الكريم وتحزّب النّاس فى شانه الى فرق ثلث مؤمنة به محافظة
على ما فيه من الشّرائع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهرها بالمجاهرة والشّقاق واخرى مذبذبة
بينهما بالمخادعة والنّفاق ونعت كلّ فرقة منها بما لها من النّعوت والاحوال وبيّن ما لهم من المصير
والمآل اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات من الهم الى الاصغاء وتوجيهًا لقلوبهم نحو التلقّى
وجبرًا لما فى العبادة من الكلفة بلذّة الخطاب فامرهم كافّة بعبادته ونهاهم عن الاشراك به وياحرف
وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد امّا اجلالا كما فى قول الدّاعى
يا الله ويا رب وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصارا لنفسه واستبعادًا لها من محافل الزلفى
ومنازل المقرّبين وامّا تنبيهًا على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على انّ ما يعقبه امر
خطير يعتنى بشانه وايّ اسم مبهم جعل وصلة الى نداء المعرّف باللّام لا على انّه المنادى اصالة
بل على انّه صفة موضحة له مزيلة لابهامه والتزم رفعه مع انتصاب موصوفه محلا اشعارا بانه المقصود
بالنّداء واقحمت بينهما كلمة التنبيه تاكيدا بمعنى النّداء وتعويضا عمّا يستحقّه اىّ من المضاف اليه ولما
ترى من استقلال هذه الطّريقة بضروب من اسباب المبالغة والتّاكيد كثر سلوكها فى التّنزيل
المجيد كيف لا وكلّ ما ورد فى تضاعيفه على العباد من الاحكام والشّرائع وغير ذلك خطوب

جليلة حقيقة بان تقشعر منه الجلود وتطمئن بها القلوب الابية وتتلقوها باذن واعيه واكثرهم
عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتاكيد فى الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة المكلفين
الموجودين فى ذلك العصر لما ان الجموع واسمائها المحلاة باللام للعموم بدليل صحة الاستثناء
منها والتاكيد بما يفيد العموم كما فى قوله تعالى فسجد الملئكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين بعمومها شائعًا ذائعًا واما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير
داخلين فى خطاب المشافهة وانما دخلوهم تحت حكمه لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ضرورة
ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين من المكلفين ولمن سيوجد منهم الى قيام الساعة
ولا يقدح فى العموم ما روى عن علقمة والحسن البصرى من ان كل ما نزل فيه يا ايها الناس
فهو مكى اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من قضية
اختصاصه بهم اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها حينئذ كفرة ولا ضير فى تحقق العبادة فى بعض المكلفين
قبل ورود هذا الامر لما ان المامور به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها
والزيادة فيها مع انها متكررة حسب تكرر اسبابها ولا فى انتفاء شرطها فى الاخرين منهم اعنى
الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا تتم الا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فان
امر المحدث بالصلوة مستتبع للامر بالتوضى لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلوب
ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروى عن ابن عباس رض ان كل ما ورد فى
القران من العبادة فمعناها التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا فى كون بعض من
الفرقتين الاخيرتين ممن لا يجدى فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار
وليس فيه تكليفهم بما ليس فى وسعهم من الايمان بعدم ايمانهم اصلا اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله
فى حكم النص قطعًا وورود النص بذلك فلا جبر اصلا نعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف
ستقف عليه عند قوله تعالى وانتم تعلمون وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضمير المخاطبين لتاكيد موجب الامر بالاشعار بعليتها للعادة الذى خلقكم صفة اجريت عليه سبحانه
للتبجيل والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين
وحمل الرب على ما هو اعم من الرب الحقيقى والالهة التى يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشئ على تقدير
واستواء واصله التقدير يقال خلق الفعل اى قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام
القاف فى الكاف والذين من قبلكم عطف على الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل
فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اى كانوا من
زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم
من الامم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين
يؤدى الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة التى حقها ان يكون

معلومة

معلوم الانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا بنفسه كما
ينطق به قوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور
بحيث لا يتاتى لاحد انكاره وقرى وخلق من قبلكم وقرى والذين من قبلكم باقحام الموصول الثانى بين
الاول وصلته توكيدًا كاقحام اللام بين المضافين فى لا اباك او بجعله موصوفا بالظرف خبر المبتداء
محذوف اى الذين هم اناس كائنون قبلكم لعلكم تتقون المعنى الوضعى لكلمة لعل هو انشاء توقع امر
متردد بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيًا او مكروه فيسمى اشفاقا
وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما فى قولك لعل الله يرحمنى وهو الاصل
الشائع فى الاستعمال لان معانى الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم
فى التلبس التام بالكلام الجارى بينهما كما فى قوله سبحانه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى
وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر فى نفسه مئنية للتوقع متصف
بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت فى الاية
الكريمة جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار
اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها لتعاضد اسبابها
برجاء الراجى من المرجو منه امرًا هين الحصول فى كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه
مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة فى الدلالة على قوة الطلب
وقرب المطلوب من الوقوع واما الى التمثيل بان يلاحظ خلقه تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه
اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة
من الراجى ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال فيستعمل فى الهيئة الاولى ما حقه ان يستعمل
فى الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة فى انتزاع الهيئة المشبه
بها اعنى كلمة الترجى والباقى منوى بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر فى التمثيل كما مر
مرارا واما جعل المشبه ارادته تعالى فى الاستعارة والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال
القائلة بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى فالجملة حال اما فاعل خلقكم اى طالبا منكم التقوى
او من مفعوله وما عطف عليه بطريق تغليب المخاطبين على الغائبين لانهم المامورون بالعبادة
اى خلقكم واياهم مطلوبا منكم التقوى او علة له فان خلقهم على تلك الحال فى معنى خلقهم لاجل
التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا او كى تتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة
الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنه واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هى ثمرة له منزلة ترتب
الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان
يكون هى علة غائية لها بحيث لولاها لم اقدم عليها لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال والعلة
لتكميل عليته للمامور به وتاكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل فى الوجوب وايثار تتقون على

تعبدون مع موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجنّ والانس الّا ليعبدون للمبالغة فى ايجاب العبادة
والتّشديد فى الزامها لما انّ التّقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا الزمتهم كان ما هو ادنى منها
الزم والاتيان به اهون وان روعيت جهة المخاطب فلعلّ فى معناها الحقيقى والجملة حال من ضمير
اعبدوا كانّه قيل اعبدوا ربّكم راجين للانتظام فى زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على انّ
المراد بالتّقوى مرتبتها الثّالثة الّتى هى التّبتّل الى الله عزّ وجلّ بالكلّيّة والتّنزّه عن كلّ ما يشغل سرّه
عن مراقبته وهى اقصى غايات العبادة الّتى يتنافس فيه المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك
بين انشائه والثّبات عليه ليرتجيه ارباب هذه المرتبه وما دونها من مرتبتى التوقى عن العذاب
المخلّد والتجنب عن كلّ ما يؤثّم من فعل او ترك كما مرّ فى تفسير المتقين ولعلّ توسيط الحال من الفاعل
وصفى المفعول لما فى التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاوّل معظم الرّبوبيّه وكونه
عريقا فى ايجاب العبادة وفى التّاخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقّق التّوقع بالفعل
فامّا ان اعتبر تحققه بالقوّة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه الطّريقة المذكورة اى
خلقكم وايّاهم حال كونكم جميعًا بحيث يرجو منكم كلّ راج ان تتّقوا فانّه سبحانه وتعالى لمّا برا
بهم مستعدّين للتّقوى جامعين بمباديها الآفاقيّة والانفسيّه كان حالهم بحيث يرجو منهم كلّ
راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقّق الرّجاء قطعًا واعلم انّ الآية الكريمة
مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى وتحتّم عبادته على كافّة النّاس مرشدة لهم باشارتها
الى انّ مطالعة الايات التكوينيّة المنصوبة فى الانفس والآفاق ممّا يقضى بذلك قضاء متقنا وقد
بيّن فيها اوّلا من تلك الايات ما يتعلّق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة
واظهر دلالة ثمّ عقّب بما يتعلّق بمعاشهم فقيل الّذى جعل لكم الارض فراشا وهو فى محل النّصب
على انّه صفة ثانية لربّكم موضحة او مادحة او على تقدير اخصّ او امدح او فى محلّ الرّفع على المدح
والتّعظيم بتقدير المبتداء قال ابن مالك التزم حذف الفعل فى المنصوب على المدح اشعارا بانّه
انشاء كما فى المنادى وحذف المبتداء فى المرفوع اجراء للوجهين على سنن واحد وامّا كونه مبتداء خبره
فلا يجعلوا كما قيل فيسدعى ان يكون مناط النّهى ما فى حيّز الصّله فقط من غير ان يكون لما سلف
من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل فى ذلك مع كونه اعظم شانا وجعل بمعنى صيّر والمنصوبات
بعده مفعولا وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثّانى على الحاليه والظّرف متعلق به على التقديرين
وتقديمه على المفعول الصّريح لتعجيل المسرّة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين وللتشويق
اليه لانّ النّفس عند تاخير ما حقّه التّقديم لا سيّما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكّن
عند وروده عليها فصل تمكّن او لما فى المؤخّر وما عطف عليه من نوع طول فلو قدّم لفات تجاذب
اطراف النّظم الكريم ومعنى جعلها فراشًا جعل بعضها بارزًا من الماء مع اقتضاء طبعها الرّسوب
وجعلها متوسّطة بين الصّلابة واللّين صالحة للقعود عليها والنّوم فيها كالبساط المفروش وليس

من ضرورة

من ضرورة ذلك كونها سطحًا حقيقيّا فان كريّة شكلها مع عظم جرمها مصحّحة لافتراشها وقرئ
بساطا ومهادا والسّماء بناء عطف على المفعولين السّابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها
وانتفاعهم بها اكثر واظهر اى جعلها قبّة مضروبة عليكم والسّماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدّد
او جمع سماوة او سماة والبناء فى الاصل مصدر سمّى به المبنىّ بيتا كان او قبّة او خباء ومنه قولهم
بنى على امراته لما انّهم كانوا اذا تزوّجوا امراة ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السّماء ماء
عطف على جعل اى انزل من جهتها او منها الى السّحاب ومن السّحاب الى الارض كما روى ذلك
عنه صلّى الله عليه وسلم او المراد من السّماء جهة العلوّ كما ينبئ عنه الاظهار فى موقع وهو على
الاوّلين لزيادة التّقرير ومن لابتداء الغاية متعلّقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول
اى كائنا من السّماء قدّم عليه لكونه نكرة وامّا تقديم الظّرف على الوجه الاوّل مع انّ حقّه التّاخير
عن المفعول الصّريح فامّا لانّ السّماء اصله ومبتداؤه وامّا لما مرّ من التّشويق اليه مع ما فيه من
مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى فاخرج به اى بسبب الماء من السّماء رزقا لكم وذلك بان
اودع فى الماء قوّة فاعلة وفى الارض قوّة منفعلة فتولّد من تفاعلهما اصناف الثّمار او بان اجرى
عادته باضافة صور الثمار وكيفيّاتها المتخالفة على المادّة الممتزجه منهما وان كان المؤثّر فى الحقيقه
قدرته تعالى ومشيّته فانّه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا مباد ومواد كما ابدع نفوس
المبادى والاسباب لكن له عزّ وجل فى انشائها متقلّبة فى الاحوال ومتبدّلة فى الاطوار من
بدائع حكم باهرة تجدّد ولاولى الابصار عبرا ومزيد طمانينة الى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس
فى ابداعها بغتة ومن للتّبعيض لقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعنى ماء
ورزقا كانّه قيل وانزل من السّماء بعض الماء فاخرج به بعض الثّمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا
الواقع اذ لم ينزل من السّماء كلّ الماء ولا اخرج من الارض كلّ الثّمرات ولا جعل كلّ المرزوق
ثمارا او للتّبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثّمرات بيان او حال منه كقولك انفقت
من الدّراهم الفًا ويجوز ان يكون من الدّراهم مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج
لانه بمعنى رزق وانّما شاع ورود الثّمرات دون الثّمار مع انّ الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثّمرات
جماعة الثّمرة فى قولك ادركت ثمرة بستانه ويؤيّده القراءة على التّوحيد او لانّ الجموع يقع بعضها
موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنّات وعيون وقوله تعالى ثلثة قروء او لانّها محلّاة
باللام خارجة عن حدّ القلّة واللّام متعلّقة بمحذوف وقع صفة لرزقًا على تقدير كونه بمعنى المرزوق
اى رزقا كائنا لكم او دعامة لتقوية عمل رزقا على تقدير كونه مصدرا كانّه قيل رزقا ايّاكم
فلا تجعلوا لله اندادًا امّا متعلّق بالامر السّابق مترتّب عليه كانّه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا
شانه من التّفرّد بهذه النّعوت الجليلة والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانّما قيل اندادًا
باعتبار الواقع لا لانّ مدار النّهى هو الجمعيّه وقرئ ندّا وايقاع الاسم الجليل موقع الضّمير لتعيين

المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعليل الحكم بوصف الالوهية التى عليها يدور امر الوحدانية
واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لسائر الصفات واما معطوف عليه كما فى قوله تعالى
اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفاء للاشعار بعلية ما قبلها من الصفات المجرات عليه تعالى
للنهى والانتهاء او لان مآل النهى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المترتب على اصلها كانه
قيل اعبدوه فخصوها به والاظهار فى موضع الاضمار لما مر آنفا وقيل هو نفى منصوب باضمار ان
جوابا للامر ويأباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثانى ولا ريب فى ان العبادة لا تكون سببا
للتوحيد الذى هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع فى قوله تعالى لعلى ابلغ
الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى اى خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث
كان مدار هذا النصب تشبيه لعل فى بعد المرجو بليت كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو
القريب بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذى جعل اه على تقدير رفعه على
المدح اى هو الذى حفكم بهذه الآيات العظام والدلايل النيرة فلا تتخذوا له شركاء وفيه ما مر
من لزوم كون خلقهم وخلق اسلافهم بمعزل من مناطية النهى مع عراقتهما فيها وقيل هو خبر للموصول
بتاويل مقول فى حقه وقد عرفت ما فيه مع لزوم المصير الى مذهب الاخفش فى تنزيل الاسم الظاهر
منزلة الضمير كما فى قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المنادى من ند
ندودا اذا نفر وناوده خالفه خص بالمخالف المماثل بالذات كما خص المساوى بالمماثل فى المقدار
وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى فى صفاته
ولا انها تخالفه فى فعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتها وسموها آلهة شابهت حالهم
حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله عز وجل وتمنحهم ما لم
يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان جعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند
واحد وفى ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل أربا واحدا ام الف رب ادين اذا
تقسمت الامور تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وقوله تعالى **وانتم
تعلمون** حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهى من قبح المنهى عنه ووجوب
الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب
عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقائق الامور واصابة الرأى او مقدر حسبما يقتضيه
المقام نحو وانتم تعلمون بطلان ذلك او تعلمون انه لا يماثله شئ او تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت
او تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كما فى قوله تعالى هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئ او غير
ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذى يستدعيه عموم
الخطاب فى النهى بجعل المنهى عنه قدر المشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة
والثبات عليه كما هو شان المؤمنين حسبما مر مثله فى الامر واما صرف التقييد الى نفس النهى

فيستدعى تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة لا يتسنى ذلك بطريق قصر النهى على حالة العلم ضرورة
شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتاتى بطريق المبالغة فى التوبيخ والتقريع
بناء على ان تعاطى القبايح من العالمين بقبحها اقبح وذلك انما يتصور فى حق الكفرة فمن صرف التقييد
الى نفس النهى مع تعميم الخطاب للمؤمنين ايضا فقد ناى عن التحقيق ان قلت اليس فى تخصيصه بالكفرة
فى الامر والنهى خلاص من امثال ما مر من التكلفات وحسن انتظام بين السباق والسياق اذ لا
مجيد فى آية التحدى من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رباء محل المؤمنين
ورفع شانهم عن حيز الانتظام فى سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما
مر فى صدر السورة الكريمة مستغنون فى ذلك عن الامر والنهى قلت بلى انه وجه سرى ونهج سوى
لا ينصل من ذهب اليه ولا يذل من ثبت قدمه عليه فتامل **وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا**
شروع فى تحقيق ان الكتاب الكريم الذى من جملته ما تلى من الآيتين الكريمتين الناطقتين
بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم كما ان
ما ذكر فيهما من الآيات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر فى
مطلع السورة الشريفة من النعوت الجليلة التى من جملتها تنزهه عن ان يعتريه ريب ما والتعبير
عن اعتقادهم فى حقه بالريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان
كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا فى غاية ما يكون فى المكابرة
والعناد وهو الارتياب فى شانه واما الجزم المذكور فخارج عن دائرة الاحتمال كما ان تنكيره وتصديره
بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا مشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك
بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الاعجاز ونهاية قوتها وانما لم يقل وان ارتبتم فيما نزلنا
الخ لما اشير اليه فيما سلف من المبالغة فى تنزيه ساحة التنزيل عن شائبة وقوع فمن جهتهم لا من جهته
العالية واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافى اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك
هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن فى مما ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وحملها
على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب فى الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة كانت او موصوفة
عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى كونهم فى ريب
منه ارتيابهم فى استقامة معانيه وصحة احكامه بل فى نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وعلا
وايثار التنزيل المنبئ عن التدريج على مطلق الانزال لتذكير منشاء ارتيابهم وبناء التحدى عليه ارخاء
للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى انكاره فجعل ذلك من مبادى الاعتراف
به كانه قيل ان ارتبتم فى شان ما نزلناه على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذة من نوبه ونجم
فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل جملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون
فى التبكيت وازاحة العلل وفى ذكره صلى الله عليه وسلم بعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة

من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عزّ وجلّ وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرئ
على عبادنا والمراد هو عليه السّلام وامّته او جميع الانبياء عليهم السّلام ففيه ايذان بانّ الارتياب
فيما انزل من قبله لكونه مصدقاً له ومهيمناً عليه والامر فى قوله تعالى فاتوا بسورة من باب التعجيز
والقام الحجر كما قوله تعالى فات بها من المغرب والفاء للجواب وسببيّة الارتياب للامر والاتيان
بالماموربه لما اشير اليه من انّه عبارة عن جزمهم المذكور فانّه سبب للاوّل مطلقاً وللثانى
على تقدير الصّدق كانّه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فاتوا بمثله لانّكم
تقدرون على ما يقدر عليه سائر بنى نوعكم والسّورة الطّائفة من القران العظيم المترجمة
واقلّها ثلث ايات وواوها اصليّة منقولة من سور البلد لانّها محيطة بطائفة من القران مفرزة
محوزة على حيالها او محتوية على فنون رائقة من العلم احتواء سور بالمدينة على ما فيها او من السّورة
الّتى هى الرّتبة قال ولرهط حرّاب وقدّ سورة فى المجد ليس غرابها بمطار فانّ سور القران
مع كونها فى انفسها رتباً من حيث الفضل والشّرف او من حيث الطّول والقصر فهى من حيث
انتظامها مع اخواتها فى المصحف مراتب يرتقى اليها القارى شيئاً فشيئاً وقيل واوها مبدلة من
الهمزة فمعناها البقيّة من الشّئ ولا يخفى ما فيه ومن فى قوله تعالى من مثله بيانيّة متعلّقة بمحذوف
وقع صفة لسورة والضّمير لما نزلنا اى سورة كائنة من مثله فى علوّ الرّتبة وسموّ الطبقة والنّظم
الرّائق والبيان البديع وحيازة ساير نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضيّة يوهم انّ له مثلاً محقّقاً
قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانّه قيل فاتوا ببعض ما هو مثل له فلا يفهم منه المماثلة
من تتمّة المعجوز عنه فضلاً عن كونها مدار للعجز مع انّه المراد وبناء الامر على المجاراة معهم
بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او على التهكّم بهم يا باه ما سبق من تنزيله
منزلة الرّيب فان مبنى التهكّم على تقدير تسليم ذلك منهم وتسويغه ولو بغير جدّ وقيل هى زائدة
كما هو راى الاخفش بدليل قوله تعالى فاتوا بسورة مثله بعشر سور مثله وقيل هى ابتدائيّة فالضّمير
حينئذ للمنزّل عليه حتماً لما انّ رجوعه الى المنزل يوهم انّ له مثلاً محقّقاً قد ورد الامر التعجيزىّ
بالاتيان بشئ منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزّل عليه فانّ تحقّق مثله عليه السّلام
فى البشريّة والعربيّة والاميّة يهوّن الخطب فى الجملة خلا انّ تخصيص التحدّى بفرد يشاركه عليه
السّلام فيما ذكر من الصّفات المنافية للاتيان بالماموربه لا يدلّ على عجز من ليس كذلك من
علمائهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك فى الجملة فرادى او مجتمعين مع انّه يستدعى عراء المنزّل
عمّا فصل من النّعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فاين هذا من تحدّى امّة جمّة وامرهم بان
يحتشروا فى حبلة المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى وادعوا شهداءكم من
من دون الله ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير مماثل فى صفات الكمال لما اتى بجملته واحد من
ابناء جنسهم والشّهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشّهادة او النّاصر ومعنى دون ادنى مكان

من شئ يقال هذا دون ذاك اذا كان احطّ منه قليلاً ثمّ استعير للتفاوت فى الاحوال والرّتب فقيل
زيد دون عمرو اى الفضل والرّتبة ثمّ اتّسع فاستعمل فى كلّ تجاوز حدّ الى حدّ وتخطّى حكم الى حكم
من غير ملاحظة انحطاط احدهما من الاخر فجرى مجرى اداة الاستثناء وكلمة من امّا متعلّقة بادعوا
فيكون لابتداء الغاية والظّرف مستقرّ والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار من حضركم
كائناً من كان او الحاضرين فى مشاهدكم ومحاضركم من رؤسائكم واشرافكم الّذين تفزعون اليهم
فى الملمّات وتعوّلون عليهم فى المهمّات او القائمين بشهاداتكم الجاريه فيما بينكم من امنائكم
المتولّين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة والقائمين بنصرتكم حقيقةً او زعماً من
الانس والجنّ ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى من حكم الدّعاء فى الاوّل مع اندراجه فى الحضور
لتاكيد تناوله لجميع ما عداه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلّفوه فانّ ذلك ممّا يوهم
انّهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه وامّا فى ساير الوجوه فللتصريح من اوّل الامر ببراءتهم منه تعالى
وكونهم فى عدوة المحادّة والمشاقّة له قاصرين استظهارهم على ما سواه والالتفات لادخال الرّوعة
وتربية المهابة وقيل المعنى من دون اولياء الله شهداءكم الّذين هم وجوه النّاس وفرسان المقاولة
والمناقلة ليشهدوا لكم انّ ما اتيتم به مثله ايذاناً بانّهم يابون ان يرضوا لانفسهم الشّهادة بصحّة
ما هو بيّن الفساد وجلىّ الاستحالة وفيه انّه يؤذن بعدم شمول التحدّى لاولئك الرّؤساء
وقيل المعنى ادعوا شهداءكم فصحّحوا بهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قائلين الله يشهد انّ ما ندّعيه
حقّ فانّ ذلك ديدن المحجوج وفيه انّه ان اريد بما يدعون حقيّته ما هم عليه من الدّين
الباطل فلا مساس له بمقام التحدّى وان اريد مثليّة ما اتوا به للمتحدّى به فمع عدم ملائمته لابتداء
التحدّى يوهم انّهم قد تصدّوا للمعارضة واتوا بشئ مشتبه الحال متردّد بين المثليّة وعدمها وانّهم
ادّعوها مستشهدين فى ذلك بالله سبحانه ان عند ذلك تمسّ الحاجة الى الامر بالاستشهاد
بالنّاس والنّهى عن الاستشهاد به تعالى وانّى لهم ذلك وما نبض لهم عرق ولا نبسوا ببنت
شفة وامّا متعلّقة بشهداءكم والمراد الاصنام ودون بمعنى التجاوز على انّها ظرف مستقرّ
وقع حالاً من ضمير المخاطبين والعامل ما دلّ عليه شهداءكم اى ادعوا اصنامكم الّذين اتّخذتموهم
الهة متجاوزين الله فى اتّخاذها كذلك وكلمة من ابتدائيّة فانّ الاتخاذ ابتداء من التجاوز والتعبير
عن الاصنام بالشّهداء لتعيين مدار الاستظهار بها بتذكير ما زعموا من انّها بمكان من الله
تعالى وانّها تنفعهم بشهادتها لهم انّهم على الحقّ فانّ ما هذا شانه يجب ان يكون ملاذهم فى كلّ
امرهم وملجاء يأوون اليه فى كلّ خطب ملمّ كانّه قيل اولئك عدّتكم فادعوهم لهذه الداهية
التى دهمتكم فوجه الالتفات الايذان بكمال سخافة عقولهم حيث اثروا على عبادة من له الالوهيّة
الجامعة لجميع صفات الكمال عبادة ما لا احقر منه وقيل لفظة دون مستعارة من معناها الوضعى
الذى هو ادنى مكان من شئ لقدّامه كما فى قول الاعشى تريك القذى من دونها وهى دونه

اى تريك القذى قدّامها وهى قدّام القذى فيكون ظرفا لغوا معمولا لشهداء كم لكفايته رايحة
الفعل فيه من غير حاجة الى اعتماد ولا الى تقدير يشهدون اى ادعوا شهداء كم الّذين يشهدون
لكم بين يدى الله تعالى ليعينوكم فى المعارضة وايرادها بهذا العنوان لما مرّ من الاشعار
بمناط الاستعانة بها ووجه الالتفات تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فانّ ما يقوم لهذا
الامر فى ذلك المقام الخطير حقّه ان يستعان به فى كلّ مرام وفى امرهم على الوجهين بان
يستظهروا فى معارضة القرآن الّذى اخرس كلّ منطيق بالجماد من التّهكم بهم ما لا يوصف
وكلمة من ههنا تبعيضيّة لما انّهم يقولون جلس بين يديه وخلفه بمعنى فى لانّهما ظرفان للفعل
ومن بين يديه ومن خلفه لانّ الفعل انّما يقع فى بعض تينك الجهتين كما تقول جئته من اللّيل
تريد بعض اللّيل وقد يقال كلمة من الدّاخلة على دون فى جميع المواقع بمعنى فى كما فى سائر
الظّروف التى لا تتصرّف ويكون منصوبة على الظّرفية ابدا ولا ينجرّ الا بمن خاصّة وقيل المراد
بالشّهداء مدار القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقرّ ومن ابتدائيّة اى ادعوا
الّذين يشهدون لكم انّ ما اوتيتم به مثله متجاوزين فى ذلك اولياء الله ومحصّله شهداء مغايرين
لهم ايذانا بانّهم ايضا لا يشهدون بذلك وانّما قدّر المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فانّ
اولياء الله تعالى يقابلون اولياء الاصنام كما انّ ذكر الله يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا
الامر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية التّبكيت كانّه قيل تركنا الزامكم بشهداء لا يميل لهم
لاحد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهدائكم المعروفين بالذبّ عنكم فانّهم ايضا لا يشهدون
لكم حذارا من اللّائمة وانفة من الشّهادة البيّنة البطلان كيف لا وامر الاعجاز قد بلغ من الظّهور
الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه ما مرّ من عدم الملائمة لابتداء التّحدى وعدم تناوله
لاولئك الشّهداء وايهام انهم تعرضوا للمعارضة واتوا بشئ احتاجوا فى اثبات مثليّته للمتحدّى به
الى الشهادة وشتّان بينهم وبين ذلك ان كنتم صادقين اى فى زعمكم انه من كلامه عليه
السّلام وهو شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله
الخ واستلزام المقدّم للتّالى من حيث ان صدقهم فى ذلك الزّعم يستدعى قدرتهم على الاتيان
بمثله بقضيّة مشاركتهم له عليه السّلام فى البشريّة والعربيّة مع ما بهم من طول الممارسة للخطب
والاشعار وكثرة المزاولة لاساليب النّظم والنّثر والمبالغة فى حفظ الوقايع والايّام لا سيّما
عند المظاهرة والتّعاون ولا ريب فى انّ القدرة على الشّئ من موجبات الاتيان به ودواعى
الامر به فان لم تفعلوا اى ما امرتم به من الاتيان بالمثل بعد ما بذلتم فى السّعى غاية المجهود
وجاوزتم فى الجدّ كلّ حدّ معهود متشبّثين بالذّيول راكبين متن كلّ صعب وذلول وانّما
لم يصرّح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهور تهالكهم على ذلك وانّما اورد فى حيّز
الشّرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المامور به مفعولا له للايجاز البديع المغنى عن التّطويل

والتكرير

والتّكرير عن سرّ سرىّ استقل به المقام وهو الايذان بانّ المقصود بالتّكليف هو ايقاع نفس
الفعل المامور به لاظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول اى المأتىّ به ضرورة استحالته وانّ مناط
الجواب فى الشّرطيّة اعنى الامر باتّقاء النّار هو عجزهم عن ايقاعه لا فوت حصول المفعول فانّ
مدلول لفظ الفعل هو انفس الافعال الخاصّة لازمة كانت او متعدّية من غير اعتبار تعلّقاتها
بمفعولاتها الخاصّة فاذا علّق بفعل خاصّ معتدّ فانّما يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه
من القوّة الى الفعل وامّا تعلّقه بمفعوله المخصوص فهو خارج عن مدلول الفعل المطلق وانّما
يستفاد ذلك من الفعل الخاصّ ولذلك تراهم يتوصّلون بذلك الى تجريد الافعال المتعدّية
عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللّازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطى ويمنع
يفعل الاعطاء والمنع يرشدك الى هذا قوله تعالى فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى ولا
تقربون بعد قوله ائتونى باخ لكم من ابيكم فانّه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالامر
ومرمىّ غرضه بالتّكليف منه استحضار بنيامين لم يكتف فى الشّرطيّة الدّاعية لهم الى الجدّ
فى الامتثال والسّعى فى تحقّق المامور به بالاشارة الاجماليّة الى الفعل الّذى ورد به الامر بان
يقول فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه متعلّقا بمفعوله لمطلبه واعرابا عن مقصده هذا وقد
قيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلّق به امّا على طريقة التّعبير عن الاسماء الظّاهرة
بالضماير الرّاجعة اليها حذرا من التّكرار وعلى طريقة ذكر اللّازم وارادة الملزوم لما بينهما
من التلازم المصحّح للانتقال بمعونة قرائن الحال فتدبّر وايثار كلمة ان المفيد للشّك على اذا
مع تحقّق الجزم بعدم فعلهم مجارات معهم بحسب حسبانهم قبل التّجربة او تهكّم بهم ولن تفعلوا
كلمة لن لنفى المستقبل كلا خلا انّ فى لن زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان
وعند الفرّاء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف مقتضب للمعنى المذكور وهى احدى
الرّوايتين عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئى الشّرطيّه مقرّر لمضمون مقدّمها او مؤكّد
لايجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاصّ علمه به عزّ وجل وقد وقع
الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشئ يدانيه فى الجملة لتناقله الرّواة خلفا عن سلف فاتّقوا
النّار جواب للشّرط على انّ اتقاء النّار كناية عن الاحتراز من العناد اذ بذلك يتحقّق تسبّبه
عنه وترتّبه عليه كانّه قيل فاذا عجزتم عن الاتيان بمثلها كما هو المقرّر فاحترزوا عن انكار
كونه منزلا من عند الله سبحانه فانّه مستوجب للعقاب بالنّار لكن اوثر عليه الكناية
المذكورة المبنيّة على تصوير العناد بصورة النّار وجعل الاتصاف به عين الملابسة بها للمبالغة
فى تهويل شانه وتفظيع امره واظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه و
حثّهم على الجدّ فى تحقيق المكنىّ عنه وفيه من الاعجاز البديع ما لا يخفى حيث كان فى الاصل فان
لم تفعلوا فقد صحّ صدقه عندكم واذا صحّ ذلك كان لزومكم العناد وترككم الايمان به سببا

لاستحقاقكم العذاب بالنار فاحترزوا منه واتقوا النار **التي وقودها الناس والحجارة** صفة للنار مورثة لهذا زيادة هول وفظاعة اعاذنا الله من ذلك والوقود ما يوقد به النار وترفع من الحطب وقرئ بضم الواو وهو مصدر سمي به المفعول مبالغة كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده والمعنى انها من الشدة بحيث لاتمس شيئا من رطب او يابس الا احرقته لا كنيران الدنيا تفتقر في الالتهاب الى وجود من حطب او حشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول مقتضية لكون انتسابها الى ما نسبت هي اليه معلوما للمخاطب بناء على انهم سمعوه من اهل الكتاب قبل ذلك او من الرسول صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الاية المدنية قوله تعالى نارا وقودها الناس والحجارة فاشير ههنا الى ما سمعوه اولا وكون سورة التحريم مدنية لايستلزم كون جميع اياتها كذلك كما هو المشهور واما ان الصفة ايضا يجب ان يكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب فالخطب فيه مبين لما ان المخاطب هناك المؤمنون وظاهر انهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة الاصنام وبالناس انفسهم حسبما ورد في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية **اعدت للكافرين** اى هيئت للذين كفروا بما نزلنا وجعلت عدة لعذابهم والمراد اما جنس الكفار والمخاطبون داخلون فيهم دخولا اوليا واما هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان مخلوقة موجودة الان والجملة استيناف لامحل لها من الاعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لايجاب العمل به ومبنية لمن اريد بالناس وافقة لاحتمال العموم وقيل حال باضمار قد من النار لا من ضميرها في وقودها لما في ذلك من الفصل بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف **وبشر الذين امنوا** اى بانه منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على ان المقصود عطف نفس الامر حتى يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة المؤمنين بالقران ووصف ثوابهم على قصة الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب بالوعد بالوعيد وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر الفعل مبنيا للمفعول عطفا على اعدت فيكون استينافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة فضلا من ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين بالاتقاء على احداث الايمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل من يتاتى منه التبشير كما في قوله عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم

القيمة فانه عليه السلام لم يامر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتاتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر لعظمه وفخامة شانه حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح اوائل ضوئه **وعملوا الصالحات** الصالحة كالحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير الى امهاتها في مطلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت حال المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس والعمل الصالح كالبناء عليه ولا غناء باس لا بناء به **ان لهم جنات** منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل لافعلن والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير كان عيني في غربي مقتلة من النواضح تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا كانها لفرط تكاثفها و التفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس السترة وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر ح ان يكون ماخوذا من الفعل المبني للمفعول وانما سميت دار الثواب بها مع ان فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكره ابن عباس رض جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة الماوى ودار السلام وعليون وفي واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها **تجري من تحتها الانهار** في حيز النصب على انه صفة جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير اي من تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنس على الكل عن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الراس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله عز وعلا فيها انهار من ماء غير اسن الاية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي او المجاري انفسها وقد اسند اليه الجريان مجازا عقليا كما سال الميزاب **كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** صفة اخرى لجنات اخرت عن الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار ذاتها وهذا وصف لها باعتبار اهلها المتمتعين بها او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستانفة كانه حين وصفت الجنات بما ذكر من الصفة

وقع فى ذهن السّامع ان ثمارها كثمار جنات الدّنيا اولا فبيّن حالها وكلّما نصب على الظّرفيه و رزقا
مفعول به ومن الاولى والثّانيه للابتداء واقعتان موقع الحال كانّه قيل كلّ وقت رزقوا مرزوقا
مبتدئا من الجنّات مبتدا من ثمرة على انّ الرزق مقيّد بكونه مبتدئا من الجنّات وابتداؤه منها
مقيّد بكونه مبتدا من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثّانيه ضمير المستكن فى
الحال و يجوز كون من ثمرة بيانا تقدّم على المبيّن كما فى قولك رايت منك اسدًا وهذا اشارة
الى ما رزقوا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانّك
وان اشرت الى ما تعاينه بحسب الظّاهر لكنّك انّما تعنى بذلك النّوع المعلوم المستمرّ فالمعنى
هذا مثل الّذى رزقناه من قبل اى من قبل هذا الدّنيا ولكن لما استحكم الشّبه بينهما جعل
ذاته ذاته وانّما جعل ثمر الجنّة كثمار الدّنيا لتميل النّفس اليه حين تراه فان الطّباع مائلة الى
المالوف متنفرّة عن غير معروف وليتبين لها مزيّته وكنه النّعمة فيه اذ لو كان جنسا غير
معهود لظنّ انه لا يكون الّا كذلك او مثل الّذى رزقناه من قبل فى الجنّة لانّ طعامها متشابه
الصّور كما يحكى عن الحسن رضى الله عنه انّ احدهم يؤتى بالصّحفه فياكل منها ثمّ يؤتى باخرى
فيراها مثل الاولى فيقول الملائكة كل فاللّون واحد والطّعم مختلف او كما روى انه صلعم
قال والّذى نفسى بيده انّ الرّجل من اهل الجنّة ليتناول الثمرة لياكلها فما هى واصله الى فيه
حتى يبدّل الله تعالى مكانها مثلها والاوّل انسب لمحافظة عموم كلّما فانّه يدلّ على ترديدهم
هذه المقالة كلّ مرّة رزقوا الا فيما عدا المرّة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب
لما بينهما من التّفاوت العظيم من حيث اللّذة مع اتّحادهما فى الشّكل واللّون كانّهم قالوا هذا
عين ما رزقناه فى الدّنيا فمن اين له هذه الرّتبه من اللّذة والطّيب ولا يقدح فيه ما روى
عن ابن عباس رض من انه ليس فى الجنّة من اطعمة الدّنيا الّا الاسم فان ذلك لبيان كمال
التفاوت بينهما من حيث اللّذة والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف و
اطلاق الاسماء منوط بالاتّحاد النّوعى قطعًا هذا وقد فسّرت الآية الكريمة بانّ مستلذّات
اهل الجنّة بمقابلة ما رزقوا فى الدّنيا من المعارف والطّاعات متفاوتة الحال فيجوز ان يريدوا
هذا ثواب الذى رزقناه فى الدّنيا من الطّاعات ولا يساعد تخصيص ذلك بالثّمرات فانّ
الجنّه وما فيها من فنون الكرامات من قبيل ثواب الطّاعات واتوا به متشابهًا اعتراض مقرّر
لما قبله والضمير المجرور على الاوّل راجع الى ما دلّ عليه فحوى الكلام ممّا رزقوا فى الدّارين
كما فى قوله تعالى ان يكن غنيّا او فقيرا فالله اولى بهما اى بجنسى الغنى والفقير وعلى الثّانى الى
الرّزق **ولهم فيها ازواج مطهّرة** اى ممّا فى نساء الدّنيا من الاحوال المستقذرة كالحيض والدّرن
ودنس الطّبع وسوء الخلق فانّ التّطهّر يستعمل فى الاجسام والاخلاق والافعال وقرى مطهّرات
وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهنّ فاعلة وفواعل قال   واذا العذارى

بالدخان تقنّعت   واستعجلت نصب القدور فملّت   فالجمع على اللّفظ والافراد على تاويل الجماعة
وقرئ مطهّرة بتشديد الطّاء وكسر الهاء بمعنى متطهّرة ومطهّرة ابلغ من طاهرة ومتطهّرة للاشعار
بان مطهّرا طهّرهن وما هو الّا الله سبحانه تعالى وامّا التّطهّر فيحتمل ان يكون من قبل انفسهنّ
كما عند اغتسالهنّ والزّوج يطلق على الذّكر والانثى وهو فى الاصل اسم لما له قرين من جنسه
وليس فى مفهومه اعتبار التّوالد الّذى هو مدار بقاء النّوع حتّى لا يصحّ اطلاقه على ازواج
اهل الجنّه لخلودهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما انّ المدارية لبقاء الفرد ليست بمعتبرة فى
مفهوم اسم الرّزق حتّى يخلّ ذلك باطلاقه على ثمار الجنّة **وهم فيها خالدون** اى دائمون والخلود
فى الاصل الثّبات المديد دام اولم يدم ولذلك قيل للاثافى والاحجار الخوالد وللجزء الّذى
يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان للدّوام لمّا قيّد بالتّابيد فى قوله عزّ قائلا خالدين
فيها ابدًا ولما استعمل حيث لا دوام فيه لكن المراد ههنا الدّوام قطعًا لما يقضى به من الآيات
والسّنن وما قيل من انّ الابدان مؤلّفة من الاجزاء المتضادّة فى الكيفيّة معرّضة للاستحالات
المؤدّية الى الانحلال والانفكاك مدارة قياس ذلك العالم الكامل بما يشاهد فى عالم الكون
والفساد على انّه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتورها الاستحالة ولا يعتريها الانحلال
قطعا بان يجعل اجزاؤها متفاوتة فى الكيفيّات متعادلة فى القوى بحيث لا يقوى شئ منها
عند التّفاعل على احالة الآخر متعانقة متلازمة لا ينفكّ بعضها عن بعض ويبقى هذه النّسبة
منحفظة فيما بينها ابدا لا يعتريها التّغير بالاكل والشّرب والحركات وغير ذلك واعلم انّ معظم
اللّذّات الحسّيه لما كان مقصورًا على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقضى به الاستقراء
وكان ملاك جميع ذلك الدّوام والثّبات اذ كل نعمة وان جلّت حيث كانت فى شرف الزّوال
ومعرض الاضمحلال فانها منغصّة غير صافيه من شوائب الالم بشّر المؤمنين بها وبدوامها
تكميلا للبهجة والسّرور اللّهمّ وفّقنا لمراضيك وثبّتنا ما يؤدى اليه من العقد والعمل
انّ الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة شروع فى تنزيه ساحة التّنزيل عن تعلّق ريب
خاصّ اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحقّ اثر
تنزيهها عمّا اعتراهم من مطلق الرّيب بالتّحدّى والقام الحجر وافحام كافة البلغاء من اهل
المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عبّاس رض انّ المنافقين طعنوا فى ضرب الامثال بالنّار
والظّلمات والرّعد والبرق وقالوا الله اجلّ واعلى من ضرب الامثال وروى عطاء عنه رض
انّ هذا الطّعن كان من المشركين وروى عنه ايضا انه لمّا نزّل قوله تعالى يا ايها النّاس
ضرب مثل فاستمعوا له الاية وقوله تعالى مثل الّذين اتّخذوا من دون الله اولياء قالت اليهود
اىّ قدر للذّباب والعنكبوت حتّى يضرب الله تعالى بهما المثل وجعلوا ذلك ذريعة الى انكار
كونه من عند الله تعالى مع انه لا يخفى على احد ممّن له تميز انّه ليس ممّا يتصوّر فيه التّردد

فضلا عن النكير بل هو من اوضح ادلّة كونه خارجا من طوق البشر نازلا من عند خلّاق القوى
والقدر وكيف لا وان التمثيل كما مرّ ليس الّا ابراز المعنى المقصود فى معرض الامر المشهود وتحلية
المعقول بحلية المحسوس وتصويرا وابد المعالى بهيئة المانوس لاستمالة الوهم واستنزاله
عن معارضته للعقل واستعصائه عليه فى ادراك الحقائق الخفية وفهم الدّقائق الابيّة
كى يتابعه فيما يقتضيه ويتابعه الى ما يرتضيه ولذلك شاعت الامثال فى الكتب الالهيّة
والكمالات النّبويّه وذاعت فى عبارات البلغاء واشارات الحكماء ومن قضيّة وجوب
التماثل بين الممثّل والممثل به فى مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثّل
فى الانجيل غلّ الصّدر بالنّخالة ومعارضة السّفهاء باثارة الزّنابير وجاء فى عبارات البلغاء
اجمع من ذرّة واجراب من الذّباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك
مما لا يكاد يحصى والحياء تغيّر النّفس وانقباضها عمّا يعاب به او يذمّ عليه يقال حيّ الرّجل وهو
حيّ واشتقاقه من الحيوة اشتقاق شطئ ونسى وحشى من الشّطا والنّسا والحشا يقال شطى
الفرس ونسى وحشى اذا اعتلّت منه تلك الاعضاء كانّ من يعتريه الحياء يعتل قوّته الحيوانيّة
وتنتقص واستحيى بمعناه خلا انّه يتعدى الّا بحرف الجرّ وقد يحذف منه احدى اليائين
ومنه قوله الا يستحى منّا الملوك وتتّقى محارمنا لا يبوء الدّم بالدّم وقوله اذا ما استحين
الماء يعرض نفسه كرعن بسبت فى اناء من الورد فكما انّه اذا اسند اليه سبحانه بطريق
الايجاب فى مثل قوله صلّى الله عليه وسلّم انّ الله يستحيى من ذى الشيبة المسلم ان يعذّبه
وقوله عليه السّلام انّ الله حيّ كريم يستحيى اذا رفع اليه العبد يديه ان يردّهما صفرا حتى يضع
فيهما خيرا اريد به التّرك الخاصّ على طريقة التّمثيل حيث مثّل فى الحديثين الكريمين تركه تعذيب
ذى الشيبة وتخييب العبد من عطائه ترك من يتركهما حياء كذلك اذا نفى عنه تعالى فى الموادّ
الخاصّة كما فى هذه الاية الشّريفة وفى قوله تعالى والله لا يستحيى من الحقّ يراد به سلب
ذلك التّرك الخاصّ المضاهى لترك المستحيى عنه لا سلب وصف الحياء عنه تعالى راسا كما فى
قولك انّ الله لا يوصف بالحياء لانّ تخصيص السّلب ببعض الموادّ يوهم كون الايجاب من
شانه تعالى فى الجملة فالمراد ههنا عدم ترك ضرب المثل المماثل لترك من يستحيى من ضربه
وفيه رمز الى تعاضد الدّواعى الى ضربه وتاخذ البواعث اليه اذ الاستحياء انّما يتصوّر فى
الافعال المقبولة للنّفس المرضيّة عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة المشاكلة فانّهم
كانوا يقولون اما يستحى ربّ محمّد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقّرة كما فى قوله من قال
من مبلغ افناء يعرب كلّها انّى بنيت الجار قبل المنزل وضرب المثل استعماله فى مضربه
وتطبيقه به لا صنعه وانشاؤه فى نفسه والّا لكان انشاء الامثال السّائرة فى مواردها ضربا لها
دون استعمالها بعد ذلك فى مضاربها عين انشائها فى انفسها لكنّ التّعبير عنه بالضّرب ليس

بعضا

بهذا الاعتبار بل بالاعتبار الاوّل قطعا وهو ماخوذ امّا من ضرب الخاتم بجامع التّطبيق
فكما انّ ضربه تطبيقه بقالبه كذلك استعمال الامثال فى مضاربها تطبيقها بها كانّ المضارب
قوالب تضرب الامثال على شاكلتها لكنّ لا بمعنى انّها تنشاء بحسبها بعد ان لم تكن كذلك
بل بمعنى انه تورد منطبقة عليها سواء كان انشاءها ح كعامة الامثال التّنزيليّة او قبل ذلك كساير الامثال
السّائرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الّا ان تطبيقها اى ايرادها منطبقة على مضاربها انّما
يحصل عند الضّرب وامّا من ضرب الطّين على الجدار ليلتزق به بجامع الالصاق كانّ من يستعملها
يلصقها بمضاربها ويجعلها ضربة لازب لا تنفك عنها لشدّة تعلّقها بها ومحلّ ان يضرب على تقدير
تعديه يستحيى بنفسه النّصب على المفعوليّة وامّا على تقدير تعديته بالجارّ فعند الخليل الخفض باضمار
من وعند سيبويه النّصب بافضاء الفعل اليه بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب وما اسميّة
ابهاميّة تزيد ما تقارنه من الاسم المنكّر ابهاما وشياعا كما فى قولك اعطنى كتابا ما كانّه قيل مثلا ما
من الامثال اىّ مثل كان فهى صفة لما قبلها او حرفيّة مزيدة لتقوية النّسبة وتوكيدها كما فى قوله
تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوّزه فى النّكرات او
مفعول ليضرب ومثلا حال تقدّمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمّنه معنى الجعل والتّصيير
وقرئ بالرّفع على انّه خبر مبتدا محذوف اى هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة
صلة لها محذوفة الصّدر كما فى قوله تعالى تماما على الذى احسن على قراءة الرّفع وعلى تقدير
كونها موصوفة صفة لها كذلك ومحلّ ما على الوجهين النّصب على انّه بدل من مثلا او على انّه مفعول
ليضرب وعلى تقدير كونها ابهاميّة صفة لمثلا كذلك وامّا على تقدير كونها استفهاميّة فهى خبر
لها كانّه لمّا ردّ استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة واىّ مانع فيها حتى لا يضرب بها المثل
بل له تعالى ان يمثّل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها على ما وقع فى قوله صلّى الله عليه وسلّم
لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من
البعض وهو القطع كالبضع والعضب غلب على هذا النّوع كالخموش فى لغة هذيل من الخمش وهو
الخدش **فما فوقها** عطف على بعوضة على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة
او موصوفة صلتها او صفتها الظّرف وامّا على تقدير رفعها فهو عطف على ما الاولى على تقدير
كونها استفهاميّة فهو عطف على خبرها اعنى بعوضة لا على نفسها كما قيل والمعنى ما بعوضة
فالذى فوقها او فشئ فوقها حتّى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة
وبعوضة خبر للمضمر وذكر البعوضة فما فوقها من بين افراد المثل انّما هو بطريق التّمثيل دون
التعيين والتخصيص فلا يخلّ بالشيوع بل يقرّره ويؤكّده بطريق الاولويّة والمراد بالفوقية امّا
امّا الزّيادة فى المعنى الذى اريد بالتّمثيل اعنى الصّغر والحقارة وامّا الزّيادة فى الحجم والجثّة لكن
لا بالغا ما بلغ بل فى الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الاوّل يجوز ان يكون ما الثّانية خاصّة

استفهامية انكارية والمعنى انّ الله لا يستحيى ان يضرب مثلا ما بعوضة فاىّ شئ فوقها فى الصّغر
والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل بكلّ ما يريد ونظيره فى احتمال الامرين ما روى انه رجلا بمنىً
خرّ على طنب فسطاط فقالت عايشه رض حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الّا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانّه
يحتمل ما يجاوز الشّوكة فى القلّة كنخبة النّملة لقوله عليه السّلام ما اصاب المؤمن من مكروه
فهو كفّارة لخطاياه حتّى نخبة النّملة وما يجاوزها فى الالم كامثال ما حكى من الخرور **فامّا الّذين**
امنوا شروع فى تفصيل ما يترتّب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقيته صدوره عنه
تعالى والفاء للدّلالة على ما ترتّب ما بعدها على ما يدلّ عليه ما قبلها كانّه قيل فيضرب به فامّا
الّذين الخ وتقديم بيان حال المؤمنين على ما حكى من الكفرة ممّا لا يفتقر الى بيان السّبب وفى
تصدير الجملتين بامّا من احماد امر المؤمنين وذمّ الكفرة ما لا يخفى وهو حرف متضمّن لمعنى اسم الشرط
وفعله بمنزلة مهما يكن من شئ ولذلك يجاب بالفاء وفائدة توكيد ما صدّر به وتفصيل ما فى
نفس المتكلّم من الاقسام فقد تذكر جميعًا وقد يقتصر على واحد منها كما فى قوله عزّ من قائل فامّا
الّذين فى قلوبهم زيغ الخ قال سيبويه امّا زيد فذاهب معناه مهما يكن من شئ فهو ذاهب لا
محالة وانّه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها حرف
الشّرط فادخلوها الخبر وعوض المبتدا عن الشّرط لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين
كما انّ المراد بالموصول الاتى فريق الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلال المعنى
اى فامّا المؤمنون **فيعلمون انّه الحقّ من ربّهم** كسائر ما ورد منه تعالى والحقّ هو الثّابت
الّذى يحقّ ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره لا الثّابت مطلقا واللام للدّلالة
على انّه مشهود له بالحقيّه وانّ له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف
وقع حالا من الضّمير المستكن فى الحقّ او من الضّمير العائد الى المثل او الى ضربه اى كائنا او
صادرا من ربّهم والتّعرض لعنوان الرّبوبيّه مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم وللايذان
بانّ ضرب المثل تربية لهم وارشاد الى ما يوصلهم الى كمالهم اللائق بهم والجملة سادّة مسدّ
مفعولى يعلمون عند الجمهور ومسدّ مفعوله الاوّل والثّانى محذوف عند الاخفش اى فيعلمون
حقيته ثابته ولعلّ الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبة كما فى قوله تعالى
والرّاسخون فى العلم يقولون امنّا به كلّ من عند ربنا للاشعار بقوّة ما بينهما من التّلازم وظهوره
المعنى عن الذّكر **وامّا الّذين كفروا** ممّن حكيت اقوالهم واحوالهم **فيعلمون ماذا اراد
الله بهذا مثلا** اوثر يقولون على ما لا يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر قرينة دلالة على كمال غلوّهم
فى الكفر وترامى امرهم فى العتوّ فانّ مجرّد عدم العلم بحقيّته ليس بمثابة انكارها والاستهزاء
به صريحا وتمهيدًا لتعداد ما نعى عليهم فى تضاعيف الجواب من الضّلال والفسق ونقض العهد وغير

ذلك

ذلك من شنائعهم المرتّبة على قولهم المذكور على انّ عدم العلم بحقيّته لا يعمّ جميعهم فانّ منهم
من يعلم بها وانّما يقول ما يقول مكابرة وعنادا وحمله على عدم الاذعان والقبول الشّامل للجهل
والعناد تعسّف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقّه وامّا الّذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه
ويقابل قسيمه لكن لمّا كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون
كالبرهان عليه فتامّل وكن على الحقّ وماذا امّا مؤلفة من كلمة استفهام وقعت مبتداء خبره
ذا بمعنى الّذى وصلته التى ما بعده والعائد محذوف فالاحسن ان يجئ جوابه مرفوعًا وامّا منزلة
منزلة اسم واحد بمعنى اىّ شئ فالاحسن فى جوابه النّصب والارادة نزوع النّفس وميلها الى
الفعل بحيث يحملها اليه والقوّة الّتى هى مبدؤه والاوّل مع الفعل والثانى قبله وكلاهما ممّا لا
يتصوّر فى حقه تعالى ولذلك اختلفوا فى ارادته عزّ وجلّ فقيل ارادته تعالى لافعاله كونه غير
ساهٍ فيه ولا مكره ولافعال غيره امره بها فلا يكون المعاصى بارادته تعالى وقيل هى علمه
باشتمال الامر على النّظام الاكمل والوجه الاصلح فانّه يدعو القادر الى تحصيله والحقّ انّها عبارة
غير ترجيح احد طرفى المقدور على الاخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجبه وهى اعمّ
من الاختيار فانه ترجيح مع تفضيل وفى كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال له ومثلا نصب
على التمييز او على الحال كما فى قوله تعالى ناقة الله لكم اية وليس مرادهم بهذه العظيمه استفهام الحكمة
فى ضرب المثل ولا القدح فى اشتماله على الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه جلّ وعلا بل غرضهم
التنبيه بادّعاء انّه من الدّناءة والحقارة بحيث لا يليق بان يتعلّق به امر من الامور الدّاخلة
تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل به من عنده تعالى سبحانه فقوله عزّ من
قائل يضلّ به كثيرا ويهدى به كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة وردّ لها ببيان انّه مشتمل
على حكمة جليلة وغاية جميلة هى كونه ذريعة الى هداية المستعدّين للهداية واضلال المنهمكين
فى الغواية فوضع الفعلان موضع الفعل الواقع فى الاستفهام مبالغة فى الدّلالة على تحقّقهما
فانّ ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجافيا عن نظم الاضلال مع الهداية فى سلك الارادة
لايهامه تساويهما فى تعلّقها وليس كذلك فانّ المراد بالذّات من ضرب المثل هو التّذكير والاهتداء
كما ينبئ عنه قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للنّاس لعلّهم يتفكّرون ونظائره وامّا الاضلال
فهو امر عارض مترتّب على سوء اختيارهم واوثر صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدّد والاستمرار
وقيل وضع الفعلان موضع صدريهما كانّه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدّم الاضلال
على الهداية مع تقدّم حال المهتدين على حال الضّالّين فيما قبله ليكون اوّل ما يقرع اسماعهم من الجواب
امرا فظيعًا يسوءهم ويفتّ فى اعضادهم وهو السّرّ فى تخصيص هذه الفائدة بالذكر وقيل هو بيان
للجملتين المصدّرتين بامّا وتسجيل بانّ العلم بكونه حقا هدى وانّ الجهل بوجه ايراده والانكار
بحسن مورده ضلال وفسق وكثرة كلّ فريق انّما هى بالنّظر الى انفسهم لا بالقياس الى مقابليهم

فلا يقدح في ذلك اقلية اهل الهدى بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل
من عبادى الشكور ونحو ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية لتكميل فائدة
ضرب المثل وتكبيرها ويجوز ان يراد في الاول لبن الكثرة من حيث العدد والاخرين من حيث
الفضل والشرف كما في قول من قال ان الكرام كثير في البلاد وان قللوا كما غيرهم قل وان
كثروا واسناد الاضلال اى خلق الضلال اليه سبحانه مبنى على ان جميع الاشياء مخلوقة
له تعالى وان كان افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد
الفعل الى سببه يأباه التصريح بالسبب وقرئ يضل به كثير ويهدى به كثير على البناء للمفعول
وتكرير به مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتاكيدها **وما يضل به** اى بالمثل
او بضرب به **الا الفاسقين** عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعين لمن اريد
اضلالهم ببيان صفاتهم القبيحة المستتبعة له واشارة الى ان ذلك ليس اضلالا ابتدائيا بل
هو تثبيت على ما كانوا عليه من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون
على البناء للمفعول والفسق في اللغة الخروج يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة من
جحرها اى خرجت قال رؤبة يذهبن في نجد وغورا غائرا فواسقا عن قصدها جوائرا
وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التى من جملتها الاصرار على
الصغيرة وله طبقات ثلث الاولى التغابى وهو ارتكابها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهمال
في تعاطيها والثالثة المثابرة عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها
الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذى عليه يدور الايمان ولقوله
تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا ان الايمان عبارة عن مجموع
التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده لم يتسن لهم ادخال الفاسق
في احدهما فجعلوه قسما بين المؤمن والكافر لمشاركة كل واحد منهما في بعض احكامه والمراد
بالفاسقين ههنا العاتون الماردون في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكى عنهم ما حكى
من انكار كلام الله تعالى والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق
وما اجرى عليهم من القبائح للايذان بان ذلك هو الذى اعدهم للاضلال واوى بهم الى
الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت وجوه انظارهم عن
التدبر في حكمة المثل الى حقارة الممثل به حتى رسخت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم وانكروه
فقالوا فيه ما قالوا **الذين ينقضون عهد الله** صفة للفاسقين للذم وتقرير ما هم عليه من الفسق
والنقض فسخ التركيب من المركبات الحسية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في ابطال العهد
من حيث استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد كلامى المتعاهدين بالاخر فان شفع بالحبل
واريد به العهد كان ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها

على مكانه

على مكانه وان المذكور قد استعير له كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس
تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر في اضافته والعهد الموثق يقال عهد اليه كذا اذا وصاه
به ووثقه عليه والمراد ههنا اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة القائمة على عباده الدالة
على وجوده ووحدته وصدق رسوله صلى الله عليه وسلم وبه اول قوله تعالى واشهدهم
على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او المعنى الظاهر منه او الماخوذ من جهة الرسل على الامم
بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب
المتقدمه ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلثة الاول ما اخذ
على جميع ذرية بنى ادم عليه السلام بان يقروا على ربوبيته والثانى ما اخذ على الانبياء عليهم
السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذ على العلماء بان يبينوا الحق ولا
يكتموه **من بعد ميثاقه** الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام واما مصدر بمعنى التوثقه
كالميعاد بمعنى الوعد فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من
القبول والالتزام وان رجع الى لفظ الجلالة يراد به اياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلم
والمضاف محذوف على الوجهين اى من بعد تحقق ميثاقه وعلى الثانى ان رجع الضمير الى العهد
والميثاق مصدر من المبنى للفاعل فالمعنى من بعد ان وثقوه بالقبول والالتزام او من بعد
ان وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا من المبنى للمفعول فالمعنى
من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثقه تعالى اياه بانزال الكتب وانذار
الرسل **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يحتمل كل قطيعة لا يرضى بها الله سبحانه كقطع
الرحم وموالات المؤمنين والتفرقه بين الانبياء عليهم السلام والكتب في التصديق وترك
الجماعات المفروضة وساير ما فيه رفض خير او تعاطى شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين
العبد من الوصلة التى هى المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب
للفعل مع العلود وقيل بالاستعلاء وبه سمى الامر الذى هو واحد الامور تسمية للمفعول به
بالمصدر فانه ما يؤمر به كما يقال له شان وهو القصد والطلب لما انه اثر للشان وكذا
يقال له شئ وهو مصدر شاء لما انه اثر للمشيه ومحل ان يوصل اما النصب على انه بدل من
الموصول او من ضميره والثانى اولى لفظا ومعنى **ويفسدون في الارض** بالمنع عن الايمان والاستهزاء
بالحق وقطع الوصل التى عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه **اولئك** اشارة الى الفاسقين
باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحه وفيه ايذان بانهم متميزون بها اكمل تميز ومنتظمون
بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسه وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم
في الفساد **هم الخاسرون** الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحيوة الابدية

واستبدال الانكار والطعن فى الايات بالايمان بها والتامل فى حقايقها والاقتباس من
انوارها واشتراء النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثوب
كيف تكفرون بالله النفات الى خطاب المذكورين بالتوبيخ والتقريع والاستفهام انكارى
لا بمعنى انكار الوقوع كما فى قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله
الخ بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغه ما ليس فى توجيه
الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال
من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده على الطريق البرهانى وقوله عز وجل وكنتم
امواتا الى اخر الاية حال من ضمير الخطاب فى تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما عدد
فيهما من الشؤن العظيمة الداعية الى الايمان الرادعة من الكفر من حيث كونها نعمة ومن
حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه
بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش اى فى اى حال او على اى حال تكفرون به تعالى
والحال انكم كنتم امواتا اى اجساما لا حيوة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة وغير
مخلقه والاموات جمع ميت كاقوال جمع قيل واطلاقه على تلك الاجسام باعتبار عدم الحيوة
كما فى قوله تعالى بلدة ميتا وقوله تعالى واية لهم الارض الميتة فاحياكم بنفخ الارواح فيكم
والفاء للدلالة على التعقيب فان الاحياء حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم فى تلك
الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما اشير اليه انفا ثم يميتكم اى عند انقضاء
اجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها وسيلة الى الحيوة
الثانية التى هى الحيوان والنعمة العظمى والتراخى المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحياء
دون زمان الحيوة فان زمان الاماتة غير متراخ عنه ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ فى الصور
وللسؤال فى القبور وايا ما كان فهو متراخ من زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت
المستمر ثم اليه ترجعون بعد الحشر لا الى غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا
فشر او اليه تنشرون من قبوركم للحساب وهذه الافعال وان كان بعضها ماضيا وبعضها
مستقبلا لا يتسنى مقارنة شئ منها لما هو حال منه فى الزمان لكن الحال فى الحقيقة هو العلم
المتعلق بها كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال المانعة منه ومآله
التعجيب من وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما ينكرونه من الاحياء الاخير والرجع فى
سلك ما يعترفون به من الاحياء الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما عاينوه من الدلائل
القاطعة منزلة العلم بذلك بالفعل فى ازاحة العلل والعذاب والحيوة حقيقة فى القوة
النامية لكونها من طلايعها وكذا فيما يخص الانسان من العقل والعلم والايمان من حيث
انه كمالها وغايتها والموت بازائها يطلق على ما يقابل كل مرتبة من تلك المراتب قال تعالى قل الله

يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه
وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس وعند وصفه تعالى بها يراد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم
والقدرة اللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته تعالى مقتضى لذلك وقرئ ترجعون
بفتح التاء والاول هو الاليق بالمقام هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا تقرير للانكار و
تاكيد له من الحيثيتين المذكورتين غير سبكه عن سبك ما قبله مع اتحادهما فى المقصود ابانة
لما بينهما من التفات فان ما يتعلق بذواتهم من الاحياء والاماتة والحشر ادخل فى الحث
على الايمان والكف عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وما يجرى مجريها وفى جعل الضمير مبتداء
والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل
المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وللتشويق اليه كما سلف اى خلق لاجلكم جميع ما فى الارض
من الموجودات لتنتفعوا بها فى اموردنياكم بالذات او بالواسطة واموردينكم بالاستدلال
بها على شؤن الصانع تعالى شانه والاستشهاد بكل واحد منها على ما يلائمه من لذات الاخرة
والامها وما يعم جميع ما فى الارض لا نفسها الا ان يراد بها جهة السفل كما يراد بالسماء جهة
العلو نعم يعم كل جزء من اجزائها فانه من جملة ما فيها ضرورة وجود الجزء فى الكل جميعا
حال من الموصول الثانى مؤكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما فى الارض
بل كل جزء من اجزاء العالم له مدخل فى استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذى عليه
يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر واما من جهة الدين فلما انه ليس
فى العالم شئ مما يتعلق به النظر وما يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل جلاله
كما فى تفسير قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل به احد بالفعل ثم استوى الى السماء اى
قصد اليها بارادته ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة
خلق شئ اخر فى تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل
وتخصيصه بالذكر ههنا اما لعدم تحققه فى خلق السفليات لما روى من تخلل خلق السموات
بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رض خلق الله تعالى الارض وخلق منه السموات
وامسك الفهر فى موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما
لاظهار كمال العناية بابداع العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظاهر
وكلمة ثم للايذان لما فيه من المزية والفضل عن خلق السفليات لا للتراخى الزمانى فان تقدمه
على خلق ما فى الارض المتاخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض بعد ذلك
دحاها ولما روى عن الحسن رض والسماء اما الاجرام العلوية فان القصد اليها بالارادة لا
يستدعى سابقة الوجود واما جهات العلو فسويهن اى اتمهن وقومهن وخلقهن ابتداء
مصونة عن العوج والفطور لا انه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما فى مقارنة

السّوية والاستواء من حسن الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغيّر فيهنّ بالنّمو والذّبول كما فى السّفليّات
والضّمير على الوجه الاوّل للسّماء فانّها فى معنى الجنس وقيل جمع سماءة اوسماوة وعلى الوجه الثّانى
مبهم يفسّره قوله تعالى سبع سموات كما فى قولهم ربه رجلا وهو على الوجه الاوّل بدل من
الضّمير وتاخير ذكر هذا الصّنع البديع عن ذكر خلق ما فى الارض مع كونه اقوى منه فى الدلالة
على كمال القدرة القاهرة كما نبّه عليه لما انّ المنافع المنوطة بما فى الارض اكثر وتعلّق مصالح النّاس
بذلك اظهر وان كان فى ابداع العلويّات ايضا من المنافع الدينيّة والدّنيويّة ما لا يحصى
هذا ما قالوا وسياتى فى حم السّجدة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى وهو بكلّ شيء
عليم اعتراض تذييلىّ مقرّر لما قبله من خلق السّموات والارض وما فيها على هذا النمط
البديع المنطوى على الحكم الفائقه والمصالح اللائقه فانّ علمه عزّ وجل بجميع الاشياء ظاهرها
وباطنها بارزها وكامنها وما يليق بكلّ واحد منها يستدعى ان يخلق كل ما يخلقه على الوجه
الرّائق وقرى وَهْوَ بسكون الهاء تشبيها له بعضد واذ قال ربّك بيان لامر اخر من جنس الامور
المتقدّمة المؤكدة للانكار والاستبعاد فان خلق آدم عليه السّلام وما خصّه به من
الكرامات السنيّة المحكيّة من اجلّ النّعم الدّاعية لذرّيّته الى الشكر والايمان الناهية عن
الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما فى الارض جميعا وتوضيح
لكيفية التّصرّف والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النّبىّ صلّى الله عليه
وسلم خاصة للايذان بان فحوى الكلام ليس ممّا يهتدى اليه بادلّة العقل كالامور المشاهدة الّتى
نُبّه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انّما طريقة الوحى الخاصّ به عليه السلام وفى التّعرّض
بعنوان الرّبوبيّة المنبئة عن التّبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من الانباء
عن تشريفه عليه السّلام ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة مستقبلة يقع فيه اخرى
مثلها ولذلك يجب اضافتهما الى الجمل وانتصابه بمضمر صرّح بمثله فى قوله عزّ وجل واذكروا
اذ كنتم قليلا فكثّركم وقوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر
الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انّها المقصودة بالذّات للمبالغة فى ايجاب ذكرها
لما انّ ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطّريق البرهانى ولانّ الوقت مشتمل عليها
فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه على المفعوليّة
بل على تاويل اذكر الحادث فيه بحذف المظروف واقامة الظّرف مقامه واياما كان فهو معطوف
على مضمر اخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عليه السّلام غبّ ما اوحى اليه ما خوطب به
الكفرة من الوحى النّاطق بتفاصيل الامور السّابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكّرهم بذلك
واذكر لهم بهذه النّعمة ليتنبّهوا بذلك لبطلان ما هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المقدّر
هو اشكر النّعمة فى خلق السّموات والارض او تدبّر ذلك فغير سديد ضرورة انّ مقتضى المقام

تذكير المخلّين بمواجب الشّكر وتنبيههم على ما يقتضيه واين ذلك من مقامه الجليل صلّى الله
عليه وسلّم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا ويا باه انّه يقتضى ان يكون هو المقصود
بالذّات دون سائر القصّه وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشّر الّذين امنوا ولا يخفى بعده
وقيل بمضمر دلّ عليه مضمون الاية المتقدّمة مثل وبدء خلقكم اذ قال الخ ولا ريب فى انّه
لا فائدة فى تقييد بدء الخلق بذلك الوقت وقيل بخلقكم او باحياكم مضمرا وفيه ما فيه و
قيل اذ زائد ويعزى ذلك الى ابى عُبيد ومعمر وقيل انّه بمعنى قد واللام فى قوله عزّ قائلا
للملئكة للتّبليغ وتقديم الجار والمجرور فى هذا الباب مطرّد لما فى المقول من الطّول غالبا
مع ما فيه من الاهتمام بما قدّم والتّشويق الى ما اخّر كما مرّ مرارا والملئكة جمع ملك باعتبار
اصله الذى هو مَلْاَكٌ على انّ الهمزة مزيدة كالشمائل فى شمأل والتاء لتاكيد تانيث الجماعة
واشتقاقه من ملك لما فيه من معنى الشدّة والقوّة وقيل هو على انه مقلوب من مالِكٍ من
الالوكة وهى الرّسالة اى موضع الرّسالة او مرسل على انّه مصدر بمعنى المفعول فانّهم
وسائط بين الله تعالى وبين النّاس فهم رسله عزّ وجلّ او بمنزلة رسله عليهم السلام
واختلف العقلاء فى حقيقتهم بعد اتفاقهم على انّها ذوات موجودة قائمة بانفسها فذهب
اكثر المتكلّمين الى انّها اجسام لطيفة قادرة على التشكّل باشكال مختلفة مستدلّين بانّ
الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السّلام وذهب الحكماء الى انّها جواهر مجرّدة مخالفة للنّفوس
النّاطقة فى الحقيقه وانها اكمل منها قوّة واكثر علما تجرى منها مجرى الشّمس من الاضواء منقسمة
الى قسمين قسم شأنه الاستغراق فى معرفة الحق والتّنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله
عزّ وجلّ بقوله يسبّحون اللّيل والنّهار لا يفترون وهم العليّون المقرّبون وقسم
يدبّر الامر من السماء الى الارض حسبما جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبّرات
امرا فمنهم سماويّة ومنهم ارضيّة وقالت طائفة من النّصارى هى النّفوس الفاضلة البشريّة
المفارقة للابدان ونقل فى شرح كثرتهم انّه عليه السّلام قال اطّت السّماء وحقّ لها ان
تاطّ ما فيها موضع قدم الّا وفيه ملك ساجد او راكع وروى انّ بنى آدم عُشر الجنّ وهما
عشر حيوانات البرّ والكلّ عشر الطّيور والكلّ عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلّهم عشر ملائكة
الارض الموكّلين وهؤلاء كلّهم عشر ملائكة السّماء الدّنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السّماء
الثّانيه وهكذا الى السّماء السّابعة ثمّ كلّ اولئك فى مقابلة ملائكة الكرسى نزر قليل ثمّ
جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق واحد من سرادقات العرش الّتى عددها ستمائة الف
طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات والارض وما فيهما وما بينهما
لا يكون لها عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك ساجد او راكع او
قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس ثم كلّ هؤلاء فى مقابلة الملائكة الّذين يحومون حول العرش

كالقطن فى البحر ثمّ ملائكة اللوح الّذينهم اشباع اسرافيل عليه والملائكة الّذين هم جنود جبرئيل
عليه السلام لايحصى اجناسهم ولامدّة اعمارهم ولا كيفيّات عباداتهم الّا بارئهم وهو
العليم الخبير ومايعلم جنود ربّك الّا هو وروى انه عليه السّلام عرج به الى السّماء
راى ملائكة فى موضع بمنزلة شرف يمشى بعضهم تجاه بعض فسال رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم جبرئيل عليه السلام الى اين يذهبون فقال جبرئيل عليه السّلام لا ادرى الّا انّى
اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رايته قبل ذلك ثمّ سالا واحدا منهم منذ
كم خُلِقتَ فقال لا ادرى غير انّ الله عزّ وجلّ يخلق فى كلّ اربعمائة الف سنة كوكبا وقد خلق
منذ خلقنى اربعمائة الف كوكب فسبحانه من اله ما اعظم قدرته وما اوسع ملكوته واختلف
فى الملائكة الذين قيل لهم ما قيل فقيل هم ملئكة الارض وروى الضّحاك عن ابن عبّاس
رض انّهم المختارون مع ابليس حين بعث الله عزّ وعلا لمحاربة الجنّ حيث كانوا سكّان
الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدّمآء فقتلوهم الّا قليلا قد اخرجوهم من الارض و
الحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفّف الله عنهم العبادة واعطى
ابليس ملك الارض وملك السّماء الدّنيا وخزانة الجنّة فكان يعبد الله تعالى تارة
فى الارض وتارة فى السّماء واخرى فى الجنّة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال
اكثر الصّحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين انّهم كل الملئكة لعموم اللّفظ
وعدم المخصّص وقوله تعالى انّى جاعل فى الارض خليفة فى حيّز النّصب على انّه مقول
قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما ليس فى صيغة المضارع
من الدّلالة على انّه فاعل ذلك لامحالة وهى من الجعل بمعنى التّصيير المتعدّى الى مفعولين
فقيل اوّلهما خليفة وثانيهما الظّرف المقدم على ما هو مقتضى الصّناعة فان مفعولى التّصيير
فى الحقيقه اسم صار وخبره اوّلهما الاوّل وثانيهما الثّانى وهما مبتداء وخبر والاصل فى الارض
فان خبر صار فى الحقيقه هو الكون المقدّر العامل فى الظّرف ولا ريب فى انّ ذلك ليس ممّا
يقتضيه المقام اصلا وانّما الّذى يقتضيه هو الاخبار بجعل آدم خليفة فيها كما يعرب عنه جواب
الملئكة عليهم السلام فاذن قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظّرف متعلق بجاعل قدّم على
المفعول الصّريح لما مرّ من التّشويق الى ما اخّر او بمحذوف وقع حالا ممّا بعده لكونه نكرة واما
المفعول الاوّل فمحذوف تعويلا على القرينة الدّالة عليه كما فى قوله عزّ وجلّ ولا تؤتوا السّفهآء
اموالكم الّتى جعل الله لكم قياما ما حذف فيه المفعول الاوّل لدلالة يبخلون عليه اى لا يحسبنّ
البخلاء بخلهم هو خيرا لهم ولا ريب فى تحقق القرينه ههنا امّا انّ حمل على الحذف عند وقوع المحكىّ
فهى واضحة لوقوعه فى اثناء ذكره عليه السّلام على ما سنفصله كانّه قيل انّى خالق بشرا من طين
وجاعل فى الارض لكنّه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة عليهم السّلام

قال العلامّة الزّمخشرى فى تفسير قوله تعالى واذ قال ربّك للملائكة انّى خالق بشرا من طين
ان قلت كيف صحّ ان يقول لهم بشرا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه ان يكون
قد قال لهم انّى خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنّه حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث
جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرّد الاسم من غير قرينة تدلّ عليه فما ظنّك بما نحن
فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدّى الى مفعول واحد هو
خليفه وحال الظّرف فى التّعلّق والتقديم كما مرّ فح لا يكون ما سياتى من كلام الملئكة مترتّبا عليه
بالذّات بل بالواسطه فانه روى انّه تعالى لما قال لهم انّى جاعل فى الارض خليفة قالوا ربّنا
وما يكون ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرّيّه يفسدون فى الارض ويتحاسدون ويقتل
بعضهم بعضًا فعند ذلك قالوا ما قالوا والله تعالى اعلم والخليفه مَن يخلف غيره وينوب منابه
فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة والمراد به امّا آدم وبنوه وانّما اقتصر عليه استغناء بذكره عن
ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة بذكر ابيها كمُضر وهاشم ومنه الخلافه فى قريش واما من يخلف
او خلف يخلف فيعم عليه السلام وغيره من خلفاء ذرّيّته والمراد بالخلافة امّا الخلافة من جهته
سبحانه فى اجراء احكامه وتنفيذ اوامره بين النّاس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى
ذلك بل لقصور استعداد المستخلف عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذّات فيختصّ بالخواصّ
من بنيه وامّا الخلافة ممّن كان فى الارض قبل ذلك فتعمّ فى الجميع قالوا استيناف وقع جوابا
عمّا ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال الملائكة ح فقيل قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
وهو ايضا من الجعل المتعدّى الى اثنين فقيل فيهما ما قيل فى الاوّل والظّاهر ان الاوّل كلمة
من والثانى محذوف ثقة بما ذكر فى الكلام السّابق كما حذف الاوّل ثمّة تعويلا على ما ذكر ههنا
قال قائلهم لا تخلنا على غرائك انا طالما قد وشى بنا الاعداء بحذف المفعول الثّانى اى لا تخلنا
جازعين على غرائك والمعنى اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظّرف الاوّل متعلق بتجعل و
تقديمه لما مرّ مرارا والثّانى بيفسد وفائدته تاكيد الاستبعاد لما انّ فى استخلاف المفسد فى محلّ
افساده من البعد ما ليس فى استخلافه فى غيره هذا وقد جوّز كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدّى
الى مفعول واحد هو كلمة مَن وانت خبير بانّ مدار تعجّبهم ليس خلق يفسد من يفسد فى الارض
كيف لا وانّ ما يعقبه من الجملة الحالية النّاطقة بدعوى احقيّتهم منه يقضى ببطلانه حتما اذ لا صحّة
لدعوى الاحقيّه منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف لعمارة الارض واصلاحها باجراء
احكام الله تعالى واوامره او يستخلف مكان المطبوعين على الطّاعة مَن مِن شان بنى نوعه الافساد
وسفك الدّماء وهو عليه السّلام وان كان منزّها عن ذلك الّا انّ استخلافه مستتبع لاستخلاف
ذرّيّته الّتى لا تخلو عنه غالبا وانّما اظهروا تعجّبهم استكشافا عمّا خفى عليهم من الحكم الّتى بذّت على
تلك المفاسد والغتها واستخبارا عمّا يزيح شبهتهم ويرشدهم الى معرفة ما فيه عليه السلم من الفضائل

التی جعلته اهلا لذلك كسؤال التعلم عمّا ينقدح فی ذهنه لا اعتراضا علی فعل الله سبحانه ولا
شكّا فی اشتماله علی الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السّلام ولا فی ذرّيّته علی وجه الغيبة
فان منصبهم اجلّ من ان يظنّ بهم امثال ذلك قال تعالی بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول
وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا امّا باخبار من الله تعالی حسبما نقل من قبل او بتلق
من اللّوح او باستنباط عمّا ارتكز فی عقولهم من اختصاص العصمة بهم او بقياس لاحد الثّقلين
علی الاخر **ويسفك الدّماء** السّفك والسّفح والسكب والسّبك انواع من الصب والاوّلان
مختصّان بالدّم بل لا يستعمل اولهما الّا فی الدّم المحرّم او تقيّل النّفوس المحرّمة بغير حق والتّعبير
عنه بسفك الدّماء لما انّه اقبح انواع القتل وافظعه وقرئ بسفك بضمّ الفاء وبسفك ويسفك
من اسفك وسفّك وقرئ يُسفك علی البناء للمفعول وحذف الرّاجع الی من موصولة او موصوفة
ای يسفك الدّماء فيهم **ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك** جملة حالية مقررة للتعجب السّابق و
مؤكّدة له علی طريقة قول من يجدّ فی خدمة مولاه وهو ياه من بها غيره اتستخدم العصاة وانا مجتهد
فيها كانّه قيل استخلف مَن مِن شان ذرّيّته الفساد مع وجود من ليس من شانه ذلك اصلا
والمقصود عرض احقيّتهم منه بالخلافة واستفسار عمّا رجّحهم عليهم مع ما هو متوقع منهم من
الموانع لا العجب والتفاخر فكانّهم شعروا بما فيهم من القوّة الشّهودية الّتی رذيلتها الافراطيّة
الفساد فی الارض والقوّة الغضبيّه التی رذيلتها الافراطيّة سفك الدّماء فقالوا ما قالوا و
ذهلوا عمّا اذا سخّرتهما القوّة العقليّة ومرّنتهما علی الخير يحصل بذلك من علوّ الدّرجه ما يقصر
عن بلوغ رتبته القوّة العقليّة عند انفرادها فی افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيّات
واستنباط الصّناعات واستخراج منافع الكاينات من القوّة الی الفعل وغير ذلك مما ينط به
امر الخلافة والتّسبيح تنزيه الله تعالی وتبعيده اعتقادا وقولا وعملا عمّا لا يليق بجنابه سبحانه
من سبّح فی الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس سبّوح ای واسع الجری وكذلك
تقديسه تعالی من قدس فی الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدّسه ای طهّره فان مطهّر
الشّئ مبعده عن الاقذار والباء فی بحمدك متعلّقة بمحذوف وقع حالا من الضّمير ای نزّهك
عن كلّ ما لا يليق بشانك ملتبسين بحمدك علی ما انعمت به علينا من فنون النّعم الّتی من
جملتها توفيقنا لهذه العبادة فالتسبيح لاظهار صفات الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام
واللّام فی لك امّا مزيدة والمعنی نقدّسك وامّا صلة للفعل كما فی سجدت لله وامّا للبيان كما فی
سقيا لك فيكون متعلّقة بمحذوف ای نقدّس تقديسًا لك ای نصفك بما يليق بك من
العلوّ والعزّة وننزّهك عمّا لا يليق بك وقيل المعنی نطهّر نفوسنا عن الذّنوب لاجلك كانّهم
قابلوا الفساد الذی اعظمه الاشراك بالتّسبيح وسفك الدّماء الّذی هو تلويث النّفس
باقبح الجرائم بتطهير النّفس عن الاثام لا تمدّحا بذلك ولا اظهارا للمنّة بل بيانا للواقع **قال**

استيناف

استيناف كما سبق **انّی اعلم ما لا تعلمون** ليس المراد به بيان انّه تعالی يعلم ما لا يعلمونه من الاشياء
كائنا ما كان فانّ ذلك ممّا لا شبهة لهم فيه حتّی يفتقروا الی التنبيه عليه لا سيما بطريق التّوكيد
بل بيان ان فيه عليه السّلام معانی مستدعيه لاستخلافه اذ هو الذی خفی عليهم وبنوا
عليه ما بنوا من التّعجب والاستبعاد فما موصوله كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعانی
والمعنی انّی اعلم ما لا تعلمونه من دواعی الخلافة فيه وانّما لم يقتصر علی بيان تحقّقها فيه عليه
السّلام بان قيل مثلا انّ فيه ما يقتضيه من غير تعرّض لاحاطته تعالی به وغفلتهم عنه
تفخيما لشانه وايذانا بابتناء امره تعالی علی العلم الرّصين والحكمة المتقنة وصدور قولهم
عن الغفلة وقيل معناه انّی اعلم من المصالح فی استخلافه ما هو خفیّ عليكم وان هذا ارشاد
للملائكة الی العلم بانّ افعاله تعالی كلها حسنة وحكمة وان خفی عليهم وجه الحسن
والحكمة وانت خبير بانّه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل وبكون تعجّبهم مبنيّا علی
تردّد علی تردّدهم فی اشتمال هذا الفعل لحكمة ما ولذلك ممّا لا يليق بشانهم فانهم عالمون
بان ذلك متضمّن لحكمة مّا ولكنّهم متردّدون فی انها ما ذا اهل هو امر راجع الی محض حكم الله
عزّ وجلّ او الی فضيلة من جهة المستخلف فبيّن سبحانه وتعالی لهم اوّلا علی وجه الاجمال
والابهام ان فيه فضائل غائبة عنهم ليستشرفوا اليها ثمّ ابرز لهم طرفا منها ليعاينوه جهرة
ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وينزاح شبهتهم بالكليّه **وعلّم ادم الاسماء كلّها** شروع
فی تفصيل ما جری بعد الجواب الاجمالی تحقيقا لمضمونه وتفسيرا لابهامه وهو عطف علی
قال والابتداء بحكاية التّعليم يدلّ بظاهره علی انّ ما مرّ من المقاولة المحكيّة انما جرت بعد
خلقه عليه السلام بان قيل اثر نفخ الرّوح فيه انّی جاعل ايّاه خليفة فی الارض فقيل ما قيل
كما اشير اليه وايراده عليه السلام باسمه العلمیّ لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولانّ ذكره
بعنوان الخلافة لا يلايم مقام تمهيد مباديها وهو اسم اعجمیّ والاقرب انّه وزنه فاعَل كشالخ
وعاذر وعابر وفالغ لا افعل والتصدّی لاشتقاقه من الاُدمة او الاَدمة بالفتح بمعنی الاسوة
او من اديم الارض بناء علی ما روی عنه صلّی الله عليه وسلم من انه تعالی قبض قُبضة
من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها ادم فلذلك اختلف الوان ذرّيّته او من الادُم
والادمة بمعنی الالفه تعسّف كاشتقاق ادريس من الدّرس ويعقوب من العِقب وابليس
من الابلاس والاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشّئ ودليلا يرفعه الی الذّهن من
الالفاظ والصّفات والافعال واستعماله عرفا فی اللفظ الموضوع لمعنی مفردا كان او مركّبا مخبرا
عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا فی المفرد الدّال علی معنی فی نفسه غير مقترن بالزّمان
والمراد ههنا امّا الاوّل او الثّانی وهو مستلزم للاوّل اذ العلم بالالفاظ من حيث الدّلالة
علی المعانی مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه العلم بلا تخلّف

عنه ولا يحصل ذلك بمجرّد اضافة المعلّم بل يتوقّف على استعداد المتعلّم لقبول الفيض وتلقيه من جهته كما فى تفسير الهدى وهو السّرّ فى ايثار على الاعلام والانباء فانهما انّما يتوقفان على سماع الخبر الذى يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر احقيّته بالخلافة منهم عليهم السّلام لما انّ جبلّتهم غير مستعدّة للاحاطة بتفاصيل احوال الجزئيّات الجسمانيّة خبرا فمعنى تعليمه تعالى ايّاه ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما ضروريّا تفصيليّا باسماء جميع المسمّيات واحوالها وخواصّها اللائقة بكلّ منها او يلقى فى روعه تفصيلا انّ هذا فرس وشانه كيت وكيت وذاك بعير وحاله ذيت وذيت الى غير ذلك من احوال الموجودات فيتلقاها عليه السّلام حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليّته المتفرّعة على فطرته المنطوية على طبائع متباينة وقوى متخالفة وعناصر متغايرة قال ابن عبّاس رض وعكرمه وقتاده ومجاهد وجبير رحمهم الله تعالى علّمه اسماء جميع الاشياء حتى القصعة والقصيعة وحتى الجفنة والمحلب وانحى منفعة كلّ شئ الى جنسه وقيل اسماء ما كان وما سيكون الى يوم القيمة وقيل معنى قوله تعالى وعلّم ادم الاسماء خلقه من اجزاء مختلفة وقوى متباينة مستعدّا لادراك انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيّلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشياء واسمائها وخواصّها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصّناعات وتفاصيل آلاتها وكيفيّات استعمالاتها فيكون ما مرّ من المقاولة قبل خلقه عليه السّلام وقيل التّعليم على ظاهره ولكن هناك جملا مطويّة عطف عليها المذكور اى فخلقه فسوّاه ونفخ فيه الرّوح وعلّمه الخ **ثمّ عرضهم على الملئكة** الضّمير للمسمّيات المدلول عليها بالاسماء كما فى قوله واشتعل الرّاس شيبا والتّذكير لتغليب العقلاء على غيرهم وقرئ عرضهنّ وعرضها اى عرض مسمّياتهنّ او مسمّياتها فى الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذّر ولعلّه عزّ وجلّ عرض عليهم من افراد كلّ نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرّف منه احوال البقيّة واحكامها **فقال انبئونى باسماء هؤلاء** تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علّقوا به رجاءهم من امر الخلافة فانّ التصرّف والتّدبير واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق ممّا لا يكاد يمكن والانباء اخبار فيه اعلام ولذلك يجرى مجرى كلّ منهما والمراد هٰهنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان برفعة شان الاسماء وعظم خطرها فانّ النباء انّما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم **ان كنتم صادقين** اى فى زعمكم انّكم احقّاء بالخلافة ممّن استخلفته كما ينبئ عنه مقالكم والتّصديق كما يتطرّق الى الكلام باعتبار منطوقه قد يتطرّق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسماء ما فى الارض وامّا ما قيل من ان المعنى فى زعمكم انى استخلف فى الارض مفسدين سفّاكين للدّماء فليس ممّا يقتضيه المقام وان اوّل بان يقال فى زعمكم انّى استخلف من غالب امره الفساد وسفك الدّماء من غير ان

يكون له مزيّة من جهة اخرى اذ لا تعلّق له بامرهم بالانباء وجواب الشّرط محذوف لدلالة المذكور عليه **قالوا** استيناف واقع موقع الجواب كانّه قيل فماذا قالوا هل خرجوا عن عهدة ما كلّفوه اولا فقيل قالوا **سبحانك** قيل هو علم للتّسبيح ولا يكاد يستعمل الّا مضافا وقد جاء غير مضاف على الشذوذ وغير منصرف للتّعريف والالف والنّون المزيدتين كما فى قوله سبحان من علقمة الفاجر وامّا فى قوله سبحانه ثمّ سبحانا يعود له فقيل صرفه للضّرورة وقيل لانه مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الاوّل نسبّحك عمّا لا يليق بشانك الاقدس من الامور التى من جملتها خلوّ فعالك من الحكم والمصالح وعنوا بذلك تسبيحا ناشئا عن كمال طمانينة النّفس والايقان باشتمال استخلاف ادم عليه السّلام على الحكم البالغة وعلى الثّانى تنزّهت عن ذلك تنزّها ناشئا عن ذاتك وارادوا به انّهم قالوه عن اذعان لما علموا اجمالا بانّه عليه السّلام يكلّف ما كلّفوه وانّه يقدر على ما قد عجزوا عنه ممّا يتوقّف عليه الخلافة وقوله عزّ وعلا **لا علم لنا الّا ما علّمتنا** اعتراف منهم بالعجز عمّا كلّفوه اذ معناه لا علم لنا الّا ما علّمتناه بحسب قابليّتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بناء على ما هو خارج عن دائرة استعدادنا حتّى لو كنّا مستعدّين لذلك لافضته علينا وما فى علّمتنا موصولة حذف من صلتها عائدها او مصدريّة ولقد نفوا عنهم العلم بالاسماء على وجه المبالغة حيث لم تقتصروا على بيان عدمه بان قالوا مثلا لا علم لنا بها بل جعلوه من جملة من لا يعلمونه واشعروا بان كونه من تلك الجملة قوىّ عن البيان **انك انت العليم** الذى لا يخفى عليه خافية وهذا اشارة الى تحقيقهم لقوله تعالى انّى اعلم ما لا تعلمون **الحكيم** اى المحكم لمصنوعاته الفاعل لها حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة للاوّل وانت ضمير الفصل لا محلّ له من الاعراب او له محلّ منه مشارك لما قبله كما قاله الفرّاء او لما بعده كما قاله الكسائى وقيل تاكيد للكاف كما فى قولك مررت بك انت وقيل مبتداء خبره ما بعده والجملة خبر انّ وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم بما علّمهم الله تعالى وما يفهم من من ذلك من علم ادم عليه السّلام بما خفى عليهم فكانّهم قالوا انت العالم بكلّ المعلومات التى من جملتها استعداد ادم عليه السّلام لما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفيّة المتعلّقة بما فى الارض من انواع المخلوقات التى عليها يدور فلك الخلافة الحكيم الذى لا يفعل الّا ما يقتضيه الحكمة ومن جملته تعليم ادم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلّيّة والمعارف الجزئيّة المتعلّقة بالاحكام الواردة على ما فى الارض وبناء امر الخلافة عليها **قالوا** استيناف كما سلف **يا ادم انبئهم** اى اعلم واثر على انبئنى كما وقع فى امر الملائكة عليهم السلام مع حصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل ادم عليه السّلام ابانة لما بين الامرين من التفاوت الجلىّ وايذانا بانّ علمه عليه السّلام بها امر واضح غير محتاج الى ما يجرى مجرى الامتحان وانّه عليه السّلام حقيق بان يعلمها غيره وقرئ بقلب

الهمزة ياء و يحذفها ايضا والهاء مكسورة فيهما **باسمائهم** التى عجزوا عن علمها واعترفوا بناقصرهمهم عن بلوغ مرتبتها **فلما انباهم باسمائهم** الفاء فصيحة عاطفة للجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينسحب عليه الكلام للايذان بتصرن وغناه عن الذكر وللاشعار بتحققه فى اسرع مايكون كما فى قوله عز وجل فلما راه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك واظهار الاسماء فى موضع الاضمار لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه عليه انباهم بها على وجه التفصيل دون الاجمال فالمعنى فانباهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال الكل منهم وخواصه واحكامه المتعلقة بالمعاش والمعاد فعلموا ذلك لما راوا انه عليه السلام لم يتلعثم فى شئ من التفاصيل التى ذكرها مع مساعدة ما بين الاسماء والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام فلما انباهم بذلك **قال** عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الاجمالى واستحضارا له **الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات والارض** لكن لا تقرير نفسه كما فى قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظائره بل لتقرير مايفيده من تحقق دواعى الخلافة فى ادم عليه السلام بظهور مصداقه وايراد مالا يعلمون بعنوان الغيب مضافا الى السموات والارض للمبالغة فى بيان كمال شمول علمه عليهم السلام من الامور المتعلقة باهل السموات واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما سبق ما اشير اليه هناك كانه قيل الم اقل لكم انى اعلم فيه من دواعى الخلافة ما لا تعلمونه فها للتنبيه هو هذا الذى عاينتموه وقوله تعالى **واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو غير داخل تحت القول وما فى الموضعين موصولة حذف عائدها اى اعلم ما تبدونه وما تكتمونه وتغيير الاسلوب للايذان باستمرار كتمهم قيل المراد ما يبدون قولهم اتجعل الخ وبما يكتمون استبطانهم انهم احقاء بالخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم روى انه تعالى لما خلق ادم عليه السلام رات الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه منه وقيل هو ما اسره ابليس فى نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا فى الاية الكريمة دلالة على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصح اطلاقه على الله تعالى وان لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسماء تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر فى القائها على المتعلم متبينا له معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع وما هو الا من الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملائكة وكمالاتهم تقبل الزيادة والحكماء منعوا ذلك فى الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وان ادم افضل من هؤلاء الملائكة عليهم

السلام

السلام لانه اعلم منهم وانه تعالى يعلم الاشياء قبل حدوثها **واذ قلنا للملئكة** عطف على الظرف الاول منصوب بما نصبه من المضمر او بناصب مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة اى واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام اى اطاعوا وقت قولنا الخ وقد عرفت ما فى امثاله وتخصيص هذا القول مع كون مقتضى الظاهر ايراده على منهاج ما قبله من الاقوال المحكية المتصلة به للايذان بان ما فى حيزه نعمة جليلة مستقلة حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من تاكيد الاستقلال وكذا اظهار الملائكة مع موقع الاضمار والكلام فى اللام وتقديمها مع مجرورها على المفعول كما مر وقرئ بضم تاء الملائكة اتباعا لضم الجيم فى قوله تعالى **اسجدوا لادم** كما قرئ بكسر الدال فى قوله تعالى الحمد لله اتباعا لكسر اللام وهى لغة ضعيفة والسجود فى اللغة الخضوع والتطامن وفى الشرع وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل امروا بالسجود له عليهم السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيما له واعترافا بفضله واداء لحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم فى شانه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما كان ادم قبلة لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه فكانه تعالى لما براه انموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية على تعلق العالم الروحانى بالعالم الجسمانى وامتزاجهما على نمط بديع وامرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا من عظيم قدرته فاللام فيه كما فى قول حسان رح اليس اول من صلى لقبلتكم واعرف الناس بالقران والسنن او فى قوله تعالى اقم الصلوة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل **فسجدوا** عطف على قلنا والفاء لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم فى ذلك روى عن وهب ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم ساير الملائكة عليهم السلام وقوله تعالى **الا ابليس** استثناء متصل لما انه كان جنيا مفردا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه فى فسجدوا ثم استثنى استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روى عن ابن عباس رض وهو منهم او لان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود لكن استغنى بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو اسم اعجمى ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو اليأس قال انه شبه بالعجمة حيث لم يسم به احد فكان كالاسم الاعجمى واعلم ان الذى يقتضيه هذه الاية الكريمة والتى فى سورة الاعراف من قوله ثم قلنا للملئكة اسجدوا لادم فسجدوا الاية والتى فى سورة بنى اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه من قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الاية ان سجود الملئكة انما ترتب على الامر التنجيزى الوارد بعد خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم بعبارة السجود دون الوقوع الذى به ورد الامر التعليقى ولكن ما فى

سورة الحجر من قوله عزّ وعلا واذ قال ربّك للملائكة انّى خالق بشرا من صلصال من حماءٍ مسنون
فاذا سوّيتهُ ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد والملائكة انى خالق بشرا من
طين الى اخر الاية ستدعيان بظاهرهما ترتّبه على مافيهما من الامر التّعليقى من غير ان يتوسّط
بينهما شئ غير مايفصح عنه الفاء الفصيحه من الخلق والتّسوية ونفخ الرّوح فيه عليه السلام وقد
روى عن وهب انه كان السجود كما نفخ فيه الرّوح بلا تاخير وتاويل الايات السّابقة يحمل
مافيهما من الامور على حكاية الامر التعليقىّ بعد تعلّق المعلّق به اجمالا فانه يكون فى حكم
التنجيز يا باه مافى سورة الاعراف من كلمة ثم المناية بتاخير ورود الامر عن التصوير المتاخّر
عن الخلق المتاخّر عن الامر التعليقى والاعتذار بحمل التّراخى على الرّتبىّ او التراخى فى الاخبار
او بان الامر التّعليقى قبل تحقّق المعلّق به لماكان فى عدم ايجاب المامور به بمنزلة العدم
جعل كانّه انّما حدث بعد تحققه فحكى على صورة التنجيز يؤدى بعد اللّتيا والّتى الى انّ ما
جرى بينه وبينهم عليهم السّلام فى شان الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا انّما جرى بعد السّجود
المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السّلام وخروج ابليس من البين باللّعن المؤبّد
لعناده بعد مشاهدتهم لذلك كلّه عيانا وهل هُو خرق لقضيّة العقل والنقل و
الالتجاء فى التفصّى عنه الى تاويل نفخ الرّوح بحمله على مايعمّ افاضة مابه حيوة النّفوس
التى من جملتها تعليم الاسماء تعسّفا ينبئ عن ضيق المجال فالذى يقتضيه التّحقيق ويستدعيه
النّظر الانيق بعد التّصفح ومستودعات الكتاب المكنون والتّفحص عمّا فيه من السّرّ المخزون
ان سجودهم له عليه السلام انّما ترتّب على الامر التّنجيزى المتفرّع على ظهور فضله عليه
السلام المبنىّ على المحاورة المسبوقة بالاخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك فى سلك ماينطبه
الامر التّعليقى من التّسوية ونفخ الرّوح اذ ليس من قضيّة وجوب السجود عقيب نفخ الرّوح
فيه فانّ الفاء الجزائيّة ليست بنصّ فى وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجود الشّرط
من غير تراخ للقطع بعدم وجوب السّعى عقيب النّداء لقوله تعالى اذا نودى للصّلوة من
يوم الجمعة فاسعوا الاية وبعدم وجوب اقامة الصّلوة غبّ الاطمينان لقوله تعالى فاذا
اطمانتتم فاقيموا الصّلوة بل انّما الوجوب عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الرّاعية
الى ورود مانحن فيه من الامر التّعليقى اثرذى اثير انّما هى حمل الملئكه عليهم السلام
على التّامل فى شانه عليه السّلام ليتدبروا فى احواله طرّا ويحيطوا بما لديه خُبرًا ويستنهوا
على ماعسى يستبهم عليهم فى امره عليه السّلام لابتنائه على حكم ابيّة واسرار خفيّة طويت
عن علومهم ويقفوا على جليّة الحال قبل ورود الامر التنجيزىّ وتحتّم الامتثال وقد قالوا
بحسب ذلك ماقالوا وعاينوا ماعاينوا وعدم نظم الامر التّنجيزى فى سلك الامور المذكورة
فى السّورتين عند الحكاية لايستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع المحكىّ كما انّ عدم ذكر

الامر التّعليقى عند حكاية الامر التنجيزىّ فى السّور الكريمة المذكورة لايوجب عدم مسبوقيّته
به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النّظام
ليست بعزيزة فى الكتاب العزيز وناهيتك بما نقل فى توجيه قوله تعالى بشرا مع عدم
سبق معرفة الملئكة عليهم السّلام بذلك وحيث صيراليه مع انّه لم يرو به نقل فما ظنّك
بما قد وقع التّصريح به فى مواضع عديدة فلعلّه قد القى اليهم ابتداء جميع مايتوقّف عليه
الامر التنجيزىّ اجمالا بان قيل مثلا انّى خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل ايّاه خليفة
فى الارض فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحى وتبيّن لكم شأنه فقعوا له ساجدين
فخلقه فسوّاه ونفخ فيه الرّوح فقالوا عند ذلك ماقالوا والقى اليهم خبر الخلافة
بعد تحقّق الشّرائط المعدودة بان قيل اثر نفخ الرّوح فيه انى جاعل هذا خليفة فى الارض
فهناك ذكروا فى حقّه عليه السّلام ماذكروا فايّد الله تعالى بتعليم الاسماء
فشاهدوا منه ماشاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزىّ اعتناء بشان المامور به
وتعيينا لوقته وقد حكى بعض الامور فى بعض المواطن وبعضها فى بعضها اكتفاء بماذكر
فى كلّ موطن عمّا ترك فى موطن اخر والّذى يحسم مادة الاشتباه انّ مافى سورة ص من
قوله تعالى مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَاءِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ اى بكلامهم عند اختصامهم
والمراد بالملاء الاعلى الملئكة وادم عليهم السّلام وابليس حسبما اطبق عليه جمهور
الائمّة وباختصامهم ماجرى بينهم فى شان خلافة ادم عليه السلام من التقاول الّذى
من جملته ماصدر عنه من الانباء بالاسماء ومن قضيّة البدليّة ووقوع الاختصام المذكور
فى تضاعيف ماشرح فيه تفصيلا من الامر التّعليقى وماعلّق به من الخلق والتّسوية ونفخ
الرّوح فيه وماترتّب عليه من سجود الملئكة عليهم وعناد ابليس وماتبعه من لعنه
واخراجه من بين الملئكة وماجرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام
بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس المستتبعة لطرده من بينهم لماعرفت من انه احد
المختصمين كما انّه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الانباء بالاسماء ح فهو اذن بعد نفخ
الرّوح وقبل السّجود حتما باحد الطّريقين والله سبحانه اعلم بحقيقة الحال ابى واستكبر
استيناف مبين لكيفيّة عدم السّجود المفهوم من الاستثناء وانّه لم يكن للتّردد اوللتّامل
والاباء الامتناع بالاختيار والتّكبّر اى يرى نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك
بالتّتبع اى امتنع عما امر به واستكبر من ان يعظّمه او يتّخذه وصلة فى عبادة ربه وتقديم
الاباء على الاستكبار مع كونه مسبّبا عنه لظهوره ووضوح اثره واقتصر فى سورة ص
على ذكر الاستكبار اكتفاء به فى سورة الحجر على ذكر الاباء حيث قيل ابى ان يكون مع
السّاجدين وكان من الكافرين اى فى علم الله تعالى او كان اصله من كفرة الجنّ فلذلك

ارتكب ما ارتكبه على ما افصح عنه قوله تعالى كان من الجنّ ففسق عن امر ربّه فالجملة
اعتراضية مقررة لما سبق من الاباء والاستكبار او صار منهم باستقباح امره تعالى
ايّاه بالسّجود لادم عليه السّلام زعمًا منه انّه افضل منه والافضل لا يحسن ان يؤمر
بالخضوع للمفضول كما يفصح عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد لما
خلقت بيدىّ استكبرت ام كنت من العالمين لا بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة
على ما قبلها وايثار الواو على الفاء للدّلالة على انّ محض الاباء والاستكبار كفر لا انهما
سببان له كما يفيده الفاء وقلنا شروع ماجرى بينه تعالى وبين ادم عليه السّلام
بعد تمام ماجرى بينه تعالى وبين الملئكة وابليس من الاقوال والافعال وقد
حكاية توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره وانظاره اجتزاء بما فصّل في ساير السور
الكريمة وهو عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح فى ذلك اختلاف وقتيهما فان المراد بالزمان
المدلول عليه بكلمة اذ زمان ممتدّ واسع للقولين وقيل هو عطف على اذ قلنا باضمار
اذ وهذا تذكير لنعمة اخرى موجبة للشّكر مانعة من الكفر وتصدير الكلام بالنّداء فى
قوله تعالى يا ادم اسكن انت وزوجك الجنّة للتنبيه على الاهتمام بتلقى المامور به
وتخصيص اصل الخطاب به عليه السّلام للايذان باصالته فى مباشرة المامور به واسكن
من السُكنى وهو اللّبث والاقامة والاستقرار دون السّكون الّذى هو ضدّ الحركة وانت
ضمير اكّد به المستكنّ ليصحّ العطف عليه واختلف فى وقت خلق زوجه فذكر السدى عن
ابن مسعود وابن عباس وناس من الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين انّ الله
تعالى لمّا اخرج ابليس من الجنّة واسكنها ادم عليه السّلام بقى فيها وحده وما كان معه
من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النّوم ثمّ اخذ ضلعًا من جانبه الايسر ووضع مكانه
لحما وخلق حوّاء منه فلمّا استيقظ وجدها عند راسه قاعدة فسالها ما انت قالت امراة
قال ولم خُلقتِ قالت لتسكن الىّ فقال الملئكة تجربة لعلمه عليه السّلام من هذه قال
مراءة قالوا لم سمّيت مراة قال لانّها من المرء اخذت فقالوا ما اسمها قال حوّاء قالوا لم
سمّيت حوّاء قال لانّها خلقت من شئ حىّ وروى عن ابن عبّاس رض قال بعث الله تعالى
جندا من الملائكة وحملوا ادم وحوّاء على سرير من ذهب كما يحمل الملوك ولباسهما النّور
حتّى ادخلوهما الجنّة وهذا كما ترى يدل على خلقها قبل دخول الجنّه والمراد بها دار الثواب
لانّها المعهودة وقيل هى جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا
لادم عليه السّلام وحمل الاسباط على النقل منها الى ارض الهند كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا
لما انّ خلقه عليه السلام كان فى الارض بلا خلاف ولم يذكر فى هذه القصّه رفعه الى السّماء
ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتّذكير لما انه اعظم النّعم ولانّها لو كانت دار الخلود

لما دخلها ابليس وقيل انّها كانت فى السّماء السّابعة بدليل اهبطوا ثمّ انّ الاهباط الاوّل
كان منها الى السماء الدنيا والثانى منها الى الارض وقيل الكلّ ممكن والادلّة النقليّة متعارضة
فوجب التّوقف وترك القطع وكلا منها اى من ثمارها وانّما وجّه الخطاب اليهما تعميما
للتشريف والترفيه ومبالغة فى ازالة العلل والاعذار وايذانا بتساويهما فى مباشرة
المامور به فانّ حوّاء اسوة له عليه السلام فى الاكل بخلاف السكنى فانّها تابعة له فيها
رغدا صفة للمصدر الموكّد اى اكلا واسعًا رافهًا حيث شئتما اى اىّ مكان اردتما منها
وهذا كما ترى اطلاق كلىّ حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التّوسعه البالغه المزيحة
للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض جوالمواضع الجامعه للماكولات حتّى لا
يبقى لهما عذر فى تناول ما منعا منه بقوله تعالى ولا تقربا بفتح الرّاء من قرِبتُ الشئ
بالكسر اقربه بالفتح اذا التبست به وتعرّضت له وقال الجوهرىّ قرب بالضمّ يقرب
قربا اى دنا وقربته بالكسر قربانا دنوت منه هذه الشّجرة نصب على انّه بدل من
اسم الاشارة او نعت له بتاويلها بمشتق اى هذه الحاضرة من الشجرة اى لا تاكلا منها
وانّما علّق النّهى بالقربان منها مبالغة فى تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد
بها الحنطه او العنبة او التّينه وقيل هى شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها
من غير قاطع وقرئ هذى بالياء وبكسر شين الشجرة وتاء تقربا وقرئ الشيرة بكسر
الشّين وفتح الياء فتكونا من الظّالمين مجزوم على انه معطوف على تقربا او منصوب
على انّه جواب النّهى وايّا ما كان فالقرب اى الاكل منها سبب لكونهما من الظّالمين اى
الّذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعصية او نقصوا حظوظهم بمباشرة ما يخلّ بالكرامة
والنعيم او تعدّوا حدود الله تعالى فازلّهما الشّيطان عنها اى اصدر زلّتهما اى زلقهما و
حملها على الزّلة بسببها ونظيره عن هذه ما فى قوله تعالى وما فعلته عن امرى او ازلّهما
عن الجنّة بمعنى اذهبهما او ابعدهما عنها يقال زل عنّى كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة
ازالهما وهما متقاربان فى المعنى فانّ الازلال اى الازلاق يقتضى زوال الزال عن
موضعه البتة وازلاله قوله لهما هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله
ما نهيكما ربّكما عن هذه الشجرة الّا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما انّى
لكما لمن النّاصحين وهذه الايات مشعرة بانّه عليه السّلام لم يؤمر بسكنى الجنّة على وجه
الخلود بل على وجه التّكرمة والتشريف لما قلّد من خلافة الارض الى حين البعث اليها و
اختلف فى كيفيّة توصّله اليهما بعد ما قيل له اخرج منها فانّك رجيم فقيل انّما منع من الدّخول
على وجه التكرمه كما يدخلها الملائكة عليهم ولم يمنع من الدّخول للوسوسة ابتلاء
لادم وحوّاء وقيل قام عند الباب فناديهما وقيل تمثّل بصورة دابّة فدخل ولم يعرفه الخزنة

وقيل دخل في فم الحيّة فدخل معها وقيل ارسل بعض اتباعه فازلّهما والعلم عند الله سبحانه فاخرجهما
مما كانا فيه اى من الجنّة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالتها
وملابستهما له اى من المكان العظيم الّذى كانا مستقرّين فيه اومن الكرامة والنعيم ان كان الضمير
للجنّة وقلنا اهبطوا الخطاب لادم وحوّاء بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضّمير لانّهما
اصل الجنس فكانّهما الجنس كلّهم وقيل لهما وللحيّة وابليس على انّه اخرج منها ثانيا بعدما كان
يدخلها للوسوسة او يدخلها مسارقة او اهبط من السّماء وقرئ بضمّ الباء بعضكم لبعض عدوّ
حال استغنى فيها عن الواو بالضّمير اى متعادّين يبغى بعضكم على بعض بتضليله او استيناف
لا محلّ لها من الاعراب وافراد العدوّ امّا للنظر الى لفظ البعض وامّا لانّ وزانه وزان المصدر
كالقبول ولكم فى الارض التى هى محل الاهباط والظّرف متعلق بما تعلّق به الخبر اى لكم من
الاستقرار مستقرّ اى استقرار او موضع استقرار ومتاع اى تمتع بالعيش وانتفاع به الى حين
هو حين الموت على ان المغيّا تمتّع كلّ فرد من المخاطبين او القيمة على انّه تمتّع الجنس فى ضمن
بعض الافراد والجملة كما قبلها فى كونهما حالا اى مستحقّين للاستقرار والتّمتع واستينافا
فتلقّى ادم من ربّه كلمات اى استقبلها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها ووفّق
لها وقرى بالنّصب ادم ورفع كلمات دلالة على انّها استقبلته وبلغته وهى قوله تعالى ربّنا
ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللّهمّ وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدّك لا اله الّا
انت ظلمت نفسى فاغفر لى انّه لا يغفر الذّنوب الّا انت وعن ابن عبّاس رض قال يا رب الم
تجعلنى بيدك قال بلى قال يا ربّ الم تنفخ فىّ من روحك قال بلى قال يا ربّ ان تبت واصلحت
اراجعى انت الى الجنّة قال نعم والفاء للدّلالة على انّ التّوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل
تحقّق المامور به والتعرّض لعنوان الرّبوبيّة مع الاضافة اليه عليه السّلام للتشريف والايذان
بعليّة لالقاء الكلمة المدلول عليه بتلقّيها فتاب عليه اى رجع عليه بالرّحمة وقبول التّوبة والفاء
للدّلالة على ترتّبه على تلقّى الكلمات المتضمّن لمعنى التّوبة التى هى عبارة عن الاعتراف بالذّنب والنّدم
عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفى بذكر شان ادم عليه السّلام لما ان حوّاء تبع له فى الحكم
ولذلك طوى ذكر النّساء فى اكثر مواقع الكتاب والسّنه انّه هو التّوّاب اى الرّجاع على عباده
بالمغفرة والذى يكثر اعانتهم على التّوبة واصل التّوب الرّجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا
عن المعصية واذا وصف به البارى عزّ وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرّحيم المبالغ
فى الرحمة وفى الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتائب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله
تعالى فتاب عليه قلنا استيناف مبنى على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد
قبول توبته فقيل قلنا اهبطوا منها جميعا كرّر الامر بالهبوط ايذانا بتحتّم مقتضاه وتحقّقه لا
محالة ودفعا لما عسى يقع فى امنيّته عليه السّلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهارا

لنوع رأفة به عليه السّلام لما بين الامرين من الفرق النيّر كيف لا والاوّل مشوب بضرب سخط
مذيّل ببيان ان مهبطهم دار بليّة وتعاد لا يخلّدون فيها والثّانى مقرون بوعد ايتاء الهدى
المؤدّى الى النّجاة والنّجاح وامّا ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود من التكليف قصدا اوليّا
بل انّما هو دائر على سوء اختيار المكلّفين قيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه فى الرّوع عن مخالفة
حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن باحد هذين الامرين فكيف بالمقترن بهما فتامّل وقيل
الاوّل من الجنّة الى السّماء الى الدّنيا والثّانى منها الى الارض يا باه التّعرّض لاستقرارهم
فى الارض فى الاوّل ورجوع الضّمير الى الجنّة فى الثّانى وجميعا حال فى اللفظ وتاكيد فى المعنى
كانّه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعى الاجتماع على الهبوط فى زمان واحد كما
فى قولك جاؤا جميعا بخلاف قولك جاؤا معا فامّا ياتينّكم منّى هدًى الفاء لترتيب ما بعدها
على الهبوط المفهوم من الامر به وامّا مركّبة من ان الشرطيّة وما المزيدة المؤكّدة بمعناها
والفعل فى محل الجزم بالشّرط لانّه مبنىّ لاتصاله بنون التاكيد وقيل معرب مطلقا وقيل
مبنى مطلقا والصّحيح التّفصيل ان باشرته النّون بنى والّا اعرب نحو هل يقومان وتقديم
الظّرف على الفاعل لما مرّ غير مرّة والمعنى ان ياتينّكم منّى هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب
انزله عليكم وجواب الشّرط قوله تعالى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
كما فى قولك ان جئتنى فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشّك مع تحقّق الاتيان لا
محالة للايذان بان الايمان بالله والتّوحيد لا يشترط ببعثة الرّسل وانزال الكتب بل يكفى فى
وجوبه افاضة العقل ونصب الادلّة الافاقيّة والانفسيّة والتّمكين من النّظر والاستدلال
او للجرى على سنن العظماء فى ايراد عسى ولعلّ فى مواقع القطع والجزم والمعنى ان من تبع هداى
منكم فلا خوف عليهم فى الدّارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اى
لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انّه يعتريهم ذلك لكنّهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انّه لا يعتريهم
نفس الخوف والحزن اصلا بل يستمرون على السّرور والنّشاط كيف لا واستشعار الخوف
والخشية استعظاما بجلال الله سبحانه وهيبته واستقصار الجدّ والسّعى فى اقامة حقوق
العبوديّة من خصائص الخواص والمقرّبين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما
كما يتوهّم من كون الخبر فى الجملة الثّانية مضارعا لما تقرّر فى موضعه ان النّفى وان دخل على نفس
المضارع يفيد الدّوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه
وتاكيد وجوب اتباعه او لانّ المراد بالثّانى ما هو اعمّ من الهدايات التشريعيّة وما ذكر
من افاضة العقل ونصب الادلّة الافاقيّة والانفسيّة كما قيل وقرئ هدىّ على لغة هذيل
ولا خوف بالفتح والّذين كفروا وكذّبوا باياتنا عطف على من تبع اه قسيم له كانّه قيل ومن لم يتّبعه
وانّما اوثر عليه ما ذكر تفظيعا لحال الضّلالة واظهارا لكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع

للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين
وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة الايات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب
بها اى الذين كفروا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا باياتنا المنزلة عليهم وقيل المعنى كفروا بالله
وكذبوا باياته التى انزلها على الانبياء واظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالايات
جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والاية فى الاصل
العلامة الظاهرة قال النابغه توهمت ايات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع وتقال
للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القران
المتميزة من غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها مما بعدها وقيل لانها جمع كلمات
منه فيكون من قولهم خرج بنو فلان باياتهم اى بجماعتهم قال خرجنا من البيتين لاحى مثلنا
باياتنا تزجى النعاج المطافلا واشتقاقها من اى لانها تبين ايا من اى او من اوى اليه اى رجع
واصلها اوية او اية فابدلت عينها الفا على غير قياس او اوية او ايية كرمكة فاعلت او آيية
كقائلة فحذفت الهمزة تخفيفا **اولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة
من الكفر والتكذيب وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للاشارة الحسية وما
فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فيه وهو مبتداء وقوله عز وجل **اصحاب النار**
اى ملازموها ومقارنوها بحيث لا يفارقونها خبره والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة
بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب النار خبر له وقوله تعالى **هم فيها خالدون** فى حيز
النصب على الحالية لورود التصريح به فى قوله تعالى اصحاب النار خالدين فيها وقد جوز كونه
حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او فى محل الرفع
على انه خبر اخر لاولئك على راى من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدون
والخلود فى الاصل المكث الطويل وقد انعقد الاجماع على ان المراد به الدوام **يا بنى اسرائيل**
تلوين للخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبى عليه السلام لتذكيرهم
بفنون النعم الفائضة عليهم بعد توجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بتذكير كلهم
بالنعمة العامة لبنى ادم قاطبة لقوله تعالى واذ قال ربك الخ واذ قلنا للملئكة الخ لان المعنى كما
اشير بلغهم كلامى واذكر لهم اذ جعلنا اباهم خليفة فى الارض ومسجودا للملئكة عليهم السلام
وشرفناه بتعليم الاسماء وقبلنا توبته والابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع
الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعربية
صفوة الله وقيل عبد الله وقرئ اسرائل بحذف الياء واسرال بحذفهما واسرايل بقلب الهمزة
ياء واسراءل بهمزة مفتوحة واسرائل بهمزة مكسورة بين الراء واللام وتخصيص هذه الطائفة بالذكر
والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها **اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم**

بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها بالبال لا انهم
اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى
وتقييد النعمة بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله
ذلك على الرضا والشكر قيل اريد بها ما انعم به على ابائهم من النعم التى سيجيئ تفصيلها و
عليهم من فنون النعم التى اجلها ادراك عصر النبى صلى الله عليه وسلم وقرئ اذكروا من الافتعال
ونعمتى باسكان الياء واسقاطها فى الدرج وهو مذهب من لا يحرك الياء المكسورة ما قبلها
واوفوا بعهدى بالايمان والطاعة **اوف بعهدكم** بحسن الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن
يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثانى الى المفعول فانه تعالى عهد اليهم بالايمان
والعمل الصالح بنصب الدلائل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم بالثواب على حسناتهم
وللوفاء بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله تعالى حصن
الدماء والاموال واخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا عن
غيرنا ومن الله تعالى الفوز باللقاء الدائم واما ما روى عن ابن عباس رض اوفوا بعهدى فى
اتباع محمد عليه السلم اوف بعهدكم فى رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرايض
وترك الكبائر اوف بالمغفرة والثواب او اوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة
والنعيم المقيم فبالنظر الى الوسائط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى
من الايمان والتزام الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاثابة وتفصيل العهدين قوله تعالى
ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات الخ وقرئ اوف بالتشديد
للمبالغة والتاكيد **واياى فارهبون** فيما تاتون وما تذرون خصوصا فى نقض العهد وهو
اكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول والفاء الجزائية الدالة
على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيئا فارهبونى والرهبة خوف معه تحرز
والاية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفاء بالعهد وان المؤمن ينبغى ان
لا يخاف الا الله تعالى **وامنوا بما انزلت** افرد الايمان بالقران بالامر به لما انه العمدة القصوى
فى شان الوفاء بالعهود **مصدقا لما معكم** من التورية والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم
بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرر المراجعة اليها والوقوف على ما فى تضاعيفها المؤدى الى
العلم بكونه مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه نازل حسبما نعت فيها او من حيث انه
موافق لها فى القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى و
الفواحش واما ما يتراى من مخالفته لها فى بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت
الاعصار فليست بمخالفة فى الحقيقة بل هى موافقة لها من حيث ان كلا منها حق بالاضافة الى عصره
وزمانه متضمن للحكمة التى عليها يدور فلك التشريع وليس فى التورية دلالة على ابدية احكامها

المنسوخة حتّى يخالفها ماينسخها وانّما تدلّ على مشروعيّتها مطلقا من غير تعرّض لبقائها وزوالها بل
بقول ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان نطقها بصحّة القرآن النّاسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة
فى الاحكام المنسوخة انّما هو اختلاف العصر حتّى لو تاخّر نزول المتقدّم لنزل على وفق المتاخّر
ولو تقدّم نزول المتاخّر لوافق المتقدّم قطعا ولذلك قال عليه السّلام لو كان موسى عليه السّلم
حيّا لما وسعه الّا اتباعى وتقييد المنزل بكونه مصدّقا لما معهم لتاكيد وجوب الامتثال بالامر
فان ايمانهم بما معهم ممّا يقتضى الايمان بما يصدّقه قطعا ولاتكونوا اوّل كافر به اى لاتسارعوا
الى الكفر به فان وظيفتكم ان تكونوا اوّل من آمن به لما انكم تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستعجلون
به وتبشّرون بزمانه كما سيجئ فلاتضعوا موضع ما يتوقّع منكم ويجب عليكم ما لايتوهّم صدوره
عنكم من كونكم اوّل كافر به كقولك كسانا حلّة ونهيهم عن التقدّم فى الكفر به مع انّ مشركى العرب
اقدم منهم لما ان المراد به التّعريض لا الدّلالة على ما نطق به الظّاهر كقولك امّا انا فلست بجاهل او
لان المراد نهيهم عن كونهم اول كافر به من اهل الكتاب او ممّن كفر بما عنده فانّ من كفر بالقرآن
فقد كفر بما يصدّقه او مثل من كفر من مشركى مكّة واوّل افعل لافعل له وقيل اصله اوءل من
واءل اليه اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا غير قياسىّ او اوءل من آل فقلبت همزته
واوا وادغمت ولاتشتروا بآياتى اى لاتاخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا هى الحظوظ الدّنيويّة
فانّها وان جلّت قليلة مسترذلة بالنّسبة الى مافات عنهم من حظوظ الآخرة بترك الايمان قيل
كانت لهم رياسة فى قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتّبعوا رسول الله صلّى الله عليه
وسلم فاختاروها على الايمان وانّما عبّر عن المشترى الّذى هو العمدة فى عقود المعاوضة و
المقصود فيها بالثّمن الّذى شانه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الايات التى حقّها ان يتنافس
فيها المتنافسون بالباء التّى تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد
الاصلى وسيلة والوسيلة مقصدا واياى فاتقون بالايمان واتباع الحقّ والاعراض عن
حطام الدّنيا ولمّا كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادى لما فى الآية الثانية فصلت
بالرّهبة الّتى هى من مقدّمات التّقوى او لانّ الخطاب بها لما عمّ العالم والمقلّد امر فيها بالرّهبة
المتناولة للفريقين وامّا الخطاب بالثّانية فحيث خصّ بالعلماء امر فيها بالتقوى الّذى هو
المنتهى ولاتلبسوا الحقّ بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين
المختلطين والمعنى لاتخلطوا الحق المنزل بالباطل الّذى تخترعونه وتكتبونه حتّى يشتبه احدهما
بالآخر اولا ولاتجعلوا الحقّ ملتبسا بسبب الباطل الّذى تكتبونه فى تضاعيفه او تذكرونه فى تاويله
وتكتموا الحقّ مجزوم داخل تحت حكم النّهى كانّهم امروا بالايمان وترك الضّلال ونهوا عن الاضلال
بالتّلبيس على من سمع الحقّ والاخفاء عمّن لم يسمعه او منصوب باضمار ان على انّ الواو للجمع اى لا
تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انّه فى مصحف ابن مسعود رض وتكتمون اى

وانتم

وانتم تكتمون اى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحقّ وتكرير الحق
امّا لانّ المراد بالاخير ليس عين الاوّل بل هو نعت النبىّ صلّى الله عليه وسلم الّذى كتموه وكتبوا مكانه
غيره كما سيجئ فى قوله تعالى فويل للّذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة تقبيح المنهىّ اذ
فى التّصريح باسم الحقّ ماليس فى ضميره وانتم تعلمون اى حال كونكم عالمين بانّكم لابسون كاتمون
او انتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس ايراد الحال لتقييد النّهى به كما فى قوله تعالى لا
تقربوا الصّلوة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر واقيموا الصّلوة و
آتوا الزّكوة اى صلوة المسلمين وزكوتهم فان غيرهم بمعزل من كونه صلوة وزكوة امرهم الله
تعالى بفروع الاسلام بعد الامر باصوله واركعوا مع الراكعين اى فى جماعتهم فانّ صلوة
الجماعة تفضل على صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النّفوس فى المناجاة وعبّر
عن الصّلوة بالرّكوع احترازا عن صلوة اليهود وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع
قال الاضبط بن قريع السعدىّ لاتحقرنّ الضّعيف علّك ان تركع يوما والدّهر قد رفعه اتامرون
النّاس بالبرّ تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم بعد توجيهه الى الكلّ والهمزة فيها تقرير مع
توبيخ وتعجيب والبرّ التوسّع فى الخير من البرّ الّذى هو الفضاء الواسع يتناول جميع اصناف الخيرات
ولذلك قيل البر ثلثة برّ فى عبادة الله تعالى وبرّ فى مراعات الاقارب وبرّ فى معاملة الاجانب
وتنسون انفسكم اى تتركونها من البرّ كالمنسيّات عن ابن عبّاس رض انّها نزلت فى احبار
المدينة كانوا يامرون سرّا من نصحوه باتباع الرسول صلّى الله عليه وسلّم ولايتبعونه طمعا فى
الهدايا والصّلات التى كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يامرون بالصّدقة ولايتصدّقون
وقال السّدى انّهم كانوا يامرون النّاس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون
الطّاعة ويقدمون على المعصية وقال ابن جريج كانوا يامرون النّاس بالصّلوة والزّكوة وهم
يتركونهما ومدار الانكار والتّوبيخ هى الجملة المعطوفة دون ما عطفت هى عليه وانتم تتلون
الكتاب تبكيت لهم وتقريع لقوله تعالى وانتم تعلمون اى والحال انّكم تتلون التّورية
الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلّم الآمرة بالايمان او بالوعد بفعل الخير والوعيد على الفساد
والعناد وترك البرّ ومخالفة القول العمل افلاتعقلون اى اتتلونه فلاتعقلون ما فيه او قبح ما
تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجّه الى علم العقل بعد تحقّق ما يوجبه فالمبالغة من
حيث الكيف او الّا تتاملون فلاتعقلون فالانكار متوجّه الى كلا الامرين والمبالغة من
حيث الكم والعقل فى الاصل منع الامساك ومنه العقال الّذى يشدّ به وظيف البعير الى ذراعه
لحبسه عن الحراك سمّى به النّور الرّوحانى الذى به يدرك النّفس العلوم الضّرورية والنّظرية
لانه يحبسه عن تعاطى ما يقبح ويعقله على ما يحسن والاية كما ترى ناعية على كل من يعظ غيره ولا
يتعظ سوء صنيعه وعدم تاثّره وانّ فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالى عن العقل والمراد

بهاكما اشير اليه حثه عن تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها الامنع
الفاسق عن الوعظ يروى انه كان عالم من العلماء مؤثر الكلام قوى التصرف فى القلوب وكان كثيرا اما
يموت من اهل مجلسه واحدا واثنان من شدة تاثير وعظه وكان فى بلده عجوز لها ابن صالح
رقيق القلب سريع الانفعال وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما
على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما فى الطريق فقالت
لتهدى الانام ولا تهتدى الا ان ذلك لا ينفع فيا حجر الشحذ حتى متى تسن الحديد ولا تقطع فلما
سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا عليه فحملوه الى بيته فتوفى الى رحمة الله سبحانه
واستعينوا بالصبر والصلوة متصل بما قبله كانهم لما كلفوا ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض
عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوايجكم بانتظار النجح والفرج توكلا على الله تعالى
او بالصوم الذى هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس والتوسل بالصلوة
والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادات النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة
وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح و
اخلاص النية بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجات الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادة
وكف النفس عن الاطيبين حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصائب روى انه عليه
السلام كان اذا احزنه امر فزع الى الصلوة ويجوز ان يراد بهما الدعاء **وانها** اى الاستعانة بهما
او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها واشتمالها على ضروب من الصبر كما فى
قوله تعالى وَاِذَا رَاَوْا تِجَارَةً اَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا اِلَيْهَا او جملة ما امروا بها ونهوا عنها **لكبيرة** لثقيلة
شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **الا على الخاشعين** الخشوع الاخبات ومنه
الخشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع
بالقلب وانما لم تثقل عليهم لانهم يتوقعون ما اعد لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولانهم يستغرقون
فى مناجات ربهم فلا يدركون ما يجرى عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه الصلوة
والسلام وقرة عينى فى الصلوة والجملة حالية او اعتراض تذييلى **الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم
وانهم اليه راجعون** اى يتوقعون لقاء تعالى ونيل ما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بفيضان احسانه اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه
للجزاء فيعلمون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون بالجزاء ولا يرجعون الثواب
ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين والمرائين فالتعرض
للعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود
رض يعلمون وكان الظن لما شابه العلم فى الرجحان اطلق عليه لتضمين معنى التوقع قال فارسلته
مستيقن الظن انه مخالط ما بين الشراسيف خائف وجعل خبران فى الموضعين اسما للدلالة

اذا احزنه امر

على

على تحقق اللقاء والرجوع وتقررهما عندهم **يا بنى اسرآئيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم**
كرر التذكير للتاكيد ولربط ما بعده من الوعيد الشديد به **وانى فضلتكم** عطف على نعمتى عطف
الخاص على العام لكماله اى فضلت اباءكم **على العالمين** اى عالمى زمانهم بما منحتهم من العلم و
الايمان والعمل الصالح وجعلتهم انبيآء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا فى عصر موسى
عليه السلام وبعده قبل ان يغيروا **واتقوا يوما** اى حساب يوم او عذاب يوم **لا تجزى نفس
عن نفس شيئا** اى لا تقضى عنها شيئا من الحقوق فانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من
الجزآء فيكون نصبه على المصدرية وقرئ لا تجزى اى لا تغنى عنها فيتعين النصب على المصدرية
وايراده منكرا مع تنكير النفس للتعميم والاقناط الكلى والجملة صفة والعائد منها محذوف
اى لا تجزى فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار واجرى المجرور مجرى المفعول
به ثم حذف كما حذف فى قول من قال فما ادرى اغيرهم تناء وطول العهد ام مال اصابوا
اى اصابوه **ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل** اى من النفس الثانية العاصية او من
الاولى والشفاعة من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية
وقيل البدل واصله التسوية سمى به الفدية لانها تساوى المفدى وتجرى مجراه **ولا هم
ينصرون** اى يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة
الواقعة فى سياق النفى من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها عبارة عن العباد والاناسى
والنصرة ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر وكانه اريد بالاية نفى ان يدفع
العذاب احد عن احد من كل وجه محتمل فانه اما ان يكون قهرا اولا والاول النصرة والثانى
اما ان يكون مجانا اولا والاول الشفاعة والثانى اما ان يكون باداء عين ما كان عليه وهو
ان يجزى عنه او باداء غيره وهو ان يعطى عنه عدلا وقد تمسك المعتزلة بهذه الاية على
نفى الشفاعة لاهل الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للايات الواردة للشفاعة والاحاديث
المروية فيها ويؤيده ان الخطاب معهم ولردهم عما كانوا عليه من اعتقاد ان اباءهم الانبيأ
يشفعون لهم **واذ نجيناكم من ال فرعون** تذكير لتفاصيل ما اجمل فى قوله تعالى نعمتى التى انعمت
عليكم من فنون النعماء وصنوف الالاء اى واذكروا وقت تنجيتنا اياكم او اباءكم فان تنجيتهم
تنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره اهيل وخص بالاضافة الى اولى
الاخطار كالانبياء عليهم السلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة ككسرى لملك الفرس
وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك ولعتوه اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد
وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وقيل انه
كان عطارا اصفهانيا ركبته الديون فافلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام
به فدخل مصر فراى فى ظاهره حملا من البطيخ بدرهم وفى نفسه بطيخا بدرهم فقال فى نفسه ان

تيسّر اداء الدّيون فهذا طريقه فخرج الى السّواد فاشترى حملا بدرهم فتوجّه به الى السّوق فكلّ من
لقيه من المكاسين اخذ وامنه بطّيخا فدخل البلد وما معه الا بطّيخة فذة فباعها بدرهم ومضى لوجهه
وراى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى احد سياستهم وكان قد وقع بهم عظيم فتوجّه نحو
المقابر فراى ميّتا يدفن فتعرّض لاوليائه فقال انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنونه حتى تعطونى
خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لآخر واخر حتى جمع فى مقدار ثلثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرّض
له احد قطّ الى ان تعرّض يوما لاولياء ميّت فطلب منهم ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك
فقالوا من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من انت ومن اقامك بهذا المقام
قال لم تقمنى احد وانّما فعلت ما فعلت ليحضرنى احد الى مجلسك فانبّهك على اختلال حال
قومك وقد جمعت بهذا الطّريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون فقال
ولّنى امورك ترنى امينا كافيا فولّاه ايّاها فسار سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر واستقامة
احوال الرّعيّة ولبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره فى العدل والصّلاح فلمّا مات فرعون
اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف عليه ريّان وكان بينهما اكثر من
اربعمائة سنة **يسومونكم** اى يبغونكم من سامة خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذّهاب فى
طلب الشّئ **سوء العذاب** اى افظعه واقبحه بالنّسبة الى سائره والسّوء مصدر من ساء يسوء
ونصبه على المفعوليّة بيسومونكم والجملة حال من الضّمير فى نجّيناكم او من آل فرعون او منهما جميعا
لاشتمالها على ضميرهما **يذبّحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف
بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف وانّما فعلوابهم ما فعلوا لما انّ فرعون راى فى المنام او اخبر
الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه فلم يردّ اجتهادهم من قضاء الله عزّ وجلّ شيئا قيل
قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف مولود او تسعين الفا وقد اعطى الله عزّ وجلّ نفس موسى
عليه السلام من القوّة على التّصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احياء ولذلك
كانت معجزاته ظاهرة باهرة **وفى ذلكم** اشارة الى ما ذكر من التّذبيح والاستحياء او الى الانجاء
منه وجمع الضّمير للمخاطبين فعلى الاوّل معنى قوله تعالى **بلاء** محنة وبليه وكون استحياء نسائهم
اى استبقائهنّ على الحيوة محنة مع انّه عفو وترك للعذاب لما انّ ذلك كان للاستعمال فى
الاعمال الشّاقة وعلى الثّانى نعمة واصل البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك فى حقه سبحانه
محالا وكان ما يجرى مجرى الاختبار لعبادة تارة بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز
ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما **من ربّكم** من جهته تعالى
بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما معا **عظيم** صفة
لبلاء وتنكيرهما للتفخيم وفى الآية الكريمة تنبيه على انّ ما يصيب العبد من السرّاء والضرّاء من قبيل
الاختبار فعليه الشّكر فى المساء والصّبر على المضارّ **واذ فرقنا بكم البحر** بيان لسبب التنجية وتصوير

لكيفيتها

لكيفيّتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بيّن فى تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى
هى الانجاء من الغرق اى اذكروا اذ فلقناه بسلوككم وملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدّهن
او بسبب انجائكم وفصلناه بين بعضه وبعض حتّى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد للتّكثير
لان المسالك كانت اثنى عشر بعدد الاسباط **فانجيناكم** اى من الغرق باخراجكم الى الساحل كما
به العدول الى صيغة الافعال بعد ايراد التّخليص من فرعون بصيغة التّفعيل وكذا قوله تعالى
واغرقنا آل فرعون اريد فرعون وقومه وانّما اقتصر على ذكرهم للعلم بانّه اولى به منهم وقيل
شخصه كما روى ان الحسن رح كان يقول اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد اى شخصه واستغنى بذكره
عن ذكر قومه **وانتم تنظرون** ذلك او غرقهم واطباق البحر عليهم او انفلاق البحر عن طرق يابسة
مذلّلة او جثثهم الّتى قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا روى انّه تعالى امر موسى
عليه السّلام ان يسرى ببنى اسرائيل فخرج بهم فصبّحهم فرعون وجنوده وصادفوهم على شاطئ
البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه بها فظهر فيه اثنى عشر طريقا يابسا
فسلكوها فقالوا نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى فيها كوى فتراءوا
وتسامعوا حتّى عبروا البحر فلمّا وصل اليه فرعون فرآه منفلقا اقتحم هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم
واعلم انّ هذه الوقعة كما انّها لموسى عليه السّلام معجزة عظيمة تخرّ لها صمّ الجبال ونعمة عظيمة
لاوائل بنى اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما هى عليه من رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم معجزة جليلة تطمئنّ بها القلوب الابيّة وتنقاد لها النّفوس الغبيّة
موجبة لاعقابهم ان يتلقّوها بالاذعان فلا تاثّرت اوايلهم بمشاهدتها ورؤيتها ولا تذكّرت
اواخرهم بتذكيرها وروايتها فيا لها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها **واذ واعدنا موسى
اربعين ليلة** لما عادوا الى مصر بعد مهلك فرعون وعد الله موسى عليه السّلام ان يعطيه
التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجّة وقيل وعد عليه السّلام بنى اسرائيل وهو
بمصر ان هلك الله عدوّهم اتاهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما ياتون وما يذرون
فلمّا هلك فرعون سال موسى عليه السّلام ربّه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذى
القعدة زاد عشرا من ذى الحجّة وعبّر عنها بالليالى لانها غرر الشهور وصيغة المفاعلة بمعنى
الثّلاثى وقيل على اصلها تنزيلا لقبول موسى عليه السّلام منزلة الوعد واربعين ليلة
مفعول ثان لواعدنا على حذف المضاف اى تمام اربعين ليلة وقرئ واعدنا **ثمّ اتّخذتم العجل**
بتسويل السامرى الها ومعبودا وثمّ للتّراخى الرتبىّ **من بعده** اى من بعد مضيّه الى الميقات
على حذف المضاف **وانتم ظالمون** باشراككم ووضعكم للشّئ فى غير موضعه وهو حال من ضمير اتّخذتم
او اعتراض تذييلى اى وانتم قوم عادتكم الظّلم **ثمّ عفونا عنكم** حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه درسه
وقد يجئ لازما قال عرفت المنزل الخالى عفا من بعد احوال عفاه كلّ حنّان كثير الوبل هطّال

وقوله تعالى من بعد ذلك اى من بعد الاتخاذ الذى هو متناه فى القبح للايذان بكمال بعد العفو بعد
تلك المرتبه من الظلم لعلكم تشكرون لكى تشكروا نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة
واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان اى التورية الجامعه بين كونها كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل
وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقه بين المحق والمبطل فى الدعوى او بين الكفر والايمان
وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام النصر الذى فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى
يوم الفرقان يريد يوم بدر لعلكم تهتدون لكى تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه واذ
قال موسى لقومه بيان لكيفية وقوع العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم
العجل اى معبودا فتوبوا اى فاعزموا على التوبة الى بارئكم اى الى من خلقكم بريئا من
العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض صور وهيات مختلفة واصل التركيب
الخلوص عن الغير اما بطريق التفصى كما فى برئ المريض وبطريق الانشاء كما فى براء الله آدم من
الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهاله اقصاها ومن الغباوة
منتهاها حيث تركوا عبادة العلم الحكيم الذى خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر
الى عبادة البقر الذى هو مثل فى الغباوة فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم
بالبخع او بقطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل
من عبد يروى ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدر على المضى لامر الله تعالى فارسل ضبابة
وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشى حتى دعا موسى وهرون
عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى
للتسبيب والثانية للتعقيب ذلكم اشارة الى ما ذكر من التوب والقتل خير لكم عند
بارئكم لما انه طهرة عن الشرك ووصلة الى الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم
عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه على نهج الالتفات من التكلم الذى يقتضيه سباق
النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة ليكون ذريعة الى اسناد الفعل
الى ضمير بارئكم المستتبع للايذان بعلية عنوان البارئية والخلق والاحياء لقبول التوبة
التى هى عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل
فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هنا
وقد جوز ان يكون فتاب عليكم متعلقا بمحذوف على انه من كلام موسى عليه السلام لقومه
تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة بجلالة شان التنزيل
كيف لا وهو حكاية لوعد موسى عليه السلام قومه بقبول التوبة منه تعالى لا لقبوله تعالى
حتما وقد عرفت ان الاية الكريمة تفصيل لكيفية القبول المحكى فيما قبل وان المراد تذكير
المخاطبين بتلك النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله اى الذى يكثر توفيق المذنبين للتوبة

ويبالغ فى قبولها منهم وفى الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة اخرى عليهم بعد ما
صدر عنهم ما صدر من الجناية العظيمة التى هى اتخاذ العجل اى لن نؤمن لاجل قولك ودعوتك
او لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله عز وجل اياه التورية او تكليمه او انه نبى او انه تعالى جعل
توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة اى عيانا وهى فى الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة
استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد فى الوضوح والانكشاف الا ان الاول فى المسموعات
والثانى فى المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل والمفعول
وقرئ بفتح الهاء على انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير
والقائلون هم السبعون المختارون لميقات التوبة عن عبادة العجل روى انهم لما ندموا على
ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين امر الله موسى عليه
السلام ان يجمع سبعين رجلا ويحضر معهم الطور يظهرون فيه تلك التوبة فلما خرجوا
الى الطور وقع عليه عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله عز وجل موسى عليه السلام بامره
ونهاه وكان كلما كلمه تعالى اوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه
وسمعوا كلامه تعالى مع موسى عليه السلام افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا فى الرؤية فقالوا
ما قالوا كما سياتى فى سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقيل عشرة آلاف من قومه فاخذتكم
الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فانهم ظنوا انه سبحانه وتعالى مما يشبه
الاجسام ويتعلق به الرؤية تعلقها بها على طريقة المقابلة فى الجهات والاحياز ولا ريب
فى استحالته انما الممكن فى شانه تعالى الرؤية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين
فى الآخرة وللافراد من الانبياء الذين بلغوا صفاء الجوهر الى حيث تراهم كانهم وهم فى جلابيب
من ابدانهم قد نضوها وتجردوا عنها الى عالم القدس فى بعض الاحوال فى الدنيا قيل جاءت
نار من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود سمعوا بحسيسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة
وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما راوا تلك الهيئة الهائلة اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى
كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك بكى موسى عليه
السلام ودعا ربه فكشف الله عنهم عز وجل ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم ولم يكن
صعقة موسى عليه السلام موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق وانتم تنظرون اى ما اصابكم
بنفسه او باثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم بتلك الصاعقة قيد البعث به لما انه قد يكون من الاغماء
وقد يكون من النوم كما فى قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم اه لعلكم تشكرون اى نعمة البعث او ما كفرتموه
بما رايتم من باس الله تعالى وظللنا عليكم الغمام اى جعلناها بحيث تلقى عليكم ظلها وذلك
انه تعالى سخر لهم السحاب يسير بسيرهم وهم بالتيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من
نار يسيرون فى ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اى الترنجبين

والسماني وقيل كان ينزل عليهم المنّ الثّلج من الفجر الى الطّلوع لكل صاع وتبعث الجنوب عليهم
السّماني فيذبح الرّجل منه مايكفيه **كلوا** على ارادة القول اى قائلين لهم او قيل لهم كلوا
من طيّبات مارزقناكم من مستلذاته وماموصولة كانت او موصوفة عبارة عن المنّ والسّلوى
وماظلمونا كلام عدل به على نهج الخطاب السّابق للايذان باقتضاء جنايات المخاطبين
للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على معطوف على
مضمر قد حذف للايجاز والاشعار بانّه امر محقّق غنى عن التّصريح به اى فظلموا بان كفروا
تلك النعم الجليلة وماظلمونا بذلك **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** بالكفران اذ لا يتخطّاهم
ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الّذى يقتضيه النّفى السّابق وفيه ضرب
تهكم بهم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على تماديهم فى الظّلم واستمرارهم على
الكفر **واذ قلنا** تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اى واذكروا وقت
قولنا لابائكم اثر ما انقذناهم من التّيه **ادخلوا هذه القرية** منصوبة على الظّرفيّة عند سيبويه
وعلى المفعوليّه عند الاخفش وهى بيت المقدّس وقيل اريحا **فكلوا منها حيث شئتم رغدا** اى واسعا
هنيئا ونصبه على المصدريه او الحاليّه من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على انّ المامور
به الدخول على وجه الاقامه والسكنى فيؤل الى ما فى سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا
هذه القرية **وادخلوا الباب** اى باب القرية على ما روى من انهم دخلوا اريحا فى زمن موسى عم
كما سيجئ فى سورة المائدة او باب القبّة التى كانوا يصلّون اليها فانّهم لم يدخلوا بيت المقدس
فى حيوة موسى عم **سجّدا** اى متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من التّيه
وقولوا حطّة اى مسئلتنا او امرك حطّة وهى فعلة من الحط كالجلسة وقرى بالنّصب على
الاصل بمعنى حطّ عنا ذنوبنا حطّة او على انّها مفعول قولوا اى قولوا هذه الكلمة وقيل معناه
امرنا حطّة اى ان نحط رحالنا فى هذه القرية ونقيم بها **نغفر لكم خطاياكم** بما تفعلون من
السّجود والدّعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول واصل خطايا خطايئ كخطائع فعند
سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت همزتان وابدلت الثّانية
ياء ثم قلبت الفا وكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة على الياء
ثم فعل بهما ما ذكر **وسنزيد المحسنين** ثوابا جعل الامتثال توبة للمسئ وسببا لزيادة الثّواب
للمحسن واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله
فكيف اذا فعله وانه يفعله لامحالة **فبدّل الّذين ظلموا** بما امروا به من التّوبة والاستغفار
بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه **قولا** اخر ممّا لا خير فيه روى انّهم قالوا مكان حطّة حنطة
وقيل قالوا بالنّبطيّه حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله عزّ وجلّ **غير الّذى
قيل لهم** نعت لقولا وانّما صرّح به مع استحالة تحقق التبديل بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا

على المغامرة من كلّ وجه **فانزلنا** اى عقيب ذلك **على الّذين ظلموا** بما ذكر من التّبديل وانّما وضع
الموصول موضع الضّمير العائد الى الموصول الاوّل للتعليل والمبالغه فى الذّم والتقريع وللتّصريح
بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى **رجزا من السّماء** اى عذابا مقدرا منها
والتنوين للتّهويل والتّفخيم **بما كانوا يفسقون** بسبب فسقهم المستمرّ حسبما يفيده الجمع بين صيغتى
الماضى والمستقبل وتعليل انزال الرّجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك
فسق وخروج عن الطّاعة وغلوّ فى الظّلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم
فقط كما يشعر به ترتيبه على بالفاء والرّجز فى الاصل ما يعاف عنه وكذلك الرّجس وقرئ بالضّم
وهو لغة فيه والمراد به الطّاعون روى انّه مات به فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا
واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى كفروها وكان ذلك فى التيه حين استولى عليهم
العطش الشّديد وتغيير التّرتيب لما اشير اليه مرارا من قصد ابراز كلّ من الامور المعدودة فى
معرض امر مستقلّ واجب التّذكير والتّذكر ولو روعى التّرتيب الوقوعى لفهم انّ الكل امر واحد
امر بذكره واللّام متعلّقة بالفعل اى استسقى لاجل قومه **فقلنا اضرب بعصاك الحجر** روى انّه
كان حجرا طوريا مكعبا حمله معه وكانت تنبع من كلّ وجه منه ثلث اعين يسيل كلّ عين فى
جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف وسعة العسكر اثنى عشر ميلا او كان حجرا اهبطه الله تعالى
مع ادم عم من الجنّة ووقع الى شعيب عليه السّلام فاعطاه موسى عليه السلام مع العصا او كان
هو الحجر الّذى فرّ بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل وبرّاه الله تعالى به عمّا رموه به الادرة فاشار
اليه جبرئل عليه السّلام ان يحمله او كان حجرا من الحجاره وهو الاظهر فى الحجّة قيل لم يؤمر عليه
السلام بضرب حجر بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة بها حمل حجرا فى مخلاته
وكان يضرب به بعصاه اذا نزل فينفجر ويضرب به اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا
فاوحى الله تعالى اليه ان لا تقرع الحجر وكلّمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر من رخام
حجمه ذراع فى ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عليه السّلام من اس الجنّة ولها شعبتان
تتقدان فى الظّلمه **فانفجرت** عطف على ما قدّر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدّلالة على كمال سرعة
تحقق الانفجار كانّه حصل عقيب الامر بالضّرب اى فضرب فانفجرت **منه اثنتا عشرة عينا** وامّا تعلّق
الفاء بمحذوف اى فان ضربت فقد انفجرت فغير حقيق بجلالة شان النّظم الكريم كما لا يخفى على احد
وقرئ عشرة بكسر الشّين وفتحها وهما ايضا لغتان **قد علم كلّ اناس** كلّ سبط **مشربهم** عينهم
الخاصّة بهم **كلوا واشربوا** على ارادة القول **من رزق الله** هو ما رزقهم من المنّ والسّلوى والماء
وقيل هو الماء وحده لانّه يوكل ما ينبت به من الزّروع والثمار ويأباه ان المامور به اكل النّعمة
العتيدة لا ما سيطلبونه واضافته اليه تعالى مع استناد الكلّ اليه خلقا وملكا امّا للتّشريف وامّا
لظهوره بغير سبب عادى وانّما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا الخ ايذانا بانّ الامر

بالاكل والشرب لم يكن بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام ولا تعثوا فى الارض العثى اشد
الفساد فقيل لهم لا تتمادوا فى الفساد حال كونكم مفسدين وقيل انما قيد به لما ان العثى فى الاصل
مطلق التعدى وان غلب فى الفساد وقد يكون فى غير الفساد كما فى مقابلة الظالم المتعدى بفعله
وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة ونظيره العبث خلا
انه غالب فيما يدرك حسا واذ قلتم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة الله عز وجل
واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول المحكى الى اخلافهم وتوجيه
التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم لم يريدوا بذلك جمع ما طلبوا
مع ما كان لهم من النعمة ولا زوالها وحصول ما طلبوا مكانها اذ يأباه التعرض للوحدة بل
ارادوا ان يكون هذا تارة وذاك اخرى روى انهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجمعوا
ما كانوا فيه من النعمة العتيدة لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت انفسهم الى الشقاء فادع
لنا ربك اى سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان
الربوبية لتمهيد مبادى الاجابة يخرج لنا اى يظهر لنا ويوجد والجواب الامر مما تنبت الارض
اسناد مجازى باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتى فى قوله تعالى من بقلها
وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال اى كائنا من بقلها الخ وقيل بدل باعادة
الجار والبقل ما ينبت الارض من الخضر والمراد به اطائبه التى تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث
واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال اى الله
تعالى وموسى عم انكارا عليهم وهو استيناف وقع جوابا عن سوال مقدر كانه قيل فماذا
قال لهم فقيل قال اتستبدلون اى تاخذون لانفسكم وتختارون الذى هو ادنى اى اقرب
منزلة وادون قدرا سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه مرغوبا فيه وكونه تافها مرذولا
قليل القيمة واصل الدنو القرب فى المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة
فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة وقد حملت المشهورة على ان الفها مبدلة
من الهمزة بالذى هو خير اى بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الآتى الحاصل
كما فى التبدل والتبديل فى مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله وبدلناهم بجنتيهم
جنتين ذواتى اكل خمط وليس فيه ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة
وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما مر من صورة المناوبة اهبطوا مصرا امروا به بيانا
لدناءة مطلبهم او اسعافا لمرامهم اى انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادى وقرئ بضم الباء
والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به العلم وانما صرف لسكون وسطه
او لتاويله بالبلد دون المدينة ويؤيده ان فى مصحف ابن مسعود رضى الله عنه غير منون
وقيل اصله مصرائم فعرب فان لكم ما سألتم تعليل للامر بالهبوط اى فان لكم فيه ما سألتمو

ولعل

ولعل التعبير عن الاشياء المسئولة بما للاستهجان بذكرها كانه قيل فانه كثير فيه مبتذل يناله كل
احد بغير مشقة وضربت عليهم الذلة والمسكنة اى جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه
والصقتا بهم وجعلتا ضربة لازب لا تنفكان عنهم مجازاة لهم على كفرانهم من ضرب الطين
على الحائط بطريق الاستعارة بالكناية واليهود فى غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة
واما لخوف ان يضاعف جزيتهم وباءوا اى رجعوا بغضب عظيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف
هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى بغضب
كائن من الله تعالى او صاروا احقاء به من قولهم باء فلان بفلان اى صار حقيقا بان يقتل
بمقابلته ومنه قول من قال بؤ بشسع نعل كليب واصل البوء المساواة ذلك اشارة الى ما سلف
من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بانهم بسبب انهم كانوا يكفرون على الاستمرار
بآيات الله الباهرة التى هى المعجزات الساطعة الظاهرة على يدى موسى عم مما عد ومما لم يعد ويقتلون
النبيين بغير الحق كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل الانبياء يستحيل
ان يكون بحق الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا بحقية قتل احد
منهم عم وانما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو فى العصيان والاعتداء كما
يفصح عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اى جرهم العصيان والتمادى فى العدوان
الى ما ذكر من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام فان صغار الذنوب اذا دووم عليها ادت
الى كبارها كما ان مداومة صغار الطاعات مؤدية الى تحرى كبارها وقيل كررت الاشارة للدلالة
على ان ما لحقهم كما انه بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصى واعتدائهم حدود الله
تعالى وقيل الاشارة الى الكفر والقتل والباء بمعنى مع ويجوز الاشارة الى المتعدد بالمفرد بتاويل
ما ذكر او تقدم كما فى قول رؤبة بن العجاج فيها خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق اى
كان ما ذكر والذى حسن ذلك فى المضمرات والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة
ولذلك جاء الذى بمعنى الذين ان الذين آمنوا اى بالسنتهم فقط وهم المنافقون بقرينة انتظامهم
فى سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح بان تلك المرتبة وان
عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا والذين هادوا اى تهودوا
من هاد اذا دخل فى اليهودية ويهود اما عربى من هاد اذا تاب سموا بذلك حين تابوا من عبادة
العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهوذ كانهم سموا باسم اكبر اولاد
يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى جمع ندمان يقال رجل نصران وامراة نصرانة
والياء فى نصرانى للمبالغة كما فى احمرى سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عم او لانهم كانوا معه فى
قرية يقال لها نصران فسموا باسمها او نسبوا اليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى
نصرى كمهرى ومهارى والصابئين هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح

عليه السلام وقيل هم عبدة الملئكة وقيل عبدة الكواكب فهوان كان عربيا فمن صباء اذاخرج من
دين الى اخر وقرى بالياء امّا بالتخفيف وامّا لانه من صبا اذا مال لما انهم مالوا من سائر الاديان
الى ماهم فيه اومن الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الآخر اى من احداث من هذه الطوائف ايمانا
خالصًا بالمبدإ والمعاد على الوجه اللائق وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بماذكر فلهم
بمقابلة ذلك اجرهم الموعود لهم عند ربهم اى مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن امّا
فى محل الرّفع على الابتداء خبره جملة فلهم اجرهم والفاء لتضمّن الموصول معنى الشّرط كما فى قوله
تعالى انّ الّذين فتنوا المؤمنين الاية وجمع الضّمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما انّ افراد
ما فى الصّلة باعتبار لفظه والجملة كما هى خبران والعائد الى اسمها محذوف اى من امن منهم الخ
وامّا فى محل النّصب على البدليّة من اسم انّ وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق
بما تعلّق به لهم من معنى الثّبوت وفى اضافته الى الرّبّ المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم
وايذانًا بانّ اجرهم متيقّن الثّبوت مامون عن الفوات ولاخوف عليهم عطف جملة فلهم
اجرهم اى لاخوف عليهم حين يخاف الكفّار العقاب ولاهم يحزنون حين يحزن المقهرون
على تضييع العمر وتفويت الثّواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه
كون الخبر فى الجملة الثّانية مضارعًا لما مرّ من انّ النّفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدّوام
والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالّذين امنوا المتدينون بدين الاسلام المخلصون
منهم والمنافقون فح لابدّ من تفسير من امن بمن اتّصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد
على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثّبات والدّوام عليه كايمان المخلصين او بطريق احداثه
وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين وسائر الطّوائف وفائدة التّعميم للمخلصين مزيد ترغيب
الباقين فى الايمان ببيان ان تاخّرهم فى الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين
فى استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدّائم واما ماقيل فى تفسيره من كان منهم فى دينه قبل
ان ينسخ مصدّقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فممّا لا سبيل اليه اصلا لانّ مقتضى المقام
هو الترغيب فى دين الاسلام وامّا بيان حال من مضى على دين اخر قبل انتساخه فلا ملابسة
له بالمقام قطعا بل ربما يخلّ بمقتضاه من حيث دلالته على حقيّته فى زمانه فى الجملة على انّ المنافقين
والصّابئين لا ينبغى فى حقّهم ماذكر امّا المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بيّن
وان كانوا من اهل الكتاب فمن مضى منهم قبل النّسخ ليسوا بمنافقين وامّا الصّابئون فليس لهم
دين يجوز رعايته فى وقت من الاوقات ولو سلّم انّه كان لهم دين سماوى ثمّ خرجوا عنه فمن مضى
من اهل ذلك الدّين قبل خروجهم منه ليسوا من الصّابئين فكيف يمكن ارجاع الضّمير الرّابط بين اسم
انّ وخبرها اليهم او الى المنافقين وارتكاب ارجاعه الى مجموع الطّوايف من حيث هو مجموع لا الى
كلّ واحدة منها قصدًا الى درج الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا

بمقتضى شرعه قبل نسخه من مجموع الطّوائف بحكم اشتماله على اليهود والنّصارى وان لم يكن من المنافقين
والصّابئين ممّا يجب تنزيه ساحة التّنزيل عن امثاله على انّ المخلصين مع اندراجهم فى حيّز اسم
انّ ليس لهم فى حيّز خبرها عين ولا اثر فتامل وكن على الحقّ المبين واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية
اخرى لاسلافهم اى واذكروا وقت اخذنا الميثاقكم بالمحافظة على ما فى التّورية ورفعنا فوقكم الطّور
عطف على اخذنا او حال اى وقد رفعنا فوقكم الطّور كانّه ظلّة روى انّ موسى ع م لما جاء هم
بالتّورية فراوا ما فيها من التكاليف الشّاقه كبرت عليهم فابوا قبولها فامر جبرئيل عليه السلام
فقلع الطّور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم من الكتاب بقوّة بجدّ
وعزيمة واذكروا ما فيه اى احفظوه ولا تنسوه او تفكّروا فيه فانّه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلّكم
تتّقون لكى تتقوا المعاصى او لتنجوا من هلاك الدّارين او رجاء منكم ان تنتظموا فى سلك
المتقين او طلبا لذلك وقد مرّ تحقيقه ثمّ تولّيتم اى اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك
من بعد اخذ ذلك الميثاق المؤكّد فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتّوبة او بمحمد صلى الله
عليه وسلّم حيث يدعوكم الى الحقّ ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اى المغبونين بالانهماك
فى المعاصى والخبط فى مهاوى الضّلال عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتاخير
العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب بما بعده وكلمة لولا امّا بسيطة او مركبة من لو الامتناعية
وحرف النّفى ومعناها امتناع الشّئ لوجود غيره كما انّ لو لامتناعه لامتناع غيره والاسم الواقع
بعدها عند سيبويه مبتدا خبره محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسدّ الجواب مسدّه و
التقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين فاعل فعل محذوف اى لولا ثبت فضل الله تعالى
عليكم ولقد علمتم اى عرفتم الّذين اعتدوا منكم فى السّبت روى انّهم امروا بان يمحضوا يوم السّبت
للعبادة ويتجرّدوا لها ويتركوا الصّيد فاعتدى فيه اناس منهم فى زمن داود ع م فاشتغلوا
بالصّيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها أيلة فاذا كان يوم السّبت لم يبق فى البحر
حوت الا برز واخرج خرطومه فاذا مضى تفرّقت فحفروا حياضا وشرعوا اليها الجداول وكانت
الحيتان تدخلها يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا
من قبيل جناياتكم ما فعلوا فلم نمهلهم ولم نؤخّر عقوبتهم بل عجّلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
اى جامعين بين صورة القردة والخسوء وهو الطرد والصّغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل
حال من اسم كونوا عند من يجيز عمل كان فى الظّروف والحال وقيل من الضمير المستكن فى قردة
لانه فى معنى ممسوخين وقال مجاهد ما مسخت صورهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا
بالحمار فى قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا والمراد بالامر بيان سرعة التّكوين وانّهم صاروا
كذلك كما اراده عزّ وجلّ وقرئ قَرِدة بفتح القاف وكسر الرّاء وخاسين بغير همزة فجعلناها
اى المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكّل المعتبر بها اى تمنعه وتردعه ومنه النِكل للقيد لما بين

بين يديها وما خلفها لما قبلها وما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاوّلين واشتهرت قصصهم
في الاخرين او لمعاصريهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد عنها اولئك لاهل
تلك القرية وما حواليها او لاجل ما تقدّم عليها من ذنوبهم وما تاخّر منها وموعظة للمتقين
من قومهم او لكلّ متّق سمعها واذ قال موسى لقومه توبيخ آخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض
جنايات صدرت عن اسلافهم اى واذكروا وقت قول موسى عم لاجدادكم ان الله يامركم ان
تذبحوا بقرة وسببه انه كان في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اعمه طمعا لميراثه فطرحوه
على باب المدينة ثمّ جاوا يطالبون بديته فامرهم الله تعالى ان تذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها
فيحيى ويخبرهم بقاتله قالوا استيناف وقع جوابا عمّا ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا
هل سارعوا الى الامتثال او لا فقيل قالوا أتتّخذنا هزوا بضمّ الزاء وقلب الهمزة واوا وقرئ
بالهمزة مع الضم والسّكون اى اتجعلنا مكان هزئ او اهل هزء او مهزوا بنا او الهزء نفسه استبعادا
لما قاله واستخفافا به قال استيناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لانّ الهمزة في اثناء
تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عليه السّلام ما توهّموه من قبله على ابلغ وجه
واكده باخراجه مخرج ما لا مكروه وراءه بالاستعاذة منه استفظاعا له واستعظاما لما اقدموا
عليه من العظيمة التي شافهوه عليه السلام بها قالوا استينافا كما مرّ كانّه قيل فماذا قالوا
بعد ذلك فقيل توجّهوا نحو الامتثال وقالوا ادع لنا اى لاجلنا ربّك يبيّن لنا ما هي ما
مبتداء وهي خبره والجملة في حيّز النّصب بيبين اى يبيّن لنا جواب هذا السّؤال وقد سالوا
عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فان
ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة كما في ما الشّارحة والحقيقة لكنها قد يطلب بها
الصّفة والحال تقول ما زيد فيقال طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يستفهم باىّ لكنّهم لمّا
راوا ما امروا به على حاله مغايره لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حياله
قال اى موسى عم بعد ما دعا ربه عزّ وجلّ بالبيان واتاه الوحى انّه تعالى يقول انّها اى البقرة
المامور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر اى لا مسنّة ولا فتيّه يقال فرضت البقرة فروضا اى اسنّت
من الفرض بمعنى القطع كانّها قطعت سنها وبلغت آخرها وتركيب البكر للاوليّة ومنه البكرة
والباكورة عوان اى نصف لا قحم ولا ضرع قال طوال مثل اعناق الهوادى نواعم بين ابكار
وعون بين ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه
بالاضافة الى المتعدّد فافعلوا امر من جهة موسى عم متفرع على ما قبله من بيان صفة المامور
به ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
قال لحذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين وهذا الامر منه عم
لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعه ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله تعالى قالوا استيناف

كأنه

كما مرّ كانه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الشّافى والامر المكرّر فقيل قالوا ادع لنا ربّك يبيّن
لنا ما لونها حتى نتبيّن لنا البقرة المامور بها قال اى موسى عليه السّلام بعد المناجات الى الله
تعالى ومجئ البيان انّه تعالى يقول انّها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان فى كلّ مرّة الى الله
عزّ وجلّ لاظهار كمال المساعدة فى اجابة مسؤلهم بقولهم يبيّن لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصّورة والفقوع نصوع الصّفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود
حالك واحمر قانٍ وفى اسناده الى اللّون مع كونه من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى
من فضل تاكيد كانه قيل صفراء شديدة الصّفرة صفرتها كما فى جدّ جدّه وعن الحسن رح سوداء
شديدة السواد وبه فسر قوله تعالى جمالة صفر قيل ولعلّ التّعبير عن السوداء بالصّفرة لما انّها
من مقدماته واما لانّ سواد الابل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى تسرّ النّاظرين
كما يأباه وصفها بفقوع اللّون والسّرور لذّة فى القلب عند حصول نفع او توقعه من السّرعن
على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قلّ همه قالوا استيناف كنظائره ادع لنا ربّك يبيّن لنا ما هى
زيادة استكشاف عن حالها كانهم سالوا بيان حقيقتها بحيث تمتاز عن جميع ما عداها
ممّا تشاركها فى الاوصاف المذكورة والاحوال المشروحة فى اثناء البيان ولذلك عللوه
بقولهم انّ البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر ولا
نهتدى بها الى تشخيص ما هو المامور بها ولذلك لم يقولوا ان البقرة تشابهت ايذانا بان
النعوت المعدوده ليست بمشخّصة للمامور بها بل صادقة على سائر افراد الجنس وقرئ انّ
الباقر وهو اسم لجماعة البقر والاباقر والبواقر وتتشابه بالياء والتاء ويشابه بطرح التاء والادغام
على التذكير والتانيث وتشابهت مخففا ومشدّدا وتشبّه بمعنى تتشبّه ويتشبّه بالتذكير
ومشابه ومتشابهة ومشتبهة ومشتبه صح وفيه دلالة على انّهم ميّزوها عن بعض ما عداها فى الجملة
وانما بقى اشتباه بشرف الزوال كما ينبئ عنه قولهم وانّا ان شاء الله لمهتدون مؤكّدا بوجوه من
التوكيد اى لمهتدون بما سالنا من البيان الى المامور بذبحها وفى الحديث لو لم يستثنوا لما
بيّنت لهم آخر الابد قال انّه يقول انّها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث اى لم تذلل
للكراب وسقى الحرب ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثّانية لتاكيد الاولى و
الفعلان صفتا ذلول كانه قيل لا ذلول مثيره وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث
هى كقولك مررت برجل لا بخيل ولا جبان اى حيث هو وقرئ تسقى من اسقى مسلّمة اى
سلّمها الله تعالى من العيوب او اهلها من العمل او اخلص لها لونها من سلم له كذا اذا خلص
له ويؤيّده قوله تعالى لا شية فيها اى لا لون فيها يخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهى
فى الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط لونه لونا آخر قالوا عند ما سمعوا هذه النّعوت
الآن جئت بالحقّ اى بحقيقة وصف البقرة بحيث ميّزتها عن جميع ما عداها ولم يبق لنا فى شانها

اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاوليين فان ما جئت به فيهما لم يكن فى التعيين بهذه المرتبة
ولعلهم كانوا قبل ذلك قد راوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل من الاوصاف المشروحة
فى المرات الثلث من غير مشارك لها فيما عدّ فى المرة الاخيره والا فمن اين عرفوا اختصاص النعوت
الاخيرة بها دون غيرها وقرى الآن بالمد على الاستفهام والان بحذف الهمزة والقاء حركتها
على اللام **فذبحوها** الفاء فصيحه كما فى فانفجرت اى فحصّلوا البقرة فذبحوها **وما كادوا يفعلون**
كاد من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اى فذبحوها
والحال انهم كانوا قبل ذلك بمعزل منه او اعتراض تذييلى وماله استثقال استعصائهم واستبطائهم
وانهم لفرط تطويلهم وكثرة مراجعاتهم ما كاد ينتهى خيط اسهابهم فيها قيل مضى من اول الامر
الى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كادوا يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روى انه كان فى بنى اسرائيل
شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر وكان برا بوالديه
فتوفى الشيخ وشبت العجلة وكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها
بملء مسكها ذهبا لما كانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك بثلثة دنانير
واعلم انه لا خلاف فى ان مدلول ظاهر النظم الكريم بقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال فى آخر الامر
انما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف فى ان المراد
المامور به اثر ذى اثير هل هو المعينه وقد اخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التغيير
الى المعينه بسبب تثاقلهم فى الامتثال وتماديهم فى التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم
الى الاول تمسكا بان الضماير فى الاجوبة اعنى انها بقرة الى آخره للمعينة قطعا ومن قضيته ان
يكون فى السؤال ايضا كذلك ولا ريب فى ان السؤال انما هو عن البقرة المامور بذبحها فيكون هى
المعينه وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة
عما عليه الجنس من الصفات والخواص فسالوا عنها فرجعت الضماير الى المعينة فى زعمهم واعتقادهم
فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من اول الامر هى المعينة والحق انها كانت
فى اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة ظاهر النظم الكريم
وتكرير الامر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة الخ وقد قال صلى الله عليه وسلم لو
اعترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروى مثله عن رئيس المفسرين عبد الله بن عباس
رضى الله عنهما ثم رجع الحكم الاول منسوخا بالثانى والثانى بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على
وجه ارتفاع حكم المطلق بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا
فشيئا كيف ولو لم يكن كذلك لما عدّت مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادة
فان الامتثال بالامر بدون الوقوف على المامور به مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالاتهم من باب
الاهتمام بالامتثال **واذ قتلتم نفسا** منصوب بمضمر كما مرت نظائره والخطاب لليهود المعاصرين

لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد القتل والتدارؤ اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف
الى الاخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصهما بالاسناد دون ما مر من هناتهم لظهور قبح القتل و
اسناده الى الغير اى اذكروا وقت قتلكم نفسا محرمة **فادّارأتم فيها** اى تخاصمتم فى شانها اذ كل
واحد من الخصماء يدافع الآخر وتدافعتم بان طرح كل واحد قتلها الى الآخر واصله تدارأتم فادغمت
التاء فى الدال واجتلبت لها همزة الوصل **والله مخرج ما كنتم تكتمون** اى مظهر لما يكتمونه لا محالة
والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار وانما اعمل مخرج لانه حكاية حال ماضية
فقلنا اضربوه عطف على فادّارأتم وما بينهما اعتراض والالتفات لتربية المهابة والضمير
للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل او بتاويل الشخص والقتيل **ببعضها** اى ببعض
البقرة اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل باذنها وقيل
بعجبها وقيل بالعظم الذى يلى الغضروف وهذا اول القصة كما ينبئ عنه الضمير الراجع الى
البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادّارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما غيّر
الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء
برسول الله صلى الله عليه وسلم والافتيات على امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية
عظيمة حقيقة بان تنعى عليهم بحيالها ولو حكيت القصة على ترتيب الوقوع لما علم استقلال كل
منها بما نخص بها من التوبيخ وانما حكى الامر بالذبح عن موسى عليه السلام مع انه من الله عز وجل
كالامر بالضرب لما ان جناياتهم كانت بمراجعتهم اليه عليه السلام والافتيات على رايه **كذلك
يحيى الله الموتى** على ارادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى فضربوه فحيى وقلنا
كذلك الخ فحذفت الفاء الفصيحه فى يحيى مع ما عطف بها وما عطف هو عليه لدلالة كذلك على
ذلك فالخطاب فى كذلك ح للحاضرين عند حيوة القتيل ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين عند
نزول الآية الكريمة فلا حاجة ح الى تقدير القول بل ينتهى الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر
بعده فالجملة معترضة مثل ذلك الاحياء العجيب يحيى الله الموتى يوم القيمة **ويريكم آياته** ودلائله
الدالة على انه تعالى على كل شئ قدير ويجوز ان يراد بالآيات هذا الاحياء والتعبير عنه بالجمع
لاشتماله على امور بديعة من ترتب الحيوة على عضو ميت واخباره بقاتله وما يلابسه من
الامور الخارجة للعادات **لعلكم تعقلون** اى لكى تكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احياء الانفس
كلها او تعملوا على قضية عقولكم ولعل الحكمة فى اشتراط ما اشترط فى الاحياء مع ظهور كمال قدرته
على احيائه ابتداء بلا واسطة اصلا اشتماله على التقرب الى الله تعالى واداء الواجب ونفع اليتيم
والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين وان من حق الطالب
ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالى بثمنه كما يروى عن عمر رض انه ضحى
بنجيبة اشتراها بثلثمائة دينار وان المؤثر هو الله تعالى وانما الاسباب امارات لا تاثير لها

وان من دام ان يعرف اعدى عدوه الساعى فى اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التى
هى قوته الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة
فى طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من قبايحها بحيث يتصل اثره الى نفسه فيحيى به حيوة
طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارء والجدال **ثم قست**
قلوبكم الخطاب لمعاصر النبى صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفا والصلابة
كما فى الحجر استعيرت لنبو قلوبهم عن التاثر بالعظات والقوارع التى تميع منها الجبال وتلين
بها الصخور وايراد الفعل المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لما ان
المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من مراتب القساوة حادثة واما لان الاستمرار
على شئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع حادث وثم لاستبعاد القسوة
بعد مشاهدة ما يزيلها كقوله تعالى ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ **من بعد ذلك** اشارة
الى ما ذكر من احياء القتيل او الى جميع ما عدد من الايات الموجبة للين القلوب وتوجهها
نحو الحق اى من بعد سماع ذلك وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته وعلو طبقته
وتوحيد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين اما بتاويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب لا
تعيين المخاطب كما هو المشهور **فهى كالحجارة** فى القساوة **او اشد** منها **قسوة** اى هى فى القسوة مثل
الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثلها او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية
للدلالة على استمرار قساوة قلوبهم والفاء اما للتفريع مشابهتها لها على ما ذكر من القساوة
تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه فى قولك احمر خده فهو كالورد واما للتعليل كما فى
قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل او اقسى منها لما فى التصريح بالشدة من زيادة
مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين فى الشدة واشتمال المفضل على زيادة واو
للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بما هو اقسى او من عرفها شبهها
بالحجارة او قال هى اقسى من الحجارة وترك ضمير المفضل عليه للامن من الالتباس **وان من**
الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان لاشدية قلوبهم من الحجارة فى القساوة وعدم التاثر واستحالة
صدور الخير منها يعنى ان الحجارة ربما تتاثر حيث يكون منها ما يتفجر منه المياه العظيمة **وان**
منها لما يشقق اى يتشقق **فيخرج منه الماء** اى العيون **وان منها لما يهبط من خشية الله** اى يتردى
من الاعلى الى الاسفل بقضية ما اودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعى الى المركز وهو مجاز
من الانقياد لامره تعالى والمعنى ان الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره عز وعلا آت بما
خلق له من غير استعصاء وقلوبهم ليست كذلك فتكون اشد منها قسوة لا محالة واللام فى لما
لام الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم الخبر وقرئ ان على انها مخففة من الثقيلة واللام فارقة

وقرئ يهبط بالضم **وما الله بغافل عما تعملون** عن متعلقة بغافل وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية
وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلوب وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ
بالياء على الالتفات قوله تعالى **افتطمعون** تلوين للخطاب وصرف له عن اليهود اثر ما عددت هناتهم
ونعيت عليهم جناياتهم الى النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين والهمزة لانكار الواقع واستبعاده
كما فى قولك اتضرب اباك لا لانكار الوقوع كما فى قوله اضرب ابى والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام
ويستدعيه نظام الكلام لكن لا على قصد التوجيه الانكار الى المعطوفين كما فى افلا تبصرون على تقدير
تقدير معطوف عليه منفيا اى الا تنظرون فلا تبصرون فالمنكر كلا الامرين بل الى ترتب الثانى على
الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه كما اذا قدر الاول مثبتا اى تنظرون فلا تبصرون فالمنكر
ترتب الثانى على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اى اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم
فتطمعون ومآل المعنى ابعد ان علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم تطمعون **ان يؤمنوا** فانهم متماثلون
فى شدة الشكيمة والاخلاق الذميمة لا يتاتى من اخلاقهم الا مثل ما اتى من اسلافهم وان
مصدرية حذف عنها الجار والاصل فى ان تؤمنوا وهى مع ما فى حيزها فى محل النصب او الجر على الخلاف
المعروف واللام فى لكم لتضمين معنى الاستجابة كما فى قوله عز وجل فآمن له لوط اى فى ايمانهم مستجيبين
لكم او للتعليل اى فان تحدثوا الايمان لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به
معناه الشرعى وستقف على ما فيه من المزية باذن الله تعالى **وقد كان فريق منهم** الفريق
اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار والمجرور فى محل الرفع اى فريق كائن منهم و
قوله تعالى **يسمعون كلام الله** خبر كان وقرئ كلم الله والجملة حالية موكدة للانكار حاسمة لمادة
الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى وهم لكم عدو بعد قوله
تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دونى اى والحال ان طائفة منهم قال ابن عباس رض
هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلامه تعالى حين كلم موسى عليه السلام
بالطور وما امر به ونهى عنه **ثم يحرفونه** عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن الاحاطة بتفاصيله على
ما ينبغى لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما تقتضيه مقام الكبرياء بل **من بعد ما عقلوه** اى فهموه وضبطوه
بعقولهم ولم تبق لهم فى مضمونه ولا فى كونه كلام رب العزة ريبة اصلا فلما رجعوا الى قومهم
اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهؤلاء قالوا سمعنا الله تعالى يقول فى آخر كلامه ان استطعتم ان
تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس وثم للتراخى زمانا او رتبة وقال القفال
رحمه الله سمعوا كلام الله تعالى وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه تاويلا فاسدا وقيل هم رؤساء
اسلافهم الذين تولوا تحريف التورية بعد ما احاطوا بما فيها وقيل هم الذين غيروا نعت النبى
صلى الله عليه وسلم فى عصره وبدلوا آية الرجم ويأباه الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل الدال على
وقوع السماع والتحريف فيما سلف الا ان يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الاية الكريمة لا على

تقدمه على عهده صلى الله عليه وسلم هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام اذ التورية
وان كانت كلام الله عز وعلا لكنها باسم الكتاب اشهر واثر التحريف فيه اظهر ووصف اليهود
بتلاوتها اكثر لاسيما رؤساؤهم المباشرون للتحريف فان وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان
الانسب ح ان يقال يتلون كتاب الله فالمعنى افتطمعون فى ان يؤمن هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا
لكم والحال ان اسلافهم الموافقين لهم فى خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا واسطة ثم
يحرفونه من بعد ما علموه يقينا ولا يستجيبون له هيهات ومن ههنا ظهر ما فى ايثار لكم على بالله
من الفخامة والجزالة وقوله عز وجل **وهم يعلمون** جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة
حالهم مؤذنة بان تحريفهم ذلك حال كونهم عالمين به مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون
ومفترون **واذا لقوا** جملة مستانفة سيقت اثر بيان ماصدر عنهم بالذات من الشنائع المؤيسة
عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب اخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير
لليهود لما ستقف على سر لا لمنافقيهم خاصة كما قيل تحريا لاتحاد الفاعل فى فعلى الشرط والجزاء
حقيقة **الذين امنوا** من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم **قالوا** اى اللاقون لكن لا بطريق تصدى
الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل
واحد منهم وهذا ادخل فى تقبيح حال الساكتين اولا العاتبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم
واختلاف احوالهم وتناقض ارائهم من اسناد القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف
اى قال منافقوهم **امنا** لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا نعت النبى صلى الله عليه
وسلم فى التورية وعلموا انه النبى المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ الاتى **واذا خلا
بعضهم** اى بعض المذكورين وهم الساكتون منهم اى اذا فرغوا عن الاشتغال بالمؤمنين متوجهين
ومنضمين **الى بعض** اخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين
فى لقاء المؤمنين كما اشير اليه انفا اذ الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض
الخلو ولولا انهم حاضرون عند المقاولة لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان
فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب **قالوا** اى الساكتون موبخين لمنافقيهم
على ما صنعوا **اتحدثونهم** يعنون المؤمنون **بما فتح الله عليكم** ما موصولة والعائد محذوف اى
بينة لكم خاصة فى التورية من نعت النبى صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان
بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد وتجويز كون هذا التوبيخ من جهة المنافقين
لاعقابهم اراءة للصلب فى دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل واللام
فى قوله عز وجل **ليحاجوكم به** متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تاكيد النكير وتشديد
التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا فى نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد
يصدر عنه العاقل اى اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به فيبكتوكم والمحدثون به وان لم يحوموا

حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا له البتة جعلوا فاعلين للغرض المذكور
اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم **عند ربكم** اى فى حكمه وكتابه كما يقال هو عند الله كذا اى
فى كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيمة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون
بانهم محجوبون يومئذ حدثوا به اولم يحدثوا والاعتذار بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان
يقولوا لهم لم تحدثونا بما فى كتابكم فى الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا افحش فيجوز ان يكون
المحذور عندهم هذا الالزام بارجاع الضمير فى به الى التحديث دون المحدث به ولا ريب فى انه
مدفوع بالاخفاء لا يساعده الاية الكريمة الاتية كما ستقف عليه باذن الله عز وجل **افلا تعقلون**
من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى الا تلاحظون فلا
تعقلون هذا الخطاء الفاحش او شيئا من الاشياء التى من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء
او اتفعلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى يحتاجون الى التنبيه عليه فالمنكر عدم
التعقل بعد الفعل هذا واما ما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه للمؤمنين متصل بقوله تعالى
افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم فى ايمانهم فاما قوله تعالى **اولا يعلمون**
فانه الى اخره تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكى عنهم فيكون ايراد خطاب المؤمنين فى اثنائه من
قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان فى تخصيص الخطاب بالمؤمنين من التعسف وفى تعميمه
للنبى ايضا صلى الله عليه وسلم كما فى افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار
والتوبيخ كما قبلها والواو للعطف على مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اى ايلومونهم
على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون **ان الله يعلم ما يسرون** اى يسرونه فيما بينهم
من المؤمنين او ما يضمرونه فى قلوبهم فيثبت الحكم فى ذلك بالطريق الاولى **وما يعلنون**
اى يظهرونه للمؤمنين او لاصحابهم حسبما سبق فح يظهر الله تعالى للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه
بواسطة الوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم فيحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع فى اية الرجم
وتحريم بعض المحرمات عليهم فاى فائدة فى اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور عندهم
هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهى حاصلة فى الدارين حدثوا به ام لا بالتحديث به حتى يندفع بالاخفاء
وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم وللموبخين او لابائهم المحرفين اى ايفعلون ما يفعلون ولا
يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملته اسرارهم الكفر واظهارهم الايمان
واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم الاسرار
على الاعلان للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة فى بيان شمول
علمه المحيط لجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما فى الحقيقة على
السوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شئ فى نفسه علم
بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله

عزّ وعلا قل ان تخفوا ما فی انفسكم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم الاخفاء على الابداء لما ذكر من السرّ
على عكس ما وقع فی قوله تعالى وان تبدوا ما فی انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فانّ الاصل
فی تعلّق المحاسبه به هو الامور البادية دون الخافيه ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة
السرّ متقدّمة على مرتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر فی القلب
يتعلق به الاسرار غالبا فتعلّق علمه تعالى بحالته الاولى متقدّم على تعلّقه بحالته الثّانيه
ومنهم اميّون وقرى بتخفيف الياء جمع امّى وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة فانهما ليستا من
شئون النساء بل من خلال الرّجال او بمعنى انه على الحالة التى ولدته امّه فی الخلوّ عن العلم والكتابة
وقيل الى الامّة بمعنى انه باق على سداجتها خال عن معرفة الاشياء كقولهم عامّى اى على عادة العامّة
روى عن عكرمه والضّحاك انّ المراد بهم نصارى العرب وقيل هم قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم
لذنوب ارتكبوها فصاروا اميّين وعن على رضى الله عنه هم المجوس والحقّ الّذى لا محيد عنه انهم
جهلة اليهود والجملة مستانفة مسوقة لبيان قبايحهم اثر بيان شنايع الطّوائف السالفة وقيل هى
معطوفة على الجملة الحالية فانّ مضمونها مناف لرجاء الخير منهم وان لم يكن فيه ما يحسم مادة الطّمع
عن ايمانهم كما فی مضمون الجملة الحاليه وما بعدها فان الجهل بالكتاب فی منافات الايمان ليس
بمثابة تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمبانيه كما وقع من الاولين او النّفاق والنّهى عن اظهار
ما فی التورية كما وقع من الفريقين الاخيرين اى ومنهم طائفة جهله غير قادرين على الكتابة
والتّلاوه **لا يعلمون الكتاب** اى لا يعرفون التّورية ليطالعوها ويتحقّقوا ما فی تضاعيفها من
دلائل النّبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة يا باه سباق النّظم الكريم وسياقه **الّا امانىّ**
بالتشديد وقرئ بالتّخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعوله من منى بمعنى قدر او بمعنى تلا كتمنّى
فی قوله تمنّى كتاب الله اوّل ليلة فاعلّت اعلال سيّد وميّت ومعناها على الاوّل ما يقدّره الانسان
فی نفسه ويتمنّاه وعلى الثّانى ما يتلوه وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنّى
وما يتلى من جنس علم الكتاب اى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنّون امانى حسبما منّتهم احبارهم
من ان الله سبحانه يعفو عنهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم
الفارغه المستندة الى الكتاب على زعم رؤسائهم او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقّونه قدر ما يتلى
عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكّنوا من التدبر فيه واما حمل الامانى على الاكاذيب المختلفه
على الاطلاق من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النّظم الكريم **وان هم الّا يظنّون**
ماهم الّا قوم قصارى امرهم الظنّ والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فانى يرجى منهم
الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولمّا بيّن حال هؤلاء فی تمسكهم بحبال الامانى واتباع
الظّن عقّب ببيان حال الّذين اوقعوهم فی تلك الورطه وبكشف كيفية اضلالهم لهم وتعيين
مرجع الكل بالاخرة فقيل على وجه الدّعاء عليهم **فويل** هو وامثاله من ويح وويس وويب

وويه وويك وعول من المصادر المنصوبه بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها البته فان
اضيف نصب نحو ويلك وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدّة الشّرّ
قاله الخليل وقال الاصمعى الويل التّفجع والويح الرّحم وقال سيبويه ويل لمن وقع فی الهلكة وويح
زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى او بينه وبينها
فرق وقيل ويل فی الدعاء عليه وويح وما بعده فی الترحم عليه وقال ابن عبّاس رض الويل العذاب
الاليم وعن سفيان الثورى انّه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدرى رض عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال الويل واد فی جهنّم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ
قعره وقال سعيد بن المسيّب انه واد فی جهنّم لو سيّرت فيه جبال الدّنيا لماعت من شدّة
حرّه وقال ابن بريدة جبل قيح ودم وقيل صهريج فی جهنّم وحكى الزّهراوى انه باب من ابواب
جهنم وعلى كلّ حال مبتداء خبره قوله عزّ وعلا **للّذين يكتبون الكتاب** اى المحرّف او ما كتبوه
من التّاويلات الزّائغه **بايديهم** تاكيد لدفع توهم المجاز كقولك كتبته بيمينى **ثمّ يقولون هذا**
اى جميعا على الاول وبخصوصه على الثّانى **من عند الله** روى ان احبار اليهود خافوا ذهاب
ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا فی تعويق اسافل
اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النّبى صلى الله عليه وسلم فی التورية وكانت هى فيها حسن
الوجه حسن الشّعر اكحل العينين ربعه فغيّروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشّعر فاذا
سالهم سفلتهم عن ذلك قرؤا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه
وثمّ للتّراخى الرّتبىّ فان نسبة المحرف والتّاويل الزّائغ الى الله سبحانه صريحا اشدّ شناعة
من نفس التّحريف والتّاويل **ليشتروا به** اى ياخذوا لانفسهم بمقابلته **ثمنا** هو ما اخذوه
من الرشى بمقابلته ما فعلوا من التّحريف والتاويل وانّما عبّر عن المشترى الذى هو المقصود
بالذّات فی عقد المعاوضه بالثمن الذى هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا المقصود
بالذّات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذّات **قليلا** لا يعبؤ به فانّ ذلك وان جلّ فی نفسه
فهو اقل قليل عند ما استوجبوا به من العذاب الخالد **فويل لهم** تكرير لما سبق للتّاكيد وتصريح
بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار به فيما سلف بايراد بعضه فی حيّز الصّله وبعضه فی
معرض الغرض والفاء للايذان بترتبه عليه ومن فی قوله عزّ وجلّ **ممّا كتبت ايديهم** تعليلية
متعلّقه بويل او بالاستقرار فی الخبر وما موصولة اسميه والعائد محذوف اى كتبته او مصدريّة
والاوّل ادخل فی الزّجر عن تعاطى المحرف والثانى فی الزّجر عن التّحريف **وويل لهم ممّا يكسبون**
الكلام فيه كالذى فيما قبله والتّكرير لما مرّ من التّاكيد والتّشديد والقصد الى التّعليل بكلّ من
الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما انّه من مبادى ترويج ما كتبت ايديهم
فهو داخل فی التّعليل به **وقالوا** بيان لبعض اخر من جناياتهم وفصله عما قبله مشعر بكونه الاكاذيب

التى اختلفوها ولم يكتبوها فى الكتاب لن تمسنا النار فى الاخرة الا ايّاما معدودة قليلة محصورة عدد
عبادتهم العجل اربعين يومًا مدة غيبة موسى عليه السّلام عنهم وحكى الاصمّ عن بعض اليهود
ان عدد ايّام عبادتهم العجل سبعة وروى عن ابن عبّاس ومجاهد ان اليهود قالوا عمر الدّنيا
سبعة الاف سنة وانّما يعذب بكلّ الف سنة يوما واحدا وروى الضّحاك عن ابن عبّاس رض
ان اليهود زعمت انهم وجدوا فى التّورية انّ ما بين طرفى جهنّم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا
الى شجرة الزّقوم وانّهم يقطعون فى كل يوم مسيرة سنة فيكملونها قل تكبيتا لهم وتوبيخا اتّخذتم
باسقاط الهمزة المجتلبة لوقوعها فى الدّرج وباظهار الذّال وقرئ بادغامها فى التّاء عند الله
عهدًا خبرا او وعدًا بما تزعمون فانّ ماتدّعون لا يكون الا بناء على وعد قوى ولذلك
عبّر عنه بالعهد فلن يخلف الله عهده الفاء فصيحة معربة عن شرط محذوف كما فى قول من
قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثمّ القفول فقد جئنا خراسانا اى ان كان الامر كذلك
فلن يخلفه والجملة اعتراضيّة واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلّة الحكم فان عدم الاخلاف من
قضيّة الالوهيّة واظهار العهد مضافا الى ضميره عزّ وجل لما ذكرا ولانّ المراد به جميع عهوده
لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف عن التّصريح بتحقق
مضمون كلامهم وان كان معلّقًا بما لم يكد يشتمّ رائحة الوجود قطعًا اعنى اتّخاذ العهد ام تقولون
مفترين على الله ما لا تعلمون وقوعه وانما علّق التّوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه
مع ان ما اسندوه اليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة فى التّوبيخ والنكير فانّ
التوبيخ على الادنى مستلزم للتّوبيخ على الاعلى بالطّريق الاولى وقولهم المحكى وان لم تصريحًا
بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم له لانّ ذلك الجزم لا يكون الا باسناد سببه اليه سبحانه نعم
وام امّا متّصلة والاستفهام لانكار الاتّخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال للتقرير
المؤدى الى التبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير كانه قيل ام لم تتخذوه بل تتقوّلون عليه تعالى
واما منقطعة والاستفهام لانكار الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من
التّوبيخ بالانكار على اتّخاذ العهد الى ما تفيده همزتها من التّوبيخ على التّقوّل على الله سبحانه كما فى
قوله عزّ وعلا قل الله اذن لكم ام على الله تفترون بلى الى اخره جواب عن قولهم المحكى و
ابطال له من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا فى ضمن تشريع كلّى شامل لهم ولسائر الكفرة
بعد اظهار ركذبهم اجمالا وتعويض ذلك الى النّبى صلّى الله عليه وسلم لما انّ المحاجه والالزام من
وظايفه عليه السلام مع ما فيه من الاشعار بانه امر هيّن لا يتوقّف على التّوقيف وبلى حرف ايجاب
مختص بجواب النفى خبرا واستفهامًا من كسب سيّئة فاحشة من السيّئات اى كبره من الكبائر
كداب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النّفع وتعليقه بالسيّئة على طريقة فبشّرهم بعذاب اليم
واحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشملت

واستولت

واستولت عليه خطيئته التى كسبها وصارت خاصّة من خواصّه كما ينبئ عنه الاضافه اليه وهذا
انّما يتحقّق فى الكافر ولذلك فسّرها السّلف بالكفر حسبما اخرجه ابن ابى حاتم عن ابن عبّاس
وابى هريرة رضى الله تعالى عنهم وابن جرير عن ابى وائل ومجاهد وقتاده وعطاء والرّبيع وقيل
السّيئه الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس وقيل الفرق بينهما انّ الاولى قد تطلق على ما يقصد
بالذات والثّانيه تغلب على ما يقصد بالعرض لانّها من الخطاء وقرئ خطيئته وخطيّاته على القلب
والادغام فيهما وخطيّاته وخطاياه وفى ذلك ايذان بكثرة فنون كفرهم فاولئك مبتداء اصحاب
النّار خبره والجمله خبر للمبتداء والفاء لتضمّنه معنى الشّرط وايراد اسم الاشاره المنبئ
عن استحضار المشار اليه بما له من الاوصاف للاشعار بعليّتها لصاحبية النار وما فيه من
معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم فى الكفر والخطايا وانّما اشير اليهم بعنوان الجمعية مراعات
لجانب المعنى فى كلمة من بعد مراعات جانب اللفظ فى الضّمائر الثّلثه لما انّ ذلك هو المناسب
لما اسند اليهم فى تينك الحالتين فان كسب السّيئه واحاطت خطيئته به فى حالة الانفراد و
صاحبيّة النّار فى حالة الاجماع اى اولئك الموصوفون بما ذكر من كسب السّيات واحاطت
خطاياهم بهم اصحاب النار اى ملازموها فى الآخرة حسب ملازمتهم فى الدّنيا لما يستوجبها
من الاسباب الّتى من جملتها ما هم عليه من تكذيب ايات الله تعالى وتحريف كلامه والافتراء
عليه وغير ذلك وانّما لم يخصّ الجواب بحالهم بان يقال مثلا بلى انهم اصحاب النّار الخ لما فى
التعميم من التّهويل وبيان حالهم بالبرهان والدّليل مع ما مرّ من قصد الاشعار بالتعليل هم
فيها خالدون دائما فانّى لهم التفصّى عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا حاجة فى
الاية الكريمه على خلود صاحب الكبيرة لما عرف من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود
على اللبث الطّويل الطّويل على ان فيه تهوين الخطب فى مقام التهويل والّذين امنوا وعملوا الصّالحات
اولئك اصحاب الجنّة هم فيها خالدون جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعات
لما يقتضيه الحكمة فى ارشاد العباد من التّرغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرّة
والانذار اخرى واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل شروع فى تعداد بعض اخر من قبايح اسلاف
اليهود مما ينادى بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب باضمار فعل خوطب به النبى صلّى الله
عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التامل فى احوالهم الى قطع الطّمع عن ايمانهم او اليهود الموجودون
فى عهد النّبوة توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اى اذكروا اذ اخذنا ميثاقهم لا تعبدون الا الله
على ارادة القول وقلنا او قائلين لا تعبدون الخ وهو اخبار فى معنى النّهى كقوله تعالى ولا يضار
كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول كيت وكيت وهو ابلغ من صريح النهى
لما فيه من ايهام ان المنهى حقّه ان يسارع الى الانتهاء عمّا نهى عنه فكانه انتهى عنه فيخبر به
النّاهى ويؤيّده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا الخ فحذف

النّاصب ورفع الفعل كما فى قوله الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى   وان اشهد اللّذّات هل انت مخلدى
وبعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق اومعمولا له بحذف الجارّ وقيل انّه جواب
قسم دلّ عليه المعنى كانّه قيل وحلّفناهم لا تعبدون الّا الله وقرى بالياء لانّهم غيّب **وبالوالدين**
احسانًا متعلّق بمضمر اى وتحسنون او احسنوا **وذى القربى واليتامى والمساكين** عطف على
الوالدين ويتامى جمع يتيم كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السّكون كان الفقر
اسكنه من الحراك واثخنه عن التّقلب **وقولوا للنّاس حُسنًا** اى قولا حسنا سمّاه حسنا مبالغة
وقرى كذلك وحُسُنا بضمّتين وهى لغة اهل حجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلّق و
ارشاد **واقيموا الصّلوة وٰاتوا الزّكوٰة** هما فرض عليهم فى شريعتهم **ثمّ تولّيتم** ان جعل ناصب
الظّرف خطابا للنّبىّ صلّى الله عليه وسلّم والمؤمنين فهذا خطاب بنى اسرائيل جميعا بتغليب
اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكركلّهم ح على نهج الغيبه فان الخطابات السابقة لاسلافهم
محكية داخلة فى حيّز القول المقدّر قبل لا تعبدون كانّهم استحضروا عند ذكرجنا ياتهم
فنعيت عليهم وان جعل خطابا لليهود المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا تعميم
للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتولى بتنزيل الاخلاف منزلة
الاسلاف للتشديد فى التّوبيخ اى اعرضتم عن المضىّ على مقتضى الميثاق ورفضتموه **الّا قليلًا**
منكم وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل النّسخ ومن الاخلاف من اسلم
كعبد الله من سلام واضرابه **وانتم معرضون** جملة تذييليّه اى وانتم قوم عادتكم الاعراض
عن الطاعة ومراعات حقوق الميثاق واصل الاعراض الذّهاب عن المواجهة والاقبال الى
جانب العرض **واذ اخذنا ميثاقكم** منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر
من التغليب ونعى عليهم اخلالهم بمواجب الميثاق الماخوذ منهم فى حقوق العباد على طريقة
النّهى اثر بيان ما فعلوا بالميثاق الماخوذ منهم فى حقوق الله سبحانه وما يجرى مجراها على
سبيل الامر فان المقصود الاصلى من النّهى عن عباده غير الله تعالى هو الامر بتخصيص
العبادة به تعالى اى واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم فى التوريه وقوله تعالى **لا تسفكون**
دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما قبله اخبار فى معنى النّهى غير السبك اليه لما ذكر من
نكتة المبالغة والمراد به النّهى الشديد عن تعرّض بعض بنى اسرائيل لبعض بالقتل والاجلاء
والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم بناء على جريان كلّ واحدٍ
منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتّصال القوى نسبا ودينا للمبالغة فى الحمل على مراعات حقوق
الميثاق بتصوير المنهىّ عنه بصورة تكرهها كلّ نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين
حتما اذ به يتحقّق تنزيل المخرجين منزلتهم كما انّ ضمير دياركم للمخرجين قطعًا اذ المحذور انّما هو
اخراجهم من ديارهم لا من ديار المخاطبين من حيث انّهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سياتى من

قوله تعالى من ديارهم وانّما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين بناء
على تنزيل انفسهم منزلتهم لتاكيد المبالغه وتشديد التشنيع وامّا ضمير دماءكم فيحتمل للوجهين
مفاد الاوّل كون المسفوك دماء ادّعائه للمخاطبين حقيقة ومفاد الثّانى كونه دماء حقيقيّه
للمخاطبين ادعاؤهما متقاربان فى افادة المبالغة فتدبّر وامّا ما قيل من ان المعنى لا تباشروا
ما يؤدى الى قتل انفسكم قصاصا او ما يبيح سفك دمائكم واخراجكم من دياركم اولا تفعلوا
ما يرديكم ويصرفكم عن الحيوة الابديه فانّه القتل فى الحقيقه ولا تقترفوا ما تحرّمون به عن
الجنّة الّتى هى داركم فانّه الجلاء الحقيقى فممّا لا يساعده سياق النّظم الكريم بل هو نصّ فيما قلناه
كما ستقف عليه **ثمّ اقررتم** اى بالميثاق وبوجوب المحافظه عليه **وانتم تشهدون** توكيد
للاقرار كقولك اقرّ فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايّها الحاضرون تشهدون اليوم
على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق **ثم انتم هؤلاء** خطاب خاصّ بالحاضرين فيه توبيخ شديد
واستبعاد قوى لما ارتكبوه بعد ما كان ما كان من الميثاق والاقرار به والشهادة عليه فانتم
مبتداء وهؤلاء خبره ومناط الافاده اختلاف الصّفات المنزل منزلة اختلاف الذّات و
المعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون النّاقضون المتناقضون حسبما يعرب عنه الحمل
الاتيه فان قوله تعالى **تقتلون انفسكم** الخ بيان له وتفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة تحت
الاشارة ضمنا كانّهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون انفسكم اى الجارين مجرى انفسكم كما
اشير اليه وقرى تقتلون بالتشديد للتكثير **وتخرجون فريقا منكم** الضمير اما للمخاطبين والمضاف
محذوف اى من انفسكم وامّا للمقتولين والخطاب باعتبار انّهم جعلوا انفس المخاطبين والّا
فلا يتحقّق التكافؤ بين المقتولين والمخرجين فى ذلك العنوان الذى عليه يدور فلك المبالغة
فى تاكيد الميثاق حسبما نصّ عليه ولا يظهر كمال قباحة جناياتهم فى نقضه **من ديارهم** الضّمير
للفريق وايثار الغيبة مع جواز الخطاب ايضا بناء على اعتبار العنوان المذكور كما مرّ فى الميثاق
للاحتراز عن توهّم كون المراد اخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هى ديارهم لا من حيث
هى ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول والجملتان فى حيّز الصّلة والمجموع هو الخبر لانتم
تظاهرون عليهم بحذف احدى التّائين وقرئ باثباتهما وبالادغام وتظهّرون بطرح احدى
التائين من تتظهّرون ومعنى الكل تتعاونون وهو حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او
منهما جميعًا مبنيّة لكيفيّة الاخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة بالاخراج بطريق الاصالة
والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة **بالاثم** متعلّق بتظاهرون حال من فاعله اى ملتبسين
بالاثم وهو الفعل الّذى يستحق فاعله الذّم واللّوم وقيل هو ما ينفر عنه النّفس ولا يطمئن اليه
القلب **والعدوان** وهو التّجاوز فى الظّلم **وان ياتوكم اسارى** جمع اسير وهو من يوخذ قهرا فعيل
بمعنى مفعول من الاسر اى الشّدّ او جمع اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقد قرئ اسرى ومحلّه

النصب على الحالية **تفادوهم** اى تخرجوهم من الاسر باعطاء الفداء وقرئ تفدوهم قال السدى
ان الله تعالى اخذ على بنى اسرائيل فى التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من
ديارهم وايما عبدا وامة وجدتموه من بنى اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت قريظة خلفاء
الاوس والنضير خلفاء الخزرج حين كان بينهما ما كان من العداوة والشنأن فكان كل فريق
نقاتل مع خلفائه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا
له مالا فيفدونه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم
وحرم علينا قتالهم ولكن نستحيى ان نذل حلفائنا فذمهم الله تعالى على المناقضة **وهو**
محرم عليكم هو ضمير الشان وقع مبتداء ومحرم فيه ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا من
اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان وقيل محرم خبر لضمير الشان واخراجهم مرفوع على
انه مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما يدل عليه
تخرجون من المصدر واخراجهم تاكيدا وبيان والجملة حال من الضمير فى تخرجون او من
فريقا او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالاخراج
مع كونه قرينا للقتل ولان مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض افعالهم
معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشئ من دية او قصاص
وهو السر فى تخصيص التظاهر به فيما سبق واما تاخيره من الشرطية المعترضة مع ان حقه
التقديم كما ذكره الواحدى فلان نظم افاعيلهم المتناقضة فى سمط واحد من الذكر ادخل فى اظهار
بطلانها **افتؤمنون ببعض الكتاب** اى التورية التى اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار
التوبيخى والفاء للعطف على مقدر يستدعيه المقام اى تفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب
وهو المفادات **وتكفرون ببعض** وهو حرمة القتال والاخراج مع ان قضية الايمان ببعضه
الايمان بالباقى لكون الكل من عند الله تعالى داخلا فى الميثاق فمناط التوبيخ كفرهم بالبعض مع
ايمانهم بالبعض حسبما يفيده ترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعى فى المقام الخطابى
اصالة المتقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتما واذ ليس ذلك ههنا باعتبار الانكار و
التوبيخ عليه فهو باعتبار الوقوع قطعا لا ايمانهم بالبعض مع كفرهم بالبعض كما هو المفهوم
لو قيل افتكفرون ببعض الكتاب وتؤمنون ببعض ولا مجرد كفرهم بالبعض وايمانهم بالبعض
كما يفيده ان يقال افتجمعون بين الايمان ببعض الكتاب والكفر ببعض او بالعكس **فما جزاء من يفعل**
ذلك ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا محل ليفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة
فمحله الجر على انه صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب مع الايمان ببعض او الى ما
فعلوا من القتل والاجلاء مع مفادات الاسارى منكم حال من فاعل يفعل **الا خزى** استثناء مفرغ
وقع خبرا للمبتداء والخزى الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بنى قريظة واجلاء

بنى النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل الجزية **فى الحيوة الدنيا** فى حيز الرفع على انه صفة
خزى الخزى كائن فى الدنيا او فى حيز النصب على انه ظرف النفس الخزى ولعل بيان جزائهم
بطريق القصر على ما ذكر لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه
لا اثر له اصلا مع الكفر ببعض **ويوم القيمة يردون** وقرئ بالتاء اوثر صيغة الجمع نظرا الى معنى من
اوثر الافراد نظرا الى لفظها لما ان الرد انما يكون بالاجتماع **الى اشد العذاب** لما ان معصيتهم
اشد المعاصى وقيل اشد العذاب بالنسبة الى ما لهم فى الدنيا من الخزى والصغار وانما غير سبك
النظم الكريم حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم القيمة للايذان بكمال التنافى بين جزائى النشاتين
وتقديم يوم القيمة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع الحال من اول الامر **وما الله بغافل**
عما تعملون من القبائح التى من جملتها هذا المنكر وقرئ بالياء على نهج يردون وهو تاكيد للوعيد
اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدا خبره قوله تعالى **الذين اشتروا** اى اثروا
الحيوة الدنيا واستبدلوها **بالاخرة** واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر من الكفر
ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعات جانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدينية
والدنيوية **فلا يخفف عنهم العذاب** دنيويا كان او اخرويا **ولا هم ينصرون** بدفعه عنهم شفاعة او جبرا
والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون مفسر بمحذوف قبل الضمير فيكون
من عطف الفعلية على مثلها **ولقد اتينا موسى الكتاب** شروع فى بيان بعض اخر من جناياتهم وتصديره
بالجملة القسمية لاظهار كمال الاعتناء به والمراد بالكتاب التورية عن ابن عباس رض ان التورية
لما نزلت جملة واحدة امر الله عز وجل موسى عليه السلام بحملها فلم يطق بذلك فبعث بكل حرف
منها ملكا فلم يطيقوا بحملها فخففها الله تعالى لموسى عليه السلام فحملها **وقفينا من بعده بالرسل**
يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اى ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم
يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس
وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام **واتينا عيسى ابن مريم البينات** المعجزات الواضحات من احياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع ومعناه
المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة
قلت لزير لم تصله مريمه ضليل اهواء الصبا تندمه ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل **وايدناه** اى
قويناه وقرئ ايدناه **بروح القدس** بضم الدال وقرئ بسكونها اى بالروح المقدسة وهى
روح عيسى ع م كقولك حاتم الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه
السلام لم تتضمنه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبرئيل عليه وقيل بالانجيل كما قيل فى
القران وروحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذى كان يحيى الموتى بذكره وتخصيصه من
بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات والتاييد بروح القدس

لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التورية وتقريرها واما عيسى ع م فقد نسخ بشرعه كثيرا من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل فى حقه عليه السلام ببيان حقيته واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام **افكلما جاءكم رسول** من اولئك الرسل **بما لا تهوى انفسكم** من الحق الذى لا محيد عنه اى لا يحبه من هوى كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار الرد والقبول عندهم هو المخالفه لاهواء انفسهم والموافقة لها لا شئ آخر وتوسيط الهمزة بين الفاء وما تعلقت به من الافعال السابقة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا وللتعجيب من شانهم ويجوز كون الفاء للعطف على مقدر يناسب المقام اى ألم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول منهم بما لا تهوى انفسكم استكبرتم عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله تعالى **ففريقا** منهم **كذبتم** من غير ان تتعرضوا بشئ آخر من المضار والفاء للسببية او التعقيب **وفريقا** آخر منهم **تقتلون** غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى وغيرهما عليهم السلام وتقديم فريقا فى الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر وايثار صيغة الاستقبال فى القتل لاستحضار صورته الهائله او للايمان الى انهم بعد على تلك النية حيث هموا بما لم ينالوه من جهته عليه السلام وسحروه وسموا له الشاة حتى قال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة خيبر تعاودنى فهذا اوان قطعت ابهرى **وقالوا** بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات الى الغيبة اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية نظائرها لكل من نعيم بطلانها وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون فى عصر النبى عليه السلام **قلوبنا غلف** جمع اغلف مستعار من الاغلف الذى لم يختن اى هى مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه كقولهم قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وقيل تخفيف غُلُف جمع غلاف ويؤيده ما روى عن ابى عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس وعطاء وقال الكلبى يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان فى حديثك خير لوعته ايضا **بل لعنهم الله بكفرهم** رد لما قالوه وتكذيب لهم فى ذلك والمعنى على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن من قبول الحق وعلى الثانى بل ابعدهم من رحمته فانى لهم ادعاء العلم الذى هو اجل آثارها وعلى الثالث بل ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المؤدى اليها **فقليلا ما يؤمنون** ما مزيدة للمبالغة اى فايمانا قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة وقيل اريد بالقلة العدم والفاء لسببية اللعن لعدم الايمان **ولما جاءهم كتاب** هو القرآن وتنكيره

للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل **من عند الله** اى كائن من عنده تعالى للتشريف **مصدق لما معهم** من التورية عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات الوقوف على ما فى تضاعيفها المؤدى الى العلم بكونها مصدقا لها وقرئ مصدقا على انه حال من كتاب لتخصصه بالوصف **وكانوا من قبل** اى من قبل مجيئه **يستفتحون على الذين كفروا** اى وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبى المبعوث فى آخر الزمان نجد نعته فى التورية ويقولون لهم قد اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس رضى الله عنه وقتاده والسدى نزلت فى بنى قريظه والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغه كما فى استعجب اى يسئلون من انفسهم الفتح او يسال بعضهم بعضا ان يفتح عليهم وعلى التقديرين فالجمله حالية مفيدة لكمال مكابرتهم و عنادهم وقوله عز وعلا **فلما جاءهم** تكرير للاول لطول العهد بتوسط الجملة الحالية وقوله تعالى **ما عرفوا** عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح به استفتاح به وايراد الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادى الايمان به ودواعيه لا محالة والفاء للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما مدة منسية له وقوله تعالى **كفروا به** جواب لما الاولى كما هو راى المبرد وجوابهما معا كما قاله ابو البقاء وقيل جواب الاولى محذوف لدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى و كانوا الخ جملة معطوفة على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبى صلى الله عليه وسلم كما هو المراد بما كانوا يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون بمن انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبى الذى عرفوه كفروا **فلعنة الله على الكافرين** اللام للعهد اى عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم كما ان الفاء للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون فى الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم واياما كان فهو محقق بمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم **بئسما اشتروا به انفسهم** ما نكرة بمعنى شئ منصوبة مفسرة لفاعل بئس واشتروا صفته اى بئس شيئا باعوا به انفسهم وقيل اشتروها به فى زعمهم حيث يعتقدون انهم بما فعلوا خلصوها من العقاب ويأباه انه لا بد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زائلا عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى **ان يكفروا بما انزل الله** اى بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف على حقيته وتبديل الانزال بالمجئ للايذان بعلو شانه الموجب للايمان به **بغيا** حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة لان يكفروا حتما دون اشتروا للفصل بما هو اجنبى بالنسبة اليه وان لم يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان البغى مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا سيما وهو معلل

بماسياتى من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاؤه و انّما الذى بينه وبينه علاقة هو كفرهم
بما انزل الله و المعنى بئس شيئا باعوا به انفسهم كفرهم المعلّل بالبغى الكائن لاجل ان ينزّل
الله من فضله الذى هو الوحى على من يشآء اى يشاؤه و يصطفيه من عباده المستاهلين لتحمّل اعباء
الرسالة ومآله تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل هٰهنا
للايذان بتجدد بغيهم حسب تجدّد الانزال وتكثّره حسب تكثّره فباؤ بغضب على غضب اى رجعوا
ملتبسين بغضب كائن على غضب مستحقّين له حسب ما اقترفوا من كفر على كفر فانّهم كفروا
بنبىّ الحقّ و بغوا عليه وقيل كفروا بمحمدعم بعد عيسى و قيل بعد قولهم عزير ابن الله و قولهم
يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين اى لهم والاظهار فى موقع الاضمار
للاشعار بعليّة كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين يراد به اهانتهم واذلالهم لما انّ كفرهم بما انزل
الله تعالى كان مبنيّا على الحسد المبنىّ على طمع النّزول عليهم وادّعاء الفضل على النّاس
والاستهانة بمن انزل عليه عليه الصّلوة والسّلام واذا قيل من جانب المؤمنين لهم اى لليهود
وتقديم الجار والمجرور قدمرّ وجهه لاسيّما فى لام التّبليغ امنوا بما انزل الله من الكتب الالهيّة
جميعاً والمراد به الامر بالايمان بالقرآن لكن سُلك مسلك التعميم ايذانا بتحتّم الامتثال
من حيث مشاركته لما امنوا به فيما فى حيّز الصّلة وموافقته له فى المضمون وتنبيها على انّ الايمان
بماعداه من غير ايمان به ليس بايمان بما انزل الله قالوا نؤمن اى نستمرّ على الايمان بما انزل
علينا يعنون به التورية وما نزل على انبياء بنى اسرائيل عم لتقرير حكمها و يدسّون فيه
ان ماعدا ذلك غير منزل عليهم ومرادهم بضمير المتكلّم امّا انفسهم فمعنى الانزال عليهم تكليفهم
بما فى المنزل من الاحكام واما انبياء بنى اسرائيل عليه السلام وهو الظّاهر لاشتماله على مزيّة
الايذان بان عدم ايمانهم بالفرقان لما مرّ من بغيهم وحسدهم على نزوله على من ليس منهم ولانّ
مرادهم بالموصول وان كان هو التورية وما فى حكمها خاصّة لكن ايرادها بعنوان الانزال عليهم
مبنىّ على ادّعاء انّ ماعداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال
عليهم ما ذكر من تكليفهم يلزم من مغايرة القرآن لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله
عزّ وجلّ ويكفرون بما وراءه عدم كونهم مكلّفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بنى
اسرائيل على الوجه الاخير وتجريد الموصول عند الاضمار عمّا عرضوا به تعسف لا يخفى والوراء
فى الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل فيراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول
فيراد به ما يواريه وهو امامه والجمله حال من ضمير قالوا بتقدير مبتداء اى قالوا ما قالوا وهم
يكفرون بماعداه وليس المراد به مجرّد بيان ان افراد ايمانهم بما انزل عليهم بالذكر لنفى ايمانهم
بما وراءه بل بيان ان ما يدّعون من الايمان ليس بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله
عز اسمه وهو الحقّ اى المعروف بالحقيّة الحقيق بان يخص به اسم الحقّ على الاطلاق حال من فاعل

يكفرون

يكفرون وقوله تعالى مصدّقاً حال موكدة لمضمون الجملة صاحبها امّا ضمير الحقّ وعاملها ما فيه من
معنى الفعل قاله ابو البقاء وامّا ضمير دلّ عليه الكلام وعاملها فعل مضمر اى احقّه مصدّقا لما
معهم من التورية والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون بالقرآن والحال انه حقّ مصدّق
لما امنوا به فيلزمهم الكفر بما امنوا به وما له انّهم ادّعوا الايمان بالتّورية والحال انّهم يكفرون
بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل تبكيتا لهم من جهة الله عزّ من قائل ببيان التناقض بين
اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض فى اقوالهم فلم اصله لما حذفت عنه الالف
فرقا بين الاستفهاميّة والخبريّة تقتلون انبيآء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود و
الماضين على طريق التّغليب وحيث كانوا مشاركين فى العقد والعمل كان الاعتراض على
اسلافهم اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب الشرط
المحذوف اى قل لهم ان كنتم مؤمنين بالتورية كما تزعمون فلاىّ شئ تقتلون انبياء الله من
قبل وهو فيها حرام وقرئ انبياء الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير للاعتراض
لتاكيد الالزام وتشديد التهديد اى ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كلّ
واحدة من الشرطيّتين ما حذف ثقة بما اثبت فى الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم
الجواب على الشرط وذلك لا يتاتّى الّا على راى الكوفيّين وابى زيد وقيل ان نافية اى
ماكنتم مؤمنين والّا لما قتلتموهم ولقد جآءكم موسى بالبيّنات من تمام التبكيت والتوبيخ داخل
تحت الامر لا تكرير لما قصّ فى تضاعيف تعداد النّعم الّتى من جملتها العفو عن عبادة العجل
واللّام للقسم اى وبالله لقد جاءكم موسى ملتبسا بالمعجزات الظّاهرة الّتى هى العصا واليد و
السنون ونقص الثّمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضّفادع وفلق البحر وقد عدّ
منها التورية وليس بواضح فان المجئ بها بعد قصّه العجل ثمّ اتّخذتم العجل اى الهاً من بعده اى
من بعد مجيئه بها وقيل من بعد ذهابه الى الطّور فيكون التوراة من جملة البيّنات وثمّ
للتراخى فى الرتبة والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا وانتم ظالمون حال من ضمير اتّخذتم بمعنى
اتّخذتم العجل ظالمين بعبادته واضعين لها فى غير موضعها او بالاخلال بحقوق آيات الله
تعالى او اعتراض اى وانتم قوم عادتكم الظّلم واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله تعالى
وتكذيب لهم فى ادّعائهم الايمان بما انزل عليهم بتذكير جنايتهم النّاطقة بكذبهم اى واذكروا
حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطّور قائلين خذوا ما آتيناكم بقوّة واسمعوا اى خذوا
بما امرتم به فى التورية واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول قالوا استيناف مبنى على سؤال سائل
كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فاذا قابل اسلافهم مثل ذلك
الخطاب المؤكّد مع مشاهدتهم مثل تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا
بما فى تضاعيف التوريه فكيف يتصوّر من اخلافهم الايمان بما فيها واشربوا فى قلوبهم العجل

على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اى تداخلهم حبّه ورسخ فى قلوبهم
صورته لفرط شغفهم به وحرصهم على عبادته كما يتداخل الصّبغ الثوب والشراب اعماق البدن
فى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما فى قوله تعالى انّما ياكلون فى بطونهم نارا والجملة حال من ضمير
قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السّابق الموجب لذلك قيل كانوا مجسّمة او حلوليّة ولم يروا
جسما اعجب منه فتمكّن فى قلوبهم ما سوّل لهم السامرىّ قل توبيخا لحاضرى اليهود اثر ما تبيّن
احوال رؤسائهم الّذين بهم يقتدون فى كلّ ما يأتون وما يذرون بئسما يامركم به ايمانكم
بما انزل عليكم من التورية حسبما تدّعون والمخصوص بالذّم محذوف اى ما ذكر من قولهم
سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفى اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان
اليهم للايذان بانّه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين فانّه قدح فى
دعواهم الايمان بما انزل عليهم من التّورية وابطال لها وتقريره ان كنتم مؤمنين بها
عاملين فيما ذكر من القول والعمل عليهما فبئسما يامركم به ايمانكم بها واذ لا يسوّغ الايمان بها
مثل تلك القبايح فلستم بمؤمنين بها قطعًا وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة ما سبق
عليه قل كرّر الامر مع قرب العهد بالامر السّابق لما انه امر بتبكيتهم واظهار كذبهم فى فن
آخر من اباطيلهم لكنّه لم يحك عنهم قبل الامر بابطاله بل اكتفى بالاشارة اليه فى تضاعيف
الكلام حيث قيل ان كانت لكم الدّار الآخرة اى الجنّة او نعيم الدّار الآخرة عند الله خالصةً اى سالمة
لكم خاصّة بكم كما تدّعون انه لن يدخل الجنّة الا من كان هودًا ونصبها على الحاليّة
من الدّار وعند الاستقرار فى الخبر اعنى لكم وقوله من دون الناس فى محل النّصب بخالصة تقال
خلّص لى كذا من كذا واللّام للجنس اى النّاس كافة او للعهد اى المسلمين فتمنّوا الموت فانّ
من ايقن بدخول الجنّة اشتاق الى التخليص اليها من دارة البوار وقرارة الاكدار لا سيّما اذا
كانت خالصة له كما قال على كرّم الله تعالى وجهه لا ابالى اسقطت على الموت او سقط الموت
علىّ وقال عمّار بن ياسر بصفّين الآن الاقى الاحبّة محمدًا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان
حين احتضر وقد كان يتمنّى الموت قبل جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اى على التمنّى وقوله
تعالى ان كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الالزام وللتنبيه على ان ترتّب الجواب ليس على
تحقّق الشّرط فى نفس الامر فقط بل فى اعتقادهم ايضا وانّهم قد ادّعوا ذلك والجواب محذوف
ثقة بدلالة ما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فتمنّوه وقوله تعالى ولن يتمنّوه ابدا كلام مستانف
غير داخل تحت الامر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عمّا دعوا اليه الدّال
على كذبهم فى دعواهم بما قدّمت ايديهم بسبب ما عملوا من المعاصى الموجبة لدخول النّار كالكفر
بالنبى صلى الله عليه وسلّم والقرآن وتحريف التورية ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان
مناط عامة صنائعه ومدار اكثر منافعه عبّر بها تارة عن النّفس واخرى عن القدرة والله

عليم بالظّالمين اى بهم وايثار الاظهار على الاضمار للذّم والتّسجيل عليهم بانّهم ظالمون فى
جميع الامور الّتى من جملتها ادّعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقرّرة
لمضمونه اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظّلم والمعاصى المفضيّة الى افانين العذاب وبما سيكون
منهم من الاحتراز عمّا يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمنّ منهم موته احد اذ لو وقع ذلك
لنقل واشتهر وعن النبىّ صلى الله عليه وسلّم لو تمنّوا الموت لغصّ كلّ انسان بريقه فمات مكانه
وما بقى يهودىّ على الارض ولتجدنّهم احرص النّاس من الوجدان العقلىّ وهو جار مجرى العلم
خلا انّه مختصّ بما يقع بعد التجربة ونحوها ومفعولاه الضّمير واحرص والتنكير فى قوله تعالى على
حيوة للايذان بانّ مرادهم نوع خاصّ منها وهى الحيوة المتطاولة وقرئ بالتعريف ومن الّذين
اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانّه قيل احرص من النّاس ومن الّذين اشركوا
وافرادهم بالذكر مع دخولهم فى النّاس للايذان بامتيازهم من بينهم بشدّة الحرص للمبالغة
فى التّوبيخ اليهود فانّ حرصهم وهم معترفون بالجزاء لمّا كان اشدّ من حرص المشركين المنكرين
له دلّ ذلك على جزمهم بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة بانباء
المعطوف عليه عنه اى واحرص من الّذين اشركوا فقوله تعالى يودّ احدهم بيان لزيادة حرصهم
على طريقة الاستيناف ويجوز ان يكون فى حيّز الرّفع صفة لمبتداء محذوف خبره الظّرف
المتقدم على ان يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله اى ومنهم طائفة يودّ احدهم
ايّهم كان اى كل واحد منهم لو يعمّر الف سنة وهو حكاية لودادتهم كانه قيل ليتنى اعمّر وانّما
اجرى على الغيبة لقوله تعالى يودّ كما تقول حلف بالله ليفعلنّ ومحلّه النّصب على انّه مفعول
يودّ اجراء له مجرى القول لانّه فعل قلبى وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازيّة والضمير العائد
الى احدهم اسمها وبمزحزحه خبرها والباء زائدة ان يعمّر فاعل مزحزحه اى وما احدهم بمن
يزحزحه اى يبعده وينحّيه من العذاب تعميره وقيل الضّمير لما دلّ عليه يعمّر من المصدر
وان يعمّر بدل منه وقيل هو مبهم وان يعمّر مفسّره والجملة حال من احدهم والعامل يود لا يعمّر
على انها حال من ضميره لفساد المعنى او اعتراض واصله سنه سنوة لقولهم سنوات وسنيّة
وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهة وسنيهة وسنّهت النّخلة اذا اتت عليها السنون والله
بصير بما يعملون البصير فى كلام العالم بكنه الشّئ الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه
اى عليم بخفيّات اعمالهم فهو مجازيهم بها لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد
للوعيد قل من كان عدوّا لجبريل نزل فى عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاجّ رسول
الله صلّى الله عليه وسلم وساله عمّن ينزل عليه بالوحى فقال جبرئيل عليه السلام فقال
هو عدوّنا ولو كان غيره لآمنّا بك وفى بعض الرّوايات ورسولنا ميكائيل فلو كان هو الّذى
ياتيك لآمنّا بك وقد عادانا مرارا واشدّها انّه انزل على نبيّنا ان بيت المقدّس سيخربه

بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبرئيل عليه السلام وقال
ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه والا فبای حق تقتلونه وقيل امره الله
تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها فی غيرنا وروى انه كان لعمر رض ارض باعلى المدينه و
كان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا
لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسالكم لشك فی دينی وانما ادخل عليكم لازداد
بصيرة فی امر محمد صلى الله عليه وارى اثاره فی كتابكم ثم سالهم عن جبرئيل عليه السلم
فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل
يجئ بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبرئيل اقرب منزله
هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان فقال عمر رض ان كان كما تقولون فما هما
بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما فهو عدو للاخر ومن كان عدوا
لهما كان عدوا الله سبحانه ثم رجع عمر فوجد جبرئيل عم قد سبقه بالوحی فقال النبی
صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر رض لقد رايتنی فی دين الله
بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل كسلسبيل وجبرئل كجحمرش وجبريل وجبرال
وجبرائيل كجبراعيل وجبرائل كجبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمه وقيل معناه
عبد الله **فانه نزله** تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الاول لجبريل عم والثانی
للقران اضمر من غير ذكر ايذانا بفخامة شانه واستغنائه عن الذكر لكمال شهرته ونباهته
لاسيما عند ذكر شئ من صفاته **على قلبك** زيادة تقرير للتنزيل ببيان محل الوحی فانه القابل
الاول له ومدار الفهم والحفظ وايثار الخطاب على التكلم المبنی على حكاية كلام الله تعالى
بعينه كما قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لما فی النقل بالعبارة من زيادة
تقرير لمضمون المقاله **باذن الله** بامره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال
توجه جبرئيل عليه السلام الى تنزيله وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله
وقوله تعالى **مصدقا لما بين يديه** ای من الكتب الالهية التی معظمها التورية حال من مفعوله
وكذا قوله تعالى **وهدى وبشرى للمؤمنين** والعامل فی الكل نزله والمعنى من عادى جبريل من
اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فانه نزل عليك كتابا مصدقا لكتبهم
او فالسبب فی عداوته تنزيله لكتاب مصدق لكتابهم موافق له وهم له كارهون ولذلك
حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته له لان الاعتراف بها يوجب الايمان به وذلك يستدعی
انتكاس احوالهم وزوال رياستهم وقيل ان الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او
فقد كفر بما معه من الكتاب او فليمت غيظا او فهو عدو لی وانا عدو له **من كان عدوا الله**
اريد بعداوته تعالى مخالفة امره عنادا والخروج عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه

ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشانهم وايذانا بان عداوتهم عداوته عز
وعلا كما فی قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح بالمرام فقيل **وملئكته
ورسله وجبريل وميكال** وانما افردا بالذكر مع انهما اول من يشمله عنوان الملئكة والرسالة
لاظهار فضلهما كانهما عليهما السلام من جنس اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير فی الوصف منزلة
التغاير فی الجنس وللتنبيه على ان عداوة احدهما عداوة للاخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل
فی حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة الى ان معادات الواحد والكل سواء فی الكفر
واستتباع العداوة من جهة الله سبحانه وان من عادى احدهم فكانما عادى الجميع وقوله تم
فان الله عدو للكافرين ای لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد
العقاب وايثار الاسمية للدلالة على التحقق والثبات ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان
بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج الى الاخبار به وان مدار عداوته تعالى
لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور وقرئ ميكائل كميكاعل
وميكائيل كميكاعيل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل **ولقد انزلنا اليك ايات بينات** واضحات
الدلالة على معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل **وما يكفر بها الا الفاسقون** ای المتمردون
فی الكفر الخارجون عن حدوده فان من ليس على تلك الصفه من الكفرة لا يجترئ على الكفر
بمثل هاتيك البينات قال الحسن اذا استعمل الفسق فی نوع من المعاصی وقع على اعظم افراد
ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضی الله عنهما انه قال ابن صوريا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك لها فنزلت
واللام للعهد ای الفاسقون المعهودون وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم الخارجون
عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا **او كلما عاهدوا عهدا** الهمزة للانكار
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام ای اكفروا بها وهی فی غاية الوضوح وكلما
عاهدوا عهدا ومن جملة ذلك ما اشير اليه فی قوله تعالى وكانوا يستفتحون على الذين
كفروا من قولهم للمشركين قد اظل زمان نبی يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد
وارم وقرئ بسكون الواو على ان تقدير النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا
عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا وقوله تعالى عهدا اما مصدر مؤكد لعاهدوا
من غير لفظه او مفعول له على انه بمعنى اعطوا العهد **نبذه فريق منهم** ای رموا بالزمان
ورفضوه وقرئ نقضه واسناد النبذ الى فريق منهم من لم ينبذه **بل اكثرهم لا يؤمنون** ای
بالتورية وهذا دفع لما يتوهم من ان النابذين هم الاقلون وان لم ينبذ جهارا فهم يؤمنون
بها سرا **ولما جاءهم رسول** هو النبی صلى الله الله عليه وسلم والتنكير للتفخيم **من عند الله** متعلق
بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتاكيد ما افاده التنكير من الفخامة

الذّاتيه بالفخامة الاضافيّه مصدّق لما معهم من التورية من حيث انه صلى الله عليه وسلم قرّر
صحّتها وحقق حقيقة نبوة موسى عليه السلم بما انزل عليه او من حيث انه عليه السلم جاء
على وفق ما نعت فيها نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب اى التورية وهم اليهود الذين
كانوا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ممّن كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا
فى عهد سليمان عليه السلام كما قيل لان النبذ عند مجئ النبى صلى الله عليه وسلم لا يتصوّر
منهم وافراد هذا النبذ بالذّكر مع اندراجه تحت قوله عزّ وجلّ اوكلما عاهدوا عهدًا
نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولان تمهيد لذكر اتّباعهم لما تتلوا الشّياطين و
ايثارهم له عليه والمراد بايتائها اما ايتاء علمها بالدّراسه والحفظ والوقوف على ما فيها
فالموصول عبارة عن علمائهم واما مجرّد انزالها عليهم فهو عبارة عن الكلّ وعلى التقديرين
فوضعه موضع الضّمير للايذان بكمال التنافى بين ما اثبت لهم فى حيّز الصّلة وبين ما
صدر عنهم من النّبذ كتاب الله اى الذى اوتوه قال السدى لما جاءهم محمد صلى الله عليه
وسلم عارضوه بالتّورية فاتفقت التورية والفرقان فنبذوا التّورية واخذوا بكتاب
اصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القران فهذا قوله تعالى ولما جاءهم
رسول من عند الله الخ وانّما عبّر عنها بكتاب الله تشريفا لها وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا
لما اجتروا عليه من الكفر بها وقيل كتاب الله القران نبذوه بعد ما لزمهم تلقّيه
بالقبول لا سيّما بعد ما كانوا يستفتحون به من قبل فان ذلك قبول له وتمسّك به فيكون
الكفر به عند مجيئه نبذا له كانّه قبل كتاب الله الّذى جاء به فان مجئ الرسول معرب عن
مجئ الكتاب وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكليّة مثل بما يرمى به وراء الظهر
استغناء عنه وقلّة التفات اليه كانّهم لا يعلمون جملة حالية اى نبذوه وراء ظهورهم
متشبهين بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمونه على وجه الاتقان
ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوّته صلى الله عليه وسلم ففيه ايذان بان علمهم به رصين
لكنّهم يتجاهلون او كانّهم لا يعلمون انّه كتاب الله اولا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم
الكل وفى هذين الوجهين زيادة مبالغة فى اعراضهم عمّا فى التّورية من دلائل النبوّة
هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القران فالمراد بالعلم المنفى فى قوله تعالى كانّهم
لا يعلمون هو العلم بانّه كتاب الله ففيه ما فى الوجه الاوّل من الاشعار بانّهم متيقّنون
فى ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادًا قيل ان جيل اليهود اربع فرق ففرقة امنوا بالتّورية
وقاموا بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليه بقوله عزّ وجلّ بل اكثرهم
لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود وتعدّى الحدود تمرّدًا وفسوقا وهم المعنيون بقوله
تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون

وفرقة تمسّكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون واتّبعوا ما تتلوا الشّياطين عطف على
جواب لما اى نبذوا كتاب الله واتّبعوا كتب السّحرة الّتى كانت تقرؤها الشّياطين وهم المتمرّدون
من الجنّ وتتلو حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحّض فيه والاقبال عليه
بالكليّه والا فاصل الاتباع كان حاصلا قبل مجئ الرّسول صلّى الله عليه وسلم فلا ينتسنى عطفه
على جواب لما ولذلك قيل هو معطوف على الجمله وقيل على اشربوا على ملك سليمان اى فى
عهد ملكه قيل كانت الشّياطين يسترقون السّمع ويضمنون الى ما سمعوا اكاذيب ويلقونها
الى الكهنة وهم يدوّنونها ويعلّمونها النّاس وفشا ذلك فى عهد سليمان عليه السّلام حتى قيل
انّ الجنّ يعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تمّ له ملكه الّا بهذا العلم وبه سخّر
الانس والجنّ والطّير والرّيح التى تجرى بامره وقيل انّ سليمان عليه السّلام كان قد دفن
كثيرا من العلوم الّتى خصّه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضى على ذلك مدّة توصّل اليها قوم
من المنافقين فكتبوا فى خلال ذلك اشياء من فنون السّحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من
بعض الوجوه ثمّ بعد موته واطلاع النّاس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عليه
السّلام وانّه ما بلغ هذا المبلغ الّا بسبب هذه الاشياء وما كفر سليمان تنزيه لساحته عليه
السّلام عن السّحر وتكذيب لمن افترى عليه بانّه كان يعتقده ويعمل به والتّعرض لكونه كفرا
للمبالغة فى اظهار نزاهته عليه السّلام وكذب باهتيه بذلك ولكنّ الشياطين وقرئ بتخفيف لكن
ورفع الشياطين والواو عاطفه للجملة الاستدراكيّة على ما قبلها وكون المخفّفه عند الجمهور
للعطف انّما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها مفردا كفروا باستعمال السحر وتدوينه
يعلّمون النّاس السّحر اغواء واضلالا والجملة فى محلّ النّصب على الحاليّة من ضمير كفروا او
من الشّياطين فان ما فى لكن من رائحة الفعل كاف فى العمل فى الحال او فى محل الرّفع على انّه
خبر ثان للكن او بدل من الخبر الاوّل وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التّعليم
وتجدده او جملة مستانفة هذا على تقدير كون الضمير للشياطين وامّا على تقدير رجوعه
الى فاعل اتبعوا فهى امّا حال منه وامّا استينافيّة فحسب واعلم انّ السّحر انواع منها سحر الكلدانيين
الذين كانوا فى قديم الدهر وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون انها هى المدبّرة لهذا العالم
ومنها تصدر الخيرات والشرور والسّعادة والنحوسه ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج
القوى السماويّة بالقوى الارضيّة وهم الّذين بعث الله تعالى ابرهيم عم لابطال مقالتهم وهم
ثلث فرق ففرقة منهم يزعمون انّ الافلاك والنّجوم واجبة الوجود لذاتها وهم الصابئيه وفرقة
يقولون بالهيئة الافلاك ويتخذون لكلّ واحد منها هيكلا ويشتغلون بخدمتها وهم عبدة الاوثان
وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنّهم قولوا انهم اعطاها قوة عالية نافذة فى هذا
العالم وفوّض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنّفوس القويّة فانّهم يزعمون ان

الانسان يبلغ روحه بالتّصفية فى القوّة والتّاثير الى حيث تقدر على الايجاد والاعدام والاحياء
والاماتة وتغيير البنية والشكل ومنها سحر من يستعين بالارواح الارضية وهو المسمّى بالعزائم
وتسخير الجنّ ومنها التخييلات الاخذة بالعيون وتسمّى الشعوذة ولا خلاف بين الامة فى
ان من اعتقاد الاوّل فقد كفر وكذا من اعتقد الثانى وهو سحر اصحاب الاوهام والنفوس
القويّه واما من اعتقد ان الانسان يبلغ بالتّصفية وقراءة العزائم والرقى الى حيث يخلق الله
سبحانه وتعالى عقيب ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق فالمعتزله اتفقوا على انّه
كافر لانه لايمكنه بهذا الاعتقاد معرفة صدق الانبياء والرّسل بخلاف غيرهم ولعلّ التحقيق
ان ذلك الانسان ان كان خيّرا متشرّعا فى كلّ ما ياتى ويذر وكان من يستعين به من
الارواح الخيّرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشّريعة الشريفة ولم يكن فيما
ظهر فى يده من الخوارق ضرر شرعيّ لاحدٍ فليس ذلك من قبيل السّحر وان كان شرّيرا غير
متمسّك بالشّريعة الشريفة فظاهر ان من يستعين به من الارواح الخبيثة الشريرة لامحالة
ضرورة امتناع تحقّق التضامّ والتّعاون بينهما من غير اشتراك فى الخبث والشرارة فيكون
كافرا قطعًا واما الشعوذة وما يجرى مجراها من اظهار الامور العجيبة بواسطة ترتيب الالات
الهندسيّة وخفّة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار فاطلاق السّحر عليها بطريق
التجوّز اولما فيها من الدّقة لانه فى الاصل عبارة عن كلّ ما لطف ماخذه وخفى سببه اومن
الصّرف على ما حكاه الازهرى عن الفرّاء ويونس **وما انزل على الملكين** عطف على السّحر اى
ويعلّمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف لتغاير الاعتبار اوهو نوع اقوى منه
او على ما تتلو وما بينهما اعتراض اى واتّبعوا ما انزل الخ وهما ملكان انزلا لتعليم السّحر ابتلاء
من الله للنّاس كما ابتلى قوم طالوت بالنهر او تمييزا بينه وبين المعجزة لئلا يغترّ به النّاس ولانّ
السحرة كثرة فى ذلك الزّمان واستنبطت ابوابا غريبة من السّحر وكانوا يدّعون النّبوّة فبعث
الله تعالى هذين الملكين ليعلّما النّاس ابواب السّحر حتى يتمكّنوا من معارضة اولئك الكذّابين
واظهار امرهم على النّاس وامّا ما يحكى من انّ الملئكة عليهم السّلام لمارأوا ما يصعد من ذنوب
بنى ادم عيّروهم وقالوا سبحانه هؤلاء الّذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها وقال الله
عزّ وجلّ لو ركّبت فيكم ما ركّبت فيهم لعصيتمونى قالوا سبحانك ما ينبغى لنا ان نعصيك قال
تعالى فاختاروا من خياركم ملكين فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم
فاهبطا الى الارض بعد ما ركّب فى البشر من الشّهوة وغيرها من القوى ليقضيا بين النّاس
نهارا ويعرجا الى السّماء ماء وقد نهيا عن الاشراك والقتل بغير الحقّ وشرب الخمر والزنا وكانا
يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم فصعدا الى السّماء فاختصمت اليهما ذات يوم
امراة من اجمل النّساء تسمّى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت من اهل فارس ملكة فى بلدها

وكانت خصومتها مع زوجها فلمّا رايا ها افتتنا بها فراوداها عن نفسها فابت فالحّا عليها
فقالت لا الّا ان تقضيا لى على خصمى ففعلا ثمّ سالاها ما سالا فقالت لا الّا ان تقتلاه ففعلا ثمّ
سالا فقالت لا الّا ان تشربا الخمر وتسجدا للصّنم ففعلا كلّا من ذلك بعد اللّتيا والّتى ثمّ
سالاها ما سالا فقالت لا الّا ان تعلّمانى ما تصعدان به الى السّماء فعلّماها الاسم الاعظم فدعت
به وصعدت الى السماء فمسخها الله سبحانه كوكبا فهمّا بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما
فعلما ما حلّ بهما وكان فى عهد ادريس ع م فالتجا اليه ليشفع لهما ففعل فخيّرهما الله تعالى بين
عذاب الدّنيا وعذاب الآخرة فاختارا الاوّل لانقطاعه عمّا قليل فهما معذّبان ببابل قيل
معلّقان بشعورهما وقيل منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام السّاعة فممّا لا تعويل
عليه لما ان مداره رواية اليهود مع ما فيه من المخالفة لادلّة العقل والنقل ولعله من مقولة
الامثال والرّموز التى قصد بها ارشاد اللبيب الاريب بالتّرغيب والترهيب وقيل هما رجلان
سمّيا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة الملكين بالكسر **ببابل** الباء بمعنى فى وهى متعلّقة
بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضّمير فى انزل وهى بابل العراق وقال ابن
مسعود رضى الله عنه بابل الكوفة وقيل جبل دماوند ومنع الصّرف للعجمة والعلميّة او للتانيث
والعلميّة **هاروت وماروت** عطفا بيان للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة والعلميّة ولو
كانا من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا وامّا من قراءة الملكين بكسر اللّام او قال كانا
رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من الجنّ هما المراد من الملكين
بالكسر وقرئ بالرفع على هما هاروت وماروت **وما يعلّمان من احد** من مزيدة فى المفعول به
لافادة تاكيد الاستغراق الّذى يفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما فى قولك ما
جاءنى من رجل وقرئ يعلمان من الاعلام **حتّى يقولا انّما نحن فتنة** الفتنة الاختبار والامتحان
وافرادها مع تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانّهما نفس الفتنة
والقصر لبيان انّه ليس لهما فيما يتعاطيانه شان سواها لينصرف النّاس عن تعلّمه اى وما
يعلّمان ما انزل عليهما من السحر احدا من طالبيه حتى ينصحاه قبل التّعليم ويقولا له انّما نحن
فتنة وابتلاء من الله عزّ وجل فمن علم بما تعلّم منّا واعتقد حقيته كفر ومن توقّى عن العمل به
او اتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقى على الايمان **فلا تكفر** باعتقاد حقيّته وجواز
العمل به والظّاهر انّ غاية النّفى ليست هذه المقالة فقط بل من جملتها التزام المخاطب بموجب النهى
لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام فى بيان اعتناء الملكين بشان النّصح والارشاد والجملة فى محلّ
النّصب على الحاليّه من ضمير يعلّمون لا معطوفة عليه كما قيل اى ولكن الشّياطين كفروا يعلّمون
النّاس ما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلاء والحال انّهما ما يعلّمان احدا حتى
ينهياه عن العمل به والكفر بسببه وامّا ما قيل من انّ ما فى قوله تعالى وما انزل الخ نافية والجملة

معطوفة على قوله تعالى وما كفر سليمان جيئ بها لتكذيب اليهود فى القصه اى لم ينزل على
الملكين اباحة السحر وان هاروت وماروت بدل من الشياطين على انهما قبيلتان من الجن
خصّتا بالذكر لاصالتهما وكون باقى الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلّمان احدا حتى
يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فتكون مثلنا فيأباه ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال
النّاس بما لا يلائمه وصف رؤساهم بما ذكر من النهى عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام
الكلام فان الابدال فى حكم تنحية المبدل منه **فيتعلّمون منهما** عطف على الجملة المنفية فانها فى
قوّة المثبتة كانّه قيل يعلّمانهم بعد قولهما انّما نحن الخ والضمير لاحد حملا على المعنى كما فى قوله
تعالى وما منكم من احد عنه حاجزين **ما يفرّقون به** اى بسببه واستعماله **بين المرء** وقرئ بضمّ
الميم وكسرها مع الهمزة وبتشديد الرّاء بلا همزة **وزوجه** بان يحدث الله بينهما التباغض
والفرك والنشوز عند ما فعلوا ما فعلوا من السحر على حسب جرى العادة الالهيّة من خلق
المسببات عقيب حصول الاسباب العاديّة ابتلاء لا انّ السّحر هو المؤثر فى ذلك وقيل
فيتعلّمون منهما ما يعلمون به فيراه النّاس ويعتقدون انه حق فيكفرون فتبيّن ازواجهم
وما هم بضارّين به اى بما تعلّموه واستعملوه من السّحر **من احد** اى احدا ومن مزيدة لما ذكر فى
قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كان زيادتها فى معمول فعل منفىّ الّا انّه حملت
الاسميّة فى ذلك على الفعليه كانّه قيل وما يضرون به من احد **الّا باذن الله** لانه وغيره
من الاسباب بمعزل من التاثير بالذّات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عند استعمالهم
السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرّغ والباء متعلّقة بمحذوف وقع حالا
من ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها على النّفى والضّمير المجرور فى به
اى وما يضرّون به احدا الّا مقرونا باذن الله تعالى وقرئ بضارى على الاضافة بجعل الجار
جزءا من المجرور وفصل ما بين المضافين بالظرف **ويتعلّمون ما يضرّهم** لانهم يقصدون به
العمل او لانّ العلم تجرّ الى العلم غالبا **ولا ينفعهم** صرّح بذلك ايذانا بانّه ليس من الامور المشوبة
بالنّفع والضّرر بل هو شرّ بحت وضرر محض لانّهم لا يقصدون به التّخلص عن الاغترار باكاذيب
من يدعى النبوّة مثلا من السحرة او تخليص النّاس منه حتى يكون فيه نفع فى الجملة وفيه الاجتناب
عما لا يؤمن غوائله خير كتعلّم الفلسفة التى لا يؤمن ان تجرّ الى الغواية وان قال من قال عرفت
الشرّ لا للشرّ لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشرّ من النّاس يقع فيه **ولقد علموا** اى اليهود الّذين
حكيت جناياتهم **لمن اشتراه** اى استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله عزّ وجل واللام الاولى
جواب قسم محذوف والثانية لام ابتداء علّق به علموا عن العمل ومن موصولة فى حيز الرّفع بالابتداء
واشتراه صلتها وقوله تعالى **ماله فى الآخرة من خلاق** اى من نصيب جملة من مبتداء وخبر ومن
مزيدة فى المبتداء وفى الاخرة متعلّق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر عنه لكان صفة له والتقدير

ماله

ماله خلاق فى الآخرة وهذه الجمله فى محلّ الرّفع على انّها خبر للموصول والجملة فى حيّز النّصب سادّة
مسد مفعولى علموا ان جعل متعدّيا الى اثنين او مفعوله الواحد ان جعل متعدّيا الى واحد
فجملة ولقد علموا الخ مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الخ هذا ما عليه الجمهور وهو مذهب سيبويه
وقال الفرّاء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطيّه مرفوعة بالابتداء
واشتراه خبرها وماله فى الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشّرط محذوف اكتفاء عنه
بجواب القسم لانه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فح يكون الجملتان مقسما عليهما
ولبئس ما شروا به انفسهم اى باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذّم محذوف
اى وبالله لبئسما باعوا به انفسهم السحر او الكفر وفيه ايذان بانّهم حيث نبذوا كتاب الله وراء
ظهورهم فقد عرّضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا وتجويز كون الشرى
بمعنى الاشتراء مما لا سبيل اليه لانّ المشترى متعيّن وهو ما تتلوا الشّياطين ولانّ متعلق الذّم
هو المأخوذ لا المنبوذ كما اشير اليه فى قوله سبحانه بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما
انزل الله **لو كانوا يعلمون** اى يعلمون بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم
ولو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على اليقين او حقيقة ما يتبعه من العذاب عليه
على انّ المثبت لهم اوّلا على التّوكيد القسمى العقل الغريزى او العلم الاجمالى بقبح الفعل او
ترتب العقاب من غير تحقيق وجواب لو محذوف اى لما فعلوا **ولو انّهم امنوا** اى بالرسول
المومى اليه فى قوله تعالى ولمّا جاءهم رسول من عند الله الى آخره او بما انزل اليه من
الايات المذكورة فى قوله تعالى ولقد انزلنا اليك ايات بيّنات وما يكفر بها الّا الفاسقون
او بالتورية التى اريدت بقوله تعالى فنبذ فريق من الّذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء
ظهورهم فان الكفر بالقران والرسول عليه السلام كفر بها **واتّقوا** المعاصى المحكيّة عنهم
لمثوبة من عند الله خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا ممّا شروا به انفسهم
فحذف الفعل وغير السّبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريّتها
وحذف المفضّل عليه اجمالا للمفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتقليل ومن متعلّقة بمحذوف
وقع صفة تشريفيّة لمثوبة اى لشئ مّا من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب
لو محذوف اى لاثيبوا وما بعده جملة مستانفة فان وقوع الجملة الابتدائيّه جوابا للو غير
معهود فى كلام العرب وقيل لو للتمنّى ومعناه انّهم من فظاعة الحال بحيث يتمنّى لعارف ايمانهم
واتقائهم تلهّفا عليهم وقرئ لمثوبة وانّما سمّى الجزاء ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه
لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل بموجب العلم **يا ايّها الّذين
امنوا** خطاب للمؤمنين فيه ارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض آخر من جنايات اليهود
لا تقولوا راعنا المراعات المبالغه فى الرّعى وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك مصالحه

وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من العلم يقولون
راعنا يا رسول الله اى راقبنا وانتظرنا وتانّ بنا حتّى نفهم كلامك وتحفظه وكانت لليهود
كلمة عبرانيّة يتسابّون بها فيما بينهم وهى راعينا قيل معناها اسمع لاسمعت فلمّا سمعوا
بقول المؤمنين ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبى
صلى الله عليه وسلم يعنون به تلك المسبّة او نسبته عليه الصّلوة والسلام الى الرعن وهو
الحمق والهوج روى انّ سعد بن عباده رضى الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم
لعنة الله والّذى بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لاضربن عنقه قالوا اولستم تقولونها فنزلت الاية ونهى فيها المؤمنون عن ذلك قطعًا
لالسنة اليهود عن التدليس وامروا بما فى معناها ولا تقبل التّلبيس فقيل **وقولوا انظرنا**
اى انظر الينا بالحذف والايصال وانتظرنا على انّه من نظره اذا انتظره وقرئ انظرنا من
النّظرة اى امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتّوقير وراعنا على صيغة الفاعل
اى قولا ذا رعن كدارع ولابن لانّه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسبّ بالرّعن
اتّصف به **واسمعوا** واحسنوا اسماع ما يكلّمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى
عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى لا يحتاجوا الى الاستعادة وطلب
المراعات او واسمعوا ما كلّفتموه من النّهى والامر بجدّ واعتناء حتّى لا ترجعوا الى ما نهيتم
عنه او واسمعوا اسماع طاعة وقبول ولا يمكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا
وعصينا **وللكافرين** اى اليهود الذين توسّلوا بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا
للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا **عذاب اليمٌ** لما اجترؤا
عليه من العظيمة وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عمّا نهوا
عنه **ما يودّ الّذين كفروا** الود حبّ الشّئ مع تمنّيه ولذلك يستعمل فى كل منهما ونفيه كناية عن
الكراهة ووضع الموصول موضع الضمير للاشعار بعليّة ما فى حيّز الصّلة لعدم ودهم
ولعلّ تعلّقه بما قبله من حيث ان القول المنهى عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحى المعبّر
عنه فى هذه الاية بالخير فكانه اشير الى انّ سبب تحريفهم له الى ما حكى عنهم لوقوعه فى اثناء
حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبّة
ويزعمون انّهم يودّون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم فى ذلك ومن فى قوله تعالى **من اهل
الكتاب ولا المشركين** للتبيين كما فى قوله عزّ وعلا لم يكن الّذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين
ولا مزيدة لما ستعرفه **ان ينزّل عليكم** فى حيّز النصب على انّه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول
للثقة بتعيّن الفاعل والتّصريح الاتى وقوله تعالى **من خير** هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة
للاستغراق والنّفى وان لم يباشره ظاهرا لكنه منسحب عليه معنى والخير الوحى وحمله على ما يعمّه

وغيره من العلم والنّصرة كما قيل يأباه وصفه فيما سيأتى بالاختصاص وتقديم الظّرف عليه مع ان
حقه التّاخر عنه لاظهار كمال العناية به لانه المدار لعدم ودّهم ومن فى قوله تعالى **من ربّكم**
ابتدائيّة والتّعرض لعنوان الرّبوبيّة للاشعار بعليّته لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين
لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيله على المخاطبين من حيث تعبّدهم بما فيه وتعريضهم بذلك
لسعادة الدّارين كيف لا وهم من تلك الحيثيّة من جملة من نزّل عليهم الخير بل من حيث
وقوع ذلك التنزيل على النّبى صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم
ليس معنى خاصّا بالنّبىّ صلى الله عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل هو الخلوّ عن
الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين والمعنى انّهم يرون انفسهم احق بان
يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شئ من الوحى وانتم امّيون وامّا المشركون
فلا لا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم انّ رياسة الرسالة كسائر الرّياسات الدّنيويّة
منوطة بالاسباب الظّاهرة ولذلك قالوا لولا نزّل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم ولما كانت اليهود بهذا الدّاء اشهر لاسيّما فى اثناء ذكر ابتلائهم به لم يلزم من نفى
ودادتهم لما نفى ودادة المشركين له فزيدت كلمة لا لتاكيد النّفى **والله يختصّ برحمته** جملة
ابتدائيّة سيقت لتقرير ما سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين
له والمراد برحمته الوحى كما فى قوله سبحانه اهم يقسمون رحمة ربّك عبّر عنه باعتبار
نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى بالرّحمة قال على رضى الله تعالى
عنه بنبوّته خصّ بها محمدا صلّى الله عليه وسلم فالفعل متعدّ وصيغة الافتعال للانباء
عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسباق الموافق لقوله تعالى ان ينزّل الله
من فضله على من يشاء لزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم ممّا علقوا به اطماعهم
الفارغة والباء داخلة على المقصور اى يؤتى رحمته **من يشاء** من عباده ويجعلها مقصورة
عليه لاستحقاقه الذاتى الفائض عليه بحسب ارادته عزّ وعلا تفضّلا لا تتعدّاه الى غيره
وقيل الفعل لازم وما يشاء فاعله والضمير العائد الى من محذوف على التقدير وقوله تعالى
والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر بمضمونه وفيه ايذان بان ايتاء النبوة من
فضله العظيم كقوله تعالى انّ فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم ذلك ليس
لضيق ساحة فضله بل لمشيّة الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم
الجليل للايذان بفخامة مضمونيهما وكون كلّ منهما مستقلّة بشانها فانّ الاضمار فى الثّانية
منبئ عن توقفها على الاولى **ما ننسخ من اية او ننسها** كلام مستانف مسوق لبيان سرّ النّسخ
الذى هو فرد من افراد تنزيل الوحى وابطال مقالة الطّاعنين فيه اثر تحقيق حقيقة الوحى وردّ
كلام الكارهين له راسًا قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود الا ترون الى محمّد عليه السّلم

يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه و يامر بخلافه والنسخ فى اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح
الاثر اى ازالته ونسخت الكتاب اى نقلته ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم
المستفاد منها او بهما جميعًا او انساؤها اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ
منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ اى نامرك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة
وننساها من النساء اى نؤخرها وننسها بالتشد وتنسها وتُنسها على خطاب الرسول صلى
الله عليه وسلم مبنيا للفاعل وقرئ ما ننسخ من اية او ننسكها وقرئ ما ننسك من اية او ننسخها
والمعنى ان كل اية نذهب بها على ما يقتضيه الحكمة والمصلحة من ازالة لفظها او
حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل نات بخير منها اى نوع اخر هو خير للعباد بحسب
الحال فى النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا او مثلها اى فيما ذكر من
النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الاية التامة فما فوقها بل جار فى ما دونها ايضا
وتخصيصها بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الايات
التى عليها يدور فلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك
يختلف باختلاف الاحوال ويتبدل حسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش
فرب حكم تقتضيه الحكمة فى حال تقتضى فى حال اخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين
الحكمة والاحكام من النظام الم تعلم الهمزة للتقرير كما فى قوله سبحانه اليس الله بكاف عبده
وقوله تعالى الم نشرح لك صدرك والخطاب للنبى عم وقوله تعالى ان الله على كل شئ
قدير ساد مسد مفعولى تعلم عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثانى محذوف عند
الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى
الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت
قدرته سبحانه فمن علم شمول قدرته لجميع الاشياء علم قدرته على ذلك قطعًا والالتفات
بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة
لجميع الاشياء من احكام الالوهية وكذا الحال فى قوله عز سلطانه الم تعلم ان الله له ملك
السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم
وملك السموات والارض مبتداء والجملة خبر لان وايثاره على ان يقال ان الله ملك
ملك السموات والارض للقصد الى تقوى الحكم بتكرر الاسناد واما تكرير للتقرير واعادة
الاستشهاد على ما ذكر وانما لم يعطف ان مع ما فى حيزها على ما سبق من مثلها رومًا للزيادة
التاكيد واشعارا باستقلال العلم بكل منهما وكفايته فى الوقوف على ما هو المقصود واما
تقرير مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الاشياء اى الم تعلم ان الله له السلطان
القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلى فيهما ايجادًا

واعداما

واعدامًا وامرا ونهيًا حسبما يقتضيه مشيته لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا
شانه كيف يخرج عن قدرته شئ من الاشياء وقوله وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير معطوف
على الجملة الواقعة خبر لان داخل معها تحت تعلق العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول
الخطابين السابقين للامة ايضا وانما افراده عليه السلام بهما لما ان علومهم مستندة
الى علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى اسم ان لتربية المهابة
والايذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما تعلق به من
العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان مجرد قدرته
تعالى على ذلك لا يستدعى حصوله البتة وانما الذى يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا
ونصيرا لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعًا انه لا يفعل به الا
ما هو خير له فيفوض امره اليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة فى امر النسخ وغيره اصلا والفرق
بين الولى والنصير ان الولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور
وما اما تميمية لا عمل لها ولكم خبر مقدم ومن ولى مبتداء مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق
واما حجازية ولكم خبرها المنصوب عند من يجيز تقديمه واسمها من ولى ومن مزيدة
لما ذكر ومن دون الله فى النصب على الحالية من اسمها لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب
حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية العلم بما ذكر من الامور الثلثة هو الجزم والايقان
بانه تعالى لا يفعل بهم فى امر من امور دينهم او دنياهم الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من
الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغاء الى اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم
التى من جملتها ما قالوا فى امر النسخ وقوله تعالى ام تريدون تجريد للخطاب عن النبى صلى الله
عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال عن حملهم
على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخائل المساهلة منهم فى ذلك وامارات
التاثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم
واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها
للمبالغة فى انكاره واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره
نفسه والمعنى اتريدون ان تسالوا وانتم مؤمنون رسولكم وهو فى تلك الرتبة من علو
الشان وتقترحوا عليه ما تشتهون غير واثقين فى اموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه
قضية علمكم بشؤنه سبحانه قيل لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام بيان تفاصيل
الحكم الداعية الى النسخ وقيل ساله عليه السلام قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط
كما كانت للمشركين وهى شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها الماكول والمشروب وقوله
تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية اى

سؤالًا مشبّهًا بسؤال موسى حيث قيل له اجعل لنا الهًا وأرنا الله جهرةً وغير ذلك و
مقتضى الظّاهر ان يقال كما سألوا موسى لانّ المشبّه هو المصدر من المبنى للفاعل اعنى
سائليّة المخاطبين لا من المبنىّ للمفعول اعنى مسؤليّة الرّسول عليه السّلام حتّى تشبّه
بمسؤليّة موسى عليه السّلام فلعلّه اريد التشبيه فيهما معًا ولكنّه اوجز النّظم فذكر في
جانب المشبه السّائلية وفى جانب المشبّه به المسئوليّه واكتفى بما ذكر فى كلّ موضع عمّا ترك
فى موضع الاخر كما ذكر فى قوله تعالى وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن
يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ وقد جوّز ان يكون ما موصولة على انّ العائد محذوف كالسّؤال
الّذى سئله موسى وقوله تعالى من قبل متعلّق بسئل جيئ به للتّاكيد وقرئ سيل بالياء
وكسر السّين وبتسهيل الهمزة بين بين ومن يتبدّل الكفر اى يختره ويأخذ لنفسه
بالايمان بمقابلته بدلا منه وقرى ومن يبدل من ابدل وكان مقتضى الظّاهر ان يقال
ومن يفعل ذلك اى السّؤال المذكور وارادته وحاصله ومن ترك الثقة بالايات
البيّنة المنزلة بحسب المصالح الّتى من جملتها الايات النّاسخة الّتى هى خير محض وحق بحت
واقترح غيرها فقد ضلّ سواء السّبيل اى عدل وجار من حيث لا يدرى عن الطّريق المستقيم
الموصل الى معالم الحقّ والهدى وتاه فى تيه الهوى وتردى فى مهاوى الرّدى وانّما
اوثر على ذلك ما عليه النّظم الكريم للتّصريح من اوّل الامر بانّه كفر وارتداد وانّ كونه
كذلك امر واضح غنىّ عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعدّ من
المسلّمات ويجعل مقدّما للشرطيّه رومًا للمبالغة فى الزّجر والافراط فى الرّدع وسواء
السّبيل من باب اضافة الوصف اى الموصوف لقصد المبالغه فى بيان قوّة الاتّصاف
كانّه نفس السواء على منهاج حصول الصّورة فى الصّورة الحاصلة وقيل الخطاب لليهود حين
سألوا ان ينزّل عليهم كتابا من السّماء وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر
لنا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا الخ فاضافة الرّسول صلى الله عليه وسلم اليهم على القولين
باعتبار انّهم من امّة الدّعوة ومعنى تبدّل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان ترك
صرف قدرتهم اليه مع تمكّنهم من ذلك وايثارهم للكفر عليه ودّ كثير من اهل الكتاب
هم رهط من احبار اليهود روى انّ فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفرا من اليهود
قالوا لحذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم
على الحقّ ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمّار
كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فانّى عاهدت ان لا اكفر بمحمد عم ما عشت فقالت
اليهود امّا هذا فقد صبا وقال حذيفه امّا انا فقد رضيت بالله ربّا وبمحمد نبيّا وبالقران
اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثمّ اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلّم واخبراه

فقال

فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردّونكم حكاية لودادتهم ولو فى معنى التمنّى و
صيغة الغيبة كما فى قوله حلف ليفعلنّ وقيل هى بمنزلة ان النّاصبة فلا يكون لها
جواب وينسبك منها وممّا بعدها مصدر يقع مفعولا لودّ والتّقدير ودّ واردّكم وقيل
هى على حقيقتها وجوابها محذوف تقديره لو يردّونكم كفّارا لسرّوا بذلك من بعد ايمانكم
متعلّق بيردّونكم وقوله تعالى كفّارا مفعول ثان له على تضمين الرّد معنى التّصيير
اى يصيّرونكم كفّارا كما فى قوله رمى الحدثان نسوة ال سعد بمقدارٍ سَمَدْنَ له سُمُودًا
فردّ شعورهنّ السّود بيضا وردّ وجوههنّ البيض سودًا وقيل هو حال من مفعوله و
الاوّل ادخل لما فيه من الدّلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد
الظّرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقّق الرّد الى
الكفر بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه
وغاية بعده من الوقوع امّا لزيادة قبح الصارف للعاقل عن مباشرته واما لممانعة الايمان
له كانّه قيل من بعد ايمانكم الرّاسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى حسدا علة لودّ
او حال اريد به نعت الجمع اى حاسدين لكم والحسد الاسف على من له خير بخيره من عند
انفسهم متعلّق بودّ اى ودّوا ذلك من اجل تشهّيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التديّن
والميل مع الحقّ ولو على زعمهم او بحسدًا اى حسدا منبعثا من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه
من بعد ما تبيّن لهم الحقّ بالمعجزات السّاطعة وبما عاينوا فى التّورية من الدّلائل وعلموا
انّكم متمسّكون به وهم منهمكون فى الباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك المؤاخذة والعقوبة
والصّفح ترك التثريب والتّانيب حتّى يأتى الله بامره الذى هو قتل بنى قريظه واجلاء بنى النضير
واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن فى القتال وعن ابن عبّاس رضى الله تعالى عنهما
انّه منسوخ باية السّيف ولا يقدح فى ذلك ضرب الغاية لانّها لا تعلم الّا شرعا ولا يخرج
الوارد بذلك من ان يكون ناسخا كانّه قيل فاعفوا واصفحوا الى ورود النّاسخ انّ الله على
كلّ شئ قدير فينتقم منهم اذا حان حينه وان او انه فهو تعليل لما دلّ عليه ما قبله واقيموا
الصّلوة واٰتوا الزّكوة عطف على فاعفوا امروا بالصّبر والمدارات واللّجاء الى الله تعالى
بالعبادة البدنيّه والماليّه وما تقدّموا لانفسكم من خير كصلوة او صدقة او غير
ذلك اى ايّ شئ من الخيرات تقدّموه لمصلحة انفسكم تجدوه عند الله اى تجدوا ثوابه وقرئ
تقدموا من اقدم انّ الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل فهو وعد للمؤمنين وقرئ بالياء
فهو وعيد للكافرين وقالوا عطف على ودّ والضمير لاهل الكتاب جميعًا لن يدخل الجنّة الّا
من كان هودا او نصارى اى قالت اليهود لن يدخل الجنّة الّا من كان هودا او
نصارى لن يدخل الجنّة الا من كان نصارى فلفّ بين القولين ثقة بان السّامع يردّ كلّا

منهما الى قائله ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم باولئك من اقام
اليهودية والنصرانية قبل النسخ والتحريف على وجهها بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما
يقولونه لاضلال المؤمنين وردهم الى الكفر والهود جمع هائد كعوذ جمع عائذ وبزل
جمع بازل والافراد فى كان باعتبار لفظ من والجمع فى خبره باعتبار معناه وقرئ الامن كان
يهوديا او نصرانيا تلك امانيهم الامانى جمع امنية وهى ما يتمنى كالاعجوبة والاضحوكة
والجمله معترضة مبنية لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار صدوره عن الجميع
وقيل فيه حذف مضاف الى امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة اليه والى ما
قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردوهم كفارا ويرده قوله قل هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين فانهما ليسا مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب
قل هاتوا اصله أتوا قلبت الهمزة هاء اى احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان
كنتم صادقين فى دعواكم هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظر الجليل والذى يستدعيه اعجاز
التنزيل ان الامر التبكيتى على طلب البرهان على اصل الدخول الذى يتضمنه دعوى
الاختصاص به فان قوله تعالى بلى الى آخره اثبات من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفى
ما اثبتوه واذ ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو معهم ليكون المنفى مجرد اختصاصهم
به مع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو اختصاص غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله
تعالى ظهر ان المنفى اصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو الذى كلفوا اقامة البرهان
عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفى وانما عدل عن ابطال صريح ما ادعوه
وسلك هذا المسلك ابانة لغاية حرمانهم مما علقوا به اطماعهم واظهارا لكمال عجزهم عن
اثبات مدعاهم لان حرمانهم من الاختصاص بالدخول وعجزهم عن اقامة البرهان
عليه لا يقتضيان حرمانهم من اصل الدخول وعجزهم عن اثباته واما نفس الدخول فحيث
ثبت حرمانهم منه وعجزهم عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته اعجز وانما
الفائز به من انتظمه قوله سبحانه من اسلم وجهه لله اى اخلص له نفسه تعالى لا يشرك به
شيئا عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع
الذى هو من اخص خصائص الاخلاص او توجهه وقصده بحيث لا يلوى عزيمته الى شىء
غيره وهو محسن حال من ضمير اسلم اى والحال انه محسن فى جميع اعماله التى من جملتها الاسلام المذكور
وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل على الوجه اللائق وهو حسنه الوضعى التابع لحسنه الذاتى
وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانك يراه فله
اجره الذى وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول الجنة او عما يدخل هو فيه دخولا اوليا
وايا ما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه بالعمل واستحاله نيله بدونه وقوله

تعالى عند ربه حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار فى الظرف والعندية للتشريف
ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة لاظهار مزيد اللطف به
وتقرير مضمون الجملة اى فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى كماله والجملة
جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط
فيكون الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر اى بلى يدخلها
من اسلم وقوله تعالى فله اجره معطوف على ذلك المقدر وايا ما كان فتعليق ثبوت
الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان المختصين باهل الايمان قاض بان اولئك المدعين
من دخول الجنة بمعزل ومن الاختصاص به بالف منزل ولا خوف عليهم فى الدارين
من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك
لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع فى الضماير الثلثه باعتبار معنى من
كما ان الافراد فى الضماير الاول باعتبار اللفظ وقالت اليهود ليست النصارى على شىء بيان
لتضليل كل فريق صاحبه بخصوصه اثر بيان تضليله كل من عداه على وجه العموم نزلت
لما قدم وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا
فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم لستم على شىء اى امر يعتد به من الدين او على شىء ما منه
اصلا مبالغة فى ذلك كما قالوا اقل من لا شىء وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى
ليست اليهود على شىء على الوجه المذكور وكفروا بموسى والتورية لا انهم قالوا ذلك بناء
للامر على منسوخية التورية وهم يتلون الكتاب الواو للحال واللام للجنس اى قالوا ما قالوا
والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اى كان حق كل منهم ان يعترف بحقية دين
صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصادقة كذلك اى مثل ذلك الذى
سمعت به والكاف فى محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على عامله لافادة القصر
اى قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين لا يعلمون من عبدة الاصنام
والمعطله ونحوهم من الجهلة اى قالوا لاهل كل دين ليسوا على شىء واما على انها حال من
المصدر المعرف الدال عليه قال اى قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك القول
الذى سمعت به مثل قولهم اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفى قبله اى مثل ذلك
القول قال الجاهلون بمثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم
مع علمهم فى سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اى بين اليهود والنصارى فان مساق
النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم ولان المحاجه
المحوجه الى الحكم انما وقعت بينهم يوم القيمة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا خير فيه
لاختلاف المعنى فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم لكل فريق ما يليق به من العقاب وقيل

حكم بينهم ان يكذبهم و يدخلهم النّار والظّرف الاخير متعلّق بيختلفون قدّم عليه للمحافظة
على رؤس الاى لا بكا نوا ومن اظلم ممّن منع مساجد الله انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم
ممّن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التّرتيب متعرّضا لانكار المساوات ونفيها
يشهد به العرف الفاشى والاستعمال المطّرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من
فلان فالمراد به حتما انّه اكرم من كلّ كريم وافضل من كلّ فاضل وهذا الحكم عام لكلّ من
فعل ذلك فى اىّ مسجد كان وان كان سبب النّزول فعل طائفة معينة فى مسجد مخصوص
روى انّ النّصارى كانوا يطرحون فى بيت المقدّس الاذى ويمنعون النّاس ان يصلوا فيه
وان الرّوم غزوا اهله فخرّبوه واحرقوا التّوريةِ وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس
رض ان ططبوس الرّومى ملك النّصارى واصحابه غزوا بنى اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا
واحرقوا التّورية وخرّبوا بيت وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتّى
بناه المسلمون فى عهد عمر رض وانّما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع هو النّاس لما ان
فعلهم من طرح الاذى والتّخريب ونحوهما متعلّق بالمسجد لا بالنّاس مع كونه على حاله وتعلّق
الاية الكريمة بما قبلها من حيث انّها مبطلة لدعوى النّصارى اختصاصهم بدخول الجنّة
وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية
فتعلّقها بما تقدّمها من جهة انّ المشركين من جملة الجهلة القائلين لكل من عداهم ليسوا
على شئ ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى منع كقوله تعالى وما منع النّاس ان تؤمنوا
وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الّا ان كذّب بها الاوّلون ويجوز ان يكون
ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون ذلك مفعولا له اى كراهة ان يذكر فيها اسمه وسعى
فى خرابها بالهدم او التّعطيل بانقطاع الذّكر اولئك المانعون الظّالمون الساعون فى خرابها
ما كان لهم ان يدخلوها الّا خائفين اى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الّا بخشيّة
وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحقّ ان يدخلوها الّا
على حال التّهيّب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان يستولوا
عليها ويلوها ويمنعوهم منها او ما كان لهم فى علم الله تعالى وقضائه بالآخرة الا ذلك
فيكون وعد المؤمنين بالنّصر واستخلاص ما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد
روى انّه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الّا متنكرا مسارقة وقيل معناه النّهى
عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف الائمّة فى ذلك فجوّزه ابو حنيفه رحمه الله مطلقا
ومنعه مالك مطلقًا وفرق الشّافعى بين المسجد الحرام وغيره لهم اى لاولئك المذكورين
فى الدّنيا خزى اى خزى فظيعٌ لا يوصف بالقتل والسّبى والاذلال بضرب الجزية عليهم
ولهم فى الاخرة عذاب عظيم وهو عذاب النّار لما انّ سببه ايضا وهو ما حكى من ظلمهم

كذلك فى العظم وتقديم الظّرف فى الموضعين للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزى والعذاب
لما مرّ من ان تاخير ما حقه التقديم موجب لتوجّه النّفس اليه فيتمكّن فيها عند وروده
فضل تمكّن كما فى قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج الى
غير ذلك ولله المشرق والمغرب اى له كل الارض الّتى هى عبارة عن ناحيتى المشرق والمغرب
لا يختصّ به من حيث الملك والتّصرف ومن حيث المحلية لعبادته مكان منها دون مكان
فان مُنعتم من اقامة العبادة فى المسجد الاقصى والمسجد الحرام فاينما تولّوا اى ففى اىّ مكان
فُعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثمّ وجه الله ثمّ اسم اشارة للمكان البعيد خاصّة مبنىّ
على الفتح ولا يتصرّف سوى الجرّ بمن وهو خبر مقدّم ووجه الله مبتداء والجملة فى محل الجزم
على انّها جواب الشرط اى هناك جهته الّتى امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد
دون مسجد او مكان دون مكان اٰخر او فثم ذاته بمعنى الحضور العلمىّ اى فهو عالم بما يُفعل
فيه ومثيب لكم على ذلك وقرئ بفتح التاء واللّام اى فاينما توجهوا القبلة انّ الله واسع
باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن كلّها و
الجملة تعليل لمضمون الشّرطيّة وعن ابن عمر رض نزلت فى صلوة المسافرين على الرّاحلة اينما
توجّهوا وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلّوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبيّنوا اخطاءهم
وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثمّ تبيّن له الخطاء لم يلزمه التّدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة
وتنزيه للمعبود عن ان يكون فى جهة وقالوا اتّخذ الله ولدًا حكاية لطرف اٰخر من مقالاتهم
الباطلة المحكيّة فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى الخ الاعلى صلة من لما بينهما
من الجمل الكثيرة الاجنبيّة والضّمير لليهود والنّصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الّذين
لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستيناف نزلت حين قالت اليهود عزير ابن الله والنّصارى
المسيح ابن الله ومُشركوا العرب الملئكة بنات الله والاتّخاذ امّا بمعنى الصّنع والعمل فلا
يتعدى الا الى واحد وامّا بمعنى التصيير والمفعول الاوّل محذوف اى صيّر بعض مخلوقاته
ولدًا سبحانه تنزيه وتبرئة له تعالى عمّا قالوا وسبحان علم للتّسبيح كعثمان للرجل وانتصابه
على المصدريّة ولا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح سبحانه اى انزّه تنزيها لائقا به وفيه من
التّنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السّبح الّذى هو الذّهاب والابعاد فى الارض و
من جهة النّقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصّة لا
سيّما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذّهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل
ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التّنزه اى تنزّه بذاته تنزّها حقيقا به ففيه
مبالغة من حيث اسناد البراءة الى الذّات المقدّسة وان كان التنزيه اعتقاد نزاهته
تع عما لا يليق لا اثباتها له تعالى وقوله تعالى بل له ما فى السّموات والارض ردّ لما زعموا وتنبيه

على بطلانه وكلمة بل للاضراب عمّا يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشئ من
المخلوقات ومن سرعة فنائه المحوجه الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان والفناء لا يوجب
ذلك الا يرى ان الاجرام الفلكيّة مع امكانها وفنائها بالآخرة مستغنية بدوامها وطول بقائها
عما يجرى مجرى الولد من الحيوان اى ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات الّتى من جملتها
عزير والمسيح والملئكة كلّ التنوين عوض عن المضاف اليه اى كلّ ما فيهما كائنا ما كان
من اولى العلم وغيرهم لهُ قانتون منقادون لا يستعصى شئ منهم على تكوينه وتقديره ومشيّته
ومن كان هذا شانه لم يتصوّر مجانسته لشئ ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد وانّما
جئ بما المختصّه بغير اولى العلم تحقير الشانهم وايذانا بكمال بعدهم عمّا نسبوا الى بعض منهم
وصيغة جمع العقلاء فى قانتون للتغليب او كلّ من جعلوه لله ولدًا له قانتون اى مطيعون
عابدون له معترفون بربوبيّته تعالى كقوله تعالى اولئك الّذين يبتغون الى ربّهم
الوسيله بديع السّموات والارض اى مبدعهما ومخترعهما بلا امثال يحتذيه ولا قانون ينحبه
فانّ البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبتدع نص عليه اساطين اهل اللّغة وقدجا
بدعه لمنعه بمعنى انشاه كابتدعه كما ذكر فى القاموس وغيره ونظيره السّميع بمعنى المسمع فى
قوله امن ريحانة الدّاعى السّميع وقيل هو من اضافة الصّفة المشبّهة الى فاعلها للتخفيف
بعد نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور راى بديع سمواته من بدع اذا كان
على شكل فائق وحسن رائق وهو حجّة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تعريرها ان الوالد
عنصر الولد المنفعل بانفصال مادّته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلّها على الاطلاق
منزّه عن الانفعال فلا يكون والدًا ورفعه على انّه خبر لمبتداء محذوف اى هو بديع الخ
وقرئ بالنّصب على المدح وبالجرّ على انّه بدل من الضّمير فى له على راى من يجوّز الابدال من
الضّمير المجرور كما فى قوله على جوده لضن بالماء حاتم واذا قضى امرًا اى اراد شيئا كقوله تعالى
انّما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهيّة المتعلّقة بوجود
الشئ لايجابها اياه البتّه وقيل الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربّك الخ فانّما يقول له كن
فيكون كلاهما من الكون التّام اى احدث فيحدث وليس المراد حقيقة الامر والامتثال و
انّما هو تمثيل لسهولة تاتى المقدورات بحسب تعلّق مشيّته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها
بما هو علم فى الباب من طاعة المامور المطيع للآمر القوىّ المطاع وفيه تقرير بمعنى الابداع و
تلويح بحجه اخرى لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد شان من يفتقر فى تحصيل مراده الى مباد
يستدعى ترتيبها مرور زمان وتبدّل اطوار وفعله تع متعال عن ذلك وقال الّذين لا يعلمون
حكاية لنوع آخر من قبائحهم وهو قدحهم فى امر النبوّة بعد حكاية قدحهم فى شان التّوحيد
بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف فى هؤلاء القائلين فقال ابن عبّاس رض هم اليهود

وقال

وقال مجاهد هم النّصارى ووصفهم بعدم العلم لعدم علمهم بالتّوحيد والنبوّة كما ينبغى او لعدم
عملهم بموجب علمهم او لما ان ما يحكى عنهم لا يصدر عمّن له شائبة علم اصلا وقال قتادة و
اكثر اهل التفسير مشركوا العرب لقوله تعالى فليأتنا باية كما ارسل الاوّلون وقالوا لولا
نزّل علينا الملئكة او نرى ربّنا لولا يكلّمنا الله اى هلا يكلّمنا الله بلا واسطة امرا ونهيا كما
يكلّم الملئكة او هلا يكلّمنا تنصيصًا على نبوتك او تاتينا اية حجّة تدل على صدقك بلغوا من
العتوّ والاستكبار الى حيث امّلوا نيل مرتبة المفاوضة الالهيّة من غير توسط الرّسول
والملك ومن العناد والمكابره الى حيث لم يعدّ واما اتاهم من البيّنات الباهرة الّتى تخر
لها صم الجبال من قبيل الايات قاتلهم الله انّى يؤفكون كذلك مثل ذلك القول الشنيع
الصّادر عن العناد والفساد قال الّذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم هذا الباطل
الشنيع فقالوا ارنا الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد الاية وقالوا هل يستطيع ربك
الخ وقالوا اجعل لنا الها الخ تشابهت قلوبهم اى قلوب هؤلاء واولئك فى العمى والعناد والّا
لما تشابهت اقاويلهم الباطله قد بيّنا الايات اى نزّلناها بيّنه بان جعلناها كذلك فى انفسها
كما فى قولهم سبحان من صغّر البعوض وكبّر الفيل لا انا بيّناها بعد ان لم تكن بيّنة لقوم يوقنون
اى يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا ريبة وهذا رد لطلبهم الاية وفى
تعريف الايات وايراد التّبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان الّذى طلبوه مالا
يخفى من الجزالة والمعنى انّهم قد اقترحوا اية فذّة ونحن قد بيّنا الايات العظام لقوم يطلبون
الحق واليقين وانّما لم يتعرّض لردّ قولهم لولا يكلّمنا الله ايذانا بانّه من ظهور البطلان بحيث
لا حاجة له الى الرّد والجواب انّا ارسلناك بالحقّ اى ملتبسا بالقران كما فى قوله تعالى بل كذّبوا
بالحقّ لمّا جاءهم او بالصّدق كما فى قوله تعالى احق هو وقوله تعالى بشيرًا ونذيرا حال من
المفعول باعتبار تقيّده بالحال الاولى اى ارسلناك متلبسا بالقران حال كونك بشيرا لمن
آمن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به او ارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن
صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك بالعذاب ليختار والانفسهم ما احبّوا لا قاسرا لهم
على الايمان فلا عليك ان اصرّوا وكابروا ولا تسال عن اصحاب الجحيم مالهم لم يؤمنوا بعد ما
بلّغت ما ارسلت به وقرئ لن تسال وما تسال وقرى لا تسال على صيغة النّهى ايذانا بكمال
شدّة عقوبة الكفار وتهويلا لها كانّها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه
او لا يستطيع السّامع ان يسمع خبرها وحمله على نهى النبى صلّى الله عليه وسلم عن السّؤال عن
حال ابويه ممّا لا يساعده النظم الكريم والجحيم المتاجج من النّار وفى التعبير عنهم بصاحبيّة
الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد لهم وايذان بانهم مطبوع عليهم لا يرجى
منهم الايمان قطعًا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النّصارى حتّى تتّبع ملّتهم بيان

لكمال شدّة شكيمة هاتين الطّائفتين خاصّة اثر بيان ما يعمّهما والمشركين من الاصرار على ماهم
عليه الى الموت وايراد لا النّافية بين المعطوفين لتاكيد النّفى لما مرّ من ان تصلّب اليهود
فى امثال هذه العظائم اشدّ من النّصارى وللاشعار بانّ رضى كلّ منهما مباين لرضى الاخرى
اى لن ترضى عنك اليهود ولو خلّيتهم وشانهم حتّى تتبع ملّتهم ولا النصارى ولو تركتهم
ودينهم حتى تتبع ملّتهم فاوجز النّظم ثقة بظهور المراد وفيه من المبالغه فى اقناطه صلى الله
عليه وسلم ومن اسلامهم ماغاية وراءه فانّهم حيث لم يرضوا عنه ءم ولو خلّاهم يفعلون
مايفعلون بل املوا منه صلى الله عليه وسلم ما لا يكاد يدخل تحت الامكان من اتباعه عليه
السلام لملّتهم فكيف يتوهّم اتباعهم لملّته ءم وهذه حالتهم فى انفسهم ومقالتهم فيما بينهم
وامّا انّهم اظهروها للنّبى صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن ترضى عنك
وان بالغت فى طلب رضانا حتى تتبع ملّتنا كما قيل فلا يساعده النّظم الكريم بل فيه ما يدلّ
على خلافه فان قوله عزّ وجلّ قل انّ هدى الله هو الهدى صريح فى انّ ما وقع هذا جوابا عنه
ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها ويلزمه من الدّعوة الى اليهوديّة
والنّصرانيّة وادّعاء ان الاهتداء فيهما كقوله عزّ وعلا حكاية عنهم كونوا هودا او نصارى
تهتدوا اى قل ردّا عليهم ان هدى الله الّذى هو الاسلام هو الهدى بالحقّ والّذى يحق
ان يسمّى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو
هدى كما يعرب عنه قوله تعالى ولئن اتّبعت اهواءهم اى اراءهم الزائغة الصادرة عنهم
بقضيّة شهوات انفسهم وهى الّتى عبر عنها فيما قبل بملّتهم اذ هى التى ينتمون اليها وامّا ما شرعه
الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الانبياء وهو المعنى الحقيقى للملّة فقد غيّروها تغييرا
بعد الّذى جآءك من العلم اى الوحى او الدّين المعلوم صحّته مالك من الله من جهة العزيز
من ولىّ يلى امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم يستلزم نفى الولىّ نفى النّصير
وسّط بينهما حرف النّفى للتّاكيد وهذا من باب التهييج والالهاب والّا فانّى يتوهّم امكان
اتباعه ءم لملّتهم وهو جواب للقسم الّذى وطّاه اللام واكتفى به عن جواب الشرط الّذين
آتيناهم الكتاب هم مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه حقّ تلاوته
بمراعات لفظه عن التحريف وبالتدبر فى معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدّرة والخبر
ما بعده او خبر وما بعده مقرّر له اولئك اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتاب وتلاوته
كما هو حقه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل يؤمنون به اى بكتابهم
دون المحرّفين فانّهم بمعزل من الايمان به فانه لا يجامع الكفر ببعض به ومن يكفر به بالتحريف
والكفر بما يصدّقه فاولئك هم الخاسرون حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا
نعمتى التى انعمت عليكم ومن جملتها التّورية وذكر النّعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان

بجميع

بجميع ما فيها ومن جملته نعت النّبى صلّى الله عليه وسلّم ومن ضرورة الايمان بها الايمان به عليه
السّلام وانّى فضلتكم على العالمين افردت هذه النعمة بالذكر مع كونها مندرجة تحت النّعمة السّالفة
لانافتها فيما بين فنون النّعم واتّقوا ان لم تؤمنوا يوما لا تجزى فى ذلك اليوم نفس من
النّفوس عن نفس اخرى شيئا من الاشياء او شيئا من الجزاء ولا يقبل منها عدل اى فدية
ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وتخصيصهم بتكرير التّذكير واعادة التحذير للمبالغة
فى النّصح وللايذان بان ذلك فذلكة القضية والمقصود من القصّة لما انّ نعم الله عزّ وجلّ
عليهم اعظم وكفرهم بها اشدّ واقبح واذ ابتلى ابراهيم ربّه بكلمات شروع فى تحقيق ان هدى
الله هو ما عليه النّبى صلى الله عليه وسلّم من التوحيد والاسلام الذى هو ملّة ابرهيم ءم
وانّ ما عليه اهل الكتابين اهواء زائغة وان ما يدعونه من انّهم على ملّته عليه السلام فرية
بلا مرية ببيان ما صدر عن ابرهيم وابنائه الانبياء عليه السّلام من الاقاويل والافاعيل
النّاطقة بحقيّة التّوحيد والاسلام وبطلان الشرك وبصحّة نبوّة النّبى صلى الله عليه وسلم
وبكونه ذلك النّبى الذى استدعاه ابراهيم واسمعيل عليهما السلام بقولهما ربّنا وابعث
فيهم رسولا منهم الاية فاذ منصوب على المفعوليّة بمضمر مقدّم خوطب به النبى عليه
السلام بطريق التّلوين اى واذكر لهم وقت ابتلائه عليه السّلام ليتذكروا بما وقع
فيه من الامور الدّاعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحقّ ويتركوا ما هم
فيه من الباطل وتوجيه الامر بالذّكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع
انّها المقصوده بالذات قد مرّ وجهه فى اثناء تفسير قوله عزّ وجل واذ قال ربّك
للملئكة انى جاعل فى الارض خليفة وقيل على الظّرفيه بمضمر مؤخّر اى واذ ابتلاه
كان كيت وكيت وقيل بما سيجئ من قوله تعالى قال الخ والاوّل هو اللائق بجزالة التنزيل
ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به بنوا اسرائيل ليتاملوا فيما يحكى
عمّن ينتمون الى ملته من ابراهيم وابنائه عليهم السّلام من الافعال والاقوال فيقتدوا
بهم ويسيروا سيرتهم والابتلاء فى الاصل الاختبار اى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه
لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انّما يتصور حقيقة ممّن لا وقوف له على عواقب
الامور وامّا من العليم الخبير فلا يكون الّا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد
الامرين قبل ان يرتب عليه شيئا هو من مباديه العاديّة كمن يختبر عبده ليتعرف حاله
من الكياسه فيامره بما يليق بحاله من مصالحه وابراهيم اسم اعجمىّ قال السهيلى كثيرا ما يقع
الاتفاق والتقارب بين السّريانى والعربى الا يرى ان ابرهيم تفسيره اب راحم ولذلك
جعل هو وزوجته سارة كافلين لاطفال المؤمنين الذين يموتون صغارا الى يوم القيمة
على ما روى البخارى فى حديث الرؤيا ان النّبى صلى الله عليه وسلم راى فى الرّوضة

عليه السّلام وحوله اولاد النّاس وهومفعول مقدّم لاضافة فاعله الى ضمير والتعرّض
لعنوان الرّبوبيّه تشريف له عليه السّلام وايذان بانّ ذلك الابتلاء تربية له وترشيح
لامرخطير والمعنى عامله سبحانه معاملة المختبر حيث كلّفه اوامر ونواهى يظهر بحسن قيامه
بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامامة العظمى وتحمل اعباء الرّسالة وهذه المعاملة
وتذكيرها للنّاس لارشادهم الى طريق اتقان الامور ببنائها على التجربة وللايذان
بان بعثه النبىّ صلى الله عليه وسلم ايضا مبنيّة على تلك القاعدة الرّصينه وافعة بعد
ظهور استحقاقه عليه السّلام للنبوة العامّة كيف لا وهى التى اجيب بها دعوة ابراهيم عليه
السّلام كما سياتى واختلف فى الكلمات فقال مجاهد هى المذكورة بعدها ورد بانّه يا باه الفاء
فى فاتمهنّ ثمّ الاستيناف وقال طاوس عن ابن عبّاس رض هى عشر خصال كانت فرضًا فى
شرعه وهى سنّة فى شرعنا خمس فى الرّاس المضمضه والاستنشاق وفرق الرّاس وقصّ
الشّارب والسّواك وخمس فى البدن الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار
والاستنجاء بالماء وفى الخبر انّ ابراهيم عم اوّل من قصّ الشارب واوّل من اختتن
واوّل من قلّم الاظفار وقال عكرمه عن ابن عبّاس رح لم يُبْتَل احد بهذا الدّين فاقامه
كلّه الّا ابراهيم ابتلاه الله بثلثين خصلة من خصال الاسلام عشر منها فى سورة براءة
التائبون الخ وعشر فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الخ وعشر فى المؤمنون وسال سائل
الى قوله عزّ وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل ابتلاه الله سبحانه بسبعة
اشياء بالشمس والقمر والنّجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة فوفّى بالكلّ
وقيل هنّ محاجته قومه والصّلوة والصوم والزكوة والضّيافة والصبر عليها وقيل
هى مناسك كالطواف والسعى والرّمى والاحرام والتعريف وغيرهنّ وقيل هى قوله
عم الذى خلقنى فهو يهدين الايات ثمّ انّما وقع هذا الابتلاء قبل النّبوة وهو الظاهر
وقيل بعدها لانّه يقتضى سابقة الوحى واجيب بان مطلق الوحى لا يستلزم البعثة الى
الخلق وقرئ برفع ابرهيم ونصب ربّه اى دعاه بكلمات من الدّعاء فعل المختبر هل يجيبه
اليهنّ اولا فاتمهنّ اى قام بهنّ حقّ القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط
وتوان كما فى قوله تعالى وابراهيم الّذى وفّى وعلى القراءة الاخيرة فاعطاه الله تعالى
ما ساله من غير نقص ويعضده ما روى عن مقاتل انّه فسّر الكلمات بما سال ابراهيم
ربه بقوله رب اجعل الايات وقوله عزّ وجل قال على تقدير انتصاب اذ بمضمر جُملة
مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشا من الكلام فان الابتلاء تمهيد لامر معظم
وظهور فضيلة المبتلى من دواعى الاحسان اليه فبعد حكايتهما تترقب النّفس الى ما وقع
بعدهما كانّه قيل فماذا كان بعد ذلك فقيل قال انّى جاعلك للنّاس اماما او بيان لقوله تع

ابتلى

ابتلى على راى من جعل الكلمات عبارة عما ذكر اثره من الامامه وتطهير البيت ورفع قواعده وغير
ذلك وعلى تقدير انتصاب اذ بقال فالجمله معطوفة على ما قبلها عطف القصه على القصه و
الواو فى معنى داخلة على قال اى وقال اذ ابتلى الخ واجعل بمعنى التّصيير احد مفعوليه الضمير
والثانى اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع واوكد منه لدلالته على انه جاعل له البته من
غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللنّاس متعلق بجاعلك اى لاجل الناس او بمحذوف
وقع حالا من اماما اذ لو تاخّر عنه لكان صفه له والامام اسم لمن يؤتم به ولكل نبىّ امام
لامّته وامامته عم عامّة مؤبّدة اذ لم يبعث بعده الّا كان من ذرّيته مامورا باتباع ملته
قال استيناف مبنى على سؤال مقدّر كانّه قيل فماذا قال ابراهيم عم عنده فقيل قال ومن
ذرّيتى عطف على الكاف ومن تبعيضيّة متعلّقة بجاعل اى وجاعل بعض ذرّيتى كما تقول
وزيدا لمن يقول ساكرمك او بمحذوف اى واجعل فريقا من ذرّيتى اماما وتخصيص البعض
بذلك لبداهة استحالة امامة الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وماذا يكون من ذريتى
والذريه نسل الرجل فعولة من ذروت واذريت والاصل ذرووه واذرويه فاجتمع فى
الاولى واوان زائدة واصليّة فقلبت الاصليّه ياء فصارت كالثانيه فاجتمعت واو وياء وسبقت
احداهما بالسّكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء فى الياء فصارت ذرّية او فعّيلة منهما
والاصل فى الاولى ذريوه فقلبت الواو ياء لما سبق من اجتماعهما وسبق احديهما بالسكون
فصارت ذريية كالثّانيه فادغمت الياء فى مثلهما فصارت ذرّيّة او فعّيلة من الذّرء
بمعنى الخلق والاصل ذريئة خففت الهمزه بابدالها ياء كهمزة خطيئة ثمّ ادغمت الياء الزائدة
فى المبدله او فعّيلة من الذّر بمعنى التفريق والاصل ذريرة قلبت الراء الاخيرة ياء لتوالى الامثال
كما فى تسرّى وتقضّى وتظنّى فادغمت الياء فى الياء كما مرّ او فعّولة منه والاصل ذرّورة فقلبت
الرّاء الاخيرة ياء فجاء الادغام وقرئ بكسر الذّال وهى لغة فيها وقرء ابو جعفر المدنى بالفتح
وهى ايضا لغة فيها قال استيناف مبنى على سؤال ينساق اليه الذّهن كما سبق لا ينال عهدى
الظّالمين ليس هذا ردّا لدعوته عم بل اجابة خفيّة لها وعدة اجماليّه منه تعالى بتشريف
بعض ذرّيته عم بنيل عهد الامامه حسبما وقع فى استدعائه عليه السلام من غير تعيين
لهم بوصف مميّز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظّالمين منه بمعزل من
ذلك التّمييز اذ ليس معناه انه ينال كلّ من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير
اليه ولعلّ ايثار هذه الطّريقة على تعيين الجامعين لمبادى الامامة من ذريته اجمالا او تفصيلا
وارسال الباقين لئلا ينتظم المقتدون بالائمة من الامّة فى سلك المحرومين وفى تفصيل
كل فرقة من الاطناب ما لا يخفى مع ما فى هذه الطّريقه من تخييب الكفرة الّذين كانوا يتمنّون
النّبوة وقطع اطماعهم الفارغة من نيلها وانما اوثر النّيل على الجعل ايماء الى ان امامة الانبيا

من ذرّيته ءم كاسمعيل واسحٰق ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمٰن وايّوب ويونس
وزكريا ويحيى وعيسى وسيّدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل
بل هي حاصلة في ضمن امامة ابراهيم عليه السلام تنال كلّاً منهم في وقت قدرة الله عزّ وجل
وقرئ الظّالمون على ان عهدى مفعول قدّم على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه
دليل على عصمة الانبياء عليهم السلام من الكبائر على الاطلاق وعدم صلاحيت الظّالم للامامة
وقوله تعالى **وإذ جعلنا البيت** اى الكعبة المعظمة غلب عليها غلبت النجم على الثّريا معطوف
على اذ ابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل معطوف على المضمر الاوّل
والجعل اما بمعنى التصيير فقوله عزوجل **مثابة** اى مرجعا يثوب اليه الزّوار بعد
ما تفرّقوا عنه او امثالهم او موضع ثواب يثابون بحجة واعتماده مفعوله الثاني واما
بمعنى الايداع فهو حال من مفعوله واللّام في قوله تعالى **للنّاس** متعلقة بمحذوف وقع
صفة لمثابة اى مثابة كائنة للنّاس او بجعلنا اى جعلناه لاجل النّاس وقرئ مثابات
باعتبار تعدّد الثائبين **وامنًا** اى امنًا كما في قوله تعالى حرما امنا على ايقاع المصدر موقع
اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اى ذا امن او على الاسناد المجازى اى امنا من
يحجه من عذاب الاخرة من حيث ان الحجّ يجب ما قبله او من دخله من التعرّض له بالعقوبة
وان كان جانيا حتى يخرج على ما هو راى ابى حنيفه رح ويجوز ان يعتبر الامن بالقياس
الى كلّ شئ كائنا ما كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليّا وقد اعتيد فيه امن الصّيد
حتى ان الكلب كان يهم بالصّيد خارج الحرم فيفرّ منه وهو يتبعه فاذا دخل الصّيد الحرم
لم يتبعه الكلب **واتخذوا من مقام ابرهيم مصلّى** على ارادة قول هو عطف على جعلنا او
حال من فاعله اى وقلنا او قائلين لهم واتخذوا الخ وقيل هو بنفسه معطوف على الامر
الّذى يتضمنه قوله عزوجل مثابة للنّاس كانّه قيل ثوبوا اليه واتخذوا الى اخره وقيل على المضمر
العامل في اذ وقيل هي جملة مستانفة والخطاب على الوجوه الاخيرة له عليه السلام ولامّته و
الاوّل هو الاليق بجزالة النّظم الكريم والامر صريحا كان او مفهومًا من الحكاية للاستحباب
ومن تبعيضيّة والمقام اسم مكان وهو الحجر الذى عليه اثر قدمه ءم والموضع الذى كان
عليه حين قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه اليوم والمراد
بالمصلّى اما موضع الصّلوة او موضع الدعا روى انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رض افلا
تتخذوه مصلّى فقال الم أُومَرْ بذلك فلم تغب الشّمس حتى نزلت وقيل المراد به الامر بركعتي
الّطواف لما روى جابر رض انه ءم لما فرغ من طوافه عمد الى مقام ابرهيم فصلّى خلفه ركعتين
وقرا واتخذوا من مقام ابرهيم مصلّى وللشافعي في وجوبهما قولان وقيل مقام ابرهيم الحرم
كله وقيل مواقف الحج عرفه والمزدلفه والجمار واتخاذها مصلّى ان ندعى فيها ويتقرب الى الله

عزوجل

عزوجل وقرئ واتخذوا على صيغة الماضى عطفا على جعلنا اى واتخذ النّاس من مكان ابرهيم
الذى وُسِمَ به لاهتمامه به واسكان ذرّيته عنده يصلّون اليها **وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل**
اى امرناهما امرا مؤكدا **ان طهّرا بيتى** بان طهراه على انّ ان المصدريّة حذف عنها
الجار حذفا مطّردا لجواز كون صلتها امرا ونهيًا كما في قوله عزوجل وان اقم وجهك
للدّين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدر وهى متحققة فيهما
ووجوب كونها خبريّة في صلة الموصول الاسمى انّما هو للتوصّل الى وصف المعارف
بالجمل وهى لا يوصف بها الّا اذا كانت خبريّة وامّا الموصول الحرفى فليس كذلك ولما كان
الخبر والانشاء في الدّلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنّهى صلة حسب وقوع الفعل
فيتجرّد عند ذلك عن معنى الامر والنّهى نحو تجرّد الصّلة الفعليّة عن معنى المضى والاستقبال
او اى طهّراه على ان ان مفسّرة لتضمّن العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة
للتشريف وتوجيه الامر بالتّطهير هٰهنا اليهما عليهما السلام لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيص
بابرهيم ءم فان ذلك واقع قبل بناء البيت يفصح عنه قوله تعالى واذ بوّانا لابرهيم مكان
البيت وكان اسمعيل ءم ح بمعزل من مثابة الخطاب وظاهر ان هٰذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهى
وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده اثر حكاية جعله مثابة للنّاس الخ والمراد تطهيره
من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض وغير ذلك ممّا لا يليق به **للطائفين** حوله
والعاكفين المجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين في الصّلوة كما في قوله عزوعلا
للطائفين هو القائمين **والرّكّع السّجود** جمع راكع وساجد اى للّطائفين والمصلين لان القيام
والركوع والسجود من هيات المصلّى ولتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين
موصوفيهما او اخلاصه لهؤلاء لئلا يغشاه غيرهم وفيه ايماء الى ان ملابسه غيرهم به
وان كان مع مقارنة امر مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه **واذ قال ابراهيم** عطف على ما قبله
من قوله واذ جعلنا الخ امّا بالذّات او بعامله المضمر كما **ربّ اجعل هٰذا بلدًا امنًا** ذا امن
كعيشة راضية او امنا اهله كليلة نائم اى اجعل هذا الوادى من البلاد الامنة وكان ذلك
اول ما قدم ءم مكة كما روى سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضى الله عنهم لما اسكن ابرهيم
وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا في هٰذا البلقع
وهو لا يردّ عليها جوابا حتّى قالت الله امرك بهٰذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى
حتى اذا استوى على ثنيّة كداء اقبل على الوادى فقال ربّنا انّى اسكنت الاية وتعريف البلد مع
جعله صفة لهٰذا في سورة ابراهيم ان حمل على تعدد السّوال لما انه ءم سال اوّلا كلا الامرين
البلديّة والامن فاستجيب له في احدهما وتاخّر الاخر الى وقته المقدّر له لما يقتضيه من الحكمة
الباهرة ثمّ كرّر السّؤال حسبما هو المعتاد في الدعاء والابتهال او كان المسؤل اوّلا البلديّة

ومجرّد الامن المصحح للسّكنى كما فى سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن المعهود او من
كان هو المسئول اوّلا ايضا وقد اجيب اليه لكن السّوال الثّانى لاستدامته والاقتصار على سؤاله
مع جعل البلد صفة لهذا لانه المقصد الاصلى او لانّ المعتاد فى البلدية الاستمرار بعد
التّحقق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السّؤال وتكرّر الحكاية كما هو المتبادر فالظّاهر
ان المسئول كلا الامرين وقد حكى ذلك ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن
اكتفاء على حكاية سوال البلدية بحكاية جعل افئدة النّاس تهوى اليه كما سياتى تفصيله
هناك باذن الله عزّ وجلّ **وارزق اهله من الثمرات** من انواعها بان تجعل بقرب
منه قرىً يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انّه
يجتمع فيه الفواكه الربيعيّه والصّيفيّة والخريفيّه فى يوم واحد روى عن ابن عباس رض
ان الطّائف كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابرهيم ع م بهذه الدّعوة رفعها الله تعالى
فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزّهرى انّه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها
بالطّائف لدعوة ابرهيم ع م **من امن منهم بالله واليوم الآخر** بدل من اهله بدل البعض
خصّهم بالدّعا اظهارا لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشان اهله ومراعاة لحسن
الادب وفيه ترغيب لقومه فى الايمان وزجر عن الكفر كما ان فى حكايته ترغيبا وترهيبا
لقريش وغيرهم من اهل الكتاب **قال** استيناف مبنى عن السّؤال كما مرّ مرارا وقوله تعالى
ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف تقديره ارزق من امن ومن كفر وقوله تعالى
فامتّعه معطوف على ذلك الفعل او فى محل رفع بالابتداء وقوله تعالى فامتّعه خبره اى
فانا امتّعه وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع المطلق لكنّه
يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النّار وقيل هو عطف على من امن عطف
تلقين كانّه قيل قل وارزق من كفر فانّه ايضا مجاب كانه ع م قاس الرّزق على الامامه
فنبّهه تعالى على انّه رحمة دنيويّة شاملة للبرّ والفاجر بخلاف الامامه الخاصّه بالخواصّ
وقرئ فامتعه من امتع وقرى فنمتّعه **قليلا** تمتيعا قليلا او زمانا قليلا **ثمّ اضطرّه الى
عذاب النّار** اى الزّه لزّ المضطر لكفره وتضييعه ما متعته به من النّعم وقرئ ثم نضطرّه
على وفق قراءة فنمتّعه وقرى فَامْتِعْهُ قليلا ثم اضطرّه بلفظ الامر فيهما على انّهما من دعاء
ابرهيم عليه السلام وفى قال ضميره وانّما فصله عما قبله لكونه دعاء على الكفرة وتغيير سبكه
للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النّار واما رزق من امن فانما هو على
طريقة التفضّل والاحسان وقرئ الهمزة بكسرها على لغة من يكسر حرف المضارعة واطّرّه بادغام
الضاد فى الطاء وهى لغة مرذولة فان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس **وبئس
المصير** المخصوص بالذّم محذوف اى بئس المصير النار او عذابها **واذ يرفع ابرهيم القواعد**

من

من البيت عطف على ما قبله من قوله عزّ وعلا واذ قال ابرهيم على احد الطّريقين المذكورين
فى واذ جعلنا وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة
عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة وهى الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات
ولعلّه مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها البناء عليها لانّه ينقلها من هيئة
الانخفاض الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقة وان كان هو الّذى بنى عليها لكنّهما لمّا التأما
صارا شيئا واحدًا فكانّها نمت وارتفعت وقيل المراد بها ساقات البناء فان كل ساف قاعدة
ما يبنى عليه ويرفعها بناء بعضها على بعض وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار
شرفه ودعاء النّاس الى حجّه وفى ابهامها اوّلا ثم تبيينها من تفخيم شانها ما لا يخفى وقيل
المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت واستوطا يعنى يجعل هيئة القاعدة المستوطاة
مرتفعة عالية بالبناء روى ان الله عزّ وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنّة له
بابان من زمرد شرقى وغربىّ وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول
عرشى فتوجّه ادم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقّته الملئكة فقالوا برّ حجّك يا ادم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وحجّ ادم ع م اربعين حجة من ارض الهند الى مكّة
الى رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايّام الطّوفان الى السّماء الرّابعة فهو
البيت المعمور وكان موضعه خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلم فامره سبحانه ببنائه
وعرّفه جبرئيل بمكانه وقيل بعث الله السكينة لتدلّه عليه فتبعها ابراهيم عليه السلام
حتى اتيا مكّة المعظمة وقيل بعث الله تعالى سحابة على قدر البيت وسار ابراهيم فى
ظلها الى ان وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودى ان ابن على ظلها لا تزد
ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودى واسه
من حراء وجاء جبرئيل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخّض ابو قبيس فانشق عنه وقد
خبئ فيه فى ايّام الطّوفان وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنّة فلما لمسته الحيّض فى
الجاهليه اسودّ وقال القاسى فى مثير الغرام فى تاريخ البلد الحرام والّذى يتحصل من
جملة ما قيل فى عدد بناء الكعبه انّها بنيت عشر مرّات منها بناء الملئكة عليهم السلام ذكره
النووى فى تهذيب الاسماء واللغات والازرقى فى تاريخه وذكر انه كان قبل خلق
ادم عم ومنها بناء ادم عليه السلام ذكره البيهقى فى دلائل النّبوة وروى فيه عن عبد الله
بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عزّ وجل جبرئيل
الى ادم عليهما السلام فقال له ولحواء ابنيا بيتا فخطّ جبرئيل وجعل ادم ع م يحفر وحوّاء
تنقل التّراب حتى اذا اصاب الماء نودى من تحته حسبك ادم فلما بناه اوحى اليه ان
يطوف به فقيل له انت اوّل النّاس وهذا اوّل بيت وهكذا ذكر الازرقى فى تاريخه

وعبد الرزاق فى مصنفه ومنها بناء بنى ادم عند ما رفعت الخيمة التى عزى الله تعالى بها ادم
ع م وكانت ضربت فى موضع البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا
يعمرونه هم ومن بعدهم الى مسه الغرق فى عهد نوح ع م ذكره الازرقى بسنده الى وهب
بن منبه ومنها بناء الخليل ع م وهو منصوص عليه فى القران مشهور فى ما بين قاص ودان
ومنها بناء العمالقة ومنها بناء جرهم ذكرهما الازرقى بسنده الى على بن ابى طالب رض ومنها
بناء قصى بن كلاب ذكره الزهر بن بكار فى كتاب النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها
بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ومنها بناء الحجاج بن يوسف وما كان ذلك
بناء لكلها بل لجدار من جدرانها وقال الحافظ السهيلى ان بناءها لم يكن فى الدهر
الا خمس مرات الاولى حين بناها شيث عليه السلام انتهى والله سبحانه اعلم **واسمعيل**
عطف على ابرهيم ولعل تاخيره عن المفعول للايذان بان الاصل فى الرفع هو ابراهيم
واسمعيل تبع له قيل انه كان يناوله الحجارة وهو يبنيها وقيل كانا يبنيانه من طرفين
ربنا تقبل منا على ارادة القول اى يقولان وقد قرئ به على انه حال منهما عليهما
السلام وقيل على انه هو العامل فى اذ والجملة معطوفة على ما قبلها والتقدير ويقولان ربنا
تقبل منا اذ يرفعان اى وقت رفعهما وقيل واسمعيل مبتدا خبره قول محذوف وهو العامل
فى ربنا تقبل منا فيكون ابرهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعى فى محل النصب على الحالية
اى واذ يرفع ابراهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف
الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلم
لتحريك سلسلة الاجابة وترك مفعول تقبل مع ذكره فى قوله تعالى ربنا وتقبل دعاء
ليعم الدعاء وغيره من القرب والطاعات التى من جملتها ما هما بصدده من البناء كما يعرب
عنه جعل الجملة الدعائية حالا **انك انت السميع** لجميع المسموعات التى من جملتها دعاؤنا
العليم بكل المعلومات التى من زمرتها نياتنا فى جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعاء
التقبل لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائهما عليما بنياتهما مصحح للتقبل فى الجملة بل من
حيث ان علمه تعالى بصحة نياتهما واخلاصهما فى اعمالهما مستدع له بموجب الوعد تفضلا و
تاكيد الجملة لعرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر نعتى السمع والعلم عليه تعالى لاظهار
اختصاص دعائهما به تعالى وانقطاع رجائهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما
جرى من الامور المحكية هو الابتلاء وما يتبعه ثم دعاء البلدية والامن وما يتعلق به ثم
رفع قواعد البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب
الوقوعى فى الحكاية لنظم الشئون الصادرة عن جنابه تعالى فى سلك مستقل ونظم الامور
الواقعة من جهة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام من الافعال والاقوال فى سلك اخر واما

قوله تعالى ومن كفر الخ فانما وقع فى تضاعيف الاحوال المتعلقة بابرهيم لاقتضاء المقام و
استجاب ما سبق من الكلام ذلك بحيث لم بد منه اصلا كما ان وقوع قوله ع م ومن ذريتى
فى خلال كلامه سبحانه لذلك **ربنا واجعلنا مسلمين لك** مخلصين لك او مستسلمين
من اسلم اذا استسلم وانقاد وايا ما كان فالمطلوب الزياده والثبات على ما كانا عليه من
الاخلاص والاذعان وقرى مسلمين على صيغة الجمع بادخال هاجر معهما فى الدعاء او
لان التثنية من مراتب الجمع **ومن ذريتنا امة مسلمة لك** اى واجعل بعض ذريتنا
وانما خصاهم بالدعاء لانهم احق بالشفعة ولانهم اذا اصلحوا اصلح الاتباع وانما خصا به
بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضى اتفاق الكل على الاخلاص والاقبال
الكلى على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت
الدنيا وقيل اراد بالامة المسلمة امة محمد صلى الله عليه وقد جوز ان يكون من مبينة
قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما فى قوله ومن الارض مثلهن
والاصل وامة مسلمة لك من ذريتنا **وارنا** من الرؤية بمعنى الابصار او بمعنى التعريف
اى بصرنا او عرفنا **مناسكنا** اى متعبداتنا فى الحج او مذابحنا والنسك فى الاصل
غاية العبادة وشاع فى الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العاده وقرئ ارنا قياسا على
فخذ فى فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها وقرئ
بالاختلاس **وتب علينا** استتابة لذريتهما وحكايتها عنهما لترغيب الكفرة فى التوبة
والايمان او توبة لهما عما فرط منهما سهوا ولعلهما قالاه هضما لانفسهما وارشادا لذريتهما
انك انت التواب الرحيم وهو تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة قيل اذا اراد العبد
ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما يناسبه من اسمائه وصفاته **ربنا وابعث فيهم** اى
فى الامة المسلمة **رسولا منهم** اى من انفسهم فان البعث فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث
من ذريتهما غير النبى صلى الله عليه وسلم فهو الذى اجيب به دعوتهما عليهما السلام روى
انه قيل له قد استجيب لك وهو فى اخر الزمان قال ع م انا دعوة ابى ابراهيم وبشرى
عيسى ورؤيا امى وتخصيص ابرهيم عليه السلام بالاستجابة له لما انه الاصل فى الدعاء
واسمعيل تبع له عليهما السلام **يتلو عليهم اياتك** يقرأ عليهم ويبلغهم ما توحى اليه من
البينات **ويعلمهم** بحسب قوتهم النظرية **الكتاب** اى القران **والحكمة** وما يكمل به نفوسهم
من احكام الشريعة والمعارف الحقه **ويزكيهم** بحسب قوتهم العمليه اى يطهرهم عن دنس
الشرك وفنون المعاصى **انك انت العزيز** الذى لا يقهر ولا يغلب على ما يريد **الحكيم**
الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل للدعاء واجابة المسؤل فان وصف
الحكمة مقتض لافاضة ما يقتضيه الحكمة من الامور التى من جملتها بعث الرسول ووصف

العزم مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة ابراهيم انكار واستبعاد لان
يكون في العقلا من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصريح اى لا يرغب عن ملته
الواضحة الغراء الا من سفه نفسه اى اذلها واستمهنها واستخف بها وقيل خسر نفسه
وقيل اوبق او اهلك او جهل نفسه قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم
ويشهد له ما ورد في الخبر الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل
نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع فنصب على التميز نحو غبن رايه والم راسه ونحو قوله و
ناخذ بعده بذناب عيش اجب الظهر ليس له سنام وقوله وما قوى بثعلبة ابن سعد
ولا بفزارة الشعر الرقابا وذلك لانه اذا رغب عما لا يرغب عنه احد من العقلا فقد
بالغ في اذلال نفسه واذلالها واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روى ان عبد الله
بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى
قال في التورية اني باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى
ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه
في الدنيا اى اخترناه بالنبوة والحكمة من بين ساير الخلق واصله اتخاذ صفوة الشى كما
ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام لجواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة
مقررة لمضمون ما قبلها اى وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى وانه في الآخرة لمن
الصالحين اى من المشهود لهم بالثبات على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها
داخل في حيز القسم مؤكد لمضمونها مقرر لما تقرر ولا حاجة الى جعله اعتراضا اخر
اوحالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في الآخرة
كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض
عن النظر والتامل وايثار الاسمية لما ان انتظامه في زمرة صالحي اهل الآخرة امر مستمر
في الدارين لا انه يحدث في الآخرة والتاكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية
عند المخاطبين فحاجتها الى التاكيد اشد من الامور التي تشاهد اثارها وكلمة في
متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة
عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته حتى اذا تمعددا
كان جزائي بالعصا ان اجلدا او بمحذوف من لفظه اى وانه لصالح في الآخرة لمن الصالحين
او من غير لفظه اى اعنى في الآخرة نحو لك بعد رعيا وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في
النظم الكريم تقديما وتاخيرا تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والآخرة وانه لمن الصالحين
اذ قال له ظرف لاصطفيناه لما ان المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفاءه في
الدنيا انما هو النبوة وما يتعلق بصلاح الآخرة او تعليل له او منصوب بالذكر كانه قيل اذكر

ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة والتقدم وانه ما نال ما نال الا
بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن ما يكون حين قال له
ربه اسلم اى لربك قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل والمعنى
اخطر بباله دلائل التوحيد المؤدية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكوكب والقمر
والشمس وقيل اسلم اى اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص
او استقم وفوض امورك الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان
الربوبية والاضافة اليه عم لاظهار مزيد اللطف به والاعتناء بتربيته واضافة
الرب في جوابه عم الى العالمين للايذان بكمال قوة اسلامه عم حيث ايقن حين النظر
بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده كما هو المامور به ووصى بها ابراهيم
بنيه شروع في بيان تكميله عم لغيره اثر بيان كماله في نفسه وفيه توكيد لوجوب
الرغبة في ملته عم والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح للمسلمين من
فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله كان الموصي يصل
فعله بفعل الوصي والضمير في بها للملة او قوله اسلمت لرب العالمين بتاويل الكلمة كما عبر
بها عن قوله تعالى انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها
كلمة باقية في عقبه وقرئ اوصى والاول ابلغ ويعقوب عطف على ابراهيم اى وصى بها
هو ايضا بنيه وقرئ بالنصب عطفا على بنيه يا بني على اضمار القول عند البصريين
ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول كما في قوله رجلان من ضبة اخبرانا
انا راينا رجلا عريانا فهو عند الاولين بتقدير القول وعند الاخرين متعلق بالاخبار
الذي هو في معنى القول وقرئ يا بني وبنو ابرهيم عم كانوا اربعة اسمعيل واسحق و
مدين ومدان وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين وكان بنو يعقوب اثنى عشر روبيل
وشمعون ولاوى ويهودا ويسسوخور وزبولون ودوقا وتفتونا وكوذا واوشير
وبنيامين ويوسف عليه السلام ان الله اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي
هو صفوة الاديان ولا دين غيره عنده تعالى فلا تموتن الا وانتم مسلمون ظاهره
النهى عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى
حين الموت اى فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير
العبارة للدلالة على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل
بهم وانما يجب ان يحذروه غاية الحذر ونظيره مت وانت شهيد روى ان اليهود قالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب اوصى باليهودية يوم مات فنزلت
ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب

لاهل الكتاب الرّاغبين عن ملّة ابراهيم عليه السلام وشهداء جمع شهيد اوشاهد بمعنى
الحاضر واذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه
السّلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيّته لبنيه بعد ما بيّن ذلك اجمالا ومعنى
بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم عليه السلام الى توبيخهم
على يعقوب عم باليهوديّة حسبما حكى عنهم واما تعميم الافتراء ههنا لساير الانبياء عليهم
كما قيل فياباه تخصيص يعقوب عم بالذّكر وما سياتى من قوله عزوجل ام يقولون انّ
ابراهيم ومعنى الهمزة انكار وقوع الشهود عند احتضاره عم وتبكيتهم وقوله تعالى
اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر اى ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله
لبنيه ماتعبدون من بعدى اى اى شئ تعبدونه بعد موتى فمن اين لكم ان تدعوا عليه
عليه السلام ما تدّعون رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتّبكيت ثم بيّن
ان الامر قد جرى حينئذ على خلاف ما زعموا وانه عم اراد بسواله ذلك تقرير بنيه
على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به يتمّ وصيّته بقوله فلا
تموتنّ الّا وانتم مسلمون وما يسال به كل شئ مالم يعرف فاذا عرف خصّ العقلاء بمن
اذا سئل عن شئ بعينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد افقيه ام طبيب فقوله تعالى
قالوا استيناف وقع جوابا عن سؤال نشاعن حكاية سوال يعقوب عم كانّه قيل فماذا
قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك واله اٰبائك ابراهيم واسمعيل واسحق
حسبما كان مرادا يهم عم بالسوال اى نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب
عبادته وعدّ اسمعيل من اٰبائه تغليبا للاب والجدّ لقوله عم عم الرّجل صنو ابيه وقوله
عم فى العباس هذا بقيّة اٰبائى وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون كما فى قوله فلمّا
تبيّنّ اصواتنا بكين وفدّيننا بالابينا وقد سقطت النّون بالاضافة اومفرد وابراهيم
عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفان على ابيك الها واحدا بدل من اله اٰبائك
كقوله تعالى بالنّاصية ناصية كاذبة وفائدته التّصريح بالتّوحيد ودفع التّوهم النّاشى
من تكرير المضاف لتعذّر العطف على المجرور اونصب على الاختصاص ونحن له مسلمون
حال من فاعل نعبد او من مفعوله اومنهما معًا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون
ماسبق تلك امّة مبتداء وخبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحّدين
والامّة هى الجماعة التى تامها فرق النّاس اى يقصدونها ويقتدون بها قد خلت صفة
للخبر اى مضت بالموت وانفردت عمّن عداها واصله صارت الى الخلاء وهى الارض
التى لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب اوصفة اخرى لامّة
اوحال من الضّمير فى خلت وما موصولة اوموصوفة والعائد اليها محذوف اى لها ما كسبته

من الاعمال الصّالحة المحكية لا تتخطّاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه
كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرتها على الوجه الاوّل وجملة مبتداءة على
الوجهين الاخيرين اذ لا رابط فيها ولا بدّ منه فى الصّفه ولا مقارنة فى الزّمان ولا بدّ منها
فى الحكم اى لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان بعد تم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه
كما فى قوله تعالى لكم دينكم ولى دين اى ولى دينى لا دينكم وحمل الجملة الاولى على هذا القصر
على ان اولئك لا ينفعهم الّا ما اكتسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم
بكسب هؤلاء حتّى يحتاج الى بيان امتناعه وانّما الذى يتوهّم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبيّن
امتناعه بان اعمالهم الصّالحة مخصوصة بهم لا تتخطّاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الّا ما كسبوا
فلا ينتفعهم انتسابهم اليهم وانّما ينفعهم اتباعهم لهم فى الاعمال كما قال عم يا بنى هاشم لا ياتينى
النّاس باعمالهم وتاتونى بانسابكم ولا تسالون عمّا كانوا يعملون ان اجرى السّوال
على ظاهره فالجملة مقرّرة لمضمون ما مرّ من الجملتين تقريرا ظاهرًا وان اريد به مسبّبه اعنى
الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النّتيجه له واياما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع
اطماعهم الفارغة عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانّما اطلق العمل لاثبات الحكم
بالطّريق البرهانى فى ضمن قاعدة كليّة هذا وقد جعل السّوال عبارة عن المواخذة والموصول
عن السّيات فقيل لا تواخذون بسيّاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب فى انه ممّا لا
يليق بشان التنزيل كيف لا وهم منزّهون من كسب السيّات فمن اين يتصوّر تحميلها على
غيرهم حتى يتصدى لبيان انتفاعه وقالوا شروع فى بيان فن اٰخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم
لغيرهم اثر بيان ضلالهم فى انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن
باستيجاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبة والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند
غيرهم اى قالوا للمؤمنين كونوا هودًا اَوْ نصارٰى وليس هذا القول مقولا لكلّهم
اى لاىّ طائفة كانت من الطّائفتين بل هو موزع اليهما على وجه خاصّ يقتضيه حالهما اقتضاء
مغنيا عن التّصريح به اى قالت اليهود كونوا هودا والنصارى كونوا نصارى ففعل بالنظم
الكريم ما فعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنّة الّا من كان هودا اونصارى اعتمادا
على ظهور المرام تهتدوا جواب للامر اى ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبى صلى
الله عليه وسلّم اى قل لهم سبيل الرّد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه
بل ملّة ابراهيم اى لا تكون كما تقولون بل نكون اهل ملّته عليه السّلام وقيل بل نتّبع ملّته
عم وقد جوّز ان يكون المعنى بل اتّبعوا انتم ملّته عليه السلام اوكونوا اهل ملّته وقرئ
بالرّفع اى بل ملّتنا اوامرنا ملته اونحن ملّته اى اهل ملته حنيفا اى مائلا عن الباطل
الى الحقّ وهو حال من المضاف اليه كما فى رايت وجه هند قائمة وفى قوله تعالى ونزعنا

مافى صدورهم من غل اخوانا الخ **وماكان من المشركين** تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم
اتباعه عليه السلام مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله **قولوا** خطاب للمؤمنين
بعد خطابه عم برد مقالتهم الشنعاء على الاجمال وارشاد لهم الى طريق التوحيد والايمان
على ضرب من التفصيل اى قولوا لهم بمقابلة ماقالوا تحقيقا وارشادا ضمنيا لهم اليه **امنا**
بالله وما انزل الينا يعنى القران قدم على سائر الكتب الالهية مع تاخره عنها نزولا
لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها **وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق**
ويعقوب والاسباط الصحف وان كانت نازلة الى ابرهيم عم لكن من بعده عليهم السلام
حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل
القران منزلا الينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه
السلام او ابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم واسحق **وما اوتى موسى وعيسى**
من التورية والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بايديهما حسبما فصل فى التنزيل الجليل
وايراد الايتاء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى
وما اوتى النبيون اى جملة المذكورين وغيرهم **من ربهم** من الايات البينات والمعجزات
الباهرة **لانفرق بين احد منهم** كداب اليهود والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعض
وانما اعتبر عدم التفريق بينهم مع ان الكلام فيما اتوه لاستلزام عدم التفريق بينهم
بالتصديق والتكذيب لعدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع
لمن يصلح ان يخاطب يستوى فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول
بين عليه كما فى مثل المال بين الناس ومنه ما فى قوله صلى الله عليه وسلم ما احلت الغنائم
لاحد سود الرؤس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدله من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه
لوقوعه فى حيز النفى وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد
منهم وبين غيره كما فى قول النابغة فماكان بين الخير لوجاء سالما ابو حجر الا ليال قلائل اى
بين الخير وبينى وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين
من عداه كائنا من كان ماليس فى ان يقال لانفرق بينهم والجملة حال فى امنا وقوله عز وجل
ونحن له مسلمون اى مخلصون له ومذعنون حال اخرى منه او عطف على امنا **فان**
امنوا الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه
المحرر مظنة لايمان اهل الكتاب لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم **بمثل ما امنتم به** على
الوجه الذى فصل على ان المثل مقحم كما فى قوله تعالى وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله
اى عليه ويعضده قراءة ابن مسعود بما امنتم به وقراءة ابى بالذى امنتم به ويجوز ان
يكون الباء للاستعانة على المؤمن به محذوف لظهوره بمرور انفا او على ان الفعل مجرى مجرى

اللازم

اللازم اى فان امنوا بما مر مفصلا او فان فعلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم وان يكون
الاولى زائدة والثانية صلة لامنتم وما مصدرية اى فان امنوا ايمانا مثل ايمانكم بما
ذكر مفصلا وان تكونا للملابسة اى فان امنوا ملتبسين بمثل ما امنتم ملتبسين بمثل ما امنتم
ملتبسين به او فان امنوا ايمانا ملتبسا بمثل ما امنتم ايمانا ملتبسا به من الاذعان والاخلاص
وعدم التفريق بين الانبياء عليهم السلام فان ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان
وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لاعينه بخلاف المؤمن به فانه لايتصور فيه التعدد **فقد**
اهتدوا الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من
ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدى الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد
لاتابى تعدد الطريق فيأباه ان مقام تعيين طريق الحق وارشادهم اليه بعينه لايلايم
تجويز ان يكون له طريق اخر وراءه **وان تولوا** اى اعرضوا عن الايمان على الوجه المذكور
بان اخلوا بشئ من ذلك كان امنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو دينهم وديدنهم **فانما هم**
فى شقاق المشاقة والشقاق من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعادات والعداء
من العدوة اى الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الاخر صورة او معنى ويوليه خلفه
وياخذ فى شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اى هم مستقرون فى خلاف
عظيم بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما امن به
المؤمنون والجملة اما جواب الشرط كما هى على ان المراد مشاقتهم الحادثة بعد توليهم عن الايمان
كجواب الشرطية الاولى وانما اوثرت الجملة الاسمية للدلالة على ثباتهم واستقرارهم فى
ذلك واما بتاويل فاعلموا انما هم فى شقاق هذا هو الذى يستدعيه فخامة شان التنزيل الجليل
وقد قيل قوله تعالى فان امنوا الخ من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تعالى فاتوا بسورة
من مثله والمعنى فان حصلوا دينا اخر مثل دينكم مماثلا له فى الصحة والسداد فقد اهتدوا
واذ لا امكان له فلا امكان لاهتدائهم ولا ريب فى انه مما لايليق بجمل النظم الكريم عليه ولما
دل تنكير الشقاق على امتناع الوفاق وان ذلك مما يؤدى الى الجدال والقتال لامحالة عقب
ذلك بتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان
التاييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع البتة فقيل **فسيكفيكهم الله** اى
سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لاتتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد انجز عز وعلا وعده
الكريم بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبى صلى الله عليه
وسلم مع ان ذلك كفاية منه سبحانه للكل لما انه الاصل والعمدة فى ذلك وللايذان بان
القيام بامور الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاسات الشدائد فى مناهضة الاعداء من
وظائف الرؤساء فنعمته تعالى فى الكفاية والنصر فى حقه عليه السلام اتم واكمل **وهو السميع**

العليم تذييل لما سبق من الوعد وتاكيد له والمعنى انّه تعالى يسمع ما ندعو به ويعلم ما فى نيتك
من اظهار الدّين فيستجيب لك ويوصلك الى مرادك او وعيد للكفرة اى يسمع ما ينطقون
به ويعلم ما يضمرونه فى قلوبهم ممّا لا خير فيه وهو معاقبتهم عليه ولا يخفى ما فيه من تاكيد
الوعد السّابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله الصّبغه من الصبغ كالجلسه
من الجلوس وهى الحالة الّتى يقع عليها الصّبغ عبّر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه الذى
فصّل لكونه تطهير للمؤمنين من اوصار الكفر وحيلة تزيّنهم باثاره الجميلة ومتداخلا فى
قلوبهم كما ان شان الصّبغ بالنّسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديريّة فان النصارى
كانوا يقسمون اولادهم فى ماء اصفر يسمّونه المعموديّة ويزعمون انّه تطهير لهم وبه يحق نصرانيتهم
واضافتها الى الله عزّ وجل مع استنادره فيما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان
بانّها عطيّة منه سبحانه لا يستقل العبد بتحصيلها فهى اذن مصدر موكّد لقوله تعالى
امنا داخل معه فى حيّز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد الله عمّا تقدّمه لكونه بمثابتهِ
فعله كانّه قيل صبغنا الله صبغته وقيل هى منصوب بفعل الاغراء اى الترموا صبغة
الله وانّما وسّط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان انه الايمان الحق و به ء
الاهتداء ومسارعة الى تسليته ءم ومن احسن من الله مبتداء وخبر والاستفهام
للانكار والنّفى وقوله تعالى صبغة نصب على التميير من احسن منقول من المبتداء و
التقدير ومن صبغته احسن من صبغته تعالى فالتفضيل جار بين الصّبغتين لا بين
فاعليهما اى لا صبغة احسن من صبغته على معنى انّها احسن من كلّ صبغة على ما اشير اليه
فى قوله تعالى ومن اظلم ممّن منع الخ وحيث كان مدار التفضيل على تعميم الحسن للتحقيقىّ و
الفرضىّ المبنىّ على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون فى صبغه غيره تعالى احسن فى الجملة والجملة
اعتراضية مقرّره لما فى صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج ونحن له اى لله الّذى اولانا
تلك النعمة الجليلة عابدون شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظّرف للاهتمام ورعاية الفواصل
وهو عطف على امنا داخل معه تحت الامر وايثار الاسميّه للاشعار بدوام العبادة او
على فعل الاغراء بتقدير القول اى الزموا صبغة وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن
احسن من الله صبغة حينئذ يجرى مجرى التعليل للاغراء قل اتحاجّوننا تجريد الخطاب
للنّبى صلى الله عليه وسلم عقيب الكلام الدّاخل تحت الامر الوارد بالخطاب العامّ لما انّ
المامور به من الوظايف الخاصّة ءم وقرى بالادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ اى
اتجادلوننا فى الله اى فى دينه وتدّعون ان دينه الحقّ هو اليهوديّة والنصرانيّة وتبنون
دخول الجنّة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنّة الّا من كان هودا او نصارى
وتارة كونوا هودا او نصارى تهتدوا وهو ربّنا وربّكم جملة حاليه وكذلك ما

عطف عليها اى اتجادلوننا والحال انّه لا وجه للمجادلة لانه تعالى ربّنا اى مالك امرنا [اصلا]
وامركم ولنا اعمالنا الحسنة الموافقة لامره ولكم اعمالكم السّيئة المخالفة لحكمه ونحن
له مخلصون فى تلك الاعمال لا نبتغى بها الا وجهه فانّى لكم المحاجّة وادعاء حقيّة ما انتم عليه
والطّمع فى دخول الجنّة بسببه ودعوة النّاس اليه وكلمة ام فى قوله تعالى ام تقولون امّا
معادلة للهمزة فى قوله تعالى اتحاجّوننا داخلة فى حيّز الامر على معنى اىّ الامرين تاتون
اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقيّة ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبّث بذيل التقليد
والافتراء على الانبياء وتقولون انّ ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا
او نصارى فنحن بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما وامّا منقطعة
مقدرة ببل والهمزة دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على
الافتراء على الانبياء عليهم الصّلوة والسّلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة فهى منقطعة
غير داخلة تحت الامر واردة من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه
السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا واما ما قيل من انّ المعنى اتحاجّوننا فى شان الله و
اصطفائه نبيّا من العرب دونكم لما روى من ان اهل الكتاب قالوا الانبياء كلهم منّا فلو
كنت نبيّا لكنت منّا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربّنا وربّكم ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم
انه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده فلا يبعد ان
يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانّه الزمهم على كلّ مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا فان
كرامة النّبوة امّا تفضّل من الله تعالى على من يشاء فالكل فيه سواء واما افاضة حق على
المستحقين لها بالمواظبة على الطاعة والتحلى بالاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربّما يعتبرها الله
تعالى فى اعطائها فلنا ايضا اعمال ونحن له مخلصون اى لا انتم فمع عدم ملائمته لسياق النّظم
الكريم وسياقه لا سيما على تقدير كون كلمة ام معادلة للهمزة غير صحيح فى نفسه لما ان المراد بالاعمال
من الطّرفين ما اشير اليه من الاعمال الصالحة والسيئة ولا ريب فى ان الامر الصّلاح والسّوء ور
على موافقة الدين المبنىّ على البعثة ومخالفته فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال فى استحقاق
النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب قل ءانتم اعلم ام الله اعادة الامر ليست
لمجرّد تاكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعده ليس متصلا بما قبله بل بينهما
كلام للمخاطبين مرتب على ما سبق مستتبع لما لحق قد ضرب عنه الذّكر صفحا للظهور وهو تصريحهم
بما وبّخوا عليه من الافتراء على الانبياء ءم كما فى قوله عزّ وجل قال ومن يقنط من رحمة ربّه الّا
الضّالون قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله عزّ قائلا قال ءاسجد لمن خلقت طينا قال ارايتك
هذا الّذى كرمت علىّ فان تكرير قال فى الموضعين وتوسيطه بين قولى قائل واحد للايذان
بان بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالاول والثّانى بالتّبعيّة والاستتباع كما حرّر فى محلّه اى كذبهم

فى ذلك وبكتهم قائلا ان الله يعلم وانتم لاتعلمون وقد نفى عن ابراهيم ع م كلا الامرين حيث قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم السلام اتباعه فى الدين وفاقا فكيف تقولون سبحان الله عما تصفون ومن اظلم انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله وهى شهادته تعالى له ع م بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلى انفا فعنده صفة لشهادة وكذا من الله جئ بهما للتعليل الانكار وتاكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها من جناب الله عز وجل من اقوى الدواعى الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول مع انه متاخر فى الوجود لمراعات طريقة الترقى من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافتراء وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان من يردها ويشهد بخلافها فى الظلم خارجة عن دائرة البيان او لا احد اظلم منا لو كتمناها فالمراد بكتمها عدم اقامتها فى مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب على نحو ما اشير اليه وفى اطلاق الشهادة مع ان المراد بها ما ذكر من الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبى صلى الله عليه وسلم فى التورية والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادة سبحانه وافتراؤهم على الانبياء عليهم السلام دخولا اوليا اى هو محيط بجميع ما تؤتون وما تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن كتم باعتبار المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الى اخر الاية مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم وتهديدهم بالوعيد تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ تكرير للمبالغة فى الزجر عما هم عليه من الافتخار بالاباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبياء عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود سيقول السفهاء اى الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من قولهم ثوب سفيه اذا كان خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم الجهول والمراد بالسفهاء هم اليهود على ما روى عن ابن عباس رض ومجاهد رض قالوه انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يانسون بموافقته ع م لهم فى القبلة وقيل هم المنافقون وهو الانسب بقوله عز وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون ولم يقولوه كراهة للتحويل الى مكة بل طعنا فى الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة ابائه

ثم رجع

ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم ايضا وقيل هم القادحون فى التحويل منهم جميعا فيكون قوله تعالى من الناس اى الكفرة لبيان ان ذلك القول المحكى لم يصدر عن كل فرد فرد من تلك الطوائف الثلث بل عن اشقيائهم المعتادين للخوض فى فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو اريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان لبيان كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر لا يقتضى تسليم الباقين للتحويل وارتضائهم اياه بل عدم التفوه بالقدح مطلقا او بالعبارة المحكية ما ولىهم اى اى شئ صرفهم والاستفهام للانكار والنفى عن قبلتهم القبلة فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة وهى الحالة التى يقابل الشئ غيره عليها كالجلسة للحالة التى يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة اذا لم يهتد لجهة امره على الجهة التى يستقبلها الانسان فى الصلوة والمراد بها بيت المقدس واضافتها الى ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى التى كانوا عليها اى ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد حقيتها لتاكيد الانكار فان الاختصاص بالشئ والاستمرار عليه باعتقاد حقيته مما ينافى الانصراف عنه فان اريد بالقائلين اليهود فمدار الانكار كراهتهم للتحويل عنها وزعمهم انه خطاء وان اريد بهم المشركون فمداره مجرد القصد الى الطعن فى الدين والقدح فى احكامه و اظهار ان كلا من التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لا لكراهتهم الانصراف عنها او التوجه الى مكة وتعليق الانكار بما يوليهم عنها لا بما يوجههم الى غيرها مع تلازمهما فى الوجود لما ان ترك الدين القديم ابعد عند العقول وانكار سببه ادخل لا للايذان بان المنكرين هم اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحويل عند خصوصية بيت المقدس الذى هو القبلة الحقة عندهم لا التوجيه الى خصوصية قبلة اخرى او هم المشركون بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه الطعن والقدح لا التوجه الى الكعبة لانه الحق عندهم فانه بمعزل من ذلك كيف لا والمنافقون من احد الفريقين لا محالة والاخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه من دلائل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما يبكتهم فان مفاجات المكروه على النفس اشق واشد والجواب العتيد لشغب الخصم الالد اردّ وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل الخ اى لله تعالى ناحيتا الارض اى الجهات كلها ملكا وملكا وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيئته يهدى من يشاء ان يهديه مشيئته تابعة للحكم الخفية التى لا يعلمها الا هو الى صراط مستقيم موصل الى سعادة الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى البيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى حسبما يقتضيه مشيئته المقارنة لحكم ابية ومصالح خفية وكذلك جعلناكم توجيه للخطاب الى المؤمنين

بين الخطابين المختصّين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتاييد ما فى مضمون الكلام من التشريف
وذلك اشارة الى مصدر جعلناكم الى جعل آخر مفهوم ممّا سبق كما قيل وتوحيد الكاف
مع القصد الى المؤمنين لما انّ المراد مجرّد الفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين
المخاطبين ومافيه من معنى البعد للايذان بعلوّ درجة المشار اليه وبعد منزلته فى
الفضل وكمال تميّزه به وانتظامه بسببه فى سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد
ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها فى الاصل النّصب على انّه نعت لمصدر
محذوف واصل التقدير جعلناكم امّة وسطًا جعلا كائنا مثل ذلك الجعل فقدم
على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنّكتة المذكورة فصار نفس
المصدر المؤكد لانعتا له اى ذلك الجعل البديع جعلناكم **أُمَّةً وَسَطًا** لاجعلا آخر
ادنى منه والوسط فى الاصل اسم لما يستوى نسبة الجوانب اليه لمركز الدائرة ثم استعير
للخصال المحموده البشرية لكن لالانّ الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعواز والاوساط
محميّة محوطة كما قيل واستشهد عليه بقول ابن اوس الطّائى كانت هى الوسط المحمىّ
فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة بمعزل من الاعتبار فى هذا
المقام اذ لاملابسة بينها وبين اهليّة الشهادة التى جعلت غاية للجعل المذكور بل
لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفى الافراط والتفريط
كالعفّة التى طرفاها الفجور والخمود وكالشجاعة التى طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التى
طرفاها الجربزة والبلادة وكالعدالة التى هى كيفيّة متشابهة حاصلة من اجتماع تلك
الاوساط المحفوفه باطرافها ثمّ اطلق على المتّصف بها مبالغة كانه نفسها وسوى فيه
بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل كداب ساير الاسماء التى يوصف
بها وقد روعيت ههنا نكتة رائعة هى ان الجعل المشار اليه عبارة عمّا تقدم ذكره
من هدايته تعالى الى الحق الّذى عبّر عنه بالصراط المستقيم الّذى هو الطريق السّوىّ
الواقع فى وسط الطّرق الجائرة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة
بين نقطتين متقابلين فالخط المستقيم انّما هو الخط الواقع فى وسط تلك الخطوط المنحنية
ومن ضرورة كونه وسطا بين الطّرق الجائرة كون الامة المهديّة اليه امّة وسطا بين
الامم السالكة الى تلك الطّرق الزائغة اى متّصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكّين
بالعلم والعمل **لِتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ** بانّ الله عزّ وجل قد اوضح السبل وارسل
الرّسل فبلّغوا ونصحوا وذكّروا فهل من مدّكر وهو غاية للجعل المذكور مترتبة عليه فان
العدالة كما اشير اليه حيث كانت هى الكيفيّة المتشابهة المتالفة من العفّة الّتى هى فضيلة
القوّة الشهويّة البهيميّة والشجاعة الّتى هى فضيلة القوّة الغضبيّة السبعيّة والحكمة الّتى هى فضيلة

القوة

القوّة العقليّة الملكيّة المشار الى رتبتها بقوله عزّ وعلا ومن يؤتى الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا
كانّ المتصف بها واقفا على الحقايق المودعة فى الكتاب المبين المنطوى على احكام الدّين
واحوال الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السّلام فيطالبهم الله تعالى بالبيّنة
وهو اعلم اقامة للحجّة على المنكرين وزيادة لخزيهم بانّ كذبهم مَن بعدهم من الامم فيؤتى
بامة محمّد صلى الله عليه وسلّم فيشهدون فيقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك
باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق على لسان نبيّه الصّادق فيؤتى عند ذلك بالنّبى صلّى
الله عليه وسلّم ويسال عن حال امّته فيزكيّهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله عزّ قائلا **و**
يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وكلمة الاستعلاء لما فى الشّهيد من معنى الرّقيب والمهيمن وقيل
لتكونوا شهداء على النّاس فى الدّنيا فيما لاتقبل فيه الشّهادة الّا من العدول وتقديم الظّرف
للدّلالة على اختصاص شهادته عليه السّلام بهم **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِى كُنْتَ عَلَيْهَا**
جرّد الخطاب للنبىّ صلّى الله عليه وسلم رمزا الى ان مضمون الكلام من الاسرار الحقيقة بان
تخصّ معرفته به عليه السلام وليس الموصول صلة للقبلة بل هو مفعول ثان للجعل وماقيل
من انّ الجعل تحويل الشّئ من حالة الى اخرى فالمتلبس بالحالة الثّانية هو المفعول الثّانى كما
فى قولك جعلت الطّين خزفا فينبغى ان يكون المفعول الاوّل هو الموصول والثّانى هو
القبلة فكلام ضاع ينساق اليه الذّهن بحسب النّظر الجليل ولكنّ التامّل اللّائق يهدى
الى العكس فان المقصود افادته ليس جعل الجهة قبلة لاغير كما يفيده ما ذكر بل هو جعل
القبلة المحققة الوجود هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هى الكعبه فانّه عليه
السّلام كان يصلّى اليها اوّلا ثمّ لما هاجر امر بالصّلوة الى الصّخرة تالفا لليهود او هى
الصّخره لما روى عن ابن عباس رض من ان قبلته عليه السّلام بمكة كان بيت المقدّس الا
انّه كان يجعل الكعبه بينه وبينه وعلى هذه الرّواية لايمكن ان يراد بالقبلة الاولى الكعبة
وامّا الصّخرة فيتاتى ارادتها على الرّوايتين والمعنى على الاوّل وماجعلنا القبلة الجهة التى
كنت عليها اثر ذى اثير وهى الكعبة وعلى الثّانى وماجعلناها التى كنت عليها قبل هذا
الوقت وهى الصّخره **اِلَّا لِنَعْلَمَ** استثناء مفرّغ من اعمّ العلل اى وماجعلنا ذلك الشّئ من
الاشياء الّا لنمتحن النّاس اى نعاملهم معاملة من نمتحهم وتعلم ح **مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ** فى التوجّه
الى ما امر به من الدّين والقبلة والالتفات الى الغيبة مع ايراده عليه السّلام بعنوان
الرّساله للاشعار بعلّة الاتباع **مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ** يرتدّ عن دين الاسلام اولايتوجّه
الى القبلة الجديدة اولنعلم الآن من يتبع الرّسول ممّن لايتبعه وماكان لعارض يزول
بزواله وعلى الاوّل مارددناك الى ماكنت عليه الا لنعلم الثّابت على الاسلام والناكص
على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه والمراد بالعلم مايدور عليه فلك الجزاء من العلم الحالىّ

اى ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين
فاسناده اليه سبحانه لما انهم خواصه او لتمييز الثابت عن المتزلزل كقوله تعالى
ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذى هو مسبب عنه ويشهد
له قراءة ليعلم على بناء المجهول من صيغة الغيبة والعلم اما بمعنى المعرفة او معلق بما
فى مَن من معنى الاستفهام او مفعوله الثانى ممن ينقلب الخ اى لنعلم من يتبع الرسول
متميزا ممن ينقلب على عقبيه **وان كانت لكبيرة** اى شاقة ثقيلة وان هى المخففة من
المثقلة دخلت على ناسخ المبتداء والخبر واللام هى الفارقة بينها وبين النافية كما فى قوله
تعالى ان كان وعد ربنا لمفعولا وزعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اى
ما كانت الا كبيرة والضمير الذى هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما
جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعلة او التولية او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ
الكبيرة بالرفع على ان كان مزيدة كما فى قوله واخوان لنا كانوا كرام واصله وان هى
لكبيرة كقوله ان زيد لمنطلق **الا على الذين هدى الله** اى الى سر الاحكام الشرعية
المبنية على الحكم والمصالح اجمالا او تفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون
على الايمان واتباع الرسول عليه السلام **وما كان الله ليضيع ايمانكم** اى ما صح وما
استقام له ان يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل
ايمانكم بالقبلة المنسوخة وصلوتكم اليها لما روى انه عليه السلام لما توجه الى الكعبة
قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم يصلون الى البيت المقدس فنزلت واللام
فى ليضيع اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو راى البصريين وانتصاب الفعل بعدها
بان المقدرة اى ما كان الله مريدا او متصديا لان يضيع الخ ففى توجيه النفى الى ارادة
الفعل تاكيد ومبالغة ليس فى توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها
كما هو راى الكوفية ولا يقدح فى ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حروف الجر فى
عملها وقوله تعالى **ان الله بالناس لرؤف رحيم** تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان
اتصافه عز وجل بهما يقتضى لا محالة ان لا يضيع اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء
متعلقة برؤف وتقديمه على رحيم مع كونه ابلغ منه لما مر فى وجه تقديم الرحمن على الرحيم
وقيل الرحمة اكثر من الرافة فى الكمية والرافة اقوى منها فى الكيفية لانها عبارة عن ايصال
النعم الصافيه عن الالام والرحمة ايصال النعمة مطلقا وقد يكون مع الالم كقطع العضو
المتاكل وقرئ روف بغير مد كندس **قد نرى تقلب وجهك فى السماء** اى تردده
وتصرف نظرك فى جهتها تطلعا للوحى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقع فى روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابرهيم م وادعى

للعرب

٩١

للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعى نزول جبرئيل
عليه السلام بالوحى بالتحويل **فلنولينك قبلة** الفاء للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها
وهى فى الحقيقة داخلة على قسم محذوف يدل عليه اللام اى فوالله لنولينك اى لنعطينكها
ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اى صيرته واليا له او لنجعلنك تلى جهتها او
لنحولنك على ان نصب قبلة بحذف الجار اى الى قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين **ترضاها**
تحبها وتشتاق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيته تعالى وحكمته **فول وجهك** الفاء للتفريع
الامر بالتولية على الوعد الكريم وتخصيص التولية بالوجه لما انه مدار التوجه ومعياره
وقيل المراد به كل البدن اى فاصرفه **شطر المسجد الحرام** اى نحوه وهو نصب على الظرفية
من ولّ او على نزع الخافض او على انه مفعول ثان له وقيل الشطر فى الاصل اسم لما انفصل
من الشئ ودار شطور اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر
والحرام اى محرم فيها القتال او ممنوع من الظلمة او يتعرضوا له وفى ذكر المسجد الحرام دون
الكعبة ايذان بكفاية مراعات الجهة لان فى مراعات العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف
القريب روى ان البراء بن عازب ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فصلى نحو
البيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك فى رجب بعد زوال
الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سلمه وقد
صلى باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول فى الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال
مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمى المسجد مسجد القبلتين **وحيث ما كنتم فولوا**
وجوهكم شطره خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب تعظيما لجنابه وايذانا
باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف اماكنهم تاكيدا للحكم وتصريحا
بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة على المتابعة وحيثما شرطية وكنتم
فى محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا جوابها ويكون هى منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قوله
تعالى اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى **وان الذين اوتوا الكتاب** من فريقى اليهود والنصارى
ليعلمون انه اى التحويل او التوجه المفهوم من التولية **الحق** لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه
وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة ومعاينتهم لما هو مسطور فى كتبهم من انه عليه
السلام يصلى الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول بايتاء الكتاب وان
مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولى يعلمون او مسد مفعوله الواحد على ان العلم بمعنى المعرفة
وقوله تعالى **من ربهم** متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اى كائنا من ربهم او صفة له على راى
من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى الكائن من ربهم **وما الله بغافل عما تعملون**
وعد ووعيد للفريقين والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب

ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب وضع الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء
حالهم من العناد مع تحقق ما يزعمهم منه من الكتاب الناطق بحقية ما كابروا في قبوله بكل اية
اى حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما تبعوا قبلتك جواب
للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك لشبهة تزيلها الحجة وانما
خالفوا مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه للامة لما ان
المحاجة والاتيان بالاية من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقوله تعالى وما انت بتابع
قبلتهم جملة معطوفة على الجملة الشرطية لا على جوابها مسوقة لقطع اطماعهم الفارغة حيث
قالت اليهود لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذى ننتظر تعزيرا له عليه السلام
وطمعا فى رجوعه وايثار الجملة الاسمية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم
مع تعددها باعتبار اتحادها فى البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفى هو التعدد وتوزيع
بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى
مطلع الشمس لا يرجى توافقهم لك لتصلب كل فريق فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم
الزائغة المتخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية ما انت عليه وهذه الشرطية
الفرضية واردة على منهاج التهييج والالهاب للثبات على الحق اى ولئن اتبعت اهواءهم فرضا
انك اذا لمن الظالمين وفيه لطف للسامعين وتحذير لهم على متابعة الهوى فان من ليس
من شانه ذلك اذا نهى عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام فى سلك الراسخين
فى الظلم فما ظن من ليس كذلك واذن حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير
ما بينهما من النسبة اذا كان حدها ان تتقدم او تتاخر فلم تتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير
النسبة التى بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب القسم ولم تتاخر لرعاية
الفواصل ولقد بولغ فى التاكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على اقتفائه وتحذيرا
عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب من الانبياء عليهم السلام الذين اتيناهم
الكتاب اى علماؤهم اذهم العمدة فى بيانه ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار
بعلية ما فى حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب فى قوله تعالى يعرفونه للرسول صلى الله عليه
وسلم والالتفات الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته
ونسبه الزاهر بل من حيث كونه مسطورا فى الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التى من جملتها انه
عليه السلام يصلى الى القبلتين كانه قيل الذين اتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا
يظهر جزالة النظم الكريم وقيل هو اضمار قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه عم وانه علم معلوم بغير
اعلام فتامل وقيل الضمير للعلم او سببه الذى هو الوحى والقرآن او التحويل ويؤيد الاول
قوله عز وجل كما يعرفون ابناءهم اى يعرفونه عليه السلام باوصافه الشريفة المكتوبة فى كتابهم

لايشتبه

لايشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم بالذكر دون ما يعم البنات لكونهم اعرف عندهم منهن
بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رض انه سال عبد الله بن سلام رض عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال انا اعلم به منى بابنى قال ولم قال لانى لست اشك فيه انه نبى فاما ولدى فلعل والدته
خانت فقبل عمر راسه رضى الله تعالى عنهما وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون
هم الذين كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين امنوا منهم فانهم يظهرون الحق ولا يكتمونه
واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما تضاعيفه فما هم بصدد الاظهار ولا بصدد
الكتم وانما كفر على وجه التقليد الحق بالرفع على انه مبتدا وقوله تعالى من ربك خبره واللام
للعهد والاشارة الى ما عليه النبى صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذى يكتمونه او للجنس والمعنى
ان الحق ما ثبت انه من الله تعالى كالذى انت عليه لا غيره كالذى عليه اهل الكتاب او على انه
خبر مبتداء محذوف اى هو الحق وقوله تعالى من ربك اما حال او خبر بعد خبر وقرى بالنصب
على انه بدل من الاول او مفعول ليعلمون وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم
من اظهار اللطف به عم ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين اى الشاكين فى كتمانهم الحق عالمين
به وقيل فى انه من ربك وليس المراد به نهى الرسول عليه السلام عن الشك فيه لانه غير
متوقع منه عم وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة
باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل اى لكل امة من الامم على ان التنوين
عوض من المضاف اليه وجهة اى قبلة وقد قرى كذلك او لكل قوم من المسلمين جانب من
جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف اى موليها وجهه او الله موليها اياه وقرى
ولكل وجه بالاضافة والمعنى ولكل وجهة الله موليها اهلها واللام مزيدة للتاكيد وجبر
ضعف العامل وقرئ مولاها اى مولى تلك الجهة قد وليها فاستبقوا الخيرات اى تسابقوا
اليها بنزع الجار كما فى قوله ثنائى عليكم آل حرب ومن يمل سواكم فانى مهتد غير مائل وهو
ابلغ من الامر بالمسارعة لما فيه من الحث على احراز السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها من
امر القبلة وغيره مما ينال به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهى المسامتة للكعبة
اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا اى فى اى موضع تكونوا من موافق او مخالف مجتمع الاجزاء او
متفرقها يحشركم الله تعالى الى المحشر للجزاء او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال يقبض
ارواحكم او اينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة يجعل صلواتكم كانها صلوة الى جهة واحدة
ان الله على كل شئ قدير فيقدر على الاماتة والاحياء والجمع فهو تعليل للحكم السابق ومن
حيث خرجت تاكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر فى حالتى السفر والحضر ومن
متعلقة بقوله تعالى فول او بمحذوف عطف هو عليه اى من اى مكان خرجت للسفر فول
وجهك عند صلوتك شطر المسجد الحرام او افعل ما امرت به من اى مكان خرجت اليه فول

الخ وانّه اى هذا الامر للحقّ من ربّك اى الثّابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عمّا تعملون
فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرى يعلمون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين
ومن حيث خرجت اليه فى اسفارك ومغازيك من المنازل القريبة او البعيدة فولّ وجهك
شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما مرّ انفا وحيث ما كنتم من اقطار الارض مقيمين او مسافرين
حسبما يعرب عنه ابثار كنتم على خرجتم فانّ الخطاب عامّ لكافّة المؤمنين المنتشرين فى الافاق
من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيثما خرجتم لما تناول الخطاب المقيمين فى الاماكن المختلفة
من حيث اقامتهم فيها فولّوا وجوهكم من محالّكم شطره والتّكرير لما انّ القبلة لها شان خطير
والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحرى ان يوكّد امرها مرّة غبّ اخرى مع انّه قد ذكر
فى كلّ مرّة حكمة مستقلّة لئلا يكون للنّاس عليكم حجّة متعلّق بقوله تعالى فولّوا وقيل بمحذوف
يدلّ عليه الكلام كانّه قيل فعلنا ذلك لئلا الخ والمعنى ان التّولية عن الصّخرة تدافع احتجاج
اليهود بانّ المنعوت فى التّورية من اوصافه انّه يحوّل الى الكعبة واحتجاج المشركين بانّه يدّعى
ملّة ابراهيم ويخالف قبلته الّا الّذين ظلموا منهم وهم اهل مكّة اى لئلا يكون لاحد من النّاس
حجّة الّا المعاندين منهم الّذين تقولون ما تحوّل الى الكعبة الّا ميلا الى دين قومه وحبّا لبلده
او بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجّة مع انها
افحش الاباطيل من قبيل ما فى قوله تعالى حجّتهم داحضة حيث كانوا يسوقونها مساق الحجّة وقيل
الحجّة بمعنى مطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجّة راسًا كالذى فى قوله ولا عيب
فيهم غير انّ سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكتائب ضرورة ان لا حجّة للظالم وقرئ الا الّذين
بحرف التنبيه على انّه استيناف فلا تخشوهم فانّ مطاعنهم لا تضرّكم شيئا واخشونى فلا تخالفوا
امرى ولاتمّ نعمتى عليكم ولعلّكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النّظم الكريم اى وامرتكم بما مرّ
لاتمامى النّعمة عليكم لما انّه نعمة جليلة ولارادتى اهتداءكم لما انّه صراط مستقيم مؤدّ الى سعادة
الدّارين كما اشير اليه فى قوله عزّ وجل يهدى من يشاء الى صراط مستقيم وفى التعبير عن الارادة
بكلمة لعلّ الموضوعة للترجى على طريقة الاستعارة التّبعيه من الدّلالة على كمال العناية بالهداية
ما لا يخفى وعطف على علّة مقدّرة اى واخشونى لاحفظكم عنهم واتم الى اخره او على قوله تعالى
لئلا يكون الخ وتوسيط قوله تعالى فلا تخشوهم الخ بينهما للمسارعة الى التسلية والتثبيت وفى الخبر
تمام النّعمة دخول الجنّة وعن على رض تمام النّعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم
متّصل بما قبله والظّرف الاوّل متعلق بالفعل قدّم على مفعوله الصّريح لما فى صفاته من الطّول والظّرف
الثّانى متعلّق بمضمر وقع صفة لرسولا مبنيّة لتمام النّعمة اى ولاتمّ نعمتى عليكم فى امر القبلة او فى الاخرة
اتماما كائنا كاتمامى لها بارسال رسول كائن منكم فانّ ارسال الرّسول لا سيّما المجانس لهم نعمة لا
يكافؤها نعمة قطّ وقيل متّصل بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى الخ وايثار صيغة المتكلم

مع الغير بعد التوحيد فيما قبله افتنان وجريان على سنن الكبرياء يتلو عليكم اياتنا صفة
ثانية لرسولا كاشفة لكمال النّعمة ويزكّيكم عطف على يتلو اى يحملكم على ما تصيرون ازكياء
ويعلّمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى مرتبة فى الوجود على التّلاوة وانّما وسط بينهما التّزكية
الّتى هى عبارة عن تكميل النّفس بحسب القوّة العمليّة وتهذيبها المتفرّع على تكميلها بحسب القوّة
النّظرية الحاصل بالتّعليم المترتّب على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على
حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب الوجود كما فى قوله تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلو
عليهم اياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم انّك انت العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكلّ نعمة
واحدة كما مرّ نظيره فى قصّة البقرة وهو السّر فى التّعبير عن القران تارة بالايات واخرى بالكتاب
والحكمة رمزا الى انّه باعتبار كلّ عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما فى تضاعيف
الاحاديث الشّريفة من الشّرائع وقوله عزّ وجلّ ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون صريح فى ذلك
فانّ الموصول مع كونه عبارة عن الكتاب والحكمة قطعًا قد عطف تعليمه على تعليمهما وما ذلك
الّا التفصيل فنون النعم فى مقام يقتضيه كما فى قوله تعالى ونجّيناهم من عذاب غليظ عقيب
قوله تعالى نجّينا هودًا والّذين امنوا معه برحمة منّا والمراد بعدم علمهم ان ليس من شانهم
ان يعلموه بالفكر والنّظر وغير ذلك من طريق العلم لانحصار الطّريق فى الوحى فاذكرونى
الفاء للدّلالة على ترتّب الامر على ما قبله من موجباته اى فاذكرونى بالطّاعة اذكركم بالثّواب
وهو تحريض على الذّكر مع الاشعار بما يوجبه واشكروا لى ما انعمت به عليكم من النّعم ولا
تكفرون بجحدها وعصيان ما امرتكم به يا ايّها الذين امنوا وصفهم بالايمان اثر تعداد
ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعات ما يعقبه من الامر استعينوا فى كلّ ما
تاتون وما تذرون بالصّبر على الامور الشّاقة على النّفس الّتى من جملتها معادات الكفرة ومقابلتهم
والصّلوة الّتى هى امّ العبادات ومعراج المؤمنين ومناجات ربّ العالمين انّ الله مع الصّابرين
تعليل للامر بالاستعانة بالصّبر خاصّة لما انه المحتاج الى التّعليل وامّا الصّلوة فحيث كانت
عند المؤمنين اجلّ المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه السّلام وجعلت قرّة عينى فى الصّلوة لم يفتقر
الامر بالاستعانة بها الى التّعليل ومعنى المعيّة الولاية الدّائمة المستتبعة للنّصرة واجابة الدّعوة و
دخول مع على الصّابرين لما انّهم المباشرون للصبر حقيقة فهم متّبعون من تلك ولا تقولوا عطف
على استعينوا الخ مسوق لبيان ان لا غاية للمامور به وانّ الشّهادة الّتى ربما يودى اليها الصّبر
حيوة ابديّة لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى هم اموات بل احياء اى بل هم احياء ولكن
لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز الى انها ليست ممّا يشعر به بالمشاعر الظّاهرة من الحيوة الجسمانيّة
وانّما هى امر روحانى يدرك بالعقل بل بالوحى وعن الحسن رح انّ الشّهداء احياء عند الله تعرض
ارزاقهم الى ارواحهم فيصل اليهم الرّوح والفرح كما تعرض النّار على ال فرعون غدوّا وعشيًّا

فيصل اليهم الالم والوجع قلت رايت فى المنام سنه تسع وتسعمائة انّى ازور قبور شهداء اُحُد رضى الله تعالى عنهم وانا اتلو هذه الاية وما فى سورة ال عمران وارددهم متفكرًا فى امرهم وفى نفسى انّ حيوتهم روحانيّة لاجسمانيّة فبين ما انا على ذلك اذ رايت شابًّا منهم قاعدًا فى قبره تام الجسد كامل الخلقه فى احسن ما يكون من الهيئة والمنظر ليس عليه شئ من اللّباس قد بدى منه ما فوق السّرة والباقى فى القبر خلا انّى اعلم يقينًا ان ذلك ايضا كما ظهر وانّما لا يظهر لكونه عورة فنظرت الى وجهه فرايته ينظر الىّ متبسّمًا كانّه ينبّهنى على انّ الامر بخلاف راى فسبحان من علت كلمته وجلّت حكمته وقيل الاية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على انّ الارواح جواهر قائمة بانفسها مغايرة لما يحسّ به من البدن تبقى بعد الموت درّاكة وعليه جمهور الصّحابة والتّابعين رضوان الله عليهم اجمعين وبه نطقت الايات والسّنن وعلى هذا فتخصيص الشّهداء بذلك لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادى الشّهادة لاختصاصهم بمزيد القرب من الله عزّ وعلا **ولنبلونّكم** لنصيبنّكم اصابة من يختبر احوالكم انصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء **بشئ من الخوف والجوع** اى بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنّسبة الى ما اصابهم بالف مرّة وكذا ما يصيب به معانديهم وانّما اخبر به قبل الوقوع ليوطّنوا عليه نفوسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما اخبر به وليعلموا انّه شئ يسير له عاقبة حميدة **ونقص من الاموال والانفس والثّمرات** عطف على شئ وقيل على الخوف وعن الشّافعى رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص من الاموال الزّكوة والصّدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبىّ صلّى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملئكة اقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول عزّ وجلّ اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عزّ وعلا ابنوا لعبدى بيتا فى الجنّة وسمّوه بيت الحمد **وبشّر الصّابرين الّذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انّا لله وانّا اليه راجعون** الخطاب للرّسول صلّى الله عليه وسلّم او لكلّ من يتاتّى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من مكروه لقوله عليه السّلام كلّ شئ يؤذى المؤمن فهو له مصيبه وليس الصّبر هو الاسترجاع باللّسان بل بالقلب بان يتصوّر ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تع عليه ويرى ان ما ابقى عليه اضعاف ما استرده منه فيهوّن ذلك على نفسه ويستسلم والمبشّر به محذوف دلّ عليه ما بعده **اولٰئك** اشارة الى الصّابرين باعتبار اتّصافهم بما ذكر من النّعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلوّ رتبتهم **عليهم صلوات من ربّهم ورحمة** الصّلوة من الله سبحانه المغفرة والرّافة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوّعها والجمع بينها وبين الرّحمة للمبالغة كما فى قوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم والتنوين فيهما للتفخيم والتّعرض لعنوان الرّبوبيّة مع الاضافة الى ضميرهم

لاظهار

لاظهار مزيد العناية بهم اى اولئك الموصوفون بما ذكر من النّعوت الجليلة عليهم فنون الرّافة الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبى صلّى الله عليه وسلّم من استرجع عند المصيبه جبر الله مصيبته واحسن عقباه وجعل له خلفًا صالحًا يرضاه **واولٰئك** اشارة اليهم امّا بالاعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال العناية بهم وامّا باعتبار حيازتهم لما ذكر من الصّلوة والرّحمة المترتب على الاعتبار الاوّل فعلى الاوّل المراد بالابتداء فى قوله عزّ وجل **هم المهتدون** هو الابتداء للحق والصّواب مطلقًا لا الابتداء لما ذكر من الاسترجاع والاستسلام خاصّة لما انه متقدّم عليهما فلا بدّ لتاخيره عمّا هو نتيجته لهما من داعٍ يوجبه وليس بظاهر والجملة اعتراض مقرّر لمضمون ما قبله كانّه قيل واولئك هم المختصّون بالاهتداء لكل حقّ وصواب ولذلك استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثّانى هو الاهتداء والفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم الفائزون بمباغيهم الدينيّة والدّنيوية فان من نال رافة الله تعالى ورحمته لم يفته مطلب **انّ الصّفا والمروة** علمان لجبلين بمكّة المعظّمة كالصّمان والمقطم **من شعائر الله** من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهى العلامة **فمن حجّ البيت او اعتمر** الحج فى اللغة القصد والاعتمار الزيارة غُلّبا فى الشريعة على قصد البيت وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم فى الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريده عن التّعلّق به **فلا جناح عليه ان يطّوّف بهما** اى فى ان يطوف بهما اصله يتطوّف قلبت التّاء طاء فادغمت الطّاء فى الطّاء وفى ايراد صيغة التّفعل ايذان بان من حقوق الطائف ان يتكلّف فى الطّواف ويبذل فيه جهده وهذا الطّواف واجب عندنا وعند مالك والشّافعى رحمهما الله انّه ركن وايراده بعدم الجناح المشعر بالتخيير لما انّه كان فى عهد الجاهليّه على الصّفا صنم يقال له اِساف وعلى المروة آخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما مسحوا بهما فلمّا جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرّج المسلمون ان يطوّفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو تطوّع ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما **ومن تطوّع خيرًا** اى فعل طاعة فرضًا كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف وخيرا حينئذ نصب على انه صفة لمصدر محذوف اى تطوّعًا خيرًا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى فَعَلَ وقرئ تطوّع واصله يتطوّع مثل يطّوّف وقرئ ومن يتطوع بخير **فانّ الله شاكر** اى مجاز على الطّاعة عبّر عن ذلك بالشّكر مبالغة فى الاحسان الى العباد **عليم** مبالغ فى العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفيّاتها فلا ينقص من اجورهم شيئا وهو علّة لجواب الشّرط قائم مقامه كانّه قيل ومن تطوّع خيرا جازاه الله واثابه فان الله شاكر عليم **انّ الّذين يكتمون** قيل نزلت فى احبار اليهود الذين كتموا فى التّورية من نعوت النّبى صلّى الله عليه وسلم وغير ذلك من الاحكام وعن ابن عبّاس ومجاهد وقتاده والحسن والسّدى والرّبيع والاصم انها نزلت فى اهل الكتاب

من اليهود والنصارى وقيل نزلت فى كلّ من كتم شيئا من احكام الدّين لعموم الحكم للكل والاقرب هو
الاوّل فانّ عموم الحكم لا يابى خصوص السّبب والكتم والكتمان ترك اظهار الشئ قصدًا مع مساس
الحاجة اليه وتحقق الدّاعى الى اظهاره وذلك قد يكون بمجرّد ستره واخفائه وقد يكون بازالته
ووضع شئ اخر فى موضعه وهو الّذى فعله هؤلاء **ما انزلنا من البيّنات** من الايات الواضحة
الدّالة على امر محمّد صلّى الله عليه وسلّم **والهدى** اى والايات الهادية الى كنه امره ووجوب
اتباعه والايمان به عبّر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهى المراده بالبيّنات
ايضا والعطف لتغاير العنوان كما فى قوله عزّ وجل هدى للنّاس وبيّنات الخ وقيل المراد
بالهدى الادلة العقليّة ويا باه الانزال والكتم **من بعد ما بيّناه للنّاس** متعلّق بيكتمون
والمراد بالنّاس الكل لا المكاتمون فقط واللّام متعلّقة ببيّناه وكذا الظّرف فى قوله تعالى
فى الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد عند اختلاف المعنى ممّا لا ريب فى جوازه او الاخير متعلّق
بمحذوف وقع حالا من مفعوله اى كائنا فى الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقّاه
كلّ احد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان مغاير لكونه بيّنا فى نفسه وهدى
مؤكّد لقبح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السّلام والاوّل انسب بقوله تعالى فى الكتاب
والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره فى موضعه فانهم محوا نعته عليه الصّلوة والسّلام وكتبوا مكانه
ما يخالفه كما ذكرناه فى تفسير قوله عزّ وعلا فويل للّذين يكتبون الكتاب اه **اولئك** اشارة
اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعليّته لما حاق بهم وما فيه من معنى البعد للايذان بترامى امرهم
وبعد منزلتهم فى الفساد **يلعنهم الله** اى يطردهم ويبعّدهم من رحمته والالتفات الى الغيبة
باظهار اسم الجامع للصّفات لتربية المهابة وادخال الرّوعة والاشعار بان مبدا صدور اللعن عنه
سبحانه صفة الجلال المغاير لما هو مبدا الانزال والتبيين من وصف الجمال والرّحمة **ويلعنهم
اللّاعنون** اى الذين يتاتّى منهم اللّعن اى الدعاء عليهم باللّعن من الملئكة ومؤمنى الثقلين والمراد
بيان دوام اللّعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتّصل فى قوله تعالى **الّا الّذين تابوا** اى عن
الكتمان **واصلحوا** اى ما افسدوا بان ازالوا الكلام المحرّف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التّحريف
وبيّنوا للنّاس معانيه فانّه غير الاصلاح المذكور او بيّنوا لهم ما وقع منهم اوّلا واخرا فانّه ادخل فى
ارشاد النّاس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الّذى كانوا او قعودهم فيه او بيّنوا توبتهم ليمحوا
به سمة ما كانوا فيه ويقتدى بهم اضرابهم وحيث كانت هذه التى هى المقرونة بالاصلاح والتبيين
مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنيّة عليها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى **فاولئك** اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما فى حيّز الصّلة للاشعار بعليته للحكم والفاء لتاكيد ذلك **اتوب عليهم** اى بالقبول
واضافة المغفرة والرّحمة وقوله تعالى **وانا التّوّاب الرّحيم** اى المبالغ فى قبول التّوب ونشر الرّحمة
اعتراض تذييلى محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان فى النّظم الكريم مع ما فيه

من التّلويح والرّمز الى ما مرّ من اختلاف المبتداء فى فعليه تعالى السّابق واللاحق **انّ الّذين كفروا**
جملة مستانفة سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتاكيد دوامه واستمراره على غير
التّائبين حسبما يفيده الكلام والاقتصار على ذكر الكفر فى الصّلة من غير تعرّض لعدم التّوبة والاصلاح
والتّبيين مبنى على ما اشير اليه فكما ان وجود تلك الامور الثلثة مستلزم للايمان الموجب لعدم
الكفر كذلك وجود الكفر مستلزم لعدمها جميعًا اى ان الّذين استمرّوا على الكفر المستتبع للكتمان
وعدم التّوبة **وماتوا وهم كفّار** لا يرعوون عن حالتهم الاولى **اولئك** الكلام فيه كما قبله **عليهم**
اى مستقرّ عليهم **لعنة الله والملئكة والنّاس اجمعين** ممّن يعتدّ بلعنهم وهذا بيان لدوامها
الثّبوتى بعد بيان دوامها التجددى وقيل الاوّل لعنتهم احياء وهذا لعنتهم امواتا وقرئ
والملئكة والنّاس اجمعون عطفا على محلّ اسم الله لانّه فاعل فى المعنى كقولك اعجبنى ضرب زيد
وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو وكانه قيل اولئك عليهم ان لعنة الله والملئكة الخ وقيل
هو فاعل لفعل مقدر اى ويلعنهم الملئكة **خالدين فيها** اى فى اللعنة او فى النّار على انّها اضمرت
من غير ذكر تفخيمًا لشانها وتهويلا لامرها **لا يخفّف عنهم العذاب** امّا مستانف لبيان كثرة عذابهم
من حيث الكيف اثر بيان كثرته من حيث الكم او حال من الضّمير فى خالدين على وجه التّداخل
او من الضّمير فى عليهم طريقة التّرادف **ولا هم ينظرون** عطف على ما قبله جار فيه ما جرى وايثار
الجملة الاسميّة لافادة دوام النّفى واستمراره اى لا يمهلون ولا يوجلون او لا ينتظرون ليتعذّروا
او لا ينظر اليهم نظر رحمة **والهكم** خطاب عام لكافة النّاس اى المستحقّ منكم للعبادة **اله واحد** اى
فرد فى الالهيّة لا صحّة لتسمية غيره الها اصلا **لا اله الّا هو** خبر ثان للمبتداء او صفة اخرى للخبر او
اعتراض واياما كان فهو مقرّر للوحدانيّة ومزيح لما عسى يتوهّم ان فى الوجود الها لكن لا يستحقّ
العبادة **الرّحمن الرّحيم** خبران اخران للمبتداء او لمبتداء محذوف وهو تقرير للتوحيد فانّه تعالى
حيث كان موليًا لجميع النّعم اصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان
مفتقرا اليه فى وجوده وما يتفرع عليه من كمالاته تحققت وحدانيّة بلا ريب وانحصر استحقاق
العبادة فيه تعالى قطعًا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرّمة ثلثمائة وستّون صنما فلما سمعوا
هذه الاية تعجّبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت **انّ فى خلق السّموات
والارض** اى فى ابداعهما على ما هما عليه مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدايع صنايع يعجز عن
فهمها عقول البشر وجمع السّموات لما هو المشهور من انّها طبقات متخالفة الحقايق دون الارض
واختلاف اللّيل والنّهار اى فى اعتقابهما وكون كلّ منهما خلفا للاخر كقوله تع وهو الذى جعل
اللّيل والنّهار خلفة او اختلاف كلّ منهما فى انفسهما ازديادا وانتقاصًا على ما قدّره الله تعالى **والفلك
الّتى تجرى فى البحر** عطف على ما قبله وتانيثه اما بتاويل السّفينة او بانه جمع فان ضمّة الجمع
مغايرة لضمّة الواحد فى التقدير اذ الاولى كما فى حمر والثّانية كما فى قفل وقرئ بضمّ اللّام **بما ينفع**

الناس اى ملتبسة بالذى ينفعهم بما يحمل فيها من انواع المنافع او ينفعهم وما انزل الله من السماء
من ماء عطف على الفلك وتاخيره عن ذكرها مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل
المقصود الاستدلال بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لما انه سبب الخوض فيه والاطلاع على
عجايبه ولذلك قدم على ذكر المطر والسحاب لان منشاها البحر فى غالب الامر ومن الاولى ابتدائية
والثانية بيانية او تبعيضية واياما كان فتاخيرها لما مر مرارا من التشويق والمراد بالسماء
الفلك او السحاب او جهة العلو فاحيا به الارض بانواع النبات والازهار وما عليها
من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما يقتضيه طبيعتها كما يوذن به ايراد
الموت فى مقابلة الاحياء وبث فيها اى فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة
معطوفة على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيى الخ متصل بالمعطوف عليه بحيث
كانا فى حكم شئ كانه قيل وما انزل فى الارض من ماء وبث بها الخ او على احيى بحذف الجار والمجرور
العايد الى الموصول وان لم يتحقق الشرائط المعهودة كما فى قوله وان لسانى شهدة يشتفى بها ولكن
على معنى فاحيى بالماء الارض وبث به فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحياء
وتصريف الرياح عطف على ما انزل اى تقليبها من مهب الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب
عطف على تصريف او الرياح وهو اسم جنس واحده سحابة سمى بذلك لانسحابه فى الجو المسخر
بين السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه فيوصف بالجمع كما فى قوله
تعالى سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه فى الجو بواسطة الرياح حسبما يقتضيه مشية الله تعـ
ولعل تاخير تصريف الرياح وتسخير السحاب فى الذكر عن جريان الفلك وانزل الماء مع
انعكاس الترتيب الخارجى لما مر فى قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور المعدودة
فى كونها اية ولو روعى الترتيب الخارجى لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض اية
واحدة لايات اسم ان دخلته اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اى ايات
عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة الباهرة والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص
الالوهية به سبحانه لقوم يعقلون اى يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون العقول وفيه
تعريض بجهل المشركين اقترحوا على النبى صلى الله عليه وسلم اية تصدقه فى قوله تعالى والهكم
اله واحد وتسجيل بسخافة العقول والا فمن تامل فى تلك الايات وجد كلا منها ناطقة بوجوده
تعـ ووحدانيته وساير صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى واستغنى بها عن
سائرها فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص من الوجوه الممكنة دون
ما عداه مستتبعا لاثار معينة واحكام مخصوصة من غير ان يقتضى ذاته وجوده فضلا عن
وجوده على نمط معين مستتبع لحكم مستقل فاذن لا بد له حتما من موجد قادر حكيم يوجده حسبما
تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيته متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه اخر يقدر على ما

بقدر

يقدر عليه لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المودى الى فساد العالم ومن الناس
من يتخذ من دون الله بيان لكمال اراء المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه وتحرير الايات
الباهرة الملجئة للعقلاء الى الاعتراف بها القاضية باستحالة ان يشاركه شئ من الموجودات
فى صفة من صفات الكمال فضلا عن المشاركة فى صفة الالوهية والكلام فى اعرابه كما فصل فى قوله
تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر الخ ومن دون الله متعلق بيتخذ اى من الناس
من يتخذ من دون ذلك الاله الواحد الذى ذكرت شوونه الجليلة وايثار الاسم الجليل لتعيينه
تعالى بالذات غب تعيينه بالصفات اندادا اى امثالا وهى روساوهم الذين يتبعوهم فيما ياتون
وما يذرون لاسيما فى الاوامر والنواهى كما يفصح عنه ما سياتى من وصفهم بالتبرء من المتبعين
وقيل هى الاصنام وارجاع ضمير العقلاء اليها فى قوله عز وعلا يحبونهم مبنى على ارائهم الباطلة
فى شانها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم
اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها والفعل منها احب على حد مد لكن الاستعمال المستفيض على احب حبا
ومحبة فهو محب وذاك محبوب ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد لله سبحانه ارادة طاعته
فى اوامره ونواهيه والاعتناء بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة فى حيز النصب
اما صفة لانداد او حالا من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها
كحب الله مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق ومن قضيته كونه مبنيا للفاعل كونه
ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعلهما فانهم كانوا يقرون به تعالى ايضا ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم
حبا كائنا كحبهم لله تعالى اى يسوون بينه تعالى وبينهم فى الطاعة والتعظيم وقيل فاعل الحب المذكور
هم المؤمنون فالمعنى حبا كائنا كحب المؤمنين له تعالى فلا من اعتبار المشابهة بينهما فى اصل الحب
لا فى وصفه كما او كيفا لما سياتى من التفاوت البين وقيل هو مصدر من المبنى للمفعول اى كما
يحب الله تعالى ويعظم وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وانت خبير بانه لا مشابهة
بين محبتهم لانداهم وبين محبوبيته تعالى فالمصير ما اسلفناه فى تفسير قوله عز قائلا كما سئل
موسى من قبل واظهار الاسم الجليل فى مقام الاضمار لتربية المهابة وتفخيم المضاف وابانة كمال قبح
ما ارتكبوه والذين امنوا اشد حبا لله جملة مبتداءة جئ بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة
حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه محذوف اى المؤمنون اشد حبا له تعالى منهم لاندادهم
ومآله ان حب اولئك له تعالى اشد من حب هؤلاء لاندادهم وفيه من الدلالة على كون الحب
مصدرا من المبنى للفاعل ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لما ان المقصود بيان
انقطاعه وانقلابه بغضا وذلك انما يتصور فى حبهم لاندادهم لكونه منوطا بمبان فاسدة ومباد موهومة
يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد الى الله سبحانه وكانوا يعبدون صنما
اياما فاذا وجدوا اخر رفضوه اليه وقد اكلت باهلة الهها عام المجاعة وكان من حيس وانت خبير

بانّ مدار ذلك اعتبار اختلال حبّهم لها فى الدّنيا وليس الكلام فيه بل انقطاعه فى الآخرة عند ظهور حقيقة
الحال ومعاينة الاهوال كما سيأتى بل اعتباره مخلّ بما يقتضيه مقام المبالغة فى بيان كمال قبح ما ارتكبوه
وغاية عظم ما اقترفوه وايثار للاظهار فى موضع الاضمار لتفخيم الحبّ والاشعار بعلته **ولو يرى الّذين
ظلموا** اى باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود **اذ يرون العذاب** المعدّ لهم يوم القيمة اى لو
علموا اذ عاينوه وانّما اوثر صيغة المستقبل لجريانها مجرى الماضى فى الدّلالة على التّحقيق فى اخبار
علام الغيوب **انّ القوّة لله جميعًا** سادّ مسدّ مفعولى يرى **وانّ الله شديد العذاب** عطف عليه
وفائدته المبالغة فى تهويل الخطب وتفظيع الامر فانّ اختصاص القوّة به تعالى لا يوجب شدّة العذاب
لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن دائرة البيان امّا لعدم
الاحاطه بكنهه وامّا لضيق العبارة عنه وامّا لايجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبّر والمستمع من الضّجر
والتّفجع عليه اى لو علموا اذ راوا العذاب قد حلّ بهم ولم ينقذهم منه احد من اندادهم انّ القوّة لله تعالى
جميعًا ولا دخل لاحد فى شئ اصلا لوقعوا من الحسرة والنّدم فيما لا يكاد يوصف وقرئ ولو ترى
بالتّاء الفوقانيّة على ان الخطاب للرّسول صلى الله عليه وسلّم او لكلّ احد ممّن يصلح للخطاب فالجواب
ح لرايت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقرئ اذ يُرون على البناء للمفعول وانّ الله شديد
العذاب على الاستيناف او اضمار القول **اذ تبرّء الّذين اتّبعوا** بدل من اذ يرون اى اذ تبرء الرّؤسا
من الّذين اتّبعوا من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه فى الدّنيا ويدعونهم اليه من فنون
الكفر والضّلال واعتزلوا عن مخالطتهم وقابلوهم باللّعن كقول ابليس انّى كفرت بما اشركتمونى
من قبل وقرئ بالعكس اى تبرا الروسا والواو فى قوله عزّ وجلّ **وراوا العذاب** حالية وقد مضمرة
وقيل عاطفة على تبرّا والضّمير فى راوا للموصولين جميعًا **وتقطّعت بهم الاسباب** والوصل التى كانت
بينهم من التّبعيّة والمتبوعيّه والاتفاق على الملّة الزّائغة والاغراض الدّاعية الى ذلك واصل
السّبب الحبل الّذى يُرتقى به الشّجر ونحوه والجمله معطوفة على تبراء وتوسيط الحال بينهما للتنبيه على
علّة التّبرى وقد جوّز عطفها على الجملة الحالية **وقال الّذين اتّبعوا** حين عاينوا تبرّا الرّؤساء منهم
وندموا على ما فعلوا من اتباعهم لهم فى الدّنيا **لو انّ لنا كرّة** اى ليت لنا رجعة فى الدّنيا **فنتبرّء
منهم** هناك **كما تبرّؤا منّا** اليوم **كذلك** اشارة الى مصدر الفعل الّذى بعده لا الى شئ آخر مفهوم
ممّا سبق ومافيه من معنى للايذان بعلوّ درجة المشار اليه وبُعد منزلته مع كمال تميزه عمّا عداه
وانتظامه فى سلك الامور المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلّه
النّصب على المصدريّة اى ذلك الاراء الفظيع **يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم** اى ندمات
شديدة فانّ الحسرة شدّة النّدم والكمد وهى تالم القلب وانحساره عمّا يؤلمه واشتقاقها من قولهم
بعير حسير اى منقطع القوّة وهى ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والّا فهى حال والمعنى
ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الاحسرات مكان اعمالهم **وما هم بخارجين من النّار**

كلام

كلام مستانف لبيان حالهم بعد دخولهم النّار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسميّة لافادة
دوام نفى الخروج والضّمير للدّلالة على قوّة امرهم فيما اسند اليهم كما فى قوله هم يفرشون اللّبد كلّ طمرّة
واجرد سبّاق يبذّ المغاليا **يا ايّها النّاس كُلوا ممّا فى الارض** اى بعض ما فيها من اصناف
الماكولات الّتى من جملتها ما حرّموه افتراء على الله من الحرث والانعام قال ابن عبّاس رضى الله
عنهما نزلت فى قوم ثقيف وبنى عامر بن صعصعه وخزاعه وبنى مُدلج حرّموا على انفسهم ما حرّموا
من الحرث والبحائر والسّوائب والوصائل والحام وقوله تعالى **حلالًا** حال من الموصول اى
كلوه حال كونه حلالًا او مفعول لكلوا على انّ من ابتدائيّة وقد جوّز كونه صفة لمصدر موكد
اى اكلا حلالًا ويؤيّد الاوّلين قوله تعالى **طيّبًا** فانّه صفة ووصف الاكل به غير معتاد
وقيل نزلت فى قوم من المؤمنين حرّموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ويردّه قوله عزّ وعلا
ولا تتّبعوا خطوات الشّيطان اى لا تقتدوا بها فى اتباع الهوى فانّه صريح فى انّ الخطاب للكفرة كيف
لا وتحريم الحلال على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه تقوّلا
وافتراء على الله تعالى وانّما الّذى نزل فيهم ما فى سورة المائدة من قوله تعالى يا ايّها الّذين آمنوا
لا تحرّموا طيّبات ما احلّ الله لكم الآية وقرئ خطوات بسكون الطّاء وهما لغتان فى جمع خطوة
وهى ما بين قدمى الخاطى وقرئ بضمّتين وهمزة جعلت ضمّة الطّاء كانّها على الواو وبفتحتين على
انّها جمع خطوة وهى المرّة من الخطو **انّه لكم عدوّ مبين** تعليل للنّهى اى ظاهر العداوة عند ذوى
البصيرة وان كان يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمّى وليًّا فى قوله تعالى اولياؤهم الطّاغوت
انّما يامركم بالسّوء والفحشاء استيناف لبيان كيفيّة عداوته وتفصيل لفنون شرّه وفساده وانحصار
معاملته معهم فى ذلك والسّوء فى الاصل مصدر ساء يسوء سوءً وساءة اذا حزنه يطلق على جميع المعاصى
سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراك كلّها فى انّها سوء صاحبها والفحشاء اقبح
انواعها واعظمها مساءة **وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** عطف على الفحشاء اى وبان تفتروا
على الله بانه حرّم هذا وذاك ومعنى ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره بتقوّلهم عليه
ما يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة فى الزجر فان التّحذير من الاول
مع كونه فى القبح والشناعة دون الثّانى تحذير عن الثّانى على ابلغ وجه واكده وللايذان بان العاقل
يجب عليه ان لا يقول على الله ما لا يعلم وقوعه منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن ان يقول عليه ما
يعلم عدم وقوعه منه قالوا وفيه دليل على ان المنع من اتباع الظّن واسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه
ظنّه فمستند الى مدرك شرعى فوجوبه قطعى والظّن فى طريقه **واذا قيل لهم اتّبعوا ما انزل الله**
التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم لصرف الخطاب
عنهم وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل مساوى احوالهم لهم على نهج المباثة اى اذا قيل لهم على وجه
النّصيحه والارشاد اتبعوا كتاب الله الّذى انزله قالوا لا نتبعه **بل نتّبع ما الفينا عليه آباءنا** اى وجدناهم

عليه امّا على انّ الظّرف متعلّق بمحذوف وقع حالا من اباءنا والفينا متعدّ الى واحد وامّا على انّه
مفعول ثان له مقدّم على الاوّل نزلت فى المشركين امِروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى
من الحجج الظّاهرة والبيّنات الباهرة فجنحوا للتقليد والموصول امّا عبارة عمّا سبق من اتخاذ الانداد
وتحريم الطّيّبات ونحو ذلك وامّا باق على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليًا وقيل نزلت
فى طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه اباءِنا لانّهم كانوا خيرا منّا واعلم فعلى هذا يعم ما انزل الله تعالى التّوراة لانّها ايضا تدعوا
الى الاسلام وقوله عزّ وجلّ **اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون** استيناف مسوق
من جهته تعالى ردّ المقالتهم الحمقاء واظهار البطلان ارائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
والتعجيب منه لا لانكار الوقوع كالتى فى قوله تعالى اولو كنّا كارهين وكلمة لو فى امثال هذا المقام
ليست لبيان انتفاء الشئ فى الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة
بدلالة ما قبلها عليه بل هى لبيان تحقّق ما يفيده الكلام السّابق بالذّات او بالواسطه من الحكم
الموجب او المنفى على كلّ حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه
واشدّها منافات له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق
الاولويّة لما انّ الشئ متى تحقّق مع المنافى القوى فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ
من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفه للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة
لجميع الاحوال المغائرة لها وهذا معنى قولهم انّها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى
ظاهر فى الخبر الموجب والمنفى والامر والنّهى كما فى قولك فلان جواد يعطى ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطى
ولو كان غنيّا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو اهانك لبقائه على حاله وامّا فيما
نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشئ من ورود الانكار عليه لكنّ الاصل فى الكلّ واحد الّا انّ كلمة لو فى
الصّور المذكورة متعلّقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان تحققه على كلّ حال
هو نفس مدلوله وانّ الجملة حال من ضميره او ممّا يتعلّق به وانّ ما فى حيّز لو باق على ما هو عليه
من الاستبعاد غالبًا بخلاف ما نحن فيه لما انّ كلمة لو متعلّقة فيه بفعل مقدّر يقتضيه المذكور
وان ما يقصد بيان تحقّقه على كلّ حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وانّ
الجملة حال ممّا يتعلّق به لا ممّا يتعلّق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلى انكار
مدلوله باعتبار مقارنته للحالة المذكورة وامّا تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان
ما فى حيّز لو لا يقصد استبعاده فى نفسه بل يقصد الاشعار بانّه امر محقّق الّا انّه اخرج مخرج الاستبعاد
معاملة مع المخاطبين مع معتقدهم لئلا يلبسوا من التصريح بنسبة اباءهم الى كمال الجهالة والضّلالة
جلد النمر فيركبوا متن الفساد ومبالغة فى الانكار من جهة ان اتباعهم لاباءهم حيث كان منكرا مستقبحًا
عند احتمال كون اباءهم كما ذكر احتمالا بعيدا فلان يكون منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير ايتبعون

ذلك لو لم يكن اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدّين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا كذلك فالجملة فى
حيّز النّصب على الحالية من اباءهم على طريقة قوله تعالى ان اتّبع ملّة ابرهيم حنيفًا كانّه قيل ايتّبعون
دين اباءهم حال كونهم عاقلين وجاهلين ضالّين انكارا لما افاده كلامهم من الاتباع على اى حالة
كانت من الحالتين غير انّه اكتفى بذكر الحالة الثّانية تنبيها على انّها هى الواقعة فى نفس الامر وتعويلا
على اقتضائها للحالة الاولى اقتضاء بيّنا فانّ اتباعهم الّذى تعلّق به الانكار حين تحقق مع كون
اباءهم جاهلين ضالّين فلان يتحقّق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولا ان قلت الانكار المستفاد
من الاستفهام الانكارى بمنزلة النّفى ولا ريب فى انّ الاولويّة فى صورة النّفى معتبرة بالنّسبة
الى النّفى الا يرى ان الاولى بالتّحقق فيما ذكر من مثال النّفى عند الحالة المسكوت عنها اعنى عدم النّفى
هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغى ان يكون الاولى بالتّحقق فيما نحن فيه عند الحالة المسكوت
عنها وهى حالة كون اباءهم عاقلين ومهتدين انكار الاتباع لا نفسه اذ هو الذى يدل عليه ايتبعون
الخ فلم اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولويّة هو الحكم الّذى اريد ببيان تحققه على كل حال
وذلك فى مثال النّفى عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفى المذكور وامّا فيما نحن فيه فهو نفس
الاتباع المستفاد من الفعل المقدّر اذ هو الّذى يقتضيه الكلام السابق اعنى قولهم بل نتّبع الخ
وامّا الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكار ما يفيده واستقباح ما يقتضيه لا انّه من تمامه كما
فى صورة النّفى وكذا الحال فيما اذا كانت الهمزة لانكار الوقوع ونفيه مع كونه بمنزلة صريح النّفى
كما سيأتى تحقيقه فى قوله تعالى اولو كنّا كارهين وقيل الواو حالية ولكنّ التّحقيق انّ المعنى يدور
على معنى العطف فى سائر اللّغات ايضا **ومثل الّذين كفروا** جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها
بطريق التّصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما قبل عليه ووضع الموصول موضع الضّمير الراجع
الى ما يرجع اليه الضّمائر السابقة لذمهم بما فى حيّز الصّلة وللاشعار بعلّة ما اثبت لهم من الحكم والتقدير
مثل ذلك القائل وحالة الحقيقة لغرابتها بان تسمّى مثلا وتسيّر فى الافاق فيما ذكر من دعوته اباهم
الى اتباع الحق وعدم رفعهم اليه راسًا لانهماكهم فى التقليد واخلادهم الى ما هم عليه من الضّلالة و
فهمهم من جهة الدّاعى الى الدّعاء من غير ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى عليهم **كمثل الّذى ينعق بما
لا يسمعُ الّا دعاءً ونداءً** من البهائم فانّها لا تسمع الّا صوت الدّاعى وحتفه بها من غير فهم لكلامه
اصلا وقيل انّما حذف المضاف من الموصول الثّانى لدلالة كلمة ما عليه فانّها عبارة عنه مشعرة
مع ما فى حيّز الصّلة بما هو مدار التمثيل اى مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه
وعدم التدبّر فيما القى اليهم من الايات كمثل بهائم الّذى ينعق بها وهى لا تسمع منه الا جرس النّغمة
ودوى الصّوت وقيل المراد تمثيلهم فى اتباع اباءهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهائم الّتى
تسمع الصّوت ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم فى دعائهم الاصنام بالنّاعق فى نعقه وهو تصويته
على البهائم وهذا غنى عن الاضمار لكن لا يساعده قوله الّا دعاء ونداءً فان الاصنام بمعزل من ذلك

وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما تشابه افراد الطرفين **صم بكم عمى** بالرفع على الذم اى هم صم الخ **فهم**
لا يعقلون شيئا الان طريق التعقل هو التدبر فى مبادى الامور المعقولة والتامل فى ترتيبها وذلك
انما يحصل باستماع ايات الله ومشاهدة حججه الواضحه والمفاوضه مع من يوخذ منه العلوم فاذا كانوا
صما بكما عميا فقد انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكليه **يا ايها الذين امنوا كلوا من**
طيبات ما رزقناكم اى من مستلزاته **واشكروا الله** الذى رزقكموها والالتفات لتربية المهابة **ان كنتم**
اياه تعبدون فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل
انى والانس والجن فى نباء عظيم اخلق ويعبد غيرى وارزق ويشكر غيرى **انما حرم عليكم الميتة** اى اكلها
او الانتفاع بها وهى التى ماتت على غير ذكوة والسمك والجراد خارجان عنها بالعرف واستثناء الشرع
خروج الطحال من الدم **والدم ولحم الخنزير** انما خص لحمه مع ان سائر اجزائه ايضا فى حكمه لانه معظم
ما يوكل من الحيوان وساير اجزائه بمنزلة التابع له **وما اهل به لغير الله** اى رفع به الصوت عند
ذبحه للصنم والاهلال اصله رؤية الهلال لكن لما جرت العاده برفع الصوت بالتكبير عندها
سمى ذلك اهلالا ثم قيل لرفع الصوت وان كان لغيره **فمن اضطر غير باغ** بالاستيثار على مضطر
ولا عاد سد الرمق والجوعه وقيل غير باغ على الوالى ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا الاباحة للعاصى
بالسفر وهو ظاهر مذهب الشافعى وقول احمد رحمهما الله فلا اثم عليه فى تناوله **ان الله غفور**
لما فعل **رحيم** بالرخصة ان قيل كلمة انما تفيد قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد
قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم
هذه الاشياء ما لم تضطروا اليها **ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب** المشتمل على فنون
الاحكام التى من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر انفا وقياس ابن عباس رضى الله
عنهما نزلت فى رؤساء اليهود حين كتموا نعت النبى صلى الله عليه وسلم **ويشترون به** اى ياخذون
بدله **ثمنا قليلا** عوضا حقيرا وقد مر سر التعبير عن ذلك بالثمن الذى هو وسيلة فى عقود
المعاوضة وقوله تعالى **اولئك** اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الوصفين
الشنيعين المميزين لهم عمن عداهم اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كانهم حضار مشاهدون على ما هم
عليه وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلتهم فى الشر والفساد وهو مبتدا خبره قوله
تعالى **ما ياكلون فى بطونهم الا النار** والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتدا ثان او بدل من الاول والخبر
ما ياكلون الخ ومعنى اكلهم النار انهم ياكلون فى الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار واكله
اكلها كقوله اكلت دما ان لم ازعك بضرة بعيدة مهوى القرط طيبة النشر او ياكلون فى المال يوم القيمة
عين النار عقوبة على اكلهم الرشى فى الدنيا وفى بطونهم متعلق بياكلون وفائدته تاكيد الاكل وتفريع
ببيان مقر الماكول وقيل معناه ملء بطونهم كما فى قولهم اكل فى بطنه واكل فى بعض بطنه ومنه كلوا فى بعض
بطنكم تعفوا فلا بد من الالتجاء الى تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع تقديمه على حرف الاستثنا

والا فتعليقه بياكلون يؤدى الى قصر ما ياكلونه الى الشبع على النار والمقصود قصر ما ياكلونه مطلقا
عليها **ولا يكلمهم الله يوم القيمة** عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما استيح
للمؤمنين من فنون الكرامات السنية والزلفى **ولا يزكيهم** ولا يثنى عليهم **ولهم** مع ما ذكر **عذاب**
اليم مولم **اولئك** اشارة الى ما اشير اليه بنظيره باعتبار المذكور خاصة لا مع ما يتلوه من
احوالهم الفظيعة اذ لا دخل لها فى الحكم الذى يراد اثباته ههنا فان المقصود تصوير ما باشروه
من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقيقة ما نبذوه واظهار
كنه ما اخذوه وابداء فظاعة تبعاته وهو مبتدا خبره الموصول اى اولئك المشترون بكتاب
الله عز وجل ثمنا قليلا ليسوا بمشترين للثمن وان قل بل هم **الذين اشتروا** بالنسبة الى الدنيا **الضلالة**
التى ليست مما يمكن اى يشترى قطعا **بالهدى** الذى ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شئ وان جل
والعذاب اى اشتروا بالنظر الى الاخرة العذاب الذى لا يتوهم كونه مما يشترى **بالمغفرة** التى يتنافس
فيها المتنافسون **فما اصبرهم على النار** تعجيب من حالهم الهائلة التى هى ملابستهم بما يوجب النار
ايجابا قطعيا كانه عينها وما عند سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتداء
وتخصصها كتخصص شر اهر ذا ناب خبرها ما بعدها اى شئ ما عظيم جعلهم صابرين على النار
وعند الضر استفهامية وما بعدها خبرها اى اى شئ اصبرهم على النار وقيل هى موصولة
وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف اى الذى اصبرهم وقيل على النار اى شئ اصبرهم على النار
امر عجيب فظيع **ذلك** العذاب **بان الله نزل الكتاب** اى جنس الكتاب **بالحق** اى ملتبسا به فلا
جرم يكون من يرفضه بالتكذيب والكتمان ويركب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من
افانين العذاب **وان الذين اختلفوا فى الكتاب** اى فى جنس الكتاب الالهى بان امنوا ببعض كتب
الله تعالى وكفروا ببعضها وفى التورية بان امنوا ببعض اياتها وكفروا ببعض كالايات المغيرة
المشتملة على امر بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريم فمعنى الاختلاف التخلف عن الطريق
الحق او الاختلاف فى تاويلها او فى القران بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم انه شعر وبعضهم اساطير
كما حكى عن المفسرين **لفى شقاق بعيد** عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب **ليس البر**
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لمراضى الخصال والخطاب لاهل الكتابين
فانهم كانوا اكثروا الخوض فى امر القبلة حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعى خيرية التوجه
الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق على المغرب مع تاخر زمان الملة النصرانية
اما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه اليهود
الى المغرب ليس لكونه مغربا بل لكون بيت المقدس من المدينة المنورة فى جانب الغرب فقيل
لهم ليس البر ما ذكرتم من التوجه الى تينك الجهتين على ان البر خبر ليس مقدما على اسمها كما فى قوله
سلى ان جهلت الناس عنى وعنهم فليس سواء عالم وجهول وقوله اليس عظيما ان تلم ملمة

ولبس علينا فى الخطوب مقول وانّما اختير ذلك لما انّ المصدر المول اعرف من المحلّى باللّام
لانه يشبه الضّمير من حيث انه لا يوصف ولا يوصف به والاعرف احق بالاسميّة ولانّ في
الاسم طولًا فلو روعى الترتيب المعهود لغات تجاذب اطراف النظم الكريم وقرئ برفع البر على انّه
اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لانّ كل فريق يدعى ان البر اسما كما يفصح عنه جعله مخبرا عنه فى
الاستدراك بقوله عز وجل **ولٰكن البرّ من اٰمن بالله** وهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان
الباطل وتفصيل لخصال البرّ ممّا لا يختلف باختلاف الشرائع وما يختلف باختلافها اى و
لكن البر المعهود الذى يحقّ ان يهتمّ بشانه ويجدّ فى تحصيله بر من اٰمن بالله وحده ايمانًا
برئًا من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنّصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله و
قولهم المسيح ابن الله **واليوم الاخر** اى على ما هو عليه لا كما يزعمون من انّ النّار لا تمسّهم الّا ايّاما
معدودة وان اباهم الانبياء يشفعون لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتابين حيث
لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفى تعليق الامر بهما من اوّل الامر عقيب نفيه
عن التّوجه الى المشرق والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كانّه قيل ولكنّ البر هو التّوجه الى
المبدا والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب فى الحقيقه **والملئكة** اى ومن اٰمن بهم بانّهم عباد
مكرمون متوسطون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحى وانزال الكتب **والكتاب** اى بجنس
الكتاب الذى من افراده الفرقان الذى نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت
النّبى صلى الله عليه وسلم واشترائهم بما انزل الله تعالى ثمنا قليلا **والنّبيين** جميعا من غير
تفرقة بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط الكتاب بين حملة الوحى وبين
النبيين واضح وسياتى فى قوله تعالى كلّ اٰمن بالله وملئكته وكتبه ورسله **واٰتى المال على حبّه**
حال من الضّمير فى اتى والضمير المجرور للمال اى اتاه كائنا على حب المال كما فى قوله صلى الله
عليه وسلم حين سئل اى الصّدقه افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن مسعود
رضى الله عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت
الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى اى اتاه كائنا على محبته تعالى لا على
قصد الشرّ والفساد وفيه نوع تعريض لباذلى الرشى واخذيها التغيير التورية وقيل للمصدر اى كائنا
على حبه الايتاء **ذوى القربى** مفعول اوّل لاتى قدّم عليه مفعوله الثانى اعنى المال للاهتمام به
اولانّ فى الثّانى مع ما عطف عليه طولا لو روعى الترتيب لفات تجاذب الاطراف فى الكلام وهو
الّذى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثّانى **واليتامى** اى المحاويج منهم على ما يدل عليه الحال
وتقديم ذوى القربى عليهم لما ان ايتاهم صدقة وصلة **والمساكين** جمع مسكين وهو الدّائم السّكون
لما ان الخلّة اسكنت بحيث لا حراك به او دايم السّكون الى النّاس **وابن السّبيل** اى المسافر سمّى به
لملازمته ايّاه كما سمّى القاطع ابن الطّريق وقيل الضّيف **والسّائلين** الّذين الجاهم الحاجه والضّرورة

الى السّوال قال عليه السّلام اعطوا السّائل ولو جاء على فرس **وفى الرّقاب** اى وضعه فى فك
الرّقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى فك الاسارى وقيل في ابتياع الرّقاب واعتاقها
وايّاما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحّح للمالكية كالّذين من قبلهم امّا للايذان بعدم قرار
ملكهم فيما اتوا كما فى الوجهين الاوّلين او بعدم ثبوته راسًا كما فى الوجه الاخير وامّا للاشعار
برسوخهم فى الاستحقاق والحاجة لما ان فى الظّرفيه المنبئة عن محليتهم لما يؤتى **واقام الصّلوة**
اى المفروضة منها **واٰتى الزّكوة** اى المفروضة على ان المراد بما مرّ من ايتاء المال التنفل بالصّدقات
قدم على الفريضة مبالغة فى الحثّ عليه او المراد بهما المفروضه والاوّل لبيان المصارف والثانى
لبيان وجوب الاداء **والموفون بعهدهم** عطف على من اٰمن فانّه فى قوّة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم
وايثار صيغة الفاعل للدّلالة على وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرّم حلالًا
ولا يحلّل حرامًا من العهود الجارية فيما بين النّاس وقوله تعالى **اذا عاهدوا** للايذان بعدم كونه
من ضروريات الدّين **والصّابرين** نصب على الاختصاص غير سبكه عمّا قبله تنبيها على فضيلة
الصّبر ومزيّته وهو فى الحقيقه معطوف على ما قبله قال ابو علىّ اذا ذكرت للمدح او الذّم فخولف في
بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمّى ذلك قطعًا لان تغيير المالوف يدل على زيادة
ترغيب فى استماع المذكور ومزيد اهتمام بشانه كما مرّ فى صدر السّورة وقد قرئ والصّابرون
كما قرئ والموفين **فى الباساء** اى فى الفقر والشدة **والضّرّاء** اى المرض والزّمانه **وحين الباس**
اى وقت مجاهدة العدوّ فى مواطن الحرب وزيادة الحين للاشعار بوقوعه احيانا وسرعة انقضائه
اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنّعوت الجميلة المعدودة وما فيه من معنى
البعد لما مرّ مرارا من التنبيه على علوّ طبقتهم وسموّ رتبتهم **الّذين صدقوا** فى الدّارين واتباع
الحقّ وتحرّى البر حيث لم يغيرهم الاحوال ولم يزلزلهم الاهوال **واولئك هم المتّقون** عن الكفر
وساير الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضّمير للاشارة الى انحصار التقوى
فيهم والاية الكريمه كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشريّة برمّتها تصريحًا او تلويحا لما انّها مع تكثّر
فنونها وتشعب شجونها منحصرة فى خلال ثلث صحة الاعتقاد وحسن المعاشرة مع العباد وتهذيب
النّفس وقد اشير الى الاولى بالايمان بما فصل والى الثّانية بايتاء المال والى الثالثه باقامة الصلوة
الى اخره ولذلك وصف الحائزون لها بالصّدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم
مع الخلق ومعاملتهم مع الحق واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من بهذه الاٰية فقد استكمل الايمان
يا ايها الّذين اٰمنوا شروع فى بيان بعض احكام الشّرعيّة على وجه التلافى لما فرط من المخلفين
بما ذكر من اصول الدّين وقواعدها التى عليها بنى اساس المعاش والمعاد **كتب عليكم** اى فرض
والزم عند مطالبة صاحب الحقّ فلا يقدح فيه قدرة الولى على العفو فانّ الوجوب انّما اعتبر بالنسبة
الى الاحكام او القاتلين **القصاص فى القتلى** اى بسبب قتلهم كما فى قوله صلى الله عليه وسلم

ان امراة دخلت النار في هرة ربطتها اى بسبب ربطها اياها **الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى**
بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان لاحدهما طول على الاخر فاقسموا
لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فامرهم ان يتباوءوا وليس فيها دلالة على عدم قتل الحر بالعبد عند الشافعي رحمه الله ايضا
لان اعتبار المفهوم حيث لم يظهر للتخصيص بالذكر وجه سوى اختصاص الحكم بالمنطوق وقد رايت
الوجه ههنا وانما يتمسك في ذلك هو ومالك رحمهما الله بما روى علي رضي الله عنه ان رجلا قتل
عبده فجلده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاه سنته ولم يقده وبما روى عنه رضي الله عنه
انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وبان ابابكر وعمر رضي الله عنهما
كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل
الحر بالعبد لقوله تعالى ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا اذا قصت علينا من غير دلالة
على نسخها فالعمل بها واجب على انها شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساوات في العصمة وهي
بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ كتب على البناء للفاعل ونصب القصاص **فمن عفي**
له من اخيه شيء اى شيء من العفو لان عفي لازم وفائدته الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله
في اسقاط القصاص وهو الواقع ايضا في العادة اذ كثيرا ما يقع العفو من بعض الاولياء فهو شيء
من العفو وقيل معنى عفي ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل
اعفاه وحمل العفو على المحو كما في قول من قال ديار عفاها جور كل معاند وقوله عفاه كل حنان
كثير الوبل هطال فيكون المعنى فمن عفي له من اخيه شيء صرف للعبارة المتداولة في الكتاب والسنة
عن معناها المشهور المعهود الى ما ليس بمعهود فيهما وفي استعمال الناس فانهم لا يستعملون العفو في
باب الجنايات الا فيما ذكر من قبل وعفا يتعدى يعني الى الجاني والذنب قال تعالى عفا الله عنك
وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفي له عن
جنايته من جهة اخيه يعني ولي الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما بحكم كونهما من بني ادم
عليه السلام لتحريك سلسلة الرقة والعطف عليه **فاتباع بالمعروف** فالامر اتباع او فليكن اتباع
والمراد وصية العافي بالمسامحة ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعنيف وقوله عز وجل **واداء**
اليه باحسان حث للمعفو عنه على ان يؤديها باحسان من غير مماطلة وبخس **ذلك** اى ما ذكر من
الحكم **تخفيف من ربكم ورحمة** لما فيه من التسهيل والنفع وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم
عليهم العفو والدية وعلى النصارى العفو على الاطلاق وحرم عليهم القصاص والدية وخيرت
هذه الامة بين الثلث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل **فمن اعتدى بعد ذلك** بان
قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل القاتل بعد العفو واخذ الدية **فله** باعتدائه **عذاب**
اليم اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما في الاخرة فبالنار **ولكم في القصاص حيوة**

بيان

بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا تنال غايته حيث جعل الشيء محلا لضده وعرف القصاص
ونكر الحيوة ليدل على ان في هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم
به يردع القاتل عن القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد
فيثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحيوتهم وعلى الاول
فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص وقيل المراد بالحيوة هي الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في
الدنيا لم يؤاخذ به في الآخرة والظرفان اما خبران لحيوة او احدهما خبر والاخر صلة له او
حال من المستكن فيه وقرئ في القصص اى فيما قص عليكم من حكم القتل حيوة او في القران حيوة للقلوب
يا اولي الالباب اى ذوي العقول الخالصة عن شوب الاوهام خوطبوا بذلك بعد ما خوطبوا بذلك
بعنوان الايمان تنشيطا لهم اى التامل في حكمة القصاص **لعلكم تتقون** اى تتقون انفسكم من
المساهلة في امره والاهمال في المحافظة عليه والحكم عليه والاذعان له او من القصاص فتكفوا عن
القتل المؤدي اليه **كتب عليكم** بيان لحكم اخر من الاحكام المذكورة **اذا حضر احدكم الموت** اى حضر
اسبابه وظهر اماراته او دنى نفسه من الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند
النفس وقت وروده عليها **ان ترك خيرا** اى مالا وقيل مالا كثيرا لما روى عن علي رضي الله
عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم فمنعه وقال قال الله تع ان ترك خيرا وان
هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رضي الله عنها ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة
دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف درهم
قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه
لعيالك **الوصية للوالدين والاقربين** مرفوع بكتب اخر عما بينهما لما مر مرارا وايثار تذكير الفعل
مع جواز تانيثه ايضا للفصل او على تاويل ان يوصي او الايصاء وذلك ذكر الضمير في قوله تعالى
فمن بدله بعد ما سمعه واذا ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدور الكتب عنه
بل من حيث تعلقه بهم تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبئ عنه البناء للمفعول وكلمة الايجاب
ولا مساغ لجعل العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب
الشرط باضمار الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها ورد بانه ان صح فمن ضرورة الشعر
ومعنى كتب فرض وكان هذا الحكم في بدء الاسلام ثم نسخ عنه نزول اية المواريث بقوله عليه
السلام ان الله قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الاحاد
لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم في سلك التواتر في صلاحيته للنسخ عند ائمتنا على ان التحقيق
ان الناسخ حقيقة هي اية المواريث وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى كان قد كتب
عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب
استحقاقهم ولا تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك الى رائك حيث قال **بالمعروف** اى بالعدل

فالان قد رفع ذلك الحكم عنكم وتولى لتبيين طبقات استحقاق كلّ واحد منهم وتعيين مقادير حقوقهم
بالذات واعطى كلّ ذى حق منهم حقه الذى يستحقه بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة ولم يدع ثمة
شيئا فيه مدخل لرايكم اصلا حسبما يعرب عنه الجملة المنفية بلا النافية للجنس وتصديرها بكلمة التنبيه
اذا تحققت هذا ظهر لك ان ماقيل من ان اية المواريث لاتعارضه بل تحققه وتؤكده من حيث انها
تدل على تقديم الوصيّة مطلقا والحديث من الاحاد وتلقى الامّه اياها بالقبول لايلحقه بالتواتر ولعله
احترز عنه من فسّر الوصيّة بما اوصى به الله عزوجل من توريث الوالدين والاقربين بقوله
تعالى يوصيكم الله او بايصاء المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله عزّ تعالى عليهم بمعزل من التحقيق
وكذا ماقيل من ان الوصيّة للوارث كانت واجبة بهذه الاية من غير تعيين لانصبائهم فلمّا نزلت
اية المواريث بيانا للانصباء بلفظ الايصاء فهم منها بتنبيه النبى صلّى الله عليه وسلم انّ المراد منه
هذه الوصيّة التى كانت واجبة كانّه قيل انّ الله تعالى وصى بنفسه تلك الوصيّة ولم يفوضها
اليكم فقام الميراث مقام الوصيّة فكان هذا معنى النسخ لا انّ فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فانّ
مدلول اية الوصيّة حيث كان تفويضا للامر الى اراء المكلفين على الاطلاق وتسنى الخروج عن
عهدة التكليف باداء ما ادّى اليه اراؤهم بالمعروف فيكون اية المواريث الناطقة بمراتب
الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق القاطعة بامتناع الزيادة والنّقص بقوله تعالى فريضة
من الله ناسخة لها رافعة لحكمها ممّا لايشتبه على احد وقوله تعالى حقّا على المتّقين مصدر
مؤكّد اى حق ذلك حقّا فمن بدّله اى غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه اى بعد
ماوصل اليه وتحقّق لديه فانّما اثمه اى اثم الايصاء المغيّر او اثم التبديل على الذين يبدّلونه لانهم
خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول فى موضع الضمير الرّاجع الى من لتاكيد الايذان
بعلّته مافى حيّز الصّلة الاولى وايثار الجمع للاشعار بتعدّد المبدّلين انواعا او كثرتهم افرادا والايذان
بشمول الاثم لجميع الافراد انّ الله سميع عليم وعيد شديد للمبدّلين فمن خاف من موص اى
توقع وعلم من قولهم اخاف ان يرسل السماء وقرى من موصّ جنفا اى ميلا بالخطاء فى الوصيّة
او اثما اى تعمّد الجنف فاصلح بينهم اى بين الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشّريعة الشّريفة
فلا اثم عليه اى فى هذا التبديل لانه تبديل باطل الى حق بخلاف الاوّل انّ الله غفور رحيم
وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة ذكر الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم يا ايها الّذين امنوا
كتب عليكم الصّيام بيان لحكم اخر من الاحكام الشّرعيّه وتكرير النّداء لاظهار مزيد الاعتناء
به والصّيام والصّوم فى اللّغة الامساك عمّا تنازع اليه النّفس ومنه قوله تعالى انى نذرت للرّحمن
صوما فلن اكلّم الاية وقيل هو الامساك عن الشئ مطلقا ومنه صامت الرّيح اذا امسكت عن
الهبوب والفرس اى امسكت عن العدو قال خيل صيام واخرى غير صائمة تحت العجاج واخرى تعلك
اللجما وفى الشّريعة هو الامساك نهارا مع النيّة عن المفطرات المعهودة الّتى معظم ماتشتهيه الانفس

كماكتب

كما كتب فى حيّز النّصب على انّه نعت للمصدر المؤكّد اى كتابا كائنا كما كتب او على انّه حال من
المصدر المعرفة اى كتب عليكم الصّيام الكتب مشبّها بما كتب فما على الوجهين مصدريّة او على انّه
نعت لمصدر من لفظ الصّيام اى صوما مماثلا للصّوم المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انّه
حال من الصّيام اى حال كونه لما كتب على الّذين من قبلكم من الانبياء عليهم السّلام والامم من
لدن ادم عليه السّلام وفيه تاكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس المخاطبين به فان الشاق
اذا عمّ سهل عمله والمراد بالمماثله امّا المماثلة فى اصل الوجوب وامّا فى الوقت والمقدار كما يروى
انّ صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنّصارى امّا اليهود فقد تركته وصامت يوما من
السنة زعموا انه يوم غرق فرعون وكذبوا فى ذلك فانّه كان يوم عاشوراء وامّا النّصارى فانّهم
صاموا رمضان حتى صادفوا حرّا شديدا فاجتمعت اراء علمائهم على تعيين فصل واحد بين الصّيف
والشتاء فجعلوه فى الرّبيع وزادوا عليه عشرة ايّام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم مرض
ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايّام فصار خمسين لعلّكم تتّقون اى المعاصى فان
الصّوم يكسر الشهوة الدّاعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصّوم فان الصّوم له وجاء
او تتقون الاخلال باداءه لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى ايّاما معدودات موقتات
بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعدّ عدّا والكثير يهال هيلا والمراد بها او رمضان
او ما وجب فى بدء الاسلام ثمّ نسخ به من صوم عاشورا وثلثة ايّام من كلّ شهر وانتصابه
ليس بالصّيام كما قيل لوقوع الفصل بينهما باجنبىّ بل بمضمر دلّ هو عليه اعنى صوموا امّا على
الظّرفية او المفعولية اتساعا وقيل بقوله تعالى كتب على احد الوجهين وفيه ان الايّام ليست
محلّا له بل للمكتوب فلا يتحقق الظّرفيّة ولا المفعوليّه المتفرعة عليها اتساعا فمن كان منكم مريضا
اى مرضا يضرّه الصّوم او يعسر معه او على سفر مستمر بن عليه وفيه تلويح ورمز الى من
سافر فى اثناء اليوم لم يفطر فعدّة اى فعليه صوم عدّة ايّام المرض والسّفر من ايّام اخر ان افطر
فحذف الشّرط والمضاف ثقة بالظهور وقرئ بالنّصب اى فليصم عدّة وهذا على سبيل الرّخصة و
قيل على الوجوب واليه ذهب الظّاهرية وبه قال ابو هريرة رضى الله عنه وعلى الّذين يطيقونه
اى وعلى المطيقين للصّيام ان افطروا فدية اى اعطاء فدية وهى طعام مسكين وهو نصف صاع
من برّ او صاع من غيره عند اهل العراق ومدّ عند اهل الحجاز وكان ذلك فى بدء الاسلام
لما انّه قد فرض عليهم الصّوم وما كانوا متعودين له فاشتدّ عليهم فرخص لهم فى الافطار و
الفدية وقرئ يطيقونه اى يكلّفونه او يقلّدونه ويتطوقونه بادغام التاء فى الطّاء ويطيّقونه
ويطيّقونه بمعنى يتطيّقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت
الياء فى الواو بعد قلبها ياء من قولهم تديّر المكان وما بها ديّار وفيه وجهان احدهما نحو معنى
يطيقونه والثانى يكلّفونه او يتكلّفونه على جهل منهم وعسر وهم الشّيوخ والعجايز وحكم هؤلاء

الافطار والفدية وهو حينئذ غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اى يصومونه جهدهم
طاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوّع خيرا فزاد فى الفدية فهو اى التطوع او الخير الّذى تطوّعه خير لهم
وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وتحملوا على انفسكم وتجهدوا طاقتكم او المرخصون فى الافطار
من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية او من تطوّع الخير ومنهما او من التأخير الى ايّام اخر
والالتفات الى الخطاب للهزّ والتنشيط ان كنتم تعلمون اى ما فى صومكم مع تحقق المبيح للافطار
من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره اى اخترتموه او سارعتم اليه وقيل معناه ان كنتم
من اهل العلم والتّدبير علمتم ان الصّوم خير من ذلك شهر رمضان مبتداء سيأتى خبره او خبر
لمبتداء محذوف اى ذلك شهر رمضان او بدل من الصّيام على حذف المضاف اى صيام شهر رمضان
وقرئ بالنّصب على اضمار صوموا او على انّه مفعول تصوموا او بدل من اياما معدودات ورمضان
مصدر رمض اى احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علمًا ومنع الصّرف للتعريف والالف
كما قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السّلام من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف
للامن من الالتباس وانّما سمّى بذلك اما لارتماضهم فيه من الجوع والعطش او لارتماض الذنوب
بالصّيام فيه او لوقوعه فى ايّام رمض الحرّ عند نقل اسماء الشهور عن اللّغة القديمة الّذى انزل
فيه القراٰن خبر للمبتداء على الوجه الاوّل وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى
انزل الله فيه انه وكان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى السّماء الدّنيا ثمّ نزل منجما الى
الارض حسبما يقتضيه المشية الرّبانية او انزل فى شانه القراٰن وهو قوله عزّ وجل كتب
عليكم وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابرهيم اوّل ليلة من رمضان وانزلت التورية
لست مضين منه والانجيل لثلث عشرة والقران لاربع وعشرين هدًى للنّاس وبيّنات
من الهدى والفرقان حالان من القراٰن اى انزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز و
غيره واٰيات واضحة مرشدة الى الحقّ فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن
شهد منكم الشّهر اى حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظّاهر موضع المضمر للتعظيم والمبالغة
فى البيان والفاء للتفريع والترتيب او لتضمّن المبتداء معنى الشرط او زائدة على تقدير كون شهر
رمضان مبتداء والموصول صفة له وهذه الجملة خبر اله وقيل هى جزائيّة كانّه قيل لما كتب
عليكم الصّيام فى ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه اى فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل
الى المجرور اتساعًا وقيل من شهد منكم هلال الشّهر فليصمه على انّه مفعول به كقوله شهدت
الجمعة اى صلوتها فيكون ما بعده مخصّصا له كانّه قيل ومن كان مريضًا وان كان مقيمًا حاضرًا
فيه او على سفر وان كان صحيحًا فعدّة من ايّام اخر اى فعليه صيام اٰخر لان المريض والمسافر
ممّن شهد الشّهر ولعلّ التّكرير لذلك او لئلا يتوهّم نسخة كما نسخ قرينه يريد الله بهذا الترخيص
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية رافته وسعة رحمته ولتكملوا العدّة ولتكبّروا الله على ما هديكم

ولعلّكم تشكرون علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق اى ولهذه الامور شرع ما مرّ من امر الشاهد
بصوم الشهر وامر المرخّص له بمراعات عدة ما افطر فيه زمن التّرخيص فى اباحة الفطر فقوله تعالى
لتكملوا علّة الامر بمراعات العدّة ولتكبّروا علّة ما علّمه من كيفيّة القضاء ولعلّكم تشكرون
علّة التّرخيص والتّيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمّنه معنى الحمد كانّه قيل ولتكبّروا الله عامدين
على ما هديكم ويجوز ان يكون معطوفة على علّة مقدّرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعلمون
ولتكملوا الخ ويجوز عطفها على اليسر اى يريد بكم لتكملوا الخ كقوله تعالى يريدون ليطفؤا الخ والمعنى
بالتّكبير عند الاهلال ما يحتمل المصدريّة والموصولة اى على هدايته ايّاكم او على الذى هداكم اليه
وقرئ ولتكمّلوا بالتشديد واذا سألك عبادى عنّى فى تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلّم ما لا يخفى من تشريفه ورفع محلّه فانّى قريب اى فقل لهم انّى قريب مكانه
روى ان اعرابيًّا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلّم اقريب ربّنا فنناجيه ام بعيد فنناديه
فنزلت اجيب دعوة الدّاع اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق له ووعد للدّاعى بالاجابة
فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطّاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهمّاتهم وليؤمنوا بى امر بالثبات
على ما هم عليه لعلّهم يرشدون راجين اصابة الرّشد اى الحق وقرئ بفتح الشّين وكسرها ولما
امرهم الله تعالى بصوم الشهر ومراعات العدّة وحثهم على القيام بوظائف التّكبير والشّكر
عقبه بهذه الاٰية الكريمة الدّالة على انّه تعالى خبير باحوالهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم
على اعمالهم تاكيدًا له وحثا عليه ثمّ شرع فى بيان احكام الصّيام فقال احلّ لكم ليلة الصّيام الرّفث
الى نسائكم روى ان المسلمين كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشاء
الاخيرة او يرقدوا ثمّ ان عمر رضى الله عنه باشر بعد العشاء فندم واتى النّبى صلى الله عليه
وسلّم واعتذر اليه فقال رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشاء فنزلت وليلة الصّيام اللّيلة
التّى يصبح منها صائمًا والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح بما يجب
ان يكنى عنه وعدى بالى لتضمّنه معنى الافضاء والانهاء وايثاره ههنا لاستقباح ما ارتكبوه
ولذلك سمّى خيانة وقرئ الرفوث وتقديم الظّرف على القائم مقام الفاعل لما مرّ مرارًا من التشويق
فان ما حقّه التقديم اذا اخّر تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل
تمكّن هنّ لباس لكم وانتم لباس لهنّ استيناف مبيّن لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر
عنهنّ مع شدّة المخالطة وكثرة الملابسة بهنّ وجعل كلّ من الرّجل والمرأة لباسًا للاخر لاعتناقهما
واشتمال كلّ منهما على الاخر بالليل قال اذا ما الضّجيع ثنى عطفها تثنت وكانت عليه لباسًا
او لانّ كلًّا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه من الفجور علم الله انّكم كنتم تختانون انفسكم
استيناف اخر مبيّن لما ذكر من السّبب والاختيان ابلغ من الخيانة كالاكتساب من الكسب
ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حظها من الثّواب فتاب عليكم عطف

على علم اى تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفى عنكم اى محا اثره عنكم فالان لما نسخ التحريم
باشروهن المباشرة الزاق البشرة بالبشرة كنى بها عن الجماع الذى يستلزمها وفيه دليل على جواز
نسخ الكتاب للسنة وابتغوا ما كتب الله لكم اى واطلبوا ما قدره الله لكم وقرره فى اللوح من
الولد وفيه ان المباشر ينبغى ان يكون غرضه الولد فانه الحكمة فى خلق الشهوة وشرع النكاح لا
لاقضاء الشهوة وقيل فيه نهى عن العزل وقيل من غير المانى والتقدير وابتغوا المحل الذى كتب
الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر شبه اول
ما يبدو من الفجر المعترض فى الافق وما يمتد معه من غلس الليل بخيطين ابيض واسود واكتفى
ببيان الخيط الابيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك خرجا
عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان يكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روى من
انها نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود وطفقوا ياكلون ويشربون حتى
يتبينا لهم فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جايز او اكتفى اولا
باشتهادهما فى ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفى تجويز المباشرة الى الصبح دلالة على
جواز تاخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لاخر وقته
ولا تباشروهن وانتم عاكفون فى المساجد اى معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتاده
كان الرجل يعتكف فيخرج الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان
الاعتكاف يكون فى المسجد غير مختص ببعض دون بعض وان الوطى فيه حرام ومفسد له لان
النهى فى العبادات يوجب الفساد تلك حدود الله اى الاحكام المذكورة حدود وضعها الله
تعالى لعباده فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها نهى ان يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة
فى النهى عن تخوطها كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول
الحمى يوشك ان يقع فيه ويجوز ان يراد بحدود الله تعالى محارمه ومناهيه كذلك اى مثل ذلك
التبيين يبين الله اياته الدالة على الاحكام التى شرعها للناس لعلهم يتقون مخالفة اوامره
ونواهيه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهى عن اكل بعضهم لاموال بعض على خلاف حكم الله عز
وجل بعد النهى عن اكل اموال انفسهم فى نهار رمضان اى لا ياكل بعضكم مال بعض بالوجه الذى
لم يبحه الله تعالى وبين نصب على الظرفيه او الحالية من اموالكم وتدلوا بها الى الحكام عطف على
المنهى عنه او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اى ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم
اليهم فريقا من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين
بالاثم وانتم تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصى مع العلم بها اقبح روى ان عبدان
الحضرمى ادعى على امرئ القيس الكندى قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه
وسلم بان يحلف امرئ القيس فهم به فقراء عليه عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله

وايمانهم

وايمانهم ثمنا قليلا الايه فارتدع عن اليمين فسلم الارض الى عبدان فنزلت وروى انه اختصم
اليه خصمان فقال عليه السلام انما انا بشر مثلكم وانتم تختصمون الى ولعل بعضكم الحن بحجته
من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق اخيه فانما اقضى له قطعة
من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقى لصاحبى فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل
واحد منكما صاحبه يسئلونك عن الاهلة سئله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال
الهلال يبدو رقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوى ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدى قل هى
مواقيت للناس والحج كانوا قد سالوه عليه السلام عن الحكمة فى اختلاف حال القمر وتبدل
امره فامره العزيز الحكيم ان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة فى ذلك ان يكون معالم للناس فى عباداتهم
لا سيما الحج فان الوقت مراعى فيه اداء وقضاء وكذا فى معاملتهم على حسب ما يتفقون عليه
والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد
حركة الفلك من مبدءها الى منتهاها والزمان ان المدة المطلقه امتداد مدة مقسومة الى
الماضى والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
لان الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب
او فرجه وراءها ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر فقيل ولكن البر من اتقى اى بر من
اتقى المحارم والشهوات ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الامرين او انه ذكر انها مواقيت
للحج ذكر عقيبه ما هو من افعالهم فى الحج استطرادا او انهم لما سالوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم
النبوة فانه عليه السلام مبعوث لبيان الشرايع لا لبيان حقايق الاشياء وتركوا السؤال عما
يعنيهم ويختص بعلم الرساله عقب بذكر جواب ما سالوا عنه تنبيها على ان اللايق بهم ان
يسالوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها واريد به التنبيه على تعكيسهم فى السؤال وكونه من
قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا فى مسايلكم ولكن البر من اتقى ذلك
ولم يجترى على مثله واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس فى العدول برا باشروا الامور من
وجوهها واتقوا الله فى تغيير احكامه او فى جميع اموركم امر بذلك صريحا بعد بيان ان
البر من اتقى اظهارا الزيادة الاعتناء بشان التقوى وتمهيدا لقوله تعالى لعلكم
تفلحون اى لكى تظفروا بالبر والهدى وقاتلوا فى سبيل الله اى جاهدوا الاعزاز دينه واعلاء كلمته
وتقديم الظرف على المفعول الصريح لابراز كمال العناية بشان المقدم الذين يقاتلونكم قيل كان
ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين وقيل معناه الذين يناصبونكم
القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهابنة والنساء او الكفرة
جميعا فان الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الاول ما روى ان المشركين صدوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة شرفها الله تعالى

ثلثة ايام فرجع لعمرة القضاء فخاف المسلمون ان لايفواهم ويقاتلوهم فى الحرم والشهر الحرام وكرهوا ذلك
فنزلت ويعضده ايراده فى اثناء بيان احكام الحج ولاتعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجات
به من غير دعوة او بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجرى مجراهم ان الله
لايحب المعتدين اى لايريد بهم الخير وهو تعليل للنهى واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى حيث وجدتموهم
من حل او حرم واصل الثقف الحذق فى ادراك الشئ علما او عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل
فيها قال فاما تثقفونى فمن اثقف فليس الى خلود واخرجوهم من حيث اخرجوكم اى من مكة وقد
فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها والفتنة اشد من القتل اى المحنة التى يفتتن بها الانسان
كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وبقاء تالم النفس بها وقيل شركهم فى الحرم وصدهم
لكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام اى لاتفاتحوهم بالقتل هناك
ولاتهتكوا حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم ثم فاقتلوهم فيه ولاتبالوا بقتالهم
ثم لانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب وفى العدول عن صيغة المفاعلة التى بها ورد
النهى والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرى ولاتقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم فاقتلوهم والمعنى حتى
يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل مافعلوا بغيرهم
فان انتهوا عن القتال والكفر بعد ما راوا قتالكم فان الله غفور رحيم يغفر لهم ماقد سلف و
قاتلوهم حتى لاتكون فتنة اى شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب فان انتهوا
بعد مقاتلتكم عن الشرك فلاعدوان الا على الظالمين اى فلاتعتدوا عليهم اذ لايحسن الظلم الا لمن
ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية الجزاء بالعدوان للمشاكلة كما فى قوله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وتنعكس الحال عليكم والفاء الاولى للتعقيب والثانية للجزاء
الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية فى ذى القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة
القضاء فى ذى القعدة ايضا وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر الحرام بذاك الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا
تبالوا به والحرمات قصاص اى كل حرمة وهى ما يجب المحافظة عليه يجرى فيها القصاص فلما هتكوا حرمة
شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان قاتلوكم كما قال الله تعالى فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة مقررة لما قبلها واتقوا الله فى شان
الاقتصاد واحذروا ان تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع المتقين فيحرسهم ويصلح شؤونهم
بالنصر والتمكين وانفقوا فى سبيل الله امر بالجهاد بالمال بعد الامر به بالنفس اى لاتمسكوا كل
الامساك ولاتلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش او بالكف عن الغزو والانفاق
فيه فان ذلك مما يقوى العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روى عن ابى ايوب الانصارى رضى الله
عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها ونصلحها فنزلت
او بالامساك وحب المال فانه يؤدى الى الهلاك المؤبد ولذلك سمى البخل هلاكا وهو فى الاصل انتهاء

الشئ فى الفساد والالقاء طرح الشئ وتعديته بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدى
الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة وهى والهلك والهلاك واحد اى لاتوقعوا انفسكم
فى الهلاك وقيل معناه لاتجعلوها آخذة بايديكم او لاتلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا
اى اعمالكم واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء ان الله يحب المحسنين اى يريد بهم الخير وقوله تعالى و
اتموا الحج والعمرة لله بيان لوجوب اتمام افعالهما عند التصدى لادائهما وارشاد للناس الى تدارك
ما عسى يعتريهم من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير تعرض لحالهما فى انفسهما من
الوجوب وعدمه كما فى قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيان لوجوب مد الصيام الى الليل
من غير تعرض لوجوب اصله وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الاية كما ان وجوب الحج بقوله تعالى
ولله على الناس حج البيت الاية فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له
اصلا فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا وادعاء ان الامر باتمامهما امر بانشائهما تامين كاملين
حسبما يقتضيه قراءة واقيموا الحج والعمرة وان الامر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل مما لاسداد
له ضرورة ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق ان تلك القراءة
ايضا محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالهما كما ينبغى من غير تعرض لحالهما فى انفسهما
فالمعنى اكملوا اركانهما وشرائطهما وسائر افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تع من غير اخلال
منكم بشئ منها هذا وقد قيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك روى ذلك عن على وابن
عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية
افضل وقيل هو جعل نفقتهما حلالا (وقيل صح) وان تخلصوهما للعبادة ولاتشوبوهما بشئ من الاغراض الدنيوية
وايا ما كان فلا تعرض فى الاية الكريمة لوجوب العمرة اصلا واما ما روى عن ابن عباس قال
ان العمرة لقرينة الحج وقول عمر رضى الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج
والعمرة مكتوبين على اهللت بهما وفى رواية فاهللت بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه
معارضا بما روى عن جابر انه قال يا رسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر
خير لك وبقوله عليه السلام الحج جهاد والعمرة تطوع فتدبر فان احصرتم اى منعتم من الحج يقال
حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه من المضى لوجهه مثل صده واصده والمراد منع العدو عند
مالك والشافعى رحمهما الله لقوله تعالى فاذا امنتم ولنزوله فى الحديبية ولقول ابن عباس لاحصر
الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض او غيرهما عند ابى حنيفه رح لما روى عن النبى صلى الله
عليه وسلم من كسر او عرج فعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدى اى فعليكم او فالواجب ما استيسر
او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان المحرم اذا احصر وارادوا ان يتحلل تحلل بذبح هدى تيسر عليه
من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث يوم
امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى ولاتحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله

اى لاتحلوا حتى تعلموا ان الهدى المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذى وجب ان ينحر فيه وحمل الاول بلوغ الهدى
محله على ذبحه حيث يحل ذبحه فيه حلا كان او حرما ومرجعهم فى ذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذبح عام الحديبية بها وهى من الحل قلنا كان محصره عليه السلام طرف الحديبية الذى الى
اسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه فى الحرم وقال
الواقدى الحديبية هى طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على المكان والزمان
والهدى جمع هدية كجدى وجدية وقرئ من الهدى جمع هدية كمطى ومطية **فمن كان منكم مريضا**
مرضا محوجا الى الحلق **او به اذى من راسه** كجراحة او قمل **ففدية** اى فعليه فدية ان حلق **من صيام
او صدقة او نسك** بيان لجنس الفدية واما قدرها فقد روى انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن
عجرة لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة
مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصع **فاذا امنتم** اى الاحصار او كنتم فى حال امن او سعة **فمن تمتع
بالعمرة الى الحج** اى فمن انتفع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة قبل الانتفاع تبقربه بالحج فى اشهره وقيل
من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى ان يحرم بالحج **فما استيسر من الهدى**
اى فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم بالحج ولا ياكل منه عند
الشافعى رحمه الله وعندنا هو كالاضحية **فمن لم يجد** الهدى **فصيام ثلثة ايام فى الحج** اى فى
اشهره بين الاحرامين وقال الشافعى رح فى ايام الاشتغال باعماله بعد الاحرام وقبل التحلل والاحب
ان يصوم سابع ذى الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وايام التشريق **وسبعة اذا رجعتم** اى
نفرتم وفرغتم من اعماله وفى احد قولى الشافعى رحمه الله اذا رجعتم الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب
عطفا على محل ثلثة ايام **تلك عشرة** فذلكة الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما
فى قولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يعرف
الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها ذلك ايضا **كاملة**
صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغه فى المحافظه على العدد او مبينة لكمال العشرة فانها اول عدد كامل
اذ به ينتهى الاحاد ويتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدى **ذلك** اشارة الى التمتع عندنا
والى الحكم المذكور عند الشافعى رحمه الله **لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام** وهو من
كان من الحرم على مسافة القصر عند الشافعى رحمه الله ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل
الحل عند طاوس وغير اهل مكة عند مالك رحمه الله **واتقوا الله** فى المحافظة على اوامره ونواهيه
لا سيما فى الحج **واعلموا ان الله شديد العقاب** لمن يتقه كى يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم
الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة **الحج** اى وقته **اشهر معلومات** معروفات
بين الناس هو شوال وذو القعدة وعشر ذى الحجة عندنا وتسعة بليلة النحر عند الشافعى رحمه الله
وكله عند مالك رحمه الله ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه

اوما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة فى بقية ذى الحجة وابو حنيفه رح
وان صح الاحرام به قبل شوال فقد استكرهه وانما سمى شهران وبعض شهر اشهرا اقامة للبعض مقام
الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق الواحد وصيغة جمع المذكر فى غير العقلاء تجئ بالالف والتاء **فمن
فرض فيهن الحج** اى اوجبه على نفسه بالاحرام فيهن او بالتلبية او بسوق الهدى **فلا رفث ولا
فسوق** اى لا جماع او فلا فحش من الكلام ولا خروج من حدود الشرع بارتكاب المحظورات وقيل
بالسباب والتنابز بالالقاب **ولا جدال** اى لا مراء مع الخدم والرفقة **فى الحج** اى فى ايامه
والاظهار فى مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشانه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت المعظم
والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفى للمبالغة فى النهى والدلالة
على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا فى نفسه ففى تضاعيف الحج اقبح كلبس
الحرير فى الصلوة والتطريب بقراءة القران لانه خروج فى مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ
الاولان بالرفع على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف
فى الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف ساير العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان امروا
بان يقفوا ايضا بعرفات **وما تفعلوا من خير يعلمه الله** فيجزى به خير اجزاء وهو حث على فعل
الخير اثر النهى عن الشر **وتزودوا فان خير الزاد التقوى** اى تزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد
وقيل نزلت فى اهل يمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فيكونون
كلا على الناس فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام فى السؤال والتثقيل على الناس **واتقون
يا اولى الالباب** فان قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى
ثم امرهم بان يكون المقصود بذلك هو الله تعالى فيتبرأ من كل شئ سواه وهو مقتضى العقل
المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا الخطاب اولوا الالباب **ليس عليكم جناح ان
تبتغوا** اى فى ان تبتغوا اى تطلبوا **فضلا من ربكم** عطاء ورزقا منه اى الربح بالتجاره وقيل
كان عكاظ ومجنة وذو المجاز اسواقهم فى الجاهلية يقيمونها ايام مواسم الحج وكانت معايشهم
منها فلما جاء الاسلام تاثموا منه فنزلت **فاذا افضتم من عرفات** اى دفعتم منها بكثرة من افضت
الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول حذفه من دفعت من البصرة و
عرفات جمع سمى به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه علميه وتانيث لما ان تنوين الجمع تنوين المقابلة
لا تنوين التمكن ولذلك يجمع مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم
الصرف وهنا ليس كذلك او لان التانيث اما بالتاء المذكورة وهى ليست بتاء التانيث وانما هى
مع الالف التى قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء مقدرة كما فى سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة
تابى تقديرها لما انها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث كتا بنت وانما سمى الموقف عرفة لانه
نعت لابرهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبرئيل عليه السلام كان يدور به فى المشاعر

فلمّا رآه قال عرفت اولانّ آدم وحوّا التقيا فيه فتعارفا اولانّ النّاس يتعارفون فيه وهي من الاسماء
المرتجلة الامن بجعلها جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا يكون الّا
بعده وهي مامور بها بقوله تعالى ثم افيضوا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلّم الحج عرفة فمن ادرك
عرفة فقد ادرك الحج او مقدّمة للذّكر المامور به وفيه نظر اذ الذّكر غير واجب والامر به غير
مطلق فاذكروا الله بالتّلبية والتّهليل والدّعاء وقيل بصلوة العشايين عند المشعر الحرام
هو جبل يقف عليه الامام ويسمّى قزح وقيل بين مازمى عرفة ووادى المحسر ويؤيّد الاوّل
ما روى جابر انه عليه السّلام لما صلّى الفجر معنى يعنى بالمزدلفه بغلس ركب ناقته حتّى اتى المشعر
الحرام فدعى فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفًا حتّى اسفر وانّما سمّى مشعرًا لانه معلم العبادة ووصف
بالحرام لحرمته ومعنى عند مشعر الحرام مايليه ويقرب منه فانّه افضل واولى فالمزدلفه كلّها موقف
الا وادى محسّر واذكروه كما هديكم اى كما علّمكم اواذكروه ذكرا حسنًا كما هداكم هداية حسنة الى
المناسك وغيرها وما مصدرية او كافّة وان كنتم من قبله من قبل ما ذكر من هدايته ايّاكم لمن
الضّالين غير العالمين بالايمان والطّاعة وان هى المخفّفة واللام هى الفارقة وقيل هى نافية واللّام
بمعنى الّا كما فى قوله عزّ وعلا وان نظنّك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض النّاس
اى من عرفة لا من المزدلفة والخطاب لقريش لما كانوا يقفون بجمع وساير النّاس بعرفة ويريدون
ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثمّ لتفاوت ما بين الافاضتين كما فى قولك احسن
الى النّاس ثمّ لا تحسن الّا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفة اليها والخطاب
عام وقرئ النّاس بكسر السين اى النّاس على ان يراد به آدم عليه السّلام من قوله تعالى فنسى
والمعنى ان الافاضة من عرفة شرع قديم فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليّتكم فى تغيير
المناسك انّ الله غفورٌ رحيم يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار او
للامر به فاذا قضيتم مناسككم عباداتكم المتعلقة بالحج وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم
اٰباءكم اى فاكثروا ذكره تعالى وبالغوا فى ذلك كما تفعلون بذكر اٰبائكم ومفاخرهم وايّاهم
وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر اٰبائهم
ومحاسن ايّامهم اواشدّ ذكرًا امّا مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا على المجاز ومعنى فاذكروا
الله ذكرا كائنا مثل ذكركم اٰباءكم او كذكر اشدّ منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم
اشد منكم ذكرا او منصوب بالعطف على اٰباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشدّ مذكوريّة
من اٰبائكم او بمضمر دلّ عليه المعنى تقديره او كونوا اشد ذكرا لله منكم لاٰبائكم فمن النّاس تفصيل
للذاكرين الى من لا يطلب بذكر الله الّا الدّنيا والى من يطلب به خير الدّارين والمراد به الحث على
الاكثار والانتظام فى سلك الآخرين من يقول اى فى ذكره ربّنا اٰتنا فى الدّنيا اى اجعل اٰيتنا
ومنحتنا فى الدّنيا خاصة وماله فى الآخرة من خلاق اى من حظ ونصيب لاقتصارهم على الدّنيا فهو

بيان لحاله فى الآخرة او من طلب خلاق فهو بيان لحاله فى الدّنيا وتاكيد لقصر دعائه على المطالب
الدّنيويّة ومنهم من يقول ربّنا اٰتنا فى الدّنيا حسنةً هى الصّحة والكفاف والتوفيق للخير
وفى الآخرة حسنةً هى الثّواب والرّحمة وقنا عذاب النّار بالعفو والمغفرة وروى عن على
كرّم الله وجهه انّ الحسنة فى الدّنيا المراة الصّالحة وفى الآخرة الحور وعذاب النّار المراة السّوء
وعن الحسن انّ الحسنة فى الدّنيا العلم والعبادة وفى الآخرة الجنّة وقنا عذاب النّار معناه
احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النّار اولئك اشارة الى الفريق الثّانى باعتبار اتّصافهم
بما ذكر من النّعوت الجميلة وما فيه من معنى البُعد لما مرّ مرارًا من الاشارة الى درجتهم وبعد
منزلتهم فى الفضل وقيل اليهما معا فالتنوين فى قوله لهم نصيب ممّا كسبوا على الاوّل للتفخيم وعلى
الثّانى للتنويع اى لكلّ منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى ممّا خطيئاتهم
اغرقوا او ممّا دعوا به نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدّعاء كسبًا لما انّه من الاعمال والله سريع
الحساب يحاسب العباد على كثرتهم وكثرة اعمالهم فى مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة
من هذا شان قدرته او يوشك ان يقيم القيمة ويحاسب النّاس فبادروا الى الطّاعات واكتساب
الحسنات فاذكروا الله اى كبروه فى اعقاب الصّلوة وعند ذبح القرابين ورمى الجمار
وغيرها فى ايّام معدودات هى ايّام التشريق فمن تعجّل اى استعجل فى النّفر او النّفر فان التفعل
والاستفعال يجيئان لازمين ومتعدّيين يقال تعجّل فى الامر واستعجل فيه وتعجله واستعجله
والاوّل اوفق للتّاخر كما فى قوله قد يدرك المتانّى بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزّلل
فى يومين اى فى تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القرّ ويوم الرّؤس واليوم بعده ينفر
اذا فرغ من رمى الجمار فلا اثم عليه بتعجله ومن تاخّر فى النّفر حتّى رمى فى اليوم الثالث قبل
الزّوال او بعده وعند الشّافعى رحمه الله بعده فقط فلا اثم عليه بما منع من التّاخّر والمراد
التّاخير بين التّعجل والتّاخّر ولا يقدح فيه افضليّة الثّانى وانّما ورد بنفى الاثم تصريحا بالرّد
على اهل الجاهليّة حيث كانوا مختلفين فى مؤثّم للمتعجّل ومؤثّم للمتاخّر لمن اتقى خبر لمبتداء محذوف
اى الذّكر ذكر لمن التخيير ونفى الاثم عن المتعجل والمتاخّر او من الاحكام لمن اتّقى لانه الحاجّ
على الحقيقه والمنتفع به او لاجله حتّى لا يتضرّر بترك ما يهمّ منهما واتّقوا الله فى مجامع اموركم
بفعل الواجبات وترك المحظورات ليعبأ بكم وتنتظموا فى سلك المغتنمين بالاحكام المذكورة
والرّخص او احذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام وهو الانسب بقوله عزوجل واعلموا انّكم
اليه تحشرون اى للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء والبعث واصل الجمع الحشر وضمّ المفترق وهو
تاكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان مع علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك
من اقوى الدّواعى الى ملازمة التّقوى ومن النّاس من يعجبك قوله تجريد للخطاب وتوجيه له
اليه عليه السلام وهو كلام مبتداء سيق لبيان تحزّب النّاس فى شان التّقوى الى حزبين وتعيين

مال كلّ منهما ومَن موصولة او موصوفة واعرابه كما بيّن فى قوله تعالى ومن النّاس من يقول امنّا بالله وباليوم الاخر اى ومنهم من يروقك كلامه ويعظم موقعه فى نفسك لما تشهد فيه من ملائمة الفحوى ولطف الاداء والتّعجب حيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشّعور بسبب ما يتعجب منه فى الحيوة الدّنيا متعلق بقوله اى ما يقوله فى حق الحيوة الدّنيا ومعناها فانّها الّذى يريد بما يدّعيه من الايمان ومحبة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وفيه اشارة الى انّ له قولا اخر ليس بهذه الصّفة او يعجبك اى يعجبك قوله فى الدّنيا بحلاوته وفصاحته لا فى الاخرة لما انّه يظهر هناك كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه من الحبسة واللكنة وانت خبير بانّه لا مبالغة فى سوء حاله فان ماله بيان حسن كلامه فى الدّنيا وقبحه فى الاخرة وقيل معنى فى الحيوة الدّنيا مدّة الحيوة اى لا يصدر منه فيها الّا القول الحسن ويشهد الله على ما فى قلبه اى بحسب ادعائه حيث يقول الله يعلم ان ما فى قلبى موافق لما فى لسانى وهو عطف على يعجبك وقرى ويشهد الله فالمراد بما فى قلبه على ان كلمة على لكون المشهور به مضرا له فالجملة اعتراضيّة وقرئ ويستشهد الله وهو الدّ الخصام اى شديد العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الالدّ الية بمعنى فى كقولهم ثبت الغدر او اشد الخصوم لهم خصومة على انّه جمع خصم كصعب وصعاب قيل نزلت فى الاخنس بن شريق الثّقفى وكان حسن المنظر حلو المنطق يوالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعى الاسلام والمحبة وقيل فى المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور فى قوله او من المستكن فى يشهد وقيل عطف على ما قبلها على القراءتين المتوسطتين واذا تولّى اى من مجلسك وقيل اذا صار واليا سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنّسل كما فعله الاخنس بثقيف حيث بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعل ولات السّوء بالقتل والاتلاف او بالظّلم حتى يمنع الله تعالى بشومه القطر فيهلك الحرث والنّسل وقرئ ويهلك الحرث والنّسل على اسناد الهلاك اليها عطفًا على سعى وقرئ بفتح اللّام وهى لغة وقرئ على البناء للمفعول من الاهلاك والله لا يحبّ الفساد اى لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض تذييلى واذا قيل له على نهج العظة والنّصيحة اتّق الله واترك ما تباشره من الفساد او النّفاق واحذر سوء مغبّته اخذته العزّة بالاثم اى حملته الانفة وحميّة الجاهليّة على الاثم الّذى نهى عنه لجاجًا وعنادًا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه او الزمته فحسبه جهنّم مبتدأ وخبر اى كافيه جهنّم وقيل جهنّم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل وقوى لاعتماده على الفاء الرّابطة للجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اى كفته جهنم ولبئس المهاد جواب قسم مقدّر والمخصوص بالذّم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطاء للجنب والجملة اعتراض ومن النّاس من يشرى نفسه مبتداء وخبر كما مرّ اى يبيعها ببذلها فى الجهاد ومشاق الطّاعات وتعريضها للمهالك فى الحروب او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وان

ترتب

ترتب عليه القتل ابتغاء مرضات الله اى طلبا لرضاه وهذا كمال التّقوى وايراده قسيمًا للاوّل من حيث ان ذلك يانف من الامر بالتقوى وهذا يامر بذلك وان ادّى الى الهلاك وقيل نزلت فى صهيب بن سنان الرّومى اخذه المشركون وعذبوه ليرتد فقال انى شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضرّكم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه ماله فاتى المدينة فيشرى ح بمعنى يشترى لجريان الحال على صورة الشرى والله رؤف بالعباد ولذلك يكلّفهم التقوى ويعرضهم للثّواب والجملة اعتراض تذييلى يا ايّها الذين امنوا ادخلوا فى السّلم اى الاستسلام والطّاعة وقيل الاسلام وقرى بفتح السّين وهى لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى كافّة حال من الضّمير فى ادخلوا او من السّلم او منهما معًا كما فى قوله خرجت بها تمشى تجرّ وراءنا على اثرنا ذيل مرط مرحّل وهى فى الاصل اسم للجماعة تكفّ مخالفها ثمّ استعملت فى معنى جميعًا وتاؤها ليست للتّانيث حتى يحتاج الى جعل السّلم مؤنّثا مثل الحرب كما فى قوله تعالى وان جنحوا للسّلم فاجنح لها وفى قوله السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وانما هى للنّقل كما فى عامة وخاصة وقاطبة والمعنى استسلموا الله تعالى واطيعوه جملة ظاهرًا وباطنًا والخطاب للمنافقين او ادخلوا فى الاسلام بكلّيته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمنى اهل الكتاب فانّهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم القديم بعد اسلامهم او فى شرايع الله تعالى كلّها بالايمان بالانبياء والكتب جميعًا والخطاب لاهل الكتاب كلهم ووصفهم بالايمان امّا على طريقة التغليب وامّا بالنّظر الى ايمانهم القديم او فى شعب الاسلام واحكامه كلها فلا يخلّوا بشئ منها والخطاب للمسلمين وانّما خوطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا يصحّ الايمان الّا بما كلفوه الان ايذانا بانّ ما يدّعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشّيطان بالتفرّق والتفريق او بمخالفة ما امرتم به انه لكم عدوّ مبين ظاهر العداوة ومظهر لها وهو تعليل للنّهى او الانتهاء فان زللتم اى عن الدّخول فى السّلم وقرئ بكسر اللام وهى لغة فيه من بعد ما جاءتكم الايات البيّنات والحجج القطيعة الدّالة على حقيقته الموجبة للدّخول فيه فاعلموا انّ الله عزيز غالب على امره ولا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا يترك ما يقتضيه الحكمة من مواخذة المجرمين المستعصين على اوامره هل ينظرون استفهام انكارى فى معنى النّفى اى ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة فى الامتثال بما امروا به والانتهاء عمّا نهوا عنه الّا ان ياتيهم الله اى امره وباسه ان ياتيهم الله بامره وباسه فحذف المأتى به لدلالة الحال عليه والالتفات الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف على طريق المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانّهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانّهم طالبون لها مترقبون لوقوعها فى ظلل جمع ظلّة كقلل فى جمع قلّة وهى ما اظلّك وقرئ فى ظلال كقلال فى جمع قلة من الغمام اى السحاب الابيض وانما اتاهم العذاب فيه لما انه مظنّة الرّحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع

واقطع للمطامع فان اتيان الشرّ من حيث لا يحتسب صعب فكيف باتيانه من حيث يرجى منه الخير
والملئكة عطف على الاسم الجليل اى و يانيهم الملئكة فانهم وسايط فى اتيان امره تعالى بل هم الاتون بباسه
على الحقيقة وتوسيط الظرف بينهما للايذان بان الاتى اولا من جنس ما يلابس الغمام و يترتب عليه
عادة واما الملئكة وان كان اتيانهم مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتياد
وقرئ بالجرّ عطفا على ظلل او الغمام **وقضى الامر** اى اتمّ اهلاكهم و فرغ منه وهو عطف على ياتيهم
داخل فى حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضى دلالة على الحقيقة فكانه قد كان او جملة مستانفة
جئ بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملئكة **والى الله** لا الى غيره
ترجع الامور بالتانيث على البناء للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتانيث
من الرجوع **سل بنى اسرائيل** الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكلّ احد من اهل الخطاب
والمراد بالسؤال تبكيتهم وتغريهم بذلك وتقرير لمجئ البيّنات **كم اتيناهم من اية** بيّنة معجزة ظاهرة
على ايدى الانبياء عليهم السّلام واية ناطقة بحقيّة الاسلام المامور بالدّخول فيه وكم خبريّة
او استفهاميّة مقرّرة ومحلّها النّصب على المفعوليّة او الرّفع بالابتداء على حذف العائد من
الخبر واية مميّزها **ومن يبدّل نعمة الله** التى هى اياته الباهرة فانها سبب للهدى الذى هو اجلّ النّعم
وتبديلها جعلها سببًا للضّلالة وازدياد الرّجس او تحريفها و تاويلها الزّايغ **من بعد ما جاءته**
ووصلت اليه وتمكّن من معرفتها والتصريح بذلك مع ان التبديل لا يتصوّر قبل المجئ للاشعار
بانّهم قد بدّلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما فى قوله عزّ وجلّ ثمّ يحرّفونه من بعد ما عقلوه
وهم يعلمون قيل تقديره فبدّلوها ومن يبدّل وانّما حذف للايذان بعدم الحاجة الى التصريح به
لظهوره **فانّ الله شديد العقاب** تعليل للجواب كانّه قيل ومن يبدّل نعمة الله عاقبة الله اشدّ
عقوبة فانّه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الرّوعة **زيّن للّذين
كفروا الحيوة الدّنيا** اى حُسِّنت فى اعينهم واشربت محبّتها فى قلوبهم حتّى تهالكوا عليها وتهافتوا
فيها معرضين عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مستند الى الله سبحانه كما يعرب عنه
القراءة على البناء للفاعل اذ ما من شئ الّا وهو خالقه وكلّ من الشّيطان والقوى الحيوانيّة
وما فى الدّنيا من الامور البهيّة والاشياء الشّهيّة مزيّن بالعرض **ويسخرون من الّذين امنوا**
عطف على زيّن وايثار صيغة الاستقبال للدّلالة على استمرار السّخرية منهم وهم فقراء المؤمنين
كبلال وعمار وصهيب رضى الله عنهم كانوا يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدّنيا
واقبالهم على العقبى ومن ابتدائيّة فكانّهم جعلوا السخرية مبتداءة منهم **والّذين اتقوا** هم الّذين
الذين امنوا بعينهم وانما ذكروا بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدّنيا للاتقاء عنها لكونها
مخلّة بتبتّلهم الى جناب القدس شاغلة عنه **فوقهم يوم القيمة** لانّهم فى اعلى علّيين وهم فى اسفل
السّافلين او لانّهم فى اوج الكرامة وهم فى حضيض الذّل والمهانة او لانّهم يتطاولون عليهم فى

الآخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم فى الدّنيا والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسميّة للدّلالة
على دوام مضمونها **والله يرزق من يشاء** اى فى الدّارين **بغير حساب** بغير تقدير توسّع فى الدّنيا
استدراجًا تارة وابتلاء اخرى **كان النّاس امّة واحدة** متّفقين على كلمة الحقّ ودين الاسلام
وكان ذلك بين ادم وادريس او نوح عليهم السّلام او بعد الطّوفان **فبعث الله النّبيّين** اى
فاختلفوا فبعث الخ وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه وقد حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه
مبشّرين ومنذرين عن كعب الذى علمته من عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرين
الفا والمرسل منهم ثلاثمائة وثلثة عشر والمذكور فى القران ثمانية وعشرون وقيل كان النّاس امّة
واحدة متفقة على الكفر والضّلال فى فترة ادريس او نوح فبعث الله النّبيين فاختلفوا عليهم والاوّل
هو الانسب بالنّظم الكريم **وانزل معهم الكتاب** اى جنس الكتاب ومع كلّ واحد منهم ممّن له كتاب
كتابه الخاص به لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم كتاب وانّما كانوا ياخذون بكتب
من قبلهم وعموم النّبيين لا ينافى خصوص الضّمير العايد اليه بمعونة المقام **بالحقّ** حال من الكتاب
اى ملتبسًا بالحقّ او متعلّق بانزل كقوله تعالى عزّ وعلا وبالحقّ انزلناه وبالحقّ نزل **ليحكم** اى الكتاب
او الله سبحانه وتعالى او كلّ واحد من النّبيين **بين النّاس** اى المذكورين والاظهار فى موضع الاضمار
لزيادة التّعيين **فيما اختلفوا فيه** اى فى الحقّ الّذى اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم **وما اختلف
فيه** اى فى الحقّ او فى الكتاب المنزل ملتبسًا به والواو حالية **الّا الّذين اوتوه** اى الكتاب المنزل
لازالة الاختلاف وازاحة الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء للتّنبيه من اوّل الامر على كمال
تمكّنهم من الوقوف على ما فى تضاعيفه من الحقّ فانّ الانزال لا يفيد تلك الفائدة اى عكسوا الامر
حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببًا لاستحكامه ورسوخه **من بعد ما جاءتهم البيّنات**
اى رسخت فى عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدلّ عليه الكلام اى فاختلفوا وما اختلف فيه الخ وقيل
بالملفوظ بناء على عدم منع الاعنه كما فى قولك ما قام الا زيد يوم الجمعة **بغيًا بينهم** متعلّق بما
تعلقت به من اى اختلفوا بغيًا ولاتهالكًا على الدّنيا **فهدى الله الّذين امنوا** بالكتاب **لما
اختلفوا فيه** اى للحقّ الّذى اختلف فيه من اختلف **من الحقّ** بيان لما وفى ابهامه اوّلا وتفسيره
ثانيا ما لا يخفى من التفخيم **باذنه** بامره او بتيسيره ولطفه **والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم**
موصل الى الحقّ وهو اعتراض مقرّر لمضمون ما سبق **ام حسبتم** خوطب به رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومن معه من المؤمنين حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاقّ من
جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبياء عليهم السّلام وقد بيّن فيه مال اختلافهم وما لقى الانبياء
ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشّدايد ومقاسات الهموم وان عاقبة امرهم النّصر وام منقطعة
والهمزة فيه للانكار والاستبعاد اى بل احسبتم **ان تدخلوا الجنّة ولمّا ياتكم مثل الّذين من قبلكم**
من الانبياء ومن معهم من المؤمنين اى والحال انّه لم ياتكم مثلهم بعد ولم تبتلوا بما ابتلوا به من الاحوال

الهائلة التى هى مثل فى الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر **مستهم** استيناف وقع جوابًا عما ينساق اليه
الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم **البأساء** اى الشدة من الخوف والفاقة **والضراء** اى الالام
والامراض **وزلزلوا** اى ازعجوا ازعاجًا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع **حتى يقول الرسول**
والذين آمنوا معه اى انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول وهو اعلم
الناس بشؤن الله تعالى واوثقهم بنصره والمؤمنون المقتدون بآثاره المستضيئون بانواره **متى**
اى متى ياتى **نصر الله** طلبًا وتمنيًا له واستطالة لمدة الشدة والعنا وقرئ حتى يقول بالرفع على انه
حكاية حال ماضية وهذا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية كيف لا والرسل
مع علو كعبهم فى الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر والضجيج علم ان
الامر بلغ الى غاية لامطمح وراءها **الا ان نصر الله قريب** على تقدير القول اى فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافًا
لمرامهم والمراد بالقرب القرب الزمانى وايثار الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها
بحرف التنبيه والتاكيد من الدلالة على تحقق مضمونها وتقرره مالا يخفى واختيار حكاية الوعد
بالنصر لما انها فى حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون
حكاية نفس النصر مع تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون
هذا واردًا من جهته تعالى عند الحكاية على نهج الاعتراض لا واردًا عند وقوع المحكى وفيه رمز الى
ان الوصول الى جناب القدس لايتسنى الا برفض اللذات ومكابدة المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه
السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات **يسئلونك ماذا ينفقون** اى من اصناف اموالهم
قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية واما موصولة حذف العائد اليها اى ما انفقتموه من خير اى خير
كان ففيه تجويز الانفاق من جميع انواع الاموال وبيان لما فى السؤال الا انه جعل من جملة ما فى حيز
الشرط او الصلة وابرز فى معرض البيان المصرف حيث قيل **فللوالدين والاقربين** للايذان بان
الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق بحسب وقوعه فى موقعه وعن ابن عباس
رض انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم له مال عظيم فقال يا رسول الله ماذا ننفق واين نضعها
فنزلت **واليتامى** اى المحتاجين منهم **والمساكين وابن السبيل** ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما
اكتفاء بما ذكر فى المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله تعالى **وما تفعلوا من خير**
فانه لكل خير واقع فى اى مصرف كان **فان الله به عليم** فيوفى ثوابه وليس فى الاية ما ينافيه
فرض الزكوة لينسخ به كما نقل عن السدى **كتب عليكم القتال** ببناء الفعل للمفعول ورفع القتال
اى قتال الكفرة وقرئ ببنائه للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ كتب عليكم القتل
اى قتل الكفرة والواو فى قوله تعالى **وهو كره لكم** حالية اى والحال انه مكروه لكم طبعًا على ان
الكره مصدر وصف به المفعول مبالغة بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه بمعنى
المضموم كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته

عليهم **وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم** وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التى من جملتها
القتال فان النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على ان فى القتال خيرًا لهم **وعسى ان تحبوا**
شيئا وهو شر لكم وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لها من
الاعراب **والله يعلم** ما هو خير لكم فلذلك يامركم به **وانتم لا تعلمون** اى لا تعلمونه ولذلك تكرهونه
او والله يعلم ما هو خير وشر لكم وانتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا فى ذلك رايكم وامتثلوا بامره تعالى
يسئلونك عن الشهر الحرام روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش
على سرية فى جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد واعيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله
الحضرمى وثلثة معه فقتلوا واسروا اثنين واستاقوا العير بما فيها من تجارة الطايف وكان
ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام
يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم العير
وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه
وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة
والمعنى يسالك الكفار او المسلمون عن القتال فى الشهر الحرام على ان قوله عز وجل **قتال فيه** بدل الاشتمال
من الشهر وتنكيره لما ان سؤالهم كان عن مطلق القتال الواقع فى الشهر الحرام لا عن القتال المعهود ولذلك لم
يقل يسالونك عن القتال فى الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما فى قوله تعالى للذين
استضعفوا لمن آمن منهم وقرئ قتل فيه **قل** فى جوابهم **قتال فيه كبير** جملة من مبتداء وخبر
محلها النصب بقل وانما جاز وقوع قتال مبتداء مع كونه نكرة لتخصصه اما بالوصف ان تعلق الظرف
بمحذوف وقع صفة له اى قتال كائن فيه واما بالعمل ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم
التعيين وايذانا بان المراد مطلق القتال الواقع فيه اى قتال كان عن عطاء انه سئل عن القتال فى الشهر
الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا فى الحرم ولا فى الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت
واكثر الاقاويل انها منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم **وصد عن سبيل الله**
مبتدا قد تخصص بالعمل فيما بعده اى ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى **وكفر به** عطف
على صد عامل فيما بعده مثله اى وكفر بالله تعالى وحيث كان الصد عن سبيل الله تعالى فردا
من افراد الكفر به تعالى لم يقدح العطف المذكور فى حسن عطف قوله تعالى **والمسجد الحرام** على سبيل
الله تعالى لانه ليس باجنبى محض وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف اى وصد المسجد
الحرام **واخراج اهله** وهو النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون **منه** اى من المسجد الحرام وهو
عطف على وكفر به **اكبر عند الله** خبر للاشياء المعدودة اى كبائر السائلين اكبر عند الله مما عنوا
بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطا وبناء على الظن وافعل يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر
والمؤنث **والفتنة** اى ما ارتكبوه من الاخراج والشرك وصد الناس عن الاسلام ابتداء وبقاء

اكبر من القتل اى افظع من قتل الحضرمى **ولا يزالون يقاتلونكم** بيان لاستحكام عداوتهم واصرارهم
على الفتنه فى الدارين **حتى يردوكم عن دينكم** الحق الى دينهم الباطل واضافة الدين اليهم لتذكير تاكد
ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق **ان استطاعوا** اشارة الى تصلبهم فى الدين وثبات
قدمهم فيه وانى لهم ذلك **ومن يرتدد منكم عن دينه** تحذير من الارتداد اى ومن يفعل ذلك
باضلالهم واغوائهم **فيمت وهو كافر** بان لم يرجع الى الاسلام بعد الارتداد **فاولئك** اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الارتداد والموت عليه ومافيه من معنى البعد
للاشعار ببعد منزلتهم فى الشر والفساد والجمع للنظر الى المعنى اى اولئك المصرون على الارتداد
الى حين الموت **حبطت اعمالهم** الحسنة التى كانوا عملوها فى حالة الاسلام حبوطا لا تلافى له قطعا
فى الدنيا والاخرة بحيث لم يبق لها حكم من الاحكام الدنيوية والاخروية **واولئك** الموصوفون
بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح **اصحاب النار** اى ملابسوها وملازموها **هم فيها خالدون** كداب
سائر الكفرة **ان الذين امنوا** نزلت فى اصحاب السرية لما ظن بهم انهم ان سلموا من الاثم فلا اجر لهم
والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد بهما واحد لتفخيم شان
الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان فى تحقيق الرجاء **اولئك** المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة
يرجون بما لهم من مبادى الفوز **رحمة الله** اى ثوابه اثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو
للايذان بانهم عالمون بان العمل غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لان
فى فوزهم اشتباها **والله غفور** مبالغ فى مغفرة ما فرط من عباده خطاء **رحيم** يجزل لهم
الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها **يسئلونك عن الخمر والميسر** تواردت
فى شان الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا
حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر ومعاذ ونفرا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
قالوا افتنا يا رسول الله فى الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه الاية فشربها قوم وتركها اخرون
ثم دعى عبد الرحمن بن عوف فاسا منهم فشربوا فسكروا فام احدهم فقرا قل يا ايها الكافرون
لا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى الاية فقل ما يشربها ثم دعى عتبان
بن مالك سعد بن ابى وقاص فى نفر فلما سكروا وافتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا
فيه هجاء الانصار فضربه انصارى بلحى بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال
عمر رضى الله عنه انتهينا يا رب وعن على رضى الله عنه لو وقعت قطرة منها فى بئر فبنيت فى مكانها
منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت فى بحر ثم جف فنبت فيه الكلاء لم ارعه وعن ابن عمر رضى الله عنهما
لو ادخلت اصبعى فيها لم تتبعنى وهذا هو الايمان والتقى حقا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخمر
مصدر خمره اى ستره وسمى به من عصير العنب ما غلى واشتد وقذف بالزبد لتغطيها العقل والتمييز

كانها نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكرهما اى تحجزهما **والميسر** مصدر ميمى من يسر كالموعد والمرجع
يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير كد وتعب واما من اليسار
لانه سلب له وصفته انه كانت لهم عشرة اقدح هى الازلام والاقلام الفذ والتوأم والرقيب والحلس
والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها عشرة
اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا الثلثة هى المنيح والسفيح والوغد للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب
ثلثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها فى الربابة وهى خريطة
ويضعونها على يدى عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا فمن خرج له قدح من
ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلثة غرم ثمن الجزور ومع حرمانه
وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل
فيه ويسمونه البرم وفى حكمه جميع انواع القمار من النرد والسطرنج وغيرهما وعن النبى صلى الله عليه
وسلم اياكم وهاتين الكعبتين المشؤمتين فانهما ميا سر العجم وعن على كرم الله وجهه ان النرد
والسطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شئ فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسئلونك عن حكمهما
وعما فى تعاطيهما **قل فيهما اثم كبير** اى فى تعاطيهما ذلك لما ان الاول مسلبة للعقول التى هى
قطب الدين والدنيا مع كون كل منهما متلفة للاموال **ومنافع للناس** من كسب الطرب و
اللذة ومصاحبة الفتيان وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفى تقديم بيان
اسمه ووصفه بالكبر وتاخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من الدلالة على غلبة الاول
ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى **واثمهما اكبر من نفعهما** اى المفاسد المترتبة على تعاطيهما اعظم
من الفوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما **ويسئلونك ماذا ينفقون** عطف على يسئلونك
عن الخمر الخ عطف على القصة اى اى شئ ينفقونه قيل هو عمرو بن الجموح ايضا سال اولا من اى جنس
ينفق من اجناس الاموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سال ثانيا من اى اصنافها ينفق
امن اخيارها ام من غيرها اوسال عن مقدار ما ينفقه فقيل **قل العفو** بالنصب اى ينفقون
العفو وانفقوا العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون اى الذى ينفقون
العفو قال الواحد اصل العفو فى اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل وتيسر مما فضل
من الكفاية وهو قول قتاده وعطاء والسدى وكانت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين يكسبون
المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل وروى ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم
ببيضة من ذهب اصابها فى بعض المغانم فقال خذها منى صدقة فاعرض عنه فكرر ذلك مرارا
حتى قام عليه السلم مغضبا هاتها فاخذها فحذفها عليه حذفا لو اصابته لشجته ثم قال ياتى احدكم
بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى **كذلك** اشارة الى مصدر
الفعل الاتى ومافيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه فى الفضل مع كمال تميزه وانتظامه

بسبب ذلك فى سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وافراد حرف
الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل او الفريق اولعدم القصد الى تعيين المخاطب كما مرّ
ومحلّه النّصب على انّه نعت لمصدر محذوف اى مثل ذلك البيان الواضح الّذى هو عبارة عمّا مضى
فى اجوبة الاسولة المارّة يبيّن الله لكم الايات الدّالة على الاحكام الشرعيه المذكورة لابيا نا
ادنى منه وقد مرّ تمام تحقيقه فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم امّة وسطًا وتبيين الايات تنزيلها
مبنيّة الفحوى واضحة المدلول لانّه تعالى بيّنها بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبا
لاستحضار الصّورة لعلّكم تتفكّرون لكى تتفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها وتعلموا بما فى تضاعيفها
وقوله تعالى فى الدّنيا والآخرة متعلق اما بيبيّن اى يبيّن لكم فيما يتعلّق بالدنيا والآخرة
الايات وامّا بمحذوف وقع حالا من الايات اى يبيّنها لكم كائنة فيهما اى مبيّنة لاحوالكم المتعلّقة
بهما وانّما قدّم عليه التّعليل لمزيد الاعتناء بشان التفكّر واما بقوله تعالى تتفكرون اى تتفكرون
فى الامور المتعلّقة بالدّنيا والآخرة فى الاحكام الواردة فى اجوبة الاسولة المارة فتختارون
منها ما يصلح لكم فيهما ويجتنبون عن غيره وهذا التخصيص هو المناسب لمقام تعداد الاحكام
الجزئيّة ويجوز التّعميم لجميع الامور المتعلّقة بالدنيا والآخرة فذلك ح اشارة الى ما مرّ
من البيّنات كلًّا او بعضًا لا الى مصدر ما بعده فانّه ح فعل مستقبل ليس بعبارة عن تلك
البيانات والمراد بالايات غير ما ذكر والمعنى مثل ذلك البيان الوارد فى الاجوبة المذكورة
يبيّن الله لكم الايات والدلائل لعلكم تتفكّرون فى اموركم المتعلّقة بالدّنيا والآخرة وتاخذون
بما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضرّكم حسبما يقتضيه تلك الايات البيّنه ويسئلونك عن
اليتامى عطف على ما قبله من نظيره روى انه لما نزلت انّ الّذين ياكلون اموال اليتامى ظلمًا
الاية تحامى النّاس عن مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم فشق عليهم ذلك فذكروه للنبىّ صلى الله
عليه وسلم فنزلت قل اصلاح لهم خير اى التعرض لاحوالهم واموالهم على طريق الاصلاح
خير من مجانبتهم اتقاء وان تخالطوهم وتعاشروهم على وجه ينفعهم فاخوانكم اى فهم اخوانكم
اى فى الدّين هو اقوى من العلاقة النسبيّة ومن حقوق الاخوة ومواجبها المخالطة بالاصلاح
والنّفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح العلم بمعنى المعرفة المتعدّية الى
واحد ومن لتضمينه معنى التّمييز اى يعلم من يفسد فى امورهم عند المخالطة او من يقصد بمخالطته
الخيانة والافساد مميّزا له ممّن يصلح فيها او يقصد الاصلاح فيجازى كلا منهما بعمله ففيه وعدٌ و
وعيد خلا انّ فى تقديم المفسد مزيد تهديد وتاكيد للوعيد ولو شاء الله لاعنتكم اى لو شاء
ان يعنتكم اى يكلّفكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقّة لفعل ولم يجوّز لكم مداخلتهم انّ الله
عزيز غالب على امره لا يعزّ عليه امر من الامور التى من جملتها اعناتكم فهو تعليل لمضمون الشّرطيّة
وقوله عزّ وجلّ حكيم اى فاعل لافعاله حسبما يقتضيه الحكمة الدّاعية الى بناء التكليف على اساس

الطّاقه دليل على ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات اى لا تتزوّجوهن وقرئ
بضمّ التّاء من الانكاح اى لا تزوجوهنّ من المسلمين حتّى يؤمنّ والمراد بهنّ اما ما يعمّ الكتابيات
ايضا حسبما يقتضيه عموم التعليلين الاتيين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النّصارى المسيح ابن الله الى قوله تعالى وسبحانه عمّا يشركون فالاية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهى ثابتة وروى انّ رسول الله صلى الله
عليه وسلّم بعث مرثد ابن مرثد الغنوى الى مكّة ليخرج منها ناسًا من المسلمين وكان يهوى
امراة فى الجاهليّة اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام حال بيننا فقالت هل
لك ان تتزوج بى قال نعم ولكن ارجع الى النبى صلى الله عليه وسلم فاستامره فنزلت ولامة مؤمنة
تعليل للنّهى عن مواصلتهن وترغيب فى مواصلة المؤمنات صدّر بلام الابتداء الشبيهة بلام القسم
فى افادة التاكيد مبالغة فى الحمل على انزجار واصل اَمَة اَمَوٌ حذف لامها على غير قياس وعوّض منه
تاء التانيث ودليل كون لامها واوا رجوعها فى الجمع قال الكلابى اما الاماء فلا يدعوننى ولدا اذا
تداعى بنو الاموان بالعار وظهورها فى المصدر يقال هى امة بيّنة الامومة واقرّت له بالاموّة
وقد وقعت مبتداء لما فيها من لام الابتداء والوصف اى ولامة مؤمنة مع ما بها من خساسة
الرّق وقلّة الخطر خير بحسب الدّين والدّنيا من مشركة اى امراة مشركة مع مالها من شرف
الحرّيّة ورفعة الشّان ولو اعجبتكم قد مرّ ان كلمة لو فى امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء
الشئ فى الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه مع
انصباب المعنى على تقديره بل هى لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض
من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدّها منافات له ليظهر بثبوته
معه ثبوته مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولويّة لما انّ الشّئ متى تحقق مع المنافى القوىّ فلان
يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة
للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء
الاحوال على وجه الاجمال كانه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة فى حيّز النّصب على الحالية من
مشركة اذ المال ولامة مؤمنة خير من امراة مشركة حال عدم اعجابها وحال اعجابها ايّاكم
بجمالها ومالها ونسبها وبغير ذلك من مبادى الاعجاب وموجبات الرّغبة فيها اى على كل حال
وقد اقتصر على ذكر ما هو اشدّ منافات للخيريّة تنبيهًا على انّها حيث تحققت معه فلان تحقق مع
غيره اولى وقيل الواو حالية وليس بواضح وقيل اعتراضيّة وليس بسديد والحق انّها عاطفة
مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللّطيف نعم يجوز ان يكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستانفة
مقرّرة لمضمون ما قبلها فتدبّر ولا تنكحوا المشركين من الانكاح والمراد بهم الكفار على الاطلاق
لما مرّ اى لا تزوّجوا منهم المؤمنات سواء كنّ حرائر او اماء حتّى يؤمنوا ويتركوا ما هم فيه

من الكفر **ولعبد مؤمن** مع ما به من ذل المملوكيّة **خير من مشركة** مع ماله من عزّ المالكيّة **ولو**
اعجبكم بما فيه من دواعى الرّغبة فيه الرّاجعة الى ذاته وصفاته **اولئك** استيناف مقرّر لمضمون
التّعليلين المارّين اى اولئك المذكورون من المشركات والمشركين **يدعون** من يقارنهم
ويعاشرهم **الى النّار** اى الى ما يؤدى اليها من الكفر والفسوق فلا بدّ من الاجتناب عن مقارنتهم
ومقاربتهم **والله يدعوا** بواسطة عباده المؤمنين من يقارنهم **الى الجنّة والمغفرة** اى الى الاعتقاد
الحق والعمل الصّالح الموصلين اليهما وتقديم الجنّة على المغفرة مع ان حق التّخلية ان تقدّم على
التّحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء **باذنه** متعلّق بيدعو اى يدعو ملتبسًا بتوفيقه الّذى من جملته
ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم ايّاهم فهم احقّاء بالمواصلة **ويبيّن اياته** المشتملة
على الاحكام الفائقة والحكم الرّائقة **للنّاس لعلّهم يتذكّرون** اى ليتذكّروا ويعملوا بما فيها
فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنّة والغفران هذا وقد قيل معنى والله يدعوا اولياء الله يدعون
وهم المؤمنون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان الضمير
فى المعطوف على الخبر اعنى قوله تعالى ويبيّن الله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو
باحكامه المذكورة الى الجنّة والمغفرة فانها موصوله لمن عمل بها اليهما هذا وان كان مستدعيًا
لاتّحاد مرجع الضّميرين الكائنين فى الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبرًا للمبتداء لكن يفوت
ح من المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك يدعون الى النّار ولعلّ الطريق الاسلم ما اوضحناه
اوّلا وايراد التّذكير ههنا للاشعار بانّه واضح لا يحتاج الى التفكّر كما فى الاحكام السّابقة **و**
يسئلونك عن المحيض عطف على ما تقدّم من مثله ولعلّ حكاية هذه الاسولة الثلثة بالعطف لوقوع
الكل عند السّوال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع كل من ذلك فى وقت على حدة
والمحيض مصدر من حاضت المراة كالمجئ والمبيت روى ان اهل الجاهليّة كانوا لا يساكنون
الحيّض ولا يواكلونهنّ كداب اليهود والمجوس واستمرار الناس على ذلك الى ان سال عن ذلك
ابو الدحداح فى نفر من الصّحابة رضوان الله عليهم اجمعين فنزلت **قل هو اذًى** اى شئ
يستقذر منه ويوذى من يقربه نفرة منه وكراهة له **فاعتزلوا النّساء فى المحيض** اى فاجتنبوا
مجامعتهنّ فى حالة المحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهنّ من بيوتهم فقال ناس
من الاعراب يا رسول الله البرد الشّديد والثياب قليلة فان اثرناهنّ هلك ساير اهل البيت
وان استاثرنا بها هلكت الحيّض فقال صلّى الله عليه وسلّم انّما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهنّ
اذا حضنّ ولم يامركم باخراجهنّ من البيت كفعل الاعاجم وقيل انّ النّصارى كانوا يجامعونهنّ
ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون فى الاعتزال فامر المسلمون بالاقتصاد بين الامرين
ولا تقربوهنّ حتّى يطهرن تاكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهنّ لا عدم
القرب منهنّ وبيان لغايته وهو انقطاع الدّم عند ابى حنيفه رحمه الله فان كان ذلك فى اكثر

المدّة

المدّة حلّ القربان كما انقطع والّا فلا بدّ من الاغتسال او من مضى وقت صلوة وعند الشّافعى رحمه
الله ان يغتسلن بعد الانقطاع كما يفصح عنه القراءة بالتشديد وينبئ عنه قوله عزّ وجلّ **فاذا تطهّرن**
فانّ التّطهر هو الاغتسال **فاتوهنّ من حيث امركم الله** من المأتى الّذى حلله لكم وهو القبل
انّ الله يحبّ التّوابين ممّا عسى يندر منهم من ارتكاب بعض ما نهوا عنه ومن سائر الذنوب **ويحبّ**
المتطهّرين المتنزهين من الفواحش والاقذار وفى ذكر التوبة اشعار بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض
النّاس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التّطهّر **نساؤكم حرث لكم** اى مواضع حرث
لكم شبهن بها لما بين ما يلقى فى ارحامهنّ وبين البذور من المشابهة من حيث ان كلّا منهما مادّة لما يحصل
منه **فاتوا حرثكم** لما عبّر عنهن بالحرث عبّر عن مجامعتهنّ بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فاتوهنّ
من حيث امركم الله **انّى شئتم** من اىّ جهة شئتم روى ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امراته
فى قبلها من دبرها ياتى ولده احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت **وقدّموا**
لانفسكم اى ما يدّخر لكم الثّواب وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة **واتقوا الله**
بالاجتناب عن معاصيه الّتى من جملتها ما عدّ من الامور **واعلموا انّكم ملاقوه** فتعرّضوا لتحصيل
ما تنتفعون به ح واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون به **وبشّر المؤمنين** الّذين تلقوا ما خوطبوا
به من الاوامر والنّواهى بحسن القبول والامتثال بما يقصر عنه البيان من الكرامة والنّعيم المقيم او
بكلّ ما يُبشر به من الامور الّتى تسرّ بها القلوب وتقرّ بها العيون وفيه مع ما فى تلوين الخطاب و
جعل المبشّر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة فى تشريف المؤمنين ما لا يخفى **ولا تجعلوا**
الله عُرضة لايمانكم قيل نزلت فى عبد الله بن رواحه حين حلف الّا يكلّم ختنه بشر بن النّعمن ولا يصلح
بينه وبين اخته وقيل فى الصّديق رضى الله عنه حين حلف الا ينفق على مسطح لخوضه فى حديث الافك
والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون الشئ فيصير حاجزا منه كما يقال
فلان عرضة للوائم فالمعنى على الوجه الاوّل لا تجعلوا الله مانعًا للامور الحسنة التى تحلفون على تركها
وعُبّر عنها بالايمان لملابستها بها كما فى قوله عليه السّلم لعبد الله بن سمرة اذا حلفت عن يمين فرايت
غيرها خيرا منها فات الّذى هو خير وكفّر عن يمينك وقوله تعالى **ان تبرّوا وتتّقوا وتصلحوا بين**
النّاس عطف بيان لايمان او بدل منها لما عرفت انّها عبارة من الامور المحلوف عليها واللام
فى لايمانكم متعلّقة بالفعل او بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض اى لا تجعلوا الله لبرّكم وتقواكم
واصلاحكم بين النّاس عرضة اى برزخًا حاجزا بان تحلفوا به تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة
اى شيئا يعترض الامور المذكورة ويحجزها [بما ذكر] من الحلف به تعالى عن تركها وقد جوّز ان يكون اللّام للتّعليل
ويتعلق ان تبرّوا الخ بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها وانت خبير بان يؤدى الى الفصل بين
العامل ومعموله باجنبىّ وعلى الوجه الثّانى لا تجعلوا الله معرّضا لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به
ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كلّ حلّاف مهين باشنع المذامّ وجعل الحلّاف مقدّمتها وان تبرّوا

علة للنهى اى ارادة ان تبرّوا وتتقوا وتصلحوا الان الحلّاف مجترئ على الله سبحانه غير معظّم له
فلا يكون برّا متقيا ثقة بين النّاس فيكون بمعزل من التوسّط فى اصلاح ذات البين والله سميع اى
يسمع ايمانكم عليمٌ يعلم نيّاتكم فحافظوا على ما كلّفتموه لايواخذكم الله باللّغو فى ايمانكم اللّغو
ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به فى الايمان ما لاعقد معه ولا قصد كما ينبئ عنه
قوله تعالى ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعنىّ بقوله عزّ وجلّ ولكن يواخذكم بما
كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على كلّ شئ يظنّه ما حلف عليه ثم يظهر خلافه
فانه لاقصد فيه الى الكذب وعند الشافعى رحمه الله هو قول العرب لا والله وبلى والله ممّا يؤكدون
به كلامهم من غير اخطار الحلف بالبال فالمعنى على الاوّل لايواخذكم الله اى لايعاقبكم بلغو اليمين
الذى يحلف احدكم ظانا انه صادق فيه ولكن يعاقبكم بما اقترفت قلوبكم من اثم القصد الى الكذب
فى اليمين وذلك فى الغموس وعلى الثّانى لايلزمكم الكفّارة بما لاقصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت
قلوبكم وقصدت به اليمين ولم يكن كسب اللّسان فقط والله غفور حيث لم يواخذكم باللّغو
مع كونه ناشيا من عدم التّثبت وقلّة المبالاة حليم حيث لم يعجل بالمواخذة والجملة اعتراض مقرّر
لمضمون قوله تعالى لايواخذكم الخ وفيه ايذان بان المراد بالمواخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ
هى التى يتعلّق بها المغفرة والحلم دونه للّذين يؤلون من نسائهم الايلاء الحلف وحقه ان
يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد اى للّذين يحلفون متباعدين من نسائهم ويحتمل
ان يراد لهم من نسائهم تربّص اربعة اشهر كقولك لى منك كذا وقرئ آلوا من نسائهم وقرئ
يقسمون من نسائهم والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدًا على التقييد
بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولايكون فيما دون ذلك وحكمه ان ما ايلها فى المدة بالوطى
ان امكن او بالقول ان عجز عنه صح الفيئ وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز
وان مضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظّرف اتساعًا اى لهم
ان ينتظروا فى هذه المدة من غير مطالبته بفيئ او طلاق فان فاؤا اى رجعوا من اليمين بالحنث
والفاء للتفصيل كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الخ والا لم البث الا ريثما
الحول فانّ الله غفور رحيم يغفر للمولى تفيئة التى هى كتوبته اثم حنثه عند تكفير او ما قصد
بالايلاء من ضرار المراة وان عزموا الطّلاق واجمعوا عليه فانّ الله سميع بما جرى منهم من
الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة والمقاولة التى لاتخلو عنها الحال عادة عليم بنياتهم وفيه من
الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لايخفى والمطلّقات اى ذوات الاقراء من الحرائر المدخول
بهنّ لما قد بيّن ان لاعدة على غير المدخول بها وان عدة من لاتحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع
الحمل وان عدة الامة قرآن او شهران يتربّصن خبر فى معنى الامر مفيد للتاكيد باشعاره بان المامور به
ممّا يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به فكانهنّ امتثلن بالامر بالتربص فيخبر به موجودا متحققا وبناؤه

على

على المبتداء مفيد لزيادة تاكيد بانفسهنّ الباء للتعدية اى يقمعنها ويحملنها على ما تشتهيه بل يشق عليها من
التّربص وفيه من يدحث لهنّ على ذلك لما فيه من الانباء عن الاتصاف بما يستنكفن منه من كون
نفوسهنّ طوامح الى الرّجال فيحملنهنّ ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به ثلثة قروء نصب
على الظّرفية او المفعوليّة بتقدير مضاف اى يتربصن مدّة ثلثة قروء او يتربّصن مضى ثلثة قروء
وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل عليه السّلام دعى الصلوة ايّام اقرائك وقوله عليه السلام
طلاق الامة تطليقتان وعدّتها حيضتان وقوله تعالى وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ
ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ ولان المقصود الاصلى من العدّة استبراء الرّحم ومداره الحيض
دون الطّهر ويقال اقرات المراة اذا حاضت وقوله تعالى فطلّقوهنّ لعدّتهنّ معناه مستقبلات
لعدّتهن وهى الحيض الثلث وايراد جمع الكثرة فى مقام جمع القلّة بطريق الاتساع فان ايراد كل من
الجمعين مكان الاخر شائع ذائع وقرئ ثلثة قرو بغير همزة ولايحلّ لهنّ ان يكتمن ما خلق الله
فى ارحامهنّ من الحيض والولد استعجالا فى العدّة وابطالا لحقّ الرّجعة وفيه دليل على قبول
قولهنّ فى ذلك نفيا واثباتا ان كنّ يؤمن بالله واليوم الاخر جواب الشرط محذوف
يدلّ عليه ما قبله دلالة واضحة اى فلا يجترئن على ذلك فان قضيّة الايمان بالله تعالى واليوم
الاخر الّذى يقع فيه الجزاء والعقوبة منافية له قطعًا وبعولتهنّ البعولة جمع بعل وهو فى الاصل
السّيد المالك والتاء لتانيث الجمع كما فى الحزونة والسّهولة او مصدر بتقدير مضاف اى اهل بعولتهنّ
اى ازواجهنّ الذين طلّقهنّ طلاقا رجعيّا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة فالضّمير لبعض افراد
المطلّقات احقّ بردهنّ اى ملكهم بالرّجعة اليهنّ فى ذلك اى فى زمان التّربص وصيغة التفضيل
لافادة ان الرّجل اذا اراد الرجعة والمراة تاباها وجب ايثار قوله على قولها لا ان لها ايضا حقا فى
الرّجعة ان ارادوا اى الازواج بالرجعة اصلاحًا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهنّ ولم يريدوا
مضارتهنّ وليس المراد به شرطية قصد الاصلاح بصحّة الرّجعة بل هو الحث عليه والزّجر عن قصد
الضّرار ولهنّ مثل الّذى لهم عليهنّ بالمعروف من الحقوق الّتى يجب مراعاتها ويتحتّم المحافظة عليها
وللرّجال عليهنّ درجة اى زيادة فى الحقّ لانّ حقوقهم فى انفسهنّ وحقوقهن فى الكفاف وترك
الضّرار ونحوها او مزية فى الفضل لما انّهم قوامون عليهن حراس لهنّ ولما فى ايديهنّ يشاركونهنّ
فيما هو الغرض من الزّواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والانفاق والله عزيز يقدر على الانتقام
ممن يخالف احكامه حكيم ينطوى شرايعه على الحكم والمصالح الطّلاق هو بمعنى التّطليق كالسّلام
بمعنى التسليم والمراد به الرّجعى لما ان السابق الاقرب حكمه ولما روى انه عليه السّلام سئل عن الثالثة
فقال عم او تسريح باحسان وهو مبتداء بتقدير مضاف خبره ما بعده اى عدد الطّلاق الذى
يستحق الزوج فيه الرّد والرجعة حسبما بيّن انفا مرّتان اى اثنان وايثار ما ورد به النظم الكريم
عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرّة بعد مرّة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرّد ثابتًا حينئذ

ايضا فامساك اى فالحكم بعدهما امساك لهنّ بالرّجعة بمعروف اى بحسن عشرة ولطف معاملة او
تسريح باحسان بالطّلقة الثّالثة كما روى عنه صلّى الله عليه وسلّم او بعدم الرّجعة الى ان
تنقضى العدّة فتبيّن وقيل المراد به الطّلاق الشرعى وبالمرّتين مطلق التّكرير لا التثنية بعينها
كما فى قوله تعالى ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ اى كرّة بعد كرّة والمعنى ان التّطليق الشّرعى تطليقة
بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بعد الطّلقتين او الثلث فانّ ذلك بدعة عندنا فقوله نعم
فامساك الخ حكم مبتداء وتخيير مستانف والفاء فيه للترتيب على التّعليم كانّه قيل اذا علمتم
كيفيّة التّطليق فامركم احد الامرين ولا يحلّ لكم ان تاخذوا منهن بقابلة الطّلاق ممّا آتيتموهنّ
اى من الصّدقات وتخصيصها بالذّكر وان شاركها فى الحكم سائر اموالهنّ اما لرعاية العادة او للتنبيه
على انّه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا اما آتوهنّ بمقابلة البضع عند خروجه عن ملكهم فلان لا يحل
ان ياخذوا ممّا لا تعلق له بالبضع اولى واحرى شيئا اى نذرا يسيرا فضلا عن الكثير وتقديم
الظّرف عليه لما مرّ مرارًا والخطاب مع الحكام واسناد الاخذ والايتاء اليهم لانّهم الامرون بهما
عند المرافقه وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك ممّا يشوّش النّظم الكريم على القراءة
المشهورة الّا ان يخافا اى الزوجان وقرئ يظنّا وهو مؤيّد لتفسير الخوف بالظّن الّا يقيما
حدود الله اى ان لا يراعيا مواجب احكام الزّوجيّه وقرئ يُخافا على البناء للمفعول وابدال ان
بصلته من الضّمير بدل الاشتمال وقرى تخافا وتقيما بتاء الخطاب فان خفتم ايها الحكّام ان لا يقيما
اى الزّوجان حدود الله بمشاهدة بعض الامارات والمخايل فلا جناح عليهما اى على الزّوجين
فيما افتدت به لا على الزّوج فى اخذ ما افتدت به ولا عليها فى اعطائه ايّاه روى ان جميلة بنت عبد الله
بن ابىّ بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسى وراسه شئ والله ما اعيب عليه فى دين ولا خلق ولكن اكره
الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا انّى رفعت جانب الخباء فرايته اقبل من عدّة فاذا هو اشدّهم سوادا
واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها ايّاها تلك اى الاحكام
المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة والرّفض ومن يتعدّ حدود الله فاولئك
المتعدّدون والجمع باعتبار معنى الموصول هم الظّالمون اى لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى
وعقابه ووضع الاسم الجليل فى المواقع الثلثة الاخيرة موقع الضمير لتربية المهابة وادخال الرّوعة
وتعقيب النّهى بالوعيد للمبالغة فى التهديد فان طلّقها اى بعد الطّلقتين السابقتين فلا تحلّ
له من بعد اى من بعد هذا الطّلاق حتّى تنكح زوجا غيره اى حتى تتزوج غيره فان النّكاح
ايضا يسند الى كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد والجمهور على اشتراط الاصابة لما روى
ان امرأة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة طلّقنى فبتّ طلاقى وان عبد الرحمن
بن الزبير تزوّجنى وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال صلى الله عليه وسلم اتريدين ان ترجعى الى رفاعة

قالت نعم قال عليه السّلام لا الّا ان تذوقى عُسَيلتَه ويذوق عُسَيلتك وبمثله يجوز الزيادة على الكتاب
وقيل النكاح بمعنى الوطئ والعقد مستفاد من لفظ الزّوج والحكمة من هذا التشريع الرّدع عن المسارعة
الى الطّلاق والعود الى المطلقة ثلثًا والرّغبة فيها والنكاح بشرط التّحليل مكروه عندنا ويروى عدم
الكراهة فيما لم يكن الشّرط مصرحا به وفاسد عند الاكثرين كقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلّل
والمحلّل له فان طلّقها اى الزّوج الثانى فلا جناح عليهما اى على الزّوج الاوّل والمراة ان
يتراجعا ان يرجع كلّ منهما الى الآخر بالعقد ان ظنّا ان يقيما حدود الله التى اوجب مراعاتها
عن الزّوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظّنّ بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولانّ ان الناصبة
للتّوقع المنافى للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة
الى هنا حدود الله اى احكامه المعيّنة المحميّة من التعرّض لها بالتغيير والمخالفة يبيّنها بهذا
البيان اللّائق او سيبيّنها فيما سياتى بناء على ان بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان بالكتاب والسنّة
والجملة خبر ثان عند من يجوز كونه جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حيّة تسعى او حال من حدود الله
والعامل معنى الاشارة لقوم يعلمون اى يفهمون وتخصيصهم بالذّكر مع عموم الدّعوة والتّبليغ لما
انّهم المنتفعون بالبيان اولانّ ما سيلحق بعض النّصوص من البيان لا يقف عليه الّا الرّاسخون فى
العلم واذا طلّقتم النّساء فبلغن اجلهنّ اى آخر عدّتهنّ فانّ الاجل كما ينطلق على المدّة ينطلق على
منتهيها والبلوغ هو الوصول الى الشئ وقد يقال للدنوّ منه اتّساعا وهو المراد ههنا لقوله عزّ وجلّ
فامسكوهنّ بمعروف او سرّحوهنّ بمعروف اذ لا امكان للامساك بعد تحقق بلوغ الاجل اى
فراجعوهنّ بغير ضرار او خلّوهنّ حتّى ينقضى اجلهنّ باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة
للحكم فى بعض صوره اعتناء بشانه ومبالغة فى ايجاب المحافظة عليه ولا تمسكوهنّ ضرارًا
تاكيد للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر صريح عمّا كانوا يتعاطونه اى لا تراجعوهن
ارادة الاضرار بهن كان المطلّق ترك المعتدّة حتى اذا شارفت انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة
بل فيها ليطول عليها العدّة فنهى عنه بعد ما امر بضدّه لما ذكر وضرارا نصب على العلية او الحالية
اى لا تمسكوهنّ للمضارّة او مضارّين واللام فى قوله تعالى لتعتدوا متعلقة بضرارا اى لتظلموهنّ
بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اى ما ذكر من الامساك المؤدى الى الظّلم وما فيه من معنى
البعد للدّلالة على بعد منزلته فى الشرّ والفساد فقد ظلم نفسه فى ضمن ظلمه لهنّ بتعريضها
للعقاب ولا تتخذوا آيات الله المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع آياته وهى داخلة فيها
دخولا اوّليا هزوًا اى مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا فى المحافظة على ما فى تضاعيفها
من الاحكام والحدود من قولهم لمن لم يجد فى الامر انت هازئ كانّه نهى عن الهزء بها واريد ما يستلزمه
من الامر بضدّه اى جدّوا فى الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والّا فقد اخذتموها
هزوا ولعبا ويجوز ان يراد النّهى عن الامساك ضرارًا فان الرّجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب آيات الله

بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزء وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول انما كنت
العب فنزلت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق
والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم حيث هداكم الى مافيه سعادتكم الدينية اى قابلوها بالشكر
والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من نعمة الله اى كائنة عليكم اوصفة لها على
راى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد
بها الانعام لانها اسم مصدر ركنبات من انبت ولا يقدح فى عمله تاء التانيث لانه مبنى عليها كما
فى قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك قد كانوا لنا كالموارد وما انزل عليكم عطف
على نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن فى قوله تعالى من الكتاب والحكمة
بيانية اى من القران والسنة او القران الجامع للعنوانين على العطف لتغاير الوصفين كما فى قوله
الى الملك القرم وابن الهمام وفى ابهامه اولا ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى وفى افراده بالذكر مع كونه
اول ما دخل فى النعمة المامور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة فى البعث على مراعات ماذكر قبله من الاحكام
يعظكم به اى بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معًا واتقوا الله فى شان
المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شئ عليم فلا يخفى عليه شئ مما
تؤتون وما تذرون فيواخذكم بافانين العقاب واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن
فلا تعضلوهن بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان حكم ما كانوا يفعلونه
عند المشارفة اليه والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج و
المراد المنع والخطاب اما للاولياء لما روى انها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته جميلة ان
ترجع الى زوجها الاول بالنكاح وقيل نزلت فى جابر بن عبد الله حين عضل ابنة عم له واسناد التطليق
اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه تصديهم للعضل ولعل التعرض لبلوغ الاجل مع جواز التزوج بالزوج
الاول قبله ايضا لوقوع العضل المذكور حينئذ وليس فيه دلالة على ان ليس للمراة ان تزوج نفسها والا
لما احتيج الى نهى الاولياء عن العضل لما ان النهى لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج
انفسهن لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون
مطلقاتهن ولا يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية واما للناس كافة فان اسناد ما
فعله واحد منهم الى الجميع شايع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان
ذلك من قبل الاولياء او من جهة او من غيرهم وفيه تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان
وقوع ذلك بين ظهرانيهم وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل فى استتباع الائمة وسراية
الغائلة ان ينكحن اى من ان ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف
المشهور وقيل هو بدل اشتمال من الضمير المنصوب فى تعضلوهن وفيه دلالة على صحة النكاح
بعبارتهن ازواجهن ان اريد بهم المطلقون فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون

والا فبالاعتبار الاخير اذا تراضوا ظرف للا تعضلوا وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب
على النساء والتقييد به لانه المعتاد لا لتجويز المنع قبل تمام التراضى وقيل ظرف لان ينكحن وقوله
تعالى بينهم ظرف للتراضى مفيد لرسوخه واستحكامه بالمعروف الجميل عند الشرع المستحسن
عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اى تراضيا
كائنا بالمعروف واما بتراضوا اى تراضوا بما يحسن فى الدين والمروة وفيه اشعار بان المنع من
التزوج بغير كفؤ او بما دون مهر المثل ليس من باب العضل ذلك اشارة الى ما فصل من الاحكام
وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين كما فيما بعده والتوحيد اما باعتبار
كل واحد منهم واما بتاويل القبيل والفريق واما لان الكاف لمجرد الخطاب والفرق بين الحاضر والمنقضى
دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء
للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امرًا لا يكاد يعرفه كل احد يوعظ به من كان يؤمن بالله و
اليوم الاخر فيسارع الى الامتثال باوامره ونواهيه اجلالا له وخوفا من عقابه وقوله تعالى
اما متعلق بكان عند من يجوز عملها فى الظروف وشبهها واما بمحذوف وقع حالا من فاعل يؤمن
اى كائنا منكم ذلكم اى الاتعاظ به والعمل بمقتضاه ازكى لكم اى انمى وانفع واطهر من ادناس الاثام
واوضار الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك او والله يعلم ما فيه
صلاح اموركم من الاحكام والشرايع التى من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمون فدعوا رايكم وامتثلوا
بامره تعالى ونهيه فى كل ما تاتون وما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن شروع فى بيان الاحكام
المتعلقة باولادهن خصوصا واشتراكا وهو امر اخرج مخرج الخبر مبالغة فى الحمل على تحقيق مضمونه
ومعناه الندب او الوجوب ان خص بمادة عدم قبول الصبى ثدى الغير او فقدان الظئر او عجز الوالد
عن الاستيجار والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهن عطفهن نحو اولادهن والحكم عام للمطلقات
وغيرهن وقيل خاص بهن اذ الكلام فيهن حولين كاملين التاكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير
تحقيقى لا تقريبى مبنى على المسامحة المعتادة لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن يتوجه اليه الحكم اى
ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان
الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال ارضعت فلانة لفلان ولده وعلى المولود
له اى الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى المعنى المقتضى لوجوب
الارضاع ومؤنة المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف فى استيجار الام وهو
غير جايز عندنا ما دامت فى النكاح او العدة جايز عند الشافعى رحمه الله بالمعروف حسبما يراه
الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن بالمعروف او تفسير للمعروف
وهو نص على انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافى امكانه لا تضار والدة بولدها ولا
مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقرير له اى لا يكلف كل واحد منهما الاخر ما لا يطيقه ولا يضاره

بسبب ولده وقرئ لاتضار بالرفع بدلا من لاتكلف واصله على القراتين لاتضارر بالكسر على البناء
للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اى لا
يضر الوالدان بالولد فيفرط فى تعهده ويقصر فيما ينبغى وقرئ لاتضار بالسكون مع التشديد على
نية الوقف وبه مع التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه
والتنبيه على انه جدير بان يتفقا على استصلاحه ولا ينبغى ان يضرا به او يتضارا بسببه **وعلى الوارث**
مثل ذلك عطف على قوله تعالى وعلى المولود له رزقهن الخ وما بينهما تعليل وتفسير معترض
والمراد به وارث الصبى ممن كان ذا رحم محرم منه وقيل عصباته وقال الشافعى رحمه الله هو
وارث الاب وهو الصبى اى تمان المرضعه من ماله عند موت الاب ولا انزاع فيه وانما الكلام
فيما اذا لم يكن للصبى مال وقيل الباقى من الابوين من قوله ع م واجعله الوارث منا وذلك اشارة
الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة **فان ارادا** اى الوالدان **فصالا** اى فطاما عن الرضاع
قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد **عن تراض** متعلق بمحذوف ينساق اليه
الذهن اى صادرا عن تراض **منهما** اى من الوالدين لا من احدهما فقط لاحتمال اقدامه على ما يضر
بالولد بان تمل المراة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجر **وتشاور** فى شان الولد وتفحص عن احواله
واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهى استخراج الراى من شرت العسل اذا
استخرجته وتنكيرهما للتفخيم **فلا جناح عليهما** فى ذلك لما ان تراضيهما انما يكون بعد استقرار
رايهما واجتهادهما على ان صلاح الولد فى الفطام وقلما يتفقان على الخطاء **وان اردتم** بيان لحكم عدم
اتفاقهما على الفطام والالتفات الى خطاب الاباء لهزهم الى الامتثال بما امروا به **ان تسترضعوا**
اولادكم بحذف المفعول الاول استغناء عنه اى ان تسترضع المراضع اولادكم يقال ارضعت
المراة الصبى واسترضعتها اياه وقيل انما يتعدى الى الثانى بحرف الجر ايضا كما فى قوله تعالى واذا
كالوهم اى كالوا لهم **فلا جناح عليكم** اى فى الاسترضاع وفيه دلالة على ان للاب ان يسترضع الولد
ويمنع الام من الارضاع **اذا سلمتم** اى الى المراضع **ما اتيتم** اى ما اردتم ايتاءه كما فى قوله تعالى فاذا قرات
القران فاستعذ بالله وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم اى من جهة الله
عز وجل كما فى قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه من يد بعث لهم الى التسليم **بالمعروف**
متعلق بسلمتم اى بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه
وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاليق والاولى فان المراضع اذا اعطين ما قدر
لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل فى استصلاح شؤون الاطفال **واتقوا الله** فى شان مراعات
الاحكام المذكورة **واعلموا ان الله بما تعملون بصير** فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل فى موقع
الاضمار لتربية المهابة وفيه من الوعيد والتهديد ما لا يخفى **والذين** على حذف المضاف اى
وازواج الذين **يتوفون منكم** اى يقبض ارواحهم بالموت فان التوفى هو القبض يقال توفيت مالى

من فلان واستوفيته منه اى اخذته وقبضته والخطاب لكافة الناس بطريق التلوين ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا او على حذف العائد الى المبتداء فى الخبر اى يتربصن
بعدهم كما فى قولهم السمن منوان بدرهم اى منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء اى يستوفون رجالهم
وتانيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون يستعملون التذكير
فى مثلا اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين فى ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا
ثم ان لبثتم الا يوما ولعل الحكمة فى هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلثة اشهر
وان كانت انثى تتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما يضعف
الحركة فلا يحس بها وعموم اللفظ يقتضى تساوى المسلمة والكتابية والحرة والامة فى هذا الحكم ولكن
القياس اقتضى التنصيف فى الامة وقوله عز وجل واولات الاحمال خص الحامل منه وعن على وابن
عباس رضى الله عنهم انها تعتد بابعد الاجلين احتياطا **فاذا بلغن اجلهن** اى انقضت عدتهن
فلا جناح عليكم ايها الائمة الحكام والمسلمون جميعا **فيما فعلن فى انفسهن** من التزيين والتعرض
للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة **بالمعروف** بالوجه الذى لا ينكره الشرع وفيه اشارة الى انهن
لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح **والله بما تعملون خبير** فلا
تعملوا خلاف ما امرتم به **ولا جناح عليكم** خطاب للكل **فيما عرضتم به** التعريض والتلويح ايهام
المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جيتك لاسلم عليك واصله امالة الكلام عن
نهجه الى عرض منه اى جانب والكناية هى الدلالة على الشئ بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل
النجاد للطويل وكثير الرماد للمضياف **من خطبة النساء** الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله
الخاطب من الطلب والاستلطاف بالقول والفعل فقيل هى ماخوذة من الخطب اى الشان الذى له
خطر لما انها شان من الشؤون ونوع من الخطوب وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجرى بين جانب
الرجل وجانب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفات والتعريض بخطبتهن ان يقول لها انك لجميلة
او صالحة او نافقة ومن غرضى ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها
عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح **او اكننتم فى انفسكم** اى اضمرتم فى قلوبكم فلم تذكروه تصريحا
ولا تعريضا **علم الله انكم ستذكرونهن** ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن اظهار الرغبة
فيهن وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت **ولكن لا تواعدوهن سرا** استدراك عن محذوف دل
عليه ستذكرونهن اى فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص لكم من التعريض
والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه الذى هو الوطئ مما يسر به وايثاره على اسمه للايذان بانه
مما ينبغى ان يستر به ويكتم وحمله على الوطئ ربما يوهم الرخصة فى المحظور الذى هو التصريح بالنكاح
وقيل انتصاب سرا على الظرفيه اى لا تواعدوهن فى السر على المراد بذلك المواعدة بما يستهجن وفيه
ما فيه **الا ان تقولوا قولا معروفا** استثناء مفرغ مما يدل عليه النهى اى لا تواعدوهن مواعدة

ننا الامواعدة معروفة غير منكرة شرعا وهى مايكون بطريق التعريض والتلويح او الامواعدة بقول
معروف اولا تواعدوهن بشئ من الاشياء الا ان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء منقطع من
سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك ولا تعزموا عقدة النكاح من عزم
الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام
من الليل وروى لم يبيت الصيام والنهى عنه للمبالغة فى النهى عن مباشرة عقد النكاح اى لا تعزموا
عقد عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اى العدة المكتوبة المفروضة اخرها وقيل
معناه لا تقطعوا عقدة النكاح اى لا تبرموها ولا تلزموها ولا تقدموا عليها فيكون نهيا عن
نفس الفعل لا عن قصده واعلموا ان الله يعلم ما فى انفسكم من ذوات الصدور التى من
جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه بالاجتناب عن العزم ابتداء او اقلاعا عنه بعد تحققه
واعلموا ان الله غفور يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة
فلا تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المواخذة واظهار الاسم الجليل
فى موضع الاضمار لادخال الروعة لا جناح عليكم اى لا تبعة من مهر وهو الاظهر وقيل من
وزر اذ لا بدعة فى الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم يكثر النهى عن الطلاق
فظن ان فيه جناحا فنفى ذلك ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اى ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن
بضم التاء فى جميع المواقع اى مدة عدم مسيسكم اياهن على ان ما مصدرية ظرفية بتقدير المضاف
ونقل ابو البقا انها شرطية بمعنى ان فيكون من باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثانى قيدا
للاول كما فى قولك ان تاتنى ان تحسن الى اكرمك اى ان تاتنى محسنا الى والمعنى ان طلقتموهن غير
ماسين لهن وهذا المعنى اقعد من الاول لما ان ما الظرفية انما يحسن موقعها فيما اذا كان المظروف
امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف اليها من المدة او الزمان كما فى قوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات
والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق ليس كذلك وتعليق
الظرف بنفى الجناح ربما يوهم امكان المسيس بعد الطلاق فالوجه ان يقدر الحال مكان الزمان والمدة
او تفرضوا لهن فريضة اى الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على ان
فريضة فعيلة بمعنى مفعول والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز
ان يكون مصدرا صيغة واعرابا والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل
المسيس على كل حال الا فى حال تسمية المهر فان عليه ح نصف المسمى وفى حال عدم تسميته عليه المتعة لا
نصف مهر المثل واما اذا كان بعد المساس فعليه فى صورة التسمية تمام المسمى وفى صورة عدمها تمام
مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لمدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا
فرض مهر ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى فطلقوهن ومتعوهن والحكمة فى ايجاب
المتعة جبر ايحاش الطلاق وهى درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع

قدره وعلى المقتر قدره اى ما يليق بحال كل منهما وقرئ بسكون الدال وهى جملة مستانفة لا محل
لها من الاعراب مبنية لمقدار المتعة بالنظر الى حال المطلق يسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن
بحذف الرابط اى على الموسع منكم الخ او جعل الالف واللام عوضا من المضاف اليه عند من يجوزه
اى على وسعكم الى اخره وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان اقل فلها الاقل من نصف
مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم متاعا اى تمتيعا بالمعروف اى بالوجه الذى
يستحسنه الشريعة والمروة حقا صفة لمتاعا او مصدر موكد اى حق ذلك حقا على المحسنين
اى الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتع بالمعروف وانما سموا
محسنين اعتبارا للمشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم
لهن فريضة اى وان طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق قبل ذلك
اى عند النكاح مهرا على ان الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق
الرابطة بالنسبة اليهما ونفس الفرض من المبنى للفاعل او للمفعول وان لم يقارن حالة التطليق لكن
اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا ريب فى مقارنته لها وكذا الحال فى اتصاف المطلقة بكونها
مفروضا لها فيما سبق فنصف ما فرضتم اى فلهن نصف ما سميتم لهن من المهر او فالواجب عليكم
ذلك وهذا صريح فى ان المنفى فى الصورة السابقة انما هو تبعة المهر وقرى بالنصب اى فادوا نصف
ما فرضتم ولعل تاخير حكم التسمية مع انها الاصل فى العقد والاكثر فى الوقوع لما ان الاية الكريمة نزلت
فى انصارى تزوج امراة من بنى حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول بها فتخاصما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام عند اظهار ان لا شئ لها متعها بقلنسوتك الا ان
يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى فلهن نصف المفروض معينا فى كل حال الا حال عفوهن
فانه يسقط ذلك ح بعد وجوبه وظاهر الصيغة فى نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما الفرق فى الاعتبار
والتحقيق فان الواو فى الاولى ضمير والنون علامة الرفع وفى الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل
مبنى ولذلك لم يؤثر فيه ان تاثيره فيما عطف على محله من قوله تعالى او يعفو بالنصب وقرى بسكون
الواو الذى بيده عقدة النكاح اى يترك الزوج المالك لعقده وحله ما يعود اليه من نصف المهر
الذى ساقه اليها كاملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمى ذلك عفوا فى صورة
عدم السوق مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه فمرجع الاستثناء ح الى منع الزيادة فى
المستثنى منه كما انه فى الصورة الاولى الى منع النقصان فيه اى فلهن هذا القدر بلا نقصان ولا زيادة
فى جميع الاحوال الا فى حال عفوهن فانه ح يكون لهن الزيادة على ذلك القدر هذا على التفسير الاول
واما على التفسير الثانى فلا بد من المصير الى جعل الاستثناء منقطعا لان فى صورة عفو الزوج لا
يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفى القول القديم للشافعى رحمه الله ان المراد عفو الولى الذى بيده
عقدة نكاح الصغيرة وهو ظاهر الماخذ خلا ان الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى

الخ فان اسقاط حق الصغير ليس فى شئ من التقوى وعن جبير بن مطعم رضى الله عنهما انه تزوج امراة
وطلقها قبل الدخول واكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولاتنسوا الفضل
بينكم اى لاتتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشئ المنسى وقرى بكسر الواو والخطاب فى الفعلين
للرجال والنساء جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ماعملتم من
التفضيل والاحسان حافظوا على الصلوات اى داوموا على ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشئ
منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة للمبالغة ولعل الامر بها فى تضاعيف بيان احكام الازواج
والاولاد قبل الاتمام للايذان بانهما حقيقة بكمال الاعتناء بشانها والمثابرة عليها من غير اشتغال
عنها بشانهم بل بشان انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر بها فى حالة الخوف ولذلك امر بها فى خلال بيان
مايتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة الاخذ بعضها بحجزة بعض والصلوة الوسطى اى المتوسطة
بينها او الفضلى منها وهى صلوة العصر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة
الوسطى صلوة العصر ملاء الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلوة التى شغل عنها سليمان
بن داود عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس فى وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم واجتماع
ملئكة الليل وملئكة النهار ح وقيل هى صلوة الظهر لانها فى وسط النهار وكان اشق الصلوات عليهم
لما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله صلى الله عليه وسلم
افضل العبادات احمزها وقيل هى صلوة الفجر لانها بين صلوتى الليل والنهار والواقعة فى الحد المشترك
بينهما ولانها مشهودة كصلوة العصر وقيل صلوة المغرب لانها متوسطة من حيث العدد ومن حيث
الوقوع بين صلوتى النهار والليل ووتر النهار ولاتنقص فى السفر وقيل هى صلوة العشاء لانها
بين الجهريتين الواقعتين فى طرفى الليل وعن عايشه وابن عباس رضى الله عنهم انه عليه السلام
يقرا والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون ح احدى الاربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما
بالفضل وقرئ وعلى الصلوات الوسطى وقرى بالنصب على المدح وقرئ الوصطى وقوموا لله اى فى
الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى فى القيام لان القنوت هو الذكر فيه وقيل هو اكمال الطاعة واتمامها
بغير اخلال بشئ من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب المراد به القنوت فى الصبح فان
خفتم من عدو او غيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم او رجل بمعنى راجل وقرئ بضم الراء مع
التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا اى راجلا اوركبانا جمع راكب اى فصلوا راجلين
او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولاتخلوا بها ما امكن الوقوف فى الجمله وقد جوز الشافعى رحمه الله
اداءها على المسايفة ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اى فصلوا صلوة الامن عبر عنها
بالذكر لانها معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع وصفا لمصدر محذوف اى ذكرا
كائنا كما علمكم كتصليه اياكم مالم تكونوا تعلمون من كيفية الصلوة والمراد بالتشبيه ان يكون الصلوة
المؤدات موافقة لما علمه الله تعالى وايرادها بذلك لتذكير النعمة او اشكروا الله تعالى شكرا يوازى

تعليمه

تعليمه مالم تكونوا تعلمونه من الشرايع والاحكام التى من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتى الخوف والامن
هذا وفى ايراد الشرطيه الاولى بكلمة ان المفيدة لمشكوكية وقوع الخوف وندرته وتصدير الشرطية
الثانية بكلمة اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز فى جواب الاولى والاطناب فى جواب الثانية
المبنيين على تنزيل مقام وقوع المامور به فيهما منزلة مقام وقوع الامر تنزيلا مستدعيا لاجراء مقتضى
المقام الاول فى كل منهما مجرى مقتضى المقام الثانى من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولى الابصار
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود الى بيان بقية الاحكام المفصلة فيما سلف
اثر بيان احكام وسطت بينها لما اشير اليه من الحكمة الداعية الى ذلك وصية لازواجهم اى يوصون
او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية ويؤيد هذا قراءة من قرا كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ
بالرفع على تقدير مضاف فى المبتداء او الخبر اى حكم الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم
او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب عليهم وصية او عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم
بدل وصية متاعا الى الحول منصوب بيوصون ان اضمرته والا فبالوصية او بمتاع على القراءة
الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كما فى قولك هذا القول غير ماتقول او حال من ازواجهم
او غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار لازواجهم بان يمتعن
بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله تعالى اربعة اشهر
وعشرا فانه وان كان متقدما فى التلاوة متاخر فى النزول وسقطت النفقة بتوريثها الربع او الثمن
وكذلك السكنى عندنا وعند الشافعى رحمه الله هى باقية فان خرجن عن منزل الازواج باختيارهن
فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن فى انفسهن من معروف لاينكره الشرع كالتزين والتطيب
وترك الحداد والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة
مسكن الزوج والحداد من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة مع اخذ النفقة
وبين الخروج مع تركها والله عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعى فى احكامه مصالح
عباده وللمطلقات سواء كن مدخولا بهن او لا متاع اى مطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة
واوجبها سعيد بن جبير وابو العاليه والزهرى للكل وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد
والمراد غير المدخول بهن والتكرير للتاكيد بالمعروف شرعا وعادة حقا على المتقين اى مما لاينبغى
كذلك اى مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم اياته الدالة على احكامه التى شرعها
لعباده لعلكم تعقلون لكى تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل
الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شانهم البديع فان اسماعهم لها بمنزلة الرؤية النظرية او العلمية
او لكل احد ممن له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل احد ان يحمل
على الاقرار برؤيتهم وسماع قصتهم ويعجب بها وان لم يكن ممن راهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام
قد جرى مجرى المثل فى مقام التعجيب لما انه شبه حال غير الراى لشئ عجيب بحال الراى له بناء على

ادّعاء ظهوره من وجلائه بحيث استوى فى ادراكه الشّاهد والغايب ثمّ اجرى الكلام معه كما يجرى
مع الرّاى قصدًا الى المبالغة فى شهرته وعراقته فى التّعجب وتعدية الرّؤية بالى فى قوله تعالى **الى**
الّذين خرجوا من ديارهم على تقدير كونها بمعنى الابصار باعتبار معنى النّظر وعلى تقدير كونها
ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى الم ينته علمك اليهم **وهم الوف** اى الوف كثيرة
قيل عشرة الاف وقيل ثلثون وقيل سبعون الفا والجملة حال من ضمير خرجوا وقوله عزّ وجلّ
حذر الموت مفعول له روى ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطّاعون فخرجوا منها هاربين
فاماتهم الله ثمّ احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفرّ من حكم الله عز سلطانه وقضائه وقيل مرّ عليهم
حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقيه واصابعه تعجبا
ممّا راى من امرهم فاوحى اليه نادهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى فاذا هم قيام يقولون
سبحانك اللّهمّ وبحمدك لا اله الّا انت وقيل هم قوم من بنى اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا
حذرا من الموت فاماتهم الله تعالى ثمانية ايّام ثمّ احياهم وقوله عزّ وجل **فقال لهم الله موتوا** امّا عبارة
عن تعلّق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة فى اقرب وقت
وادناه واسرع زمان واوحاه بامر امر مطاع لمامور مطيع كما فى قوله تعالى انّما امره اذا اراد شيئًا
ان يقول له كن فيكون **ثمّ احياهم** عطف اما على مقدّر يستدعيه المقام اى فماتوا ثم احياهم وانّما
حذف للدلالة على الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلّف مراده تعالى عن ارادته وامّا على قال لما
انّه عبارة على الاماتة وفيه تشجيع للمُسلمين على الجهاد والتعرّض لاسباب الشّهادة وان الموت
حيث لم يكن منه بدّ ولم ينفع منه المفرّ فاولى ان يكون فى سبيل الله تعالى **انّ الله لذو فضل** عظيم
على النّاس قاطبة امّا اولئك فقد احياهم ليعتبروا بما جرى فيفوزوا بالسّعادة العظمى وامّا الّذين
سمعوا قصّتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار **ولكنّ اكثر النّاس لا يشكرون**
اى لا يشكرون فضله كما ينبغى ويجوز ان يراد بالشّكر الاعتبار والاستبصار واظهار النّاس
فى مقام الاضمار لمزيد التّشنيع **وقاتلوا فى سبيل الله** عطف على مقدّر يعيّنه ما قبله كانه قيل فاشكروا
فضله بالاعتبار بما قصّ عليكم وقاتلوا فى سبيله لما علمتم ان الفرار لا ينجى من الحمام وان المقدّر
لا مردّ له فان كان قد حان الاجل فموت فى سبيل الله الله عزّ وجلّ والّا فنظر عزيز وثواب
واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة السّابقين والمتخلفين **عليم** بما يضمرونه فى انفسهم وهو
من وراء الجزاء خيرا وشرّا فسارعوا الى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة **من ذا الّذى**
يقرض الله من استفهاميّة مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل منه
واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الآجل والمراد ههنا امّا الجهاد الّذى هو
عبارة عن بذل النّفس والمال فى سبيل الله عزّ وجل ابتغاء لمرضاته واما مطلق العمل الصّالح المنتظم
له انتظاما اوليا **قرضًا حسنًا** اى اقراضًا مقرونا بالاخلاص وطيب النّفس او مقرضًا حلالا طيّبًا

فيضاعفه

فيضاعفه له بالنّصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانّه فى معنى ايقرضه وقرى بالرّفع اى يضاعف
اجره وجزاؤه وجعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببيّة والمسببيّة ظاهرا
وصيغة المبالغة للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرّفع والنّصب **اضعافا** جمع ضعف ونصبه على انّه حال
من الضمير المنصوب او مفعول بان يضمن المضاعفة معنى التّصيير او مصدر موكّد على انّ الضّعف
اسم للمصدر والجمع للتّنويع **كثيرة** لا يعلم قدرها الّا الله تعالى وقيل الواحد بسبعمائة **والله**
يقبض ويبسط اى يقتر على بعض ويوسع على بعض او يقتر تارة ويوسّع اخرى حسبما يقتضيه مشيّته
المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم كيلا يبدّل احوالكم ولعلّ تاخير البسط عن
القبض فى الذكر للايماء الى انه يعقبه فى الوجود تسلية للفقراء وقرئ يبصط بالصّاد لمجاورة الطّاء
واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدّمتم من الاعمال خيرا وشرّا **الم تر** تقرير وتعجيب كما سبق قطع عنه للايذان
باستقلاله فى التّعجب مع ان له مزيد ارتباط بما وسّط بينهما من الامر بالقتال **الى الملأ من بنى اسرائيل**
الملأ من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرّهط والقوم سمّوا
بذلك لما انهم يملؤن العيون مهابة والمجالس بهاء اولانّهم مليون بما ينبغى منهم ومن تبعيضيّة وما
فى قوله تعالى من بعد موسى ابتدائيّة وعاملهما مقدّر وقع حالا من الملأ اى كائنين بعض بنى
اسرائيل من بعد وفات موسى عليه السلام ولا ضير فى اتّحاد الحرفين لفظا عند اختلافهما معنى
اذ قالوا منصوب بمضمر يستدعيه المقام اى الم تر الى قصّة الملأ او حديثهم حين قالوا **لنبىّ لهم**
هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهما السلام وقيل سمعون بن صفية بن علقمة من ولد
لاوى بن يعقوب عليهما السّلام وقيل اشمويل بن بال ابن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل قال
مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام وقال مجاهد اشمويل بن هلقايا **ابعث لنا ملكًا نقاتل**
فى سبيل الله اى انهض للقتال معنا اميرا نصدر فى تدبير امر الحرب عن رايه وقرئ نقاتل
بالرفع على انّه حال مقدرة اى ابعثه لنا مقدرين القتال او استيناف مبنى على السّوال وقرئ يقاتل
بالياء مجزوما ومرفوعا على الجواب للامر والوصف لملكا قال استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق
اليه الذّهن كانه قيل فاذا قال لهم النبىّ ح فقيل **قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال**
الّا تقاتلوا فصل بين عسى وخبره بالشّرط للاعتناء به اى هل قاربتم الا تقاتلوا كما توقعه منكم
والمراد تقرير ان المتوقع كائن وانّما لم يذكر فى معرض الشرط ما التمسوه بان قيل هل عسيتم ان
نبعث لكم ملكا الخ مع انّه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة فى بيان تخلفهم
عنه فانّهم اذا لم يقاتلوا عند فرضيّة القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا عند عدم فرضيّته
اولا ولان ايراد ما ذكروه ربما يوهم ان سبب تخلّفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال و
قرئ عسيتم بكسر السين وهو ضعيفة **قالوا** استيناف كما سبق **ومالنا الّا نقاتل** اى اىّ سبب
لنا فى الا نقاتل **فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا** اى والحال انّه قد عرض لنا ما يوجب

القتال ايجابا قويّا من الاخراج عن الدّيار والاوطان والاغتراب من الاهل والاولاد وافراد الابناء
بالذكر لمزيد تقوية اسباب القتال وذلك ان جالوت راس العمالقه وملكهم وهو جبار من اولاد عمليق بن عاد
كان هو ومن معه من العمالقه يسكون ساحل بحر الرّوم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل واخذوا
ديارهم وسبوا اولادهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين نفسًا وضربوا عليهم الجزية واخذوا
توراتهم فلمّا كتب عليهم القتال بعد سوال النّبي عليه السّلام ذلك وبعث الملك تولّوا اى اعرضوا
وتخلّفوا لكن لا في ابتداء الامر بل بعد مشاهدة كثرة العدو وشوكته كما سيجئ تفصيله وانّما ذكر
ههنا مآل امرهم اجمالا لاظهار ما بين قولهم وفعلهم من التّنافي والتّباين الّا قليلا منهم وهم الّذين
اكتفوا بالغرفة من النّهر وجاوزوه وهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل بدر والله عليم بالظّالمين
وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي اقوالهم وافعالهم والجملة اعتراض
تذييلي وقال لهم نبيّهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه السّلام وبينهم من الاقوال والافعال
اثر الاشارة الاجماليّة الى مصير حالهم اى قال لهم بعد ما اوحى اليه ما اوحى انّ الله قد بعث
لكم طالوت ملكًا طالوت علم عبريّ كداود وجعله فعلوتا من الطّول يأباه منع صرفه وملكا حال
منه روى انه عليه السلام لمّا دعا ربّه ان يجعل لهم ملكًا اتى بعصًا يقاس بها من يملك عليهم فلم
يساوها الّا طالوت قالوا استيناف كما مرّ انّى يكون له الملك علينا اى من اين يكون وكيف يكون
ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى حالية والثّانية عاطفة
جامعة للجملتين في الحكم اى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحقّ التّملك لوجود من هو احقّ
منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد ان النّبوة كانت مخصوصة
بسبط معيّن من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوى بن يعقوب عليه السّلام وسبط المملكة بسبط
اومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين بل من ولد بنيامين
قيل كان راعيًا وقيل دبّاغا وقيل سقاء قال انّ الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا تملّكه
بسقوط نسبه وبفقره ردّ عليهم ذلك اوّلا بانّ ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره
عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكّن به من معرفة الامور السياسية
وجسامة البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصّه
الله تعالى منهما بحظّ وافر وذلك قوله عزّ وعلا وزاده بسطة في العلم اى العلم المتعلق بالملك او به و
بالديانات ايضا وقيل قد اوحى اليه ونبّئ والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره
براسه ومنكبيه حتى انّ الرّجل القائم كان يمدّ يده فينال راسه وقيل بالجمال وقيل بالقوّة والله
يؤتي ملكه من يشآء لما انّه مالك الملك والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء
من عباده والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم بمن يليق بالملك ممّن لا يليق به واظهار الاسم
الجليل لتربية المهابة واذ قال لهم نبيّهم توسيطه فيما بين قوليه المحكيين عنه عليه السّلام للاشعار

بعدم

١٢٠

بعدم اتّصال احدهما بالآخر وتخلّل كلام من جهة المخاطبين متفرع على السّابق مستتبع للّاحق كانّهم
طلبوا منه عليه السّلام آية تدلّ على انّه تعالى اصطفى طالوت وملّكه عليهم روى انهم قالوا ما آية
ملكه فقال انّ آية ملكه ان يأتيكم التّابوت اى الصندوق وهو فعلوت من التوب الذى
هو الرّجوع لما انّه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاوه مزيدة لغير التّانيث كملكوت ورهبوت
والمشهور ان يوقف على تائه من غير ان تقلب هاء ومنهم من يقلبها اياها والمراد به صندوق التورية
وكان قد رفعه الله عزّ وجلّ بعد وفات موسى عليه السّلام سخطا على بني اسرائيل وكان عنده
الى ان توفي ثمّ تداولته ايدى بني اسرائيل وكانوا اذا اختلفوا في شئ تحاكموا اليه فيكلّمهم ويحكم
بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدّمونه بين ايديهم ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملئكة
تحمله فوق العسكر ثمّ يقاتلون العدوّ فاذا سمعوا في التّابوت صيحة استيقنوا النّصر فلمّا عصوا
وافسدوا سلّط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط
فلمّا اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلّط عليهم البلاء حتّى ان كلّ من بال عنده ابتلى بالبواسير
وهلكت من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه
وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران وقد وكّل الله تعالى بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما
حتى اتوا منزل طالوت فلما سالوا نبيّهم البيّنة على ملك طالوت قال لهم النبيّ انّ آية ملكه
انهم تجدون التّابوت في داره فلمّا وجدوه عنده ايقنوا بملكه فيه سكينة من ربّكم اى في اتيانه
سكون لكم وطمانينة كائنة من ربّكم من ربكم او في التابوت ما تسكنون اليه وهو التورية المودعة
فيه بناء على ما مرّ من انّ موسى عليه السلام اذا قاتل قدّمه فتسكن اليه نفوس بني اسرائيل وقيل
السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت له راس وذنب كراس الهرّة وذنبه وجناحان
فتئن فيزف التابوت نحو العدوّ وهم يمضون معه فاذا استقرّ ثبتوا وسكنوا ونزل النّصر وعن
على رضى الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقيّة ممّا ترك آل موسى وآل
هرون هي رضاض الالواح وعصى موسى وثيابه وشئ من التّورية وكان قد رفعه الله تعالى
بعد وفات موسى عليه السلام والهما وابناؤهما او انفسهما والآل مقحم لتفخيم شانهما او انبياء بني
اسرائيل تحمله الملئكة حال من التابوت اى ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملئكة وقد مرّ كيفيّة
ذلك ولعلّ حمل الملائكة على الرّواية الاخيرة عبارة عن سوقهم للثورين الحاملين له انّ في
ذلك اشارة الى ما ذكر من شان التابوت فهو من تابوت كلام النبي عليه السلام لقومه اوالى
نقل القصّة وحكايتها فهو ابتداء كلام من جهة الله تعالى جئ به قبل تمام القصّه اظهارا لكمال
العناية بها وافراد حرف الخطاب مع تعدّد المخاطبين على التقديرين بتاويل الفريق او غيره كما
سلف لآية عظيمة لكم دالّة على ملك طالوت او على نبوّة محمد صلّى الله عليه وسلم حيث اخبر
بهذه التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر ان كنتم مؤمنين اى مصدّقين بتمليكه عليكم

اوبثي من الايات وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ **فلما فصل طالوت بالجنود** اى انفصل بهم عن بيت المقدس والاصل فصل نفسه فلما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر كانفصل وقيل فصل فصولا وقد جوز كونه اصلا برأسه ممتازا من المتعدى بمصدره كوقف وقوفا وكصد صدودا وصد صدا او رجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلق بمحذوف وقع حالا من طالوت اى ملتبسا بهم ومصاحبا لهم روى انه قال لقومه لا يخرج مع رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغى الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه ممن اختاره ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا ان يجرى الله تعالى لهم نهرا فيعد ما ظهر له ما تعلقت به مشيته تعالى من جهة النبى عليه السلام او بطريق الوحى عند من يقول بنبوته **قال ان الله مبتليكم بنهر** بفتح الهاء وقرى بسكونها **فمن شرب منه** اى ابتداء شربه من النهر بان كرع لان الشرب منه حقيقة **فليس منى** اى من جملتى واشياعى المؤمنين وقيل ليس بمتصل بى ومتحد معى من قولهم فلان منى كانه بعضه لكمال اختلاطهما **ومن لم يطعمه** اى لم يذقه من طعم الشئ اذا ذاقه ماكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا او نوما **فانه منى الا من اغترف غرفة بيده** استثناء من قوله تعالى فمن شرب منه فليس منى وانما اخر من الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناه الرخصة فى اغتراف الغرفه باليد دون الكروع والغرفه ما يغرف وقرئ بفتح الغين على انها مصدر والباء متعلقة باغترف او بمحذوف وقع صفة لغرفة اى غرفة كائنة بيده روى ان الغرفة كانت تكفى الرجل لشربه واداوته ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش **فشربوا منه** عطف على مقدر يقتضيه المقام اى فابتلوا به فشربوا منه **الا قليلا منهم** وهم المشار اليهم فيما سلف بالاستثناء من التولى وقرئ الا قليل منهم ميلا الى جانب المعنى وضربا عن عدوة اللفظ جانبا فان قوله تعالى فشربوا منه فى قوة ان يقال فلم يطيعوه فخف ان يرد المستثنى مرفوعا كما فى قول الفرزدق وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف فان قوله لم يدع فى حكم لم يبق **فلما جاوزه** اى النهر **هو** اى طالوت **والذين امنوا معه** عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا بامنوا وقيل الواو حالية والظرف متعلق بمحذوف وقع خبرا من الموصول كانه قيل فلما جاوزه والحال ان الذين امنوا كائنون معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان **قالوا** اى بعض من معه من المؤمنين لبعض **لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده** اى بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا عن ان يكون لنا غلبة عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقابل شاكى السلاح **قال** استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال لمخاطبيهم فقيل قال **الذين يظنون انهم ملاقوا الله**

قيل اى الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه وافرادهم بذلك الوصف لا ينافى ايمان الباقين فان درجات المؤمنين فى التيقن والتوقع متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير فى قالوا للمنخزلين عنهم كانهم قالوه اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما **كم من فئة** اى فرقة وجماعة من الناس من فأوت راسه اذا شققتها او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعه وعلى الثانى فلة **قليلة غلبت فئة كثيرة** كم خبرية كانت او استفهامية مفيدة للتكثير وهى فى حيز الرفع بالابتداء خبرها غلبت اى كثير من الفئات القليلة غلبت الفئات الكثيرة **باذن الله** اى بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيته تعالى فلا يذل من نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده وقد روعى فى الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل الحاقت بفئة كثيرة حسبما وقع فى كلام اصحابهم مبالغة فى رد مقالتهم وتسكين وهذا كما ترى جواب ناشى من كمال ثقتهم بنصر الله تعالى وتوفيقه ولا دخل فى ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لاسيما بالاستشهاد فان العلم به ربما يورث الياس من الغلبة ولا لتوقع ثوابه تعالى ولا ريب فى ان ما ذكر فى حيز الصلة ينبغى ان يكون مدار الحكم الوارد على الموصول لا اقل من ان يكون وصفا ملائما له فلعل المراد بلقائه تعالى لقاء نصره وتاييده وعبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنته سبحانه حيث قيل **والله مع الصابرين** فان المراد به معية نصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة كما فعل يا باه انهم قالوه تتميما لجوابهم وتاييدا له بطريق الاعتراض التذييلى تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المودى الى الغلبه ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتدا كلام من جهة الله تعالى جئ به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبى او من جهة التابوت والسكينة انهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله تعالى فنحن ايضا نغلب جالوت وجنوده وايراد خبر ان اسما مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه ولما برزوا اى ظهر طالوت ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض فى موطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم عليه من العدد والعدد وايقنوا انهم غير مطيقين بهم عادة **قالوا** اى جميعا عند تقوى قلوب الفريق الاول منهم بقول الفريق الثانى متضرعين الى الله تعالى مستعينين به **ربنا افرغ علينا صبرا** على مقاساة شدايد الحرب واقتحام موارد الصعبة الضيقة وفى التوسل بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال وايثار الافراغ المنبئ عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى **وثبت اقدامنا** فى مداحض القتال ومزال النزال وثبات القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل وقت المقاومة لا مجرد التقرر فى حيز واحد **وانصرنا على القوم الكافرين** بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين فى موضع

الضّمير العايد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلّة النّصر عليهم ولقد راعوا فى الدّعاء ترتيبا بديعًا حيث
قدموا سؤال افراغ الصّبر الّذى هو ملاك الامر ثمّ سؤال تثبيت القدم المتفرع ثمّ سؤال النّصر الّذى
هو العناية القصوى فهزموهم اى كسروهم بلامكث باذن الله بنصره وتاييده اجابة لدعائهم وايثار
هذه الطّريقة على طريقة قوله عزّ وجل فاتاهم الله ثواب الدّنيا الى اخره للمحافظة على مضمون قولهم
غلبت فئة كثيرة باذن الله وقتل داود جالوت كان ايشى ابو داود فى عسكر طالوت معه ستّة
من بنيه وكان داود عليه السّلام سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله الى نبيّهم انّه
الّذى يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مرّ فى طريقه بثلثة احجار قال له كلّ منها احملنا فانك
بنا تقتل جالوت فحملها فى مخلاته قيل لما ابطاء على ابيه خبر اخوته فى المصاف ارسل داود اليهم
لياتيه بخبرهم فاتاهم وهم فى القراع وقد برز جالوت بنفسه الى البراز ولايكاد يبارزه احد وكان
ظلّه ميلا فقال داود لاخوته اما فيكم من يخرج الى هذا الاقلف فزجروه فنحى ناحية اخرى ليس
فيها اخوته وقد مرّ به طالوت وهو يحرض النّاس على القتال فقال له داود ما تصنعون بمن
يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه بنتى واعطيه شطر مملكتى فبرز له داود فرماه بما معه من
الاحجار بالمقلاع فاصاب فى صدره فنفذ الاحجار منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل انّما كلّمه الاحجار
عند بروزه لجالوت فى المعركة فانجز له طالوت ما وعده وقيل انه حسده واخرجه من مملكته
ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عليه السّلام واعطى النّبوّة وذلك
قوله عزّ وجلّ واتاه الله الملك اى ملك بنى اسرائيل فى مشارق الارض المقدّسة ومغاربها والحكمة
اى النّبوة ولم يجتمع فى بنى اسرائيل الملك والنّبوة قبله الّا له بل كان الملك فى سبط والنّبوة فى سبط اخر
وما اجتمعوا قبله على ملك قطّ وعلّمه ممّا يشاء اى ممّا يشاء الله تعالى تعليمه ايّاه لا ممّا يشاء داود
عليه السّلام كما قيل لان معظم ما علمه تعالى ايّاه ممّا لا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع فى امنيّة بشر
ليتمكّن من طلبه ومشيّته كالسرد باء لانه الحديد ومنطق الطّير والدّواب ونحو ذلك من الامور
ولولا دفع الله النّاس بعضهم الذين يباشرون الشرّ والفساد ببعض اخر منهم بردّهم
عمّا هم عليه بما قدّر الله تعالى من القتل كما فى القصّة المحكيّة اوغيره وقرئ دفاع الله على ان
صيغة المبالغة للمبالغة لفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطّلت مصالحها من الحرث والنّسل
وساير ما يعمر الارض ويصلحها وقيل لولا انّ الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض
بعيثهم وقتلهم المسلمين اولو لم يدفعهم بالمسلمين لعمّ الكفر ونزلت السخطه فاستوصل اهل
الارض قاطبة ولكنّ الله ذو فضل عظيم لايقدر قدره على العالمين كافة وهذا اشارة الى قياس
استثنائىّ مؤلف من وضع نقيض المقدّم منتج لنقيض التّالى خلا انّه قد وضع موضعه ما يستتبعه
ويستوجبه اعنى كونه تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضّل فى ذلك الدّفع من غير ان
يجب عليه ذلك وان فضله تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كانّه قيل ولكنّه

تعالى يدفع فساد بعضهم ببعضٍ ولا يفسد الارض وينتظم به مصالح العالم وينصلح احوال الامم
تلك اشارة الى ما سلف من حديث الالوف وخبر طالوت على التفصيل المرقوم وما فيه من
معنى البعد للايذان بعلوّ شان المشار اليه ايات الله المنزلة من عنده تعالى والجملة مستانفة
وقوله تعالى نتلوها عليك اى بواسطة جبرئيل عليه السّلام امّا حال من الايات والعامل
معنى الاشارة وامّا جملة مستقلة لا محلّ لها من الاعراب بالحقّ فى حيّز النّصب على انه حال من
مفعول نتلوها اى ملتبسة باليقين الّذى الذى لايرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب
التّواريخ لما يجدونها موافقه لما فى كتبهم او من فاعله اى نتلوها عليك ملتبسين بالحقّ والصّواب
او من الضّمير المجرور اى ملتبسًا بالحق والصّدق وانّك لمن المرسلين اى من جملة الّذين ارسلوا
الى الامم لتبليغ رسالتنا واجراء اوامرنا واحكامنا عليهم فان هذه المعامله لاتجرى بيننا وبين
غيرهم فهى شهادة منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلّم اثر بيان ما يستوجبها والتّاكيد
من مقتضيات مقام الجاحدين بها تلك الرّسل استيناف فيه رمز الى انّه صلى الله عليه وسلم
من افاضل الرّسل العظام عليهم الصلوة والسلام اثر بيان كونه من جملتهم الاشارة الى الجماعة
الّذين من جملتهم النّبىّ صلى الله عليه وسلّم من افاضل الرّسل العظام عليهم الصّلوة والسّلام اثر
بيان كونه من جملتهم والاشارة الى الجماعة الذين من جملتهم النّبى صلّى الله عليه وسلم فاللام فى المال
للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايذان بعلوّ طبقتهم وبعد منزلتهم وقيل انّ الّذين
ذكرت قصصهم فى السورة وقيل الى الذين ثبت علمه عليه السلام بهم فضّلنا بعضهم على بعض
فى مراتب الكمال بان خصصناهم حسبما يقتضيه مشيتنا بماثر جليلة خلا عنها غيرهم منهم من كلّم الله
تفصيل لتفضيل المذكور اجمالا اى فضله بان كلّمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه السّلام حيث
كلّمه تعالى كما انّه تعالى كلّمه ويؤيده كليم الله بمعنى مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية
المهابة والرّمز الى ما بين التّكليم والرّفع وبين ما سبق من مطلق التّفضيل وما الحقّ من ايتاء البيّنات
والتاييد بروح القدس من التّفاوت ورفع بعضهم درجات اى ومنهم من رفعه على غيره من
الرّسل المتفاوتين فى معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير الاسلوب لتربية ما
بينهم من اختلاف فى درجات الشّرف والظّاهر انّه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه
الاخبار بكونه عليه السّلام منهم فان ذلك فى قوّة بعضهم فانه قد خصّ بالدّعوة العامّة والحجج الجمة
والمعجزات المستمرّة والايات المتعاقبة بتعاقب الدّهور والفضايل العلميّة العمليّة الفايتة للحصر والابهام
لتفخيم شانه وللاشعار بانه العلم الفرد الغنىّ عن التّعيين وقيل انه ابرهيم عليه السلام حيث خصّه
تعالى بكرامة الخلّة وقيل ادريس عليه السّلام حيث رفعه مكانا عليًا وقيل وقيل اولو العزم
من الرسل عليهم السلام واتينا عيسى بن مريم البيّنات الايات الباهرة والمعجزات الظّاهرة من احياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل وايّدناه اى قويناه بروح القدس

بضمّ الدّال وقرئ بسكونها اى بالرّوح المقدّسة كقولك رجل صدقٍ وهى روح عيسى عليه السّلام
وانّما وصفت بالقدس للكرامة اولانّه عليه السّلام لم تضمّنه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل
بجبرئيل عليه السّلام وقيل بالانجيل كما مرّ وافراده عليه السّلام من التّفريط والافراط والاية ناطقة
بان الانبياء عليهم السّلام متفاوتة الاقدار فيجوز تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع ولوشاء الله
ما اقتتل الّذين من بعدهم اى جاؤا من بعد الرّسل من الامم المختلفة اى لوشاء الله عدم اقتتالهم
ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرّسل المتفقة على كلمة الحقّ فمفعول المشية محذوف
لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لوشاء هدى النّاس جميعًا ما اقتتل الخ وليس
بذاك من بعد ما جاءتهم من جهة اولئك الرّسل البيّنات المعجزات الواضحة والايات الظّاهرة الدّالّة
على حقيقة الحقّ الموجبة لاتباعهم الزّاجرة من الاعراض عن سننهم المؤدّى الى الاقتتال فمن متعلقة
باقتتل ولكن اختلفوا استدراك من الشّرطية اشير به الى قياس استثنائى مؤلّف من وضع نقيض
مقدّمها منتج لنقيض تاليها الّا انّه وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدّم المترتّب عليه للايذان
بان الاقتتال ناشئ من قبلهم لامن جهته تعالى ابتداء كانّه قيل ولكن لم يشاء عدم اقتتالهم لانّهم
اختلفوا اختلافا فاحشًا فمنهم من آمن اى بما جاءت به اولئك الرّسل من البيّنات واعملوا به ومنهم
من كفر بذلك كفرا لاارعوا له فاقتضى الحكمة عدم مشيّته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب
اقتضاء احوالهم ولوشاء الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشّقاق
المستتبعين للاقتتال بحسب العادة ما اقتتلوا وما نبض منهم عرق التطاول والتعادى لما ان
الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير ليس للتاكيد كما ظنّ بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس
موجبًا لعدم مشيته تعالى لعدم اقتتالهم كما يفهم ذلك من وضعه فى الاستدراك موضعه بل
هو سبحانه مختار فى ذلك حتّى لوشاء بعد ذلك عدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه الاستدراك
بقوله عزّ وجلّ ولكنّ الله يفعل ما يريد اى من الامور الوجوديّة والعدميّة التى من جملتها عدم مشيّته
عدم اقتتالهم فانّ الترك ايضا من جملة الافعال اى يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان يوجبه
عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بيّن على ان الحوادث تابعة لمشيّته سبحانه خيرا كان
اوشرّا ايمانا كان اوكفرا يا ايّها الّذين آمنوا انفقوا في سبيل الله اى شيئا ممّا
رزقناكم على ان ما موصولة حذف عائدها والتعرض لوصوله منه تعالى للحثّ على الانفاق
كما فى قوله تعالى وانفقوا ممّا جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الانفاق الواجب بدلالة ما بعده
من الوعيد من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلّة ولا شفاعة كلمة من متعلّقة بما تعلّقت
به اختها ولا ضير فيه لاختلاف معنيهما فان الاولى تبعيضيّة وهذه لابتداء الغاية اى انفقوا
بعض ما رزقناكم من قبل ان ياتى يوم لا تقدرون على تلافى ما فرطتم فيه اذ لا تبائع فيه حتّى
تبتاعوا ما تنفقونه وتفتدون به من العذاب ولا خلّة حتّى يسامحكم به اخلاؤكم او يعينوكم عليه

ولا شفاعة الّا لمن اذن له الرّحمن ورضى له قولًا حتّى تتوسّلوا بشفعاء يشفعون لكم فى حطّ ما فى ذمّتكم
وانّما رفعت الثّلاثة مع قصد التّعميم لانّها فى التقدير جواب هل فيه بيع او خلّة او شفاعة وقرئ
بفتح الكلّ والكافرون اى والتّاركون للزّكوة وايثاره عليه للتّغليظ والتّهديد كما فى قوله تعالى
ومن كفر مكان ولم يحج وللايذان بان ترك الزّكوة من صفات الكفّار قال الله تعالى وويل للمشركين
الّذين لا يؤتون الزّكوة هم الظّالمون اى الّذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب ووضعوا المال فى غير
موضعه وصرفوه الى غير وجهه الله لا اله الّا هو مبتداء وخبر اى هو المستحقّ للمعبوديّة لا غير وفى
اضمار خبر لا مثل فى الوجود او يصحّ ان يوجد خلاف للنّحاة معروف الحىّ الباقى الّذى لا سبيل عليه
للموت والفناء وهو امّا خبر ثان او خبر مبتداء محذوف او بدل من لا اله الّا هو او بدل من الله او
صفة له ويعضده القراءة بالنّصب على المدح لاختصاصه بالنّعت القيّوم فيعول من قام بالامر اذا حفظه
اى دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم بذاته المقيم لغيره لا تاخذه سنة ولا نوم
السّنه ما يتقدّم النّوم من الفتور قال عدىّ بن الرّقاع العاملى وسنان اقصده النّاس فرنقت فى عينه
سنة وليس بنائم والنّوم حالة تعرض الحيوان من استرخاء اعصاب الدّماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة
بحيث يقف المشاعر الظّاهرة عن الاحساس راسًا والمراد بيان انتفاء اعتراء شئ منهما له سبحانه لعدم
كونهما من شانه تعالى لا لانّهما قاصران بالنّسبة الى القوّة الالهيّة فانّه بمعزل عن مقام التنزيه فلا
سبيل الى حمل النّظم الكريم على طريقة المبالغة والتّرقى بناء على انّ القادر على دفع السّنه قد لا يقدر
على دفع النّوم القوىّ كما فى قولك فلان يقظ لا تغلبه سنة ولا نوم وانّما تاخير النّوم للمحافظة على ترتيب
الوجود الخارجىّ وتوسيط كلمة لا للتنصيص على شمول النّفى على كلّ منهما كما فى قوله عزّ وجل ولا ينفقون
نفقة صغيرة ولا كبيرة الاية وانّما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الاخذ فلمراعاة
الواقع اذ عروض السنه والنّوم لمعروضهما انّما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب
التكميل والجمله تاكيد لما قبلها من كونه تعالى حيا قيّومًا فان من يعتريه احدهما يكون موف الحيوة
قاصرا فى الحفظ والتّدبير وقيل استيناف مؤكّد لما سبق وقيل حال مؤكدة من الضّمير المستكن فى القيّوم
له ما فى السّموات وما فى الارض تقرير لقيّوميّته تعالى واحتجاج به على تفرّده فى الالوهيّة والمراد بما فيهما ما هو
اعمّ من اجزائهما الدّاخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكّنة فيهما من العقلاء وغيرهم من ذا الّذى
يشفع عنده الّا باذنه بيان لكبرياء شانه وانّه لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريده شفاعة وضراعة
فضلًا من ان يدافعه عنادًا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اى ما قبلهم وما بعدهم
او بالعكس لانّك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضى او امور الدّنيا وامور الآخرة او بالعكس او ما
يحسّونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضّمير لما فى السموات والارض بتغليب ما فيهما
من العقلاء على غيرهم او لما دلّ عليه من ذا الّذى من الملئكة والانبياء عليهم السّلام ولا يحيطون
بشئ من علمه اى من معلوماته الّا بما شاء اى يعلموه وعطفه على ما قبله لما انّهما جميعًا دليل على

تفرّده تعالى بالعلم الذاتى التّام الدّال على وحدانيّته **وسع كرسيّه السّموات والارض** الكرسىّ ما
يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرس الّذى هو الملبّد وليس ثمه
كرسىّ ولا قاعد ولا قعود وانّما هو تمثيل لعظمة شانه عزّ وجلّ وسعة سلطانه واحاطة علمه بالاشياء
قاطبة على طريقة قوله عزّ قائلا وما قدر الله حقّ قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات
مطويّات بيمينه وقيل كرسيّه مجاز عن علمه اخذا من كرسىّ العالم وقيل عن ملكه اخذا من كرسىّ الملك
فان الكرسىّ كلّما كان اعظم يكون عظمة القاعد اكثر واوفر فعبر عن شمول علمه او عن بسطه ملكه
وسلطانه بسعة كرسيه واحاطته بالاقطار العلوية والسفليّه وقيل هو جسم بين يدى العرش محيط
بالسّموات السّبع لقوله عليه الصّلوة والسّلام ما السّموات السبع والارضون السّبع مع الكرسىّ
الا كحلقة فى فلات وفضل العرش على الكرسى كفضل تلك الفلات على تلك الحلقه ولعلّه الفلك
الثّامن وعن الحسن البصرى رحمه الله انه العرش **ولا يؤده** اى لا يثقله ولا يشق عليه **حفظهما**
اى حفظ السّموات والارض وانّما لم يتعرّض لذكر ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه **وهو العلىّ**
المتعالى بذاته عن الاشباه والانداد **العظيم** الّذى يستحقر بالنسبة اليه كل ما سواه ولمّا ترى من
انطواء هذه الاية الكريمة على امّهات المسائل الالهيّة المتعلّقة بالذّات العليّة والصّفات الجليلة
فانها ناطقة بانّه تعالى موجود متفرّد بالالهيّة متّصف بالحيوة واجب الوجود لذاته موجد لغيره
لما انّ القيّوم هو القايم بذاته المقيم لغيره منزه عن التحيّز والحلول مبرّاء عن التغيّر والفتور لا
مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعترى النّفوس والارواح مالك الملك والملكوت
ومبدع الاصول والفروع ذو البطش الشّديد لا يشفع عنده الّا من اذن له فيه العالم وحده بجميع
الاشياء جليها وخفيّها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة لكل ما من شانه ان يملك ويقدر
عليه لا يقدر عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما يناله الاوهام عظيم لا يحدق به
الافهام تفرّدت بفضائل رائقة وخواصّ فائقة خلت عنها اخواتها قال صلى الله عليه وسلم انّ
اعظم اية فى القرآن اية الكرسىّ من قراها بعث الله تعالى ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيّاته الى
الغد من تلك الساعة وقال عليه السّلام ما قرئت هذه الاية فى دار الّا اهجرته الشياطين ثلاثين
يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا على علّمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت
اية اعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسىّ فى دبر كلّ صلوة مكتوبة لم يمنعه من
دخول الجنّة الّا الموت ولا يواظب عليها الّا صدّيق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله
تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وقال عليه الصّلوة والسلام سيّد البشر ادم
وسيّد العرب محمّد ولا فخر وسيّد الفرس سلمان وسيّد الرّوم الصّهيب وسيد الحبشه بلال وسيّد
الجبال الطّور وسيّد الايام يوم الجمعة وسيّد الكلام القران وسيّد القران سورة البقرة وسيّد البقرة
اية الكرسى وتخصيص سيادته صلّى الله عليه وسلم للعرب بالذّكر فى اثناء تعداد السّادات الخاصّة لا يدلّ

على نفى ما دلّت عليه الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عليه السّلام لجميع افراد البشر
لا اكراه فى الدّين جملة مستانفة جئ بها اثر بيان تفرّده سبحانه وتعالى بالشؤن الجليلة الموجبة للايمان
به وحده ايذانا بان من حق العاقل ان لا يحتاج الى التّكليف والالزام بل يختار الدّين الحقّ من غير تردّد
وتلعثم وقيل هو خبر فى معنى النّهى اى لا تكرهوا فى الدّين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفّار
والمنافقين واغلظ عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حضوا انفسهم باداء الجزية وروى انّه
كان لانصارىّ من بنى سالم بن عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلّم ثم قدما المدينة
فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلّم
فنزلت فخلاهما **قد تبيّن الرّشد من الغىّ** استيناف تعليلىّ صدر بكلمة التّحقيق لزيادة تقرير مضمونه
كما فى قوله عزّ وجلّ قد بلغت من لدنّى عذرا اى اذ قد تبيّن بما ذكر من نعوته تعالى التى يمتنع توهم اشتراك
غيره فى شئ منها الايمان الّذى هو الرشد الموصل الى السّعادة الابديّة من الكفر الّذى هو الغىّ المؤدّى
الى الشقاوة السّرمدية **فمن يكفر بالطّاغوت** هو بناء مبالغة من الطّغيان كالملكوت والجبروت قلب
مكان عينه ولامه فقيل هو فى الاصل مصدر واليه ذهب الفارسى رحمه الله وقيل اسم جنس مفرد
مذكر وانّما الجمع والتّانيث لارادة الالهة وهو راى سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب المبرّد
وقيل يستوى فيه الافراد والجمع والتّذكير والتّانيث اى فمن يعمل اثر ما تميّز الحق من الباطل بموجب
الحج الواضحة والايات البيّنة ويكفر بالشّيطان او بالاصنام او بكلّ ما عُبد من دون الله تعالى اوصدّ
عن عبادته تعالى لما تبيّن له كونه بمعزل من استحقاق العباده **ويؤمن بالله** وحده لما شاهد من
نعوته الجليلة المقتضية لاختصاص الالوهيّة به عزّ وجلّ الموجبة للايمان والتّوحيد وتقديم الكفر
بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية متقدّمة على التّحلية **فقد استمسك بالعروة
الوثقى** اى بالغ فى التّمسك بها كانّه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثّبات عليه
لا انفصام لها الفصم الكسر بغير ابانة كما انّ القصم هو الكسر بابانة ونفى الاوّل يدل على انتفاء
الثّانى بالاولويّة والجملة اما استيناف مقرّر لما قبلها من وثاقة العروة وامّا حال من العروة والعامل
استمسك او من الضّمير المستتر فى الوثقى ولها فى حيّز الخبر اى كائن لها والكلام تمثيل مبنى على تشبيه الهيئة
العقليّة المنتزعة من ملازمة الاعتقاد الحقّ الذى لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيّرة
القطعيّة بالهيئة الحسيّة المنتزعة عن التمسّك بالحبل المحكم المامون انقطاعه فلا استعارة فى المفردات
ويجوز ان يكون العروة الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الّذى هو الايمان والتوحيد لا للنّظر الصّحيح
المؤدّى اليه كما قيل فانّه غير مذكور فى حيّز الشّرط والاستمساك بها مستعار لما ذكر من الملازمة او
ترشيحا للاستعارة الاولى **والله سميع** بالاقوال **عليم** بالعزايد والعقايد والجملة اعتراض تذييلىّ
حامل على الايمان رادع من الكفر والنّفاق بما فيه من الوعد والوعيد **الله ولىّ الّذين امنوا**
اى معينهم او متولى امورهم والمراد بهم الّذين ثبت فى علمه تعالى ايمانهم فى الجملة مالًا اوحالًا **يخرجهم**

تفسير للولاية او خبر ثان عند من يجوّز كونه جملة او حال من الضمير في ولى من الظلمات التى هى
اعمّ من ظلمات الكفر والمعاصى وظلمات الشبه بل مما فى بعض مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف
وخفاء بالقياس الى مراتبها القوية الجليلة بل مما فى جميع مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان كما ستعرفه
الى النور الذى يعمّ نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور العيان اى يخرج بهدايته وتوفيقه
كلّ واحد منهم من الظلمة التى وقع فيها الى ما يقابلها من النور وافراد النور لوحدة الحق كما ان جمع
الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا اى الذين ثبت فى علمه تعالى كفرهم اولياؤهم الطاغوت
اى الشياطين وساير المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتداء او اولياؤهم مبتداء ثان والطاغوت
خبره والجملة خبر للاول والجملة الحاصلة معطوفة على ما قبلها ولعلّ تغيير السبك للاحتراز عن
وضع الطاغوت فى مقابلة الاسم الجليل ولقصد المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين
من كل وجه حتى التعبير ايضا يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق الاضلال والاغواء من النور
الفطرى الذى جبل عليه الناس كافة او من نور البينات التى يشاهدونها من جهة النبى صلى الله عليه
عليه وسلّم لتنزيل تمكّنهم من الاستضائة بها منزلة نفسها الى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك فى الغى
وقيل نزلت فى قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير لولاية الطاغوت او خبر ثان كما مرّ واسناد الاخراج
من حيث السببية الى الطاغوت لا يقدح فى استناده من حيث الخلق الى قدرته سبحانه اولئك اشارة الى
الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيّز الصلة وما يتبعه من القبايح اصحاب النار اى ملابسوها وملازموها
بسبب ما لهم من الجرايم هم فيها خالدون ماكثون ابدا الم تر الى الذى حاجّ ابرهيم فى ربه
استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على طريقة قوله تعالى الم تر انهم فى كل
واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها وانما بدئ بهذا لرعاية الاقتران
بينه وبين مدلوله ولاستقلاله بامر عجيب حقيق بان يصدّر به المقال وهو اجتراؤه على المحاجّة فى
الله عز وجل وما اتى بها فى اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيما بعده تعدّدا وتفصيلا يورث
تقديمه انتشار النظم على انه قد اشير فى تضاعيفه الى هداية الله تعالى ايضا بواسطة ابرهيم عليه
السلام فان ما يحكى عنه من الدعوة الى الحق وادحاض حجة الكافر من آثار ولايته تعالى وهمزة الاستفهام
لانكار النفى وتقرير المنفى اى الم تنظر او لم ينته علمك الى هذا الطاغوت المارد كيف تصدّى لاضلال
الناس واخراجهم من النور الى الظلمات اى قد تحققت الرؤية وتقررت بناء على ان امره من الظهور
بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وفى التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان بتاييده فى المحاجّة ان اتاه الله
الملك اى لان اتاه اياه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاجّه لاجله وضعا للمحاجة التى هى اقبح
وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديتنى لان احسنت اليك او وقت ان اتاه الله الملك
وهو حجّة على منع ايتاء الله الملك للكافر اذ قال ابرهيم ظرف لحاجّ او بدل من اتاه على الوجه الاخير

ربى الله يحيى ويميت بفتح ياء ربى وقرئ بحذفها روى انه عليه السلام لما كسر الاصنام سجنه ثم
اخرجه فقال من ربك الذى تدعو اليه قال ربى الذى يحيى ويميت اى يخلق الحيوة والموت فى الاجساد
قال استيناف مبنى على السؤال كانه قيل كيف حاجّه فى هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال انا احيى
واميت روى انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الاخر فقال ذلك قال ابرهيم استيناف كما سلف
كانه قيل فماذا قال ابرهيم لمن فى هذه المرتبة فى المحاجّة وبماذا افحمه فقيل قال فان الله ياتى بالشمس
من المشرق حسبما يقتضيه مشيته فات بها من المغرب ان كنت قادرا على مثل مقدوراته تعالى لم
يلتفت عليه السلام الى ابطال مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى
على احد وان التصدى لابطالها من قبيل السعى فى تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا
للتمويه والتلبيس فبهت الذى كفر اى صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعول
اى فغلب ابرهيم الكافر واسكته وايراد الكفر فى حيّز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون
المحاجة كفرا والله لا يهدى القوم الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اى لا يهدى الذين ظلموا
انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال او الى
سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيمة او كالذى مرّ على قرية استشهاد على ما ذكر من ولايته
تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق ايثارا والفارقة على الواو الجامعة للاحتراز
عن توهم اتحاد المستشهد عليه من اول الامر والكاف اما اسمية كما اختاره قوم جئ بها للتنبيه على
تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر كما فى قولك الفعل الماضى مثل نصر واما زايدة كما ارتضاه
اخرون والمعنى او الم تر الى مثل الذى او الى الذى مرّ على قرية كيف هداه الله تعالى واخرجه من
ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود اى قد رايت ذلك وشاهدته فاذن لا ريب فى ان الله ولى
الذين امنوا الخ هذا واما جعل الهمزة لمجرد التعجيب على ان يكون المعنى فى الاول الم تنظر الى الذى حاجّ
الخ اى انظر اليه وتعجب من امره وفى الثانى او ارايت مثل الذى مرّ الى اخره ايذانا بان حاله وما جرى
عليه فى الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه راى الجمهور فغير خليق بجزالة التنزيل وفخامة شانه
الجليل فتدبر والمارّ هو عزير بن شرخيا قاله قتاده والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن
يزيد والضحاك والسدى وقيل هو ارميا بن حلقيا من سبط هارون عليه السلام قاله وهب وعبيد
الله بن عمر وقيل ارميا هو الخضر بعينه وقال مجاهد كان المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية
بيت المقدس قاله وهب وعكرمه والربيع وقيل هى دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبى هى دير سابراباد
وقال السدى هى دير سلماباد والاول هو الاظهر والاشهر روى ان بنى اسرائيل لما بالغوا فى تعاطى الشرّ
والفساد وجاوزوا فى العتوّ والطغيان كل حدّ معتاد سلط الله تعالى عليهم بخت نصر البابلى فسار اليهم
فى ستمائة الف راية حتى وطئ الشام وخرّب بيت المقدس وجعل بنى اسرائيل اثلاثا ثلث منهم قتلهم
وثلث منهم اقرّهم بالشام وثلث منهم سباهم وكانوا مائة الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك

الذین کانوا معه فاصاب کلّ منهم اربعة غلمة وکان عزیز من جملتهم فلمّا نجاه الله تعالی منهم بعد حین
مرّ بحماره علی بیت المقدس فراه علی افظع مراءٍ واوحش منظر وذلك قوله عزّ وجل وهی خاویة علی
عروشها ای ساقطة علی سقوفها بان سقطت العروش ثم الحیطان من خوی البیت اذا سقط او من
خوت الارض اذا انهدمت والجملة حال من ضمیر مرّ او من قریة عند من یجوّز الحال من النّکرة مطلقًا
قال ای تلهفا علیها وتشوّقا الی عمارتها مع استشعار الیاس عنها انّی یحیی هذه الله وهی علی
ما یری من الحالة العجیبة المباینة للحیوة وتقدیمها علی الفاعل للاعتناء بها من حیث ان الاستبعاد
ناش من جهتها لا من جهة الفاعل وانّی نصب علی الظّرفیّة ان کانت بمعنی متی وعلی الحالیّة من هذه
ان کانت بمعنی کیف والعامل یحیی وایا ما کان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسکان من بقایا
اهلها الّذین تفرّقوا ایدی سبا ومن غیرهم وانّما عبر عنها بالاحیاء الذی هو علم فی البعد عن الوقوع عادة
تهویلا للخطب وتاکیدا للاستبعاد کما انّه لاجله عبّر عن خرابها بالموت حیث قیل بعد موتها
وحیث کان هذا التّعبیر معربا عن استبعاد الاحیاء بعد الموت علی ابلغ وجه واکده اراه الله عزّ وجلّ
ابعد الامرین فی نفسه ثمّ فی غیره ثم اراه ما استبعده صریحا مبالغة فی ازاحة ما عسی
یختلج فی خلده وامّا حمل احیائها علی احیاء اهلها فیاباه التّعرض بحال القریة دون حالهم والاقتصاد
علی ماذکر من موتهم دون کونهم ترابا وعظاما مع کونه ادخل فی الاستبعاد لشدّة مباینته للحیوة وغایة
بعده عن قبولها علی انّه لم یتعلّق ارادته تعالی باحیائهم کما تعلقت بعمارتها ومعاینة المارّ لها کما
ستحیط بها خبرا فاماته الله والبثه علی الموت مائة عام روی انه لمّا دخل القریة ربط حماره فطاف
بها ولم یر بها احدًا فقال ما قال وکانت اشجارها قد اثمرت فتناول من التّین والعنب وشرب
من عصیره ونام فاماته الله تعالی فی منامه وهو شاب وامات حماره وبقیت تینه او عنبه وعصیره
عنده ثم اعمی الله تعالی عنه عیون الخلوقات فلم یره احد فلمّا مضی من موته سبعون سنة وجّه الله
عزّ وجل ملکا عظیما من ملوك فارس یقال له یوشك الی البیت المقدس لیعمره ومعه الف قهرمان
مع کلّ قهرمان ثلثمائة عامل فجعلوا یعمرونه واهلك الله تعالی بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه
ونجی الله مَن بقی من اسرائیل وردهم الی بیت المقدس وتراجع الیه من تفرّق منهم فی الاکناف فعمروه
ثلثین سنة وکثروا وکانوا کاحسن ما کانوا علیه فلمّا تمت المائة من موت عزیر احیاه الله تعالی وذلك
قوله تعالی ثمّ بعثه وایثاره علی احیاه للدلالة علی سرعته وسهولة تاتّیه علی الباری تعالی کانّه بعثه
من النّوم وللایذان بانه اعادة کهیئة یوم موته عاقلا فاهما مستعدا للنّظر والاستدلال قال استیناف
مبنی علی السّؤال کانه قیل فما قال له بعد بعثه فقیل قال کم لبثت لیظهر له عجزه عن الاحاطة بشؤونه
تعالی وان احیاءه لیس بعد مدّة یسیرة ربّما یتوهم انه هین فی الجملة بل بعد مدّة طویلة وینحسم به مادة
استبعاده بالمرة ویطلع فی تضاعیفه علی امر اخر من بدایع اثار قدرته تعالی وهو ابقاء الغذاء المتسارع
الی الفساد بالطبع علی ما کان علیه دهرا طویلا من غیر تغیر مّا وکم نصب علی الظرفیّة ممیّزها محذوف

ای کم وقتا لبثت والقائل هو الله تعالی او ملك مامور بذلك من قبله تعالی قیل نودی من السّماء یا عزیر
کم لبثت بعد الموت قال لبثت یوما او بعض یوم قاله بناء علی التقریب والتخمین او استقصارا المدّة لبثه
وامّا ما یقال من انه مات ضحی وبعث بعد المائة قبیل الغروب فقال قبل النّظر الی الشمس یوما فالتفت
الیها فرای منها بقیّة فقال او بعض یوم علی وجه الاضراب فیمعن عن التحقیق اذ لا وجه للجزم بتمام
الیوم ولو بناء علی حسبان الغروب لتحقق النّقصان من اوّله قال استیناف کما سلف بل لبثت
مائة عام عطف علی مقدّر ای ما لبثت ذلك القدر بل هذا المقدار فانظر لتعاین امرا اخر من دلائل
قدرتنا الی طعامك وشرابك لم یتسنّه ای لم یتغیّر فی هذه المدّة المتطاولة مع تداعیه الی الفساد روی
انه وجد تینه او عنبه کما جنی وعصیره کما عصر والجملة المنفیّة حال بغیر واو کقوله تعالی لم یمسسهم
سوء امّا من الطّعام والشراب وافراد الضّمیر لجریانهما مجری الواحد کالغذاء وامّا من الاخیر اکتفاء
بدلالة حاله علی حال الاوّل ویؤیّده قراءة من قرا وهذا شرابك لم یتسنّ والهاء اصلیّة او هاء سکت
واشتقاقه من السنة لما ان لامها هاء او واو وقیل اصله یتسنن من الحماء المسنون فقلبت نونه حرف
علة کما فی تقضّی البازی وقد جوّز ان یکون معنی لم یتسنه لم یمرّ علیه السّنون الّتی مرت لاحقیقة بل
تشبیها ای هو علی حاله کانّه لم یلبث مائة عام وقری لم یسّنه بادغام التاء فی السّین وانظر الی حمارك کیف
نخرت عظامه وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت لیتبیّن لك ما ذکر من لبثك المدید وتطمئن به نفسك
ولقوله عزّ وجلّ ولنجعلك ایة للنّاس عطف علی مقدّر متعلّق بفعل مقدّر قبله بطریق الاستیناف مقرّر
لمضمون ما سبق ای فعلنا ما فعلنا من احیائك بعد ما ذکر لتعاین ما استبعدته من الاحیاء بعد دهر
طویل ولنجعلك ایة للنّاس الموجودین فی هذا القرن بان یشاهدوك وانت من اهل القرون الخالیة
ویاخذوا منك ما طوی عنهم منذ احقاب من علم التّوراة کما سیاتی او متعلّق بفعل مقدّر بعده ای
ولنجعلك ایة لهم علی الوجه المذکور فعلنا فهو علی التقدیرین دلیل علی ما ذکر من اللبث المدید
ولذلك قرن بینه وبین الامر بالنّظر الی حماره وتکریر الامر فی قوله تعالی وانظر الی العظام مع ان
المراد عظام الحمار ایضا لما ان المامور به اوّلا هو النّظر الیها من حیث دلالتها علی ما ذکر من اللّبث المدید
وثانیا هو النّظر الیها من حیث یعتریها الحیوة ومبادیها ای وانظر الی عظام الحمار لتشاهد کیفیّة الاحیاء
فی غیرك بعد ما شاهدت نفسه فی نفسك کیف ننشزها بالزاء المعجمة ای نرفع بعضها الی بعض ونردها
الی اماکنها من الجسد فنرکبها ترکیبا لائقا بها وقال الکسائی نلیّنها ونعظّمها ولعلّ من فسّر بنحییها
اراد بالاحیاء هذا المعنی وکذا من قرا ننشرها بالراء من انشر الله تعالی الموتی ای احیاها لامعناه الحقیقی
لقوله تعالی ثمّ نکسوها لحما ای نسترها به کما یستر الجسد باللّباس وامّا من قرا ننشرها بفتح النّون
وضمّ الشین فلعلّه اراد به ضدّ الطیّ کما قال الفرّاء فالمعنی کیف نبسطها والجملة اما حال من العظام
ای وانظروا الیها مرکّبة مکسوّة لحما او بدل اشتمال ای وانظر الی العظام کیفیّة انشازها وبسط اللحم
علیها ولعل عدم التعرّض لکیفیّة نفخ الرّوح لما انها ممّا لا یقتضی الحکمة بیانه روی انّه نودی ایتها

العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع كلّ جزء من اجزائها التي ذهب بها الطّير والسّباع وطارت
بها الرّياح من كلّ سهل وجبل فانضمّ بعضها الى بعض والتصق كلّ عضو بما يليق به الضّلع بالضّلع والذراع
بمحلّها والرّاس بموضعها ثم الاعصاب والعروق ثمّ انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور
ثم نفخ فيه الرّوح فاذا هو قائم ينهق **فلمّا تبيّن له** اى ما دلّ عليه الامر بالنّظر اليه من كيفيّة الاحياء
بمباديه والفاء للعطف على مقدّر يستدعيه الامر المذكور وانّما حذف للايذان بظهور تحققه و
استغنائه عن الذّكر وللاشعار بسرعة وقوعه كما في قوله عزّ وجلّ فلمّا راه مستقرًّا عنده بعد قوله
انا اتيك به قبل ان يرتدّ اليك طرفك كانه قيل فانشزها الله تعالى وكساها لحمًا فنظر اليها فتبيّن له
كيفيّته فلمّا تبين له ذلك اى اتضح اتضاحًا تامًّا **قال اعلم انّ الله على كلّ شئ قدير** من الاشياء
التي من جملتها ما شاهده في نفسه وفي غيره من تعاجيب الاثار قدير لا يستعصي عليه امر من الامور
وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله لم يتغيّر ولم يتبدّل بل انما
تبدّل بالعيان وصفه وفيه اشعار بانّه انّما قال ما قال بناء على الاستبعاد العاديّ واستعظامًا
للامر وقد قيل فاعل تبين مضمر يفسّره مفعول اعلم اى فلمّا تبيّن له ان الله على كلّ شئ قدير قال اَعْلم
وقيل اِعْلَمْ على صيغة الامر روى انّه ركب حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر النّاس وانكر
المنازل فانطلق على وهم منه حتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد ادركت من عزير فقال لها
عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكرى عزير فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدًا
قال فاني عزير قالت سبحان الله انّى يكون ذلك قال قد اماتني الله مائة عام ثم بعثني قالت انّ
عزيرا كان رجلا مستجاب الدّعوة فادع الله لي يردّ عليّ بصري حتى اراك فدعا ربه ومسح بين عينيها
فصحّتا فاخذ بيدها فقال لها قومي باذن الله فقامت صحيحة كانّها نشطت من عقال فنظرت اليه
فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلّة بني اسرائيل وهم في انديتهم وكان في المجلس ابن لعزير
قد بلغ مائة وثمانين عشرة سنة وبنو ابنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت
انظروا فاني بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كان لابي شامة
سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر بيت المقدس من
قرا التوراة اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التورية ولا احد يعرف التورية فقراها
عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفًا فقال رجل من اولاد المسببين ممّن ورد بيت المقدس
بعد مهلك بخت نصر حدّثني ابي عن جدي انه دفن التوراة يوم سبينا في خابية في كرم فان اريتموني
كرم جدي اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جدّه ففتشوها فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم عزير عن ظهر
القلب فما اختلفا في حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا
واذ قال ابراهيم دليل اخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظّلمات الى النور وانّما لم
يسلك به مسلك الاستشهاد كما قيل بان يقال او كالذى قال رب الى اخر لجريان ذكره عليه السّلام

في اثناء المحاجة ولانّه لا دخل لنفسه عليه السّلام في اصل الدّليل ككتاب عزير عليه السلام فان ما جرى عليه
من احيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته والظرف منتصب بمضمر صرّح بمثله
في نحو قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء اى واذكر وقت قوله عليه السّلام وما وقع ح من تعاجيب
صنع الله عزّ وجل لتقف على ما مرّ من ولايته تعالى وهدايته وتوجيه الامر بالذّكر في امثال هذه
المواقع الى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعات مع انّها المقصود بالتّذكير لما ذكر غير مرّة من المبالغة
في ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطّريق البرهاني ولانّ الوقت مشتمل عليها مفصّلة
فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذّ عنها شئ ممّا ذكر عند الحكاية او لم يذكر كانّها مشاهدة
عيانًا **ربّ** كلمة استعطاف قدّمت بين يدى الدّعاء مبالغة في استدعاء الاجابة **ارني** من الرّؤية
البصريّة المتعدّية الى واحد وبدخول همزة النّقل طلبت مفعولا اخر هو الجملة الاستفهاميّة المعلّقة
لها فانها تعلّق كما يعلّق النّظر البصري اى اجعلني مبصرًا **كيفَ تحيي الموتى** بان تحييها وانا انظر
اليه وكيف في محلّ نصب على التشبيه بالظّرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش والعامل فيها تحيي
اى في ايّ حال او على ايّ حال تحيي قال القرطبي الاستفهام بكيف انّما هو سؤال عن حال شئ متقرّر الوجود
عند السائل والمسؤل فالاستفهام ههنا على هيئة الاحياء المتقرّر عند السّائل اى بصّرني كيفيّة
احيائك للموتى وانما ساله عليه السلام ليتايّد ايقانه بالعيان ويزداد قلبه اطمئنانا على اطمئنان
وامّا ما قيل من ان نمرود لما قال انا احيي واميت قال ابرهيم عليه السّلام ان احياء الله تعالى بردّ
الارواح الى الاجساد فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على ان يقول نعم فانتقل الى تقرير اخر ثمّ
سال ربّه ان يريه ذلك فيأباه تعليل السّوال بالاطمئنان **قال** استيناف كما مرّ غير مرّة **اولم
تؤمن** عطف على مقدر اى الم تعلم ولم تؤمن باني قادر على الاحياء كيف اشاء حتى تسالني رائه قال
عزّ وعلا وهو اعلم بانّه عليه السّلام اثبت النّاس ايمانًا واقواهم يقينًا ليجيب بما اجاب به فيكون
ذلك لطفًا للسّامعين **قال بلى** علمت وامنت بانك قادر على الاحياء على ايّ كيفيّة شئت **ولكن**
سالت ما سالت **ليطمئنّ قلبي** بمضامة العيان الى الايمان والايقان وازداد بصيرة بمشاهدته
على كيفيّة معيّنة **قال فخذ** الفاء لجواب شرط محذوف اى ان اردت ذلك فخذ **اربعة من الطّير**
قيل هو اسم لجميع طائر كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر وتجر وقيل هو مصدر سمّى به الجنس وقيل
هو تخفيف طيّر بمعنى طائر كهين في هيّن ومن متعلّقة بخذ او بمحذوف وقع صفة لاربعة اى اربعة
كائنة من الطّير قيل هي طاوس وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل الاخير وتخصيص الطّير بذلك
لانّه اقرب الى الانسان واجمع لخواصّ الحيوان ولسهولة تاتي ما يفعل به من التجزية والتفريق وغير
ذلك **فصرهنّ** من صاره يصوره اى اماله وقرئ بكسر الصّاد من صاره يصيره اى املهنّ واضممهنّ
وقرئ فصرهن بضم الصّاد وكسرها وتشديد الرّاء من صرّه يصرّه ويصرّه اذا جمعه وقرئ فصرهنّ
من التصرية بمعنى الجمع اى اجمعهنّ **اليكَ** لتتاملها وتعرف شياتها مفصلة حتى تعلم بعد الاحياء انّ جزءًا

من اجزائها لم ينتقل من موضعه الاوّل اصلا روى انّه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرّق
اجزائها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤسها ثمّ امر بان يجعل اجزائها على الجبال وذلك
قوله تعالى ثمّ اجعل على كلّ جبل منهنّ جُزْءًا اى جزءً هنّ وفرّق اجزاهنّ على ما بحضرتك من
الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل على كلّ جبل ربعًا او سبعًا من كلّ طائر وقرئ جُزُءًا
بضمّتين وجزّا بالتشديد بطرح همزته تخفيفًا ثمّ تشديده عند الوقف ثمّ اجراء الوصل مجرى الوقف ثمّ
ادعهنّ يأتينك فى حيّز الجزم على انه جواب الامر ولكنّه بنى لاتصاله بنون جمع المؤنث سعيًا اى
ساعيّات مسرعات او ذوات سعى طيرانا او مشيا وانّما اقتصر على حكاية اوامره عزّ وجلّ من غير
تعرّض لامتثاله عليه السلام نادى فقال تعالين باذن الله تعالى فجعلَ كلّ جزء منهنّ يطير الى صاحبه
حتى صارت جثثا ثمّ اقبلن الى رؤسهنّ فانضمت كلّ جثة الى راسها فعادت كلّ واحدة منهنّ الى ما
كانت عليه من الهيئة للايذان بان ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلّفها عنها من
الجلاء والظهور بحيث لاحاجة له الى الذّكر اصلا وناهيك بالقصّة دليلا على فضل الخليل ويمن الضراعة
فى الدّعاء وحسن الادب فى السّؤال حيث اراه الله تعالى ماسأله فى الحال على ايسر ما يكون من الوجوه
وارى عزيرا عليه السلام ما اراه بعد ما اماته مائة عام عليهما السّلام واعلم انّ الله عزيز غالب
على امره لا يعجزه شئ عمّا يريده حكيم ذو حكمة بالغة فى افاعيله فليس بناء افعاله على الاسباب العاديّة
لعجزه عن ايجادها بطريق اخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح مثل الّذين ينفقون اموالهم
فى سبيل الله اى فى وجوه الخيرات من الواجب والنّفل كمثل حبّةٍ لابدّ من تقدير مضاف فى احد
الجانبين اى مثل نفقتهم كمثل حبّة او مثلهم كمثل باذر حبّة انبتت سبع سنابل اى اخرجت ساقا فانشعب
منها سبع شعب لكل واحدة منها سنبلة فى كلّ سنبلة مائة حبّة كما يشاهد ذلك فى الذّرة والدّخن
فى الاراضى المغلّة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبّة مجازى كاسناده الى الارض والرّبيع وهذا
التّمثيل تصوير للاضعاف كانّها حاضرة بين يدى النّاظر والله يضاعف تلك المضاعفة او فوقها الى ما
شاء الله تعالى لمن يشاء ان يضاعف له بفضله على حسب حال المنفق من اخلاصه وتبعه ولذلك
تفاوتت مراتب الاعمال فى مقادير الثّواب والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضّل به من الزّيادة عليم
بنيّة المنفق ومقدار انفاقه وكيفيّة تحصيل ما انفقه الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله جملة مبتداءة
جيئ بها لبيان كيفيّة الانفاق الّذى بيّن فضله بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اى ما انفقوه
او انفاقهم منًّا ولا اذًى المنّ ان يعتدّ على من احسن اليه باحسانه ويريه انّه اوجب بذلك عليه
حقا والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه وانّما قدّم المنّ لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدّلالة
على شمول النّفى لاتباع كلّ واحد منهما وثمّ لاظهار علوّ رتبة المعطوف قيل نزلت فى عثمان رضى الله عنه
حين جهّز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه حين
اتى النّبى صلى الله عليه وسلم باربعة الاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالهما شئ من المنّ والاذى لهم

اجرهم اى حسبما وعد لهم فى ضمن التّمثيل وهو جملة من مبتداء وخبر وقعت خبرا من الموصول وفى
تكرير الاسناد وتقييد الاجر بقوله تعالى عند ربّهم من التّاكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن
الفاء المفيدة لسببيّة ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع
المن والاذى امر بيّن لا يحتاج الى التّصريح بالسببيّة واما ايهام انّهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف
بهم اذا فعلوا فيا باه مقام التّرغيب فى الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم فى الدّارين من لحوق
مكروه من المكاره ولا هم يحزنون لفوات مطلوب من المطالب قلّ او جلّ اى لا يعتريهم ما يوجبه
لا انّه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انّه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرّون
على النّشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشيّة استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصارا
للجدّ والسّعى فى اقامة حقوق العبوديّة من خواصّ الخواصّ والمقرّبين والمراد ببيان دوام انتفائهما
لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهم كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما انّ النّفى وان دخل على المضارع
يفيد الدّوام والاستمرار بحسب المقام قول معروف اى كلام جميل يقبله القلوب ولا تنكره يردّ به
السّائل من غير اعطاء شئ ومغفرة اى ستر لما وقع من السّائل من الالحاق فى المسئلة وغيره مما يثقل على
المسئول وصفح عنه وانّما صحّ الابتداء بالنّكرة فى الاوّل لاختصاصها بالوصف وفى الثّانى بالعطف او
بالصّفة المقدّرة اى مغفرة كائنة من المسئول خير اى للسائل من صدقة يتبعها اذًى لكونها مشوبة
بضرر ما يتبعها وخلوص الاوّلين من الضّرر والجملة مستانفة مقرّرة لاعتبار ترك اعتبار المنّ
والاذى وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب الرّدّ الجميل وبعفو السائل بناء على اعتبار
الخيريّة بالنسبة الى المسئول يؤدى الى ان يكون فى الصّدقة الموصوفة بالنسبة اليه خير فى الجملة مع
بطلانها بالمرّة والله غنىّ لا يحوج الفقراء الى تحمل مؤنة المنّ والاذى ويرزقهم من جهة اخرى حليم
لا يعاجل اصحاب المن والاذى بالعقوبة لا انّهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبلها مشتمل
على الوعد والوعيد مقرّر لاعتبار الخيريّة بالنّسبة الى السّائل قطعًا يا ايها الّذين امنوا اقبل
عليهم بالخطاب اثر بيان ما بيّن بطريق الغيبة مبالغة فى ايجاب العمل بموجب النّهى لا تبطلوا صدقاتكم
بالمنّ والاذى اى لا تحبطوا اجرها بواحد منهما كالّذى فى محلّ النّصب امّا على انّه نعت لمصدر
محذوف اى لا تبطلوها ابطالا كابطال الّذى ينفق ماله رياء النّاس واما على انّه حال من فاعل
لا تبطلوا اى لا تبطلوها مشابهين الّذى ينفق اى الّذى يبطل انفاقه بالرّياء وقيل من ضمير المصدر
المقدّر على ما هو راى سيبويه وانتصاب رياء اما على انّه علة لينفق او لاجل ريائهم او على انّه حال
من فاعله اى ينفق ماله مرائيًا والمراد به المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الاخر حتّى
يرجو ثوابا او يخشى عقابا فمثله الفاء لربط ما بعدها بما قبلها اى فمثل المرائى فى الانفاق وحالته
العجيبة كمثل صفوان اى حجر املس عليه تراب اى شئ يسير منه فاصابه وابل اى مطر
عظيم القدرة فتركه صلدًا الملس ليس عليه شئ من الغبار اصلا لا يقدرون على شئ ممّا كسبوا

لا ينفقون بما فعلوا رياء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استيناف
مبنىّ على السوال كانّه قيل فماذا يكون حالهم ح فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما
ذكر كون مثل من يشبههم وهم اصحاب المنّ والاذى كذلك والضّميران الاخيران للموصول باعتبار
المعنى كما فى قوله عزّ وجل وخضتم كالذى خاضوا لما ان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضّماير
الاربعة السّابقة له باعتبار اللّفظ **والله لا يهدى القوم الكافرين** الى الخير والرّشاد والجملة
تذييل مقرّر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بانّ كلا من الرّيا والمنّ والاذى من خصايص الكفار
ولا بدّ للمؤمنين ان يجتنبوها **ومثل الّذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله** اى لطلب
رضاه **وتثبيتا من انفسهم** اى ولتثبيت بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضيّة كما فى قولهم هزّ
من عطفه وحرك من نشاطه فان المال شقيق الرّوح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبّت
بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه فقد ثبّتها كلّها او وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل
انفسهم فمن ابتدائيّة كما فى قوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من
انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة من قرا وتثبيتا من انفسهم
وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النّفس عن البخل وحبّ المال الّذى هو راس كلّ
خطيئة **كمثل جنّة بربوة** الربوة بالحركات الثلث وقد قرئ بها المكان المرتفع اى مثل نفقتهم
فى الزّكاء كمثل بستان كائن بمكان مرتفع مامون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح
الملطفة له فان اشجار الرّبى يكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضى المنخفضة فقلّما تسلم ثمارها
من البرد لكثافة هوائها بركود الرياح وقرئ كمثل حبّة **اصابها وابل** مطر عظيم القطر **فآتت اكلها**
ثمرتها وقرئ بسكون الكاف تخفيفا **ضعفين** اى مثلى ما كانت تثمر فى سائر الاوقات بسبب ما
اصابها من الوابل والمراد بالضّعف المثل وقيل اربعة امثال ونصبه على الحال من اكلها اى مضاعفا
فان لم يصبها وابل فطلّ اى فطلّ يكفيها لجودتها وكرم منبتها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طلّ هو
مطر الصّغير القطرة وقيل فالذى يصيبها طلّ والمعنى ان نفقات هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا
تضيع بحال وان كانت تتفاوت باعتبار ما يقارنها من الاحوال ويجوز ان يعتبر التّمثيل بين حالهم
باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنّة المعهودة باعتبار ما اصابها من
المطر الكثير واليسير فكما ان كلّ واحد من المطرين يضعّف كلّها فكذلك نفقتهم جلّت او قلّت بعد
ان يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى **والله بما تعملون
بصير** لا يخفى عليه شئ منه وهو ترغيب فى الاخلاص مع تحذير من الرّياء ونحوه **ايود احدكم** الود
حبّ الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة لانكار الوقوع كما فى قوله اضرب ابى لا لانكار
الواقع كما فى قولك اتضرب اباك على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلّق به الودّ بل انما هو اصابة
الاعصار وما يتبعها من الاحتراق **ان تكون له جنّة** وقرئ جنّات **من نخيل واعناب** اى كائنة

منهما على ان يكون الاصل والرّكن فيها هذين الجنسين الشّريفين الجامعين لفنون المنافع والباقى من المستتبعات
لا على الا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير كانّ عينى
فى غربى مقتلة من النواضح تسقى جنّة سحقا وعلى الارض المشتملة عليها والاوّل هو الانسب بقوله
عزّ وجل **تجرى من تحتها الانهار** اذ على الثّانى لا بدّ من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها وكذا لا بدّ من
جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سياتى مجازيا والجملة فى محل الرّفع على انها صفة جنّة كما ان قوله تعالى
من نخيل واعناب كذلك او فى محلّ النّصب على انها حال منها لانّها موصوفة **له فيها من كلّ الثّمرات**
الظرف الاوّل خبر والثّانى حال والثالث مبتداء اى صفة للمبتداء قائمة مقامه اى له رزق من كل
الثّمرات كما فى قوله تعالى وما منّا الّا له مقام معلوم اى وما منّا احد الّا له الخ وليس المراد بالثمرات
العموم بل انّما هو التّكثير كما فى قوله تعالى واوتيت من كلّ شئ **واصابه الكبر** اى كبر السّنّ الذى هو
مظنّة شدّة الحاجة الى منافعها ومئنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حاليّة اى وقد
اصابه الكبر **وله ذرّيّة ضعفاء** حال من الضمير فى اصابه اى اصابه الكبر والحال ان له ذرية صغارا
لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادى المعاش وقرئ ضعاف **فاصابها اعصار** اى ريح عاصفة تستدير
فى الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السّماء على هيئة العمود **فيه نار** شديدة **فاحترقت** عطف
على فاصابها وهذا كما ترى تمثيل الحال من يعمل اعمال البرّ والحسنات ويضمّ ما يحبطها من القوادح
ثم لا يجدها يوم القيمة عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا فى التحسّر والتّاسف عليها **كذلك**
توحيد الكاف مع كون المخاطب جمعا قد مرّ وجهه مرارا اى مثل ذلك البيان الواضح الجارى فى
الظّهور مجرى الامور المحسوسة **يبين الله لكم الايات لعلّكم تتفكّرون** كى تتفكّروا فيها وتعتبروا
بما فيها من العبر وتعملوا بموجبها **يا ايها الّذين امنوا انفقوا من طيّبات ما كسبتم** بيان لحال
ما ينفق منه اثر بيان اصل الانفاق وكيفيّته اى انفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن
تنالوا البرّ حتّى تنفقوا ممّا تحبّون **وممّا اخرجنا لكم من الارض** اى من طيّبات ما اخرجنا لكم من الحبوب و
الاثمار والمعادن فحذف لدلالة ما قبله عليه **ولا تيمّموا** بفتح التّاء اصله لا تتيمّموا وقرئ بضمّها و
قرئ ولا تاممّوا والكل بمعنى القصد اى لا تقصدوا **الخبيث** اى الردئ الخسيس وهو كالطّيّب من
الصّفات الغالبة لا تذكر موصوفاتها **منه تنفقون** الجار متعلّق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم
للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمّموا اى لا تقصدوا الخبيث قاصرين الانفاق عليه او من الخبيث
اى مختصا به الانفاق وايّا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه من انفاق الخبيث خاصّة
لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عبّاس رضى الله عنهما انهم كانوا يتصدّقون بحشف التمر و
شراره فنهوا عنه وقيل متعلّق بمحذوف وقع حالا من الخبيث والضّمير للمال المدلول عليه بحسب
المقام او للموصولين على طريقة قوله كانه فى الجلد توليع البهق او للثانى وتخصيصه بذلك لما انّ
التفاوت فيه اكثر وتنفقون حال من الفاعل المذكور اى ولا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او

مما كسبتم وما اخرجنا لكم او ومما اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى **ولستم باخذيه** حال على كل حال من
واو تنفقون والحال انكم لا تاخذونه فى معاملاتكم فى وقت من الاوقات او بوجه من الوجوه **الا**
ان تغمضوا فيه اى الا وقت اغماضكم فيه او الا باغماضكم وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة
يقال اغمض بصره اذا غضه وقرئ على البناء للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض وتدخلوا فيه او توجدوا
مغمضين وقرئ تغمضوا وتغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث
ثم استونف فقيل على طريقة التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال انكم لا تاخذونه الا اذا اغمضتم فيه ومآله
الاستفهام الانكارى فكانه قيل امنه تنفقون الى اخره **واعلموا ان الله غنى** عن انفاقكم
وانما يامركم به لمنفعتكم وفى الامر بان يعلموا ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء
الخبيث وايذان بان ذلك من اثار الجهل بشانه تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطى
ان الاخذ محتاج الى ما يعطيه مضطر اليه **حميد** مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد
والاثابة عليه **الشيطان يعدكم الفقر** الوعد هو الاخبار بما سيكون من جهة المخبر مترتبا على شئ من
زمان او غيره يستعمل فى الشر استعماله فى الخير قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا اى يعدكم
فى الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان
لم يضف مجئ الفقر الى جهته للايذان بمبالغته فى الاخبار بتحقق مجيئه كانه نزله فى تقرر الوقوع منزلة
افعاله الواقعة بحسب ارادته او لوقوعه فى مقابلة وعده تعالى على طريقة المشاكلة وقرئ بضم الفاء
والسكون وبضمتين وبفتحتين **ويامركم بالفحشاء** اى بالخصلة الفحشاء اى ويغريكم على البخل ومنع
الصدقات اغراء الامر للمامور على فعل المامور به والعرب تسمى البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد
ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد وقيل بالمعاصى والسيات **والله
يعدكم** اى فى الانفاق **مغفرة** لذنوبكم والجار فى قوله تعالى **منه** متعلق بمحذوف هو صفة
لمغفرة مؤكدة لفخامتها التى افادها تنكيرها اى مغفرة اى مغفرة كائنة منه عز وجل **وفضلا**
صفته محذوفة لدلالة المذكور عليها كما فى قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظائره اى وفضلا
كائنا منه تعالى اى خلفا مما انفقتم زائدا عليه فى الدنيا وفيه تكذيب للشيطان وقيل ثوابا فى
الآخرة **والله واسع** قدرة وفضلا فيحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه **عليم** مبالغ
فى العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا احتمال للخلف
فى الوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله **يؤتى الحكمة** قال مجاهد الحكمة هى القرآن والعلم والفقه
وروى عن ابن نجيح انها معرفة معانى الاشياء وفهمها وقيل هى معرفة حقايق الاشياء وقيل هى الاقدام
على الافعال الحسنة الصائبة وعن مقاتل انها تفسر فى القرآن باربعة اوجه فتارة بمواعظ القرآن
واخرى بما فيه من عجايب الاسرى ومرة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم
الاحكام المبنية فى تضاعيف الآيات الكريمة من احد الوجهين الاولين ومعنى ايتائها تبيينها والتوفيق

للعلم والعمل بها اى يبينها ويوفق للعلم والعمل بها **من يشاء** من عباده ان يؤتيها اياه بموجب سعة فضله
واحاطة علمه كما اتاكم ما بينه فى ضمن الآى من الحكم البالغة التى عليها يدور فلك منافعكم فاغتنموا و
سارعوا الى العمل بها والموصول مفعول اول ليوتى قدم عليه الثانى للعناية به والجملة مستانفة مقررة
لمضمون ما قبلها **ومن يؤت الحكمة** على بناء المفعول وقرئ على البناء للفاعل اى ومن يؤته الله الحكمة
والاظهار فى مقام الاضمار لاظهار الاعتنار بشانها وللاشعار بعلة الحكم **فقد اوتى خيرا كثيرا**
اى اى خير كثير فان قد خير له خير الدارين **وما يذكر** اى وما يتعظ بما اوتى من الحكمة او وما يتفكر
فيها **الا اولوا الالباب** اى العقول الخالصة من شوائب الوهم والركون الى مشايعة الهوى وفيه من
الترغيب فى المحافظة على الاحكام الواردة فى شان الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض
تذييلى **وما انفقتم من نفقة** بيان لحكم كلى شامل لجميع افراد النفقات وما فى حكمها اثر بيان حكم ما كان
فى سبيل الله وما اما شرطية او موصولة حذف عائدها من الصلة اى وما انفقتموه من نفقة
اى اى نفقة كانت فى حق او باطل فى سر او علانية قليلة او كثيرة **او نذرتم** النذر عقد الضمير على
شئ والتزامه وفعله كضرب ونصر **من نذر** اى نذر كان فى طاعة او معصية بشرط او بغير شرط
متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلوة ونحوهما **فان الله يعلمه** الفاء على الاول داخلة
على الجواب وعلى الثانى مزيدة فى الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على
كون العطف بكلمة او كما فى قولك زيدا وعمرو كرمته ولا يقال اكرمتهما ولهذا صير الى التاويل فى
قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المقدم رعاية للاولية
كما فى قوله عز وعلا واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما فى هذه
الآية الكريمة وفى قوله تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا وحمل النظم على تاويل هما
بالمذكور ونظائره او على حذف الاول ثقة بدلالة الثانى عليه كما فى قوله تعالى والذين يكنزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله وقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى
مختلف ونحوهما مما عطف فيه بالواو الجامعة تعسف مستغنى عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على
تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان التاكيد مضمونها افادة لتحقيق الجزاء اى فانه تعالى
يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد ووعيد **وما للظالمين**
بالانفاق والنذر فى المعاصى وبمنع الصدقات وعدم الوفاء بالنذور او بانفاق الخبيث او بالرياء
والمن والاذى مما ينتظمه معنى الظلم الذى هو عبارة عن وضع الشئ فى غير موضعه الذى يحق
ان يوضع فيه **من انصار** اى اعوان ينصرونهم من باس الله وعقابه لا شفاعة ولا مدافعة وايراد
صيغة الجمع لمقابلة الظالمين اى وما لظالم من الظالمين من نصير من الانصار والجملة استيناف مقرر
لما فيما قبله من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل ما يفعل من الظالمين لتحصيل الاعوان ورعاية
الخلان **ان تبدوا الصدقات فنعما هى** نوع تفصيل لبعض ما اجمل فى الشرطية وبيان له ولذلك

ترك العطف بينهما اى ان تظهروا الصدقات فنعم شئ ابداؤها بعد ان لم يكن رياء وسمعة وقرئ بفتح النون وكسر
العين على الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بكسر النون واخفاء حركة العين وهذا فى الصدقات
المفروضة واما فى صدقة التطوع فالاخفاء افضل وهى التى اريد بقوله تعالى وان تخفوها اى تعطوها
خفية وتؤتوها الفقرآء ولعل التصريح بايتائها الفقراء مع انه واجب فى الابداء ايضا لما ان الاخفاء
مظنة الالتباس والاشتباه فان الغنى ربما يدعى الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك
عند الناس فهو خير لكم اى فالاخفاء خير لكم من الابداء وهذا فى التطوع ومن لم يعرف بالمال واما
فى الواجب فالامر بالعكس لدفع التهمة عن ابن عباس رضى الله عنهما صدقة السر فى التطوع تفضل علانيتها
سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من
سيئاتكم اى والله يكفر او الاخفاء ومن تبعيضية اى شيئا من سيئاتكم كما سترتموها وقيل مزيدة على راى
الاخفش وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما على ان الفعل للصدقات وقرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد
الفاء او على انه خبر مبتداء محذوف اى ونحن نكفر او على انها جملة مبتدأة من فعل وفاعل وقرئ مجزوما
عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان خبير وهو
ترغيب فى الاسرار ليس عليك هديهم اى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان
بما امروا به من المحاسن والانتهاء عما نهوا عنه من القبايح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد
الى الخير والحث عليه والنهى عن الشر والردع عنه بما اوحى اليك من الايات والذكر الحكيم ولكن الله
يهدى هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع
الحق ونحا الخير والجملة معترضة جئ بها على طريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين مبالغة فى حملهم على الامتثال
فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبى صلى الله عليه وسلم موذن بوجوبه عليهم حسبما
ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقراء المسلمين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين
عن التصدق على المشركين كى يحملهم الحاجة على الدخول فى الاسلام فنزلت اى ليس عليك هدى
من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم فى الاسلام فلا التفات ح فى الكلام وضمير الغيبة للمعهودين
من فقراء المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقون من خير على الاول التفات من الغيبة
الى خطاب المكلفين لزيادة هزهم نحو الامتثال وعلى الثانى تلوين للخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه
عن النبى صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة
بمحذوف وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اى اى شئ تنفقوا كائن من مال فلانفسكم اى فهو
لانفسكم اى لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث اذ منعه الدينى لكم
لا لغيركم من الفقراء حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من فقراء المشركين وما تنفقون الا
ابتغاء وجه الله استثناء من اعم العلل واعم الاحوال اى ليست نفقتكم لشئ من الاشياء الا ابتغاء

وجه الله

وجه الله او ليست فى حال من الاحوال الا حال ابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذى
لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل هو نفى فى معنى النهى وما تنفقوا من خير يوف اليكم اى اجره وثوابه
اضعافا مضاعفة حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم فى ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها
فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة او يوف اليكم ما يخلفه وهو من نتايج دعائه عليه السلام بقوله
اللهم اجعل لمنفق خلفا وللممسك تلفا وقيل حجت اسما بنت ابى بكر رضى الله عنهما فاتتها امهات لها
وهى مشركة فابت ان تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين
وروى ان ناسا من المسلمين كانت لهم اصهار فى اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام
فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت وهذا فى غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر
وان كان ذميا وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا مما وعدتم من الثواب المضاعف او من الخلف
للفقرآء متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام كما فى قوله عز وجل فى تسع ايات الى فرعون اى اعمد للفقراء
او صدقاتكم الذين احصروا فى سبيل الله بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا
فى الارض اى ذهابا فيها للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة رضوان الله عليهم اجمعين كانوا نحوا
من اربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا
يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم اغنياء من التعفف
اى من اجل تعففهم عن المسئلة تعرفهم بسيماهم اى تعرف فقرهم واضطرارهم بما تعاين منهم من الضعف
ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب مبالغة فى
بيان وضوح فقرهم لا يسالون الناس الحافا اى الحاحا وهو ان يلازم السائل المسئول حتى يعطيه
من قولهم لحفنى من فضل لحافه اى اعطانى من فضل ما عنده والمعنى لا يسالونهم شيئا وان سالوا
لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفى لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله على لا حب لا يهتدى لمناره
اى لا منار ولا اهتداء وما تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزاء فهو ترغيب
فى التصدق لا سيما على هؤلاء الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت فى شان الصديق رضى الله عنه حيث
تصدق باربعين الف دينار عشرة الاف منه بالليل وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية
وقيل فى على كرم الله وجهه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق كل واحد منها على وجه من
الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية للايذان بمزية الاخفاء على الاظهار
وقيل فى رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة على
سببية ما قبلها لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف ومنهم الذين الخ ولذلك جوز الوقف على علانية
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين ياكلون الربوا اى ياخذونه والتعبير
عنه بالاكل لما انه معظم ما قصد به ولشيوعه فى المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزياده

فى المقدار او فى الاجل حسبما فصّل فى كتب الفقه وانّما كتب بالواو كالصّلوة على لغة من يفخّم فى امثالها
وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لايقومون الّا من قبورهم اذا بعثوا الّا كما يقوم الّذى يتخبّطه
الشّيطان اى الّا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون انّ الشّيطان يخبط الانسان فيصرع
والخبط الضّرب بغير استواء كخبط العشواء من المسّ اى الجنون وهذا ايضا من زعماتهم ان الجنّى يمسّه
فيختلط عقله فلذلك يقال جُنّ الرّجل وهو متعلّق بما قبله من الفعل المنفى اى لايقومون من
المسّ الّذى بهم بسبب اكلهم الرّبوا او بيقوم او بيتخبّط فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصروعين
لا لاختلال عقولهم بل لانّ الله تعالى اربى فى بطونهم ما اكلوا من الرّبوا فاثقلهم فصاروا مخبّلين
ينهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم
وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بفظاعة المشار اليه بانّهم قالوا انّما البيع مثل
الرّبوا اى ذلك العقاب بسبب انّهم نظموا الرّبوا والبيع فى سلك واحد لافضائهما الى الرّبح
فاستحلّوه استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا
الرّبوا اصلا فى الحلّ وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين فى الاوّل ضائع
حتمًا وفى الثّانى منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقّع رواجها واحلّ الله البيع وحرّم الرّبوا
انكار من جهة الله تعالى لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه فى مقابلة النّص مع ما اشير اليه من
عدم الاشتراك فى المناط والجملة ابتدائيّة لامحلّ لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اى فمن بلغه
وعظ وزجر كالنهى عن الرّبوا وقرئ جائته من ربّه متعلّق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة
والتّعرض لعنوان الرّبوبيّة مع الاضافة للاشعار بكون مجئ الموعظه للتربية فانتهى عطف على
جاءه اى فاتعظ بلا تراخ وتبع النّهى فله ما سلف اى ما تقدّم اخذه التحريم ولا يستردّ منه وما مرتفع
بالظّرف ان جعلت من موصوله وبالابتداء ان جعلت شرطيّة على راى سيبويه لعدم اعتماد الظّرف
على ما قبله وامره الى الله مجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة وصدق النيّة وقيل يحكم
فى شانه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد اى الى تحليل الرّبوا فاولئك اشارة الى من عاد والجمع باعتبار
المعنى كما ان الافراد فى عاد باعتبار اللّفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم فى الشرّ والفساد
اصحاب النّار اى ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدًا والجملة مقرّرة لما قبلها يمحق الله
الرّبوا اى يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه ويربى الصّدقات يضاعف ثوابها ويبارك
فيها ويزيد المال الذى اخرجت منه الصّدقه روى عنه صلى الله عليه وسلم انّ الله يقبل الصّدقة
ويربيها كما يربى احدكم مهره وعنه عليه السّلام ما نقصت زكوة من مال قطّ ان الله لايحبّ اى لايرضى
لانّ الحبّ مختصّ بالتّوابين كلّ كفّار مصرّ على تحليل المحرّمات اثيم منهمك فى ارتكابه انّ الّذين
امنوا بالله ورسوله وبما جاءهم به وعملوا الصّالحات واقاموا الصّلوة واتوا الزّكوة تخصيصهما
بالذكر مع اندراجهما فى الصّالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصّالحة على طريقة ذكر جبرئيل وميكائيل

عقيب

عقيب الملئكة عليهم السلام لهم اجرهم جملة من مبتداء وخبر واقعة خبرا لانّ اى اجرهم الموعود لهم وقوله
تعالى عند ربّهم حال من اجرهم وفى التّعرض لعنوان الرّبوبيّة مع الاضافة الى ضميرهم مزيد لطف
وتشريف لهم ولا خوف عليهم من مكروهات ولا هم يحزنون من محبوبات فات يا ايّها الّذين
امنوا اتّقوا الله اى قوا انفسكم عقابه وذروا ما بقى من الرّبوا اى واتركوا بقايا ما شرطتم منه
على النّاس تركا كليّا ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتّه وهو
شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اى ان كنتم مؤمنين فاتّقوه وذروا الى اخره روى انّه كان لثقيف
مال على بعض قريش فطالبوهم عند المحلّ بالمال والرّبوا فنزلت فان لم تفعلوا اى ما امرتم به
من الاتّقاء وترك البقايا اومع انكار حرمته وامّا مع الاعتراف بها فاذنوا بحرب من الله
ورسوله اى فاعلموا بها من اذن بالشّئ اذا علم به امّا على الاوّل فكحرب المرتدين وامّا على الثّانى فكحرب
البغاة وقرئ فاذنوا اى فاعلموا غيركم قيل هو من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ
فايقنوا وهو مؤيّد لقراءة العامّة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلّقة بمحذوف وقع صفة لها مؤكّدة
لفخامتها اى بنوع من الحرب عظيم لايقادر قدره كائن من عند الله تعالى ورسوله روى انّها لمّا نزلت
قالت ثقيف لايدى لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء مع الايمان بحرمتها بعد ما
سمعتموه من الوعيد فلكم رؤس اموالكم لاتاخذونها كملا لاتظلمون غرمائكم باخذ الزيادة و
الجملة امّا مستانفة لامحلّ لها من الاعراب او حال من الضّمير فى لكم والعامل ما تضمنه الجارّ من الاستقرار
ولا تظلمون عطف على ما قبله اى لاتظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنّقص ومن ضرورة تعليق هذا
الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند عدمها لانّ عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون وما لهم
المكسوب فى حال الرّدة فئ للمسلمين عند ابى حنيفه رحمه الله وكذا سائر اموالهم عند الشّافعى رحمه
الله وعندنا هو لورثتهم ولا شئ لهم على كلّ حال وان كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة
فهو على شرف القتل لم تسلم لهم رؤسهم فكيف برؤس اموالهم والّا فكذلك ابن عبّاس رضى الله
عنهما فانّه يقول من عامل الرّبوا يستتاب والّا ضرب عنقه وامّا عند غيره فهم محبوسون الى ان
يظهر توبتهم لايمكنون من التّصرفات اصلا فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شئ من اموالهم بل انّما يسلم الى ورثتهم
لورثتهم وان كان ذو عسرة اى ان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان تامّة وقرئ ذا عسرة
على انّها ناقصة فنظرة اى فالحكم نظرة او فعليكم نظرة او فليكن نظرة وهى الانظار والامهال وقرئ
فناظره اى فالمستحق ناظره اى منتظره او فصاحب نظرته على طريق حسب النّسب وقرئ فناظره امرا من
المفاعلة اى فسامحه بالنّظرة الى ميسرة اى الى يسار وقرئ بضمّ السّين وهما لغتان كمشرقة ومشرقه
وقرئ بهما مضافين بحذف التّاء عند الاضافة كما فى قوله واخلفوك عدا الامر الذى وعدوا وان تصدّقوا
بحذف احدى التّائين وقرئ بتشديد الصّاد اى وان تتصدقوا على معسرى غرمائكم بالابراء خير لكم
اى اكثر ثوابا من الانظار او خير ممّا تاخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه فهو ندب الى ان يتصدقوا برؤس

اموالهم كلا او بعضا على غرمائهم المعسرين كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدّق
الانظار لقوله عليه الصلوة والسّلام لايحل دين رجل مسلم فيوخّره الّا كان له بكلّ يوم صدقة ان كنتم
تعلمون جوابه محذوف اى ان كنتم تعلمون انّه خير لكم عملتموه واتقوا يومًا هو يوم القيمة وتنكيره
للتفخيم والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة فى التحذير عمّا فيه من الشّدايد والاحوال ترجعون فيه
على البناء للمفعول من الرّجع وقرئ على البناء للفاعل من الرّجوع والاوّل ادخل فى التهويل وقرئ بالياء
على طريق الالتفات وقرئ تردون وكذا تصيرون الى الله لمحاسبة اعمالكم ثم توفّى كلّ نفس من
النّفوس والتعميم للمبالغة فى تهويل اليوم اى تعطى كملا ما كسبت اى جزاء ما عملت من خير او شرّ
وهم لا يظلمون حال من كلّ نفس تفيد ان المعاقبين وان كانت عقوباتهم موبّدة غير مظلومين
فى ذلك لما انّه من قبل انفسهم وجمع الضّمير لانه انسب بحال الجزاء كما ان الافراد اوفق بحال الكسب
عن ابن عبّاس رضى الله عنهما انّها آخر اية نزل لجبرئيل عم وقال ضعها فى راس المائتين والثمانين
من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يومًا وقيل احدا وثمانين و
قيل سبعة ايّام وقيل ثلاث ساعات يا ايّها الّذين آمنوا اذا تداينتم بدين شروع
فى بيان حال المداينة الواقعة فى تضاعيف المعاوضات الجارية فيما بينهم ببيع السّلع بالنّقود بعد
بيان حال الربوا اى اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او اخذا وفائدة ذكر الدّين دفع توهم
كون التّداين بمعنى المجازات والتنبيه على تنوعه الى الحال والمؤجّل وانّه الباعث على الكتبة وتعيين
المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر الى اجل متعلّق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة لدين مسمًّى
بالايّام او الاشهر ونظائرهما ممّا يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما ممّا لا يرفعها
فاكتبوه اى الدّين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع والجمهور على استحبابه وعن ابن عبّاس رضى الله
عنهما ان المراد به السلم وقال لمّا حرّم الله الرّبوا اباح فى السّلف وليكتب بينكم كاتب بيان
لكيفيّة الكتابة المامور بها وتعيين لمن يتولاها اثر امرها اجمالا وحذف المفعول امّا لتعيّنه او
للقصد الى ايقاع نفس الفعل اى افعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب ينبغى ان يتوسّط
بين المتداينين ويكتب كلاهما ولا يكتفى بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل متعلق بمحذوف هو صفة
لكاتب اى كاتب كائن بالعدل اى وليكن المتصدى للكتابة من شانه ان يكتب بالسّوية من غير ميل
الى احد الجانبين لا يزيد ولا ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه ديّن حتّى يجئ كتابه موثقا به
معدّلا بالشّرع ويجوز ان يكون حالا منه اى ملتبسًا بالعدل وقيل متعلّق بالفعل اى وليكتب بالحقّ
ولا ياب كاتب اى ولا يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدّين كما علّمه الله على طريقة ما علمه
من كتبة الوثايق او كما بيّنه بقوله تعالى بالعدل او ولا ياب ان ينفع النّاس بكتابته كما نفعه الله تعالى
بتعليم الكتابة كقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلّمة امر بها بعد النّهى
عن اِبائها تاكيدًا لها ويجوز ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النّهى عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر

بها مقيدة وليملل الّذى عليه الحقّ الاملال هو الاملاء اى وليكن المملّى من عليه الحقّ لانه المشهود
عليه فلا بدّ ان يكون المقرّ وليتّق الله ربّه جمع بين الاسم الجليل والنّعت الجميل للمبالغة في
التحذير اى وليتق المملّى دون الكاتب كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه اى من الحق الذى عليه على
على الكاتب شيئا فانه الّذى يتوقع منه البخس خاصّة وامّا الكاتب فيتوقع منه الزّياده كما يتوقع
منه النّقص فلو اريد نهيه لنهى عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل وانّما شدّد فى تكليف
المملى حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنّهى عن البخس لما فيه من الدّواعى الى المنهىّ عنه فان الانسان
مجبول على دفع الضّرر عن نفسه وتخفيف ما فى ذمته بما امكن فان كان الّذى عليه الحقّ صرّح
بذلك فى موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لا لانّ الامر والنّهى لغيره سفيهًا ناقص العقل
مبذرا مجازفا او ضعيفًا صبيًّا او شيخا مختلًّا او لا يستطيع ان يملّ هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه
لخرس او عىّ او جهل او غير ذلك من العوارض فليملل وليّه اى الذى يلى امره ويقوم مقامه
من قيّم او وكيل او مترجم بالعدل اى من غير نقص ولا زيادة لم يكلّف بعين ما كلّف به من عليه
الحقّ لانه يتوقع منه الزيادة كما يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين اى اطلبوهما ليتحملا الشهادة
على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن من رجالكم
متعلق باستشهد ومن ابتدائية او بمحذوف وقع صفة لشهيدين ومن تبعيضيّة اى شهيدين كائنين
من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام فى معاملاتهم فان خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبادة
كما بيّن فى موضعه وامّا اذا كانت المداينة بين الكفرة او كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر
عندنا فان لم يكونا اى الشهيدان جميعا على طريقة نفى الشمول لا شمول النفى رجلين امّا لاعوازهما
او لسبب آخر من الاسباب فرجل وامراتان اى فليشهد رجل وامراتان او فرجل وامراتان
يكفون وهذا فيما عدى الحدود والقصاص عندنا وفى الاموال خاصّة عند الشّافعى رحمه الله ممّن
ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامراتان كائنون مرضيّين عندكم وتخصيصهم بالوصف
المذكور مع تحقق اعتباره فى كلّ شهيد لقلة اتصاف النّساء به وقيل نعت لشهيدين اى كائنين
ممّن ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبىّ وقيل بدل من رجالكم بتكرير العامل وردّ
بما ذكر من الفصل وقيل متعلّق بقوله تعالى فاستشهدوا فيلزم من الفصل بين اشتراط المرتين
وبين تعليله وقوله عزّ وجلّ من الشّهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف الرّاجع الى
الموصول اى ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء فى
الشهداء بطريق التغليب ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد فى
النساء والعلة فى الحقيقة هى التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما فى قولك اعددت
السلاح ان يجئ عدو فادفعه كانّه قيل لاجل ان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان
نسيتها ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احديهما فتذكرها الاخرى لتاكيد الابهام

والمبالغة فى الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحديهما بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ فتذكر من
الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه
ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء قبل التحمل لما مرّ من تنزيل المشارف
منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة انه كان الرجل يطوف فى الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم
احد فنزلت **ولا تسأموا** اى لا تملّوا من كثرة مداياناتكم **ان تكتبوه** اى الدين او الحق او الكتاب
وقيل كنى به عن الكسل الذى هو صفة المنافق كما ورد فى قوله تعالى واذا قاموا الى الصلوة قاموا
كسالى وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت **صغيرا او كبيرا** حال من الضمير اى
حال كونه صغيرا او كبيرا اى قليلا او كثيرا او مجملا او مفصّلا **الى اجله** متعلّق بمحذوف وقع حالا
من الهاء فى تكتبوه اى مستقرا فى الذمه الى وقت حلوله الذى اقرّ به المديون **ذلكم** اشارة الى
ما امر به من الكتب والخطاب للمؤمنين **اقسط** اى اعدل **عند الله** اى فى حكمه تعالى **واقوم للشهادة**
اى اثبت لها واعون على اقامتها وهما مبنيّان من اقسط واقام فانه قياسىّ عند سيبويه او من قاسط
بمعنى ذى قسط وقويم وانّما صحت الواو فى اقوم لما صحت فى التعجب لجموده **وادنى الّا ترتابوا** واقرب
الى انتفاء ريبكم فى جنس الدّين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك **الّا ان تكون تجارة حاضرة**
تديرونها بينكم استثناء منقطع من الامر بالكتابة اى لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة
بحضور البدلين تديرونها بينكم بتعاطيهما يدًا بيد **فليس عليكم جناح الّا تكتبوها** اى فلا
باس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع والنسيان وقرئ برفع تجارة على انها اسم كان وحاضرة
صفتها وتديرونها خبرها او على انّها تامّه **واشهدوا اذا تبايعتم** اى هذا التبايع او مطلقا لانه احوط
والاوامر الواردة فى الآية الكريمة للندب عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف فى احكامها
ونسخها **ولا يضارّ كاتب ولا شهيد** نهى عن المضارة محتمل للبنائين كما ينبئ عنه قراءة من قرا
ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير والتحريف فى الكتبة والشهادة
او نهى الطالب عن الضرار بهما بان يجعلهما عن مهمهما او يكلفهما الخروج عمّا حدّ لهما او لا يعطى الكاتب
جعله وقرئ بالرفع على انه نفى فى معنى النهى **وان تفعلوا** ما نهيتم عنه من الضرار **فانّه** اى فعلكم
ذلك **فسوق بكم** اى خروج عن الطاعة ملتبس بكم **واتقوا الله** فى مخالفة اوامره ونواهيه التى
من جملتها نهيه عن المضارة **ويعلّمكم الله** احكامه المتضمنة لمصالحكم **والله بكلّ شئ عليم** فلا
يكاد يخفى عليه حالكم وهو مجازيكم بذلك كرّر لفظ الجلاله فى الجمل الثلاث لادخال الروعة وتربية
المهابة وللتنبيه على استقلال كلّ منها بمعنى على حياله فان الاولى حث على التقوى والثانية وعد
بالانعام والثالثة تعظيم لشانه تعالى **وان كنتم على سفر** اى مسافرين او متوجهين اليه **ولم تجدوا**
كاتبا فى المداينة وقرئ كتابا وكتبا وكتابا **فرهان مقبوضة** اى فالذى يستوثق به او فعليكم او
فليوخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق لاشتراط السفر فى شرعية الارتهان كما
حسبه

حسبه مجاهد والضحاك لانّه صلى الله عليه وسلّم رهن درعه فى المدينة من يهودى بعشرين صاعا
من شعير واخذه لاهله بل لاقامة التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة فى السفر الذى هو مظنة
اعوازها وانّما لم يتعرض لحال الشاهد لما انّه فى حكم الكاتب توثقا واعوازا والجمهور على وجوب
القبض فى تمام الرهن غير مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون
الهاء تخفيفا **فان امن بعضكم بعضا** اى بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى
بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن بعضكم من امنه الناس ووصفوه بالامانة قيل فيكون انتصاب
بعضا على نزع الخافض اى على متاع بعض **فليودّ الذى اؤتمن** وهو المديون وانما عبّر عنه بذلك
العنوان لتعينه طريقا للاعلام وحمله على الاداء **امانته** اى دينه وانّما سمّى امانة لايتمانه عليه
بترك الارتهان به وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء فى التاء وهو خطاء لان المنقلبة
من الهمزة لا تدغم لانها فى حكمها **وليتّق الله ربّه** فى رعاية حقوق الامانة وفى الجمع بين
عنوان الالوهيّة وصفة الربوبية من التاكيد والتحذير ما لا يخفى **ولا يكتموا الشهادة** ايها الشهود
او المديونون اى شهادتكم على انفسكم عند المعامله **ومن يكتمها فانّه آثم قلبه** آثم خبر انّ
وقلبه مرتفع على الفاعليه كانّه قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدّم والجملة خبر ان
واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان ممّا اقترفه ونظيره نسبة الزنا الى العين والاذن او للمبالغة لانه
رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال كانّه قيل تمكّن الاثم فى نفسه وملك اشرف مكان فيه وفاق
ساير ذنوبه عن ابن عبّاس رضى الله عنهما لان اكبر الكبائر الاشراك بالله تعالى لقوله تع فقد حرّم
الله عليه الجنّة وشهادة الزّور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنّصب كما فى سعة نفسه وقرئ أثّم
قلبه اى جعله آثما **والله بما تعملون عليم** فيجازيكم به ان خيرا فخير وان شرّا فشرّ **لله ما فى**
السموات وما فى الارض من الامور الداخلة فى حقيقتهما والخارجة عنهما المتمكنة فيهما من اولى العلم
وغيرهم اى كلّها له تعالى خلقا وملكا وتصرّفا لا شركة لغيره فى شئ منها بوجه من الوجوه **وان تبدوا**
ما فى انفسكم من السّوء والعزم عليه بان تظهروه للنّاس بالقول او بالفعل **او تخفوه** بان تكتموه
منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث
النّفس التى لا عقد ولا عزيمة فيها اذ التكليف بحسب الوسع **يحاسبكم به الله** يوم القيمة وهو حجّة
على منكرى الحساب من المعتزلة والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به وامّا
تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما فى قوله عزّ وجل قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله
فلما ان المعلّق بما فى انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل فيها الاعمال البادية وامّا العلم فتعلّقه بها
كتعلّقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال من ان يكون بطريق حصول الصور
بل وجود كل شئ فى نفسه فى اىّ طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا لا يختلف الحال بين
الاشياء البارزة والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابتداء اذ ما من شئ يبدى

الاوهو اومباديه قبل ذلك مضمر فى النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته
الثانية وقد مر فى تفسير قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم مايسرون وما يعلنون فيغفر
بالرفع على الاستيناف اى فهو يغفر بفضله لمن يشاء اى يغفر له ويعذب بعدله من يشاء
ان يعذبه حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وتقديم المغفرة على التعذيب لتقدم رحمته
على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم من غير فاء على انها بدل من
الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظيره الجزم على البدلية من الشرط فى قوله متى تاتنا تلمم بنا فى
ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تاججا وادغام الراء فى اللام لحن والله على كل شىء قدير تذييل
مقرر لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر
من المحاسبة وما فرع عليه من المغفرة والتعذيب امن الرسول لما ذكر فى فاتحة السورة الكريمة
ان ما انزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الشان هدى للمتصفين بما فصل
هناك من الصفات الفاضلة التى من جملتها الايمان به وبما انزل قبله من الكتب الالهية وانهم
حائزون لاثرتى الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم بها اذ
ليس فيما ذكر فى حيز الصلة حكم بالفعل وعقبه ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين
والمنافقين ثم شرح فى تضاعيفها فى فنون الشرايع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار سوالف
الامم وغير ذلك مما يقتضى الحكمة شرحه عين فى خاتمتها المتصفون بها وحكم باتصافهم بها على طريق
الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة وذكر صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة
مع ذكره هناك بطريق الخطاب لما ان حق الشهادة الباقية على مر الدهور ان لا يخاطب بها المشهود
له ولم يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالبهم التى من جملتها ما حكى عنهم من الدعوات الاتية ايذانا بانه
امر محقق غنى عن التصريح به لا سيما بعد ما نص عليه فيما سلف وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة
المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما يعقبه من قوله تعالى بما
انزل اليه ومزيد توضيح لاندراجه فى الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليه ما يعم
كله وكل جزء من اجزائه ففيه تحقيق لكيفية ايمانه صلى الله عليه وسلم وتعيين لعنوانه اى امن عليه
السلام بكل ما انزل اليه من ربه ايمانا تفصيليا متعلقا بجميع ما فيه من الشرايع والاحكام والقصص
والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقيقة
احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع الايمان به من الحيثية المذكورة وفى هذا الاجمال
اجلال لمحله عليه السلام واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل ما انزل اليه واحاطته بجميع ما انطوى
عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا وكذا فى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام تشريف له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
اى الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى

وهو

وهو مبتداء وقوله عز وجل كل مبتداء ثان وقوله تعالى امن خبره والجملة خبر للمبتداء الاول والرابط
بينهما الضمير الذى ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير فى امن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان
المراد بيان ايمان كل فرد فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك فى قوله تعالى وكل اتوه
داخرين وتغيير سبك النظم الكريم عما قبله لتاكيد الاشعار بما بين ايمانه عليه السلام المبنى على المشاهدة
والعيان وبين ايمانهم الناشى عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلى كانهما متخالفان
من كل وجه حتى فى هيئة التركيب الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما فى الحكم بايمان كل واحد
منهم على الوجه الاتى من نوع خفاء محوج الى التقوية والتاكيد اى كل واحد منهم من امن بالله وحده
من غير شريك له فى الالوهية والمعبودية وملئكته اى من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من
شانهم التوسط بينه تعالى وبين الرسل بانزال الكتب والقاء الوحى فان مدار الايمان بهم ليس
من خصوصيات ذواتهم فى انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة كما يلوح به الترتيب فى
النظم وكتبه ورسله اى من حيث مجيئهما من عنده تعالى لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر
والنواهى لكن لا على الاطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب منزلة منه تعالى الى رسول معين
من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل فى قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربهم الاية
ولا على مناط الايمان خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج
فى الايمان بالكتاب المنزل الى الرسول صلى الله عليه وسلم ومستند اليه لما تلى من الاية الكريمة ولا
على ان احكام الكتب السالفة وشرايعها باقية بالكلية ولا على ان الباقى منها معتبر بالاضافة اليها
بل على ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود كتاب اخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها الى الان
من الشرايع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب المصون عن النسخ الى يوم القيمة وانما
لم يذكر ههنا الايمان باليوم الاخر كما ذكر فى قوله تعالى ولكن البر من امن بالله واليوم الاخر والملئكة
والملئكة والكتاب والنبيين لاندراجه فى الايمان بكتبه وقرئ وكتابه على ان المراد به القران وجنس
الكتاب كما فى قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه
وبين الجمع انه شايع فى افراد الجنس والجمع فى جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل
لما اجمل فى قوله عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر عليه ايذانا بكفايته فى الايمان الاجمالى المتحقق
فى كل فرد من افراد المؤمنين من غير نفى للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور
المذكورة فى مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان الاجمال فى الحكاية لا يوجب الاجمال فى المحكى كيف لا وقد
اجمل فى حكاية ايمانه عليه السلام بما انزل اليه من ربه مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من
الجلائل والدقائق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت من الامور الغيبية التى لا يوقف عليها الا من
جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر فى صدر السورة الكريمة من الايمان بالغيب واما الايمان

بكتبه تعالى فاشارة الى ما فى قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللائق بشان التنزيل والحقيق بمقداره الجليل وقد جوّز ان يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفا على الرّسول فيوقف عليه والضمير الذى عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين معا كانّه قيل آمن الرّسول و المؤمنون بما انزل اليه من ربّه ثمّ فصّل ذلك وقيل كلّ واحد من الرّسول والمؤمنون آمن بالله الخ خلا انّه قدّم المؤمنون به على المعطوف اعتناء بشانه وايذانا باصالته عليه السّلام فى الايمان به ولا يخفى انّه مع خلوّه عمّا فى الوجه الاوّل من كمال اجلال شانه عليه السّلام وتفخيم ايمانه مخلّ بجزالة النّظم الكريم لانّه ان حُمل كل من الايمانين على ما يليق بشانه صلى الله عليه وسلم من حيث الذات ومن حيث التعلّق بالتّفاصيل استحال اسنادهما الى غيره عليه السّلام وضاع التكرير وان حملا على ما يليق بشان آحاد الامّة كان ذلك حطّا لرتبته العليّة عليه السّلام وامّا حملهما على ما يليق بكلّ واحد ممّن نسبا اليه من الآحاد ذاتا وتعلّقا بان يحملا بالنّسبة الى الرّسول صلى الله عليه وسلم على الايمان العيانىّ المتعلّق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى آحاد الامّة على الايمان المكتسب من جهته عليه السّلام اللائق بحالهم فى الاجمال والتّفصيل فاعتساف بيّن ينبغى تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى **لا نفرّق بين احد من رسُله** فى حيّز النّصب بقول له مقدّر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى منصوب على انّه حال من ضمير آمن ومرفوع على انّه خبر آخر لكل اى يقولون لا نفرّق بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر بآخرين بل نؤمن بصحّة رسالة كل واحد منهم قيدوا به ايمانهم تحقيقا للحق وتخطئة لاهل الكتابين حيث اجمعوا على الكفر بالرّسول صلّى الله عليه وسلم واستقلت اليهود بالكفر بعيسى عليه السّلام ايضا على ان مقصودهم الاصلىّ ابراز ايمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السّلام لا اظهار موافقتهم لهم فيما آمنوا به وهذا كما ترى صريح فى ان القائلين آحاد المؤمنين خاصّة اذ لا يمكن ان يستند اليه عليه السلام اذ يقول لا افرّق بين احد من رسله وهو يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه فى دعواها وعدم التّعرض لنفى التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور ايّاه وانما لم يعكس مع تحقق التّلازم من الطّرفين لما ان الاصل فى تفريق المفرقين هو الرّسل وكفرهم بالكتب متفرّع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على اسناد الفعل الى كل وقرئ لا يفرقونَ حملا على المعنى كما فى قوله تعالى وكلّ اتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل فى القول المقدّر فلا بدّ من اعتبار الكليّة بعد النّفى دون العكس اذ المراد شمول النّفى لا نفى الشمول والكلام فى همزة احد وفى دخول بين عليه قد مرّ تفصيله عند قوله تعالى لا نفرّق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس فى ان يقال لا نفرق بين رسله وايثار اظهار الرّسل على الاضمار الواقع مثله فى قوله تعالى وما اوتى النّبيّون من ربهم لا نفرّق بين احد منهم امّا للاحتراز عن توهم اندراج الملئكة فى الحكم او للاشعار بعلّة عدم التفريق او للايماء الى عنوانه لان المعتبر عدم التفريق من حيث الرّسالة دون سائر الحيثيات الخاصّة **وقالوا** عطف على آمن وصيغة الجمع باعتبار جانب المعنى وهو حكاية امتثالهم بالاوامر اثر حكاية

ايمانهم

ايمانهم **سمعنا** اى فهمنا ما جاءنا من الحقّ وتيقنا بصحته **واطعنا** ما فيه من الاوامر والنّواهى وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك **غفرانك ربّنا** اغفر لنا غفرانك او نسالك غفرانك ذنوبنا المتقدّمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير فى مراعات حقوقك وتقديم ذكر السّمع والطّاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسؤل ادعى الى الاجابة والقبول والتّعرض لعنوان الرّبوبيّة مع الاضافة اليهم للمبالغة فى التّضرّع والجؤار **واليك المصير** اى الرّجوع بالموت والبعث لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرّر للحاجة الى المغفرة لما ان الرّجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى **لا يكلّف الله نفسا الّا وسعها** جملة مستقلّة جئ بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطّاعة اظهارا لما له تعالى عليهم فى ضمن التّكليف من محاسن آثار الفضل والرّحمة ابتداءً لا بعد السّؤال كما سيجئ هذا وقد روى انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الآية اشتدّ ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم فاتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا اى رسول الله كلّفنا من الاعمال ما نطيق الصّلوة والصّيام والحجّ والجهاد وقد انزل اليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربّنا واليك المصير فقراها القوم فانزل الله عزّ وجل آمن الرّسول بما انزل اليه من ربّه الى قوله تعالى غفرانك ربّنا واليك المصير فمسؤلهم الغفران المعلّق بمشيّته عزّ وجل فى قوله تعالى فيغفر لمن يشاء ثم انزل الله تعالى لا يكلّف الله نفسا الّا وسعها تهوينا للخطب عليهم ببيان ان المراد بما فى انفسهم ما عزموا عليه من السّوء خاصّة لا ما يعمّ الخواطر التى لا يستطاع الاحتراز عنها والتّكليف الزام ما فيه كلفة مشقة و الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ان سنته تعالى انّه لا يكلّف نفسا من النّفوس الّا ما يتّسع فيه طوقها ويتيسّر عليها دون مدى الطاقة والمجهود فضلا منه تعالى ورحمة لهذه الامّة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدلّ على عدم التّكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى **لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت** للترغيب فى المحافظة على مواجب التّكليف والتّحذير عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كلّ نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير يتضمّن مراعاته منفعة زائدة وانّها اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرّة تحيق بها لا بغيرها فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدّواعى الى تحصيله واقتصار مضرّته عليه من اشدّ الزّواجر عن مباشرته اى لها ثواب ما كسبت من الخير الّذى كلفت فعله لا لغيرها استقلالا لا اشتراكا ضرورة شمول كلمة ما لكل جزء من اجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها باحد الطّريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشّرّ الذى كلفت تركه وايراد الاكتساب فى جانب الشّرّ لما فيه من اعتمال ناشئ من اعتناء النّفس بتحصيل الشّرّ وسعيها فى طلبه **ربّنا لا تواخذنا ان نسينا او اخطأنا** شروع فى حكاية بقيّة دعواتهم ثمّ بيان سرّ التّكليف اى لا تواخذنا بما صدر عنّا من الامور المودية الى النسيان او الخطاء من تفريط وقلّة مبالاة ونحوهما ممّا يدخل تحت التكليف او بانفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع فى المواخذة بها عقلا فانّ المعاصى كالسّموم

نكما ان تناولها ولوسهوا اوخطاء مؤدّ الى الهلاك فتعاطى المعاصى ايضا لايبعد ان يفضى الى العقاب وان
لم يكن عن عزيمة ووعده تعالى بعدمه لايوجب استحالة وقوعه فان ذلك من اثار فضله ورحمته كما
ينبئ عنه الرّفع فى قوله عليه السّلام رفع عن امّتى الخطاء والنّسيان وقد روى ان اليهود كانوا اذا نسبوا
شيئا عجّلت لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد بالنعمة فى ذلك كما فى
قوله تعالى ربّنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك **ربّنا ولا تحمل علينا اصرًا** عطف على ماقبله وتوسيط
النّداء بينهما لابراز مزيد الضّراعة والاصر العبا الثقيل الّذى يأصر صاحبه اى يحبسه مكانه والمراد به
التّكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الّذى لاتوبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا
تحمّل بالتشديد للمبالغة **كما حملته على الّذين من قبلنا** فى حيّز النّصب على انه صفة لاصرًا اى اصرا مثل
الاصر الّذى حملته على من قبلنا وهو ما كلّفه بنوا اسرائيل من بخع النّفس فى التّوبة وقطع موضع النّجاسة
وخمسين صلوة فى يوم وليلة وصرف ربع المال للزّكوة وغير ذلك من التشديدات فانّهم كانوا اذا اتوا
بخطيئة حرّم عليهم من الطّعام ماكان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا عليهم طيّبات
احلّت لهم وقد عصم الله عزّ وجل بفضله ورحمته هذه الامّة عن امتثال ذلك وانزل فى شانهم ويضع
عنهم اصرهم والاغلال الّتى كانت عليهم وقال عليه السّلام بعثت بالحنيفيّة السهلة السّمحة وعن العقوبات
الّتى عوقب بها الاوّلون من المسخ والخسف وغير ذلك قال عليه السلام رفع عن امتى الخسف والمسخ
ربنا ولا تحمّلنا ما لا طاقة لنا به عطف على ماقبله واستعفاء عن العقوبات التى لا تطاق بعد
الاستعفاء عما يؤدى اليها التفريط فيه من التكاليف الشاقة التى لا يكاد من كلّفها يخلو عن التفريط
فيها كانّه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا فى المحافظة عليها فيكون التعبير عن
انزال العقوبات بالتّحميل باعتبار ما يؤدّى اليها وقيل هو تكرير للاوّل وتصوير للاصر بصورة
ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا يفى به الطاقة البشرية حقيقة فيكون دليلا
على جوازه عقلا والا لماسئل التخلّص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى مفعول ثان **واعطف
عنّا** اى آثار ذنوبنا **واغفر لنا** واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد **وارحمنا** وتعطف
بنا وتفضل علينا وتقديم طلب العفو والمغفرة على طلب الرّحمة لما انّ التّخلية سابقة على التحلية **انت
مولانا** سيّدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولّى امورنا **فانصرنا على القوم الكافرين**
فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء والمراد به عامّة الكفرة وفيه اشارة الى
ان اعلاء كلمة الله والجهاد فى سبيله تعالى حسبما امر فى تضاعيف السورة الكريمة غاية مطلوبهم روى
انه صلى الله عليه وسلم لمّا دعى بهذه الدّعوات قيل له عند كلّ دعوة قد فعلت وعنه عليه الصّلوة
والسلام انزل الله آيتين من كنوز الجنّة كتبهما الرّحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى عام من قراهما
بعد العشاء الاخرة اجزاتاه عن قيام الليل وعنه عليه الصّلوة والسّلام من قرا آيتين من سورة البقرة
كفتاه وهو حجة على من استكره ان يقول سورة البقرة وقال ينبغى السّورة الّتى يذكر فيها البقرة كما قال

عليه

عليه السلام السّورة التى يذكر فيها البقرة فسطاط القران فتعلّموها فان تعلّمها بركة وتركها حسرة ولن
تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه الصّلوة والسّلام السّحرة

سورة آل عمران مدنية وهى مايتا آية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الم الله لا اله الّا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف ونون ولا موازنة
لمفرد كحاميم وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد حسبما ذكره
سيبويه فى الكتاب فطريق التّلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسماء او مسرودة
على نمط التعديد وان لزمها التقاء السّاكنين لما انّه مغتفر فى باب الوقف قطعًا فحق هذه الفاتحة ان
يوقف عليها ثم يبدا بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم وامّا ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة
فانما هى حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدّرج بل للتخفيف فهى
ببقاء حركتها فى حكم الثّابت المبتداء به والميم بكون الحركة لغيرها فى حكم الوقف على السكون دون الحركة
كما توهم واعترض بانّه غير معهود فى الكلام وقيل هى حركة لالتقاء السّواكن الّتى هى الياء والميم ولام الجلالة
بعد سقوط همزتها وانت خبير بان سقوطها مبنى على وقوعها فى الدّرج وقد عرفت ان سكون الميم
وقفيّ موجب لانقطاعها عمّا بعدها مستدع لثبات الهمزة على حالها كما فى الحروف والاسماء المبنيّة على
السّكون فان حقها الاتصال بما بعدها وضعا واستعمالا فيسقط بها همزة الوصل ويحرّك اعجازها لالتقاء
السّاكنين ثم ان جعلت مسرودة على نمط التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت
اسما للسورة فمحلّها امّا الرّفع على انّها خبر مبتداء محذوف وامّا النّصب على اضمار فعل يليق بالمقام
كاذكروا واقرا ونحوهما وامّا الرّفع بالابتداء او النّصب بتقدير فعل القسم او الجرّ بتقدير حرفه فلا مساغ
لشئ منها لما ان ما بعدها غير صالح للخبريّة ولا للاقسام عليه فان الاسم الجليل مبتداء وما بعده خبر
والجملة مستانفة اى هو المستحقّ للمعبوديّة لا غير وقوله عزّ وجل **الحىّ القيّوم** خبر آخر له او لمبتداء محذوف
اى هو الحىّ القيّوم لا غير وقيل هو صفة للمبتداء او بدل منه او من الخبر الاوّل وهو الخبر وما قبله
الاعتراض بين المبتداء والخبر مقرّره لما يفيده الاسم الجليل وحال منه وايّا ما كان فهو كالدليل على
اختصاص استحقاق المعبوديّة به سبحانه وتعالى لما مرّ من ان معنى الحىّ الباقى الذى لا سبيل عليه
للموت والفناء ومعنى القيّوم الدّائم القايم بتدبير الخلق وحفظه ومن ضرورة اختصاص ذينك الوصفين
به تعالى اختصاص استحقاق المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما وقد روى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلّم قال اسم الله الاعظم فى ثلث سور فى سورة البقرة الله لا اله الّا هو الحىّ القيّوم وفى
آل عمران الم الله لا اله الّا هو الحىّ القيّوم وفى طه وعنت الوجوه للحىّ القيّوم وروى ان بنى اسرائيل
سالوا موسى عليه السلام عن اسم الاعظم قال الحىّ القيّوم ويروى ان عيسى عليه السّلام كان اذا اراد
احياء الموتى يدعو يا حىّ يا قيّوم ويقال انّ آصف بن برخيا حين اتى بعرش بلقيس دعى بذلك وقرئ

الحيّ القيّام وهذا ردّ على من زعم ان عيسى عليه السّلام كان ربّا فانّه روى ان وفد نجران قدموا على رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم وكانوا ستّين راكبًا فيهم اربعة عشر رجلًا من اشرافهم ثلثة منهم اكابرا اليهم يؤول
امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السّيد واسمه
الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بنى بكر بن وايل وقد كان
ملوك الرّوم شرّفوه وموّلوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده فى دينهم وبنوا له كنائس فلمّا خرجوا
من نجران ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينا بغلة ابى حارثة تسير اذ عثرت
فقال كرز تعسًا للابعد يريد به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال له ابو حارثة بل تعست امّك فقال
كرز ولم يا اخى قال انه والله النّبى الّذى كنّا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال
لان هؤلاء الملوك اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو آمنّا به لاخذوا منّا كلّها فوقع ذلك فى قلب
كرز واضمره الى ان اسلم فكان يحدّث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
صلوة العصر عليهم ثياب الحبرات جبب واردية فاخرة يقول بعض من راهم من اصحاب النّبى صلّى الله عليه
وسلّم ما راينا وفدًا مثلهم وقد حانت صلوتهم فقاموا ليصلوا فى المسجد فقال عليه السّلام دعوهم فصلّوا
الى المشرق ثمّ تكلّم اولئك الثلثة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا تارة عيسى هو الله لانّه
كان يحيى الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطّين كهيئة الطّير فينفخ فيه فيطير وتارة
اخرى هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان
واحدًا لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقالوا اسلمنا قبلك قال عليه
السّلام كذبتم يمنعك من الاسلام دعاؤكم لله تعالى ولدا قالوا ان لم يكن ولدا لله فمن ابوه فقال
عليه السلام الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربّنا حىّ لا يموت
وان عيسى ياتى عليه الفنا قالوا بلى قال عليه السّلام الستم تعلمون انّ ربّنا قيّوم على كلّ شئ يحفظه و
يرزقه قالوا بلى قال عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال عليه السلام الستم
تعلمون ان الله تعالى لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السّماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك
الّا ما علّم قالوا لا قال عليه السلام الستم تعلمون انّ ربّنا صوّر عيسى فى الرّحم كيف شاء وان ربّنا
لا ياكل ولا يشرب ولا يحدث قالوا بلى قال عليه السّلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امّه كما تحمل
المراة ووضعته كما تضع المراة ولدها ثم غذى كما غذى الصّبى ثم كان يطعم الطّعام ويشرب الشراب
ويحدث الحدث قالوا بلى قال عليه السلام فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فابوا الّا جحودا فانزل
الله عزّ وجل من اوّل السّورة الى نيف وثمانين آية تقريرا لما احتج به عليه السلام عليهم واجاب به عنه
شبههم وتحقيقا للحقّ الّذى فيه يمترون **نزّل عليك الكتاب** اى القرآن عبّر عنه باسم الجنس ايذانا
بكمال تفوّقه على بقيّة الافراد فى حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب دون
ماعداه كما يلوّح به التّصريح باسمى التورية والانجيل وصيغة التفعيل للدّلالة على التنجيم وتقديم الظّرف

على المفعول

على المفعول لما مرّ من الاعتناء بالمقدّم والتشويق الى المؤخر والجملة امّا مستانفة او خبر آخر من الاسم الجليل
او هى الخبر وقوله تعالى لا اله الّا هو الخ اعتراض او حال وقوله عزّ وجل الحىّ القيوم صفة او بدل كما مرّ
وقرى نزل عليك الكتاب بالتّخفيف ورفع الكتاب فالظّاهر ان تكون مستانفة وقيل يجوز كونها خبرًا
بحذف العائد اى نزل الكتاب من عنده **بالحق** حال من الفاعل والمفعول اى نزّله محقّا فى تنزيله
على ما هو عليه او ملتبسًا بالعدل فى احكامه او بالصّدق فى اخباره الّتى من جملتها خبر التّوحيد
وما يليه وفى وعده ووعيده او بما يحقّق انّه من عند الله تعالى من الحجج البيّنة **مصدّقا** حال من الكتاب
بالاتفاق على تقدير كون قوله تعالى بالحقّ حالا من فاعل نزّل وامّا على تقدير حاليته من الكتاب فهو
عند من يجوّز تعدد الحال بلا عطف ولا بدليّة حال منه بعد حال واما عند من يمنعه فقد قيل
انه حال من محلّ الحال الاولى على البدليّة وقيل من المستكن فى الجار والمجرور لانه يتحمل ضمير القيمة
مقام عامله المتحمّل له فيكون حالا متداخلة وعلى كلّ حال فهى حال مؤكّدة وفايدة تقييد التنزيل بها حث
اهل الكتابين على الايمان بالمنزّل وتنبيههم على وجوبه فان الايمان بالمصدّق موجب للايمان بما
يصدّقه حتما **لما بين يديه** مفعول لمصدّقا واللام دعامة لتقوية العمل نحو فقال لما يريد اى
مصدّقا لما قبله من الكتب السالفة وفيه ايماء الى حضورها وكمال ظهور امرها بين النّاس وتصديقه
ايّاها فى الدّعوة الى الايمان والتّوحيد وتنزيه الله عز وجل عمّا لا يليق بشانه الجليل والامر بالعدل
والاحسان وكذا فى انباء الانبياء والامم الخالية وكذا فى نزوله على النّعت المذكور فيها وكذا فى الشّرايع
المختلفة باختلافها من حيث ان احكام كل واحد منها واردة حسبما يقتضيه الحكمة التشريعيّة بالنسبة
الى خصوصيّات الامم المكلّفة بها مشتملة على المصالح اللّائقة بشانهم **وانزل التّورية والانجيل** تعيين
لما بين يديه وتبيين لرفعة محله تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده اذ بذلك يترقّى شان من يصدّقه
رفعة ونباهة ويزداد فى القلوب قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما فى الشّفاعة واستتباع ما
سيذكر من العذاب الشديد والانتقام اى انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام وانّما لم يذكر
الآن الكلام فى الكتابين لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان اعجميان الاوّل عبرى والثانى سريانى وبعض
القراءة بفتح همزة الانجيل فان افعيل ليس من ابنية العرب والتصدّى لاشتقاقهما من الورى والنجل
تعسف **من قبل** متعلّق بانزل اى انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتّصريح به مع ظهور الامر للمبالغة فى
البيان **هدًى للنّاس** فى حيّز النّصب على انّه علة للانزال اى انزلهما حال كونهما هدى لهم والافراد لما
انه مصدر جعلا نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف اى ذوى هدى ثم ان اريد هدايتهما بجميع
ما فيهما من حيث هو جميع فالمراد بالنّاس الامم الماضية من حين نزولهما اى زمان نسخهما وان اريد هدايتهما
على الاطلاق وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما بما عدى الشّرايع المنسوخة من
الامور التى يصدقهما القرآن فيها ومن جملتها البشارة بنزوله وبمبعث النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم تعمّ
النّاس قاطبة **وانزل الفرقان** الفرقان فى الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد

به ههنا امّا جنس الكتب الالهيّة عبّر عنها بوصف شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتّعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذّكر كما فى قوله عزّ وجل فانبتنا فيها حبًّا وعنبًا الى قوله تعالى وفاكهة وامّا نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاصّ لم يذكر فيما سبق على طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتّغاير الوصفى منزلة التّغاير الذّاتى كما فى قوله سبحانه فلمّا جاء امرنا نجّينا هودا والّذين امنوا معه برحمة منا ونجّيناهم من عذاب غليظ وامّا الزّبور فانّه مشتمل على المواعظ الفارقة بين الحقّ والباطل الدّاعية الى الخير والرّشاد الزاجرة عن الشرّ والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تاخّر عنه نزولا لقوّة مناسبته للتّوراة فى الاشتمال على الاحكام والشّرايع وشيوع اقترانهما فى الذّكر وامّا القران نفسه ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيمًا لشانه ورفعا لمكانه وقد بيّن اوّلا تنزيله التدريجىّ الى الارض وثانيا انزاله الدّفعىّ الى السّماء الدّنيا او اريد بالانزال القدر المشترك العارى عن قيد التّدريج وعدمه وامّا المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين المحق والمبطل **انّ الّذين كفروا بايات الله** وضع موضع الضّمير العائد الى ما فصل من الكتب المنزلة او منها ومن المعجزات الايات مضافة الى الاسم الجليل تعيينا لحيثيّة كفرهم وتهويلا لامرهم وتاكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد وايذانًا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالكلّ بل يكفى فيه الكفر ببعض منها والمراد بالموصول امّا اهل الكتابين وهو الانسب بمقام المحاجّة معهم او جنس الكفرة وهم داخلون فيه دخولا اوّليّا اى انّ الّذين كفروا بما ذكر من ايات الله النّاطقة بالحقّ لا سيّما بتوحيده تعالى وتنزيهه عمّا لا يليق بشانه الجليل كلًّا او بعضا مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقران اصالة وبسائر الكتب الالهيّة تبعا لما ان تكذيب المصدّق موجب لتكذيب ما يصدّقه حتما واصالة ايضا بان كذبوا باياتها الناطقة بالتوحيد والتنزيه واياتها المبشرة بنزول القران ومبعث النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهما **لهم** بسبب كفرهم بها **عذابٌ** مرتفع امّا على الفاعليّة من الجار والمجرور او على الابتداء والجملة خبر انّ والتنوين للتفخيم اى اىّ عذابٍ عذابٌ **شديد** لا يقادر قدره وهو وعيد جئ به اثر تقرير امر التوحيد الذّاتى والوصفى والاشارة الى ما ينطق بذلك من الكتب الالهيّة حملا على القبول والاذعان وزجرًا عن الكفر والعصيان **والله عزيز** لا يغالب يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد **ذو انتقام** عظيم خارج عن افراد جنسه وهو افتعال من النقمة وهى السّطوة والتّسلط يقال انتقم منه اذا عاقبه بجنايته والجملة اعتراض تذييلى مقرّر للوعيد ومؤكد له **انّ الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السّمآء** استيناف كلام سيق لبيان سعة علمه تعالى واحاطته بجميع ما فى العالم من الاشياء التى من جملتها ما صدر عنهم من الكفر والفسوق سرّا وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزّته تربية لما قبله من الوعيد وتنبيهًا على ان الوقوف على بعض المغيّبات كما كان فى عيسى عليه السّلام بمعزل من بلوغ رتبة الصّفات الالهيّة وانّما عبّر عن علمه عزّ وجل بما ذكر بعدم خفائه عليه كما قوله سبحانه وما يخفى على الله من شئ فى الارض ولا فى السماء ايذانا بانّ علمه بمعلوماته وان كانت فى اقصى الغايات الخفيّة ليس من شانه ان يكون على

وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفاء بوجه من الوجوه كما فى علوم المخلوقين بل هو فى غاية الوضوح والجلاء والجملة المنفية خبر لانّ وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وكلمة فى متعلقة بمحذوف وقع صفة لشئ مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه فى سياق النّفى اى لا يخفى عليه شئ مّا كائن فى الارض ولا فى السماء اعمّ من ان يكون ذلك بطريق الاستقرار فيهما او الجزئيّة منهما وقيل متعلّقة بيخفى وانّما بهما عن كلّ العالم لانّهما قطراه وتقديم الارض على السماء لاظهار الاعتناء بشان احوال اهلها وتوسيط حرف النفى بينهما للدّلالة على التّرقى من الادنى الى الاعلى باعتبار القرب والبعد من المستدعيين للتفاوت بالنسبة الى علومنا وقوله عزّ وجل **هو الّذى يصوّركم فى الارحام كيف يشآء** جملة مستانفة ناطقة ببعض احكام قيوميته تعالى وجريان احوال الخلق فى اطوار الوجود حسب مشيّته المبنية على الحكم البالغة مقرّرة لكمال علمه مع زيادة بيان لتعلقه بالاشياء قبل دخولها تحت الوجود ضرورة وجوب علمه تعالى بالصّور المختلفة المترتبة على التّصوير المترتّب على المشية قبل تحققها بمراتب وكلمة فى متعلقة بيصوّركم او بمحذوف وقع حالا من ضمير المفعول اى يصوّركم وانتم فى الارحام مضغ وكيف معمول ليشاء والجملة فى محل النّصب على الحاليّة امّا من فاعل يصوركم اى يصوركم كاينا على مشيته تعالى اى مريدًا او مفعوله اى يصوركم كاينين على مشيته تعالى تابعين لها فى قبول الاحوال المتغائرة من كونكم نطفا ثم علقًا ثم مضغا غير مخلّقة ثم مخلقة وفى الاتّصاف بالصّفات المختلفة من الذكورة والانوثة والحسن والقبح وغير ذلك من الصّفات وفيه من الدّلالة على بطلان زعم من زعم ربوبيّة عيسى عليه السّلام وهو من جملة ابناء النّواسيت المتقلبين فى هذه الاطوار على مشية البارى عزّ وعلا وكمال ركاكة عقولهم ما لا يخفى وقرئ تصوّركم على الماضى من التّفعل اى صوّركم لنفسه وعبادته **لا اله الّا هو** اذ لا يتصف بشئ مما ذكر من الشؤن العظيمة الخاصّة بالالوهية احد ليتوهم الوهية **العزيز الحكيم** المتناهى فى القدرة والحكمة ولذلك يخلقكم على ما ذكر من النّمط البديع **هو الّذى نزّل عليك الكتاب** شروع فى ابطال شبههم النّاشئة عمّا نطق به القران فى نعت عيسى عليه السّلام بطريق الاستيناف اثر بيان اختصاص الرّبوبيّة ومناطها به سبحانه وتعالى تارة بعد اخرى وكون كلّ من عداه مقهورا تحت ملكوته تابعا لمشيته قيل ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلّم الست تزعم يا محمّد ان عيسى كلمة الله وروح منه قال عليه الصّلوة والسّلام بلى قالوا فحسبنا ذلك فنعى عليهم زيغهم وفتنتهم وبيّن انّ الكتاب مؤسس على اصول رصينة وفروع مبنية عليها ناطقة **بالحقّ** قاضية ببطلان ما هم عليه من الضّلال والمراد بالانزال القدر المشترك بالمجرّد عن الدّلالة على قيد التّدريج وعدمه ولام الكتاب للعهد وتقديم الظّرف عليه لما اشير اليه فيما قبل من الاعتناء بشان بشارته عليه السّلام بتشريف الانزال عليه ومن التشويق الى ما انزل فانّ النّفس عند تاثير ما حقّه التقديم لا سيّما بعد الاشعار برفعة شانه او بمنفعته تبقى مترقّبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها تمكن وليتصل به تقسيمه الى قسميه **منه ايات** الظّرف خبر وايات مبتداء

او بالعكس بتاويل مر تحقيقه في قوله تعالى ومن الناس من يقول الاية والاول اوفق بقواعد الصناعة والثاني
ادخل في جزالة المعنى اذ المقصد الاصلي انقسام الكتاب الى القسمين المعهودين لاكونهما من الكتاب فتذكر والجملة
مستانفة او في حيز النصب على الحالية من الكتاب اى هو الذى انزل الكتاب كائنا على هذه الحالة منقسما الى محكم و
متشابه او الظرف هو الحال وحده وايات مرتفع به على الفاعلية **محكمات** صفة ايات اى قطعية الدلالة على
المعنى المراد محكمة العبارة محفوظة من الاحتمال والاشتباه **هن ام الكتاب** اى اصل فيه وعمدة يرد اليها
غيرها فالمراد بالكتاب كله والاضافة بمعنى في كما واحد العشرة لا بمعنى اللام فان ذلك يؤدى الى كون الكتاب
عبارة عما عدا المحكمات والجملة اما صفة لما قبلها او مستانفة وانما افرد الام مع تعدد الايات لما ان المراد
بيان اصلية كل واحدة منها او بيان ان الكل بمنزلة اية واحدة كما في قوله تعالى وجعلناها وابنها اية للعالمين
وقيل اكتفى المفرد عن الجمع كما في قول الشاعر بها جيف الحسرى فاما عظامها فبيض واما جلدها فصليب اى واما
جلودها **واخر** نعت لمحذوف معطوف على ايات اى وايات اخر وهى جمع اخرى وانما لم ينصرف لانه وصف
معدول من الافراد من اخر **متشابهات** صفة لاخر وفي الحقيقة صفة للمحذوف اى محتملات لمعان متشابهة
لا يمتاز بعضها من بعض في استحقاق الارادة بها ولا يتضح الامر الا بالنظر الدقيق والتامل الانيق فالتشابه
في الحقيقة وصف لتلك المعاني وصف بها الايات على طريقة وصف الدال بوصف المدلول وقيل لما كان
من شان الامور المتشابهة ان يعجز العقل عن التمييز بينها سمى كل ما لا يهتدى اليه العقل متشابها وان لم
يكن ذلك بسبب التشابه كما ان المشكل في الاصل ما دخل في اشكاله وامثاله ولم يعلم بعينه ثم اطلق على كل غامض
وان لم يكن غموضه من تلك الجهة وانما جعل ذلك كذلك ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد
في تدبرها وتحصيل العلوم التى نيط بها استنباط ما اريد بها من الاحكام الحقة فينالوا بها وباتعاب القرائح
في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا بالتوفيق بينها وبين المحكمات من
اليقين والاطمئنان الى المعارج القاصية واما قوله عز وجل الر كتاب احكمت اياته فمعناه انها حفظت من
اعتراء الخلل او من النسخ او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيقتها او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم
البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها مثاني معناه متشابه الاجزاء اى يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى
وجزالة النظم وحقيقة المدلول **فاما الذين في قلوبهم زيغ** اى ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة قال الراغب
الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن
الرشاد واصرارهم على الشر والفساد **فيتبعون ما تشابه منه** معرضين عن المحكمات اى يتعلقون
بظاهر المتشابه من الكتاب او بتاويل باطل لا تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى بل **ابتغاء
الفتنة** اى طلبا ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن
الوفد **وابتغاء تاويله** اى وطلب ان يأولوه حسبما يشتهونه من التاويلات الزائغة والحال انهم
بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل **وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم** فانه
حال من ضمير يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اى يتبعون المتشابه لابتغاء تاويله والحال انه مخصوص به تعالى

وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم يتزلزلوا في مزال الاقدام و
في تعليل الاتباع بابتغاء تاويله دون نفس تاويله وتجريد التاويل عن الوصف بالصحة والحقية ايذان
بانهم ليسوا من التاويل في شئ وان ما يبتغونه ليس بتاويل اصلا لا انه تاويل غير صحيح قد يعذر صاحبه
ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله عز وعلا بعلمه كمدة بقاء الدنيا ووقت قيام الساعة
وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل على ما هو المراد
به **يقولون امنا به** اى بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة على الاول
استيناف موضح لحال الراسخين او حال منه وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى
كل من عند ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد له اى كل واحد منه ومنه المحكم او كل واحد
من متشابهه ومحكمه منزل من عنده لا مخالفة بينهما او امنا به وبحقيته على مراده تعالى **وما يذكر** حق التذكر
الا اولوا الالباب اى العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى
مدحا للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تاويله من تجرد
العقل عن غواشي الحس وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث انها جواب عما تشبثت به النصارى من
نحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه على وجه الاجمال وسيجئ الجواب المفصل بقوله تعالى
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون **ربنا لا تزغ قلوبنا** من تمام
مقالة الراسخين اى لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه بتاويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه
وسلم قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل معناه
لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا **بعد اذ هديتنا** اى الى الحق والتاويل الصحيح او الى الايمان بالقسمين
وبعد نصب بلا تزغ على الظرف واذ في محل الجر باضافته اليه خارج من الظرفية اى بعد وقت هدايتك
ايانا وقيل انه بمعنى ان **وهب لنا من لدنك** كلا الجارين متعلق بهب وتقديم الاول لما مر مرارا
ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وهو حال من المفعول اى كائنة من لدنك ومن لابتداء الغاية المجازية
ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات نحو من لدن زيد وليست
مرادفة لعند اذ قد يكون فضلة وكذا لدى وبعضهم يخصها بظرف المكان وتضاف الى صريح الزمان
كما في قوله تنتفض الرعدة في ظهيرى من لدن الظهر الى العصير ولا تقطع عن الاضافة بحال واكثر
ما تضاف الى المفردات وقد تضاف الى ان وصلتها كما في قوله ولم تقطع اصلا من لدن ان وليتنا
قرابة ذى رحم ولا حق مسلم اى من لدن ولايتك ايانا وقد تضاف الى الجملة الاسمية كما في قوله تذكر
نعماه لدن انت يافع والى الجملة الفعلية ايضا كما في قوله لزمنا لدن سالتمونا وفاقكم فلا يك منكم
للخلاف جنوح وقلما تخلو عن من كما في البيتين الاخيرين **رحمة** واسعة تزلفنا اليك وتفوز بها
عندك او توفيقا للثبات على الحق وتاخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الاشعار

يكونه من المنافع باللام فاذا اوردها يتمكن عندها فضل تمكن انك انت الوهّاب تعليل للسّؤال او
لاعطاء المسئول وانت امّا مبتداء اوفصل او تاكيد لاسم انّ واطلاق الوهّاب ليتناول كلّ موهوب وفيه
دلالة على ان الهدى والضّلال من قبله تعالى وانّه متفضّل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه
شئ ربّنا انّك جامعُ النّاس ليوم اى لحساب يوم اوالجزاء يوم حذف المضاف واقيم مقامه المضاف
اليه تهويلا له وتفظيعًا لما يقع فيه لاريب فيه اى فى وقوعه ووقوع مافيه من الحشر والحساب والجزاء
ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرّحمة وانّها المقصد الاسنى عندهم والتاكيد لاظهار ماهم
عليه من كمال الطّمانينة وقوّة اليقين باحوال الاخرة انّ الله لايخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة
المؤكّدة اولانتفاء الرّيب والتّاكيد لما مرّ واظهار الاسم الجليل مع الالتفات لابراز كمال التّعظيم
والاجلال النّاشى من ذكر اليوم المهيب الهايل بخلاف ما فى اخر السّورة الكريمة فانّه مقام طلب الانعام
كما سياتى وللاشعار بعلة الحكم فان الالوهيّة منافية للاخلاف وقد جوّز ان يكون الجملة مسوقة من
جهته تعالى لتقرير قول الرّاسخين والميعاد مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية واجيب بان
وعيد الفسّاق مشروط بعدم العفو بدلايل مفصلة كما هو مشروط بعدم التّوبة وفاقا انّ الّذين
كفروا اثر ما بين الدّين الحقّ والتّوحيد وذكر احوال الكتب الناطقة به وشرح شان القران العظيم
وكيفيّة ايمان العلماء الرّاسخين شروع فى بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة الشامل
لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهم من قريظة والنّضير او مشركوا العرب لن تغنى عنهم اى لن
تنفعهم وقرئ بالتّذكير وبسكون الياء جدا فى استثقال الحركة على حروف اللّين اموالهم التّى يبذلونها
فى جلب المنافع ودفع المضارّ ولا اولادهم الّذين بهم يتناصرون فى الامور المهمّة وعليهم يعوّلون
فى الخطوب الملمّة وتاخير الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف النّفى بينهما اما لعراقة الاولاد فى
كشف الكروب او لانّ الاموال اوّل عدّة يفزع اليها عند نزول الخطوب من الله من عذابه تعالى
شيئا اى شيئا من الاغناء وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته كما فى
قوله تعالى ان الظّن لا يغنى من الحقّ شيئا اى بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجدّ منك الجدّ اى لا
ينفعه جدّه بدلك اى بدل رحمتك كما فى قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتى تقربكم عندنا
زلفى وانت خبير بان احتمال سدّ اموالهم واولادهم مسدّ رحمة الله تعالى او طاعته مما لا يخطر ببال
احد حتّى يتصدى لنفيه والاوّل هو الاليق بتفظيع حال الكفرة وتهويل امرهم والانسب لما بعده
من قوله تعالى واولئك هم وقود النّار ومن قوله تعالى فاخذهم الله اى اولئك المتّصفون بالكفر حطب
النّار وحصبها الذى تسعّر به فان اريد بيان حالهم عند التّسعير فايثار الجملة الاسميّة للدلالة على
تحقق الامر وتقرّره والّا فهو للايذان بانّ حقيقة حالهم ذلك وان احوالهم الظّاهرة بمنزلة العدم
فهو حال كونهم فى الدّنيا وقود النّار باعيانهم وفيه من الدّلالة على كمال ملابستهم بالنّار ما لا يخفى
وهم يحتمل الابتداء وان يكون ضمير الفصل والجملة امّا مستانفة مقرّرة لعدم الاغناء او معطوفة على خبر

١٤٠
انّ وايّاما كان ففيها تعيين للعذاب الّذى بيّن ان اموالهم واولادهم لاتغنى عنهم منه شيئا وقرئ وقود
النّار بضمّ الواو وهو مصدر اى اهل وقودها كداب ال فرعون الدّاب مصدر داب فى العمل اذا كدح
فيه وتعب غلّب استعماله فى معنى الشّان والحال والعادة ومحلّ الكاف الرّفع على انّه خبر لمبتداء محذوف
وقد جوّز النّصب بلن تغنى او بالوقود اى لن تغنى عنهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم
وانت خبير بان المذكور فى تفسير الدّاب انّما هو التّكذيب والاخذ من غير تعرّض لعدم الاغناء لاسيّما
على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو راى المجوّز ولا لايقاد النّار فيحمل على التّعليل وهو خلاف الظّاهر
على انّه يلزم الفصل بين العامل والمعمول بالاجنبىّ على تقدير النّصب بمعنى تغنى وهو قوله تعالى واولئك هم
وقود النّار الّا ان يجعل استينافا لامعطوفا على خبر انّ فالوجه هو الرفع على الخبريّة اى داب هؤلاء
فى الكفر وعدم النّجات من اخذ الله تعالى وعذابه كداب ال فرعون والّذين من قبلهم اى من قبل ال
فرعون من الامم الكافرة فالموصول فى محلّ الجرّ عطفا على ما قبله وقوله تعالى كذّبوا باياتنا بيان
وتفسير لدابهم الّذى فعلوا على طريقة الاستيناف المبنىّ على السّؤال كانّه قيل كيف كان دابهم فقيل
كذبوا باياتنا وقوله تعالى فاخذهم الله تفسير لدابهم الّذى فعل بهم اى فاخذهم الله وعاقبهم
ولم يجدوا من باس الله تعالى محيصًا فداب هؤلاء الكفرة ايضا كدابهم وقيل كذبوا الخ حال من
ال فرعون والّذين من قبلهم على اضمار قد اى داب هؤلاء كداب اولئك وقد كذبوا الخ وامّا كونه
خبرا من الموصول كما قيل فممّا يذهب برونق النّظم الكريم والالتفات الى التّكلم اوّلا للجرى على سنن
الكبرياء والى الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الرّوعة بذنوبهم ان اريد بها
تكذيبهم بالايات فالباء للسببيّة جئ بها تاكيدًا لما يفيده الفاء من سببيّة ما قبلها لما بعدها وان
اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جئ بها للدّلالة على انّ لهم ذنوبا اخر اى فاخذهم ملتبسين
بذنوبهم غير تائبين عنها كما فى قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذّنب فى الاصل التلو والتّابع
وسمّى الجريمة ذنبا لانها تتلوا اى يتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرّر لمضمون
ماقبله من الاخذ وتكملة له قل للّذين كفروا المراد بهم اليهود لما روى عن ابن عبّاس رضى الله عنهما
ان يهود المدينة لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين يوم بدر قالوا والله انّه
النبىّ الامّى الّذى بشّرنا موسى عليه السّلام وفى التورية نعته وهمّوا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتّى
تنظروا الى وقعة له اخرى فلمّا كان يوم احد شكّوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلّم
عهد الى مدّة فنقضوه وانطلق كعب ابن الاشرف فى ستين راكبا الى اهل مكّة فاجمعوا امرهم على قتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عبّاس رضى الله عنهم
انّ النّبى صلى الله عليه وسلّم لمّا اصاب قريشا ببدر ورجع الى المدينة جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع
فحذّرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرّنّك انّك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت
منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن النّاس فنزلت اى قل لهم ستغلبون البتة عن قريب فى الدّنيا

وقد صدق الله عزّ وجل وعده بقتل بنى قريظة واجلاء بنى النّظير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم
وهو من اوضح شواهد النبوّة وامّا ما روى عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة
عن مشركى مكّة ولذلك قال لهم النبىّ صلى الله عليه وسلّم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنّم
وبئس المهاد فيؤدى الى انقطاع الاية الكريمة عمّا بعدها لنزوله بعد وقعة بدر **وتحشرون** اى فى
الاخرة **الى جهنّم** وقرئ الفعلان بالياء على انّه عليه السّلام امر بان يحكى لهم ما اخبر الله تعالى به
من وعيدهم بعبارته كانّه قيل ادّ اليهم هذا القول **وبئس المهاد** امّا من تمام ما يقال لهم او
استيناف لتهويل جهنّم وتفضيع حال اهلها والمخصوص بالذّم محذوف اى وبئس المهاد جهنّم او ما
مهّدوه لانفسهم **قد كان لكم** جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المامور به جئ به لتقرير مضمون
ماقبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظّرف خبر كان على انّها ناقصة ولتوسطه بينها وبين اسمها ترك
التّانيث كما فى قوله ان امراء غرّه منكنّ واحدة بعدى وبعدك فى الدنيا المغرور على ان التّانيث ههنا
غير حقيقى او متعلّق بكان على انّها تامّة وانّما قدّم على فاعلها لما مرّ مرارا من الاعتناء بما قدّم والتّشويق
الى ما اخّر والله قد كان لكم ايّها المفترون بعددهم وعددهم اية عظيمة دالّة على صدق ما اقول
لكم انّكم ستغلبون **فى فئتين** اى فرقتين او جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلّة بكثرتها معجبة
بعزّتها وقد لقيها ما لقيها فسيصيبكم ما يصيبكم ومحلّ الظّرف الرّفع على انّه صفة لاية وقيل النّصب على
خبريّة كان والظّرف الاوّل متعلّق بمحذوف وقع حالا من اية **التقتا** فى حيّز الجرّ على انّه صفة فئتين
اى تلاقيا بالقتال يوم **فئة** بالرّفع خبر مبتداء محذوف اى احدهما فئة كما فى قوله اذا متّ كان النّاس
حزبين شامت واخر مثن بالّذى كنت اصنع اى احدهما شامت واخر مثن وقوله اذا ما استقلّ النجم فى
غلس وغودر ابقل ملوى ومحصود والجملة مع ما عطف عليها مستانفة لتقرير ما فى الفئتين من الاية
وقوله تعالى **تقاتل فى سبيل الله** فى محلّ الرّفع على انّه صفة فئة كانه قيل فئة مؤمنة ولكن ذكر مكانه
من احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانّه المدار فى تحقق الاية وهى
روية القليل كثيرا وقرئ يقاتل على تاويل الفئة بالقوم او الفريق **واخرى** نعت لمبتداء محذوف معطوف
على ما حذف من الجملة الاولى اى وفئة اخرى وانّما نكرت والقياس تعريفها كثرينتها الوضوح ان التفريق
لنفس المثنى المقدّم ذكره وعدم الحاجة الى التّعريف وقوله تعالى **كافرة** خبر المبتداء المحذوف وانّما لم
توصف هذه الفئة بما يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانّهم
لم يتصدّوا للقتال لما اعتراهم من الرّعب والهيبة وقيل كلّ من المتعاطفين بدل من الضّمير فى التقا وما
بعدهما صفة فلا بدّ من ضمير محذوف عائد الى المبدل منه مسوّغ لوصف البدل بالجملة العارية عن
ضميره اى فئة منهما تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة ويجوز ان يكون كلّ منهما مبتداء وما بعدهما خبرا اى فئة
تقاتل الخ وفئة اخرى كافرة وقيل كلّ منهما مبتداء محذوف الخبر اى منهما فئة تقاتل الخ وقرئ فئة
بالجرّ على البدليّة من فئتين بدل بعض من كلّ وقد مرّ انه لا بدّ من ضمير عائد الى المبدل منه ويسمّى

بدلا

بدلا تفصيليّا كما فى قول كثير عزة وكنت لدى رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزّمان فشلّت وقرئ
فئة بالنّصب على المدح والذم او على الحاليّة من ضمير التقتا كانّه قيل التقتا مؤمنة وكافرة فيكون فئة واخرى
توطئة لما هو الحال حقيقة اذ المقصود بالذكر وصفاهما كما فى قولك جاءنى زيد رجلا صالحا **يرونهم** اى
يرى الفئة الاخيرة الفئة الاولى وايثار صيغة الجمع للدّلالة على شمول الروية لكل واحد واحد من احاد
الفئة والجملة فى محلّ الرّفع على انّها صفة للفئة الاخيرة او مستانفة مبنيّة لكيفيّة الاية **مثليهم** اى
مثلى عدد الرّائين قريبا من الفين اذ كانوا قريبا من الف كانوا تسعمائة وخمسين مقاتلا راسهم
عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفين رضى الله عنه وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل مائة
فرس وسبعمائة بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابى الفرات عن سعد بن اوس
انه قال اسر المشركون رجلا من المسلمين فسئلوه كم كنتم قال ثلثمائة وبضعة عشر قالوا ما كنّا نراكم الا
تضعفون علينا او مثلى عدد المرئيين اى ستمائة نيفا وعشرين حيث كانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر
رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين ومائتان وستة وثلثون من الانصار رضوان الله عليهم
اجمعين وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين على بن ابى طالب رضى
الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن ابى عبادة الخزرجى رضى الله عنه وكان فى العسكر تسعون
بعيرا وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والاخر لمرثد بن ابى مرثد وست ادرع وثمانية سيوف و
جميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار رضوان
الله عزّ وجل عليهم اجمعين اراهم عزّ وجل كذلك مع قلتهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم مدد والهمم
منه سبحانه كما امدّهم بالملائكة عليهم السلام وكان ذلك عند التقاء الفئتين بعد ان قللهم فى اعينهم
عند تراءيهما ليجترءوا عليهم ولا يهربوا من اوّل الامر حين ينجيهم الهرب وقيل يرى الفئة الاولى
الفئة الاخيرة مثلى انفسهم مع كونهم ثلاثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنّوا بالنّصر الموعود فى قوله تعالى ان
يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاوّل هو الاولى لان روية المثلين غير متعينة من جانب المؤمنين
بل قد وقعت روية المثل بل اقلّ منه ايضا فانّه روى ان ابن مسعود رضى الله عنه قال قد نظرنا الى
المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله
ايضا فى اعينهم حتى رأتهم عددا يسيرا اقلّ من انفسهم قال ابن مسعود رضى الله عنه فقلّلوا فى اعيننا يوم
بدر حتّى قلت لرجل الى جنبى تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا فلو
اريد روية المؤمنين المشركين اقل من عددهم فى نفس الامر كما فى سورة الانفال لكانت رويتهم اياهم
اقل من انفسهم احق بالذكر فى كونها اية من رويتهم مثليهم على ان ابانة قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة
بارائتهم القليل كثيرا والضّعيف قويّا والقاء الرعب فى قلوبهم بسبب ذلك ادخل فى كونها اية لهم وحجّة
عليهم واقرب الى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال وكذا تعلق الفعل بالفاعل
اشدّ من تعلّقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السّابقين فاعلا وابعدهما مفعولا سواء جعل الجملة

صفة اومستانفة اولى من العكس هذا مايقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي جعل الخطاب لمشركي
مكّة كما قيل امّا ان جعل الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما صرّح وابه فظاهر لاستربه واما ان جعل عبارة
عن هزيمة اخرى فلان الفئة التي شاهدت تلك الاية الهائلة هم المخاطبون فالتعبير عنهم بفئة مبهمة
تارة وموصوفة اخرى ثمّ اسناد المشاهدة الهامع كون اسنادها الى المخاطبين اوقع في الزام الحجّة وادخل
في التبكيت ممّا لا داعي اليه وبهذا يتبيّن حال جعل الخطاب الثاني للمؤمنين واما قراءة ترونهم
بتاء الخطاب فظاهرها وان اقتضى توجيه الخطاب الثاني الى المشركين لكنّه ليس بنصّ في ذلك لانّه
وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعل رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود
لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لاسيّما بعد ما وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف
من العهد والميثاق فاسندت الرّؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا لعروض مثل تلك الحالة لهم
فتدبّر وقيل المراد جميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يرونهم على البناء للمفعول
من الاراءة اى يريهم او يريكم الله تعالى كذلك **راى العين** مصدّر مؤكّد ليرونهم ان كان الرّؤية
بصريّة اومصدر تشبيهيّ ان كانت قلبيّة اى رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين **والله
يؤيّد** اى يقوّى **بنصره من يشاء** اى يؤيده من غير توسيط الاسباب العادية كما ايّد الفئة المقاتلة
في سبيله بما ذكر من النّصر وهو من تمام القول المامور به **انّ في ذلك** اشارة الى ما ذكر من رؤية
القليل كثيرا المستتبعة لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلة المشار اليه في الفضل **لعبرة** العبرة فعلة من العبور كالركبة من الرّكوب
والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ فانّه نوع من العبور اى لعبرة عظيمة كائنة **لاولى الابصار**
لذوى العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو امّا من تمام الكلام الدّاخل تحت القول مقرّر
لما قبله بطريق التذييل وامّا وارد من جهته تعالى تصديقا لمقالته عليه السلام **زيّن للنّاس**
كلام مستانف سيق لبيان حقارة شان الحظوظ الدّنيوية باصنافها وتزهيد النّاس فيها وتوجيه
رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الّذين كانوا يتعزّزون بها والمراد بالنّاس الجنس
حبّ الشهوات الشهوة نزوع النّفس الى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبّر عنها بالشهوات مبالغة
في كونها مشتهات مرغوبا فيها كانّها نفس الشّهوات او ايذانا بانّهما كهم في حبّها بحيث احبّوا شهواتها
كما في قوله تعالى انى احببت حبّ الخير او استرذالا لها فان الشهوة مسترذلة مذمومة من صفات البهايم
والمزيّن هو البارى سبحانه وتعالى اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة في ذلك ابتلاؤهم
قال تعالى انّا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الاية فانّها ذريعة لنيل سعادة الدّارين عند كون
تعاطيها على نهج الشّريعة ووسيلة الى بقاء النوع وايثار صيغة المبنيّ للمفعول للجرى على سنن الكبرياء و
قرئ على البناء للفاعل وقيل المزيّن هو الشّيطان لما ان مساق الاية الكريمة على ذمّها وفرق الجبائيّ بين
المباحات واسند تزيينها اليه تعالى وبين المحرّمات فنسب تزيينها الى الشيطان **من النّساء والبنين**

في

في محلّ النّصب على انّه حال من الشّهوات وهي مفسّرة لها في المعنى وقيل من لبيان الجنس وتقديم النّساء على
البنين لعراقتهنّ في معنى الشّهوة فانّهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطّراد في حبّهنّ
والقناطير المقنطرة جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل مائة الف دينار وقيل ملؤ مسك ثور وقيل
سبعين الفا وقيل اربعون الف مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل مائة رطل وقيل الف ومائتا مثقال
وقيل الف دينار وقيل مائة منّ ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل دية النّفس واختلف
في ان وزنه فعلال اوفنعال ولفظ المقنطرة ماخوذ منه لتاكيد كقولهم بدرة مبدّرة وقيل المقنطرة
المحكمة المحصّنة وقيل الكثيرة المنضّدة بعضها على بعض او المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة **من
الذّهب والفضّة** بيان للقناطير اوحال **والخيل** عطف على القناطير قيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم
والرّهط والواحد فرس وقيل واحده خائل وهو مشتقّ من الخيلاء **المسوّمة** اى المعلّمة من السّومة
وهي العلامة اوالمرعية من اسام الدّابة وسوّمها اذا ارسلها وسيّبها للرّعي والمطهّمة التّامة الخلق
والانعام اى الابل والبقر والغنم **والحرث** اى الزرع مصدر بمعنى المفعول **ذلك** اى ما ذكر من الاشياء
المعهودة **متاع الحيوة الدّنيا** اى ما يتمتّع به في الحيوة الدّنيا ايّاما قلايل فتفنى سريعا **والله عنده
حسن المآب** حسن المرجع وفيه دلالة على ان ليس فيما عدّد عاقبة حميدة وفي تكرير الاسناد بجعل
الجلالة مبتداء واسناد الجملة الظّرفيّة اليه زيادة تاكيد وتفخيم ومزيد اعتناء بالترغيب فيما عند الله
عزّ وجل من النّعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدّنيا وطيّباتها الفانية **قل أؤنبّئكم بخير من ذلكم** اثر
ما بيّن شان مزخرفات الدّنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن المآب اجمالا امر النّبيّ صلّى الله عليه
وسلّم بتفصيل ذلك المجمل للنّاس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة للتقرير اى اخبركم
بما هو خير ممّا فصّل من تلك المستلذات المزيّنة لكم وابهام الخير لتفخيم شانه والتشويق اليه وقوله
تعالى **للّذين اتقوا عند ربّهم جنّات** استيناف مبيّن لذلك المبهم على ان جنّات مبتداء والجار خبر
او على انّ جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصّل في محله والمراد
بالتقوى هو التّبتل الى الله تعالى والاعراض عمّا سواه على ما ينبئ عنه النعوت الاتية وتعليق حصول
الجنّات وما بعدها من فنون الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية
من جنّات او متعلّق بما تعلّق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علوّ رتبة الجنات وسموّ طبقتها
والتعرّض لعنوان الرّبوبيّه مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار مزيد اللّطف بهم وقيل اللام متعلقة
بخبر وكذا الظرف وجنّات خبر لمبتداء محذوف والجملة مبيّنة لخبر ويؤيّده قراءة جنات بالجر على
البدليّة من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار والبيان بما هو خير لطائفة ربّما يوهم انّ هناك خيرا
اخر لاخرين **تجرى** في محل الرّفع او الجر صفة لجنّات على حسب القراءتين **من تحتها الانهار** متعلق بتجرى
فان اريد بالجنات نفس الاشجار كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض
والاشجار فهو باعتبار جزئها الظّاهر كما مرّ تفصيله مرارا **خالدين فيها** حال مقدّرة من المستكن

فى الذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار وازواج مطهّرة عطف على جنات اى مبرّات ممّا يستقذر
من النساء من الاحوال البدنيّة والطّبيعيّة ورضوان التّنوين للتفخيم وقوله تعالى من الله متعلّق
بمحذوف وقع صفة له مؤكدة لما افاده التّنوين من الفخامة اى رضوان واىّ رضوان لا يقادر قدره
كائن من الله عزّ وجلّ وقرئ بضمّ الرّاء والله بصير بالعباد وباعمالهم فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها
اوبصير باحوال الذين اتّقوا ولذلك اعدّ لهم ما ذكر وفيه اشعار بانّهم المستحقّون للتسمية باسم
العبد الذين يقولون ربّنا انّنا امنّا فى محل الرّفع على انّه خبر مبتداء محذوف كانه قيل من اولئك
المتقون الفائزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الخ او النّصب على المدح او الجر على انّه
تابع للمتقين نعتا او بدلا او للعباد كذلك والاوّل اظهر وقوله تعالى والله بصير بالعباد ح معترضة
وتاكيد الجملة لاظهار ان ايمانهم ناشئ من وفور الرغبة وكمال النشاط وفى ترتيب الدّعاء بقولهم
فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار على مجرد الايمان دلالة على كفايته فى استحقاق المغفرة والوقاية
من النار الصّابرين هو على تقدير كون الموصول فى محلّ الرّفع منصوب على المدح باضمار اعنى وامّا
على تقدير كونه فى محلّ النّصب او الجرّ فهو نعت له والمراد بالصبر هو الصّبر على مشاقّ الطاعات وعلى
الباساء والضّرّاء وحين الباس والصّادقين فى اقوالهم ونياتهم وعزائمهم والقانتين المداومين
على الطاعات المواظبين على العبادات والمنفقين اموالهم فى سبيل الله تعالى والمستغفرين
بالاسحار قال مجاهد وقتاده والكلبى اى المصلّين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم الذين يصلّون
الصبح فى جماعة وقال الحسن مدّوا الصّلوة الى السّحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضى الله عنهما
يحيى الليلة ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله تعالى ويدعو
حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون فى اوّل اللّيل حتّى اذا كان السّحر اخذوا فى الدّعاء والاستغفار و
تخصيص الاسحار بالاستغفار لانّ الدّعاء فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة ح اشقّ والنّفس اصفى والرّوح
اجمع لاسيما للمتهجّدين وتوسيط الواو بين الصّفات المعدودة للدّلالة على استقلال كلّ منها وكمالهم
فيها اولتغاير الموصوفين بها شهد الله انّه بفتح الهمزة اى بانّه او على انّه لا اله الّا هو اى بيّن
وحدانيته بنصب الدّلائل التكوينيّة فى الآفاق والانفس وانزل الايات التّشريعيّة النّاطقة بذلك
عبّر عنه بالشهادة على طريقة الاستعارة ايذانا بقوّته فى اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقرئ
انه بكسر الهمزة وامّا باجراء شهد مجرى قال وامّا بجعل الهمزة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان
الذين الخ على قراءة انّ بفتح الهمزة كما سياتى وقرئ شهد الله بالنّصب على انّه حال من المذكورين او على
المدح وبالرفع على انّه خبر مبتداء محذوف وماله الرّفع على المدح اى هم شهداء الله وهو امّا جمع شهيد
كظرفاء فى جمع ظريف او جمع شاهد كشعراء فى جمع شاعر والملئكة عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة
على معنى مجازى شامل للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اى اقروا بذلك واولوا العلم اى امنوا به
واحتجوا عليه بما ذكر من الادلة التّكوينيّة والتشريعيّة قيل المراد بهم الانبياء عليهم وقيل المهاجرون

والانصار

والانصار وقيل علماء مؤمنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علماء المؤمنين الّذين
عرفوا وحدانيّته تعالى بالدلائل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الاخيرتين قيل بالعطف على الضّمير
فى شهداء لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بانّ ذلك على قراءة النّصب على الحالية يودى الى تقييد حال
المذكورين بشهادة الملئكة واولى العلم وليس فيه كثير فائدة فالوجه ح كون ارتفاعهما بالابتداء والخبر
محذوف لدلالة الكلام عليه اى والملئكة واولوا العلم شهداء بذلك ولك ان تحمل القراءتين على
المدح نصبا ورفعا فح يحسن العطف على المستتر على كلّ حال وقوله تعالى قائما بالقسط اى مقيما للعدل
فى جميع اموره بيان لكماله تعالى فى افعاله اثر بيان كماله فى ذاته وانتصابه على الحاليه من الله كما فى قوله
تعالى وهو الحقّ مصدقا وانّما جاز افراده مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى و
وهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ولعلّ تاخيره عن المعطوفين للدّلالة على علوّ رتبتهما وقرب منزلتهما
والمسارعة الى اقامة شهود التّوحيد اعتناء بشانه ورفعا لمحلّه وهو السّر فى تقديمه على المعطوفين
مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى فى الشّهادة به كما مرّ فى قوله تعالى امن الرّسول بما انزل اليه
من ربّه او من هو وهو الاوجه والعامل فيها معنى الجملة اى تفرّد او احقّه لانّها حال مؤكّدة او على
المدح وقيل على انه صفة للمنفى اى لا اله قائما الخ والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو مندرج
فى المشهود به اذا جعل صفة او حالا من الضمير او نصبا على المدح منه وقرئ القائم بالقسط على البدلية
من هو فيلزم الفصل بينهما كما فى الصّفة او على انّه خبر لمبتداء محذوف وقرئ قيما بالقسط لا اله
الّا هو تكرير للتّاكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة ادلّة التّوحيد والحكم به بعد اقامة الحجّة وليجرى عليه
قوله تعالى العزيز الحكيم فيعلم انّه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقدّم العلم بحكمته تعالى ورفعهما على
البدليّة من الضمير او الوصيفة لفاعل شهد والخبرية لمبتداء مضمر وقد روى فى فضلها انّه عليه السّلم
قال يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عزّ وجل ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احقّ من وفى بالعهد
ادخلوا عبدى الجنّة وهو دليل على فضل علم اصول الدّين وشرف اهله وروى عن سعيد بن جبير انّه
كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما فلما نزلت هذه الاية الكريمة خرّون سجّدا وقيل نزلت فى نصارى نجران
وقال الكلبى قدم على النّبى صلّى الله عليه وسلم حبران من احبار الشام فلمّا ابصرا المدينة قال احدهما ما اشبه
هذه المدينة بصفة مدينة النّبى الذى يخرج فى اخر الزّمان فلما دخلا عليه عليه السّلام عرفاه بالصّفة فقالا
له انت محمد قال قال نعم قالا وانت احمد قال عليه السلام انا محمّد واحمد قالا فانا نسئلك عن شئ فان اخبرتنا
به امنّا بك وصدّقناك قال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله عزّ وجل فانزل الله
تعالى هذه الاية فاسلم الرجالات انّ الدّين عند الله الاسلام جملة مستانفة مؤكدة للاولى اى لا دين
مرضيّا لله تعالى سوى الاسلام الّذى هو التّوحيد والتّدرع بالشريعة الشريفة وعن قتاده انّه شهادة
ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى وقرئ انّ الدّين عند الله للاسلام وقرئ انّ الدّين
الخ على انه بدل من انّه بدل الكلّ ان فسّر الاسلام بالايمان او بما يتضمّنه وبدل الاشتمال ان فسّر

بالشريعة او على ان شهد واقع عليه على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير اليه **وما اختلف الذين اوتوا الكتاب**
نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذى جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته والتعبير
عنهم بالموصول وجعل ايتاء الكتاب صلة له لزيادة تقبيح حالهم فان اختلاف ممن اوتى ما يزيله وتقطيع
شافته فى غاية القبح والسماجة وقوله عزوجل **الا من بعد ما جاءهم العلم** استيناف مفرغ من اعم الاحوال
او اعم الاوقات اى وما اختلفوا فى حال من الاحوال او فى وقت من الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق
الذى لا محيد عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج النيرة والآيات الباهرة
وفيه من الدلالة على ترامى حالهم فى الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف بعد حصول تلك
المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى **بغيا بينهم** اى حسدا كائنا بينهم وطلبا للرياسة لا لشبهة
وخفاء فى الامر تشنيع اثر تشنيع **ومن يكفر بآيات الله** اى بآياته الناطقة بما ذكر من ان الدين
عند الله هو الاسلام ولم يعمل بمقتضاها او باية اية كانت من آياته تعالى على ان يدخل فيها ما نحن فيه دخولا
اوليا **فان الله سريع الحساب** قائم مقام جواب الشرط علة له اى ومن يكفر بآياته تعالى فانه تعالى
يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب اى ياتى حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة واظهار
الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة وفى ترتيب العقاب على مطلق الكفر بآياته تعالى من غير تعرض
لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتاء الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه وكون ذلك للبغى
دلالة على كمال شدة عقابهم **فان حاجوك** اى فى كون الدين عند الله الاسلام او جادلوك فيه بعد
ما اقمت عليهم الحجج **فقل اسلمت وجهى** اى اخلصت نفسى وقلبى وجملتى وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف
الاعضاء الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما يقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل
التوجه الى كل شئ **لله** لا اشرك به فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت عليه الحجج ودعت اليه الآيات
والرسل عليهم **ومن اتبعن** عطف على المتصل فى اسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجارى مجرى التاكيد بالمنفصل
اى واسلم من اتبعنى او مفعول **وقل للذين اوتوا الكتاب** اى من اليهود والنصارى وضع الموصول
موضع الضمير لرعاية التقابل بين المتعاطفين **والاميين** اى الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب
ءاسلمتم متبعين لى كما فعل المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل
اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسئلة ولم يدع من طرق التوضيح
والبيان مسلكا الا سلكه فهل فهمتها على منهاج قوله تعالى فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن
تعاطى الخمر والميسر وفيه من استقصارهم وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة
القريحة ما لا يخفى **فان اسلموا** اى كما اسلمتم وانما لم يصرح به كما فى قوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم
به حسما لباب اطلاق اسم الاسلام على شئ آخر بالكلية **فقد اهتدوا** اى فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن
مهاوى الضلال **وان تولوا** اى اعرضوا عن الاتباع وقبول الاسلام **فانما عليك البلاغ** قائم مقام الجواب
اى لم يضروك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلت على ابلغ وجه روى ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم لما قرأ هذه الآية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال صلى الله عليه وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى
كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله
ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عزوجل وان تولوا **والله بصير بالعباد**
عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد **ان الذين يكفرون بآيات الله** اى آية كانت فيدخل
فيهم الكافرون بالآيات الناطقة بحقية الاسلام على الوجه الذى مر تفصيله دخولا اوليا **ويقتلون
النبيين بغير حق** هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام وقتلوا اتباعهم وهم راضون
بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول قتل النبى صلى الله عليه وسلم لولا ان عصم الله عز
وجل ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق
للايذان بانه كان عندهم ايضا بغير حق **ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس** اى بالعدل
ولعل تكرير الفعل للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما فى الوقت عن ابى عبيدة بن
الجراح رضى الله عنه قلت يا رسول الله اى الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا
امر بمعروف او نهى عن منكر ثم قراها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من
اول النهار فى ساعة واحدة فقام ومائة واثنا عشر رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا قاتلهم بالمعروف
ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار وقرئ ويقاتلون الذين **فبشرهم بعذاب اليم** خبر ان
والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتدا بل تزيده تاكيدا وكذا الحال فى النسخ
بان المفتوحة كما فى قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وكذا النسخ بلكن كما فى قوله
فوالله ما فارقتكم من ملالة ولكن يقضى فسوف يكون وانما يتغير معنى الابتداء فى النسخ بليت ولعل
وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما قوله تعالى اولئك
الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة كما فى قولك الشيطان فاحذره عدو مبين وعلى الاول هو
استيناف واسم الاشارة مبتداء وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامى امرهم فى الضلال وبعد منزلتهم
فى فظاعة الحال والموصول بما فى حيز صلته خبره اى اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة او المبتلون
باسوء الحال الذين بطلت اعمالهم التى عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر فى الدارين بل بقى لهم اللعنة
والخزى فى الدنيا وعذاب اليم فى الآخرة **وما لهم من ناصرين** ينصرونهم من باس الله وعذابه فى احدى الدارين
وصيغة الجمع لرعاية ما وقع فى مقابلته لا لنفى تعدد الانصار من كل واحد منهم كما فى قوله تعالى وما للظالمين
من انصار **الم تر** تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه الرؤية من حال اهل الكتاب
وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم فى الاسلام انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيته اى الم تنظر
الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التوراة على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب الالهية تطويل للمسافة
اذ تمام التقريب ح بكون التوراة من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو اعراضهم عن المحاكمة
الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى التوراة والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم والاحكام

التى من جلتها ما علموه من نعوت النبى صلى الله عليه وسلّم وحقيّة الاسلام والتعبير عنه بالنصيب للاشعار
بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التى يجب مراعاتها والعمل بموجبها ومافيه من التنكير للتفخيم وحمله
على التحقير لايساعده مقام المبالغة فى تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله الذى اوتوا نصيبا منه وهو التوراة
والاظهار فى مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتاكيد وجوب المراجعة
اليه والجملة استيناف مبيّن لمحلّ التعجب مبنىّ على سؤال نشاء من صدر الكلام كانه قيل ماذا يصنعون
حتى ينظر اليهم فقيل يدعون الى كتاب الله تعالى وقيل حال من الموصول ليحكم بينهم وذلك أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على
اىّ دين انت قال صلى الله عليه وسلّم على ملّة ابرهيم قال ان ابراهيم كان يهوديّا قال صلى الله عليه
وسلم لهما ان بيننا وبينكم التوراة فهلمّوا اليها فابيا وقيل نزل فى الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب
الله القرآن فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم على بناء المجهول فيكون الاختلاف بينهم
بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الاخرون ثمّ يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم
بعد علمهم بوجوب الرّجوع اليه وهم معرضون اما حال من فريق لتخصّصه بالصّفة اى يتولون من المجلس
وهم معرضون بقلوبهم او اعتراضهم اى وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحقّ والاصرار على الباطل ذلك
اشارة الى مامرّ من التولى والاعراض وهو مبتداء خبره قوله تعالى بانّهم اى حاصل بسبب انهم
قالوا لن تمسّنا النّار باقتراف الذّنوب وركوب المعاصى الّا ايّامًا معدودات وهى مقدار عبادتهم
العجل ورسخ اعتقادهم على ذلك وهوّنوا عليهم الخطوب وغرّهم فى دينهم ما كانوا يفترون من قولهم
ذلك وما اشبهه من قولهم ان اباءنا الانبياء يشفعون لنا او ان الله تعالى وعد يعقوب عليه
السّلام ان لايعذّب اولاده الا تحلّة القسم ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف ردّ لقولهم
المذكور وابطال لمأغرّهم باستعظام ما سيدهمهم وتهويل ما سيحيق بهم من الاهوال اى فكيف يكون
حالهم اذا جمعناهم ليوم اى لجزاء يوم لا ريب فيه اى فى وقوعه ووقوع ما فيه روى ان اوّل
راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤس الاشهاد
ثم يامر بهم الى النّار ووفّيت كلّ نفس ما كسبت اى جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانّما
وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتّلازم بينهما كانهما شئ واحد وفيه دلالة
على ان العبادة لاتحبط وان المؤمن لايخلّو فى النّار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لايكون فى النار ولا
قبل دخولها فاذن هى بعد الخلاص منها وهم اى كلّ النّاس المدلول عليهم بكل نفس لايظلمون بزيادة
عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كلا منهم مقدار ما كسبه قل اللّهمّ الميم عوض عن حرف النداء ولذلك
لايجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل لدخوله عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء
القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اى اقصدنا به فخفّف بحذف حرف النّداء ومتعلقات الفعل
وهمزته مالك الملك اى مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا حقيقيا بحيث يتصرّف فيه كيف

مايشاء ايجادًا واعدامًا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا ممانع وهو ندا ثان عند سيبويه
فان الميم عنده تمنع الوصفيّة تؤتى الملك بيان لبعض وجوه التّصرف الذى يستدعيه مالكية الملك
وتحقيق لاختصاصها به تعالى حقيقة وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه ايثار الايتاء الّذى هو مجرّد
الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكيّة حقيقة من تشاء اى ايتاءه اياه وتنزع الملك ممّن تشاء
اى نزعه منه فالملك الاوّل حقيقى عام ومملوكيته حقيقة والاخر مجازيان خاصان ونسبتهما الى صاحبهما
مجازيّة وقيل الملك الاول عام والاخران بعضان منه فتامل وقيل المراد بالملك النبوّة ونزعها
نقلها من قوم الى آخرين وتعزّ من تشاء اى تعزّه فى الدّنيا او فى الآخرة او فيهما بالنصر والتّوفيق
وتذلّ من تشاء اى تذله فى احدهما او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة بيدك الخير تعريف
الخير للتّعميم وتقديم الخبر للتخصيص اى بقدرتك الخير كلّه لا بقدرة احد من غيرك تتصرّف فيه قبضًا
وبسطا حسبما يقتضيه مشيتك وتخصيص الخير بالذّكر لما انه مقتضى بالذّات واما الشّر فمقضى بالعرض اذ
ما من شر جزئى الّا وهو متضمّن لخير كلّى او لان فى حصول الشّر دخلا لصاحبه فى الجملة لانه من اجزية اعماله
واما الخير ففضل محض او لرعاية الادب او لان الكلام فيه فانّه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما خطّ الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعًا واخذوا يحفرونه خرج
من بطن الخندق صخرة كالتّل لم يعمل فيها المعاول فوجّهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء
عليه السلام واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق اضاءها بين لابتيها لكان مصباحًا
فى جوف بيت مظلم فكبّر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب
ثم ضرب الثّانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر فى ارض الرّوم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت
لى قصور صنعاء واخبرنى جبرئيل عليه السلام ان امّتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون
الا تعجبون يمنّيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها
تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لاتستطيعون ان تبرزوا فنزلت انّك على كلّ شئ قدير
تعليل لما سبق وتحقيق له تولج اللّيل فى النّهار اى تدخله فيه بتعقيبه ايّاه او بنقص الاوّل وزيادة
الثانى وتولج النّهار فى اللّيل على احد الوجهين وتخرج الحىّ من الميّت اى تنشئ الحيوانات من موادّها
او من النطفة وقيل تخرج من الكافر وتخرج الميّت من الحىّ اى تخرج النطفة من الحيوان وقيل
تخرج الكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب قال ابو العبّاس المقرى ورد لفظ الحساب
فى القرآن على ثلثة اوجه بمعنى التّعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد قال تعالى
انّما يوفّى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب
والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق او من مفعوله وفيه دلالة على من قدر على امثال
هاتيك الافاعيل العظام المحيرة للعقول والافهام فقدرته على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه
العرب ويعزّهم اهون من كلّ هين عن على رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله ان الدين عند الله
الاسلام وقل اللهم الى قوله تعالى بغير حساب متعلقات بينهن وبين الله تعالى حجاب قلن يا رب تهبطنا
الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل انى حلفت انه لا يقرأكن احد دبر كل صلوة الا جعلت الجنة
مثواه على ما كان منه واسكنته فى حظيرة القدس ونظرت اليه بعينى كل يوم سبعين مرة وقضيت له
سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم وفى بعض الكتب ان الله
ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم لهم وان العباد عصونى
جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الىّ اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه
السلام كما تكونون يؤتى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة
او صداقة جاهلية ونحوهما من اسباب المصادقة والمعاشرة كما فى قوله سبحانه يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا عدوى وعدوكم اولياء وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون
حبهم ولا بغضهم الا لله تعالى او عن الاستعانة بهم فى الغزو وساير الامور الدينية من دون المؤمنين
فى موضع الحال اى متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى انهم الاحقاء بالموالاة
وان فى موالاتهم مندوحة عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اى اتخاذهم اولياء والتعبير عنه
بالفعل للاختصار او لايهام الاستهجان بذكره فليس من الله فى شئ يصح ان يطلق عليه اسم الولاية
فان ولاية المتعاديين مما لا يكاد يدخل تحت الوقوع قال تود عدوى ثم تزعم اننى صديقك ليس
النوك عنك بعازب والجملة اعتراضية وقوله تعالى الا ان تتقوا على صيغة الخطاب بطريق
الالتفات استثناء مفرغ من اعم الاحوال والعامل فعل النهى معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم
اولياء ظاهرا او باطنا فى حال من الاحوال الا حال اتقائكم منهم اى من جهتهم تقاة اى اتقاء
او شيئا يجب اتقاؤه على ان المصدر واقع موقع المفعول فانه يجوز اظهار الموالاة ح مع اطمئنان
النفس بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا واظهار ما فى الضمير كما قال عيسى
عليه السلام كن وسطا وامش جانبا واصل تقاة وقية ثم ابدلت الواو تاء كتخمة وتهمة وقلبت الياء
الفا وقرئ تقية ويحذركم الله نفسه اى ذاته المقدسة فان جواز اطلاق نفس النفس مرادا به
الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة مما لا كلام فيه عند المتقدمين وقد صرح بعض محققى المتاخرين
بعدم الجواز وان اريد به الذات الا مشاكلة وفيه من التهديد ما لا يخفى عظمه وذكر النفس للايذان
بان له عقابا هائلا لا يؤبه دونه بما يحذر من الكفرة والى الله المصير تذييل مقرر لمضمون ما قبله
ومحقق لوقوعه حتما قل ان تخفوا ما فى صدوركم من الضمائر التى من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه
فيما بينكم يعلمه الله فيؤاخذكم بذلك عند مصيركم اليه وتقديم الاخفاء على الابداء قد مر سره
فى تفسير قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه وقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ويعلم
ما فى السموات وما فى الارض كلام مستانف غير معطوف على جواب الشرط وهو من باب ايراد العام

بعد الخاص تاكيدا له وتقريرا والله على كل شئ قدير فيقدر على عقوبتكم بما لا مزيد عليه
ان لم تنتهوا عما نهيتم عنه واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب
وهو تذييل لما قبله مبين لقوله تعالى ويحذركم الله نفسه بان ذاته المقدسة المتميزة عن ساير
الذوات المتصفة بما لا يتصف به شئ منها من العلم الذاتى المتعلق بجميع المعلومات متصفة بالقدرة
الذاتية الشاملة لجميع المقدورات بحيث لا يخرج عن ملكوته شئ قط يوم تجد كل نفس اى من
النفوس المكلفة ما عملت من خير محضرا عندها بامر الله تعالى وفيه من التهويل ما ليس فى حاضرا
وما عملت من سوء عطف على ما عملت والاحضار معتبر فيه ايضا الا انه خص بالذكر فى الخير للاشعار
بكون الخير مرادا بالذات وكون احضار الشر من مقتضيات الحكمة التشريعية تود عامل فى الظرف
والعامل تود وتتمنى يوم تجد صحايف اعمالها من الخير والشر او اجزيتها محضرة لو ان بينها وبينه اى
بين ذلك اليوم امدا بعيدا لغاية هوله وفى اسناد الودادة الى كل نفس سواء كان لها عمل سيئ او لا
بل كانت متمحضة فى الخير من الدلالة على كمال فظاعة ذلك اليوم وهول مطلعه ما لا يخفى اللهم انا نعوذ
بك من ذلك ويجوز ان يكون انتصاب يوم على المفعولية باضمار اذكروا وتود اما حال من كل نفس
او استيناف مبنى على السؤال اى اذكروا يوم تجد كل نفس ما عملت من خير وشر محضرا وادة ان بينها
وبينه امدا بعيدا او كان سائلا قال حين امروا بذكر ذلك اليوم فماذا يكون اذ ذاك فقيل تود لو
ان بينها الخ او تجد مقصور على ما عملت من خير وتود خبر ما عملت من سوء ولا تكون ما شرطية لارتفاع
تود وقرئ ودت فح يجوز كونها شرطية لكن الحمل على الخبر اوقع معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق
للقراءة المشهورة ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتاكيد فقط بل لافادة
ما يفيده قوله عز وجل والله رؤف بالعباد من ان تحذيره تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة
او ان رأفته بهم لا تمنع تحقيق ما حذرتموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسى صفة الرأفة
بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما فى قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم فالجملة على الاول
اعتراض وعلى الثانى حال وتكرير الاسم الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
المحبة ميل النفس الى الشئ لكمال ادركته فيه بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال
الحقيقى ليس الا لله عز وجل وان كل ما يراه كمالا من نفسه او من غيره فهو من الله وبالله والى الله
لم يكن حبه الا لله وفى الله وذلك يقتضى ارادة طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت
المحبة بارادة الطاعة وجعلت مستلزمة لاتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فى عبادته والحرص على
مطاوعته يحببكم الله اى يرض عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اى يكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما
فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم فى جوار قدسه عبر عنه بالمحبة بطريق الاستعارة او المشاكلة
والله غفور رحيم اى لمن يتحبب اليه بطاعته ويتقرب اليه باتباع نبيه صلى الله عليه وسلم فهو
تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع الضمير للاشعار باستتباع

وصف الالوهيّة للمغفرة والرّحمة روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناؤ الله واحبّاؤه وقيل نزلت
فى وفد نجران لمّا قالوا انّا نعبد المسيح حبّا لله تعالى وقيل فى اقوام زعموا على عهده عليه السّلام
انهم يحبّون الله تعالى فامروا ان يجعلوا القولهم مصداقا من العمل وروى الضّحاك عن ابن عبّاس
رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم فى المسجد الحرام يسجدون للاصنام
وقد علقوا عليها بيض النّعام وجعلوا فى اذانها الشّنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا معشر قريش لقد خالفتم ملة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فقالت قريش انّا نعبدها حبّا
لله ليقربونا الى الله تعالى زلفى فقال الله تعالى لنبيّه صلى الله وسلم قل ان كنتم تحبّون الله
تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه فاتّبعونى اى اتبعوا شريعتى وسنتى يحببكم الله فانا رسوله
اليكم وحجّته عليكم قل اطيعوا الله واطيعوا الرّسول اى فى جميع الاوامر والنّواهى فيدخل فى
ذلك الطاعة فى اتباعه عليه السلام دخولا اوّليا وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات
لتعيين حيثيّة الاطاعة المامور بها الطاعته عليه السلام من حيث انّه رسول الله لا من حيث
ذاته ولا ريب فى انّ عنوان الرّسالة من موجبات الاطاعة ودواعيها فان تولوا امّا من تمام مقول
القول فهى صيغة المضارع المخاطب بحذف احدى التائين اى تتولوا وامّا كلام متفرع عليه مسوق
من جهته تعالى فهى صيغة الماضى الغائب وفى ترك ذكر احتمال الاطاعة كما فى قوله تعالى فان اسلموا
تلويح الى انه غير محتمل منهم فانّ الله لا يحبّ الكافرين نفى المحبّة كناية عن بغضه تعالى لهم
وسخطه عليهم اى لا يرضى عنهم ولا يثنى عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل الكفرة و
الاشعار بعلّته فان سخطه تعالى عليهم بسبب كفرهم والايذان بان التولى عن الطّاعة كفر وبان محبّته
عزّ وجل مخصوصة بالمؤمنين انّ الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين
لما بين الله عزّ وجل ان الدّين المرضى عنده هو الاسلام والتّوحيد وان اختلاف اهل الكتابين
فيه انّما هو للبغى والحسد وان الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوط باتباع الرّسول صلى الله
عليه وسلّم وطاعته شرع فى تحقيق رسالته وكونه من اهل بيت النّبوة القديمة فبدا ببيان
جلالة اقدار الرّسل عليهم الصّلوة والسلام كافة واتبعه ذكر مبداء عيسى عليه السلام وامّه وكيفيّة
دعوته للنّاس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحقّ وابطالا لما عليه اهل الكتابين فى شانهما من الافراط
والتفريط ثم بيّن بطلان محاجتهم فى ابراهيم عليه السلام وادّعائهم الانتماء الى ملّته ونزه ساحته
العليّة عمّا هم عليه من اليهوديّة والنّصرانيّة ثم نصّ على ان جميع الرسل عليهم السلام دعاة الى عبادة
الله عزّ وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدّعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم من الملائكة والنّبيين
وان اممهم قاطبة مامورون بالايمان بمن جاءهم من رسول مصدّق لما معهم تحقيقًا لوجوب الايمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التورية والانجيل وتحتم الطاعة له حسبما
سياتى تفصيله وتخصيص ادم عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر ومنشاء النّبوة وكذا حال نوح عليه السلام

فانه ادم الثانى وامّا ذكر ال ابرهم عليهم السّلام فلترغيب المعترفين باصطفائهم فى الايمان بنبوّة النبىّ
صلى الله عليه وسلم واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من زمرتهم مع ما مرّ من التنبيه
على كونه عليه السّلام عريقا فى النّبوة من زمرة المصطفين الاخيار وامّا ذكر ال عمران مع اندراجهم
فى ال ابراهيم فلاظهار مزيد الاعتناء بتحقيق امر عيسى عليه السلام لكمال رسوخ الخلاف فى شانه
فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب ادلّ على تحققه فى الال وهو الدّاعى الى اضافة الال الى ابراهيم
دون نوح وادم عليهم السلام والاصطفاء اخذ ما صفا من الشئ كالاستصفاء مثّل به اختياره تعالى
اياهم بالنّفوس القدسية وما يليق بها من الملكات الرّوحانية والكمالات الجسمانيّة المستتبعة للرسالة
فى نفس المصطفى كما فى كافة الرّسل عليهم السلام او فيمن يلابسه وينشاء منه كما فى مريم وقيل اصطفى ادم
عليه السلام بان خلقه بيده فى احسن تقويم وبتعليم الاسماء واسجاد الملئكة ايّاه واسكان الجنّة واصطفى
نوحا عليه السلام بكونه اوّل من نسخ الشّرايع اذ لم يكن قبل تزويج المحارم حراما وباطلة عمره وجعل
ذريته هم الباقين واستجابة دعوته فى حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء والمراد بال ابرهيم
اسمعيل واسحق والانبيا من اولادهما الذين من جملتهم النّبى صلى الله عليه وسلم واما اصطفاء نفسه
عليه السلام فهو مفهوم من اصطفائهم بطريق الاولويّة وعدم التّصريح به للايذان بالغنى عنه لكمال
شهرة امره فى الخلة وكونه امام الانبياء وقدوة الرسل عليهم السّلام وكون اصطفاء اله بدعوته بقوله
ربّنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية ولذلك قال عليه السّلام انا دعوة ابى ابرهيم وبال عمران عيسى
وامّه مريم ابنة عمران بن ماثان بن العاذ ابن ابى هوز بن ربيابيل بن سالبان بن يوحيا بن اوشا
بن اموذ رين ميشك بن حار فابن احاد بن يونام ابن عزريا بن يوزان بن ساقط بن ايشا بن راجعيم
بن سليمان بن داود عليهما السلام بن ايشا بن عويل بن سلمون بن باعر بن يحشون بن عميادبن دام
بن حضروم بن فارض بن يهود بن يعقوب عليه السلام وقيل موسى وهرون عليهما السّلام ابنا
عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة
فيكون اصطفاء عيسى عليه السلام ح بالاندراج فى ال ابرهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل
تعقيبه بقصّة مريم واصطفاء موسى وهرون عليهما السلام بالانتظام فى سلك ال ابرهيم عليه السلام
انتظاما ظاهرًا والمراد بالعالمين اهل زمان كلّ واحد منهم اى اصطفى كل واحد منهم على عالمى زمانه
ذرّيّة نصب على البدليّة من الالين او على الحاليّة منهما وقد مرّ بيان اشتقاقها فى قوله تعالى ومن
ذرّيتى وقوله تعالى بعضها من بعض فى محل النّصب على انّه صفة لذرّيّة اى اصطفى الالين حال كونهم
منسلسلة متشعبة البعض من البعض فى النسب كما ينبئ عنه التّعرض لكونهم ذرّيّة وقيل بعضها من
بعض فى الدّين فالاستمالة على الوجه الاوّل تقريبيّة وعلى الثانى برهانيّة والله سميعٌ لاقوال
العباد عليمٌ باعمالهم البادية والخافية فيصطفى من بينهم لخدمته من يظهر استقامته قولا وفعلًا
على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والجملة تذييل مقرّر لمضمون ما قبلها اذ قالت

امراة عمران فى حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة الاستيناف لتقرير اصطفاء ال عمران وبيان
كيفيته اى اذكر لهم وقت قولها الخ وقد مر مرارا وجه توجيه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير
ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية لما قبله اى سميع لقولها المحكى عليهم بضميرها المنوى
وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور كانه قيل واصطفى ال عمران اذا قالت
الخ فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات على المفردات ليلزم كون اصطفاء الكل فى ذلك الوقت
وامراة عمران هى حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عم وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى
وهرون عليهما السلام فظن ان المراد زوجته وليس بذاك فان قصة كفالة زكريا عليه السلام
قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه عليه السلام واما قوله صلى الله عليه وسلم فى شان يحيى
وعيسى عليهما السلام هما ابنا خالة فقيل تاويله ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت وبهذا
الاعتبار جعلا عليهما السلام ابنى خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب
على ان عمران نكح اولا ام حنة فولدت لهما ايشاع ثم نكح حنة بناء على حل نكاح الربائب فى شريعتهم
فولدت مريم فكانت ايشاع اخت مريم من الاب وخالتها من الام لانها اخت حنة من الام روى انها
كانت عجوزا عاقرا فبينا هى ذات يوم فى ظل شجرة اذ رات طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته
وقالت اللهم ان لك على نذرا ان رزقتنى ولدا ان اتصدق على بيت المقدس فيكون من سدنته
وكان هذا النذر مشروعا عندهم فى الغلمان ثم هلك عمران وهى حامل فقولها **رب انى نذرت لك**
ما فى بطنى لا بد من حمله على التكرير لتاكيد نذرها واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة
الاجابة ولذلك قيل ان اراد العبد ان يستجاب دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته
وتاكيد الجملة لابراز وفور الرغبة فى مضمونها وتقديم الجار والمجرور لكمال الاعتناء به وانما عبر عن
الولد بما لابهام امره وقصوره عن درجة العقلاء **محررا** اى معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شان
اخر او مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره فى
الصلة والعامل معنى الاستقرار فانها فى قوة ما استقر فى بطنى ولا يخفى ان المراد تقييد فعلها بالتحرير
ليحصل به التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار فى بطنها **فتقبل منى** اى ما نذرته
والتقبل اخذ الشئ على وجه الرضى وهذا فى الحقيقة استدعاء للولد اذ لا يتصور القبول بدون
تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى **انك انت السميع** لجميع المسموعات التى من جملتها
تضرعى ودعائى **العليم** بكل المعلومات التى من زمرتها ما فى ضميرى لا غير وهو تعليل لاستدعاء
القبول لا من حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائها عليما بما فى ضميرها مصحح للتقبل فى الجملة بل من حيث
ان علمه تعالى بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتاكيد الجملة لعرض قوة يقينها
بمضمونها وقصر صفتى السمع والعلم عليه تعالى لعرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها

عما عداه بالكلية مبالغة فى الضراعة والابتهال **فلما وضعتها** اى ما فى بطنها وتانيث الضمير العايد اليه
لما ان المقام يستدعى ظهور انوثته واعتباره فى حيز الشرط اذ عليه يترتب جواب لما اعنى قوله تعالى
قالت رب انى وضعتها انثى لا على وضع ولد ما كانه قيل فلما وضعت بنتا قالت الخ وقيل تانيثه
لان ما فى بطنها كان انثى فى علم الله تعالى او لانه مؤول بالجبلة او النفس او النسمة وانت خبير بان
اعتبار الشئ مما ذكر فى حيز الشرط لا يكون مدارا لترتب الجواب عليه وقوله تعالى انثى مؤكدة من الضمير
او بدل منه وتانيثه للمسارعة الى عرض ما وهمها من خيبة الرجاء او لما مر من التاويل بالجبلة او النسمة
فالحال مبنية وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجوا ان تلد
ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والتاكيد للرد على اعتقادها الباطل **والله اعلم بما وضعت** تعظيم
من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشانه وتجهيل لها بقدره اى والله اعلم بالشئ الذى وضعته وما
علق به من عظائم الامور وجعله وابنه اية للعالمين وهى غافلة عن ذلك والجملة اعتراضية وقرئ
وضعت على خطاب الله تعالى لها انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه من علو الشان
وسمو المقدار وقرئ وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات من الخطاب الى الغيبة اظهار الغاية
الاجلال فيكون ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى حيث انت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة
او تسلية لنفسها مع معنى لعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات
ح ظاهر وقوله تعالى **وليس الذكر كالانثى** اعتراض اخر مبين لما فى الاول من تعظيم الموضوع ورفع
منزلته واللام فى الذكر والانثى للعهد اى ليس الذكر الذى كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه
ان يكون كواحد من السدنة كالانثى التى وهبت لها فان دائرة علمها وامنيتها لا تكاد تحيط بما فيها
من جلائل الامور هذا على القراءتين الاوليين واما على التفسير الاخير للقراءة الاخيرة فمعناه
وليس الذكر كهذه الانثى فى الفضيلة بل ادنى منها واما على التفسير الاول لها فمعناه تاكيد الاعتذار
ببيان ان الذكر ليس كالانثى فى الفضيلة والمزية وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن بمعزل من
ذلك فاللام للجنس وقوله تعالى **وانى سميتها مريم** عطف على انى وضعتها انثى وغرضها من
عرضها على علام الغيوب التقرب اليه تعالى واستدعاء العصمة لها فان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة
قال القرطبى معناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن نيتها وان كان ما وضعته انثى وانها
لم تكن خليفة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه **وانى اعيذها بك** عطف على انى
سميتها وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار اى اجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم فى المواضع
التى بعدها همزة مضمومة الا فى موضعين بعهدى اوف اتونى افرغ **وذريتها** عطف على الضمير
وتقديم الجار والمجرور عليه لابراز كمال العناية به **من الشيطان الرجيم** اى المطرود واصل الرجم الرمى
بالحجارة عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل
صارخا من مسه الا مريم وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع فى اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم

وابنها فان الله تعالى عصمها ببركة هذه الاستعاذة فتقبلها اى اخذ مريم ورضى بها فى النذر مكان الذكر
ربها مالكها ومبلّغها الى كمالها اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى بقبول حسن قيل الباء زائدة و
القبول مصدر مؤكد للفعل السابق بحذف الزوائد اى تقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان
بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته للعناية الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف
وكون الفعل على خلاف طبع الفاعل وان كان المراد بها فى حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل
وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشئ كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه تعالى
اياها باقامتها مقام الذكر فى النذر ولم تقبل قبلها انثى او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل
ان تنشأ وتصلح للسدانة روى ان حنة حين ولدتها لفتها فى خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند
الاحبار ابناء هرون وهم فى بيت المقدس كالحجبة فى الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا
فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بنى ماثان كانت رؤس بنى اسرائيل وملوكهم
وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عليه السلام فى الكتب الالهية فقال زكريا أم انا احق بها
عندى خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة عشرين فانطلقوا الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفى
قلم زكريا عليه السلام ورسب اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر وفيه مضاف مقدر اى فتقبلها
بذى قبول اى بامر ذى قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل كتقصى بمعنى استقصى وتعجل بمعنى استعجل
اى استقبلها فى اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها مجاز عن تربيتها بما يصلحها فى جميع احوالها
نباتا حسنا مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوايد وقيل بل لفعل مضمر موافق له تقديره فنبتت
نباتا حسنا وكفلها زكريا اى جعله عليه السلام كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها على
طريقة الوحى بل على ذكر من التفصيل فان رغبته عليه السلام فى كفالتها وطفو قلمه ورسوب اقلامهم
وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من آثار قدرته تعالى وقرئ اكفلها وقرئ زكريا بالنصب
والمد وقرئ بتخفيف الفاء وكسرها ورفع زكرياء ممدودا وقرئ تقبلها ربها وانبتها وكفلها على
صيغة الامر فى الكل ونصب ربها على الدعاء اى فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا
لها فهو تعيين لجهة التربية قيل بنى عليه السلام لها محرابا فى المسجد اى غرفة يصعد اليها بسلم وقيل
المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت فى اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت
مساجدهم تسمى المحاريب روى انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب
كلما دخل عليها زكريا المحراب تقديم الظرف على الفاعل لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب
على التوسع وكلمة كلما ظرف على ان ما مصدرية والزمان محذوف اى نكرة موصوفة معناها الوقت
والعائد محذوف والعامل فيها جوابها اى كل زمان دخوله عليها او كل وقت دخل عليها فيه وجد
عندها رزقا اى نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها فى الصيف فاكهة
الشتاء وفى الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط قال استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال

زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الآية فقيل قال يا مريم انى لك هذا اى من اين يجئ لك هذا
الذى لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن
انكرها جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة عيسى عليه السلام واما جعله معجزة لزكريا عليه
السلام فيأباه اشتباه الامر عليه وانما خاطبها عليه السلام بذلك مع كونها بمعزل من رتبة الخطاب
لما علم بمشاهدة انها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة قالت استيناف كما قبله كانه قيل
فماذا صنعت مريم وهى صغيرة لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله
فلا تعجب ولا تستبعد ان الله يرزق من يشاء ان يرزقه بغير حساب اى بغير تقدير لكثرته
او بغير استحقاق تفضلا منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون فى
محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو مستانف روى ان فاطمة الزهراء رضى الله عنها اهدت الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها فقال هلمى يا بنية فكشفت عن الطبق
فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير
حساب فقال عليه افضل الصلوات واكمل التحيات الحمد لله جعلك شبيهة سيدة بنى اسرائيل
ثم جمع عليا والحسن والحسين رضوان الله عليهم اجمعين وجميع اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقى الطعام
كما هو فاوسعت على جيرانها هنالك كلام مستانف وقصة مستقلة سيقت فى تضاعيف حكاية مريم
لما بينهما من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما فى ايرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها من
بيان اصطفاء آل عمران فان فضائل بعض الاقرباء دالة على فضائل الآخرين وهنا ظرف مكان واللام
للدلالة على البعد والكاف للخطاب اى فى ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم فى المحراب او فى ذلك
الوقت اذ يستعار هنا وثم وحيث للزمان دعا زكريا ربه لما رأى كرامة مريم على الله تعالى ومنزلتها
منه تعالى رغب فى ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولد حنة فى النجابة والكرامة على الله تعالى وان
كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك قيل لما رأى الفواكه فى غير اوانها تنبه لجواز ولادة
العجوز العاقر من الشيخ الفانى فاقبل من الدعاء من غير تاخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل
لا على معنى ان ذلك كان هو الموجب للاقبال على الدعاء فقط كان جزءا خيرا من العلة التامة التى من
جملتها كبر سنه عليه السلام وضعف قواه وخوف مواليه حسبما فصل فى سورة مريم قال تفسير
للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب رب هب لى من لدنك كلا الجارين متعلق بهب
لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا اى اعطنى من محض قدرتك من غير
وسط معتاد ذرية طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق من بمحذوف وقع حالا من ذرية اى
كائنة من لدنك والذرية النسل تقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد
فالتانيث فى الصفة لتانيث لفظ الموصوف كما فى قول من قال ابوك خليفة ولدته اخرى وانت
خليفة ذاك الكمال وهذا اذا لم يقصد به واحد معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ نحو

طلحة وحمزة فلايجوز ان يقال جات طلحة وذهبت حمزة انك سميع الدعاء اى مجيبه وهو تعليل لما قبله
وتحريك لسلسلة الاجابة فنادته الملئكة كان المنادى جبرئيل عليه السلام كما يفصح عنه قراءة من
قرا فناداه جبرئيل والجمع كما فى قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس وثوب قال
الزجاج اى اتاه النداء من هذا الجنس الذين هم الملئكة وقيل لما كان جبرئيل عليه السلام رئيسهم
عبّر عنه باسم الجماعة تعظيمًا له وقيل الرئيس لابدّ له من اتباع فاسند النداء الى الكل مع كونه
صادرًا عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة وهو قائم جملة حالية من مفعول النداء مقررة لما افاده
الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلى اما صفة لقائم او خبر ثان عند من يرى
تعدده عند كون الثانى جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى او حال اخرى منه على القول
بتعددها بلا عطف ولا بدلية او حال من المستكن فى قائم وقوله تعالى فى المحراب اى فى المسجد او فى
غرفة مريم متعلق بيصلى او بقائم على تقدير كون يصلى حالا من ضمير قائم لان العامل فيه وفى الحال شئ
واحد فلا يلزم الفصل بالاجنبى كما يلزم على التقادير الباقية ان الله يبشرك بيحيى اى بان الله وقرئ
بكسر الهمزة على تقدير القول او اجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك من الابشار ويبشرك
من الثلاثى وايا ما كان ينبغى ان يكون هذا الكلام الى آخره محكيا بعبارته من الله عز وجل على منهاج
قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية كما يلوح به مراجعته
عليه السلام فى الجواب اليه يقال بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة
حسبما وقع فى سورة مريم للجرى على سنن الكبريا كما فى قول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك كذا وللايذان
بانما حكى هناك من النداء والتبشير وما يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك
بطريق الحكاية منه سبحانه لا بالذات كما هو المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى فى السورتين الكريمتين
فتامل ويحيى اسم اعجمى وان جعل عربيًا فمنع صرفه للتعريف ووزن الفعل روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما انما سمى يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان
قال القرطبى كان اسمه فى الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير مضاف يعود اليه الحال اى بولادة
يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى بكلمة من الله اى بعيسى عليه
السلام وانما كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات التى هى عالم الامر ومن لابتداء
الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اى بكلمة كائنة منه تعالى قيل هو اول من آمن به وص
دق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدى لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت يا مريم اشعرت بحبلى
فقالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فانى وجدت ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك قوله تعالى
مصدقا بكلمة الخ وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر
وقيل بثلث سنين وقيل قبل رفع عيسى عليهم السلام بمدة يسيرة وعلى كل تقدير يكون بين ولادة
يحيى وبين البشارة بها زمان مديد لما ان مريم ولدت وهى بنت ثلث عشرة سنة او بنت عشر سنين

وقيل

١٥٠

وقيل بكلمة من الله سمى كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا عطف على مصدقا اى رئيسا يسود قومه
ويفوقهم فى الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيا لها من سيادة ما
اسناها وحصورا عطف على ما قبله اى مبالغا فى حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة روى انه مر
فى صباه بصبية فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا عطف على ما قبله مترتب على ما عدد من
الخصال الحميدة من الصالحين اى ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام او كائنا من جملة
المشهورين بالصلاح كما فى قوله تعالى وانه فى الآخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذى
لابدّ منه فى منصب النبوة البتة من اقاصى مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عليه السلام وادخلنى برحمتك
فى عبادك الصالحين قال استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام حينئذ
فقيل قال رب لم يخاطب الملك المنادى له بملابسة انه المباشر للخطاب وان كان ذلك بطريق
الحكاية عنه تعالى بل جرى على نهج دعائه السابق مبالغة فى التضرع والمناجات وجدا فى التبتل
اليه تعالى واحترازا عما عسى يوهم خطاب الملك من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه
كما يتوقف وقوف البشر على ما يصدر عنه سبحانه على توسطه فى عامة الاحوال وان لم يتوقف عليه
فى بعضها انى يكون لى غلام فيه دلالة على انه قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير كما فى قوله
تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى بمعنى كيف او من اين وكان تامة وانى واللام متعلقتان بها
وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا فى الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اى كيف او من اين يحدث
لى غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له او ناقصة واسمها
ظاهر وخبرها اما انى واللام متعلقة بمحذوف كما مر او هو الخبر وانى منصوب على الظرفية وقد بلغنى
الكبر حال من ياء المتكلم اى ادركنى كبر السن واثر فى كقولهم ادركته السن واخذته السن وفيه
دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب للانسان لا يكاد يتركه قيل كان له تسع
وتسعون سنة وقيل اثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل خمس وستون وقيل
سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل خمس وثمانون ولامراته ثمان وتسعون وامراتى عاقر اى ذات
عقر وهو ايضا حال من ياء لى عند من يجوز تعدد الحال او من ياء بلغنى اى كيف يكون لى ذلك
والحال انى وامراتى على حالة منافية له كل المنافاة وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه بذلك
وقوة يقينه بقدرة الله تعالى لا سيما بعد مشاهدته عليه السلام للشواهد السالفة استعظاما
لقدرة الله سبحانه وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته عز وجل عليه فى ذلك لا استبعادا له وقيل بل كان
ذلك للاستبعاد حيث كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وكان قد نسى دعاه وهو بعيد وقيل
كان ذلك استفهاما عن كيفية حدوثه قال استيناف كما سلف كذلك اشارة الى مصدر يفعل فى
قوله عز وجل الله يفعل ما يشاء اى ما يشاء اى يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله
مبتداء ويفعل خبره والكاف فى محل النصب على انها فى الاصل نعت لمصدر محذوف اى الله يفعل ما يشاء

ان يفعله فعلاً مثل ذلك الفعل العجيب والصنع البديع الذى هو خلق الولد من شيخ فانٍ وعجوز عاقر
فقدّم على العامل لافادة القصر بالنسبة الى ما هو ادنى من المشار اليه واعتبرت الكاف مقحمة
لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقد مرّ تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم
امّة وسطا او على انّها حال من ضمير المصدر المقدّر معرفة اى يفعل الفعل كائنا مثل ذلك او فى محلّ
الرّفع على انّها خبر والجلالة مبتداء اى على نحو هذا الشان البديع شان الله تعالى ويفعل مايشاء
بيان لذلك الشان المبهم او كذلك خبر لمبتداء محذوف اى الامر كذلك خبر لمبتداء محذوف
اى الامر كذلك وقوله تعالى الله يفعل مايشاء بيان له **قال ربّ اجعل لى اٰية** اى علامة تدلّنى على
تحقق المسئول ووقوع الحبل وانّما سالها لان العلوق امر خفىّ لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله
تعالى عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادًا
ولعلّ هذا السّؤال وقع بعد البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التّفاوت بين
سنّى يحيى وعيسى عليهما السلام بستة اشهر او بثلاث سنين ظهور العلاّمة كان عقيب تعيينها لقوله
تعالى فى سورة مريم فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم الاية اللّهمّ الاّ ان يكون المحاورة بين
زكريّا ومريم فى حالة كبرها وقد عدّت من جملة من تكلّم فى الصّغر بموجب قولها المحكى والجعل ابداعىّ
واللّام متعلقة به والتّقديم لما مرّ مرارًا من الاعتناء بما قدّم والتشويق الى ما اخّر او بمحذوف وقع حالاً
من اٰية وقيل هى بمعنى التصيير المستدعى المفعولين اولهما اٰية وثانيهما لى والتقديم لانه مسوغ لكون
اٰية مبتداء عند انحلال الجملة الى مبتداء وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما بعد دخول النّاسخ
قال اٰيتك الاّ تكلم النّاس اى ان لا تقدر على تكليمهم **ثلاثة ايّام** اى متوالية لقوله تعالى فى
سورة مريم ثلاث ليال سويّا مع القدرة على الذّكر والتّسبيح وانّما جعلت اٰيته ذلك لتخليص المدّة
لذكر الله تعالى وشكره قضاء لحقّ النعمة كانه قيل اٰية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك
الاّ عن شكرها واحسن الجواب ما اشتق من السؤال **الاّ رمزا** اى اشارة بيد او راس او نحوهما واصله
التحرّك يقال ارتمز اى تحرّك ومنه قيل للبحر الرّاموز وهو استثناء منقطع لانّ الاشارة ليست من
قبيل الكلام او متّصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب فى كون الرّمز من ذلك القبيل
وقرئ رمزا بفتحتين على انّه جمع رامز كخادم وبضمتين على انّه جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن
النّاس معًا بمعنى مترامزين كقوله متىما تلقنى فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا **واذكر ربّك
كثيرا** اى فى ايام الحبسة شكر الحصول التفضّل والانعام كما يؤذن به التّعرض لعنوان الربوبيّة **كثيرا**
اى ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا **وسبّح** اى سبّحه تعالى وافعل التّسبيح **بالعشىّ** اى من الزوال الى
الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل **والابكار** من طلوع الفجر الى الضّحى قيل المراد بالتسبيح
الصلوة بدليل تقييده بالوقت كما فى قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقيل الذكر
اللسانى كما ان المراد بالذكر الذكر القلبى وقرئ الابكار بفتح الهمزة على انّه جمع كسحر واسحار **واذ**

قالت

قالت الملئكة شروع فى شرح بقيّة احكام اصطفاء اٰل عمران اثر الاشارة الى نبذ من فضائل
بعض اقاربهم اعنى زكريا ويحيى عليهما السّلام لاستدعاء المقام ايّاها حسبما اشير اليه وقرئ بتذكير
الفعل والمراد بالملئكة جبرئيل عليه السّلام وقد مرّ ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر معطوف
على المضمر السّابق اعنى قوله تعالى اذ قالت امراة عمران منصوب بناصبه فقدّر اى واذكر ايضا
من شواهد اصطفائهم وقت قول الملئكة عليهم السلام **يا مريم** وتكرير التذكير للاشعار
بمزيد الاعتناء بما يحكى من احكام الاصطفاء والتنبيه على استقلالها وانفرادها من الاحكام السابقة
فانّها من احكام التربية الجسمانيّة اللايقة بحال صغر مريم رضى الله عنها وهذه من باب التّربية
الرّوحانية بالتكاليف الشّرعيّة المتعلّقة بحال كبرها قيل كلّموها شفاها كرامة لها او ارهاصًا
لنبوّة عيسى عليه السلام لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امراة وقيل الهموها **انّ الله
اصطفيك** اوّلا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يتقبل غيرك انثى وربّاك فى حجر زكريّا عليه
السّلام ورزقك من رزق الجنّة وخصّك بالكرامات السّنية **وطهّرك** اى ممّا يستقذر من
من الاحوال والافعال وممّا قذفك به اليهود بانطاق الطّفل **واصطفاك** اخرا **على نساء العالمين** بان
وهب لكِ عيسى عليه السلام من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء وجعلكما اٰية للعالمين
فعلى هٰذا ينبغى ان يكون تقديم حكاية هٰذه المقاوله على حكاية بشارتها بعيسى عليه السّلام لما مرّ
مرارًا من التنبيه على ان كلاًّ منهما مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعى الترتيب الخارجىّ لتبادر
كون الكلّ شيئا واحدًا وقيل المراد بالاصطفائين واحد والتكرير للتاكيد وتبيين من اصطفاها
عليهنّ فح لا اشكال فى ترتيب النظم الكريم اذ يحمل ح الاصطفاء على ما ذكر اوّلا وجعل هٰذه المقاولة
قبل بشارتها بعيسى عليه السّلام ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة على الطاعات والعبادات حسبما
امرت بها مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى متبتلة اليه تعالى منسلخة عن احكام البشريّة مستعدّة لفيضان
الروح اليها **يا مريم** تكرير النّداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد بعده وان ما قبله من
تذكير النّعم كان تمهيدا لذكره وترغيبًا فى العمل بموجبه **اقنتى لربّك** اى قومى فى الصّلوة او اطيلى
القيام فيها له تعالى والتعرّض لعنوان ربوبيّته تعالى لها للاشعار بعلة وجوب الامتثال بالامر
واسجدى واركعى مع الرّاكعين امرت بالصّلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة فى ايجاب رعايتها
وايذانا بفضيلة كلّ منها واصالته وتقديم السّجود على الرّكوع امّا لكون الترتيب فى شريعتهم كذلك
وامّا لكون السّجود افضل اركان الصّلوة واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضى ذلك كون الترتيب الخارجى
كذلك بل اللّايق به الترقى من الادنى الى الاعلى وامّا ليقترن اركعى مع الراكعين للاشعار بان
من لا ركوع فى صلوتهم ليسوا مصلّين وامّا ما قيل من ان الواو لا يوجب الترتيب فغايته التصحيح
لا الترجيح وتجريد الامر بالرّكنين الاخيرين عمّا قيد به الاوّل لما ان المراد تقييد الامر بالصّلوة
بذلك وقد فعل حيث قيد به الرّكن الاوّل منها وقيل المراد بالقنوت ادامة الطّاعات كما فى قوله

تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا و قائما و بالسجود الصلوة لما مرّ من انه افضل اركانها و بالركوع
الخشوع و الاخبات قيل لما امرت بذلك قامت فى الصلوة حتى ورمت قدماها و سالت دما و قيحًا **ذلك**
اشارة الى ما سلف من الامور البديعة و ما فيه من معنى البعد للتنبيه على علوّ شان المشار اليه و بُعد
منزلته فى الفضل و هو مبتداء خبره تعالى **من انبآء الغيب** اى من الانباء المتعلقة بالغيب و الجملة
مستانفة لا محلّ لها من الاعراب و قوله تعالى **نوحيه اليك** جملة مستقلة مبنية للاولى و قيل الخبر
هو الجملة الثانية و من انباء الغيب اما متعلق بنوحيه او حال من ضميره اى نوحى من انباء الغيب او
نوحيه حال كونه من جملة انباء الغيب و صيغة الاستقبال للايذان بان الوحى لم ينقطع بعد **وما كنت
لديهم** اى عند الذين اختلفوا و تنازعوا فى تربية مريم و هو تقرير و تحقيق لكونه وحيًا على طريقة
التهكم بمنكرية كما فى قوله تعالى و ما كنت بجانب الغربىّ الاية و ما كنت ثاويًا فى اهل مدين الاية فان طريق
معرفة امثال هاتيك الحوادث و الواقعات اما المشاهدة و اما السماع و عدمه محقق عندهم فبقى احتمال
المعاينة المستحيلة ضرورة فنفيت تهكما بهم **اذ يلقون اقلامهم** ظرف للاستقرار العامل فى لديهم
و اقلامهم اقداحهم التى اقترعوا باقلامهم التى كانوا يكتبون بها التورية تبركا **ايهم يكفل مريم**
متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ينظرون او ليعلموا ايهم يكفلها **وما كنت
لديهم اذ يختصمون** اى فى شانها تنافسا فى كفالتها حسبما ذكر فيما سبق و تكرير ما كنت لديهم مع تحقق
المقصود بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما فى قوله عزّ و جل نحن اعلم بما يستمعون اليك و اذهم
نجوى للدلالة على ان كلّ واحد من عدم حضوره صلى الله عليه و سلّم عند القاء الاقلام و عدم حضوره
عند الاختصام مستقل بالشهادة على نبوته عليه السلام لا سيّما اذا اريد باختصامهم تنازعهم
قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب فى الذكر مؤكّد له **اذ قالت الملئكة** شروع فى قصة عيسى عليه
السلام و هو بدل من و اذ قالت الملئكة منصوب بناصبه و ما بينهما اعتراض جئ به تقريرا لما سبق
و تنبيهًا على استقلاله و كونه حقيقا بان يعدّ على حياله من شواهد النبوة و ترك العطف بينهما بناءً
على اتحاد المخاطب و المخاطب و ايذانا بتقارن الخطابين او تقاربهما فى الزمان و قيل منصوب بمضمر
معطوف على ناصبه و قيل بدل من ان يختصمون كانه قيل و ما كنت حاضرًا فى ذلك الزمان المديد
الذى وقع فى طرف منه الاختصام و فى طرف اخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته عليه السلام بتفاصيل
احوال مريم من اولها الى اخرها و القائل جبريل عليه السلام و ايراد صيغة الجمع لما مرّ **يا مريم انّ الله
يبشّرك بكلمة منه** من لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اى بكلمة كائنة منه عزّ
و جلّ **اسمه** ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر و هو مبتداء خبره **المسيح** و قوله تعالى
عيسى بدل منه او عطف بيان و قيل خبر اخر و قيل خبر مبتداء محذوف و قيل منصوب باضمار اعنى مدحًا
و قوله تعالى **ابن مريم** صفة لعيسى قيل المراد بالاسم ما يتميز به المسمّى عمّن سواه فالخبر مجموع الثلثة اذ هو
المميّز له عليه السلام تمييزا عن جميع من عداه و المسيح لقبه عليه السلام و هو من الالقاب المشرفة

كالصديق

كالصّديق و اصله بالعبرية مسيحا و معناه المبارك و عيسى معرّب من ايشوع و التصدى لاشتقاقهما
من المسح و العيس و تعليله بانه عليه السلام بالبركة او بما يطهر من الذنوب او مسحه جبرئيل عليهما
السلام او مسح الارض و لم يقم فى موضع او كان عليه السلام يمسح ذا العاهة فيبراء و بانه كان فى لونه عيس
اى بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء و انما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيهًا على انه يولد
من غير اب فلا ينسب الا الى امه و بذلك فضّلت على نساء العالمين **وجيهًا فى الدنيا و الآخرة** الوجيه
ذو الجاه و هو القوة و المنعة و الشرف و هو حال مقدرة من كلمة فانها و ان كانت نكرة لكنها صالحة
لان ينتصب بها الحال و تذكيرها باعتبار المعنى و الوجاهة فى الدنيا النبوة و التقدم على الناس و فى
الاخرة الشفاعة و علوّ الدرجة فى الجنة **و من المقرّبين** اى من الله عزّ و جل قيل هو اشارة الى رفعه
الى السماء و صحبة الملئكة و هو عطف على الحال الاولى و قد عطفت قوله تعالى **و يكلم الناس فى
المهد و كهلا** اى يكلمهم حال كونه طفلا و كهلا كلام الانبياء من غير تفاوت و المهد مصدر سمّى به
ما يمهد للصبىّ اى يسوى من مضجعه و قيل انه رفع شابا و المراد و كهلا بعد نزوله و فى ذكر احواله المختلفة
المتنافية اشارة الى انه بمعزل من الالوهية **و من الصّالحين** حال اخرى عن كلمة معطوفة على الاحوال السالفة
او من الضمير فى يكلّم **قالت** استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قالت مريم حين قالت لها الملئكة
ما قالت فقيل قالت متضرعة الى ربها **ربّ انّى يكون** اى كيف يكون او من اين يكون **لى ولد** على
الوجه الاستبعاد العادى و التعجب و استعظام قدرة الله عزّ و جل و قيل على وجه الاستفهام و الاستفسار
بانه بالتزوج او بغيره و يكون اما تامة و انّى و اللام متعلقتان بها و تاخير الفاعل عن الجار لما مرّ
من الاعتناء بالمقدم و التشويق الى المؤخر و يجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد اذ لو تاخر
لكان صفة له و اما ناقصة و اسمها ولد و خبرها اما انّى و اللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مرّ او خبر
و انّى نصب على الظرفية و قوله تعالى **و لم يمسسنى بشر** جملة حالية محققة للاستبعاد اى و الحال
انّى على حالة منافية للولادة **قال** استيناف كما سلف و القائل هو الله تعالى او جبرئيل عليه السلام
كذلك الله يخلق ما يشآء الكلام فى اعرابه كما مرّ فى قصة زكريا بعينه خلا ان ايراد يخلق ههنا مكان
يفعل هناك لما انّ ولادة العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع و اغرب من ولادة عجوز عاقر من
شيخ فان فكان الخلق المنبئ عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل و لذلك عقب ببيان
كيفيته فقيل **و اذا قضى امرا** من الامور اى اراد شيئا كما فى قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا و اصل
القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشئ لايجابها اياه البتة و قيل
الامر و منه قوله تعالى و قضى ربك **فانما يقول له كن** لا غير **فيكون** من غير ريث و هو كما يرى
تمثيل لكمال قدرته تعالى و سهولة تاتى المقدورات حسبما يقتضيه مشيئته و تصوير لسرعة حدوثها
بما هو علم فيها من طاعة المامور المطيع للامر القوى المطاع و بيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشياء
مدرجا باسباب و مواد معتادة يقدر على خلقها دفعة من غير حاجة الى شئ من الاسباب و المواد

ويعلّمه الكتاب اى الكتابة او جنس الكتب الالهيّة والحكمة اى العلوم وتهذيب الاخلاق والتورية
والانجيل افرادهما بالذّكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما
على غيرهما والجملة عطف على يبشّرك او على وجيهًا او على يخلق او هو كلام مبتداء سيق تطيبقا لقلبها
وازاحة لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زواج وقرئ ونعلّمه بالنّون ورسولا الى بنى
اسرائيل اى كلّهم وقال بعض اليهود انّه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين ثمّ قيل كان رسولا حال
الصّبىّ وقيل بعد البلوغ وكان اوّل انبياء بنى اسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهم السّلام
وقيل اوّلهم موسى وآخرهم عيسى عليهم السلام وقوله تعالى انّى قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه
من معنى النّطق اى رسولا ناطقًا بانى الخ وقيل منصوب بمضمر معمول لقول مضمر معطوف على يعلّمه
اى ويقول ارسلت رسولا بانّى قد جئتكم الخ وقيل معطوف على الاحوال السّابقة ولا يقدح فيه
كونها فى حكم الغيبة مع كون هذا فى حكم التّكلّم لما عرفت من ان فيه معنى النّطق كانه قيل حال كونه
وجيها ورسولا ناطقا بانى الخ وقرئ ورسول بالجر عطف على كلمة والباء فى قوله تعالى باية متعلقة
بمحذوف وقع حالًا من فاعل الفعل على انها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعدّدها
وكثرتها وقرئ بايات او بجئتكم على انها للتعدية ومن فى قوله تعالى من ربّكم لابتداء الغاية
مجازا متعلّقة بمحذوف وقع صفة لاية اى قد جئتكم ملتبسا باية عظيمة كاينة من ربّكم او اتيتكم اية
عظيمة كاينة منه تعالى والتّعرض لوصف الرّبوبيّة مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب
الامتثال بما سياتى من الاوامر وقوله تعالى انّى اخلق لكم من الطّين كهيئة الطّير بدل من
قوله تعالى انّى قد جئتكم ومحلّه النّصب على نزع الجار عند سيبويه والفرّاء والجر على راى الخليل
والكسائى او بدل من اية وقيل منصوب بفعل مقدّر اى اعنى انّى الخ وقيل مرفوع على انه خبر مبتدأ
محذوف اى هى انّى اخلق لكم وقرى بكسر الهمزة على الاستيناف اى اقدّر لكم انّى اى لاجل تحصيل
ايمانكم ودفع تكذيبكم اياى من الطّين شيئا مثل صورة الطّير فانفخ فيه الضمير للكاف اى فى ذلك
الشئ المماثل لهيئة الطّير وقرى فانفخ فيها على ان الضمير للهيئة المقدّرة اى اخلق لكم من الطّين هيئة
كهيئة الطّير فانفخ فيها فيكون طيرًا احيًا طيّارًا كسائر الطيور باذن الله بامره تعالى اشارة عليه السلم
بذلك الى ان احياءه من الله تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاس روى انه عليه السلام لما ادعى
النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق الخفّاش فاخذ طينًا وصوّره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء
والارض قال وهب كان يطير ما دام النّاس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميّتًا
ليتميّز من خلق الله تعالى قيل انّما طلبوا خلق الخفاش لانه اكمل الطّير خلقا وابلغ دلالة على القدرة
لان له ثديا واسنانا وهى تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوان وتضحك كما يضحك الانسان وتطير
بغير ريش ولا تبصر فى ضوء النهّار ولا فى ظلمة الليل وانما ترى فى ساعتين ساعة بعد الغروب
وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعًا من الطير وابرئ الأكمه اى الذى ولد اعمى والممسوح

العين

العين والابرص المبتلى بالبرص لم تكن العرب تنفر من شئ نفرتها منه ويقال له الوضح ايضا وتخصيص
هذين الدّائين لانّهما ممّا اعيى الاطبّا وكانوا فى غاية الحذاقة فى زمنه عليه السلام فاراهم الله
تعالى المعجزة من ذلك الجنس روى انّه ربّما كان يجتمع عليه عليه السّلام وما يداويه الابالدعاء
واحيى الموتى باذن الله كرّر مبالغة فى دفع وهم من توهّم فيه الالوهيّة قال الكلبى كان عليه
السّلام يحيى الموتى بياحىّ يا قيّوم احى عازر وكان صديقا له فعاش وولد ومرّ على ابن عجوز
ميت فدعى الله تعالى فنزل عن سريره حيّا ورجع الى اهله وبقى وولد له وبنت العاشر احياها
وولدت بعد ذلك فقالوا انّك تحيى من كان قريب العهد من الموت فلعلّهم لم يموتوا بل
اصابتهم سكتة فاحيى لنا سام بن نوح فقال دلونى على قبره ففعلوا فقام على قبره فدعى الله عز
وجلّ فقام من قبره وقد شاب راسه فقال عليه السّلام كيف شيبت ولم يكن فى زمانكم شيبٌ
قال يا روح الله لما دعوتنى سمعت صوتا يقول اجب روح الله فظننت ان السّاعة قد قامت فمن
هول ذلك قد شبت فساله عن النزع قال يا روح الله ان مرارته لم تذهب عن حنجرتى وكانَ
بينه وبين موته اكثر من اربعة آلاف سنة وقال للقوم صدّقوه فانّه نبىّ فآمن به بعضهم وكذّبه
آخرون فقالوا هذا سحر فارنا اية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك كذا وذلك قوله
تعالى وانبّئكم بما تاكلون وما تدّخرون فى بيوتكم اى بالمغيبات من احوالكم التى لا تشكون
فيها وقرئ تذخرون بالذّال والتخفيف انّ فى ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام لاية
جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى اليه او دلالة المذكور عليه اى انتفعتم بها او ان كنتم ممّن
يتاتّى منهم الايمان دلّتكم على صحة رسالتى والايمان بها ومصدّقا لما بين يدىّ من التورية
عطف على المضمر الّذى تعلّق به قوله تعالى باية اى قد جئتكم ملتبسا باية الخ ومصدّقا لما بين الخ او
على رسولا على الوجه الثلثه فان مصدّقا فيه معنى النّطق كما فى رسولا اى ويجعله مصدّقا ناطقا بانّى
اصدّق الخ او ويقول ارسلت رسولا بانّى قد جئتكم الخ ومصدّقا الى آخره او حال كونه مصدقا ناطقًا
بانى اصدّق الخ او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم اى وجئتكم مصدّقا الخ وقوله من التوراة
امّا حال من الموصول والعامل مصدّقا وامّا من ضمير المستتر فى الظّرف الواقع صلة والعامل الاستقرار
المضمر فى الظّرف او نفس الظرف لقيامه مقام الفعل ولاحلّ لكم معمول لمضمر دل عليه ما قبله اى
وجئتكم لاحلّ الخ وقيل عطف على معنى مصدّقا كقولهم جئته معتذرا ولاجتلب رضاه كانه قيل قد
جئتكم لاصدق ولاحلّ الخ وقيل عطف على باية اى جئتكم باية من ربّكم ولاحلّ لكم بعض الّذى حرّم
عليكم اى فى شريعة موسى عليه السّلام من الشّحوم والثّروب والسمك ولحوم الابل والعمل فى
السّبت قيل احلّ لهم من السّمك والطّير ما لا صيصيّة واختلف فى احلال السبت وقرئ حرّم على
تسمية الفاعل وهو ما بين يدى يدى او الله عزّ وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا يدل على انّ شرعه
كان ناسخًا لبعض احكام التورية ولا يخل ذلك بكونه مصدّقا لها لما انّ النّسخ فى الحقيقة بيان تخصيص

عظيمة وفى كلا لآيات لكم دالة على صحّة رسالتى دلالة واضحة ان كنتم مؤمنين ع

فى الازمان وتاخير المفعول من الجار والمجرور لما مر مرارا من المبادرة الى ذكر مايشير المخاطبين والتشويق
اليها اخر وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتى وقرى بايات فاتقوا الله فى عدم قبولها
ومخالفة مدلولها واطيعون فيما امركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الاية هى قوله ان الله
ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فانه الحق الصريح الذى اجمع عليه الرسل قاطبة فيكون
اية بينة على انه عليه السلام من جملتهم وقرئ ان الله بالفتح بدلا من اية او قد جئتكم باية على ان الله
ربى وربكم وقوله تعالى فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اى قد جئتكم باية
بعد اية مما ذكرته لكم من خلق الطير وابراء الاكمه والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتى
بغير اب ومن كلامى فى المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثانى لتقريبها الى الحكم ولذلك
رتب عليه بالفاء قوله تعالى فاتقوا الله اى لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والايات الظاهرة فاتقوا الله
فى المخالفة واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى
لايلاف قريش الخ ثم شرع فى الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربى وربكم اشارة الى
استكمال القوة العملية فانه يلازم الطاعة التى هى الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهى ثم قرر ذلك
بان بين ان الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل
امنت ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر شروع فى بيان مال احواله عليه السلام اثر ما
اشير الى طرف منها بطريق النقل عن الملائكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملئكة
عليهم السلام وخروجه من القوة الى الفعل حسبما شرحته كما فى قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده
بعد قوله تعالى انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت كيت
وقال ذيت ذيت وانما لم يذكر اكتفاء بحكاية الملائكة وايذانا بعدم الخلف وثقة بما فصل فى
المواضع الاخر واما عدم نظم بقية احواله عم فى سلك النقل فاما للاعتناء بامرها او لعدم
مناسبتهما لمقام البشارة لما فيهما من ذكر مقاساته عليه السلام للشدايد ومعاناته للمكايد والمراد
بالاحساس الادراك القوى الجارى مجرى المشاهدة وبالكفر اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم
فيه مع العزيمة على قتله عليه السلام كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما يستعمل فى امثال هذه المواقع
عند كون متعلقه امرا محذورا مكروها كما فى قوله عز وجل فلما احسوا باسنا اذا هم منها يركضون
وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبنى اسرائيل اى ابتداء الاحساس من جهتهم وتقديم الجار
والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء به والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الكفر قال اى لخلص اصحابه لا لجميع بنى اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى بن مريم
للحواريين الاية وقوله تعالى فامنت طائفة من بنى اسرائيل وكفرت طائفة ليس بنص فى توجيه
الخطاب الى الكل بل يكفى فيه بلوغ الدعوة اليهم من انصارى الانصار جمع نصير كاشراف جمع شريف
الى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من الياء اى من انصارى متوجها الى الله ملتجأ اليه او بانصارى

مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله عز وجل ينصرونى كما ينصرنى وقيل
الى بمعنى فى اى فى سبيل الله وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع قال استيناف مبنى على سوال ينساق اليه الذهن
كانه قيل فماذا قالوا فى جوابه عليه السلام فقيل قال الحواريون جمع حوارى يقال فلان حوارى
فلان اى صفوته وخلصته من الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص
الوانهن ونقائهن سمى به اصحاب عيسى عليه السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرايرهم وقيل لما عليهم
من اثار العبادة وانوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما
وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة لا يزال ياكل منها ولا تنقص فذكروا ذلك
للملك فاستدعاه عليه السلام فقال له من انت قال عيسى بن مريم فترك ملكه وتبعه مع اقاربه فاولئك
هم الحواريون وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب
ويوحنا فمر بهم عيسى عليه السلام فقال لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتمونى صرتم بحيث تصيدون
الناس بالحيوة الابدية قالوا من انت قال عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجز وكان
شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد شيئا فامر عيسى عليه السلام بالقائها فى الماء مرة
اخرى ففعل فاجتمع فى الشبكة من السمك ما كادت تتمزق واستعانوا باهل سفينة اخرى وملئوا
السفينتين فعند ذلك امنوا بعيسى عليه السلام وقيل كانوا اثنى عشر رجلا امنوا به عليه السلام و
اتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا يا روح الله فيضرب بيده الارض فيخرج منها لكل واحد رغيفان
واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منه الماء فيشربون فقالوا من افضل منا
قال عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده وياكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة
فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته الى صباغ فاراد الصباغ يوما ان يشتغل ببعض مهماته فقال
له عليه السلام ههنا ثياب مختلفة قد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك
الالوان فغاب فجعل عليه السلام كلها فى جب واحد وقال كونى باذن الله كما اريد فرجع الصباغ
فساله فاخبره بما صنع فقال افسدت على الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر
وثوبا اصفر الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وامنوا
به عليه السلام وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثنى
عشر من الملوك وبعضهم من صيادى السمك وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين
والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى عليه السلام واعوانه والمخلصين فى طاعته ومحبته
نحن انصار الله اى انصار دينه ورسوله امنا بالله استيناف جار مجرى العلة لما قبله فان
الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون
مخلصون فى الايمان منقادون لما تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة
بذلك يوم القيمة يوم يشهد الرسل عليهم لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم السعادة

الاخروية **ربنا امنا بما انزلت** تضرع الى الله عزّ وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضها
على الرّسول مبالغة فى اظهار امرهم **واتبعنا الرّسول** اى فى كلّ ما ياتى ويذر من امور الدّين
فيدخل فيه الاتباع فى النّصرة دخولا اوليا **فاكتبنا مع الشّاهدين** اى مع الذّين يشهدون
بوحدانيتك او مع الانبياء الذين يشهدون لاتباعهم او مع امة محمّد صلى الله عليه وسلم فانهم
شهداء على النّاس قاطبة وهو حال من مفعول اكتبنا **ومكروا** اى الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم
من اليهود بان وكّلوا به من يقتله غيلة **ومكر الله** بان رفع عيسى عليه السّلام والقى
شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر من حيث انه فى الاصل حيلة يجلب بها غيره الى مضرّة
لايمكن اسناده اليه سبحانه الّا بطريق المشاكلة روى عن ابن عباس رض ان ملك بنى اسرائيل
لمّا قصد قتله عليه السّلام امر جبرئيل عليه السلام ان يدخل بيتا فيه روزنة فرجعه جبرئيل
عليه السلام من تلك الرّوزنة الى السماء فقال الملك لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله
فدخل البيت فالقى الله عزّ وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس فى البيت فقتلوه وصلبوه وقيل
انه عليه السّلام جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرنّ بى احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعنى
بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون لى ان
دلّلتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلّهم عليه ولهم عليه فالقى الله عزّ وجل عليه
شبه عيسى عليه السلام ورفعه الى السماء فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله و
صلبوه ثم قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا
وان كان صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لمّا صلب المصلوب جاءت مريم رضى الله عنها
ومعها امراة ابراها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عليه السّلام وجعلتا تبكيان على المصلوب
فانزل الله عيسى عليه السلام فجاءهما فقال علام تبكيان قالتا عليك فقال انّ الله تعالى رفعنى
ولم يصبنى الّا خير وان هذا شئ شبّه لهم قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد
رفع عيسى عليه السلام ولقوا منهم الجهد فبلغ ذلك ملك الرّوم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل
له ان رجلا من بنى اسرائيل ممّن تحت امرك كان يخبرهم انّه رسول الله واراهم احياء الموتى وابرا الاكمه
والابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم
من ايديهم وسالهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فبايعهم على دينهم وانزل المصلوب فغيّبه
واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بنى اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر اصل النّصرانيّة فى الرّوم
ثمّ جاء بعده ملك آخر يقال له ططيوس وغزا بيت المقدّس بعد رفع عيسى عليه السّلام بنحو من اربعين
سنة فقتل وسبى ولم يترك فى مدينة بيت المقدّس حجرا على حجر فخرج عند ذلك قريظة والنظير
الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عليه السّلام وهى بنت ثلاث عشرة سنة وولدته ببيت
لحم من ارض اورى شلم لمضى خمس وستّين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله تعالى

اليه على راس ثلاثين سنة ورفعه اليه من بيت المقدّس ليلة القدر من شهر رمضان وهو
ابن ثلاث وثلثين سنة وعاشت امّه بعد رفعه ستّ سنين **والله خير الماكرين** اقواهم مكرا
وانفذهم كيدا واقدرهم على ايصال الضّرر من حيث لايحتسب واظهار الجلالة فى موضع الاضمار
لتربية المهابة والجملة تذييل مقرّر لمضمون ما قبله **اذ قال الله** ظرف لمكر الله او لمضمر نحو وقع ذلك
يا عيسى انّى متوفّيك اى مستوفى اجلك ومؤخرك الى اجلك المسمّى عاصما لك من قتلهم او
قابضك من الارض من توفيت مالى او متوفيك نائما اذ روى انّه رفع وهو نائم وقيل مميتك
فى وقتك بعد النّزول من السّماء ورافعك الآن او مميتك من الشهوات العائقة عن العروج
الى عالم الملكوت وقيل اماته الله تعالى سبع ساعات ثم رفعه الى السّماء واليه ذهبت النّصارى
قال القرطبى والصّحيح ان الله تعالى رفعه من غير وفات ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد وهو
اختيار الطّبرى وهو الصّحيح عن ابن عبّاس رضى الله عنهما واصل القصّة ان اليهود لمّا عزموا على
قتله عليه السلام اجتمع الحواريّون وهم اثنى عشر رجلا فى غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكوة
الغرفة فاخبر بهم ابليس جميع اليهود فركب منهم اربعة الاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال
المسيح للحواريّين ايّكم يخرج ويقتل ويكون معى فى الجنّة فقال واحد منهم انا يا نبى الله فالقى عليه
مدرعة من صوف وعمامة من صوف وناوله عكازه والقى عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج
على اليهود فقتلوه وصلبوه وامّا عيسى عليه السّلام فكساه الله الرّيش والبسه النّور وقطع عنه
شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تعالى انّى متوفيك فطار مع الملئكة ثم انّ اصحابه حين راوا ذلك
تفرقوا ثلث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ثم صعد الى السّماء وهم اليعقوبيّة وقالت فرقة
اخرى كان فينا ابن الله ما شاء الله ثمّ رفعه الله وهم النسطوريّة وقالت فرقة اخرى منهم كان
فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه اليه وهؤلاء هم المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان
الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا الى ان بعث الله تعالى محمّدا صلى الله عليه وسلم
ورافعك الىّ اى الى محل كرامتى ومقرّ ملائكتى **ومطهّرك من الّذين كفروا** اى من سوء
جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم **وجاعل الّذين اتّبعوك** قال قتاده والرّبيع والشعبى
ومقاتل والكلبى هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امّة محمّد صلى الله عليه وسلم
دون الّذين كذّبوه وكذبوا عليه من النّصارى **فوق الّذين كفروا** وهم الّذين مكروا به عليه
السلام ومن يسير بسيرتهم من اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزّة والمنعة والحجّة
وقيل هم الحواريون فينبغى ان يحمل فوقيتهم على فوقيّة المسلمين بحكم الاتّحاد فى الاسلام والتّوحيد
وقيل هم الروم وقيل هم النّصارى فالمراد بالاتباع مجرّد الادّعاء والمحبّة فاولئك الكفرة بمعزل
من اتباعه عليه السّلام **الى يوم القيمة** غاية للجعل او للاستقرار المقدّر فى الظّرف لا على معنى
ان الجعل والفوقيّة ينتهى ح وتتخلّص الكفرة من الذّلة بل على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك

الغاية فامّا بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد ثمّ الىّ مرجعكم اى رجوعكم بالبعث وثمّ للتراخى وتقديم الجار
والمجرور للقصر المفيد لتاكيد الوعد والوعيد والضمير لعيسى عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين
به على تغليب المخاطب على الغايب فى ضمن الالتفات فانّه ابلغ فى التبشير والانذار فاحكم بينكم يومئذ
اثر رجوعكم الىّ فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدّين وفيه متعلّق بتختلفون وتقديمه عليه
لرعاية الفواصل فامّا الذين كفروا فاعذّبهم عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين
الفريقين وتفصيل لكيفيّته والبداية ببيان حال الكفرة لما انّ مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عمّا هم
عليه من الكفر والعناد وقوله تعالى فى الدّنيا والاخرة متعلّق باعذّبهم لا بمعنى ايقاع كلّ واحد من التعذيب
فى الدّنيا والتعذيب فى الاخرة واحداثهما يوم القيمة بل بمعنى اتمام مجموعهما يومئذ وقيل ان المرجع
اعمّ من الدّنيوى والاخروى وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية للفوقيّة لا للجعل والرّجوع متراخ عن
الجعل وهو غير محدود لا عن الفوقيّة المحدودة على نهج قولك ساعيرك سكنى هذا البيت شهرا
ثمّ اخلع عليك بخلعة لزم تاخّر الخلع عن الاعارة لا عن الشهر وما لهم من ناصرين يخلصونهم من عذاب الله
فى الدّارين وصيغة الجمع لمقابلة ضمير الجمع اى ليس لواحد منهم ناصر واحد وامّا الذين امنوا
بما ارسلت به وعملوا الصّالحات كما هو ديدن المؤمنين فيوفّيهم اجورهم اى يعطيهم ايّاها كاملة
ولعلّ الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدرى التعذيب والاثابة من الاختلاف من
حيث الاجلال والجمال وقرئ فنوفّيهم جريا على سنن العظمة والكبرياء والله لا يحبّ الظّالمين اى
يبغضهم فان هذه الكناية فاشية فى جميع اللّغات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظّلم للاشعار بانّهم
بكفرهم متعدّون متجاوزون عن الحدود وواضعون الكفر مكان الشكر والايمان والجملة تذييل
لما قبله مقرّر لمضمونه ذلك اشارة الى ما سلف من نباء عيسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد
للدّلالة على عظم شان المشار اليه وبعد منزلته فى الشّرف وعلى كونه فى ظهور الامر ونباهة
الشّان بمنزلة الشّاهد المعاين وهو مبتداء وقوله عزّ وعلا نتلوه خبره وقوله تعالى عليك متعلّق
بنتلوه وقوله تعالى من الايات حال من الضمير المنصوب او خبر بعد خبر او هو الخبر وما بينهما حال
من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتداء مضمر اى الامر ذلك ونتلوه حال كما مرّ وصيغة الاستقبال امّا لاستحضار
الصّورة او على معناها اذ التّلاوة لم تتمّ بعد والذّكر الحكيم اى المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من
تطرّق الخلل اليه والمراد به القران فمن تبعيضيّة او بعض مخصوص منه فمن بيانيّة وقيل هو اللّوح
فمن ابتدائيّة انّ مثل عيسى اى شانه البديع المنتظم لغرابته فى سلك الامثال عند الله اى فى تقديره
وحكمه كمثل ادم اى كحاله العجيبة التى لا يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير
لما ابهم فى المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشّبه بينهما وحسم لمادّة شبه الخصوم فان
انكار خلق عيسى عليه السلام بلا اب ممّن اعترف بخلق ادم عليه السّلام بغير اب وام ممّا لا يكاد يصحّ و
المعنى خلق قالبه من تراب ثمّ قال له كن اى انشاء بشرا كما فى قوله تعالى ثمّ انشاناه خلقا او قدر تكوينه

من التّراب ثمّ كونه ويجوز كون ثمّ لتراخى الاخبار لا لتراخى المخبر به فيكون حكاية حال ماضية روى ان
وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلّم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انّه
عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا
من غير اب فحيث سلمت انّه لا اب له من البشر وجب ان يكون ابوه هو الله فقال عليه السّلام انّ ادم عليه
السلام ما كان له اب ولا ام ولا يلزم من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه السّلام
الحقّ من ربّك خبر مبتداء محذوف اى هو الحقّ اى ما قصصنا عليك من نباء عيسى عليه السّلام وامّه
والظّرف امّا حال اى كائنا من ربّك او خبر ثان اى كائن منه تعالى وقيل هما مبتداء وخبر اى
الحق المذكور من الله تعالى والتّعرض لعنوان الرّبوبيّة مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتشريفه عليه
السّلام والايذان بان تنزيل هذه الايات الحقّة النّاطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلّم
ولطف به فلا تكن من الممترين فى ذلك والخطاب امّا للنبىّ صلىّ الله عليه وسلّم على الالهاء والتّهييج
لزيادة التّثبيت والاشعار بان الامتراء فى المحذوريّة بحيث ينبغى ان ينهى عنه من لا يكاد
يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء وامّا لكلّ من له صلاحيّة الخطاب فمن حاجّك
اى من النّصارى اذ هم المتصدّون للمحاجة فيه اى فى شان عيسى وامّه زعما منهم انّه ليس على
الشان المحكىّ من بعد ما جاءك من العلم اى ما يوجبه ايجابا قطعيّا من الايات البيّنات وسمعوا
ذلك منك فلم يرعووا عمّا هم عليه من الغىّ والضّلال فقل لهم تعالوا اى هلمّوا بالرّاى والعزيمة
ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعزّ منهنّ وامّا النّساء فتعلّقهنّ من
جهة اخرى ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اى ليدع كلّ منّا ومنكم نفسه واعزّة اهله والصقهم
بقلبه الى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النّفس فى اثناء المباهلة التى من باب المهالك و
مظانّ التّلف مع ان الرّجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه صلى الله عليه وسلّم
وتمام ثقته بامره وقوّة يقينه بانّه لن يصيبهم فى ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السّرّ فى تقديم جانبه
عليه السلام على جانب المخاطبين فى كلّ من المقدّم والمؤخّر مع رعاية الاصل فى الصّيغة فان غير
المتكلّم تبع له فى الاسناد ثمّ نبتهل اى نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضّمّ والفتح اللّعنة و
اصلها التّرك من قولهم بهلت النّاقة اى تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على
نبتهل مبيّن لمعناه روى انّهم لمّا دعوا الى المباهلة قالوا ارجع وننظر فلمّا تخالوا قالوا للعاقب وكان
ذا رائهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النّصارى ان محمّدا نبىّ مرسل ولقد
جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيّا قطّ فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم
لتهلكنّ فان ابيتم الّا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرّجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين اخذا بيد الحسن وفاطمة تمشى خلفه وعلىّ

خلفها رضى الله عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى انى
لارى وجوها لو شاء الله تعالى ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا وتهلكوا ولا يبقى
على وجه الارض نصرانى الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم راينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك
ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم
فابوا قال فانى اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا
ولا تردنا عن ديننا على ان نودى اليك كل عام الفى حلة الف فى صفر والف فى رجب وثلثين
درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذى نفسى بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران
ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى نارا ولاستاصل الله نجران واهله
حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا ان هذا اى ما قص من
نبا عيسى وامه لهو القصص الحق دون ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته
اللام لكونه اقرب الى المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا وقرى لهو بسكون الهاء والقصص
خبر ان والحق صفته او هو مبتدا والقصص خبره والجملة خبر لان وما من اله الا الله صرح فيه
بمن الاستغراقية تاكيدا للرد على النصارى فى تثليثهم وان الله لهو العزيز القادر على جميع المقدورات
الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه فى القدرة والحكمة ليشاركه فى الالوهية فان تولوا عن
التوحيد وقبول الحق الذى نقص عليك بعد ما عاينوا تلك الحجج النيرة والبراهين الساطعة فان الله
عليم بالمفسدين اى بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايذان بان الاعراض عن التوحيد والحق الذى
لا محيد عنه بعد ما قامت به الحجج افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب
امر بخطاب اهل الكتابين وقيل بخطاب وفد نجران وقيل بخطاب يهود المدينة تعالوا الى كلمة
سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الرسل والكتب وهى ان لا نعبد الا الله اى نوحده بالعبادة ونخلص فيها
ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له فى استحقاق العبادة ولا نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ
بعضنا بعضا اربابا من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله ولا نطيع الاحبار
فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بعضنا بشر مثلنا روى انه لما نزلت اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدى بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عليه السلام
اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال عليه السلام هو ذاك فان تولوا عما
دعوتهم اليه من التوحيد وترك الاشراك فقولوا اى قل لهم انت والمؤمنون اشهدوا بانا
مسلمون اى لزمتكم الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون لما نطقت به الكتب
وتطابقت عليه الرسل عليهم السلام تنبيه انظر الى ما روعى فى هذه القصة من المبالغة فى الارشاد وحسن
التدرج فى المحاجة حيث بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما توارد عليه من الاطوار المنافية

للالهية ثم ذكر كيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعوا الى المباهلة بنوع من الاعجاز
ثم لما اعرضوا عنها وانقادوا بعض الانقياد دعوا الى ما اتفق عليه عيسى والانجيل وساير الانبياء والكتب
ثم لما ظهر عدم اجدائه ايضا امر بان يقال لهم اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى
لم تحاجون فى ابراهيم اى فى ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصارى فى ابراهيم عليه السلام وزعم
كل منهم انه عليه السلام منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون
انه عليه السلام كان منكم وما انزلت التورية على موسى عليه السلام والانجيل على عيسى عليه
السلام الا من بعده حيث كان بينه وبين موسى عليهما السلام الف سنة فكيف يمكن ان يتفوه
به عاقل افلا تعقلون اى افلا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او تقولون ذلك فلا
تعقلون بطلانه ها انتم هؤلاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستانفة
اشعارا بكمال غفلتهم اى انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به علم فى الجملة حيث
وجدتموه فى التورية والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم فى
الكتابين قطعا وقيل هؤلاء بمعنى الذى وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله اانتم على الاستفهام
للتعجب قلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه او كل شئ فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا وانتم
لا تعلمون اى محل النزاع او شيئا من الاشياء التى من جملتها ذلك ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفا اى مائلا عن العقائد الزائغة كلها
مسلما اى منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا اشترك الالزام وما كان
من المشركين تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين
انهم على ملته عليه السلام ان اولى الناس بابراهيم اى اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اى
فى زمانه وهذا النبى والذين امنوا لموافقتهم فى اكثر ما شرع لهم على الاصالة وقرئ والنبى بالنصب
عطفا على الضمير فى اتبعوه وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولى المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم
وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت الحكم فى النبى عليه السلام بدلالة النص ودت طائفة من اهل
الكتاب لو يضلونكم نزلت فى اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما
يضلون الا انفسهم جملة حالية جيئ بها للدلالة على كمال رسوخ المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه
من الدين القويم اى وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله الا اليهم لما انه يضاعف به عذابهم
وقيل وما يضلون الا امثالهم وياباه قوله تعالى وما يشعرون اى باختصاص وباله وضرره
بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اى بما نطقت به التورية والانجيل ودلت على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون اى والحال انكم تشهدون انها ايات الله او بالقران وانتم
تشهدون نعته فى الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل
بتحريفكم وابراز الباطل فى صورته او بالتقصير فى التمييز بينهما وقرى تلبسون بالتشديد وتلبسون

بفتح الباء اى تلبسون الحقّ مع الباطل كما فى قوله عليه السّلام كلابس ثوبى زور **وتكتمون الحقّ** اى نبوة محمد صلى
الله عليه وسلّم **وانتم تعلمون** اى حقيّته **وقالت طائفة من اهل الكتاب** وهم رؤساؤهم ومفسدوهم
لاعقابهم **امنوا بالّذى انزل على الّذين امنوا** اى اظهروا الايمان بالقران المنزل عليهم **وجه النّهار** اى
اوّله **واكفروا** اى اظهروا ما انتم عليه من الكفر به **اخره** مرائين لهم انكم امنتم به بادى الرّاى من غير
تامّل ثم تاملتم فوقفتم على خلل رايكم الاوّل فرجعتم عنه **لعلّهم** اى المؤمنون **يرجعون** عمّاهم عليه
من الايمان به كما رجعتم والمراد بالطّائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصّيف قالا لاصحابهما لمّا حوّلت
القبلة امنوا بما انزل عليهم من الصّلوة الى الكعبة وصلوا اليها اوّل النهار ثم صلّوا الى الصّخرة اخره
لعلّهم يقولون هم اعلم منّا وقد رجعوا فيرجعون وقيل هم اثنى عشر رجلا من احبار خيبر تقاولوا
بان يدخلوا فى الاسلام اوّل النّهار ويقولوا اخره نظرنا فى كتابنا وشاورنا علمائنا فلم نجد محمّدا
صلى الله عليه وسلم بالنعت الذى ورد فى التّورية لعلّ اصحابه يشكون فيه **ولا تؤمنوا** اى لا تقرّوا
بتصديق قلبى **الّا لمن تبع دينكم** اى لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النّهار الّا لمن كان على دينكم
من قبل فان رجوعهم ارجى واهمّ **قل انّ الهدى هدى الله** يهدى به من يشاء الى الايمان ويثبته
عليه **ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم** متعلّق بمحذوف اى دبّرتم ذلك وقلتم لان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم او بلا تؤمنوا او لا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الّا لاشياعكم ولا تفشوه
الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله تعالى قل انّ الهدى
هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل او خبر انّ على انّ هدى الله بدل من الهدى
وقرئ أن يؤتى على الاستفهام التقريرى وهو مؤيّد للوجه الاوّل اى الِأَن يؤتى احد الخ دبرتم
وقرى ان على انها نافية فيكون من كلام الطّائفة اى ولا تؤمنوا الّا لمن تبع دينكم وقولوا لهم
ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم **او يحاجّوكم به عند ربّكم** عطف على ان يؤتى على الوجهين الاوّلين
وعلى الثّالث معناه حتى يحاجّوكم عند ربّكم فيدحضوا حجّتكم والواو ضمير احد لانه فى معنى الجمع اذ
المراد به غير اتباعهم **قل انّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** ردّ لهم وابطال
لما زعموا بالحجّة الباهرة **يختصّ برحمته** اى يجعل رحمته مقصورة على **من يشاء والله ذو الفضل
العظيم** كلاهما تذييل لما قبله مقرّر لمضمونه **ومن اهل الكتاب** شروع فى بيان خيانتهم فى الدّين
والجار والمجرور فى محلّ الرّفع على الابتداء حسبما مرّ تحقيقه فى تفسير قوله تعالى ومن النّاس من
يقول الى اخره خبره قوله تعالى **من ان تامنه بقنطار يؤدّه اليك** على ان المقصود بيان اتّصافهم
بمضمون الجملة الشرطيّة لا كونهم ذوات المذكورين كانه قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تامنه
بقنطار اى بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه قرشى الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداه
اليه **ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤدّه اليك** كفنحاص بن عازورا استودعه قرشى اخر فجحده وقيل المامونون
على الكثير النّصارا اذ الغالب فيهم الامانة والخائنون فى القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة **الّا**

مادمت

مادمت عليه قائما استثناء مفرّغ من اعمّ الاحوال او الاوقات اى لا يؤده اليك فى حال من الاحوال
او فى وقت من الاوقات الّا فى حال دوام قيامك او فى وقت دوام قيامك على راسه مبالغا فى
مطالبته بالتّقاضى واقامة البيّنة **ذلك** اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما
فيه من معنى البعد للايذان بكمال علوّهم فى الشّرّ والفساد **بانّهم** اى بسبب انهم **قالوا ليس علينا
فى الاميّين** اى فى شان من ليس من اهل الكتاب **سبيل** اى عتاب ومواخذة **ويقولون على الله الكذب**
بادّعائهم ذلك **وهم يعلمون** انهم كاذبون مفترون على الله تعالى وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم
وقالوا لم يجعل فى التّورية فى حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من قريش فلمّا اسلموا تقاضوهم
فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انّه كذلك فى كتابهم وعن النبى صلى الله عليه وسلّم انّه
قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شئ فى الجاهليّة الّا وهو تحت قدمىّ الّا الامانة فانها مؤدات
الى البرّ والفاجر **بلى** اثبات لما نفوه اى بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى **من اوفى بعهده واتقى
فانّ الله يحبّ المتقين** استيناف مقرّر للجملة الّتى سدّ بلى مسدّها والضمير المجرور لمن او لله تعالى
وعموم المتّقين نائب مناب الرّاجع من الجزاء الى من ومشعر بانّ التقوى ملاك الامر عام للوفاء
وغيره من اداء الواجبات والاجتناب عن المناهى **انّ الّذين يشترون** اى يستبدلون وياخذون
بعهد الله اى بدل ما عاهدوا عليه من الايمان بالرّسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات
وايمانهم وبما حلفوا به من قولهم لنؤمننّ به ولننصرنّه **ثمنا قليلا** هو حطام الدّنيا **اولئك**
الموصوفون بتلك الصّفات القبيحة **لا خلاق لهم فى الآخرة** من نعيمها **ولا يكلّمهم الله** اى بما يسرّهم
او بشئ اصلا وانّما يقع ما يقع من السّؤال والتوبيخ والتّقريع فى اثناء الحساب من الملائكة عليهم
السّلام او لا ينتفعون بكلمات الله تعالى واياته والظّاهر انّه كناية عن شدّة غضبه وسخطه نعوذ
بالله تعالى من ذلك لقوله تعالى **ولا ينظر اليهم يوم القيمة** فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسّخط عليهم
متفرّع على الكناية فى حق من يجوز عليه النظر لانّ من اعتدّ بالانسان التفت اليه واعار نظر عينيه
ثم كثر حتّى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمه نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النّظر
مجرّد المعنى الاحسان مجازا عمّا وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النّظر ويوم القيمة متعلق بالفعلين
وفيه تهويل للوعيد **ولا يزكّيهم** اى لا يثنى عليهم او يطهرهم من اوضار الاوزار **ولهم عذاب اليم**
على ما فعلوه من المعاصى قيل انها نزلت فى ابى رافع ولبابة بن ابى الحقيق وحيى بن اخطب حرّفوا
التوراة وبدّلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرّشوة على ذلك وقيل نزلت فى الاشعث
بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع فى بئر فاختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذن يحلف ولا يبالى فقال صلى الله عليه وسلم من حلف
على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقى الله وهو عليه غضبان وقيل فى رجل اقام سلعة فى السّوق
فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به **وانّ منهم** اى من اليهود المحرفين **لفريقا** ككعب بن الاشرف

وما لك بن الصيف واضرابهما **يلوون السنتهم بالكتاب** اى يفتلونها بقراءة فيميلونها من المنزل الى
المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوون بالتشديد ويلؤن بقلب الواو المضمومة همزة
ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على ما قبلها من الساكن **لتحسبوه** اى المحرف المدلول عليه بقوله تعالى
يلوون الخ وقرئ بالياء والضمير للمسلمين **من الكتاب** اى من جملته وقوله تعالى **وما هو من الكتاب** حال من
الضمير المنصوب اى والحال انه ليس منه فى نفس الامر وفى اعتقادهم ايضا **ويقولون** مع ما ذكر من
اللى والتحريف على طريقة التصريح لا بالتورية والتعريض **هو** اى المحرف **من عند الله** اى منزل من عند الله
وما هو من عند الله حال من ضمير المبتداء فى الخبر اى والحال انه ليس من عنده تعالى فى اعتقادهم
ايضا وفيه من المبالغة فى تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال جرأتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل والكتاب
فى محل الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه من القول **ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** انهم
كاذبون ومفترون على الله تعالى وهو تاكيد وتسجيل عليهم بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن
ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف وغيروا التورية وكتبوا كتابا
بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوا فخلطوا بالكتاب
الذى عندهم **ما كان لبشر** بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام حيث قال نصارى نجران ان
عيسى عليه السلام امرنا ان نتخذه ربا حاشاه عليه السلام وابطال له اثر بيان افترائهم
على الله سبحانه وابطاله اى ما صح وما استقام لاحد وانما قيل لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية
منافية للامر الذى اسنده الكفرة اليهم **ان يؤتيه الله الكتاب** الناطق بالحق الامر بالتوحيد الناهى
عن الاشراك **والحكم** الفهم والعلم او الحكمة وهى السنة **والنبوة ثم يقول** ذلك البشر بعد ما شرفه الله
عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤنه العالية **للناس كونوا عبادا لى**
الجار متعلق بمحذوف هو صفة عبادا اى عبادا الكائنين لى **من دون الله** متعلق بلفظ عباد لما فيه
من معنى الفعل او صفة ثانية له ويحتمل الحالية لتخصص النكرة بالوصف اى متجاوزين الله تعالى سواء
كان ذلك استقلالا او اشتراكا فان التجاوز متحقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظى والسيد النجرانى
قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال عليه السلام معاذ الله
ان يعبد غير الله تعالى وان نامر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثنى ولا بذلك امرنى فنزلت وقيل
قال رجل من المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال عليه
السلام لا ينبغى ان يسجد لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله **ولكن** اى و
لكن يقول **كونوا ربانيين** الربانى منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحيانى والرقبانى
وهو الكامل فى العلم والعمل الشديد المتمسك بطاعة الله ودينه **بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم
تدرسون** اى بسبب مثابرتكم على تعليم الكتاب ودراسته اى قراءته فان جعل خبر كان مضارعا
لافادة الاستمرار التجددى وتكرير بما كنتم للايذان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار القراءة

بالفضل

بالفضل وتحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم
والثانى لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من الادراس
بمعنى التدريس كاكرم بمعنى كرم ويجوز ان يكون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير
بما تدرسونه على الناس وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين للمسارعة الى تحقيق الحق ببيان
ما يليق بشانه ويحق صدوره عنه اثر تنزيهه عما لا يليق به ويمتنع صدوره عنه واما ما قيل
من انها غير مزيدة على معنى انه ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى
عنه وهو ادنى من العبادة فيقضى بفساده ما ذكر من توسيط الاستدراك بين الجملتين
المتعاطفتين ضرورة انتظامهما فى حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى ايامركم بالكفر فانه صريح
فى ان المراد بيان انتفاء كلا الامرين قصدا لا بيان انتفاء الاول لانتفاء الثانى ويعضده
قراءة الرفع على الاستيناف وتجويز الحالية بتقدير المبتداء اى وهو لا يامركم الخ بين الفساد
ولما عرفته انفا وقوله تعالى **ولا يامركم ان تتخذوا الملئكة والنبيين اربابا** اربابا بالنصب على عطف
على ثم يقول ولا مزيدة لتاكيد معنى النفى فى قوله تعالى ما كان لبشر اى ما كان لبشر ان يستنبئه
الله تعالى ثم يامر الناس بعبادة نفسه ويامر باتخاذ الملئكة والنبيين اربابا على معنى انه
ليس له ان يامر بعبادته ولا يامر باتخاذ اكفائه اربابا بل ينهى عنه وهو ادنى من العبادة وقرئ
بالرفع على الاستيناف ولا يحتمل الحال **ايامركم بالكفر** انكار لما نفى عن البشر والضمير له وقيل
لله تعالى **بعد اذ انتم مسلمون** يدل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستاذنون للسجود عليه السلام
واذ اخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم اى اذكر
وقت اخذه تعالى ميثاقهم **لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه** قيل هو على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم بذلك اولى واحرى وقيل
معناه اخذ الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم وقيل اضافة الميثاق
الى النبيين اضافة الى الفاعل والمعنى واذ اخذ الله الميثاق الذى وثقه الانبياء على اممهم
وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنوا اسرائيل او سماهم ليبين تهكما بهم
لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم لانا اهل الكتاب والنبيون
كانوا منا واللام فى لما موطئة للقسم لان اخذ الميثاق بمعنى الاستحلاف وما يحتمل الشرطية
ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط ويحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على ان ما مصدرية
اى لاجل ايتائى اياكم بعض الكتاب ثم لمجيئ رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين اتيتكم اولمن
اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احد الميمات الثلاث استثقالا **قال** اى الله تعالى
بعد ما اخذ الميثاق **ااقررتم** بما ذكر **واخذتم على ذلكم اصرى** اى عهدى سمى به لانه يوصر اى يشد
وقرئ بضم الهمزة وهى اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد به **قالوا** استيناف

مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا اقررنا وانما لم يذكر اخذهم الاصر اكتفاء
بذلك قال تعالى فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملئكة وانا معكم
من الشاهدين اى وانا ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وادخال مع على المخاطبين لما انهم
المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التاكيد والتحذير ما لا يخفى فمن تولى اى اعرض عما ذكر بعد
ذلك الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فمعنى البعد فى اسم الاشارة لتفخيم الميثاق فاولئك اشارة
الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد فى تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للدلالة
على ترامى امرهم فى السوء وبعد منزلتهم فى الشر والفساد اى فاولئك المتولون المتصفون بالصفات
القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان الفاسق فى كل طائفة من كان
متجاوزا عن الحد افغير دين الله يبغون عطف على مقدر اى ايتولون فيبغون غير دين الله وتقديم
المفعول لان المقصود انكاره او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة بينهما للانكار وقرئ بتاء الخطاب
على تقدير وقل لهم وله اسلم من فى السموات والارض جملة حالية مفيدة لوكادة الانكار طوعا وكرها
اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل وادراك
الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملئكة والمؤمنين ومسخرين كالكفرة فانهم لا يقدرون
على الامتناع عما قضى عليهم واليه يرجعون اى من فيهما والجمع باعتبار المعنى وقرئ بتاء الخطاب
والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية واما مستانفة سيقت للتهديد والوعيد
قل امنا بالله امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان
بما ذكر وجمع الضمير فى قوله تعالى وما انزل علينا وهو القران لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه
اليهم او لان المنسوب الى واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل او عن نفسه فقط وهو الانسب لما بعده
والجمع لاظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه عن ديدن الملوك
ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان بانه عليه السلام
اصل فى ذلك كما فى قوله تعالى يا ايها النبى اذا طلقتم النساء وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق
ويعقوب والاسباط من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسل يعدى بعلى لانه من فوق
ومن رام الفرق بان على لكون الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والى لكون الخطاب للمؤمنين فقد تعسف
الا ترى الى قوله تعالى بما انزل اليك الى اخره وقوله امنوا بالذى انزل على الذين امنوا الخ وانما قدم
المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم على ما انزل على سائر الرسل عليهم السلام مع تقدمه عليه
نزولا لانه المعرف له والعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه
السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابرهيم عليه السلام وما اوتى موسى وعيسى
من التورية والانجيل وساير المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص
بالكتاب وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى

عليهما السلام اى وبما اوتى النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب والمعجزات لا نفرق بين احد
منهم كدأب اليهود والنصارى امنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقيقة ما انزل
اليهم فى زمانهم وعدم التعرض لنفى التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقد مر تفصيله فى تفسير
قوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوى
فيه المفرد والمثنى والمجموع والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما فى مثل المال بين الناس
واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه فى حيز النفى وصحة دخول بين عليه باعتبار
معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد منهم وغيره كما فى قول النابغة فمن كان بين الخير اذ جاء
سالما ابو حجر الا ليال قلائل اى بين الخير وبينى ونحن له مسلمون اى منقادون او مخلصون له
تعالى انفسنا لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض بايمان اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك ومن
يبتغ غير الاسلام اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كدأب المشركين صريحا والمدعين
للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين دينا ينتحل اليه وهو نصب على انه مفعول ليبتغ وغير الاسلام
حال منه لما انه كان صفة له فلما قدمت عليه انتصب حالا او هو المفعول ودينا تمييز لما فيه من
الابهام او بدل من غير الاسلام فلن يقبل ذلك منه بل يرد اشد رد واقبحه وقوله تعالى وهو
فى الاخرة من الخاسرين اما حال من الضمير المجرور او استيناف لا محل له من الاعراب اى من الواقعين
فى الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع فى الخسران بابطال الفطرة
السليمة التى فطر الناس عليها وفى ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب دلالة على ان حال من تدين
بغير الاسلام واطمان بذلك افظع واقبح واستدل به على ان الايمان هو الاسلام اذ لو كان غيره لم
يقبل والجواب انه ينفى قبول كل دين يغايره كيف يهدى الله الى الحق قوما كفروا بعد ايمانهم
قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما امنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنظير ومن دان
بدينهم كفروا بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول
حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك فى
الضلال بعيد عن الرشاد وقيل نفى وانكار له وذلك يقتضى ان لا يقبل توبة المرتد وقوله تعالى
ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله الخ فانه فى قوة ان يقال بعد ان امنوا او حال من ضمير
كفروا باضمار قد وهو دليل على ان الاقرار باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدى
القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من
جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا وهو مبتدا وقوله تعالى
جزاؤهم مبتداء ثان وقوله تعالى ان عليهم لعنة الله والملئكة والناس اجمعين خبره والجملة
خبر لاولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفى جواز لعن غيرهم ولعل الفرق بينهم

وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى ايسون عن الرحمة راسًا بخلاف غيرهم والمراد
بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق بعينه خالدين
فيها في اللعنة والعقوبة او النار وان لم تذكر لدلالة الكلام عليها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم
ينظرون اى يمهلون الا الذين تابوا من بعد ذلك اى من بعد الارتداد واصلحوا اى ما افسدوا
او دخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم ويقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء
وقيل نزلت في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان يسئلوا هل لي من توبة
فارسل اليه اخوه الجلاس الاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد الايمان بموسى والتورية ثم ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد
صلى الله عليه وسلم والقران او كفروا به عليه السلام بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا
بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا
كفرا بقولهم نتربص ريب المنون او نرجع اليه فننافقه باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم
لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكنى عن عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا
لحالهم في صورة حال الايسين من الرحمة او لان توبتهم لا يكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا
ولذلك لم يدخل فيه الفاء واولئك هم الضالون الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملؤ الارض ذهبا ولو افتدى به لما كان الموت على الكفر سببا
لامتناع قبول الفدية زيدت الفاء ههنا للاشعار به وملء الشئ ما يملاء به وذهبا تمييز وقرئ بالرفع
على انه بدل من ملاء او خبر لمحذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل فلن يقبل من احدهم فدية
ولو افتدى بملاء الارض ذهبا او معطوف على مضمر تقديره فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو
تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او المراد ولو افتدى بمثله كقوله تعالى
ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد كثيرا لان المثلين في حكم
شئ واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة المذكورة لهم عذاب
اليم مولم اسم الاشارة مبتداء والظرف خبره ولاعتماده على المبتداء ارتفع به عذاب اليم على الفاعلية
وما لهم من ناصرين في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة الجمع لمراعات
الضمير اى ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر من ناله نيلا اذا اصابه والخطاب للمؤمنين
وهو كلام مستانف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا يقبل منهم
اى لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شاوه ولن تلحقوا بزمرة الابرار ولن
تنالوا بر الله تعالى وهو رحمته ورضاه ورحمته وجنته حتى تنفقوا اى في سبيل الله عز وجل رغبة
فيما عنده ومن في قوله تعالى مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة بعض ما تحبون وقيل بيانية وما موصولة
او موصوفة اى مما تهوون ويعجبكم من كرايم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم

اوما

اومما يعمها وغيرها من الاعمال والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق البذل وفيه من الايذان بعزة
منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله عنهم اجمعين اذا احبوا شيئا جعلوه لله تعالى وروى انها
لما نزلت جاء ابو طلحة رضي الله عنه فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب اموالي الى
بيرحا فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رائح فاني
ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه
في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه
وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قد قبلها
منك قيل وفيه دلالة على ان انفاق احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر الى ابي
موسى الاشعري رضي الله عنهما ان يشتري جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما
جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروى ان عمر بن
عبد العزيز كانت له وجته جارية بارعة الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم
تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك
قال من اين ملكتيها قالت قد جئت بها من بيت ابي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل
انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت من تركته ففتش عن حال العامل واحضر ورثته
وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان يهواها هوى شديدا فقال انت حرة
لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن امرها كل شبهة قال لست اذن ممن نهى
النفس عن الهوى وما تنفقوا من شئ ما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن
تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط اى شئ تنفقوا كائن من الاشياء فان المفرد في مثل
هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز اى اى شئ تنفقوا طيب تحبونه
او خبيث تكرهونه فان الله به عليم تعليل لجواب الشرط واقع موقعه اى فيجازيكم بحسبه جيدا كان
او رديا فانه تعالى عليم بكل شئ تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى عليه شئ من ذاته وصفاته وتقديم
الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق الجيد والتحذير عن انفاق الردي ما لا يخفى
كل الطعام اى كل افراد المطعوم او كل انواعه كان حلا لبني اسرائيل اى حلالا لهم فان
الحل مصدر نعت به ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى لا هن
حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه استثناء متصل من اسم كان اى كان كل المطعومات حلالا لبني
اسرائيل الا ما حرم اسرائيل اى يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحوم الابل والبانها قيل كان
به وجع النسا فنذر لئن شفي لا ياكل احب الطعام اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء
واحتج به من جوز للنبي الاجتهاد وللمانع ان يقول كان ذلك باذن من الله تعالى فيه وهو كتحريمه
ابتداء من قبل ان تنزل التورية متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط الاستثناء بينهما

وقيل متعلّق بحرّم وفيه ان تقييد تحريمه عليه السلام بقبليّة تنزيل التورية ليس فيه مزيد فائدة اى كان ماعدا المستثنا حلالا لهم قبل ان تنزّل التّورية مشتملة على تحريم ماحرّم عليهم لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدًا وهو ردّ على اليهود فى دعواهم البراءة عمانعى عليهم قوله تعالى فبظلم من الّذين هادوا حرّمنا كلّ ذى ظفر الايتين بان قالوا لسنا اوّل ماحرمت عليه وانّما كانت محرّمة على نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فحرّمت علينا كما حرّمت على من قبلنا وتبكيت لهم فى منع النسخ والطّعن فى دعوى الرّسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها قل فأتوا بالتّورية فاتلوها أُمر عليه السّلام بان يحاجّهم بكتابهم النّاطق بان تحريم ماحرّم عليهم تحريم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلّما ارتكبوا معصية من المعاصى التى اقترفوها حرّم عليهم نوع من الطّيبات عقوبة لهم ويكلّفهم اخراجه وتلاوة تبكيتهم ويلقمهم الحجر ويظهر كذبهم واظهار اسم التّوراة لكون الجملة كلامًا مع اليهود منقطعًا عمّا قبله وقوله تعالى ان كنتم صادقين اى فى دعواكم انّه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه اى ان كنتم صادقين فأتوا بالتّورية فاتلوها فان صدقكم ممّا يدعوكم الى ذلك البتة روى انّهم لم يجسروا على اخراج التوراة فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفى ذلك من الحجّة النيّرة على صدق النبى صلّى الله عليه وسلم وجواز النّسخ الذى يجحدونه مالا يخفى والجملة مستانفة مقرّرة لما قبلها فمن افترى على الله الكذب اى اختلقه عليه سبحانه بزعمه انّه حرّم ماذكر قبل نزول التّوراة على بنى اسرائيل ومَن تقدّمهم من الامم من بعد ذلك من بعد ماذكر من امرهم باحضار التوراة وتلاوتها وما يترتب عليه من التبكيت والالزام والتقييد به للدلالة على كمال القبح فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتّصافه بما فى حيّز الصّلة والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد فى الصّلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الضّلال والطّغيان اى فاولئك المصرّون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم حلبة المحاجة والجدال هم الظّالمون المفرّطون فى الظّلم والعدوان المبعدون فيهما والجملة مستانفة لامحلّ لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوّهم وقيل هى فى محلّ النّصب داخل تحت القول عطفا على قوله تعالى فأتوا بالتّورية قل صدق الله اى ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزل فى شان التحريم وقيل فى قوله تعالى ماكان ابراهيم يهوديّا ولانصرانيّا الخ او صدق فى كل شان من الشؤون وهو داخل فى ذلك دخولا اوّليا وفيه تعريض بكذبهم الصّريح فاتّبعوا ملّة ابراهيم اى ملّة الاسلام التّى هى فى الاصل ملّة ابراهيم عليه السّلام فانّكم ما كنتم متّبعين لملّته كما تزعمون او فاتبعوا مثل ملّته حتى تتخلّصوا عن اليهوديّة التّى اضطرّتكم الى التّحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب لتسوية الاغراض الدنيّة الدّنيويّة والزمتكم تحريم طيّبات محلّلة لابراهيم عليه السلام ومن تبعه والفاء للدّلالة على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه حنيفًا اى مائلا عن الاديان الزائغة كلّها وما كان من المشركين اى فى امر من امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض

لاشراك اليهود وتصريح بانّه عليه السّلام ليس بينه وبينهم علاقة دينيّة قطعًا والغرض بيان ان النّبى صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم عليه السّلام فى الاصول لانه لايدعوا الّا الى التّوحيد والبراءة عن كلّ معبود سواه سبحانه وتعالى والجملة تذييل لما قبلها انّ اوّل بيت وضع للنّاس شروع فى بيان كفرهم ببعض آخر من شرايع ملّته عليه السلام اثر بيان كفرهم بكون كلّ المطعومات حلالا له عليه السّلام روى انّهم قالوا بيت المقدّس اعظم من الكعبة لانه مهاجر الانبياء وفى الارض المقدّسة وقال المُسلمون بل الكعبة اعظم فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلم فنزلت اى انّ اوّل بيت وضع للعبادة وجعل متعبد الهم والواضع هو الله تعالى ويؤيّده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى للّذى ببكة خبر لانّ وانّما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة لتخصّصها بسببين الاضافة والوصف بالجملة بعدها اى للبيت الذى ببكة اى فيها وفى ترك الموصوف من التفخيم مالا يخفى وبكّة لغة فى مكّة فان العرب تعاقب بين الباء والميم كما فى قولهم ضربة لازب ولازم والتميط والتنبيط فى اسم موضع بالدّهناء وقولهم امر راتب وراتم وسبد رسه وسمدها واعبطت الحمى واعمطت وهى علَم للبلد الحرام من بكّه اذا زحمه لازدحام النّاس فيه وعن قتاده يبك النّاس بعضهم بعضا ولانّها تبكّ اعناق الجبابرة اى تدقّها لم يقصدها جبار الا قصمه الله عزّ وجل وقيل بكة اسم لبطن مكّة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكّة اسم للبلد كلّه وايّد هذا بان التّباك وهو الازدحام انّما يقع عند الطّواف وقيل مكّة اسم للمسجد والمطاف وبكّة اسم للبلد لقوله تعالى للّذى ببكة روى انه عليه السلام سئل عن اوّل بيت وضع للنّاس فقال المسجد الحرام ثمّ بيت المقدّس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اوّل من بناه ابراهيم عليه السّلام وقيل آدم عليه السّلام وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل فى سورة البقرة وقيل اوّل بيت بالشرف لا بالزّمان مباركًا كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجّه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذّنوب وهو حال من المستكن فى الظّرف لانّ التّقدير للّذى ببكة هو والعامل فيه ما قدّر فى الظّرف من فعل الاستقرار وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبّدهم ولانّ فيه آيات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته كما قال فيه آيات بيّنات واضحات كانحراف الطّيور عن موازات البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضوارى السّباع الصيود فى الحرام من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسّرة للهدى او حال اخرى مقام ابرهيم فى اثر قدميه عليه السلام فى الصّخرة التى كان عليه السلام يقوم عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل راسه على ما روى انّه عليه السّلام جاء زايرًا من الشام الى مكّة فقالت له مراءة اسمعيل عليهما السّلام انزل حتّى اغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقّه الايمن فوضع قدمه عليه حتّى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشّق الآخر فبقى اثر قدميه عليه وهو اما مبتداء حذف خبره اى منها مقام ابرهيم او بدل من آيات بدل البعض من الكلّ او عطف بيان امّا وحده

باعتبار كونه بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابرٰهيم
عليه السلام كقوله تعالى ان ابرهيم كان امة قانتًا او باعتبار اشتماله على آيات كثيرة فان كل واحد
من اثر قدمه فى صخرة صماء وغوصه فيها الى الكعبين والانة بعض الصخور دون بعض وابقائه
دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام وحفظه مع كثرة الاعداء الوف سنة آية مستقلة ويؤيده
القراءة على التوحيد واما بمايفهم من قوله عز وجل ومن دخله كان آمنًا فانه وان كان جملة
مستانفة ابتدائية او شرطية لكنها فى قوة ان يقال وامن من دخله فتكون بحسب المعنى والمآل
معطوفة على مقام ابرٰهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فيكتفى بذلك او يحمل على انه ذكر
من تلك الآيات اثنتان وطوى ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى أَمن داخله امنه من التعرض
له كما فى قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرمًا امنًا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابرٰهيم
عليه السلام رب اجعل هذا البلد امنًا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن
عمر رضى الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفه
رحمه الله من لزمه القتل فى الحل بقصاص او ردة او زنى فالتجا الى الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى
له ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنه من النار وعن النبى صلى الله عليه
وسلم من مات فى احد الحرمين بعث يوم القيمة امنًا وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يوخذ باطرافهما
وينثران فى الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضى الله عنه وقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله تعالى من هذه البقعة
ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب
يشفع كل واحد منهم فى سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبى صلى الله عليه وسلم
من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتى عام ولله على الناس حج البيت
جملة من مبتداء هو حج البيت وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار
او بمحذوف هو حال من الضمير المستكن فى الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على النا[س]
هو الخبر ولله متعلق بما تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن
فى على الناس لاستلزامه تقديم الحال على العامل المعنوى وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد
جوزه ابن مالك اذا كانت هى ظرفًا او حرف جر وعاملها كذلك بخلاف الظرف وحرف الجر فانهما
يتقدمان على عاملهما المعنوى واللام فى البيت للعهد وحجه قصده للزيادة على الوجه المخصوص المعهود
وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم للمصدر وقرئ بفتحها من استطاع اليه سبيلا فى محل الجر على
انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف اى من
استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد بالناس هو البعض المستطيع فلا حاجة الى الضمير وقيل
فى محل الرفع على انه خبر مبتداء مضمر اى هم من استطاع الخ وقيل فى حيز النصب بتقدير اعنى وقيل كلمة

من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا العايد الى الناس اى من استطاع منهم اليهم سبيلا
فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بكون ما بعده شرطية والضمير المجرور فى اليه راجع الى البيت او الى الحج
والجار متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما بشانه كما فى قوله عز وجل فهل الى خروج من سبيل وهل الى
مرد من سبيل لما فيه من معنى الافضاء والايصال كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال وغيره
فانه قد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السبيل الزاد والراحلة وروى
ابن عمر رضى الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روى
انه عليه السلام فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا روى عن ابن عباس وابن عمر رضى الله
عنهم وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعى رحمه الله اخذ بظاهره فاوجب الاستنابة على الزمن القادر
على اجرة من ينوب عنه والظاهر ان عدم تعرضه عليه السلام لصحة البدن لظهور الامر كيف
لا والمفسر فى الحقيقة هو السبيل الموصل لنفس المستطيع الى البيت وذا لا يتصور بدون الصحة
وعن ابن الزبير انه على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك
على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له و
لا زاد وعن الضحاك انه اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع ومن كفر وضع من كفر موضع من
لم يحج تاكيدا لوجوبه وتشديدًا على تاركه ولذلك قال عليه السلام من مات ولم يحج فليمت ان شاء
يهوديا او نصرانيا وروى عن ابن ابى طالب رضى الله عنه انه عليه السلام قال فى خطبته ايها الناس
ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت على اى حال شاء يهوديا او نصرانيًا
او مجوسيًا فان الله غنى عن العالمين وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من جملتهم داخلا فيها دخولا
اوليًا اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الاية الكريمة من فنون
الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه ما لا مزيد عليه حيث اوثرت
صيغة الخبر الدالة على التحقيق وابرزت فى صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على
وجه يفيد انه حق واجب لله سبحانه فى ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته
وسلك بهم مسلك التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين والاجمال ثم التفصيل لما فى ذلك
من مزيد تحقيق وتقرير وعبر عن تركه بالكفر الذى لا قبيح وراءه وجعل جزاؤه استغناؤه تعالى
المؤذن بشدة المقت وعظم السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحًا اسقاطا له عن درجة
الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب هذا
وقال ابن عباس والحسن وعطاء ومن كفر اى جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن
المسيب نزلت فى اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروى انه لما نزل قوله تعالى ولله على
الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب
عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلى اليه

ولا نجحه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين
ويرفع الى السماء في الثالثة وروى حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت
قبل ان ينبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله لو ترك الناس الحج
عاما ما نوظروا قل يا اهل الكتاب هم اليهود والنصارى وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب
الموجبة للايمان به وبما يصدقه مبالغة في تقبيح حالهم في كفرهم بها وقوله عز وجل لم تكفرون
بايات الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم بها سبب من الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب
عنه بالكلية والمراد بايات الله تعالى ما يعم الايات القرانية التي من جملتها ما تلي في شان الحج وغيره
وما في التورية والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم والله شهيد على ما تعملون
حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ وتاكيد الانكار واظهار الجلالة في موقع الاضمار
لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد وكلمة ما اما عبارة
عن كفرهم او هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون باياته
عز وجل والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع اعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في ان
ذلك يسد جميع انحاء ما تاتونه ويقطع اسبابه بالكلية قل يا اهل الكتاب امر بتوبيخهم بالاضلال
اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله عليه السلام على تقريعهم وتوبيخهم وترك
عطفه على الامر السابق للايذان باستقلالهما كما ان قطع قوله تعالى لم تصدون عن قوله تعالى
لم تكفرون للاشعار بان كل واحد من كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة
والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب لتاكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك
العنوان كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي ترغيب الناس فيه فصدهم
عنه في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف الكتاب والكفر بالايات الدالة
على نبوته عم وقرئ تصدون من اصده عن سبيل الله اي دينه الحق الموصل الى السعادة
الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام من امن مفعول لتصدون قدم عليه الجار والمجرور
للاهتمام به كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم
ويقولون ان صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتت
اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا
الى ما كانوا فيه تبغونها على اسقاط الجار وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله فتولى غلامهم ثم
نادى اظليما اصيدكم ام حمارا بمعنى اصيد لكم اي تطلبون لسبيل الله التي هي اقوم السبل عوجا
اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى
الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله وانتم
شهداء حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال الاولى او من فاعل تبغونها اي والحال انكم

شهداء

شهداء تشهدون بانها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان الصد عنها اضلال قال ابن عباس
رضي الله عنهما اي شهداء ان في التورية ان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام او وانتم عدول
فيما بينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظائم الامور وما الله بغافل عما تعملون
اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد قيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت الاية الكريمة
بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بايات الله تعالى لما كان بطريق العلانية
ختمت الاية السابقة بشهادته تعالى على ما تعملون يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين تلوين للخطاب وتوجيه الى المؤمنين تحذيرا لهم عن طاعة
اهل الكتاب والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال ردعا لهم عن ذلك وتعليق الرد
بطاعة فريق منهم مبالغة في التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم بالكلية فانه في قوة
ان يقال لا تطيعوا فريقا الخ كما ان تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر او للمحافظة على سبب النزول
فانه روي ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم شاس بن قيس اليهودي وكان
عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما راى منهم من تالف القلوب واتحاد الكلمة واجتماع الراي
بعد ما كان بينهم ما كان من العداوة والشنان فامر شابا يهوديا كان معه بان يجلس اليهم ويذكرهم
يوم بعاث وكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه للاوس وينشدهم ما قيل فيه
من الاشعار ففعل فتفاخر القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح السلاح فاجتمع من القبيلتين
خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون الجاهلية وانا بين
اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعلموا انها نزغة
من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا وانصرفوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت الاية الكريمة الى قوله تعالى لعلكم
تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فانصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ القوا السلاح وعانق
بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على تضمين الرد معنى التصيير
كما في قوله رمى الحدثان نسوة ال سعد بمقدار سمدن له سمودا فرد شعورهن السود بيضا
ورد وجوههن البيض سودا او حال من مفعوله والاول ادخل في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم
الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه
ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر
وغاية بعده من الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته او لممانعة الايمان له كانه
قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى وكيف تكفرون استفهام انكاري بمعنى
انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد الخ وفي توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر
من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال اتكفرون لان كل موجود لا بد ان يكون حال من

واستحالة تحقق الرد الى الكفر بدون سلب الايمان ع

الاحوال فاذا انكر ونفى جميع احوال وجوده بالكلية على الطريق البرهانى وقوله عز وجل **وانتم تتلى عليكم**
ايات الله جملة وقعت حالا من ضمير المخاطبين فى تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيهما من الشؤون
الداعية الى الثبات على الايمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى **وفيكم رسوله** معطوف عليها داخل
فى حكمها فان تلاوة ايات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه السلام بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة
ويزكيهم بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم اسناد التلاوة الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما فى الباب **ومن يعتصم بالله** اى ومن يتمسك بدينه الحق
الذى بينه باياته على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق سبيل
الله **فقد هدى** جواب للشرط وقد لافادة معنى التحقيق كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى
التوقع فيه ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للندى **الى صراط مستقيم**
موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا
وهذا وان كان هو دينه الحق فى الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام به بعينه لكن لما اختلف
الاعتباران وكان العنوان الاخير مما يتنافس فيه المتنافسون ابرز فى معرض الجواب للحث والترغيب
على قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز **يا ايها الذين امنوا** تكرير الخطاب بعنوان
الايمان تشريف اثر تشريف **اتقوا الله** الاتقاء افتعال من الوقاية وهى فرط الصيانة **حق تقاته** اى
حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع فى القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم كما فى قوله تعالى
فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضى الله عنه هو ان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا
يكفر وقد روى مرفوعا اليه عليه السلام وقيل هو ان لا تاخذه فى الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على
نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان ينزه الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازات وقد مر تحقيق
الحق فى ذلك عند قوله عز وجل هدى للمتقين والتقات من اتقى كالتؤدة من اتاد واصلها وقية
قلبت واوها المضمومة تاء كما فى تهمة وتخمة وياؤها المفتوحة الفا **ولا تموتن الا وانتم مسلمون** اى
مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة لما سواه اصلا كما فى قوله تعالى ومن احسن دينا
ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه
الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها والعامل فى الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر النظم
الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون على حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهى عن
ذلك القيد عند الموت المستلزم للامر بضده الذى هو الكون على حال الاسلام وحيث كان الخطاب
للمؤمنين كان المراد ايجاب الثبات على الاسلام الى الموت وتوجيه النهى الى الموت للمبالغة فى النهى عن
قيده المذكور فان النهى عن المقيد فى امثاله نهى عن القيد ورفع له عن اصله بالكلية مفيد لما يفيده النهى
عن نفس القيد فان قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة فى ايجاب الخشوع فى الصلوة ما لا
يفيده قولك لا تترك الخشوع فى الصلوة لما ان هذا نهى عن ترك الخشوع فى الصلوة لما ان هذا نهى عن ترك

الخشوع فقط وذلك نهى عنه وعما يقارنه ومفيد لكون الخشوع هو العمدة فى الصلوة وان الصلوة بدونه حقها
ان لا تفعل وفيه تحذير عما وراء الموت وقوله عز وعلا **واعتصموا بحبل الله** اى بدين الاسلام او بكتابه لقوله
عليه السلام القران حبل الله المتين لا تنقضى عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق
ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى صراط مستقيم اما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم
به ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك المتدلى من مكان رفيع بحبل وثيق مامون الانقطاع
من غير اعتبار المجاز فى المفردات واما استعارة للحبل لما ذكر من ان الدين او الكتاب والاعتصام
ترشيح لها او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه **جميعا** حال من فاعل اعتصموا اى مجتمعين فى الاعتصام
ولا تفرقوا اى لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او كما كنتم متفرقين فى الجاهلية
يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التى انتم عليها **واذكروا نعمة الله** مصدر
مضاف الى الفاعل وقوله تعالى **عليكم** متعلق به او بمحذوف وقع حالا منه وقوله تعالى **اذ كنتم** ظرف له او
للاستقرار فى عليكم اى اذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم **اعداء** فى الجاهلية بينكم الاحن والعداوات
والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء
وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين سنة **فالف بين قلوبكم** بتوفيقكم للاسلام **فاصبحتم** اى
فصرتم **بنعمته** التى هى ذلك التاليف **اخوانا** خبر اصبحتم اى اخوانا متحابين مجتمعين على الاخوة فى الله متراحمين
متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى فاصبحتم فدخلتم فى الصباح متلبسين بنعمته حال كونكم اخوانا
وكنتم على شفا حفرة من النار شفا الحفرة وشفتها حرفها اى كنتم مشرفين على الوقوع فى نار جهنم
لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها **فانقذكم** بان هداكم للاسلام **منها** الضمير
للحفرة او للنار او للشفا والتانيث للمضاف اليه كما فى قوله كما شرقت صدر القناة من الدم او لانه
بمعنى الشفة فان شفا البئر وشفتها جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو قلبت الواو الفا فى المذكر
وحذفت فى المؤنث **كذلك** اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل وكمال تميزه به عما عداه وانتظامه بسببه فى سلك
الامور المشاهدة والكاف مقحم لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة
لمصدر محذوف اى مثل ذلك التبيين الواضح **يبين الله لكم اياته** اى دلائله **لعلكم تهتدون**
طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم فيه **ولتكن منكم امة يدعون الى الخير** امرهم الله سبحانه
بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها بما قبله من الاوامر والنواهى تثبيتا للكل على
مراعات ما فيها من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس
كافة ويزعهم عن الاخلال بها والجمهور على اسكان لام الامر وقد قرئ بكسرها على الاصل وهو من
كان التامة ومن تبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا من الفاعل وهو امة ويدعون صفتها
اى لتوجد منكم امة داعية الى الخير والامة هى الجماعة التى يؤمها فرق الناس اى يقصدونها ويقتدون بها

اومن الناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها اى لتكن منكم امة داعين الى الخير واياما كان فتوجيه الخطاب
الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان
اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها على ماينبئ
عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنين لينفروا كافة الاية ولانها من عظائم الامور وعزايمها التى لا يتولاها
الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يامر بمنكر
وينهى عن معروف ويغلظ فى مقام اللين ويلين فى مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادى
والاصرار وقيل من بيانية كما فى قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم الاية
والامر من كان الناقصة والمعنى كونوا امة يدعون الاية كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس
الاية ولا يقتضى ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات
العامة والدعاء الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح دينى اودنيوى فعطف الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر عليه بقوله تعالى **ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر** مع اندراجهما فيه من باب
عطف الخاص على العام لاظهار فضلهما وانافتهما على سائر الخيرات كعطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة
عليهم السلام وحذف المفعول الصريح من الافعال الثلاثة اما للايذان بظهوره اى يدعون الناس
ويامرونهم وينهونهم واما للقصد الى ايجاد نفس الفعل كما فى قولك فلان يعطى ويمنع اى يفعلون
الدعاء الى الخير والامر بالمعروف والنهى عن المنكر **واولئك** اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم
بما ذكر من النعوت الفاضلة وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه فى سلك الامور المشاهدة
وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل والافراد فى كاف الخطاب
اما لان المخاطب كل من يصلح للخطاب واما لان التعيين غير مقصود اى اولئك الموصوفون بتلك
الصفات الكاملة **هم المفلحون** اى هم الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة
ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتداء خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك
وتعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين روى عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم
لله واوصلهم اى للرحم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله فى
ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه السلام والذى نفسى بيده لتامرن بالمعروف
ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله تعالى ان يبعث عليكم عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب
لكم وعن على رضى الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب
لله غضب الله له والامر بالمعروف فى الوجوب والندب تابع للمامور به واما النهى عن المنكر فواجب
كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والعاصى يجب عليه النهى عما ارتكبه اذ يجب عليه تركه وانكاره
فلا يسقط بترك احدهما وجوب شئ منهما والتوبيخ فى قوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون

انفسكم

انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا **ولا تكونوا**
كالذين تفرقوا هم اهل الكتابين حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا **واختلفوا** باستخراج
التاويلات الزائغة وكتم الايات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية **من**
بعد ما جاءهم البينات اى الايات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهى
متوجه الى المتصدين للدعوة اصالة والى اعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الامم
السالفة المشار اليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات
وقيل هم المبتدعة من هذه الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهى عنه انما هو الاختلاف
فى الاصول دون الفروع الا ان يكون مخالفا للنصوص البينة او الاجماع لقوله عليه السلام اختلاف
امتى رحمة وقوله عليه السلام من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد **واولئك**
اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما فى حيز الصلة وهو مبتداء وقوله تعالى **لهم** خبره وقوله
تعالى **عذاب عظيم** مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتداء او مبتداء والظرف خبره
والجملة خبر للمبتداء الاول وفيه من التاكيد والمبالغة فى وعيد المتفرقين والتشديد فى تهديد
المتشبهين بهم ما لا يخفى **يوم تبيض وجوه** اى وجوه كثيرة وقرئ تبياض **وتسود وجوه** كثيرة
وقرئ تسواد وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بنى قريظة والنضير ويوم
منصوب على انه ظرف للاستقرار فى لهم اى لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول المضمر
خوطب به المؤمنون تحذيرا لهم من عاقبة التفرق بعد مجئ البينات وترغيبا فى الاتفاق على
التمسك بالدين اى اذكروا يوم تبيض الخ وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور
واشراق البشرة وسعى النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك **فاما الذين اسودت**
وجوههم تفصيل لاحوال الفريقين بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما ان المقام مقام التحذير
عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن حال المؤمنين
كما بدئ بذلك عند الاجمال **اكفرتم بعد ايمانكم** على ارادة القول اى فيقال لهم ذلك والهمزة للتوبيخ
والتعجب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتابين وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان انفسهم به قبل مبعثه عليه السلام او جميع الكفرة حيث كفروا
بعد ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة
والايات البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء والفاء فى قوله عز وعلا **فذوقوا**
العذاب اى العذاب المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريق
الاهانة مترتب على كفرهم المذكور كما ان قوله تعالى **بما كنتم تكفرون** صريح فى ان نفس الذوق
معلل بذلك والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه فى الدنيا **واما**
الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله اعنى الجنة والنعيم المخلد عبر عنها بالرحمة تنبيها على ان المؤمن

وان استغرق عمره فى طاعة الله تعالى فانه لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ
اسوادت **هم فيها خالدون** استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من السابق كانه قيل كيف يكونون
فيها فقيل هم فيها خالدون لا يضعنون عنها ولا يموتون وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الاى
تلك اشارة الى الايات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب الكفار ومعنى البعد للايذان بعلو
شانها وسمو مكانها فى الشرف وهو مبتداء وقوله تعالى **ايات الله** خبره وقوله تعالى **نتلوها**
جملة حالية من الايات والعامل فيها معنى الاشارة او هى الخبر وايات الله بدل من اسم الاشارة
والالتفات الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبرئيل عليه السلام لابراز كمال
العناية بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى وقوله تعالى **عليك** متعلق
بنتلوها وقوله تعالى **بالحق** حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اى ملتبسين او ملتبسة
بالحق والعدل ليس فى حكمها شائبة جور بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسئ او بالعقاب
من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم باعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى
وما الله يريد ظلما للعالمين تذييل لمضمون ما قبله على ابلغ وجه واكده فان تنكير الظلم وتوجيه
النفى الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم باحاد الجمع المعرف والالتفات الى الاسم
الجليل اشعارا بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما لا مزيد عليه اى ما يريد فردا من
افراد الظلم لفرد من افراد العالمين فى وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم فان المضارع كما
يفيد الاستمرار فى الاثبات يفيده فى النفى بحسب المقام كما ان الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على دوام
الثبوت وعند دخول حرف النفى تدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفى سبك الجملة نوع ايماء
الى التعريض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد كما فى قوله تعالى ان الله لا يظلم
الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون **ولله ما فى السموات وما فى الارض** اى له تعالى وحده
من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا
وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء واما لتنزيلهم منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم فى مقام
بيان عظمته تعالى **والى الله** اى الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة او استقلالا **ترجع الامور** اى امورهم
فيجازى كلا منهم بما وعد له واوعد من غير دخل فى ذلك لاحد قط فالجملة مقررة لمضمون ما ورد
فى جزاء الفريقين وقيل معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فان كون العالمين عبيده تعالى
ومخلوقه ومرزوقه ليستدعى ارادة الخير بهم **كنتم خير امة** كلام مستانف سيق لتثبيت المؤمنين
على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التى تدل على تحقق الشئ
بصفة فى الزمان الماضى من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما فى قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما
وقيل كنتم كذلك فى علم الله تعالى او فى اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة **اخرجت**
للناس صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اى اظهرت لهم وقيل بخير امة اى كنتم خير الناس للناس

فهو

فهو صريح فى ان الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اى اخرجت لاجلهم ومصلحتهم
قال ابو هريرة رضى الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تاتون بهم فى السلاسل فتدخلونهم فى الاسلام
وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبى قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار
فيدخلونهم فى الاسلام فهم خير امة للناس **تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** استيناف مبين
لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم
وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحى من
المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضى الله عنهما يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال
الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعم سائر امته وروى
الترمذى عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول فى قوله تعالى
كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى وظاهر ان
المراد بكل امة اوايلهم واواخرهم لا اوايلهم فقط فلا بد ان يكون اعقاب هذه الامة ايضا داخلة
فى الحكم وكذا الحال فيما روى ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين مرا بنفر من اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم فيهم ابن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة رضى
الله عنهم فقالا لهم نحن افضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروى سعيد بن جبير عن ابن
عباس كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروى الضحاك
انهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ~~الى المدينة~~ خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله المسلمين
بطاعتهم وتؤمنون بالله اى ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء
وانما لم يصرح به تفصيلا لظهور انه الذى يؤمن به المؤمنون وللايذان بانه الايمان بالله تعالى حقيقة
وان ما خلا عن شئ من ذلك كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان به تعالى فى شئ قال تعالى ويقولون نؤمن
ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر
ذلك عن الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم
للناس اظهر من دلالته عليها وليقترن به قوله تعالى **ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم**
اى لو امنوا كايمانكم لكان ذلك خيرا لهم مما هم عليه من الرياسة واستتباع العوام ولازدادت رياستهم
وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه
من الكفر فالخيرية انما هى باعتبار زعمهم وفيه ضرب تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار
بظهور انه الذى يطلق عليه اسم الايمان لا يذهب الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا او فيما قبل
لربما فهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا فى الجملة لكن ايمان المؤمنين خير منه وهيهات ذلك **منهم**
المؤمنون جملة مستانفة سيقت جوابا عما نشا من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم
كانه قيل هل منهم من امن او كلهم على الكفر فقيل منهم المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله

بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون فى الكفر الخارجون عن الحدود لن يضرّوكم الّا اذًى
استثناء مفرّغ من المصدر العامّ اى لن يضرّوكم ابدا ضررًا مّا الّا ضررا اذًى لايبالى به من طعن وتهديد
لا اثر له وان يقاتلوكم يولّوكم الادبار . اى ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل او اسر ثم
لاينصرون عطف على الشّرطيّة وثمّ للتراخى فى الرّتبة اى لاينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا
واخذا وفيه تثبيت لمن امن منهم فانّهم كانوا يوذونهم بالتلهّى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم
وبشارة لهم بانّهم لايقدرون على ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعبا به مع انه وعدهم الغلبة
عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذّل وانّما لم يعطف نفى منصوريتهم على الجزاء لان
المقصود هو الوعد بنفى النّصر مطلقا ولو عطف عليه لكان متقيّدا بمقاتلتهم كتودلية الادبار وكم بين
الوعدين كانّه قيل ثمّ شانهم الّذى اخبركم عنه وابشركم به انهم مخذولون منتف عنهم النّصر والقوّة لاينهضون
بعد ذلك بجناح ولايقومون على ساق ولا يستقيم لهم امر وكان كذلك حيث لقى بنو قريظة والنّضير
وبنو قينقاع ويهود خيبر ما القوم ضربت عليهم الذّلّة اى هدر النّفس والمال والاهل او ذل التمسّك
بالباطل اينما ثقفوا اى وجدوا الّا بحبل من الله وحبل من النّاس استيناف من اعمّ الاحوال
اى ضربت عليهم الذلّة ضرب القبّة على من هى عليه فى جميع الاحوال الّا حال كونهم معتصمين بذمّة الله
او كتابه الذى اتاهم وذمّة المسلمين او بذمّة الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباءو بغضب من الله اى رجعوا
به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتّهويل ومن متعلّقة بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكّدة لما افاده
التنكير من الفخامة والهول اى كائن من الله عزّ وجل وضربت عليهم المسكنة فهى محيط بهم من جميع جوانبهم
واليهود كذلك فى غالب الحال مساكين تحت ايدى المسلمين او النّصارى ذلك اشارة الى ما ذكر
من ضرب الذّلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم بانّهم كانوا يكفرون بايات الله اى ذلك الّذى
ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بايات الله الناطقة بنبوّة محمّد صلّى الله عليه وسلم وتحريفهم لها وسائر
الايات القرانيّة ويقتلون الانبياء بغير حقّ اى فى اعتقادهم ايضا واسناد القتل اليهم مع انه
فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التّحريف مع كونه من افعال احبارهم ينسب الى كلّ من يسير بسيرتهم
ذلك اشارة الى ما ذكر من الكفر والقتل بما عصوا وكانوا يعتدون اى كائن بسبب عصيانهم
يفضى الى مباشرة الكبائر والاستمرار فان الاصرار على الصّغائر يفضى الى مباشرة الكبائر والاستمرار
عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذّلة والمسكنة فى الدّنيا واستيجاب الغضب فى الاخرة
كما هو معلّل بكفرهم وقتلهم فهو مسبّب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون بالفروع
من حيث المواخذة ليسوا سواء جملة مستانفة سيقت تمهيدًا لتعداد محاسن مومنى اهل الكتاب وتذكيرا
لقوله تعالى منهم المؤمنون والضّمير فى ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا الفاسقين منهم خاصّة وهو اسم
ليس وخبره سواء وانما افرد لانّه فى الاصل مصدر والمراد بنفى المساوات نفى المشاركة فى اصل
الاتّصاف بالقبائح المذكورة لانفى المساوات فى مراتب الاتصاف بها مع تحقق المشاركة فى اصل الاتّصاف

بها اى ليس جميع اهل الكتاب متشاركين فى الاتّصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من
العقوبات وقوله تعالى من اهل الكتاب امّة قائمة استيناف مبين لكيفيّة عدم تساويهم ومزيل
لما فيه من الابهام كما ان ما سبق من قوله تعالى تامرون الاية مبيّن لقوله تعالى كنتم خير امّة الخ و
وضع الكتاب موضع الضّمير العايد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك
الاية ممّن اوتى نصيبا وافرا من الكتاب لا من اراذلهم والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود
فقام بمعنى استقام وهم الّذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد واسيد بن عبيد واضرابهم
وقيل هم اربعون رجلا من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثلثة من الرّوم كانوا على دين
عيسى وصدّقوا محمّدًا عليهما السلام وكان من الانصار فيهم عدّة قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم
منهم اسعد بن زراره والبرا بن معرور ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا موحّدين
يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرايع الحنيفيّة حتّى بعث الله النبىّ صلى الله عليه
وسلم فصدّقوه ونصروه وقوله تعالى يتلون ايات الله فى محلّ الرّفع على انه صفة اخرى لامّة وقيل
فى محلّ النّصب على انّه حال منها لتخصّصها بالنّعت والعامل فيه الاستقرار الّذى يتضمّنه الجار و
ضميرها فى قائمة او من المستكنّ فى الجارّ لوقوعه خبر الامّة والمراد بايات الله القران وقوله تعالى
اناء اللّيل ظرف ليتلون اى فى ساعاته جمع انًى بزنة عصا او انًى بزنة معًا او انى بزنة ظبى او انى بزنة
نحى او انو بزنة جرو وهم يسجدون اى يصلّون اذ لا تلاوة فى السّجود قال صلى الله عليه وسلّم الا انى
نهيت ان اقرا راكعا او ساجدًا وتخصيص السّجود بالذّكر من بين ساير اركان الصّلوة مع انها مشتملة
عليها قطعًا لزيادة تحقيق المخالفة وتحقيق عدم المساوات بينهم وبين الّذين وصفوا انفًا بالكفر
بها وهو السر فى تقديم هذا النّعت على نعت الايمان والمراد بصلوتهم التهجّد اذ هو ادخل فى مدحهم
وفيه يتسنى لهم التّلاوة فانها فى المكتوبة وظيفة الامام واعتبار حالهم عند الصّلوة على الانفراد ياباه مقام
المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس المتبادر منه الصّلوات المكتوبة وبالتّعبير
عن وقتها بالانا المبهمة وقيل صلوة العشاء لان اهل الكتاب لايصلّونها لما روى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلّم اخرها ليلة ثم خرج فاذا النّاس ينتظرون الصّلوة فقال اما انه ليس من اهل
الاديان احد يذكر الله هذه السّاعة غيركم وقرا هذه الاية وايراد الجملة اسميّة للدّلالة على الاستمرار
وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتاكيده وصيغة المضارع للدّلالة على التّجدد والجملة حال من فاعل يتلون
وقيل هى مستانفة والمعنى انهم يقومون تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرّحمة بانواع
ما يكون فى الصّلوة من الخشوع لله عزّ وجل كما فى قوله تعالى والّذين يبيتون لربّهم سجّدا وقيامًا وقيل
المراد هو الخضوع كما فى قوله تعالى ولله يسجد ما فى السموات والارض يؤمنون بالله واليوم الاخر
صفة اخرى لامة مبيّنة لمباينتهم اليهود من جهة اخرى اى يؤمنون بهما على الوجه الّذى نطق به
الشّرع والاطلاق للايذان بالغنى عن التقييد لظهور انه الّذى يطلق عليه الايمان بهما لا يذهب

الوهم الى غيره وللتعريض بانّ ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب والرّسل ووصفهم
اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان بهما فى شئ اصلا ولو قيّد بما ذكر لربّما توهّم ان المنفى عنهم هو المقيّد
المذكور مع جواز اطلاق الايمان على ايمانهم بالاصل وهيهات ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
صفتان اخريان لامّة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود فى الفضايل المتعلّقة بتكميل النّفس وتعريضا
بمداهنتهم فى الاحتساب بل بتعكيسهم فى الامر باضلال النّاس وصدّهم عن سبيل الله فانّه امر بالمنكر
ونهى عن المعروف ويسارعون فى الخيرات صفة اخرى لامّة جامعة لفنون المحاسن المتعلّقة بالنّفس
وبالغير والمسارعة فى الخير فرط الرّغبة فيه لان من رغب فى الامر سارع فى تولّيه والقيام به واٰثر
الفور على التّراخى اى يبادرون مع كمال الرّغبة فى فعل اصناف الخيرات اللّازمة والمتعدّية وفيه تعريض
بتباطؤ اليهود فيها بل بمبادرتهم الى الشّرور وايثار كلمة فى على ما وقع فى قوله تعالى وسارعوا الى
مغفرة الخ للايذان بانّهم مستقرّون فى اصل الخير متقلبون فى فنونه المترتبة فى طبقات الفضل لا انّهم
خارجون عنها منتهون اليها واولٰئك اشارة الى الامة باعتبار اتصافهم بما فصّل من النعوت الجليلة
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلوّ درجتهم وسموّ طبقتهم فى الفضل وايثاره على الضمير للاشعار
بعلّة الحكم والمدح اى اولئك المنعوتون بتلك الصّفات الفاضلة بسبب اتّصافهم بها من الصّالحين
اى من جملة من صلحت احوالهم عند الله عزّ وجل واستحقوا رضاه وثناه وما يفعلوا من خير كائنا ما
كان ممّا ذكر او لم يذكر فلن يكفروه اى لن يعدموا ثوابه البته عبّر عنه بذلك كما عبّر عن توفية الثواب
بالشّكر اظهارا لكمال تنزّهه سبحانه وتعالى عن ترك اثباتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره
عنه تعالى من القبايح وتعديته الى المفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول الجرى
على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل مقرّر لمضمون ما قبله
فان علمه تعالى باحوالهم يستدعى توفية اجورهم لا محالة والمراد بالمتقين امّا الامّة المعهودة وضع
موضع الضّمير العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلّق العلم بهم واشعارا بمناط اثباتهم وهو التقوى
المنطوى على الخصايص السالفة وامّا جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا اوليّا انّ
الّذين كفروا اى بما يجب ان يؤمن به قال ابن عبّاس رضى الله عنهما هم بنو قريظة والنضير فان معاندتهم
كانت لاجل المال وقيل هم مشركو قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل ابو سفين
واصحابه فانه انفق مالا كثيرا على الكفّار يوم بدر واحد وقيل هم الكفّار كافة فانهم افتخروا بالاموال
والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذّبين فرد الله عزّ وجل عليهم وقال لن
تغنى عنهم اى لن يدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اى من عذابه تعالى شيئا اى شيئا يسيرا
منه او شيئا من الاغناء واولٰئك اصحاب النّار اى مصاحبوها على الدّوام وملازموها هم فيها
خالدون ابدا مثل ما ينفقون فى هذه الحيوة الدّنيا بيان لكيفيّة عدم اغناء اموالهم التى كانوا يعوّلون
عليها فى جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون اطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها

الحال

الحال ما ينفقه الكفرة قربة او مفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وخوفا وقصّته العجيبة الّتى تجرى مجرى
المثل فى الغرابة كمثل ريح فيها صرّ اى برد شديد فانه فى الاصل مصدر وان شاع اطلاقه على الرّيح البارده
كالصّرصر وقيل كلمة فى تجريدية كما فى قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة اصابت
حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصى فباؤا بغضب من الله تعالى وانّما وصفوا بذلك لانّ
الاهلاك عن سخط اشدّ وافظع فاهلكته عقوبة لهم ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا
فى ضياعه وذهابه بالكلّية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم يبق
لهم فيه منفعة مّا بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركّب الّذى مرّ تفصيله فى تفسير قوله تع
كمثل الّذى استوقد نارا ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يراد
مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون
وما ظلمهم الله بما بيّن من ضياع ما انفقوا من الاموال ولكن انفسهم يظلمون لما انّهم اضاعوها
بانفاقها لا على ما ينبغى وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام فى الفعل باعتبار
تعلّقه بالفاعل لا بالمفعول اى ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد
والاستمرار وقد جوّز ان يكون المعنى وما ظلمهم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه ولكنّهم ظلموا
انفسهم بارتكاب ما استحقّوا به العقوبة ويأباه انّه قد مرّ التعرّض له تصريحا واشعارا وقرئ
لكنّ بالتشديد على ان انفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة اى ولكنّ انفسهم
يظلمونها وامّا تقديره بضمير الشان فلا سبيل اليه لاختصاصه بالشعر ضرورة كما فى قوله ولكنّ من
يبصر جفونك يعشق يا ايّها الّذين امنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرّجل ووليجته من يعرّفه
اسراره ثقة به شبّه ببطانة الثوب كما شبّه بالشّعار قال عليه السّلام الانصار شعار والنّاس دثار
قال ابن عبّاس رضى الله عنهما كان رجال من المؤمنين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصّداقة
والحلف فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مجاهد نزلت فى قوم من المؤمنين كانوا يواصلون
المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيّده قوله تعالى واذا لقوكم قالوا امنّا واذا خلوا عضّوا عليكم
الانامل وهى صفة المنافق وايّاما كان فالحكم عام للكفرة كافّة من دونكم اى من دون المسلمين
وهو متعلّق بلا تتّخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة اى كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم
خبالا جملة مستانفة مبيّنة لحالهم داعية الى الاجتناب عنهم او صفة لبطانة يقول لا الى فى الامر اذا
قصّر فيه ثمّ استعمل معدّى الى مفعولين فى قولهم لا الوك نصحا ولا الوك جهدا على تضمين معنى
المنع والنّقص والخبال الفساد اى لا يقصرون لكم فى الفساد ودّوا ما عنتّم اى تمنوا عنتكم اى مشقتكم
وشدّة ضرركم وهو ايضا استيناف مؤكد للنّهى موجب لزيادة الاجتناب عن النّهى عنه قد بدت
البغضاء من افواههم استيناف اٰخر مفيد لمزيد الاجتناب عن المنهى عنه اى قد ظهرت البغضاء
فى كلامهم لما انّهم لا يتمالكون مع مبالغتهم فى ضبط انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من السنتهم

مايُعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والافواه جمع فم واصله فوه فلامه هاء يدلّ على ذلك جمعه
على افواه وتصغيره فويه والنّسبة اليه فوهىّ وماتخفى صدورهم اكبر ممّا بدا لانّ بدوّه ليس عن روية
واختيار قد بيّنا الايات الدالة على وجوب الاخلاص فى الدّين وموالات المؤمنين ومعادات
الكافرين ان كنتم تعقلون اى ان كنتم من اهل العقل او ان كنتم تعقلون مابيّن لكم من الايات والجواب
محذوف لدلالة المذكور عليه ها انتم اولاء جملة من مبتداء وخبر صدّرت بحرف التنبيه اظهار الكمال
العناية بمضمونها اى انتم اولاء المخطئون فى موالاتهم وقوله تعالى تحبّونهم ولايحبّونكم بيان لخطائهم
فى ذلك وهو خبر ثان لانتم او خبر لاؤلاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبّه او صلة له او حال
والعامل معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسّره مابعده ويكون الجملة خبرا وتؤمنون
بالكتاب كلّه اى بجنس الكتب جميعًا وهو حال من ضمير المفعول فى لايحبّونكم والمعنى لايحبّونكم والحال
انكم تؤمنونَ بكتابهم فما بالكم تحبّونهم وهم لايؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى
حقّكم واذا لقوكم قالوا امنّا نفاقا واذا خلوا عضّوا عليكم الانامل من الغيظ اى من اجله تاسّفًا وتحسّرا حيث
لم يجدوا الى التّشفى سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوّة الاسلام
واهله الى ان يهلكوا به او باشتداده الى ان يهلكم ان الله عليم بذات الصّدور فيعلم مافى صدورهم
من العداوة والبغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اى وقل لهم ان الله تعالى عليم بما هو
اخفى ممّا تخفونه من عضّ الانامل غيظا وان يكون خارجًا عنه يعنى لاتتعجب من اطلاعى اياك على اسرارهم
فانّى عليم بذات الصّدور وقيل هو امر لرسول صلى الله عليه وسلم بطيب النّفس وقوّة الرّجاء و
والاستبشار بوعد الله تعالى ان يهلكوا غيظًا باعزاز الاسلام واذلالهم به من غير ان يكون ثمّ قول كانه
قيل حدّث نفسك بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيّئة يفرحوا بها بيان
لتناهى عداوتهم الى حدّ حسدوا ما نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضرّ وشدّة وذكر
المسّ مع الحسنة والاصابة مع السّيئة امّا للايذان بانّ مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط
فرحهم تمام اصابة السّيئة وامّا لانّ المسّ مستعار لمعنى الاصابة وان تصبروا اى على عداوتهم او على
مشاقّ التّكاليف وتتّقوا ما حرّم الله تعالى عليكم ونهاكم عنه لايضرّكم كيدهم مكرهم وحيلتهم
الّتى دبّروها لاجلكم وقرئ لايضرّكم بكسر الضّاد وجزم الرّاء على جواب الشّرط من ضاره يضيره بمعنى
ضرّه يضرّه وضمّة الرّاء فى القراءة المشهورة للاتباع كضمّة مدّ شيئًا نصب على المصدرية اى لايضرّكم
شيئا من الضّرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولانّ المجدّ فى الامر المتدرّب بالاتقاء
والصبر يكون جريّا على الخصم ان الله بما يعملون فى عداوتكم من الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك
وقرئ بالتاء الفوقانيّة اى بما تعملون من الصّبر والتّقوى فيجازيكم بما انتم اهله واذ غدوت كلام مستانف
سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصّبر والتّقوى للضّرر على ان وجودهما مستتبع لما وعد من
النّجاة عن مضرّة كيد الاعداء واذا نصب على المفعوليّة بمضمر خوطب به النّبىّ صلى الله عليه وسلم

خاصة

١٧٠

خاصّة مع عموم الخطاب فيما قبله ومابعده وللمؤمنين لاختصاص مضمون الكلام به عليه السّلام
واذكر لهم وقت غدوّكم ليتذكّروا ما وقع فيه من الاحوال النّاشئة عن عدم الصّبر فيعلموا انّهم
ان لزموا الصّبر والتقوى لايضرّهم كيد الكفرة وتوجيه الامر بالذّكر الى الوقت دون ما وقع فيه
من الحوادث مع انّها المقصوده بالذّات للمبالغة فى ايجاب ذكرها واستحضار الحادثة بتفاصيلها
كما سلف بيانه فى تفسير قوله تعالى واذ قال ربّك للملئكة الخ والمراد به خروجه عليه السّلام
الى احد وكان ذلك من منزل عايشه رضى الله عنها وهو المراد بقوله تعالى من اهلك اى من عند
اهلك تبوّء المؤمنين اى تنزلهم او تهيّئ وتسوّى لهم مقاعد ويؤيّده قراءة من قرا تبوّئ للمؤمنين
والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على انّها حال مقدّرة اى ناويًا وقاصدًا للتبوّئة كما قيل بل على ان
المقصود تذكير الزّمان الممتدّ المتّسع لابتداء الخروج والتّبوئة وما يترتب عليها اذ هو المذكّر
للقصّة وانما عبّر عنه بالغد والّذى هو الخروج غدوة مع كون خروجه عليه السّلام بعد صلوة
الجمعة كما ستعرفه اذ حينئذٍ وقعت التبوئة الّتى هى العمدة فى الباب اذ المقصود بتذكير الوقت تذكير مخالفتهم
لامر النبىّ صلى الله عليه وسلّم وتزائلهم عن احيازهم المعيّنة لهم عند التّبوئة وعدم صبرهم وبهذا
يتبيّن خلل من راى من احتج به على جواز اداء الجمعة قبل الزّوال واللّام فى قوله تعالى للقتال امّا
متعلقة بتبوّء اى لاجل القتال وامّا بمحذوف وقع صفة لمقاعد اى كائنة ومقاعد القتال اماكنه
وموافقة فان استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعًا شايع ذائع كما فى قوله تعالى فى مقعد
صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعى عبد الله بن ابىّ بن سلول ولم يكن دعاه قبل ذلك
فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولاتخرج اليهم فوالله ماخرجنا
الى عدوّ قطّ الّا اصاب منّا ولا دخلها علينا الّا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان اقاموا
اقاموا بشرّ مجلس وان دخلوا قاتلهم الرّجال فى وجوههم ورماهم النّساء والصّبيان بالحجارة
وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لايرون انا قد
جُبّنا عنهم وقال عليه السلام انّى قد رايت فى منامى بقرا مذبّحة حولى فاوّلتها خيرا ورايت فى ذباب
سيفى ثلما فاوّلته هزيمة ورايت كانّى ادخلت يدى فى درع حصينة فاوّلتها المدينة فان رايتم ان
تقيموا بالمدينة فدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشّهادة
يومئذ اخرج بنا الى اعدائنا وقال النّعمان بن مالك الانصارى رضى الله عنه يا رسول الله لاتحرمنى
الجنّة فوالذى بعثك بالحقّ لادخلنّ الجنّة ثمّ قال بقولى اشهد ان لا اله الّا الله وانّى لا افرّ من
الزّحف فلم يزالوا به عليه السّلام حتّى دخل فلبس لامته فلمّا راوه كذلك ندموا وقالوا بئسما
صنعنا نشير على رسول الله والوحى ياتيه فقالوا اصنع يا رسول الله ما رايت فقال ما ينبغى لنبىّ
ان يلبس لامته فيضعها حتّى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السّبت

للنّصف من شوال لسنة ثلث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال فكانّما يقوّم بهم القدح ان راى صدرا خارجًا قال تاخّر وكان نزوله فى عدوة الوادى وجعل ظهره وعسكره الى احد وامّر عبد الله بن جبير على الرّماة وقال لهم انضحوا عنّا بالنبل لا ياتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم عليم بضمائركم والجملة اعتراض للايذان بانّه قد صدر عنهم هناك من الاقوال والافعال ما لا ينبغى صدوره عنهم اذ همّت بدل من اذ غدوت مبيّن لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على معنى انّه تعالى جامع بين سماع الاقوال والعلم بالضمائر فى ذلك الوقت اذ لا وجه لتقييد كونه تعالى سميعًا عليمًا بذلك الوقت قال الفرّاء معنى قولك ضربت واكرمت زيدًا ان زيدًا منصوب بهما وانّهما تسلّطا معًا طائفتان منكم ان تفشلا متعلّق بهمّت والباء محذوفة بان تفشلا ان تجبُنا وتضعفا وهما حيّان من الانصار بنو اسلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ثلثة الاف انخزل عبد الله بن ابىّ بثلث النّاس فقال يا قوم علامَ نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصارى رضى الله عنه فقال انشدكم الله تعالى فى نبيّكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتّبعناكم فهمّ الحيّان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم وعن ابن عبّاس رضى الله عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظّاهر انّها ما كانت الّا همّة وحديث نفس قلّما تخلو النّفس عنه عند الشدائد والله وليّهما اى عاصمهما على اتباع تلك الخطرة والجملة اعتراض ويجوز ان تكون حالا من فاعل همّت او من ضمير فى تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما او همهما به مع كونهما فى ولاية الله عزّ وجل وقرئ والله وليّهم كما فى قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقًا استقلالا او اشتراكا فليتوكّل المؤمنون فى جميع امورهم فانّه حسبهم واظهار الاسم الجليل للتّبرك به والتّعليل فان الالوهيّة من موجبات التّوكل عليه تعالى واللّام فى المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطّائفتان دخولا اوليًّا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعى التّوكل وموجباته ولقد نصركم الله ببدرٍ جملة مستانفة سيقت لايجاب الصّبر والتّقوى بتذكير ما ترتب عليهما من النّصر اثر تذكير ما ترتّب على عدمهما من الضّرر وقيل لايجاب التوكّل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ماء بين مكّة والمدينة كان لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمّى باسمه وقيل سمّى به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع او الوادى وكانت وقعة بدر فى السّابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين من الهجرة وانتم اذلّة حال من مفعول نصركم واذلّة جمع ذليل وانّما جُمع جمع قلّة للايذان باتصافهم بوصفى القلّة والذلّة اذ كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم فى الغاية خرجوا على النّواضح يعتقب النّفر منهم على البعير الواحد ولم يكن فى العسكر الّا فرس واحد وقيل فرسان لمقداد ومرثد وتسعون بعيرا وستة ادرع وثمانية سيوف وكان العدوّ زهاء الف ومعهم مائة فرس

وفشل

وشكة وشوكة فاتقوا الله اقتصر على الامر بالتقوى مع كونه مشفوعًا بالصّبر فيما سبق وما لحق للاشعار باصالته وكون الصّبر من مباديه اللازمة له ولذلك قدّم عليه فى الذّكر وفى ترتيب الامر بالتّقوى على الاخبار بالنّصر ايذان بان نصرهم المذكور كان بسبب تقواهم اى اذا كان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ لعلّكم تشكرون اى راجين ان تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النّصرة كما شكرتم فيما قبل او لعلّكم ينعم الله عليكم بالنّصر كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الّذى هو الانعام اذ تقول تلوين للخطاب بتخصيصه برسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه والايذان بانّ وقوع النّصر كان ببشارته عليه السلام واذ ظرف لنصركم قدّم عليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتدّ الّذى وقع فيه ما ذكر بعده وما طوى ذكره تعويلا على شهادة الحال ممّا يتعلّق به وجود النّصر وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها اى نصركم وقت قولك للمؤمنين حين اظهروا العجز عن المقابلة قال الشعبىّ بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر الحنفى يريد ان يمدّ المشركين فشق ذلك على المؤمنين فنزل ثم حكى ههنا الن يكفيكم ربّكم ان يمدّكم ربّكم بثلثة الاف الكفاية سدّ الخلّة والقيام بالامر والامداد فى الاصل اعطاء الشّئ حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والاعانة يقال فيه امدّه يمدّه امدادًا وما كان بطريق الزّيادة يقال مدّه يمدّه مدًّا ومنه والبحر يمدّه من بعده سبعة ابحر وقيل المدّ فى الشّرّ كما فى قوله تعالى ويمدّهم فى طغيانهم يعمهون وقوله ونمدّ له من العذاب مدًّا والامداد فى الخير كما فى قوله تعالى وامددناكم باموال وبنين والتّعرض لعنوان الرّبوبيّة ههنا وفيما سياتى مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم والاشعار بعلّة الامداد والمعنى انكار عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للاشعار بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوّة العدوّ وكثرتهم من الملئكة بيان او صفة لالاف او لما اضيف اليه اى كائنين من الملئكة منزلين صفة لثلثة الاف وقيل حال من الملئكة وقرئ منزّلين بالتشديد للتكثير او للتّدريج وقيل امدّهم الله تعالى اوّلا بالف ثمّ صاروا ثلثة الاف ثم خمسة الاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصّيغتين اى منزلين بلى ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اى بلى يكفيكم ذلك ثم وعد لهم الزّيادة بشرط الصّبر والتقوى حثّا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا على لقاء العدوّ ومناهضتهم وتتّقوا معصية الله ومخالفة نبيّه عليه السلام ويأتوكم اى المشركون من فورهم هذا اى من ساعتهم هذه وهو فى الاصل مصدر فارت القدر اى اشتدّ غليانها ثمّ استعير للسّرعة ثم اطلق على كلّ حالة لا ريث فيها اصلا ووصفه بهذا التاكيد السّرعة بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعة فى سلك شرطى الامداد المستتبعين له وجودا وعدمًا اعنى الصبر والتقوى مع تحقق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطأوا لتحقيق سرعة الامداد لا لتحقيق اصله او لبيان تحققه على اىّ حال فرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه بابعد التّقادير ليعلم

تحققه على سائرها بالطريق الاولى فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة من مظان عدم لحوق المدد عادة
فعلق به تحقق الامداد ايذانا بانه حيث تحقق مع ما ينافيه عادة فلان يتحقق بدونه اولى واحرى
كما اذا اردت وصف درع بغاية الحصانة تقول ان لبستها وبارزت بها الاعداء فضربوك بايد
شداد وسيوف حداد لم تتاثر منها قطعا **يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة مسومين**
من التسويم الذى هو اظهار سيماء الشئ اى معلمين انفسهم او خيلهم فقد روى انهم كانوا بعمائم
بيض الا جبرئيل عليه السلام فانه بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام روى انهم كانوا على
خيل بلق قال عروة بن الزبير كانت الملئكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم
وقال هشام بن عروة عمائم صفر وقال قتاده والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن فى نواصى الخيل
واذنابها وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه رضى الله عنهم تسوموا فان الملائكة
قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول ومعناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى وقيل مرسلين
من التسويم بمعنى الاسامة **وما جعله الله** كلام مبتداء غير داخل فى حيز القول مسوق من جنابه
تعالى لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق
به المؤمنون ولا يقنطوا منه عند فقدان اسبابه واماراته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه
الكلام ويستدعيه النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه
على وجه مخصوص هو الامداد بالملئكة مرة بعد اخرى وتعيين وقته فيما مضى يقضى بوقوعه
ح قضاء قطعيا لكن لم يصرح به تعويلا على تعاضد الدلائل وتاخذ الامارات والمخائل وايذانا
بكمال الغنى عنه بل احترازا عن شائبة التكرير او عن ايهام احتمال الخلف فى الوعد المحتوم كانه قيل
عقيب قوله تعالى يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملئكة مسومين فامددكم بهم وماجعله الله الخ
والجعل متعد الى واحد وهو الضمير العائد الى مصدر ذلك الفعل المقدر واما عوده الى المصدر
المذكور اعنى قوله تعالى ان يمدكم او الى المصدر المدلول عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل
فغير حقيق بجزالة التنزيل لان الهلية البسيطة متقدمة على المركبة فبيان العلة الغائية لوجود
الامداد كما هو المراد بالنظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده فى نفسه ولا ريب فى ان المصدرين
المذكورين غير معتبرين من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتصدى لبيان
احكام وجودهما بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثانى من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد
بثلثة الاف والواقع هو الامداد بخمسة الاف وقوله تعالى **الا بشرى لكم** استثناء مفرغ من
اعم العلل وتلوين الخطاب لتشريف المؤمنين وللايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين
القلوب بتوفيق الاسباب الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غنى عنه بما له من التاييد
الروحانى اى وما جعل امدادكم بانزال الملئكة عيانا لشئ من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون
ولتطمئن قلوبكم به اى بالامداد وتسكن اليه كما كانت السكينة لبنى اسرائيل كذلك فكلاهما علة

غائية

غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرايطه من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل
وبقى الثانى على حاله لفقدانها وقيل للاشارة ايضا الى اصالته فى العلية واهميته فى نفسه كما فى قوله
تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفى قصر الامداد عليهما اشعار بان الملائكة عليهم
السلام لم يباشروا يومئذ القتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب المباشرين بتكثير السواد ونحوه
كما هو راى بعض السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء من
اعم المفاعيل اى وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الا بشارة لكم فاللام فى قوله تعالى ولتطمئن
متعلقة بمحذوف تقديره ولتطمئن قلوبكم به فعل ذلك **وما النصر** اى حقيقة النصر على الاطلاق
فيندرج فى حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا **الا من عند الله** اى الا كائن من عنده تعالى من غير ان
يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هى مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او والنصر
المعهود الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التاثير وانما قصارى امرهم ما ذكر
من البشارة وتقوية القلوب **العزيز** اى الذى لا يغالب فى حكمه وقضيته واجراء هذا الوصف
عليه تعالى للاشعار بعلة اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه تعالى بقوله **الحكيم** اى الذى
يفعل كل ما يفعل حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان بعلة جعل النصر بانزال الملائكة
عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة **ليقطع** متعلق بقوله تعالى ولقد نصركم وما
بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه والمقصور على التعليل بما ذكر من البشرى والاطمئنان
انما هو الامداد بالملئكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك فى تعليل اصل النصر بالقطع وما
عطف عليه او بما تعلق به الخبر فى قوله عز وعلا وما النصر الا من عند الله على تقدير كونه
عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان المعلل بالبشارة والاطمئنان انما هو الامداد الصورى
لا ما فى ضمنه من النصر المعنوى الذى هو ملاك الامر واما تعلقه بنفس النصر كما قيل فمع ما فيه
من الفصل بين المصدر ومعموله باجنبى هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر
المخصوص المعلل بعلل معينة على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او
النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم الله يومئذ او وما النصر الظاهر عند امداد الملئكة
الا ثابت من عند الله ليقطع اى ليهلك وينقص **طرفا من الذين كفروا** اى طائفة منهم بقتل واسر
وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون **او يكبتهم** اى يخزيهم
ويغيظهم بالهزيمة فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع فى القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب
كبده بالغيظ والحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالتاء
غير مبدلة واو للتنويع **فينقلبوا خائبين** اى فينهزموا منقطعى الامال غير فائزين من مبتغاهم
بشئ كما فى قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا **ليس لك من الامر شئ** اعتراض
وسط بين المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالآجل لتحقيق ان لا تاثير للمنصور

اثر بيان ان لا تاثير للناصرين وتخصيص النفي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب
للدلالة على الانتفاء من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت
من مظان ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولساير مباشري القتال مدخل في الجملة
او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم على الاطلاق هو الله عز وجل نصركم
عليهم ليهلكهم او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم
شئ انما انت عبد مامور بانذارهم وجهادهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروي المخصوص
باشد الكفرة كفرا والا فمطلق التعذيب الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا ونظم التوبة
والتعذيب المذكور في تلك العلة الغائية للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث ان قبول
توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقية الاسلام بسبب غلبة اهله المترتبة على النصر وان
تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر بعد تبيين الحق على الوجه المذكور هذا
وقيل ان عتبة بن ابي وقاص شجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وكسر رباعيته
فجعل عليه السلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول
كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وليس لك من الامر
شئ الآية كانه نوع معاتبة على انكاره عليه السلام لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى
لعلمه بان منهم من يؤمن فقوله تعالى او يتوب عليهم ح معطوف على الامر او على شئ باضمار ان اى
ليس لك من امرهم او من التوبة عليهم او من تعذيبهم ونقل عن الفراء وابن الانباري ان او بمعنى
الا ان والمعنى ليس لك من امرهم شئ الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بهم او يعذبهم فتتشفى منهم
وايا ما كان فهو كلام مستانف سيق لبيان بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض
ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان كلا منهما مبني على اختصاص الامر كله بالله
تعالى ومنبئ عن سلبه عمن سواه واما تعلق كل القصة بغزوة احد على ان قوله تعالى اذ تقول بدل
ثان من اذ غدوت وان ما حكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع يوم احد وان الامداد
الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى فلما لم يفعلوا لم يتحقق الموعود كما قيل فلا يساعده النظم
الكريم اما اولا فلان المشروط بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة الاف لا بثلاثة الاف مع انه
لم يقع الامداد يومئذ ولو بملك واحد واما ثانيا فلانه كان ينبغي ح ان ينعى عليهم جناياتهم وحرمانهم
بسببها تلك النعمة الجليلة ودعوى ظهورها مع عدم دلالة السابق والسياق عليه بل مع دلالتهما على
خلافه مما لا يكاد يسمع واما ثالثا فلانه لا سبيل الى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله الخ الى
الامداد الموعود لانه لم يتحقق فكيف يبين علته الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل
ذلك الوعد لبشارتكم واطمئنان قلوبكم فلم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود
لما ان قوله تعالى وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم صريح في انه قد وقع الامداد الموعود لكن اثره

انما هو مجرد البشارة والاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقي فليس ذلك الا من عنده تعالى
وجعله استثناء مفرغا مقررا لعدم وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا يتصور
من خالف امره بترك الصبر والتقوى اعتساف بين يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى
ليقطع طرفا الآية متعلق ح بما تعلق به قوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه
بقوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر الآية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من
قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من اعتبار وجود النصر قطعا لان تفصيل الاحكام المترتبة على وجود
شئ بصدد بيان انتفائه مما لم يعهد في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه
ان قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم وان ما حكي في اثنائه الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا
وما بعده محتمل للوجهين المذكورين وقوله تعالى فانهم ظالمون تعليل على كل حال لقوله تعالى
او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم وجزاء لظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض كلام مستانف
سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات به عز وجل اثر بيان اختصاص طرف من ذلك به سبحانه
تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار للقصر وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا اي له ما فيهما من
الموجودات خلقا وملكا لا مدخل فيه لاحد اصلا فله الامر كله يغفر لمن يشاء اي يغفر له مشيئة
مبنية على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء ان يعذبه بعلمه مشيئة كذلك وايثار كلمة من في الموضعين
لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى
غضبه وبانها من مقتضيات الذات دونه فانه من مقتضيات سيات العصاة وهذا صريح في نفي
وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له والله غفور رحيم تذييل مقرر لمضمون
قوله تعالى يغفر لمن يشاء مع زيادة وفي تخصيص التذييل به دون قرينه من الاعتناء بشان المغفرة
والرحمة ما لا يخفى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا كلام مبتدا مشتمل على ملاك الامر في كل
باب لا سيما في باب الجهاد من التقوى والطاعة وما بعدهما من الامور المذكورة على نهج الترغيب
والترهيب جيء به في تضاعيف القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه وايذانا بكمال وجوب
المحافظة عليه فيما هم فيه من الجهاد فان الامور المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على
الاطلاق عمدة في امر الجهاد عليها يدور فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى
وطاعة الرسول عليه السلام لما لقوا ما لقوا ولعل ايراد النهي عن الربوا في اثنائها لما ان الترغيب
في الانفاق في السراء والضراء الذي عمدته الانفاق في سبيل الجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال
فكان مظنة مبادرة الناس الى طرق الاكتساب ومن جملتها الربوا فنهوا عن ذلك والمراد باكله
اخذه وانما عبر عنه بالاكل لما انه معظم ما يقصد بالاخذ ولشيوعه في الماكولات مع ما فيه من زيادة
تشنيع وقوله تعالى اضعافا مضاعفة ليس لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا
لهم بذلك اذ كان الرجل يربي الى اجل فاذا حل قال للمدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل

فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستفرق بالشئ الطفيف ماله بالكليه ومحله النصب على الحالية من الربوا
وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه من الامور التى من جملتها الربوا لعلكم تفلحون راجين للفلاح
واتقوا النار التى اعدت للكافرين بالتحرز عن متابعتهم وتعاطى مايتعاطونه كان ابو حنيفه رح يقول هى
اخوف اية فى القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه فى اجتناب محارمه
واطيعوا الله فى كل ما امركم به ونهاكم عنه والرسول الذى يبلغكم اوامره ونواهيه لعلكم ترحمون راجين
لرحمته عقب الوعيد بالوعد ترهيبا عن المخالفة وترغيبا فى الطاعة وايراد لعل فى الموضعين للاشعار
بعزة منال الفلاح والرحمة قال محمد بن اسحق هذه الاية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين امرهم بما امرهم يوم احد وسارعوا عطف على اطيعوا وقرى بغير واو على وجه
الاستيناف اى بادروا واقبلوا وقرئ وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة اى الى ما يودى اليهما
وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء جميع الواجبات
وترك جميع المنهيات فيدخل فيهما ما مر من الامور الماموربها والمنهى عنها دخولا اوليا وتقديم
المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحليه ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة اى كائنة
من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله
تعالى عرضها السموات والارض اى كعرضهما صفة لجنة وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة فى وصفها
بالسعة والبسط على طريق التمثيل فان العرض فى العادة ادنى من الطول وعن ابن عباس رضى الله
عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت للمتقين فى حيز الجر على انه صفة اخرى
لجنة او فى محل النصب على الحالية لتخصصها بالصفة اى هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الان
وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون فى محل الجر على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان
او فى حيز النصب او الرفع على المدح ومفعول ينفقون محذوف ليتناول كل ما يصلح للانفاق او متروك
بالكلية كما فى قولك يعطى ويمنع فى السراء والضراء فى حالتى الرخاء والشدة واليسر والعسر او فى الاحوال
كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اى لا يخلون فى حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل
او كثير والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة الفاعل للدلالة على الاستمرار واما
الانفاق فحيث كان امرا متجددا اعبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم الحبس يقال كظم غيظه
اى حبسه قال المبرد تاويله انه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقاء اذا ملاءته وشددت عليه اى
الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو
قادر على انفاذه ملاء الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس اى التاركين عقوبة من استحق مؤاخذته
روى انه ينادى مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا من عفى وعن النبى
صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء فى امتى قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا من الامم التى مضت وفى
هذين الوصفين اشعار بكمال حسن موقع عفوه عليه السلام عن الرماة وترك مواخذتهم بما فعلوا

من مخالفة امره عليه الصلوة والسلام وندب له عليه السلام الى ترك ما عزم عليه من مجازات المشركين
بما فعلوا بحمزة رضى الله عنه حيث قال حين راه قد مثل به لامثلن بسبعين مكانك والله يحب المحسنين
اللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت
المعدودة من باب الاحسان الذى هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذى هو حسنها الوصفى
المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه
فانه يراك والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها والذين مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف
على ما قبله من صفات المتقين والله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما مشير الى ما بينهما
من التفاوت فانه درجة الاولين من التقوى اعلى من درجة هؤلاء وحظهم اوفى من حظهم او
على نفس المتقين فيكون التفاوت اكثر واظهر اذا فعلوا فاحشة اى فعلة بالغة فى القبح كالزنا او
ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة او الفاحشة
ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنوا اسرائيل
اكرم على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة فى عتبة داره افعل كذا
فانزل الله هذه الاية وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر
ليس بجيد وفى البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله
فتركها وندم على ذلك واتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين
انصارى وامراة رجل ثقفى كان بينهما مواخاة فندم الانصارى وحثا على راسه التراب وهام على
وجهه وجعل يسيح فى الجبال تائبا مستغفرا ثم اتى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت وايا ما كان فاطلاق
اللفظ ينتظم ما فعله الرماة انتظاما اوليا ذكروا الله تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية
والحياء او وعيده او حكمه وعقابه فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم والفاء للدلالة على ان ذكره تع
مستتبع للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام انكارى والمراد بالذنوب جنسها كما فى قولك
فلان يلبس الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد
منها عن غيره تعالى وقوله تعالى الا الله بدل من الضمير المستكن فى يغفر اى لا يغفر جنس الذنوب
احدا الا الله خلا ان دلالة الاستفهام على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه بان كل احد ممن له حظ
من الخطاب يعرف ذلك الانتفاء فيسارع الى الجواب به والمراد به وصفه سبحانه بغاية سعة الرحمة
وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين او بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه
والاشعار بالوعد بالقبول ولم يصروا عطف على فاستغفروا وتاخيره عنه مع تقدم عدم الاصرار على
الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشان الاستغفار واستحقاقه للمسارعة اليه عقيب ذكره تعالى
او حال من فاعله اى ولم يقيموا او غير مقيمين على ما فعلوا اى ما فعلوه من الذنوب فاحشة كانت
او ظلما او على فعلهم روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم

سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا كبيرة مع الاصرار **وهم يعلمون** حال من فاعل يصيروا
اى لم يصيروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهى عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه
قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير فى تحصيل العلم به **اولئك** اشارة الى المذكورين آخر
باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو
طبقتهم فى الفضل وهو مبتداء وقوله تعالى **جزاؤهم** بدل اشتمال منه وقوله تعالى **مغفرة** خبر له
او جزاؤهم مبتداء ثان ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين
اذا فعلوا الخ على الوجه الاول وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنب فى سلك
الجزاء اذ على الوجهين الاخيرين يكون قوله تعالى اولئك الخ جملة مستانفة مبينة لما قبلها كاشفة
عن حال كلا الفريقين المحسنين والتائبين ولم يذكر من اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى
يذكر فى مطلع الجزاء الشامل لهما المغفرة وتخصيص الاشارة بالاخيرين مع اشتراكهما فى حكم اعداد الجنة لهما
تعسف ظاهر **من ربهم** متعلق بمحذوف وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية اى كائنة من جهته تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم
للاشعار بعلة الحكم والتشريف **وجنات تجرى من تحتها الانهار** عطف على مغفرة والتنكير المشعر
بكونها ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول **خالدين فيها** حال مقدرة من الضمير
فى جزاؤهم لانه مفعول به فى المعنى لانه فى قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لان يكون
حالا من جنات فى اللفظ وهى لاصحابها فى المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير **ونعم اجر العاملين** المخصوص
بالمدح محذوف اى ونعم اجر العاملين ذلك اى ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما بالاجر
المشعر بانهما تستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب فى الطاعات والزجر
عن المعاصى والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين وناهيك
مضمونهما دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت النير والتباين البين شتان بين المحسنين
الفائزين بمحبة الله عز وجل وبين العاملين الحائزين لاجرهم وعمالتهم **قد خلت من قبلكم سنن** رجوع
الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادى الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز والفلاح
والخلو المضى والسنن الوقايع وقيل الامم والظرف اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا من سنن
اى قد مضت من قبل زمانكم او كائنة من قبلكم وقائع سنها الله تعالى فى الامم المكذبة كما فى قوله عز
وجل وقتلوا تقتيلا سنة الله فى الذين خلوا الخ والفاء فى قوله تعالى **فسيروا فى الارض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين** للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر او للامر بهما وقيل المعنى على
الشرط اى ان شككتم فسيروا الخ وكيف خبر مقدم لكان معلق لفعل النظر والجملة فى محل النصب
بعد نزع الخافض لان الاصل استعماله بالجار **هذا** اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الخ **بيان
للناس** اى تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع

صفة

صفة له وتعريف الناس للعهد وهم المكذبون اى هذا ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب
فان الامر بالسير والنظر وان كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد
ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان ينظروا فى عواقب من قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون
من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام مسوقا لهم **وهدى وموعظة** اى وزيادة بصيرة وموعظة لكم
وانما قيل **للمتقين** للايذان بعلة الحكم فان مدار كونه هدى وموعظة لهم انما هو تقواهم ويجوز ان
يراد بالمتقين الصائرون الى التقوى والهدى والموعظة على ظاهرهما اى هذا بيان لمآل امر
الناس وسوء مغبته وهداية لمن اتقى منهم وزجر لهم عما هم عليه من التكذيب وان يراد به ما يعمهم
وغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى والموعظة ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة فيهما وانما
قدم كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له على كونه هدى وموعظة للمتقين مع انه المقصود
بالسياق لان اول ما يترتب على مشاهدة آثار هلاك اسلافهم ظهور حال اخلافهم واما زيادة الهدى
او اصله فامر مترتب عليه وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد
البيان العارى عن الهدى والموعظة والاقتصار عليهما فى جانب المتقين مع ترتبهما على البيان
لما انهما المقصد الاصلى ويجوز ان يكون تعريف الناس للجنس اى هذا بيان للناس كافة وهدى
وموعظة للمتقين منهم خاصة وقيل كلمة هذا اشارة الى ما لخص من امر المتقين والتائبين والمصرين
وقوله تعالى قد خلت الآية اعتراض للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين وانت
خبير بان الاعتراض لا بد ان يكون مقررا لمضمون ما وقع فى خلاله ومعاينة آثار هلاك المكذبين
مما لا تعلق له بحال احد الاصناف الثلثة للمؤمنين وان كان باعثا على الايمان ناجرا عن التكذيب وقيل
اشارة الى القرآن ولا يخفى بعده **ولا تهنوا ولا تحزنوا** تشجيع للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم
يوم احد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن
عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن جحش بن عمة النبى صلى الله عليه وسلم
وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة ومن الانصار سبعون رجلا رضوان الله عليهم اجمعين اى لا
تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح ولا تحزنوا على من قتل منكم **وانتم الاعلون** جملة حالية من فاعل
الفعلين اى والحال انكم الاعلون الغالبون دون عدوكم فان مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم
من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد بالنصر والغلبة بعد الاشعار به فيما سبق او وانتم المعهودون
بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم لله عز وجل وقتلاكم فى الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان
وقتلاهم فى النار وقيل وانتم الاعلون حالا منهم حيث اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم
ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهى او بالاعلون وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق به عليه اى ان كنتم
مؤمنين **فلا تهنوا ولا تحزنوا** فان الايمان يوجب قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وقلة المبالاة
باعدائه او ان كنتم مؤمنين فانتم الاعلون فان الايمان يقتضى العلو لا محالة او ان كنتم مصدقين

بوعد الله تعالى فانتم الاعلون واياما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق المعلق به كما فى قول
الاجير ان كنت عملت لك فاعطنى اجرى ولذلك قيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان
بقيتم على الايمان ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف
وقد قرئ بهما وقيل هو بالفتح الجراح وبالضم المها وقرئ بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد
والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم احد فقد نلتم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم
يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون
وقيل كلى المسين كان يوم احد فان المسلمين نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة
خيلهم بالنبل وتلك الايام اشارة الى الايام الجارية فيما بين الامم الماضية والآتية كافة لا الى
الايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هى داخلة فيها دخولا اوليا والمراد بها اوقات
الظفر والغلبة نداولها بين الناس تصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة ولهؤلاء اخرى كقول من
قال فيوما علينا ويوما لنا، ويوما نساء ويوما نسر، والمداولة كالمعاورة يقال داولته بينهم
فتداولوه اى عاورته فتعاوروه واسم الاشارة مبتدا والايام اما صفة له او بدل منه او عطف
بيان له فتداولها خبره او خبر فتداولها حال من الايام والعامل معنى اسم الاشارة او خبر
بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للايذان بان تلك المداولة سنة
مسلوكة فيما بين الامم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل وليعلم
الله الذين آمنوا اما من باب التمثيل اى ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين
على الايمان من غيرهم او العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اى ليتميز
الثابتين على الايمان من غيرهم كما فى قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه
حتى يميز الخبيث من الطيب او هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه
موجود بالفعل اذ هو الذى يدور عليه فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان
مع ان المراد هو الرسوخ والاخلاص فيه للايذان بان اسم الايمان لا ينطلق على غيره والالتفات
الى الغيبة باسناده الى اسم الذات المستجمع للصفات لتربية المهابة والاشعار بان صدور كل واحد
مما ذكر بصدد التعليل من افعاله تعالى باعتبار منشأ معين من صفاته تعالى مغاير لمنشأ الآخر
والجملة علة لما هو فرد من افراد مطلق المداولة التى نطق بها قوله تعالى نداولها بين الناس من
المداولة المعهودة الجارية بين فريقى المؤمنين والكافرين واللام متعلقة بما دل عليه المطلق من
الفعل المقيد بالوقوع بين الفريقين المذكورين او نفس الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة
معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص والتعيين محذوفة لدلالة المذكورة عليها لكونها
من مباديها كانه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم الخ فان ظهور اعمالهم وخروجها

من

من القوة الى الفعل من مبادى تمييزهم عن غيرهم ومواجب تعلق العلم الازلى بها من تلك الحيثية وكذا
الحال فى باب التمثيل فتامل واما على العموم والابهام للتنبيه على ان العلل غير منحصرة فيما عدد من الامور
وان العبد يسوءه ما يجرى عليه من النوائب ولا يشعر بان الله تعالى فى ذلك من الالطاف الخفية ما لا يخطر
بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الخ وفيه من تاكيد التسلية ومزيد
التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق المداولة دون سائر افرادها الجارية
فيما بين بقية الامم تعيينا او ابهاما لعدم تعلق الغرض العلمى ببيانها ولك ان تجعل المحذوف المبهم
عبارة عن علل سائر افرادها للاشارة اجمالا الى ان كل فرد من افرادها له علة داعية اليه كانه
قيل نداولها بين الناس كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد وليعلم الخ فاللام
الاولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تقيده بتلك الافراد والثانية باعتبار تقيده بالفرد المعهود
وقيل هى متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين آمنوا فعل ذلك ويتخذ منكم شهداء
جمع شهيد اى ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء أحد فمن ابتدائية او تبعيضية متعلقة بيتخذ او
بمحذوف وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اى ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم من الثبات
على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيمة فمن
بيانية لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون المتشهدين فقط واياما كان ففى لفظ الاتخاذ المنبئ عن
الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شانهم ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ونفى المحبة كناية عن البغض وفى ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى
لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان فالتقرير من حيث ان بغضه تعالى لهم من دواعى
اخراج المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم واما الكفرة الذين اديل لهم فالتقرير من حيث ان
ذلك ليس بطريق النصرة لهم فانها مختصة باوليائه تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة الى المؤمنين
وقوله تعالى وليمحص الله الذين آمنوا اى ليصفيهم ويطهرهم عن الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام
لتذكير التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لابراز
مزيد الاعتناء بشان التمحيص وهذه الامور الثلثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على
المؤمنين قدمت فى الذكر لانها المحتاجة الى البيان ولعل تاخير العلة الاخيرة عن الاعتراض
لئلا يتوهم اندراج المذنبين فى الظالمين او ليقترن بقوله عز وعلا ويمحق الكافرين فان التمحيص
فيه محو الآثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص والاذهاب قال المفضل هو ان
يذهب الشئ بالكلية حتى لا يرى منه شئ ومنه قوله تعالى يمحق الله الربوا اى يستاصله وهذه علة
للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا ام حسبتم كلام مستانف سيق لبيان ما هو
الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من تمييز المخلصين وتمحيصهم واتخاذ الشهداء واظهار

عزّ منالها والخطاب للّذين انهزموا يوم احد وام منقطعة ومافيها من كلمة بل للاضراب عن التسلية ببيان
العلل فيما لقوا من الشدّة الى تحقيق انها من مبادى الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة للانكار والاستبعاد
اى بل احسبتم ان تدخلوا الجنّة وتفوزوا بنعيمها ولمّا يعلم اللهُ الّذين جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكدة
للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل ممّن يعلم انه منوط به مستبعد عند العقول وعدم العلم كناية
عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبنىّ على لزوم تحقق الاوّل لتحقق الثّانى ضرورة استحالة تحقق
شئ بدون علمه تعالى به وايثارها على التّصريح للمبالغة فى تحقيق المعنى المراد فانّها اثبات لعدم
جهادهم بالبرهان وللايذان بان مدار ترتب الجزاء على الاعمال انّما هو علم الله تعالى بها كانه قيل
والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وانّما وجّه النّفى الى الموصوفين مع ان المنفى هو الوصف
فقط وكان يكفى ان يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن معنى ولما تجاهدوا للمبالغة فى بيان
انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفى كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الّا انه غير
معتبر فى تاكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يَعْلَمَنْ فحذفت النّون او على طريقة اتباع
الميم لماقبلها فى الحركة لابقاء تفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الّذين ويعلم الصّابرين منصوب
باضمار ان على ان الواو للجمع كما فى قولك لا تاكل السّمك وتشرب اللّبن اى لا يكن منك اكل السمك
وشرب اللبن والمعنى ام حسبتم ان تدخلوا الجنّة والحال انّه لم يتحقق منكم الجهاد والصّبر اى الجمع
بينهما وايثار اسم الفاعل على الموصول للدلالة على انّ المعتبر هو الاستمرار على الصبر وللمحافظة
على الفواصل وقيل مجزوم معطوف على المجزوم قبله فحرّك لالتقاء السّاكنين بالفتح للخفّة والاتباع
كما مرّ ويؤيّده القراءة بالكسر على ما هو الاصل فى تحريك السّاكن وقرئ يعلم بالرّفع على انّ الواو
للحال وصاحبها الموصول والمبتداء محذوف اى وهو يعلم الصّابرين كانّه قيل ولما تجاهدوا وانتم
صابرون ولقد كنتم تمنّون الموت اى تتمنّون الحرب فانّها من مبادى الموت او الموت بالشّهادة و
الخطاب للّذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنّون ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
مشهدا لينالوا ما نال له شهداء بدر من الكرامة فالحّوا على رسول الله صلى الله عليه وسلّم فى الخروج
ثمّ ظهر منهم خلاف ذلك من قبل ان تلقوه متعلّق بتمنّون لسبب اقدامهم على التّمنى اى من قبل ان
تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدّته وقرئ تلاقوه فقد رايتموه اى ما تتمنّونه من اسباب الموت
او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى وانتم تنظرون حال من ضمير المخاطبين وفى ايثار الرّؤية
على الملاقات وتقييدها بالنّظر مزيد مبالغة فى مشاهدتهم له والفاء فصيحة كانه قيل ان كنتم
صادقين فى تمنّيكم ذلك فقد رايتموه معاينين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم
واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم لها ثمّ
جبنهم وانهزامهم لا على تمنّى الشّهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفّار لما ان مطلب من يتمنّاها نيل
كرامة الشّهداء من غير ان يخطر بباله شئ غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة وما محمّد

الّا رسول مبتداء وخبر ولا عمل لما بالاتفاق لانتقاض نفيه بالّا وقوله تعالى قد خلت من قبله
الرّسل صفة لرسول منبئة على كونه فى شرف الخلو فان خلو مشاركته فى نصب الرّسالة من شواهد
خلوه عم لا محالة كانّه قيل قد خلت من قبله امثاله فيخلو كما خلوا والقصر قلبىّ فانّهم لمّا انقلبوا على
اعقابهم فكانّهم اعتقدوا انّه عليه السّلام رسول لا كسائر الرّسل فى انّه يخلو كما خلوا ويجب التمسّك بدينهم
بعدهم فردّ عليهم بانّه ليس الّا رسولا كسائر الرّسل فيخلو كما خلوا ويجب التمسّك بدينه كما يجب التمسّك
بدينهم وقيل هو قصر افراد فانّهم لما استعظموا عدم بقائه عليه السّلام لهم نزّلوا منزلة المستبعدين
لهلاكه كانّهم يعتقدون فيه عليه السّلام وصفين الرّساله والبعد عن الهلاك فردّ عليهم
بانّه مقصور على الرّسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك فلا بدّ من جعل قوله تعالى قد
خلت الخ كلاما مبتداء مسوقا لتقرير عدم براءته عليه السّلام من الهلاك وبيان كونه اسوة
لمن قبله من الرّسل عليهم السّلام وايّا ما كان فالكلام مخرج على خلاف مقتضى الظّاهر افان مات
او قتل انقلبتم على اعقابكم انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدّين بخلوّه بموت او قتل بعد علمهم
بخلوّ الرّسل قبله وبقاء دينهم متمسّكا به وقيل الفاء للسببيّة والهمزة لانكار ان يجعلوا خلوّ
الرّسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته مع كونه سببا فى الحقيقة لثباتهم على الدّين وايراد الموت
بكلمة ان مع العلم به البتّة لتنزيل المخاطبين منزلة المتردّدين فيه لما ذكر من استعظامهم
ايّاه وهكذا الحال فى سائر الموارد فان كلمة ان فى كلام الله تعالى لا تجرى على ظاهرها قطّ ضرورة
علمه تعالى بالوقوع او اللاوقوع بل تحمل على اعتبار حال السّامع او امر آخر يناسب المقام وتقديم تقدير
الموت مع ان تقدير القتل هو الّذى ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة لما ان الموت فى شرف الوقوع
فزجر النّاس عن الانقلاب عنده وحملهم على التثبت هناك اهمّ ولانّ الوصف الجامع بينه وبين
الرّسل عليهم السّلام هو الخلو بالموت دون القتل روى انّه لما التقى الفئتان حمل ابو دجانة فى نفر
من نفر من المسلمين على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه قتالا
عظيما حتّى التوى سيفه وكذا سعد بن ابى وقّاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلمّا نظر
الرّمات اليهم وراوا انّهم قد انهزموا اقبلوا على النّهب ولم يلتفتوا الى نهى اميرهم عبد الله بن جبير
فلم يبق منهم عنده الّا ثمانية نفر فلمّا راهم خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم فى مائتين و
خمسين فارسا من المشركين من قبل الشّعب وقتلوا من بقى من الرّمات ودخلوا خلف اقفية
المسلمين ففرّقوهم وهزموهم وحملوا على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم وقاتلوهم حتّى
اصيب هناك نحو ثلثين رجلا كلّا منهم يجثو بين يديه ويقول وجهى لوجهك وقاء ونفسى
لنفسك فداء وعليك سلام الله غير مودّع ورمى عبد الله بن قمئة الحارثىّ رسول الله صلى الله عليه
وسلّم بحجر فكسر رباعيته وشجّ وجهه الكريم فذبّ عنه مصعب بن عمير رضى الله عنه وكان
صاحب الرّاية حتّى قتله ابن قمئة وهو يزعم انه قتل النبى صلى الله عليه وسلم فقال قتلت محمّدا

وصرخ صارخ قيل انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفاء الناس وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم
يدعو الى عباد الله قال كعب بن مالك كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحاز
اليه ثلاثون من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابى
ياخذ لنا امانا من ابى سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم
والى دينكم فقال انس بن النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حى
لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا
كراما على ما مات عليه ثم قال اللهم انى اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك مما جاء به هؤلاء
ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل وتجويزهم لقتله عليه السلام مع قوله تعالى والله يعصمك من
الناس لما ان كل اية ليس يسمعها كل احد ولا كل من يسمعها يستحضرها فى كل مقام لا سيما فى مثل
ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضى الله عنه عن هذه الاية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم
وقام فى الناس وقال ان رجالا من المنافقين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
توفى وان رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه
اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاقطعن ايدى رجال وارجلهم
يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يزل يكرر ذلك الى ان قام ابو بكر رضى الله
عنهما فحمد الله عز وجل واثنى عليه ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن
كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ثم تلى وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الاية قال
الراوى والله لكان الناس لم يعلموا ان هذه الاية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
تلاها ابو بكر وقال عمر والله ما هو الا ان سمعت ابا بكر يتلو فعقرت حتى ما يحملنى رجلاى وعرفت ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم مات **ومن ينقلب على عقبيه** بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الاسلام وما ارتد يومئذ احد
من المسلمين الا ما كان من المنافقين **فلن يضر الله** بما فعل من الانقلاب **شيئا** اى شيئا
من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب **وسيجزى الله الشاكرين** اى الثابتين على دين
الاسلام الذى هو اجل نعمة واعز معروف سموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه
ايماء الى كفران المنقلبين وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد بهم الطايعون لله تعالى
من المهاجرين والانصار وعن على رضى الله عنه ابو بكر واصحابه وعنه رضى الله عنه انه قال ابو بكر
من الشاكرين ومن احباء الله تعالى واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشان
جزاءهم **وما كان لنفس ان تموت** كلام مستانف سيق للتنبيه على خطائهم فيما فعلوا حذرا من
قتلهم وبناء على الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان ان كل نفس منوط بمشيئة الله عز وجل
لا يكاد يقع بدون تعلقها به وان خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضائق كل هائل مخوف وقد اشير

بذلك

بذلك الى انها لم تكن متعلقة بمودتهم فى الوقت الذى حذروه فيه ولذلك لم يقبلوا ح لا لاحجامهم عن
مباشرة القتال وكلمة كان ناقصة اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف وقوله تعم
الا باذن الله استثناء مفرغ من اعم الاسباب اى وما كان الموت صالحا للنفس من النفوس بسبب
من الاسباب الا بمشيئته تعالى على ان الاذن مجاز منها لكونها من لوازمه او الا باذنه لملك الموت
فى قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال الاختيارية
التى لا يتسنى للفاعل ايقاعها والاقدام عليها بدون اذنه تعالى او بتنزيل اقدامها على مباديه اعنى
القتال منزلة الاقدام على نفسه للمبالغة فى تحقيق المرام فان موتها حين استحال وقوعه عند اقدامها
عليه او على مباديه وسعيها فى ايقاعه فلان يستحيل عند عدم ذلك اولى واظهر وفيه من التحريض
على القتال ما لا يخفى **كتابا** مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اى كتبه الله كتابا **مؤجلا** موقتا بوقت
معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة وقرئ موجلا بالواو بدل الهمزة على قياس التخفيف وبعد تحقيق
ان مدار الموت والحيوة محض مشية الله عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلا اشير الى
ان توفيه ثمرات الاعمال دائرة على ارادتهم ليصرفوها عن الاغراض الدنية الى المطالب السنية فقيل
ومن يرد اى بعمله **ثواب الدنيا نؤته** بنون العظمة على طريق الالتفات **منها** اى ثوابها ما نشاء ان
نؤتيه اياه كما فى قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن
شغلتهم الغنائم يومئذ وقد مر تفصيله **ومن يرد** اى يرد اى بعمله **ثواب الآخرة نؤته منها** اى من ثوابها
ما نشاء من الاضعاف حسبما جرى به الوعد الكريم **وسنجزى الشاكرين** نعمة الاسلام الثابتين عليه العارفين
لما اتاهم الله تعالى من التقوى والقدر الى ما خلقت هى لاجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن
ذلك صارف اصلا والمراد بهم اما المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين
وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفى تصديرها
بالسين وابهام الجزاء من التاكيد والدلالة على فخامة شان الجزاء وكونه بحيث يقصر عنه البيان ما لا يخفى
وقرئ الافعال الثلثة بالياء **وكاين** كلام مبتداء ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم فى صدودهم عن سنن
الربانيين المجاهدين فى سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكاين لفظة مركبة من كاف
التشبيه واى حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث فى كذا وكذا والنون تنوين اثبتت فى
الخط على غير قياس وفيها خمس لغات هى احداهن والثانية كائن مثل كاعن والثالثة كاين مثل كعين
والرابعة كيان بياء ساكنة بعدها همزة مكسورة وهى قلب ما قبلها والخامسة كان مثل كعن وقد قرئ
بكل منها ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى **من نبى** تمييز لها لانها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها
منصوبا كما فى قوله اطرد الياس بالرجاء فكاين املا حم يسر بعد عسر وقوله تعالى **قاتل معه ربيون
كثير** خبر لها على ان الفعل مسند الى الظاهر والرابط هو الضمير المجرور فى معه وقرئ قتل وقتل على صيغة
المبنى للمفعول مخففة ومشددة والربى منسوب الى الرب كالربانى وكسر الراء من تغييرات النسب

وقرئ بضمها وبفتحها ايضا على الاصل وقيل هو منسوب الى الربة وهى الجماعة اى كثير من الانبياء قاتل معه
لاعلى كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء او عابدون او جماعات كثيرة فالظرف متعلق بقاتل او بمحذوف
وقع حالا من فاعله كما فى القراءتين الاخيرتين اذ لا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل اى قتلوا او قتلوا
كائنين معه فى القتال لا فى القتل قال سعيد بن جبير رضى الله عنه ما سمعنا بنبى قتل فى القتال
وقال الحسن البصرى وجماعة من العظماء لم يقتل نبى فى حرب قط وقيل الفعل مسند الى ضمير النبى
صلى الله عليه وسلم والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط هو الضمير المجرور الراجع اليه
وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا خلاف اى كم من نبى قاتل كائنا معه فى القتال ربيون كثير واما
على القراءتين الاخيرتين فغير ظاهر لاسيما على قراءة التشديد وقد جوز بعضهم وايد بان مدار التوبيخ
انخذالهم للارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم اى كم من نبى قتل كائنا معه فى القتل او فى القتال
ربيون الخ **فما وهنوا** عطف على قاتل على ان المراد به عدم الوهن المتوقع من القتال كما فى قولك وعظته
فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا
عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة له على ما قبله اى فما فتروا
وما انكسرت همتهم **لما اصابهم** فى اثناء القتال وهو علة للمنفى دون النفى نعم يشعر بعلته قوله تعالى
فى سبيل الله فان كون ذلك فى سبيله عز وجل مما يقوى قلوبهم ويزيل وهنهم وما موصولة او
موصوفة فان جعل الضميران لجميع الربيين فهى عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره المعترية
للكل وان جعلا للبعض الباقين بعد ما قتل الاخرون كما هو الانسب بمقام توبيخ المنخزلين بعد ما
استشهد الشهداء فهى عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك
هذا على القراءة المشهورة واما على القراءتين الاخيرتين فان اسند الفعل الى الربيين فالضميران
للباقين منهم حتما وان اسند الى ضمير النبى صلى الله عليه وسلم كما هو الانسب بالتوبيخ على الانخزال
بسبب الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم فهما للباقين ايضا ان اعتبر كون الربيين مع النبى
فى القتل وللجميع ان اعتبر كونهم معه فى القتال **وما ضعفوا** عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل فى الدين
وما استكانوا اى وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليفعل
به ما يريده والالف من اشباع الفتحه او استكون من الكون لانه يطلب ان يكن لمن يخضع له وهذا
تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند استيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبى صلى الله
عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بابن
ابى المنافق فى طلب الامان من ابى سفيان **والله يحب الصابرين** اى على مقاسات الشدائد ومعانات
المكاره فى سبيل الله فينصرهم ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهار فى موضع
الاضمار للثناء عليهم بحسن الصبر والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
والجملة تذييل لما قبلها **وما كان قولهم** كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة

لمحاسنهم

لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب خبر لكان واسمها ان وما بعدها فى قوله تعالى **الا ان قالوا** والا
استثناء مفرغ من اعم الاشياء اى ما كان قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحراب واصابة ما
اصابهم من فنون الشدايد والاهوال شئ الا ان قالوا **ربنا اغفر لنا ذنوبنا** اى صغائرنا **واسرافنا فى
امرنا** اى تجاوزنا الحد فى ركوب الكبائر اضافوا الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين
براء من التفريط فى جنب الله تعالى هضما لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا
الدعاء بمغفرتها على ما هو الاهم بحسب الحال من الدعاء بقولهم **وثبت اقدامنا** اى فى مواطن الحرب بالتقوية
والتاييد من عندك او ثبتنا على دينك الحق **وانصرنا على القوم الكافرين** تقريبا له الى حيز القبول فان
الدعاء المقرون بالخضوع الصادر عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين
على هذا الدعاء من غير ان يصدر عنهم قول يوهم شائبة الجزع والخور والتزلزل فى مواقف الحرب
ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين ما لا يخفى وقرئ ابن كثير وعاصم فى رواية عنهما
برفع قولهم على انه الاسم والخبر ان وما فى حيزها اى ما كان قولهم شيئا من الاشياء الا هذا القول
المنبئ عن احاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق بمقتضى المقام لما ان الاخبار
بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكى عنهم مفصلا كما تفيده قراءتهما اكثر افادة للسامع من
الاخبار بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان فى الجمل هو الخبر فالاحق
بالخبرية هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب خاصة بعيدة من الوقوع
فى الخارج وفى ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك ههنا فى ان مع ما فى حيزها اتم واكمل واما ما يفيده
الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت سهلة الحصول خارجا وذهنا كان حقها ان
تلاحظ ملاحظة اجمالية وتجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات فى باب البيان وانما اختار
الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هى انه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية ولا
ريب فى اعرفية ان قالوا لدلالته على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث انه
لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضاف الى المضمر فهو بمنزلة العلم فتامل **فاتاهم الله** بسبب
دعائهم ذلك **ثواب الدنيا** اى النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل **وحسن ثواب الاخرة** اى وثواب
الاخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد وتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه
المعتد به عنده تعالى **والله يحب المحسنين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان محبة الله تعالى للعبد
عبارة عن رضاه عنه وارادة الخير به فهى مبداء لكل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر
موضع ضمير المعهودين للاشعار بان ما حكى عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما
للجنس وهم داخلون فيه دخوليا اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المؤمنين فى تحصيل ما حكى عنهم
من المناقب الجليلة **يا ايها الذين امنوا** شروع فى زجرهم عن متابعة الكفار ببيان استتباعها
لخسران الدنيا والاخرة اثر ترغيبهم فى الاقتداء بانصار الانبياء عليهم السلام ببيان افضائه الى

فوزهم بسعادة الدّارين وتصدير الخطاب بالنّداء والتنبيه لاظهار الاعتناء بما فى حيّزه ووصفهم
بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها لحال اعدائهم كما انّ وصف المنافقين بالكفر
فى قوله تعالى ان تطيعوا الذين كفروا لذلك قصدا الى مزيد التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم
قال على رضى الله عنه نزلت فى قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا
فى دينهم فوقع قوله تعالى يردّوكم على اعقابكم جوابًا للشرط مع كونه فى قوّة ان يقال ان نطيعوهم
فى قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم بدخولكم فى دينهم باعتبار كونه تمهيدا لقوله تعالى
اى الدّنيا والاخرة غير فائزين بشئ منهما واقعين فى العذاب الخالد على انّ الارتداد على العقب علم
فى انتكاس الامر ومثل فى الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنّصارى حيث كانوا يستغوونهم
ويوقعون لهم الشّبه فى الدّين ويقولون لو كان نبيًّا حقًّا لما غلب ولما اصابه واصابهم ما اصابهم
وانّما هو رجل حاله كحال غيره من النّاس يوما عليه ويومًا له وقيل ابو سفيان واصحابه والمراد
بطاعتهم استيمانهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهى المؤمنين عن طاعتهم
فى امر من الامر حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدّين فلا حاجة على هذه التقادير الى ما مرّ من
البيان بل الله موليكم اضراب عمّا يفهم من مضمون الشرطيّة كانه قيل فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم
بل الله ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم وقرئ بالنّصب كانّه قيل فلا تطيعوهم بل
اطيعوا الله وموليكم نصب على انه صفة له وهو خير النّاصرين فخصّوه بالطّاعة والاستعانة سنلقى
بنون العظمة على طريقة الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسّين لتاكيد
الالقاء فى قلوب الّذين كفروا الرّعب بسكون العين وقرئ بضمّها على الاصل وهو ما قذف فى
قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا القتال ورجعوا من غير سبب ولهم القوّة والغلبة وقيل ذهبوا
الى مكّة فلمّا كانوا ببعض الطّريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا
فاستاصلوهم فعند ذلك القى الله تعالى فى قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الآية فى
تضاعيف الحرب او عقيب انقضائه وقيل هو ما القى فى قلوبهم من الرّعب يوم الاحزاب بما اشركوا
بالله متعلّق بنلقى دون الرّعب وما مصدريّة اى بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات
خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعى الرّعب ما لم ينزّل به اى باشراكه سلطانا اى
حجّة سمّيت به لوضوحها وانارتها او لقوّتها او لحدّتها ونفوذها وذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها
فى نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضبّ بها ينجحر اى لا ضبّ ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع فى الباب
هو البرهان السماوىّ دون الآراء والاهواء الباطلة وماويهم بيان لاحوالهم فى الآخرة اثر بيان
احوالهم فى الدّنيا وهى الرّعب اى ما ياوون اليه فى الآخرة النّار لا ملجاء لهم غيرها وبئس مثوى
الظّالمين اى مثواهم وانّما وضع موضعه المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار بانّهم فى اشراكهم
ظالمون واضعون للشّئ فى غير موضعه والمخصوص بالذّم محذوف اى بئس مثوى الظالمين النّار

وفى جعلها مثواهم بعد جعلها ماويهم نوع رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث
وامّا الماوى فهو المكان الذى ياوى اليه الانسان ولقد صدقكم الله وعده نصب على انه مفعول
ثان لصدق صريحًا وقيل بنزع الجار اى فى وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم
الى المدينة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله تعالى بالنّصر وهو ما وعدهم على لسان نبيّه صلى الله
عليه وسلم من النّصر حيث قال للرّمات لا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفى
رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال غالبين ما دمتم فى هذا المكان وقد كان كذلك
فان المشركين لما اقبلوا جعل الرّماة يرشقونهم والباقون يضربونهم بالسّيوف حتى انهزموا
والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعًا وذلك قوله تعالى اذ تحسّونهم اى تقتلونهم قتلا كثيرًا
فاشيا من حسّه اذا ابطل حسّه وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى باذنه اى بتيسيره وتوفيقه لتحقيق
ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النّصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى ان تصبروا وتتقوا الآية
وقد مرّ تحقيق ان ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود بما ذكر امداده عزّ وجلّ بانزال الملئكة
عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى بوقت قتلهم باذنه تعالى صريح فى ان الموعود هو النّصر
المعنوى والتيسير لا الامداد بالملئكة وقيل هو ما وعده تعالى بقوله سنلقى الخ وانت خبير بان
القاء الرّعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب او بعد ذلك فى الطّريق على اختلاف
الرّوايتين وايّا ما كان فلا سبيل الى كونه مغيّا بقوله تعالى حتّى اذا فشلتم اى جبنتم وضعف رايكم
او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب وتنازعتم فى الامر فقال بعض الرّماة حين انهزم المشركون
وولّوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربًا فما موقفنا ههنا بعد هذا وقال اميرهم عبد الله
بن جبير رضى الله عنه لا تخالف امر الرّسول صلى الله عليه وسلم فثبت مكانه فى نفر دون العشرة من
اصحابه ونفر الباقون للنّهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبّون اى من الظّفر والغنيمة
وانهزام العدوّ فلمّا راى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل الشّعب وقتلوا امير الرّمات ومن معه
من اصحابه حسبما فصّل فى تفسير قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف
وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ويرده جعل الابتلاء غاية للصّرف المترتّب على منع النّصر وقيل
هو انقسمتم الى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى منكم من يريد الدّنيا وهم الذين تركوا المركز واقبلوا
على النّهب ومنكم من يريد الآخرة وهم الّذين ثبتوا مكانهم حتّى نالوا شرف الشّهادة هذا على تقدير
كون اذا شرطيّة وحتّى ابتدائيّة داخلة على الجملة الشّرطيّة وقيل اذا اسم كما فى قولهم اذا يقوم زيد
اذ يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلّقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمّنه لمعنى النّصر كانّه
قيل لقد نصركم الله الى وقت فشلتم وتنازعتم الخ وعلى هذا فقوله تعالى ثمّ صرفكم عنهم عطف على
ذلك وعلى الاوّل عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان الظرفيتان اعتراض بين
المتعاطفين اى كفّكم عنهم حتّى حالت الحال ودالت الدّولة وفيه من اللّطف بالمسلمين ما لا يخفى

ليبتليكم اى يعاملكم معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها **ولقد عفى عنكم** تفضلا ولما علم من ندمكم على المخالفة **والله ذو فضل على المؤمنين** تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بان ذلك العفو بطريق التفضل والاحسان لا بطريق الوجوب عليه اى شانه ان يتفضل عليهم بالعفو او متفضل عليهم فى جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلاء ايضا رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين اما المخاطبون والاظهار فى موقع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فى الحكم دخولا اوليا **اذ تصعدون** متعلق بصرفكم او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب والابعاد فى الارض وقرئ تصعدون من الثلاثى اى فى الجبل وقرئ تصعّدون من التفعّل بطرح احدى التائين وقرئ يصعدون بالالتفات الى الغيبة **ولا تلوون على احد** اى لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون كيصعدون **والرسول يدعوكم** كان صلى الله عليه وسلم يدعوهم الىّ عباد الله الىّ عباد الله انا رسول الله من يكرّ فله الجنة وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته عليه السلام كانت بطريق الرسالة من جهته سبحانه اشباعا فى توبيخ المنهزمين **فى اخراكم** فى ساقتكم وجماعتكم الاخرى **فاثابكم** عطف على صرفكم اى فجازاكم الله تعالى بما صنعتم **غمّا** موصولا **بغمّ** من الاغتمام بالقتل والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم وفوت الغنيمة فالتنكير للتكثير او غمّا بمقابلة غمّ اذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له **لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم** اى لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا على نفع فات او ضرّ آت وقيل لا زائدة والمعنى لتتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل الضمير فى اثابكم للرسول صلى الله عليه وسلم اى واساكم فى الاغتمام فاغتمّ بما نزل عليكم كما اغتممتم بما نزل عليه ولم يثرّبكم على عصيانكم تسلية لكم وتنفيسا عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من النصر وما اصابكم من الجراح وغير ذلك **والله خبير بما تعملون** اى عالم باعمالكم وبما قصدتم بها **ثم انزل عليكم** عطف على قوله تعالى فاثابكم والخطاب للمؤمنين حقا **من بعد الغمّ** اى الغم المذكور والتصريح بتاخر الانزال عنه مع دلالة ثمّ عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان وتذكير عظم النعمة كما فى قوله تعالى ثمّ تابوا من بعد ذلك واصلحوا الاية **امنة** اى امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى **نعاسا** بدل منها او عطف بيان وقيل مفعول له او هو المفعول وامنة حال منه متقدمة عليه او مفعول له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اى ذوى امنة او على انه جمع آمن كبارّ وبررة وقرئ بسكون الميم كانها مرة من الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مرّ غير مرة من الاعتناء بشان المقدم والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغمّ بالازالة لانه المهمّ عندهم حينئذ لما ان المشركين لما انصرفوا كانوا يتوعدون المسلمين بالرجوع فلم يامنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متاهبين للقتال فانزل الله تعالى عليهم

الامنة

الامنة فاخذهم الله النعاس قال ابن عباس رضى الله عنهما امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم بعد خوف وانما ينعس من امن والخائف لا ينام وقال الزبير رضى الله عنه كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم حين اشتدّ الخوف فانزل الله علينا النوم والله انى لاسمع قول معتّب بن قشير والنعاس يغشانى ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رفعت راسى يوم احد فجعلت لا ادرى احدا من القوم الا وهو يميد تحت حجفته من النعاس قال وكنت ممن القى عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدى فاخذه ثم يسقط السوط من يدى فاخذه وفيه دلالة على انّ المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل **يغشى طائفة منكم** قال ابن عباس هم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك فى عموم الانزال للكل والجملة فى محلّ النصب على انها صفة لنعاسا وقرئ بالتاء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان تتقدم على البدل وعطف البيان وان لا يفصل بينها وبين الموصول بالمفعول له وان المعهود ان يحدّث عن البدل دون المبدل منه **وطائفة قد اهمتهم انفسهم** اى اوقعتهم فى الهموم والاحزان او ما بهم الا همّ انفسهم وقصد خلاصها من قولهم اهمنى الشئ اى كان من همتى وقصدى والقصر مستفاد بمعونة المقام وطائفة مبتداء و ما بعدها اما خبرها وانما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما فى قوله ٭ سرينا ونجم قد اضاء فمذ بدا ٭ محياك اخفى ضوءه كل شارق ٭ او لوقوعها فى موقع التفصيل كما فى قوله اذا ما بكى من خلفها انصرفت له ٭ بشق وشق عندنا لم يحوّل ٭ واما صفتها والخبر محذوف اى ومعكم طائفة او وهناك طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه انه يقتضى دخول المنافقين فى الخطاب بانزال الامنة وايّاما كان فالجملة اما حالية مبنية لفظاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة فى الخلاص عنه كما فى قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم واما مستانفة مسوقة لبيان حال المنافقين وقوله عز وجل **يظنون بالله** حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصصها بالصفة او صفة اخرى لها او خبر بعد خبر او استيناف مبين لما قبله وقوله تعالى **غير الحقّ** فى حكم المصدر اى يظنون به تعالى غير الظن الحق الذى يجب ان يظن به سبحانه وقوله تعالى **ظن الجاهلية** بدل منه وهو الظن المختص بالملة الجاهلية والاضافة كما فى حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى **يقولون** بدل من يظنون لما ان مسالتهم كانت صادرة عن الظن اى يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد **هل لنا من الامر** اى من امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر **من الامر** اى من نصيب قط او هل لنا من التدبير **من شئ** وقوله تعالى **قل ان الامر كله لله** اى الغلبة بالآخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى فانه تعالى قد دبّر الامر كما جرى فى سابق قضائه فلا مردّ له وقرئ كلّه بالرفع على الابتداء وقوله تعالى **يخفون فى انفسهم** اى يضمرون فيها او يقولون فيما بينهم بطريق الخفية **ما لا يبدون لك** استيناف او حال من ضمير يقولون ما يقولون مظهرين انهم مسترشدون طالبون للنصر مبطنين الانكار والتكذيب وقوله تعالى

یقولون استیناف وقع جوابًا عن سوال نشأ ممّا قبله کانّه قیل ای شئ یخفون فقیل یحدّثون انفسهم او یقول
بعضهم لبعض فیما بینهم خفیة لو کان لنا من الامر شئ کما وعد محمد علیه السلام من ان الغلبة لله تعالی
ولاولیائه وانّ الامر کلّه لله او لو کان لنا من التدبیر والرّای شئ ما قتلنا ههنا ای ما غلبنا او ما قتل
منا فی هذه المعرکة على ان النّفی راجع الی نفس القتل لا الی وقوعه فیها فقط او لما برحنا من منازلنا کما راٰه
ابن ابیّ ویؤیّده تعیین مکان القتل وکذا فی قوله تعالی قل لو کنتم فی بیوتکم ای لو لم تخرجوا الی احد
وقعدتم بالمدینة کما تقولون لبرز الذین کتب علیهم القتل ای فی اللّوح المحفوظ بسبب من الاسباب
الدّاعیة الی البروز الی مضاجعهم الی مصارعهم التّی قدّر الله تعالی قتلهم فیها وقتلوا هنالك البتة ولم
ینفع العزیمة على الاقامة بالمدینة قطعًا فان قضاء الله تعالی لا یردّ وحکمه لا یعقب وفیه مبالغة فی ردّ
مقالتهم الباطلة حیث لم یقتصر على تحقیق نفس القتل کما فی قوله عزّ وجل اینما تکونوا یدرککم الموت بل
عیّن مکانه ایضا ولاریب فی تعیّن زمانه ایضا لقوله تعالی فاذا جاء اجلهم لا یستأخرون ساعة ولا یستقدمون
روی ان ملك الموت حضر مجلس سلیمان علیهما السلام فنظر الی رجل من اهل المجلس نظرة هائلة فلمّا قام قال
الرّجل من هذا قال سلیمان علیه السّلام ملك الموت قال ارسلنی مع الرّیح الی عالم آخر فانّی رأیت منه
مرای هائلا فامرها علیه السلام فالقته فی قطر سحیق من اقطار العالم فما لبث ان عاد ملك الموت الی سلیمان
علیهما السلام فقال کنت امرت بقبض روح الرّجل فی هذه السّاعة فی ارض کذا فلمّا وجدته فی مجلسك قلت
متی یصل هذا الیها وقد ارسلته بالرّیح الی ذلك المکان فوجدته هناك فقضی امر الله عزّ وجل فی زمانه
ومکانه من غیر اخلال بشئ من ذلك وقرئ کتب على البناء للفاعل ونصب القتل وقری کتب علیهم القتال
وقرئ لبرّز على البناء للمفعول ولیبتلی الله ما فی صدورکم ای لیعاملکم معاملة من یبتلی ما فی صدورکم من
الاخلاص والنّفاق ویظهر ما فیها من السّرائر وهو علّة لفعل مقدّر قبلها معطوفة على علل لها اخری مطویة
للایذان بکثرتها کانّه قیل ما فعل لمصالح جمّة ولیبتلی الخ وجعلها علل البرز یاباه الذوق السّلیم فانّ
مقتضی المقام بیان حکمة ما وقع یومئذ من الشدّة والهول لا بیان حکمة البروز المفروض ولفعل مقدّر
بعدها ای وللابتلاء المذکور فعل ما فعل لا لعدم العنایة بامر المؤمنین ونحو ذلك وتقدیر الفعل مقدّمًا
خال عن هذه المزیة ولیمحّص ما فی قلوبکم من مخفیات الامور ویکشفها او یخلصها من الوساوس والله
علیم بذات الصّدور ای السّرائر والضّمائر الخفیّة التی لا تکاد تفارق الصّدور بل تلازمها وتصاحبها
والجملة امّا اعتراض للتنبیه على انّ الله تعالی غنی عن الابتلاء وانّما یبرز صورة الابتلاء لتمرین
المؤمنین واظهار حال المنافقین او حال من متعلق الفعلین ای فعل ما فعل للابتلاء والتمحیص والحال
انّه تعالی غنیّ عنهما محیط بخفیّات الامور وفیه وعد ووعید انّ الذین تولّوا منکم یوم التقی الجمعان
وهم الذین انهزموا یوم احد حسبما مرت حکایتهم انّما استزلّهم الشّیطان ای انّما کان بسبب انهزامهم
ان الشّیطان طلب منهم الزّلل ببعض ما کسبوا من الذنوب والمعاصی الّتی هی مخالفة امر النّبی صلی الله
علیه وسلّم وترك المرکز والحرص على الغنیمة او الحیوة فحرموا التّایید وقوّة القلب وقیل استزلال الشّیطان

تولیهم

تولیهم وذلك بذنوب تقدّمت لهم فان المعاصی یجرّ بعضها الی بعض کالطّاعة وقیل استزلّهم بذنوب
سبقت منهم وکرهوا القتل قبل اخلاص التّوبة والخروج من الظّلمة ولقد عفی الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم
انّ الله غفور للذنوب حلیم لا یعاجل بعقوبة المذنب لیتوب والجملة لما قبلها على سبیل التّحقیق
وفی اظهار الجلالة تربیة للمهابة وتاکید للتعلیل یا ایها الّذین امنوا لا تکونوا کالّذین کفروا
وهم المنافقون القائلون لو کان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وانّما ذکر فی صدر الصّلة کفرهم
تصریحا بمباینة حالهم لحال المؤمنین وتنفیرا عن مماثلتهم اثر ذی اثیر وقوله تعالی وقالوا لاخوانهم
تعیین لوجه الشّبه والمماثلة الّتی نهوا عنها ای قالوا لاجلهم وفی حقهم ومعنی اخوتهم اتفاقهم
نسبا او مذهبًا اذا ضربوا فی الارض ای سافروا فیها وابعدوا للتّجارة او غیرها وایثار اذا المفیدة
لمعنی الاستقبال على اذ المفیدة لمعنی المضیّ لحکایة الحال الماضیة اذ المراد بها الزّمان المستمرّ المنتظم
للحال الّذی علیه یدور امر استحضار الصّورة قال الزّجاج اذا ههنا تنوب عما مضی من الزّمان وما
یستقبل یعنی انّها لمجرّد الوقت او یقصد بها الاستمرار وظرفیتها لقولهم انما هی باعتبار ما وقع فیها
بل التحقیق انها ظرف له لا لقولهم کانّه قیل قالوا لاجل ما اصاب اخوانهم حین ضربوا الخ او
کانوا ای اخوانهم غزّا جمع غاز کعفّی جمع عاف قال ومغبّرة الافاق خاشعة الصّوی لها قلب
عفّی الحیاض اجون وقرئ بتخفیف الزّاء على حذف التّاء من غزاة وافراد کونهم غزاة بالذکر مع
اندراجه تحت الضرب فی الارض لانّ المقصود بیانه فی المقام وذکر الضّرب فی الارض لانه المقصود
بیانه فی المقام وذکر الضّرب فی الارض توطئة له وتقدیمه لکثرة وقوعه على انه قد یوجد بدون
الضّرب اذ المراد به السّفر البعید وانّما لم یقل او غزوا للایذان باستمرار اتّصافهم بعنوان کونهم
غزاة او بانقضاء ذلك ای کانوا غزّا فیما مضی وقوله تعالی لو کانوا عندنا ای مقیمین ما ماتوا
وما قتلوا مفعول لقالوا ودلیل على ان هناك مضمرًا قد حذف ثقة به ای اذا ضربوا فی الارض
فماتوا او کانوا غزّا فقتلوا ولیس المقصود بالنّهی عدم مماثلتهم فی النّطق بهذا القول بل فی الاعتقاد
بمضمونه والحکم بموجبه کما انه المنکر على قایلیه الابری الی قوله عزّ وجل لیجعل الله ذلك حسرة فی قلوبهم
فانه الذی جعل حسرة فیها قطعًا والیه اشیر بذلك کما نقل عن الزّجاج انّه اشارة الی ظنّهم انّهم لو لم
یحضروا القتال لم یقتلوا وتعلقه بقالوا لیس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فیه
من الحکم والاعتقاد واللام لام العاقبة کما فی قوله تعالی لیکون لهم عدوا وحزنا ای قالوا ذلك واعتقدوه
لیکون حسرة فی قلوبهم والمراد بالتعلیل المذکور بیان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقیل
هو تعلیل للنّهی بمعنی لا تکونوا مثلهم فی النّطق بذلك القول واعتقاده لیجعله الله تعالی حسرة
فی قلوبهم خاصّة ویصون منها قلوبکم فذلك کما اشارة الی ما دلّ علیه النّهی ای لا یکونوا مثلهم
لیجعل الله انتفاء کونکم مثلهم حسرة فی قلوبهم فان مضادتکم لهم فی القول والاعتقاد ممّا یغمّهم
ویغیظهم والله یحیی ویمیت ردّ لقولهم الباطل اثر بیان غایلته ای هو المؤثر فی الحیوة والممات وحده

من غير ان يكون للاقامة او السّفر مدخل فى ذلك فانّه تعالى قد يحيى المسافر والغازى مع اقتحامهما الموارد
الحتوف ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما الاسباب السّلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين
على ان يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للّذين كفروا وما يعملون عام متناول لقولهم المذكور ولمنشائه
الّذى هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرّض لعنوان البصر لا لعنوان السمع واظهار
الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة والقاء الرّوعة والمبالغة فى التهديد والتشديد فى الوعيد
ولئن قتلتم فى سبيل الله او متّم شروع فى تحقيق ان ما يحذرون ترتّبه على الغزو والسّفر من القتل والموت
فى سبيل الله تعالى ليس ممّا ينبغى ان يحذر بل ممّا يجب ان يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه
عليهما واللام هى الموطئة للقسم وفى قوله تعالى لمغفرة من الله ورحمة لام الابتداء والتنوين فى الموضعين
للتقليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتداء وقد حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة
جواب للقسم سادّ مسدّ جواب الشّرط والمعنى ان السّفر والغزو ليس ممّا يجلب الموت ويقدم الاجل
اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لنفحة يسيرة من مغفرة ورحمة كائنتين من الله تعالى بمقابلة
ذلك خير ممّا يجمعون اى الكفرة من منافع الدّنيا وطيباتها مدّة اعمارهم وعن ابن عبّاس رضى الله
عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالتّاء اى ممّا تجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار على
بيان خيريتهما من ذلك بلا تعرّض للاخبار بحصولهما لهم للايذان بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة
التخييب منه تعالى بعد الاطماع وقد قيل لا بدّ من حذف اخراى لمغفرة لكم من الله الخ وح ايضا يكون
اخراج المقدّ مخرج الصّفة دون الخبر لنحو ما ذكر من ادعاء الظهور والغنى عن الاخبار به تغيير الترتيب
الواقع فى قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبنىّ على كثرة الوقوع وقلّته للمبالغة فى التّرغيب فى الجهاد ببيان
زيادة مزيد القتل فى سبيل الله وانافته فى استجلاب المغفرة والرّحمة وفيه دلالة واضحة على ما مرّ
من ان المقصود بالنّهى انما هو عدم مماثلتهم فى الاعتقاد بمضمون القول المذكور والعمل بموجبه لا فى النّطق
به واضلال النّاس به ولئن متّم او قتلتم اى على وجه اتفق هلاككم حسب تعلق الارادة الالهيّة
وقرئ بكسر الميم من مات يمات لالى الله اى الى المعبود الحقّ العظيم الشّان الواسع الرحمة الجزيل
الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفى اجوركم ولم يجزل لكم عطاكم والكلام فى لامى الجملة كما مرّ فى اختها
فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلّم والفاء
لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السّياق من استحقاقهم اللائمة والتّعنيف بموجب الجبلّة البشريّة
او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلّقة بلنت قدّمت عليه للقصر وما مزيدة للتّوكيد
او نكرة ورحمة بدل منها مبيّن لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلّقة بمحذوف وقع صفة لرحمة اى
فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهى ربط على جاشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق كنت لين الجانب
لهم وعاملتهم بالرّفق والتّلطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من مخالفة امرك واسلامك
للعدوّ ولو لم تكن كذلك بل كنت فظّا جافيًا فى المعاشرة قولا وفعلا وقال الرّاغب الفظّ هو الكريه

الخلق

الخلق وقال الواحدى هو الغليظ الجانب السيّئ الخلق غليظ القلب قاسية وقال الكلبى فظّا فى القول غليظ القلب
فى الفعل لانفضّوا من حولك لتفرّقوا من عندك ولم يسكنوا اليك وتردّوا فى مهاوى الرّدى والفاء فى قوله
عزّ وجلّ فاعف عنهم لترتيب العفو والامر به على ما قبله اى اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلّق
بحقوقك كما عفى الله عنهم واستغفر لهم الله فيما يتعلق بحقوقه تعالى اتمامًا للشّفقة عليهم واكمالا للبرّ بهم
وشاورهم فى الامر اى فى امر الحرب اذ هو المعهود او فيه وفى امثاله ممّا يجرى فيه المشاورة عادة استظهارًا
بارائهم وتطييبًا لقلوبهم وتمهيدا لسنته المشاورة للامة وقرئ وشاورهم فى بعض الامر فاذا عزمت
اى عقيب المشارة على شئ واطمأننت به نفسك فتوكّل على الله فى امضاء امرك على ما هو ارشد لك
واصلح فان علمه مختصّ به سبحانه وتعالى وقرى فاذا عزمت على صيغة التكلّم اى عزمت لك على شئ و
ارشدتك اليه فتوكّل علىّ ولا تشاور بعد ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكّل
او الامر به فان عنوان الالوهيّة الجامعة بجميع صفات الكمال مستدع للتوكّل عليه تعالى والامر به
انّ الله يحبّ المتوكّلين عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم الى ما فيه خيرهم وصلاحهم والجملة تعليل للتوكل
عليه تعالى وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم جملة مستانفة سيقت بطريق تلوين الخطاب
تشريفا للمؤمنين لايجاب توكّلهم عليه تعالى وحثهم على اللجاء اليه وتحذيرهم عمّا يفضى الى الخذلان اى
ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم على طريق نفى الجنس المنتظم لنفى جميع افراد الغالب
ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفى الصّفة فقط ثم المفهوم من ظاهر النظم الكريم وان كان
نفى مغلوبيّتهم من غير تعرّض لنفى المساوات ايضا وهو الّذى يقتضيه المقام لكنّ المفهوم منه فهمًا قطعيًّا
هو نفى المساوات واثبات الغالبيّة للمخاطبين فاذا قلت لا اكرم من فلان ولا افضل منه فالمفهوم
منه حتمًا انه اكرم من كلّ كريم وافضل من كلّ فاضل وهذا امر مطّرد فى جميع اللّغات ولا اختصاص له
بالنّفى الصّريح بل هو مطّرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكارى كما فى قوله تعالى ومن اظلم ممّن افترى
على الله كذبًا فى مواقع كثيرة من التنزيل وممّا هو نصّ قاطع فيما ذكرنا ما وقع فى سورة هود حيث قيل
بعد فى حقهم لا جرم انّهم فى الآخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كلّ خاسر يستدعى قطعًا كونهم
اظلم من كلّ ظالم وان يخذلكم كما فعله يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا فمن
ذا الّذى ينصركم استفهام انكارىّ مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده اى من
بعد خذلانه تعالى او من بعد الله تعالى على معنى اذا جاوزتموه وعلى الله فليتوكّل المؤمنون تقديم
الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفاء لترتيبه او ترتيب الامر به على ما مرّ من غلبة
المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيّتهم على تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك ممّا
يقتضى قصر التوكّل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين امّا الجنس والمخاطبون داخلون فيه دخولا
اوّليا وامّا هم خاصّة بطريق الالتفات وايّا ما كان ففيه تشريف لهم بعنوان الايمان اشتراكًا واستقلالا
وتعليل لتحتم التّوكل عليه تعالى فان وصف الايمان ممّا يوجبه قطعًا وما كان لنبىّ اى وما صحّ لنبىّ

من الانبياء عليهم السلام ولا استفهام له **ان يغلّ** اى يخون فى المغنم فان النبوة تنافيه منافات بيّنة يقال
غلّ شيئا من المغنم يغلّ غلولا واغلّ اغلالا اذا اخذ خفية والمراد امّا تنزيه ساحة رسول الله صلى الله
عليه وسلّم عمّا ظن به الرّمات يوم احد حين تركوا المركز وافاضوا فى الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا يقسم الغنائم كما لم يقسمها يوم بدر فقال
لهم النبىّ صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتّى ياتيكم امرى فقالوا تركنا بقيّة
اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم بينكم واما المبالغة فى النّهى لرسول الله
صلى الله عليه وسلم على ما روى انّه بعث طلايع فغنم النبى صلى الله عليه وسلم بعدهم غنايم فقسمها بين
الحاضر ولم يترك للطّلايع شيئا فنزلت والمعنى ما كان لنبىّ ان يعطى قوما من العسكر ويمنع اخرين
بل عليه ان يقسم بين الكل بالسويّة وعبّر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا وامّا ما قيل من
ان المراد تنزيهه عليه السّلام عمّا تفوّه به بعض المنافقين اذ روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم
بدر فقال بعض المنافقين لعلّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم اخذها فبعيد جدّا وقرئ على البناء
للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالّا او ينسب الى الغلول **ومن يغلل يات بما غلّ يوم القيمة**
يات بالذى غلّه بعينه يحمله على عنقه كما ورد فى الحديث الشريف وروى انّه عليه السّلام قال الا
لا اعرفن احدكم ياتى ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادى يا محمّد يا محمّد فاقول
لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك اويات بما احتمل من اثمه ووباله **ثمّ توفّى كلّ نفس ما كسبت**
اى تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا او شرّا كثيرا او يسيرا ووضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل
ببيان ما بينهما من تمام التّناسب كمّا وكيفا كانّهما شئ واحد وفى اسناد التّوفية الى كلّ كاسب و
تعليقها بكلّ مكسوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غلّه يوم القيمة من الدّلالة على
فخامة شان اليوم وهو مطلعه والمبالغة فى بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانّه حين وفى كلّ كاسب
جزاء ما كسبه ولم ينقص منه شئ وان كان جرمه فى غاية القلة والحقارة فلان لا ينقص من جزاء الغالّ
شئ وجرمه من اعظم الجرايم اظهر واجلى **وهم لا يظلمون** اى كلّ النّاس المدلول عليهم بكلّ نفس لا
يظلمون بزيادة عقاب او بنقص ثواب **افمن اتّبع رضوان الله** اى سعى فى تحصيله وانتحى نحوه حيث
ما كان بفعل الطّاعات وترك المنكرات كالنبىّ ومن يسير بسيرته **كمن باء** اى رجع **بسخط** عظيم لا
يقادر قدره كاين **من الله** تعالى بسبب معاصيه كالغالّ ومن بدينه والمراد تاكيد نفى الغلول من
النّبىّ عليه السلام وتقرير تحقيق المباينة الكليّة بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض
ما وصف به الاخر فقوبل رضوانه تعالى بسخطه والاتباع بالبوء والجمع بين الهمزة والفاء لتوجيه الانكار
الى ترتب توهّم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال الغالّ كانّه قيل ابعد ظهور حاله يكون من
ترقّى الى اعلى علّيين كمن تردّى الى اسفل سافلين واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لادخال
الرّوعة وتربية المهابة **ومأويه جهنّم** امّا كلام مستانف مسوق لبيان مال امر من باء بسخطه

تعالى

تعالى وامّا معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الصّلة الاسميّة على الفعليّة وايّا ما كان فلا محلّ له
من الاعراب **وبئس المصير** اعتراض تذييل والمخصوص بالذّم محذوف اى وبئس المصير جهنّم والفرق
بينه وبين المرجع انّ الاوّل يعتبر فيه الرّجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثّانى **هم** راجع الى
الموصولين باعتبار المعنى **درجات عند الله** اى طبقات متفاوتة فى علمه وحكمه شبّهوا فى تفاوت
الاحوال وتباينها بالدّرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدّرجات اوذووا درجات
والله بصير بما يعملون من الاعمال ودرجاتها فيجازيهم بحسبها **لقد منّ الله** جواب قسم محذوف اى
والله لقد منّ الله اى انعم **على المؤمنين** اى من قومه عليه السّلام **اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم** اى
من نسبهم او من جنسهم عربيّا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله فى الصّدق
والامانة مفتخرين به وفى ذلك شرف لهم قال تعالى وانّه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اى
اشرفهم فانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن منّ الله على المؤمنين
اذ بعث الخ على انه خبر لمبتداء محذوف اى منه اذ بعث الى اخره او على ان اذ فى محلّ الرّفع على الابتداء
بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود و
الاحمر لما مرّ من مزيد انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم متعلّق بمحذوف وقع صفة لرسولا اى كائنا
من انفسهم وقوله تعالى **يتلو عليهم اياته** صفة اخرى اى يتلو عليهم القران بعد ما كانوا اهل جاهلية
لا يطرق اسماعهم بشئ **ويزكّيهم** عطف على يتلو اى يطهّرهم من دنس الطبايع وسوء العقايد واوضار
الاوزار **ويعلّمهم الكتاب والحكمة** اى القران والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مترتبة فى الوجود على
التّلاوة وانّما وسّط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النّفس بحسب القوّة العمليّة وتهذيبها
المتفرع على تكميلها بحسب القوّة النّظريّة الحاصل بالتّعليم المترتب على التّلاوة للايذان بان كل واحد
من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب الوجودى كما فى قوله تعالى
ربّنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلّمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عدّ
الجميع نعمة واحدة وهو السرّ فى التعبير عن القران بالايات تارة والكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انّه
باعتبار كلّ عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فى ذلك شمول الحكمة لما فى مطاوى الاحاديث الكريمة من
الشّرايع كما سلف فى سورة البقرة **وان كانوا من قبل** اى من قبل بعثه عليه السّلام وتزكيته وتعليمه
لفى ضلال مبين اى بين لا ريب فى كونه ضلالا وان هى المخففة من انّ المثقلة وضمير الشان محذوف
واللّام فارقة بينها وبين النّافية والظّرف الاوّل لغو متعلّق بكان والثّانى خبرها وهى مع خبرها خبر
لان المخففة التى حذف اسمها اعنى ضمير الشان وقيل هى نافية واللام بمعنى الّا اى وما كانوا من قبل
الا فى ضلال مبين وايّا ما كان فالجملة امّا حال من الضمير المنصوب فى يعلّمهم او مستانفة وعلى التقديرين
فهى مبيّنة لكمال النعمة وتمامها **اولمّا اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انّى هذا** كلام مبتداء
مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم من الظّنون الفاسدة والاقاويل الباطلة النّاشئة منها اثر ابطال

بعض اخر منها والهمزة للتقريع والتقرير والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم
مضاف الى ما بعده وقد اصبتم فى محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من
قتل سبعين منهم وبمثليها ما اصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين وانى
هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما يتعلق به بينه الهمزة مع انه المقصود انكاره والمعطوف بالواو
حقيقة لتاكيد النكير وتشديد التقريع فان فعل القبيح فى غير وقته اقبح والانكار على فاعله ادخل
والمعنى احين اصابكم من المشركين نصف ما قد اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا
هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار والتقريع الى صدور ذلك القول عنهم فى ذلك
الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة له داعيا اليه بل على كونه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة
عدوهم ضعف مصيبهم مما يهون الخطب ويورث السلوة اوا فعلتم ما فعلتم ولما اصابتكم غايلته
قلتم انى هذا على توجيه الانكار الى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها وتذكير اسم الاشارة
فى انى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم ليست
الا الى ما شاهدوه فى المعرفة من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم تسميته باسم ما فضلا عن تسميته
باسم المصيبة وانما هى عند الحكاية وقوله عز وجل قل هو من عند انفسكم امر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بان يجيب عن سوالهم الفاسد اثر تحقيق فساده بالانكار والتقريع ويبكتهم ببيان
ان ما نالهم انما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة وقيل باختيارهم الخروج من
المدينة وياباه ان الوعد بالنصر كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده
الاية وان عمل النبى صلى الله عليه وسلم بموجبه قد رفع الخطر عنه وخفف جنايتهم فيه على ان اختيار
الخروج والاصرار عليه كان ممن اكرمهم الله بالشهادة يومئذ واين هم من التفوه بمثل هذه الكلمة
وقيل باخذهم الفدا يوم بدر قبل ان يؤذن لهم والاول هو الاظهر الاقوى وربما بعضده توسيط
خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين وتفويض التبكيت
اليه عليه السلام فان توبيخ الفاعل على الفعل اذا كان ممن نهاه عنه كان اشد تاثيرا ان الله
على كل شىء قدير ومن جملته النصر عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن
الطاعة اصابكم منه تعالى ما اصابكم والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها داخل تحت وما اصابكم
رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عليه السلام لستر بقتضيه وارشادهم الى حقيقة الحق
فيما سالوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ودفع لما عسى يتوهم من قوله تعالى هو
من عند انفسكم من استقلالهم فى وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل وزيادة
ببيان وقته بقوله تعالى يوم التقى الجمعان اى جمعكم وجمع المشركين فباذن الله اى فهو كائن
بقضائه وتخليته الكفار سمى ذلك اذنا لكونها من لوازمه وليعلم المؤمنين عطف على قوله تعالى
فباذن الله عطف السبب على المسبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما بين الناس وليعلم

الذين

الذين نافقوا عطف على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام
فى قرن المنافقين وللايذان باختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على
نهج تعلقه السابق وبالمنافقين على وجه جديد وهو السر فى ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة
عن الاستمرار والاخرين بموصول صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يومئذ فهو كائن
ليميز الثابتين على الايمان والذين اظهروا النفاق وقيل لهم عطف على نافقوا داخل معه فى حيز
الصلة او كلام مبتداء قال ابن عباس رضى الله عنهما هم عبد الله بن ابى واصحابه حيث انصرفوا يوم
احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله ابن عمرو بن حرام اذكركم الله ان تخذلوا
نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا قال
السدى ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا عن اهلكم وبلدكم
وحريمكم ان لم تقاتلوا فى سبيل الله تعالى وترك تعالوا وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد وهو
الثانى وذكر الاول توطئة له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون قالوا استينافٌ
وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا حين خيّروا بين الخصلتين المذكورتين
فقيل قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم اى لو نحسن قتالا ونقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما
عبر عن نفى القدرة على القتال بنفى العلم به لما ان القدرة على الافعال الاختيارية مستلزمة للعلم
بها او لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا وانما هو القاء
النفس الى التهلكة وفى جعلهم التالى مجرد الاتباع دون القتال الذى هو المقصود بالدعوة دليل على كمال
تثبطهم عن القتال حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا للمقدم مستحيل الوقوع هم للكفر يومئذ اقرب
منهم للايمان الضمير مبتداء واقرب خبره واللام فى للكفر وللايمان متعلقة به وكذا يومئذ
ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف او بدلية انما هو فيما
عدا افعل التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية عملها واما افعل التفضيل فحيث دل على اصل الفعل
وزيادته جرى مجرى عاملين كانه قيل للكفر زايد على قربهم للايمان وقيل تعلق الجارين به
لشبههما بالظرفين اى هم للكفر يوم اذ قالوا ما قالوا اقرب منهم للايمان فانهم كانوا قبل ذلك
يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم امارة موذنة بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المسلمين وقالوا
ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب
نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين وقوله تعالى يقولون
بافواههم ما ليس فى قلوبهم جملة مستانفة مقررة لمضمون ما قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير
لنفاقهم وتوضيح لمخالفة ظاهرهم لباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به اما نفس الكلام الظاهر فى
اللسان تارة وفى القلب اخرى فالمثبت والمنفى متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ
فقط فالمنفى حينئذ منشاؤه الذى لا ينفك عنه القول اصلا وانما عبر عنه به ابانة لما بينهما من شدة

الاتصال اى يتفوهون بقول لاوجود له اوالمنشائة فى قلوبهم اصلاً من الاباطيل التى من جملتها ما حكى عنهم انفا
فانّهم اظهروا فيه امرين ليس فى قلوبهم شئ منها احدهما عدم العلم بالقتال والاخر الاتباع على تقدير
العلم به وقد كذبوا فيهما كذبا بيّنا حيث كانوا عالمين به مصرّين مع ذلك على الانخزال عازمين على
الارتداد وقوله عزوجل **والله اعلم بما يكتمون** زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم
بخلاف اقوالهم من فنون الشرّ والفساد اثر بيان خلوّها عمّا يوافقها وصيغة التّفضيل لما ان بعض
مايكتمونه من احكام النّفاق وذم المؤمنين وتخطئة ارائهم والشماتة بهم وغير ذلك يعلمه المؤمنون
على وجه الاجمال وان تفاصيل ذلك وكيفياته مختصّة بالعلم الالهىّ **الّذين قالوا** مرفوع على انّه بدلٌ
من واو يكتمون اوخبر لمبتداء محذوف وقيل مبتداء خبره قل فادرءوا بحذف العائد تقديره قل لهم
الخ اومنصوب على الذمّ اوعلى انّه نعت للّذين نافقوا او بدل منه وقيل مجرور على انّه بدل من ضمير
افواههم اوقلوبهم كما فى قوله على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبدالله بن ابىّ واصحابه **لاخوانهم**
اى لاجلهم وهم مَن قتل يوم احد من جنسهم اومن اقاربهم فيندرج فيهم بعض الشّهداء **وقعدوا** حال
من ضمير قالوا بتقدير قد اى قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخزال **لو اطاعونا** اى فيما امرناهم به
ووافقونا فى ذلك ما قتلوا كما لم نقتل وفيه ايذان بانّهم امروهم بالانخزال حين انخزلوا واغووهم
كما غوَوا وحمل القعود على ما استصوبه ابن ابىّ عند المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة
عبارة عن قبول رايه والعمل به يرده كون الجملة حالية فانّها لتعيين ما فيه العصيان والمخالفة مع
ان ابن ابىّ ليس من القاعدين فيها بذلك المعنى على ان تخصيص عدم الطّاعة باخوانهم ينادى باختصاص
الامر ايضا بهم فيستحيل ان يحمل على ما خوطب به النّبى صلى الله عليه وسلّم عند المشاورة **قل** تبكيتا
واظهار الكذبهم **فادرءوا عن انفسكم الموت** جواب لشرط قد حذف تعويلا على ما بعده من قوله تعالى
ان كنتم صادقين كما انّه شرط حذف جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اى ان كنتم صادقين فيما ينبئ
عنه قولكم من انّكم قادرون على دفع القتل عمّن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذى
كتب عليكم معلّقا بسبب خاصّ موقّتا بوقت معيّن بدفع سببه فان اسباب الموت فى امكان
الدّافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعزّ عليكم من اخوانكم وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى
ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب انّكم دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فانّ
ذلك ممّا لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنّجاة والقعود مؤديا الى الموت روى انه مات يوم
قالوا ما قالوا سبعون منافقا وقيل اريد ان كنتم صادقين فى مضمون الشّرطيّة والمعنى انّهم لو اطاعوكم
وقعدوا القتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرءوا عن انفسكم الموت ح استهزاء بهم
اى ان كنتم رجالا دافعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا كما دراتم فى زعمكم هذا السبب
الخاص **ولا تحسبنّ الّذين قتلوا فى سبيل الله امواتا** كلام مستانف مسوق لبيان ان القتل
الّذى يحذّرونه ويحذّرون النّاس منه ليس ممّا يحذر بل هو من اجل المطالب الّتى يتنافس فيها.

المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغنى ولا يجدى وقرئ ولا تحسبنّ بكسر السّين والمراد بهم شهداء احد
وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطّلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب
وعبدالله بن جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله عليهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلّم اولكل احد ممّن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الاسناد الى ضميره عليه السّلام اوضمير
من يحسب وقيل الى الّذين قتلوا والمفعول الاوّل محذوف لانه فى الاصل مبتداء جائز الحذف
عند القرينة والتقدير ولا يحسبنّهم الّذين قتلوا امواتا اى لا يحسبنّ الّذين قتلوا انفسهم امواتا على
ان المراد من توجيه النّهى اليهم تنبيه السّامعين على انّهم احقاء بان يسلّوا بذلك ويبشّروا بالحيوة الابديّة
والكرامة السّنية والنّعيم المقيم لكن لا فى جميع اوقاتهم بل عند ابتداء القتل اذ بعد تبيّن حالهم لهم
لا يبقى لاعتبار تسليتهم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السّامعين وتذكيرهم وجه وقرئ قتّلوا بالتّشديد
لكثرة المقتولين **بل احياء** اى بل هم احياء وقرئ منصوبا اى بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى
اليقين كما فى قوله حسبت التقى والجد خير تجارة رباحا اذا ما المراء اصبح ثاقلا او على انّه واردٌ
على طريق المشاكلة **عند ربّهم** فى محلّ الرّفع على انّه خبر ثان للمبتداء المقدّر اوصفة لاحياء او
فى محلّ النصب على انه حال من الضّمير فى احياء وقيل هو ظرف لاحياء او للفعل بعده والمراد بالعنديّة
التّقرب والزّلفى وفى التّعرض لعنوان الرّبوبيّة المنبئة عن التّربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة
الى ضميرهم مزيد تكرمة لهم **يرزقون** اى من الجنّة وفيه تاكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم
قال الامام الواحدى الاصحّ فى حيوة الشّهداء ما روى عن النّبى صلى الله عليه وسلّم من ان ارواحهم
فى اجواف طير خضر وانّهم يرزقون وياكلون ويتنعمون وروى عنه صلى الله عليه وسلّم انّه قال
لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم فى اجواف طير خضر تدور فى انهار الجنّة وترد
انهار الجنّة الخ وتاكل من ثمارها وتسرح من الجنّة حيث شائت وتاوى الى قناديل من ذهب
معلّقة فى ظلّ العرش وفيه دلالة على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف
عليه ادراكه وتالّمه والتذاذه ومن قال بتجرّد النّفوس البشريّة يقول المراد ان نفوس الشّهداء
تتمثل طيرا خضرا وتتعلق بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انّها تتعلّق بالافلاك والكواكب فتلتذ
بذلك وتكتسب زيادة كمال **فرحين بما اتاهم الله من فضله** وهو شرف الشّهادة والفوز بالحيوة الابديّة
والزلفى من الله عزّوجل والتّمتع بالنّعيم المخلّد عاجلا **ويستبشرون** يسرّون بالبشارة **بالّذين لم يلحقوا
بهم** اى باخوانهم الّذين لم يقتلوا بعد فى سبيل الله فيلحقوا بهم **من خلفهم** متعلّق بيلحقوا والمعنى انّهم
بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع حالا من فاعل يلحقوا اى لم يلحقوا بهم حال كونهم متخلفين
عنهم باقين فى الدّنيا **ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** بدل من الّذين بدل اشتمال مبيّن
لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وانْ هى المخففة من انّ ضمير الشّان المحذوف وخبرها
الجملة المنفيّة اى يستبشرون بما تبيّن لهم من حسن حال اخوانهم الّذين تركوهم وهو انهم عند قتلهم

يفوزون بحيوة ابديّة لايكدّرها خوف وقوع محذور ولاحزن فوات مطلوب اولاخوف عليهم
فى الدّنيا من القتل فانّه عين الحيوة التى يجب ان يرغب فيها فضلا عن ان تخاف وتحذر اى لايعتريهم مايوجب
ذلك لاانه يعتريهم ذلك لكنّهم لايخافون ولايحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن
لابيان انتفاء دوامها كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثّانية مضارعًا فان النّفى وان دخل على نفس المضارع
يفيد الدّوام والاستمرار بحسب المقام يستبشرون بنعمة كرّر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس
بمجرّد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة عظيمة لايقادر قدرها وهى ثواب اعمالهم
وقد جوّز ان يكون الاوّل متعلّقًا بحال اخوانهم وهذا بحال انفسهم بيانا لبعض ما اجمل فى قوله تعالى
فرحين بما اٰتاهم الله من فضله من الله متعلّق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكدة لما افاده التنكير من
الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافيّة اى كائنة منه تعالى وفضل اى زيادة عظيمة كما فى قوله تعالى
للّذين احسنوا الحسنى وزيادة وانّ الله لايضيع اجر المؤمنين بفتح انّ عطف على فضل
منتظم معه فى سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين امّا الشّهدآء والتعبير عنهم بالمؤمنين للايذان
بسموّ رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السّعادة وامّا كافة اهل الايمان من الشهداء وغيرهم
ذكرت توفية اجورهم على ايمانهم وعدّت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة فى الدّين وقرئ
بكسرها على انه استيناف معترض دال على ايمانهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها
وفيه من الحث على الجهاد والترغيب فى الشّهادة والبعث على ازدياد الطّاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح
ما لايخفى الّذين استجابوا لله والرّسول من بعد ما اصابهم القرح صفة مادحة للمؤمنين لامخصّصة او
نصب على المدح او رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى للّذين احسنوا منهم واتّقوا اجر عظيم بجملته ومن
للبيان والمقصود من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلّهم محسنون
ومتقون روى ان اباسفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الرّوحاء ندموا وهمّوا بالرّجوع فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوّة فندب اصحابه
للخروج فى طلب ابى سفيان وقال لايخرجنّ معنا الّا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم
مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهى من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم
حتى لايفوتهم الاجر والقى الله الرّعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الّذين قال لهم النّاس
يعنى الرّكب الذين استقبلوهم من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعى واطلاق النّاس عليه لما انّه
من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب
واحد اولانه انضم اليه ناس من المدينة واذاعوا كلامه انّ النّاس قد جمعوا لكم فاخشوهم روى ان
اباسفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمّد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال عليه السلام
ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان فى اهل مكة حتّى نزل مرّ الظهران فالقى الله تعالى
فى قلبه الرّعب وبدى له ان يرجع فمرّ به ركب من بنى عبد قيس يريدون المدينة للميرة فشرط لهم

حمل بعير من زبيب ان ثبّطوا المسلمين وقيل لقى نعيم بن مسعود وقد قدم معتمرا فسأله ذلك فالتزم له عشرا
من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم ووجد المسلمين يتجهّزون للخروج فقال لهم اتوكم فى دياركم
فلم يفلت منكم احد الا شريدا فترون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم ففرّوا فقال عليه السّلام والّذى نفسى
بيده لاخرجنّ ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا كلّهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل قيل هى
الكلمة الّتى قالها ابرهيم عليه السّلام حين القى فى النّار فزادهم ايمانا الضّمير المستكن للمقول او لمصدر
قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والمعنى انّهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله تعالى
وازداد اطمئنانهم واظهروا حميّة الاسلام واخلصوا النيّة عنده وهو دليل على ان الايمان يتفاوت
زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التّامل وتناصر الحجج ممّا لاريب فيه ويعضده
قول ابن عمر رضى الله عنه قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه
الجنّة وينقص حتّى يدخل صاحبه النّار وقالوا حسبنا الله اى محسبنا وكافينا من احسبه اذا كفاه
والدليل على انّه بمعنى المحسب انّه لايستفيد بالاضافة تعريفا فى قولك هذا رجل حسبك ونعم
الوكيل اى نعم الموكول اليه والمخصوص بالمدح محذوف اى الله عزّ وجلّ فانقلبوا عطف على مقدّر
ينسحب عليه الكلام اى فخرجوا اليهم ووافوا الموعد روى انه عليه السلام وافى بجيشه بدرا واقام بها
ثمانى ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا والباء فى قوله تعالى بنعمة متعلّقة
بمحذوف وقع حالا من الضمير فى فانقلبوا والتّنوين للتفخيم اى فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة
عظيمة لايقادر قدرها وقوله عزّ وجلّ من الله متعلّق بمحذوف وقع صفة لنعمة مؤكّدة لفخامتها الذاتيّة
الّتى يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية اى كائنة من الله تعالى وهى العافية والثبات على الايمان
والزّيادة فيه وحذر العدوّ منهم وفضل اى ربح فى التّجارة وتنكيره ايضا للتفخيم لم يمسسهم سوء حال اخرى
من الضمير فى فانقلبوا او من المستكن فى الحال كانه قيل منعمين حال كونهم سالمين عن السوء والحال
اذا كان مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير ذى الحال جاز فيه دخول الواو كما فى قوله تعالى وقال اوحى
الىّ ولم يوح اليه شئ وعدمه كما فى هذه الاٰية الكريمة وفى قوله تعالى ورد الله الّذين كفروا بغيظهم
لم ينالوا خيرًا واتّبعوا فى كلّ ما اتوا من قول وفعل رضوان الله الذى هو مناط الفوز بخير الدّارين
والله ذو فضل عظيم حيث تفضّل عليهم بالتثبيت وزيادة الايمان والتّوفيق للمبادرة الى الجهاد و
التّصليب فى الدّين واظهار الجراءة على العدوّ وحفظهم عن كلّ ما يسوؤهم مع اصابة النّفع الجليل وفيه
تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطاء رايهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروى انهم قالوا هل
يكون هذا غزوا فاعطاهم الله عزّ وجلّ ثواب الغزو ورضى عنهم انّما ذلكم اشارة الى المثبط او الى
من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وقوله تعالى الشّيطان امّا خبره وقوله تعالى يخوّف اولياءه
جملة مستانفة مبنيّة لشيطنته او حال كما فى قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية الخ وامّا صفته والجملة
خبره ويجوز ان يكون الاشارة الى قوله على تقدير مضاف اى انّما ذلكم قول الشّيطان اى ابليس

والمستكن فى يخوف امّا للمقدّر وامّا للشيطان بحذف الرّاجع الى المقدّر اى يخوف به والمراد باوليائه امّا
ابو سفيان واصحابه فالمفعول الاوّل محذوف اى يخوفكم اولياء كما هو قراءة ابن عبّاس وابن مسعود رضى
الله عنهم ويؤيّده قوله تعالى فلا تخافوهم اى اولياءه وخافون فى مخالفة امرى وامّا القاعدون
فالمفعول الثّانى محذوف اى يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز فى
فلا تخافوهم للنّاس الثّانى اى فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافونى فجاهدوا مع رسولى
وسارعوا الى ما يامركم به والخطاب لفريقى الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النّهى والانتهاء
على ما قبلها فان كون المخوّف شيطانا ممّا يوجب عدم الخوف والنهى عنه ان كنتم مؤمنين فانّ
الايمان يقتضى ايثار خوف الله عزّ وجلّ على خوف غيره ويستدعى الامن من شرّ الشيطان واوليائه
ولا يحزنك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية
والايذان باصالته فى تدبير امور الدّين والاهتمام بشؤنه الّذين يسارعون فى الكفر اى يقعون فيه سريعًا
لغاية حرصهم عليه وشدّة رغبتهم فيه وايثار كلمة فى على ما وقع فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة
الآية للاشعار باستقرارهم فى الكفر ودوام ملابستهم له فى مبداء المسارعة ومنتهاها كما فى قوله تعالى
اولئك يسارعون فى الخيرات فان ذلك مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم فى فنونها فى طرفى المسارعة
وتضاعيفها وامّا ايثار كلمة الى فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنّة الخ فلانّ المغفرة
والجنّة منتهى المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقين من المتخلفين وطائفة من اليهود وحسبما
عيّن فى قوله تعالى يا ايّها الرّسول لا يحزنك الّذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنّا
بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الّذين هادوا وقيل قوم ارتدّوا عن الاسلام والتعبير عنهم
بذلك للاشارة بما فى حيّز الصّلة الى مظنة وجود المنهى عنه واعترائه لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اى لا يحزنوك بمسارعتهم فى الكفر ومبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم لاهله وتوجيه
النّهى الى جهتهم مع ان المقصود نهيه عليه السّلام عن التاثر منهم للمبالغة فى ذلك لما ان النّهى عن التاثير
نهى عن التاثّر باصله ونفى له بالمرّة وقد يوجّه النّهى الى اللازم والمراد هو النّهى عن الملزوم كما فى
قولك لا ارينك ههنا وقرئ لا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاء والمعنى واحد و
قيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما فى دهنه اى جعل فيه دهنا ومعنى احزنه جعله حزينا وقيل معنى
حزنه احدث له الحزن ومعنى احزنه عرّضه للحزن انّهم لن يضرّوا الله تعليل للنّهى وتكميل للتسلية بتحقيق
نفى ضررهم ابدا اى لن يضرّوا بذلك اولياء الله البتة وتعليق نفى الضرر به تعالى لتشريفهم والايذان
بان مضارّتهم بمنزلة مضارّته سبحانه وفيه مزيد مبالغة فى التسلية وقوله تعالى شيئًا فى حيّز النّصب
على المصدريّة اى شيئا من الضّرر والتنكير لتاكيد ما فيه من القلّة والحقارة وقيل على نزع الجار اى
بشئ مّا اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه شيئا كما روى ابو ذر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو انّ اوّلكم واخركم وجنّكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما زاد

ذلك

ذلك فى ملك الله شيئا ولو انّ اوّلكم واخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك الله
جناح بعوضة والاوّل هو الانسب بمقام التسلية والتعليل يريد الله ان لا يجعل لهم حظّا فى الآخرة
استيناف مبيّن السرّ ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك فى الكفر وفى ذكر الارادة من الايذان بكمال الخلوص
الدّاعى الى حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما ارادة ارحم الرّاحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدّلالة
على دوام الارادة واستمرارها اى يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم فى الآخرة حظّا مّا من الثّواب ولذلك
تركهم فى طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر ولهم مع ذلك الحرمان الكلى عذاب عظيم لا يقادر
قدره قيل لمّا دلت المسارعة فى الشّئ على عظم شانه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم
رعاية للمناسبة وتنبيهًا على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته فى نفسه والجملة امّا مبتداءة مبنيّة لحظهم
من العقاب اثر بيان ان لا شئ لهم من الثّواب وامّا حال من الضّمير فى لهم اى يريد الله حرمانهم من
الثواب معدّا لهم عذاب عظيم انّ الّذين اشتروا الكفر بالايمان اى اخذوه بدلا منه رغبة فيما
اخذوه واعراضا عمّا تركوه وقد مرّ تحقيق القول فى هذه الاستعارة فى تفسير قوله عزّ وجلّ اولئك
الذين اشتروا الضّلالة بالهدى مستوفى لن يضرّوا الله شيئًا تفسيره كما مرّ غير انّ فيه تعريضا ظاهرا
باقتصار الضّرر عليهم كانّه قيل وانّما يضرّون انفسهم فان جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين
بان يراد باشتراء الكفر بالايمان ايثاره عليه امّا باخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال
المرتدين او بالقوّة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلايله فى التوراة كما هو شان اليهود ومنافقيهم
فالتكرير لتقرير الحكم وتاكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فان ما ذكر فى حيّز الصّلة من الاشتراء
المذكور صريح فى لحوق ضرره بانفسهم وعدم تعدّيه الى غيرهم اصلا كيف لا وهو علم فى الخسران الكلى
والحرمان الابدى دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم فكيف يتاتى منهم ما يتوقف على قوّة الحزم
ورزانة الراى ورصانة التّدبير من مضارّة حزب الله تعالى وهى اعزّ من الابلق الفرد وامنع من عقاب
الجوّ وان اجرى الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشّامل للمعنيين
المذكورين وللاخذ الكفر بدلا ممّا نزّل منزلة نفس الايمان من الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة
الوحى الناطقة وملاحظة الدلايل المنصوبة فى الافاق والانفس كما هو داب جميع الكفرة فالجملة مقرّرة
لمضمون ما قبلها تقرير القواعد الكلّيّة لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوّز كون
الموصول الاوّل عامّا للكفّار والثّانى خاصا بالمعهودين وانت خبير بانّه مع خلوّه عن النكت المذكورة
ممّا لا يليق بفخامة شان التنزيل لمّا ان صدور المسارعة فى الكفر بالمعنى المذكور وكونه مظنّة لايراث
الحزن لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما يفهم من النّهى عنه وانّما يتصوّر ممّن علم اتّصافه بها وامّا من
لا يعرف حاله من الكفرة الكائنين فى الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها
من مبادى حزنه عليه السلام ممّا لا وجه له وقوله تعالى ولهم عذاب اليم جملة مبتداءة مبنيّة لكمال
فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشترى بما اشتراه

وسروره بتحصيله عند كون الصّفقة رابحة وبتالّمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعات لذلك
ولاتحسبنّ الّذين كفروا انّما نملى لهم خير لانفسهم عطف على قوله تعالى ولايحزنك الذين الاية والفعل
مسند الى الموصول وانّ بما فى حيّزها سادة مسد مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلّق
الفعل القلبى بالنّسبة بين المبتداء والخبر ومسد احدهما والاخر محذوف عند الاخفش وما مصدريّة
اوموصولة حذف عائدها ووصلها فى الكتابة لاتباع الامام اى لايحسبنّ الكافرون ان املائنا لهم
اوان ماتمليه خير لانفسهم اولايحسبنّ الكافرون خيريّة املائنا لهم اوخيريّة مانمليه لهم ثابتة او
واقعة وماله نهيهم عن السّرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان خيريّته لهم وتحسيرهم ببيان
انّه شرّ بحت وضرّ محض كما انّ مال المعطوف عليه نهى الرّسول صلى الله عليه وسلم عن الحزن بظاهر حال
الكفرة على توهم الضّرر من قبلهم وتسليته عليه السلام ببيان عجزهم عن ذلك بالكليّة والمراد بالموصول
امّا جنس الكفرة فيندرج تحت حكمه الكلى احكام المعهودين اندراجا اوّليًّا وامّا المعهودون خاصّة فايثار
الاظهار على الاضمار لرعاية المقارنة الدّائمة بين الصّلة وبين الاملاء الذى هو عبارة عن امهالهم
وتخليتهم وشانهم دهرا طويلا فان المقارن له دايما انما هو الكفر المستمرّ لا المسارعة المذكورة ولا الاشترا
المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المتقضية فى تضاعيف الكفر المستمرّ وقرئ لاتحسبن بالتاء والخطاب
لرسول صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام التسلية اولكلّ من يتاتى منه الحسبان قصدًا الى
اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وانّما نملى لهم امّا بدل منه وحيث كان التعويل على البدل وهو
سادّ مسدّ المفعولين كما فى قوله تعالى ام تحسب انّ اكثرهم يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما فى قولك
جعلت المتاع بعضه فوق بعض وامّا مفعول ثان بتقدير مضاف امافيه اى لاتحسبنّ الّذين كفروا
اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم اوفى المفعول الاوّل اى لاتحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء
خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم انّما نملى لهم ليزدادوا اثمًا استيناف مبيّن لحكمة الاملاء
وما كافة واللّام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على ايقاع الفعل
عليه وكسرها فيما سبق على انّه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء بابطال الحسبان
ورده على معنى لايحسبن الكافرون ان املائنا لهم لازدياد الاثم حسبما هو شانهم بل انّما هو لتلافى
مافرط منهم بالتوبة والدّخول فى الايمان وَلَهُمْ فى الاخرة عَذَابٌ مُهِينٌ لما تضمّن الاملاء التّمتيع
بطيّبات الدّنيا وزينتها وذلك ممّا يستدعى التّعزّز والتجبّر وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم
جزاء وفاقا والجملة امّا مبتداءة مبنيّة لحالهم فى الاخرة اثر بيان حالهم فى الدّنيا وامّا حال من الواو
اى ليزدادوا اثمًا معدًّا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة ماكان الله ليذر المؤمنين
عَلَى مَا انتُم عليه كلام مستانف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدّنيويّة
التى هى الفضيحة والخزى اثر بيان عقوبتهم الاخرويّة والمراد بالمؤمنين المخلصون وامّا الخطاب فقد
قيل انه لجمهور المصدّقين من اهل الاخلاص واهل ففيه التفاوت فى ضمن التلوين والمراد بما هم

عليه

عليه اختلاط بعضهم بعضا واستواؤهم فى اجراء احكام الاسلام عليهم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين
وقيل انه للكفّار والمنافقين وهو قول ابن عبّاس والضحاك ومقاتل والكلبى واكثر المفسّرين ففيه تلوين
فقط ولعلّ المنافقين عطف تفسيرى للكفّار والّا فلا شركة بين المؤمنين والمهاجرين فى امر من الامور
والمراد بما هم عليهم ما مرّ من القدر المشترك فانّه كما يجوز نسبته الى الفريقين معا يجوز نسبته الى كلّ منهما
لا الكفر والنفاق كما قيل فان المؤمنين ماكانوا مشاركين لهم فى ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انّه
للمؤمنين خاصّة وهو قول اكثر اهل المعانى ففيه تلوين والتفات كما مرّ والتعرّض لايمانهم قبل
الخطاب للاشعار بعلّة الحكم والمراد بما هم عليه ما مرّ غير مرّة والاوّل هو الاقرب واليه جنح المحققون
من اهل التفسير لكونه صريحًا فى كون المراد بما هم عليه ما ذكر من القدر المشترك بين الفريقين
من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الاخيرين فانّهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم ممّا عليه
المنافقون هو الكفر والنّفاق وممّا عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما ولئن
فهم ذلك فانما يفهم من حيث الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معًا وعليه يدور امر
الاختلاط المحوج الى الافراز واللّام فى ليذر امّا متعلّقة بالخبر المقدر لكان كما هو راى البصريّة وانتصاب
الفعل بعدها بان المقدرة اى ماكان الله مريدا اومتصدّيا لان يذر المؤمنين الخ ففى توجيه الفعل الى
ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليست جهيه الى نفسه وامّا مزيدة للتّاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو راى
الكوفية ولايقدح فى ذلك زيادتها كما لايقدح زيادة حروف الجر فى عملها وقوله عزّ وجل حتى يميز الخبيث
من الطّيّب غاية لما يفيده النّفى المذكور كانّه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط بل يقدّر الامور و
يرتب الاسباب حتّى يعزل المنافق من المؤمن وفى التّعبير عنهما بما ورد به النّظم الكريم تسجيل على كلّ
منهما بما يليق به واشعار بعلّة الحكم وافراد الخبيث والطّيّب مع تعدّد ما اريد بكلّ منهما وتكثّره لاسيّما
بعد ذكر ما اريد باحدهما اعنى المؤمنين بصيغة الجمع للايذان بان مدار افراز احد الفريقين من الاخر
هو اتصافهما بوصفهما لا خصوصيّة ذاتهما وتعدّد احادهما كما فى مثل قوله تعالى ذلك ادنى الا تعولوا
ونظيره قوله تعالى تذهل كلّ مرضعة عمّا ارضعت حيث قصد الدّلالة على الاتصاف بالوصف من غير تعرّض
لكون الموصوف من العقلاء اوغيرهم وتعليق الميز بالخبيث المعبر به عن المنافق لما ان المتبادر ممّا
سبق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه وافرازهم عن المنافقين لما انّ الميز الواقع بين
الفريقين انّما هو بالتّصرف فى المنافقين وتغييرهم من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقاء المؤمنين
على ماكانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم لا بالتّصرف فيهم وتغييرهم من حال الى
حال اخرى مع بقاء المنافقين على ما هم عليه من الاستتار ولانّ فيه مزيد تاكيد للوعيد كما اشير اليه
فى قوله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح وانّما لم ينسب عدم الترك اليهم لما انّه مشعر بالاعتناء
بشان من نسب اليه فان المتبادر منه عدم التّرك على حالة غير ملائمة كما يشهد به الذّوق السليم وقرئ
حتّى يميّز من التمييز وقوله تعالى وماكان الله ليطلعكم على الغيب تمهيد لبيان الميز الموعود على طريق

تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم وقوله عزّ وجل ولكنّ الله يجتبى من رسله من يشاء اشارة الى كيفيّة
وقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم الجليل فى الموضعين لتربية المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك
المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يرتب المبادى حتى يخرج المنافقين من بينهم وما يفعل ذلك
باطلاعكم على ما فى قلوبكم من الكفر والنّفاق ولكنّه تعالى يوحى الى رسوله عليه السّلام فيخبره بذلك
وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكى عنهم بعضه فيما سلف فيفضحهم على رؤس الاشهاد
ويخلصكم من خسّة الشركاء وسوء جوارهم والتّعرّض للاجتباء للايذان بان الوقوف على امثال
تلك الاسرار الغيبيّة لا يتاتّى الّا ممّن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه
على الجماهير لارشادهم وتعميم الاجتباء لساير الرّسل عليهم السّلام للدّلالة على انّ شانه عليه السّلام
فى هذا الباب امر متين له اصل اصيل جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين الرّسل الخالية و
تعميم الامر فى قوله تعالى فامنوا بالله ورسله مع انّ سوق النّظم الكريم للايمان بالنبىّ عليه السّلام لايجاب
الايمان به بالطّريق البرهانىّ والاشعار بان ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدّق لما بين يديه
من الرّسل وهم شهداء بصحّة نبوّته عليه السّلام والمامور به الايمان بكلّ ما جاء به عليه السّلام
فيدخل فيه تصديقه عليه السّلام فيما اخبر به من احوال المنافقين دخولا اوّليا هذا هو الّذى تقتضيه
جزالة النظم الكريم وقد جوّز ان يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطّيّب بان
يكلّفكم التّكاليف الصّعبة الّتى لا يصبر عليها الّا الخلّص الّذين امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الارواح
فى الجهاد وانفاق الاموال فى سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم
حتّى يعلم بعضكم بما فى قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصّدور فانّ
ذلك ممّا استاثر الله تعالى به وانت خبير بان الاستدراك باجتباء الرّسل المنبئ عن مزيد مزيّتهم
وفضل معرفتهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم عن الوقوف على خفايا السراير صريح فى ان المراد اظهار
تلك السّرائر بطريق الوحى لا بطريق التكليف بما يؤدى الى خروج اسرارهم عن رتبة الخفاء واقرب
من ذلك حمل الاية الكريمة على ان تكون مسوقة لبيان الحكمة فى املائه تعالى للكفرة اثر بيان شرّيّته
لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط ابدا كما تركهم كذلك الى الان لسرّ يقتضيه بل
يفرز عنهم المنافقين ولذلك فعله يومئذ حيث خلّى الكفرة وشانهم فابرز لهم صورة الغلبة
فاظهر من فى قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤس الاشهاد وقيل قال الكافرون
ان كان محمّد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وان تؤمنوا اى بما ذكر حق الايمان
وتتّقوا اى عدم مراعات حقوقه او النّفاق فلكم بمقابلة ذلك الايمان والتّقوى اجر عظيم لا يبلغ
كنهه ولا يحسبنّ الّذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بيان لحال البخل و
وخامة عاقبته وتخطئة لاهله فى توهم خيريّته حسب بيان حال الاملاء وايراد ما بخلوا به بعنوان
ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة فى بيان سوء صنيعهم فان ذلك من موجبات بذله فى سبيله

كما فى قوله تعالى وانفقوا ممّا جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول والمفعول الاوّل
محذوف لدلالة الصّلة عليه وضمير الفصل راجع اليه اى لا يحسبنّ الباخلون بما اتاهم الله من فضله
من غير ان يكون لهم مدخل فيه واستحقاق له هو خيرا لهم من انفاقه وقيل الفعل مسند الى ضمير النبى
صلى الله عليه وسلم او الى ضمير من يحسب والمفعول الاوّل هو الموصول بتقدير مضاف والثّانى ما ذكر
كما هو كذلك على قراءة الخطاب اى ولا يحسبنّ بخل الّذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا
لهم بل هو شرّ لهم التنصيص على شرّيّته لهم مع انفهامها من نفى خيريّته للمبالغة فى ذلك والتنوين
للتفخيم وقوله تعالى سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيمة بيان لكيفيّة شرّيته اى سيلزمون وبال
ما بخلوا به الزام الطّوق على انه حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه للايذان بكمال المناسبة
بينهما وروى عن النبى عليه السّلام انه قال ما من رجل لا يؤدى زكوة ماله الّا جعل الله له شجاعا
فى عنقه يوم القيمة وقيل يجعل ما بخل به من الزّكوة حيّة فى عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر
راسه وتقول انا مالك ولله وحده لا لاحد غيره استقلالا او اشتراكا ميراث السّموات
والارض اى ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرّسالات التّى يتوارثها اهل السّموات فما لهم
يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيله او انه يرث منهم ما يمسكونه ولا ينفقونه فى سبيله تعالى
عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والنّدامة والله بما تعملون من المنع والبخل خبير فيجازيكم على ذلك
واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة فى الوعيد والاشعار
باشتداد غضب الرّحمن الناشى من ذكر قبايحهم وقرئ بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول الّذين
قالوا انّ الله فقير ونحن اغنياء قالته اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الّذى يقرض الله قرضا
حسنا وروى انه عليه السلام كتب مع ابى بكر رضى الله عنه الى يهود قينقاع يدعوهم الى الاسلام
واقام الصّلوة وايتاء الزّكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير حين سالنا
القرض فلطمه ابو بكر رضى الله عنه فى وجهه وقال لولا الّذى بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك
فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع ح مع كون القائل واحدا لرضى
الباقين بذلك والمعنى انّه لم يخف عليه تعالى واعدّ له من العقاب كفاءه والتعبير عنه بالسّماع
للايذان بانّه من الشّناعة والسّماجة بحيث لا يرضى قايله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمىّ للتشديد
فى التهديد والمبالغة فى الوعيد سنكتب ما قالوا اى سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعاء فى صحايف
الحفظة او سنحفظه ونثبته فى علمنا لا ننساه ولا نهمله كما يثبت المكتوب والسين للتاكيد اى لن يفوتنا
ابدا تدوينه واثباته لكونه فى غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزاء بالقران العظيم
والرّسول الكريم ولذلك عطف عليه قوله تعالى وقتلهم الانبياء ايذان بانّهما فى العظم اخوان وتنبيها
على انه ليس باوّل جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وانّ من اجترا على قتل الانبياء لم يستبعد
منه امثال هذه العظايم والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم وقوله تعالى بغير حقّ متعلق

بمحذوف وقع حالا من قتلهم اى كائنا بغير حق فى اعتقادهم ايضا كما هو فى نفس الامر وقرئ سيكتب
على البناء للفاعل وسيكتب على البناء للمفعول وقتلهم الرفع ونقول ذوقوا عذاب الحريق
اى وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول لهم ذوقوا العذاب المحرق كما اذاقتم المسلمين الغصص وفيه
من المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال على البناء للمفعول ذلك اشارة الى العذاب المذكور
وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شانه وبعد منزلته فى الهول والفظاعة وهو مبتداء خبره
قوله تعالى بما قدمت ايديكم اى بسبب ما اقترفتموه من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة
وغيرهما من المعاصى والتعبير عن الانفس بالايدى لما ان عامة افاعيلها تزاول بهن ومحل ان فى
قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتداء محذوف والجملة اعتراض تذييلى
مقرر لمضمون ما قبلها اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن
ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه
ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم
كما يعبر عن ترك الاثابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه
عنها ضياعها وصيغة المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب فى صورة المبالغة
فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها للمبالغة
كما لا كيفا هذا وقد قيل محل ان الجر بالعطف على ما قدمت وسببيته للعذاب من حيث ان نفى الظلم
مستلزم للعدل المقتضى لاثابة المحسن ومعاقبة المسئ وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه
ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى الظلم سببا للتعذيب حسبما ذكره القائل فى سورة الانفال و
سببية ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام انتفاء ظلمه تعالى اليها اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير
ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافى كون تعذيب هؤلاء
الكفرة بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا نصب او رفع على الذم وهم كعب بن الاشرف ومالك بن
صيفى وحيى بن اخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهودا ان الله عهد الينا اى امرنا فى التورية
واوصانا الا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار كما كان عليه امر انبياء بنى اسرائيل حيث كان
يقرب بالقربان فيقوم النبى فيدعوا فتنزل نار من السماء فتاكله او تحيله الى طبعها بالاحراق وهذا من
مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو وساير المعجزات
سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم اتيانه بما قالوا
ولو تحقق الاتيان به لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى قل اى تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم قد جاءكم
رسل كثيرة العدد كبيرة المقدار من قبلى بالبينات اى المعجزات الواضحة وبالذى قلتم بعينه من القربان
الذى تاكله النار فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين اى فيما يدل عليه كلامكم من انكم تؤمنون لرسول
ياتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم السلام قد جاؤكم بما قلتم فى معجزات اخر

فمالكم لم تؤمنوا حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر
ما اوحى اليه ما يحزنه من مقالات الكفرة من المشركين واليهود وقوله تعالى فقد كذب رسل من قبلك
تعليل لجواب الشرط اى فتسل فقد كذب الخ ومن متعلقة بكذب او بمحذوف هو صفة لرسل اى
كائنة من قبلك جاءوا بالبينات اى المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر هو جمع زبور وهو الكتاب
المقصور على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبر المواعظ والزواجر من زبرته اذا زجرته والكتاب
المنير قيل اى التوراة والانجيل والزبور والكتاب فى العرف القرآن ما يتضمن الشرايع والاحكام
ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة المواقع وقرئ وبالزبر باعادة الجار دلالة على انها
مغائرة بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة
الموت بالتنوين وعدمه كما فى قوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم اى تعطون اجزية اعمالكم
على التمام والكمال يوم القيمة اى يوم قيامكم من القبور وفى لفظة التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم
يصل اليهم قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران
فمن زحزح عن النار اى بعد عنها يومئذ ونحى والزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة
وادخل الجنة فقد فاز بالنجاة ونيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم
من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويؤتى
الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهت
بالمتاع الذى يدلس به على المسلم ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب
بها الاخرة فهى له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او جمع غار لتبلون شروع فى تسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين المؤمنين عما سيلقونه من جهة الكفرة من المكاره اثر
تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا للقائه ويقابلوه بحسن الصبر و
الثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد للكروب مما يهون الخطوب واصل
الابتلاء الاختبار اى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه غالبا ملابسته او مفارقته
وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من جهة العليم الخبير فلا يكون الا
مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يترتب عليه شيئا هو من مباديه
العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اى والله لتبلون اعنى لتعاملن معاملة المختبر ليظهر ما عندكم
من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى الابتلاء تهوينا للخطب واما تحقيق
وقوع المبتلى به مبالغة فى الحث على ما اريد منهم من التهيؤ والاستعداد فى اموالكم بما يقع فيها من
ضروب الآفات المؤدية الى هلاكها وانفاقها فى سبل الخير مطلقا فلا يليق نظمه فى سلك الابتلاء لما
انه من باب الاضعاف لا من قبيل الاتلاف وانفسكم بالقتل والاسر والجراح وما يرد عليها من
اصناف المتاعب والمخاوف والشدايد ونحو ذلك وتقديم الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن

من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اى من قبل اتيانكم القران وهم اليهود والنصارى عبّر عنهم
بذلك للاشعار بمدار الشقاق والايذان بان بعض ما يسمعونه منهم مستند على زعمهم الى الكتاب كما فى
قوله تعالى انّ الله عهد الينا الخ والتصريح بالقبلية لتاكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم
ممّا يؤيّد تمسكهم به ومن الذين اشركوا اذى كثيرا من الطّعن فى الدّين الحنيف والقدح فى احكام الشرع
الشّريف وصدّ من اراد ان يؤمن وتخطئة من امن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين
وتحريض المشركين على مضادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك مما لا خير فيه وان تصبروا
اى على تلك الشّدايد والبلوى عند ورودها وتقابلوها بحسن التحمّل وتتقوا اى تتبتلوا الى الله
تعالى بالكليّة معرضين عمّا سواه بالمرّة بحيث تساوى عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه فانّ ذلك
اشارة الى الصّبر والتقوى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلوّ درجتهما وبعد منزلتهما وتوحيد حرف
الخطاب امّا باعتبار كلّ واحد من المخاطبين وامّا لان المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة
خصوصيّة احوال المخاطبين من عزم الامور من معزوماتها التى يتنافس فيها المتنافسون اى ممّا
يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزيّة والشّرف او ممّا عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ
فيه يعنى ان ذلك عزمة من عزمات الله لابدّ ان تصبروا وتتقوا والجملة تعليل لجواب الشرط واقع
موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فافعلوا او فقد احسنتم او فقد اصبتم فانّ
ذلك الخ ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى صبر المخاطبين وتقواهم فالجملة ح جواب الشرط وفى ابراز
الامر بالصّبر والتقوى فى صورة الشرطيّة من اظهار كمال اللّطف بالعباد ما لا يخفى واذ اخذ الله
كلام مستانف سيق لبيان بعض اذيّاتهم وهو كتمانهم ما فى كتابهم من شواهد نبوّته صلى الله عليه وسلّم
وغيرها واذ منصوب على المفعوليّة بمضمر امر به النبى صلى الله عليه وسلّم خاصة بطريق تجريد الخطاب
اثر الخطاب الشامل له عليه السّلام وللمؤمنين لكونه مضمونه من الوظايف الخاصّة به عليه السّلام وتوجيه
الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب
ذكرها على ما مرّ بيانه فى تفسير قوله تعالى واذ قال ربّك للملئكة انّى جاعل الخ اى اذكر وقت اخذه تعالى
ميثاق الذين اوتوا الكتاب وهم علماء اليهود والنّصارى ذكروا بعنوان ايتاء الكتاب مبالغة فى تقبيح
حالهم لتبيّننّه حكاية لما خوطبوا به والضّمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانّه
قيل لهم بالله لتبيّننه للنّاس وتظهرنّ جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التى من جملتها امر نبوّته صلى الله
عليه وسلّم وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيّب ولا تكتمونه عطف على الجواب وانما لم يؤكد
بالنّون لكونه منفيا كما فى قولك والله لا يقوم زيد وقيل اكتفى بالتاكيد فى الاوّل لانه تاكيد له وقيل
هو حال من ضمير المخاطبين امّا على اضمار مبتداء بعد الواو اى وانتم لا تكتمونه وامّا على راى من جوز
دخول الواو على المضارع المنفى عند وقوعه حالا اى لتبيّننه غير كاتمين والنّهى عن الكتمان بعد الامر
بالبيان امّا للمبالغة فى ايجاب المامور به وامّا لانّ المراد بالبيان المامور به ذكر الآيات النّاطقة

بنبوّته عليه السّلام وبالكتمان المنهىّ عنه القاء التاويلات الزّائغة والشّبهات الباطلة وقرئ
بالياء كما قبله فنبذوه النبذ الرّمى والابعاد اى طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بفنون
التّاكيد والقوه وراء ظهورهم الاستهانة والاعراض عنه بالكليّة كما ان جعله نصب العين
علم فى كمال العناية به وفيه من الدّلالة على تحتم بيان الحقّ على علماء الدّين واظهار ما منحوه من العلم للنّاس
اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع فى عرض من الاعراض الفانية الكاسدة ما لا
يخفى وعن النبى صلّى الله عليه وسلّم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انّه قال لوهب
بن منبه انّى ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيّا فكتمت العلم كما تكتمه
لرايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل
ان يسكت على جهله حتّى يسال وعن على رضى الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على
اهل العلم ان يعلّموا واشتروا به اى بالكتاب الّذى امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق
يدل على ذلك دلالة واضحة وايقاع الفعل على الكلّ مع انّ المراد به كتم بعضه كدلايل نبوّته عليه السلم
ونحوها لما ان ذلك كتم للكل اذ به يتم الكتاب كما ان رفض بعض اركان الصّلوة رفض لكلّها او بمنزلة كتم
الكلّ من حيث انهما سيّان فى الشناعة واستجرار العقاب كما فى قوله تعالى وان لم تفعل فما بلغت رسالته
الاشتراء مستعار لاستبدال متاع الدّنيا بما كتموا اى تركوا ما امروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا اى
شيئا تافها حقيرا من حطام الدّنيا واعراضها وفى تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لا سيّما بالاشتراء
المؤذن بالرّغبة فى الماخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشترى الّذى هو العمدة فى العقد
والمقصود بالمعاملة بالثّمن الّذى شانه ان يكون وسيلة اليه وجعل الكتاب الّذى حقه ان يتنافس
فيه المتنافسون مصحوبا بالباء الداخلة على الآلات والوسائل من نهاية الجزالة والدّلالة على كمال
فظاعة حالهم وغاية قبحها بايثارهم الدنى الحقير على الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد الاصلى
وسيلة والوسيلة مقصدا ما لا يخفى جلالة شانه ورفعة مكانه فبئس ما يشترون ما نكرة منصوبة
مفسّرة لفاعل بئس ويشترون صفة والمخصوص بالذم محذوف اى بئس شيئا يشترون ذلك الثمن لا
تحسبنّ الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكلّ احد ممّن يصلح له الّذين يفرحون بما اتوا اى بما
فعلوا كما فى قوله تعالى انّه كان وعده ماتيّا ويدل عليه قراءة ابىّ يفرحون بما فعلوا وقرئ بما اتوا
بمعنى اعطوا وبما اوتوا اى اوتوه من علم التوراة قال ابن عباس رضى الله عنهما هم اليهود حرّفوا التّوراة
وفرحوا بذلك واحبّوا ان يوصفوا بالدّيانة والفضل وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال
اليهود عن شئ ممّا فى التوراة فكتموا الحقّ واخبروه بخلافه واروه انهم صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا
بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النّصوص النّاطقة بنبوته عليه السّلام واحبّوا ان يحمدوا بانّهم متّبعون
ملّة ابراهيم عليه السلام فالموصول عبارة عن المذكورين او عن مشاهيرهم موضوع موضع ضميرهم
والجملة مسوقة لبيان ما يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروىّ اثر بيان قباحتها وقد اومج

فيها بيان بعض اخر من شنائعهم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبايح وفرحهم بذلك ومحبتهم لان يوصفوا
بما ليس فيهم من الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك فى سلك الصلة التى حقها ان تكون معلومة الثبوت
للموصول عند المخاطب ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم
راوا المصلحة فى ذلك واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى **ويحبون**
ان يحمدوا بما لم يفعلوا لشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر و
يستحمدون الى المسلمين بالايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم فى الغاية
القاصية من العداوة فالموصول عبارة عن طائفة معهودة من المذكورين وغيرهم فان اكثر المنافقين
كانوا من اليهود ولعل الاولى اجراء الموصول على عمومه شاملا لكل من ياتى بشئ من الحسنات فيفرح به
فرح اعجاب ويود ان يمدحه الناس بما هو عار منه من الفضايل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا وايا ما
كان فهو مفعول اول لتحسبن وقوله تعالى **فلا تحسبنهم** تاكيد له والفاء زائدة والمفعول الثانى قوله
تعالى **بمفازة من العذاب** اى ملتبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمى ولا يضر تانيثها بالتأ
لما انها مبنية عليها وليست للدلالة على الوحدة كما فى قوله فلولا رجاء النصر منك ورهبة عقابك
قد كانوا لنا بالوارد ولا سبيل الى جعلها اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اى
بمفازة كائنة من العذاب لانها ليست من العذاب وتقدير فعل خاص يصح به المعنى اى بمفازة منجية
من العذاب مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه وقرئ بضم الباء فى الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين
ايضا وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء فيهما على ان الفعل له عليه السلام او لكل احد ممن يتاتى منه الحسبان
ومفعولاه كما ذكر وقرئ بضم الباء فى الثانى فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه
عين الفاعل والثانى بمفازة اى لا يحسبن الذين يفرحون انفسهم فائزين وقوله تعالى ولا تحسبنهم
تاكيد للاول والفاء زائدة كما مر ويجوز ان يحمل الفعل الاول على حذف المفعولين معا اختصارا لدلالة
مفعولى الثانى عليهما على عكس ما فى قوله باى كتاب او باية سنة ترى حبهم عارا على وتحسب حيث فيه
مفعولا الثانى لدلالة مفعولى الاول عليهما او على ان الفعل الاول للرسول صلى الله عليه وسلم او
لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثانى محذوف لدلالة مفعولى الفعل الثانى عليه والفعل الثانى
مسند الى ضمير الموصول والفاء للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم على عدم حسبانه عليه السلام ومفعولاه
الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان
ارائهم الركيكة وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الاخرة
كما نجوا به من المواخذة الدنيوية وعليه كان مبنى فرحهم واما نهيه صلى الله عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم
المذكور لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم **ولهم عذاب اليم** بعد ما اشير الى عدم نجاتهم
من مطلق العذاب حقق ان لهم فردا منه لا غاية له فى المدة والشدة كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير
التفخيمى والوصف **ولله** اى خاصة **ملك السموات والارض** اى السلطان القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما

وفيما

وفيما فيهما كيف ما يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا واثابة من غير ان يكون لغيره شائبة
دخل فى شئ من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى **والله على كل شئ قدير**
تقرير لاختصاص ملك العالم الجسمانى المعبر عنه بقطريه به سبحانه وتعالى فان كونه تعالى قادرا على
الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شئ من الاشياء يستدعى كون ما سواه كائنا ما كان مقدورا له ومن
ضرورته اختصاص القدرة به تعالى واستحالة ان يشاركه شئ من الاشياء فى القدرة على شئ من الاشياء
فضلا عن المشاركة فى ملك السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم
نجاتهم منه اثر تقرير واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان
شمول القدرة لجميع الاشياء من احكام الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين
بالتقرير **ان فى خلق السموات** جملة مستانفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان
القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التاكيد اعتناء بتحقيق مضمونها اى فى انشائها على ما هى عليه فى
ذواتها وصفاتها من الامور التى يحار فى فهم اجلاها العقول **والارض** على ما هى عليه ذاتا وصفة
واختلاف الليل والنهار اى فى تعاقبهما فى وجه الارض وكون كل منهما خلفة للاخر بحسب طلوع الشمس
وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض او فى تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الاخر
وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او فى اختلافهما
وتفاوتهما بحسب الامكنة اما فى الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالى ايامها الصيفية
اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما فى انفسها فان كرية الارض
تقتضى ان يكون بعض الاوقات فى بعض الاماكن ليلا وفى مقابله نهارا وفى بعضها صباحا وفى بعضها
ظهرا او عصرا وغير ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالى
جمع جمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالى جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة
كما فى كيكة وكياكى كانها جمع كيكات والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب وقال
ابن فارس هو ضياء ما بينهما وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر فى الليالى
واما لتقدمه فى الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار اى نزيله عنه فيخلفه
لايات اسم ان دخلته اللام لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اى لايات كثيرة عظيمة لا
يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤنه التى من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة
به سبحانه وعدم التعرض لما ذكر فى سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما ان
المقصود ههنا بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فاكتفى بمعظم الشواهد الدالة على ذلك
واما هناك فقد قصد فى ضمن بيان اختصاصه تعالى بالالوهية بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة
فنظمت دلايل الفضل والرحمة فى سلك دلايل التوحيد فان ما فصل هناك من ايات رحمته تعالى كما انه
من ايات الوهيته ووحدته **لاولى الالباب** اى لذوى العقول المخلوصة الخالصة عن شوائب الحس والوهم

المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين عن العوايق الظلمانية المتاملين فى احوال الحقايق واحكام
النعوت المراقبين فى اطوار الملك واسرار الملكوت المتفكرين فى بدايع صنايع الملك الخلاق المتدبرين
فى روايع حكمه المودعة فى الانفس والافاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين
عن حقيقة سر الحق فى كل موجود مثابرين على مراقبته وذكراه غير ملتفتين الى شئ مما سواه الا من حيث
انه مراة لمشاهدة جماله والة لملاحظة صفات كماله فان كل ما ظهر من مظاهر الابداع وحضر محاضر
التكوين والاختراع سبيل سوى الى عالم التوحيد ودليل قوى على الصانع المجيد فاطلق باياته
قد رته فهل من سامع داع ومخبر بانباء علمه وحكمته فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد
جوابهم بحسب مقولهم بجاورنارة باوضح عبارة ويلوح اخرى بالطف اشارة مراعيا فى الحوار ابهامهم
وتصريحهم وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتامل فى هذه شؤون والاسرار ان فى
ذلك لعبرة لاولى الابصار عن عايشه رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل لك
ياعايشة ان تاذنى لى الليلة فى عبادة ربى فقلت يارسول الله انى لاحب قربك واحب هواك قد اذنت
لك فقام الى قربة من ماء فى البيت فتوضا ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلى فقرا من القران وجعل
يبكى حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى واثنى عليه وجعل يبكى رايت دموعه قد بلت الارض
فاتاه بلال يوذنه بصلوة الغداة فراه يبكى فقال له يارسول الله اتبكى وقد غفر الله لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر فقال يابلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالى لا ابكى وقد انزل الله تعالى
على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض الخ ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن
لاكها بين فكيه ولم يتاملها وعن على رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل
يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان فى خلق السموات والارض الخ الذين يذكرون الله الموصول اما
موصول باولى الالباب مجرور على انه نعت كاشف له بما فى حيز الصلة واما منفصل عنه مرفوع على الابتداء
والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا وفيه من تفكيك النظم الجليل ما لا يخفى وايا ما كان فقد
اشير بما فى حيز صلته ان المراد بهم الذين لا يعقلون عنه تعالى فى عامة اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم
بذكره واستغراق سرائرهم فى مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه فائض منه وعائد اليه فلا يشاهدون
حالا من الاحوال فى انفسهم واليه اشير بقوله عز وجل قياما وقعودا وعلى جنوبهم ولا فى الافاق واليه
اشير بما بعده الا وهم يعاينون فى ذلك شانا من شؤونه تعالى فالمراد به ذكره تعالى مطلقا سواء كان
من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال وسواء قارنه الذكر باللسان اولا واما ما يحكى عن ابن
عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضى الله عنهم من انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى
فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم فليس
مرادهم به تفسير الاية وتحقيق مصداقها على التعيين وانما ارادوا به التبرك بنوع موافقة لها فى ضمن
الاتيان بفرد من افراد مدلولها واما حمل الذكر على الصلوة فى هذه الاحوال حسب الاستطاعة كما قال

علي

عليه السلام لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب تومى ايماء فمما
لا يساعده سباق النظم الجليل ولا سياقه والقيام والقعود جمع قائم وقاعد كنيام ورقود جمع نايم وراقد و
انتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون اى يذكرونه قايمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق
بمحذوف معطوف على الحالين اى وكاينين على جنوبهم اى مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات كما مر
وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر بها بل لانها الاحوال المعهودة التى لا يخلو عنها
الانسان غالبا ويتفكرون فى خلق السموات والارض عطف على يذكرون منتظم معه فى حيز الصلة فلا محل
له من الاعراب وقيل محله النصب على انه معطوف على الاحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان لتفكرهم
فى افعاله سبحانه اثر بيان تفكرهم فى ذاته تعالى على الاطلاق واشارة الى نتيجته التى يؤدى اليها من
معرفة احوال المعاد حسبما نطقت به السنة الرسل وايات الكتب فكما انها ايات تشريعية هادية
للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات ايات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك فالاولى
منبهات لهم على الثانية ودواع الى الاستشهاد بها كهذه الاية الكريمة ونحوها مما ورد فى مواقع غير
محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات للاولى وشواهد دالة على صحة مضمونها وحقيقة مكنونها
فان من تامل فى تضاعيف خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تعالى بجميع ما نطقت به
الرسل والكتب من الوجوب الذاتى والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل
والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم بان من قدر على انشائه بلا مثال يحتذيه او قانون
ينتحيه فهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هى جزاء المكلفين بحسب
استحقاقهم المنوط باعمالهم اى علومهم واعتقاداتهم التابعة لانظارهم من الحجج والدلايل والامارات
والمخائل وساير اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول للعمل القلبى بل هو
اشرف افراده لما ان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به ومن قضيته كون الاول اشرف من الثانى
كون عمله ايضا اشرف من عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفته تعالى التى هى اول الواجبات على العباد والغاية
القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اى ليعرفون
كما اعرب عنه قوله عليه السلام كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وانما طريقها
النظر التفكير فيما ذكر من شؤونه تعالى وقد روى عنه عليه السلام انه قال لا تفضلونى على يونس
بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى امر الله تعالى و
لذلك قال عم لا عبادة مثل التفكر وقد عرفت انه مستتبع لتحقيق ما جاءت به الشريعة الحقة والا لما فسر
النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء
ليبلوكم ايكم احسن عملا بقوله عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله تعالى فان التورع عن
محارمه سبحانه موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب والسنة فحينئذ يتصادق الايات التكوينية
ويتوافق الادلة العقلية والسمعية وهو السر فى نظم ما حكى عن المتفكرين من الامور المستدعية للايمان

بالشريعة فى سلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه واظهار خلق السموات والارض مع كفاية الاضمار لابراز
كمال العناية ببيان حالهم والايذان بكون تفكرهم على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج
اختلاف الملوين فى سلك التفكر مع ذكره فيما سلف اما للايذان بظهور اندراجه فيه لما ان ذلك من
الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض كما اشير اليه واما للاشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد
تفكرهم فى بعض الايات من غير حاجة الى بعض اخر منها فى اثبات المطلوب والخلق مصدر على حالة اى يتفكرون
فى انشائهما وابداعهما بما فيهما من عجايب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على ان الاضافة بمعنى فى اى
يتفكرون فيما خلق فيها اعم من ان يكون بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها بيانية
ربنا ما خلقت هذا باطلا كلمة هذا اشارة الى السموات والارض متضمنة لضرب من التعظيم كما فى
قوله تعالى ان هذا القران يهدى للتى هى اقوم والتذكير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما فى معنى المخلوق
او الى الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق وباطلا اما صفة لمصدر مؤكد محذوف او حال من المفعول
به اى ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم الشان عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه
اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر فيه بل متضمنا لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها
ان يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى معرفة احوال المبدأ والمعاد حسبما افصحت عنه
الرسل والكتب الالهية كما تحققه مفصلا والجملة بتمامها فى حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون
الموصول نعتا لاولى الالباب استيناف مبين لنتيجة الفكر ومدلول الايات ناشئ مما سبق فان النفس
عند سماع تخصيص الايات المنصوبة فى خلق العالم باولى الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر فى
محال تلك الايات تبقى مترقبة لما يظهر منهم من اثارها واحكامها كانه قيل فماذا يكون عند تفكرهم
فى ذلك وماذا يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون كيت كيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق
المؤدى الى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذى
وقفت عليه هذا واما جعله حالا من المستكن فى الفعل كما اطبق عليه الجمهور فمما لا يساعده جزالة
النظم الكريم لما ان ما فى حيز الصلة وما قيد له حقه ان يكون من مبادى الحكم الذى اجرى على الموصول
ودواعى ثبوته له كذكرهم لله عز وجل فى عامة اوقاتهم وتفكرهم فى خلق السموات والارض فانهما مما
يؤدى الى اجتلاء تلك الايات والاستدلال بها على المطلوب ولا ريب فى ان قولهم ذلك ليس من
مبادى الاستدلال المذكور بل من نتايجها المترتبة عليه فاعتباره قيدا لما فى حيز الصلة مما لا يليق
بشان التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول مرفوعا او منصوبا على المدح
او مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف اذ لا اشتباه فى ان قولهم ذلك من مبادى مدحهم ومحاسن
مناقبهم وفى ابراز هذا القول فى معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته لتفكرهم من غير تلعثم وتردد
فى ذلك وقوله تعالى **سبحانك** اى تنزيها لك مما لا يليق بك من الامور التى من جملتها خلق ما لا حكمة
فيه اعتراض مؤكد لمضمون ما قبله وممهد لما بعده من قوله تعالى **فقنا عذاب النار** فان معرفة

سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما تقتضيه من الاعمال الصالحة وتنزيه الصانع
تعالى عن العبث من دواعى الاستعاذة مما يحيق بالمخلين بذلك من وجهين احدهما الوقوف على تحقق
العذاب فالفاء لترتيب الدعاء على ما ذكر والثانى الاستعداد لقبول الدعاء فالفاء لترتيب المدعو اعنى
الوقاية على ذلك كانه قيل واذ قد عرفنا سرك واطعنا امرك ونزهناك عما لا ينبغى فقنا عذاب النار
الذى هو جزاء الظالمين لا يعرفون ذلك **ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته** مبالغة فى استدعاء
الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالنداء للمبالغة فى التضرع والجؤار وتاكيدها لاظهار كمال
اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار فى موضع الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال
فى مورد العذاب لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال الواحدى للاخزاء معان متقاربة يقال
اخزاه الله اى ابعده وقيل اهانه وقيل اهلكه وقيل فضحه قال ابن الانبارى الخزى لغة الهلاك
بتلف او بانقطاع حجة او بوقوع فى بلاء والمعنى فقد اخزيته خزيا لا غاية وراءه كقولهم من ادرك
مرعى الصمان فقد ادرك اى المرعى الذى لا مرعى بعده وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب الروحانى
ما لا يخفى وقوله تعالى **وما للظالمين من انصار** تذييل لاظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم
بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم وغرضهم تاكيد للاستدعاء ووضع الظالمين موضع ضمير المدخلين
لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم النار بظلمهم ووضعهم الاشياء فى غير مواضعها وجمع الانصار
بالنظر الى جمع الظالمين اى ما لظالم من الظالمين نصير من الانصار والمراد من ينصر بالمدافعة والقهر
فليس فى الاية دلالة على نفى الشفاعة على ان المراد بالظالمين هم الكفار **ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى**
للايمان حكاية لدعاء اخر لهم مبنى على تاملهم فى الدليل السمعى بعد حكاية دعائهم السابق
المبنى على التفكر فى الادلة العقلية وتصديره مقدمة الدعاء بالنداء لاظهار كمال الضراعة والابتهال
والتاكيد للايذان بصدور المقال عنهم بوفور الرغبة وكمال النشاط والمراد بالنداء الدعاء وتعديتهما
بالى لتضمنهما معنى الانتهاء وباللام لاشتمالهما على معنى الاختصاص والمراد بالمنادى الرسول صلى الله
عليه وسلم وتنوينه للتفخيم وايثاره على الداعى للدلالة على كمال اعتنائه بشان الدعوة وتبليغها الى
الدانى والقاصى لما فيه من الايذان برفع الصوت وينادى صفة لمناديا عند الجمهور كما فى
قولك سمعت رجلا يقول كيت كيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول الخ
ومفعول ثان لسمعنا عند الفارسى واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة فى تحقيق السماع
والايذان بوقوعه بلا واسطة عند صدور المسموع عن المتكلم وللتوسل به الى تفصيله واستحضار
صورته وقد اختص النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع عنه بالمنادى ثم وصف
بالنداء للايمان على طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد
بعد الاطلاق اوقع عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادى القران العظيم **ان امنوا** اى امنوا على
ان ان تفسيرية او بان امنوا على انها مصدرية **بربكم** بمالككم ومتولى اموركم ومبلغكم الى الكمال

وفي اطلاق الايمان ثمّ تقييده تفخيم لشانه فامنّا اى فامتثلنا بامره واجبنا نداءه ربّنا تكريرٌ للتضرع واظهار
لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيّته مع الايمان به والفاء فى قوله تعالى فاغفرلنا لترتيب المغفرة
او الدّعاء بها على الايمان به تعالى والاقرار بربوبيّته فان ذلك من دواعى المغفرة والدّعاء بها ذنوبنا
اى كبائرنا فانّ الايمان يجبّ ماقبله وكفّر عنّا سيّاتنا اى صغائرنا فانها مكفّرة عن مجتنب الكبائر
وتوفّنا مع الابرار اى مخصوصين بصحبتهم مغتنمين بجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار
بانّهم كانوا يحبّون لقاء الله ومن احبّ لقاء الله احبّ الله لقاءه والابرار جمع بارّ او برّ كاصحاب
وابرار ربّنا واتنا ماوعدتنا على رسلك حكاية لدعاء اخرلهم مسبوق بماقبله معطوف عليه لتاخّر
التحلية عن التخلية وتكرير النّداء لمامرّ مكرّرًا والمراد بالموعود الثواب وعلى امّا متعلّقة بالوعد
كما فى قولك وعد الله الجنّة على الطاعة اى وعدتنا على تصديق رسلك او بمحذوف وقع صفة
لمصدر موكّد محذوف اى وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك ولايخفى ان تقدير الافعال الخاصّة
فى مثل هذه المواقع تعسّف وجمع الرّسل على ان المنادى هو الرّسول صلى الله عليه وسلّم وحده لما ان
دعوته عليه السّلام لاسيّما فى باب التّوحيد وما اجمع عليه الكلّ من الشرايع منطوية على دعوة الكلّ
فتصديقه تصديق لهم عليهم السلام كيف لاوقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه السّلام لقوله تع
واذ اخذ الله ميثاق النّبيّين لما اتيتكم من كتاب الاية وكذا الموعود على لسانه من الثّواب موعود
على السنة الكل وايثار الجمع لاظهار كمال الثّقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود ولاتخزنا يوم القيمة
قصدوا بذلك تذكير وعده تعالى يوم لايخزى الله النبىّ والّذين امنوا معه مظهرين انّهم ممّن امن
معه رجاء للانتظام فى سلكهم يومئذ وقوله تعالى انّك لاتخلف الميعاد تعليل لتحقيق مانظموا
فى سلك الدّعاء وهذه الدعوات ومافى تضاعيفها من كمال الضّراعة والابتهال ليست لخوفهم من
اخلاف الميعاد بل لخوفهم من ان لايكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة والمال فمرجعها
الى الدّعاء بالتثبيت او للمبالغة فى التّعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عبّاس رضى الله عنهما
انّه البعث بعد الموت وفى الاثار عن جعفر الصّادق رضى الله عنه من حزبه امر فقال ربّنا ربّنا
خمس مرّات انجاه الله ممّا يخاف واعطاه ما اراد وقرئ هذه الاية فاستجاب لهم ربّهم الاستجابة
بمعنى الاجابة وقال تاج القراء الاجابة عامة والاستجابة خاصّة باعطاء المسؤل ويعدى باللام
وبنفسها كما فى قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب وهو عطف على الاستيناف المقدّر فيما سلف
مترتب على مافى حيّزه من الادعية كما انّ قوله عزّوجلّ ثمّ قيل للّذين ظلموا الى اخره عطف على قيل
المقدّر قبل الان اى قيل لهم الان امنتم به ثمّ قيل الاية وكما ان قوله تعالى فى سورة الاعراف
ونطبع على قلوبهم معطوف على مادلّ عليه معنى اولم يهد الخ كانّه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع
الخ ولاضير فى اختلافهما صيغة لما ان صيغة المستقبل هناك للدّلالة على الاستمرار المناسب لمقام
الدّعاء وصيغة الماضى ههنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقرّرها كما لاضير فى الاختلاف بين قوله

في سورة يونس عم

تعالى اذ تستغيثون ربّكم وبين ماعطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سياتى ويجوز ان
يكون معطوفا على مضمر ينساق اليه الذّهن اى دعوا بهذه الادعيه فاستجاب الخ وامّا على تقدير
كون المقدّر حالا فهو عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعنى قوله ربّنا
ربّنا الى اخره فانّ الاستجابة مترتبة على دعواتهم لا على مجرّد تفكّرهم وحيث كانت هى واوصافهم الجميلة المترتبة
على اعمالهم بالآخرة استحقت الانتظام فى سلك محاسنهم المعدودة فى اثناء مدحهم وامّا على تقدير
كون الموصول نعتا لاولى الالباب فلامساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان حق مافى حيّز الصّلة
ان يكون مبادى جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فاين الاستجابة
المتاخّرة عنها وفى التّعرض لعنوان الرّبوبية المنبئة عن التّبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من
تشريفهم واظهار اللّطف بهم مالايخفى انّى لااضيع عمل عامل منكم اى بانّى وهكذا قرا ابىّ والباء للسببيه
كانّه قيل فاستجاب لهم ربّهم بسبب انّه لايضيع عمل عامل منهم اى سنّته السّنيّة مستمرّة على ذلك والالتفات
الى التّكلّم والخطاب لاظهار كمال الاعتناء بشان الاستجابة وتشريف الدّاعين بشرف الخطاب والمراد
تاكيدها ببيان سببها والاشعار بانّ مدارها اعمالهم الّتى قدّموها على الدّعاء لا مجرّد الدّعاء وتعميم الوعد
لساير العاملين وان لم يبلغوا درجة اولى الالباب لتاكيد استجابة الدّعوات المذكورة والتعبير عن
ترك الاثابة بالاضاعة مع انّه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها
ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة مايستحيل صدوره عنه من القبايح وابراز
الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول اى قائلا انّى الخ فلا التفات حينئذ و
قرئ لااضيّع بالتشديد ومن متعلّقة بمحذوف وقع صفة لعامل اى عامل كائن منكم وقوله تعالى من ذكر
او انثى بيان لعامل وتاكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم من بعض جملة معترضة مبنيّة لسبب انتظام
النّساء فى سلك الرّجال فى الوعد فان كون كلّ منهما من الاخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتّصال
بينهما او لاتفاقهما فى الدين والعمل ممّا يستدعى الشّركة والاتحاد فى ذلك روى ان ام سلمة رضى الله عنها
قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى اسمع الله تعالى يذكر الرّجال فى الهجرة ولايذكر النّساء فنزلت وقوله
تعالى فالّذين هاجروا ضرب تفصيل لما اجمل فى العمل وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح و
التعظيم اى فالذين هاجروا الشّرك او الاوطان والعشاير للّذين وقوله تعالى واخرجوا من ديارهم على الاول
عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثانى عن كيفيّتها وكونها بالقسر والاضطرار واوذوا فى سبيلى اى بسبب
ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكلّ اذية نالتهم من قبل المشركين وقاتلوا اى الكفّار فى سبيل الله تعالى
وقتلوا استشهدوا فى القتال وقرئ بالعكس لما انّ الواو لاتستدعى الترتيب او لان المراد قتل بعضهم وقتال الاخرين
اذ ليس المعنى على اتصاف كلّ فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد ممّا ذكر فى حيّز الصّلة بل على اتّصاف
الكلّ بالكل فى الجملة سواء كان ذلك باتصاف كلّ فرد من الموصول بواحد من الاوصاف المذكورة او باثنين منها
او باكثر امّا بطريق التّوزيع او بطريق حذف بعض الموصولات من البين كما هو راى الكوفيين كيف لا ولو

ادبر الحكم على اتّصاف كلّ فرد بالكلّ لكان قد اضيع عمل من اتصف بالبعض وقرئ قتّلوا بالتشديد لاكفّرن
عنهم سيّاتهم جواب قسم محذوف اى والله لاكفّرن والجملة القسميّة خبر للمبتداء الّذى هو الموصول وهذا
تصريح بوعد ماساله الدّاعون بخصوصه بعد ما وعد ذلك عمومًا وقوله تعالى ولادخلنّهم جنّاتٍ
تجرى من تحتها الانهار اشارة الى ما عبّر عنه الدّاعون فيما قبل بقولهم واتنا ما وعدتنا على رسلك وتفسير له
ثوابًا مصدر مؤكّد لما قبله فان تكفير السيّات وادخال الجنّة فى معنى الاثابة وقوله تعالى من عند الله
متعلّق بمحذوف هو صفة له مبنيّة لشرفه اى لاثيبنّهم اثابة كائنة او تثويبًا كائنًا من عند الله تعالى
بالغًا الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى والله عنده حسن الثّواب اعتراض تذييلى مقرّر
لمضمون ما قبله والاسم الجليل مبتداء خبره عنده وحسن الثّواب مرتفع بالظّرف على الفاعليّة لاعتماده على
المبتداء او هو مبتداء ثان والظّرف خبره والجمله خبر للمبتداء الاوّل والعندية عبارة عن الاختصاص به
تعالى مثل كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لايقدر عليه غيره بحال شئ يكون بحضرة احد لايد عليه لغيره
فالاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدمًا لحسن الثّواب اولا وفى تصدير الوعد
الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذى لايقادر قدره من لطف المسلك المنبئ
عن عظم شان المحسن ما لا يخفى لايغرّنّك تقلّب الّذين كفروا فى البلاد بيان لقبح ما اوتى الكفرة من حظوظ
الدّنيا وكشف عن حقارة شانها وسوء مغبّتها اثر بيان حسن ما اوتى المؤمنون من الثواب والخطاب
للنبىّ صلى الله عليه وسلم على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى ولا تطع المكذّبين او على المراد
نهى المؤمنين كما يوجّه الخطاب الى مدارة القوم ورؤسائهم والمراد افناؤهم او لكلّ احدٍ ممّن يصلح للخطاب
من المؤمنين والنّهى للمخاطب وانّما جعل للتقلّب مبالغة اى لا تنظروا الى ما عليه الكفرة من السّعة ووفور
الحظ ولا تغترّ بظاهر ما ترى منهم من التبسّط فى المكاسب والمتاجر والمزارع روى ان بعض المؤمنين
كانوا يرون المشركين فى رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما يرى من الخير وقد هلكنا
من الجوع والجهد فنزلت وقرئ ولا يغرنك بالنّون الخفيفة متاع قليلٌ خبر لمبتداء محذوف اى هو
متاع قليل لا قدر له فى جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى قال عليه السلام ما الدّنيا فى الآخرة الّا مثل
ما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بما يرجع فاذن لا يجدى وجوده لواجديه ولا يضر فقدانه لفاقديه
ثمّ ماواهم اى مصيرهم الّذى ياوون اليه لا يبرحونه جهنّم الّتى لا يوصف عذابها وقوله تعالى
وبئس المهاد ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها ممّا جنته انفسهم وكسبته ايديهم والمخصوص بالذم محذوف
اى بئس ما مهّدوا لانفسهم جهنم لكن الّذين اتّقوا ربّهم لهم جنّات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين غبّ بيان وتكرير له اثر تكرير مع زيادة خلودهم
فى الجنّات ليتم بذلك سرورهم ويزداد تبجّحهم ويتكامل به سوء حال الكفرة وايراد التّقوى فى حيّز الصّلة
للاشعار بكون الخصال المذكورة فى باب التّقوى والمراد به الاتقاء من الشّرك والمعاصى فالموصول مبتداء والظّرف
خبره وجنات مرتفع به على الفاعليّة لاعتماده على المبتداء او الظّرف خبرٌ لجنّات والجملة خبر للموصول

وخالدين

وخالدين فيها اى فى الجنّات حال مقدّرة من الضّمير او من جنّات لتخصّصها بالوصف والعامل ما فى الظّرف
من معنى الاستقرار نزلا من عند الله وقرئ بسكون الزّاء وهو ما يعدّ للنّازل من طعام وشراب وغيرهما
قال ابو الشّعر الضبى وكنا اذ الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات له نزلا وانتصابه على
الحاليّة من جنّات لتخصّصها بالوصف والعامل فيه ما فى الظّرف من الاستقرار وقيل هو مصدر مؤكّد
كانّه قيل رزقا او عطاء من عند الله تعالى وما عند الله خيرٌ مبتداء وخبر وقوله تعالى للابرار
متعلّق بمحذوف هو صفة لخير اى ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدّائمة خير كائن للابرار
اى ممّا يتقلّب فيه الفجّار من المتاع القليل الزّايل والتّعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصّفات المعدودة
من اعمال البرّ كما انّها من قبيل التّقوى والجملة تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله
جملة مستانفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلّهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف
الكتاب وغير ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم
اربعون من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الرّوم كانوا نصارى فاسلموا وقيل
المراد به اصحمة النّجاشى فانّه لمّا مات نعاه جبرئيل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام
اخرجوا فصلّوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع فنظر الى ارض حبشة فابصر سرير النجاشى
وصلّى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلّى على علج نصرانى لم يره قطّ وليس على
دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظّرف بينهما كما فى قوله تعالى وان منكم
لمن ليبطّئنّ وما انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من الكتابين وتاخير ايمانهم بهما عن ايمانهم
بالقران فى الذّكر مع انّ الامر بالعكس فى الوجود لما انّه عيار ومهيمن عليهما فان ايمانهم انّما يعتبر
بتبعيّة ايمانهم اذ لا عبرة باحكامهما المنسوخة وما لم ينسخ منها انّما يعتبر من حيث ثبوته بالقران
ولتعلّق ما بعده بهما والمراد بايمانهم بها ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو دين المحرفين
واتباعهم من العامة خاشعين لله حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون بايات الله
ثمنًا قليلًا تصريح بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله ونظمها فى سلك محاسنهم ليس من حيث
عدم الاشتراء فقط بل لتضمّن ذلك لاظهار ما فى الكتابين من شواهد نبوّته صلّى الله عليه وسلّم
اولئك اشارة اليهم من حيث اتّصافهم بما عدّ من صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة
على علوّ رتبتهم وبعد منزلتهم فى الشّرف والفضيلة وهو مبتداء خبره قوله تعالى لهم وقوله
تعالى اجرهم اى المختصّ بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرّتين وقوله تعالى
يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظّرف على الفاعليّة او على الابتداء والظّرف خبره والجملة خبر
لاولئك وقوله تعالى عند ربّهم نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كالصّفة
انّ الله سريع الحساب لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقّه كلّ عامل من الاجر من غير حاجة
الى تامّل والمراد بيان سرعة وصول الاجر الموعود اليهم يا ايها الّذين امنوا اثر ما بين فى تضاعيف

السورة الكريمة فنون الحكم والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا اى على مشاق
الطاعات وغير ذلك من المكاره والشدايد وصابروا اى غالبوا اعداء الله تعالى بالصبر فى مواطن
الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر
لكونها اشد منه واشق ورابطوا اى اقيموا فى الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين
له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم
من رابط يوما وليلة فى سبيل الله تعالى كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه لا يفطر ولا
ينفتل عن صلوته الا لحاجة واتقوا الله فى مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر فى تضاعيف
السورة الكريمة اندراجا اوليا لعلكم تفلحون كى تنتظموا فى زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب
الناجين عن كل مكروب عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التى يذكر فيها ال عمران يوم
الجمعة صلى الله عليه والملئكة حتى يحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهى مائة وخمس وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم فى سلكهم من الموجودين ح والحادثين
بعد ذلك الى يوم القيمة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان خطاب المشافهة لا يتناول القاصرين
عن درجة التكليف الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الاخرين واما بطريق تعميم
حكمه لما بدليل خارجى فان الاجماع منعقد على ان اخر الامة مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله
عليه السلام الحلال ما جرى على لسانى الى يوم القيمة والحرام ما جرى على لسانى الى يوم القيمة وقد
فصل فى موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم فى الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهى بمن
يتصور منه الامتثال واما ادراجهم فى خطاب ما عداهما مما له دخل فى تاكيد التكليف وتقوية الايجاب
فستعرف حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر فى قوله عز وجل
اتقوا ربكم فواردة على طريقة التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن
فى الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجى وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعى تخصيص
لفظ الناس ببعض افراده والمامور به اما مطلق التقوى التى هى التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك
واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اى اتقوه فى مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق او فى مخالفة
تكاليفه الواردة ههنا وايا ما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتربية مع الاضافة
الى ضمير المخاطبين لتاييد الامر وتاكيد ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا
وصف الرب بقوله تعالى الذى خلقكم من نفس واحدة فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط البديع
لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التى من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا يقادر
قدرها من اقوى الدواعى الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله تعالى

الام

اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هى نفس ادم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن الاخلال بمراعاة ما بينهم
من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب فى ربكم وخلقكم بالامم السالفة ايضا مع اختصاصه فيما قبل بالمامورين بناء
على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من مؤكدات الامر بالتقوى وموجبات الامتثال به تفكيك
للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمامورين من نفس ادم عليه السلام حيث كان بواسطة ما بينهم
وبينه عليه السلام من الاباء والامهات كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض لخلق الوسايط جميعا وكذا
التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن للتعرض لربوبيته لاصولهم قاطبة لاسيما وقد نطق بذلك قوله
عز وجل وخلق منها زوجها فانه مع ما عطف عليه صريح فى ذلك وهو معطوف اما على مقدر ينبئ عنه سوق
الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعى انشاء ذلك الاصل لا محالة كانه قيل خلقكم من نفس واحدة
خلقها اولا وخلق منها زوجها الخ وهو استيناف مسوق لتقرير وحدة المبداء وبيان كيفية خلقهم منه و
تفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه فى حيز الصلة مقرر ومبين
لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول كما فى قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا
ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم الخ لاظهار ما بين الخلقين من التفاوت فان الاول بطريق التفريع
من الاصل والثانى بطريق الانشاء من المادة فانه تعالى خلق حواء من ضلع ادم عليه السلام روى انه
عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما هو بين النائم واليقظان خلق حواء من
ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتاخير ذكر خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم
ادخل فى تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من تذكير خلقها وتقديم الجار والمجرور
للاعتناء ببيان مبدائيته عليه السلام لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها بعنوان
الزوجية تمهيد لما بعده من التناسل وبث منهما اى نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق
التوالد والتناسل رجالا كثيرا نعت لرجالا مؤكد لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع
او العدد وقيل هو نعت لمصدر مؤكد للفعل اى بثا كثيرا ونساء اى كثيرة وترك التصريح بها للاكتفاء
بالوصف المذكور وايثارهما على ذكورا واناثا لتاكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة
لمبدائية غيره وقرئ وخالق وبات على حذف المبتداء اى وهو خالق وبات واتقوا الله الذى تساءلون به
تكرير للامر وتذكير لبعض اخر من موجبات الامتثال فان سؤال بعضهم بالله تعالى بان يقولوا اسالك
بالله وانشدك الله على سبيل الاستعطاف يقتضى الاتقاء من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقاء
بالاسم الجليل لمزيد التاكيد والمبالغة فى الحمل على الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل
لا بغيره من اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التائين تخفيفا وقرئ بادغام
تاء التفاعل فى السين لتقاربهما فى الهمس وقرئ تسالون من الثلاثى اى تسالون به غيركم وقد فسر به
القراءة الاولى والثانية وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما فى قولك رايت الهلال وتراءيناه وبه فسر
عمر يتساءلون على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار

والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرو وبنصره قراءة تساءلون به وبالارحام فانهم كانوا يقرؤنها فى السؤال
والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسئلك بالله وبالرحم عطفاً على الاسم الجليل اى اتقوا الله والارحام و
صلوها ولا تقطعوها فان قطيعتها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتاده والسدى والضحاك والفراء
والزجاج وقد جوز الواحدى نصبه على الاغراء اى والزموا الارحام وصلوها وقرى بالجر عطفا على الضمير
المجرور وبالرفع على انه مبتداء محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اى مما ينبغى او يتساءل به ولقد نبه
سبحانه وتعالى حيث من نها باسم الجليل على ان صلتها بمكان منه كما فى قوله تعالى ان لا تعبدوا الا اياه
وبالوالدين احسانا وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلنى وصله الله ومن
قطعنى قطعه الله **ان الله كان عليكم رقيبا** اى مراقبا وهى صيغة مبالغة من رقب يرقب رقبا ورقوبا
ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اى حافظا مطلقا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال والاقوال وعلى
ما فى ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال واظهار الاسم
الجليل لتاكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل **واتوا اليتامى اموالهم** شروع فى تفصيل موارد
الاتقاء ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم ما يتعلق باليتامى
كمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاولياء والاوصياء وقلما يفوض الوصاية الى
الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتيم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه على يتامى اما لانه
لما جرى مجرى الاسماء جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان من وادى الافات جمع على يتمى
ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق يقتضى صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار مبنى على
العرف واما قوله صلى الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اى لا يجرى
على اليتيم بعده حكم الايتام بعده والمراد بايتاء اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف اكفهم
الخاطعة عن اختزالها وتركها على حالها غير معترض لها بسوء حتى تاتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبى عنه ما بعده
من النهى عن التبدل والاكل لا الاعطاء بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد على ما ينطق به قوله
تعالى اذا بلغوا الاية وانما عبر عما ذكر بالايتاء مجاز للايذان بانه ينبغى ان يكون مرادهم بذلك ايصالها
اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص بمن يتولى
امرهم من الاولياء والاوصياء وشمول حكمه لاولياء من كان بالغا عند نزول الاية بطريق الدلالة دون
العبارة واما من جرى عليه اليتم فى الجملة مجازا اعم من ان يكون كذلك عند النزول او بالغا فالامر شامل
لاولياء الفريقين صيغة موجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب
الدفع الى الكبار فمستفادهما سياتى من الامر وقيل المراد بهم الصغار وبالايتاء الاعطاء فى الزمان المستقبل
وقيل اطلق اسمهم على الكبار بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثا للاولياء على المسارعة الى دفع
اموالهم اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزل عنهم اسمهم المعهود فالايتاء بمعنى الاعطاء بالفعل ويا باهما ما ستاتى
من قوله تعالى وابتلوا اليتامى الخ فان ما فيه من الامر بالدفع وارد على وجه التكليف الابتدائى على وجه

تعيين وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى المفعولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجاز بطريق التغليب
مع تعميم الايتاء للايتاء حالا او للايتاء مالا وتعميم الخطاب لاولياء كلا الفريقين على من بلغ منهم فوليه مامور
بالدفع اليه بالفعل ومن لم يبلغ بعد فوليه مامور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا فمع ما سبق تكلف لا يخفى
فانسب ما تقدم من حمل ايتاء اموالهم اليهم على ما يودى اليه من ترك التعرض لها بسوء كما يلوح به التعبير عن
الاعطاء بالفعل بالدفع سواء اريد باليتامى الصغار او ما يعم الصغار والكبار حسبما ذكر انفا واما ما روى
من رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له فلما بلغ طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال
اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فغير قادح فى ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ
لا لخصوص السبب **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** نهى عن اخذ مال اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهى الضمنى
عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشئ بالشئ واستبداله به اخذ الاول بدل الثانى بعد ان كان حاصلا
له او فى شرف الحصول يستعملان ابدا بافضائهما الى الحاصل بانفسهما والى الزايل بالباء كما فى قوله تعالى
ومن يتبدل الكفر بالايمان الخ وقوله تعالى اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير اما التبديل
فيستعمل تارة كذلك كما فى قوله تعالى فبدلناهم بجنتيهم جنتين الخ واخرى بالعكس كما فى قولك بدلت
الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها خاتما نص عليه الازهرى وتارة اخرى بافضائه الى مفعوليه بنفسه
كما فى قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات والمراد بالخبث والطيب ان كان هو الحرام والحلال فالمنهى
استبدال مال اليتيم لما انفسهم مطلقا كما قاله الفراء والزجاج وقيل معناه لا تذروا اموالكم الحلال وتاكلوا
الحرام من اموالهم فالمنهى عنه اكل ماله مكان مالهم المحقق او المقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه
وايا ما كان وانما عبر عنهما بهما تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه وتصوير المعاملتهم بصورة ما لا
يصدر عن العاقل وان كان هو الردى والجيد فمورد النهى ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم و
اعطاء الردى من مال انفسهم وبه قال سعيد بن المسيب والنخعى والزهرى والسدى وتخصيص هذه
المعامله بالنهى لخروجها مخرج العادة لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبديل الخبيث بالطيب مع
انها تبديله به او تبدل الخبيث بالطيب فللايذان بان الاولياء حقهم ان يكونوا فى المعاوضات عاملين
لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه قاصدين لجلب المجلوب اليه مشترى كان او ثمنا لا لسلب المسلوب
عنه **ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم** نهى عن منكر اخر كانوا يتعاطونه اى لا تاكلوها مضمومة الى اموالكم
ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذاك حرام وقد خص من ذلك مقدار اجر المثل عنه كون الولى فقيرا
انه اى الاكل المفهوم من النهى **كان حوبا** اى ذنبا عظيما وقرى بفتح الهاء وهو مصدر حاب حوبا
وقرى حابا وهو ايضا مصدر كقال قولا وقالا **كبيرا** مبالغة فى بيان عظم ذنب الاكل المذكور كانه
قيل من كبار الذنوب العظيمة لا من افنائها **وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى** الاقساط العدل وقرى بفتح التاء
فقيل هو من قسط اى جار ولا مزيدة كما فى قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى
ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما فى قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا عبر عنه

بذلك ايذانا بكون المعلوم نحو فامحذور الا معناه الحقيقى لان الذى علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور
المخوف لا الخوف والا لم يكن الامر شاملا لمن يصر على الجور ولا يخافه وهذا شروع فى النهى منكر اخر كانوا
يباشرونه متعلق بانفس اليتامى اصالة وباموالهم بتعاقيب النهى عما يتعلق باموالهم خاصة وتاخيره عنه
لقلة وقوع المنهى عنه بالنسبة الى الاول ونزوله منه منزلة المركب من المفرد وذلك انهم كانوا يتزوجون
من يحل لهم من اليتامى اللاتى يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل فيما لهن ويسيئون فى الصحبة والمعاشرة و
يتربصون بهن اى بموتهن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هى اليتيمة تكون فى حجر وليها فيرغب فى مالها
وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان تقسطوا لهن فى اكمال الصداق
وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهرى رواية عن عروة عن عايشة رضى الله عنها
واما اعتبار اجتماع كثير منهن كما اطبق عليه اكثر اهل التفسير حيث قالوا كان الرجل يجد اليتيمة لها
مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن الخ فلا يساعده الامر
بنكاح غيرهن فان المحذور يندفع بتقليل عددهن اى وان خفتم ان لا تعدلوا فى حق اليتامى اذا تزوجتم
بهن باساءة العشرات ونقص الصداق **فانكحوا ما طاب لكم** ما موصولة او موصوفة ما بعدها صلتها
او صفتها اوثر على من ذهابا الى الوصف وايذانا بانه المقصود بالذات والغالب فى الاعتبار لا بناء
على ان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء لاخلاله مقام الترغيب فيهن وقرئ ابن ابى عبلة
من طاب ومن فى قوله عز وجل من النساء بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة
المقام اى فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات وفى ايثار الامر بنكاحهن على النهى عن نكاح اليتامى
مع انه المقصود بالذات مزيد لطف فى استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت
منه كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذى اشير اليه فيه مبالغة فى الاستمالة اليهن والترغيب
فيهن وكل ذلك للاعتناء بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر فى توجيه النهى الضمنى الى النكاح المترقب
مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق لما فيه من المسارعة الى دفع الشر قبل وقوعه فرب واقع لا يرفع
والمبالغة فى بيان حال النكاح المحقق فان محظورية المترقب فيه حيث كانت للجور المترقب فيه فمحظورية
المحقق مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحل اى ما حل لكم شرعا لان ما استطابوه شامل
للمحرمات ولا مخصص بمن عداهن وفيه فرار من محذور ووقوع فيما هو افظع منه لان ما حل لهم مجمل وقد تقرر
ان النص اذا تردد بين الاجمال والتخصيص يحمل على الثانى لان العام المخصوص حجة فى غير محل التخصيص والمجمل
ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا ولئن جعل قوله تعالى حرمت عليكم الخ والا على التفصيل بناء على ادعاء
تقدمه فى التنزيل فليجعل دالا على التخصيص **مثنى وثلاث ورباع** معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة
لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل للعدل والصفة فانها بنيت صفات
وان لم يكن اصولها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع ومحلهن النصب على انها حال
من فاعل طاب مؤكدة لما افاده وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة اليهن بتوسيع دائرة الاذن

اى فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلثا ثلثا واربعا اربعا حسبما تريدون على معنى
ان كل واحد منهم ان يختار اى عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان بعضها لبعض منهم وبعضا لبعض
اخر كما فى قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ولو افردت لفهم
منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف فى العدد
هذا وقد قيل فى تفسير الاية الكريمة لما نزلت الاية فى اليتامى وما فى اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ
الاولياء يتحرجون من ولايتهم خوفا من لحوق بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل
فى حقوق النساء حيث كان تحت الرجل منهم عشر منهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل فقللوا عدد المنكوحات
لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون
من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور فى حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم
من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعده بما حاته النظم الكريم لا سيما على تقدير
نزول الاية الاولى وشيوعها بين الناس مع ظهور توقف حكمها على ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا
السفهاء الى قوله تعالى وكفى بالله حسيبا **فان خفتم الا تعدلوا** اى فيما بينهن ولو فى اقل الاعداد المذكورة
كما خفتموه فى حق اليتامى او كما لم تعدلوا فى حقهن او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه الاعداد **فواحدة** اى فالزموا
او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اى فالمقنع واحدة او فحسبكم واحدة **او ما ملكت
ايمانكم** اى من السرارى بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة على ان اللزوم والاختيار
فيه بطريق التسرى لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك النكاح على ملك اليمين
بموجب اتحاد المخاطبين فى الموضعين بخلاف ما سياتى من قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح
المحصنات فمما ملكت ايمانكم فان المامور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك اليمين وانما سوى فى السهولة
واليسر بين الحرة الواحدة وبين السرارى من غير حصر فى عدد لقلة تبعتهن وقلة مؤنتهن وعدم وجوب
القسم فيهن وقرئ او من ما ملكت ايمانكم وما فى القراءة المشهورة للايذان بقصور رتبتهن عن رتبة العقلاء
ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى **ادنى ان لا تعولوا** العول الميل من قولهم عال الميزان عولا
اذا مال وعال فى الحكم اى جار والمراد ههنا الميل المحظور المقابل للعدل اى ما ذكر من اختيار الواحدة والتسرى
اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه راسا بانتفاء محله فى الاول وانتفاء خطره
فى الثانى بخلاف اختيار العدد فى المهائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل والخطر ومن ههنا تبين
ان مدار الامر هو عدم العول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بان لا يكثر عيالكم على انه من عال الرجل
عيالة بعولهم اى مانهم فقبر عن العيال بكثرة المؤنة على طريق الكناية ويؤيدها قراءة ان لا تعيلوا
من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه كون التسرى مظنة قلة العيال مع جواز الاستكثار من السرارى
انه يجوز العزل عنهن بغير رضاهن ولا كذلك المهائر والجملة مستانفة جارية مما قبلها مجرى التعليل
واتوا النساء اى اللاتى امر بنكاحهن **صدقاتهن** جمع صدقة كسمرة وهى المهر وقرئ بسكون الدال على

التخفيف وبضمّ الصّاد وسكون الدّال جمع صدقة كغرفة وبضمّها على التّوحيد وهو تثقيل صدقة كظلم في ظلمة قال ابن عبّاس وقتاده وابن جريج وابن زيد فريضة من الله تعالى لانّهما ممّا فرضه تعالى في النحلة اى الملة والشرعة والدّيانة فانتصابها على الحالية من الصّدقات اى اعطوهنّ مهورهنّ حال كونها فريضة منه تعالى وقال الزّجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول له اى اعطوهنّ ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة اى هبة وعطيّة من الله تعالى وتفضلا منه عليهنّ فانتصابه على الحاليّة منها ايضا وقيل عطيّة من جهة الازواج من نحلة كذا اذا اعطاه ايّاه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحله ونحلا والتعبير عن ايتاء المامور بالنحلة مع كونها واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضا وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة بمعنى الاعطاء كانّه قيل وانحلوا النّساء صدقاتهنّ نحلة اى اعطوهنّ مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحاليّة من ضمير آتوا اى آتوهنّ صدقاتهنّ ناصلين طيبي النّفوس بالاعطاء او من الصّدقات اى منحولة معطاة عن طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانّهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنالك النافجة لمن يولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اى تعظم **فان طبن لكم عن شىء منه** الضمير للصّدقات وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانّه قد يشار به الى المتعدّد كما فى قوله تعالى عزّ وجل قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشّهوات المعدودة وقد روى عن روبة انه حين قيل له فى قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانّه فى الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط ينبغى ان تقول كانها وان اردت السواد والبلق ينبغى ان تقول كانّهما قال لكنّى اردت كان ذلك او للصّداق الواقع موقعه صدقاتهنّ كانّه قيل فاصدق واكن واللام متعلقة بالفعل وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافى التجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشىء اى كائن من الصّداق وفيه بعث لهنّ اى تعليل الموهوب **نفسًا** تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اى ان وهبن لكم شيئا من الصّداق متجافيا عنه نفوسهنّ طيّبات غير مخبثات بما يضطرهنّ الى البذل من شكاية اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن عدل عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة فى الامر انما هو طيب النفس وتجافيها عن الموهوب بالمرّة **فكلوه** اى فخذوا ذلك الشىء الذى طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملّكا وتخصيص الاكل بالذكر لانه معظم وجوه التصرفات الماليّة **هنيئا مريئا** صفتان من هنؤ الطّعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغص فيه وقيل الهنيئ الذى يلذه الاكل والمرى ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ فى مجراه الّذى هو المرئ وهو ما بين الحلقوم الى فم المعدة سمى بذلك لمروء الطعام فيه اى انساغه ونصبهما على انّهما صفتان للمصدر اى اكلا هنيئا مريئا او على انّها حال من الضّمير المنصوب اى كلوه وهو هنئ مرئ وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء او على انّهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنئا مرأً وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة فى الاباحة وازالة التبعة روى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا ممّا ساقه اليها فنزلت **ولا تؤتوا السّفهاء اموالكم** رجوع الى بيان بقيّة الاحكام المتعلقة باموال اليتامى

وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهنّ اعنى نكاحهنّ وبيان بعض الحقوق المتعلّقة بغيرهنّ من الاجنبيّات من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين من اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهى لليتامى لا لنظر الى كونها تحت ولايتهم كما قيل فانّه غير مصحّح لاتصافها بالوصف الآتى بل تنزيلا فكان اموالهم عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتّحاد والجنسى والنّسبى مبالغة فى حملهم على المحافظة عليها كما فى قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم اى لا يقتل بعضكم بعضًا حيث عبر عن بنى نوعهم بانفسهم مبالغة فى زجرهم عن قتلهم فكان قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبّر عن جعلها مناطا المعاش لاصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاولياء فقيل **التى جعل الله لكم قيامًا** اى جعلها الله شيئا تقومون به وتتعيشون على حذف المفعول الاوّل فلو ضيّعتموه لضعتم ثم زيد فى المبالغة حتى جعل ما به القيام قياما فكانها فى انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انّما اضيفت الى الاولياء لانّهما من جنس ما يقيم النّاس معايشهم حيث لم يقصد بها الخصوصيّة الشخصيّة بل الجنسيّة التى هى معنى ما يقام به المعاش ويميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهى بهذا الاعتبار لا يختصّ باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل عن حمل الاولياء على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسيّة الماليّة ليست مختصّة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هى متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه لاعتبارها اصلا وقرئ اللّاتى واللّواتى وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا المعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف وهو ما يقام به الشئ او مصدر قاوم وقرى بفتحها **وارزقوهم فيها واكسوهم** اى واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم بان تتجروا وتتربحوا حتى تكون نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد نهيه عن ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له من شانه واولاده ووكلائه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة النظم الكريم **وقولوا لهم قولا معروفا** اى كلاما ليّنا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلّمنا اليكم اموالكم وكلما سكنت اليه النّفس لحسنه شرعا او عقلا فهو منكر **وابتلوا اليتامى** شروع فى تعيين وقت تسليم اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها عن الاطلاق والنّهى عنه عند كون اصحابها سفهاء اى واختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ بتتبع احوالهم فى صلاح الدّين والاهتداء الى ضبط المال وحسن التصرّف فيه وجرّبوه بما يليق بحالهم فان كانوا من اهل التجارة فبان تعطوهم منه ما يتصرفون فيه بيعًا وابتياعًا وان كانوا ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يتصرفون الى نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وساير مصارفهم حتى يتبيّن لكم كيفيّة احوالهم **حتّى اذا بلغوا النّكاح** بان يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح **فان آنستم** اى شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم بمعنى احسستم كما فى قول من قال خلا ان العتاق من المطايا احسن به وهنّ اليه شوس **منهم رشدًا** اى اهتداء الى وجوه التّصرفات من غير عجز وتبذير وتفديم

الجار والمجرور على المفعول للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وللاعتداد بما ايته له والتنوين للدلالة
على كتابة رشد فى الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمها فادفعوا اليهم اموالهم من غير تاخير عن
حد البلوغ وفى ايثار الدفع الابناء الوارد فى اول الامر ايذان بتفاوتهما بحسب المعنى كما اشير اليه فيما
سلف ونظم الاية الكريمة ان حتى هى التى يقع بعدها الجمل كالتى فى قوله فما زالت القتلى تمج دماؤها
بدجلة حتى ماء دجلة اشكل وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط بلغوا وجزاء
الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى اى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط
ايناس الرشد منهم وظاهر الاية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه ماله ابدا
وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة رحمهم الله ينتظر الى الخمسة وعشرين سنة لان البلوغ بالسن
ثمانى عشر سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير احوال الانسان لما قال عليه
السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشدا او لم يونس ولا تاكلوها اسرافا وبدارا
ان يكبروا اى مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون فى انفاقها وتقولون
ننفق كما نشتهى قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوا من ايدينا والجملة تاكيد للامر بالدفع وتقريرلها وتمهيد لما
بعدها من قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف اى من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه
من اكلها وليقنع بما اتاه الله تعالى من الغنى والرزق اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله ومن
كان من الاولياء والاوصياء فقيرا فلياكل بالمعروف بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته
وفى لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف ما يدل على ان للوصى حقا لقيامه عليها عن النبى صلى الله عليه
وسلم ان رجلا قال له عليه السلام ان فى حجرى يتيما ا اكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا
واق مالك بماله وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان ولى اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان
كنت تبغى ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك
فى الحلب وعن محمد بن كعب يتقوم كما يتقوم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبى
ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضى وعن مجاهد يستسلف
فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستر من الثياب
واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو فى حل وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
انى انزلت نفسى من مال الله عز وجل منزلة والى اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت
بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف ابلغ من عف كانه يطلب زيادة العفة فاذا دفعتم اليهم
اموالهم بعد ما راعيتم الشرايط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام فاشهدوا
عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة وادخل فى
الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصى مصدق فى الدفع مع اليمين
خلافا لمالك والشافعى رحمهما الله تعالى وكفى بالله حسيبا اى محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا ما حد

لكم

لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون شروع فى بيان احكام المواريث بعد بيان احكام اموال
اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاقربين المتوارثون منهم ومن فى مما متعلقة بمحذوف وقع
صفة لنصيب اى لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب وللنساء نصيب مما ترك الوالدان
والاقربون ايراد حكمين على الاستقلال دون الدرج فى تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال والنساء
الخ للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن فى استحقاق الارث والاشارة من اول الامر الى تفاوت ما بين
نصيبى الفريقين والمبالغة فى ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال ويقولون
انما يورث من يحارب ويذب عن الحوزة روى ان اوس بن ثابت الانصارى خلف زوجته ام كحة وثلاث
بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت ام كحة الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر ما يحدث الله تعالى فنزلت فارسل اليهما ان الله
قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال اوس شيئا حتى يبين فنزل يوصيكم الله الخ فاعطى ام كحة الثمن
والبنات الثلثين والباقى لابنى العم وهو دليل على جواز تاخير البيان عن الخطاب وقوله تعالى مما قل منه
او كثر بدل من ما الاخيرة باعادة الجار واليها يعود الضمير المجرور وهذا البدل مراد فى الجملة الاولى
ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفايدته دفع توهم اختصاص بعض الاموال ببعض الورثة كالخيل والات
الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد
كقوله تعالى فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة او على الحالية اذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك
الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص اى اعنى نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم
وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اى قسمة التركة وانما قدمت
مع كونها مفعولا لانها المبحوث عنها ولان فى الفاعل تعددا فلو روعى الترتيب يفوت تجاوب اطراف
احكام اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اى اعطوهم شيئا من
المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة تطييبا
لقلوب الطوايف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف فى نسخه وقولوا لهم قولا
معروفا وهو ان يدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو
تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه فى امر اليتامى
فيفعلوا بهم ما يحبون ان يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء
بان يخشوا ربهم او يخشوا اولاد المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوا ان يضر بهم بصرف
المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم
لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم هل يجوزون حرمانهم او للمؤمنين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا
فى الوصية ولو بما فى حيزها صلة للذين على معنى وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ورثة
ضعافا خافوا عليهم الضياع وفى ترتيب الامر عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم

وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى وضُعافى
فليتقوا الله فى ذلك والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وليقولوا قولاً سديداً امرهم بالتقوى التى هى
غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعات للمبداء والمنتهى اذ لا ينفع للاول بدون الخاتم امرهم بان يقولوا لليتامى
مثل ما يقولون لاولادهم بالشفقة وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف فى الوصية وتضييع الورثة
وتذكرة التوبة وكلمة الشهادة او لحاضرى القسمة عذراً او وعداً حسناً او يقولوا فى الوصية ما لا يؤدى الى
تجاوز الثلث وقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى استيناف جئ به لتقرير مضمون ما فصل من الاوامر
والنواهى ظلماً اى على وجه الظلم او ظالمين انما ياكلون فى بطونهم اى ملاء بطونهم ناراً اى ما يجر الى النار ويؤدى
اليها وعن ابى بردة قال صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوماً من قبورهم بتاجج افواههم ناراً فقيل من هم
فقال عليه السلام الم تر ان الله تعالى يقول ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلماً انما ياكلون فى بطونهم
ناراً وسيصلون سعيراً اى سيدخلون ناراً ابالله منهم الوصف وقرئ بضم الياء مخففاً ومشدداً من الاصلاء
والتصلية يقال صلى النار قاسروها وصليته شويته واصليته وصليته القيمه فيها والسعير فعيل بمعنى
مفعول من سوت النار اذا الهبتها روى ان اكل مال اليتيم يبعث يوم القيمة والدخان يخرج من قبره ومن
فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان ياكل مال اليتيم فى الدنيا وروى انه لما نزلت هذه
الاية ثقل ذلك على الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية فصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى
وان تخالطوهم الاية يوصيكم الله شروع فى تفصيل احكام المواريث المجملة فى قوله عز وجل للرجال نصيب الخ
واقسام الورثة ثلثة قسم لا يسقط بحال وهو الاباء والاولاد والازواج فهؤلاء قسمان والثالث الكلالة
اى يامركم ويعهد اليكم فى اولادكم اولاد كل واحد منكم اى فى شان ميراثهم بدئ بهم لانهم اقرب الورثة الى
الميت واكثرهم بقاء بعد المورث للذكر مثل حظ الانثيين جملة مستانفة جئ بها لتبيين الوصية وتفسيرها
وقيل محلها النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم ويسرع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما راه الفراء فانه
يجرى ما كان بمعنى القول من الافعال مجراه فى حكاية الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة الاية وقوله تعالى للذكر لا بد له من ضمير عايد الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره
كما فى قولهم السمن منوان بدرهم اى للذكر منهم وقيل الالف واللام قايم مقامه والاصل لذكر ومثل صفة
لموصوف محذوف اى للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداية ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على الانثى
كما انها المناط فى تضعيف حظه وايثار اسم الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء للتنصيص على استواء
الكبار والصغار من الفريقين فى الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر فى ذلك اصلا كما هو زعم اهل الجاهلية
حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء فان كن اى الاولاد والتانيث باعتبار الخبر وهو قوله تعالى نساء
اى خلصاً ليس معهن ذكر فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اى نساء زايدات على اثنتين فلهن ثلثا
ما ترك اى المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وان كانت اى المولودة واحدة اى امرأة واحدة ليس معها اخ
ولا اخت وعدم التعرض لظهوره مما سبق فلها النصف مما ترك وقرئ واحدة على كان التامة واختلف فى

البنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما
لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان
ثم لما اوهم ذلك ان يزاد النصيب بزيادة العدد رد بقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيد ذلك
ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها فى الاستحقاق فلان تستحقه مع مثلها اولى
واحرى وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين حيث قال تعالى فلهما الثلثان
مما ترك ولابويه اى لابوى الميت غير النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما قبله من الصور لكل واحد منهما
بدل منه بتكرير العامل وسط بين المبتداء الذى هو قوله تعالى السدس وبين خبره الذى هو لابويه ونقل
الخبرية اليه تنصيصاً على استحقاق كل منهما السدس وتاكيداً له بالتفصيل بعد الاجمال وقرئ السدس
بسكون الدال تخفيفاً وكذلك الثلث والربع والثمن مما ترك متعلق بمحذوف وقع حالا من السدس
والعامل الاستقرار المعتبر فى الخبر اى كائنا مما ترك المتوفى ان كان له ولد او ولد ابن ذكرا كان
او انثى واحداً او متعدداً غير ان الاب فى صورة الانوثة بعد ما اخذ فرضه المذكور ياخذ ما بقى من ذوى
الفروض بالعصوبة فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقى
للاب وانما لم يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث فى ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقى
للاب وتخصيص جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس
ايضا لما ان حظها احضر واستحقاقه اتم واوفر لان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا اذا لم يكن
معهما احد الزوجين اما اذا كان معهما ذلك فللام ثلث ما بقى فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس
رضى الله عنهما فانه يفضى الى تفضيل الام على الاب مع كونه اقوى منها فى الارث بدليل اضعافه عليها عند
انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة
اى عدد من له اخوة من غير اعتبار التثليث سواء كانت من جهة الابوين او من جهة احدهما وسواء كانوا
ذكورا او اناثا او مختلطين وسواء كان لهم ميراث او كانوا محجوبين بالاب فلامه السدس واما السدس الذى
حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه الجمهور وعند ابن عباس رضى الله عنهما
انه لهم على كل حال خلا ان هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث وبالاخوات الخلص وقرئ فلامه بكسر
الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتداء محذوف والجملة متعلقة بما تقدم جميعاً لا بما يليها
وحده اى هذه الانصباء للورثة من بعد اخراج وصيته يوصى بها اى الميت وقرئ مبنيا للمفعول مخففا
ومبنيا للفاعل مشددا وفائدة الوصف الترغيب فى الوصية والندب اليها او دين عطف على وصية
الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة او الاقرار فى الصحة وايثار
او المفيدة للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما فى الوجوب وتقدمهما على القسمة مجموعين او منفردين
وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها مظنة للتفريط
وادائها ولاطرادها بخلاف الدين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا الخطاب للورثة

فاباؤكم مبتداء وابناؤكم عطف عليه ولاتدرون خبره وايهم مبتداء واقرب خبره ونفعا نصب على التميز منه
وهو منقول من الفاعلية كانه قيل ايهم قرب لكم نفعه والجملة فى حيز النصب بلاتدرون والجملة الكبيرة اعتراضية
مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اى اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لاتدرون ايهم انفع لكم أمن يوصى
ببعض ماله فيعرضكم لثواب الآخرة بتنفيذ وصيته ام من لايوصى بشئ فيوفر عليكم عرض الدنيا وليس
المراد بنفى الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول والثانى فى حيز الاحتمال عندهم
من غير رجحان احدهما على الآخر كما فى قوله صلى الله عليه وسلم مثل امتى مثل المطر لايدرى اوله خير ام آخره
فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب فى تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول فى ضمن
التعريض بان لهم اعتقادا بانفعية الثانى مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية
باقربية النفع تذكيرا لمناط زعمهم وتعيينا لمنشأ خطائهم ومبالغة فى الترغيب المذكور بتصوير الثواب
الآجل بصورة العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير الحاضر كانه قيل لاتدرون ايهم انفع لكم فتحكمون
نظرا الى ظاهر الحال وقرب المنال بانفعية الثانى مع ان الاكثر بخلافه فان ثواب الآخرة لتحقق وصوله
الى صاحبه ودوام تمتعه به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحيوة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا
لسرعة نفاده وفنائه ابعد واقصى وقيل الخطاب للمورثين والمعنى لاتعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم
ومن فروعكم عاجلا واجلا فتحروا فى شانهم ما اوصاكم الله تعالى به ولاتعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان
بعض روى ان احد المتوالدين اذا كان ارفع درجة من الآخر فى الجنة سال ان يرفع اليه صاحبه فيرفع اليه
بشفاعته قيل فالجملة الاعتراضية ح مؤكدة لامر القسمة وانت خبير بانه مشعر بان مدار الارث ماذكر
من اقربية النفع مع انه العلاقة النسبية فريضة من الله نصبت نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اى فرض
الله ذلك فرضا او لقوله تعالى يوصيكم الله فانه فى معنى يأمركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اى بالمصالح
والرتب حكيما فى كل ماقضى وقدر فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا ولكم نصف ماترك
ازواجكم من المال شروع فى بيان احكام القسم الثانى من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما
لاحاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اى ولد وارث من بطنها او من صلب بنيها او بنى بنيها وان سفل
ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم الجمع منكم او من غيركم والباقى لورثتهن
من ذوى الفروض والعصبات او غيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث آخر اصلا فان كان لهن
ولد على نحو ما فصل فالفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقديم عدم الولد وبيان حكمه فلكم
الربع مما تركن من المال والباقى لباقى الورثة من بعد وصية متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده يوصين
بها فى محل الجر على انه صفة لوصية وفائدتها ما مر من ترغيب الميت فى الوصية وحث الورثة على تنفيذها
او دين عطف على وصية سواء كان ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو لما مر من الدلالة على
تساويهما فى الوجوب والتقدم على القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز كمال
العناية بتنفيذها ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد على التفصيل المذكور آنفا والباقى لبقية ورثتكم

من اصحاب

من اصحاب الفروض والعصبات او ذوى الارحام او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث آخر اصلا فان كان
لكم ولد على النحو الذى فصل فلهن الثمن مما تركتم من المال والباقى للباقين من بعد وصية توصون
بها او دين الكلام فيه كما فصل فى نظيره فرض للرجل بحق الزواج ضعف ما فرض للمراة كما فى النسب لمزيته
عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا فى الجهة
والقرب ولايستثنى عنه الا اولاد الام والمعتق والمعتقة ويستوى الواحدة والعدد منهن فى الربع
والثمن وان كان رجل شروع فى بيان احكام القسم الثالث من الورثة المحتمل للسقوط ووجه تاخيره
عن الاولين بين والمراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول من ورث لا من اورث
خبر كان اى يورث منه كلالة الكلالة فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء
استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على من لم يخلف ولدا
ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذى كلالة كما تطلق القرابة على ذوى القرابة
وقد جوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فنصبها اما على انها مفعول به اى يورث منه لاجل
القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير يورث اى حال كونه ذا كلالة او على انها خبر لكان ويورث
صفة لرجل اى ان كان رجل موروث ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء للفاعل مخففا
ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اى يورث وارثه
حال كونه ذا كلالة واما على انها مفعول به اى يورث ذا كلالة واما على انها مفعول له اى يورث لاجل
الكلالة او امراة عطف على رجل مقيد بما قيد به اى او امراة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره
للايذان بشرفه واصالته فى الاحكام وله اى للرجل ففيه تاكيد للايذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد
جريان ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت اى من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام
بنى الاعيان والعلات هى التى ذكرت فى آخر السورة الكريمة والجملة فى محل النصب على انها حال من ضمير
يورث او من رجل على تقدير كون يورث صفة له ومساقها لتصوير المسئلة وذكر الكلالة لتحقيق جريان
الحكم المذكور ان كان مع من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة واما جريانه فى صورة وجود الام او الجدة
مع ان قرابتها ليست بطريق الكلالة فبالاجماع فلكل واحد منهما من الاخ والاخت السدس من غير
تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء الى الميت بمحض الانوثة فان كانوا اكثر من ذلك اى اكثر من الاخ
او الاخت المنفردين بواحد او باكثر والفاء لما مر من ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع لذكر احتمال التعدد
يقتسمونه بالسوية والباقى لبقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات هذا واما تجويز ان يكون
يورث فى القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من اورث على ان المراد به الوارث والمعنى وان كان رجل
يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة اى غير والد وولد ولذلك الوارث اخ او اخت فلكل واحد
من ذلك الوارث واخيه او اخته السدس فان كانوا اكثر من ذلك اى من الاثنين بان كانوا ثلثة
او اكثر فهم شركاء فى الثلث الموزع لاثنين لايزاد عليه شئ فبمعزل من السداد اما اولا فلان المعتبر

فهم شركاء فى الثلث

على ذلك التقدير انّما هي الاخوّة بين الوارث وبين شريكه في الارث من اخيه او اخته لامابينه وبين مورثه من الاخوّة التي عليها يترتب حكم الارث وبها يتمّ تصوير المسئلة وانّما المعتبر بينهما الوراثة بطريق الكلالة وهي غاية لجميع صور القرابات التي لا يكون بالولاد فلا يكون نصيبه ولا نصيب شريكه ما ذكر بعينه ومن ادعى اختصاصها بالاخوّة لام متمسّكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة ههنا اولاد الام فقد اعترف ببطلان رايه من حيث لا يحتسب كيف لا ومبنا انّما هو الاجماع على انّ المراد بالاخوة في قوله تعالى وله اخ او اخت هو الاخوّة لام خاصّة حسبما شهدت به القراءة الحكيمة والاية الاتية في اخر السورة الكريمة ولولا ان الرّجل عبارة عن الميّت والاخوّة معتبرة بينه وورثته لما امكن كون الكلّ اولاد الام ثم ان الكلالة كما نبهت عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك والّا لاقتصر البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم وانّما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من كان لام خاصّة وانت خبير بان ذلك في قوّة الاجماع على ان يورث من ورث لامن اورث فتدبّر واما ثانيا فلانّه يقتضي ان يكون المعتبر في استحقاق الورثة للغرض المذكور اخوّة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر من الاجماع مع ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوّة من الجهتين واما ثالثا فلان حكم صورة انفراد الوارث عن الاخ والاخت يبقى ح غير مبين وليس من ضرورة كون حظ كل واحد منهما السّدس عند الاجماع كونه كذلك عند الانفراد الا يرى ان حظ كل من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد واما رابعا فلان تخصيص احد الورثة بالتوريث وجعل غيره تبعا له فيه مع اتحاد الكلّ في الادلاء الى المورث مما لا عهد **من بعد وصيّة يوصى بها او دين** الكلام فيه كالّذي في نظايره خلا ان الدّين ههنا موصوف بوصف الوصيّة جريا على قاعدة تقييد المعطوف بما قيّد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارّة فيه ايضا وذلك انّما يتحقق فيما يكون ثبوته بالاقرار في المرض كانه قيل او دين يوصى به **غير مضارّ** حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال في قوله عزّ وجل يسبّح له فيها بالغدوّ والاصال رجال على قراءة المبني للمفعول فاعل لفعل ينبئ عن المذكور ومن فاعل على الفعل المذكور والمحذوف اكتفاء به على قراءة البناء للفاعل او يوصى بما ذكر من الوصيّة والدّين حال كونه غير مضار للورثة بان يوصى بما زاد على الثلث او يكون الوصيّة لقصد الاضرار بهم دون القربة وبان يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميّت في حقهم **وصيّة من الله** مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته الذاتية بالفخامة الاضافية اي يوصيكم بذلك وصيّة كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله ولعل السّر في تخصيص كل منهما بمحله الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصيّة وان كان كلتاهما واجبة المراعاة او منصوب بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي معنى فيعمل في المفعول الصّريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضارّ

لوصيّة الله وعهده لان في شان الاولاد فقط كما قيل اذ لا تعلّق لهم بالمقام بل في شان الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلّها مندرجة تحت قوله تعالى يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارّتها الاخلال بحقوقهم ونقصهم بما ذكر من بما زاد على الثلث والوصيّة لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدّين كاذبا وايقاعها على الوصيّة مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله يا سارق اللّيلة اهل الدّار للمبالغة في الزجر عنها باخراجها مخرج مضارّة امر الله ومضادّته وجعل الوصيّة عبارة عن الوصيّة بالثّلث فما دونه يقتضي ان يكون غير مضارّ حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصيّة فقط وذلك يؤدي الى الفصل بين الحال وعاملها باجنبيّ هو المعطوف على وصيّة مع انه لا ينحسم به مادّة المضارّة لبقاء الاقرار بالدّين على اطلاقه **والله عليم** بالمضارّ وغيره **حليم** لا يعاجل بالعقوبة فلا تغترّ بالامهال وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار لادخال الرّوعة وتربية المهابة **تلك** اشارة الى الاحكام التي تقدّمت في شؤون اليتامى والمواريث وغير ذلك **حدود الله** اي شرايطه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها **ومن يطع الله ورسوله** في جميع الاوامر والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر انفا **يدخله جنّات** نصب على الظرفيّة عند الجمهور وعلى المفعوليّة عند الاخفش **تجري من تحتها الانهار** صفة لجنّات منصوبة حسب انتصابها **خالدين فيها** حال مقدّرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنّظر الى جمعيته من حيث المعنى كما ان افراد الضمير بالنّظر الى افراده لفظا **وذلك** اشارة الى ما مرّ من دخول الجنّات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال علوّ درجته **الفوز العظيم** الّذي لا فوز وراءه وصف الفوز وهو الظّفر بالخير بالعظم امّا باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز بالعظيم عظيم والجملة اعتراض **ومن يعص الله ورسوله** ولو في بعض الاوامر والنواهي قال مجاهد فيما اقتصّ من المواريث وقال عكرمة عن ابن عبّاس من لم يرض بقسم الله وتعدّى ما قال الله وقال الكلبي يعني ومن يكفر بقسمة المواريث **ويتعدّ حدوده** استحلالا او الاظهار في موقع الاضمار للمبالغة في الزجر بتهويل الامر وتربية المهابة ويتعدّ حدوده شرايعه المحدودة في جميع الاحكام فيدخل فيها ما نحن فيه دخولا اوّليا **يدخله** وقرئ بنون العظمة في الموضعين **نارا** اي عظيمة هائلة لا يقادر قدرها **خالدا فيها** حال كما سبق ولعل ايثار الافراد ههنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان بان الخلود في دار الثواب بصفة الاجتماع اجلب للانس كما انّ الخلود في دار العذاب بصفة الانفراد اشدّ في استجلاب الوحشة **وله عذاب مهين** اي وله مع عذاب الحريق الجسماني عذاب اخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الرّوحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حاليّة **واللّاتي ياتين الفاحشة من نسائكم** شروع في بيان بعض اخر من الاحكام المتعلقة بالنّساء اثر بيان احكام المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللّفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة اريد به الزّنا لزيادة قبحه والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها وغشيها وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ياتين اي اللّاتي يفعلن الزّنا كائنات **من**

نسائكم اى من ازواجكم كما فى قوله تعالى والذين يظاهرون من نسائهم وقوله تعالى من نسائكم اللاتى دخلتم
بهن وبه قال السدى فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما فى حيز
الصلة للحكم اى فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم فان شهدوا
عليهن بذلك فامسكوهن فى البيوت اى فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفيهن الى ان يستوفى
ارواحهن الموت وفيه تهويل للموت وابرازله فى صورة من يتولى قبض الارواح وتوفيها او يتوفيهن
ملئكة الموت او يجعل الله لهن سبيلا اى يشرع لهن حكما خاصا بهن ويعين لعل التعبير عنه بالسبيل للايذان
بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف من الحبس كما قاله مسلم واللذان ياتيانها منكم هما الزانى
والزانية بطريق التغليب قال السدى اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما اخف من
الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا انه سعى حكم الزانى المحصن بهما لاختصاص العقوبة الاولى بالمحصنات
وعدم ظهور الحاقه باحد الحكمين دلالة لخفاء الشركة فى المناط فاذوهما اى بالتوبيخ والتقريع وقيل بالغرب
بالنعال ايضا وظاهر ان اجراء هذا الحكم انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر انفا
فان تابا عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء واصلحا
اى اعمالهما فاعرضوا عنهما بقطع الاذية والتوبيخ فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق الذم والعقاب وقد
جوز ان يكون الخطاب للشهود الواقفين على هناتهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما وتهديهما بالرفع
الى الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الفريقين فى اوايل الاسلام
على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خذوا عنى قد جعل الله لهن
سبيلا الثيب يرجم والبكر يجلد وقيل هذه الاية سابقة على الاولى نزولا وكانت عقوبة الزنا مطلقا
الاذى ثم الحبس ثم الجلد ثم الرجم وقد جوز ان يكون الامر بالحبس غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه
معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن فى البيوت بعد اقامة الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن
بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى انه مما لا يساعده النظم الكريم وقال ابو مسلم وقد
عزاه الى مجاهد ان الاولى فى السحقات وهذه فى اللواطين وما فى سورة النور فى الزناة والزوانى متمسكا
بان المذكور فى الاولى صيغة الاناث خاصة وفى الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة الى المصير الى التغليب
على انه لا امكان له فى الاولى ويابا الامر باستشهاد الاربعة فانه غير معهود فى الشرع فيما عدا الزنا ان
الله كان توابا مبالغا فى قبول التوبة رحيما واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض انما التوبة على الله
استيناف مسوق لبيان ان قبول التوبة من الله تعالى ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه بكونه توابا رحيما
بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتداء وقوله تعالى للذين يعملون السوء خبره
وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور على عامله المعنوى مما
لا نزاع فى جوازه وكذا الظرف او بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتداء المستكن فيما تعلق به الخبر على راى من
جوز تقديم الحال على عاملها المعنوى عند كونها ظرفا او حرف جر كما سبق فى تفسير قوله تعالى ولله على الناس
حج البيت وانما كان معنى كون التوبة عليه سبحانه صدور القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقق
البتة بحكم جرى العادة وسبق الوعد حتى كانه من الواجبات عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى
من وقيل هى بمعنى عند وعن الحسن يعنى التوبة التى يقبلها الله تعالى على الله صفة للتوبة بتقدير متعلق
معرفة على راى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اى انما التوبة الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء
المعصية صغيرة كانت او كبيرة وقيل الخبر على الله وقوله تعالى للذين متعلق بما تعلق به الخبر او بمحذوف
وقع حالا من الضمير المستكن فى متعلق الخبر وليس فيه ما فى الوجه الاول من تقديم الحال على العامل المعنوى
الا ان الذى تقتضيه المقام ويستدعيه النظام هو الاول لما ان ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما
انما يقتضى بيان اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين وذلك انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الخ
خبرا الا يرى الى قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيات الخ فانه ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة
لهؤلاء لا لهؤلاء بجهالة متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون اى يعملون السوء ملتبسين بها اى
جاهلين سفهاء او بيعملون على ان الباء سببية اى يعملون بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنب مما يدعوا
اليه الجهل وليس المراد به عدم العلم بكونه سوء بل عدم التفكر فى العاقبة كما يفعله الجهال قال قتادة
اجتمع اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فراوا ان كل شئ عصى به ربه فهو جهالة عمدا كان او خطأ
وعن مجاهد من عصى الله تعالى فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعنى بقوله بجهالة اختيارهم
اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب اى من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما
ينبئ عنه ما سياتى من قوله تعالى حتى اذا حضر الخ فانه صريح فى ان وقت الاحضار هو الوقت الذى
لا تقبل فيه التوبة فبقى ما وراءه فى حيز القبول وعن ابن عباس رضى الله عنهما قبل ان ينزل سلطان
الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس
وروى ابو ايوب عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء
ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن ادم
ما دام روحه فى جسده فقال تعالى وعزتى لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اى
يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففى اى جزء
تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب فاولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه
من معنى البعد باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم فى حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او
لكل واحد ممن يصلح للخطاب وهو مبتداء خبره تعالى يتوب الله عليهم وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية
الحكم وهذا وعد بقبول توبتهم اثر بيان التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها للقبول وكان الله عليما
حكيما مبالغا فى العلم والحكم فيبنى احكامه وافعاله على اساس الحكم والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون
ما قبلها واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات
الكمال وليست التوبة للذين يعملون السيات تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب

وزيادة تعيين له ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيّات باعتبار تكرّر وقوعها فى الزمان
المديد لالان المراد بها جميع انواعها وعاسر من السوء نوع منها حَتّٰى اِذَا حَضَرَ اَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ اِنّى
تُبْتُ الْاٰنَ حتى حرف ابتداء والجملة الشرطيّة بعدها غاية لماقبلها اى ليس قبول التوبة للّذين يعملون
السيّات الى حضور موتهم وقولهم حينئذ انى تبت وذكر الآن لمزيد تعيين الوقت وايثار قال
على تاب لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشى عن تسمته توبة وَلَا الَّذِيْنَ يَمُوْتُوْنَ وَهُمْ كُفَّارٌ
عطف على الموصول الّذى قبله اى ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لاتوبة
لهم راسًا مبالغة فى بيان عدم قبول توبة المسوّفين وايذانا بان وجودها كعدمها بل فى تكرير النّفى
فى المعطوف اشعار خفى بكون حال المسوّفين فى عدم استتباع الجدوى اقوى من حال الذين يموتون
على الكفر والمراد بالموصولين اما الكفّار خاصّة واما الفساق وحدهم وتسميتهم فى الجملة الحالية كفّارًا
للتغليظ كما فى قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين واما من يعم الفريقين جميعًا فالتسمح
للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثانى الكفرة فتعه مبالغة اخرى اُولٰئِكَ اشارة الى الفريقين
ومافيه من معنى البعد للايذان بترامى حالهم فى الفظاعة وبعد منزلتهم فى السوء وهو مبتداء خبره اَعْتَدْنَا
لَهُمْ اى هيانا لهم عَذَابًا اَلِيْمًا تكرير الاسناد لما مرّ من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول
الصريح لاظهار الاعتناء بكون العذاب معدّا لهم وتنكير العذاب ووصفه لتفخيم الذاتى والوصفى يَا اَيُّهَا
الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا يَحِلُّ لَكُمْ اَنْ تَرِثُوا النِّسَآءَ كَرْهًا كان الرّجل اذا مات قريبه يلقى توبه على امرأته او على
خبائها ويقول اورث امراته كما ارث ماله فيصير بذلك احق بها من كلّ احد ثم ان شاء تزوجها بلا
صداق غير صداق الاوّل وان شاء زوجها غيره واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئًا وان شاء عضلها لتفتدى
بما ورثته من زوجها وان ذهبت المراة الى اهلها قبل القاء الثوب فهى احق بنفسها فنهوا عن ذلك
وقيل لهم لايحل لكم ان تاخذوهنّ بطريق الارث على زعمكم كما تحاز المواريث وهنّ كارهات لذلك او
كارهات عليه وقيل كانوا يمسكوهنّ حتّى يمتن ويرثوا منهنّ فقيل لهم لايحل لكم ذلك وهن غير راضيات
باسالكم وقرى لاتحل بالتاء الفوقانية على ان ترثوا بمعنى الوراثة وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضُعف
والضعف وكان الرّجل اذا تزوج امراة ولم يكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيّق عليها
لتفتدى منه بمالها وتختلع فقيل لهم وَلَا تَعْضُلُوْهُنَّ عطفا على ترثوا ولا لتاكيد النّفى والخطاب للازواج و
العضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة بولدها اذا اختفت رحمها فخرج بعضه وبقى بعضه اى
ولا ان يضيقوا عليهن لِتَذْهَبُوْا بِبَعْضِ مَا اٰتَيْتُمُوْهُنَّ اى من الصّداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا
فتاخذوه منهنّ وانّما لم يتعرّض لفعلهنّ ايذانا بكونه بمنزلة العدم لصدوره عنهنّ اضطرارا وانّما
عبّر من ذلك بالذهاب لا بالاخذ والذّهاب للمبالغة فى تقبيحه ببيان تضمّنه لامرين كلّ منهما محظور شنيع
الاخذ والاذهاب لانّه عبارة عن الذهاب مستصحبًا به اِلَّآ اَنْ يَّأْتِيْنَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ على صيغة الفاعل من
بيّن بمعنى تبيّن وقرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من ابان بمعنى تبيّن اى بينة القبح من النشوز

وشكاسة

وشكاسة الخلق وايذاء الزّوج واهله بالبذاء والسّلاطه ويعضده قراءة ابىّ الا ان يفحش عليكم وقيل الفاحشة
الزّنا وهو استثناء من اعمّ الاحوال او اعمّ الاوقات او اعمّ العلل ولايحل لكم عضلهن فى حال من الاحوال
او فى وقت من الاوقات او بعلة من العلل الّا فى حال ايتائهنّ بفاحشة او الا فى وقت ايتائهنّ بها او الا
لايتائهنّ بها فان السبب حينئذ يكون من جهتهنّ وانتم معذورون فى طلب الخلع وَعَاشِرُوْهُنَّ بِالْمَعْرُوْفِ خطاب
للّذين يسيؤن العشرة معهن والمعروف ما لاينكره الشرع والمروه والمراد ههنا النصفة فى المبيت والنفقة
والاجمال فى المقال ونحو ذلك فَاِنْ كَرِهْتُمُوْهُنَّ وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطّبيعة من غير ان يكون من قبلهنّ
مايوجب ذلك من الامور المذكورة فلا تفارقوهنّ بمجرّد كراهته النّفس واصبروا على معاشرتهنّ فَعَسٰى
اَنْ تَكْرَهُوْا شَيْئًا وَّيَجْعَلَ اللّٰهُ فِيْهِ خَيْرًا كَثِيْرًا علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوّة استلزامها اياه كانه
قيل فان كرهتموهنّ فاصبروا عليهنّ مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهوا خيرا كثيرًا ليس فيما تحبّونه وعسى
تامّة رافعة لما بعدها مستغنية عن تقدير الخبر اى فقد قربت كراهتكم شيئًا وجعل الله فيه خيرا كثيرًا
فان النّفس ربما تكره ما هو اصلح فى الدّين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى مافيه
خير وصلاح دون ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاوّل مع الاستغناء عنه والحصار العليه فى الثّانى للتوسل
الى تعميم مفعوله ليفيد ان ترتيب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصًا بمكروه دون مكروه بل هو
سنة الهية جارية على الاطلاق حسب اقتضاء الحكم وانما نحن فيه مادّة عن موادّها وفيه من المبالغة
فى الحمل على ترك المفارقة وتعميم الارشاد ما لايخفى وقرئ ويجعل مرفوعًا على انه خبر لمبتداء محذوف
والجملة حالية وتنوين خير التفخيمة الذّاتى ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفيّة والمراد ههنا الولد
الصّالح وقيل الالفة والمحبة وَاِنْ اَرَدْتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ اى تزوج امراة ترغبون فيها مَّكَانَ زَوْجٍ ترغبون
عنها بان تطلقوها وَّاٰتَيْتُمْ اِحْدٰىهُنَّ اى احدى الزّوجات فان المراد بالزّوج هو الجنس والجملة حالية باضمار
قد لامعطوفه على الشرط اى وقد اتيتم التى تريدون ان تطلقوها قِنْطَارًا اى مالا كثيرًا فَلَا تَاْخُذُوْا مِنْهُ
اى من ذلك القنطار شَيْئًا يسيرًا فضلا عن الكثير اَتَاْخُذُوْنَهٗ بُهْتَانًا وَّاِثْمًا مُّبِيْنًا استيناف مسوق
لتقرير النّهى والتنفير عن المنهى عنه والاستفهام للانكار والتّوبيخ اى اتاخذونه باهتين واثمين او للبهتان
والاثم فان احدهم كان اذا تزوج امراة بهت التى تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه
الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الّذى يبهت المكذوب عليه ويدهشه وقد يستعمل
فى الفعل الباطل ولذلك فسّر ههنا بالظّلم وقوله عزّوجلّ وَكَيْفَ تَاْخُذُوْنَهٗ انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه
غبّ تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار الى كيفيّة الاخذ ايذانا بانه ممّا لاسبيل له الى التحقيق والوقوع
اصلا لان ما يدخل تحت الوجود لابد ان يكون على حال من الاحوال فاذا لم يكن لشئ حال اصلا لم يكن له حظ
من الوجود قطعًا وقوله عزّوجل وَقَدْ اَفْضٰى بَعْضُكُمْ اِلٰى بَعْضٍ حال من فاعل تاخذونه مفيدة لتاكيد النكير وتقرير
الاستبعاد اى على اى حال او فى اى حال تاخذونه والحال انه قد جرى بينكم وبينهنّ احوال منافية له من
الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهنّ لكم وغير ذلك وَّاَخَذْنَ مِنْكُمْ مِّيْثَاقًا غَلِيْظًا عطف على ما قبله داخل

فی حكمه ای اخذن منكم عهدًا وثیقًا وهو حق الصحبة والمعاشرة اوما اوثق الله تعالی علیهم فی شانهن بقوله تعالی
فامساك بمعروف اوتسریح باحسان اوما اساء الیه النبی صلی الله علیه وسلم اخذتموهن بامانة الله تعالی واستحللتم
فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم شروع فی بیان من یحرم نكاحها من النساء ومن لا یحرم وانما خص هذا
النكاح بالنهی ولم ینظم فی سلك نكاح المحرمات الاتیة مبالغة فی الزجر عنه حیث كانوا مصرین علی تعاطیه قال
ابن عباس رضی الله عنهما وجمهور المفسرین كان اهل الجاهلیة یتزوجون بازواج ابائكم فنهوا عن ذلك
واسم الاباء ینتظم الاجداد مجازا فیثبت دمه ما نكحوها نصا واجماعا ویستقل فما اثبات هذه الحرمة نفس النكاح
اذا كان صحیحا واما اذا كان فاسدا فلا بد من اثباتها من الوطی اوما یجری مجراه من التقبیل والمس بشهوة و
نحوهما بل هو المثبت لها فی الحقیقة حتی لو وقع شیء من ذلك بحكم ملك الیمین اوبالوجه المحرم یثبت به الحرمة عندنا
خلافا للشافعی فی المحرم ای لا تنكحوا التی نكحها اباؤكم وایثار ما علی من للذهاب الی الوصف وقیل ما مصدریة
علی ارادة المفعول من المصدر ومن النساء بیان لما نكح علی الوجهین الا ما قد سلف استثناء مما نكح مفید للمبالغة
فی التحریم باخراج الكلام مخرج التعلیق بالمحال علی طریقة ۰ ولا عیب فیهم غیر ان سیوفهم بهن فلول من
قراع الكتائب والمعنی لا تنكحوا حلائل ابائكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طریق الاباحة بالكلیة و
نظیره قوله تعالی حتی یلج الجمل فی سم الخیاط وقیل هو استثناء مما یستلزمه النهی ویستوجبه مباشرة المنهی عنه
كانه قیل لا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد مضی فانه معفو عنه وقیل هو استثناء
منقطع معناه لكن ما قد سلف لا مواخذة علیه لا انه مقرر ویأباهما قوله تعالی انه كان فاحشة ومقتا
فانه تعلیل للنهی وبیان لكون المنهی عنه فی غایة القبح مبغوضا اشد البغض وانه لم یزل فی حكم الله تعالی
وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فیه لامة من الامم فلا یلائم ان یوسط بینهما ما یهون امره من ترك المواخذة
علی ما سلف منه وساء سبیلا فی كلمة ساء قولان احدهما انها جاریة مجری بئس فی الذم والعمل ففیها ضمیر
مبهم یفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف تقدیره وساء سبیلا سبیل ذلك النكاح كقوله تعالی
بئس الشراب ای ذلك الماء وثانیهما انها كسائر الافعال وفیها ضمیر یعود الی ما عاد الیه ضمیر انه و
سبیلا تمییز والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة علی خبر كان محكیة بقول مضمر هو المعطوف
فی الحقیقة تقدیره ومقولا فی حقه ساء سبیلا فان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك فی الاعصار والامصار
قیل مراتب القبح ثلث القبح الفعلی والقبح الشرعی والقبح العادی وقد وصف الله تعالی هذا النكاح بكل ذلك
فقوله تعالی فاحشة مرتبة قبحه العقلی وقوله تعالی ومقتا مرتبة قبحه الشرعی وقوله تعالی وساء سبیلا مرتبة
قبحه العادی وما اجتمع فیه هذه المراتب فقد بلغ اقصی مراتب القبح حرمت علیكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت لیس المراد تحریم ذواتهن بل تحریم نكاحهن
وما یقصد به من التمتع بهن وبیان امتناع ورود ملك النكاح علیهن وانتفاء محلیتهن له راسا واما حرمة
التمتع بهن بملك الیمین فی المواد التی یتصور فیها قرار الملك كما فی بعض سباق المعطوفات علی تقدیر رقهن
فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذی هو عدم محلیته ایضا عین للملك لا بعبارته لشهادة النظم الكریم وسیاقه

وانما یوجب المدار المذكور امتناع ورود ملك الیمین علیهن راسا ولا حرمة سببه الذی هو العقد وما یجری
مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح وامتناع ورود حكمه علیهن لان مورد ملك الیمین لیس هو البضع الذی
هو مورد ملك النكاح حتی یفوت بفوات محلیته له كملك النكاح فانه حیث كان مورده ذلك فات بفوات
محلیته له قطعا وانما مورد الرقبة الموجودة فی كل رقیق فیستحق بتحقق محله حتما ثم یزول بوقوع العتق
فی المواد التی سبب حرمتها محض القرابة النسبیة كالمذكورات ویبقی فی البواقی علی حاله مستتبعا لجمیع
احكامه المقصودة منه شرعا واما حل الوطی فلیس من تلك الاحكام فلا ضیر فی تخلفه عنه كما فی المجوسیة
والامهات تعم الجدات وان علون والبنات تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات ینتظمن الاخوات
من الجهات الثلث وكذا الباقیات والعمة كل انثی ولدها من ولد والدك والخالة كل انثی من ولد والدتك
قریبا او بعیدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول الفرع والعدی وامهاتكم اللاتی ارضعنكم واخواتكم
من الرضاعة نزل الله تعالی الرضاعة منزلة النسب حتی سمی المرضعة اما للرضیع والمراضعة اختا وكذا
زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غیر المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم
اخوته واخواته لابیه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته
لابیه وامه ومن ولد لها من غیره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلی الله علیه وسلم یحرم من الرضاع
ما یحرم من النسب وهو حكم كل جار علی عمومه واما ام اخیه لاب واخت ابنه لام وام ام ابنه وام عمه وام خاله
لاب فلیست حرمتهن من جهة النسب حتی تخل بعمومه ضرورة حلهن فی صور الرضاع بل من جهة المصاهرة
الا یری ان الاولی موطوءة ابیه والثانیة بنت موطوئته والثالثة ام موطوئته والرابعة موطوءة جده
الصحیح والخامسة موطوءة جده الفاسد وامهات نسائكم شروع فی بیان المحرمات من جهة المصاهرة اثر
بیان المحرمات من جهة الرضاعة التی لها لحمة النسب والمراد بالنساء المنكوحات علی الاطلاق سواء كن مدخولا
بهن اولا وعلیه جمهور العلماء وقد روی عن النبی صلی الله علیه وسلم انه قال فی رجل تزوج امراة ثم
طلقها قبل ان یدخل بها انه لا باس بان یتزوج ابنتها ولا یحل له ان یتزوج امها وعن عمر وعمران بن
الحصین ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هی مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا
ما ابهم الله خلا انه روی عنه وعن علی وزید وابن عمر وابن الزبیر رضی الله عنهم انهم قرأوا وامهات
نسائكم اللاتی دخلتم بهن وعن جابر روایتان وعن سعید بن المسیب عن زید انه اذا ماتت عنده فاخذ
میراثها كره ان یخلف علی امها واذا طلقها قبل ان یدخل بها فان شاء فعل اقام الموت فی ذلك مقام الدخول
كما قام مقامه فی باب المهر والعدة ویلحق بهن الموطوات بوجه من الوجوه المعدودة فیما سبق والممسوسات
نظائرهن والامهات تعم المرضعات كما تعم الجدات حسبما ذكر وربائبكم اللاتی فی حجوركم الربائب جمع
ربیبة فعیل بمعنی مفعول والتاء للنقل الی الاسمیة والربیب ولد المراة من اخر سمی به لانه یربه غالبا كما یرب
ولده وان لم یكن ذلك امرا مطردا وهو المعنی بكونهن فی الحجور فان شانهن الغالب المعتاد ان یكن فی حضانة
امهاتهن تحت حمایة ازواجهن لا كونهن كذلك بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقویة علة الحرمة وتكمیلها

كما انها النكتة فى ايرادهن باسم الربائب دون بنات النساء فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفى شرف التقلب فى حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوى الملابسة والسبه بيهن وبين اولادهم ويستدعى اجرائهن مجرى بناتهم لا تقييد الحرمة بكونهن فى حجورهم بالفعل كما روى عن على رضى الله عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلما ماذكرا ولا بخلاف ما فى قوله تعالى مِن نِّسَآئِكُمُ اللَّاتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فانه لتقييدها به قطعا فان كلمة متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم او من ضميرها المستكن فى الظرف لانه لما وقع صلة تحمل ضميرا اى وربائبكم اللاتى استقرون فى حجوركم كائنات من نسائكم الخ ولا مساغ لجعله حالا من امهات او مما اضيفت هى اليه خاصة وهو بين لا سترة به ولا مع ماذكرا ولا ضرورة ان حاليته من ربائبكم او من ضميرها تقتضى كون كلمة من ابتدائية وحاليته من امهات او نسائكم يستدعى كونها بيانية وادعاء كونها اتصالية منتظم لمعنى الابتداء والبيان او جعل الموصول صفة للنساء مع اختلاف عاملهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله مع انه سعى فى سكات ما نطق به النبى صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراءة فضعيفة الرواية وعلى تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والباء للتعدية وهى كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفى كلمة اللمس ونظايره كما مر فَإِن لَّمْ تَكُونُوا اى فيما قبل دَخَلْتُم بِهِنَّ اصلا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اى فى نكاح الربائب وهو تصريح بما اسفر به ما قبله والفاء الاولى لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ اى زوجاتهم سميت الزوجة حليلة لحلها للزوج او لحلولها فى محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفى حكمهن مزنياتهم ومن يجرى مجراهن من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد والابناء من الرضاع وان سفلوا فى حكم الابناء الصلبية وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ فى حيز الرفع عطفا على ما قبله من المحرمات والمراد به جمعهما فى النكاح لا فى ملك اليمين واما جمعهما فى الوطى بملك اليمين فلحق به بطريق الدلالة لاتحادهما فى المدار ولقوله عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يجمع ماءه فى رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس فى معنى النكاح فى الافضاء الى الوطى ولا مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئها لا يحل له وطى احديهما حتى يحرم عليه وطى الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت امته الموطوءة لا يحل له وطى احداهما حتى يحرم عليه الاخرى لان المنكوحة موطوءة حكما فكانه جمعهما وطئا واسناد الحرمة الى جمعهما لا الى الثانية منهما بان يقال واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة الحرمة المؤبدة كما فى المحرمات السابقة ولكونه بمعزل من الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعية ويشترك فى هذا الحكم الجمع بين المراة وعمتها ونظايرها فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاؤه الى قطع ما امر الله بوصله وذلك متحقق فى الجمع بين هؤلاء بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام فقوله صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اخيها ولا على ابنة اختها من قبيل بيان التفسير لا بيان التغيير وقيل هو مشهور يجوز به الزيادة على الكتاب إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ استثناء منقطع اى لكن ما قد مضى

لاتواخذون

لاتواخذوهن ولا سبيل الى جعله متصلا لقصد التاكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لان قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا تعليل لما افاده الاستثناء فيتحتم الانقطاع وقال عطا والسدى معناه الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين ليا ام يهودا وبين راحيل ام يوسف عليه السلام ولا يساعده التعليل لما ان فعله يعقوب عليه السلام كان حلالا فى شريعته وقال ابن عباس رضى الله عنهما كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله تعالى الا امراة الاب والجمع بين الاختين وروى هشام بن عبد الله عن محمد بن الحسن رحمه الله انه قال كان اهل الجاهلية يعرفون هذه المحرمات الا اثنتين نكاح امراة الاب والجمع بين الاختين الا يرى انه قد عقب النهى عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الى كون الاستثناء فيهما على سنن واحد ويا باه اختلاف التعليلين وَالْمُحْصَنَاتُ بفتح الصاد وهى ذوات الازواج احصنهن التزوج او الازواج او الاولياء اى اعفهن عن الوقوع فى الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل فانهن احصن فروجهن من غير ازواجهن او احصن ازواجهن وقيل الصيغة للفاعل على القراءة الاولى ايضا وفتح الصاد محمول على الشذوذ كما فى نظريه ملقح ومسهب من القح واسهب قيل قد ورد الاحصان فى القران بازاء اربعة معان الاول التزوج كما فى هذه الاية الكريمة الثانى العفة كما فى قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث الحرية كما فى قوله تعالى فاذا احصن قيل فى تفسيره اى اسلمن وهى معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى مِنَ النِّسَاءِ متعلق بمحذوف وقع حالا منها اى كاينات من النساء وفائدته تاكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على كونها صفة للانفس كما توهم إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اى ملكتموه واسناد الملك الى الايمان لما ان سببه الغالب هو الصفة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك فى الارقاء لا سيما فى اناثهم وهن المرادة ههنا رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحرائر والتعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن من قصور الرق عن رتبة العقلاء وهى اما عامة حسب عموم صلتها فالاستثناء ليس لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم بطريق شمول النفى بل بطريق نفى الشمول المستلزم لاخراج بعضها اى حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا المحصنات اللاتى ملكتموهن فانهن ليس من المحرمات على الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن فى الجملة وهن المسبيات بغير ازواجهن او مطلقا على حسب اختلاف الرايين واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتى سبين فان نكاحهن مشروح فى الجملة اى لغير ملاكهن واما حلهن لهم بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح وانما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص وذلك مما لا يجرى فيه الاستثناء قطعا واما عدهن من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين او بالمسبى على اختلاف الراين فمبنى على اعتقاد الناس حيث كانوا غافلين عن الفرقة الا يرى الى ما روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن

وفى رواية اخرى عنه و نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا توطأ حامل حتى تضع ولا حامل حتى تحيض فاباح وطئهن بعد الاستبراء وليس فى ترتيب هذا الحكم على نزول الاية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها له بوجه من وجوه الدلالات لا على افادتها بطريق العبارة او نحوها هذا وقد روى عن ابى سعيد رضى الله عنه انه قال انها نزلت فى نساء كن يهاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فيتزوجهن بعض المسلمين ثم يقدم ازواجهن مهاجرين فنهى عن نكاحهن فالمحصنات حينئذ عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهى لتحريم المحقق وتعرف حال المتوقع والا فما هن بمعزل من الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها احق واولى كما يفصح عنه قوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الاية **كتاب الله** مصدر مؤكد اى كتب الله **عليكم** تحريم هؤلاء كتابا او فرضه فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اى الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر واما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء اخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه او بنفس عليكم على راى من جوز تقديم المنصوب فى باب الاغراء كما فى قوله يا ايها المائح دلوى دونكا انى رايت الناس يحمدونكا وقرى كتب الله بالجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم وقرى كتب الله بلفظ الفعل **واحل لكم** عطف على حرمت عليكم الخ وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة فى الحمل على المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبنى للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل على حرمت الخ فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ولا ضير فى اختلاف المسند اليه بحسب الظاهر لا سيما بعد ما اكدت الاولى بما يدل على ان المحرم هو الله تعالى **ما وراء ذلكم** اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اى احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما فى كل واحدة منهن من العنوان الذى عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من فى معناهن لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد بالاحلال الاحلال مطلقا اى على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها بل انما هو احلالهن فى الجملة اى على بعض الاحوال ولا ريب فى حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح فى ذلك حرمته بطريق الجمع الا يرى ان حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلاثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح الملاعنة لا يقدح فى حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل يجب ان يتعلق ههنا به ايضا **ان تبتغوا** متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار ذاتهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اى بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا **باموالكم** والمفعول محذوف اى تبتغوا النساء او متروك اى تفعلوا

الابتغاء باموالكم بصرفها الى مهورهن او بدل اشتمال من وراءكم ومن وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول **محصنين** حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب **غير مسافحين** حال ثانية منه او حال من الضمير فى محصنين والسفاح الزنا والفجور من السفح الذى هو صب المنى سمى به لانه الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف اى محصنين فروجكم غير مسافحين الزوانى وهى فى الحقيقة حال مؤكدة لان المحصنين غير المسافحين البتة وما فى قوله عز وجل **فما استمتعتم به منهن** اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين اما شرطية ما بعدها شرطها واما موصولة ما بعدها صلتها واياما كان فهى مبتداء خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى فاتوهن اجورهن والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعايد الى المبتداء هو الضمير المنصوب فى فاتوهن سواء كانت شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور فى به والمعنى فاى فرد استمتعتم به او فالفرد الذى استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن فاتوهن اجورهن وقد روعى تارة جانب اللفظ فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعايد الى المبتداء محذوف فالمعنى اى فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح او خلوة او نحوهما او فالفعل الذى استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فاتوهن اجورهن لاجله اى بمقابلته والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن **فريضة** حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف اى ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اى فرض ذلك فريضة اى لهن عليكم **ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به** اى لا اثم عليكم فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه اثر قوله تعالى واتوا النساء صدقاتهن وقوله الا ان يعفون وتعميمه للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح من الرجال لانها ليست مظنة الجناح الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم به من نفقة ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله تعالى من بعد الفريضة اذ لا تعلق لهما بالفريضة الا ان يكون الفراق بطريق المخالفة وقيل نزلت فى المتعة التى هى النكاح الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمراة واستمتاعها بما يعطى وقد ابيحت ثلثة ايام حين فتحت مكة شرفها الله تعالى ثم نسخت لما روى انه صلى الله عليه وسلم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس انى كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وروى عن ابن عباس رضى الله عنه انه رجع عن القول بجوازه عند موته وقال اللهم انى اتوب اليك من قولى بالمتعة وقولى فى الصرف **ان الله كان عليما** بمصالح العباد **حكيما** فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللائقة بحالكم **ومن لم يستطع منكم** من اما شرطية ما بعدها شرطها او موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يستطع اى حال كونه منكم وقوله **طولا** اى غنى وسعة او اعتلاء ونيلا واصله

الزيادة والفضل مفعول يستطع وقوله عز وجل ان ينكح المحصنات المؤمنات اما مفعول صريح فان اعمال المصدر
المنون سايغ ذايع كما في قوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع منكم ان
ينال نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اى ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار في محل
النصب صفة لطولا اى طولا متوصلا اليه وكائنا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة في
القاموس الطول والطائل والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد حذف الجار نصب عند
سيبويه والفراء وجر عند الكسائي والاخفش واما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول
يستطع وطولا مصدر مؤكد له لانه بمعناه اذ الاستطاعة هو الطول او تميز اى ومن لم يستطع منكم نكاحهن
استطاعة او من جهة الطول والغنى اى لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له
بالمقام والمراد بالمحصنات الحرائر بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن عن ذل الرق والابتذال
وغيرهما من صفات القصور والنقصان وقوله عز وعلا فمما ملكت ايمانكم اما جواب للشرط او خبر للموصول
والفاء لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة اى فلينكح امراة او امة من
النوع الذي ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية
اى فلينكح امراة كائنة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر اى فلينكح ما ملكته
ايمانكم وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات في محل النصب على الحالية من الضمير المقدر في ملكت الراجع الى ما و
قيل هو المفعول للفعل المقدر على زيادة من ومما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية او بمحذوف
وقع حالا من فتياتكم ومن للتبعيض اى فلينكح فتياتكم كائنات بعض ما ملكت ايمانكم والمؤمنات صفة
لفتياتكم على كل تقدير وقيل هو المفعول للفعل المقدر ومما ملكت على ما تقدم انفا ومن فتياتكم حال
من العائد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة للمستطيع كما ذهب اليه الشافعي رحمه
الله وعدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا كما هو راى اهل الحجاز وقد جوزهما ابو حنيفة رحمه الله متمسكا
بالعمومات فمحل الشرط والوصف هو الافضلية والانزاع فيها لاحد وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وقوله تعالى والله
اعلم بايمانكم جملة معترضة جيء بها لتانيسهم بنكاح الاماء واستنزالهم من رتبة الاستنكاف منه ببيان ان
مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله عز قائلا يا ايها
الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقيكم والمعنى انه
تعالى اعلم منكم بمراتبكم في الايمان به ينتظم احوال العباد وعليه يدور فلك المصالح في المعاش والمعاد ولا
تعلق له بخصوص الحرية والرقية فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحرائر وقوله تعالى بعضكم من بعض ان اريد
به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم في ذلك وان اريد به
الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض اخر مؤكد للتانس من جهة اخرى والخطاب في الموضعين اما لمن كما
في الخطاب الذي يعقبه قد روعي فيما سبق جانب اللفظ وههنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام بالترغيب

والتانس

والتانس واما لغيرهم من المسلمين كالخطابات السابقة لحصول الترغيب بخطابهم ايضا واياما كان فاعادة
الامر بالنكاح على وجه الخطاب في قوله تعالى فانكحوهن مع انفهامه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم حسبما
ذكر لزيادة الترغيب في نكاحهن وتقييده بقوله تعالى باذن اهلهن وتقديره بالفا للايذان بترتبه على ما
قبله اى واذ قد وقفتم على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا تترفعوا عنهن وفي اشتراط اذن الموالي
دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن له واتوهن اجورهن اى مهورهن بالمعروف متعلق باتوهن
اى ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللز حسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن ضرورته ان
يكون الاداء اليهن باذن الموالي فيكون ذكر ايتائهن لبيان جواز الاداء اليهن لا لكون المهور لهن وقيل اصله
اتوا مواليهن فحذف المضاف واوصل الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول فانكحوهن اى حال كونهن
عفائف عن الزنا غير مسافحات حال مؤكدة اى غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان عطف على مسافحات ولا
لتاكيد ما في غير من معنى النفي والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على الفاحشة والواحد خدن و
خدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى ان لا يكون لها اخدان
اى غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا في الجاهلية منقسما الى هذين القسمين فاذا احصن اى
بالتزويج وقرئ على البناء للفاعل اى احصن فروجهن او ازواجهن فان اتين بفاحشة اى فعلن فاحشة
وهي الزنا فعليهن فثابت عليهن شرعا نصف ما على المحصنات اى الحرائر الابكار من العذاب من الحد الذي
هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن بالاحصان
كتفاوت حد الحرائر فالفاء في فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان فالشرط الثاني مع جوابه مترتب على وجود
الاول كما في قولك اذا اتيتني فان لم اكرمك فعبدي حر ذلك اى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم اى
لمن خاف وقوعه في الاثم الذي يؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل
مشقة وضرر يعتري الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم بارتكاب افحش القبائح وقيل
اريد به الحد لانه اذا هو بها يخشى ان يواقعها فيحد والاول هو اللائق بحال المؤمن دون الثاني لايهامه
ان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اى عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصي
خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضي الله عنه ايما
حر تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها
اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحرائر ولان المولى يقدر على استخدامها كيفما يريد في السفر والحضر وعلى بيعها
للحاضر والبادي وفيه من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة و
ذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة هي اللائقة بالمؤمنين ولان مهرها لمولاها فلا تقدر على التمتع
به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم امر المنزل وقد قال عليه السلام الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت
والله غفور مبالغ في المغفرة فيغفر لمن يصبر عن نكاحهن ما في ذلك من الامور المنافية لحال المؤمنين
رحيم مبالغ في الرحمة ولذلك رخص لكم في نكاحهن يريد الله ليبين لكم استئناف مسوق لتقرير ما سبق

من الاحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبياء والصالحين قبل اصل النظم الكريم يريد الله ان يبين
لكم فزيدت اللام لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة السباق والسياق
اى يريد الله ان يبين ما هو خفى عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم او ما تعبدكم به من الحلال والحرام وقيل
مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم وهذا مذهب
البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة للفعل من غير اضمار ان وهى ما بعدها مفعول
للفعل المتقدم فان اللام قد تقام مقام ان فى فعل الارادة والامر فيقال اردت لاذهب وان اذهب وامرتك
لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفؤا نور الله وفى موضع يريدون ان يطفؤا وقال تعالى
وامرنا لنسلم وفى موضع وامرت ان اسلم وفى اخر وامرت لاعدل بينكم اى ان اعدل وهذا مذهب الكوفيين
ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام هى الجر والنصب فيما قالوا باضمار ان اى امرنا بما امرنا لنسلم
ويريدون ما يريدون ليطفؤا وقيل يؤل الفعل الذى قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء ويجعل ما بعده
خبر له كما فى تسمع بالمعيدى خير من ان تراه اى ان تسمع به ونفرى هذا الراى الى بعض البصريين ويهديكم
سنن الذين من قبلكم من الانبياء يتضمن الامر والصالحين لتقتدى بهم ويتوب عليكم اذا تبتم اليه تعالى
عما يقع منكم من التقصير والتفريط فى مراعات ما كلفتم كلفتموه به من الشرايع فان المكلف قلما يخلوا من تقصير
يستدعى تلافيه بالتوبة ويغفر لكم ذنوبكم اى يرشدكم الى ما ردعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة او
الى ما يكون كفارة لسياتكم وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته فيمن لم
يتب منهم بل لطائفة معينة حصلت لهم التوبة والله عليم مبالغ فى العلم بالاشياء التى من جملتها ما شرع لكم
من الاحكام حكيم مراع فى جميع الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب عليكم جملة مبتداة مسوقة لبيان كمال نفقتها
ما اراد الله تعالى وكمال مضرة ما يريد الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير
للتقرير ولذلك غير الاسلوب الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك فى قوله تعالى
للاشارة الى الحدوث وللايمان الى كمال المباينة بين مضمونى الجملتين كما مر فى قوله تعالى الله ولى الذين امنوا
والمراد بمتبعى الشهوات الفجرة فان اتباعها الائتمار لها واما المتعاطى لما سوغه الشرع من المشتهيات دون
غيره فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل هم المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب
وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة
والخالة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات
واستحلال المحرمات وتكونوا زناة مثلهم وقرى بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات
ميلا عظيما اى بالنسبة الى ميل من اقترف خطيئة على ندرة بلا استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر
من الرخص ما فى عهدكم من مشاق التكاليف والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وخلق الانسان
ضعيفا عاجزا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا
يستخدم قواه فى مشاق الطاعات وعن الحسن رح ان المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض

ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا

تذييل

مسوق لتقرير ما قبله من التخفيف بالرخصة فى نكاح الاماء وليس بضعف البنية مدخل فى ذلك وانما الذى
يتعلق به التخفيف فى العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه فى امر النساء خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن
سعيد بن المسيب ما البس الشيطان من بنى ادم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتى على ثمانون سنة وذهب
احدى عينى وانا اعشوا بالاخرى وان اخوف ما اخاف على فتنة النساء وقرئ ابن عباس رضى الله عنهما
وخلق الانسان على البناء للفاعل والضمير وعنه رضى الله عنه ثمانى ايات فى سورة النساء هن خير لهن
الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف
عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ان الله
لا يظلم مثقال ذرة وان يك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوء او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وامنتم يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل شروع فى بيان بعض المحرمات المتعلقة بالاموال
والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالنداء والتنبيه لاظهار كمال العناية
بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار وعقود الربوا وغير ذلك
مما لا يبيحه الشرع اى لا ياكل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعى الا ان تكون تجارة عن تراض منكم استثناء
منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اى الا ان تكون التجارة تجارة صادرة عن تراض كما فى
قوله اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا اى اذا كان اليوم يوما الخ او الا ان يكون الاموال اموال تجارة
وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اى ولكن اقصد واكون تجارة عن تراض اى وقوعها او ولكن
وجود تجارة عن تراض غير منهى عليه وتخصيصها بالذكر من بين ساير اسباب الملك لكونها معظمها و
اغلبها وقوعا واوفقها لذوى المروات والمراد بالتراضى مراضات المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال
المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعى رح حالة الافتراق عن مجلس العقد ولا
تقتلوا انفسكم اى من كان من جنسكم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رح لا تقتلوا اخوانكم
والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة فى الزجر عن قتلهم بتصويره بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل او لا تهلكوا
انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضى اليه فانه القتل الحقيقى لها كما يشعر به ايراده عقيب النهى
عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهى السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة او بارتكاب
ما يؤدى الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها الى التهلكة وايد بما روى عن عمرو بن العاص انه تاوله
بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقرى لا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد جمع فى
التوصية بين حفظ النفس وحفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها و
استيفاء فضائلها وتقديم النهى عن التعرض بكره وقوعه ان الله كان بكم رحيما تعليل للنهى بطريق
الاستيناف اى مبالغة فى الرحمة والرافة ولذلك نهاكم عما نهى فان فى ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن
المعاصى وللذين هم فى معرض التعرض لهم بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما
امر بنى اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة

ومن يفعل ذلك اشارة الى القتل خاصة او بما قبله من اكل الاموال ومافيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتهما فى الفساد **عدوانا وظلما** اى افراطا فى التجاوز عن الحدّ واتيانا بما لا استحقه وقيل اريد بالعدوان
التعدى على الغير وبالظلم الظّلم على النّفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النّصب على الحالية او على العليّة اى
متعديا وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين **فسوف نصليه** جواب للشرط اى ندخله
وقرئ بالتشديد من صلّى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصليّة ويصليه بالياء والضّمير لله
تعالى او لذلك من حيث انّه سبب للصلىّ **نارا** اى نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب **وكان ذلك**
اى اصلاءه النّار **على الله يسيرا** لتحقق الدّاعى وعدم الصّارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات
لتربية المهابة وتاكيد استقلال الاعتراض التذييلى **ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه** اى كبائر الذنوب
الّتى نهاكم الشرع عنها ممّا ذكرههنا ومالم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس **نكفّر عنكم** بنون العظمة على طريقة
الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتّكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب أزيد او بتوبة اى
نغفر لكم سيّاتكم صغايركم ونمحها عنكم قال المفسّرون الصّلوة الى الصّلوة والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان
مكفّران لما بينهنّ من الصّغاير اذا اجتنب الكباير واختلف فى الكباير والاقرب انّ الكبيرة كلّ ذنب رتّب
الشّارع عليه الحدّ اوصرّح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النّبى صلى الله عليه وسلم انّها سبع
الاشراك بالله تعالى وقتل النّفس حرّمها الله وقذف المحصنة واكل مال اليتيم والربوا والفرار من الزّحف
وعقوق الوالدين وعن على رضى الله عنه التّوب بعد الهجرة مكان عقوق الوالدّين وزاد ابن عمر السحر واستحلال
البيت الحرام وعن ابن عبّاس رضى الله عنه ان رجلا قال له الكباير سبع قال هى الى سبع مائة اقرب منها الى سبع
وروى عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشّرك
لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك وقيل صغر الذنوب وكبرها بالاضافة الى
مافوقها وماتحتها وبحسب فاعلها بل بحسب الاوقات والاماكن ايضا فاكبر الكباير الشرك واصغر الصّغاير
حديث النّفس ومابينهما وسايط يصدّق عليه الامران فمن عنّ له امران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث
لا يتمالك فكفّها عن اكبرهما كفّر عنه ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثّواب **وندخلكم مدخلا** بضمّ
الميم اسم مكان هو فى الجنّة **كريما** اى حسنا مرضيّا او مصدر ميمىّ اى ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا
يحتمل المكان والمصدر ونصبه على الثّانى بفعل مقدر مطاوع للمذكور اى ندخلكم فتدخلون مدخلا او دخولا
كريما فى قوله وعضّة دهر يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا او مجلّف اى لم يدع فلم يبق الا مسحت الخ
ولا تتمنّوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض اى عليكم ولعلّ ايثار الايهام عليه للتفادى على المواجهة بما يشق عليهم
قال القفّال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال النّاس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنّهى عمّا يؤدى اليه
من الطّمع فى اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اوّلا عن التّعرّض لاموالهم بالجوارح ثمّ عن التّعرّض لها بالقلب على
سبيل الحسد لتطهير اموالهم الظّاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنّوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم من الامور الدّنيوية
كالجاه والمال وغير ذلك مما يجرى فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله تعالى صادرة عن تدبير لائق

باحوال

باحوال العباد مترتب على الاحاطة بجلائل شؤنهم ودقايقها فعلى كل احد من المفضّل عليهم ان يرضى بما قسم
له ولا يتمنى حظ المفضّل ولا يحسد عليه لما انّه معارضة لحكم القدر المؤسّس على الحكم البالغة لا لان عدمه
خير له ولا لان لو كان خلافه مفسدة له كما قيل اذ لا يساعده ما سياتى من السؤال من فضله تعالى فانّه
ناطق بان المنهى عنه تمنى نصيب الغير لا تمنى ما زاد على نصيبه مطلقا هذا وقد قيل لما جعل الله تعالى فى الميراث
للذّكر مثل حظ الانثيين قالت النساء احوج ان يكون لنا سهمان وللرّجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء و
اقدر على طلب المعاش منا فنزلت وهذا هو الانسب بتعليل النّهى بقوله عزّ وجل **للرّجال نصيب ممّا اكتسبوا**
وللنّساء نصيب ممّا اكتسبن فانّه صريح فى جريان التمنى بين فريقى الرّجال والنساء ولعلّ صيغة المذكّر فى النّهى لما عبّر
عنهنّ بالبعض والمعنى لكل من الفريقين فى الميراث نصيب معيّن المقدار مما اصابه بحسب الاستعداد وقد عبّر
عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعيّة المبنيّة على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه اياه تاكيدا
لاستحقاق كلّ منهما النصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك ممّا يوجب الانتهاء عن التمنّى
المذكور وقوله تعالى **واسئلوا الله من فضله** عطف على النّهى وتوسيط التّعليل بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من
التّرغيب فى الامتثال بالامر كانّه قيل لا تتمنّوا ما يختصّ بغيركم من نصيبه المكتسب له واسئلوا الله تعالى
من خزائن نعمه التى لا نفاد لها وحذف المفعول الثّانى للتعميم اى واسئلوها تريدون فانّه تعالى يعطكموه
او لكونه معلوما من السّياق اى واسئلوه منكم وقيل من زائدة والتقدير زائدة والتقدير واسئلوا فضله
وقد جاء فى الحديث لا يتمنّينّ احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهمّ ارزقنى اللهم اعطنى مثله وعن ابن مسعود رض
انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سئلوا الله من فضله فانّه يحبّ ان يسال وافضل العبادة انتظار
الفرج وحمل النّصيب على الاجر الاخروىّ وابقاء الاكتساب على حقيقته بجعل بسبب النزول ما روى انّ ام
سلمه رضى الله عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرّجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم
على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاصّ به من الاجر مترتب على عمله فللرجال بمقابلة ما يليق بهم من
الاعمال كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا تتمنّى النّساء خصوصيّة اجر الرّجال وليسا من من خزائن رحمته تعالى ما
يليق بحالهنّ من الاجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلّق بالمواريث وفضايل الرّجال **انّ الله كان بكلّ شئ**
عليما ولذلك جعل النّاس على طبقات ورفع بعضهم فوق بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم الفائضة
عليهم بموجب المشية المبنيّة على الحكم الابية **ولكلّ جعلنا موالى ممّا ترك الوالدان والاقربون** جملة مبتدأة
مقرّرة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدّم عليه لتاكيد الشّمول ودفع توهّم تعلق الجعل بالبعض دون
البعض كما فى قوله تعالى لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اى ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة فى الدّرجة يلونها ويحرزون
منها انصبائهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة وممّا ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما
عمل فيه كما فصل فى قوله تعالى قل اغير الله اتّخذ وليا فاطر السّموات والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل
فيما اضيف اليه اعنى غير او ولكل قوم جعلناهم موالى اى وراثا نصيب معيّن لنا من نصيب قوم آخرين مما ترك
الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالى صفة لكل والضّمير الرّاجع اليه محذوف والكلام مبتداء وخبر على طريقة

قولك لكلّ من خلقه الله انسانا من رزق الله اى حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالى مما ترك
اى وارثا منه على ان من صلة موالى لانه فى معنى الوارث وفى ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى مما ترك
الوالدان والاقربون استيناف مفسّر للموالى كانه قيل من هم فقيل الوالدان الخ ففيه تفكيك للنظم الكريم لانّ
بيان الموالى بما ذكر يفوت الايهام المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما اشير اليه تقرير الوجهين
الاولين مع ما فيه من خروج الاولاد من الموالى اذ لا يتناولهم الاقربون كما لا يتناول الوالدان والذين عقدت
ايمانكم هم موالى الموالاة كان الحليف يرث السدس من مال حليفه فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض وعند ابى حنيفة اذا اسلم على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه عقله وله ارثه ان
لم يكن له وارث اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد وهو المماسحة بها عند العقد والمعنى عقدت
ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقّدت بالتشديد وعاقدت بمعنى
عاقدتهم ايمانكم وماسحتموهم وهو مبتداء يتضمّن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر اعنى قوله تعالى فآتوهم نصيبهم
بالفاء او منصوب بمضمر ما بعده كقولك زيدا فاضربه او مرفوع معطوف على الوالدان والاقربون وقوله
فآتوهم الخ جملة مبيّنة للجملة ما قبلها ومؤكّدة لها والضمير للموالى ان الله على كلّ شيء من الاشياء التى من جملتها
الايتاء والمنع شهيدا ففيه وعد ووعيد الرّجال قوّامون على النّساء كلام مستانف مسوق لبيان سبب استحقاق
الرّجال الزيادة فى الميراث تفصيلا اثر بيان تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة اسميّة والخبر على صيغة
المبالغة للايذان بعراقتهم فى الاتّصاف بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اى شانهم القيام عليهن بالامر و
النهى قيام الولاة على الرعيّة وعلل ذلك بامرين موهبى وكسبى فقيل بما فضّل الله بعضهم على بعض الباء سببيّة
متعلّقة بقوّامون او بمحذوف وقع حالا من ضميره وما مصدريّة والضمير البارز لكلّ الفريقين تغليبا اى
قوّامون عليهن بسبب تفضيل الله تعالى اياهم عليهن او ملتبسين بتفضيله تعالى الخ ووضع البعض موضع
الضّمير من للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل والمفضل عليه اصلا ولمثل
ذلك لم يصرّح بما فيه التفضيل من صفات كماله التى هى كمال العقل وحسن التدبير ورزانة الرّاى ومزيد
القوّة فى الاعمال والطّاعات ولذلك خصّوا بالنبوّة والامامة والولاية واقامة الشّعاير والشّهادة فى جميع
القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك وبما انفقوا من اموالهم الباء متعلّقة بانفقوا او بمحذوف وقع حالا
من العائد المحذوف اى وبسبب انفاقهم من اموالهم او بسبب ما انفقوه من اموالهم او كائنا من اموالهم وهو
ما انفقوه من المهر والنفقة روى ان سعيد بن الربيع احد نقباء الانصار رضى الله عنهم نشزت عليه امرئة
حبيبة بنت زيد بن ابى زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى فقال عليه
السّلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه السّلام اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير فالصّالحات
شروع فى تفصيل احوالهنّ وبيان كيفيّة القيام عليهنّ بحسب اختلاف احوالهنّ فالصّالحات منهنّ قانتات
اى مطيعات لله تعالى قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اى لمواجب الغيب اى لما يجب عليهنّ حفظه
فى حال غيبة الازواج من الفروج والاموال عن النبى صلى الله عليه وسلّم خير النّساء امراة ان نظرت اليها سرّتك

وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم واضافة المال اليها
للاشعار بان ماله فى حق التصرّف فى حكم مالها كما فى قوله تعالى ولا تؤتوا السّفهاء اموالكم الاية بما حفظ
الله ما مصدريّة اى بحفظه تعالى اياهنّ بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتّوفيق او
موصولة اى بالّذى حفظ الله لهنّ عليهم من المهر والنّفقة والقيام بحفظهنّ والذبّ عنهنّ وقرئ بما حفظ
الله بالنصب على حذف المضاف اى بالامر الّذى حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفّف والشفقة على الرّجال
واللّاتى تخافون نشوزهنّ خطاب للازواج وارشاد لهم اى الى طريق القيام عليهنّ والخوف حالة تحصل فى القلب
عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما اى تظنون عصيانهنّ وترفعهنّ
عن مطاوعتكم من النشوز وهو المرتفع من الارض فعظوهنّ فانصحوهنّ بالترغيب والترهيب واهجروهنّ
بعد ذلك ان لم ينفع الوعظ والنّصيحة فى المضاجع اى فى المراقد فلا تدخلوهنّ تحت اللّحف ولا تباشروهنّ
فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتات اى لا تبايتوهنّ وقرئ فى المضجع وفى المضطجع واضربوهنّ
اى ان لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا شائن فان اطعنكم بذلك كما هو الظّاهر لانّه
منهى ما يعدّ زاجرا فلا تبغوا عليهنّ سبيلا بالتوبيخ والاذيّة اى فازيلوا عنهن التّعرّض واجعلوا ما كان
لم يكن فان التّائب من الذنب كمن لا ذنب له انّ الله كان عليّا كبيرا فاحذروه فان الله تعالى اقدر عليكم منكم
على من تحت ايديكم او انّه تعالى على علوّ شانه يتجاوز عن سيّاتكم ويتوب عليكم عند توبتكم وانتم احق بالعفو
عن ازواجكم عند اطاعتهنّ لكم او انه يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا او ان ينقص حقّه وعدم التعرّض لعدم اطاعتهنّ
لهم للايذان بان ذلك ليس ممّا ينبغى ان يتحقق او يعرض تحققه وانّه الّذى يتوقع منهنّ ويليق بشانهنّ لا سيّما
بعد ما كان ما كان من الزّواجر هو الاطاعة ولذلك صدّرت الشرطيّة بالفاء المنبئية عن سببيّة ما قبلها
وان خفتم شقاق بينهما تلوين للخطاب وتوجيه له الى الحكام وارد على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه
اعنى عدم الاطاعة المؤدى الى المخاصمة والمرافعة اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الاخر
واما لان كلا منهما فى شق اى جانب غير شق الاخر والخوف ههنا بمعنى العلم قال ابن عبّاس رضى الله عنه والجزم
بوجود الشّقاق لا ينافى بعث الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرّف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظنّ وضمير
التّثنية للزّوجين وان لم يجر ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما واضافة الشّقاق الى الظّرف اما على اجرائه مجرى
المفعول به كما فى قوله يا سارق اللّيلة او مجرى الفاعل كما فى قولك نهاره صائم اى ان علمتم او ظننتم تاكيد المخالفة
بحيث لا يقدر الزّوج على ازالتها فابعثوا اى الى الزّوجين لاصلاح ذات البين حكما رجلا صالحا للحكومة
والاصلاح من اهله من اهل الزّوج وحكما اخر على صفة الاوّل من اهلها فان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال
واطلب للصّلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف فى انّهما اهل للبيان الجمع
والتّفريق ان رايا ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروى عن على رضى الله عنه وبه قال الشعبى وعن الحسن يجمعان
ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يتخالفا ان كان الصّلاح فيه ان يريدا اى الحكمان اصلاحا اى ان قصدا
اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى يوفّق الله بينهما يوقع بين الزّوجين

الموافقة والالفة والقى في نفوسها المودة والرافة وعدم التعرض لذكر عدم ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان
بان ذلك ليس مما ينبغي ان يفرض صدوره عنهما وان الذى يليق بشانهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة
الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين فى الاصلاح وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلاف الامر الى عدم ارادتهما
فان الشرطية الناطقة بدوران وجود التوفيق على وجود الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمهما
وقيل كلا الضميرين للحكمين اى ان قصدا الاصلاح يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل
كلاهما للزوجين اى ان ارادا اصلاح ما بينهما من الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه
على ان اصلح نيته فيما سوخاه وفقه الله تعالى لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم
كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا كلام مبتداء مسوق لبيان الاحكام
المتعلقة بحقوق الوالدين والاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما
يتعلق بحقوق الله عز وجل التى هى اكد الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شان حقوق الوالدين بنظمها
فى سلكها كما فى ساير المواقع وشيئا نصب على انه مفعول اى لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما او غيره او على
انه مصدر اى لا تشركوا به شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اى احسنوا بهما احسانا وبذى
القربى اى بصاحب القرابة من اخ او عم او خال او نحو ذلك واليتامى والمساكين من الاجانب والجار ذى القربى
اى الذى قرب جواره وقيل الذى له مع الجوار قرب بيتا ودين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما
لحق الجار ذى القربى والجار الجنب اى البعيد او الذى لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة فجار
له ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وجار له حقان حق الجوار وحق الاسلام وجار له
حق واحد هو حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقرئ والجار الجنب والصاحب بالجنب اى الرفيق فى امر
حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك فى مسجد ومجلس او
غير ذلك من ادنى صحبة القائمة بينك وبينه وقيل هى المراة وابن السبيل هو المسافر المنقطع به او الضيف
وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا اى متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه
واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق الذين يبخلون ويامرون الناس
بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الاول وبفتحهما وبضمهما والمنصوب بدل من قوله تعالى من كان
او نصب على الذم او رفع عليه اى هم الذين او مبتداء خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون
احقاء بكل ملامة ويكتمون ما اتاهم الله من فضله اى من المال والغنى او من نعوته صلى الله عليه وسلم التى بينها لهم
فى التورية وهو انسب بامرهم للناس بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها ويامرون اعقابهم بكتمها واعتدنا
للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من هذا شانه فهو كافر بنعمة الله ومن كان كافرا
بنعمته تعالى فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت فى طائفة من اليهود كانوا يقولون
للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل فى الذين كتموا نعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس اى للفخار وليقال

من اسخاهم

من اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين وانما شاركوهم
فى الذم والوعيد لان البخل والسرف الذى هو الانفاق فيما لا ينبغى من حيث انهما طرفا تفريط وافراط سواء
فى القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز ان يكون العطف بناء على اجراء التغاير الوصفى مجرى التغاير الذاتى
كما فى قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب فى المزدحم او مبتداء خبره محذوف يدل عليه
قوله تعالى ومن يكن الخ كانه قيل والذين ينفقون اموالهم رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم مشركوا مكة المنفقون اموالهم فى عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اى فقرينهم الشيطان وانما حذف
للايذان بظهوره واستغنائه عن التصريح به والمراد ابليس واعوانه حيث حملوهم على تلك القبايح وزينوها
لهم لما فى قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن
بهم فى النار وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله اى على من ذكر من الطوائف ابتغاء
لوجه الله وانما لم يصرح به تعويلا على التفصيل السابق واكتفاء بذكر الايمان بالله واليوم الاخر فانه
يقتضى ان يكون الانفاق لابتغاء وجهه تعالى وطلب ثوابه البتة اى وما الذى عليهم اى واى تبعة ووبال
عليهم فى الايمان بالله والانفاق فى سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد فى الشئ
بخلاف ما هو عليه وتحريض على التفكر ولطلب الجواب لعله يؤدى بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة
والعوايد الجميلة وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغى ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان
فيه منافع لا يخفى وتقديم الايمان بهما لاهميته فى نفسها ولعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم
انفاقهم اياء الناس على عدم ايمانهم بهما مع كون المؤخر اقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم ذلك
وبين ما قبله من بخلهم وامرهم للناس به وكان الله بهم وباحوالهم المحققة عليما فهو وعيد لهم
بالعقاب او باعمالهم المفروضة فهو بيان لاثابته تعالى اياهم لو كانوا قد امنوا وانفقوا لما ينبئ عنه
قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على
انه نعت للمفعول قائم مقامه سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع الشئ فى غير موضعه اى لا ينقص
من الاجر ولا يزيد فى العقاب شيئا مقدار ذرة او على انه نعت للمصدر المحذوف نائب منابه اى لا يظلم
ظلما مقدار ذرة وهى النملة الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء فى الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة فان
قلته فى الثقل اظهر من قلة النملة فيه وعن ابن عباس رضى الله عنه ادخل يده فى التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة
من هؤلاء ذرة وان تك حسنة اى وان يك مثقال ذرة حسنة انث لتانيث الخبر او لاضافته الى الذرة و
حذف النون من غير قياس تشبيها لحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على ان كان
تامة يضاعفها اى يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما
كانهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ نضاعفها بنون العظمة على صيغة الالتفات
عن عثمان النهدى انه قال لابى هريرة رضى الله عنه بلغنى عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطى عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة ثم تلا هذه الاية الكريمة والمراد الكثرة
لا التحديد **ويؤت من لدنه** ويعط صاحبها من عنده على نهج التفضل زايدا على ما وعد فى مقابلته **اجرا عظيما**
عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا عليه **فكيف** محلها اما الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف
على التشبيه بالحال كما هو راى سيبويه او على التشبيه بالظرف كما هو مذهب الاخفش اى فكيف حال هؤلاء
الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم او كيف يصنعون **اذا جئناهم** يوم القيمة **كل امة** من الامم **بشهيد**
يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقايد وقبايح الاعمال وهو نبيهم كما فى قوله تعالى وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم والعامل فى الظرف مضمون المبتداء او الخبر من هول الامر وعظم الشان او الفعل
المقدر ومن متعلقه بجئنا **وجئنا بك** يا محمد **على هؤلاء** اشارة الى الشهداء المدلول عليهم بما ذكر شهيدا
تشهد على صدقهم لعلمك بعقايدهم لاستجماع شرعك بمجامع قواعدهم وقيل الى المكذبين المستفهم
عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد ساير الانبياء على اممهم وقيل الى المؤمنين كما فى قوله
تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا **يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول**
استيناف لبيان حالهم التى اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فان اريد بهم المكذبون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لاسيما بعد الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم بما فى حيز الصلة
والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال القطيعة والامر الهائل وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتشريفه
وزيادة تقبيح حال مكذبيه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان اريد بهم جنس
الكفرة فهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول الجنس المنتظم للرسول صلى الله عليه وسلم
انتظاما اوليا وايا ما كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال ما لا يغادر قدره وقوله تعالى وعصوا
عطف على كفروا داخل معه فى الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم ففيه دلالة على ان الكفار مخاطبون
بفروع الشرايع فى حق المواخذة وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة لموصول اخر اى يود فى ذلك القوم
الذين جمعوا بين الكفر وعصيان الرسول او الذين كفروا وقد عصوا الرسول والذين عصوا الرسول ولو
فى قوله تعالى **لو تسوى بهم الارض** ان جعلت مصدرية فالجملة مفعول ليود اى يودون ان يدفنوا
فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا او لم يخلقوا وطائهم والارض سواء وقيل تصير
البهايم ترابا فيودون حالها وان جعلت جارية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اى يودون
تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا محذوف ايذانا بغاية ظهوره اى لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون
الله حديثا عطف على يود اى ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى و
يودون ان يدفنوا فى الارض وهم لا يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
اذ روى انهم قالوا ذلك ختم على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى
بهم الارض وقرئ تسوى على ان اصله تتسوى فادغم التاء فى السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال
سويته فتسوى **يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون** لما نهوا فيما سلف

عن

عن الاشراك بالله تعالى نهوا ههنا عما يؤدى اليه من حيث لا يحتسبون فانه روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع
شرابا وطعاما حين كان الخمر مباحة فدعى نفرا من الصحابة رضوان الله عليهم فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء وقت
صلوة المغرب فتقدم احدهم ليصلى بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف النداء والتنبيه للمبالغة
فى حملهم على العمل بموجب النهى وتوجيه النهى الى قربان الصلوة مع ان المراد هو النهى عن قربان المساجد
لقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وبا باه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى
لا تقيموها فى حالة السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤنه
فى الصلوة وحمل ما تقولون على ما فى الصلوة يستدعى تقدم الشروع فيها على غاية النهى وحمل العلم على ما بالقوة
على معنى حتى تكونوا بحيث تعلمون ما ستقرؤن فى الصلوة طويل بلا طائل لان تلك الحيثية انما تظهر بما ذكر
من التجربة على ان ايثار ما تقولون على ما تقرؤن حينئذ يكون عاريا عن الداعى وقيل المراد بالسكر سكر
النعاس وغلبة النوم وايا ما كان فليس مرجع النهى هو المقيد مع بقاء القيد مرخصا بحاله بل انما هو القيد
مع بقاء المقيد على حاله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا كانه قيل يا ايها الذين امنوا لا تسكروا
فى اوقات الصلوة وقد روى انهم كانوا بعد ما نزلت الاية لا يشربونه الخمر فى اوقات الصلوة فاذا صلوا
العشاء فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون **ولا جنبا** عطف على قوله تعالى وانتم
سكارى فانه فى حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابه الجنابة يستوى
فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر **الا عابرى سبيل** استثناء مفرغ من اعم الاحوال
محله النصب على انه حال من ضمير لا تقربوا باعتبار تقييده بالحال الثانية دون الاولى والعامل فيه
فعل النهى اى لا تقربوا الصلوة جنبا فى حال من الاحوال الا حال كونكم مسافرين على معنى ان فى حالة السفر
ينتهى حكم النهى لكن لا بطريق شمول النفى بجميع صورها بل بطريق نفى الشمول فى الجملة من غير دلالة على انتفاء
خصوصية البعض المنتفى ولا على بقاء خصوصية البعض الباقى ولا على ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فان
الاستثناء لا يدل على ذلك نعم يشير الى مخالفة حكم ما بعده لما قبله اشارة اجمالية يكتفى بها فى المقامات
الخطابية لا فى اثبات الحكم الشرعية فان ملاك الامر فى ذلك انما هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة
البيان وقيل هو صفة لجنبا على ان الا بمعنى غير اى لا جنبا غير عابرى ومن حمل الصلوة على مواضعها فسر
العبور بالاجتياز بها وجوز للجنب عبور المسجد وبه قال الشافعى رحمه الله وعندنا لا يجوز ذلك الا ان
يكون الماء او الطريق فى المسجد وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم فى المسجد وكان يصيبهم الجنابة
ولا يجدون ممرا الا فى المسجد فرخص لهم ذلك **حتى تغتسلوا** غاية للنهى عن قربان الصلوة حالة الجنابة
ولعل تقديم الاستثناء عليه للايذان ان من اول الامر بان حكم النهى فى هذه الصورة ليس على الاطلاق
كما فى صورة السكر تشويقا الى البيان وروما لزيادة تقرره فى الاذهان وفى الاية الكريمة اشارة الى ان المصلى
حقه ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكى نفسه عما يدنسها ولا يكتفى بادنى مراتب التزكية عند امكان
اعاليها **وان كنتم مرضى** شروع فى تفصيل ما اجمل فى الاستثناء وبيان ما هو فى حكم الترخيص للاشعار بانه

العذر الغالب المنبئ عن الضرورة التي عليها يدور امر الرخصة كانه قيل ولا جنبا الا مضطرين واليه مرجع ماقيل من انه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرضى ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك بتعذر الوصول اليه او تعذر استعماله **او على سفر** عطف على مرضى اي او كنتم على سفر ما طال او قصر وايراده صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه وبيان كيفيته فان الاستثناء كما اشير اليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم المرض عليه للايذان باصالته واستقلاله باحكام لا توجد في غيره كالاستعداد باستعمال الماء ونحوه **او جاء احد منكم من الغائط** هو المكان الغائر المطمئن والمجئ منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده يذهب اليه ليواري شخصه عن اعين الناس واسناد المجئ منه الى واحد منهم من المخاطبين دونهم للتفادي عن التصريح بنسبتهم اليها بما يستحي به منه او يستهجن التصريح به وكذلك ايثار الكناية فيما عطف عليه من قوله عز وجل **او لامستم النساء** عن التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير الى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى **فلم تجدوا ماء** بل هو السبب في الحقيقة دائما ذكرتمهيدا له وتمهيدا على انه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب الطهارة الصغرى والكبرى كانه قيل او لم تكونوا مرضى او مسافرين بل كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب مع تحقق ما يوجب استعماله وتخصيص ذكره بهذه الصورة مع انه معتبر في صورة المرض والسفر ايضا لعدم وقوعه فيهما واستغنائهما عن ذكره اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث الاصغر بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين فان كنتم كذلك او كنتم مرضى الخ واما لما قيل من ان عموم اعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن ذكره لفظا وما قيل من ان هذا القيد راجع الى الكل وان قيد وجوب التطهر المكنى عنه بالمجئ من الغائط والملامسة معتبر في الكل مما لا يساعده النظم الكريم **فتيمموا صعيدا طيبا** فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة وعند الشافعي رحمهما الله لا بد من ان يعلق باليد شئ من التراب **فامسحوا بوجوهكم وايديكم** اي الى المرفقين لما روي انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره **ان الله كان عفوا غفورا** تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من رعاية المستمرة ان يعفو عن الخاطئين ويغفر للمذنبين لا بد من ان يكون ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عنها فان التوفية والمسامحة من روادف العفو وتوابع الغفران **الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب** كلام مستانف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتاتى منه الروية من المؤمنين وتوجيهه اليه ههنا مع توجيهه فيما بعد الى الكل معا للايذان بكمال شهرة شناعة حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث يتعجب منها كل من يراها والروية بصرية اي الم تنظر اليهم فانهم اخفاء بان تشاهدهم وتتعجب من احوالهم وكونها قلبية على ان الى لتضمنها

معنى الانتهاء كما فعلوه يا باه مقام تشهير شنائعهم ونظمها في سلك الامور المشاهدة والمراد بهم احبار اليهود وروي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في حبرين من احبار اليهود كانا ياتيان راس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه ايضا انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله عليه السلام لويا السنتهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التورية وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما اوليا تطويل للمسافة وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم التي من جملتها ما علموه من نعوت النبي عليه السلام وحقيقة الاسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبئ عن كونها حقا من حقوقهم التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها للايذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال شناعتهم والاشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة المحكية عنهم من البدل الذي هو احد العوضين وكلمة من متعلقة اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية اي نصيبا كائنا من الكتاب ولا ريب في ان اعتبار تقدير اشترائهم المذكور في الاثناء مما لا يليق بالمقام وقيل هو حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال اشترائهم وانت خبير بانه خال عن افادة ان مادة التشنيع والتعجيب هو الاشتراء المذكور وما عطف عليه والذي يقتضي جزالة النظم الكريم انه استيناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبني على سوال نشا منه كانه قيل ماذا يصنعون حتى ينظر اليهم فقيل ياخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر المتروك لغاية ظهور الامر لا سيما بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه اخذا ناشيئا من الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في الضلالة التي حقها ان يعرض عنها كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وغاية ركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صور حالهم بصورة ما لا يكاد يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يحل بمعنى الاشتراء المنبئ عن تاخرها عنه بل هو فردها الكامل وهو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا بشان النبي صلى الله عليه وسلم وتيقنوا بحقية دينه وانه هو النبي العربي المبشر به في التورية ولا ريب في ان هذه المرتبة لم تكن حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في اوايل سورة البقرة **ويريدون** عطف على يشترون شريك له في بيان محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فان تجدد حكم اشترائهم المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدد نفسه وتكرره اي لا يكتفون بضلال انفسهم بل يريدون بما فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم **ان تضلوا** انتم ايضا ايها المؤمنون **السبيل** المستقيم الموصل الى الحق **والله اعلم** اي منكم **باعدائكم** جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم لكم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر منهم ومن مخالطتهم او هو اعلم بحالهم وما ل امرهم والجملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة **وكفى بالله وليا** في جميع اموركم ومصالحكم **وكفى بالله نصيرا** في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا تتولوا غيره او لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد والباء مزيد في فاعل كفى لتاكيد

وفي قوله عز وجل **يشترون الضلالة** قيل هو حال مقدرة من اوتوا

الاتصال الاسنادى بالاتّصال الاضافى وتكرير الفعل فى الجملتين مع اظهار الجلالة فى مقام الاضمار لاسيّما فى
الثّانى لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض وتاكيد كنايته عزّ وجلّ فى كلّ من الولاية والنصرة والاشعار
بعلّتهما فان الالوهيّة من موجباتهما لامحالة من الّذين هادوا قيل هو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض
وفيه انه لاوجه لتخصيص علمه سبحانه بطايفة من اعدائهم لاسيّما فى معرض الاعتراض الّذى حقه العموم
والاطلاق وانتظام ما هو المقصود فى المقام انتظامًا اوّليا كما اشير اليه وقيل هو صلة لنصيرًا اى ينصركم
من الّذين هادوا كما فى قوله تعالى فمن ينصرنى من الله وفيه ما فيه من تحجير واسع نصرته عزّ وجلّ مع انّه
لاداعى الى وضع الموصول موضع ضمير الاعداء لان ما فى حيّز الصّلة ليس بوصف ملايم للنصر وقيل هو خبر
مبتداء محذوف وقوله تعالى يحرّفون الكلم عن مواضعه صفة له اى من الّذين هادوا قوم او فريق
يحرّفون الخ وفيه انّه يقتضى كون الفريق السابق بمعزل من التحريف الّذى هو المصداق لاشترائهم فى الحقيقة
فالذى يليق بشان التّنزيل الجليل انه بيان للموصول الاوّل المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين قد
وسّط بينهما ما وسّط لمزيد الاعتناء ببيان محلّ التشنيع والتّعجيب والمسارعة بتنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم
عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عزّ وجلّ والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى يحرّفون
وما عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفصيل لفنون ضلالتهم وقد روعيت فى النّظم الكريم طريقة
التفسير بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال روما لزيادة تقدير تقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحدة الكلمة
كتمر وتمرة وتذكير ضميره باعتبار افراده لفظا وجمعيّة مواضعه باعتبار تعدّده معنًى وقرئ بكسر الكاف
وسكون اللّام جمع كلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به هٰهنا امّا ما فى التوّرية خاصّة واما
ماهو اعمّ منه وممّا سيحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصّادرة عنهم فى اثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولامساغ لارادة تلك الكلمات خاصّة بان يحمل عطف قوله تعالى ويقولون سمعنا وعصينا الخ على
ما قبله عطفًا تفسيريًا لما ستقف على سرّه فان اريد به الاوّل كما هو راى الجمهور فتحريفه ازالته عن مواضعه
الّتى وضعه الله تعالى فيها من التوراة كتحريفهم فى نعت النّبى صلى الله عليه وسلّم اسمر ربعة عن موضعه فى التوراة
بان وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفه عن المعنى الذى انزله الله تعالى فيه الى
ما لاصحّة له بالتاويلات الزائغة الملايمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثّانى فلابدّ من ان يراد بمواضعه ما
يليق به مطلقًا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما فى التوراة او بتعيين العقل والدّين كمواضع
غيره واما ما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغى ان يجرى على اطلاقه من غير تقييد بزمان او مكان ولا
تخصيص بمادّة دون مادّة بل وان يحمل على ما هو اعمّ من القول الحقيقى وما يترجم عنه عنادهم ومكابرتهم
ليندرج فيه ما نطقت به السنة حالهم عند تحريف التوراة فان من لايتفوّه بتلك العظيمة لايكاد يتجاسر
على مثل هٰذه الجناية والا فحمله على ما قالوه فى مجلس النبى صلى الله عليه وسلم من القبائح خاصّة يستدعى اختصاص
حكم الشرطيّة الاتية وما بعدها بهنّ من غير تعرّض لتحريفهم التوراة مع انه معظم جناياتهم المعدودة
ومن هٰهنا انكشف لك السرّ الموعود فتامّل اى يقولون فى كلّ امر مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر

النبى صلى الله عليه وسلّم اولا بلسان المقال والحال سمعنا وعصينا عنادًا او تحقيقا للمخالفة وقوله تعالى واسمع
غير مسمع عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول اى ويقولون ذلك فى اثناء مخاطبته صلى الله عليه
وسلّم خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشرّ بان يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مسمع كلامًا اصلا بصمم او
موت اى مدعوا عليك بلاسمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فح يجوز ان يكون نصبه على المفعوليّة وللخير بان
يحمل على اسمع منّا غير مسمع مكروهًا كانوا يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين له عليه السّلم
ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون فى انفسهم المعنى الاوّل مطمئنّون به وراعنا عطف على اسمع غير مسمع
اى ويقولون فى اثناء خطابهم له صلى الله عليه وسلّم هٰذا ايضا يوردون كلا من العظائم الثّلث فى مواقعها
وهو ايضا كلمة ذات جهتين محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا وانتظرنا نكلمك وللشرّ بحملها على السب بالرّعونة
اى الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانيّة او سريانيّة كانوا يتسابّون بها وهى راعينا كانوا
يخاطبونه عليه السّلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون التوّقير والاحترام ومصيرهم الى مسلك
النّفاق فى القولين الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان فى الاوّل لما قالوا من انّ جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر
والعصيان ولايواجهونه بالسب ودعاء السّوء وقيل كانوا يقولون الاوّل فيما بينهم وقيل يجوز ان لاينطقوا
بذلك ولكنّهم لمّا لم يؤمنوا به جعلوا كانّهم نطقوا به ليًّا بالسنتهم اى فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى
نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع لااسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا او
فتلا بها وضما ما يظهرونه من الدّعاء والتوّقير الى ما يضمرونه من السّب والتحقير وطعنًا فى الدّين اى قدحًا
فيه بالاستهزاء والسّخرية وانتصابهما على العليّة ليقولون باعتبار تعلّقه بالقولين الاخيرين اى يقولون ذلك
لصرف الكلام عن وجهه الى السب والطّعن فى الدّين او على الحاليّة اى لاوين وطاعنين فى الدين ولو انّهم عند
ما سمعوا شيئا من اوامر الله تعالى ونواهيه قالوا بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا واطعنا
انّما اعيد سمعنا مع انه متحقق فى كلامهم وانّما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا لاللتنبيه على عدم اعتبار
بل على اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرّد ومرادهم بحكايته اعلام انّ عصيانهم للامر بعد سماعه والوقوف
عليه فلا بدّ من ازالته واقامة سماع القبول مقامه واسمع اى لو قالوا عند مخاطبة النّبى صلى الله عليه
وسلم بدل قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا اى ولو قالوا ذلك بدل قولهم راعنا ولم يدسّوا تحت كلامهم
شرًّا وفسادًا اى لو ثبت انهم قالوا هٰذا مكان ما قالوا من الاقوال لكان قولهم ذلك خيرا لهم ممّا قالوا
واقوم اى اعدل واسد فى نفسه وصيغة التفضيل امّا على بابها واعتبار اصل الفعل فى المفضل عليه
بناء على اعتقادهم او بطريق التهكّم وامّا بمعنى اسم الفاعل وانما قدم فى البيان حاله بالنسبة اليهم على حاله
فى نفسه لان همهم مقصورة على ما ينفعهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اى ولكن لم يقولوا ذلك واستمرّوا
على كفرهم فخذلهم الله تعالى وابعدهم عن الهدى بسبب كفرهم ذلك فلا يؤمنون بعد ذلك الّا
قليلًا قيل اى الّا ايمانا قليلا لايعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرّسل او الّا زمانا قليلا وهو زمان
الاحتضار فانّهم يؤمنون حين لاينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الّا ليؤمننّ به قبل موته

وكلاهما ليس بايمان قطعًا وقد جوّز ان يراد بالقلة العدم بالكليّة على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت
الّا الموتة الاولى وانت خبير بان الكل يا باه ما يعقبه من الامر بالايمان بالقرآن النّاطق بهذا الافصاح
الى التكليف بالمحال الّذى هو ايمانهم بعد ايمانهم المستمر على الوجه الاخير فظاهر واما على الاولين فلانّ
امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرّسل تكليفٌ لهم بايمانهم بعد ايمانهم ببعض الكتب والرسل وبعد ايمانهم
الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على ان يؤمن بعد ذلك لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل
فى لا يؤمنون لافضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله مع ما فيه من نسبة القرّاء الى الاتّفاق على
غير المختار بل يجعله ضمير المفعول فى لعنهم اى ولكن لعنهم الله الّا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد
عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما كما سياتى
يا ايّها الّذين اُوتوا الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له اما الى من حكيت احوالهم واقوالهم خاصّة بطريق
الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب اى التوراة واخرى بالياء نصيب منها التوفية كل من المقامين
حظه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضّلالة وازالة ما اوتوه بمقابلتها بالتحريف ولبس ما ازالوه
بذلك كلّها حتى يوصفوا بايتائه بل هو بعضها فوصفوا بايتائه واما هٰهنا فالمقصود تاكيد ايجاب الامتثال
بالامر الّذى يعقبه والتحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدّق موجب للايمان بما يصدقه و
الكفر بالثانى مقتض للكفر بالاوّل قطعًا ولا ريب فى ان المحذور عندهم انّما هو لزوم الكفر بالتّوريٰة نفسها ما الا
بعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضا منها ضرورة
ان مصدّق البعض مصدق للكلّ المتضمّن له حتما واما اليهم والى غيرهم قاطبة وهو الاظهر وايّا ما كان
فتفصيل ما فصّل لما كان من مظان اقلاع كلّ من الفريقين عمّا كانوا عليه من الضّلالة عقب ذلك بالامر بالمبادرة
الى سلوك محجّة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة فقيل آمنوا بما نزّلنا من القرآن عبّر عنه
بالموصول تشريفا له بما فى حيّز الصّلة وتحقيقا لكونه من عند عزّ وجل مصدّقا لما معكم من التوريٰة
عبّر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية المستدعية لدوام تلاوتها وتكرر
المراجعة اليها من موجبات العثور على ما فى تضاعيفها المؤدى الى العلم بكون القرآن مصدّقا لها ومعنى
تصديقه اياها نزوله حسب ما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها فى القصص والمواعيد والدّعوة الى التّوحيد
والعدل بين النّاس والنّهى عن المعاصى والفواحش واما ما يتراءى من مخالفته لها فى جزئيّات الاحكام بسبب
تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة فى الحقيقة بل هى عين الموافقة من حيث ان كلّا منها حق بالاضافة
الى عصره متضمن للحكمة التى عليها يدور فلك التّشريع حتّى لو تاخّر نزول المتقدّم لنزل على وفق المتاخّر
ولو تقدم نزول المتاخر لوافق المتقدم قطعًا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيّا لما وسعه من قبل
اَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا متعلق بالامر مفيد للمسارعة الى الامتثال به والجد فى الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد
الشديد الوارد على ابلغ وجه واكده حيث لم يعلّق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرّح بوقوعه عندها تنبيهًا
على ان ذلك امر محقق غنى عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفى تنكير الوجوه المفيد

للتكثير

للتّكثير تهويل للخطب وفى ابهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الايمان واصل الطّمس محو الآثار
وازالة الاعلام اى آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عبّاس رضى الله عنهما نجعلها
كخف البعير او كحافر الدّابة وقال قتادة والضّحّاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا على اعينهم وقيل نجعلها منابت
الشعر كوجوه القردة فنردّها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها واقفائها مطموسة مثلها فالفاء للتسبيب
او ننكسها بعد الطّمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها وقد اكتفى بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب
وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اى من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبُ
اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارًا او نردهم من حيث جاؤا منه وهى اذرعات الشام فالمراد بذلك
اجلاء بنى النضير ولا يخفى انّه لا يساعده مقام تشديد الوعيد وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من
الوجوه وقد اختلف فى ان الوعيد هل كان بوقوعه فى الدنيا او فى الآخرة فقيل كان بوقوعه فى الدّنيا
ويؤيّده ما روى ان عبد الله بن سلام لما قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قبل ان ياتى اهله فاسلم وقال يا رسول ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهى الى قفائي
وفى رواية جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روى ان عمر
رضى الله عنه قرا هذه الآية على كعب الاحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه
وعيدها ثم اختلفوا فقيل انّه منتظر بعد ولا بد من طمس فى اليهود ومسخ وهو قول المبرّد وفيه ان انصراف
العذاب الموعود عن اوائلهم وهم الذين باشروا اسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا
شواهد النبوّة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوها وفى التوريٰة فحرفوها واصروا على الكفر والضّلالة
وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد ثم نزوله على من وجد بعدهم بمائة من السنين اى من عقابهم الضالين
باضلالهم العاملين بما مهّد وامن قوانين الغواية بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان
مشروطا بعدم الايمان وقد آمن من احبارهم المذكوران واضرابهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم ان لم
يكن سببا لتاكد نزول العذاب على الباقين لتشديدهم النكير والعناد بعد ازدياد الحق وضوحًا وقيام
الحجّة عليهم بشهادة اماثلهم العدول فلا اقل من ان لا يكون سببًا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع
احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى او نلعنهم كما لعنّا اصحاب السّبت فان لم يقع الامر الاوّل فلا نزاع فى وقوع
الثانى كيف لا وهم ملعونون بكل لسان فى كل زمان وتفسير اللّعن بالمسخ ليس بمقرر البتة وانت خبير بان
المتبادر من اللّعن المشبه بلعن اصحاب السبت هو المسخ وليس فى عطفه على الطّمس والرد على الادبار شائبة
دلالة على عدم ارادة المسخ ضرورة انّه تغير مغاير لما عطف عليه على ان المتوعد به لا بد ان يكون امرًا حادثًا
مترتبًا على الوعيد محذورًا عندهم ليكون مزجرة عن مخالفة الامر ولم يعهد عليهم لعن بهذا الوصف انّما
الواقع عليهم ما تداولته الالسنة من اللّعن المستمر الّذى الفوه وهو بمعزل من صلاحيته ان يكون حكما لهذا
الوعيد او مزجرة للعنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر فى الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة احد
الامرين او كلاهما على سبيل التّوزيع واما ما روى عن عبد الله بن سلام وكعب رض فمبنى على الاحتياط اللائق

بشانهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص فى احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول لانه ادخل
فى الزجر عليه مبنى ما روى عن الحبرين لكن لما لم يتضح وقوعه علم ان المراد هو الثانى والله تعالى اعلم وايا ما كان
فلعل السر فى تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات مراعات المشاكلة بينها وبين ما اوجبها من جناياتهم
التى هى التحريف والتغيير والله العليم الخبير وكان امر الله اى ما امر به كائنا ما كان او امره بايقاع شىء ما من
الاشياء مفعولا نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم به دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلى مقرر
لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما فى
الاعتراض من الاستقلال ان الله لا يغفر ان يشرك به كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد و
تاكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون
من التحريف ويطمعون فى المغفرة كما فى قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا
الادنى اى على التحريف ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا
فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود اصناف الكفرة فى النار ونزوله فى حق
اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه لا يقتضى اختصاصه بكفرهم بل يكفى اندراجه
فيه قطعا بل ولا وجه له اصلا لاقتضائه جواز مغفرة دون كفرهم فى الشدة من انواع الكفر اى لا يغفر الكفر
لمن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان
مما يؤدى الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصى انما يسترها نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له
شىء من الكفر والمعاصى ويغفر ما دون ذلك عطف على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالذكر للايذان ببعد درجته وكونه فى اقصى مراتب القبح اى ويغفر ما دونه فى القبح من المعاصى صغيرة
كانت او كبيرة تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لكن لا لكل احد بل لمن يشاء اى لمن يشاء
ان يغفر له ممن اتصف به فقط لا بما فوقه فان مغفرتهما لمن اتصف بهما سواء فى استحالة الدخول تحت
المشية المبنية على الحكمة التشريعية فان اختصاص مغفرة المعاصى من غير توبة باهل الايمان من متممات
الترغيب فيه والزجر عن الكفر ومن علق المشية بكلا الفعلين وجعل الموصول الاول عبارة عمن لم
يتب والثانى عمن تاب فقد ضل سبيل الصواب كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة
الكفر وامتيازه عن ساير المعاصى ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة
لم يظهر بينهما فرق للاجماع على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان
والحمل على التوبة والايمان ومن يشرك بالله اظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك
وتفظيع حال من يتصف به فقد افترى اثما عظيما اى افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر
دونه جميع الاثام فلا يتعلق به المغفرة قطعا الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب من حالهم المنافية لما هم
عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من اليهود جاؤا
باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال عليه السلام لا قالوا ما نحن

الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار اى انظر اليهم فتعجب من ادعائهم انهم
ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم او من ادعائهم التكفير مع استحالة ان يغفر لكافر
شىء من كفره او معاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه وبعمله بل الله يزكى من يشاء عطف على مقدر ينساق
اليه الكلام كانه قيل هم لا يزكونها فى الحقيقة لكذبهم وبطلان اعتقادهم بل الله يزكى من يشاء تزكيته ممن يستاهلها
من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الخبير بما ينطوى عليه البشر من المحاسن والمساوى وقد وصفهم
بما هم متصفون به من القبايح واصل التزكية نفى ما يستقبح بالفعل او بالقول ولا يظلمون عطف على جملة
قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها وايذانا بانها غنية عن الذكر اى يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا
يظلمون فى ذلك العقاب فتيلا اى ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذى فى شق النواة يضرب به المثل فى
القلة والحقارة وقيل التقدير يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يساعده مقام الوعيد انظر
كيف يفترون على الله الكذب كيف نصب اما على التشبيه بالظرف او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه
والاخفش والعامل يفترون وبه يتعلق على اى فى اى حال او على اى حال يفترون عليه تعالى الكذب
والمراد بيان شناعة تلك الحال وكمال فظاعتها والجملة فى محل النصب بعد نزع الخافض والنظر معلق بها
وهو تعجيب اثر تعجيب وتنبيه على ان ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجب ادعاؤهم الاتصاف
بما هم متصفون بنقيضه وافتراؤهم على الله سبحانه فان ادعاءهم الزكوة عنده تعالى متضمن لادعائهم
قبول الله وارتضاءه اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون هذا اشنع من الاول جرما واعظم قبحا
لما فيه من نسبته سبحانه الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر
وساير معاصيه وجه النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتاكيدا للتعجيب والتصريح بالكذب مع ان الافتراء
لا يكون الا كذبا للمبالغة فى تقبيح حالهم وكفى به اى بافترائهم هذا من حيث هو افتراء عليه تعالى مع قطع
النظر عن مقارنته لتزكية انفسهم وساير اثارهم العظام اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى ذلك
وحده فى كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم او فى استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر سره وجعل الضمير لزعمهم
مما لا مساغ له لاخلاله بتهويل امر الافتراء فتدبر الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب تعجيب من حال
اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبايح وقوله عز وجل
يؤمنون بالجبت والطاغوت استيناف مبين لمادة التعجيب مبنى على سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل
ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون الخ والجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله قيل اصله الجبس
وهو الذى لا خير عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت الشيطان قيل
هو فى الاصل كل ما يطغى الانسان روى ان حيى بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى
مكة فى سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد
الذى كان بينهم وبينه عليه السلام فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نامن مكركم
فاسجدوا لالهتنا حتى تطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم بالاصنام واطاعوا ابليس

فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرء تقرا الكتاب وتعلم ونحن اميون لانعلم فاتيا اهدى طريقا نحن
ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت
نسقى الحاج ونقرى الضيف ونفك العانى وذكروا افعالهم قال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى
ويقولون للذين كفروا اى لاجلهم وفى حقهم هؤلاء يعنوهم اهدى من الذين امنوا سبيلا اى اقوم دينا
وارشد طريقة وايرادهم بعنوان الايمان ليس من قبل القائلين بل من جهة الله تعالى تشريفا لهم بالوصف
الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين باقبح القبايح اولئك اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد
مع قربهم فى الذكر للاشعار ببعد منزلتهم فى الضلال وهو مبتداء خبره قوله تعالى الذين لعنهم الله اى
ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستانفة لبيان حالهم واظهار مصيرهم ومالهم ومن يلعن الله
اى يبعده عن رحمته فلن تجد له نصيرا يدفع عنه العذاب دنيويا كان او اخرويا لابشفاعة ولابغيرها
وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش وفى كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد يتسنى له الخطاب
وتوحيد النصير منكرا والتعبير عن عدمه بعدم الوجدان المنبى عن سبق الطلب مسندا الى المخاطب العام
من الدلالة على حرمانهم الابدى بالكلية ما لا يخفى ام لهم نصيب من الملك شروع فى تفصيل بعض اخر من
قبايحهم وام منقطعة وما فيها من بل للاضراب والانتقال من ذمهم وبتزكيتهم انفسهم وغيرها مما حكى
عنهم الى ذمهم بادعائهم نصيبا من الملك وبخلهم وشحهم البالغ والهمزة لانكار ان يكون لهم ما يدعونه
وابطال ما زعموا ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى فاذا لا يؤتون الناس نقيرا بيان لعدم استحقاقهم
له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب انهم من البخل والدناءة بحيث لو اوتوا شيئا من ذلك لما اعطوا الناس
منه اقل قليل ومن حق من اوتى الملك ان يؤثر الغير بشئ منه فالفاء للسببية الجزائية لشرط محذوف
اى ان جعل لهم نصيب منه فاذن لا يؤتون الناس مقدار نقير وهو ما فى ظهر النواة من النقرة يضرب
به المثل فى القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم واذا كان شانهم كذلك وهم ملوك
فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا يكون الهمزة لانكار الوقوع بل لانكار الواقع والتوبيخ عليه
اى لعدهم منكرا غير لائق بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى الهم
نصيب وافر من الملك حيث كانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس
مع ذلك نقيرا كما تقول لغنى لا يراعى اباه الك هذا القدر من المال فلا تنفق على ابيك شيئا وفائدة اذن
تاكيد الانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهى ملغاة عن
العمل كانه قيل فلا يؤتون الناس اذن وقرئ فاذن لا يؤتوا بالنصب على اعمالها ام يحسدون الناس منقطعة
ايضا مفيدة للانتقال عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذى هو شر الرذايل واقبحها لاسيما على ما هم
بمعزل من استحقاقه واللام فى الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وحمله
على الجنس ايذانا بحيازتهم للكمالات البشرية قاطبة فكانهم هم الناس لا غير لا يلايمه ذكر حديث ال ابراهيم فان ذلك
لتذكير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما فى استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه

فانهم

فانهم كانوا يطمعون ان يكون النبى الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اى بل يحسدونهم
على ما اتيهم الله من فضله يعنى النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما وقوله تعالى فقد اتينا تعليل
للانكار والاستقباح والزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين على توهم
عدم استحقاق المحسود لما اوتى من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا عن كابر واجراء الكلام
على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور فى غاية القبح
والبطلان فانا قد اتينا من قبل هذا ال ابراهيم الذين هم اسلاف محمد عليه السلام وابناء اعمامه الكتاب
والحكمة اى النبوة واتيناهم مع ذلك ملكا عظيما لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته عليه السلام و
يحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة والملك من المغايرة
فان اريد به الايتاء بالذات فالمراد بال ابرهيم ابناؤهم عليه السلام خاصة والضمير المنصوب فى الفعل
الثانى لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام لما ان الملك لم يوت كلهم قال ابن عباس رض
الملك فى ال ابرهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وان اريد به ما يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة
وهو اللائق بالمقام والاوفق بما قبله من نسبة ايتاء الفضل الى الناس فالمراد بال ابرهيم كلهم فان
تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك تشريف للكل لاغتنامهم باثاره واقتباسهم من انواره وفى
تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمى من تاكيد الالزام وتشديد الانكار
ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح جمهور ائمة التفسير لكن الظاهر ان يكون قوله
تعالى فمنهم من امن به ومنهم من صد عنه حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكى من غير ان يكون له
دخل فى الالزام الذى سيق له الكلام اى فمن جنس هؤلاء الحاسدين وابائهم من امن بما اوتى ال
ابراهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضميرين لما ذكر من حديث ال ابرهيم فيستدعى تراخى الاية الكريمة
عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضى انما يتصور
بعد وقوع الايمان والاعراض المتاخرين عن سماع الحديث المتاخر عن نزوله وكذلك جعلهما للرسول
الله صلى الله عليه وسلم اذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده
الفاء المرتبة لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان يكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك
ويكون قوله تعالى فقد اتينا الاية تعليلا له بدلالته على اعراضهم عما اوتى ال ابرهيم وان لم يذكر كونه
بطريق الحسد كانه قيل بل يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله ولا يؤمنون به وذلك ديدنهم
المستمر فانا قد اتينا ال ابرهيم ما اتينا فمنهم اى من جنسهم من امن بما اتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن
به والله سبحانه اعلم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعرة يعذبون
بها والجملة تذييل لما قبلها ان الذين كفروا باياتنا ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه
وسلم فالمراد بالايات اما القران اما يعم كله وبعضه او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس المتناول
لهم تناولا اوليا فالمراد بالايات ما يعم المذكورات وساير الشواهد التى اوتيها الانبياء عليهم الصلوة

والسلام سوف نصليهم نارا قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهدد والوعيد وينوب عنه السين وقد تذكران في
الوعد فيفيدان التاكيد اى ندخلهم نارا عظيمة هائلة كلما نضجت جلودهم اى احترقت وكلما ظرف زمان والعامل
فيه بدلناهم جلودا غيرها من قبيل بدله بخوفه امنا لامن قبيل بدل الله سياتهم حسنات اى اعطيناهم
مكان كل جلد محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للمحترق في صورته وان كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق
ليعود احساسه للعذاب والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا على
حذف العائد اى كلما نضجت فيها جلودهم فمعنى قوله تعالى ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع كقولك
للعزيز اعزك الله وقيل يخلق مكانه جلدا اخر والعذاب للنفس العاصية لا لالة ادراكها قال ابن عباس
رضي يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروى ان هذه الاية قريت عند عمر رضي الله فقال للقارى
اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندى تفسيرها يبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر
رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن تاكلهم النار كل يوم سبعين
الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
بين منكبي الكافر مسيرة ثلثة ايام للراكب المسرع وعن ابى هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلثة ايام والتعبير عن ادراك
العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان ان احساسهم بالعذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالمذوق
من حيث انه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او للتنبيه على شدة
تاثيره من حيث ان القوة الذائقة اشد الحواس تاثرا او على سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود مع قدرته
تعالى على ابقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها مصونة عن الاحتراق
ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد ان تكون مصونة عن التالم
والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده ولا يمانعه احد حكيما
يعاقب من يعاقبه على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاصلاء والتبديل واظهار الاسم الجليل
بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية مناط لجميع صفات كماله
تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات عقب ببيان سوء حال الكفرة ببيان حسن حال المؤمنين تكميلا لمساءة
الاولين ومسرة الاخرين اى الذين امنوا باياتنا وعملوا بمقتضياتها وهو مبتداء خبره قوله تعالى سندخلهم
جنات تجرى من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم الجليل وفي السين تاكيد للوعد
خالدين فيها ابدا اى مما في نساء الدنيا المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية في محل النصب على انه
حال من جنات او حال ثانية من الضمير المنصوب او على انه صفة لجنات بعد صفة او في محل الرفع على انه خبر
للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا اى فينانا لا جوب فيه دائما لا تنسخه شمس اللهم ارزقنا ولك بفضلك
وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتاكيد كما في ليل اليل ويوم ايوم وقرئ
يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على انه غير الادخال الاول بالذات بل بالعنوان كما في قوله تعالى

حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وفيه لهم فيها ازواج مطهرة

ولما

ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ ان الله يامركم
ان تؤدوا الامانات الى اهلها في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل وايراد الامر على صورة
الاخبار من الفخامة وتاكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشانه ما لا مزيد عليه وهو خطاب
يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانات تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم من حقوق الله تعالى وحقوق
العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شان عثمان بن طلحة بن عبد الدار سادن
الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة
وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى على بن ابى طالب رضي
الله يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج ساله العباس ان
يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال
عثمان لعلي رضي الله عنه اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرانا فقرا عليه
الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فهبط جبرئيل عليه السلام واخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقرئ الامانة على التوحيد والمراد الجنس
لا المعهود وقيل هو امر للولاة باداء الحقوق المتعلقة بذممهم من المناصب وغيرها الى مستحقيها كما ان
قوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل امر لهم بايصال الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى
اصحابها وحيث كان المامور به ههنا مختصا بوقت المرافعة قيد به بخلاف المامور به اولا فانه لما لم يتعلق
بوقت دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا عطف على ان تؤدوا وقد فصل بين العاطف و
المعطوف بالظرف المعمول له عند الكوفيين ولمقدر يدل هو عليه عند البصريين لان ما بعد ان لا يعمل فيما
قبلها عندهم اى وان تحكموا اذا حكمتم الى اخره وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمقدر وقع حالا
من فاعله اى ملتبسين بالعدل والانصاف ان الله نعما يعظكم به اما منصوبة موصوفة بيعظكم به
او مرفوعة موصولة كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشئ الذى يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف
اى نعما يعظكم به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون
والجملة مستانفة مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم الى الامتثال بالامر
واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة ان الله كان سميعا لاقوالكم بصيرا بافعالكم فهو وعد ووعيد
واظهار الجلالة لما ذكر انفا فان فيه تاكيدا لكل من الوعد والوعيد يا ايها الذين امنوا بعد ما امر
الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص باداء الامانات والعدل في الحكومات امر سائر الناس بطاعتهم
لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قيل اطيعوا الله و
اطيعوا الرسول واولى الامر منكم وهم امراء الحق وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدى بهم من المهتدين
واما امراء الجور فمعزل من استحقاق العطف على الله تعالى ولورود الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه واباه قوله تعالى فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد

فى حكمه الآن بجعل الخطاب لاولى الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشرطية بالفاء لترتبها على
ماقبلها فان بيان حكم طاعة اولى الامر عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستدعى بيان حكمها عند المخالفة اى ان اختلفتم انتم واولى الامر منكم فى امر من امور الدين فراجعوا فيه الى
كتاب الله تعالى **والرسول** اى الى سنته وقد استدل به منكروا القياس وهو فى الحقيقة دليل على حجيته كيف
كف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعنى بالقياس ويؤيده
الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم فانه يدل على ان الاحكام ثلثة
ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس **ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** متعلق بالامر
الاخير الوارد فى محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة وجواب الشرط محذوف عند جمهور
البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه اى ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر فردوه الخ فان الايمان بهما يوجب
ذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان باليوم الآخر فلما فيه من العقاب على المخالفة **ذلك** اى
الرد المامور به **خير لكم** واصلح **واحسن** فى نفسه **تأويلا** اى عاقبة ومآلا وتقديم خيريته لهم على حسنيته
فى نفسه لما مر من تعلق انظارهم بما ينفعهم والمراد بيان اتصافه فى نفسه بالخيرية الكاملة والحسن الكامل
فى حد ذاته من غير اعتبار فضله على شى يشاركه فى اصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه التحذير السابق **الم
تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعجيبا له من حال الذين يخالفون ما مر من الامر المحتوم ولا يطيعون الله ولا رسوله ووصفهم
بادعاء الايمان بالقرآن وبما انزل من قبله اعنى التوراة لتاكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان
كمال المباينة بين دعواهم وبين ما صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل **يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت** استيناف سيق لبيان محل التعجيب مبنى على سوال نشاء من صدر الكلام كانه
قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الخ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه
اليهودى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودى فلم يرض به المنافق فدعاه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال
اليهودى قضى لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر رضى للمنافق اهكذا قال
نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم
قال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله تعالى ورسوله فنزلت فهبط جبرئيل عليه السلام وقال
ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق فالطاغوت كعب
بن الاشرف سمى به لافراطه فى الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان
والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير النبى صلى الله عليه وسلم على التحاكم الى غير النبى صلى الله عليه
وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود وسحرتهم وعن الشعبى
ان المنافق دعا خصمه الى كاهن فى جهينة فتحاكما اليه وعن السدى ان الحادثة وقعت فى قتيل بين بنى قريظة

والنضير

فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبى صلى الله عليه وسلم والى المنافقون منهما الا التحاكم الى ابى بردة الكاهن
الاسلمى فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار فى معرض التعجيب والاستقباح على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه
مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان ارادته مما يقضى منه العجب ولا ينبغى ان يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا
انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتوراة فانه كما يقتضى كونهم من منافقى اليهود يقتضى كون
ما صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان بالتوراة وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه
المثابة من الظهور وايضا فالمتبادر من قوله تعالى **وقد امروا ان يكفروا به** كونهم مامورين بكفره فى الكتابين
وما ذاك الا الشيطان واولياؤه المشهورون بولايته كالكهنة ونظائرهم لان من عداهم ممن لم يشتهر
بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان الطاغوت جمع كما فى قوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال
من ضمير يريدون مفيدة لتاكيد التعجيب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله عز وجل **ويريد
الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا** عطف على يريدون داخل فى حكم التعجيب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم
واعراضهم عمن يريد هدايتهم اعجب من كل عجيب وضلالا اما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد
كما فى قوله تعالى فانبته الله نباتا حسنا اى اضلالا بعيدا واما مصدر مؤكد لفعله المدلول عليه
بالمذكور اى فيضلون ضلالا واياما كان فوصفه بالبعد الذى هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تعالى
واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجيب ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب
الله تعالى ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك فى ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ تعالوا بضم اللام على
انه حذف لام الفعل تخفيفا كما فى قولهم ما باليت به بالة اصلها بالية كعافية وكما قالوا فى آية ان اصلها آيية
فحذفت اللام ووقف واو الجمع بعد اللام فى تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل مكة للمراة تعالى
بكسر اللام وعليه قول ابى فراس الحمدانى اياجارتى ما انصف الدهر بيننا تعالى اقاسمك الهموم تعالى
رايت المنافقين اظهار المنافقين مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به والاشعار بعلة الحكم والرؤية
بصرية وقوله تعالى **يصدون عنك** حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة مفعول ثان لها والاول
هو الانسب لظهور حالهم وقوله تعالى صدودا مصدر مؤكد لفعله اى يعرضون عنك اعراضا واى
اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذى هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد مصدر للمتعدى
يقال صد عنه صدودا اى اعرض عنه وصده عنه صدا اى منعه منه وقوله تعالى **فكيف** شروع فى بيان
غائلة جناياتهم المحكية ووخامة عاقبتها اى كيف يكون حالهم **اذا اصابتهم مصيبة** اى وقت اصابة المصيبة
اياهم بافتضاحهم لظهور نفاقهم **بما قدمت ايديهم** بسبب ما عملوا من الجنايات التى من جملتها التحاكم
الى الطاغوت والاعراض عن حكمك **ثم جاؤك** للاعتذار عما صنعوا من القبائح وهو عطف على اصابتهم
والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراهم من شدة الامر عند اصابة المصيبة وعند
المجيئ للاعتذار **يحلفون بالله** حال من فاعل جاؤك **ان اردنا الا احسانا وتوفيقا** اى ما اردنا بتحاكمنا
الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك فلا تؤاخذنا

بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون عليه لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار
وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد اهدر الله تعالى فقالوا ما اردنا اى ما اراد صاحبنا
المقتول بالتحاكم الى عمر رضى الله عنه الا اى يحسن اليه ويوفق بينه وبين خصمه اولئك اشارة الى المنافقين
وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم فى الكفر والنفاق وهو مبتداء خبره الذين يعلم الله ما
فى قلوبهم اى من فنون الشرور والفسادات المنافية لما اظهروا لك من الاكاذيب فاعرض عنهم
جواب شرط محذوف اى اذا كان حالهم كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم
لمصلحة فى استبقائهم ولا تظهر لهم علمك بما فى بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وحذر
وعظهم اى ازجرهم عن النفاق والكيد وقل لهم فى حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور
التى يعلمها الله تعالى او فى انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها فى السر انجع قولا بليغا
موثرا واصلا الى كنه المراد مطابقا لما سيق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر وقيل
متعلق ببليغا على راى من يجيز تقديم معمول الصفة على الموصوف اى قل لهم قولا بليغا فى انفسهم موثرا
فى قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال والايذان
بان ما فى قلوبهم من مكنونات الشر والنفاق غير خاف على الله تعالى وان ذلك مستوجب لاشد العقوبات
وانما هذه المكافة والتاخير لاظهارهم الايمان والطاعة واضمارهم الكفر ولئن اظهروا الشقاق وبرزوا
باشخاصهم من نفق النفاق ليمسنهم العذاب ان الله شديد العقاب وما ارسلنا من رسول الا ليطاع
باذن الله كلام مبتداء جئ به تمهيدا لبيان خطائهم فى الاشتغال بستر جناياتهم بالاعتذار بالاباطيل وعدم
تلافيها بالتوبة اى وما ارسلنا رسولا من الرسل لشئ من الاشياء الا ليطاع بسبب اذنه تعالى فى طاعته وامره
المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مودعنه تعالى فطاعته طاعة الله تعالى ومعصيته معصية الله
تعالى من يطيع الرسول فقد اطاع الله وبتيسر الله تعالى وتوفيقه فى طاعته ولو انهم اذ ظلموا انفسهم وعرضوها
لعذاب على عذاب النفاق بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك جاؤك من غير تاخير كما يفصح عنه تقديم
الظرف متوسلين بك فى التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد
الى سترها بالاعتذار الباطل والايمان الفاجرة فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص وبالغوا فى التضرع
اليك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله تعالى واستغفرت لهم وانما قيل واستغفر لهم الرسول على طريقة
الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته فى
حيز القبول لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه مبالغا فى قبول توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان فسر الوجدان
بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حالا ورحيما بدلا منه او حالا من الضمير فيه واياما كان ففيه فضل
ترغيب للسامعين فى المسارعة الى التوبة والاستغفار ومزيد تنديم لاولئك المنافقين على ما صنعوا
لما ان ظهور تباشير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لاثارهما نعمة زائدة عليهما موجبة لكمال
الرغبة فى تحصيلها وتمام الحسرة على فواتها فلا وربك اى فوربك ولا مزيد لتاكيد معنى القسم لا لتاكيد

النفى

النفى فى جوابه اعنى قوله تعالى لا يؤمنون لانها تزاد فى الاثبات ايضا كما فى قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم
ونظائره حتى يحكموك اى يتحاكموا اليك ويرافعوا اليك وانما جئ بصيغة التحكيم مع انه عم حاكم بامر الله
سبحانه ايذانا بان حقهم ان يجعلوه عليه السلام حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما
على الاطلاق فيما شجر بينهم اى فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم
لا يجدوا عطف على مقدر ينساق اليه الكلام اى فتقضى بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا ضيقا
مما قضيت اى مما قضيت به او من قضائك وقيل شكا من اجله اذ الشاك فى ضيق من امره ويسلموا
اى ينقادوا لامرك ويذعنوا له تسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره اى تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم
يقال سلم لامر الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة اى ينقادوا
لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وبطانهم قيل نزلت فى شان المنافق واليهودى وقيل فى شان
الزبير ورجل الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شراج من الحرة كانا يستقيان
بها النخل فقال عليه السلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب الانصارى وقال لان كان
ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع
الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار الى الزبير براى فيه سعة له وللخصم
فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه فى صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد
فقال لمن القضاء فقال الانصارى قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودى كان مع المقداد فقال
قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه فى قضاء يقضى بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة
فى حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا فى طاعة ربنا
حتى رضى عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم منى الصدق لو امرنى محمد ان اقتل
نفسى لقتلتها وروى انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذى نفسى بيده ان من امتى رجالا الايمان اثبت فى قلوبهم من الجبال الرواسى فنزل فى شان
هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اى لو اوجبنا عليهم
مثل ما اوجبنا على بنى اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل
وان مصدرية او مفسرة لان كتبنا فى معنى امرنا ما فعلوه اى المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد
مصدرى الفعلين الا قليل منهم اى الا ناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروى عن عمر
رضى الله عنه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم
تعرضوا بها للقتل بالجهاد وهو بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا ولو انهم
فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول عليه السلام وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا
وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه مواعظ لاقترانها بالوعد والوعيد لكان اى فعلهم ذلك خيرا لهم
عاجلا واجلا واشد تثبيتا لهم على الايمان وابعد من الاضطراب فيه او اشد تثبيتا لثواب اعمالهم

واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل
واذن لو ثبتوا لآتيناهم فان اذن جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما يصلون بسلوكه الى عالم القدس
ويفتح لهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورّثه اليه علم ما يعلم ومن يطع الله
والرسول كلام مستانف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما
ينتهي اليه همم الامم وارفع ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا
متضمن لتفسير ما ابهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل فيه والمراد بالطاعة
هو الانقياد التام والامتثال الكامل بجميع الاوامر والنواهي فاولئك اشارة الى المطيعين والجمع باعتبار
معنى من كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب في الذكر للايذان
بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتداء خبره مع الذين انعم الله عليهم والجملة جواب للشرط
وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه من النبيين بيان للمنعم عليهم
والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم الصلوة والسلام مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا صلى الله
تعالى عليه وسلم لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعته عم متضمنة لطاعتهم
لاشتمال شريعته على شرايعهم التي لا تتغير بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا يا نبي الله ان صرنا الى الله تفضلتنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال
الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما يبكيك يا فلان
فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي
وولدي واني لاذكرك وانا في اهلي فياخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك ترفع مع
النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم
فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب له عليه السلام
قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فساله رسول الله
عم عن حاله فقال يا رسول الله ما لي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة
حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت
الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه
وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس
اجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وروي ان انسا قال يا رسول
الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب والصديقين اي المتقدمين
في تصديقهم المبالغين في الصدق والاخلاص في الاقوال والافعال وهم افاضل اصحاب الانبياء عليهم
السلام واماثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق والشهداء الذين بذلوا ارواحهم في طاعة
الله تعالى واعلاء كلمته والصالحين الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد بالمعية

الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية
الآخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما من المسافة وحسن اولئك رفيقا الرفيق الصاحب
ماخوذ من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا فان جعل اولئك اشارة الى النبيين
ومن بعدهم على ان ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بالحسن من
جهة كونهم رفقاء للمطيعين او حال كونهم رفقاء لهم وافراده لما انه كالصديق والخليط والرسول يستوي
فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز على
معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في
الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل
وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين ذلك اشارة الى ما
للمطيعين من عظيم الاجر ومزيد الهداية ومرافقة لهؤلاء المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من
معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف وهو مبتداء وقوله تعالى الفضل صفته وقوله
تعالى من الله خبره اي ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره او الفضل خبره ومن الله متعلق
بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اي ذلك الذي ذكر فضل كائنا من الله تعالى لا ان
اعمال المكلفين توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين آمنوا
خذوا حذركم الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والشبه والشبه اي تيقظوا واحترزوا من العدو
ولا تمكنوه من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه
وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم اي استعدوا للعدو فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها اي اخرجوا
الى الجهاد عند خروجكم ثبات جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الاصل فعلة كحطمة
حذفت لامها وعوض منها تاء التانيث وهل هي واو او ياء فيه قولان قيل انها مشتقة من ثبا يثبو
كحلا يحلو اي اجتمع وقيل من تثبيت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه ويجمع ايضا على ثبين
جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية اي انفردوا جماعات متفرقة سرية بعد سرية او
انفروا جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن
اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطأ بمعنى ابطأ كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله
عليه وسلم كلهم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد
او ليبطئن غيره ويثبطنه من بطأ منقولا من بطؤ كثقل من ثقل كما بطأ ابن ابي ناسا يوم احد والاول
انسب لما بعده واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف
والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن فان
اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرايه قد انعم الله علي اي بالقعود اذ
لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم والفاء في الشرطية لترتيب مضمونها على

ماقبلها فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان نفس التبطئة مستدعية لشئ سطر المبطئ وقوعه
ولئن اصابكم فضل كفتح وغنيمة من الله متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة لفضل اى فضل كائن من الله
تعالى ونسبة ونسبة اصابة الفضل الى جناب الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية
كما فى قوله سبحانه واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق
واثر نفاقهم اظهر ليقولن ندامة على تثبطه وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ
ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من وقوله تعالى كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ اعتراض
وسط بين الفعلين ومفعوله الذى هو يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا لئلا يفهم من مطلع كلامه
اى تمنيه لمعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم حسبما يقتضيه ما فى البين من المودة بل هو للحرص على
المال كما ينطق به آخره وليس اثبات المودة فى البين بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية
حال من ضمير ليقولن اى ليقولن مشبها بمن لا مودة بينكم وبينه وقيل هى داخلة فى المقول اى ليقولن
المثبط لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المؤمنين كأن لم يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة
حيث لم يستصحبكم فى الغزو حتى تفوزوا بما فاز يا ليتنى كنت معهم وغرضه القاء العداوة بينهم وبينه صلى الله
عليه وسلم وتاكيدها وكأن مخففة من الثقيلة واسمه ضمير الشان وهو محذوف وقرئ لم يكن بالياء والمنادى
فى يا ليتنى محذوف اى يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب
التمنى وقرئ بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف اى فانا افوز فى ذلك الوقت او على انه معطوف على كنت
داخل معه تحت التمنى فليقاتل فى سبيل الله قدم الظرف على الفاعل للاهتمام به الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة
بالآخرة اى يبيعونها بها وهم المؤمنون فالفاء جواب شرط مقدر اى ان بطأ هؤلاء عن القتال
فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم فى طلب الآخرة او الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة وهم
المبطئون فالفاء للتعقيب اى ليتركوا ما كانوا عليه من التثبط والنفاق وليعقبوه بالقتال فى سبيل الله
ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه بنون العظمة التفاتا اجرا عظيما لا يقادر
قدره وتعقيب القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحدى الحسنيين
ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه فى استتباع الاجر روى ابو هريرة
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله تعالى لمن جاهد فى سبيله لا يخرجه
الا جهاد فى سبيله وتصديق كلمته ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذى خرج منه مع ما نال
من اجر وغنيمة وما لكم خطاب للمامورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة فى التحريض عليه
وتاكيدا لوجوبه وهو مبتداء وخبر وقوله عز وجل لا تقاتلون فى سبيل الله حال عاملها ما فى الظرف من
معنى الفعل والاستفهام للانكار والنفى اى اى شئ لكم غير مقاتلين اى لا عذر لكم فى ترك المقاتلة
والمستضعفين عطف على اسم الله اى فى سبيل المستضعفين وهو تخليصهم على الاسر وصونهم عن العدو
او على السبيل بحذف المضاف اى فى خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله

يعم

يعم ابواب الخير وتخليص ضُعَفَة المؤمنين من ايدى الكفرة اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان
بيان للمستضعفين او حال منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة بصد المشركين او لضعفهم عن الهجرة مستذلين
ممتحنين وانما ذكر الولدان معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب المرحمة وتنبيها على تناهى ظلم المشركين
بحيث بلغ اذاهم الصبيان لارغام آبائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعاء الآتى واقتراب زمان الخلاص
ببيان شركتهم فى التضرع الى الله تعالى كل ذلك للمبالغة فى الحث على القتال وقيل المراد بالولدان
على الولائد ايضا الذين محله الجر على انه صفة للمستضعفين او لما فى حيز البيان او النصب على الاختصاص
يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها بالشرك الذى هو ظلم عظيم وباذية المسلمين وهى مكة
والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجرى على غير من
هو له كان كالفعل فى التذكير والتانيث بحسب ما عمل فيه وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا كلا الجارين متعلق
باجعل لاختلاف معنييهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة
فى المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق
السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم اللام على من للمسارعة
الى ابراز كون المسؤل نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة من بمحذوف وقع حالا من
وليا قدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام فى قوله تعالى وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا قال ابن عباس رض
اى ول علينا وليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا وينصرنا على
اعدائنا ولقد استجاب الله تعالى عز وجل دعائهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل لمن بقى
منهم خير ولى واعز ناصر ففتح مكة على يدى نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم اى تولى ونصرهم اى
نصره ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا
من لدنك ولاية ونصرة اى كن انت ولينا وناصرنا وتكرير الفعل ومتعلقيه للمبالغة فى التضرع
والابتهال الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين فى القتال وتشجيعهم ببيان
كمال قوتهم بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اى المؤمنون انما يقاتلون فى دين الحق
الموصل لهم الى الله عز وجل وفى اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين كفروا يقاتلون فى
سبيل الطاغوت اى فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه والفاء فى قوله تعالى فقاتلوا اولياء
الشيطان لبيان استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك نتيجة لقتالهم
فى سبيل الشيطان والاشعار بان المؤمنين اولياء الله لما ان قتالهم فى سبيله وكل ذلك لتاكيد رغبة
المؤمنين فى القتال وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم فى العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان
مثل فى الذلة والضعف كانه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا يا اولياء الله تعالى اولياء الشيطان
ثم صرح بالتعليل فقيل إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا اى فى حد ذاته فكيف بالقياس الى قدرة
الله عز وجل ولم يتعرض لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا بظهورها قالوا فائدة ادخال كان فى

امثال هذه المواقع التاكيد ببيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان كان موصوفا
بالضعف **الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم** تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احجامهم عن
القتال مع انهم قبل ذلك راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرون كما ينبئ عنه الامر بكف الايدى
فان ذلك مشعر بكونهم بصدد بسطها الى العدو بحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبى ان جماعة من اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف الزهرى والمقداد بن اسود الكندى وقدامة
بن مظعون الجمحى وسعد بن ابى وقاص الزهرى رضى الله تعالى عليهم اجمعين كانوا يلقون من مشركى
مكة قبل الهجرة اذى شديدا فيشكون ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم ويقولون ايذن لنا فى قتالهم
ويقول لهم النبى صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** فانى لم اومر بقتالهم وبناء
القول للمفعول مع ان القائل هو النبى صلى الله عليه وسلم للايذان بكون ذلك بامر الله تعالى سبحانه ولان
المقصود بالذات والمعتبر فى التعجيب انما هو كمال رغبتهم فى القتال وكونهم بحيث احتاجوا الى النهى عنه وانما
ذكر فى حيز الصلة الامر بكف الايدى لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصيته
الامر غرض وكانوا فى مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال فى وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا فى الدين
ولا رغبة عنه بل نفورا عن الاخطاء بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية وذلك قوله
تعالى **فلما كتب عليهم القتال** الخ وهو عطف على قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله الكنائى اذ حينئذ
يتحقق التباين بين مدلولى المعطوفين وعليه يدور امر التعجيب كانه قيل الم تر الى الذين كانوا حراصا
على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى **اذا فريق منهم يخشون الناس** جواب لما على ان
فريق مبتداء ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره باذا المفاجاة لبيان
مسارعتهم الى الخشية اثر ذى اثير من غير تلعثم وتردد اى فاجاء فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقتلوهم
ولعل توجيه التعجيب الى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للايذان بانه ما كان ينبغى ان يصدر عن
احدهم ما ينافى حالتهم الاولى وقوله تعالى **كخشية الله** مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه
حال من فاعل يخشون اى يخشونهم متشبهين لاهل خشية الله وقوله تعالى **او اشد خشية** عطف عليه
بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله او على انه مصدر مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما فى جد
جده اى يخشونهم خشية مثل خشية الله وخشية بعضهم اشد منها واما للابهام على السامع وهو قريب
مما فى قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون يعنى ان من يبصرهم يقول انهم مائة الف او يزيدون
وقالوا عطف على جواب لما اى فلما كتب عليهم القتال فاجاء فريق منهم خشية الناس وقالوا **ربنا
لم كتبت علينا القتال** فى هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه تعالى والانكار لايجابه بل على طريق
تمنى التخفيف **لولا اخرتنا الى اجل قريب** استزادة فى مدة الكف واستمهال الى وقت اخر حذرا عن
الموت وقد يجوز ان يكون هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا به صريحا **قل** اى تهديدا

لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفانى وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من النعيم الباقى **متاع الدنيا**
اى ما يتمتع وينتفع به فى الدنيا **قليل** سريع التقضى وشيك الانصرام وان اخرتم الى ذلك الاجل **و
الاخرة** اى ثوابها الذى من جملته الثواب المنوط بالقتال **خير** اى لكم من ذلك المتاع القليل لكثرته
وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل **لمن اتقى** حثا لهم على اتقاء العصيان والاخلال
بمواجب التكليف **ولا تظلمون فتيلا** عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى تجزون فيها ولا تنقصون
ادنى شئ من اجور اعمالكم التى من جملتها مساعيكم فى شان القتال فلا ترغبوا عنه والفتيل ما فى شق
النواة من الخيط يضرب به المثل فى القلة والحقارة وقرئ يظلمون بالياء اعادة للضمير الى ظاهر من
اينما تكونوا يدرككم الموت كلام مبتداء مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن
رسول الله صلى الله عليه الى المخاطبين اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شان الاخرة
بواسطته صلى الله عليه وسلم فلا له من الاعراب او فى محل النصب داخل تحت القول المامور به
اى اينما تكونوا فى الحضر والسفر يدرككم الموت الذى لاجله تكرهون القتال زعما منكم انه من مظانه
وتحبون القعود عنه على زعم انه منجاة منه وفى لفظ الادراك اشعار بانهم فى الهرب من الموت
وهو مجد فى طلبهم وقرئ بالرفع على حذف الفاء كما فى قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على اعتبار
وقوع اينما كنتم فى موقع اينما تكونوا او على كلام مبتداء واينما تكونوا متصل بلا تظلمون اى لا تنقصون
شيئا مما كتب من اجالكم اينما تكونوا فى ملاحم الحروب ومعارك الخطوب **ولو كنتم فى بروج مشيدة**
فى حصون رفيعة او قصور محصنة وقال السدى وقتاده بروج السماء يقال شاد البناء واشاده وشيده
رفعه وقرئ مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما فى قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر
اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه اى لو كنتم فى
بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة معطوفة على اخرى مثلها اى لو لم تكونوا فى بروج مشيدة ولو
كنتم الخ وقد اطرد حذفها لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق عند وجود المانع
فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة ما فى لو الوصلية من التاكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه
فى تفسير قوله تعالى او لو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون **وان تصبهم حسنة يقولوا هذه
من عند الله** كلام مبتداء جئ به عقيب ما حكى عن المسلمين لما بينهما من المناسبة فى اشتمالهما على اسناد
ما يكرهونه الى بعض الامور وكراهتهم له بسبب ذلك والضمير لليهود والمنافقين روى انه كان قد بسط
عليهم الرزق فلما قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فدعاهم الى الايمان فكفروا امسك عنهم بعض
الامساك فقالوا ما زلنا نعرف النقص فى ثمارنا ومزارعنا منذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله
وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك اى وان تصبهم نعمة ورخاء نسبوها الى الله عز وجل وان تصبهم
بلية من جدب وغلاء اضافوها اليك كما حكى عن اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا
بموسى ومن معه فامر النبى صلى الله عليه وسلم بان يرد زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويقلمهم الحجر ببيان

استناد الكل اليه تعالى على الاجمال اذ لايجرؤن على معارضته امر الله عز وجل حيث قيل قل كل من عند
الله اى كل واحد من النعمة والبلية من جهة الله تعالى خلقا وايجادا من غير ان يكون لى مدخل فى وقوع
شئ منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة
ذنوب من ابتلى بها عقوبة كما سيأتى بيانه فهذا الجواب المجمل فى معنى ما قيل ردا على اسلافهم من
قوله تعالى الا انما طائرهم عند الله اى انما سبب خيرهم وشرهم او سبب اصابة السيئة التى هى ذنوبهم
عند الله تعالى لا عند غيره حتى يسندوها اليه ويطيروا به وقوله تعالى فمال هؤلاء القوم الخ
كلام معترض بين المبين وبيانه مسوق من جهته تعالى لتعبيرهم بالجهل وتقبيح حالهم والتعجيب من
كمال غباوتهم والفاء لترتيبه على ما قبله وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا حال من هؤلاء والعامل
فيها ما فى الظرف من معنى الاستقرار اى وحيث كان الامر كذلك فاى شئ حصل لهم حال كونهم
بمعزل من ان يفقهوا حديثا او استيناف مبنى على سؤال نشا من الاستفهام كانه قيل ما بالهم وماذا
يصنعون حتى يتعجب منه او يسال عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا من الاحاديث اصلا
فيقولون ما يقولون او لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما فى معناه وما هو اوضح منه
من النصوص القرانية الناطقة بان الكل فايض من عند الله تعالى وان النعمة منه تعالى بطريق
التفضل والاحسان والبلية بطريق العقوبة على ذنوب العباد لاسيما النص الوارد عليهم فى صحف
موسى وابرهيم الذى وفى الا تزر وازرة وزر اخرى ولم يسندوا جناية انفسهم الى غيرهم وقوله تعالى
ما اصابك من حسنة الخ بيان للجواب المجمل المامور به واجراؤه على لسان النبى صلى الله عليه وسلم ثم
سوق البيان من جهته عز وجل بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس والالتفات
لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان بان مضمونه مبنى على حكمة دقيقة حقيقة
بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دون كلهم كما فى قوله تعالى وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة فى التحقيق بقطع احتمال سببية معصية بعضهم لعقوبة
الاخرين اى ما اصابك من نعمة من النعم فمن الله اى فهى منه تعالى بالذات تفضلا واحسانا من
غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وان كل ما يفعله المرء من الطاعات التى يغرض كونها ذريعة الى
اصابة نعمة ما فهى بحيث لا تكاد تكافئ نعمة حياته المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى اياه على ادائها
فضلا عن استيجابها النعمة اخرى ولذلك قال عليه الصلوة والسلم ما احد يدخل الجنة الا برحمة الله قيل
ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة اى بلية من البلايا فمن نفسك اى فهى منها بسبب
اقترافها المعاصى الموجبة لها وان كان من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من عنده عقوبة كقوله
تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عايشه رضى الله عنها ما من مسلم
نصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا لبيان حاله صلى الله عليه وسلم بل لبيان

حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم والاشعار بانهم لفرط جهلهم
وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لاسيما بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك للناس رسولا بيان لجلالة
منصبه صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم الفاسد فى حقه عليه
السلام بناء على جهلهم بشانه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار اما متعلق برسولا قدم عليه
للاختصاص الناظر الى قيد العموم اى رسولا لكل الناس لا لبعضهم فقط كما فى قوله تعالى وما ارسلناك
الا كافة للناس واما بالفعل فرسولا حال مؤكدة وقد جوز ان يكون مصدرا مؤكدا كما فى قوله لقد كذب
الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اى بارسال بمعنى رسالة وكفى بالله شهيدا اى
على رسالتك بنصب المعجزات التى من جملتها هذا النص الناطق والوحى الصادق والالتفات لتربية المهابة
وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلى من يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته صلى الله
عليه وسلم اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك لان الامر والناهى فى الحقيقة هو الله عز وجل
وانما هو عليه السلام مبلغ لامره ونهيه فمرجع الطاعة وعدمها هو الله سبحانه روى عليه السلام
قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول
هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى
عيسى فنزلت والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته
عليه السلام طاعة الله تعالى ليس خصوصية ذاته عليه السلام بل حيثية رسالته واظهار الجلالة لتربية
المهابة وتاكيد وجوب الطاعة بذكر عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام
انتظاما اوليا ياباه تخصيص الخطاب به عليه السلام فى قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم
حفيظا وجواب الشرط محذوف والمذكور تعليل له اى ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك
رسولا مبلغا لا حفيظا مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا حال من
الكاف وعليهم متعلق به قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد فى تولى
باعتبار لفظه ويقولون شروع فى بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب
طاعته اى يقولون اذا امرتهم بشئ طاعة اى امرنا وشاننا طاعة او منا طاعة والاصل النصب على
المصدر والرفع للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا من عندك اى خرجوا من مجلسك بيت طائفة
منهم اى من القائلين المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذى تقول اى زورت طائفة منهم وسوت
خلاف ما قالت لك من القبول وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما يظهرون
على وجه النفاق او خلاف ما قلت لها والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل
يقال هذا امر بيت بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تانيث
الطائفة غير حقيقى وقرئ بادغام التاء فى الطاء لقرب المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون
له بالذات والباقون اتباع لهم فى ذلك لا لان الباقين ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون

اى يكتبه فى جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليكم فيجدون بذلك
الى الاضرار بكم سبيلا او يثبته فى صحائفهم فيجازيهم عليه وايا ما كان فالجملة اعتراضية **فاعرض عنهم**
اى لا تبال بهم وبما صنعوا او تجاف عنهم ولا تقصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها
وتوكل على الله فى كل ما تاتى وما تذر لا سيما فى شانهم واظهار الجلالة فى مقام الاضمار للاشعار بعلة
الحكم **وكفى بالله وكيلا** فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار ههنا ايضا لما مر وللتنبيه على
استقلال الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه **افلا يتدبرون القران** انكار واستقباح لعدم
تدبرهم القران واعراضهم عن التامل فيما فيه من موجبات الايمان وتدبر الشئ تامله والنظر فى
ادباره وما يؤل اليه فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى تفكر ونظر والفاء للعطف على مقدر اى
ايعرضون عن القران فلا يتاملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التى
من جملتها هذا الوحى الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكى على ما هو عليه **ولو كان** اى القران
من عند غير الله كما يزعمون **لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم
بالامور الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وحيث كان كلها مطابقة للواقع تعين
كونه من عنده تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله لكان ما فيه من الاخبار بالغيب مما يسره المنافقون
وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله وقال ابو بكر الاصم ان هؤلاء
المنافقين كانوا يتواطؤن فى السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله تعالى يطلع الرسول
عليه السلام على ذلك ويخبر بها مفصلة فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار الله تعالى لما اطرد
الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم انه باعلامه تعالى هذا هو الذى يستدعيه
جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم فى البلاغة بان كان بعضه
دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه
قاصرا عنه يمكن معارضته كما جنح اليه الجمهور مما لا يساعده السباق ولا السياق ومن رام التقريب
وقال لعل ذكره ههنا للتنبيه على ان اختلاف ما سبق من الاحكام ليس لتناقض فى الحكم بل لاختلاف
فى الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد ابعد عن الحق بمراحل **واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا**
به يقال اذاع السر واذاع به اى اشاعه وافشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو
ابلغ من اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم فى بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء
على عدم فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك
ان ناسا من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول صلى الله عليه
وسلم بما اوحى اليه من وعد بالظفر او تخويف من الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه
على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بامور
تفوت بالاذاعة فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فنعى عليهم ذلك وقيل

ولو ردوه

ولو ردوه اى ذلك الامر الذى جاءهم **الى الرسول** اى عرضوه على رايه عليه السلام مستكشفين لمعناه
وما ينبغى له من التدبير والتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة الى رايه صلى الله
عليه وسلم **والى اولى الامر منهم** وهم كبار الصحابة البصراء فى الامور رضى الله عنهم **لعلمه** اى لعلم
الرادون معناه وتدبيره وانما وضع ضميرهم الموصول فقيل **الذين يستنبطونه منهم** للايذان
بانه ينبغى ان يكون قصدهم برده اليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه اى لعلمه اولئك الرادون
الذين يستنبطونه اى يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اى من جهة الرسول عليه السلام واولى
الامر من صحابته رض ولما فعلوا فى حقه ما فعلوه فلم يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف
وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها فكلمة
من فى منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوه ذلك الخبر الى رسول
الله عليه السلام والى اولى الامر لعلم تدبير ما اخبر وا به الذين يستنبطونه اى يستخرجون تدبيره
بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكائدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله عليه السلم
واولى الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء
فيعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا
لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما ياتون وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون
من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا
على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول عليه السلام والى اولى الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم
ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلم صحته وهل هو مما يذاع او لا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين
يستنبطونه من الرسول عليه السلم واولى الامر اى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فمساق
النظم الكريم حينئذ لبيان جناية ملك الطاعة وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم
والخطاب فى قوله تعالى **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** للطائفة المذكورة على طريقة الالتفات
اى لولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارشادكم الى طريق الحق الذى هو المراجعة فى مظان الاشتباه
الى الرسول عليه السلام والى اولى الامر **لاتبعتم الشيطان** وعملتم باراء المنافقين فيما تاتون
وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب **الا قليلا** وهم اولى الامر الواقفون على اسرار الكتاب
الراسخون فى معرفة احكامه فالاستثناء منقطع وقيل ولولا فضله تعالى عليكم ورحمته بارسال
الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلالة الا قليلا منكم فقد تفضل الله
عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان كقس بن ساعدة
الايادى وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب للكل والاستثناء متصل
وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين

الا قليلا منكم وهم اولى البصاير النافذة والنيات القوية والعزايم الماضية من افاضل المؤمنين الواقفين
على حقية الدين البالغين الى درجة حق اليقين المستغنين عن مشاهدة آثار حقيته من الفتح والظفر
وقيل الا اتباعا قليلا **فقاتل في سبيل الله** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله عليه السلام
بطريق الالتفات وهو جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم اى اذا كان الامر كما حكى من عدم
طاعة المنافقين وكيدهم وتقصير الآخرين في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير
مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل **لا تكلف الا نفسك** اى الا فعل نفسك استيناف مقرر لما قبله فان
اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على
ان ما فعلوا من التثبط لا يضره عليه السلام ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل قاتل اى فقاتل
غير مكلف الا نفسك وقرئ لا تكلف بالجزم على النهي وقيل على جواب الامر وقرئ بنون العظمة اى
لا نكلف الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف احدا الا نفسك **وحرض المؤمنين** عطف على الامر السابق
داخل في حكمه فان كون حال الطائفتين كما حكي سبب للامر بالقتال وحده وبتحريض خلص المؤمنين
والتحريض على الشيء الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير
فيه ولا يعتد به اى رغبهم في القتال ولا تعنف بهم وانما المراد ذكر المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى
عسى الله ان يكف باس الذين كفروا عدة منه سبحانه تعالى محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكروهم
فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل وقد كان كذلك حيث روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب احد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا
الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا ووافوا
الموعد والقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب فرجعوا من مر الظهران ويروى ان رسول الله عليه
السلام وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد
مر في سورة آل عمران **والله اشد باسا** اى من قريش **واشد تنكيلا** اى تعذيبا وعقوبة تنكل من
شاهدها عن مباشرة ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبلها واظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر لتاكيد التشديد وقوله تعالى
من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها اى من ثوابها جملة مستانفة سيقت لبيان ان له عليه
السلام فيما امر به من تحريض المؤمنين حظا موفورا فان الشفاعة هي التوسط بالقول في وصول شخص
الى منفعة من المنافع الدنيوية او الاخروية او خلاصه عن مضرة ما كذلك من الشفع كان المشفوع له
كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في امر مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله
تعالى من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية واي منفعة اجل مما قد حصل للمؤمنين بتحريضه
عليه السلام على الجهاد من المنافع الدينية والاخروية واي مضرة اعظم مما تخلصوا عنه بذلك من
التثبط عنه ويندرج فيها الدعاء للمسلم فانه شفاعة الى الله سبحانه وعليه مساق آية التحية الآتية

روى انه عليه الصلوة والسلام قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك
مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود **ومن يشفع شفاعة سيئة** وهي ما كانت بخلاف الحسنة
يكن له كفل منها اى نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير ان ينقص منه شيء **وكان الله على
كل شيء مقيتا** اى مقتدرا من اقات على الشيء اذا اقتدر عليه او شهيدا حفيظا واشتقاقه من القوت
فانه يقوي البدن ويحفظه والجملة تذييل مقرر لما قبلها على كلا المعنيين **واذا حييتم بتحية** ترغيب
في فرد شائع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما يقابلها من الشفاعة
السيئة وارشاد الى توفية حق الشفيع وكيفية ادائه فان تحية الاسلام من المسلم شفاعة منه لاخيه
الى الله عز وجل والتحية مصدر حيى اصلها تحيية كتسمية من سمى واصل الاصل تحيي بثلث ياءات فحذفت
الاخيرة وعوض عنها تاء التانيث وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل حركتها الى الحاء قال الراغب
اصل التحية الدعاء بالحيوة وطولها ثم استعملت في كل دعاء وكانت العرب اذا لقي بعضهم بعضا يقول حياك
الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال تحيتهم يوم يلقونه
سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية لما انه دعاء بالسلامة
عن الآفات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحيوة وليس في الدعاء بطول الحيوة ذلك ولان
السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اى اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين
فحيوا باحسن منها اى بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ان اقتصر المسلم
على الاول وبان تزيدوا وبركاته ان جمعهما المسلم وهي النهاية لانتظامها لجميع فنون المطالب التي
هي السلامة عن المضار ونيل المنافع ودوامها ونماؤها **او ردوها** اى اجيبوها بمثلها روى
ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال
الآخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال الآخر السلام عليك
ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ما قال الله تعالى وتلا الآية فقال
عليه السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين
الزيادة وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرد واجب
وما من رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت
عليه الملئكة ولا يرد في الخطبة وتلاوة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند دراسة العلم والاذان
والاقامة ولا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام
وغيره قالوا ويسلم الرجل على امراته لا على الاجنبية والسنة ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على
الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والقليل على الكثير واذا التقيا ابتدرا وعن
ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا
وعليكم اى وعليكم ما قلتم حيث كان يقول بعضهم السام عليكم وروي لا تبدأ اليهودي بالسلام وان

بَدَاكَ فقل وعليك وعن الحسن انه يجوز ان يقول للكافر وعليك السّلام دون الزّياده وقيل التحيّة
بالاحسن عند كون المسلّم مسلماً وردّ مثلها عند كونه كافراً اِنَّ اللهَ عَلىٰ كُلِّ شَئٍ حَسِيْبًا
فيحاسبكم على كلّ شئ من اعمالكم التّى من جملتها ما امرتم به من التحيّة فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به
اللهُ لا اله الّا هو مبتداء وخبر وقوله تعالى ليجمعنّكم الى يوم القيٰمة جواب قسم محذوف اى والله ليحشرنّكم
من قبوركم الى حساب يوم القيٰمة وقيل الى بمعنى فى والجملة القسمية امّا مستانفة لا محل لها لا محلّ
لها من الاعراب او خبر ثان للمبتداء وهى الخبر ولا اله الّا هو اعتراض وقوله تعالى لاريب فيه اى فى
يوم القيٰمة او فى الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اى جمعاً لاريب فيه ومَنْ اَصْدَقُ مِنَ اللهِ حديثا
انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى فى وعده وساير اخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب
محال عليه سبحانه دون غيره فما لكم مبتداء وخبر والاستفهام للانكار والنفى والخطاب لجميع المؤمنين
لكن ما فيه من معنى التّوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله تعالى فى المنافقين متعلق امّا بما تعلق به الخبر اى
ائّ شئ كائن لكم فيهم اى فى امرهم وشانهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما بما يدلّ عليه
قوله تعالى فِئَتَيْنِ من معنى الافتراق اى فما لكم تفترقون فى المنافقين وامّا بمحذوف وقع حالاً
كما هو شان صفات النّكرات على الاطلاق او من الضّمير فى تفترقون وانتصاب فئتين عند
البصريّين على الحاليّة والعامل ما فى لكم من معنى الفعل كما فى قوله عزّ وجل فما لهم عن التذكرة
معرضين وعند الكوفيّين على خبريّة كان مضمرة اى فما لكم فى المنافقين كنتم فئتين والمراد انكار
ان يكون للمخاطبين شئ مصحح لاختلافهم فى امر المنافقين وبيان وجوب بتّ القول بكفرهم واجرائهم
مجرى المجاهرين بالكفر فى جميع الاحكام وذكرهم بعنوان النّفاق باعتبار وصفهم السّابق روى انّهم
قوم من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو معتلّين باجتواء
المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فى امرهم
وقيل هم قوم هاجروا من مكّة الى المدينة ثمّ بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا على دينك وما اخرجنا الّا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس اظهروا الاسلام
وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا وياباه
ما سياتى من جعل هجرتهم غاية للنّهى عن تولّيهم وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا راعى
رسول الله صلى الله عليه وسلّم ويرده ما سياتى من الايات النّاطقة بكيفية المعاملة معهم من السّلم
والحرب وهؤلاء قد اخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم ينقل فى امرهم اختلاف المسلمين
واللهُ اَرْكَسَهُم حال من المنافقين مفيدة لتاكيد الانكار السّابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان وجود
الثّانى بعد بيان عدم الدّاعى وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو اى ائّ شئ يدعوكم الى الاختلاف
فى كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى قد ردّهم فى الكفر كما كانوا بما كسبوا
بسبب ما كسبوه من الارتداد واللّحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم

والعَايد الى الموصول محذوف وقيل ما مصدريّة اى بكسبهم وقيل معنى اركسهم نكسهم بان صيّرهم
للنّار واصل الرّكس ردّ الشئ مقلوباً وقرئ ركسهم مشدداً وركسهم ايضاً مخفّفاً اتريدون ان تهدوا
من اضلّ الله تجريد للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم ذلك
واشعار بانّه يؤدى الى محاولة المحال الّذى هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لانّ الحكم
بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهم بمعزل من ذلك سعى فى هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول
موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار وتاكيد استحالة الهداية بما ذكر فى حيّز الصّلة وتوجيه
الانكار الى الارادة لا الى متعلّقها بان يقال انهدون الى آخره للمبالغة فى انكاره ببيان انه مما لا
يمكن ارادته فضلاً عن امكان تفسيره وحمل الهداية والاضلال على الحكم بهما ياباه قوله عزّ وجلّ
ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اى ومن يخلق فيه الضّلال كائناً من كان فلن تجد له سبيلاً
من السّبل فضلاً عن ان يهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس فى قوله تعالى
ومن يضلل الله فما له من هادٍ ونظائره وحمل اضلاله تعالى على حكمه وقضائه بالضّلال مخلّ بحسن
المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب الى كلّ واحدٍ من المخاطبين للاشعار بشمول عدم
الوجدان للكل على طريق التّفصيل والجملة امّا حال من فاعل تريدون او تهدوا والرّابط هو الواو
او اعتراض تذييلى مقرّر للانكار السّابق ومؤكد لاستحالة الهداية فحينئذ يجوز ان يكون الخطاب
لكلّ احد ممّن يصلح له من المخاطبين اوّلاً ومن غيرهم ودّوا لو تكفرون كلام مستانف مسوق
لبيان غلوّهم وتماديهم فى الكفر وتصدّيهم لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم فى انفسهم
وكلمة لو مصدريّة غنيّة عن الجواب وهى مع ما بعدها نصب على المفعوليّة اى ودّوا ان تكفروا وقوله
تعالى كما كفروا نصب على انّه نعت لمصدر محذوف اى كفراً مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك
المصدر كما راى سيبويه وقوله تعالى فَتَكُوْنُوْنَ سَوَآءً عطف على تكفرون داخل فى حكمه اى ودّوا
ان تكفروا فتكونون سواء مستوين فى الكفر والضّلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها محذوف
لمفعول ودّوا والتقدير ودّوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسرّوا بذلك فلا تتخذوا منهم اولياء الفاء
جواب شرط محذوف وجمع اولياء لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهى ان يتخذ واحد من
المخاطبين وليّاً واحداً منهم اى اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم حتّى يهاجروا
فى سبيل الله اى حتّى يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ورسوله عليه لا لغرض من
اغراض الدّنيا فان تولّوا اى عن الايمان المظاهر بالهجرة الصّحيحة المستقيمة فخذوهم اذا قدرتم
عليهم واقتلوهم حيث وجدتموهم من الحل والحرم فان حكمهم حكم ساير المشركين اسراً وقتلاً ولا
تتخذوا منهم وليّا ولا نصيرا اى جانبوهم مجانبة كليّة ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابداً الّا الَّذِيْنَ
يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اى الّا الّذين يتصلون
وينتهون الى قوم عاهدكم ولم يحاربوكم وهم الاسلميّون كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم

وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويم الاسلمى على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل
الى هلال ولجا اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال وقيل هم بنو بكر بن زيد مناة وقيل هم خزاعة
اوجاؤكم عطف على الصلة اى او الذين جاؤكم كافين من قتالكم وقتال قومهم استثنى من المامور
باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والاخر من اتى المؤمنين وكف
عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او الى قوم كافين
عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سياتى من قوله تعالى فان اعتزلوكم الخ فانه
صريح فى ان كفهم عن القتال احد سببى استحقاقهم لنفى التعرض لهم وقرئ جاؤكم غير عاطف على انه
صفة بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد بدليل انه قرئ
حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف
هو حال من فاعل جاؤا اى جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم مدلج جاؤا
رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم
اى عن ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
جملة مبتداة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ والقتل ونظمهم فى سلك
الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدونا كالطائفة الاولى اى
ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب عنها فلقاتلوكم عقيب
ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على التكرير والابدال من الاولى وقرى فلقتلوكم بالتخفيف
والتشديد فان اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من ذلك بمشية
الله عز وجل والقوا اليكم السلم اى الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام فما جعل الله لكم
عليهم سبيلا طريقا بالاسر او بالقتل فان مكافتهم عن قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا والقاءهم
اليكم السلم وان لم تعاهدوكم كافية فى استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم ستجدون آخرين يريدون ان
يامنوكم ويامنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا
المسلمين فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليامنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار
وكان ديدنهم ما ذكر كلما ردوا الى الفتنة اى دعوا الى الكفر وقتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها
اقبح قلب واشنعه وكانوا فيها شرا من كل عدو شرير فان لم يعتزلوكم بالكف عن التعرض لكم
بوجه ما ويلقوا اليكم السلم اى لم يلقوا اليكم الصلح والعهد بل نبذوه اليكم ويكفوا ايديهم اى لم
يكفوها عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم اى تمكنتم منهم واولئكم الموصوفون
بما عدد من الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة فى الايقاع بهم قتلا وسبيا
لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث
اذنا لكم فى اخذهم وقتلهم وما كان لمؤمن اى وما صح له ولا لاق بحاله ان يقتل مؤمنا بغير حق فان

الايمان زاجر عن ذلك الا خطأ فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه بالكلية تحت الطاقة
البشرية وانتصابه اما على انه حال اى ما كان له ان يقتل مؤمنا فى حال الخطاء او على انه مفعول
له اى ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطاء او على انه صفة للمصدر اى الا قتلا خطأ وقيل
الا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفى فى معنى النهى
والاستثناء منقطع اى لكن ان قتله خطا فجزاؤه ما يذكر والخطاء ما لا يقارنه القصد الى الفعل او
الى الشخص ولا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمى مسلم فى صف الكفار مع الجهل
بالسلامة وقرئ خطاء وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روى ان عياش ابن ابى ربيعة وكان اخا ابى
جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم فاقسمت
امه لا تاكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابى انيسه
فاتياه وهو فى اطم ففتل منه ابو جهل فى الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف
وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد
منهما مائة جلدة فقال للحارث هذا اخى فمن انت يا حارث لله على ان وجدتك خاليا ان اقتلك
وقدما به على امه فحلفت لا تحل كتافه او يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث
وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير
رقبة اى فعليه او فموجبه تحرير رقبة اى اعتاق نسمة عبر عنها بها كما يعبر عنها بالراس مؤمنة
محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته يقتسمونها كسائر
المواريث لقول ضحاك بن سفيان الكلابى كتب الى رسول الله عليه السلام يامرنى ان اورث
امراة اشيم الضبابى من عقل زوجها الا ان يصدقوا اى يتصدق اهله عليه سمى العفو عنها صدقة
حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا
وهو متعلق بعليه او بمسلمة اى تجب الدية او يسلمها الى اهله الا وقت تصدقهم عليه فهو فى محل
النصب على الظرفية او الا حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل والقاتل فان كان اى
المقتول من قوم عدو لكم كفار محاربين وهو مؤمن ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان
اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم او بان اتاهم بعد ما فارقهم لمهم من المهمات فتحرير رقبة مؤمنة
اى فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة بينه وبين اهله ولانهم محاربون وان كان اى
المقتول المؤمن من قوم كفرة بينكم وبينهم ميثاق اى عهد موقت او مؤبد فدية اى فعلى قاتله دية
مسلمة الى اهله من اهل الاسلام ان وجدوا ولعل تقديم هذا الحكم ههنا مع تاخيره فيما سلف
للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق وتحرير رقبة مؤمنة كما هو حكم
سائر المسلمين ولعل افراده بالذكر مع اندراجه فى حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ

الخ لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منعه كونه فيما بين المحاربين وقيل المراد
بالمقتول الذمى او المعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريث بين المسلم والكافر وقد عرفت عدم
لزومهما **فمن لم يجد** اى رقبة ليحررها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها من الثمن **فصيام** اى فعليه
صيام **شهرين متتابعين** لم يتخلل بين يومين من ايامهما افطار **توبة** نصب على انه مفعول له اى شرع
لكم ذلك توبة اى قبولا بها من تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد لفعل محذوف اى تاب
عليكم توبة وقيل انه حال من الضمير المجرور فى عليه بحذف المضاف اى فعليه صيام شهرين ذا توبة
وقوله تعالى **من الله** متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة اى كاينة منه تعالى **وكان الله عليما** بجميع الاشياء
التى من جملتها حاله **حكيما** فى كل ما شرع وقضى من الشرائع والاحكام التى من جملتها ما شرعه فى شانه
ومن يقتل مؤمنا متعمدا لما بين حكم القتل خطاء وفصل اقسامه الثلثة عقب ذلك ببيان القتل عمدا
خلا ان حكمه الدنيوى لما بين فى سورة البقرة اقتصر ههنا على حكمه الاخروى روى ان مقيس بن
ضبابة الكنانى وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه قتيلا فى بنى النجار فاتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وذكر له القصة فارسل معه زبير بن عياض الفهرى وكان من اصحاب بدر الى
بنى النجار يامرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا
وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ما نعلم له قاتلا ولكنا نؤدى ديته فاتوه بمائة من
الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه
فقال اتقبل دية اخيك فتكون مسبة عليك اقتل الذى معك فيكون نفسا بنفس وفضل الدية
فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل واستاق بقيتها راجعا الى مكة كافرا
وهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله ۔ سراة بنى النجار اصحاب فارع وادركت ثارى واضطجعت موسدا
وكنت الى الاوثان اول راجع فنزلت وهو الذى استثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
ممن امنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وقوله متعمدا حال من فاعل يقتل وروى عن الكسائى
بسكون التاء كانه فر من توالى الحركات **فجزاؤه** الذى يستحقه بجنايته **جهنم** وقوله تعالى **خالدا**
فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه ان يدخل جهنم خالدا فيها
وقيل هو حال من ضمير يجزاها وقيل من مفعول جازاه وايد ذلك بانه انسب بعطف ما بعده
عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى ان ما يقدر للحال وللعطف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه المقام
اقتضاء ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان كون جزاءه ما ذكر لا يقتضى وقوع الجزاء البتة
كما ستقف عليه حتى يقدر يجزاها او جازاه بطريق الاخبار عن وقوعه واما قوله تعالى **وغضب الله**
عليه فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستيناف تقريرا
وتاكيدا لمضمونها حكم الله بان جزاءه ذلك وغضب عليه اى انتقم منه **ولعنه** اى ابعده عن الرحمة
بجعل جزائه ما ذكر وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير ان وحمل الماضى على معنى المستقبل كما

قوله تعالى ونفخ فى الصور ونظايره اى فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه الخ **واعد له** فى جهنم **عذابا**
عظيما لا يقادر قدره ولما ترى فى الاية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون
الابراق والارعاد وقد تايدت بما روى من الاخبار الشداد كقوله صلى الله عليه وسلم والذى
نفسى بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل مؤمن وقوله عليه السلام لو ان رجلا قتل
بالمشرق واخر رضى بالمغرب لاشرك فى دمه وقوله عليه السلام من اعان على قتل مؤمن بشطر
كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله ونحو ذلك من القوارع تمسكت الخوارج
والمعتزلة بها فى خلود من قتل المؤمن عمدا فى النار ولا متمسك لهم فيها الا لما قيل من انها فى حق
المستحل كما هو راى عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت فى مقيس بن ضبابة الكنانى المرتد حسبما
مرت حكايته فان العبرة بعموم اللفظ لا لخصوص السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل
لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بان عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روى عن ابن عباس رض
انه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روى عن سفيان ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة له
محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى فى التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روى انس رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ابى الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما ان رجلا ساله القاتل المؤمن توبة قال لا وساله اخر القاتل المؤمن توبة فقال نعم
فقيل له قلت لذلك كذا ولهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت ما قلت كيلا يقتل وكان
هذا قد قتل فقلت له ما قلت لئلا يياس وقد روى عنه جواز المغفرة بلا توبة ايضا حيث قال
فى قوله تعالى فجزاؤه جهنم الاية هى جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروى مرفوعا عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال هو جزاؤه ان جازاه وبه قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وابو
صالح قالوا قد يقول الانسان لمن يزجره عن امر ان فعلته فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه
بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدى والاصل فى ذلك ان الله عز وجل يجوز ان يخلف الوعيد
وان امتنع ان يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث
انس رضى الله عنه انه عليه السلام قال من وعد الله على عمله ثوابا فهو منجزه له ومن اوعده على
عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تفريع ما نحن فيه على الاصل المذكور لانه اخبار منه
تعالى بان جزاءه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة مثلها
ولو كان هذا اخبارا بانه تعالى يجزى كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير **يا ايها**
الذين امنوا اثر ما بين حكم القتل بقسميه وان ما يتصور صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطاء
شرع فى التحذير عما يؤدى اليه من قلة المبالات فى الامور **اذا ضربتم فى سبيل الله** اى سافرتم للغزو
ولما فى اذا من معنى الشرط صدر قوله تعالى **فتبينوا** بالفاء اى فاطلبوا بيان الامر فى كل ما تاتون
وما تذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية وقرئ فتثبتوا اى اطلبوا اثباته وقوله عز وجل

ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام نهى عما هو نتيجة لترك المامور به وتعيين لمادة مهمة من المواد التى
يجب فيها التبين وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين وسكون اللام اى لا تقولوا بغير تامل لمن حياكم بتحية
الاسلام او لمن القى اليكم مقاليدهم الاستسلام والانقياد لست مؤمنا وانما اظهرت ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا
منه ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح اى مبذولا لك الامان وهذا انسب بالقرائتين
الاخيرتين والاقتصار على ذكر تحية الاسلام فى القراءة الاولى مع كونها مقرونة بكلمتى الشهادة كما
سياتى فى سبب النزول للمبالغة فى النهى والزجر والتنبيه على كمال ظهور خطائهم ببيان ان تحية الاسلام
كانت كافية فى المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهى مقرونة بهما وقوله تعالى تبتغون
عرض الحيوة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم على العجلة وترك التانى لكن لا على ان
يكون النهى راجعا الى القيد فقط كما فى قولك لا تطلب العلم تبتغى به الجاه بل اليهما جميعا اى لا تقولوا
له ذلك حال كونكم طالبين لماله الذى هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة
تعليل للنهى عن ابتغاء ماله بما فيه من الوعد الضمنى كانه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة
يغنمكموها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه وقوله تعالى كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم
تعليل للنهى عن القول المذكور ولعل تاخيره لما فيه من نوع تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف
النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين التعليل السابق وبين ما علل به كما فى قوله تعالى
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الخ وتقديم خبر كان للقصر المفيد لتاكد
المشابهة بين طرفى التشبيه وذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة والفاء فى فمن
للعطف على كنتم اى مثل ذلك الذى القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا فى مبادى اسلامكم لا يظهر منكم
للناس غير ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها
دماءكم واموالكم ولم يامر بالتفحص عن سرائركم والفاء فى قوله تعالى فتبينوا فصيحة اى اذا كان
الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم فى اوايل
اموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف على تواطى الظاهر والباطن هذا هو الذى يقتضيه جزالة
التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل ومن حسب ان المعنى اول ما دخلتم فى الاسلام سمعت من
افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماؤكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم
فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقديم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا
بالداخلين فى الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام فى المكافة ولا تقولوا الخ فقد ابعد عن
الحق لان المراد كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال حكم مترتب عليه فى حقهم يقتضى ترتبه
عليه فى حقه ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتاتى بتفسير منه تعالى عليهم
المترتب على كونهم مثله بتحصين دمائهم واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه
وماله ايضا بحكم المشاركة فيما يوجبه وحيث لم يفعل ذلك بل فسر بما فسر به لم يبق فى النظم

الكريم

الكريم ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر فمن اين له ان يقول فحصنت دماؤكم واموالكم
حتى يتاتى البيان وارتكاب تقديره بناء على اقتضاء ما ذكر فى تفسير المن اياه بناء على اساس واه كيف
لا وان ماذكر بصدد التفسير وان كان امرا متفرعا على ما فيه المماثلة مبنيا عليه فى حقهم لكنه ليس
بحكم اريد اثباته فى حقه بناء على ثبوته فى حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق ان يتعرض له ولا بامر
له دخل فى وجوب اعتبار ظاهر الاسلام من الداخلين فيه حتى يصح نظمه فى سلك ما فرع عليه
قوله فعليكم ان تفعلوا الخ وحمل الكلام على معنى انكم فى اول الامر كنتم مثله فى قصور الرتبة فى الاسلام
فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة العالية منه فلا تستقصروا حالته نظرا الى حالتكم هذه بل اعتدوا
بها نظرا الى حالتكم السابقة يرده ان قتله لم يكن لاستقصار اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه
فان الاية الكريمة نزلت فى شان مرداس بن نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره
فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم غالب بن فضالة الليثى فهربوا وبقى مرداس
لثقته باسلامه فلما راى الخيل الجاء غنيمته الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل
وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنيمته فاخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجد غضب وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه فقال اسامة انه قال
بلسانه دون قلبه وفى رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام هلا شققت عن قلبه
وفى رواية افلا شققت عن قلبه ثم قرا الاية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لى فقال فكيف
بلا اله الا الله قال اسامة فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا يومئذ
ثم استغفر لى وقال اعتق رقبة وقيل نزلت فى رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم وقد هزمهم الله
فقصدت رجلا فلما احس بالسيف قال انى مسلم فقتلته فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلت
مسلما قال انه كان متعوذا فقال عليه السلام افلا شققت عن قلبه ان الله كان بما تعملون من
الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها خبيرا فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهافتوا فى
القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها بطريق الاستيناف وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا
او على حذف لام التعليل لا يستوى القاعدون بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت
درجات مساعيهم فى الجهاد بعد ما مر من الامر به وتحريض المؤمنين عليه ليانف القاعد ويترفع بنفسه
عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة فى ارتفاع طبقته والمراد بهم الذين اذن لهم فى القعود عن الجهاد
اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضى الله عنهما هم القاعدون عن بدر والخارجون اليها وهو الظاهر
الموافق لتاريخ النزول لا ما روى عن مقاتل من انهم الخارجون الى تبوك فانه مما لا يوافقه التاريخ
ولا يساعده الحال اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى من المؤمنين متعلق بمحذوف
وقع حالا من القاعدين اى كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف
القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم لما سياتى من الحسنى غير اولى الضرر بالرفع صفة للقاعدون

لجريانه مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرئ بالنصب على انه حال منه او استثناء
وبالجر على انه صفة للمؤمنين او بدل منه والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها
وفي معناه العجز عن الاهبة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه
فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان
اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم سري عنه
فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر **والمجاهدون** ايرادهم بهذا العنوان
دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي الله عنهما وكذا تقييد
الجهاد بكونها **في سبيل الله باموالهم وانفسهم** لمدحهم بذلك والاشعار بعلة استحقاقهم
لعلو الرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر للايذان
من اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم
عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد
لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي
الظلمات الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل
فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول وقوله عز وجل **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم**
على القاعدين درجة استيناف مسوق لتفصيل ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم
استوائهما اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل كيف وقع ذلك
فقيل فضل الله الخ واما تقدير ما لهم لا يستوون فانما يليق بجعل الاستيناف تعليلا لعدم الاستواء مسوقا
لاثباته وفيه تعكيس ظاهر فان الذي يحق ان يكون مقصودا بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين
على درجات متفاوتة واما عدم استوائهما فقصارى امره ان يكون توطئة لذكره ولام المجاهدين
والقاعدين للعهد فقيد كون الجهاد في سبيل الله معتبر في الاول كما ان قيد عدم الضرر معتبر في
الثاني ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها موقع المرة من التفضيل اي فضل الله تفضيله او على
نزع الخافض اي بدرجة وقيل على التميز وقيل على الحالية من المجاهدين اي ذوي درجة وتنوينها
للتفخيم وقوله تعالى **وكلا** مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر تاكيدا للوعد اي كل
واحد من المجاهدين والقاعدين **وعد الله الحسنى** اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما فقط كما في قوله
تعالى وارسلناك للناس رسولا على ان اللام متعلقة برسولا والجملة اعتراض جيء به تداركا لما عسى
يوهمه تفضيل احد الفريقين على الآخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل **وفضل الله المجاهدين على**
القاعدين عطف على قوله تعالى فضل الله الخ واللام في الفريقين مغنية لهما عن ذكر القيود التي تركت على
سبيل التدريج وقوله تعالى **اجرا عظيما** مصدر مؤكد لفضل على انه بمعنى اجر وايثاره على ما هو مصدر

من فعله

من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان له بتضمينه معنى الاعطاء اي
اعطاهم زيادة على القاعدين اجرا عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض اي فضلهم باجر عظيم و
قوله تعالى **درجات** بدل من اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى **منه** متعلق بمحذوف
وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها وجلالة قدرها اي درجات كائنة منه تعالى قال ابن محيريز هي
سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقال السدي هي سبعمائة
درجة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة
اعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله تعالى بين الدرجتين كما بين السماء والارض ويجوز ان يكون
انتصاب درجات على المصدرية كما في قولك ضربه اسواطا اي ضربات كانه قيل فضلهم تفضيلات
وقوله تعالى **ومغفرة** بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة اي مغفرة
لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون ايضا حتى تعد من خصائصهم
وقوله تعالى **ورحمة** بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما اي
غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة هذا ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المنبئ عن المغايرة وتقييده
تارة بدرجة واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه اللام ويستدعيه
حسن الانتظام اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة
الاختلاف الذاتي تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله
تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل
فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا
البون البعيد بينهما موهما لحرمان القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده
التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شان التنزيل واما
للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول
ما خولهم الله تعالى عاجلا في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل الحقيق بكونه درجة وحدة
وبالتفضيل الثاني ما انعم به في الآخرة من الدرجات العالية الفائتة للحصر كما ينبئ عنه تقديم الاول
وتاخير الثاني وتوسيط الوعد بالجنة بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما في الوجود اعني الوعد بالجنة
توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه اعلم هذا ما بين المجاهدين وبين القاعدين
غير اولي الضرر واما اولو الضرر فهم مساوون للمجاهدين عند القائلين بمفهوم الصفة وبان الاستثناء
من النفي اثبات واما عند من لا يقول بذلك فلا دلالة لعبارة النص عليه وقد روي عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم
الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر
او غيره وبعبارة اخرى ان في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه

قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساوات مشروطة
بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت فى قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله تعالى
اذا نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاول هم الاضراء والثانى غيرهم وفيه من تفكيك النظم
الكريم ما لا يخفى ولا ريب فى ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب فى انهم دون المجاهدين
بحسب الدرجة الدنيوية وكان الله غفورا رحيما تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة
ان الذين توفيهم الملئكة بيان لحال القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد
وتوفيهم يحتمل ان يكون ماضيا ويؤيده قراءة من قرا توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه
احدى التائين واصله تتوفيهم على حكاية الحال الماضية والقصد الى استحضار صورتها ويعضده
قراءة من قرا توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفى الملائكة انفسهم فيتوفونها اى
يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمى انفسهم حال من ضمير توفيهم فانه وان كان مضافا الى المعرفة
الا انه نكرة فى الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا فى اللفظ كما فى قوله تعالى غير محلى
الصيد وهديا بالغ الكعبة وثانى عطفه اى محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا عطفه كانه قيل
ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها
نزلت فى ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اى الملائكة عليهم
السلام للمتوفين تقريرا لهم بتقصيرهم فى اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلوة ونحوها وتوبيخا
لهم بذلك فيم كنتم اى فى اى شئ كنتم من امور دينكم قالوا استيناف مبنى على سؤال نشاء
من حكاية سؤال الملئكة كانه قيل فماذا قالوا فى الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار
الصحيح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على زعمهم كنا مستضعفين فى الارض اى فى ارض
مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم تكن
ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر منها تقدرون فيه على اقامة امور الدين كما فعله من
هاجر الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن الهجرة وجعل جواب الملئكة تكذيبا
لهم فى ذلك فيرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر فى فقدان دار الهجرة بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج
بسبب الفقر او بعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض تكذيبا لهم وردا عليهم بل لابد
من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة قد خرجوا مع المشركين الى بدر
منهم قيس بن الفاكه ابن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فقتلوا فيها فضربت الملائكة
وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك تقريعا وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة
الكفرة بانتظامهم فى عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم
وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين من المهاجرة
فاولئك الذين حكيت احوالهم الفظيعة ماويهم اى فى الاخرة جهنم كما ان ماواهم فى الدنيا دار الكفر

لتركهم

لتركهم الفريضة المحتومة فماويهم مبتداء وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر ان والفاء
فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملئكة باضمار قد عند من يشترطه او
هو الخبر والعائد منه محذوف اى قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه ومما
فى خيره وساءت مصيرا اى مصيرهم او جهنم وفى الاية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة مع موضع
لا يتمكن الرجل من اقامة امور دينه باى سبب كان وعن النبى صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من
ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابرهيم ونبيه
محمد عليهما الصلوة والسلام الا المستضعفين استثناء منقطع لعدم دخولهم فى الموصول وضميره
والاشارة اليه ومن فى قوله تعالى من الرجال والنساء والولدان متعلقة بمحذوف وقع حالا
من المستضعفين اى كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك او المراهقون ظاهر واما ان
اريد بهم الاطفال فللمبالغة فى امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت عليهم والاشعار
بانه لا محيص لهم عنها البتة يجب عليهم كما بلغوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا
وان قوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون
سبيلا صفة للمستضعفين فان ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال منه او من الضمير المستكن
فيه وقيل تفسير لنفس المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف واستطاعة الحيلة وجدان اسباب
الهجرة ومباديها واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل فاولئك اشارة
الى المستضعفين الموصوفين بما ذكر من صفات العجز عسى الله ان يعفو عنهم جئ بكلمة الاطماع
ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة من تاكد الوجوب بحيث ينبغى ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها
عليه ذنبا يجب طلب العفو عنه رجاء وطمعا لا جزما وقطعا وكان الله عفوا غفورا تذييل
مقرر لما قبله ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا ترغيب فى المهاجرة وتانيس لها اى يجد
فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تاكيدا للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول
بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم
الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب وقيل يجد فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه
اى يفارقهم على رغم انوفهم وسعة اى من الرزق ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم
يدركه الموت اى قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج
من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف وقيل
هو حركة الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما فى قوله من عنزى سبنى لم اضربه وقرئ بالنصب
على اضمار ان كما فى قوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله اى ثبت ذلك عنده تعالى
ثبوت الامر الواجب روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالايات المتقدمة الى مسلمى مكة
قال جندب بن ضمرة وكان شيخا كبيرا احملونى فانى لست من المستضعفين وانى لاهتدى الطريق

والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجهًا الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه
على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك فمات حميدًا فبلغ خبره
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفى بالمدينة لكان اتم اجرًا فنزلت قالوا كل هجرة
فى غرض دينى من طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهى هجرة الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله
عليه وسلم وكان الله غفورًا مبالغًا فى المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التى من جملتها
القعود عن الهجرة الى وقت الخروج رحيمًا مبالغًا فى الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته واذا ضربتم فى
الارض شروع فى بيان كيفية الصلوة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمطر والمرض
وفيه تاكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المؤنة اى اذا سافرتم
اى مسافرة كانت ولذلك لم تقيد بما قيد به المهاجرة فليس عليكم جناح اى حرج ومأثم ان
تقصروا اى فى ان تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشئ اى جعلته قصيرًا بحذف بعض اجزائه
او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشئ لا بعضه فانه متعلق الحذف دون القصر وعلى
هذا فقوله تعالى من الصلوة ينبغى ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من حسبما راه الاخفش
واما على تقدير ان تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو راى سيبويه اى شيئا من الصلوة
فينبغى ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشئ اذا
حبسته او يراد بالصلوة الجنس ليكون المقصور بعضا منها وهى الرباعيات اى فليس عليكم جناح فى
ان تقصروا بعض الصلوة بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار وتقصروا من التقصير والكل بمعنى
وادنى مدة السفر الذى يتعلق به القصر عند ابى حنيفة رحمه الله مسيرة ثلثة ايام ولياليها بسير
الابل ومشى الاقدام بالاقتصاد وعند الشافعى رحمه الله مسيرة يومين وظاهر الاية الكريمة التخيير
وافضلية الاتمام به وبه تعلق الشافعى رح وبما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اتم فى السفر
وعن عايشه رضى الله عنها انها اتمت تارة وقصرت اخرى وعن عثمان رضى الله عنه انه كان يتم و
يقصر وعندنا يجب القصر لا محالة خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث
لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر وعلى وابن
عباس وابن عمر وجابر رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز
وقتادة وهو قول مالك وقد روى عن عمر رضى الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر
على لسان نبيكم عليه السلام وعن انس خرجنا مع النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة فكان
يصلى ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة وعن عمران بن حصين رح ما رايت النبى صلى الله
عليه وسلم يصلى فى السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر وحين سمع ابن
مسعود ان عثمان رضى الله تعالى عنهما صلى بمنى اربع ركعات استرجع ثم قال صليت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمنى ركعتين وصليت مع ابى بكر رض ركعتين وصليت مع عمر رض بمنى ركعتين

فليت حظى من اربع ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان رضى الله عنه عن اتمامه بانه تاهل
بمكة وعن الزهرى انه انما اتم لانه ازمع الاقامة بمكة وعن عايشه رضى الله عنها اول ما فرضت الصلوة
فرضت ركعتين ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر وفى صحيح البخارى انها قالت فرض الله
الصلوة حين فرضها ركعتين ركعتين فى الحضر والسفر فاقرت صلوة السفر وزيدت فى صلوة الحضر
واما ما روى عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المؤمنين فحيث حللت فهى دارى
وانما ورد ذلك بنفى الجناح لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا فى
القصر فصرح بنفى الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما فى قوله تعالى فمن حج البيت او
اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعى رحمه الله
وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان خفتم
ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم الخ وهو شرط معتبر فى شرعية ما يذكر
بعده من صلوة الخوف المؤداة بالجماعة واما فى حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن
على مشروعيته حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوى فى شرح الاثار مسندا الى يعلى بن
امية انه قال قلت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه انما قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من
الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال لعمر رض عجبت مما عجبت منه فسالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم
جواز الاكمال لان التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق فى موضعه ولا يتوهمن
انه مخالف للكتاب لان التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عند
عند عدمه فساكت عنه فان وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا يبقى على حاله لعدم تحقق دليله
لا لتحقق دليل عدمه وناهيك ما سمعت من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه
انما يدل على نفى الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة اخرى وقد خرج الشرط ههنا مخرج الاغلب
كما فى قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا بل نقول ان الاية الكريمة مجملة فى حق مقدار
القصر وكيفيته وفى حق ما يتعلق به من الصلوات وفى مقدار مدة الضرب الذى نيط به القصر فكل
ما ورد منه صلى الله عليه وسلم من القصر فى حال الامن وتخصيصه بالرباعيات على وجه التنصيف
وبالضرب فى المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الخ متعلق بما
بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روى عن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه انه قال
نزل قوله تعالى واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الخ اى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم
جناح الخ وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه
قيل شرع لكم ذلك كراهة ان يفتنكم الخ فان استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع

الفتنة وقوله تعالى ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر او
لما يفهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة فان كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض
لهم بسوء وقوله تعالى واذا كنت فيهم بيان لما قبله من النص المجمل الوارد فى مشروعية القصر
بطريق التفريع وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص البيان بهذه الصورة مع الاكتفاء
فيما عداها بالبيان بطريق السنة لمزيد حاجتها اليه لما فيها من كثرة التغيير عن الهيأة الاصلية
ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هى المقصورة وحكم ما عداها مستفاد من حكمها و
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره يتعلق من لا يرى صلوة الخوف
بعده صلى الله عليه وسلم ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم فيتناولهم
حكم الخطاب الوارد له عليه السلام كما فى قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة وقد روى ان سعيد
بن العاص لما اراد ان يصلى بطبرستان صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بحضرة
الصحابة رضى الله عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروى فى السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن
سمرة كابل فصلى بهم صلوة الخوف فاقمت لهم الصلوة اى اردت ان تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة
منهم معك بعد ان جعلتهم طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو لتحرسكم منهم وانما لم
يصرح به لظهوره وليأخذوا اى الطائفة القائمة معك اسلحتهم اى لا يضعوها ولا يلقوها وانما
عبر عن ذلك بالاخذ للايذان باعتناء باستصحابها كانهم يأخذونها ابتداء فاذا سجدوا اى القائمون
معك واتموا الركعة فليكونوا من ورائكم اى فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة ولتأت طائفة
اخرى لم يصلوا بعد وهى الطائفة الواقفة تجاه العدو للحراسة وانما لم تعرف لما انها لم تذكر فيما قبل
فليصلوا معك الركعة الباقية ولم يبين فى الاية الكريمة حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين
وقد بين ذلك بالسنة حيث روى عن ابن عمر وابن مسعود رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه
وسلم حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة كما فى الاية ثم جاءت الطائفة الاولى ركعة و
ذهبت هذه الى مقابلة العدو وحتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة
الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان وليأخذوا اى هذه الطائفة حذرهم
واسلحتهم لعل زيادة الامر بالحذر فى هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون الطائفة القائمة
مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحراب وتكليف كل من الطائفتين
بما ذكر لما ان الاشتغال بالصلوة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن غيرها ومئنة لهجوم العدو كما
ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة
واحدة فانه استئناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اى تمنوا ان
ينالوا منكم غرة وينتهزوا الفرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به فى الحرب لا مطلقا

وهذا

وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى
ان تضعوا اسلحتكم حيث رخص لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر او مرض وامروا
مع ذلك بالتيقظ والاحتياط فقيل وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو عليهم غيلة روى الكلبى عن ابى صالح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا محاربا وبنى انمار فنزلوا ولا يرون من العدو واحدا فوضع الناس
اسلحتهم وخرج رسول الله لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادى والسماء ترش فحال الوادى بينه
عليه السلام وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحرث المحاربى
فقال قتلنى الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وهو قائم على راسه وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك منى الان فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفنى غورث بن الحرث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله
ليضربه فاكب بوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك منى الان قال لا احد قال عليه السلام تشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك
عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث والله لانت خير منى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقص عليهم قصته فامن بعضهم
قال وسكن الوادى فقطع اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اصحابه واخبرهم بالخبر وقوله تعالى
ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تعليل للامر باخذ الحذر اى اعد لهم عذابا مهينا بان يخذلهم
وينصركم عليهم فاهتموا باموركم ولا تهملوا فى مباشرة الاسباب كى يحل بهم عذابه بايديكم وقيل لما كان
الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته واعتزازه نفى ذلك الايهام بان الله تعالى ينصرهم ويهين
عدوهم لتقوى قلوبهم فاذا قضيتم الصلوة صلوة الخوف اى اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها
فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اى فداوموا على ذكره تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته
ودعائه فى جميع الاحوال حتى فى حال المسايفة والقتال كما فى قوله تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا
الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف وامنتم بعد ما وضعت الحرب
اوزارها فاقيموا الصلوة اى الصلوة التى دخل وقتها حينئذ اى ادوها بتعديل اركانها ومراعاة
شرائطها وقيل المراد بالذكر فى الاحوال الثلثة الصلوة فيها اى فاذا اردتم اداء الصلوة فصلوا قياما
عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم فى
الجملة فاقضوا ما صليتم فى تلك الاحوال التى هى احوال القلق والانزعاج وهو راى الشافعى رحمه الله
وفيه من البعد ما لا يخفى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اى فرضا موقتا قال مجاهد وقته
الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها فى حالة الخوف ايضا على الوجه المشروح وقيل مفروضا مقدرا
فى الحضر اربع ركعات وفى السفر ركعتين فلا بد ان تؤدى فى كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا فى ابتغاء

القوم اى لاتضعفوا ولاتتوانوا فى طلب الكفّار بالقتال والتعرّض لهم بالحراب وقوله تعالى ان تكونوا
تالمون فانّهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهى وتشجيع لهم اى ليس ما تقاسونه
من الالام مختصّا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثمّ يصبرون على ذلك فما لكم لاتصبرون مع انكم اولى به
منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على ساير الاديان ومن الثواب فى الاخرة ما لا يخطر ببالهم
وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة اى لاتهنوا لان تكونوا تالمون وقوله تعالى فانّهم تعليل للنهى عن الوهن
لاجله والاية نزلت فى بدر الصّغرى وكان الله عليما مبالغا فى العلم فيعلم اعمالكم وضمايركم حكيما فيما
يامر وينهى فجدّوا فى الامتثال بذلك فانّ فيه عواقب حميدة انّا انزلنا اليك الكتاب بالحقّ
روى انّ رجلا من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بنى ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النّعمان
فى جراب دقيق فجعل الدّقيق ينتشر من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السّمين اليهودى فالتمست الدّرع
عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدّقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى
فاخذوها فقال دفعها الىّ طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلّم فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وشهد وا ببرائته وسرقة اليهودى فهمّ رسول
الله صلى الله عليه وسلّم ان يفعل فنزلت وروى ان طعمة هرب الى مكّة وارتدّ ونقب حائطا بمكّة
ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله وقيل نزل على رجل بن بنى سليم من اهل مكّة يقال له الحجّاج
بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدّخول ولا الخروج فاخذ ليقتل فقيل دعه فانه قد
لجأ اليك فتركوه واخرجوه من مكّة فالتحق بتجار من قضاعة نحو الشّام فنزلوا منزلا فسرق بعض
متاعهم وهرب فاخذوه ورموه بالحجارة حتّى قتلوه وقيل انه ركب سفينة الى جدّة فسرق فيها
كيسا فيه دنانير فاخذ والقى فى البحر لتحكم بين النّاس بما اريك الله اى بما عرفك واوحى به اليك
ولاتكن للخائنين اى لاجلهم والذّب عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه او هو ومن يسير بسيرته
خصيما مخاصما للبراء اى لاتخاصم اليهود لاجلهم والنهى معطوف على امر ينسحب عليه النظم الكريم كانه
قيل فاحكم به ولاتكن الخ واستغفر الله ممّا هممت به تعويلا على شهادتهم انّ الله كان غفورا رحيما مبالغا
فى المغفرة والرّحمة لمن يستغفره ولاتجادل عن الّذين يختانون انفسهم اى يخونونها بالمعصية كقوله تعالى
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لرجوع
ضررها اليهم والمراد بالموصول امّا طعمة وامثاله واما هو ومن عاونه وشهد ببرائته من قومه فانّهم
شركاء له فى الاثم والخيانة انّ الله لايحبّ من كان خوّانا مفرطا فى الخيانة مصرّا عليها اثيما منهمكا
فيه وتعليق عدم المحبّة الّذى هو كناية عن البغض والسخط بالمبالغ فى الخيانة والاثم ليس لتخصيصه به
بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون من النّاس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم
ولايستخفون من الله اى لايستحيون منه سبحانه وهو احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه وهو
معهم عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويواخذ عليه اذ يبيّتون

يبيّتون ويزوّرون ما لايرضى من القول اى رمى البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزّور وكان الله
بما يعملون من الاعمال الظّاهرة والخافية محيطا لايعزب عنه شئ منها ولايفوت ها انتم هؤلاء تلوين
للخطاب وتوجيه له اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتّوبيخ والتقريع
والجملة مبتداء وخبر وقوله تعالى جادلتم فى الحيوة الدّنيا جملة مبنيّة لوقوع اولاء خبرا ويجوز
ان يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الّذين وجادلتم الخ صلة له والمجادلة اشدّ المخاصمة والمعنى هبوا انكم
خاصمتم عن طعمة وامثاله فى الدّنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن تخاصم عنهم يومئذ
عند تعذيبهم وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا حافظا ومحاميا من باس الله تعالى وانتقامه ومن
يعمل سوءا قبيحا يسوء غيره كما فعل طعمة بقتاده واليهودى او يظلم نفسه بما يختصّ به كالحلف
الكاذب وقيل السّوء ما دون الشرك والظّلم الشّرك وقيل هما الصّغيرة والكبيرة ثمّ يستغفر الله
بالتوبة الصّادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضّلا عليه وفيه مزيد ترغيب
لطعمة وقومه فى التوبة والاستغفار لما ان مشاهدة التائب لاثار المغفرة والرحمة نعمة زائدة كما مرّ ومن
يكسب اثما من الاثام فانّما يكسبه على نفسه بحيث لايتعدى ضرره ووباله الى غيره فليحترز عن
تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا واجلا وكان الله عليما مبالغا فى العلم حكيما مراعيا للحكمة
فى كلّ ما قدّر وقضى ولذلك لايحمّل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لاعمد فيه
من الذنوب وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما
كان عن عمد ثمّ يرم به اى يقذف به ويسنده وتوحيد الضمير مع تعدّد المرجع لمكان او وتذكيره لتغليب
الاثم على الخطيئة كانّه قيل ثم يرم باحدهما وقرئ يرم بهما وقيل الضّمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى
يكسب وثم للتراخى فى الرتبة بريئا اى ممّا رماه به ليحمله عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل
اى بما فعل من تحميل جريرته على البرئ بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحيّر عند سماعه
لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الّذى يتحيّر فى عظمه واثما مبينا اى بيّنا فاحشا وهو صفة
لاثما وقد اكتفى فى بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمى كانّه قيل بهتانا لايقادر قدره واثما مبينا
على ان وصف الاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارة عن امر واحد هو رمى البرئ بجناية
نفسه قد عبّر عنه بهما تهويلا لامره وتفظيعا لحاله فمدار العِظَم والفخامة كون المرمىّ به للرّامى فان
رمى البرئ بجناية ما خطيئة كانت او اثما بهتان واثم فى نفسه امّا كونه بهتانا فظاهر واما كونه اثما
فلان كون الذنب بالنسبة الى من فعله خطيئة لايلزم منه كونه بالنسبة الى من نسبه الى البرئ منه ايضا
كذلك بل لايجوز ذلك قطعا كيف لا وهو كذب محرّم فى جميع الاديان فهو فى نفسه بهتان واثم لامحالة
ويكون تلك الجناية للرّامى يتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحا لكن لا لانضمام جنايته المكسوبة الى
رمى البرى والا لكان الرّمى بغير جنايته مثله فى العظم ولا لمجرّد اشتماله على تبرئة نفسه الخاطئة والا
لكان الرمى بغير جنايته مع تبرئة نفسه كذلك فى العظم بل لاشتماله على قصد تحميل جنايته على البرئ

واجراء عفو بناء عليه كما ينبئ عنه ايثار الاحتمال على الاكتساب ونحوه لما فيه من الايذان بانعكاس تقديره
مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الامر نعم بما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة نفسه الى رمي البرئ
يزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للازم ولولا فضل الله عليك ورحمته باعلامك ما هم
عليه بالوحي وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم اى من بني ظفر وهم
الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير في منهم راجعا الى الناس
وقيل هم وفد بني ثقيف قدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا تكسر
اصنامنا ولا نعشر فردهم صلى الله عليه وسلم ان يضلوك اى بان يضلوك عن القضاء بالحق
مع علمهم بكنه الامر والجملة جواب لولا وانما نفي همهم مع ان المنفي انما هو تاثيره فقط ايذانا بانتفاء
تاثيره بالكلية وقيل المراد هو همهم المؤثر ولا ريب في انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف
اى لاضلوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستانفة اى لقد همت طائفة الخ وما يضلون الا انفسهم لاتصال
وبال مكرهم عليهم من غير ان يصيبك منه شئ والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من شئ
عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المصدرية اى وما يضرونك شيئا من الضرر لما انه تعالى
عاصمك واما ما خطر ببالك فكان عملا منك بظاهر ثقة باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالك ان الحقيقة
على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اى القران الجامع بين العنوانين وقيل
المراد بالحكمة السنة وعلمك بالوحي من خفيات الامور التي من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين
او من امور الدين واحكام الشرع ما لم تكن تعلم ذلك الى وقت التعليم وكان فضل الله
عليك عظيما اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرياسة التامة لا خير في كثير من نجويهم اى في
كثير من تناجي الناس الا من امر الا في نجوى من امر بصدقة او معروف وقيل المراد بالنجوى المتناجون
بطريق المجاز وقيل النجوى جمع نجي نقله الكرماني واياما كان فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع
ايضا في معنى لكن من امر بصدقة الخ ففي نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل
فينتظم اصناف الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع
على ان المراد بالصدقة الصدقة الواجبة او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعادات بينهم
من غير ان يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف وبين اما متعلق بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم
او بمحذوف هو صفة له اى كائن بين الناس عن ابي ايوب الانصاري رض ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين
الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا وقالوا ولعل السر في افراد هذه الاقسام الثلثة بالذكر
ان عمل الخير المتعدى الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال
واليه الاشارة بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما
دفع الضرر فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور

المذكورة اعني الصدقة والمعروف والاصلاح فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب
العهد بها للايذان ببعد منزلتها ورفعة شانها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر
بها لما ان المقصود الاصلي هو الترغيب في الفعل وبيان خيرية الامر به للدلالة على خيريته بالطريق
الاولى لما ان مدار حسن الامر وقبحه حسن المامور به وقبحه فحيث ثبت خيرية الامر بالامور المذكورة
فخيرية فعلها اثبت وفيه تحريض للامر بها على فعلها او اشارة الى الامر بها كانه قيل ومن يامر
بها والكلام في ترتيب الوعد على فعلها كالذي مر في الخيرية فان استتباع الامر بها للاجر العظيم انما هو
لكونه ذريعة الى فعلها فاستتباعه له اولى واحق ابتغاء مرضات الله علة للفعل والتقييد به لان
الاعمال بالنيات وان من فعل خيرا لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان فسوف نؤتيه بنون العظمة
على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول التعرض لعنوان
الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الاتي بذلك
من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل
المؤمنين اى غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى اى نجعله واليا
لما تولاه من الضلال ونخذله بان نخلي بينه وبينه ما اختاره ونصله جهنم اى ندخله اياها وقرئ
بفتح من صلاه وساءت مصيرا اى جهنم وفيها دلالة على حجية الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا
يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد
او لقصة طعمة وقد مر موته كافرا وروى عن ابن عباس رضي الله عنه ان شيخا من العرب جاء الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت
به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين اني اعجز الله
هربا واني لنادم تائب مستغفر فما ترى حالي عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد
ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة
كما انه افتراء واثم عظيم ولذلك جعل الجزاء في هذه الشرطية فقد ضل الخ وفي ما سبق فقد افترى
اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يدعون اى ما يعبدون من دونه
عز وجل الا اناثا هي اللات والعزى ومناة ونحوها عن الحسن انه لم يكن من احياء العرب حي الا
كان لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان قيل لانهم كانوا يقولون في اصنامهم هن بنات الله
وقيل لانهم كانوا يلبسونها انواع الحلي ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة
بنات الله وقيل تسميتها اناثا لتانيث اسمائها او لانها في الاصل جماد والجماد تؤنث من حيث انها ضاهت
الاناث لانفعالها وايرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهي جهلهم والاناث
جمع انثى كرباب وربى وقرئ على التوحيد وانثا ايضا على انه جمع انيث كقليب وقلب وجمع اناث
كثمار وثمر وقرئ وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد واسد على الاصل

وقلب الواو الفا نحو اجوه فى وجوه وان يدعون وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا اذ هو الذى
امرهم بعبادتها واغراهم عليها فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذى لا يعلق بخير واصل التركيب
للملاسة ومنه صرح ممرد وشجرة مرداء للتى تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطانا وقال لاتخذن
من عبادك نصيبا مفروضا عطف على الجملة المتقدمة اى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى و
هذا القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولقد برهن ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق
التعليل بان ما يعبد ونها ينفعل ولا يفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية غاية المنافات
ثم استدل عليه بان ذلك عبادة للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلثة الاول انه منهمك فى
الغى لا يكاد يعلق بشئ من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا من الحق والثانى انه ملعون
لضلاله فلا يستتبع مطاوعته سوى اللعن والضلال والثالث انه فى غاية السعى فى اهلاكهم واضلالهم
فموالات من هذا شانه غاية الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اى نصيبا قدر لى وفرض
من قولهم فرض له فى العطاء ولاضلنهم ولامنينهم الامانى الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب
ونحو ذلك ولامرنهم فليبتكن اذان الانعام اى فليقطعنها بموجب امرى ويشعنها من غير تلعثم
فى ذلك ولا تاخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحاير والسوائب ولامرنهم فليغيرن ممتثلين
به خلق الله عن نهجه صورة او صفة وينتظم فيه ما قيل من فقاء عين الحامى وخصاء العبيد والوشم
والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء رخصوا فى البهايم لمكان الحاجة وهذه
الجمليه المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات كلها للقسم والمامور
به فى الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله بايثار
ما يدعوا اليه على ما امر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا مبينا
لانه ضيع راس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار يعدهم اى ما لا يكاد يجيئه
ويمنيهم اى الامانى الفارغة او يفعل لهم الوعد والتهنية على طريقة فلان يعطى ويمنع والضميران
لمن والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فى يتخذ وخسر باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان الا
غرورا وهو اظهار النفع فيما فيه الضرر وهذا الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه
وغرورا اما مفعول ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اى وعدا ذا غرور او
مصدر على غير لفظ المصدر لان يعدهم فى قوة يغيرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية
لانها باب من الوعد اولئك اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم
فى الخسران وهو مبتداء وقوله تعالى ماواهم مبتداء ثان وقوله تعالى جهنم خبر للثانى والجملة
خبر للاول ولا يجدون عنها محيصا اى معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا عدل وقيل خلص ونجا
وقيل الحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق بمحذوف وقع حالا من محيصا اى كائنا عنها ولا مساغ
لتعلقه بمحيصا اى كائنا عنها اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما اذا كان مصدرا فلانه لا يعمل فيما قبله

والذين امنوا وعملوا الصالحات مبتداء خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها ابدا قرن وعيد الكفرة بوعد المؤمنين زيادة لمسرة هؤلاء ومساءة اولئك و
وعد الله حقا اى وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان مضمون الجملة الاسمية وعد
والثانى مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمضمر يفسره ما بعده وينتصب وعد الله بقوله
تعالى سندخلهم لانه فى معنى نعدهم ادخال جنات الخ وحقا على انه حال من المصدر ومن اصدق
من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الاية معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة لقرنائه بوعد الله
تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة فى تاكيده ترغيبا للعباد فى تحصيله والقيل مصدر كالقول والقال
وقال ابن السكيت القيل والقال اسمان لا مصدران ونصبه على التميز وقرى باشمام الصاد وكذا
كل صاد ساكنة بعدها دال ليس بامانيكم ولا امانى اهل الكتاب اى ليس ما وعد الله من الثواب
يحصل بامانيكم ايها المسلمون ولا امانى اهل الكتاب وانما يحصل بالايمان والعمل الصالح ولعل نظم امانى
اهل الكتاب فى سلك امانى المسلمين مع ظهور حالها للايذان بعدم اجداء امانى المسلمين اصلا كما فى
قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار كما سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب
وصدقه العمل ان قوما الهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن
بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين
وكتابنا يقضى على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اى ليس الامر
بامانى المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن
حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا امانى اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا
او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل سوءا يجز به
عاجلا او اجلا لما روى انه لما نزل قال ابو بكر رضى الله عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما تحزن او تمرض اما يصيبك البلاء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا
تجد له من دون الله اى مجاوزا موالات الله ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره فى دفع العذاب عنه
ومن يعمل من الصالحات اى بعضها وشيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر
او انثى فى موضع الحال من المستكن فى يعمل ومن للبيان او من الصالحات فمن للابتداء اى كائنة من
ذكر الخ وهو مؤمن حال شرط اقتران العمل بها فى استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به
دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد
فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبته المشار اليه وبعد
منزلته فى الشرف يدخلون الجنة وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال ولا يظلمون نقيرا اى لا
ينقصون شيئا حقيرا من ثواب اعمالهم فان النقير علم فى القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب المطيع فلان

لايزاد عقاب العاصى ولى واخرى كيف لا والمجازى ارحم الرّاحمين وهو السرّ فى الاقتصار على ذكر عقيب
الثّواب **ومن احسن دينا ممّن اسلم وجهه لله** اى اخلص نفسه له تعالى لايعرف لها ربّا سواه وقيل بذل
وجهه له فى السّجود وقيل اخلص عمله له عزّ وجل وقيل فوض امره اليه تعالى وهذا انكار واستبعاد
لان يكون احد احسن دينًا ممّن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التّركيب متعرّضًا لانكار
المساوات ونفيها يرشدك اليه العرف المطّرد والاستعمال الفاشى فانّه اذا قيل من اكرم من فلان اولا
افضل من فلانٍ فالمراد به حتمًا انّه اكرم من كلّ كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى
ومن اظلم ممّن افترى ونظائره ودينًا نصب على التّميز من احسن منقول من المبتداء والتقدير ومن دينه
احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل فى الحقيقة جار بين الدّينين لا بين صاحبيهما ففيه تنبيه على
اقصى ماينتهى اليه القوّة البشريّة **وهو محسنٌ** اى آت بالحسنات تارك للسيّات اوآت بالاعمال الصّالحة
على الوجه اللّايق الذى هو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسّره صلى الله عليه وسلّم
بقوله ان تعبدوا الله كانّك تراه فانّه يراك والجملة حال من فاعل اسلم **واتّبع ملة ابراهيم** الموافقة
لدين الاسلام المنفق على صحّتها وقبولها **حنيفًا** مايلًا عن الاديان الزايغة وهو حال من فاعل اتّبع او من
ابرهيم **واتخذ الله خليلا** اصطفاه وخصّه بكرامات تشبه كرامة الخليل عند خليله واظهار
عليه السلام فى موقع الاضمار لتفخيم شانه عليه السلام والتنصيص على انّه الممدوح وتاكيد استقلال
الجملة الاعتراضيّة والخلة من الخلال فانّه ودّ تخلل النفس وخالطها وقيل من الخلل فان كلّ واحد
من الخليلين يسد خلل الاخر او من الخلّ وهو الطّريق فى الرّمل فانّهما يترافقان فى الطّريقة او من بمعنى
الخلّة بمعنى الخصلة فانّهما متوافقان فى الخصال وفائدة الاعتراض جمّة من جملتها الترغيب فى اتباع
ملّته عليه السلام فانّ من بلغ من الزلفى عند الله عزّ وجل مبلغا مصحّحا لتسميته خليلا حقيق بان
يكون اتباع طريقته اهمّ ما يمتدّ اليه اعناق واشرف مايرمق برنو نحوا حداق الامم قيل انّه عليه السلم
بعث الى خليل له بمصر فى ازمة اصابت النّاس يمتار منه فقال خليله لو كان ابرهيم يطلب الميرة لنفسه
لفعلت ولكنّه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدّة فرجع غلمانه عليه السلام
فاجتازوا ببطحاء لينة فملؤا منها الغراير حياء من النّاس وجاؤا بها الى منزل ابرهيم عليه السّلام والقوها
فيه وتفرّقوا وجاء احدهم فاخبر ابرهيم بالقصّه فاغتمّ لذلك غمّا شديدا لاسيّما لاجتماع الناس بابه
رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت سارة الى الغراير فاذا فيها اجود مايكون من الحوارى واختبزت
وفى رواية فاطعمت النّاس واستيقظ ابرهيم فاشتم رايحة الخبز فقال من اين لكم فقالت سارة من
خليلك المصرى فقال بل من عند الله عزّ وجلّ فسماه الله تعالى خليلا **ولله ما فى السموات وما فى
الارض** جملة مبتداة سيقت لتقرير وجوب طاعته تعالى على اهل السموات والارض ببيان ان جميع
ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لايخرج من ملكوته شئ منها فيجازى كلًّا بموجب اعماله خيرًا
وشرّا وقيل لبيان ان اتخاذه عزّ وجل لابرهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه الى ذلك فى شان فى شئونه

كماهو

كماهو داب الادميّين فانّ مدار خلّتهم افتقار بعضهم الى بعض فى مصالحهم بل لمجرّد تكرمته وتشريفه
وقيل لبيان ان الخلّة لاتخرجه عن رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه السلام للخلّة
بمحض مشيئته تعالى اى له تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما مايشاء لمن يشاء وقوله عزّ وجل **وكان الله
بكلّ شئ محيطًا** تذييل مقرر لمضمون ماقبله على الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علمًا وقدرة بجميع
الاشياء التى من جملتها مافيهما من المكلّفين واعمالهم ممّا يقرّر ذلك اكمل تقرير **ويستفتونك فى النّسآء**
اى فى حقهنّ على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الاتية لا فى حق ميراثهنّ خاصّة فانّه صلى الله عليه
وسلّم قد سئل عن احوال كثيرة ممّا يتعلّق بهنّ فما بيّن حكمه فيما سلف بيانه على ما ورد فى ذلك
من الكتاب وما لم يبيّن حكمه بعد بيّن ههنا وذلك قوله تعالى **قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى
عليكم فى الكتاب** باسناد الافتاء الذى هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه الله تعالى والى ما تلى
من الكتاب فيما سبق باعتبارين على طريقة قولك اغنانى زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتداء او
ضميره فى الخبر لمكان الفصل بالمفعول والجار والمجرور وايثار صيغة المضارع للايذان باستمرار
التلاوة ودوامها وفى الكتاب اما متعلّق بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه اى يتلى كائنًا
فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتداء وفى الكتاب خبره على ان المراد به اللّوح المحفوظ والجملة
معترضة مسوقة لبيان عظم شان المتلوّ عليهم وان العدل فى الحقوق المبيّنة فيه من عظائم الامور
التّى تجب مراعاتها والمحافظة عليها فما يتلى حينئذ متناول لماتُلِى وما سيتلى ويجوز ان يكون مجرورا
على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كانّه قيل قل الله يفتيكم فيهنّ واقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب
فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السّابق واللاحق ولا مساغ لعطفه على المجرور فى فيهنّ لاختلاله
لفظا ومعنى وقوله تعالى **فى يتامى النّسآء** على الوجه الاوّل وهو الاظهر متعلق بيتلى اى ما يتلى
عليكم فى شانهنّ وعلى الاخيرين بدل من فيهن وهذه الاضافة بمعنى من لانها اضافة الشئ الى جنسه
وقرئ بيامى على قلب همزة ايامى ياء **اللّاتى لاتؤتونهنّ ما كتب لهنّ** اى ما فرض لهنّ من الميراث
وغيره **وترغبون** عطف على الصّلة عطف جملة مثبتة على جملة منفيّة وقيل حال من فاعل تؤتونهنّ
بتاويل وانتم ترغبون ولا ريب فى انه لايظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك فائدة الّا اذا اريد بما كتب
لهنّ صداقهنّ **ان تنكحوهنّ** اى فى ان تنكحوهنّ لكن لا لاجل التّمتع بهنّ بل لاكل مالهنّ او فى ان
تنكحوهنّ بغير اكمال الصّداق وذلك ما روى عن عايشه رضى الله تعالى عنها من انّها اليتيمة تكون
فى حجر وليها فيرغب فى مالها وجمالها ويريد ان ينكحها من ادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهنّ
الّا ان يقسطوا لهن فى اكمال الصّداق وعن ان تنكحوهنّ وذلك ما روى عنها رضى الله انّها يتيمة يرغب
وليها عن نكاحها ولاينكحها فيعضلها طمعا فى ميراثها وفى رواية عنها رض هو الرّجل يكون عنده يتيمة
هو وليّها ووارثها وشريكها فى المال حتىّ فى العذق فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوّجها رجلا فيشركه
فى ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهنّ على الوجه الاوّل والاخير ميراثهنّ وبما يتلى فى حقهن

قوله تعالى واتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تاكلوها ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض
لاموالهم وعلى الوجه الثانى صداقهن ومما يتلى فيهن قوله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى
الاية والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء وما يتلى فى حقهم قوله تعالى يوصيكم الله
الخ وقد كانوا فى الجاهلية لا يورثونهم كما لا يورثون النساء وانما يورثون الرجال القوام بالامور
روى عن عيينة بن حصن الفزارى جاء الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال اخبرنا انك
تعطى الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز الغنيمة فقال
صلى الله عليه وسلم كذلك امرت وان تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف على ما قبله وما يتلى
فى حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك مما لا
يكاد يصح هذا على تقدير كون فى يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه
نصبه عطفا على موضع فيهن اى يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل اى ويامركم وهو خطاب
للولاة او للاولياء والاوصياء وما تفعلوا من حقوق المذكورين من خير حسبما امرتم به او ما
تفعلوا من خير على الاطلاق فيندرج فيه ما يتعلق بهم اندراجا اوليا فان الله كان به عليما
فيجازيكم بحسبه وان امراة خافت شروع فى بيان ما لم يبين فيما سلف من الاحكام اى ان توقعت
امراة من بعلها نشوزا اى تجافيا عنها وترفعا عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل محادثتها
ومؤانستها لما يقتضى ذلك من الدواعى والاسباب فلا جناح عليهما حينئذ ان يصلحا بينهما صلحا
اى فى ان يصلحا بينهما بان تحط له المهر او بعضه او القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت
ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبت يومها لعايشه او بان تهب له شيئا تستمله
وقرئ يصالحا من يتصالحا ويصلحا من يصطلحا ويصالحا من المفاعلة وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور
على كل تقدير على انه مصدر منه بحذف الزوائد وقد يعبر عنه باسم المصدر كانه قيل اصلاحا
او تصالحا او اصطلاحا حسبما قرئ الفعل او بفعل مترتب على المذكور اى فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف
للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفى الجناح عنهما مع انه ليس من جانبها الاخذ الذى هو المظنة للجناح
لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطى والاخذ والصلح خير اى من الفرقة او من
سوء العشرة او من الخصومة فاللام للعهد او هو خير من الخيور فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر
لما قبله وكذا قوله تعالى واحضرت الانفس الشح اى جعلت حاضرة له مطبوعة عليه لا تنفك عنه
ابدا فلا المراة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها فان فيه تحقيقا للصلح
وتقريرا له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعى التمادى فى المماكسة
والشقاق بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير استمالة
مما يحمل المراة على بذل بعض حقوقها اليه لاستمالته وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل على ان
يقتنع من قبلها بشئ يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح وان تحسنوا فى العشرة وتتقوا النشوز

والاعراض وان تعاضدت الاسباب الداعية اليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق
الصحبة ولم تضطروهن الى بذل شئ من حقوقهن فان الله كان بما تعملون اى من الاحسان
والتقوى او بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم على ذلك
البتة لاستحالة ان يضيع اجر المحسنين وفى خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن
بالاحسان ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والاعراض مما يتوقى منه وترتيب الوعد الكريم عليه
من لطف الاستمالة والترغيب فى حسن المعاملة ما لا يخفى روى انها نزلت فى عمرة بنت محمد بن مسلمة
وزوجها سعد بن الربيع تزوجها وهى شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة واثرها عليها وجفاها فاتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكت اليه ذلك وقيل نزلت فى ابى السائب كانت له امراة قد
كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقنى ودعنى على اولادى فاقسم
لى من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لى فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الى فاتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اى محال ان
تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب احداهن فى شان من الشؤون البتة وقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل ثم يقول اللهم هذا قسمى فيما املك فلا
تؤاخذنى فيما تملك ولا املك وفى رواية وانت اعلم بما لا املك يعنى فرط محبته لعايشه رضى الله
عنها ولو حرصتم اى على اقامة العدل وبالغتم فى ذلك فلا تميلوا كل الميل اى فلا تجوروا
على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم تكليفكم
بها لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها اى التى ملتم عنها كالمعلقة التى
ليست ذات بعل او مطلقة وقرئ كالمسجونة وفى الحديث من كانت له امراتان يميل مع احداهما جاء يوم
القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل
فان الله كان غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وان يتفرقا وقرئ
يتفارقا اى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره يغن
الله كلا منهما اى يجعله مستغنيا عن الاخر ويكفه مهماته من سعته من غناه وقدرته وفيه
زجر لهما عن المفارقة رغما لصاحبه وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا فى افعاله واحكامه
وقوله تعالى ولله ما فى السموات وما فى الارض اى من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق وارزاقهم
وغير ذلك جملة مستانفة منبهة على كمال سعته وعظم قدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم اى امرناهم فى كتابهم وهم اليهود والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام فى الكتاب للجنس
ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الموصول ان اتقوا الله اى وصينا كلا منكم ومنهم بان
اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف عنها الجار ويجوز ان يكون مفسرة لان التوصية فى معنى القول فقوله
تعالى وان تكفروا فان لله ما فى السموات وما فى الارض حينئذ من تتمة القول المحكى اى ولقد قلنا لهم

ولكن ان تكفروا الاية وقيل هي جملة مستانفة خوطب بها هذه الامة واياما كان فالمترتب على كفرهم ليس
مضمون قوله تعالى فان الله الاية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان الله ما في السموات
وما في الارض من الخلايق قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وساير النعم المتفرعة عليه لايستغنون عن
فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولايعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله وكان الله
غنيا اى عن الخلق وعبادتهم حميدا محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم ومعاصيهم
كما لاينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله ما في السموات وما في الارض
كلام مبتدا مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي اى لله سبحانه
وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيفما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وكفى
بالله وكيلا في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه ان يشا يذهبكم
ايها الناس اى يفنيكم ويستاصلكم بالمرة ويات باخرين اى ويوجد دفعة مكانكم قوما اخرين من
البشر او خلقا اخرين مكان الانس ومفعول المشية محذوف لكونه مضمون الجزاء ان يشا افناكم وايجاد
اخرين يذهبكم الخ يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن طاعتكم ولعدم
تعلق مشيته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا وكان الله
على ذلك اى افنائكم بالمرة وايجاد اخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لاسيما في توسيط
الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اى ان يشا يميتكم ويات باناس اخرين يوالونه فمعناه معنى
قوله تعالى فان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد
ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والاخرة اى فعنده تعالى ثوابهما له
ان اراده فماله يطلب اخسهما فليطلبهما كمن يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة او ليطلب
اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه الله لم يخطئه الغنيمة وله في الاخرة ما هي في جنبه كلا شئ او فعند الله
ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده كقوله من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه الاية وكان الله سميعا
بصيرا عالما بجميع المسموعات والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمراداتهم
اندراجا اوليا يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع
الامور مجتهدين في ذلك حق الاجتهاد شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان
وقيل حال ولو على انفسكم اى ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة
عن الاخبار بحق الغير سواء كان ذلك عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم
من جهة المشهود عليه ان يكن غنيا يبتغي في العادة رضاه ويتقى سخطه او فقيرا يترحم عليه غالبا وقرى ان يكن
غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط محذوف لدلالة قوله تعالى فالله اولى بهما عليه اى فلا

او الوالدين والاقربين

تتمتعوا

تتبعوا امنها طلبا لرضى الغني او ترحما على الفقير فان الله تعالى اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما
بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها وقرى اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اى مخافة
ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور الذي حقه ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا
بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا اى السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل
بان تاتوا بها لا على وجهها وقرى وان تلوا من الولاية والتصدي اى وان وليتم اقامة الشهادة او
تعرضوا اى عن اقامتها راسا فان الله كان بما تعملون من لى الالسنة والاعراض بالكلية او من
جميع الاعمال التي من جملتها ما ذكر خبيرا فيجازيكم لا محالة على ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد
محض وعلى القراءة الاخيرة متضمن للوعد يا ايها الذين امنوا خطاب لكافة المسلمين فمعنى قوله
تعالى امنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي انزل من قبل اثبتوا على
الايمان بذلك وداوموا عليه او ازدادوا فيه طمانينة ويقينا او امنوا به مفصلا بناء على ان الايمان
بعضهم جمالي والمراد بما ذكر بالكتاب الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية لقوله تعالى وكتبه
وبالايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى على رسول معين لارشاد امته
التي شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد من تلك الكتب
خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب وشرايعها باقية بالكلية ولا على ان الباقي
منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على رسوله
وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الان من الشرايع
والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في
تفسير خاتمة سورة البقرة وقرى نزل وانزل على البناء للمفعول وقيل هو خطاب لمؤمني اهل الكتاب
لما ان عبد الله بن سلام وابن اخته سلاما وابن اخيه سلمة واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة
بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك
وبكتابك وموسى والتورية وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم
بل امنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القران المتناول للتورية مع انهم يؤمنون بهما من قبل ليس لكون
المراد بالايمان بهما ما يعم انشاءه والثبات عليه ولا لان متعلق الامر حقيقة هو الايمان بما عداهما
كانه قيل امنوا بالكل ولا تخصوا بالبعض بل لان المامور به انما هو الايمان بهما في ضمن الايمان بالقران
على الوجه الذي اشير اليه انفا لا ايمانهم السابق ولان فيه حملا لهم على التسوية بينهما وبين
ساير الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب
لاهل الكتابين فالمعنى امنوا بالكل لا ببعض دون بعض وامر كل طائفة بالايمان بكتابه في ضمن الامر
بالايمان بجنس الكتاب لما ذكر وقيل هو للمنافقين فالمعنى امنوا بقلوبكم لا بالسنتكم فقط ومن
يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اى بشئ من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن القصد

بحيث لايكاد يعود الى طريقه وزيادة الملئكة واليوم الاخر في جانب الكفر لما ان بالكفر باحدهما لا يتحقق
الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بكتاب او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق
لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه وتقديم الملئكة والكتب على الرسل لانهم وسائط بين الله عز وجل
وبين الرسل في انزال الكتب **ان الذين امنوا** قال قتادة هم اليهود امنوا بموسى **ثم كفروا** بعبادتهم
العجل **ثم امنوا** عند عوده اليهم **ثم كفروا** بعيسى والانجيل **ثم ازدادوا كفرا** بكفرهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وثبتوا على الايمان فان قلوبهم
قد ضريت بالكفر وتمرنت على الردة وكان الايمان عندهم اهون شئ وادونه لانهم لو اخلصوا
الايمان لم يقبل منهم ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف اى مريدا ليغفر لهم وقوله عز وجل **بشر المنافقين**
بان لهم عذابا اليما يدل على ان المراد بالمذكورين الذين امنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة
بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا ونفاقا ووضع بشر موضع انذر تهكما بهم **الذين يتخذون الكافرين اولياء**
في محل النصب او الرفع على الذم بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل نصب على انه صفة للمنافقين
وقوله تعالى **من دون المؤمنين** حال من فاعل يتخذون اى يتخذون الكفرة انصارا متجاوزين
ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم فتولوا
اليهود **ايبتغون عندهم العزة** انكار لرايهم وابطال له وبيان لخيبة رجائهم وقطع لاطماعهم الفارغة
والجملة معترضة مقررة لما قبلها اى ايطلبون بموالات الكفرة القوة والغلبة قال الواحدى اصل
العزة الشدة ومنه قيل للارض الشديدة الصلبة عزاز وقوله تعالى **فان العزة لله جميعا** تعليل
لما يفيده الاستفهام الانكارى من بطلان رايهم وخيبة رجائهم فان انحصار جميع افراد العزة في جنابه
عز وعلا بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
تقضى ببطلان التعزز بغيره سبحانه واستحالة الانتفاع به وقيل هو جواب شرط محذوف كانه قيل
ان يبتغوا عندهم عزة فان العزة لله وجميعا حال من المستكن في قوله تعالى لله لاعتماده على المبتداء
وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ الذى يستدعيه تعداد
جناياتهم وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل والانزال ونزل ايضا مخففا والجملة حال من ضمير يتخذون
ايضا مفيدة لكمال قباحة حالهم ونهاية استعصائهم عليه سبحانه ببيان انهم فعلوا ما فعلوا من موالات
الكفر مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك وهو ورود النهى الصريح عن مجالستهم المستلزم للنهى عن موالاتهم
على ابلغ وجه واكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه بالجملة المعترضة كانه قيل تتخذونهم اولياء والحال
انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة **في الكتاب** اى القران الكريم **ان اذا سمعتم ايات الله يكفر**
بها ويستهزئ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك قوله تعالى واذا رايت
الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم الاية وهذا يقتضى الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة القبيحة
فكيف بموالاتهم والاعتزاز بهم وان هى المخففة من ان وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف والجملة

وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ع

الشرطية

الشرطية خبرها وقوله تعالى يكفر بها حال من ايات الله وقوله تعالى ويستهزئ بها عطف عليه داخل
في حكم الحالية واضافة الايات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل امر الكفر بها اى نزل
عليكم في الكتاب اذا سمعتم ايات الله مكفورا بها ومستهزئا بها الخ وفيه دلالة على ان المنزل على النبي
صلى الله عليه وسلم وان خوطب به خاصة منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم
في الايات ولذلك عبر عن ذلك تارة بالرؤية واخرى بالسماع وان المراد بالاعراض اظهار
المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول
عليهم بقوله تعالى يكفر بها ويستهزئ بها **انكم اذا مثلهم** جملة مستانفة سيقت لتعليل النهى
غير داخلة تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل لوقوعها بين المبتداء والخبر اى لا تقعدوا معهم في ذلك
الوقت انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر واستتباع العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء
بالاضافة الى الجمع وقرئ شاذا امثالهم بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون
وقيل هو منصوب على الظرفية اى في مثل حالهم وقوله تعالى **ان الله جامع المنافقين والكافرين**
في جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد
بالمنافقين اما المخاطبون وقد وضع موضع ضميرهم المظهر تسجيلا بنفاقهم وتعليلا للحكم بماخذ الاشتقاق
واما الجنس وهم داخلون تحته دخولا اوليا وتقديمهم على الكافرين لتشديد الوعيد على المخاطبين
ونصب جميعا مثل ما قبله **الذين يتربصون بكم** تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين بتعديد بعض
اخر من جنايات المنافقين وقبائحهم وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط اذ هم
المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب على الذم اى ينتظرون امركم وما يحدث لكم من
ظفر واحماق والفاء في قوله تعالى **فان كان لكم فتح من الله** لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية
تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص يستدعى شيئا ينتظر المتربص وقوعه
قالوا اى لكم **الم نكن معكم** اى مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة **وان كان للكافرين نصيب** من
الحرب فانها سجال **قالوا** اى للكفرة **الم نستحوذ عليكم** اى الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا
عليكم **ونمنعكم من المؤمنين** بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا
في مظاهرتهم والا لكنتم نهبة للنوائب فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وما للكافرين
نصيبا لتعظيم شان المسلمين وتخسيس حظ الكافرين وقرئ ونمنعكم باضمار ان **فالله يحكم بينكم يوم**
القيمة حكما يليق بشان كل منكم من الثواب والعقاب واما في الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام
حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا **ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا** حينئذ
كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او في الدنيا على ان المراد بالسبيل الحجة
ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتداء سيق لبيان طرف اخر من قبائح اعمالهم اى يفعلون
ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطال نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم

في الدنيا معصومي الدماء والاموال واعدّ لهم في الآخرة الدرك الاسفل من النار وقد مرّ التحقيق في
صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ
نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى
متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليحسبوهم
مؤمنين والمراة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعّم وناعم او للمقابلة فان المرائى يرى غيره عمله وهو يريه استحسانه
والجملة اما استيناف مبنى على سوال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يريدون بقيامهم اليها كسالى
فقيل يراون الخ او حال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراؤن اى لا يذكرونه
سبحانه الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل او الا زمانا قليلا
او لا يصلون الا قليلا لانهم يصلون الا بمراى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرونه تعالى
في الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراؤن او منصوب
عن الذم وذلك اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اى مردّدين بينهما متحيّرين
قد ذبذبهم الشيطان وحقيقة المذبذب ما يذبّ ويدفع عن كلا الجانبين مرّة بعد اخرى وقرئ
بكسر الذال اى مذبذبين قلوبهم او دينهم او رايهم او هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى
تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي الله متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال الغير المعجمة وكان المعنى
اخذ بهم تارة في دبّة اى طريقة واخرى في اخرى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اى لا منسوبين
الى المؤمنين ولا منسوبين الى الكافرين ولا صائرين الى الاولين ولا الى الاخرين فمحله النصب على انه
حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير له ومن يضلل الله لعدم استعداده
للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا عن ان تهديه اليه والخطاب
لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين نهوا عن موالاة
الكفرة صريحا وان كان في بيان حال المنافقين مزجرة عن ذلك مبالغة في الزجر والتحذير اتريدون
ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اى اتريدون بذلك ان تجعلوا الله عليكم حجة بيّنة على انكم
منافقون فان موالاتهم اوضح ادلّة النفاق او سلطانا يسلّط عليكم عقابه وتوجيه الانكار الى الارادة
دون متعلّقها بان يقال اتجعلون الخ للمبالغة في انكاره وتهويل امره ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل
ارادته فضلا عن صدوره نفسه كما قوله عزّ وجل ام تريدون ان تسالوا رسولكم الخ ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان كذلك لانهم اخبث الكفرة حيث ضمّوا
الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله وخداعهم واما قوله عليه السلام ثلث من كنّ فيه فهو منافق
وان صام وصلّى وزعم انه مسلم من اذا حدّث كذب واذا وعد خلف واذا أتمن خان ونحوه فمن باب
التشديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها متداركة متتابعة بعضها
تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطْر والسطَر ويعضده ان جمعه ادراك ولن تجد لهم نصيرا

يخلّصهم منه والخطاب كما سبق الا الذين تابوا اى عن النفاق وهو استثناء من المنافقين بل من
ضميرهم في الخبر واصلحوا ما افسدوه من احوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله اى وثقوا به و
تمسكوا بدينه واخلصوا دينهم اى جعلوه خالصا لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك اشارة
الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيّز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة و
علوّ الطبقة مع المؤمنين اى المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلا منذ امنوا والا
فهم ايضا مؤمنون اى معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بيّن ذلك بقوله تعالى وسوف
يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم
وامنتم استيناف مسوق لبيان انّ مدار تعذيبهم وجودا وعدما انما هو كفرهم لا شئ اخر فيكون
مقرّرا لما قبله من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفى على ابلغ وجه واكده اى اىّ شئ
يفعل الله سبحانه بتعذيبكم ايتشفّى من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به
ضررا كما شان الملوك وهو الغنى المتعالى عن امثال ذلك وانما هو امر تقتضيه كفركم فاذا زال ذلك
بالايمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الايمان لما انه طريق موصل اليه فان
الناظر يدرك اوّلا ما عليه من النعم الانفسية والافاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم
فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله سبحانه
هو الرضاء باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب بمقابلته عليما مبالغا في العلم بجميع
المعلومات التي من جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحبّ الله الجهر بالسوء
من القول عدم محبته تعالى الشئ كناية عن سخطه والباء متعلّقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا
من السوء اى لا يحبّ الله تعالى ان يجهر احد بالسوء كائنا من القول الا من ظلم اى الا جهر
من ظلم بان يدعو على ظالمه او يتظلّم منه ويذكره بما فيه من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه
وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيردّ على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه الآية وقيل ضاف رجل قوما
فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل فالاستثناء
منقطع اى ولكنّ الظالم يرتكب ما لا يحبّه الله تعالى فيجهر بالسوء وكان الله سميعا بجميع
المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليما بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم
والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء ان تبدوا خيرا اىّ خير كان من الاقوال والافعال
او تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما سوّغ لكم من مواخذة المسئ والتنصيص عليه مع انه راجه
في ابداء الخير واخفائه لما انه الحقيق بالبيان وانما ذكر ابداء الخير واخفاءه بطريق التسبيب له
كما ينبئ عنه قوله عزّ وجل فان الله كان عفوّا قديرا فان ايراده في معرض جواب الشرط
يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة اى كان مبالغا في العفو مع كمال قدرته على المواخذة وقال
الحسن يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنّة الله تعالى وقال الكلبى

هواقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا عمن عفا قديرا على ايصال الثواب
اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله اى يؤدى اليه مذهبهم ويقتضيه رايهم لا انهم يصرحون
بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اى بان يؤمنوا به تعالى ويكفروا
بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما يحكيه قوله تعالى
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض اى نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعضهم كما قالت اليهود نؤمن
بموسى والتورية وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين
الله تعالى ورسله فى الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبى من الانبياء الا
وقد اخبر قومه بحقية دين نبينا صلى الله عليه وعليهم اجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل
وبالله تعالى ايضا من حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اى بين الايمان
والكفر سبيلا يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق الا الضلال
اولئك الموصوفون بالصفات القبيحه هم الكافرون الكاملون فى الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه
ايمانا اصلا حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اى حق ذلك اى كونهم كاملين فى الكفر حقا او صفة
لمصدر الكافرين اى هم الذين كفروا كفرا حقا اى ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اى
لهم وانما وضع المظهر مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم او لجميع الكافرين وهم داخلون فى زمرتهم
دخولا اوليا عذابا مهينا سيذوقونه عند حلوله والذين امنوا بالله ورسله على الوجه الذى
بين فى تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله الاية ولم يفرقوا بين احد منهم
بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا باخرين كما فعله الكفرة ودخول بين على احد قد مر تحقيقه فى سورة
البقرة بما لا مزيد عليه اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة سوف يؤتيهم اجورهم
الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه كائن لا محالة وان تراخى وقرئ نؤتيهم
بنون العظمة وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما مبالغا فى الرحمة عليهم بتضعيف حسناتهم
يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت فى احبار اليهود حين قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام
وقيل كتابا محررا بخط سماوى على اللوح كما نزلت التورية او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا
باعياننا بانك رسول الله وما كان مقصدهم بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن ولو
سالوه لكى يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد سالوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط
مقدر اى ان استكبرت ما سالوه منك فقد سالوا موسى شيئا اكبر منه وقيل تعليل للجواب اى
فلا تبال بسؤالهم فقد سالوا موسى اكبر منه وهذه المسئلة وان صدرت عن اسلافهم لكنهم لما
كانوا مقتدين بهم فى كل ما ياتون وما يذرون اسندت اليهم والمعنى ان لهم فى ذلك عرقا راسخا
وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة اى ارناه نره جهرة اى عيانا

او مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية فاخذتهم الصاعقة اى النار التى جاءت من السماء فاهلكتهم
وقرئ الصعقة بظلمهم اى بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل فى تلك الحال التى
كانوا عليها وذلك لا يقتضى امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات
اى المعجزات التى اظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التورية لانها
لم تنزل عليهم بعد فعفونا عن ذلك ولم نستاصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة
كانه قيل ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا حتى نعفو عنكم واتينا موسى
سلطانا مبينا سلطانا ظاهرا عليهم حيث امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معصيتهم ورفعنا فوقهم
الطور بميثاقهم اى بسبب ميثاقهم ليعطوه على ما روى انهم امتنعوا عن قبول شريعة
التورية فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو الانسب بما سياتى من قوله
عز وجل واخذنا منهم ميثاقا غليظا وقلنا لهم على لسان موسى عليه السلام والطور مظل عليهم
ادخلوا الباب قال قتادة كنا نتحدث انه باب من ابواب بيت المقدس وقيل هو ايليا وقيل هو
اريحاء وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التى كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس
فى حيوة موسى عليه السلام سجدا اى متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا اى لا تظلموا باصطياد
الحيتان فى السبت وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال على ان اصله تعتدوا فادغمت
التاء فى الدال لتقاربهما فى المخرج بعد نقل حركتها الى العين واخذنا منهم على الامتثال بما كلفوه
ميثاقا غليظا مؤكدا وهو العهد الذى اخذ الله عليهم فى التورية قيل انهم اعطوا الميثاق على
انهم ان هموا بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم باى انواع العذاب اراد فبما نقضهم ميثاقهم
ما مزيدة للتاكيد او نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف اى فبسبب نقضهم
ميثاقهم ذلك فعلنا بهم ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على اعقابهم
روى انهم اعتدوا فى السبت فى عهد داود عليه السلام فلعنوا ومسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا
على ان قوله تعالى فبظلم بدل من قوله تعالى فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى
ان قولهم انا قتلنا المسيح وقولهم على مريم البهتان متاخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه
قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا غلف فيكون فى صلة قوله تعالى وقولهم
المعطوف على المجرور فلا يعمل فى جاره وكفرهم بايات الله اى بالقران او بما فى كتابهم وقتلهم الانبياء
بغير حق كزكريا ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف اى هى مغشاة باغشية
جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد عليه السلام او تخفيف غلف جمع غلاف اى هى اوعية للعلوم
فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضى الله عنه وعطاء وقال الكلبى يعنون ان قلوبنا
بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان فى حديثك خير لوعته ايضا بل طبع الله عليها بكفرهم
كلام معترض بين المعطوفين جئ به على وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اى ليس كفرهم

وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلّة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب
كفرهم او ليست قلوبهم كما زعموا بل هى مطبوع عليها بسبب كفرهم فلا يؤمنون الّا قليلا منهم كعبد الله
بن سلام واضرابه اوّ الّا ايمانا قليلا لا يعباء به وبكفرهم اى بعيسى عليه السّلام وهو عطف على قولهم
واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوّز عطفه على كفرهم فيكون هو وما عطف عليه من اسباب
الطّبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان بتكرّر كفرهم حيث كفروا
بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصّلوة والسلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر قدره حيث
نسبوها الى ما هى عنه بالف منزل وقولهم انّا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله نظم قولهم هذا فى
سلك سائر جناياتهم التى نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمّنه لابتهاجهم بقتل النبى والاستهزاء
به فان وصفهم له عليه السّلام بعنوان الرّسالة انّما هو بطريق التهكم كما فى قوله تعالى يا ايها الذى
نزّل عليه الذكر الخ ولا نبائه عن ذكرهم له عليه السّلام بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع
للذّكر الجميل من جهته تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السّلام من جهته تعالى مدحا
له عليه السّلام ورفعا لمحلّه واظهارا لغاية جراتهم فى تصدّيهم لقتله ونهاية وقاحتهم فى افتخارهم
بذلك وما قتلوه وما صلبوه حال او اعتراض ولكن شبّه لهم روى انّ رهطا من اليهود سبوه
عليه السّلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله تعالى قردة وخنازير فاجمعت اليهود على قتله فاخبره
الله تعالى بانّه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم يرضى بان يلقى عليه شبهى فيقتل ويصلب ويدخل
الجنّة فقال رجل منهم انا فالقى الله تعالى عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى
صلى الله تعالى عليه وسلم فلما اراد واقتله قال انا ادلّكم عليه فدخل بيت عيسى عليه الصّلوة والسلم
فرفع عليه الصّلوة والسلام والقى شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى عليه
السّلام وقيل ان ططيانوس اليهودىّ دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله تعالى عليه شبهه
فلمّا خرج ظنّ انه عيسى فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق لا تستبعد فى عصر النبوّة وقيل انّ
اليهود لما همّوا بقتله عم فرفعه الله تعالى الى السّماء خاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة بين
عوامّهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبّسوا على النّاس واظهروا لهم انه هو المسيح وما كانوا
يعرفونه الّا بالاسم لعدم مخالطته عليه السّلام لهم الّا قليلا وشبّه مسند الى الجار والمجرور كانّه
قيل ولكن وقع لهم التشبيه بين عيسى والمقتول او فى الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن
ارجف بقتله فشاع بين النّاس او الى ضمير المقتول لدلالة انّا قتلنا على ان ثمه مقتولا وانّ الذين
اختلفوا فيه اى فى شان عيسى عليه السلام فانّه لما وقعت تلك الواقعة اختلف النّاس فقال
بعض اليهود انه كان كاذبا فقتلناه حقّا وتردّد آخرون فقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين
صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعنى الى
السّماء انّه رفع الى السماء وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفى شكّ لفى تردّد والشك

كما يطلق على ما لم يترجح احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكّد بقوله تعالى
ما لهم به من علم الّا اتّباع الظنّ استثناء منقطع اى لكنهم يتّبعون الظنّ ويجوز ان يفسّر الشّك
بالجهل والعلم بالاعتقاد الذى يسكن اليه النّفس جزما كان اوغيره فالاستثناء حينئذ متّصل وما
قتلوه يقينا اى قتلا يقينا كما زعموا بقولهم انّا قتلنا المسيح وقيل معناه ما علموه يقينا كما فى قول من قال
كذاك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمى ذلكم يقنا من قولهم قتلت الشئ علما ونحرته علما اذا
تبالغ علمك فيه وفيه تهكّم بهم لاشعاره بعلمهم فى الجملة وقد نفى ذلك عنهم بالكلّية بل رفعه الله
اليه ردّ وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا لا يغالب فيما يريده حكيما فى جميع
افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى فى امر عيسى عليه السّلام دخولا اوليا وان من اهل الكتاب
اى من اليهود والنّصارى وقوله تعالى الّا ليؤمننّ به جملة قسمية وقعت صفة لموصوف
محذوف اليه يرجع الضّمير الثّانى والاوّل لعيسى عليه السلام اى وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمننّ
بعيسى عم قبل ان تزهق روحه بانّه عبد الله ورسوله ولات حين ايمان لانقطاع وقت التكليف
ويعضده انه قرئ ليؤمننّ به قبل موتهم بضمّ النّون لما انّ احدا فى معنى الجمع وعن ابن عبّاس رض
انه فسّره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرّك بها شفتيه
قال فان اتاه خرّ من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها فى الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن
به وعن شهر بن حوشب قال لى الحجّاج آية ما قرأتها الّا تخالج فى نفسى شئ منها يعنى هذه الاية وقال انّى اوتى
بالاسير من اليهود والنّصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودى اذا حضره الموت
ضربت الملئكة دبره ووجهه وقالوا يا عدوّ الله اتاك عيسى نبيّا فكذّبت به فيقول آمنت انه
عبد نبىّ وتقول للنّصرانى اتاك عيسى نبيّا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله
حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الىّ وقال ممّن قلتُ حدثنى محمّد بن على
ابن الحنفيّة فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية والاخبار بحالهم هذه
وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطرّوا اليه مع انتفاء جدواه وقيل كلا
الضميرين لعيسى والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين عند نزول عيسى احد الا ليؤمنن به قبل
موته روى انه عليه السّلام ينزل من السّماء فى آخر الزّمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الّا يؤمن
حتّى يكون الملّة واحدة وهى ملّة الاسلام ويهلك الله تعالى فى زمانه الدّجال ويقع الامنة حتى يرتع
الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذياب مع الغنم ويلعب الصبيان مع الحيّات ويلبث فى الارض
اربعين سنة ثم يتوفى ويصلّى عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضّمير الاوّل يرجع الى الله تعالى وقيل
الى محمد صلى الله عليه وسلّم ويوم القيمة يكون اى عيسى عم عليهم على اهل الكتاب شهيدا
فيشهد على اليهود بالتّكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا
فبظلم من الذين هادوا لعلّ ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم بتذكير وقوعه بعد

ماهادوا اى تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس اثر بيان عظمه فى
حدّ ذاته بالتنوين التفخيمى اى بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال صادر عنهم حرّمنا
عليهم طيّبات احلّت لهم ولمن قبلهم لا لشئ غيره كما زعموا فانّهم كانوا كلّما ارتكبوا معصية
من المعاصى التى اقترفوها يحرّم عليهم نوع من الطّيّبات التى كانت محلّلة لهم ولمن تقدّمهم من اسلافهم
عقوبة لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه ويقولون لسنا باوّل من حرّمت عليه وانّما
كانت محرّمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله عزّ وجل فى مواقع كثيرة
وبكّتهم بقوله تعالى كلّ الطّعام كان حلّا لبنى اسرائيل الّا ما حرّم اسرائيل على نفسه من قبل ان
تنزّل التّورية قل فأتوا بالتّورية فاتلوها ان كنتم صادقين اى فى ادعائكم انّه تحريم قديم روى انّه
عم لما كلّفهم اخراج التورية لم يجسر احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها
فبهتوا وانقلبوا صاغرين وبصدّهم عن سبيل الله كثيرا اى ناسًا كثيرا وصدّا كثيرا واخذهم
الرّبوا وقد نهوا عنه فان الرّبوا كان محرّما عليهم كما هو محرّم علينا وفيه دليل على انّ النّهى يدل على
حرمة المنهى عنه واكلهم اموال النّاس بالباطل بالرشوة وساير الوجوه المحرّمة واعتدنا للكافرين
منهم اى للمصرّين على الكفر لا لمن تاب وامن من بينهم عذابا اليما سيذوقونه فى الآخرة كما ذاقوا
فى الدّنيا عقوبة التحريم لكن الرّاسخون فى العلم منهم استدراك من قوله واعتدنا الخ وبيان
لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا واجلا اى لكن الثّابتون فى العلم منهم المتقنون المستبصرون
فيه غير التّابعين للظّن كاولئك الجهلة والمراد به عبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اى منهم
وصفوا بالايمان بعد ما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ فى العلم بطريق العطف المبنى على المغايرة
بين المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنوانى منزلة الاختلاف الذّاتى وقوله تعالى يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك حال من المؤمنون مبنيّة لكيفيّة ايمانهم وقيل اعتراض مؤكّد
لما قبله وقوله عزّ وعلا والمقيمين الصّلوة قيل نصب باضمار فعل تقديره واعنى المقيمين الصّلوة
على ان الجملة معترضة بين المبتداء والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء
اى يؤمنون بالكتب وبالانبياء او الملئكة قال مكى اى ويؤمنون بالملئكة الذين صفتهم اقامة الصلوة
لقوله تعالى يسبّحون اللّيل والنّهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف فى اليك اى يؤمنون
بما انزل اليك والى المقيمين الصّلوة وهم الانبياء وقيل على الضّمير المجرور فى منهم اى لكن الرّاسخون
فى العلم منهم ومن المقيمين الصّلوة وقرئ بالرفع على انه معطوف على المؤمنون بناء على ما مرّ من تنزيل
التّغاير العنوانى منزلة التغاير الذّاتى وكذا الحال فيما سياتى من المعطوفين فان قوله تعالى والمؤتون
الزّكوة عطف على المؤمنون مع اتّحاد الكلّ ذاتا وكذا الكلام فى قوله تعالى والمؤمنون بالله واليوم
الآخر فان المراد بالكلّ مؤمنوا اهل الكتاب قد وصفوا اوّلا بكونهم راسخين فى علم الكتاب ايذانا بان
ذلك موجب للايمان حتما وانّ من عداهم انّما بقوا مصرّين على الكفر لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم

مؤمنين

مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السّلام ثم بكونهم عاملين بما فيها من الشّرايع والاحكام
واكتفى من بينها بذكر اقامة الصّلوة وايتاء الزّكوة المستتبعين لساير العبادات البدنيّة والماليه
ثم بكونهم مؤمنين بالمبدا والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه واحاطتهم به من طرفيه وتعريضًا
بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما حقيقة فانّهم بقولهم عزير ابن الله مشركون
بالله سبحانه وبقولهم لن تمسنا النّار الّا ايّاما معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى
اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عدّد من الصّفات الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلوّ درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتداء وقوله تعالى سنؤتيهم اجرا عظيما خبره
والجملة خبر للمبتداء الذى هو الرّاسخون وما عطف عليه والسّين لتاكيد الوعد وتنكير الاجر
للتفخيم هذا انسب بتجاوب طرفى الاستدراك حيث اوعد الاوّلون بالعذاب الاليم ووعد الاخرون
بالاجر العظيم كانّه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المؤمنون منهم
سنؤتيهم اجرا عظيما واما ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك الخ
خبرا للمبتداء ففى كمال السّداد خلا انّه غير متعرّض لتقابل الطّرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعات
لظاهر قوله تعالى والمؤمنون بالله انّا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنّبيّين من بعده
جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزّل عليهم كتابا من السّماء
واحتجاج عليهم بانّه ليس بدعا من الرّسل وانما شانه فى حقيقة الارسال واصل الوحى كشان
ساير مشاهير الانبياء الذين لا ريب لاحد فى نبوتهم والكاف فى محلّ النّصب على انه نعت لمصدر
محذوف اى ايحاء مثل ايحائنا الى نوح او على انه حال من ذلك المصدر المقدّر معرّفا كما هو راى
سيبويه اى اوحينا الايحاء حال كونه مشبّها بايحائنا الخ ومن بعده متعلق باوحينا وانما بدى بذكر
نوح لانّه ابو البشر واوّل نبىّ شرع الله تعالى على لسانه الشرايع والاحكام واوّل نبى عذّبت امته لردهم
دعوته وقد اهلك الله بدعائه اهل الارض واوحينا الى ابرهيم عطف على اوحينا الى نوح داخل
معه فى حكم التشبيه اى وكما اوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب
عليهم السلام وعيسى وايّوب ويونس وهرون وسليمان خصّوا بالذّكر مع ظهور انتظامهم فى سلك
النّبيّين تشريفا لهم واظهارا لفضلهم كما فى قوله تعالى من كان عدوّا لله وملئكته وجبريل وميكال
وتصريحا بمن ينتمى اليهم اليهود من الانبياء وتكرير الفعل لمزيد تقرير الايحاء والتنبيه على انّهم طائفة
خاصّة مستقلة بنوع مخصوص من الوحى واتينا داود زبورا قال القرطبى كان فيه مائة وخمسون
سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانّما هى حكم ومواعظ والتحميد والتمجيد والثناء على الله عزّ وجل
وقرئ بضم الزّاء وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على اوحينا داخل فى حكمه لان ايتاء الزبور
من باب الايحاء اى وكما اتينا داود زبورا وايثاره على واوحينا الى داود لتحقيق المماثلة فى امر خاص
هو ايتاء الكتاب بعد تحقيقها فى مطلق الايحاء ثم اشير الى تحقيقها فى امر لازم لهما لزوما كليّا وهو

الارسال فان قوله تعالى **ورسلا** نصب بمضمر يدل عليه اوحينا معطوف عليه داخل معه فى حكم التشبيه
كما قبله اى وكما ارسلنا رسلا لا بما يفسّره قوله تعالى **قد قصصناهم عليك** اى وقصصنا رسلا كما
قالوا وفرّعوا عليه ان قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الاول منصوب على انه صفة لرسلا وعلى الوجه
الثانى لا محلّ له من الاعراب فانّه ممّا لا سبيل اليه كما ستقف عليه وقرئ برفع رسل وقوله تعالى
من قبل متعلّق بقصصنا اى وقصصنا من قبل هذه السورة او اليوم **ورسلا لم نقصصهم عليك**
عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما اوحينا الى
نوح والى رسل الخ والحقّ ان يكون انتصابهما بارسلنا فانّ فيه تحقيقا للمماثلة بين شانه صلى الله عليه
وسلم وبين شئون من يعترفون بنبوّته من الانبياء عليهم السّلام فى مطلق الايحاء ثم فى ايتاء الكتاب
ثم فى الارسال فان قوله تعالى انا اوحينا اليك منتظم لمعنى آتيناك وارسلناك حتما كانه قيل انّا
اوحينا اليك ايحاء مثل ما اوحينا الى نوح ومثل ما اوحينا الى ابرهيم ومن بعده وآتيناك الفرقان
ايتاء مثل ما آتينا داود زبورا وارسلناك ارسالا مثل ما ارسلنا رسلا قد قصصناهم عليك
من قبل ورسلا آخرين لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم فى حقيقة الايحاء واصل
الارسال فما للكفرة يسئلونك شيئا لم يعطه احد من هؤلاء الرّسل عليهم السّلام ومن ههنا اتّضح
ان رسلا لا يمكن نصبه بقصصنا فان ناصبه يجب ان يكون معطوفا على اوحينا داخلا معه فى حكم
التشبيه الذى عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب فى ان قصصنا لا تعلّق له بشئ من
الايحاء والايتاء حتّى يمكن اعتبار فى ضمن قوله تعالى انا اوحينا اليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور
مماثلة مصحّحة للتشبيه على ان تقديره فى رسلا الاوّل يقتضى تقدير نفيه فى الثانى وذلك اشدّ
استحالة واظهر بطلانا **وكلّم الله موسى** برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى
تكليما مصدر مؤكد رافع لاحتمال المجاز قال الفرّاء العرب تسمّى ما وصل الى الانسان كلاما
باى طريق وصل ما لم يؤكّد بالمصدر فاذا اكّد به لم يكن الّا حقيقة الكلام والجملة امّا معطوفة على
قوله تعالى انا اوحينا اليك عطف القصّة على القصّة لا على آتينا وما عطف عليه وامّا حال بتقدير
قد كما ينبئ عنه تغيير الاسلوب بالالتفات والمعنى ان التكليم بغير واسطة منتهى مراتب الوحى
خصّ به موسى من بينهم فلم يكن ذلك قادحا فى نبوّة ساير الانبياء فكيف يتوهّم كون نزول التورية
عليه عليه السلام جملة قادحا فى صحة نبوّة من انزل عليه الكتاب مفصّلا مع ظهور ان نزولها
كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها ان بنى اسرائيل كانوا فى العناد وشدّة الشكيمة بحيث لو لم
يكن نزولها كذلك لما آمنوا بها الّا بعد اللّتيا والّتى وقد فضّل الله تعالى نبينا محمدا صلى الله عليه
وسلم بان اعطاه مثل ما اعطى كل واحد منهم صلى الله عليهم وسلم تسليما كثيرا **رسلا مبشرين ومنذرين**
نصب على المدح او باضمار ارسلنا او على الحال بان يكون رسلا موطئا لما بعده او على البدلية من
رسلا الاوّل اى مبشرين لاهل الطاعة بالجنّة ومنذرين للعصاة بالنار **لئلا يكون للناس**

على الله

على الله حجة اى معذرة يعتذرون بها قائلين لولا ارسلت الينا رسولا فيبيّن لنا شرايعك ويعلّمنا
ما لم نكن نعلم من احكامك لقصور القوّة البشريّة عن ادراك جزئيات المصالح وعجز اكثر النّاس عن
ادراك كليّاتها كما فى قوله عزّ وعلا ولو انّا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربّنا لولا ارسلت
الينا رسولا فنتبع آياتك الآية وانما سميت حجة مع استحالة ان يكون لاحد عليه سبحانه حجة
فى فعل من افعاله بل له ان يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على ان المعذرة فى القبول عنده تعالى بمقتضى
كرمه ورحمته لعباده بمنزلة الحجة الحجّة القاطعة التى لا مردّ لها ولذلك قال وما كنّا معذّبين
حتى نبعث رسولا قال النبىّ صلى الله عليه وسلم ما احد اغير من الله عزّ وجل لذلك حرّم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن وما احد احبّ اليه المدح من الله تعالى لذلك مدح نفسه وما احد احبّ اليه
العذر من الله تعالى لذلك ارسل الرّسل وانزل الكتب فاللام متعلّقة بارسلنا وقيل بقوله تعالى
مبشرين ومنذرين وحجّة اسم كان وللنّاس خبرها وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجّة
اى كائنة على الله او هو الخبر وللنّاس حال على الوجه المذكور ويجوز ان يتعلق كلّ منهما بما تعلّق
به الآخر الذى هو الخبر ولا يجوز التعلق بحجّة لان معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله تعالى **بعد
الرّسل** اى بعد ارسالهم وتبليغ الشرائع الى الامم على السنتهم متعلّق بحجّة او بمحذوف وقع صفة لها
لانّ الظّروف يوصف بها الاحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة **وكان الله عزيزا** لا يغالب
فى امر من اموره ومن قضيّته الامتناع عن الاجابة الى مسالة المتعنّتين **حكيما** فى جميع افعاله الّتى
من جملتها ارسال الرّسل وانزال الكتب فان تعدّد الرّسل والكتب واختلافها فى كيفيّة النزول
وتغايرها فى بعض الشرايع والاحكام انّما هو لتفاوت طبقات الامم فى الاحوال التى عليها يدور فلك
التكليف فكما انّه سبحانه وتعالى براهم على انحاء شتى واطوار متباينة حسبما يقتضيه الحكمة التكوينيّة
كذلك تعبّدهم بما يليق بشانهم ويقتضيه احوالهم المتخالفة واستعداداتهم المتغايرة من الشّرايع
والاحكام حسبما يستدعيه الحكمة التشريعيّة وراعى فى ارسال الرّسل وانزال الكتب وغير ذلك
من الامور المتعلقة بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم فسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد
اذ يتعاظم التكاليف فيثقل على المكلف قبولها والخروج عن عهدتها وامّا التنزيل المنجم الواقع حسب
الامور الدّاعية اليه فهو ايسر قبولا واسهل امتثالا **لكن الله يشهد** بتخفيف النّون ورفع الجلالة
وقرئ بتشديد النّون ونصب الجلالة وهو استدراك عمّا يفهم ممّا قبله كانه لما تعنّتوا عليه بما سبق
من السّؤال واحتجّ عليهم بقوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الخ قيل انهم لا يشهدون بذلك
الله لكن الله يشهد **بما انزل اليك** على البناء للفاعل وقرئ على بناء المفعول والباء صلة للشّهادة
اى يشهد بحقيّة ما انزل اليك من القران المعجز الناطق بنبوّتك وقيل لما نزل قوله تعالى انّا اوحينا
اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد **انزله بعلمه** اى ملتبسا بعلمه الخاصّ الذى لا يعلمه
غيره وهو تاليفه على نمط بديع يعجز عنه كلّ بليغ او بعلمه او بحال من انزله عليه واستعداده لاقتباس

الانوار القدسيّة اوبعلمه الّذى يحتاج اليه الناس فى معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على الاوّلين حال
من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة فى موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله تعالى والملئكة
يشهدون اى بذلك مبتداء وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول انزله اى انزله و
الملئكة يشهدون بصدقه وحقيّته وكفى بالله شهيدا على صحّة نبوّتك حيث نصب لها معجزات
باهرة وحججا ظاهرة مغنية عن الاستشهاد بغيرها انّ الّذين كفروا اى بما انزله الله تعالى وشهد
به او بكلّ ما يجب الايمان به وهو داخل فيه دخولا اوّليا والمراد بهم اليهود وحيث كفروا به وصدّوا
عن سبيل الله وهو دين الاسلام من اراد سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمّد فى كتابنا وقرئ صدّ مبنيا
للمفعول قد ضلّوا بما فعلوا من الكفر والصدّ عن طريق الحقّ ضلالا بعيدا لانّهم جمعوا بين الضلال
والاضلال ولان المضلّ يكون اعرق فى الضّلال وابعد من الاقلاع عنه انّ الّذين كفروا اى بما
ذكر انفا وظلموا اى محمدا صلى الله عليه وسلّم بانكار نبوّته وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها
او النّاس بصدّهم عمّا فيه صلاحهم فى المعاش والمعاد لم يكن الله ليغفر لهم لاستحالة تعلّق
المغفرة بالكافر ولا ليهديهم سبيلا الّا طريق جهنّم لعدم استعدادهم للهداية الى الحقّ والاعمال
الصّالحة التى هى طريق الجنّة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الاشارة خلقه تعالى
لاعمالهم السّيئة المؤدّية بهم الى جهنّم عند صرف قدرتهم واختيارها الى اكتسابها او سوقهم
اليها يوم القيمة بواسطة الملئكة والطّريق على عمومه والاستثناء متّصل وقيل خاص بطريق الحق و
الاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدّرة من الضّمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء
دلالة واضحة كانّه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها الخ وقوله ابدا نصب على الظرفيّة رافع لاحتمال
حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك اى جعلهم خالدين فى جهنم على الله يسيرا لاستحالة ان
يتعذّر عليه شئ من مراداته تعالى يا ايها النّاس بعد ما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلّم تعلّل
اليهود بالاباطيل واقتراحهم الباطل تعسا وردّ عليهم ذلك بتحقيق نبوّته عليه السلام وتقرير
رسالته ببيان ان شانه عليه السلام فى امر الوحى والارسال كشئون من يعترفون بنبوّته من
مشاهير الانبياء عليهم السلام واكّد ذلك بشهادته سبحانه وشهادة الملئكة امر المكلّفون كافة
على طريق تلوين الخطاب بالايمان بذلك امرا مشفوعا بالوعد بالاجابة والوعيد على الرد تنبيها على
ان الحجّة قد لزمت ولم يبق بعد ذلك لاحد عذر فى عدم القبول وقوله عز وجل قد جاءكم الرّسول
بالحقّ من ربّكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به وتمهيد لما يعقبه من الامر
بالايمان وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرّسالة لتاكيد وجوب طاعته والمراد بالحق هو
القرآن الكريم والباء متعلقة بجاءكم فهى للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرّسول اى متلبسا بالحق
ومن ايضا متعلّقة اما بالفعل واما بمحذوف هو حال من الحقّ اى جاءكم به من عنده تعالى او جاءكم بالحق
كائنا من عنده تعالى والتعرّض لعنوان الرّبوبيّة مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بانّ

ذلك

ذلك لتربيتهم وتبليغهم الى كمالهم اللائق بهم ترغيبا لهم فى الامتثال بما بعده من الامر والفاء فى قوله
تعالى عز وجل فآمنوا للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها اى فامنوا به وبما جاءكم به من الحقّ
وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انّه مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو راى الخليل وسيبويه
اى اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم ممّا انتم فيه من الكفر او على انّه نعت لمصدر محذوف كما هو راى الفراء اى
امنوا ايمانا خيرا لكم او على انّه خبر كان المضمرة الواقعة جوابا للامر لا جزاء للشرط الصناعى وهو راى
الكسائى وابى عبيدة اى يكن الايمان خيرا لكم وان تكفروا اى ان تصرّوا وتستمرّوا على الكفر به فانّ لله ما فى
السّموات والارض من الموجودات سواء كانت داخلة فى حقيقتهما وبذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ
وجه واكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم فيدخل فى جملتهم المخاطبون دخولا اوّليا
اى كلّها له عزّ وجل خلقا وملكا وتصرّفا لا يخرج من ملكوته وقهره شئ منها فمن هذا شانه فهو قادر
على تعذيبكم بكفركم لا محالة او فمن كان كذلك فهو غنىّ عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم ولا ينتفع
بايمانكم وقيل فمن كان كذلك فله عبيد يعبدونه وينقادون لامره وكان الله عليما مبالغا
فى العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل فى ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا اوّليا حكيما مراعيا للحكمة
فى جميع احواله التى من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم يا اهل الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له
بالنصارى زجرا لهم عمّا هم عليه من الكفر والضّلال لا تغلوا فى دينكم بالافراط فى رفع شان عيسى عليه
السّلام وادّعاء الوهيّته وامّا غلوّ اليهود فى رتبته عم ورميهم بانّه ولد لغير رشدة فقد نعى عليهم ذلك
فيما سبق ولا تقولوا على الله الّا الحقّ اى لا تصفوه بما يستحيل اتّصافه به من الحلول والاتّحاد واتخاذ
الصّاحبة والولد بل نزّهوه عن جميع ذلك انّما المسيح قد مرّ تفسيره فى سورة آل عمران وقرئ بكسر الميم
وتشديد السّين كالسّكّيت على صيغة المبالغة وهو مبتداء وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان
له وقوله تعالى ابن مريم صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه من بنوّته تعالى وقوله تعالى رسول
الله خبر للمبتداء والجملة مستانفة مسوقة لتعليل النهى عن القول الباطل المستلزم للامر بضدّه اعنى
الحقّ اى انّه مقصور على رتبة الرّسالة لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله اى مكوّن بكلمته وامره
الّذى هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة القيها الى مريم اى اوصلها اليها وحصّلها فيها بنفخ جبرئيل
عليه السّلام وقيل اعلمها ايّاها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى انّ الله يبشّرك
بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم قيل الجملة حال من ضميره عليه السّلام المستكن فيما دل عليه و
كلمته من معنى المشتق الّذى هو العامل فيها وقد مقدّرة معها وروح منه قيل هو الذى نفخ جبرئيل
عليه السّلام فى درع مريم فحملت باذن الله سمّى النفخ روحا لانه ريح تخرج من الرّوح ومن لابتداء الغاية
مجازا لا تبعيضيّة كما زعمت النصارى يحكى انّ طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر على بن الحسين الواقدى
المروزى ذات يوم فقال له انّ فى كتابكم ما يدل على انّ عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه
الآية فقرا الواقدىّ وسخّر لكم ما فى السّموات وما فى الارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان يكون جميع

تلك الاشياء جزء منه سبحانه وتعالى علوا كبيرًا فانقطع النصرانى فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدًا
ووصل الواقدى بصلة فاخرة وهى متعلقة بمحذوف وقع صفة لروح اى كائنة من جهته تعالى جعلت
منه تعالى وان كانت بنفخ جبرئيل عليه السلام لكون النفخ بامر سبحانه وقيل سمى روحًا لاحيائه الاموات
وقيل لاحيائه القلوب كما سمى بها القرآن لذلك فى قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا
وقيل اريد بالروح الوحى الذى اوحى الى مريم بالبشارة وقيل جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف
شئ بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه السلام متكونا من النفخ لا من النطفة
وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول الله تعالى فى الذكر مع تاخره عن كونه كلمته تعالى
وروحا منه فى الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير محتمل للتاويل وتعيين مآل ما يحتمله
وسد باب التاويل الزائغ **فامنوا بالله** وخصوه بالالوهية **ورسله** اجمعين وصفوهم بالرسالة
ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية **ولا تقولوا ثلثة** اى الالهة ثلثة الله والمسيح
ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين اثنين من دون الله او الله
ثلثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس
وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثانى العلم وبالثالث الحيوة **انتهوا** عن التثليث
خيرا لكم قد مر وجوه انتصابه **انما الله اله واحد** اى بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه
فالله مبتدأ واله خبره وواحد نعت اى منفرد فى الهيته **سبحانه ان يكون له ولد** اى اسبحه
تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شئ ويتطرق اليه
فناء والله سبحانه منزه عن امثاله وقرئ ان يكون اى سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى **له
ما فى السموات وما فى الارض** جملة مستانفة مسوقة لتعليل التنزيه وتقريره اى له ما فيهما من
الموجودات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته شئ عن الاشياء التى من جملتها عيسى عم فكيف
يتوهم كونه ولدًا له تعالى **وكفى بالله وكيلا** اليه يكل كل الخلق امورهم وهو غنى عن العالمين فانى
يتصور فى حقه اتخاذ الولد الذى هو شان العجزة المحتاجين فى تدبير امورهم الى من يخلفهم ويقوم
مقامهم **لن يستنكف المسيح** استيناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الانفة والترفع من
نكفت الدمع اذا نحيته عن وجهك بالاصبع اى لن يانف ولن يترفع **ان يكون عبدًا لله** اى عن
ان يكون عبدًا لله تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك
اقصى مراتب الشرف والاقتصار عن ذكر عدم استنكافه عم عنه مع ان شانه عم المباهات به كما يدل
عليه احواله ويفصح عنه اقواله اولا يرى ان اول مقالة قالها للناس قوله انى عبد الله آتانى الكتاب
وجعلنى نبيًا لوقوعه فى موقع الجواب عما قاله الكفرة روى ان وفد نجران قالوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى شئ اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه
ليس بعار ان يكون عبدًا لله قالوا بلى فنزلت وهو السر فى جعل المستنكف عنه كونه عم عبد الله تعالى

دون

دون ان يقال عن عبادة الله ونحو ذلك مع افادة فائدة جليلة هى كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف
بالكلية فان كونه عبدا له تعالى حالة مستمرة مستتبعة لدوام العبادة قطعًا فعدم الاستنكاف عنه
مستلزم لعدم الاستنكاف عن عبادته تعالى كما اشير اليه بخلاف عبادته تعالى فانها حالة متجددة
غير مستلزمة للدوام يكفى فى اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا
يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها **ولا الملئكة المقربون** عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملئكة
المقربون ان يكونوا عبيدًا لله وقيل ان اريد بالملئكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج بالآية
من زعم فضل الملئكة على الانبياء عليهم الصلوة والسلام وقال مساقه لرد النصارى فى رفع المسيح
عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف اعلى درجة من المعطوف عليه حتى يكون
عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عم واجيب بان مناط كفر النصارى ورفعهم له عم عن رتبة
العبودية لما كان اختصاصه عليه السلام وامتيازه عن ساير افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم
بالمغيبات وبالرفع الى السماء عطف على عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو
اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملئكة من غير اب ولا ام وعالمون بما لا يعلمه البشر من المغيبات
ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لاحد فى علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع فى علوها من حيث
كثرة الثواب على الطاعات وبان الآية ليست للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملئكة ايضا فلا
اتجاه لما قالوا وان اسلم اختصاصها بالرد على النصارى فلعله اريد بالعطف المبالغة باعتبار
التكثير والتفصيل لا باعتبار التكبير والتفضيل كما فى قولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤس
ولئن سلم ارادة التفضيل فغاية الامر الدلالة على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين
حول العرش او من هو اعلى منهم رتبة من الملئكة عليهم السلام على المسيح من الانبياء عليهم السلام
وليس يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا وهل التشاجر الا فيه **ومن يستنكف عن
عبادته** اى عن طاعته فيشتمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وانما جعل المستنكف عنه ههنا عبادته
تعالى لا ما سبق لتعليق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فان عدم طاعتهم له تعالى مما لا سبيل
لهم الى انكار اتصافهم به ان قيل لم عبر عن عدم طاعتهم له تعالى بالاستنكاف عنها مع ان ذلك منهم
كان بطريق انكار كون الامر من جهته تعالى لا بطريق الاستنكاف قلنا لانهم كانوا يستنكفون عن طاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل هو الا استنكاف عن طاعة الله عز وجل اذ لا امر له عليه السلم
سوى امره تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله **ويستكبر** الاستكبار الانفة عما لا ينبغى ان يؤنف
عنه واصله طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق له لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله فيه
بل بمعنى عد نفسه كبيرا واعتقاده كذلك وانما عبر عنه بما يدل على الطلب للايذان بان ماله محض
الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن مثل ذلك بنفس الطلب فى قوله تعالى يصدون عن
سبيل الله ويبغونها عوجا فانهم ما كانوا يطلبون ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقادهم لاستقامتها

بل كانوا يعدّونها ويعتقدونها معوّجة ويحكمون بذلك ولكن عبّر عن ذلك بالطلب لما ذكر من الاشعار بان
ليس هناك شئ سوى الطلب والاستكبار دون استنكاف المبنئ عن توهّم لحوق العار والنقص من
المستنكف عنه **فسيحشرهم جميعًا** اى المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف
المسيح والملئكة عليهم وقد ترك ذكر احد الفريقين فى المفصل تعويلا على اِنباء التفصيل عنه وثقة
بظهور اقتضاء حشر احدهما لحشر الآخر ضرورة عموم الحشر للخلايق كافة كما ترك ذكر احد الفريقين
فى التفصيل عند قوله تعالى فامّا الّذين بالله الاية مع عموم الخطاب لهما اعتمادًا على ظهور اقتضاء
اثبابة احدهما لعقاب الآخر ضرورة لشمول الجزاء للكل وقيل الضمير للمستنكفين وهناك مقدّر
معطوف عليه والتقدير فسيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم اليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم
وفيه ان الانسب بالتفصيل الاتى اعتبار حشر الكل فى الاجمال على نهج واحد وقرئ فسيحشرهم
بكسر الشين وهو لغة وقرئ فسنحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات **فامّا الّذين امنوا وعملوا الصّالحات**
بيان لحال الفريق المطوى ذكره فى الاجمال قُدّم على بيان حال ما يقابله ابانة لفضله ومسارعة
الى بيان كون حشره ايضا معتبرا فى الاجمال وايراده بعنوان الايمان والعمل الصّالح لا بوصف عدم
الاستنكاف المناسب لماقبله ومابعده للتنبيه على انّه المستتبع لما يعقبه من الثمرات **فيوفّيهم
اجورهم** من غير ان ينقص منها شيئا اصلا **ويزيدهم من فضله** بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **وامّا الّذين استنكفوا** اى عبادته عزّ وجل
واستكبروا فيعذّبهم بسبب استنكافهم واستكبارهم **عذابًا اليمًا** لا يحيط به الوصف **ولا يجدون
لهم من دون الله وليًّا** يلى امورهم ويدبّر مصالحهم **ولا نصيرًا** ينصرهم من باسه تعالى وينجيهم
من عذابه **يا ايّها النّاس** تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة المكلّفين اثر بيان بطلان ما عليه
الكفرة من فنون الكفر والضّلال والزامهم بالبراهين القاطعة التى تخرّ لها صمّ الجبال وازاحة
شبههم الواهية بالبيّنات الواضحة وتنبيه لهم على ان الحجّة قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلّل
ولا عذر لمتعذّر **قد جاءكم** اى وصل اليكم وتقرّر فى قلوبكم بحيث لا سبيل لكم الى الانكار **برهان** البرهان
ما يبرهن به على المطلوب والمراد به القران الدّال على صحّة نبوّة النبى صلى الله عليه وسلم المثبت لما فيه
من الاحكام التى من جملتها ما اشير اليه ممّا اثبتته الايات الكريمة من حقيّة الحقّ وبطلان الباطل
وروى عن ابن عبّاس رضى الله عنه انه النّبى صلى الله عليه وسلم عبر عنه به لما معه من المعجزات التى
تشهد بصدقه وقيل هى المعجزات التى اظهرها وقيل هو دين الحق الّذى اتى به وقوله تعالى **من
ربّكم** امّا متعلّق بجاءكم او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكّدة لما افاده التنوين من الفخامة
الذاتيّة بالفخامة الاضافية اى كائن منه تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوّز على الثّانى
كونها تبعيضيّة بحذف المضاف اى كائن من براهين ربّكم والتّعرّض لعنوان الرّبوبيّة مع الاضافة
الى ضمير المخاطبين لاظهار اللّطف بهم والايذان بان مجيئه لهم لتربيتهم وتكميلهم **وانزلنا اليكم**

نورا

نورًا مبينًا اريد به ايضا القران الكريم عبّر عنه تارة بالبرهان لما اشير اليه انفا واخرى بالنور النيّر
بنفسه المنور لغيره ايذانا بانّه بيّن بنفسه مستغن فى ثبوت حقيّته وكونه من عند الله عزّ وجل
باعجازه غير محتاج الى غيره مبيّن لغيره من الامور المذكورة واشعارا بهدايته للخلق واخراجهم من
ظلمات الكفر الى نور الايمان وقد سلك به مسلك العطف المبنئ على تغاير الطّرفين تنزيلا للمغايرة
العنوانيّة منزلة المغايرة الذّاتية وعبّر عن ملابسته للمخاطبين تارة بالمجى المسند اليه المنبئ عن كمال
قوّته فى البرهانيّة كانّه يجئ بنفسه فيثبت احكامه من غير ان يجئ به احد ويجئ على شبه الكفرة بالابطال
واخرى بالانزال الموقّع عليه الملائم لحيثيّة كونه نورا توقيرًا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه
اللائق به واسناد انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه هذا على تقدير كون البرهان
عبارة عن القران العظيم واما على تقدير كونه عبارة عن الرّسول صلى الله عليه وسلم او عن المعجزات
الظاهرة على يده او عن الدّين الحق فالامر هيّن وقوله تعالى اليكم متعلّق بانزلنا فان انزاله بالذات
وان كان الى النّبى صلى الله عليه وسلّم لكنّه منزل اليهم ايضا بواسطته عليه السّلام وانما اعتبر حاله
بالواسطة دون حاله بالذّات كما فى قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب لتحكم بين النّاس ونظايره
لاظهار كمال اللّطف بهم والتّصريح بوصوله اليهم مبالغة فى الاعذار وتقديمه على المفعول الصّريح
مع ان حقّه التّاخّر عنه لما مرّ غير مرّة من الاهتمام بما قدّم والتشويق الى ما اخّر وللمحافظة على فواصل
الاى الكريمة **فامّا الّذين امنوا بالله** حسبما يوجبه البرهان الّذى اتاهم **واعتصموا به** اى عصموا
به انفسهم ممّا يردبها من زيغ الشّيطان وغيره **فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل** قال ابن عبّاس
رضى الله تعالى عنهما هى الجنّة وما يتفضّل عليهم ممّا لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
وعبّر عن اضافة الفضل بالادخال على طريقة قوله وعلفتها تبنا وماء باردًا وتنوين رحمة وفضل
تفخيمى ومنه متعلّق بمحذوف وقع صفة مشرّفة لرحمة **ويهديهم اليه** اى الى الله عزّ وجل وقيل
الموعود وقيل عبادته **صراطًا مستقيمًا** هو الاسلام والطّاعة فى الدّنيا وطريق الجنّة فى الآخرة وتقدّم
ذكر الوعد بادخال الجنّة على الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب فى الوجود بين الموعودين
للمسارعة الى التبشير بما هو المقصود الاصلى قيل انتصاب صراطا على انه مفعول لفعل محذوف
ينبئ عنه يهديهم اى يعرفهم صراطا مستقيما **يستفتونك** اى فى الكلالة استغنى عن ذكره بوروده
فى قوله تعالى **قل الله يفتيكم فى الكلالة** وقد مرّ تفسيرها فى مطلع السورة الكريمة والمستفتى جابر
بن عبد الله رضى الله عنه يروى انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريق مكة عام حجة الوداع
فقال انّ لى اختا فكم اخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال انى كلالة فكيف اصنع فى مالى وروى عنه رض انه قال دعانى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا مريض لا اعقل فتوضّا وصبّ علىّ من وضوئه فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث
وانّما يرثنى كلالة فنزلت وقوله تعالى **ان امرؤ هلك** استيناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل

يفسّره المذكور وقوله تعالى **ليس له ولد** صفة له وقيل او حال من الضّمير فى هلك ورّد بانّه مفسّر
للمحذوف غير مقصود فى الكلام اى ان هلك امرء غير ذى ولد ذكرا كان اوانثى واقتصر على ذكر عدم
الولد مع ان عدم الوالد ايضا معتبر فى الكلالة ثقة بظهور الامر ودلالة تفصيل الورثة عليه وقوله
تعالى **وله اخت** عطف على قوله تعالى ليس له ولدا وحال والمراد بالاخت من ليست لام فقط فان
فرضها السّدس وقد مرّ بيانه فى صدر السّورة الكريمة **فلها نصف ما ترك** اى بالفرض والباقى للعصبة
اولها بالرّد ان لم يكن له عصبة **وهو** اى المرء المفروض **يرثها** اى اخته المفروضة ان فرض هلاكها
مع بقائه **ان لم يكن لها ولد** ذكرا كان اوانثى فالمراد بارثه لها احراز جميع ما لها اذ هو المشروط
بانتفاء الولد بالكليّة لا ارثه لها فى الجملة فانّه يتحقّق مع وجود بنتها وليس فى الاية ما يدلّ على سقوط
الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم وانّما دلّت على سقوطهم مع الاب السنة الشريفة **فان
كانتا اثنتين** عطف على الشرطيّة الاولى اى اثنتين فصاعدا **فلهما الثّلثان ممّا ترك** الضّمير لمن يرث
بالاخوّة والتانيث والتثنيه باعتبار المعنى قيل وفائدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة الف
التثنية على الاثنية التنبيه على ان المعتبر فى اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما
وان كانوا اى من يرث بطريق الاخوّة **اخوة** اى مختلطة **رجالا ونساء** بدل من اخوة والاصل وان
كانوا اخوة واخوات فغلّب المذكّر على المؤنث **فللذّكر** اى فللذّكر منهم **مثل حظّ الانثيين** يقتسمون
التركة على طريقة التعصيب وهذا اخر ما نزل من كتاب الله تعالى فى الاحكام روى ان الصّديق
رض قال فى خطبته ان الاية التى انزلها الله تعالى فى سورة النّساء فى الفرايض فاوّلها فى الولد والوالد
وثانيها فى الزّوج والزّوجه والاخوة من الام والاية التى ختم بها السورة فى الاخوة والاخوات لابوين
اولاب والاية التى ختم بها سورة الانفال انزلها فى اولى الارحام **يبيّن الله لكم** اى حكم الكلالة
او احكامه وشرايعه التى من جملتها حكمها **ان تضلّوا** اى كراهة ان تضلّوا فى ذلك وهذا راى
البصريّين صرّح به المبرّد وذهب الكسائى والفرّاء وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا فى
طرفى ان اى لئلا تضلّوا وقال الزّجاج هو مثل قوله تعالى ان الله يمسك السّموات والارض ان
تزولا اى لئلا تزولا وقال ابو عبيد رويت الكسائى حديث عمر رضى الله عنه وهو لا يدعونّ احدكم
على ولده ان يوافق من الله اجابة اى لئلا يوافق فاستحسنه وليس ماذكر من الاية والحديث نصا فى
ماذهب اليه الكسائى واضرابه فان التقدير فيهما عند البصريين كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق
الخ وقيل ليس هناك حذف ولا تقدير وانّما هو مفعول يبيّن اى يبيّن لكم ضلالكم الذى هو من
شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتحرّوا خلافه وانت خبير بان ذلك انّما يليق بما اذا كان
بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطاء والضّلال من غير تصريح بما هو الحقّ والصّواب وليس كذلك
والله بكل شىء من الاشياء التى من جملتها احوالكم المتعلّقة بمحياكم ومماتكم **عليم** مبالغ فى العلم
فيبيّن لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النّساء فكانّه

تصدّق على كلّ مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطى من الاجر كمن اشترى محرّرا وبرئ من
من الشرك وكان فى مشيّة الله تعالى من الّذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنيّة وهى مائة وعشرون اية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

يا ايها الّذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد وكذا الايفاء والعقد هو العهد
الموثق المشبّه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعمّ جميع ما الزمه الله تعالى عباده وعقده
عليهم من التكاليف والاحكام الدّينيّة وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات والمعاملات
ونحوها ممّا يجب الوفاء به او يحسن دينا بان يحمل الامر على معنى يعمّ الوجوب والندب امر بذلك
اولا على الوجه الاجمال ثمّ شرع فى الاحكام الّتى امر بالايفاء بها وبدئ بما يتعلق بضروريّات
معايشهم فقيل **احلّت لكم بهيمة الانعام** البهيمة كلّ ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان
كثوب الخزّ وافرادها لارادة الجنس اى احلّ لكم اكل البهيمة من الانعام وهى الازواج الثمانية المعدودة
فى سورة الانعام والحق بها الظّباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هى المرادة بالبهيمة ههنا (الانعام) لتقدّم
بيان حلّ الانعام والاضافه لما بينهما من المشابهة والمماثلة فى الاجترار وعدم الانياب وفائدتها
الاشعار بعلّة الحكم المشتركة بين المضافين كانّه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التى بيّن
احلالها فيما سبق المماثلة لها فى مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القايم مقام الفاعل لما مرّ مرارا
من اظهار العناية بالمقدّم لما فيه من تعجيل المسرّة والتشويق الى المؤخّر فان ما حقّه التقديم اذا
اخّر تبقى النفس مترقّبة الى وروده فيتمكّن عندها فضل تمكّن **الّا ما يتلى عليكم** استثناء من
بهيمة الانعام الّا ما حرّم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرّمت عليكم الميتة ونحوه او الّا ما يتلى عليكم
اية تحريمه **غير محلّى الصّيد** الاصطياد فى البرّ واكل صيده وهو نصب على الحاليّة من ضمير لكم فى ولكم
ومعنى عدم احلالهم له تقرير حرمته عملا واعتقادا وهو شائع فى الكتاب والسّنه وقوله تعالى
وانتم حرم اى محرمون حال من الضّمير فى محلّى وفائدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من عدم
احلال الصّيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظّباء ونظايرها ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق
كانّه قيل احلّ لكم الصّيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على التقدير الاوّل ففائدته
تقييد اتمام النعمة واظهار الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصّيد فى حالة
الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال غيره حينئذ كانّه قيل احلّت لكم الانعام مطلقا حال كونكم
ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها فى بعض الاوقات محتاجين الى احلالها وفى اسناد عدم الاحلال اليهم
بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محلّل لكم او محرّما عليكم الصّيد حال احرامكم مزيد تربية
للامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها القريبة فان تحريم الصّيد عليهم انّما يوجب حاجتهم الى احلال
ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا امع ما فى ذلك من وصفهم بما هو اللّائق بهم **ان الله**

يحكم ما يريد من الاحكام حسبما يقتضيه مشيّته المبنيّة على الحكم البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل
والتحريم دخولاً اوّليا ومعنى الايفاء بهما الجريان على موجبهما عقدا وعملا والاجتناب عن تحليل المحرّمات
وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظائرها التى سيأتى بيانها **يا ايها الذين امنوا لا تحلّوا شعائر الله**
لما بيّن حرمة احلال الاحرام الذى هو من شعائر الحج عقّب ذلك ببيان حرمة احلال ساير الشعاير
واضافتها الى الله عزّ وجل لتشريفها وتهويل الخطب فى احلالها وهى جمع شعيرة وهى اسم لما اشعر اى
جعل شعارا وعلما للنسّك من مواقف الحجّ ومرامى الجمار والمطاف والمسعى والافعال التى هى علامات
الحاجّ يعرف بها من الاحرام والطّواف والسّعى والحلق والنحر واحلالها ان يتهاون بحرمتها ويحال
وبين المتنسّكين بها ويحدث فى شهر الحجّ ما يصدّ به الناس عن الحجّ وقيل المراد بها دين الله
لقوله تعالى ومن يعظّم شعائر الله اى دينه وقيل حرمات الله وقيل فرايضه التى حدّها العباد
واحلالها الاخلال بها والاول انسب بالمقام **ولا الشّهر الحرام** اى لا تحلوا بالقتال فيه وقيل
بالنسئ والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد
لارادة الجنس **ولا الهدى** بان تتعرّض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محلّه وهو ما اهدى الى الكعبة
من ابل وبقر او شاة جمع هدية كجدى وجدية **ولا القلائد** هى جمع قلائد وهى ما يقلد به الهدى
من نعل او لحاء شجر ليعلم به انّه هدى فلا يتعرض له والمراد النّهى عن التعرض لذوات القلائد من
الهدى وهى البدن وعطفها على الهدى مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيّتها على ما عداها كما
عطف جبرئيل وميكال على الملئكة عليهم السلام كانه قيل والقلائد منه خصوصًا او النّهى عن
التعرّض لنفس القلائد مبالغة فى النّهى عن التعرّض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلا عن
ان تحلوها كما نهى عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا يبدين زينتهنّ مبالغة فى النّهى عن ابداء مواقعها
ولا آمّين البيت الحرام اى لا تحلوا قوما قاصدين زيارته بان تصدّوهم عن ذلك باىّ وجه كان
وقيل هناك مضاف محذوف اى قتال قوم او اذى قوم آمين الخ وقرئ ولا آمّى البيت الحرام بالاضافة
وقوله عزّ وجل **يبتغون فضلا من ربّهم ورضوانا** حال من المستكن فى آمّين لا صفة له لانّ
المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اى قاصدين زيارته حال كونهم طالبين اى يثيبهم الله
تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلّق بنفس الفعل او بمحذوف وقع
صفة لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اى فضلا كائنا من ربهم ورضوانا كذلك و
التعرّض لعنوان الرّبوبيّة مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ
تبتغون على الخطاب فالجملة حال من ضمير المخاطبين فى لا تحلّوا على انّ المراد بيان منافاة حالهم
هذه للمنهى عنه لا تقييد النّهى بها واضافة الرب الى ضمير الآمّين للايماء الى اقتصار التشريف
عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن نيل المبتغى وفى ذلك من تعليل النهى وتاكيده والمبالغة
فى استنكار المنهى عنه ما لا يخفى ومن ههنا قيل انّ المراد بالآمّين هم المسلمون خاصّة وبه تمسّك

من

من ذهب الى انّ الاية محكمة وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال سورة المائدة من آخر القرآن نزولا
فاحلّوا حلالها وحرّموا حرامها وقال الحسن رح ليس فيها منسوخ وعن ابى ميسرة فيها ثمانى عشرة فريضة
وليس فيها منسوخ وقد قيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهى المؤمنين عن احلالهم دون
المؤمنين على ان حرمة احلالهم تثبت بطريق دلالة النّص ويؤيّده انّ الاية نزلت فى الحطم بن ضبيعة البكرى
وقد كان اتى المدينة فخلّف خيله خارجها فدخل على النبى صلى الله عليه وسلّم وحده ودعاه ان
ياتى باصحابه فيسلموا ثم خرج من عنده عليه السلام فمرّ بسرح المدينة فاستاقه فلما كان فى العام القابل
خرج من اليمامة حاجّا فى حجّاج بكر بن وائل ومعه تجارة عظيمة وقد قلّدوا الهدى فسال المسلمون النبى
صلى الله عليه وسلّم ان يخلّى بينهم وبينه فاباه النبىّ صلى الله عليه وسلم فانزل الله عزّ وجل يا ايها
الّذين امنوا لا تحلّوا شعائر الله الاية وفسّر ابتغاء الفضل بطلب الرّزق بالتّجارة وابتغاء الرّضوان
بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وانّ الحجّ يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنّهم
وذلك الظنّ الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه تعالى لكن لا بعد فى كونه مدار الحصول
بعض مقاصدهم الدنيويّة وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيّما فى ضمن مراعات حقوق الله تعالى وتعظيم
شعايره وقال قتاده هو ان يصلح معايشهم فى الدّنيا ولا يعجل العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون
لما روى عن ابن عبّاس رضى الله عنهما انّ المسلمين والمشركين كانوا يحجّون جميعًا فنهى الله المسلمين
ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله تعالى لا تحلّوا الاية ثم نزل بعد ذلك إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا
يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشّعبى لا تحلّوا
نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب فى تناول الآمّين للمشركين قطعًا امّا
استقلالًا وامّا اشتراكًا لما سياتى من قوله تعالى ولا يجرمنّكم شنآن قوم الخ فيتعين النسخ كلا او بعضا
ولا بدّ فى الوجه الاخير من تفسير الفضل والرّضوان بما يناسب الفريقين فقيل ابتغاء الفضل اى
الرّزق للمؤمنين والمشركين عامّة وابتغاء الرّضوان للمؤمنين خاصّة ويجوز ان يكون الفضل
على اطلاقه شاملا للفضل الاخروىّ ايضا ويختصّ ابتغاؤه بالمؤمنين **واذا حللتم فاصطادوا** تصريح بما
اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصّيد بانتفاء موجبها والامر للاباحة بعد الحظر
كانّه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم فى الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة فى حل وقرئ بكسر الفاء
بالقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا **ولا يجرمنّكم** نهى عن احلال قوم من الآمّين خصّوا
به مع اندراجهم فى النهى عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهّم كونها مصحّحة لاحلالهم داعية
اليه وجرم جارٍ مجرى كسب فى المعنى وفى التعدّى الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه
وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه خلا ان جرم يستعمل غالبا فى كسب ما لا خير فيه وهو السبب فى ايثاره
ههنا على الثّانى وقد ينقل الاول من كلّ منهما بالهمزة الى معنى الثّانى فيقال اجرمته ذنبا واكسبته
ايّاه وعليه قراءة من قرا يجرمنّكم بضم الياء **شَنَآنُ قَوْمٍ** بفتح النّون وقرئ بسكون النّون وكلاهما

مصدر اضيف الى مفعوله لا الى فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت **ان صدوكم** متعلق
بالشنان باضمار لام العلة اى لان صدوكم عام الحديبية **عن المسجد الحرام** عن زيارته والطواف به للعمرة
وهذه اية بينة فى عموم امين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه لا يجرمنكم
قد ابرز الصد المحقق فيما سبق فى معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون وقوعه الا
على سبيل الغرض والتقدير **ان تعتدوا** اى عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء على ان المقصد
الاصلى من النهى منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعاير لا منع وقوعه على القوم
مراعات لجانبهم وهو ثانى مفعولى يجرمنكم اى لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد
الحرام اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفى وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنان عن كسب
الاعتداء للمخاطبين لكنه فى الحقيقة نهى لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه واكده فان النهى عن اسباب
الشئ ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال السببية وقد يوجه النهى الى
المسبب ويراد النهى عن السبب كما فى قوله لا ارينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه
ولعل تاخير هذا النهى عن قوله واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء
لا تنتهى بالخروج عن الاحرام كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هى باقية ما لم ينقطع علاقتهم عن الشعاير بالكلية
وبذلك يعلم بقاء حرمة التعرض لساير الامين بالطريق الاولى **وتعاونوا على البر والتقوى** لما كان الاعتداء
غالبا بطريق التظاهر والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى
ومتابعة الامر ومجانبة الهوى فدخل فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم
دخولا اوليا ثم نهوا عن التعاون فى كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصى بقوله تعالى **ولا تعاونوا على
الاثم والعدوان** فاندرج فيه النهى عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهانى واصل
لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه احدى التائين تخفيفا وانما اخر النهى عن الامر مع تقدم التخلية على
التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم
والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر والتقوى ثم امروا بقوله تعالى **واتقوا الله** بالاتقاء
فى جميع الامور التى من جملتها مخالفة ما ذكر من الاوامر والنواهى فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهانى
ثم علل ذلك بقوله تعالى **ان الله شديد العقاب** اى لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار
الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة **حرمت عليكم
الميتة** شروع فى بيان المحرمات التى اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح
من غير ذبح **والدم** اى المسفوح منه لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه
فى الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من فزد له اى من فصد له **ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به** اى
رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم باسم اللات والعزى **والمنخنقة** التى ماتت بالخنق **والموقوذة**
اى التى قتلت بالضرب بالخشب ونحوه من وقذته اذا ضربته **والمتردية** اى التى تردت من علو والى

بئر فماتت **والنطيحة** اى التى نطحتها اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة **وما اكل السبع**
اى ما اكل منه السبع فمات وقرئ بسكون الباء وقرئ واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد
اذا اكلت مما صادته لم يحل **الا ما ذكيتم** الا ما ادركتم ذكوته وفيه بقية حيوة يضطرب اضطراب
المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص بما اكل السبع والذكاة فى الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد **وما ذبح
على النصب** قيل هو مفرد وقيل جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد وايا ما كان فهو واحد الانصاب
وهى احجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هى الاصنام **و
ان تستقسموا بالازلام** جمع زلم وهو القدح اى وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم
اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلثة اقداح مكتوب على احدها امرنى ربى وعلى الثانى نهانى ربى وعلى الثالث
غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهى اجتنبوا عنه وان خرج الغفل اجالوها مرة اخرى
فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصبا
المعهودة **ذلكم** اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته فى
الشر **فسق** تمرد وخروج عن الحد ودخول فى علم الغيب وضلال باعتقاد انه طريق اليه وافتراء
على الله سبحانه ان كان هو المراد بقولهم ربى وشرك وجهالة ان كان هو الصنم وقيل ذلكم اشارة
الى تناول المحرمات المعدودة لان معنى تحريمها تحريم تناولها **اليوم** اللام للعهد والمراد به الزمان
الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والاتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت بعد عصر يوم
الجمعة عرفة حج الوداع والنبى صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء فكادت عضد الناقة
تندق لثقلها فبركت وايا ما كانت فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى **يئس الذين كفروا
من دينكم** اى من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبايث او غيرها او من ان يغلبوكم عليه
لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب بقوله تعالى
فلا تخشوهم اى ان يظهروا عليكم **واخشونى** اى واخلصوا الى الخشية **اليوم اكملت لكم دينكم** بالنصر
والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقايد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين
الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما فى قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك وعليكم فى قوله تعالى **واتممت عليكم نعمتى** متعلق باتممت لا بنعمتى لان المصدر
لا يتقدم عليه معموله وتقديمه على المفعول الصريح لما مر مرات اى اتممتها بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين
وهدم منار الجاهلية ومناسكها والنهى عن حج المشرك وطواف العريان او باكمال الدين والشرايع او بالهداية
والتوفيق قيل معنى اتممت عليكم نعمتى انجزت لكم وعدى بقولى ولاتم نعمتى عليكم **ورضيت لكم الاسلام**
اى اخترته لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رضى الله ان رجلا من اليهود
قال يا امير المؤمنين اية فى كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال
اى اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى الاية قال عمر رض قد عرفنا ذلك اليوم والمكان

الذى انزلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة اشار رضى الى ان ذلك اليوم عيد
لنا وروى انه لما نزلت هذه الاية بكى عمر رضى الله عنه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما يبكيك
يا عمر قال ابكانى انا كنا فى زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لا يكمل شئ الا نقص فقال عليه السلام صدقت
فكانت هذه الاية معى رسول الله صلى الله عليه وسلم فالبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما **فمن
اضطر** متصل بذكر المحرمات وما بينهما اعتراض بما يوجب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق
وحرمتها من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المرضى اى فمن اضطر الى تناول شئ من
هذه المحرمات **فى مخمصة** اى مجاعة يخاف معها الموت او مباديه **غير متجانف لاثم** قيل غير مائل و
منحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد الرخصة او ينزعها من مضطر اخر كقوله تعالى غير باغ
ولا عاد **فان الله غفور رحيم** لا يواخذه بذلك **يسئلونك ماذا احل لهم** شروع فى تفصيل المحللات
التى ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم سالوا عنها عند بيان اضدادها ولتضمن
السؤال معنى القول اوقع على الجملة فماذا مبتداء واحل لهم خبره وضمير الغيبه لما ان يسالون بلفظ الغيبة
فانه كما يعتبر حال المحكى عنه فيقال اقسم زيد لافعلن يعتبر حال الحاكى فيقال اقسم زيد ليفعلن
والمسئول ما احل لهم من المطاعم **قل احل لكم الطيبات** اى ما لم يستخبثه الطباع السليمة ولم تتنفر عنه
كما فى قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث **وما علمتم من الجوارح** عطف على الطيبات
بتقدير المضاف على ان ما موصوله والعائد محذوف اى وصيد ما علمتموه او مبتداء على ان ما شرطية
والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدا على تقدير كونها موصوله ايضا والخبر كلوا وانما دخلته الفاء
تشبيها للموصول باسم الشرط ومن الجوارح حال من الموصول او ضميره المحذوف والجوارح الكواسب
من سباع البهايم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد غالبا **مكلبين** اى معلمين لها الصيد
والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب كثيرا ما يقع فيه او لان
كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام فى حق عتبه بن ابى لهب حين اراد سفر الشام فغاظه النبى
صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وانتصابه على الحاليه من
فاعل علمتم وفائدتها المبالغة فى التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير فى علمه وقرئ مكلبين
بالتخفيف والمعنى واحد **تعلمونهن** حال ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استيناف **مما
علمكم الله** من الحيل وطرق التعليم والتاديب كان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل
الذى هو منحة منه او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه
بدعائه وامساك الصيد عليه وعدم اكله منه **فكلوا مما امسكن عليكم** قد عرفت فيما سبق ان هذه
الجملة على تقدير كون ما شرطية جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصوله مرفوعة على الابتداء خبر
لها واما على تقدير كونها عطفا على الطيبات فهى جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبنية
للمضاف المقدر الذى هو المعطوف وبه يتعلق الاحلال حقيقة ومشيرة الى نتيجة التعليم واثره داخلة

تحت الامر فالفاء فيها كما فى قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به ومن تبعيضية لما ان البعض مما لا
يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما موصولة او موصوفة حذف عائدها و على
متعلقة بامسكن اى فكلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذى لم ياكلن منه واما ما اكلن منه فهو مما
امسكنه على انفسهن لقوله عليه السلام لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا تاكل انما امسك على
نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل فى سباع الطير لما ان تاديبها الى هذه
الدرجة متعذر وقال اخرون لا يشترط ذلك مطلقا وقد روى عن سلمان وسعد بن ابى وقاص
وابى هريره رضى الله عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثيه وبقى ثلثه وقد ذكرت اسم الله عليه فكل **واذكروا
اسم الله عليه** الضمير لما فيما علمتم اى سموا عليه عند ارساله او مما امسكنه اى سموا عليه اذا ادركتم
ذكاته **واتقوا الله** فى شان محرماته **ان الله سريع الحساب** اى سريع اتيان حسابه او سريع تمامه
اذا شرع فيه يتم فى اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقديرين انه يؤاخذكم سريعا فى كل ما جل
ودق واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربيه المهابة وتعليل الحكم **اليوم احل لكم الطيبات**
قيل المراد بالايام الثلثه وقت واحد وانما كرر للتاكيد ولاختلاف الاحداث الواقعة فيه
حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر **وطعام الذين اوتوا الكتاب** اى اليهود والنصارى
واستثنى على رضى الله تعالى عنه نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها
الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعى رضى الله عنه والمراد بطعامهم ما يتناول ذبايحهم وغيرها **حل
لكم** اى حلال وعن ابن عباس انه سئل عن ذبايح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة
التابعين وبه اخذ ابو حنيفه رح واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه
هما صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملئكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم
فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب فى اخذ الجزية منهم
دون اكل ذبايحهم ونكاح نسائهم لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى
نسائهم ولا اكلى ذبايحهم **وطعامكم حل لهم** فلا عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يجز
ذلك **والمحصنات من المؤمنات** رفع على انه مبتداء حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اى حل لكم ايضا
والمراد بهن الحرائر والعفايف وتخصيصهن بالذكر للبعث على ما هو الاولى لا لنفى ما عداهن فان
نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفايف منهن واما الاماء الكتابيات فهن
كالمسلمات عند ابى حنيفه رحمه الله خلافا للشافعى رحمه الله **والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم** اى هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضى الله عنهما لا تحل الحربيات
اذا اتيتموهن اجورهن اى مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد
باتيانها التزامها واذا ظرفية عاملها حل المحذوف وقيل شرطية حذف جوابها اى اذا اتيتموهن
اجورهن حللن لكم **محصنين** حال من فاعل اتيتموهن اى حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى

غير مسافحين وقيل هو حال من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اى غير مجاهرين بالزنا **ولا متخذى**
اخدان اى ولا مسرين به والخدن الصديق يقع على الذكر والانثى وهو اما مجرور عطفا على مسافحين
و زيدت لا لتاكيد النفى المستفاد من غير او منصوب عطفا على غير مسافحين باعتبار اوجهه الثلثة
ومن يكفر بالايمان اى من ينكر شرايع الاسلام التى من جملتها ما بين ههنا من الاحكام المتعلقه
بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها **فقد حبط عمله** الصالح الذى عمله قبل ذلك **وهو فى الآخرة من**
الخاسرين هو مبتداء من الخاسرين خبره وفى متعلقة بما تعلق به الخبر من الكون المطلق وقيل
بمحذوف دل عليه المذكور اى خاسر فى الآخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام للتعريف لا
موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها وقيل يغتفر فى الظرف ما لا يغتفر فى غيره كما فى قوله ربيته
حتى اذا تمعددا كان جزائى بالعصا ان اجلدا **يا ايها الذين امنوا** شروع فى بيان الشرايع المتعلقه
بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم **اذا قمتم الى الصلوة** اى اردتم القيام اليها كما فى قوله تعالى فاذا
قرات القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز والتنبيه على
ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا تنفك عن ارادتها او اذا قصدتم الصلوة اطلاقا
لاسم احد لازميها على لازمها الآخر وظاهر الآية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم اليها وان لم
يكن محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم
صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضى الله عنه صنعت شيئا لم تكن تصنعه
فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعنى بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث على الندب
مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث فى التيمم
الذى هو بدله واما نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء من انهم كانوا يتوضؤن لكل صلوة
فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روى عنه صلى الله عليه
وسلم من قوله توضا على طهر كتب الله له عشر حسنات صحيح فى ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل
كان ذلك اول الامر ثم نسخ يرده قوله عليه السلام المائدة من آخر القران نزولا فاحلوا حلالها
وحرموا حرامها **فاغسلوا وجوهكم** اى امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك **وايديكم**
الى المرافق الجمهور على دخول المرفقين فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع كما فى قوله تعالى ويزدكم قوة
الى قوتكم وقيل هى انما تفيد معنى الغاية مطلقا واما دخولها فى الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه
وانما هو امر يدور على الدليل الخارجى كما حفظت القران من اوله الى آخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة
فان الدخول فى الاول والخروج فى الثانى متيقن بناء على تحقق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك فى الآية
وكانت الايدى متناولة للمرافق حكم بدخولها فيها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية تقتضى خروجها
لكن لما لم يتميز الغاية ههنا عن ذى الغاية وجب ادخالها احتياطا **وامسحوا برؤسكم** الباء مزيدة وقيل
للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين

الفعل

الفعل معنى الالصاق فكانه قيل والصقوا المسح برؤسكم وذلك لا يقتضى الاستيعاب كما يقتضيه ما لو
قيل وامسحوا رؤسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف العلماء فى القدر الواجب
فاوجب الشافعى اقل ما ينطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفه ببيان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حيث مسح على ناصيته وقدرها بربع الراس ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط **وارجلكم الى**
الكعبين بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشايعه وعمل الصحابة وقول اكثر الائمة والتحديد
اذ المسح لم يعهد محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره فى القران كثير كقوله تعالى عذاب اليم ونظائره
وللنحاة فى ذلك باب مفرد وفائدته التنبيه على انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها ويغسلها
غسلا قريبا من المسح وفى الفصل بينه وبين اخواته ايماء الى افضلية الترتيب وقرئ بالرفع اى وارجلكم
مغسولة **وان كنتم جنبا فاطهروا** اى فاغتسلوا وقرئ فاطهروا اى فطهروا ابدانكم وفى تعليق
الامر بالطهارة الكبرى بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر بالطهارة الصغرى بالحدث
الاصغر **وان كنتم مرضى** مرضا يخاف به الهلاك او ازدياده باستعمال الماء **او على سفر** اى
مستقرين عليه **او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا**
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهى متعلقة بامسحوا وقرئ فامموا
صعيدا وقد مر تفسير الآية الكريمة مشبعا فى سورة النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل الكلام
فى انواع الطهارة **ما يريد الله** اى ما يريد بالامر بالطهارة للصلوة او بالامر بالتيمم **ليجعل عليكم من**
حرج من ضيق فى الامتثال به **ولكن يريد** ما يريد بذلك **ليطهركم** اى لينظفكم او
ليطهركم عن الذنوب فان الوضوء مكفر لها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول
يريد فى الموضعين محذوف واللام للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من
حرج فى باب الطهارة حتى يرخص لكم فى التيمم ولكن يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر
بالماء **وليتم** بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم **نعمته عليكم** فى الدين او ليتم برخصة
انعامة عليكم بعزائمه **لعلكم تشكرون** نعمته ومن لطايف الآية الكريمة انها مشتملة على سبعة
امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل اثنان مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب
باعتبار الفعل غسل ومسح وباعتبار المحل محدود وغير محدود وان آلتهما مايع وجامد وموجبهما
حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب
واتمام النعمة **واذكروا نعمة الله عليكم** بالاسلام لتذكركم المنعم وترغبكم فى شكره **وميثاقه الذى**
واثقكم به اى عهده المؤكد الذى اخذه عليكم وقوله تعالى **اذ قلتم سمعنا واطعنا** ظرف لواثقكم
به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور فى به او من ميثاقه اى كائنا وقت قولكم سمعنا واطعنا وفائدة
التقييد به تاكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه وهو الميثاق الذى
اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى حال العسر واليسر

والمنشط والمكروه وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفى بيعة الرّضوان واضافته اليه تعالى مع
صدوره عنه صلى الله عليه وسلّم لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به قوله تعالى انّ الّذين يبايعونك
انّما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذى اخذه الله تعالى على عباده حين اخرجهم من صلب
آدم عليه السّلام **واتّقوا الله** اى فى نسيان نعمته ونقض ميثاقه او فى كلّ ما تأتون وما تذرون
فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوّليّا **انّ الله عليمٌ بذات الصّدور** اى بمخفيّاتها الملابسة لها ملابسة
تامّة مصحّحة لاطلاق الصّاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنّكم بجليّات الاعمال والجملة اعتراض وتعليل
للامر بالاتقاء واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال
الجملة **يا ايّها الّذين آمنوا** شروع فى بيان الشرايع المتعلقة بما يجرى بينهم وبين غيرهم اثر بيان
ما يتعلّق بانفسهم **كونوا قوّامين لله** مقيمين للاوامر ممتثلين بها معظّمين لها مراعين لحقوقها
شهداء بالقسط اى بالعدل **ولا يجرمنّكم** اى ولا يحملنّكم **شنآن قوم** اى شدّة بغضكم لهم **على ان
لا تعدلوا** فلا تشهدوا فى حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحلّ كمثلة وقذف
وقتل نساءٍ وصبية ونقض عهد تشفّيا وغير ذلك **اعدلوا هو** اى العدل **اقرب للتّقوى** الذى
امرتم به صرّح لهم بالامر بالعدل وبيّن انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبيّن انّه
مقتضى الهوى واذا كان وجوب العدل فى حقّ الكفّار بهذه المثابة فما ظنّك بوجوبه فى حقّ المسلمين
واتّقوا الله امر بالتقوى اثر ما بيّن انّ العدل اقرب له اعتناء بشأنه وتنبيها على انه ملاك الامر
انّ الله خبير بما تعملون من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل انّ
الاولى نزلت فى المشركين وهذه فى اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ
والجملة تعليل لما قبلها واظهار الجلالة لما مرّ مرّات وحيث كان مضمونها مُنبئا عن الوعد والوعيد
عقّب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى وبالوعيد لمن يخلّ بها فقيل **وعد الله الّذين آمنوا
وعملوا الصّالحات** التى من جملتها العدل والتقوى **لهم مغفرةٌ واجرٌ عظيمٌ** حذف ثانى مفعولى
وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانّه استئناف مبيّن له وقيل الجملة فى موقع المفعول فان الوعد
ضرب من القول فكانّه قيل وعدهم هذا القول **والّذين كفروا وكذّبوا بآياتنا** التى من جملتها
ما تلى من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى **اولئك** الموصوفون بما ذكر من الكفر والتكذيب
اصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبّدة من السنّة السنيّة القرآنيّة شفع الوعد والوعيد
والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحقّ الدعوة بالتبشير والانذار **يا ايّها الّذين آمنوا اذكروا
نعمة الله عليكم** تذكير لنعمة الانجاء من الشرّ اثر تذكير نعمة ايصال الخير الّذى هو نعمة الاسلام وما
يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى **اذ همّ قومٌ** على الاول
ظرف لنفس النعمة وعلى الثانى لما تعلّق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافى زمانيهما اى
اذكروا انعامه تعالى عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم فى وقت همّهم **ان يبسطوا اليكم ايديهم** اى بان

يبطشوا

يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه اذا شتمه وتقديم
الجارّ والمجرور على المفعول الصّريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط وغائلته اليهم حملا لهم من
اوّل الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم فى قوله عزّ وجلّ هو الّذى خلق لكم ما فى الارض
للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرّة **فكفّ ايديهم عنكم** عطف على همّ وهو
النّعمة الّتى اريد تذكيرها وذكر الهمّ للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفاء للتعقيب المفيد
لتمام النّعمة وكمالها واظهار ايديهم فى موقع الاضمار لزيادة التقرير اى منع ايديهم ان تمدّ اليكم عقيب
همّهم بذلك لا انّه كفّها عنكم بعد ما مدّوها اليكم وفيه من الدّلالة على كمال النعمة من حيث انّها
لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج الذى قلّما يعرى عنه الكفّ بعد المدّ ما لا يخفى مكانه و
ذلك ما روى ان المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعسفان فى غزوة
ذى انمار وهى غزوة ذات الرّقاع وهى السابعة من مغازيه عليه السلام قاموا الى الظهر معًا
فلمّا صلّوا ندم المشركون الّا كانوا قد اكبّوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هى احبّ اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهمّوا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فردّ الله تعالى كيدهم بان انزل صلوة
الخوف وقيل هو ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بنى قُريظة ومعه الشيخان
وعلى رضى الله تعالى عنهم يستقرضهم لدية المسلمين قتلهما عمرو بن اميّة الضمرىّ خطأ يحسبهما مشركين
فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونعطيك ما سألت فاجلسوه فى صفّة وهمّوا بالفتك به
وعمد عمرو بن جحّاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبرئيل فاخبره فخرج
عليهما السلام وقيل هو ما روى انه صلى الله عليه وسلم نزل منزلا وتفرّق اصحابه فى العضاه يستظلّون
بها فعلّق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابى فاخذه وسلّه فقال من يمنعك
منى فقال عليه السلام الله تعالى فاسقطه جبرئيل عليه السلام من يده فاخذه الرّسول صلى الله عليه
وسلم فقال من يمنعك منى فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمّدا رسول الله **واتّقوا الله**
عطف على اذكروا اى اتّقوه فى رعاية حقوق نعمته ولا تخلّوا بشكرها او فى كلّ ما تأتون وما تذرون
فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوّليّا **وعلى الله** اى وعليه تعالى خاصّة دون غيره استقلالا او اشتراكا
فليتوكّل المؤمنون فانه يكفيهم فى ايصال كلّ خير ودفع كلّ شرّ والجملة تذييل مقرّر لما قبله وايثار
صيغة امر الغايب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكّل على المخاطبين بالطريق البرهانى وللايذان
بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكّل والتقوى وازع
عن الاخلال بهما واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية
ولقد اخذ الله ميثاق بنى اسرائيل كلام مستأنف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بنى اسرائيل من الخيانة
ونقض الميثاق وما ادّى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعات
حقّ الميثاق الّذى واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهمّ بالبطش وتحقيقه على تقدير
كون ذلك من قريظة حسبما مرّ من الرّواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها

من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب فى نقضه مع ما فيه من
رعاية حق الاستيناف المستدعى للانقطاع عما قبله والالتفات فى قوله عز وجل **وبعثنا منهم اثنى**
عشر نقيبا للجرى على سنن الكبرياء او لان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سياتى وتقديم
الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب
فعيل بمعنى فاعل مشتق من النقب وهو التفتيش ومنه قوله تعالى فنقبوا فى البلاد سمى بذلك
لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع روى
ان بنى اسرائيل لما استقروا بمصر بعد مهلك فرعون امرهم الله تعالى بالمسير الى اريحا ارض
الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال لهم انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا
من فيها وانى ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ كل سبط امينا نقيبا يكون كفيلا على قومه
بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بنى اسرائيل وتكفل لهم النقباء
وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا
فرجعوا وحدثوا قومهم بما راوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا نقيب
سبط يهودا ويوشع بن نون نقيب سبط افرايم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء
الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلثة الاف وثلثمائة وثلثة وثلثين ذراعا وقد عاش
ثلثة الاف سنة وكان على راسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم فى الحزمة وانطلق بهم الى امراته وقال
انظرى الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال اطحنهم برجلى فقالت
لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا
خمسة رجال او اربعة فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض ان اخبرتم بنى اسرائيل بخبر القوم ارتدوا
عن نبى الله ولكن اكتموا الا عن موسى وهرون عليهما السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا
عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راى الا كالبا ويوشع وكان معسكر موسى
فرسخا فى فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل فقور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها
على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذى لراسه فانتقبت فوقعت
فى عنق عوج وطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا
فرامى فى السماء عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم
الخناجر حتى حزوا راسه **وقال الله** اى لبنى اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب
والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد
انى معكم اى بالعلم والقدرة والنصرة لا بالنصرة فقط فان تنبيههم على علمه تعالى بكل ما ياتون
وما يذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد فى الامتثال بما امروا به والانتهاء
عما نهوا عنه كانه قيل انى معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك هذا وقد

٢٦٠

قيل المراد بالميثاق هو الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بنى اسرائيل الذين ينقبون
احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهى واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى **لئن اقمتم الصلوة**
واتيتم الزكوة وامنتم برسلى اى بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتاخير الايمان
عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين
بوجوبهما مع ارتكابهم لتكذيب بعض الرسل عليهم السلام والمراعاة المقارنة بينه وبين
قوله تعالى **وعزرتموهم** اى نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم والتوقير والثناء
وقرئ عزرتموهم بالتخفيف **واقرضتم الله** بالانفاق فى سبيل الخير او بالتصدق بالصدقات
المندوبة وقوله عز وجل **قرضا حسنا** اما مصدر مؤكد وارد على غير صيغة المصدر كما فى قوله
تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال
المقرض وقوله تعالى **لاكفرن عنكم سيئاتكم** جواب للقسم المدلول عليه باللام ساد مسد جواب
الشرط **ولادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار** عطف على ما قبله داخل معه فى حكم الجواب
الجواب متاخر عنه فى الحصول ايضا ضرورة تقدم التخلية على التحلية **فمن كفر** اى برسلى او بشئ
مما عدوا فى خبر الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من امن تقوية للترغيب بالترهيب
بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا **منكم** متعلق بمضمر وقع
حالا من فاعل كفر ولعل تغيير السبك حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج
كفر الكل عن حيز الاحتمال واسقاط من كفر عن رتبة الخطاب وليس المراد احداث الكفر بعد الايمان
بل ما يعم الاستمرار عليه ايضا كانه قيل فمن اتصف بالكفر بعد ذلك خلا انه قصد بايراد ما يدل
على الحدوث بيان ترقيهم فى مراتب الكفر فان الاتصاف بشئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه
وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث **فقد ضل سواء السبيل**
اى وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطاه خطا فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك
اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة **فبما نقضهم ميثاقهم** الباء سببية وما مزيدة لتوكيد
الكلام وتمكينه فى النفس اى بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشئ اخر استقلالا او انضماما **لعناهم**
طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص
البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد بيان تحقق نفس اللعن والنقض بان يقال مثلا فنقضوا
ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم هلية الشئ البسيطة على هليته المركبة للايذان بان تحققهما امر
جلى غنى عن البيان وانما المحتاج الى ذلك ما بينهما من السببية والمسببية **وجعلنا قلوبهم**
قاسية بحيث لا تتاثر عن الايات والنذر وقيل املينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست او
خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهى اما مبالغة قاسية واما بمعنى ردية
من قولهم درهم قسى اى ردى اذا كان مغشوشا له يبس وخشونة وقرئ بكسر القاف اتباعا لها

بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه لامرتبة اعظم ممّا يصحح
الاجتراء على تغيير كلام الله عزّ وجل والافتراء عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار
وقيل حال من مفعول لعناهم ونسوا حظّا اى تركوا نصيبًا وافرًا ممّا ذكروا به من التورية او
من اتباع محمد عليه الصلوة والسلام وقيل حرّفوا التورية وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن
مسعود رضى الله عنهما قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية ولا تزال تطّلع على خائنة
منهم اى خيانة على انها مصدر كلاغبة ولاغية وكاذبة او فعلة خائنة اى ذات خانة او طائفة
خائنة او شخص خائنة على ان التاء للمبالغة او خائنة ومنهم متعلّق بمحذوف وقع صفة لها خلا ان
من على الوجهين الاوّلين ابتدائيّة اى على خيانة او على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى
الوجه الباقية تبعيضيّة والمعنى ان العذر والخيانة عادة مستمرّة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون
يتركونها او يكتموها فلا تزال ترى ذلك منهم الّا قليلا منهم استثناء من الضمير المجرور فى منهم على
الوجوه كلّها وقيل من خائنة على الوجوه الثلثة الاخيرة والمراد بهم الّذين امنوا منهم كعبد الله
بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه الثّانى فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية
كما مرّ اى الّا فعلا قليلا كائنًا منهم فاعف عنهم واصفح اى ان تابوا وامنوا او عاهدوا والتزموا
الجزية وقيل مطلق نسخ باية السّيف انّ الله يحبّ المحسنين تعليل للامر وحث على الامتثال به
وتنبيه على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان ومن الّذين قالوا انّا نصارى اخذنا
ميثاقهم بيان لقبايح النصارى وجناياتهم اثر بيان قبايح اليهود وجناياتهم ومن متعلّقة باخذنا
اذ التّقدير واخذنا من الّذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولانّ
ذكر حال احد الطائفتين ممّا يوقع فى ذهن السّامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة
الاخرى ايضًا اخذنا ميثاقهم وقيل هى متعلقة بمحذوف وقع خبرا لمبتدا محذوف قامت صفته
مقامه او منهم قوم اخذنا ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف
المقدّر وامّا فى الوجه الاوّل فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بنى اسرائيل اى اخذنا من هؤلاء
ميثاق اولئك اى مثل ميثاقهم من الايمان بالله والرّسل وبما يتفرّع على ذلك من افعال الخير وانّما
نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى ايذانا بانهم فى قولهم نحن انصار الله بمعزل
من الصّدق وانّما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى فى شئ او اظهار الكمال سوء صنيعهم
ببيان التّناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادّعائهم لنصرته تعالى يستدعى ثباتهم على طاعته
تعالى ومراعات ميثاقه فنسوا عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظّا وافرا ممّا ذكّروا به فى
تضاعيف الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مرّ انفًا وقيل هو ما كتب عليهم فى
الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلّم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتّبعوا اهواءهم
فاختلفوا وتفرّقوا نسطوريّة ويعقوبيّة وملكائيّة انصارًا للشيطان فاغرينا اى الزمنا والصقنا

من غرى

من غرى بالشئ اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغرّاء وقوله تعالى بينهم امّا ظرف لاغرينا
او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اى اغرينا العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل الى
جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله وقوله تعالى الى يوم القيمة امّا غاية للاغراء او
للعداوة والبغضاء اى يتعادون ويتباغضون الى يوم القيمة حسبما يقتضيه اهواؤهم المختلفة
وآراؤهم الزائغة المؤدّية الى التفرّق الى الفرق الثلث فضمير بينهم لهم خاصّة وقيل لهم ولليهود
اى اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنّصارى وسوف ينبّئهم الله بما كانوا
يصنعون وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرّجل لمن يتوعّده ساخبرك بما فعلت اى يجازيهم
بما عملوا على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر ممّا ذكّروا به وسوف لتاكيد الوعيد
والالتفات الى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الرّوعة لتشديد الوعيد والتعبير عن
العمل بالصّنع للايذان برسوخهم فى ذلك وعن المجازات بالتنبيه للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة
ما يعملونه من الاعمال السيّئة واستتباعها للعذاب فيكون ترتيب العذاب عليها فى افادة العلم
بحقيقة حالها بمنزلة الاخبار بها يا اهل الكتاب التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب
جنس شامل للتّورية والانجيل اثر بيان احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبايح ودعوة لهم
الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلّم والقرآن وايرادهم بعنوان اهليّة الكتاب لانطواء
الكلام المصدّر به على ما يتعلّق بالكتاب وللمبالغة فى التشنيع فان اهليّة الكتاب من موجبات
مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم
يعلمون قد جاءكم رسولنا الاضافة للتشريف والايذان بوجوب اتباعه وقوله تعالى يبيّن لكم
حال من رسولنا حال كونه مبيّنا لكم على التّدريج حسبما يقتضيه المصلحة كثيرا ممّا كنتم تخفون
من الكتاب اى التّورية والانجيل كبعثة محمّد عليه السلام واية الرّجم فى التّورية وبشارة عيسى
احمد عليهما السّلام فى الانجيل وتاخير كثيرا من الجار والمجرور لما مرّ مرارا من اظهار العناية بالمقدم
لما فيه من تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخّر لما ان ما حقّه التقديم اذا اخّر لا سيما مع الاشعار
بكونه من منافع المخاطب تبقى النّفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكّن
ولانّ فى المؤخّر ضرب تفصيل ربما يخل تقديمه بتجاذب اطراف النّظم الكريم فان ممّا متعلق بمحذوف
وقع صفة لكثيرا وما موصولة اسميّة وما بعدها صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب متعلّق
بمحذوف هو حال من العائد المحذوف والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدّلالة على استمرارهم
على الكتم والاخفاء اى يبيّن لكم كثيرا من الذى تخفونه على الاستمرار حال كونه من الكتاب الّذى
انتم اهله والمتمسّكون به ويعفو عن كثير اى ولا يظهر كثيرا ممّا تخفونه اذا لم تدع اليه داعية
دينيّة صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما ينفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو وفيه حثّ
لهم على عدم الاخفاء ترغيبًا وترهيبًا والجملة معطوفة على الجملة الحاليه داخلة فى حكمها وقيل

يعفوعن كثير منكم ولا يواخذ وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور جملة مستانفة مسوقة لبيان ان
فائدة مجى الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ماكانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق
بجاء ومن لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور واياما كان فهو تصريح بما يشعر به اضافة
الرسول من مجيئه من جنابه عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجئ من
جهة العاليه والتشويق الى الجائى ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم كما فى
قوله تعالى وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وتنوين نور للتفخيم والمراد به وبقوله
وكتاب مبين القران لما فيه من كشف ظلمات الشرك والشك وابانة ماخفى على الناس من الحق
او الاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة بالذات وقيل المراد بالاول
هو الرسول صلى الله عليه وسلم وبالثانى القران يهدى به الله توحيد الضمير المجرور لاتحاد المرجع بالذات
او لكونهما فى حكم الواحد او اريد يهدى بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام واظهار الجلالة لاظهار
كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية لكتاب او النصب على الحالية
منه لتخصصه بالصفة من اتبع رضوانه اى رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة
سبل السلام اى طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب او سبيل الله تعالى وهو شريعته
التى شرعها للناس قيل هو مفعول ثان ليهدى والحق ان انتصابه بنزع الخافض على طريقة
قوله تعالى واختار موسى قومه وانما تعدى الى الثانى بالى او باللام كما فى قوله تعالى ان هذا
القران يهدى للتى هى اقوم ويخرجهم الضمير لمن والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد فى اتبع باعتبار
اللفظ من الظلمات اى ظلمات فنون الكفر والضلال الى النور الى الايمان باذنه بتيسيره
او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم هو اقرب الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية
عين الهداية الى سبل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى
كما فى قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب
غليظ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم اى لا غير كما يقال الكرم هو التقوى
وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد يحل فى بدن انسان معين او فى روحه وقيل لم يصرح
به احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد اعترفوا بان الله تعالى موجود
فلزمهم القول بانه المسيح لا غير وقيل لما زعموا ان فيه لاهوتا وقالوا لا اله الا واحد لزمهم ان
يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم قل اى تبكيتا لهم واظهارا
لبطلان قولهم الفاسد والقاما لهم الحجر والفاء فى قوله تعالى فمن يملك من الله شيئا فصيحة
ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به على حذف
المضاف اى ان كان الامر كما تزعمون فمن يمنع من قدرته تعالى وارادته شيئا وحقيقته فمن يستطيع
ان يمسك شيئا منهما ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا

ومن

ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق به ولا بشان من شئونه بل بشئ من الموجودات قدرة غيره بوجه
من الوجوه فضلا عن ان يعجز عن دفع شئ منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا لاريب
فيه ظهر كونه بمعزل مما تقولوا فى حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط
والغضب واظهار المسيح على الوجه الذى نسبوا اليه الالوهية فى مقام الاضمار لزيادة التقرير
والتنصيص على انه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره وملكوته تعالى ونفى المالكية المذكورة
بالاستفهام الانكارى عن كل احد مع تحقق الالزام والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال
فهل يملك شيئا من الله ان اراد الخ لتحقيق الحق بنفى الالوهية عن كل ماعداه سبحانه واثبات
المطلوب فى ضمنه بالطريق البرهانى فان انتفاء المالكية المستلزم لاستحالة الالوهية متى ظهر
بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه واكده فيظهر استحالة الوهيته قطعا وتعميم
ارادة الاهلاك للكل مع حصول ماذكر من التحقيق بقصرها عليه بان يقال فمن يملك من الله
شيئا ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى
وملكوته لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح
اسوة لساير المخلوقات فى كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لها فى ماذكر من العجز وعدم استحقاق
الالوهية وتخصيص امه بالذكر مع اندراجها فى ضمن من فى الارض لزيادة تاكيد عجز المسيح ولعل
نظمها فى سلك من فرض ارادة اهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتاكيد التبكيت وزيادة
تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال بقية من فرض اهلاكه كانه قيل قل فمن يملك
من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح وامه ومن فى الارض وقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا
حال من عداها من الموجودين وقوله ولله ملك السموات والارض وما بينهما اى ما بين
قطرى العالم الجسمانى لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيتناول ما فى السموات من الملئكة
وما فى اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى وملكوته اثر الاشارة
الى كون البعض الى من فى الارض كذلك اى له تعالى وحده ملك جميع الموجودات والتصرف
المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق
لاختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ماسواه وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة
مستانفة مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة فى
امر المسيح لولادته من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اى يخلق ما يشاء
من انواع الخلق والايجاد على ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية
كانه قيل يخلق اى خلق يشاؤه فتارة يخلق من غير الاصل كخلق السموات والارض واخرى من
اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق ادم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه
اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام او منهما كخلق ساير الناس

ويخلق بلا توسّط شئ من المخلوقات كخلق عامة المخلوقات وقد يخلق بتوسط مخلوق آخر كخلق الطير على يد عيسى
عليه الصلوة والسّلام معجزة له واحياء الموتى وابرء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب كله
اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده **والله على كلّ شئ قدير** اعتراض تذييلى مقرّر لمضمون
ما قبله واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة **وقالت اليهود والنّصارى نحن**
ابناؤ الله واحبّاؤه حكاية لما صدر عن الفريقين من الدّعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر
عن احدهما وبيان بطلانه اى قالت اليهود نحن اشياع الله عزير وقالت النّصارى نحن اشياع ابنه
المسيح كما قيل لاشياع ابن جُبَيب وهو عبد الله بن الزّبير الجبيبون وكما يقول اقارب الملوك عند
المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عبّاس رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من
اليهود الى دين الاسلام وخوّفهم بعقاب الله تعالى فقالوا كيف تخوّفنا به ونحن ابناء الله واحبّاؤه
وقيل ان النّصارى يتلون فى الانجيل ان المسيح قال لهم انى ذاهب الى ابى وابيكم وقيل ارادوا
ان الله تعالى كالاب لنا فى الحنوّ والعطف ونحن كالابناء له فى القرب والمنزلة وبالجملة انهم كانوا
يدّعون ان لهم فضلا ومزيّة عند الله تعالى على ساير الخلق فردّ عليهم ذلك وقيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم **قل** اى الزاما لهم وتبكيتا **فلم يعذّبكم بذنوبكم** اى ان صحّ ما زعمتم فلاىّ شئ يعذّبكم
فى الدّنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانّه تعالى سيعذّبكم فى الآخرة بالنّار ايّاما بعدد ايّام
عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر ولما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى
بل انتم بشر عطف على مقدّر ينسحب عليه الكلام اى لستم كذلك **بل انتم بشر ممّن خلق** اى من جنس
من خلقه الله تعالى من غير مزيّة لكم عليهم **يغفر لمن يشاء** اى يغفر له من اولئك المخلوقين وهم
الّذين آمنوا به تعالى وبرسله **ويعذّب من يشاء** ان يعذّبه منهم وهم الّذين كفروا به وبرسله
مثلكم **ولله ملك السّموات والارض وما بينهما** من الموجودات لا ينتمى اليه سبحانه شئ منها
الّا بالمملوكيّة والعبوديّة والمقهوريّة تحت ملكوته يتصرّف فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما احياء
واماتة واثابة وتعذيبا فانّى لهم ادّعاء ما زعموا **واليه المصير** فى الآخرة خاصّة لا الى غيره استقلالا
او اشتراكا فيجازى كلا من المحسن والمسئ بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه
يا اهل الكتاب تكرير للخطاب بطريق الالتفات ولطف فى الدّعوة **قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم**
حال من رسولنا وايثاره على مبيّنا لما مرّ فيما سبق اى يبيّن لكم الشّرائع والاحكام الدّينيّة المقرونة
بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بيّن فى الآيات السّابقة من بطلان اقاويلكم الشنعاء وما سياتى
من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور ان مجى الرّسل انّما هو لبيانها او يفعل لكم
البيان ويبذله لكم فى كل ما تحتاجون فيه الى البيان من امور البيان وامّا تقدير مثل ما سبق فى قوله تعالى
كثيرا ممّا كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فمع كونه تكريرا من غير فائدة يردّه قوله عزّ وجلّ
على فترة من الرّسل فان فتور الارسال وانقطاع الوحى انما يحوج الى بيان الشّرائع والاحكام لا الى

بيان

بيان ما كتموه وعلى فترة متعلّق بجاءكم على الظّرفيّة كما فى قوله تعالى واتّبعوا ما تتلوا الشّياطين على
ملك سليمن اى جاءكم على حين فتور من الارسال والانقطاع من الوحى ومزيد احتياج الى بيان
الشّرايع والاحكام الدّينيّة او بمحذوف وقع حالا من ضمير يبيّن او من ضمير لكم اى يبيّن لكم ما ذكر
حال كونه على فترة من الرّسل او حال كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان ومن الرّسل متعلّق بمحذوف
وقع صفة لفترة اى كائنة من الرّسل مبتدية من جهتهم وقوله تعالى **ان تقولوا** تعليل لمجى الرّسول
بالبيان على حذف المضاف اى كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم فى مراعات احكام الدّين
ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد انطمست آثار الشرايع السابقة وانقطعت اخبارها وزيادة من فى
الفاعل للمبالغة فى نفى المجى وتنكير بشير ونذير للتقليل وهذا كما ترى يقضى بانّ المقدّر او المنوى
فيما سبق هو الشّرايع والاحكام لا كيفما كانت بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد وقوله تعالى
فقد جاءكم بشير ونذير متعلّق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة وتبيّن انّه معلّل به وتنوين
بشير ونذير للتفخيم اى لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اىّ بشير ونذير اىّ نذير **والله على**
كلّ شئ قدير فيقدر على الارسال تترى كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما
الف وسبعمائة سنة والف نبىّ وعلى الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمّد عليهما السّلام
حيث كان بينهما ستمائة سنة او خمسمائة وتسع وستّون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة
واربعة انبياء على ما روى الكلبى ثلثة من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى
وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بما فى تنوين فترة من
التّفخيم اللايق بمقام الامتنان عليهم بان الرّسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم اليه بسبب مضى
دهر طويل بعد انقطاع الوحى ليهشّوا اليه ويعدّوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم
الحجة فلا يعتلوا غدا بانّه لم يرسل اليهم من ينبّههم عن غفلتهم **واذ قال موسى لقومه** جملة
مستانفة مسوقة لبيان ما فعلت بنوا اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفيّة نقضهم
له وتعلقه بما قبله من حيث ان ما ذكر فيه من الامور الّتى وصف النبى صلى الله عليه وسلم ببيانها
ومن حيث اشتماله على انتفاء فترة الرّسل فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول لفعل مقدّر خوطب
به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن اهل الكتاب ليعدّد عليهم ما صدر
عن بعضهم من الجنايات اى واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم
اليه **يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم** وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من
الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب
لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهانىّ ولان الوقت المشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان
ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم متعلّق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا او بمحذوف
وقع حالا منها اذا جعلت اسما اى اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا اذ فى قوله تعالى

اذجعل فيكم انبياء اى اذكروا انعامه تعالى عليكم فى وقت جعله او اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم فى وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء ذوى عدد كثير واولى شان خطير حيث لم يبعث من امة من الامم مابعث من بنى اسرائيل من الانبياء **وجعلكم ملوكا** عطف على جعل فيكم داخل فى حكمه اى جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف الظرف تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل فى مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة من عظم الخطر وعزة المطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق ان ينسب اليه ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه الله له وقيل كانوا مملوكين اى فى ايدى القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق **واتيكم ما لم يؤت احدا من العالمين** من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما اتاهم الله تعالى من الامور العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل من عالمى زمانهم **يا قوم ادخلوا الارض المقدسة** كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشان الامر ومبالغة فى حثهم على الامتثال به والارض هى ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل هى الطور وما حوله وقيل دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هى الشام **التى كتب الله لكم** اى كتب فى اللوح انها تكون مسكنا لكم ان امنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله تعالى **ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين** فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة على الايمان والطاعة قطعا اى لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة فالجار والمجرور متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ترتدوا او يجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا يا ليتنا متنا بمصر تعالوا نجعل لنا راسا ينصرف بنا الى مصر ولا ترتدوا من دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب على جواب النهى والخسران خسران الدين والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم **قالوا** استيناف مبنى على سؤال نشا من مساق الكلام كانه قيل فماذا قالوا بمقابلة امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك **يا موسى ان فيها قوما جبارين** متغلبين لا يتاتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العالى الذى يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان على ما يريده كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اى اجبره عليه **وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها** من غير صنع من قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها **فان يخرجوا منها** بسبب من الاسباب التى لا تعلق لنا بها **فانا داخلون** حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحا بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها

ليس الا لمكانهم فيها واتوا فى الجزاء بالجملة الاسمية المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة فيه وفى الامتثال بالامر **قال رجلان** استيناف كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل قال رجلان **من الذين يخافون** اى يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه فى مخالفة امره ونهيه وبه قرا ابن مسعود رضى وفيه تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من الذين يخافون العدو اى منهم فى النسب لا فى الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام قالوا وحينئذ لبنى اسرائيل والموصول عبارة عن الجبابرة واليهم يعود العائد المحذوف اى من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده قراءة من قرا يخافون على صيغة المبنى للمفعول اى المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اى من الذين يخوفون من الله تعالى بالتذكير او يخوفهم الوعيد **انعم الله عليهما** اى بالتثبيت وربط الجاش والوقوف على شيونه تعالى والثقة بوعده او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير فى يخافون او من رجلان لتخصصه بالصفة اى قالا مخاطبين لهم ومشجعين **ادخلوا عليهم الباب** اى باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور عليه للاهتمام به لان المقصود انما هو دخول الباب وهم فى بلدهم اى باغتوهم وضاغطوهم فى المضيق وامنعوهم من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحراب مجالا **فاذا دخلتموه** اى باب بلدهم وهم فيه **فانكم غالبون** من غير حاجة الى القتال فانا قد رايناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم والجئوا عليهم فى المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم او لما علما من سنته تعالى فى نصرة رسله وما عهدا من صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول **وعلى الله** تعالى خاصة **فتوكلوا** بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانه بمعزل من التاثير وانما التاثير من عند الله العزيز القدير **ان كنتم مؤمنين** اى مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما **قالوا** استيناف كما سبق اى قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما مخاطبين لموسى عليه السلم اظهارا لاصرارهم على القول الاول وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام **يا موسى انا لن ندخلها** اى ارض الجبابرة فضلا عن دخول بابهم وهم فى بلدهم **ابدا** اى دهرا طويلا **ما داموا فيها** اى فى ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض او عطف بيان **فاذهب** الفاء فصيحة اى فاذا كان الامر كذلك فاذهب **انت وربك فقاتلا** اى فقاتلاهم انما قالوا ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبنى كانهم قالوا فاريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا ولم يذكروا

هرون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم او لم يعباء بقتالهم وقوله تعالى انّا ههنا قاعدون يؤيّد
الوجه الاوّل وارادوا بذلك عدم التقدم لاعدم التاخر قال موسى لما راى منهم ما راى من العناد
طريقة البيت والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقّة القلب الّتى بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة
ربّ انّى لا املك الّا نفسى واخى عطف على نفسى وقيل على الضمير فى انّى على معنى انّى لا املك
الا نفسى وانّ اخى لا يملك الّا نفسه وقيل على الضّمير فى لا املك للفصل فافرق بيننا يريد نفسه
واخاه والفاء لترتيب الفرق والدّعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين الخارجين عن
طاعتك المصرّين على عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقّه وعليهم بما يستحقّونه وقيل بالتّبعيد بيننا
وبينهم وتخليصنا من صحبتهم قال فانّها اى الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من
الدّعاء محرّمة عليهم تحريم منع لا تحريم تعبد لا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة
بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم حرّموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى اربعين سنة
ان جعل ظرفا فالحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا فلا يكون مخالفا لظاهر قوله تعالى كتب الله لكم
فالمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم فى هذه المدة لكن لا بمعنى ان كلّهم يدخلونها بعدها بل
بعضهم ممّن بقى حسبما روى ان موسى عليه السلام سار بمن بقى من بنى اسرائيل الى اريحا وكان
يوشع بن نون على مقدّمته ففتحها واقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه عليه السّلام وقيل لم يدخلها
احد ممّن قال لن ندخلها ابدًا وانما دخلها مع موسى عليه السّلام النّواشئ من ذرّياتهم فالموقت بالاربعين
فى الحقيقة تحريمها على ذرّياتهم وانّما جعل تحريما عليهم لما بينهما من العلاقة التّامّة المتاخمة للاتحاد
وقوله تعالى يتيهون فى الارض اى يتحيّرون فى البرّيّة استيناف لبيان كيفيّة حرمانهم او حال من
ضمير عليهم وقيل الظّرف متعلق بيتيهون فيكون التّيه موقّتا والتّحريم مطلقا قيل كانوا ستمائة
الف مقاتل وكان طول البرّيّة تسعين فرسخا وقد تاهوا فى ستّة فراسخ او تسعة فراسخ فى ثلثين
فرسخا وقيل فى ستة فراسخ فى اثنى عشر فرسخا روى انهم كانوا كل يوم يسيرون جادّين حتّى اذا امسوا
اذا هم بحيث ارتحلوا وكان الغمام يظلّهم من حرّ الشمس ويطلع باللّيل عمود من نور يضئ لهم وينزل
عليهم المن والسّلوى ولا يطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله
وهذه الانعامات عليهم مع انهم معاقبون لما انّ عقابهم كان بطريق العرك والتّاديب قيل
كان معهم هرون موسى ولكن كان ذلك لهما روحا وسلامة كالنّار لابرهيم وملئكة العذاب عليهم السلام
وروى ان هرون مات فى التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحاء بعد موته بثلثة
اشهر ولا يساعده ظاهر النظم الكريم فانّه تعالى بعد ما قبل دعوته على بنى اسرائيل وعذّبهم بالتّيه بعيد
ان ينجّى بعض المدعوّ عليهم او ذراريهم ويقدّر وفاتهما فى محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك لهما منزل روح
وراحة وقد قيل انّهما لم يكونا معهم فى التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بانّهما
كانا معهم فيه فقد فسّر الفرق بما ذكر من الحكم بما يستحقه كلّ فريق فلا تأس فلا تحزن على القوم

الفاسقين روى انّه عليه السّلام ندم على دعائه عليهم فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك
لفسقهم واتل عليهم عطف على مقدّر تعلق به قوله تعالى واذ قال موسى الخ وتعلّقه به من حيث انّه
تمهيد لما سيأتى من جنايات بنى اسرائيل بعد ما كتب عليهم ما كتب وجاءتهم الرّسل بما جاءت به من
البيّنات نبا ابنى آدم هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن والضّحاك انّهما رجلان من بنى اسرائيل
بقرينة اخر القصّة وليس كذلك اوحى الله عزّ وجلّ الى آدم ان يزوّج كلّا منهما توامة الاخر وكانت
توامة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليها اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل
من جهة آدم عليه السّلام فقال لهما عليه السّلام قرّبا قربانا فمن ايّكما قبل تزوّجها ففعلا فنزلت
نار على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرّض لقربان قابيل فازداد قابيل حسدًا وسخطا وفعل ما فعل
بالحقّ متعلّق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة بالحقّ والصّحة او حال من فاعل
اتل او من مفعوله اى ملتبسًا انت او نبأهما بالحق والصّدق حسبما تقرّر فى كتب الاوّلين اذ قرّبا
قربانا منصوب بالنبأ ظرف له اى اتل قصتهما ونبأهما فى ذلك الوقت وقيل بدل منه على حذف
المضاف اى اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت وردّ عليه بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان كوقتئذ
وحينئذ والقربان اسم لما يتقرّب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كالحلوان اسم لما يحلى اى يعطى
وتوحيده لما انّه فى الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرّب كلّ منهما قربانا فتقبّل من احدهما هو هابيل
قيل كان هو صاحب ضرع وقرّب جملا سمّينا فنزلت نار فاكلته ولم يتقبّل من الآخر هو قابيل
قيل كان هو صاحب زرع وقرّب اردء ما عنده من القمح فلم تتعرّض له النّار اصلا قال استيناف
مبنى على سؤال نشأ من سوق الكلام كانّه قيل فما ذا قال من لم يتقبّل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف
سخطه وحسده بما ظهر فضله عليه عند الله عزّ وجلّ لاقتلنّك اى والله لاقتلنّك بالنون المشدّدة
وقرى بالمخففة قال استيناف كما قبله اى قال الّذى تقبل قربانه لما راى ان حسده لقبول قربانه
وعدم قبول قربان نفسه انّما يتقبّل الله اى القربان من المتّقين لا من غيرهم وانّما تقبّل قربانى وردّ
قربانك لما فينا من التقوى وعدمه اى انّما اتيت من قبل نفسك لا من قبلى فلم تقتلنى خلا انّه لم يصرّح
بذلك بل سلك مسلك التّعريض حذرا من تهيج غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عمّا نواه ولذلك
اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية المهابة ثمّ صرّح بتقواه على وجه يستدعى سكون غيظه لو كان
له عقل وازع حيث قال بطريق التّوكيد لئن بسطت الىّ يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى
اليك لاقتلك حيث صدّر الشرطيه باللّام الموطّية للقسم وقدّم الجار
والمجرور على المفعول الصّريح ايذانا من اوّل الامر برجوع ضرر البسط وغائلته اليه ولم يجعل جواب القسم
السّاد مسدّ جواب الشرط جملة فعليّة موافقة لما فى الشرط بل اسميّة مصدّرة بما الحجازية المفيدة لتاكيد
النّفى بما فى حيّزها من الباء للمبالغة فى اظهار برائته عن بسط اليد ببيان استمراره على نفى البسيط كما فى
قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان الجملة الاسميّة الايجابيّة كما تدل

بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك
باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفي لا قبله حتى يرد النفي على المقيد بالدوام فيرفع قيده اى
والله لئن باشرت قتلي حسبما اوعدتني به وتحقق ذلك منك ما انا بفاعل مثله لك في وقت من الاوقات
ثم علل ذلك بقوله انى اخاف الله رب العالمين وفيه من ارشاد قابيل الى خشية الله
تعالى على ابلغ وجه واكد ما لا يخفى كانه قال انى اخافه تعالى ان بسطت يدى اليك لاقتلك ان
يعاقبنى وان كان ذلك منى لدفع عداوتك فما ظنك بحالك وانت البادئ العادئ وفيه وصفه
تعالى بربوبية العالمين تاكيد للخوف قيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم
خوفا من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال صلى الله
عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى ان
ترك الاولى عنده بمنزلة المعصية في استتباع الغائلة مبالغة في التنزه وقوله تعالى انى اريد ان
تبوء باثمى واثمك تعليل اخر لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متاخر عنه كما ان الاول باعث
متقدم عليه وانما لم يعطف تنبيها على كفاية كل منهما في العلية والمعنى انى اريد باستسلامى لك
وامتناعى عن التعرض لك ان ترجع باثمى اى بمثل اثمى لو بسطت يدى اليك وباثمك ببسط يدك
الى كما فى قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم اى على البادى
عين اثم قتلى ومعنى باثمك اثمك الذى لاجله لم تتقبل قربانك وكلاهما نصب على الحالية اى ترجع
متلبسا بالاثمين حاملا لهما ولعل مراده بالذات انما هو عدم ملابسته للاثم اى ملابسة اخيه له وقيل
المراد بالاثم عقوبته ولا ريب في جواز ارادة عقوبة العاصى ممن علم انه لا يرعوى عن المعصية اصلا
ويأباه قوله عز وجل فتكون من اصحاب النار فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين
لا على ابتلائه بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع اخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله تعالى
وذلك جزاء الظالمين فانه صريح في ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة
تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد سلك في صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير
بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورثه ذلك الا الاصرار على الغى والانهماك فى الفساد فطوعت
له نفسه قتل اخيه اى وسعته وسهلته من طاع له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكى من
مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا كما يفصح عنه قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله
من الدواعى العقوبة وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه فى الحقيقة امر حادث وصنع جديد
كما فى قولك وعظته فلم يتعظ اولان هذه المرتبة من التطويع لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده
فى قدرته على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على استسلام هابيل وعدم معارضته
له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرئ فطاوعت على انه فاعل بمعنى فعل او على ان قتل
اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد

ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طائرا ووضع راسه على حجر ثم شدخها
بحجر اخر فتعلم منه فرضخ راس هابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف فى موضع قتله فقيل عند عقبة حراء
وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم وقيل فى جبل ثور ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به فخاف
عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح وعكفت عليه الطيور والسباع
تنظر حتى يرمى به فتاكله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث فى الارض
ليريه كيف يوارى سوأة اخيه روى انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل
احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرة فالقاه فيها فالمستكن فى يريه لله تعالى او للغراب واللام
على الاول متعلقة ببعث حتما وعلى الثانى بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يوارى
والجملة ثانى مفعولى يرى والمراد بسوأة اخيه جسده الميت قال استيناف مبنى على سؤال نشا من سوق
الكلام كانه قيل فماذا قال عند مشاهدة حال الغراب فقيل قال يا ويلتى هى كلمة جزع وتحسر
والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتى احضرى فهذا اوانك والويل والويلة الهلكة اعجزت ان
اكون اى عن ان يكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة اخى تعجب من عدم اهتدائه الى ما
اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاوارى بالنصب عطف على اكون وقرئ بالرفع اى فانا اوارى
فاصبح من النادمين اى على قتله لما كابد فيه من التحير فى امره وحمله على رقبته مدة طويلة وروى انه
لما قتله اسود جسده وكان ابيض فساله ادم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا قال بل قتلته ولذلك
اسود جسدك ومكث ادم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل الى عدن من ارض
اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها فان عبدتها ايضا
حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول من عبد النار من اجل ذلك شروع فيما هو المقصود
بتلاوة النبأ من بيان بعض اخر من جنايات بنى اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم شان
القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر فى تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه عن
مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه
لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته
على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل فى الاصل مصدر اجل شرا اذا
جناه استعمل فى تعليل الجنايات كما فى قولهم من جراك فعلته اى من جريرتك وجنيتك ثم اتسع فيه واستعمل
فى كل تعليل وقرئ من اجل بكسر الهمزة وهى لغة فيه وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحها على النون
ومن لابتداء الغاية متعلقة بقوله تعالى كتبنا على بنى اسرائيل وتقديمها عليه للقصر اى من
ذلك ابتداء الكتب ومنه نشا لا من شئ اخر اى قضينا عليهم وبينا انه من قتل نفسا واحدا من
النفوس بغير نفس اى بغير قتل نفس يوجب الاقتصاص او فساد فى الارض اى فساد يوجب اهدار
دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على معنى نفى كلا الامرين معا كما فى قولك من صلى بغير وضوء

او ثوب بطلت صلوته ومدار الاستعمالين اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من الترديد
بين الامرين المنبئ عن التخيير والاباحة واعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف
اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما معًا ففي الاول يرد النفي
على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معًا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد
نفي احدهما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم معًا فنقيضه مشروط
بانتفاء احدهما ضرورة ان نقيض كل شئ مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي
كما في الحكم الاول هو السلب الكلي ونقيض الايجاب الكلي كما في الحكم الثاني هو رفعه المستلزم للسلب
الجزئي فثبت اشتراط نقيض الاول بانتفائهما معا واشتراط نقيض الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم
في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلوته مشروطا بتحقق احدهما منهما كان نقيضه في قولك
من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلوته مشروطًا بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما معًا
فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع بين الوضوء والتيمم بكلمة او فانتفى تحققهما معًا
ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد
ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثما او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فايهما
فعله فهو احدهما واما قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلوته بحيث كان الحكم فيه مشروطًا
تحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته مشروطا
بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد نفي احدهما ولا
يخفى ان اباحة القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد دون ضرورته اشتراط حرمته
بانتفائهما معًا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل نفسًا بغير احدهما **فكانما
قتل الناس جميعًا** فمن قال في تفسيره او بغير فساد فقد ابعد عن توفية النظم الكريم حقه وما في
كانما كافة مهيئة لوقوع الفعل بعدها وجميعًا حال من الناس او تاكيد ومناط التشبيه اشتراك
الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع
القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم **ومن احياها** اي تسبب لبقاء نفس واحدة
موصوفة بعدم ما ذكر من القتل والفساد في الارض اما بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من
ساير اسباب الهلكة بوجه من الوجوه **فكانما احيى الناس جميعًا** وجه التشبيه ظاهر والمقصود
تهويل امر القتل وتفخيم شان الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب الرهبة والرغبة
ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشان المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى الاذهان
عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرير ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا
شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشان
الخطير هذا **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات** جملة مستقلة غير معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد

القسمي وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلا الخ للتصريح
بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما
ارسلناهم بالايات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تاكيدا لوجوب مراعاته وتاييدا لتحتم المحافظة
عليه **ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك** اي بعد ما ذكر من الكتب وتاكيد الامر بارسال الرسل
تترى وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه انتظامه
بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته
في عظم الشان وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد **في الارض** متعلق بقوله تعالى **لمسرفون** وكذا
الظرف المتقدم ولا يقدح فيه توسط اللام بينه وبينهما لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتداء
وانما دخولها على الخبر لمكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال
مع عدم مبالات به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم
في شان الاحياء وجودا وذكرا وكان هو اقبح الامرين وافظعهما اكتفى بذكره في مقام التشنيع **انما
جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** كلام مستانف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به
من الفساد باخذ المال ونظايره وتعيين موجبه العاجل والآجل اثر بيان عظم شان القتل بغير حق
وادرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالًا من الفساد المبيح للقتل قيل اي يحاربون رسوله وذكر الله تعالى
للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين
محاربة له عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس
لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه
لغيرهم الى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة الله تعالى ورسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون
اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد ههنا قطع الطريق وقيل المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت
في مصر **ويسعون في الارض** عطف على يحاربون والجار متعلق به وقوله تعالى فسادا اما مصدر
موكد ليسعون لانه في معنى يفسدون او على انه مصدر من افسد بحذف الزوايد او اسم مصدر قيل نزلت
الاية في قوم هلال بن عويمر الاسلمي وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه ولا
يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو امن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو امن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ
شاهدًا فقطعوا عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل
في قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل
وافسدوا في الارض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون
اخذ المال ومن القتل مع اخذه واخذه بدون قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة
من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل **ان يقتلوا** اي حدا من غير صلب ان افردوا

القتل ولو عفا الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بالة جارحة
اولا **او يصلبوا** اى مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان
يموتوا وفى ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء واكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف
وقتلهم وصلبهم وصيغة التفعيل فى الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما **او تقطع ايديهم**
وارجلهم من خلاف اى ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمى و
كان فى المقدار بحيث لو قسم عليهم اصاب كلا منهم عشرة دراهم او ما يساويها قيمته اما قطع ايديهم فلاخذ
المال واما قطع ارجلهم فلاخافة الطريق بتفويت امنه **او ينفوا من الارض** ان لم يفعلوا غير الاخافة
والسعى للفساد والمراد بالنفى عندنا هو الحبس فانه نفى عن وجه الارض بدفع شرهم من اهلها ويعزرون
ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة وازالة الامن وعند الشافعى رح النفى من بلد الى بلد لا يزال يطلب
وهو هارب فزعا وقيل هو النفى عن بلده فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد فى اقصى تهامة
وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة **ذلك** اى ما فصل من الاحكام والاجزية قيل هو مبتداء وقوله
لهم خزى جملة من خبر مقدم على المبتدأ وقوله تعالى **فى الدنيا** متعلق بمحذوف وقع صفة لخزى
او متعلق بخزى على الظرفية والجملة فى محل الرفع على انها خبر لذلك وقيل خزى خبر لذلك ولهم
متعلق بمحذوف وقع حالا من خزى لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا وفى الدنيا اما صفة لخزى
او متعلق به على ما مر والخزى الذل والفضيحة **ولهم فى الاخرة** غير هذا **عذاب عظيم** لا يقادر قدره لغاية
عظم جناياتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتداء مؤخر وفى الاخرة متعلق بمحذوف وقع حالا
من عذاب لانه فى الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اى كائنا فى الاخرة **الا الذين تابوا من قبل**
ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى **فاعلموا**
ان الله غفور رحيم اما ما هو من حقوق الاولياء من القصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاؤا عفوا
وان احبوا استوفوا وانما يسقط بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه وعن على رضى الله عنه ان الحرث
من بدر جاءه تائبا بعد ما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرا عنه العقوبة **يا ايها الذين امنوا**
اتقوا الله لما ذكر عظم شان القتل والفساد وبين حكمها واشير فى تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى
لمن تاب من جنايته امر المؤمنون بان يتقوه تعالى فى كل ما ياتون ويذرون بترك ما يجب اتقاؤه
من المعاصى التى من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعات التى من زمرتها السعى فى احياء
النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار **وابتغوا** اى اطلبوا لانفسكم **اليه** اى
الى ثوابه والزلفى منه **الوسيلة** هى فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل من فعل
الطاعات وترك المعاصى من وسل الى كذا اى تقرب اليه شى واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام
به وليست بمصدر حتى لا يعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المامور به فانه ملاك الامر كله كما اشير
اليه وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل خير فالجملة حينئذ جارية مما قبلها مجرى البيان والتاكيد

اومطلق الوسيله وهو داخل فيها دخولا اوليا وقيل الجملة الاولى امر بترك المعاصى والثانية امر
بفعل الطاعات وحيث كان فى كل من ترك المعاصى المشتهاة للنفس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة
ومشقة عقب الامر بهما بقوله تعالى **وجاهدوا فى سبيله** بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة **لعلكم**
تفلحون بنيل مرضاته والفوز بكراماته **ان الذين كفروا** كلام مبتداء مسوق لتاكيد وجوب
الامتثال بالاوامر السابقة وترغيب المؤمنين فى المسارعة الى تحصيل الوسيله اليه عز وجل قبل
انقضاء اوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيمة باقوى الوسائل الى النجاة من العذاب فضلا
عن نيل الثواب **لو ان لهم** اى لكل واحد منهم كما فى قوله تعالى ولو ان لكل نفس ظلمت الخ لا لجميعهم
اذ ليس فى ذلك هذه المرتبة من تهويل الامر وتفظيع **ما فى الارض** اى من اصناف اموالها و
ذخايرها وساير منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بلا خلاف خلا انه عند
دفع على الابتداء لا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه وقد اختصت من بين
ساير ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو وقيل الخبر محذوف ثم قيل يقدر مقدما اى لو ثابت كون ما فى
الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا اى لو كون ما فى الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين
رفع على الفاعلية والفعل مقدر بعد لو اى لو ثبت ان لهم ما فى الارض وقوله تعالى **جميعا** توكيد
للموصول او حال منه **ومثله** بالنصب عطف عليه وقوله تعالى **معه** ظرف وقع حالا من المعطوف
والضمير راجع الى الموصول وفائدته التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب
تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع اشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيد لافراد الضمير الراجع
اليهما واللام فى قوله تعالى **ليفتدوا به** متعلقة بما تعلق به خبر ان اعنى الاستقرار المقدر
فى لهم وبالخبر المقدر عند من يرى تقدير الخبر مقدما او مؤخرا وبالفعل المقدر بعد لو على راى
المبرد ومن نحا نحوه ولا ريب فى ان مدار الافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده
اما لما اشير اليه واما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما فى قوله كانه فى الجلد توليع
البهق اى كان ذاك وقيل هو راجع الى الموصول والعايد الى المعطوف اعنى مثله محذوف
كما حذف الخبر من قيار فى قوله فانى وقيار بها لغريب اى وقيار ايضا غريب وقد جوز ان
يكون نصب ومثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر بعد لو تفريعا على مذهب المبرد ومن
راى رايه وانت خبير بانه يؤدى الى كون الرافع للفاعل غير الناصب للمفعول معه لان المعنى على
اعتبار المعية بين ما فى الارض ومثله فى الكينونة لهم لا فى ثبوت تلك الكينونة وتحققها ولا مساغ
لجعل ناصبه الاستقرار المقدر فى لهم لما ان سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف الجر المتضمن
للاستقرار لا يعملان فى المفعول معه وان قوله هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض النحاة فى
الظرف وحرف الجر وقوله تعالى **من عذاب يوم القيمة** متعلق بالافتداء ايضا اى لو ان ما فى
الارض ومثله ثابت لهم ليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ **ما تقبل منهم** ذلك

لهم لاجل اقتدائهم من غير ذكر الافتداء بان يقال وافتدوا به مع ان الرّد والقبول انما يترتّب عليه
لا على مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غنّى عن الذّكر وانّما المحتاج الى الغرض قدرتهم على ماذكر او
للمبالغة فى تحقق الرّد وتخييل انّه وقع قبل الافتداء على منهاج ما فى قوله تعالى انا اٰتيك به قبل
ان يرتدّ اليك طرفك فلمّا راٰه مستقرّا عنده حيث لم يقل فاتى به فراٰه فلمّا ح وما فى قوله تعالى
وقالت اخرج عليهنّ فلمّا راينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عليه السّلام عليهنّ ورؤيتهن له والجملة
الامتناعية بجالها خبر انّ الّذين كفروا والمراد تمثيل للزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه
بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة وعن النّبى صلى الله عليه وسلم يقال للكافر ارايت لو كان
لك ملؤ الارض ذهبًا اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك انتهى وهو
كلمة الشّهادة وقوله تعالى **ولهم عذاب اليم** تصريح بما اشير اليه بعدم قبول فديتهم لزيادة
تقريره وبيان هوله وشدّته قيل محلّه النّصب على الحالية وقيل الرّفع عطفا على خبر انّ وقيل
عطف على انّ الذين فلا محل له كالمعطوف عليه **يريدون ان يخرجوا من النّار** استيناف مسوق
لبيان حالهم فى اثناء مكابرة العذاب مبنى على سؤال نشأ ممّا قبله كانّه قيل فكيف يكون حالهم
اوماذا يصنعون فقيل يريدون الخ وقد بين فى تضاعيفه ان عذابهم عذاب النّار قيل انهم
يقصدون ذلك ويطلبون المخرج فيلفحهم لهب النّار ويرفعهم الى فوق فهناك يريدون الخروج
ولات حين مناص وقيل يكادون يخرجون منها لقوّة النار وزيادة رفعها ايّاهم وقيل
يتمنّونه ويريدونه بقلوبهم وقوله عزّ وجل **وماهم بخارجين منها** امّا حال من فاعل يريدون
او اعتراض وايّاما كان فايثار الجملة الاسميّة على الفعلية مصدّرة بما الحجازية الدّالة بما فى خبرها
من الباء على تاكيد النّفى لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فانّ الجملة الاسميّة
الايجابية كما تفيد بمعونة المقام دوام الثّبوت مفيد السلبيّة ايضا بمعونة دوام النّفى لا نفى الدوام
كما مرّ فى قوله تعالى ما انا بباسط الخ وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج **ولهم عذاب
مقيم** تصريح بما اشير اليه انفا من عدم تناهى مدّته بعد بيان شدّته **والسّارق والسّارقة** شروع فى
بيان حكم سرقة الصّغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت اقتضاء الحال لايرادها توسط بينهما
من المقال ولما كانت السّرقة معهودة من النّساء كالرّجال صرّح بالسّارقة ايضا مع ان المعهود
فى الكتاب والسنّة ادراج النساء فى الاحكام الواردة فى شان الرّجال بطريق الدّلالة لمزيد الاعتنا
بالبيان والمبالغة فى الزّجر وهو مبتداء خبره عند سيبويه محذوف تقديره وفيما يتلى عليكم او وفيما
فرض عليكم السّارق والسّارقة اى حكمها وعند المبرّد قوله تعالى **فاقطعوا ايديهما** والفاء لتضمن
المبتداء معنى الشّرط اذ المعنى الّذى سرق والتى سرقت وقرئ بالنّصب وفضّلها سيبويه على قراءة
الرّفع لان الانشاء لا يقع خبرا الّا بتاويل واضمار والسّرقة اخذ مال الغير خفية وانّما توجب القطع
اذا كان الاخذ من حرز والماخوذ يساوى عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصّلت فى موقعها والمراد

بايديهما ايمانهما كما يفصح عنه قراءة ابن مسعود رضى الله عنه والسارقون والسّارقات فاقطعوا
ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية
المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى انّ المقطع هو المنكب والجمهور
على انّه الرّسغ لانّه عليه السّلام اتى بسارق فامر بقطع يمينه منه **جزاء** نصب على انّه مفعول له اى فاقطعوا
اى فجازوهما جزاء وقوله تعالى **بما كسبا** على الاوّل متعلّق بجزاء وعلى الثّانى باقطعوا وما مصدريّة
اى بسبب كسبهما او موصولة اى بسبب ما كسباه من السّرقة التى تباشر بالايدى وقوله تعالى
نكالا مفعول له ايضا على البدليّة من جزاء لانّهما من نوع واحد وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع
المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة فانّه علّة للجزاء والجزاء
علّة للقطع كما اذا قلت ضربته تاديبًا له احسانا اليه فان الضّرب معلّل بالتاديب والتّاديب
معلل بالاحسان وقد اجاز وا فى قوله تعالى عزّ وجل ان يكفروا بما انزل الله بغيًا ان ينزّل الله على
من يشاء من عباده ان يكون بغيًا مفعولا ناصبه ان يكفروا وثم قالوا ان قوله تعالى ان ينزّل الله
مفعول له ناصبه بغيًا على ان التنزيل علّة للبغى والبغى علة للكفر وقوله تعالى **من الله** متعلق بمحذوف
وقع صفة لنكالا اى نكالا كائنا منه تعالى **والله عزيز** غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير
نّد ينازعه ولا ضدّ يمانعه **حكيم** فى شرايعه لا يحكم الّا بما يقتضيه الحكمة والمصلحة ولذلك شرع
هذه الشرايع المنطوية على فنون الحكم والمصالح **فمن تاب** من السّراق الى الله تعالى **من بعد ظلمه**
الذى هو سرقته والتصريح به مع ان التّوبة لا يتصوّر قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته
واصلح اى امره بالتّفصى عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة اليها **فانّ الله يتوب عليه**
اى يقبل توبته فلا يعذّبه فى الآخرة وامّا القطع فلا يسقطه التّوبة عندنا لان فيه حقّ المسروق منه
ويسقط عند الشّافعى فى احد قوليه **انّ الله غفور رحيم** مبالغ فى المغفرة والرحمة ولذلك يقبل
توبته وهو تعليل لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلّة الحكم وتاييد استقلال الجملة وكذا
فى قوله عزّ وجلّ **الم تعلم انّ الله له ملك السّموات والارض** فانّ عنوان الالوهيّة مدار احكام
ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السّموات والارض مبتداء والجملة خبر لانّ وهى مع ما فى
خبرها ساد مسدّ مفعولى تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلّم بطريق التّلوين وقيل لكل احد صالح للخطاب والاستفهام الانكارىّ
لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما سياتى من التّعذيبة والمغفرة على
ابلغ وجه واتمه اى الم تعلم انّ الله له السّلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التّامّة
على التّصرف الكلّى فيهما وفيما فيهما ايجادا واعدامًا واحياءً واماتةً الى غير ذلك حسبما يقتضيه مشيّته
يعذّب من يشاء ان يعذّبه **ويغفر لمن يشاء** ان يغفر له من غير نّد يساهمه ولا ضدّ يزاحمه و
تقديم التّعذيب على المغفرة لمراعات ما بين اسميهما من التّرتيب والجملة امّا تقرير لكون ملكوت

السموات والارض له سبحانه او خبر اخر لان والله على كل شىء قدير فيقدر على ما ذكر من التعذيب
والمغفرة والاظهار فى موضع الاضمار لما مر مرارًا والجملة تذييل مقرر لما قبلها يا ايها الرسول
لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار
بما يوجب عدم الحزن والمسارعة فى الشئ الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة فى على كلمة الى الواقعة
فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الخ للايماء الى انهم مستقرون فى الكفر لا يبرحونه
وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض اخر منها كاظهار موالاة المشركين
وابراز اثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما فى قوله تعالى اولئك يسارعون فى الخيرات فانهم
مستمرون على الخير مسارعون فى انواعه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما فى حيز صلته
الى مدار الحزن وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيًا للكفرة عن ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم
فى الكفر لكنه فى الحقيقة نهى له عليه السلام عن التاثر من ذلك والمبالاة به على ابلغ وجه واكده
فان النهى عن اسباب الشئ ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وقلع له من اصله وقد
يوجه النهى الى المسبب ويراد به النهى عن السبب كما فى قوله لا اربنك ههنا يريد نهى مخاطبه عن
الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاء وقرئ يسرعون يقال اسرع
فيه الشيب اى وقع فيه سريعًا اى لا تحزن ولا تبال بتهافتهم فى الكفر بسرعة وقوله تعالى ومن
الذين قالوا امنا بافواههم بيان للمسارعين فى الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون
وقيل من الموصول اى كائنين من الذين الخ والباء متعلقة بقالوا لا بامنا وقوله تعالى ولم تؤمن
قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله ومن الذين هادوا عطف
على من الذين قالوا الخ وبه يتم بيان المسارعين فى الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود
فقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتدأ محذوف راجع الى الفريقين او الى المسارعين واما رجوعه
الى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الاتى ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله تعالى
ومن الذين الخ خبرا على ان قوله سماعون صفة لمبتدأ محذوف اى ومنهم قوم سماعون الخ لادائه
الى اختصاص ما عدد من القبايح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية بهم فالوجه
ما ذكر اولا اى هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما لام كى
والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون فى سماع الكذب او فى قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على
الله سبحانه وتحريف كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا فيها بان يمسخوها بالزيادة و
النقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا
بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضرر بهم واياما كان فالجملة مستانفة جارية
مجرى التعليل للنهى فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه وابتناء امورهم على ما لا اصل من الاباطيل
والاراجيف مما يقتضى عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور

بطلان

بطلان اكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الافاعيل الفاسدة المؤدية الى الخزى والعذاب كما سيأتى
وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى سماعون لقوم اخرين خبر ثان للمبتدأ
المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام مثل ما فى سمع الله
لمن حمده فى الرجوع الى معنى من اى قبل منه حمده والمعنى مبالغون فى قبول كلام قوم اخرين واما كونها
لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه السلام لاجل قوم اخرين وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه
عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثانى مكرر للتاكيد بمعنى سماعون ليكذبوا
لقوم اخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى لم ياتوك صفة اخرى لقوم اى
لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا فى البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة
وقوله تعالى يحرفون الكلم من بعد مواضعه صفة اخرى لقوم وصفوا اولا بمغايرتهم للسماعين
تنبيها على استقلالهم واصالتهم فى الراى والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول صلى الله عليه
وسلم ايذانا بكمال طغيانهم فى الضلال ثم باستمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم فى العتو والمكابرة
والاجتراء على الافتراء على الله عز وجل وتعيينا للكذب الذى سمعه السماعون اى يميلونه ويزيلونه
عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما حمله على غير المراد
واجرائه فى غير مورده وقيل الجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر
مبتدأ محذوف راجع الى القوم وقوله تعالى يقولون كالجملة السابقة فى الوجوه المذكورة ويجوز
ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونهما صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه مما لا سبيل
اليه اصلا كيف لا وان نقول القول ناطق بان قائله ممن لا يحضر مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم
والمخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن ان يقوله السماعون المترددون اليه عليه السلام لمن لا يحوم
حوله قطعا وادعاء قول السماعين لاعقابهم المخاطبين للمسلمين تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم
الكريم والحق الذى لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الاخرون اى يقولون لاتباعهم
السماعين لهم عند القائهم اقاويلهم الباطلة ومشيرين الى كلامهم الباطل ان اوتيتم من جهة
الرسول صلى الله عليه وسلم هذا فخذوه واعملوا بموجبه فانه الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم
غيره فاحذروا اى فاحذروا قبوله واياكم واياه وفى ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من
المبالغة فى التحذير ما لا يخفى روى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم
فى التورية فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسالوا رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا
الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم
ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون شابا ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن
صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودى على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران فى التوراة قال

فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا فقال نعم فقال عليه
السلام وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم اترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر وانجاكم واغرق آل فرعون
وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم التوراة فيها حلاله و
حرامه هل تجدون فى كتابكم الرجم على من احصن قال نعم والذى ذكرتنى به لولا خشيت ان يحرقنى
التوراة ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هى فى كتابك يا محمد قال عليه السلام
اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل فى المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن
صوريا والذى انزل التورية على موسى هكذا انزل الله فى التورية على موسى فوثب عليه سفلة اليهود
فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء
كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبى الامى العربى
الذى بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد
ومن يرد الله فتنته اى ضلالته او فضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا
اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشعار بكمال ظهوره واستغنائه عن ذكره **فلن تملك له** فلن
تستطيع له **من الله شيئا** فى دفعها والجملة مستانفة مقررة لما قبلها ومبينة انفكاكهم من القبايح
المذكورة ابدا **اولئك** اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما فى اسم الاشارة من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم فى الفساد وهو مبتداء خبره قوله تعالى **الذين لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم** اى من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف
اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة فى الكفر اولا وشرح فنون ضلالتهم
آخرا والجملة استيناف مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم
الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء **لهم فى الدنيا خزى** اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم
وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزى اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور
كذبهم فى كتمان نص التورية وتنكير خزى للتفخيم وهو مبتداء ولهم خبره وفى الدنيا متعلق بما تعلق
به الخبر من الاستقرار وكذا الحال فى قوله تعالى **ولهم فى الآخرة** اى مع الخزى الدنيوى **عذاب عظيم**
هو الخلود فى النار وضمير لهم فى الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكريرلهم
مع اتحاد المرجع لزيادة التقرير والتاكيد والجملتان استيناف مبنى على سوال نشا من تفصيل افعالهم
واحوالهم الموجبة للعقاب كانه قيل فما لهم فى العقوبة فقيل لهم فى الدنيا الاية **سماعون للكذب**
خبراخر للمبتداء المقدر كرر تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى **اكالون للسحت**
وهو ايضا خبراخر للمقدر وارد على طريقة التذم او بناء على ان المراد بالكذب ما يفعله الراشون
عند الآكلين والسحت بضم السين وسكون الحاء فى الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقا

من سحته اذا استاصله سمى به لانه مسحوت البركة والمراد به ههنا اما الرشى التى كان ياخذها المحرفون
على تحريفهم وساير احكامهم الزائفة وهو المشهور او ما كان ياخذه فقراؤهم من اغنيائهم من المال
ليقيموا على اليهودية كما قيل او مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ للسحت بضم السين والحاء
وبكسر السين وسكون الحاء وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به **فان
جاؤك** لما بين تفاصيل امورهم الواهية واحوالهم المختلة الموجبة لعدم المبالاة بهم وبافاعيلهم
حسبما امر به عليه السلام خوطب عليه السلام ببعض ما يبتنى عليه من الاحكام بطريق التفريع
والفاء فصيحة اى واذا كان حالهم كما شرح فان جاؤك متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من الخصومات
فاحكم بينهم او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم اصلا وهذا كما ترى تخيير له
عليه السلام بين الامرين فقيل هو فى امر خاص هو ما ذكر من زنا المحصن وقيل فى قتيل قتل
من اليهود فى بنى قريظة والنظير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بنو قريظة اخواننا
بنو النظير ابونا واحد وديننا واحد ونبينا واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا
سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من
تمر وان كان القتيل امراة قتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا
فاقض بيننا فجعل عليه السلام الدية سواء وقيل هو عام فى جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن
قائل انه ثابت وهو المروى عن عطاء والنخعى والشعبى وقتاده وابى بكر الاصم وابى مسلم وقائل انه
منسوخ وهو قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا آيتان
قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين كافة وقوله تعالى فان جاؤك
فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وعليه مشايخنا **وان
تعرض عنهم** بيان لحال الامرين اثر تخييره عليه السلام بينهما وتقديم حال الاعراض للمسارعة الى
بيان ان لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه عليه السلام الا لطلب
الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فيشتد عداوتهم ومضارتهم
له عليه السلام فامنه الله عز وجل بقوله **فلن يضروك شيئا** من الضرر فان الله عاصمك من
الناس **وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط** بالعدل الذى امرت به كما حكمت بالرجم **ان الله يحب
المقسطين** ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل مكروه ومحذور **وكيف يحكمونك وعندهم التورية
فيها حكم الله** تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه فى
كتابهم الذى يدعون الايمان به وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما
طلبوا به ما هو اهون عليهم وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التورية
حال من فاعل يحكمونك وقوله تعالى فيها حكم الله حال من التورية ان جعلت مرتفعة بالظرف
وان جعلت مبتدا فهو حال من ضميرها المستكن فى الخبر وقيل استيناف مسوق لبيان ان عندهم

مايفيئهم عن التحكيم وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث فى كلامهم لكومات ودودات ثم يتولون عطف
على يحكمونك داخل فى حكم التعجيب وثم للتراخى فى الرتبة وقوله تعالى من بعد ذلك اى من بعد
ماحكموك وتصريح بما علم قطعًا لتاكيد الاستبعاد والتعجيب اى ثم يعرضون عن حكمك الموافق
لكتابهم من بعد مارضوا بحكمك وقوله تعالى وما اولٓئك بالمؤمنين تذييل مقرر لفحوى ماقبله
ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم فى الذهن بما وصفوا به من القبايح ايماء
الى علة الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تميزه حتى انتظموا فى سلك الامور المشاهدة
ومافيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى العتو والمكابرة اى وما اولئك الموصوفون
بماذكر بالمؤمنين اى بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق له ثانيا اوبهما وقيل وما
اولئك بالكاملين فى الايمان تهكمًا بهم انا انزلنا التورية كلام مستانف سيق لبيان علو شان
التورية ووجوب مراعات احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدى بهم
كابرا من كابر مقبولة لكل احد من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف
به المحرفون من عدم ايمانهم بها وتقريرًا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدًى ونورٌ حال من
التورية فان مافيها من الشرايع والاحكام من حيث ارشادها للناس الى الحق الذى لامحيد عنه هدًى
ومن حيث اظهارها وكشفها مااستبهم من الاحكام ومايتعلق بهما من الامور المستورة بظلمات
الجهل نورٌ وقوله تعالى يحكم بها النبيون اى انبياء بنى اسرائيل وقيل موسى ومن بعده من
الانبياء جملة مستانفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز كونه حالا من التورية فيكون
حالا مقدرة اى يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب الى ان شريعة من
قبلنا شريعة لنا مالم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لمامر مرارا من الاعتناء بشان المقدم
والتشويق الى المؤخر ولان فى المؤخر ومايتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم
وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح
لكن لا للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعًا فيكون وصفهم بها
تنزلا من الاعلى الى الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراز وصف فى معرض مدح العظماء منبئ
عن عظم قدر الوصف لامحالة كما فى وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملئكة بالايمان عليهم السلام
ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود وبانهم
بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء عليهم السلام لاسيما مع ملاحظة ماوصفوا به فى
قوله تعالى للذين هادوا وهو متعلق بيحكم اى يحكمون فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم
بهم اعم ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا
باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم له كانه امر نافع لكلا الفريقين ففيه
تعريض بالمحرفين وقيل التقدير للذين هادوا وعليهم فحذف ماحذف لدلالة ماذكر عليه

وقيل

وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدًى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق بمحذوف
وقع صفة لهما اى هدى ونور كائنان للذين هادوا والربانيون والاحبار اى الزهاد والعلماء
من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضى الله عنهما
الربانيون الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحدهم
حبر بالفتح والكسر والثانى افصح وهو راى الفراء ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم
ويزينونه ويبينونه وهو عطف على النبيون اى هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم
بين المعطوفين للايذان بان الاصل فى الحكم بها وحمل الناس على مافيها هم النبيون وانما الربانيون
والاحبار خلفاء ونواب لهم فى ذلك كماينبئ عنه قوله تعالى بما استحفظوا اى بالذى استحفظوه
من جهة النبيين وهو التورية حيث سالوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل على الاطلاق
ولاريب فى ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم فى اجراء احكامها من غير اخلال بشئ منها وفى
الهامها اولا ثم بيانها بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة وتاكيد
ايجاب حفظها والعمل بما فيها مالايخفى وايرادها بعنوان الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها
عن التغيير من جهة الكتابة والباء داخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة له كالتى
فى قوله تعالى بها لئلا يلزم تعلق حرفى جر متحدى المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اى ويحكم الربانيون
والاحبار ايضا بسبب ماحفظوه من كتاب الله حسبما وصاهم به انبياؤهم وسالوهم ان يحفظوه
وليس المراد بسببيته لحكمهم ذلك سببيته من حيث الذات بل من حيث كونه محفوظا فان
تعليق حكمهم بالموصول مشعر بسببية الحفظ المترتب لامحالة على مافى حيز الصلة من الاستحفاظ
له وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها النبيون عطف جملة على جملة اى
ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذى سالهم انبياؤهم ان يحفظوه من التغيير وكانوا
عليه شهدآء اى رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه فتغير الاسلوب
لماذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو بعيد وكذا تجويز
كون الضمير فى استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعًا على ان الاستحفاظ من جناب الله
عز وجل اى كلفهم الله تعالى ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى فلا تخشوا الناس
خطاب لرؤساء اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم النهى بطريق الدلالة
دون العبارة والفاء لترتيب النهى على مافصل من حال التورية وكونها معتنى بشانها فيما بين الانبيا
ومن يقتدى بهم من الربانيين والاحبار المتقدمين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب الاجتناب
عن الاخلال بوظايف مراعاتها والمحافظة عليها باى وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير ولما كان
مدار اجترائهم على ذلك خشية ذى سلطان او رغبة فى الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحًا
اى اذا كان شانها كما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا فى مراعات احكامها وحفظها

بمن قبلكم من الانبياء واشياعهم **واخشون** فى الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف بالتعرض لها بسوء **ولا**
تشتروا باياتى الاشتراء استبدال السلعة بالثمن اى اخذها بدلا منه لا بدل الثمن لتحصيلها كما قيل
ثم استعير لاخذ شئ بدلا مما كان له معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ والاعراض عما اعطى ونبذ كما
فصل فى تفسير قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا باياتى التى
فيها بان تخرجوها منها او تتركوا العمل بها وتاخذوا لانفسكم بها **ثمنا قليلا** من الرشوة والجاه
وساير الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة فى نفسها لاسيما بالنسبة الى ما فات
عنهم بترك العمل بها وانما عبر عن المشترى الذى هو العمدة فى عقود المعاوضة والمقصد الاصلى
بالثمن الذى شانه ان يكون وسيلة لتحصيله وابرزت الايات التى حقها ان يتنافس فيها المتنافسون
فى معرض الالات والوسايط حيث قرنت بالباء التى تصحب الوسايل ايذانا بمبالغتهم فى التعكيس
بان جعلوا المقصد الاقصى وسيلة والوسيلة الادنى مقصدا **ومن لم يحكم بما انزل الله** كائنا
من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه اندراجا اوليا اى من لم يحكم بذلك
مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف ايات الله تعالى اقتضاء بينا **فاولئك**
اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها **هم الكافرون**
لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتداء ما بعده خبره والجملة خبر لاولئك وقد مر تفصيله
فى مطلع سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير عن الاخلال اشد
تحذير حيث علق فيه الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم اليه الحكم بخلافه لا
سيما مع مباشرة ما نهوا عنه من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء انه من عند الله ليشتروا
به ثمنا قليلا **وكتبنا** عطف على انزلنا التورية **عليهم** اى على الذين هادوا وقرى وانزل الله على
بنى اسرائيل **فيها** اى فى التورية **ان النفس بالنفس** اى تقاد بها اذا قتلها بغير حق **والعين**
تفقاء **بالعين** اذا فقيت بغير حق **والانف** يجدع **بالانف** المقطوع بغير حق **والاذن** تصلم **بالاذن**
المقطوعة ظلما **والسن** تقلع **بالسن** المقلوعة بغير حق **والجروح قصاص** اى ذات قصاص
اذا كانت بحيث يعرف المساواة وعن ابن عباس رض انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزلت
وقرى والعين الى آخره بالرفع عطفا على محل ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس بالنفس
اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التى هى قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب
كما يقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرات سورة انزلناها **فمن تصدق** اى من المستحقين
به اى بالقصاص اى فمن عفا والتعبير عنه بالتصدق للمبالغة فى الترغيب فيه **فهو** اى التصدق
كفارة له اى للمتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجانى اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط
عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له اى فالمتصدق كفارته التى يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها
شئ وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله **ومن لم يحكم** كائنا من كان فيتناول من لا يرى

قتل

قتل الرجل بالمراة من اليهود تناولا بينا **بما انزل الله** من الاحكام والشرائع كائنا ما كان فيدخل
فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا **فاولئك هم الظالمون** المبالغون فى الظلم المتعدون لحدوده
تعالى الواضعون للشئ فى غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب العمل بالاحكام المذكورة **وقفينا**
على آثارهم شروع فى بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التورية وهو عطف على انزلنا التورية
اى آثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اذا اتبعته اياه فحذف المفعول لدلالة الجار و
المجرور عليه اى قفيناهم **بعيسى بن مريم** اى ارسلناه عقيبهم **مصدقا لما بين يديه من**
التورية حال من عيسى عليه السلام **وآتيناه الانجيل** عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزه **فيه**
هدى ونور كما فى التورية وهو فى محل النصب على انه حال من الانجيل اى كائنا فيه ذلك كانه قيل
مشتملا على هدى ونور وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج عطف على مصدقا منتظم معه فى سلك
الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى وتخصيص كونه هدى
وموعظة بالمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه **وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله**
فيه امر مبتداء لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التى من جملتها دلايل رسالته صلى الله
عليه وسلم وشواهد نبوته وما قرره الشريعة من احكامه واما احكامه المنسوخة فليس الحكم بها
حكما بما انزل الله فيه بل ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته
بصحة ما ينسخها من الشريعة شهادة بنسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التى شهد بصحتها
كما سياتى فى قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم على شئ حتى تقيموا التورية والانجيل الاية وقيل هو
حكاية للامر الوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه اى وقلنا ليحكم اهل الانجيل الخ وقرئ
وان ليحكم على ان ان موصولة بالامر كما فى قولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا
بان يحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه وقد عطف على هدى وموعظة على انهما مفعول
لهما كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل الله فيه **ومن لم يحكم بما انزل**
الله منكرا له مستهينا به **فاولئك هم الفاسقون** المتمردون الخارجون عن الايمان والجملة
تذييل مقرر لمضمون الجملة السابقة ومؤكد بوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على ان الانجيل
مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مامورا بالعمل بما فيه من الاحكام
قلت او كثرت لا بما فى التورية خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام
التورية خلاف الظاهر **وانزلنا اليك الكتاب** اى الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق
لحيازته جميع الاوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوى وتفوقه على بقية افراده وهو القرآن
الكريم فاللام للعهد والجملة عطف على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى **بالحق** متعلق بمحذوف
وقع حالا مؤكدة من الكتاب اى ملتبسا بالحق والصدق وقيل من فاعل انزلنا وقيل من الكاف
فى اليك وقوله تعالى **مصدقا لما بين يديه** حال من الكتاب اى حال كونه مصدقا لما تقدمه

وقد ذلك شواهد نبوته صلعم ومصدقا لما بين يديه من التورية عطف عليه داخل فى حكمه [illegible] وهدى وموعظة للمتقين

امّا من حيث انّه نازل حسبما نعت فيه او من حيث انّه موافق له فى القصص والمواعيد والدّعوة
الى الحقّ والعدل بين النّاس والنّهى عن المعاصى والفواحش وامّا ما يترائ من مخالفته له فى بعض
جزئيات الاحكام المتغيّرة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة فى الحقيقة بل هى موافقة لها
من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق بالاضافة الى عصره متضمّن للحكمة التى عليها يدور امر الشريعة
وليس فى المتقدم دلالة على ابديّة احكامه المنسوخة حتى يخالفه النّاسخ المتاخّر وانّما يدلّ على
مشروعيتها مطلقا من غير تعرّض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما ان النّطق
بصحّة ما ينسخها نطق بنسخها وزوالها وقوله تعالى من الكتاب بيان لما واللام للجنس اذ المراد
هو الكتاب السّماوى وهو بهذا العنوان جنس براسه وان كان فى نفسه نوعا مخصوصا من
مدلول لفظ الكتاب وعن هذا قالوا اللام للعهد الّا ان ذلك لا ينتهى الى خصوصيّة الفرديّة
بل الى خصوصيّة النّوعيّة الّتى هى اخصّ من مطلق الكتاب وهو ظاهر ومن الكتاب السّماوى ايضا
حيث خصّ بما عدا القران ومهيمنا عليه اى رقيبا على ساير الكتب المحفوظة عن التغيير لانّه
يشهد لها بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعها وما يتابّد من فروعها ويبيّن احكامها
المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب
فى ان تميز احكامها الباقية على المشروعيّة ابدا عما انتهى وقت مشروعيّته وخرج عنها من احكام
كونه مهيمنا عليها وقرئ ومهيمنا عليه على صيغة المفعول اى مؤمن عليه وحفظ من التغيير
والتبديل كقوله عزّ وجل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والحافظ امّا من جهته تعالى
كما فى قوله تعالى انّا نحن نزّلنا الذّكر وانّا له لحافظون او الحفّاظ فى الاعصار والامصار والفاء
فى قوله فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القران العظيم حقا مصدقا لما قبله
من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه من موجبات الحكم المامور به اى اذا كان شان القران
كما ذكر فاحكم بين اهل الكتابين عند تحاكمهم اليك بما انزل الله اى بما انزله اليك فانه مشتمل
على جميع الاحكام الشرعيّة الباقية فى الكتب الالهيّة وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم
ووضع الموصول موضع الضّمير للتنبيه على عليّة ما فى حيّز الصّلة للحكم والالتفات باضمار الاسم
الجليل لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم ولا تتّبع اهواءهم الزائغة عمّا جاءك من الحقّ الذى
لا محيد عنه وعن متعلقة بلا تتبع على تضمين معنى العدول ونحوه كانه قيل لا تعدل عمّا جاءك
من الحقّ متبعا اهواءهم وقيل بمحذوف وقع حالا من فاعله اى لا تتبع اهواءهم عادلا عمّا جاءك
وفيه ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع الموصول موضع ضمير الموصول الاوّل للايماء
بما فى حيّز الصّلة من مجئ الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء وقوله تعالى لكلّ جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا كلام مستانف جئ به لحمل اهل الكتابين من معاصريه عليه السّلام على الانقياد
لحكمه عليه السلام بما انزل اليه من القران الكريم ببيان انه هو الذى كلّفوا العمل به دون غيره

من الكتابين

من الكتابين وانّما الّذين كلّفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق التلوين
والالتفات للنّاس كافة لكن لا للموجودين خاصّة بل للماضين ايضا بطريق التّغليب واللّام متعلّقة
بجعلنا المتعدّى لواحد وهو اخبار بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف
وقع صفة لما عوّض عنه تنوين كلّ ولا ضير فى توسّط جعلنا بين الصّفة والموصوف كما فى قوله تعالى اغير الله
اتّخذ وليا فاطر السّموات الخ والمعنى لكلّ امّة كائنة منكم ايها الامم الباقية والخالية جعلنا اى عينا
ووضعنا شرعة ومنهاجا خاصّين بتلك الامّة لا تكاد امّة تتخطّى شرعتها التى كانت من مبعث موسى
عليهما السّلام شرعتهم التّورية الى مبعث عيسى والتى كانت من مبعث عيسى الى مبعث النبى عليهما الصّلوة
والسلام شرعتهم الانجيل وامّا انتم ايها الموجودون فشرعتكم الفرقان ليس الّا فامنوا به واعملوا بما فيه
والشرعة والشّريعة هى الطّريقة الى الماء شبّه بها الدّين لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحيوة
الابدية كما انّ الماء سبب للحيوة الفانية والمنهاج الطّريق الواضح فى الدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة
بفتح الشين قيل فيه دليل على ان غير متعبّدين بشرايع من قبلنا والتّحقيق انّا متعبّدون باحكامها
الباقية من حيث انّها احكام شرعتنا لا من حيث انها شرعة للاوّلين ولو شاء الله لجعلكم امّة
واحدة متفقة على دين واحد فى جميع الاعصار من غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم
فى شئ من الاحكام الدينيّة ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشيّة محذوف تعويلا على دلالة الجزاء
عليه اى لو شاء الله ان يجعلكم امّة واحدة لجعلكم وقيل المعنى لو شاء الله اجتماعكم على الاسلام
لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم متعلّق بمحذوف يستدعيه النّظام اى ولكن لم يشأ ذلك اى ان
يجعلكم امّة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهيّة الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من يبتليكم
فيما آتاكم من الشرايع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين
ان اختلافها بمقتضى المشيّة الالهيّة المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النّافعة لكم فى معاشكم
ومعادكم او تزيغون عن الحقّ وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرّة بالجدوى وتشترون الضّلالة
بالهدى وبهذا اتضح انّ مدار عدم المشيّة المذكورة ليس مجرّد الابتلاء بل العمدة فى ذلك ما اشير
اليه من انطواء الاختلاف على ما فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عزّ وعلا فاستبقوا
الخيرات اى اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا الى ما هو خير لكم فى الدّارين من العقايد الحقة والاعمال
الصّالحة المندرجة فى القران الكريم وابتدروها انتهازا للفرصة واحرازا لسابقة الفضل والتقدم
ففيه من تاكيد التّرغيب فى الاذعان للحقّ وتشديد التحذير عن الزّيغ ما لا يخفى وقوله تعالى الى الله
مرجعكم استيناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد والوعيد وقوله
تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدرى وفعل مبنى
للفاعل او مبنى للمفعول وامّا الاستقرار المقدّر فى الجار فينبّئكم بما كنتم فيه تختلفون اى
فيفعل بكم من الجزاء الفاصل بين المحقّ والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم تختلفون

فيه فى الدنيا وانّما عبّر عن ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التى هى وظيفة الاخبار
وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبّع اهوآءهم عطف على الكتاب اى انزلنا عليك الكتاب
والحكم بمافيه والتعرّض لعنوان انزاله تعالى اياه لتاكيد وجوب الامتثال بالامر او على الحق اى
انزلناه بالحقّ وبان احكم وحكاية انزال الامر بهذا الحكم بعد مامرّ من الامر التصريح بذلك تاكيد له
وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك
اى يصرفوك عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحقّ واظهار الاسم الجليل لتاكيد
الامر بتهويل الخطب وان بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اى احذر فتنتهم او مفعول له اى احذرهم
مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله لتاكيد التحذير بتهويل الخطب روى ان احبار اليهود قالوا
اذهبوا بنا الى محمد فلعلّنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد
عرفت احبار اليهود وانا ان اتّبعناك اتّبعتنا كلّهم وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك
فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدّقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنزلت فان تولّوا اى اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى واراد وا غيره فاعلم انّما يريد الله
ان يصيبهم ببعض ذنوبهم اى بذنب توليهم عن حكم الله عزّ وجل وانّما عبّر عنه بذلك ايذانا بان
لهم ذنوبا كثيرة هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفى هذا الابهام تعظيم للتولى كما فى قول لبيد
او يربط بعض النّفوس حمامها يريد به نفسه اى نفسا كبيرة ونفسا اىّ نفس وانّ كثيرا
من النّاس لفاسقون اى متمرّدون فى الكفر مصرّون عليه خارجون من الحدود المعهودة وهو اعتراض
تذييلى مقرّر لمضمون ما قبله افحكم الجاهليّة يبغون انكار وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف
على مقدّر يقتضيه المقام اى ايتولّون عن حكمك فيبغون حكم الجاهليّة وتقديم المفعول للتخصيص
المفيد لتاكيد الانكار والتعجيب لانّ التولى عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب حكم آخر منكر عجيب
وطلب حكم الجاهليّة اقبح واعجب والمراد بالجاهليّة اما الملّة الجاهليّة التى هى متابعة الهوى الموجبة
للميل والمداهنة فى الاحكام فيكون تعيير اليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون حكم الجاهليّة
التى هى هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحى واما اهل الجاهليّة وحكمهم ما كانوا
عليه من التفاضل فيما بين القتلى حيث روى ان بنى النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى خصومة قتل دفعت بينهم وبين قريظة طلبوا اليه عليه السّلام ان يحكم بينهم بما كان عليه اهل
الجاهليّة من التفاضل فقال عليه السلام القتلى بواء فقال بنوا النّضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت
وقرى برفع الحكم على انّه مبتداء ويبغون خبره والرّاجع محذوف حذفه فى قوله تعالى اهذا الذى بعث
الله رسولا وقد استضعف ذلك فى غير الشّعر وقرئ بتاء الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما
بتقدير القول اى قل لهم افحكم الخ وقرئ بفتح الحاء والكاف اى فحاكما كحكام الجاهليّة يبغون ومن احسن
من الله حكما انكار لان يكون احد حكمه احسن من حكمه تعالى او مساو له وان كان ظاهر السّبك

غير

غير متعرض لنفى المساوات وانكارها وقد مرّ تفصيله فى تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممّن اسلم وجهه
لله لقوم يوقنون اى عندهم واللام كما فى هيت لك اى هذا الاستفهام لهم فانّهم الذين يتدبّرون الامور
بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عزّ وجلّ احسن الاحكام واعدلها يا ايّها الّذين امنوا خطاب
يعمّ حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان كان سبب وروده بعضا منهم كما سياتى ووصفهم
بعنوان الايمان لحملهم من اوّل الامر على الانزجار عمّا نهوا عنه بقوله عزّ وجل لا تتّخذوا اليهود
والنّصارى اولياء فان تذكير اتصافهم بضدّ صفات الفريقين من اقوى الزّواجر عن موالاتهما اى لا يتخذ
احد منكم احدا منهم وليّا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافات الاحباب ومعاشرتهم لا بمعنى لا
تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانّه امر ممتنع فى نفسه لا يتعلّق به النّهى بعضهم اولياء بعض اى بعض
كلّ فريق من دينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وانّما اوثر الاجمال
فى البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالات بين فريقى اليهود والنصارى راسا والجملة مستانفة
مسوقة لتعليل النّهى وتاكيد ايجاب الاجتناب عن المنهى عنه اى بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة
واحدة فى كل ما ياتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل عن مضادّتكم ومضارّتكم بحيث يسومونكم
السوء ويبغونكم الغوائل فكيف يتصوّر بينكم وبينهم موالات وقولى تعالى ومن يتولّهم منكم
فانّه منهم حكم مستنتج منه فانّ انحصار الموالات فيما بينهم يستدعى كون من يواليهم من المؤمنين
تعيّن ان يكون ذلك بكون من يواليهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن اظهار صورة الموالات
لهم وان لم تكن موالاة فى الحقيقة وقوله تعالى انّ الله لا يهدى القوم الظّالمين تعليل لكون من يتولّاهم
منهم اى لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشانهم فيقعون فى الكفر والضّلالة وانّما وضع المظهر موضع
ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انّه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشّئ فى غير موضعه وقوله
تعالى فترى الّذين فى قلوبهم مرض بيان لكيفيّة تولّيهم واشعار بسببه وبما يؤل اليه امرهم
والفاء للايذان بترتبه على عدم الهداية والخطاب امّا للرّسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين
واما لكلّ احد ممّن له اهليّة له وفيه مزيد تشنيع للتشنيع اى لا يهديهم بل يذرهم وشانهم فتراهم الخ
وانّما وضع موضع الضّمير الموصول ليشار بما فى حيّز صلته الى ان ما ارتكبوه من التولى بسبب ما فى
قلوبهم من مرض النّفاق ورخاوة العقد فى الدّين وقوله ويسارعون فيهم حال من الموصول والرّؤية
بصرية وقيل مفعول ثان والرّؤية قلبيّة والاول هو الانسب بظهور نفاقهم اى تراهم مسارعين
فى موالاتهم وانّما قيل فيهم مبالغة فى بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها وايثار كلمة فى على كلمة الى
للدّلالة على انّهم مستقرّون فى الموالات وانّما مسارعتهم فى بعض مراتبها اى بعض آخر منها كما فى قوله
تعالى اولئك يسارعون فى الخيرات لا انّهم خارجون عنها متوجّهون اليها كما فى قوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم وجنّة وقرى فيرى بياء الغيبة على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن يصحّ منه الرؤية
وقيل الفاعل هو الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية والرؤية قلبيّة اى ويرى

القوم الذين فى قلوبهم مرض ان يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما فى قول من
قال الا ايها الزاجرى احضر الوغا والمراد بهم عبد الله بن ابى واضرابه الذين كانوا يسارعون
فى موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون الى المؤمنين بانهم لا يؤمنون ان تصيبهم صروف
الزمان وذلك قوله تعالى **ويقولون نخشى ان تصيبنا دائرة** وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة
من الصفات الغالبة التى لا يذكر معها موصوفها اى يدور علينا دائرة من دوائر الدهر ودولة
من دولة بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من مكاره الدهر
الدهر كالجدب والقحط فلا يعطونا الميرة والقرض روى ان عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثير اعددهم وانى ابرا الى الله ورسوله من
ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال عبد الله بن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرا من ولاية موالى
وهم يهود بنى قينقاع ولعله يظهر للمؤمنين انه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويضمر فى نفسه المعنى
الاول وقوله عز وجل **فعسى الله ان ياتى بالفتح** رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم
الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطعم
لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان ياتى فى محل النصب على انه خبر عسى وهو راى الاخفش او
على انه مفعول به وهو راى سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث فى قولك عسى زيد ان
يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبى والسدى وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك
وقال قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين **او امر
من عنده** بقطع شافة اليهود من القتل والاجلاء **فيصبحوا** اى اولئك المنافقون المتعللون بما
ذكر وهو عطف على ياتى داخل معه فى حيز خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء
السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة **على ما اسروا فى انفسهم نادمين**
وهو ما كانوا يكتمونه فى انفسهم من الكفر والشك فى امره صلى الله عليه وسلم وتعليق الندامة به
لا بما كانوا يظهرونه من موالات الكفرة لما انه الذى كان يحملهم على الموالات ويغريهم عليها فدل
ذلك على ندامتهم عليها باصلها وسببها **ويقول الذين امنوا** كلام مبتداء مسوق لبيان كمال سوء
حال الطائفة المذكورة وقرى بغير واو على انه جواب سؤال نشأ مما سبق كانه قيل فماذا يقول
المؤمنون حينئذ وقرى ويقول بالنصب عطفا على ما يصبحوا وقيل على ياتى باعتبار المعنى كانه
قيل فعسى ان ياتى الله بالفتح ويقول الذين امنوا والاول اوجه لان هذا القول انما يصدر عن
المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح فقط والمعنى ويقول الذين امنوا مخاطبين
لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم ويظهرون لهم غاية المحبة
وعدم المفارقة عنهم فى السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس تقديرهم بوقوع
ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم **اهؤلاء الذين اقسموا**

باالله

بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم اى بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم
الاشارة مبتداء وما بعده خبره والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم فى ذلك او يقول بعض
المؤمنين لبعض مشيرين الى المنافقين ايضا اهؤلاء الذين اقسموا للكفرة انهم لمعكم فالخطاب فى معكم
لليهود على التقديرين الا انه على الاول من جهة المؤمنين وعلى الثانى من جهة المقسمين وهذه الجملة
لا محل لها من الاعراب لانها تفسير وحكاية لمعنى اقسموا لكن لا بالفاظهم والا لقيل انا معكم وجهد
الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد
ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالى بتعريفه لفظا لانه مؤول بنكرة اى مجتهدين
فى ايمانهم او على المصدر اى اقسموا اقسام اجتهاد فى اليمين وقوله تعالى **حبطت اعمالهم فاصبحوا
خاسرين** اما جملة مستانفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مال ما صنعوه من ادعاء الولاية والاقسام
على المعية فى المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانه بالاستفهام الانكارى واما خبر ثان للمبتدأ عند
من يجوز كونه جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى او هو الخبر والموصول مع ما فى حيز صلته صفة
لاسم الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجيب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم
والمعنى بطلت اعمالهم التى عملوها فى شان موالاتكم وسعوا فى ذلك سعيا بليغا حيث لم تكن لكم
دولة فينتفعوا بما صنعوا من المساعى وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين
والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض المؤمنين مخاطبا لبعض تعجبا من سوء حال المنافقين
واغتباطا لما من الله تعالى على انفسهم من التوفيق للاخلاص اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان
انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التى كانوا يتكلفونها فى راى اعين الناس
وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يليق بما لو اظهر المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا
يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك
على رؤس الاشهاد وبطلت اعمالهم التى كانوا يتكلفونها فى راى اعين المؤمنين ولا ريب فى انهم
يومئذ اشد ادعاء واكثر اقساما منهم قبل فضلا عن ان يظهروا خلاف ذلك وانما الذى يظهر
منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم فى ادعائهم فانهم
يدعون ان ليست ندامتهم الا على ما اظهروه من موالات الكفرة خشية اصابة الدائرة **يا ايها الذين
امنوا من يرتد منكم عن دينه** وقرئ يرتدد بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما
نهى فيما سلف عن موالات اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين
وفصل مصير امر من يواليهم من المنافقين شرع فى بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات
التى اخبر عنها القران قبل وقوعها روى انه ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلث فى عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسى كان كاهنا
تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب عليه السلام

الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدى فيروز الديلمى بيّته فقتله واخبر
بالوحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسُرّ به المسلمون وقبض عليه السلام من
الغد اتى خبره فى اخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبّأ وكتب الى رسول الله صلعم
من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى ونصفها لك فاجاب صلى الله
عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فانّ الارض لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضى الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدى وحشى قاتل حمزة
رضى الله عنه وكان يقول قتلت فى جاهليتى خير الناس وفى اسلامى شر الناس وبنو اسد قوم طليحة
بن خويلد تنبّأ فبعث ابو بكر رض خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام فاسلم وحسن اسلامه
وسبع فى عهد ابى بكر رض فزاره قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرّة بن سلمة القشيرى وبنو
سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وهو بر بوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر
المتنبّية التى زوّجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيهما يقول ابو العلاء المعرى فى كتاب استغفروا
ستغفرى امت سجاح ووالاها مسيلمة كذّابة فى بنى الدنيا وكذّاب وكندة قوم الاشعث ابن قيس
وبنو بكر بن وايل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على يدى ابى بكر وفرقة واحدة
فى عهد عمر رضى الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصّرته اللطمة وسيّرته الى بلاد الروم وقصّته
مشهورة وقوله عزّ وجل **فسوف ياتى الله** جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف اى فسوف
ياتى الله مكانهم بعد اهلاكهم **بقوم يحبهم** اى يريد بهم خيرى الدنيا والآخرة ومحلّ الجملة الجرّ على انها
صفة لقوم وكذا قوله تعالى **ويحبّونه** اى يريدون طاعته ويتحرّزون عن معاصيه معطوف عليها
داخل فى حكمها قيل هم اهل اليمن لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم اشار الى ابى موسى الاشعرى
وقال قوم هذا وقيل هم الانصار رض وقيل هم الفرس لما روى انه عليه السلام سئل عنهم فضرب
بيده الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلّقا بالثريا لناله رجال من
ابناء فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وثلثة الاف من افناء الناس جاهدوا
يوم القادسية **اذلّة على المؤمنين** جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل اى ارقاء رحماء متذللين ومتوا ضعين
لهم واستعماله بعلى اما لتضمين معنى العطف والحنوّ او للتنبيه على انهم مع علوّ طبقتهم وفضلهم على المؤمنين
خافضون لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة وبين ما فى قوله تعالى **اعزّة على الكافرين** اى اشدّاء متغلّبين
عليهم من عزه اذا غلبه كما فى قوله عزّ وعلا اشدّاء على الكفار رحماء بينهم وهما صفتان اُخريان لقوم ترك
بينهما العاطف للدّلالة على استقلالهم بالاتّصاف بكلّ منهما وفيه دليل على تاخير الصفة الصّريحة عن
غير الصّريحة من الجملة والظّرف كما فى قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما ياتيهم
من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوّز
من ان قوله تعالى يحبهم ويحبّونهم كلام معترض وان مبارك خبر بعد خبر او خبر لمبتداء محذوف وان

من ربهم ومن الرحمن حالان مقدّمتان من ضمير محدث تكلّف لا يخفى وقرئ اذلّة اعزّة بالنّصب على
على الحالية من قوم لتخصّصه بالصّفة **يجاهدون فى سبيل الله** صفة اخرى لقوم مترتّبة على ما قبلها
مبيّنة مع ما بعدها لكيفيّة عزّتهم او حال من الضّمير فى اعزّة **ولا يخافون لومة لائم** عطف
على يجاهدون بمعنى انّهم جامعون بين المجاهدة فى سبيل الله وبين التّصلب فى الدّين وفيه تعريض
بالمنافقين فانّهم اذا خرجوا فى جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئا
يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف
حال المنافقين واعترض عليه بانّهم نصّوا على انّ المضارع المنفى بلا او ما كالمثبت فى عدم جواز مباشرة
الواو الحال له واللّومة المرة من اللّوم وفيها وفى تنكير لائم مبالغة لا يخفى **ذلك** اشارة الى ما تقدّم
من الاوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها فى الفضل **فضل الله** اى لطفه
واحسانه لا انّهم مستقلّون فى الاتّصاف بها **يؤتيه من يشاء** ايتاءه ايّاه ويوفّقه لكسبه وتحصيله
حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة **والله واسع** كثير الفواضل والالطاف **عليم** مبالغ فى العلم بجميع
الاشياء التى من جملتها من هو اصل للفضل والتّوفيق والجملة اعتراض تذييلى مقرّر لما قبله واظهار
الاسم الجليل للاشعار بالعلّة تاكيد استقلال الجملة الاعتراضيّة **انّما وليّكم الله ورسوله**
والّذين امنوا لما نهاهم الله عزّ وجل عن موالات الكفرة وعلّله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصوّر
ولايتهم للمؤمنين وبين ان من يتولاهم يكون من جملتهم بيّن ههنا من هو وليّهم بطريق قصر الولاية
عليه كانّه قيل لا تتخذوهم اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انّما اولياؤكم الله
ورسوله والمؤمنون فاختصّوهم بالموالات ولا تتخطّوهم الى الغير وانّما افرد الولىّ مع تعدّده للايذان
بان الولاية اصالة لله تعالى وولايته عليه السّلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التّبعيّة لولايته
عزّ وجل **الّذين يقيمون الصّلوة ويؤتون الزّكوة** صفة للذين امنوا الجارى مجرى الاسم او بدل
منه او نصب على المدح او رفع عليه **وهم راكعون** حال من فاعل الفعلين اى يعملون ما ذكر من
اقامة الصّلوة وايتاء الزّكوة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة
بايتاء الزّكوة والرّكوع ركوع الصّلوة والمراد بيان كمال رغبتهم فى الاحسان ومسارعتهم اليه
وروى انّها نزلت فى على رضى الله عنه حين ساله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه كان مرجا
فى خنصره غير محتاج فى اخراجه الى كثير عمل يؤدى الى فساد الصّلوة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب النّاس
فى مثل فعله رض وفيه دلالة على ان صدقة التطوع تسمى زكوة **ومن يتول الله ورسوله والّذين**
امنوا اوثر الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية لما مرّ من نكتة بيان اصالته تعالى فى الولاية
كما ينبئ عنه قوله تعالى **فانّ حزب الله هم الغالبون** حيث اضيف الحزب اليه تعالى خاصة
وهو ايضا من باب وضع الظّاهر موضع الضّمير العائد الى من اى فانّهم الغالبون لكنّهم جعلوا حزب
الله تعالى تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم بالطّريق البرهانى كانه قيل ومن يتول هؤلاء فانّهم حزب الله

وحزب الله هم الغالبون **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزؤا ولعبا**
روى ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين
يؤادونهما فنهوا عن موالاتهما ورتب النهى على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة
وايذانا بان من هذا شانه جدير بالمعادات فكيف بالموالات **من الذين اوتوا الكتاب**
من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية
ضلالتهم لما ان ايتاء الكتاب وازع لهم عن استهزاء الدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم
والكفار اى المشركين خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الاول ففيه اشعار
بانهم ليسوا بمستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب فى قوله تعالى يا اهل الكتاب
هل تنقمون منا الاية وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابى ومن الكفار و
قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا فهم ايضا من جملة المستهزئين **اولياء** وجانبوهم كل المجانبة
واتقوا الله فى ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهى على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم
دخولا اوليا **ان كنتم مؤمنين** اى حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة **واذا ناديتم**
الى الصلوة اتخذوها اى الصلوة او المناداة ففيه دلالة على شرعية الاذان **هزؤا ولعبا** بيان
لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق اظهارا لكمال
شقاوتهم روى ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول
احرق الله الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار واهله نيام فتطايرت منها شرارة فى البيت
فاحرقته واهله جميعا **ذلك** اى الاستهزاء المذكور **بانهم** بسبب انهم **قوم لا يعقلون** فان
السفه يؤدى الى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل فى الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد نهى المؤمنين عن تولى المستهزئين
بان يخاطبهم ويبين ان الدين منزه عما يصحح صدور ما صدر عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم سبب
ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اى قل لاولئك الفجرة **يا اهل الكتاب** وصفوا باهلية الكتاب تمهيدا
لما سياتى من تبكيتهم والزامهم بكفرهم بكتابهم **هل تنقمون منا** من نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه
ينقم من حد ضرب وقرئ بفتح القاف من حد علم وهى ايضا لغة اى ما تعيبون وما تنكرون منا
الا ان امنا بالله وما انزل الينا من القران المجيد **وما انزل من قبل** اى من قبل انزاله من التورية
والانجيل المنزلين عليكم وساير الكتب الالهية **وان اكثركم فاسقون** اى متمردون خارجون
عن الايمان بما ذكر فان الكفر بالقران مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على ان امنا على انه
مفعول له لتنقمون والمفعول الذى هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة
واضحة فان اتخاذ الدين هزؤا ولعبا عين نقمه وانكاره والايمان بما فصل عين الدين الذى نقموه
خلا انه ابرز فى معرض علة نقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجبا النقمة

مع كونه فى نفسه موجبا لقبوله وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل اى ما تنقمون منا ديننا لعلة
من العلل الا لان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل من كتبكم ولان اكثركم متمردون
غير مؤمنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لامنتم به واسناد الفسق
الى اكثرهم لانهم الحاملون لاعقابهم على التمرد والعناد وقيل عطف عليه على انه مفعول لتنقمون
لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين بل هو ما يلزمهما من المخالفة كانه قيل ما تنقمون منا الا
مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه وقيل على حذف المضاف اى واعتقاد ان
اكثركم فاسقون وقيل عطف على ما اى ما تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وبانكم
فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة اى لقلة انصافكم ولان اكثركم فاسقون وقيل الواو
بمعنى مع اى ما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم الخ وقيل هو منصوب بفعل مقدر دل
عليه المذكور اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتداء والخبر محذوف
اى وفسقكم معلوم او ثابت والجملة حالية او معترضة وقرئ بان المكسورة والجملة مستانفة
مبينة لكون اكثرهم فاسقين متمردين **قل هل انبئكم بشر من ذلك** لما امر صلى الله عليه
وسلم بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان مدار نقمهم للدين انما هو اشتماله على ما يوجب ارتضاءه عندهم
ايضا وكفرهم بما هو مسلم لهم امر عليه السلام عقيبه بان يبكتهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب
حقيقة ما هم عليه من الدين المحرف وينعى عليهم فى ضمن البيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها
وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد و
يخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شان المبين ويستدعى اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية
المشوقة الى المخبر به والتنبيه المشعر بكونه امرا خطيرا لما ان النبا هو الخبر الذى له شان وخطر
وحيث كان مناط النقم شرية المنقوم حقيقة واعتقادا وكان مجرد النقم غير مفيد لشريته البتة قيل
بشر من ذلك ولم يقل بانقم من ذلك تحقيقا للشرية ما سيذكر وزيادة تقرير لها وقيل انما قيل
ذلك لوقوعه فى عبارة المخاطبين حيث اتى نفر من اليهود فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن دينه فقال عليه السلام اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر
عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم وانما اعتبر الشرية بالنسبة الى الدين وهو منزه عن
شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد على كمال شريته لثبت ان دينهم شر
من كل شر اى هل اخبركم بما هو شر فى الحقيقة مما تعتقدونه شرا وان كان فى نفسه خيرا محضا **مثوبة**
عند الله اى جزاء ثابتا فى حكمه وقرئ مثوبة وهى لغة فيها كمشورة ومشورة وهى مختصة بالخير
كما ان العقوبة مختصة بالشر وانما وضعت ههنا موضعها على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع
ونصبها على التميز من بشر وقوله عز وجل **من لعنه الله وغضب عليه** خبر لمبتدا محذوف بتقدير
مضاف قبلها مناسب لمن اى بشر من اهل ذلك والجملة على التقديرين استيناف وقع جوابا

عن سؤال نشاء من الجملة الاستفهامية اما على حالها وهو الظاهر المناسب لسياق النظم الكريم واما
باعتبار التقدير فيها فكانه قيل ما الذى هو شر من ذلك فقيل هو دين من لعنه الله الخ وقيل
فى السؤال من ذا الذى هو شر من اهل ذلك فقيل هو من لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع
الضمير لتربية المهابة وادخال الروع وتهويل امر اللعن وما تبعه والموصول عبارة عن
المخاطبين حيث ابعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم فى المعاصى بعد
وضوح الايات وسنوح البينات وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ اى مسخ بعضهم قردة وهم اصحاب
السبت وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين فى اصحاب السبت
مسخت شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وجمع الضمير الراجع الى الموصول فى منهم باعتبار معناه
كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه وايثار وضعه موضع ضمير الخطاب المناسب لانبئكم
للقصد الى اثبات الشرية بما عدد فى حيز صلته من الامور الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية
مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ عطف على صلة من وافراد الضمير للمراعاة
وكذا عُبِدَ الطاغوت على قراءة بناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بمعنى صار
معبودا فالراجع الى الموصول محذوف على القراءتين اى عبد فيهم او بينهم وتقديم اوصافهم المذكورة
بصدد اثبات شرية دينهم على وصفهم هذا مع الاصل المستتبع لها فى الوجود وان دلالته على شريته
بالذات لان عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلالتها عليها بطريق الاستدلال
بشرية الاثار على شرية ما يوجبها من الاعتقاد والعمل انما تنكيتهم للقصد الى من اول الامر بوصفهم
بما لا سبيل لهم الى الجحود لا بشريته وفظاعته ولا باتصافهم به واما للايذان باستقلال كل من
المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو روعى ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت
ولعنه الله وغضب عليه الى آخره لربما فهم ان علة الشرية هو المجموع وقد قرئ عابد الطاغوت
بالاضافة على انه نعت كفطن ويقظ وكذا عبدة الطاغوت وكذا عَبُدَ الطاغوت بالاضافة على انه
جمع عابد كخدم او على ان اصله عبدة حذفت تاؤه للاضافة بالنصب فى الكل عطفا على القردة و
الخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على من بناء انه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل
ان من مجرور وعلى انه بدل من شر على احد الوجهين المذكورين فى تقدير المضاف وانت خبير بان
ذلك مع اقتضائه اخلاء النظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة
ان المقصود الاصلى ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هى كما مر مقدمة سيقت امام المقصود لهز
المخاطبين وتوجيه اذهانهم نحو تلقى ما يلقى اليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة فى الكيفية للسؤال
الناشى منها وهو المقصود افادته وعليه يدور فلك الالزام والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل
الموصول بما فى حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية فاين الذى يلقى اليهم عقيبها جوابا عما نشأ
منها من السؤال ليحصل به الالزام والتبكيت واما الجملة الآتية فبمعزل من صلاحية الجواب كيف لا ولابد

من موافقته

من موافقته فى الكيفية للسؤال الناشى من الجملة الاستفهامية وقد عرفت ان السؤال الناشى منها يستدعى
وقوع الشر من تتمة المخبر عنه لا خبرا كما فى الجملة المذكورة وسيتضح ذلك مزيد اتضاح باذن الله تعالى
والمراد بالطاغوت العجل وقيل هو الكهنة وكل من اطاعوه فى معصية الله عز وجل فيعم الحكم دين النصارى
ايضا ويتضح وجه تاخير ذكر عبادته عن العقوبات المذكورة اذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الفريقين
فى تلك العقوبات ولما كان مآل ما ذكر بصدد التبكيت ان ما هو شر مما نقموه دينهم او ان من هو شر
من اهل ما نقموه انفسهم بحسب ما قدر من المضافين وكانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع
غير مقصودة الاثبات لدينهم او لانفسهم عقب ذلك باثباتها لهم على وجه يشعر بعلية ما ذكر
من القبايح لثبوتها لهم بجملة مستانفة مسوقة من جهته تعالى شهادة عليهم بكمال الشرارة والضلال
او داخلة تحت الامر تاكيدا للالزام وتشديدا للتبكيت فقيل أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا فاسم الاشارة
عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الشرارة اى اولئك
الموصوفون بتلك القبايح والفضايح شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ فى الدلالة على شرارتهم
وقيل شر مكانا اى منصرفا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ عطف على شر مقرر له اى اكثر ضلالا
عن الطريق المستقيم وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم
فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل فى الموضعين للزيادة مطلقا
لا بالاضافة الى من يشاركهم فى اصل الشرارة والضلال وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا نزلت فى ناس من
اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له ومن عنده من المسلمين اذا جاؤكم اظهروا الاسلام وَقَدْ دَخَلُوا
وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ اى يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك
والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا وقد وان دخلت لتقريب
الماضى من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا بما فيها من معنى التوقع ان امارات النفاق كانت
لائحة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى ولذلك قيل وَاللَّهُ أَعْلَمُ
بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ اى من الكفر وفيه وعيد شديد لهم وَتَرَى خطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية كَثِيرًا مِنْهُمْ من اليهود والمنافقين وقوله
تعالى يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاولى انسب بحالهم
وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة والمباشرة للشئ بسرعة وايثار كلمة فى على كلمة الى الواقعة فى قوله
تعالى وسارعوا الى مغفرة الخ لما ذكر فى قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب
على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من
الآثام وَالْعُدْوَانِ اى الظلم المتعدى الى الغير او مجاوزة الحد فى المعاصى وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ اى الحرام
خصه بالذكر مع اندراجه فى الاثم للمبالغة فى التقبيح لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى لبئس شيئا كانوا

يعملونه والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار لولا ينهيهم الربانيون والاحبار
قال الحسن رح الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التورية وقيل كلهم فى اليهود وهو تخصيص
للذين يقتدى بهم اغناوهم ويعلمون قباحة ماهم فيه وسوء مغبته على نهى اسافلهم عن ذلك مع
توبيخ لهم على تركه عن قولهم الاثم واكلهم السحت مع علمهم بقبحها ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما
لبئس ما كانوا يصنعون وهذا ابلغ مما قيل فى حق عامتهم لما ان العمل لايبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب
فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك ذم به خواصهم ولان ترك الحسنة اقبح من مواقعه
المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه
مما ينعى على العلماء توانيهم فى النهى عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس رض انها اشد اية فى
القران وعن الضحاك ما فى القران اية اخوف عندى منها وقالت اليهود قال ابن عباس رضى الله
عنه وعكرمة والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم
ناحية فلما عصوا الله تعالى بان كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط
عليهم فعند ذلك قال فنحاص بن عازورا يد الله مغلولة وحيث لم ينكر عليه الاخرون
ورضوا به نسبت تلك العظيمة الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم
وارادوا بذلك لعنهم الله تعالى انه سبحانه تمسك يقتر بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها
مجاز عن بعض البخل والجود من غير قصد فى ذلك الى اثبات يد وغل او بسط الا ترى انهم يستعملونه
حيث لا يتصور فيه ذلك كما فى قوله جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده
ولقد سلك لبيد هذا المسلك السديد حيث قال وغداة ريح قد شهدت وقرة اذ اصبحت بيد
الشمال زمامها فانه انما اراد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف فى القرة كيفما
تشاء على طريقة المجاز من غير ان يخطر بباله ان يثبت لها يدا ولا للقرة زماما واصله كناية فيمن يجوز
عليه ارادة المعنى الحقيقى كما مر فى قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة فى سورة ال عمران وقيل
ارادوا ما حكى عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت
ايديهم وعاد عليهم بالبخل المذموم والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل الايدى حقيقة بان يكونوا
اسارى مغلولين فى الدنيا ويسحبوا الى النار باغلالها فى الاخرة فيكون المطابقة حينئذ من حيث
اللفظ وملاحظة المعنى الاصلى كما فى سبنى سب الله دائره ولعنوا عطف على الدعاء الاول اى ابعدوا
من رحمة الله تعالى بما قالوا اى بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعاء وقيل كلاهما خبر بل يداه
مبسوطتان عطف على مقدر يقتضيه المقام اى كلا ليس كذلك بل هو فى غاية ما يكون من الجود
واليه اشير بتثنية اليد فان اقصى ما ينتهى اليه همم الاسخياء ان يعطوا ما يعطونه بكلتا يديهم
وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتى الدنيا والاخرة وقيل على عطائه اكراما وعلى عطائه
استدراجا ينفق كيف يشاء جملة مستانفة واردة لتاكيد كمال جوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا به

من الضيق الذى اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم ذريعة الى الاجتراء على تلك الكفرة العظيمة والمعنى
ان ذلك ليس لقصور فى فيضه بل لان انفاقه تابع لمشيته المبنية على الحكم التى عليها يدور امر المعاش
والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شوم المعاصى ان يضيق عليهم كما يشير اليه ما سيأتى
من قوله عز وجل ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الاية وكيف ظرف ليشاء والجملة فى محل النصب
على الحالية من ضمير ينفق الى ينفق كائنا على اى حال يشاء اى كائنا على مشيته اى مريدا وترك ذكر
ما ينفقه لقصد التعميم وليزيدن كثيرا منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم ما انزل اليك من القران
المشتمل على هذه الايات وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم
ليس كذلك من ربك متعلق بانزل كما ان اليك كذلك وتاخيره عنه مع ان حق المبدأ ان يتقدم
على المنتهى لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه السلام كما
فى قوله تعالى وانزل لكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
لتشريفه عليه السلام طغيانا وكفرا مفعول ثان لزيادة اى ليزيدنهم طغيانا على طغيانهم وكفرا
على كفرهم القديمين اما من حيث الشدة والغلو واما من حيث الكم والكثرة اذ كلما نزلت اية كفروا بها
فيزداد طغيانهم وكفرهم بحسب المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا والقينا
بينهم اى بين اليهود فان بعضهم جبرية وبعضهم قدرية وبعضهم مرجية وبعضهم مشبهة العداوة
والبغضاء فلا يكاد يتوافق قلوبهم ولا يتطابق اقوالهم والجملة مبتداة مسوقة لازاحة ما عسى
يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدى الى الاضرار بالمسلمين قيل العداوة اخص
من البغضاء لان كل عدو مبغض بلا عكس كلى الى يوم القيمة متعلق بالقينا وقيل بالبغضاء كلما
اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله تصريح بما اشير اليه من عدم وصول غائلة ما هم فيه الى المسلمين
ان كلما ارادوا محاربة الرسول صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا فى ذلك متن كل صعب و
ذلول ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية سلط الله تع
عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط عليهم فطرس الرومى ثم افسدوا فسلط عليهم المجوس ثم افسدوا
فسلط عليهم المسلمين وللحرب اما صلة لاوقدوا او متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا اى كائنة للحرب
ويسعون فى الارض فسادا اى يجتهدون فى الكيد للاسلام واهله واثاره الشر والفتنة فيما بينهم
مما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او فى موقع المصدر اى يسعون للفساد
او يسعون سعى فساد والله لا يحب المفسدين ولذلك اطفا نائرة فسادهم واللام اما للجنس وهم
داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان كونهم راسخين فى
الافساد ولو ان اهل الكتاب اى اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتورية
والانجيل وانما ذكروا بذلك العنوان تاكيدا للتشنيع فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم به واقامتهم
له لا محالة فكفرهم به وعدم اقامتهم له وهم اهله اقبح من كل قبيح واشنع من كل شنيع ومفعول قوله تعالى

امنوا محذوف ثقة بظهوره مما سبق من قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل
الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون وما لحق من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التورية الخ اى
لو انهم مع صدور ما صدر عنهم من فنون الجنايات قولا وفعلا آمنوا بما نفى عنهم الايمان به فيندرج
فيه فرض ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم واما ارادة ايمانهم به عليه السلام خاصة
فيا باها المقام لان ما ذكر فيما سبق وما لحق من كفرهم به عليه السلام انما ذكر مشفوعا بكفرهم
بكتابهم ايضا قصدا الى الالزام والتبكيت ببيان ان الكفر به عليه السلام مستلزم للكفر بكتابهم
فحمل الايمان ههنا على الايمان به عليه السلام خاصة مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم واتقوا
ما عددنا من معاصيهم التى من جملتها مخالفة كتابهم لكفرنا عنهم سيئاتهم التى اقترفوها وان
كانت فى غاية العظم ونهاية الكثرة ولم نواخذهم بها ولادخلناهم مع ذلك جنات النعيم وتكرير
اللام لتاكيد الوعد وفيه تنبيه على كمال عظم ذنوبهم وكثرة معاصيهم وان الاسلام يجب ما قبله
من السيات وان جلت وجاوزت كل حد معهود ولو انهم اقاموا التورية والانجيل بمراعاة ما فيهما
من الاحكام التى من جملتها شواهد نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته فان اقامتهما
انما يكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من الاحكام لانتساخ بعضها بنزول القران فليست مراعاة
الكل من اقامتهما فى شئ وما انزل اليهم من ربهم من القران المجيد المصدق لكتبهم وايراده
بهذا العنوان للايذان بوجوب اقامته عليهم لنزوله اليهم لما مر من قبل وفى اضافة الرب
الى ضميرهم مزيد لطف بهم فى الدعوة الى الاقامة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بنى اسرائيل مثل
كتاب شعيا وكتاب خنفوق وكتاب دانيال فانها مملوة بالبشارة بمبعثه صلى الله عليه وسلم لاكلوا
من فوقهم ومن تحت ارجلهم اى لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض
او بان يكثر ثمرات الاشجار وغلال الزروع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل
منها من رؤس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط منها على الارض وقيل المراد المبالغة فى شرح السعة و
الخصب لا تعيين الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول اكلوا محذوف لقصد التعميم او للقصد
الى نفس الفعل كما فى قوله فلان يعطى ويمنع ومن فى الموضعين لابتداء الغاية وفى هاتين الشرطيتين
من حثهم على ما ذكر من الايمان والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة الدارين وزجرهم عن الاخلال
به ببيان افضائه الى الحرمان عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك والضيق انما هو من شوم
جناياتهم لا لقصور فى فيض الفياض ما لا يخفى منهم امة مقتصدة جملة مستانفة مبنية على سوال نشأ
من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء الايمان والاتقاء واقامة الكتب
المنزلة من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان الخ فقيل منهم امة مقتصدة
اما على منهم مبتدا باعتبار مضمونه اى بعضهم امة واما بتقدير الموصوف اى بعض كائن منهم كما مر فى قوله
تعالى ومن الناس من يقول امنا الاية اى طائفة معتدلة وهم المؤمنون منهم كعبد الله بن سلام

واضرابه وثمانية واربعون من النصارى وقيل طائفة حالهم امم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكثير منهم مبتداء لتخصصه بالصفة خبره ساء ما يعملون اى مقول فى حقهم هذا القول
اى بئسما يعملون وفيه معنى التعجب اى ما اسوأ عليهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه
والافراط فى العداوة وهم الاجلاف المتعصبون ككعب بن الاشرف واشباهه والروم يا ايها
الرسول نودى عليه الصلوة والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له وايذانا بانها من موجبات
الاتيان بما امر به من تبليغ ما اوحى اليه بلغ ما انزل اليك اى جميع ما انزل اليك من الاحكام
وما يتعلق بها كائنا ما كان وفى قوله تعالى من ربك اى مالك امرك ومبلغك اى كمالك اللائق
بك عدة ضمنية بحفظه عليه السلام وكلائته اى تبلغه غير مراقب فى ذلك احدا ولا خائف ان
ينالك مكروه ابدا وان لم تفعل اى ما امرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه قوله
تعالى فما بلغت رسالته فان ما لا يتعلق به الاحكام اصلا من الاسرار الخفية ليست مما يقصد
تبليغه الى الناس اى فما بلغت شيئا من رسالته وانسلخت مما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرة
لما ان بعضها ليس اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها جميعا كما ان
من يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لاداء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك فى حكم شئ
واحد ولا ريب فى ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به ولان كتمان بعضها
اضاعة لما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل فكانك
ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سواء
فى الشناعة واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاتى وعن ابن عباس رضى الله عنه ان كتمت
اية لم تبلغ رسالاتى وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى الله برسالاته فضقت
بها ذرعا فاوحى الله الى ان لم تبلغ رسالاتى عذبتك وضمن لى العصمة فقويت وذلك قوله
تعالى والله يعصمك من الناس فانه كما ترى عدة كريمة بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز
باعثة له عليه السلام كان يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها
الناس فقد عصمنى الله من الناس وقوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الكافرين تعليل لعصمته
تعالى له عليه السلام اى لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الاية الكريمة فى تضاعيف
الايات الواردة فى حق اهل الكتاب لما ان الكل قوارع يسوء الكفار سماعها ويشق على الرسول صلى
الله عليه وسلم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعى عليهم كمال ضلالهم ولذلك
اعيد الامر فقيل قل يا اهل الكتاب مخاطبا للفريقين لستم على شئ اى دين يعتد به ويليق
بان يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح فساده وفى هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية
وراءه حتى تقيموا التورية والانجيل اى تراعوهما وتحافظوا على ما فيهما من الامور التى من جملتها
دلايل رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان اقامتهما انما يكون بذلك واما مراعاة

احكامهما المنسوخة فليست من اقامتهما فى شئ بل هى تعليل لهما ورد لشادتهما لانهما شاهدان بنسخها
وانتهاء وقت العمل بها لان شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخروجها عن كونها من احكامهما
وان احكامهما ما قرره النبى الذى بشر فيهما ببعثته وذكر فى تضاعيفهما نعوته فاذن اقامتهما بيان
شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالى وما انزل اليكم من
ربكم اى القران المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا يتاتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين
على اقامته مع انها المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده
لعنوان الانزال اليهم لما مر من التصريح بانهم مامورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه
بالعرب وفى اضافة الرب الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف فى الدعوة وقيل المراد بما انزل
اليهم كتب انبياء بنى اسرائيل كما مر وقيل الكتب الالهية فانها باسرها امرة بالايمان لمن صدقته
المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان جماعة من اليهود قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التورية حق من عند الله فقال عليه السلام بلى فقالوا
فانا مؤمنون بها ولا نؤمن بغيرها فنزلت وقوله تعالى وليزيدن منهم ما انزل اليك
من ربك طغيانا وكفرا جملة مستانفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم فى المكابرة والفساد
وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتاكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير
المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر
اليهم للانباء عن انسلاخهم عن تلك النسبة فلا تاس على القوم الكافرين اى لا يتاسف ولا
تحزن عليهم لافراطهم فى الطغيان والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلته ائلة اليهم وتبعته حائقة
بهم لا تتخطاهم وفى المؤمنين مندوحة لك عنهم بالرسوخ فى الكفر ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل
عليهم ان الذين امنوا كلام مستانف مسوق لترغيب من عدا المذكورين فى الايمان والعمل
الصالح اى الذين امنوا بالسنتهم فقط وهم المنافقون وقيل اعم من ان يواطئها قلوبهم اولا والذين
هادوا اى دخلوا فى اليهودية والصابئون والنصارى جمع نصران وقد مر تفصيله فى سورة البقرة
وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التاخير عما فى حيز ان
والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله
فانى وقيار بها لغريب وقوله والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق خلا انه وسط بين
اسم ان وخبرها دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث
قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الاتية
خبر للمبتدا المذكور وخبر ان مقدر كما فى قوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف
وقيل والنصارى مرفوع على الابتداء كقوله تعالى والصابئون عطفا عليه وهو مع خبر عطف
على الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه وحده على محل ان واسمها لاشتراط ذلك بالفراغ عن

الخبر والا لارتفع بان والابتداء معا واعتذر عنه بان ذلك اذا كان المذكور خبرا لهما واما اذا كان
خبر المعطوف محذوفا فلا محذور فيه ولا على الضمير فى هادوا لعدم التاكيد والفصل ولاستلزامه
كون الصابئين هودا وقرئ والصابيون بياء صريحة بتخفيف الهمزة وقرئ والصابون وهو من
صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات فى دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين
امنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا اما فى محل
الرفع على انه مبتدا خبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط وجمع
الضماير الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما فى صلته باعتبار لفظه والجملة خبر ان والعائد
الى اسمها محذوف اى من امن منهم واما فى محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف عليه و
الخبر قوله تعالى فلا خوف والفاء كما فى قوله عز وعلا ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم
يتوبوا فلهم عذاب جهنم الاية فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين امنوا المنافقين وهو الاظهر
من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللائق لا كما يزعمه اهل الكتاب
فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف
عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت
الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا
لما مر مرارا ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واما على
تقدير كون المراد بالذين امنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد
بمن امن من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق
الثبات والدوام عليه كما هو شان المخلصين او بطريق احداثه وانشائه كما هو حال من عداهم من
المنافقين وساير الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين المبالغة فى ترغيب الباقين فى الايمان ببيان
ان تاخرهم فى الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين الاعلام واما ما قيل المعنى من
كان منهم فى دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل
اليه اصلا كما مر تفصيله فى سورة البقرة ولقد اخذنا ميثاق بنى اسرائيل كلام مبتدا مسوق
لبيان بعض اخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الايمان منهم اى وبالله لقد اخذنا ميثاقهم
بالتوحيد وساير الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم فى التورية وارسلنا اليهم رسلا ذوى عدد كثير واولى
شان خطير ليقرروهم على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما ياتون وما يذرون فى دينهم
ويتعهدونهم بالعظة والتذكير وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم
جملة شرطية مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشا من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل
وجواب الشرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم رسول من اولئك الرسل
بما لا تحبه انفسهم المنهمكة فى الغى والفساد من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى

فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ جواب مستانف على استفسار كيفية ما اظهروه من اثار المخالفة
المفهومة من الشرطيّة على طريقة الاجمال كانّه قيل كيف فعلوا بهم فقيل فريقا منهم كذبوهم
من غير ان يتعرّضوا لهم بشئ اخر من المضارّ وفريقًا اخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل قتلوهم ايضا وانما
اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهائلة للتعجيب منها وللتنبيه
على ان ذلك ديدنهم المستمر وللمحافظة على رؤس الاى الكريمة وتقديم فريقًا فى الموضعين للاهتمام به
وتشويق السامع الى ما فعلوا به لا للقصر هذا وامّا جعل الشرطيّة صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور
فلا يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة ينسخ ما فيها من
الحكم ويجعل عنوانا للموصوف وتتمة له فى اثبات امر اخر له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم
الانتساب الى الموصوف عند السامع قبل جعله وصفا له ومن ههنا قالوا ان الصفات قبل
العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات ولا ريب فى ان ماسيق له النظم انما هو بيان انهم
جعلوا كلّ من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل او التكذيب حسبما يفيده جعلها استينافا
على ابلغ وجه واكده لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كلٍّ منهم كذلك كما هو
مقتضى جعلها صفة وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ اى حسب بنوا اسرائيل ان لا يصيبهم من الله
تعالى بما اتوا من الداهية الدهياء والخطة الشنعاء بلاء وعذاب وقرى لا تكون بالرفع على انّ
ان هى المخففة من انّ واسمها ضمير الشان المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان
بها وهى للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوّته وان بما حيّزها سادّ مسدّ مفعوليه فَعَمُوا عطف
على حسبوا والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها اى امنوا باس الله تعالى فتمادوا فى
فنون الغىّ والفساد وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى معاملة الظاهرة وبينوا لهم مناهجه
الواضحة وَصَمُّوا عن استماع الحقّ الذى القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة
الى المرة الاولى من مرّتى افساد بنى اسرائيل حين خالفوا احكام التورية وركبوا المحارم وقتلوا
شعيا وقيل حبسوا ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية
عظيمة ناشية عن كمال العمى والصم لكنّها فى عصر موسى عليه السلام ولا تعلّق لها بما حكى عنهم مما فعلوا
بالرسل الذين جاؤهم بعده عليه السلام باعصار ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حين تابوا ورجعوا عمّا كانوا
عليه من الفساد بعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر بخت نصّر اسارى فى غاية الذل والمهانة
فوجّه الله عزّ وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس ليعمره ونجى بقايا بنى اسرائيل من
اسر بخت نصّر بعد مهلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرّق منهم فى الاكناف فعمروه ثلثين سنة فكثروا
وكانوا كاحسن ما كانوا عليه وقيل لمّا ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جدّه كستاسف القى الله
عزّ وجل فى قلبه شفقة عليهم فردّهم الى الشّام وملّك عليهم دانيال عم فاستولوا على من كان فيها
من اتباع بخت نصّر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله تعالى

ثمّ رددنا لكم الكرّة عليهم واما ما قيل انّ المراد قبول توبتهم عن عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك
لا تعلّق له بالمقام ولم يسند التوبة اليهم كساير احوالهم من الحسبان والعمى والصّم تجافيا عن التّصريح
بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها فى ضمن بيان توبته تعالى عليهم تمهيدًا لبيان نقضهم اياها بقوله
تعالى ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا وهو اشارة الى المرّة الآخرة من مرّتى افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريّا ويحى
وقصدهم قتل عيسى عليهم السّلام لا الى طلبهم الرّؤية كما قيل لما عرفت سرّه فان فنون الجنايات
الصّادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان انحصار ما حكى عنهم ههنا فى المرّتين وترتيبه على حكاية ما فعلوا
بالرّسل عليهم يقضى بان المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ عُموا وصُموا بالضّم على تقدير
عماهم الله وصمّهم اى رماهم وضربهم بالعمى والصّم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا
ضربته بركبتك وقوله تعالى كَثِيرٌ مِنْهُمْ بدل من الضمير فى الفعلين وقيل خبر مبتداء محذوف
اى اولئك كثير منهم وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ اى بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
استحضار الصورته القطيعة ورعاية للفواصل والجملة تذييل اشير الى بطلان حسبانهم المذكور
ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية اكتفى بها تعويلا على ما فصّل نوع تفصيل
فى سورة بنى اسرائيل والمعنى حسبوا ان لا يصيبهم عذاب ففعلوا ما فعلوا من الجنايات العظيمة
المستوجبة لاشدّ العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن اين لهم ذلك
الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك فى المرة الاولى حيث سلّط الله تعالى عليهم بخت نصّر عامل
لهراسب على بابل وقيل جالوت الجزرى وقيل سنجاريب من اهل نينوى والاوّل هو الاظهر
فاستولى على بيت المقدّس فقتل من اهله اربعين الفا ممّن يقرا التورية وذهب بالبقية الى ارضه
فبقوا هناك على اقصى ما يكون من الذل والنّكد الى ان احدثوا توبة صحيحة فردّهم الله عزّ وجل
الى ما حكى عنهم من حسن الحال ثمّ عادوا الى المرّة الآخرة من الافساد فبعث الله تعالى عليهم الفرس
فغزاهم ملك بابل من ملوك الطّوائف اسمه خودرود وقيل خردوس فنعل بهم ما فعل قيل
دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دمًا يغلى فسالهم فقالوا دم قربان لم يقبل منّا فقال
ما صدقونى فقتل عليه الوفا منهم ثمّ قال ان لم تصدّقونى ما تركت منكم احدًا فقالوا انه دم يحيىٰ
فقال بمثل هذا ينتقم الله تعالى منكم ثمّ قال يا يحيى قد علم ربّى وربّكم ما اصاب قومك من اجلك
فاهدا باذن الله تعالى قبل ان لا القى احدا منهم فهدا لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ شروع فى تفصيل قبايح النّصارى وابطال اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبايح
اليهود وهؤلاء هم الّذين قالوا انّ مريم ولدت الهًا قيل هم الملكائية والمارّ يعقوبيّة منهم وقيل
هم اليعقوبيّة خاصّة قالوا ومعنى هذا انّ الله تعالى حلّ فى ذات عيسى واتّحد بذاته تعالى الله
عن ذلك علوّا كبيرًا وَقَالَ الْمَسِيحُ حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد تقبيح حالهم ببيان تكذيبهم
للمسيح وعدم انزجارهم عمّا اصرّوا عليه بما اوعدهم به اى قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا لهم

يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم فانى عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقى وخالقكم انه
اى الشان من يشرك بالله اى شيئا فى عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية فقد حرم الله
عليه الجنة فلن يدخلها ابدا كما لا يصل المحرم عليه المحرم فانها دار الموحدين واظهار الاسم الجليل
فى موقع الاضمار لتهويل الامر وتربية المهابة وماويه النار فانها هى المعدة للمشركين وهذا بيان
لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب وما للظالمين من انصار اى ما لهم من احد ينصرهم
بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع لمراعات المقابلة بالظالمين واللام
اما للعهد والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضماير الثلثة باعتبار لفظها واما للجنس وهم
داخلون فيه دخولا اوليا ووضعه على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا بالاشراك
وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عليه السلام
واما وارد من جهته تعالى تاكيدا لمقالته عليه السلام وتقريرا لمضمونها وقد قيل انه من كلامه
عز وجل على معنى انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك
لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من
مقداره او من قول عيسى عليه السلام على معنى لا ينصركم احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه
لاستحالته وبعده عن المعقول وانت خبير بان التعبير عما حكى عنه عليه السلام من مقابلته
لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدته
على ذلك ونفى نصرته له مع خلوه عن الفائدة تصوير للقوى بصورة الضعيف وتهوين للخطب
فى مقام تهويله بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق بشانه عليه السلام من توهم المساعدة
والنصرة لا سيما مع ملاحظة قوله وان كانوا معظمين له الخ الا ان يحمل الكلام على التهكم بهم وكذا الحال
على تقدير كونه من تمام كلامه عليه السلام فان زجره اياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر من عدم الناصر
والمساعد بعد زجره اياهم بما مر من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتاثير
ولا سبيل ههنا الى الاعتذار بالتهكم لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة شروع فى
بيان كفر طائفة اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه
الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث
ثلثة ورابع اربعة وانما ينصب اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما فى قولك عاشر تسعة وتاسع ثمانية
قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله سبحانه وتعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء
اله ويؤكده قوله تعالى للمسيح انت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث
ثلثة اى احد ثلثة الهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى وما من اله الا اله واحد اى والحال انه ليس
فى الوجود ذات واجب مستحق للعبادة من حيث انه مبدا جميع الموجودات الا الله الموصوف بالوحدانية
متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب

واقنوم

واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثانى العلم
وبالثالث الحيوة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد الا اله واحد بالذات منزه عن شائبة
التعدد بوجه من الوجوه وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى
ليمسن الذين كفروا جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط اى والله ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما
وضع موضع ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر فمن فى قوله تعالى منهم بيانية او ليمسن الذين
بقوا منهم على ما كانوا عليه من الكفر فمن تبعيضية وانما جئ بالفعل المنبئ عن الحدوث تنبيها على ان
الاستمرار عليه بعد ورود ما ينعى عليه بالقلع من نص عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زائد
على ما كانوا عليه من اصل الكفر عذاب اليم اى نوع شديد الالم من العذاب وهمزة الاستفهام فى
قوله تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه لانكار الواقع واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب
من اصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الا ينتهون عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل
الباطلة فلا يتوبون الى الله الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول
فمدار الانكار والتعجيب عدم الانتهاء وعدم التوبة معا او ايسمعون هذه الشهادات المكررة والتشديدات
المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فمدار هما عدم التوبة عقيب تحقق ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة
وقوله عز وجل والله غفور رحيم جملة حالية من فاعل يستغفرونه مؤكدة للانكار والتعجيب
من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار اى والحال انه تعالى مبالغ فى المغفرة فيغفر
لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح ابن مريم الا رسول استيناف مسوق لتحقيق
الحق الذى لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه السلام وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف ما لهما
من نعوت الكمال التى بها صارا من زمرة اكمل افراده الجنس واخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع
افراد البشر بل افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا
لهم الى التوبة والاستغفار اى هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى قد خلت من
قبله الرسل صفة لرسول منبئة عن اتصافه بما ينافى الالوهية فان خلو الرسل السالفة عليهم السلام
منذر بخلوه المقتضى لاستحالة الالوهية اى ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله
تعالى ببعض من الايات كما خص كلا منهم ببعض اخر منها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا فى يد موسى
وجعلت حية تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد خلق ادم من غير اب ولا ام وهو اغرب
منه وكل ذلك من جنابه عز وجل وانما موسى وعيسى ومظاهر لشئونه وافعاله وامه صديقة اى وما
امه ايضا الا كساير النساء اللاتى يلازمن الصدق والتصديق ويبالغن فى الاتصاف به فما رتبتهما الا
رتبة بشرين احدهما نبى والاخر صحابى فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به ساير الانبياء وخواصهم
كانا ياكلان الطعام استيناف مبين لما اشير اليه من كونهما كساير افراد البشر فى الاحتياج الى
ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل من افراد الحيوان وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم الايات

تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبيه ولا يرعوون عن ذلك بعد ما بين لهم حقيقة حالهما
بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول لنبين والجملة فى حيز النصب معلقة لانظر اى انظر كيف
نبين لهم الايات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم الجبال **ثم انظر انى**
يؤفكون اى كيف يصرفون عن استماعها والتامل فيها والكلام فيه كما فيما قبله وتكرير الامر بالنظر
للمبالغة فى التعجيب وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت اى ان بياننا للايات امر بديع فى بابه
بالغ لاقصى الغايات القاصية من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد
ما يوجب قبولها اعجب وابدع **قل** امر له صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم
اتعبدون من دون الله اى متجاوزين اياه وتقديمه على قوله **ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا** لما مر مرارا
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه السلام وايثاره عن كلمة
من لتحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل من الالوهية راسا ببيان انتظامه عليه السلام فى سلك الاشياء
التى لا قدرة لها على شئ اصلا وهو عليه السلام وان كان يملك ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه
من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به الله تعالى من البلايا والمصايب وما ينفع به من الصحة وتقديم
الضر على النفع لان التحرز عنه اهم من تحرى النفع ولان ادنى درجات التاثير دفع الشر ثم جلب الخير
وقوله تعالى **والله هو السميع العليم** حال من فاعل اتعبدون مؤكد للانكار والتوبيخ ومقرر للالزام و
التبكيت والرابط هو الواو اى اتشركون بالله تعالى ما لا يقدر على شئ من ضركم ونفعكم والحال ان الله
تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات التى من جملتها ما انتم عليه من الاقوال
الباطلة والعقايد الزائغة والاعمال السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التى من جملتها
مضاركم ومنافعكم فى الدنيا والآخرة **قل يا اهل الكتاب** تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريقى اهل
الكتاب على لسان النبى صلى الله عليه وسلم بعد مسلك كل منهما للمبالغة فى زجرهم عما سلكوه من المسلك الباطل
وارشادهم الى الامم المبين **لا تغلوا فى دينكم** اى لا تجاوزوا الحد وهو نهى للنصارى عن رفع عيسى عن رتبة
الرساله الى ان تقولوا فى حقه من العظيمة وللبهود عن وضعهم له عم عن رتبة العلية الى ما تقولوا
عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو بالنصارى كما فى سورة النساء فذكرهم بعنوان اهلية الكتاب
لتذكير ان الانجيل ايضا ينهاهم عن الغلو وقوله تعالى **غير الحق** نصب على انه نعت لمصدر محذوف
اى لا تغلوا فى دينكم غلوا غير الحق اى غلوا باطلا او حال من ضمير الفاعل اى لا تغلوا مجاوزين الحق
او من دينكم اى لا تغلوا فى دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع
ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل هم اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين او من النصارى
على القولين قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم فى شريعتهم **واضلوا كثيرا** اى قوما كثيرا ممن شايعهم
فى الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول محذوف **وضلوا** عن بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وتوضيح
محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام **عن سواء السبيل** حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول

اشارة الى ضلالهم من مقتضى العقل والثانى الى ضلالهم عما جاء به الشرع **لعن الذين كفروا** اى لعنهم
الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول للجرى على سنن الكبرياء **من بنى اسرائيل** متعلق بمحذوف وقع حالا
من الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى **على لسان داود وعيسى بن مريم** متعلق بلعن اى لعنهم الله
فى الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا فى السبت دعا عليهم داود عم
وقال اللهم العنهم واجعلهم اية فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا قال عيسى
عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذب به احدا من العالمين والعنهم
كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة الاف رجل ما فيهم امراة ولا صبى **ذلك**
اشارة الى اللعن المذكور وايثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظايره وانتظامه
بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته
فى الشناعة والهول وهو مبتداء خبره قوله تعالى **بما عصوا وكانوا يعتدون** والجملة مستانفة
واقعة موقع الجواب عما نشاء من الكلام كانه قيل باى سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن
الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل
وينبئ عنه قوله تعالى **كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه** فانه استيناف مفيد بعبارته لاستمرار عدم
التناهى عن المنكر ولا يمكن استمراره الا باستمرار تعاطى المنكرات وليس المراد بالتناهى ان ينهى
كل واحد منهم الاخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور بصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهى
عن اشخاص متعددة من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما فى تراءوا الهلال وقيل
التناهى بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه وتركه فالجملة حينئذ مقررة لما قبلها من
المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى الاول مفيدة لاستمرار انتفاء النهى عن المنكر
بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه فى وقت من الاوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما
سيق وعلى كل تقدير فما يفيده تنكير المنكر من الوحدة نوعية لا شخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضى
فى تعلق النهى به لما ان متعلق الفعل انما فرد من افراد ما يتعلق به النهى والانتهاء من مطلق المنكر
باعتبار تحققه فى ضمن اى فرد كان من افراده على ان المضى المعتبر فى الصفة انما هو بالنسبة الى زمان
النزول الى زمان النهى حتى يلزم كون النهى بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير المعاودة او المثل
او جعل الفعل عبارة عن الارادة على ان المعاودة كالنهى لا يتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير
الى احد ما ذكر من الوجهين او الى تقدير المثل او الى جعل الفعل عبارة عن ارادته وفى كل ذلك
تعسف لا يخفى **لبئس ما كانوا يفعلون** تقبيح لسوء اعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمى كيف لا
وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير وليس فى نسبته بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية
مع الاشارة الى سببيته له فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول
مشعر بعلية ما فى حيز الصلة له لما ان ما ذكر فى حيز السببية مشتمل على كفرهم ايضا **ترى كثيرا منهم**

اى من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركى مكة ليتفقوا على محاربة
النبى صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية وقوله تعالى **يتولون الذين كفروا** حال من كثيرا لكونه
موصوفا اى يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل من منافقى
اهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس والمجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين
ويصافونهم **لبئس ما قدمت لهم انفسهم** لبئس شيا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة **ان سخط الله
عليهم** هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق
والارتباط بينهما كانهما شئ واحد ومبالغة فى الذم اى موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتداء
والجملة قبله خبره والرابط عند من يشترطه هو العموم او الحاجة اليه لان الجملة عين المبتداء او على
انه خبر لمبتداء محذوف ينبئ عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو واى شئ هو فقيل هو ان
سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة فى محل رفع بالفاعلية
لفعل الذم وقدمت لهم انفسهم جملة فى محل الرفع على انها صفة للمخصوص بالذم قائمة مقامه
والتقدير لبئس الشئ شئ قدمته لهم انفسهم فقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من شئ المحذوف
وهذا مذهب سيبويه **وفى العذاب** اى عذاب جهنم **هم خالدون** ابد الآبدين **ولو كانوا**
اى الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب **يؤمنون بالله والنبى** اى النبى **وما انزل اليه** من
الكتاب او كان المنافقون يؤمنون بالله ونبينا ايمانا صحيحا **ما اتخذوهم** اى المشركين واليهود
اولياء فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا **ولكن كثيرا منهم فاسقون** خارجون
عن الدين والايمان بالله ونبيهم وكتابهم او متمردون فى النفاق مفرطون فيه **لتجدن اشد الناس
عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا** جملة مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبايح
اليهود وعراقتهم فى الكفر وساير احوالهم الشنيعة التى من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت بالتوكيد
القسمى اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما للرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد صالح
له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس والوجدان متعد الى اثنين احدهما اشد الناس
والثانى اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما فى الاصل مبتداء وخبر ومصب الفائدة هو الخبر
لا المبتداء ولا ضير فى التقديم والتاخير اذا دل على الترتيب دليل وههنا دليل واضح عليه وهو ان
المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون اشدهم عداوة لهم الطائفتين
المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة فى الصورة الثانية
اتم واكمل مع خلوها عن تعسف التقديم والتاخير اذ المعنى انك ان قصدت ان تعرف من اشد
الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوائف طرا واحطت بما لديهم خبرا وبالغت فى تعرف
الظاهرة والباطنة وسعيت فى تطلب ما عندهم من الامور البارزة والكامنة لتجدن الاشد تينك
الطائفتين لا غير فتامل واللام الداخلة على الموصول متعلق بعداوة مقوية لعملها ولا يضر كونها

مؤنثة بالتاء لانها مبنية عليها كما فى قوله ورهبة عقابك وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة لعداوة
اى كائنة للذين امنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعف كفرهم وانهماكهم
فى اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبياء
والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم وفى تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما فى قرن واحد اشعار
بتقدمهم عليهم فى قوله تعالى ولتجدن اشد الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم
عليه فى الحرص **ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا** اعيد الموصول مع صلته روما لزيادة التوضيح
والبيان **الذين قالوا انا نصارى** عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار
الله واوداء اهل الحق وان لم يظهروا اعتقادا حقية الاسلام وعلى هذه النكتة مبنى الوجه الثانى
فى تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام فى مفعولى لتجدن
وتعلق اللام كالذى سبق والعدول عن جعل ما فيه التفاوت بين الفريقين شيئا واحدا قد
تفاوتا فيه بالشدة والضعف او بالقرب والبعد بان يقال اخ ولتجدن اضعفهم عداوة الخ او
بان يقال ولا تجدن ابعد الناس مودة الخ للايذان بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت
ببيان ان احدهما فى اقصى مراتب احد النقيضين والاخر فى اقرب مراتب النقيض الاخر **ذلك**
اى كونهم اقرب مودة للمؤمنين **بان منهم** اى بسبب ان منهم **قسيسين** وهم علماء النصارى
وعبادهم ورؤساوهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشئ اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم
فى تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشئ ومنه سمى عالم النصارى لتتبعه العلم
وقيل قص الاثر وقسه بمعنى وقيل انه اعجمى وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل
ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقى منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه
ودينه قيل له قيس **ورهبانا** هو جمع راهب كراكب وركبان وفارس وفرسان وقيل انه
يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال لو عاينت رهبان دير فى قلل لاقبل الرهبان
يعدو ونزل والترهب التعبد فى الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو فى تحمل التعبد من
فرط الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها فى القسيسين ايضا اذ هى التى تدل على مودة
جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة لجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والا فمن
اليهود ايضا قوم مهتدون الا يرى الى عبد الله بن سلام واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة
يتلون آيات الله اناء الليل وهم يسجدون الخ لكنهم لما لم يكونوا فى الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد
حكمهم الى جنس اليهود **وانهم لا يستكبرون** عطف على ان منهم اى وبانهم لا يستكبرون عن قول
الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فسببيتها
لاقربيتهم مودة للمؤمنين واضحة وفيه دليل على ان التواضع والاقبال هى العلم والعمل والاعراض
عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر **واذا سمعوا ما انزل الى الرسول** عطف على لا يستكبرون

اى ذلك بسبب انهم لايستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن وهو بيان لرقة
قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم ابائهم اياه **ترى اعينهم تفيض من الدمع** اى
تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذى هو الانصباب عن امتلاء مبالغة او جعلت اعينهم من فرط
البكاء كانها تفيض بانفسها **مما عرفوا من الحق** من الاولى لابتداء الغاية والثانى لتبيين الموصول
اى ابتداء الفيض ونشاء من معرفة الحق وحصل من اجله وبسببه ويحتمل ان يكون الثانية تبعيضية
لان ما عرفوه بعض وحيث ابكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرؤا القرآن واحاطوا بالسنة
وقرى ترى اعينهم على صيغة مبنى للمفعول **يقولون** استيناف مبنى على سوال نشاء من حكاية
حالهم عند سماع القرآن كانه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون **ربنا آمنا** بهذا وبمن
أنزل هذا عليه او بهما وقيل حال من الضمير فى عرفوا او من الضمير المجرور فى اعينهم لما ان المضاف
جزؤه كما فى قوله تعالى ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا **فاكتبنا مع الشاهدين** اى الذين
شهدوا بانه حق او بنبوته او مع امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وانما قالوا ذلك لانهم
وجدوا ذكرهم فى الانجيل كذلك **وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق** كلام مستانف قالوه
تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نؤمن حال من
الضمير فى لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الانكار
والنفى الى السبب فقط مع تحقق المسبب كما فى قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وامثاله فان همزة
الاستفهام كما تكون تارة لانكار الواقع كما فى اتضرب اباك واخرى لانكار الوقوع كما فى اضرب
ابى كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فى الاية الثانية وقوله تعالى
ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء
امر محقق قد انكر ونفى سببه وقد تكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان الى المسبب ايضا
كما فى الاية الاولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض
حتما وقوله تعالى **ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين** حال اخرى من ضمير المذكور بتقدير
مبتدأ والعامل فيها هو العامل فى الاولى مقيدا بها اى اى شئ حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع
فى صحبة الصالحين او من الضمير فى لا نؤمن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم
يطمعون فى صحبة المؤمنين وقيل معطوف على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين
الطمع المذكور **فاثابهم الله بما قالوا** اى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى معتقده وقرى
فاتاهم الله **جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين** اى الذين
احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان فى الامور والايات الاربع روى انها نزلت فى النجاشى
واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقراه ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين
معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفرا ان يقرا عليهم القرآن فقرا سورة مريم فبكوا وامنوا

بالقرآن وقيل نزلت فى ثلثين او سبعين رجلا من قومه وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقرا عليهم سورة مريم فبكوا وامنوا **والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم** عطف
التكذيب بايات الله تعالى على الكفر مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين وذكرهم
بمقابلة المصدقين بها جمعا بين الترغيب والترهيب **يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم** اى ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما سلف من مدح النصارى على الترهيب رغب
المؤمنين فى كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهى عن الافراط فى الباب اى لا تمنعوها
انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا
وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام فى الانذار
فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا
على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح
ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم اومر
بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر
واكل اللحم والدسم واتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ونزلت **ولا تعتدوا** اى ولا تتعدوا
حدود ما احل لكم اى ما حرم عليكم او لا تسرفوا فى تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء
وظلما فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهى عن تحريمها دخولا اوليا لوروده عقيبه او اريد
ولا تعتدوا بذلك **ان الله لا يحب المعتدين** تعليل لما قبله **كلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا** اى ما حل
لكم وطاب مما رزقكم فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم اما حال منه تقدمت عليه لكونه نكرة او
متعلق بكلوا ومن ابتدائية او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عائده المحذوف
او صفة لمصدر محذوف اى كلا حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر الحلال
فائدة زائدة **واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون** توكيد للوصية بما امر به فان الايمان به تعالى يوجب
المبالغة فى التقوى والانتهاء عما نهى عنه **لا يواخذكم الله باللغو فى ايمانكم** اللغو فى اليمين الساقط
الذى لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شئ يظن انه كذلك وليس كما يظن وهو قول مجاهد
قيل كانوا حلفوا على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزل النهى قالوا فكيف بايماننا فنزلت
وعند الشافعى رح ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عايشه رض
وفى ايمانكم صلة يواخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه **ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان** اى
بتعقيدكم الايمان وتوثيقها عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يواخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم
او بنكث ما عقدتم فحذف للعلم به وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم **فكفارته** اى
فكفارة نكثه وهى الفعلة التى من شانها ان تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير
قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عليه السلام من حلف على يمين وراى غيرها خيرا فليات

الذى هو خير ثم ليكفر عن يمينه **اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم** اى من اقصده فى النوع
او المقدار وهو نصف صاع من برّ لكلّ مسكين ومحلّه النّصب لانّه صفة مفعول محذوف تقديره
ان تطعموا عشرة مساكين طعامًا كائنا من اوسط ما تطعمون او الرّفع على انّه بدل من اطعام واهلون
جمع اهل كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة من يسكّنها فى الحالات الثلث
كالالف وهو ايضا جمع اهل كالاراضى فى جمع ارض والليالى فى جمع ليل وقيل جمع اهلات **او**
كسوتهم عطف على اطعام او على محلّ من اوسط على تقدير كونه بدلًا من اطعام وهو ثوب يغطى
العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهى لغة كقدوة فى قدوه
واسوة فى اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف فى محل الرّفع تقديره او طعامهم كاسوتهم
بمعنى او كمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط **او تحرير**
رقبة اى او اعتاق انسان كيف ما كان وشرط الشافعى رح فيه الايمان قياسًا على كفارة القتل
ومعنى او ايجاب احدى الخصال مطلقًا وخيار التعيين للمكلّف **فمن لم يجد** اى شيئا من الامور
المذكورة **فصيام** اى فكفّارته صيام **ثلثة ايّام** والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلثة ايّام متتابعات
والشافعى لا يرى الشواذ حجّة **ذلك** اى الذى ذكر **كفّارة ايمانكم اذا حلفتم** اى وحنثتم **واحفظوا**
ايمانكم بان تضنّوا بها ولا تبذلوها كما يشعر به قوله تعالى اذا حلفتم وقيل بان تبرّوا فيها
ما استطعتم ولم يفت بها خيرا وبان تكفّروها اذا حنثتم وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها
تهاونا بها **كذلك** اشارة الى مصدر الفعل الآتى لا الى تبيين آخر مفهوم ممّا سبق والكاف مقحمه
لتاكيد ما افادة اسم الاشارة من الفخامة ومحله فى الاصل النّصب على انّه نعت لمصدر محذوف
واصل التقدير يبيّن الله تبيينًا كائنًا مثل ذلك التبيين فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت
الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مرّ تفصيله فى قوله تعالى وكذلك
جعلناكم امّة وسطا اى ذلك البيان البديع **يبيّن الله لكم آياته** اعلام شريعته واحكامه
لا بيانا ادنى منه وتقديم لكم على المفعول لما مرّ مرارا **لعلّكم تشكرون** نعمته فيما يعلّمكم
ويسهل عليكم المخرج **يا ايها الذين آمنوا انّما الخمر والميسر والانصاب** اى الاصنام المنصوبة للعبادة **والازلام**
سلف تفسيرها فى اوائل سورة الكريمة **رجس** قذر تعاف عنه العقول وافراده لانّه خبر للخمر
وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور او المضاف محذوف اى شان الخمر والميسر الخ **من عمل**
الشيطان فى محل الرفع على انه صفة رجس اى كائن من عمله لانه مسبّب من تسويله وتزيينه
فاجتنبوه اى الرجس او ما ذكر **لعلّكم تفلحون** اى راجين فلاحكم وقيل لكى تفلحوا بالاجتناب
عنه وقد مرّ تحقيقه فى سورة البقرة فى تفسير قوله تعالى لعلّكم تتّقون ولقد اكّد تحريم الخمر والميسر
فى هذه الآية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدّرت الجملة بانّما وقرنا بالاصنام والازلام وسمّيا
رجسًا من عمل الشيطان تنبيهًا على ان تعاطيهما شرّ بحت وامر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك

سببا يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثمّ قرّر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيويّة
والدينيّة المقتضية للتحريم فقيل **انّما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر**
وهو اشارة الى مفاسدهما الدنيويّة **ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصّلوة** اشارة الى مفاسدهما الدينيّة و
تخصيصهما باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على انّ المقصود بيان حالهما وذكر
الاصنام والازلام للدلالة على انّهما مثلهما فى الحرمة والشرارة لقوله عليه السّلام شارب الخمر كعابد
الوثن وتخصيص الصّلوة بالافراد مع دخولها فى الذكر للتعظيم والاشعار بانّ الصادّ عنها كالصادّ
عن الايمان لما انّها عماده ثمّ اعيد الحثّ على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتّبا على ما تقدّم من اصناف
الصّوارف فقيل **فهل انتم منتهون** ايذانا بانّ الامر فى الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد
والشرور قد بلغ الغاية وانّ الاعذار قد انقطعت بالكليّة **واطيعوا الله واطيعوا الرّسول** عطف على
اجتنبوه اى اطيعوهما فى جميع ما امرا به ونهيا عنه واحذروا اى مخالفتهما فى ذلك فيدخل فيه
مخالفة امرهما ونهيهما فى الخمر والميسر دخولا اوّليًّا **فان تولّيتم** اى اعرضتم عن الامتثال بما امرتم
به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والاحتراز
عن مخالفتهما **فانّما على رسولنا البلاغ المبين** وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج عن عهدة
الرّسالة اى خروج وقامت عليكم الحجّة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل وما بقى بعد ذلك الا العقاب
وفيه من عظم التّهديد وشدّة الوعيد ما لا يخفى وامّا ما قيل من ان المعنى فاعلموا انّكم لم تضرّوا بتولّيكم
الرّسول لانّه ما كلّف الّا البلاغ المبين بالآيات وقد فعل وانّما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عمّا كلّفتموه
فلا يساعده المقام اذ لا يتوهّم منهم ادّعاء انّهم بتولّيهم يضرّونه صلى الله عليه وسلم حتّى يردّ عليهم
بانّهم لا يضرّونه عليه السّلام وانّما يضرّون انفسهم **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصّالحات** اى اثم
وحرج **فيما طعموا** اى تناولوا اكلا وشربا فان استعماله فى الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن
لم يطعمه فانّه منّى قيل لمّا انزل الله تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبىّ
صلى الله عليه وسلم اصيب فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انّهم فى الجنّة
وفى رواية اخرى لمّا نزل تحريم الخمر والميسر قالت الصّحابة رضى الله عنهم يا رسول الله فكيف
باخواننا الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما فى ما طعموا عبارة
عن المباحات خاصّة والّا لزم تقييد اباحتها باتّقاء ما عداها من المحرّمات لقوله تعالى **اذا**
ما اتّقوا واللازم منتف بالضّرورة بل هى على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانّما تخصّصت
بذلك القيد الطّارى عليها والمعنى ليس عليهم جناح فيما تناولوه من المأكول والمشروب كائنا ما كان
اذا اتّقوا ان يكون فى ذلك شئ من المحرّمات والّا لم يكن نفى الجناح فى كل ما طعموه بل فى بعضه ولا
محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكلّ بان لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتّقاء بعض
آخر منه كما هو اللازم من الاوّل **وآمنوا وعملوا الصّالحات** اى واستمرّوا على الايمان والاعمال

الصّالحة وقوله تعالى ثم اتّقوا عطف على اتّقوا داخل معه فى حيّز الشرط اى اتّقوا ما حرّم عليهم بعد
ذلك مع كونه مباحًا فيما سبق وامنوا اى بتحريمه وتقديم الاتقاء عليه امّا للاعتناء به او لانّه الذى يدل
على التحريم الحادث الّذى هو المؤمن به او واستمروا على الايمان ثم اتّقوا اى ما حرّم عليهم بعد ذلك
ممّا كان مباحًا من قبل على ان المشروط بالاتقاء فى كلّ مرّة اباحة كلّ ما طعموه فى ذلك الوقت لا اباحه
كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه واحسنوا اى عملوا الاعمال الحسنة الجميلة المنتظمة بجميع
ما ذكر من الاعمال القلبيّة والقالبيّة وليس تخصيص هذه المرّات بالذّكر لتخصيص الحكم بها بل لبيان
التّعدد والتكرر بالغًا ما بلغ والمعنى انّهم اذا اتّقوا المحرمات واستمرّوا على ما هم عليه من الايمان
واعمال الصّالحة وكانوا فى طاعة الله ومراعات اوامره ونواهيه بحيث كلّما حرّم عليهم شئ من
المباحات اتقوه ثمّ وثمّ فلا جناح عليهم فيما طعموه فى كلّ مرّه من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها
شئ محرّم عند طعمه وانت خبير بان ما عدا اتقاء المحرّمات من الصّفات الجميلة المذكورة لا دخل
لها فى انتفاء الجناح وانّما ذكرت فى خير اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحًا
لهم بذلك وحمدًا لاحوالهم وقد اشير الى ذلك حيث جعلت تلك الصّفات تبعًا للاتقاء فى
كلّ مرّة تمييزًا بينها وبين ماله دخل فى الحكم فان مساق النظم الكريم بطريق العبارة وان كان
لبيان حال المتصفين بما ذكر من النّعوت فيما سيأتى بقضيّة كلمة اذا ما لكنه قد اخرج مخرج الجواب
عن حال الماضين لاثبات الحكم فى حقهم فى ضمن التشريع الكلّى على الوجه البرهانى بطريق دلالة
النّص بناء على كمال استهازهم بالاتصاف بها فكانّه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذا كانوا فى
طاعته تعالى مع ما لهم من الصّفات الحميدة بحيث كلّما امروا بشئ تلقوه بالامتثال وانما كانوا
يتعاطون الخمر والميسر فى حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرّما فى عصرهم لاتقوهما بالمرّة هذا
وقد قيل التّكرير باعتبار الاوقات الثّلثة او باعتبار الحالات الثّلث استعمال الانسان التّقوى
بينه وبين النّاس وبينه وبين الله عزّ وجل ولذلك جئ بالاحسان فى الكرّة الثالثة بدل الايمان
اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم فى تفسيره او باعتبار المراتب الثّلث المبدأ والوسط والمنتهى او
باعتبار ما يتّقى فانّه ينبغى ان يترك المحرّمات توقيا من العقاب والشّبهات توقيا من الوقوع فى
الحرام وبعض المباحات حفظا للنّفس عن الخسّة وتهذيبا لها عن دنس الطّبيعة وقيل التّكرير لمجرد التّاكيد
كما فى قوله تعالى كلّا سوف تعلمون ثمّ كلّا سوف تعلمون ونظايره وقيل المراد بالاوّل اتقاء الكفر
وبالثّانى اتقاء الكباير وبالثالث اتّقاء الصّغاير ولا ريب فى انّه لا تعلّق لهذه الاعتبارات بالمقام
فاحسن التامّل والله يحبّ المحسنين تذييل مقرّر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير يا ايّها الّذين امنوا
ليبلونّكم الله جواب قسم محذوف اى والله ليعاملنّكم معاملة من تختبركم ليتعرّف احوالكم بشئ
من الصّيد اى من صيد البرّ ماكولًا او غير ماكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت
عام الحديبيّة ابتلاهم الله تعالى بالصّيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث كانوا

متمكّنين

متمكّنين من صيدها اخذا بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم
فهمّوا باخذها فنزلت وروى انّه عنّ لهم حمار وحش فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله
وانت محرم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلّم وساله عن ذلك فانزل الله تعالى الاية فالتّاكيد
القسمىّ فى ليبلونّكم انّما هو لتحقيق ان ما وقع من عدم توحّش الصّيد عنهم ليس الّا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع
المبتلى به كما لو كان النّزول قبل الابتلاء وتنكير شئ للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التى
تزل فيها اقدام الرّاسخين كالابتلاء بقتل النّفس واتلاف الاموال وانّما هو من قبيل ما ابتلى به اهل
ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على انّ من لم يتثبّت فى مثل هذا كيف يتثبت عند شدايد المحن فمن
فى قوله تعالى من الصّيد بيانيّة قطعًا اى بشئ حقير هو الصّيد وجعلها تبعيضيّة يقتضى اعتبار قلّته
وحقارته بالنّسبة الى كلّ الصّيد لا بالنّسبة الى عظايم البلايا فيعرى الكلام عن التنبيه المذكور ليعلم الله
من يخافه بالغيب اى ليتميّز الخائف من عقابه الاخروى وهو غائب مترقّب لقوّة ايمانه فلا يتعرّض
للصّيد ممّن لا يخافه كذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانّما عبّر عن ذلك بعلم الله تعالى اللازم له ايذانا
بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل فى حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلّق علمه تعالى بمن يخافه
بالفعل فان علمه تعالى بانّه سيخافه وان كان متعلّقا به قبل خوفه لكن يتعلّق بانه خائف بالفعل
وهو الّذى يدور عليه امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف
والتقدير ليعلم اولياء الله وقرئ ليُعلم من الاعلام على حذف المفعول الاوّل اى ليعلم الله عباده الخ
والعلم على القراءتين متعد الى واحد واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال
الرّوعة فمن اعتدى بعد ذلك اى بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة
لا بعد تحريمه او النّهى عنه كما قاله بعضهم اذ النّهى والتحريم ليس امرا حادثا يترتب عليه الشرطيّة بالفاء
ولا بعد الابتلاء كما اختاره الاخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح مدار التشديد العذاب بل ربّما
يتوهم كونه عذرا مسوّغًا لتخصصه وانّما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لانّ الاعتداء بعد
ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته
بالكليّة اى فمن تعرّض للصّيد بعد ما بيّنا انّ ما وقع من كثرة الصّيد وعدم توحشه منهم ابتلاء مؤدّ
الى تمييز المطيع من العاصى فله عذاب اليم لما ذكر من انّه مكابرة محضة ولانّ من لا يملك زمام
نفسه ولا يراعى حكم الله تعالى فى امثال هذه البلايا الهيّنة لا يكاد يراعيه فى عظايم المداحض
والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدّارين قال ابن عبّاس رضى الله عنه يوسع ظهره وبطنه جلدًا
وينزع ثيابه يا ايّها الّذين امنوا شروع فى بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام اثر بيان
ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنّهى فى قوله تعالى لا تقتلوا الصّيد وانتم حرم مع كونه معلومًا
لا سيّما من قوله تعالى غير محلى الصّيد وانتم حرم لتاكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللّام فى
الصّيد للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان فى الحل وفى حكمه من فى الحرم وان

كان حلالا كردج جمع رداج والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اى لا تقتلوه وانتم محرمون **ومن قتله**
اى الصيد المعهود وذكر القتل فى الموضعين دون الذبح للايذان بكونه فى حكم الميتة **منكم** متعلق
بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله اى كائنا منكم **متعمدا** حال منه ايضا اى ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة
قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان محظورات الاحرام يستوى فيها العمد والخطاء لما ان الاية نزلت
فى المتعمد كما مر من قصة ابى اليسر ولان الاصل فعل المتعمد والخطاء لاحق به للتغليظ وعن الزهرى
نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطاء وعن سعيد بن جبير رض لا ارى فى الخطاء شيئا
اخذا باشتراط التعمد فى الاية وهو قول داود وعن مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل ح نسيان
الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من
ان يكون اكفاره **فجزاؤه مثل ما قتل** برفعهما اى فعليه جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول
ونصب الثانى على اعمال المصدر وقرئ بجر الثانى على اضافته الى مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل
على الابتداء والخبرية وقرئ بنصبهما على فليجز جزء او فعليه اى يجزى جزاء مثل ما قتل والمراد به
عند ابى حنيفه وابى يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او فى اقرب الاماكن
اليه فان بلغت قيمته قيمة هدى يخير الجانى بين ان يشترى بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى
الحرم وبين ان يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف من بر او صاعا من غيره وبين
ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما يبلغ طعام تصدق به او صام عنه يوما كاملا
اذ لم يعهد فى الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى **من النعم** بيانا للهدى المشترى بالقيمة
على احد وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم
وعند مالك والشافعى ومن يرى رايهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة لان الله تعالى اوجب
مثل المقتول مقيدا بالنعم فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضى الله
عنهم انهم اوجبوا فى النعامة بدنة وفى الظبى شاة وفى حمار الوحش بقرة وفى الارنب عناقا وعن
النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الضبع صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم ولنا ان النص اوجب
المثل والمثل المطلق فى الكتاب والسنة واجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى
واما المثل صورة بلا معنى فلا اعتبار له فى الشرع اصلا واذ لم يكن ارادة الاول اجماعا تعينت
ارادة الثانى لكونه معهودا فى الشرع كما فى حقوق العباد الا ترى ان المماثلة بين افراد نوع واحد
مع كونها فى غاية القوة والظهور لم يعتبرها الشرع ولم يجعل الحيوان عند الاتلاف مضمونا
بفرد اخر من نوعه مماثل له فى غاية الاوصاف بل مضمونا بقيمته مع ان المنصوص عليه فى امثاله
انما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم فحيث لم تعتبر تلك المماثلة القوية
مع تيسير معرفتها وسهولة مراعاتها فلان لا تعتبر ما بين افراد انواع مختلفة من المماثلة الضعيفة
الخفية مع صعوبة ماخذها وعسر المحافظة عليها اولى واحرى ولان القيمة قد اريدت فيما لا نظير له

اجماعا فلم يبق غيره مرادا اذ لا عموم للمشترك فى مواقع الاثبات والمراد بالمروى ايجاب النظير باعتبار ٢٩١
القيمة لا باعتبار ان يعمد الجانى اليها فيصرفها الى المصارف ابتداء بل باعتبار ان يجعلها معيارا فيقدر
بها احدى الخصال الثلث فيقيمها مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير مفارق
عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر فى ثانى الحال بناء على وصفه الاول الذى هو المعيار
له ولما نوعه من الطعام والصيام فحقهما ان تقطعا على الوصف المفارق لا على الوصف اللازم فضلا عن
العطف على الموصوف كما سياتى باذن الله تعالى ومما يرشدك الى ان المراد بالمثل هو القيمة قوله عز
وجل **يحكم به** اى بمثل ما قتل **ذوا عدل منكم** اى حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لان
التقويم هو الذى يحتاج الى النظر والاجتهاد من العدول دون الاشياء المشاهدة التى يستوى فى معرفتها
كل احد من الناس فان ذلك ناشئ عن الغفلة عما ارادوا بما به المماثلة بل لان ما جعلوه مدار المماثلة
بين الصيد وبين النعم من ضرب مشاكلة ومضاهاة فى بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق التباين
بينهما فى بقية الاحوال بما لا يهتدى اليه من اساطين ائمة الاجتهاد وصناديد اهل الهداية والارشاد
الا المؤيدون بالقوة القدسية الا يرى ان الامام الشافعى رحمه الله اوجب فى قتل الحمامة شاة
بناء على ما اثبت بينهما من المماثلة من حيث ان كلا منهما يعب ويهدر مع ان النسبة بينهما من ساير
الحيثيات كما بين الضب والنون فكيف يفوض معرفة امثال هذه الدقايق الغويصة الى راى
عدلين من احاد الناس على ان الحكم بهذا المعنى انما يتعلق بالانواع لا بالاشخاص فبعد ما عين بمقابلة
كل نوع من انواع النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث حاجة الى حكم اصلا وقرئ
يحكم به ذو عدل على ارادة جنس العادل دون الوحدة وقيل بل على ارادة الامام والجملة صفة
لجزاء او حال منه لتخصصه بالصفة وقوله تعالى **هديا** حال مقدرة من الضمير فى به او من جزاء لما
ذكر من تخصصه بالصفة او بدل من مثل فيمن نصبه او من محله فيمن جره او نصب على المصدر اى يهديه
هديا والجملة صفة اخرى لجزاء **بالغ الكعبة** صفة لهديا لان الاضافة غير حقيقية **او كفارة** عطف
على محل من النعم على انه خبر مبتدا محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه وقوله تعالى **طعام
مساكين** عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدا محذوف
اى هى طعام مساكين وقوله تعالى **او عدل ذلك صياما** عطف على طعام الخ كانه قيل فعليه جزاء
مماثل للمقتول من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ يكون المماثلة وصفا لازما
للجزاء يقدر به الهدى والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثانى
فيختار الجانى كلا منهما بدلا من الاخرين هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف على جزاء
فلا يبقى حينئذ فى النظم الكريم ما يقدر به الطعام والصيام والالتجاء الى القياس على الهدى تعسف
لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى ساير القراات فقوله تعالى او كفارة خبر مبتدا محذوف
والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين بالاضافة لتبيين نوع

الكفارة وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ او عِدل بكسر
العين والفرق بينهما ان عدل الشئ ماعادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ماعُدِلَ به
فى المقدار كان المفتوح تسميته بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام و
صياما تمييز للعدل والخيار فى ذلك للجانى عند ابى حنيفه وابى يوسف رحمهما الله وللحكمين
عند محمد رحمهم الله تعالى **ليذوق وبال امره** متعلق بالاستقرار فى الجار والمجرور اى فعليه
جزاء ليذوق الخ وقيل بفعل يدل عليه الكلام كانه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال امره
اى سوء عاقبته هتكه لحرمة الاحرام والوبال فى الاصل المكروه والضرر الذى ينال فى العاقبة
من عمل سوء لثقله ومنه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل وهو الذى لا
يستمرؤه المعدة **عفا الله عما سلف** من قتل الصيد محرما قبل ان يسألوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل عما سلف منه فى الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرايع من قبلهم وكان
الصيد فيها محرما **ومن عاد** الى قتل الصيد بعد النهى عنه وهو محرم **فينتقم الله منه** خبر
مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن
بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا اى فذلك لا يخاف الخ وقوله تعالى ومن كفر فامتعه اى فانا امتعه
والمراد بالانتقام التعذيب فى الآخرة واما الكفارة فعن عطاء وابرهيم وسعيد بن جبير والحسن
انها واجبة على العائد وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر **والله عزيز**
غالب لا يغالب **ذو انتقام** شديد فينتقم ممن اصر على المعصية والاعتداء **احل لكم** الخطاب
للمؤمنين **صيد البحر** اى ما يصاد فى المياه كلها بحرا كان او نهرا او غديرا وهو ما لا يعيش الا
فى الماء ماكولا او غير ماكول **وطعامه** اى وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى
احل لكم التعرض بجميع ما يصاد فى المياه والانتفاع به واكل ما يوكل منه وهو السمك عندنا وعند
ابن ابى ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الاية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه وقرئ
وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه او نضب عنه **متاعا لكم** نصب على
انه مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة فى قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حال
مختص بيعقوب عليه السلام اى احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم ياكلونه طريا **وللسيارة** منكم
يتزودونه قديدا وقيل نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر اى متعكم به متاعا وقيل
مؤكد لمعنى احل لكم فانه فى قوة متعكم به تمتيعا كقوله تعالى كتاب الله عليكم **وحرم عليكم صيد
البر** وقرئ على بناء الفعل للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ وان يعيش فى الماء فى بعض
الاوقات كطير الماء **ما دمتم حرما** اى محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة
ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له مدخل فيه وهو قول عمر وابن عباس رضى الله عنهم وعن ابى
هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انه يحل له اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم

اليه

اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابى حنيفه لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل
وحرم عليكم ما صدتم فى البر فيخرج منه مصيد غيرهم وعند مالك والشافعى واحمد لا يباح ما صيد له
واتقوا الله فيما نهاكم عنه او فى جميع المعاصى التى من جملتها ذلك **الذى اليه تحشرون** لا الى
غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه **جعل الله الكعبة** قال مجاهد سميت
كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل لارتفاعها من الارض ونتوها
وقوله تعالى **البيت الحرام** عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما يجئ الصفة كذلك وقيل
مفعول ثان لجعل وقوله تعالى **قياما للناس** نصب على الحال ويرد عطف ما بعده على المفعول
الاول كما سيجئ بل هذا هو المفعول الثانى وقيل الجعل بمعنى الانشاء والخلق وهو حال كما مر ومعنى
كونه قياما لهم انهم مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتفاعهم فى امور معايشهم ومعادهم
يلوذ به الخائف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجار ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرئ قيما على انه
مصدر على وزن شبع اعل عينه كما اعل فى فعله **والشهر الحرام** اى الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة
وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثانى محذوف لفهمه بما مر اى وجعل
الشهر الحرام **والهدى والقلائد** ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد وهى البدن خصت
بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبها الحج بها اظهر **ذلك** اشارة الى الجعل المذكور خاصة او مع ما ذكر من
الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو العامل فى اللام بعده
اى شرع ذلك **لتعلموا ان الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض** فان تشريع هذه الشرائع المستتبعة
لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولوية والاخروية من اوضح الدلائل
على حكم الشارع وعدم خروج شئ من علمه المحيط وقوله تعالى **وان الله بكل شئ عليم** تعميم
اثر تخصيص للتاكيد ويجوز ان يراد بما فى السموات والارض الاعيان الموجودة فيهما وبكل شئ
الامور المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال التى من قبيل المعانى **اعلموا
ان الله شديد العقاب** وعيد لمن انتهك محارمه او اصر على ذلك وقوله تعالى **وان الله غفور
رحيم** وعد لمن حافظ على مراعاة حرماته تعالى او اقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه
تقديم الوعيد ظاهر **ما على الرسول الا البلاغ** تشديد فى ايجاب القيام بما امر به اى الرسول
قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر
لكم من بعد فى التفريط **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون** فيواخذكم بذلك نقيرا وقطميرا **قل
لا يستوى الخبيث والطيب** حكم عام فى نفى المساواة عند الله تعالى بين الردى من الاشخاص و
الاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب فى جيد كل منها والتحذير عن رديها وان كان
سبب النزول شريح بن ضبيعة البكرى الذى مرت قصته فى تفسير قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تحلوا شعائر الله الخ وقيل نزل فى رجل سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت تجارتى

وانى اعتقدت من بيعها مالا فهل ينفعنى من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان انفقته فى حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله تعالى لا يقبل الا الطيب وقال عطا والحسن الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث فى الذكر للاشعار من اول الامر بان القصور الذى ينبئ عنه عدم الاستواء فيه لا فى تقابله فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتقاربين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزايد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور القاصر كما فى قوله تعالى هل يستوى الاعمى والبصير الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لما ان صلته ملكة لصلة المفضول **ولو اعجبك كثرة الخبيث** اى وان سرك كثرته والخطاب لكل واحد من الذين امر النبى صلى الله عليه وسلم بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر وقيل للحال وقدر انى لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبك وكلتاهما فى موقع الحال من فاعل لا يستوى اى لا يستويان كائنين على كل حال مفروض كما فى قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اى احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اليك اى كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور ما فى لو وان الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف فى الجملتين لدلالة ما قبلها عليه وسياتى تمام تحقيقه فى مواقع عديدة باذن الله عز وجل **فاتقوا الله يا اولى الالباب** اى فى تحرى الخبيث وان كثر وآثروا عليه الطيب وان قل فان مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما كثر الخبيث كان اخبث **لعلكم تفلحون** راجين ان تنالوا الفلاح **يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء** هو اسم جمع على راى الجمهور وسيبويه وجمهور البصريين كطرفا وقصبا اصله شيئاء بهمزتين بينهما الف فقلبت الكلمة بتقديم لامها على فائها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لالف التانيث الممدودة وقيل هو جمع شئ على انه مخفف من شيئ كهينة مخفف من هين والاصل اشيئاء كاهوناء بزنة افعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة والتى للتانيث اذ الالف كالهمزة فخففت الكلمة بان قلبت الهمزة الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشيياء فاجتمعت ياآن اولاهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت اشياء ووزنها افلاء ومنعت الصرف لالف التانيث وقيل انما حذفت من اشيياء الياء المنقلبة من الهمزة التى هى لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم الف الجمع فوزنها افعاء وقوله تعالى **ان تبد لكم تسؤكم** صفة لاشياء داعية الى الانتهاء عن السؤال عنها وحيث كانت المساءة فى هذه الشرطية معلقة بابدائها لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال عنها لابدائها الموجب للمحذور قطعا فقيل **وان تسألوا عنها حين ينزل القران تبد لكم** اى تلك الاشياء الموجبة للمساءة بالوحى كما ينبئ عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويغمهم

من

من التكاليف الصعبة التى لا يطيقون بها والاسرار الخفية التى يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم الادب واجترائهم على المسئلة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشانهم من الاستسلام لامر الله عز وجل من غير بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اى لا تكثروا اسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياه حسبما اوحى اليه لم تطيقوا بها ونحو امور مستورة ان تكرهون بروزها وذلك مثل ما روى على على كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله عليه السلام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فقام رجل من بنى اسد يقال له عكاشة بن محصن وقيل هو سراقة بن مالك فقال انى كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسئلته ثلث مرات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك ما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركونى ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه ومثل ما روى عن النبى وابى هريرة رضى الله عنهما انه سئل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء حين اخفوه فى المسئلة فقام عليه السلام مغضبا خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال سلونى فوالله لا تسئلون عن شئ مادمت فى مقامى هذا الا بينته لكم فاشفقوا اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدى امر قد حضر قال انس فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا اجد رجلا الا وهو لاف راسه فى ثوبه يبكى فقام رجل من قريش من بنى سهم يقال له عبد الله بن حذافة وكان اذا لاحى الرجال يدعى غير ابيه وقال يا نبى الله من ابى فقال عليه السلام ابوك حذافة بن قيس الزهرى وقام اخر وقال اين ابى قال عليه السلام فى النار ثم قام عمر رضى الله عنه فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا نبيا نعوذ بالله من الفتن انا حديثوا عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم **عفا الله عنها** استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم عن المساءة بل لانها فى نفسها معصية مستتبعة للمواخذة وقد عفى عنها وفيه من حثهم على الجد فى الانتهاء عنها ما لا يخفى وضمير عنها للمسئلة المدلول عليها بلا تسألوا اى عفى الله تعالى عن مسائلكم السالفة حيث لم يفرض عليكم الحج فى كل عام جزاء لمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية لسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها واما جعلها صفة اخرى لاشياء على ان الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن اشياء عفى الله عنها ولم يكلفكم اياها فمما لا سبيل اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا فى كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا وكلاهما ضرورى الانتفاء قطعا على انه يستدعى اختصاص النهى

بمسألة الحج ونحوها ان سلم وقوعها مع ان النظم الكريم صريح فى انه مسوق للنهى عن السؤال عن الاشياء
التى يسوءهم ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام والتكاليف الموجبة لمساءتهم بانشائها وايجابها بسبب
السؤال عقوبة وتشديدا كمسئلة الحج لولا عفوه تعالى عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة
للمساءة بالاخبار بها كمسئلة من قال ابن ابى ان قلت تلك الاشياء غير موجبة للمساءة البتة بل هى
محتملة لايجاب المسرة ايضا لان ايجابها للاولى ان كان من حيث وجودها فهى من حيث عدمها
موجبة للاخرى قطعا وليست احدى الحيثيتين محققة عند السائل وانما غرضه من السؤال
ظهورها كيف كانت بل ظهورها بحيثية ايجابها للمسرة فلا عبرة عنها بحيثية ايجابها للمساءة قلت
لتحقيق المنهى عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تاكيد النهى وتشديده لان تلك الحيثية هى الموجبة
للانتهاء والانزجار لاحيثية ايجابها للمسرة ولاحيثية ترددها بين الايجابين ان قيل الشرطية
الثانية ناطقة بان السؤال عن تلك الاشياء الموجبة للمساءة مستلزم لابدائها البتة كما مر فلم تخلف
الابداء عن السؤال فى مسئلة الحج حيث لم يفرض فى كل عام قلنا لوقوع السؤال قبل ورود النهى وما
ذكر فى الشرطية انما هو السؤال الواقع بعد وروده ان هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف
فيه ان قيل ما ذكرته انما يتمشى فيما اذا كان السؤال عن الامور المترددة بين الوقوع وعدمه
كما ذكر من التكاليف الشاقة واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد يتسنى لان ما يتعلق
به الابداء هو الذى وقع فى نفس الامر ولا مرد له سواء كان السؤال قبل النهى او بعده وقد يكون
الواقع ما يوجب المسرة كما فى مسئلة عبد الله بن حذافة فيكون هو الذى يتعلق به الابداء لا غيره فتعين
التخلف قلنا لا احتمال للتخلف فضلا عن التعين فان المنهى عنه فى الحقيقة انما هو السؤال عن
الاشياء الموجبة للمساءة الواقعة فى نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال ابن ابى لا عما يعمها وغيرها
مما ليس بواقع لكنه يحتمل للوقوع عند المكلفين حتى يلزم التخلف فى صورة عدم الوقوع وجملة الكلام
ان مدلول النظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهى عن السؤال عن الاشياء التى يوجب ابداؤها
المساءة البتة اما بان يكون تلك الاشياء بعرضية الوقوع فتبدى عند السؤال بطريق الانشاء عقوبة
وتشديدا كما صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة واما بان تكون واقعة فى نفس الامر قبل السؤال
فتبدى عنده بطريق الاخبار بها فالتخلف ممتنع فى الصورتين معا ومنشاء توهم عدم الفرق بين
المنهى عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود وبعرضية الوجود من تلك الاشياء فى
نفس الامر وما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم للكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة هذا
الابهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الاشياء على الاطلاق حذارا ابداء المكروه **والله غفور حليم**
اعتراض تذييلى مقرر لعفوه تعالى اى مبالغ فى مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصى ولذلك عفى
عنكم ولم يؤاخذكم بعقوبة ما فرط منكم **قد سالها قوم** اى سالوا هذه المسئلة لكن لا عينها بل مثلها
فى كونها محظورة ومستتبعة للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة فى التحذير **من قبلكم** متعلق

بسالها **ثم اصبحوا بها** اى بسببها او بمرجوعها **كافرين** فان بنى اسرائيل كانوا يستفتون
انبياءهم فى اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا **ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا
حام** رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن آخرها
ذكر بحروا اذنها اى شقوها وحرموا ركوبها و ردها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان يقول
الرجل اذا قدمت من سفرى او برئت من مرضى فناقتى سائبة وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع
بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة
انثى فهى لهم وان ولدت ذكرا او انثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا انتجت من
صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى
ما جعل ما شرع وما وضع ولذلك عدى الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة
لتاكيد النفى فان الجعل التشريعى يجئ مرة متعديا الى مفعولين كما فى قوله تعالى جعل الله الكعبة
البيت الحرام قياما للناس واخرى الى واحد كما فى الاية الكريمة **ولكن الذين كفروا يفترون على الله
الكذب** حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم عمرو بن يحيى فانه اول
من فعل هذه الافاعيل الباطلة هذا شان رؤسائهم وكبارهم **واكثرهم** وهم اراذلهم الذين
يتبعونهم من معاصرى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشهد به سياق النظم الكريم **لا يعقلون**
انه افتراء باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون فى اسر التقليد وهذا بيان لقصور
عقولهم وعجزهم عن الاهتداء بانفسهم وقوله عز وجل **واذا قيل لهم** اى الذين عبر عنهم باكثرهم
على سبيل الارشاد **تعالوا الى ما انزل الله** من الكتاب المبين للحلال والحرام **والى الرسول** الذى
انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة الحال وتميز الحرام من الحلال **قالوا حسبنا ما وجدنا عليه**
بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادى الى الحق وانقيادهم للداعى الى الضلال **اولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيئا ولا يهتدون** قيل الواو للحال دخلت عليها الهمزة للانكار والتعجيب اى احسبهم ذلك
ولو كان اباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية اخرى مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير
احسبهم ذلك او يقولون هذا القول لو لم يكن اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون للصواب
ولو كانوا لا يعلمون الخ وكلتاهما فى موقع الحال اى احسبهم ما وجدوا عليه اباءهم كائنين على كل حال
مفروض وقد حذفت الاولى فى الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة كيف
لا وان الشئ اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى كما فى قولك احسن الى فلان وان
اساء اليك اى احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اى احسن اليه كائنا على كل حال مفروض وقد حذفت
الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند المانع فلان يؤمر به عند
عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما فى ان ولو الوصليتين من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف
لدلالة ما سبق عليه اى لو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون ذلك

ومافى لومعنى الامتناع والاستبعاد انّماهو بالنّظرالى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدة المبالغة فى الانكار والتعجب
ببيان ان ما قالوه موجب للانكار والتعجب اذا كون اٰبائهم جهلة ضالّين فى حيّز الاحتمال البعيد فكيف اذا
كان ذلك واقعا لاريب فيه وقيل مآل الوجهين واحد لانّ الجملة المقدّرة حال فكذا ما عطف عليها
وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا للحال وقد مرّ
التحقيق فى قوله تعالى اولو كان اٰباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبّر يا ايّها الّذين اٰمنوا
عليكم انفسكم اى الزموا امر انفسكم واصلاحها وقرئ بالرّفع على الابتداء اى واجبة عليكم انفسكم
وقوله عزّ وجلّ لا يضرّكم من ضلّ اذا اهتديتم امّا مجزوم على انّه جواب الامر او نهى مؤكّد وانّما ضمّت الرّاء
اتباعا لضمة الضّاد المنقولة اليها من الرّاء المدغمة اذ الاصل لا يضررْكم ويؤيّده القراءة بفتح الرّاء وقراءة
من قرأ لا يضِرْكم بكسر الضّاد وضمّها من ضاره يضيره ويضوره وامّا مرفوع على انّه كلام مستانف فى
موقع التّعليل لما قبله ويعضده قراءة من قرأ لا يضيركم اى لا يضرّكم ضلال من ضلّ اذا كنتم مهتدين
ولا يتوهمنّ ان فيه رخصة فى ترك الامر بالمعروف النّهى عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن
جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر حسبما تفى به الطاقة قال صلّى الله عليه وسلّم من راى منكم منكرا فاستطاع
ان يغيّره فليغيّره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روى ان الصّدّيق
رضى الله عنه قال يوما على المنبر يا ايّها النّاس انكم تقرؤن هذه الاٰية وتضعونها غير موضعها ولا
تدرون ما هى وانى سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول انّ النّاس اذا راوا منكرا فلم يغيّروا
عمّهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ولا تغترّوا بقول الله عزّ وجلّ يا ايّها النّاس الخ فيقول
احدكم علىّ نفسى والله لتأمرنّ بالمعروف وتنهونّ عن المنكر او ليستعملنّ عليكم شراركم فيسومونكم
سوء العذاب ثمّ ليدعنّ خياركم فلا يستجاب لهم وعنه صلّى الله عليه وسلّم ما من قوم عمل فيهم
منكرا وسنّ فيه قبيح فلم يغيّروه ولم ينكروه الا وحقّ على الله تعالى ان يعمّهم بالعقوبة جميعا ثمّ
لا يستجاب لهم والاٰية نزلت لما كان المؤمنون يتحسّرون على الكفرة وكانوا يتمنّون ايمانهم وهم من
الضّلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنّهى وقيل كان الرّجل اذا اسلم لاموه وقالوا
له سفّهت اٰباءك وضلّلتهم اى نسبتهم الى السّفاهة والضّلال فنزلت تسلية له بان ضلال اٰبائه
لا يضرّه ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيمة جميعا بحيث لا يتخلّف
عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبّئكم بما كنتم تعملون فى الدنيا من اعمال الهداية والضّلال
فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا ايّها الّذين اٰمنوا استيناف
مسوق لبيان الاحكام المتعلّقة بامر دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلّقة بامور دينهم وتصديره بحرف
النّداء والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عزّ وجلّ شهادة بينكم بالرّفع والاضافة
الى الظّرف توسّعا امّا باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلّقها بما يجرى بينهم من الخصومات مبتداء
وقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت اى شارفه وظهرت علائمه ظرف لها وتقديم المفعول لافادة

كمال تمكّن الفاعل عند النّفس وقت وروده عليها فانه ادخل فى تهوين امر الموت وقوله تعالى حين
الوصيّة بدل منه لا ظرف للموت كما توهّم ولا لحضوره كما قيل فان فى الابدال تنبيها على ان الوصيّة من
المهمّات المقرّرة التى لا ينبغى ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتداء
بتقدير المضاف اى شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين او فاعل لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف
اى فيما نزل عليكم ان يشهد بينكم اثنان وقرئ شهادةٌ بالرّفع والتنوين والاعراب كما سبق وقرئ
شهادةً بالنّصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل فى اثنان ايضا اى ليقم شهادةً بينكم
اثنان ذوا عدل منكم اى من اقاربكم لانّهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحرّى ما هو اصلح
له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان او اٰخران عطف على اثنان تابع له فيما ذكر من الخبريّة
والفاعليّة اى او شهادة اٰخرين او ان يشهد بينكم اٰخران او ليقم شهادة بينكم اٰخران وقوله تعالى
من غيركم صفة لاٰخران اى كائنان من غيركم اى من الاجانب وقيل من اهل الذمّة وقد كان
ذلك فى بدء الاسلام لعزّة وجود المسلمين لا سيّما فى السّفر ثمّ نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى
واشهدوا ذوى عدل منكم ان انتم مرفوع بمضمر يفسّره ما بعده تقديره فلمّا حذف الفعل انفصل
الضمير وهذا راى جمهور البصريّين وذهب الاخفش والكوفيّون الى انّه مبتداء بناء على جواز
وقوع المبتداء بعد ان الشرطيّة لجواز وقوعه بعد اذا فقوله تعالى ضربتم فى الارض اى سافرتم
فيها لا محلّ له من الاعراب عند الاوّلين لكنّه مفسّر او مرفوع على الخبريّة عند الباقين وقوله تعالى
فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشّرط وجوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان سافرتم
فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام من يتولّى لامر الشّهادة كما هو
الغالب المعتاد فى الاسفار فليشهد اٰخران او فاستشهدوا اٰخرين او فالشاهدان اٰخران كذا قيل
والانسب ان يقدّر عين ما سبق اى فاٰخران على معنى شهادة بينكم شهادة اٰخرين اى فان يشهد
اٰخران على الوجوه المذكورة ثمّة وقوله تعالى تحبسونهما استيناف وقع جوابا عمّا نشأ من اشتراط
العدالة كانّه قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشّاهدين فقيل تحبسونهما اى تقفونهما وتصبرونهما
للتحليف من بعد الصّلوة وقيل هو صفة لاٰخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة
على انّ اللائق اشهاد الاقارب او اهل الاسلام وامّا اشهاد الاٰخرين فعند الضرورة الملجئة اليه وانت
خبير بانّه يقتضى اختصاص الحبس بالاٰخرين مع شموله للاوّلين ايضا قطعا على ان اعتبار اتّصافهما
بذلك بإباه مقام الامر باشهادهما اذ ماله فاٰخران شانهما الحبس والتحليف وان امكن اتمام التقريب
باعتبار قيد الارتياب بهما كما يفيده الاعتراض الاٰتى والمراد بالصلوة صلوة العصر وعدم تعيينها
لتعيّنها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع النّاس وتصادم ملئكة اللّيل وملئكة النهار ولانّ
جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون الحلف الكاذب وقد روى ان النّبى صلّى الله عليه وسلّم وقت
اذا حلّف من حلّف كما سياتى وقيل بعد اىّ صلوة كانت لانها داعية الى النّطق بالصّدق وناهية

عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر **فيقسمان بالله** عطف على تحبسونهما وقوله تعالى
ان ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت من جهته تعالى
معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اى ان ارتاب
بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شئ من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله عز وجل **لا نشترى به**
ثمنا جواب للقسم وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفى بذكر جواب سابقهما عن
جواب الاخر كما هو الواقع غالبا فان ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق
لاتحاد مضمونهما كما فى قولك والله لان اتيتنى لاكرمنك فلا ريب فى استحالة ذلك ههنا لان القسم
وجوابه كلاهما وقد عرفت ان الشرط من جهته عز وجل والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن اى
اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر فى عقد الشرا مفهومه
هو الجلب دون السلب المعتبر فى عقد البيع ثم اعتبر لاخذ شئ بازالة ما عنده عينا كان او معنى
على وجه الرغبة فى الماخوذ والاعراض عن الزايد كما هو المعتبر فى المستعار منه حسبما مر تفصيله
فى قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير فى به لله والمعنى لا ناخذ لانفسنا
بدلا من الله اى من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها بالحلف الكاذب اى لا نحلف بالله
كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة اى لا نستبدل بصحة القسم
بالله اى لا ناخذ بدلا منها عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه بالكذب اى لا نحلف
كاذبين كما ذكروا الاسداد للمعنى سواء اريد به القسم الصادق او الكاذب اما ان اريد به الكاذب
فلانه يفوت حينئذ ما هو المعتبر فى الاستعارة من كون الزايل شيئا مرغوبا فيه عند الحالف كحرمة
اسم الله تعالى ووصف الصحة والصدق فى القسم ولا ريب فى ان القسم الكاذب ليس كذلك واما
ان اريد به الصادق فلانه وان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن لا
محذور فيه واما التوسل اليه بترك استعماله فلا امكان له ههنا حتى يصح التبرء منه وانما يتوسل اليه
باستعمال القسم الكاذب وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق كما فى صورة تقدير المضاف
فانه ازالة وصف الصدق من القسم مع بقاء الموصوف مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة
فتامل وقوله تعالى **ولو كان** اى المقسم المدلول عليه بفحوى الكلام **ذا قربى** اى قريبا منا تاكيدا
لتبريهم من الحلف كاذبا ومبالغة فى التنزه عنه كانهما قالا لا ناخذ لانفسنا من حرمة اسمه تعالى
مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقربا فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان كانت
اهم من رعاية الاقربا لكنها ليست ضميمة للمال بل هى راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما سبق
عليه اى لا نشترى به ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل فى قوله تعالى ولو اعجبك الخ وقوله
عز وجل **ولا نكتم شهادة الله** اى الشهادة التى امرنا الله تعالى باقامتها معطوف على لا نشترى به
داخل معه فى حكم القسم وعن الشعبى انه وقف على شهادة ثم ابتدا الله بالمد على حذف حرف القسم

تعويض حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن **انا اذا لمن الاثمين** اى ان كتمناها
وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادخال النون فيها **فان عثر** اى اطلع بعد
التحليف **على انهما استحقا اثما** حسبما اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الاثمين اى فعلا ما يوجب
اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شئ من التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه
كما وقع فى سبب النزول حسبما سياتى **فاخران** اى رجلان اخران وهو مبتدا خبره **يقومان**
مقامهما ولا محذور فى الفصل بالخبر بين المبتدا وبين وصفه الذى هو الجار والمجرور بعده
اى يقومان مقام الذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما مقام اداء الشهادة التى توليا ها
ولم يودياها كما هى بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق وابراز كذبهما فيما
ادعيا من استحقاقهما لما فى ايديهما **من الذين استحق** على البناء للفاعل قراءة على وابن عباس
وابى رضى الله عنهم اى من اهل الميت الذين استحق **عليهم الاوليان** من بينهم اى الاقربان الى
الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة اى باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اى استحقا
عليهم ان يجردوهما للقيام لانها حقهما ويظهروا بهما كذب الكاذبين وهما فى الحقيقة الاخران
القايمان مقام الاولين على وضع المظهر مقام المضمر وقرئ على البناء للمفعول وهو الاظهر اى من
الذين استحق عليهم الاثم اى جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان على انه خبر محذوف
كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان او هو بدل من الضمير فى يقومان او من اخران وقد جوز ارتفاعه
باستحق على حذف المضاف اى استحق على حذف المضاف اى استحق عليهم انتداب الاولين منهم
للشهادة وقرئ الاولين على انه صفة للذين الخ مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم
على الاجانب فى الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ
الاولان **فيقسمان بالله** عطف على يقومان **لشهادتنا** المراد بالشهادة اليمين كما فى قوله تعالى
فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اى ليميننا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع
كونهما حقة صادقة فى نفسها **احق** بالقبول **من شهادتهما** اى من يمينهما مع كونها كاذبة فى نفسها
لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة التفضيل مع
انه لا حقية فى يمينهما راسا انما هى لامكان قبولها فى الجملة باعتبار احتمال صدقهما فى ادعاء تملكهما
فيما ظهر فى ايديهما **وما اعتدينا** عطف على جواب القسم اى ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا
عليهما بابطال حقهما **انا اذا لمن الظالمين** استيناف مقرر لما قبله اى انا ان اعتدينا فى يميننا
لمن الظالمين انفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن
الواضعين الحق فى غير موضعه ومعنى النظم الكريم ان المحتضر ينبغى ان يشهد على وصيته عدلين من ذوى
نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان فى سفر فاخرين من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على
انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ فى الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما

بان ظهر بايديهما شئ من التركة وادعيا تملكه من جهة الميّت حلف الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص
الاثنين لخصوص الواقعة فانه روى ان تميم بن اوس الدارى وعدى بن زيد خرجا الى الشّام للتّجارة
وكانا حينئذ نصرانيّين ومعهما بديل بن ابى مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما مهاجرا فلما قدما
الشام مرض بديل فكتب كتابًا فيه جميع مامعه وطرحه فى متاعه ولم يخبرهما بذلك واوصى اليهما بان
يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضّة وزنه ثلثمائة مثقال منقوشًا
بالذّهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا ما ندرى
انّما اوصى الينا بشئ وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الّذين امنوا الايه فاستحلفهما بعد صلوة العصر عند المنبر بالله الّذى
لا اله الّا هو انّهما لم يختانا شيئًا ممّا دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم انّ الاناء
وجد بمكة فقال من اشتريته من تميم وعدىّ وقيل لما طالت المدّة اظهراه فبلغ ذلك بنى سهم
فطلبوه منهما فقالا كنّا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئًا فقلتما
لا قالا ما كان لنا بيّنة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله
عزّ وجل فان عثر الاية فقام عمرو بن العاص والمطّلب بن ابى وداعة السّهميان فحلفا بالله بعد
العصر انهما كذبا وخانا فدفع الاناء اليهما وفى رواية والى اولياء الميّت واعلم انّهما ان كانا وارثين
لبديل فلا نسخ الا فى وصف اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والّا فهو منسوخ **ذلك** كلام
مستانف سيق لبيان ما ذكر مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكم والمصلحة اى الحكم الذى تقدّم تفصيله
ادنى ان ياتوا بالشّهادة على وجهها اى اقرب الى ان يؤدى الشهود الشهادة على وجهها الّذى
تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة خوفا من العذاب الاخروىّ وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف
بالتغليظ المذكور وقوله تعالى **او يخافوا ان تردّ ايمان بعد ايمانهم** بيان لحكمة شرعية ردّ
اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانّه قيل ذلك ادنى ان ياتوا بالشّهادة على
وجهها ويخافوا عذاب الآخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح على رؤس الاشهاد بابطال
ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدّية اليه فاىّ الخوفين وقع حصل المقصد
الّذى هو الاتيان بالشهادة على وجهها وقيل هو عطف على ياتوا على معنى ان ذلك اقرب
الى ان ياتوا بالشهادة على وجهها وقيل هو عطف الافتضاح برد اليمين على الورثة فلا يحلفوا
على موجب شهادتهم ان لم ياتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكولهم واما ما قيل من ان المعنى ان
ذلك اقرب الى احد الامرين اللذين ايّهما وقع كان فيه الصّلاح اذا الشّهادة على الصّدق والامتناع
عن ادائها على الكذب فيا باه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة انّ الشّاهد مضطر فيها الى
الجواب فالامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة قطعا فليس هناك امران
ايّهما وقع كان فيه الصّلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او وانّما يتاتى ذلك فى شهود لم يتهموا بخيانة على ان

اضافة

اضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة الى خوف ردّ اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصّادقة الى
غيره مع ان ما يقتضى احدهما يقتضى الآخر لا محالة تحكّم بحث فتامّل **فاتّقوا الله** فى مخالفة احكامه
الّتى من جملتها هذا الحكم **واسمعوا** ما تؤمرون به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول **والله لا يهدى
القوم الفاسقين** الخارجين عن الطّاعة اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدى
القوم الفاسقين اى الى طريق الجنّة او الى ما فيه نفعهم **يوم يجمع الله الرُّسُلَ** نصب على انّه
بدل اشتمال من مفعول اتّقوا لما بينهما من الملابسة فان مدار البدليّة ليس ملابسة الظرفيّة والمظروفيّة
ونحوها فقط بل هو تعلّق ما صحّ لانتقال الذّهن من المبدل منه الى البدل بوجه اجمالى كما فيما نحن
فيه فان كونه تعالى خالق الاشياء كافّة مالك يوم الدين خاصة كاف فى الباب مع ان الامر بتقوى
الله تعالى يتبادر منه الى الذهن ان المتقى اىّ شان من شؤنه واىّ فعل من افعاله وقيل هناك
مضاف محذوف به يتحقق الاشتمال اى اتّقوا عقاب الله فحينئذ يجوز انتصابه منه بطريق الظّرفيه
وقيل منصوب بمضمر معطوف على اتقوا وما عطف عليه اى واحذروا او واذكروا يوم الخ فان
تذكير ذلك اليوم الهايل ممّا يضطرّهم الى تقوى الله عزّ وعلا وتلقى امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل
هو ظرف لقوله تعالى لا يهدى اى يهديهم يومئذ الى طريق الجنّة كما يهدى اليه المؤمنين
وقيل منصوب بقوله تعالى واسمعوا بحذف مضاف اى اسمعوا خبر ذلك اليوم وقيل منصوب
بفعل مؤخر قد حذف للدّلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة
التّامة والدّواهى العامة كانه قيل يوم يجمع الرّسل فيقول الخ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى
ببيانه نطاق المقال واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص
الرّسل بالذّكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له النّاس وذلك يوم
مشهود وقد قال الله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم بل لابانة شرفهم واصالتهم والايذان
بعدم الحاجة الى التّصريح بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم لياقتهم
بالانتظام فى سلك جمع الرّسل كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون على وجه الاجلال واولئك يسحبون
على وجوههم بالاغلال **فيقول** لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرّسالة كما ينبغى حسبما يعرب
عنه تخصيص السّؤال بجواب الامم اعرابا واضحا والّا لصدر الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتى
وماذا فى قوله عزّ وجل **ماذا اجبتم** عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدريّة اى اىّ
اجابة من جهة اممكم اجابة قبول او اجابة ردّ وقيل عبارة عن الجواب فهو فى محل النّصب بعد
حذف الجار عنه اى باى جواب اجبتم وعلى التقديرين ففى توجيه السّؤال عمّا صدر عنهم وهم شهود
الى الرّسل عليهم السّلام كسؤال المؤودة بمحضر من الوايد والعدول عن اسناد الجواب اليهم بان
يقال ماذا اجابوا من الانباء عن كمال تحقير شانهم وشدّة الغيظ والسخط عليهم ما لا يخفى **قالوا** استيناف
مبنى على سؤال نشا من سوق الكلام كانّه قيل فماذا يقول الرّسل عليهم السلام هنالك فقيل يقولون

لا علم لنا وصيغة الماضي للدلالة على التقرر والتحقق كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف ونظائرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تعالى واحاطته بما اعتراهم من جهتهم من مقاسات الاهوال ومعانات الهموم والاوجال وعرضا لعجزهم عن بيانه لكثرته وفظاعته **انك انت علام الغيوب** تعليل لذلك اى تعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلم مما اضمروه فى قلوبهم وفيه اظهار للشكاة ورد للامر الى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجاء الى ربهم فى الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد ذلك بانهم يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى عليهم امرهم وانت خبير بان مرادهم حينئذ ان بعضهم كانوا فى زمانهم على الحق ثم صاروا كفرة وعن ابن عباس ومجاهد والسدى انهم يفزعون عن اول الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة فى تحقيق فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء او الاختصاص بالمدح على ان الكلام قد تم عند قوله انت اى انك انت المنعوت بنعوت كمالك المعروف بذلك **اذ قال الله يا عيسى ابن مريم** شروع فى بيان ما جرى بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل اثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين وتخصيص شان عيسى عليه السلام بالبيان تفصيلا من بين شؤن سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شانه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم فى السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم وافت فى اعضادهم وادخل فى صرفهم عن غيهم وعنادهم واذ بدل من يوم يجمع الله الخ وصيغة الماضى لما ذكر من الدلالة على تحقيق الوقوع واظهار الاسم الجليل فى مقام الاضمار لما مر من المبالغة فى التهويل وكلمة على فى قوله تعالى **اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك** متعلقة بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اى اذكر نعمتى كائنة عليكما وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعمة المنتظمة فى سلك التعديد تكليفه عليه السلام شكرها والقيام مواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر فى اوانه اى خروج بل اظهار امره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما بينه الله سبحانه اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على رؤس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انباء عنه النظم توبيخا ومزجرة للكفرة المختلفين فى شانه عليه السلام افراطا وتفريطا وابطالا لقولهما جميعا **اذ ايدتك** ظرف لنعمتى اى اذكر انعامى عليكما وقت تاييدى لك وقرئ آيدتك والمعنى واحد اى قويتك **بروح القدس** بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او بالكلام الذى يحيى به الدين واضافته الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الآثام او يحيى به الموتى او النفوس حيوة ابدية وقيل الارواح مختلفة الحقائق فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه عليه السلام طاهرة

مشرقة نورانية علوية وايا ما كان فهو نعمة عليهما **تكلم الناس فى المهد وكهلا** استيناف مبين لتاييده عليه السلام او حال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام فى حال الكهولة لبيان ان كلامه عليه السلام فى تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع صادر عن كمال العقل مقارن لرزانة الراى والتدبير وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من السماء لما انه رفع قبل التكهل قال ابن عباس ارسله الله تعالى وهو ابن ثلاثين سنة ومكث فى رسالته ثلثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه **واذ علمتك الكتاب** عطف على قوله تعالى اذ ايدتك منصوب بما نصبه اى اذكر نعمتى عليكما وقت تعليمى لك الكتاب **والحكمة** اى جنسهما **والتورية والانجيل** خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة اظهارا لشرفهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب **واذ تخلق من الطين كهيئة الطير** اى تصور منه هيئة مماثلة لهيئة الطير **باذنى** بتسهيلى وتيسيرى لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الاسباب مع الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى **فتنفخ فيها** اى فى الهيئة المصورة **فتكون** اى تلك الهيئة **طيرا باذنى** فان اذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى للطير بل عن محض تيسيره مع صدور الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان هذا تكوينا من جهة الهيئة وتكرير قوله باذنى فى الطير مع كونه شيئا واحدا لتنبيه على ان كلا من التصوير والنفخ امر معظم بديع لا ينبغى ولا يترتب عليه شئ الا باذنه تعالى **وتبرئ الاكمه والابرص باذنى** عطف على تخلق **واذ تخرج الموتى باذنى** عطف على اذ تخلق اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعد ما صارت رميما معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة بتذكيرها وقصتها صريحا قيل اخرج سام ابن نوح ورجلين وامراة وجارية وتكرير قوله باذنى فى المواضع الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى بل من جهته سبحانه قد اظهرها على يديه معجزة له ونعمة خصها به واما ذكره فى سورة آل عمران مرتين لما ان ذلك موضع الاخبار وهذا موضع تعداد النعم **واذ كففت بنى اسرائيل عنك** عطف على اذ تخرج اى منعت اليهود الذين ارادوا بك السوء عن التعرض لك **اذ جئتهم بالبينات** بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما ياكلون وما يدخرون فى بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجئ بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى **فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين** فان قولهم ذلك مما يدل على انهم قصدوا اغتياله عليه السلام المحوج الى الكف اى كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع ضميرهم الموصول لذمهم بما فى حيز الصلة فكلمة من بيانية وهذا اشارة الى ما جاء به والتذكير لان اشارتهم الى ما رأوه من نفس المسمى من حيث هو او من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر مبين فهذا حينئذ اشارة الى عيسى عليه السلام **واذ اوحيت الى الحواريين** عطف على ما قبله من اخواتها الواقعة ظروفا للنعمة التى امر بذكرها وهى

وان كانت فى الحقيقة عين مايفيده الجمل التى اضيف اليها تلك الظروف من التايبد بروح القدس
وتعليم الكتاب والحكمة وساير الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها لها بعنوان منبئ عن غاية الاحسان
امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة فى تلك الظروف لكفاية المغايرة الاعتبارية فى تحقيق
ما اعتبر فى مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين ماضيتين واقعتين
فيه احداهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد افادة وقوعها ايضا له فيضاف
الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد تكون المغايرة بين النسبتين
بالذات كما فى قولك اذكر احسانى اليك اذ احسنت الى تريد تنبيه المخاطب على وقوع احسانك
اليه وقت وقوع احسانه اليك وهما نسبتان متغايرتان بالذات وقد تكون بالاعتبار كما فى
قولك اذكر احسانى اليك اذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها احسانا اليه
لا على احسان اخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل عامة ما وقع فى التنزيل من قوله تعالى يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الاية وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة
الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظاير ومعنى
ايحايه تعالى اليهم امره تعالى فى الانجيل على لسانه عليه السلام وقيل الهامه تعالى اياهم كما فى
قوله واوحينا الى ام موسى وان فى قوله تعالى **ان امنوا بى وبرسولى** مفسرة لما فى معنى القول
وقيل مصدرية وايراده عليه بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به عليه السلام كانه
قيل امنوا بوحدانيتى فى الالوهية والربوبية وبرسالة رسولى ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا
وقوله تعالى **قالوا** استيناف مبنى على سوال نشاء من سوق الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين
اوحى اليهم ذلك فقيل قالوا **امنا** اى بما ذكر من وحدانيته تعالى وبرسالة رسوله كما يؤذن
به قولهم **واشهد باننا مسلمون** اى مخلصون فى ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم بمقتضى
وحيه تعالى وامره لهم بذلك نعمة جليلة كساير النعم الفائضة عليه السلام وكل ذلك نعمة على والدته
ايضا روى عليه السلام لما علم انه سيؤمر بذكرها تيك النعم العظام جعل يلبس الشعر وياكل الشجر
ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت اينما امسى بات
اذ قال الحواريون كلام مستانف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه
منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار فى موقع الاضمار واذ منصوب بخوطب به النبى عليه السلام بطريق
تلوين الخطاب لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس بخطاب وانما هو حكاية
خطاب بل لان الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الاية فتامل كانه قيل للنبى صلى الله عليه
وسلم عقيب حكاية ماصدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على
عيسى عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم الخ وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعاهم
الايمان والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان لا يساعده النظم الكريم **يا عيسى بن مريم هل يستطيع**

ربك

ان ينزل علينا مائدة من السماء اختلف فى انهم هل كانوا مؤمنين ام لا فقيل كانوا كافرين
شاكين فى قدرة الله تعالى على ما ذكروا وفى صدقه عليه السلام كاذبين فى دعوى الايمان والاخلاص
وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم للاطمينان والتثبت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل
دون القدرة عليه تعبيرا عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما يقتضيه الحكمة والارادة لا على
ما يقتضيه القدرة وقيل المعنى هل يستطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب
بمعنى اجاب وقرئ هل تستطيع ربك اى سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك
عنه وهى قراءة على وعايشة وابن عباس ومعاذ رضى الله عنهم وسعيد بن جبير فى اخرين والمائدة
الخوان الذى عليه الطعام من مادة اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم
شجرة مطعمة وقال ابو عبيدة هى فاعلة بمعنى مفعول له كعيشة راضية **قال** استيناف مبنى على سؤال
ناشئ مما قبله كانه قيل فماذا قال لهم عيسى عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال **اتقوا الله**
اى من امثال هذا السؤال **ان كنتم مؤمنين** اى بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتى او ان صدقتم
فى ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات
وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة لحصول المسؤول كقوله تعالى ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه
الوسيلة **قالوا** استيناف كما سبق **نريد ان ناكل منها** تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال اى
لسنا نريد بالسؤال ازاحة شبهتنا فى قدرته تعالى على تنزيلها او فى صحة نبوتك حتى يقدح
ذلك فى الايمان والتقوى بل نريد ان ناكل منها اى اكل تبرك وقيل اكل حاجة وتمتع **وتطمئن
قلوبنا** بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم
الاستدلالى مما يوجب ازدياد الطمانينة وقوة اليقين **ونعلم** اى علما يقينيا لا يحوم حوله
شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على البناء للمفعول **ان قد صدقتنا** ان هى المخففة من ان وضمير
الشان محذوف اى ونعلم انه قد صدقتنا فى دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا
عالمين بذلك من قبل **ونكون عليها من الشاهدين** نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بنى
اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمانينة ويقينا ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين
للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما
يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه قيل على اى شئ يشهدون فقيل عليها فان ما يتعلق
بالصلة لا يتقدم على الموصول او هو حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين
قال عيسى بن مريم لما راى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا فى ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع
على استدعائها واستنزالها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روى انه عليه السلام اغتسل ولبس المسح
وصلى ركعتين فطاطا راسه وغض بصره ثم قال **اللهم ربنا** ناداه سبحانه مرتين مرة

بوصف الالوهيّة الجامعة لجميع الكمالات ومرّة بوصف الرّبوبيّة البيّنة عن التربية اظهار الغاية التضرع
ومبالغة فى الاستدعاء انزل علينا تقديم الظرف على قوله تعالى مائدة لمامرّ مرارا من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخّر وقوله تعالى من السّمآء متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اى كائنة من السّماء
نازلة منها وقوله تعالى تكون لنا عيدًا فى محل النّصب على انّه صفة لمائدة واسم تكون ضمير المائدة
وخبرها امّا عيدا ولنا حال منه او من ضمير تكون عند من يجوز اعمالها فى الحال واما لنا وعيدا حال
من الضّمير فى لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او من ضمير تكون عند من يرى ذلك او يكون يوم نزولها
عيدا العظمة وانّما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد
ولذلك سمى يوم العيد عيدًا وقرئ تكن بالجزم على جواب الامر كما فى قوله تعالى فهب لى من لدنك
وليّا يرثنى خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من الشواذ لاوّلنا واٰخرنا بدل من لنا
باعادة العامل اى عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روى انها نزلت يوم الاحد ولذلك اتخذه النصارى
عيدًا وقيل الرؤسائنا والاتباع وقيل ياكل منها اوّلنا واٰخرنا وقرئ لاولنا واٰخرنا بمعنى الامة
والطائفة واٰية عطف على عيدا منك متعلق بمحذوف هو صفة لآية اى كائنة منك دالة على كمال
قدرتك وصحة نبوتى وارزقنا اى المائدة او الشكر عليها وانت خير الرّازقين تذييل جار مجرى
التعليل اى خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفى اقباله عليه السّلام على
الدّعا بتكرير النّدا المنبئ عن كمال الضّراعة والابتهال وزيادته ما لم يخطر ببال السّائلين من الامور
الدّاعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان لتحصيل
الطّمانينة كما فى قول ابرهيم عليه السّلام رب ارنى كيف تحيى الموتى والّا لما قبل اعتذارهم
بماذكروه ولما اضاف اليه من عنده ما يؤكده ويقربه الى القبول قال الله استيناف كما سلف انّى
منزّلها عليكم وورود الاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدّعاء منه
عليه السّلام بصيغة الافعال لاظهار كمال اللّطف والاحسان كما فى قوله تعالى قل الله ينجيكم منها
ومن كل كرب الخ بعد قوله تعالى لئن انجانا من هذه الخ مع ما فيه من مراعاة ما وقع فى عباده السّائلين
وفى تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه عزّ وجل منجز لامحالة
من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اى انّى منزل المائدة عليكم مرات كثيرة
وقرئ بالتّخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد اى بعد تنزيلها منكم
متعلّق بمحذوف وقع حالا من فاعل يكفر فانّى اعذّبه بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة
عذابا اسم مصدر بمعنى التّعذيب وقيل مصدر بحذف الزّوايد وانتصابه على المصدرية بالتقديرين
وجوّز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا اُعذّبه فى محل النّصب على انّه صفة لعذابا
والضمير له اى اعذّبه تعذيبا لا اعذب من ذلك التّعذيب احدا من العالمين اى من عالمى زمانهم
او من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الوعيد الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا

لانزيدها فلم تنزل وبه قال مجاهد والحسن والصّحيح الّذى جماهير الامه ومشاهير الائمة انّها قد نزلت روى
انّه عليه السّلام لمادعا بمادعا واجيب بما اجيب اذا بسفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها
وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللّهم
اجعلنى من الشّاكرين اللّهمّ اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثمّ قام وتوضا وصلى
وبكى ثمّ كشف المنديل وقال بسم الله خير الرّازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما
وعند راسها ملح وعند ذنبها خلّ وحولها من الوان البقول ما خلا الكرات واذا خمسة ارغفة على
واحد منها زيتون وعلى الثّانى عسل وعلى الثّالث سمن وعلى الرّابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون
راس الحواريين يا روح الله امن طعام الدّنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنّه شئ اخترعه الله
تعالى بالقدرة العالية كلوا ما سالتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا
من هذه الآية اية اخرى فقال يا سمكة احيى باذن الله تعالى فاضطربت ثمّ قال لها عودى كما كنت فعادت
مشوية ثمّ طارت المائدة ثمّ عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تاتيهم اربعين يوما غبّا
يجتمع عليها الفقراء والاغنياء والصّغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفئ طارت وهم ينظرون فى ظلّها
ولم ياكل منها فقير الاغنى مدة عمره ولا مريض الابرئ ولم يمرض ابدًا ثمّ اوحى الله تعالى الى عيسى عليه
السّلام ان اجعل مائدتى فى الفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحا فاضطرب النّاس كذلك
فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا خنازير يسعون فى الطرقات والكناسات وياكلون العذرة فى الحشوش
فلمّا راى النّاس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السّلام وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه
السّلام بكت وجعلت تطيف به عليه السّلام وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون
ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثمّ هلكوا وروى عن ابن عبّاس انّ
عيسى عليه السّلام قال لهم صوموا ثلثين يوما ثم سالوا الله ما شئتم يعطكم فصاموا فلمّا فرغوا قالوا
انّا لو علمنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسالوا الله تعالى المائدة فاقبلت الملئكة بمائدة يحملونها عليها
سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعتها بين ايديهم فاكل منها اٰخر النّاس كما اكل اولهم قال كعب
نزلت منكوسة تطير بها الملئكة بين السّماء والارض عليها كل الطّعام الّا اللحم وقال قتادة كان
عليها ثمر من ثمار الجنّة وقال عطية العوفى نزلت من السّماء سمكة فيها طعم كلّ شئ وقال الكلبى ومقاتل
نزلت سمكة وخمسة ارغفة فاكلوا ما شاء الله والنّاس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث
ضحك منهم من لم يشهد وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن اراد
فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير فمكثوا بذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا
وكذلك كل ممسوخ واذ قال الله يا عيسى بن مريم معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر
المخاطب به النبى صلى الله عليه وسلم او بمضمر مستقل معطوف على ذلك اى اذكر للنّاس وقت قوله
عزّ وجل له عليه السّلام فى الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السّلام على رؤس الاشهاد

بالعبودية وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر من الدلالة على التحقق والوقوع ءانت
قلت للناس اتخذوني وامي الهين الاتخاذ اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال
من المفعول وليس مدار اصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين انه بامره عليه السلام ام
من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى اانتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وقوله تعالى من
دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه من فاعله اي متجاوزين او بمحذوف هو صفة لالهين اي
كائنين من دونه تعالى وايا ما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشتراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم
ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اذ به يتاتى
التوبيخ ويتسنى التقريع والتبكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى
يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت على يد عيسى ومريم لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاها فصح انهم
اتخذوهما في بعض الاشياء الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن
الحق بمراحل واما من تعمق فقال ان عبادته تعالى مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده تعالى
فقد غفل عما يجديه واشتغل بما لا يعنيه كداب من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه
ويعترفون به صريحا لا بما يلزمه بضرب من التاويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند
الى عيسى عليه السلام قال استئناف مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل فماذا يقول
عيسى عليه السلام حينئذ فقيل يقول وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا سبحانك سبحان علم
للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق
من السبح الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول
من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر
مع الفعل ما لا يخفى اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك ذلك
واما تقدير من ان يكون لك شريك في الالوهية فلا يساعده سباق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى
ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق استئناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن
القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله وايثار ليس على الفعل المنفي
لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وافادة التاكيد بما في حيزه من الباء فان اسمه ضمير العائد
الى ما وخبره بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله تعالى ان كنت
قلته فقد علمته استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه عليه السلام بالطريق البرهاني
فان صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه تعالى به انتفى صدوره عنه حتما ضرورة
ان عدم اللازم مستلزم لعدم الملزوم تعلم ما في نفسي استئناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل
لانك تعلم ما اخفيه فكيف بما اعلنه وقوله تعالى ولا اعلم ما في نفسك بيان للواقع واظهار لقصوره

اى ولا

اى ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة
المعلومات اليها لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن كنسبتها الى الحقيقة
وقوله تعالى انك انت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل ما
قلت لهم الا ما امرتني به استئناف مسوق لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه عدم صدور القول المذكور
عنه على ابلغ وجه واكده حيث حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة للمامور به فدخل فيه انتفاء
صدور القول المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على
قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير
للمامور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل جواز طرح المبدل
منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني وكنت عليهم
شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم من المخالفة او مشاهدا لاحوالهم
من كفر وايمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف اليه زمان ودمت صلتها
اي كنت شهيدا عليهم مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كما في قوله تعالى متوفيك
ورافعك الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال الله تعالى يتوفى الانفس حين
موتها والتي لم تمت في منامها كنت انت الرقيب عليهم لا غيرك فانت ضمير الفصل او تاكيد وقرئ
الرقيب بالرفع على انه خبر انت والجملة خبر لكان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم
والمراقب فمنعت من اردت عصمته من المخالفة بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل
وانزال الآيات وخذلت من خذلت من الضالين فقالوا ما قالوا وانت على كل شيء شهيد
اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام
فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة ان تعذبهم فانهم عبادك وقد استحقوا
ذلك حيث عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز اي القوي القادر على جميع المقدورات
ومن جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة فان
المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو
بمقتضى الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة الى فرقتين والمعنى
ان تعذبهم اي من كفر منهم وان تغفر لهم اي من آمن منهم قال الله كلام مستانف ختم به حكاية
ما حكي مما يقع يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام واشير الى نتيجته ومآله اي يقول الله تعالى يومئذ
عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى صدقه في ضمن بيان حال الصادقين الذين هو في
زمرتهم وصيغة الماضي لما مر في نظائره مرارا وقوله تعالى هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتداء
خبره ما بعده اي هذا اليوم الذي حكي بعض ما وقع فيه اجمالا وبعضه تفصيلا يوم ينفع الصادقين
بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ عنه الاسم المستمرون في الدارين على الصدق في الامور

الدينيّة التي معظمها التّوحيد الّذى نحن بصدده والشّرايع والاحكام المتعلّقة به من الرّسل النّاطقين
بالحقّ والصّدق الدّاعين الى ذلك وبه يحصل الشّهادة بصدق عيسى عليه السلام ومن الامم المصدقين
لهم المتقدين بهم عقدا وعملا وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السّامعين فى الايمان برسول الله
صلى الله عليه وسلم لا كل من صدق فى اىّ شئ كان ضرورة ان الجانى المعترف فى الدّنيا بجنايته لاينفعه
يومئذ اعترافه وصدقه صدقهم اى صدقهم فيما ذكر من امور الدّين فى الدّنيا اذ هو المستتبع
للنفع يومئذ واعتبار استمراره فى الدّارين مع انّه لاحاجة اليه كما عرفت ولا دخل له فى استتباع
النّفع والجزاء مما الاوجه له وهذه القراءة هى التى اطبق عليها الجمهور وهى الاليق بسياق النّظم
الكريم وسياقه وقد قرئ يوم بالنّصب امّا على انه ظرف لقال فهذا حينئذ اشارة الى قوله تعالى
ءانت قلت الخ واما على انّه خبر لهذا فهو حينئذ اشارة الى الجواب عيسى عليه السلام اى هذا
الجواب منه عليه السّلام واقع يوم ينفع الخ او الى السّؤال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنّه بنى
على الفتح وليس بصحيح عند البصريّين لانه مضاف الى متمكّن وقرئ يومٌ بالرّفع والتّنوين كقوله تعالى
واتقوا يوما لاتجزى الاية لهم جنّات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدًا استيناف مسوق لبيان
النفع المذكور كانّه قيل مالهم من النّفع فقيل لهم نعيم وثواب خالد وقوله تعالى رضى الله عنهم
استيناف آخر لبيان انه عزوجل افاض عليهم غير ماذكر من الجنات ما لاقدر لها وهو رضوانه
الذى لاغاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى ورضوا عنه اى لاشئ اعزّ منه حتّى يمتد اليه اعناق الهمم
ذلك اشارة الى نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل هو الفوز العظيم لما ان عظم شان
الفوز تابع لعظم شان المطلوب الذى تعلّق به الفوز وقد عرفت ان لامطلب وراء ذلك اصلا
وقوله تعالى لله ملك السّموات والارض وما فيهنّ تحقيق للحقّ وتنبيه على كذب النّصارى و
فساد مازعموا فى حقّ المسيح وامّه اى لله تعالى خاصّة ملك السّموات والارض وما فيهما من العقلاء
وغيرهم يتصرف فيها كيف يشاء ايجادا واعداما واحيا واماتة وامرا ونهيًا من غير ان يكون
لشئ من الاشياء مدخل فى ذلك وفى ايثار ما على من المختصّة بالعقلاء على تقدير تناولها للكل مراعات
للاصل واشارة الى تساوى الفريقين فى استحالة الرّبوبيّة حسب تساويهما فى تحقق المربوبيّة
وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلا تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهيّة واهانة بهم بتغليب
غيرهم عليهم وهو على كل شئ من الاشياء قدير مبالغ فى القدرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ويمحى عنه عشر سيّات ورفع له عشر درجات
بعدد كلّ يهودى ونصرانى يتنفّس فى الدّنيا

سورة الانعام مائة وستون وخمس ايات مكيّة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله تعليق الحمد المعرّف بلام الحقيقة اولا باسم الذّات الّذى عليه يدور كافة مايوجبه

من صفات الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانّه عزّوجل هو المستحق له
بذاته لمامرّ من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتصار جميع افرادها عليه بالطّريق البرهانى
ووصفه تعالى ثانيًا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة فى سلك الاجمال من عظايم الاثار
وجلائل الافعال من قوله عزّوجل الّذى خلق السّموات والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى
واستقلاله به باعتبار افعاله العظام والائه الجسام ايضا وتخصيص خلقهما بالذّكر لاشتمالهما على
جملة الاثار العلويّة والسّفليّة وعامة الالاء الجليّة والخفيّة الّتى اجلّها نعمة الوجود الكافية فى
ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرّع عليها من فنون النّعم الانفسيّة والافاقيّة
المنوطة بها مصالح العباد فى المعاش والمعاد اى انشائهما على ماهما عليه من النّمط الفايق والطّراز
الرّايق منطويتين من انواع البدايع واصناف الرّوايع على ما يتحير فيه العقول والافكار
من تعاجيب العبر والاثار تبصرة وذكرى لاولى الابصار وجمع السّموات لظهور تعدد طبقاتها
واختلاف اثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها وعلوّ مكانها وتقدّمها وجودا على الارض
كما هى وجعل الظّلمات والنّور عطف على خلق مترتب عليه لكون جعلهما مسبوقا بخلق منشاهما
ومحلّهما داخل معه فى حكم الاشعار بعلّة الحمد فكما ان خلق السّموات والارض وما فيهما لكونه اثرا
عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بخالقهما جلّ وعلا كذلك جعل الظلمات والنور لكونه
امرا خطيرا ونعمة جليلة مقتض لاختصاصه بجاعلهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق
خلا ان ذلك مختص بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما فى الاية الكريمة
وللتشريعى ايضا كما فى قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الاية وايا ما كان ففيه انباء عن ملابسة
مفعوله بشئ آخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة مصححة لان يتوسّط بينهما شئ
من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة فى الكلام بل قيدا فيه كما فى قوله عزّ
وجلّ واجعل بينهما برزخا وقوله تعالى واجعل فيها رواسى وقوله تعالى واجعل لنا من لدنك
وليا الاية فان كل واحد من هذه الظرف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله
تقدمت عليه لكونه نكرة وايّا ما كان فهو قيد فى الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه
يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما فى قوله تعالى يجعلون اصابعهم فى اذانهم وربما
يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو فى الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف فى قوله تعالى انّى
جاعل فى الارض خليفة حيث قيل انّ الظرف مفعول ثان لجاعل وقد اشير هناك الى ان الذى
يقضى به الذوق السليم ويقتضيه جزالة النّظم الكريم انه متعلّق بجاعل او بمحذوف وقع حالا من
المفعول وان المفعول الثانى هو خليفة والاوّل محذوف على مامرّ تفصيله وجمع الظلمات لظهور
كثرة اسبابها ومحالها عند النّاس ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على النّور لتقدم الاعدام
على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى ثمّ الّذين كفروا بربّهم

يعدلون معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما مرّ من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدع
لاقتصار العبادة عليه كما حقق فى تفسير الفاتحة الكريمة مسوق لانكار ما عليه الكفرة واستبعاده
من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضى ببطلانه بديهة العقول والمعنى انه تعالى مختص باستحقاق
الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصّل من شؤنه العظيمة الخاصة به الموجبة لقصر الحمد
والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اى يسوّون به غيره فى
العبادة التى هى اقصى غايات الشّكر الذى راسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف لشئ من
مبادى الحمد وكلمة ثمّ لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الايات التكوينيّة القاضية ببطلانه
لا بعد بيانه بالايات التنزيليّة والموصول عبارة عن طايفة الكفّار جار مجرى الاسم لهم من غير ان
يجعل كفرهم بما يجب ان يؤمن به كلا او بعضا عنوانا للموضوع فان ذلك مخلّ بالاستبعاد ما اسند
اليهم من الاشراك والباء متعلقة بيعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع و
التقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام والمسارعة الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل
وترك المفعول لظهوره او لتوجيه الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم ايذانا بانّه
المدار فى الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية المفعول هذا هو التحقيق بجزالة التنزيل وبالخليق
بفخامة شان الجليل واما جعل الباء صلة لكفروا على ان يعدلون من العدول والمعنى ان الله تعالى
حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته فيرده ان
كفرهم به تعالى لا سيّما باعتبار ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة واعظم جناية من عدولهم عن حمده
عزّ وجل لتحققه مع اغفاله ايضا بجعل اهون الشّرين عمدة فى الكلام مقصود الافادة واخراج
اعظمها مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له فى الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلى هذا وقد
قيل انه معطوف على خلق السموات والمعنى انه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه
ثمّ هم يعدلون به سبحانه ما لا يقدر على شئ منه لكن لا على قصد انه صلة مستقلة فيكون بمنزلة
ان يقال الحمد لله عدلوا به بل على انّه داخل تحت الصّلة بحيث يكون الكل صلة واحدة كانه قيل
الحمد لله الذى كان منه تلك النعم العظام ثم من الكفرة الكفر وانت خبير بان ما ينتظم فى سلك
الصّلة المنبئة عن موجبات حمده عز وجل حقه ان يكون له دخل فى ذلك الانبا ولو فى الجملة ولا
ريب فى ان كفرهم بمعزل منه وادعاء ان له دخلا فيه لدلالته على كمال الجود كانّه قيل الحمد لله
الذى انعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده تعسّف لا يساعده النظام وتعكيس يا باه المقام كيف
لا وسياق النّظم الكريم كما يفصح عنه الايات الاتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم ببيان غاية اساتهم
مع نهاية احسانه تعالى اليهم لا ببيان نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اساتهم فى حقه تعالى كما
يقتضيه الادعاء المذكور وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من روادف المعطوف عليه
لما ان حق الصّلة ان يكون غير مقصودة الافادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت ان

المعطوف

المعطوف هو الذى سيق له الكلام فتامل وكن على الحق المبين **هو الّذى خلقكم من طين** استيناف
مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به اثر بيان بطلان اشراكهم
به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين ساير دلايل صحة البعث
مع ان ما ذكر من خلق السموات والارض من اوضحها واظهرها كما ورد فى قوله تعالى اوليس الذى
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما محل النّزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك
اظهر وهم بشؤن انفسهم اعرف والتعامى عن الحجة النيرة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع و
التّوبيخ اى ابتداء خلقكم منه فانه المادة الاولى للكل لما انّه منشاء ادم الّذى هو ابو البشر وانّما
نسب هذا الخلق الى المخاطبين لا الى ادم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الّذى
خلق اباكم الخ مع كفاية علمهم بخلقه عليه السّلام منه فى ايجاب الايمان بالبعث وبطلان الامتر
التوضيح منهاج القياس وللمبالغة فى ازاحة الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحقّ
والتنبيه على حكمة خفيّة هى ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه السّلام منه حيث
لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموزجا منطويا على فطرة ساير احاد الجنس
انطواء اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه السّلام من الطّين خلقا لكل احد
من فروعه منه ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط السّارى الى جميع افراد ذريته ابدع من
ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادلّ على عظم قدرة
الخلاق العلام وكمال علمه وحكمته وكان ابتداء حال المخاطبين اولى بان يكون معيارا لانتهائها
فعل ما فعل ولله درّ شان التنزيل وعلى هذا السر مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثمّ صورناكم
الخ وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما سياتى وقيل المعنى خلق اباكم منه على حذف
المضاف وقيل معنى خلقه منه خلقهم من النطفة الحاصلة من الاغذية التكوّنة من الارض وايا
ما كان ففيه من وضوح الدّلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء
ما لم يشم رايحة الحيوة قط كان على احيا ما قارنها مدة اظهر قدرة **ثمّ قضى** اى كتب لموت كل واحد
منكم **اجلا** خاصا به اى حدا معيّنا من الزّمان يفنى عند حلوله لا محاله وكلمة ثم للايذان بتفاوت
ما بين خلقهم وبين تقدير اجالهم حسبما يقتضيه الحكم البالغة **واجل مسمًّى** اى حد معين
لبعثكم جميعا وهو مبتدا لتخصصه بالصّفة كما فى قوله تعالى ولعبد مؤمن ولوقوعه فى موقع التفصيل
كما فى قول من قال: اذا ما بكى من خلفها انصرفت له: بشق وشقّ عندنا لم يحول: وتنوينه للتفخيم
شانه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذى هو عنده مع ان الشائع المستفيض هو
التّاخير كما فى قولك عندى كلام حق ولى كتاب نفيس كانه قيل واى اجل مسمّى مثبت معين فى
علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا وامّا اجل الموت فمعلوم اجمالا
وتقريبا بناء على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد فى اعمار الانسان وتسميته اجلا انّما هى باعتبار

كونه غاية لمدة لبثهم فى القبور لا باعتبار كونه مبدا المدة الفية كما ان مدار التسمية فى الاجل الاول
هو كونه اخر مدة الحيوة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل فى اللغة عبارة عن اخر المدة لا عن اوليها
وقيل الاجل الاول ما بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث من البرزخ فان الاجل كما
يطلق على اخر المدة وهو الاوفق لما روى عن ابن عباس ان الله تعالى قضى لكل احد اجلين اجلا من
مولده الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث فى اجل
العمر وان كان فاجرا قاطعا نقص من اجل العمر وزيد فى اجل البعث وذلك قوله تعالى وما يعمر
من معمر ولا ينقص من عمره فمعنى عدم تغير اخره والاول هو الاشهر الاليق بتفخيم الاجل الثانى المنوط
باختصاصه بعلمه تعالى والانسب بتهويله المبنى على مقارنته للطامة الكبرى فان كون بعضه معلوما
للخلق ومضيه من غير ان يقع فيه شئ من الدواهى كما يستلزمه الحمل على المعنى الثانى مخل بذلك قطعا
ومعنى زيادة الاجل ونقصه فيما روى تاخير الاجل الاول وتقديمه ثم انتم تمترون استبعاد
واستنكار لامترائهم فى البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الباهرة الدالة عليه اى تمترون فى وقوعه
وتحققه فى نفسه مع مشاهدتكم فى انفسكم من الشواهد ما يقطع مادة الامترا بالكلية فان من قدر على افاضة
الحيوة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وساير الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشئ منها اصلا
كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين ان ما قيل
من ان الاجل الاول هو النوم والثانى هو الموت او ان الاول اجل الماضين والثانى اجل الباقين او
ان الاول مقدار ما مضى من عمر كل احد والثانى مقدار ما بقى منه مما لا وجه له اصلا لما رايت
من ان مساق النظم الكريم استبعاد امترائهم فى البعث الذى عبر عن وقته بالاجل المسمى فحيث اريد
به احد ما ذكر من الامور الثلثة ففى اى شئ يمترون ووصفهم بالامتراء الذى هو الشك وتوجيه
الاستبعاد عليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث مصرون على انكاره كما ينبئ عنه ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ونظايره للدلالة على ان جزمهم المذكور فى اقصى مراتب الاستبعاد
والاستنكار وقوله تعالى وهو الله جملة من مبتداء وخبر معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان
شمول احكام الهيته تعالى لجميع المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل احوال العباد واعمالهم المودية
الى الجزاء اثر الاشارة الى تحقق المعاد فى تضاعيف بيان كيفية خلقهم وتقدير اجالهم وقوله تعالى
فى السموات وفى الارض متعلق بالمعنى الوصفى الذى ينبئ عنه الاسم الجليل اما باعتبار اصل اشتقاقه
وكونه علما للمعبود بالحق كانه قيل وهو المعبود فيهما واما باعتبار انه اسم اشتهر به الذات من صفات
الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية الكلية والتصرف الكامل حسبما يقتضيه المشية
المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية فصار كانه قيل وهو المالك او المتصرف
المدبر فيهما كما فى قوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وليس المراد بما ذكر من الاعتبارين
ان الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوى او على معنى المالك او المتصرف او نحو ذلك بل مجرد ملاحظة

احد

احد المعانى المذكورة فى ضمنه كما لوحظ مع اسم الاسد فى قوله اسد على الخ على ما اشتهر به من وصف
الجراءة التى اشتهر بها مسماه فجرى مجرى جرئ على وبهذا تبين ان ما قيل بصدد التصوير والتفسير
اى هو المعروف بذلك فى السموات وفى الارض او هو المعروف المشتهر بالصفات الكمالية او هو
المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذى
اشتهر به اذ هو الذى يقتضيه المقام حسبما بين انفا لا اشتهاره به الا يرى ان كلمة على فى المثال المذكور
لا يمكن تعليقها باشتهار الاسم بالجراءة قطعا وقيل هو متعلق بما يفيده التركيب الحصرى من التوحيد
والتفرد كانه قيل وهو المتوحد بالالهية فيهما وقيل بما تقرر عند الكل من اطلاق هذا الاسم
عليه خاصة كانه قيل وهو الذى يقال له الله فيهما لا يشرك به شئ فى هذا الاسم على الوجه الذى
سبق من اعتبار معنى التوحيد او القول فى فحوى الكلام بطريق الاستبداع لا على حمل الاسم الجليل على
معنى المتوحد بالالهية او على تقدير القول وقد جوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه
فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا فى العلم بما فيهما بناء على تنزيل علمه المقدس من حصول الصور
والاشباح لكونه حضوريا منزلة كونه تعالى فيهما وتصويره به على طريقة التمثيل المبنى على تشبيه حالة
علمه تعالى بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان فى مكان كان عالما به وبما فيه على
وجه لا يخفى عليه منه شئ فعلى هذا يكون قوله عز وجل يعلم سركم وجهركم اى ما اسررتموه
وما اجهرتم به من الاقوال او ما اسررتموه وما اعلنتموه كائنا ما كان من الاقوال والاعمال بيانا
وتقريرا لمضمونه وتحقيقا للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله بجميع ما فيهما
حسبما يفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثانى
فان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجارى على النمط المذكور مستتبع
لملاحظة علمه المحيط حتما فيكون هذا بيانا لكن لا لما قيل من انه لا دلالة لاستواء السر والجهر
فى علمه تعالى على ما اعتبر فيهما من العبودية والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما يعبد ويختص به
من ليس له كمال العلم فانه باطل قطعا اذ المراد بما ذكر هو المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم
الجليل ولا ريب فى انهما مما لا يتصور فيمن له كمال العلم بديهة بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر
فى مدلول شئ من المعبودية بالحق والاختصاص بالاسم حتى يكون هذا بيانا له وبهذا تبين
انه ليس ببيان على الوجه الثالث ايضا لما ان التوحد بالالهية لا يعتبر فى مفهوم العلم الكامل ليكون
هذا بيانا له بل هو معتبر فى ما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف فى البيانية وقيل هو خبر
بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثانى جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى وقيل هو الخبر و
الاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم ويكفى فى ذلك كون المعلوم فيهما كما فى قولك
رميت الصيد فى الحرم اذا كان هو فيه وانت خارجة ولعل جعل سرهم وجهرهم فيهما التوسيع
الدايرة وتصوير انه لا يعزب عن علمه شئ منهما فى اى مكان كان لا لانهما قد يكونان فى السموات ايضا

ونعميم الخطاب لاهلها تعسّف لايخفى **ويعلم ما تكسبون** اى ما تفعلونه لجلب نفع اودفع ضرّ من
الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرّا وعلانيّة وتخصيصها بالذّكر مع اندراجها فيما سبق على
التّفسير الثّانى للسرّ والجهر لاظهار كمال الاعتناء بها لانّها الّتى تتعلّق بها الجزاء وهو السرّ فى اعادة
يعلم **وما تاتيهم من اية من ايات ربّهم** كلام مستانف وارد لبيان كفرهم بايات الله واعراضهم
عنها بالكليّة بعد ما بيّن فى الاية الاولى اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض ايات التّوحيد
وفى الاية الثّانية امتراؤهم فى البعث واعراضهم عن بعض اياته والالتفات للاشعار بان ذكر
قبايحهم قد اقتضى ان يضرب عنهم الخطاب صفحا وتعدّد جناياتهم لغيرهم ذمّا لهم وتقبيحا لحالهم
فما نافية وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او للدّلالة على الاستمرار التّجدّدى ومن الاولى
مزيدة للاستغراق والثّانية تبعيضيّة واقعة مع مجرورها صفة لاية واضافة الايات الى اسم
الرّبّ المضاف الى ضميرهم لتفخيم شانها المستتبع لتهويل ما اجترءوا عليه فى حقّها والمراد بها
امّا الايات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم اية من الايات القرانية التى من جملتها
هاتيك الايات النّاطقة بما فصّل من بدايع صنع الله عزّ وجلّ المنبئة عن جريان احكام الوهيّته
على كافّة الكاينات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم الموجبة للاقبال عليها والايمان
بها **الّا كانوا عنها معرضين** اى على وجه التّكذيب والاستهزاء كما ستقف عليه وامّا الايات
التكوينيّة الشّاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها لهم والمعنى ما يظهر
لهم اية من الايات التكوينيّة التى من جملتها ما ذكر من جلائل شئونه تعالى الشّاهدة بوحدانيّته
تعالى الّا كانوا عنها معرضين تاركين للنّظر الصّحيح فيها المؤدّى الى الايمان بمكوّنها وايثاره على ان
يقال الّا اعرضوا عنها كما وقع مثله فى قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمرّ للدّلالة
على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار اتيان الايات وعن متعلّقة بمعرضين قدّمت عليه
مراعاة للفواصل والجملة فى محل النّصب على انّها حال من مفعول تاتى او من فاعله المتخصص
بالوصف لاشتمالها على ضمير كلّ منهما وايّاما كان ففيها دلالة بيّنة على كمال مسارعتهم الى الاعراض
وايقاعهم له فى ان الاتيان كما ينصح عنه كلمة لمّا فى قوله عزّ وجلّ **فقد كذّبوا بالحقّ لمّا جاءهم**
فانّ الحقّ عبارة عن القران الذى اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كلّ اية اية منه عبّر عنه بذلك
ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب الحقّ ممّا لا يتصوّر صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها
لما قبلها لكن لا على انّه شئ مغاير له فى الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه بل على انّ الاوّل هو
عين الثّانى حقيقة وانّما الترتيب بحسب التّغاير الاعتبارى وقد لتحقيق ذلك المعنى كما فى قوله
تعالى فقد جاؤا ظلما وزورا بعد قوله وقال الّذين كفروا ان هذا الّا افك افتريه واعانه عليه
قوم اخرون فان ما جاؤه اى فعلوه من الظلم والزور عين قولهم المحكى لكنّه لما كان مغايرا له مفهوما
واشنع منه حالا رتّب عليه بالفاء ترتيب اللّازم على الملزوم تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب

بالحق

بالحقّ حيث كان اشنع من مفهوم الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم البيّن البطلان فرتّب عليه بالفاء
اظهارا لغاية بطلانه ثمّ قيّد ذلك بكونه بلا تامّل تاكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان انّ ما كذّبوا به
اثر ذى اثير له عواقب جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى انّهم حيث اعرضوا عن تلك الايات عند
اتيانها فقد كذّبوا بما لا يمكن تكذيبه اصلا من غير ان يتدبّروا فى حاله وماله ويقفوا على ما فى تضاعيفه
من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله تعالى بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا ياتيهم تاويله كما ينبئ
عنه قوله تعالى **فسوف ياتيهم انباؤا ما كانوا به يستهزءون** فان ما عبارة عن الحقّ المذكور
عبّر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه وتعليلا للحكم بما فى حيّز الصّلة وانباؤه عبارة عمّا سيحيق
بهم من العقوبات العاجلة التى نطقت بها ايات الوعيد وفى لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما انّ
النباء لا يطلق الّا على خبر عظيم الوقع وحملها على العقوبات الأجلة او على ظهور الاسلام وعلوّ
كلمته يا باه الايات الاتية وسوف لتاكيد مضمون الجملة وتقريره اى فسياتيهم البتّة وان تاخّر
مصداق انباء الشئ الذى كانوا يكذّبون به قبل من غير ان يتدبّروا فى عواقبه وانّما قيل يستهزءون
ايذانا بان تكذيبهم كان مقرونا بالاستهزاء كما اشير اليه هذا على ان الايراد بالايات الايات
القرانية وهو الاظهر وامّا ان اريد بها الايات التكوينيّة فالفاء داخلة على علّة جواب شرط محذوف
والاعراض عن حقيقته كانّه قيل ان كانوا معرضين عن تلك الايات فلا تعجّب فقد فعلوا بما هو
اعظم معرضين عن الايات كلّها كذّبوا بالقران فمّما ينبغى تنزيه التّنزيل عن امثاله من الاعراض
حيث كذّبوا بالحقّ الّذى هو اعظم الايات ولا مساغ لحمل الايات فى هذا الوجه على كلّها اصلا وامّا
ما قيل انّ المعنى انّهم لمّا كانوا **الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن** استيناف مسوق لتعيين
ما هو المراد بالانباء التى سيق به الوعيد وتقرير اتيانها بطريق الاستشهاد وهمزة الانكار لتقرير
الرّوية وهى عرفانيّة مستدعية لمفعول واحد وكم استفهاميّة كانت او خبريّة متعلّقة لها عن العمل
مفيدة للتكثير سادّة مع ما فى حيّزها مسدّ مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعوليّة على انّها عبارة عن
الاشخاص ومن قرن مميّز لها على انّه عبارة عن اهل عصر من الاعصار سمّوا بذلك لاقترانهم برهة من
الدّهر كما فى قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى ثمّ الّذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة
عن مدّة من الزمان والمضاف محذوف اى من اهل قرن وامّا انتصابها على المصدريّة او على الظرفيّة
على انّها عبارة عن المصدر او عن الزّمان فتعسّف ظاهر ومن الاولى ابتدائيّة متعلّقة باهلكنا اى
الدير فوا بمعاينة الاثار وسماع الاخبار كم امّة اهلكنا من قبل اهل مكّة اى من قبل خلقهم او من
قبل زمانهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود واضرابهم وقوله تعالى
مكّنّاهم فى الارض استيناف لبيان كيفيّة الاهلاك وتفصيل مباديه مبنى على سؤال نشأ من صدر
الكلام كانّه قيل كيف كان ذلك فقيل مكّنّاهم الى اخره وقيل هو صفة لقرن لما ان النكرة مفتقرة
الى مخصص فاذا وليها ما يصلح مخصّصا لها تعيّن وصفيّته لها وانت خبير بان تنوينه التفخيمى مغن له

عن استدعاء الصفة على ان ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه من الجمل الاربع امرا
مفروغا عنه غير مقصود وبسياق النظم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ الم يروا كم
اهلكنا من قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وباهلكنا اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد وتمكين
الشئ فى الارض جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة
مكنه فى الارض ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيه واخرى مكن له فى الارض ومنه قوله تعالى
انا مكنا له فى الارض حتى اجرى كل منهما مجرى الآخر ومنه قوله تعالى **مالم نمكن لكم** بعد
قوله تعالى مكناهم فى الارض كانه قيل فى الاول مكنا لهم او فى الثانى مالم نمكنكم وما
نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعايد محذوف محلها النصب على المصدرية اى
مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما فى مواجهتهم بضعف الحال مزيد بيان لشأن الفريقين
ولدفع الاشتباه من اول الامر عن مرجعى الضميرين **وارسلنا السماء** اى المطر او السحاب
او المظلة لان مبدا المطر **عليهم** متعلق بارسلنا **مدرارا** اى مغزارا حال من السماء **وجعلنا**
الانهار اى صيرناها فقوله تعالى **تجرى من تحتهم** مفعول ثان لجعلنا او انشاناها فهو حال
من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجرى وفيه من الدلالة على كونها مسخرة لهم مستمرة على
الجريان على الوجه المذكور ما ليس فى ان يقال واجرينا الانهار من تحتهم وليس المراد بتعداد
هاتيك النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جناياتهم فى كفرانها واستحقاقهم
بذلك لاعظم العقوبات بل بيان حيازتهم لجميع اسباب نيل المآرب ومبادى الامن والنجاة
من المكاره والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة فى الاجسام
والامتداد فى الاعمار والسعة من الاموال والاستظهار باسباب الدنيا فى استجلاب المنافع
واستدفاع المضار ما لم نعط اهل مكة ففعلوا ما فعلوا **فاهلكناهم بذنوبهم** اى اهلكنا كل قرن
من تلك القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب فسيحل بهؤلاء
مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى آخر ما به الاستشهاد والاعتبار واما قوله سبحانه
وانشانا من بعدهم اى احدثنا من بعد اهلاك كل قرن **قرنا آخرين** بدلا من الهالكين فلبيان
كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا بل
كلما اهلك امة انشأ بدلها اخرى **ولو نزلنا عليك** جملة مستانفة سيقت بطريق تلوين الخطاب
لبيان شدة شكيمتهم فى المكابرة وما يتفرع عليها من الاقاويل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن
آيات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم بذلك لنزول العذاب ونسبة التنزيل ههنا
اليه عليه السلام مع نسبة اتيان الآيات ومجئ الحق فيما سبق اليهم للاشعار بقدحهم فى نبوته
عليه السلام فى ضمن قدحهم فيما نزل عليه صريحا وقال الكلبى ومقاتل نزلت فى النضر بن الحارث
وعبد الله بن ابى امية ونوفل بن خويلد حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نؤمن

لك

لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملئكة يشهدون انه من عند الله تعالى وانك
رسوله **كتابا** ان جعل اسما كالامام فقوله تعالى **فى قرطاس** متعلق بمحذوف وقع صفة له
اى كتابا كائنا فى صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه **فلمسوه** اى الكتاب
وقيل القرطاس وقوله تعالى **بايديهم** مع ظهور ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدى لزيادة
التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع فى قوله تعالى وانا لمسنا السماء اى تفحصنا اى فمسوه بايديهم
بعدما راوه باعينهم بحيث لم يبق لهم فى شانه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير الابصار
لقال الذين كفروا اى لقالوا وانما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما فى
حيز الصلة من الكفر الذى لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوى ايضا **ان هذا** اى ما هذا
مشيرا الى ذلك الكتاب **الا سحر مبين** اى بين كونه سحرا تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره
كما هو داب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج **وقالوا لولا انزل عليه ملك** شروع فى قدحهم
فى نبوته عليه السلام صريحا بعد ما اشير الى قدحهم فيها ضمنا وقيل هو معطوف على جواب
لو وليس بذاك لما ان تلك المقالة الشنعاء ليست مما نقدر صدوره عنهم على تقدير تنزيل الكتاب
المذكور بل هى من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التى يتعللون بها كلما ضاقت عليهم
الحيل وعيت بهم العلل اى هلا انزل عليه عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبى حسبما
نقل عنهم فيما روى عن الكلبى ومقاتل ونظيره قولهم لولا انزل اليه ملك ليكون معه نذيرا
ولما كان مدار هذا الاقتراح على شيئين انزال الملك كما هو وجعله معه عليه السلام نذيرا
اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود اصلا لاشتماله على امرين متباينين لا
يجتمعان فى الوجود لما ان انزال الملك على صورته يقتضى انتفاء جعله نذيرا وجعله نذيرا يستدعى
عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى **ولو انزلنا ملكا لقضى**
الامر اى لو انزلنا ملكا على هيأته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته
قوى الآحاد البشرية الا يرى ان الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين كانوا يشاهدون الملئكة ويفاوضونهم
على الصور البشرية كضيف ابرهيم ولوط وخصم داود عليهم السلام وغير ذلك وحيث كان شانهم كذلك
وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه كذلك لقضى امر هلاكهم
بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم مستلزم لاخلاء العالم عما عليه يدور نظام
الدنيا والآخرة من ارسال الرسل وتاسيس الشرايع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وفيه كما ترى ايذان بانهم فى ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان عدم الاجابة
اليه للابقاء عليهم وبناء الفعل الاول فى الجواب للفاعل الذى هو نون العظمة مع كونه فى السؤال مبنيا
للمفعول لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثانى للمفعول للجرى على سنن الكبرياء وكلمة ثم فى قوله تعالى
ثم لا ينظرون اى لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان ينذروا به كما هو المقصود بالانزال

للتنبيه على تفاوت ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجات العذاب اشدّ من نفس العذاب
واشق وقيل فى سبب اهلاكهم انهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى صورته وهى اية لاشئ ابين منها ثمّ لو لم يؤمنوا لم يكن بدّ من اهلاكهم وقيل انهم اذا راوه
يزول الاختيار الذى هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم والى الثانى بقوله تعالى ولو جعلناه ملكا
لجعلناه رجلا على ان الضمير الاوّل للنذير المفهوم من فحوى الكلام بمعونة المقام وانما لم
يجعل للملك المذكور قبله ان يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلناه نذيرا لجعلنا
رجلا لتحقيق انّ مناط ابراز الجعل الاوّل مع فهم المراد منه ايضا لتحقيق ان مناط ابراز الجعل
الاول فى معرض الفرض والتقدير ومدار استلزامه الثانى انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك
وذلك لان الجعل حقه ان يكون مفعوله الاوّل مبتداء والثانى خبرا لكونه بمعنى التصيير المنقول
من صار الداخل على المبتداء والخبر ولا ريب فى ان مصبّ الفائدة ومدار اللزوم بين طرفى الشرطية
هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت امتناعيّة اريد بها بيان انتفاء الجعل الاوّل لاستلزامه
المحذور الذى هو الجعل الثانى وجب ان يجعل مدار الاستلزام فى الاوّل مفعولا ثانيا لا محالة
ولذلك جعل مقابله فى الجعل الثانى كذلك ابانة لكمال التّنافى بينهما الموجب لانتفاء الملزوم
وضمير الثانى للملك لا لما رجع اليه الاوّل والمعنى لو جعلنا النذير الذى اقترحوه ملكا لمثلنا
ذلك الملك رجلا لما مرّ من عدم استطاعة الاجاد لمعاينة الملك على هيكله وفى ايثار رجلا على بشرا
ايذان بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله تعالى وللبسنا
عليهم عطف على جواب لو مبنى على الجواب الاول وقرئ بحذف لام الجواب اكتفاء بما فى المعطوف
عليه يقال لبست الامر على القدم اليه اذا اشبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر بالثوب
وقرئ اللام بالتشديد للمبالغة اى ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يلبسون على انفسهم حينئذ
بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقران المعجز الناطق بها او
بمعجزات اخر غير ملجئة الى التصديق لكذّبوه كما كذّبوا النبى صلى الله عليه وسلم ولو اظهر لهم صورته
الاصليّة لزم الامر الاوّل والتعبير عن تمثيله تعالى رجلا باللبس اما لكونه فى صورة اللبس او لكونه
سببا للبسهم او لوقوعه فى صحبته بطريق المشاكلة وفيه تاكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كانّه
قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا يليق بشاننا من لبس الامر عليهم وقد جوّز ان يكون المعنى وللبسنا
عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة فى كفرهم بايات البيّنة ولقد استهزئ برسل
من قبلك تسليّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه وفى تصدير الجملة بلام القسم
وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائيّة متعلقة
بمحذوف وقع صفة لرسل اى وبالله لقد استهزئ برسل اولى شان خطير وذوى عدد كثير كائنين
من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فحاق عقيبه اى احاط

اوزنل

اوزنل او حلّ او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا يكاد يستعمل الّا فى الشرّ والحيق
ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالّذين سخروا منهم اى استهزؤا بهم
من اولئك الرّسل عليهم متعلّق بحاق وتقديمه على فاعله الذى هو قوله تعالى ما كانوا به
يستهزءون للمسارعة الى بيان لحوق الشرّ بهم وما امّا موصولة مفيدة للتهويل اى فاحاط بهم الّذى كانوا يستهزءون
به حيث اهلكوا لاجله وامّا مصدرية اى فنزل بهم وبال استهزائهم وتقديم الجار والمجرور على الفعل
لرعاية الفواصل قل سيروا فى الارض بعد بيان ما فعلت الامم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم باحواله الفظيعة تحذيرا لهم عمّاهم عليه وتكملة
للتسلية بما فى ضمنه من العدة اللطيفة فانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاوّلين وقد انجز
ذلك يوم بدر اىّ انجاز اى سيروا فى الارض لتعرّف احوال اولئك الامم ثمّ انظروا اى تفكّروا
كيف كان عاقبة المكذّبين وكلمة ثم امّا لان النّظر فى اثار الهالكين لا يتسنى الّا بعد انتهاء
السير الى اماكنهم وامّا لابانة ما بينهما من التفاوت فى مراتب الوجوب وهو الاظهر فانّ وجوب
السّير ليس الّا لكونه وسيلة الى النّظر كما يفصح عنه العطف بالفاء فى قوله عزّ وجل فانظروا الاية
وامّا ان الامر الاوّل لاباحة السّير للتّجارة ونحوها والثانى لايجاب النّظر فى اثارهم وثمّ لتباعد
بين الواجب والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النّظر ومحلّ الجملة بنزع الخافض اى
تفكّروا فى انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستيصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهى
منتهى الامر وماله ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق انّ مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب
لينزجر السّامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على توهم انه المدار فى
ذلك قل لهم بطريق الالجاء والتّبكيت لمن ما فى السّموات والارض من العقلاء وغيرهم اى لمن
الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرّفا وقوله تعالى قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعيّن للجواب
بالاتفاق بحيث لا يتاتى لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عزّ وجل ولئن سالتهم من خلق السّموات
والارض ليقولنّ الله وقوله تعالى كتب على نفسه الرّحمة جملة مستقلة داخلة تحت الامر ناطقة
بشمول رحمته الواسعة لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انّه تعالى رؤف
بعباده لا يعجّل عليهم العقوبة ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره ولحق من احكام
الغضب ليس من مقتضيات ذاته تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة
السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده بنصب الايات الانفسيّة والافاقيّة وارسال الرسل وانزال
الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات رضوانه والتحذير عن مقتضيات سخطه وقد بدّلوا فطرة الله
تبديلا واعرضوا عن الايات بالمرّة وكذّبوا بالكتب واستهزؤا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم
الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك هؤلاء ايضا مسلك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انّه
قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان على ذاته المقدّسة بالذات لا بتوسط شئ اصلا وقيل

هو ماروى عن ابى هريرة رضى الله عنه فوق العرش ان رحمتى سبقت غضبى وعنه فى رواية انه عليه
السلام قال لما قضا الله تعالى الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى غلبت غضبى وعن
عمر رضى الله عنه انه قال لكعب باول شئ ابتداه الله تعالى من خلقه فقال كعب كتب الله كتابا
لم يكتبه بعلم ولا مداد كتابة الزبرجد واللؤلؤ والياقوت انى انا الله لا اله الا انا سبقت رحمتى
غضبى ومع سبق الرحمة وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع انهما من مقتضيات
الذات المفيضة للخير وفى التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس لا يطلق على
الله تعالى وان اريد به الذات الا مشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة ههنا بنوعها وقوله تعالى
ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف والجملة استيناف مسوق للوعيد على اشراكهم
واغفالهم النظر اى والله ليجمعنكم فى القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيمة فيجازيكم على
شرككم وساير معاصيكم وان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى
بمعنى اللام اى ليجمعنكم ليوم القيمة كقوله تعالى لا ريب فيه اى فى اليوم او فى الجمع وقوله
تعالى الذين خسروا انفسهم اى بتضييع راس مالهم وهو الفطرة الاصلية والعقل السليم و
الاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم واستماع الوحى وغير ذلك
من اثار الرحمة فى موضع النصب او الرفع على الذم اى اعنى الذين الخ او هم الذين الخ او هو مبتداء
والخبر قوله تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم
بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك فى التقليد واغفال النظر
ادى بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى
لتقبيح حالهم غير داخل تحت الامر وله اى لله عز وجل خاصة ما سكن فى الليل والنهار نزل
الملوان منزلة المكان فعبر عن نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكنى فيهما وتعديته بكلمة فى
كما فى قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم او السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن
فيهما وتحرك فاكتفى باحد الضدين عن الاخر وهو السميع المبالغ فى سماع كل مسموع العليم
المبالغ فى العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ من الاقوال والافعال قل لهم بعد ما بكتهم بما سبق
من الخطاب اغير الله اتخذ وليا اى معبودا بطريق الاستقلال والاشتراك وانما سلطت الهمزة
على المفعول الاول لا على الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله وليا لا اتخاذ الولى مطلقا كما فى قوله
تعالى اغير الله ابغى ربا وقوله تعالى افغير الله تامرونى اعبد الخ فاطر السموات والارض اى
مبدعهما بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضى ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما
بالجملة لانها ليست باجنبية اذ هى عاملة فى عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل
منه اسهل لان البدل على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس رضى الله
عنهما ما عرفت معنى الفاطر حتى اختصم الى اعرابيان فى بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتداتها وهو

يطعم ولا يطعم اى يرزق الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه او لانه معظم
ما يصل الى المرزوق من الرزق ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه
وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وبعكس القراءة الاولى ايضا على ان لغير الله والمعنى اشرك بمن
هو فاطر السموات والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وببنائهما للفاعل على ان الثانى بمعنى
يستطعم او على معنى يطعم تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل بعد بيان ان اتخاذ
غيره تعالى وليا مما يقضى ببطلانه بديهة العقول انى امرت من جنابه عز وجل ان اكون اول
من اسلم مخلصا له لان النبى امام امته فى الاسلام كقوله تعالى وبذلك امرت وانا اول المسلمين
وقوله سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن اى قيل لى لا تكونن من المشركين
اى من فى امر من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على الامر
قل انى اخاف ان عصيت ربى اى بمخالفة امره ونهيه اى عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا
اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه السلام عن المعاصى على الاطلاق وقوله تعالى عذاب يوم
عظيم اى عذاب يوم القيمة مفعول اخاف والشرطية معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة
ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم عصاة مستوجبون للعذاب العظيم
من يصرف عنه على البناء للمفعول اى العذاب وقرئ على البناء للفاعل والضمير لله سبحانه وقد
قرئ بالاظهار والمفعول محذوف وقوله تعالى يومئذ ظرف للصرف اى فى ذلك اليوم العظيم وقد
جوز ان يكون هو المفعول على قراءة البناء للفاعل بحذف المضاف اى عذاب يومئذ فقد رحمه
اى نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما فى قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة
فقد فاز والجملة مستانفة مؤكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة من غير العاصى
وذلك اشارة الى الصرف والرحمة لانها مؤولة بان مع الفعل وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو
درجته وبعد مكانه من الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى الفوز المبين اى الظاهر كونه
فوزا وهو الظفر بالبغية والالف واللام لقصر على ذلك وان يمسسك الله بضر اى ببلية
كمرض وفقر ونحو ذلك فلا كاشف له اى فلا قادر على كشفه عنك الا هو وحده وان
يمسسك بخير من صحة ونعمة ونحو ذلك فهو على كل شئ قدير ومن جملة ذلك فيقدر
عليه فيمسك به ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه او رفعه احد كقوله تعالى فلا راد
لفضله وحمله على تاكيد الجوابين يا باه الفاء تذكرة روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال
اهدى للنبى صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم اردفنى خلفه ثم سار بى مليا
ثم التفت الى فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك
تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة واذا سالت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد
مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا

ان يضروك بما لم يكتب الله عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل
فان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان
مع العسر يسرا **وهو القاهر فوق عباده** تصوير لقهره وعلوه بالغلبة والقدرة **وهو الحكيم** فى كل
ما يفعله ويامر به **الخبير** باحوال عباده وخفايا امورهم واللام فى المواضع الثلثة للقصر **قل اى شئ**
اكبر شهادة روى ان قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد سالنا اليهود والنصارى
فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك رسول الله فنزلت فاى مبتداء واكبر
خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تعالى **قل الله** امر له صلى الله عليه وسلم بان يتولى الجواب
بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان لا يجيبوا بغيره او لانهم ربما يتلعثمون فيه لا لتردد هم
فى انه اكبر من شئ بل فى كونه شهيدا فى هذا الشان وقوله تعالى **شهيد** خبر مبتداء محذوف
اى هو شهيد **بينى وبينكم** ويجوز ان يكون الله شهيد بينى وبينكم هو الجواب لانه اذا كان هو
الشهيد بينه وبينهم كان اكبر شئ شهادة شهيدا له عليه السلام وتكرير البين لتحقيق المقابلة
واوحى الى اى من جهته تعالى **هذا القران** الشاهد بصحة رسالتى **لانذركم به** بما فيه
من الوعيد والاقتصار على ذكر الانذار لما ان الكلام مع الكفرة **ومن بلغ** عطف على ضمير المخاطبين
اى لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم القيمة خلا ان ذلك بطريق العبارة فى الكل عند
الحنابلة وبالاجماع عندنا فى غير الموجودين وفى غير المكلفين يومئذ كما مر فى اول سورة النساء
ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد **قل لا اشهد** بذلك
وان شهدتم فانه باطل صرف **قل** تكرير للامر للتاكيد **انما هو اله واحد** اى بل انما اشهد انه تعالى
لا اله الا هو **واننى برئ مما تشركون** من الاصنام او من اشراككم **الذين اتيناهم الكتاب**
جواب عما سبق من قولهم لقد سئلنا عنك اليهود والنصارى اخر عن تعيين الجواب مسارعة الى
الزامهم بالجواب عن تحكمهم بقولهم فارنا من يشهد لك الخ والمراد بالموصول اليهود والنصارى
وبالكتاب الجنس المنتظم للتورية والانجيل وايرادهم بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما
اسند اليهم بقوله تعالى **يعرفونه** اى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة الكتابين بحليته
ونعوته المذكورة فيهما **كما يعرفون ابناءهم** بحلاهم بحيث لا يشكون فى ذلك اصلا روى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة قال عمر رضى الله عنه لعبد الله بن سلام انزل الله تعالى
على نبيه هذه الاية فكيف هذه المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف ابنى
ولانا اشد معرفة بمحمد من ابنى لانى لا ادرى ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى **الذين**
خسروا انفسهم من اهل الكتابين والمشركين بان ضيعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها واعرضوا
عن البينات الموجبة للايمان بالكلية **فهم لا يؤمنون** لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول
الرفع على الابتداء وخبره الجملة المصدرة بالفاء لشبه الموصول بالشرط وقيل على انه خبر مبتداء

محذوف اى هم الذين خسروا الخ وقيل على انه نعت للموصول الاول وقيل النصب على الذم فقوله تعالى
فهم لا يؤمنون على الوجوه الاخيرة عطف على جملة الذين اتيناهم الكتاب **ومن اظلم ممن افترى**
على الله كذبا بوصفهم النبى صلى الله عليه وسلم الموعود فى الكتابين بخلاف اوصافه عليه السلم
فانه افتراء سبحانه وبقولهم الملئكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله ونحو ذلك وهو
انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك التركيب غير متعرض
لانكار المساوات ونفيها يشهد به العرف الفاشى والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم من
فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا يرى الى
قوله عز وجل لا جرم انهم فى الاخرة هم الاخسرون بعد قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا الخ والسر فى ذلك ان النسبة بين الشيئين انما يتصور غالبا لا سيما فى باب المغالبة بالتفاوت
زيادة ونقصانا فاذا لم يكن احدهما اريد تحقق النقصان لا محالة **او كذب باياته** كان كذبوا
بالقران الذى من جملته الاية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات
وسموها سحرا وحرفوا التورية وغيروا نعوته عليه السلام فان ذلك تكذيب باياته تعالى و
كلمة او للايذان بان كلا من الافتراء والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط فى الظلم فكيف وهم
قد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون **انه** الضمير الشان ومدار
وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها
مع ما فيه من زيادة تقرير فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر
فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشان الخطير
هذا **لا يفلح الظالمون** اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا
فما ظنك بمن فى الغاية القاصية من الظلم **ويوم نحشرهم جميعا** منصوب على الظرفية بمضمر
مؤخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم استطاعة السامعين لسماعه
لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كانه قيل ويوم نحشرهم جميعا **ثم نقول** لهم
ما نقول كان كذا من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال وتقدير صيغة الماضى للدلالة
على التحقق ولحسن موقع عطف قوله تعالى ثم لم تكن الخ عليه وقيل منصوب على المفعولية
بمضمر مقدم اى واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الخ وقيل وليتقوا او ليحذروا يوم نحشرهم
الخ والضمير للكل وجميعا حال منه وقرى يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما **للذين اشركوا** اى
نقول لهم خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤس الاشهاد **اين شركاؤكم** اى الهتكم التى جعلتموها شركاء
لله سبحانه واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه قوله
تعالى **الذين كنتم تزعمون** اى تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المبنى عن
غيبة الشركاء مع عموم الحشر لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله

وغير ذلك من النصوص انما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرؤ من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب
والعلايق حسبما يحكيه قوله تعالى فزيلنا بينهم الخ ونحو ذلك من الآيات الكريمة اما بعدم حضورها
حينئذ في الحقيقة بابعادها من ذلك للموقف واما بتنزيل عدم حضورها بعنوان الشركة والشفاعة
منزلة عدم حضورها في الحقيقة اذ ليس السؤال عنها من حيث ذواتها بل انما هو من حيث انها شركاء
كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب في ان عدم الوصف يوجب عدم الموصوف من حيث
هو موصوف فهي من حيث هي شركاء غائبة لا محالة وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما
كانت او غيرها واما ما يقال من انه يحال بينها وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا
بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم فربما يشعر بعدم شعورهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع
حبال رجائهم عنها بعد وقد عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك وانصرمت عروة اطماعهم عنها
بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب في البرزخ وانما الذي يحصل يوم
الحشر الانكشاف الجلي واليقين القوي المترتب على المحاضرة والمحاورة ثم لم تكن فتنتهم بتانيث
الفعل ورفع فتنتهم على انه اسم له والخبر الا ان قالوا وقرئ بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم
الا ان قالوا والتانيث للخبر كما في قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها
ورفعها انسب بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا في يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف
والاستثناء متفرغ من اعم الاشياء وفتنتهم اما كفرهم مرادا به عاقبة اي لم تكن عاقبة كفرهم الذي
لزموه مدة اعمارهم وافتخروا به شيئا من الاشياء الا جحوده والتبرؤ منه بان يقولوا والله ربنا ما كنا
مشركين واما جوابهم عبر عنه بالفتنة لانه كذب ووصفه تعالى بربوبيته لهم للمبالغة في التبرؤ
من الاشراك وقرئ ربنا على النداء فهو لاظهار الضراعة والاجتهاد في استدعاء قبول المعذرة
وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع رأسا من فرط الحيرة والدهش وحمله على معنى
ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا في الدنيا انا على خطاء في معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم اصلا فانه
مما يوهم ان لهم عذرا ما وان لهم قدرة على الاعتذار في الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعا على
انه قد قضى ببطلانه قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم فانه تعجيب من كذبهم الصريح
بانكار صدور الاشراك عنهم في الدنيا اي انظر كيف كذبوا على انفسهم في قولهم ذلك فانه امر عجيب
وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون عطف على كذبوا داخل معه في حكم التعجيب وما مصدرية
او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين الفاجرة المغلطة على انفسهم
بانكار صدور ما صدر عنهم فكيف ضل عنهم اي زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا يفترونه
من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤوا منه بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء و
ايقاع الافتراء عليها مع انه في الحقيقة واقع على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة
في امرها كانها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستانف غير داخل في حيز التعجيب ومنهم من يستمع اليك

كلام

كلام مبتداء مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر ثم ببيان ما سيصدر عنهم
يوم الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على انه مبتداء باعتبار
مضمونه او بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اي وجمع منا الخ ومن موصولة
او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم او وبعض منهم الذي يستمع اليك او فريق يستمع
اليك على ان مناط الافادة اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا كونهم ذوات اولئك المذكورين
وقد مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الخ روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر
وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته ما ادري ما يقول
الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم من القرون الماضية فقال ابو سفيان
اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة من الجعل بمعنى الانشاء وعلى
متعلقة به وضمير قلوبهم راجع الى من وجمعيته بالنظر الى لفظها وقد روعي جانب المعنى في قوله
تعالى ومنهم من يستمعون اليك الاية والاكنة جمع كنان وهو ما يستر به الشيء وتنوينها للتفخيم
والجملة اما مستانفة للاخبار بما تضمنته من الختم او حال من فاعل يستمع باضمار قد عند من يقدرها
قبل الماضي الواقع حالا اي يستمعون اليك وقد القينا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يقادر قدرها
خارجة مما يتعارفه الناس ان يفقهوه اي كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القرآن المدلول عليه
بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما ينبئ عنه الكلام اي منعناهم ان يفقهوه وفي آذانهم
وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه والكلام فيه كما في قوله تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل
معرب منصح عن كمال جهلهم بشؤون ء م وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم ومج اسماعهم له وقد
مر تحقيقه في اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر
الاية وانت خبير بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي صلى الله عليه وسلم
جهلا وكفرا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان ككون القرآن سحرا او شعرا
واساطير الاولين وقس عليه ما تخيلوه في حق النبي صلى الله عليه لا الاخبار بان هناك امرا وراء
ذلك قد حال بينهم وبين ادراكه حائل من قبلهم حتى يمكن حمل النظم الكريم على ذلك وان يروا
كل آية من الآيات القرآنية اي يشاهدوها بسماعها لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على
نفي العموم اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي لما مر من حالهم حتى اذا جاؤك
يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة هي قوله تعالى اذا جاؤك يقول الذين كفروا
وما بينهما حال من فاعل جاؤا وانما وضع الموصول موضع الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة واشعارا بعلة
الحكم اي بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاؤك مجادلين لك لا يكتفون بمجرد عدم الايمان
بما سمعوا من الآيات الكريمة بل يقولون ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين فان عد احسن

الحديث واصدقه الذى لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه من قبيل الاباطيل والخرافات
رتبة من الكفر لا غاية وراءها ويجوز ان يكون حتى جارة واذا ظرفية بمعنى وقت مجيئهم ويجادلونك
حال كما سبق وقوله تعالى يقول الذين كفروا الخ تفسير للمجادلة والاساطير جمع اسطورة او اسطارة
او جمع اسطار وهو جمع سطر بالتحريك واصل الكل السطر بمعنى الخط **وهم ينهون عنه** الضمير المرفوع
للمذكورين والمجرور للقران اى لا يقنعون بما ذكر من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس
عن استماعه لئلا يقفوا على حقيته فيؤمنوا به **وينأون عنه** اى يتباعدون عنه بانفسهم اظهاراً
لغاية نفورهم عنه وتاكيداً لنهيهم عنه فان اجتناب الناهى عن المنهى عنه من متممات النهى
ولعل ذلك هو السر فى تاخير النأى عن النهى وقيل الضمير المجرور للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل
المرفوع لابى طالب ولعل جمعيته باعتبار استتباعه لاتباعه فانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروى انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى الله
عليه وسلم سوء فقال والله لا يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد فى التراب دفينا فاصدع بامرك
ما عليك غضاضة وابشر بذاك وقر منه عيونا ودعوتنى وزعمت انك ناصح ولقد صدقت
وكنت ثم امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذارى سبة
لوجدتنى سمحا بذاك مبينا فنزلت **وان يهلكون** اى ما يهلكون بما فعلوا من النهى والنأى **الا
انفسهم** بتعريضها لاشد العذاب وافظعه عاجلاً واجلاً وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله
تعالى **وما يشعرون** حال من ضمير يهلكون اى يقتصرون الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون
اى لا باهلاكهم انفسهم ولا باقتصار ذلك عليها من غير ان يضر وابذلك شيئا من القران والرسول
عليه السلام والمؤمنين وانما عبر عنه بالاهلاك مع ان المنفى من غيرهم مطلق الضرر اذ غاية ما
يؤدى اليه ما فعلوا من القدح فى القران الكريم الممانعة فى تمشى احكامه وظهور امر الدين للايذان
بان ما يحيق بهم هو الهلاك لا الضرر المطلق على ان مقصدهم لم يكن مطلق الممانعة فيما ذكر بل كانوا
يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ويجوز ان يكون الاهلاك معتبرا بالنسبة
الى الذين يضلونهم بالنهى فقصره على انفسهم ح مع شموله للفريقين مبنى على تنزيل عذاب الضلال
عند عذاب الاضلال منزلة العدم **ولو ترى اذ وقفوا على النار** شروع فى حكاية ما سيصدر عنهم
يوم القيمة من القول المناقض لما صدر عنهم فى الدنيا من القبايح المحكية مع كونه كاذباً فى نفسه
والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل المشاهدة والعيان قصداً الى بيان
كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا تختص استقراءها براء دون راء ممن اعتاد
مشاهدة الامور العجيبة بل كل من يتاتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف
ثقة بظهوره وايذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما فى حيز الظرف عليه
اى لو تراهم حين يوقفون على النار حتى يعاينوها لرايت ما لا يساعده التعبير وصيغة الماضى للدلالة

على التحقق او حين يطلعون عليها اطلاعاً وهى تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم
وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفاً **فقالوا
يا ليتنا نرد** اى الى الدنيا تمنيا للرجوع والخلاص وهيهات ولات حين مناص **ولا نكذب بايات
ربنا** اى باياته الناطقة باحوال النار واهوالها الامرة باتقائها اذ هى التى تخطر حينئذ ببالهم ويتحسرون
على ما فرطوا فى حقها او بجميع اياته المنتظمة لتلك الايات انتظاماً اولياً **ونكون من المؤمنين** بها
العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل او نكون من فريق المؤمنين الناجين من العذاب
الفائزين بحسن المآب ونصب الفعلين على جواب التمنى باضمار ان بعد الواو واجراءها مجرى الفاء
ويؤيده قراءة ابن مسعود رض وابن مسعود فلا نكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين
وقيل ينسبك من ان المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر ويقدر قبله مصدر متوهم فيعطف
هذا عليه كانه قيل ليت لنا رداً وانتفاء تكذيب وكوناً من المؤمنين وقرئ برفعهما على انه كلام
مستانف كقوله دعنى ولا اعود اى وانا لا اعود اى وانا لا اعود تركتنى او لم تتركنى وعطف على
نرد او حال من ضميره فيكون داخلا فى حكم التمنى كالوجه الاخير للنصب وتعلق التكذيب الاتى
به لما تضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب كمن قال ليتنى رزقت مالاً فاكافئك على صنيعك
فانه متمن فى معنى الواعد فلو رزق مالاً ولم يكافئ صاحبه يكون مكذباً بالامحالة وقرئ برفع الاول
ونصب الثانى وقد مر وجههما **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل** اضراب عما ينبئ عنه التمنى
من الوعد بتصديق الايات والايمان بها اى ليس ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة فى الايمان
وشوق الى تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر لهم فى موقفهم ذلك ما كانوا يخفونه فى الدنيا من
الداهية الدهيا وظنوا انهم مواقفوها فلخوفها وهول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التى
وقفوا عليها اذ هى التى سيق الكلام لتهويل امرها والتعجيب من فظاعة حال الموقوفين عليها و
باخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشئ كفر به واخفاء لا محالة وايثاره على صريح التكذيب
الوارد فى قوله عز وجل هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار التى كنتم بها تكذبون
مع كونه انسب بما قبله من قولهم ولا نكذب بايات ربنا لمراعاة ما فى مقابلته من البدو وهذا هو
الذى يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون كفرهم ومعاصيهم او
قبايحهم وفضايحهم التى كانوا يكتمونها من الناس فتظهر فى صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم
او شركهم الذى يجحدون به فى بعض مواقف القيمة بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر
من شهادة الجوارح عليهم او ما اخفاه رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما
كتمه علماء اهل الكتاب من صحة نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ونعوته الشريفة عن عوامهم على ان الضمير
المجرور للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذى اخفوه من المؤمنين والضمير المجرور للمؤمنين والمرفوع
للمنافقين فبمعزل من الاغضاء عما فى كل منها من الاعتساف والاختلال لا سبيل الى شئ من ذلك اصلا

لما عرفت من ان سوق النظم الشريف لتهويل امر النار وتفظيع حال اهلها وقد ذكر وقوفهم
عليها واشير الى انه اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة ما لا يحيط به الوصف
ورتب عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط التا
بعد ذلك من تلك السببية وهي في نفسها ادهى الدواهي وازجر الزواجر واسنادها الى شئ من
الامور المذكورة التي دونها في الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثم امر يجب تنزيه ساحة
التنزيل عن امثاله واما ما قيل من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون من قبيل دخول البيوت
من ظهورها وابوابها مفتوحة فتامل **ولو ردوا** اى من موقفهم ذلك الى الدنيا حسبما
تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال **لعادوا لما نهوا عنه** من فنون القبايح التي من
جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب
وانهم لكاذبون اى لقوم ديدنهم الكذب في كل ما يأتون وما يذرون عطف على عادوا
داخل في حيز الجواب وتوسيط قوله تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير
ما افاده الشرطية من كذبهم المخصوص ولو اخر لاوهم ان المراد تكذيبهم في انكارهم البعث والمعنى
لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا **ان هي** اى ما الحيوة **الا حيوتنا الدنيا وما نحن
بمبعوثين** بعد ما فارقنا هذه الحيوة كان لم يروا ما رأوا من الاحوال التي اولها البعث والنشور
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذي مر في نظيره خلا ان الوقوف ههنا مجاز عن
الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم عن
التعريف وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقوله تعالى **قال** استيناف مبني على سؤال نشاء من
الكلام السابق كانه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل قال **اليس هذا** مشيرا الى ما شاهدوه
من البعث وما يتبعه من الامور العظام **بالحق** تقريعا لهم على تكذيبهم لذلك وقولهم عند سماع
ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل **قالوا** استيناف كما سبق **بلى وربنا** اكدوا اعترافهم باليمين
اظهارا لكمال يقينهم بحقيته وايذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا في نفعه **قال**
استيناف كما مر **فذوقوا العذاب** الذي عاينتموه والفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقية
ما كفروا به في الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما
اعترفوا بحقيته الآن كما نطق به قوله عز وجل **بما كنتم تكفرون** اى بسبب كفركم في الدنيا بذلك
او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعد
ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى بعد هذا الامر الا العذاب **قد خسر الذين
كذبوا بلقاء الله** هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع الضمير للايذان بتسبب خسرانهم
بما في حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى بقيام الساعة وما يترتب عليه من البعث واحكامه المتفرعة
عليه واستمرارهم على ذلك فان كلمة حتى في قوله تعالى **حتى اذا جاءتهم الساعة** غاية لتكذيبهم

لا لخسرانهم فانه ابدي لا حد له **بغتة** البغت والبغتة مفاجات الشئ بسرعة من غير شعور به
يقال بغته بغتا وبغتة اى فجئه وانتصابها اما على انها مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم
اى مباغتة او من مفعوله اى مبعوثين واما على انه مصدر مؤكد على غير الصدر فان جاءتهم في معنى
بغتتهم كقولهم اتيته ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم اى جاءتهم الساعة
تبغتهم بغتة **قالوا** جواب اذا **يا حسرتنا** تعالى فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان
يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادى الساعة سمي باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
من مات فقد قامت قيامته او جعل مجئ الساعة بعد الموت كالواقع بغير فترة لسرعته **على ما
فرطنا فيها** اى على تفريطنا في شان الساعة وتقصيرنا في مراعات حقها والاستعداد لها بالايمان
بها واكتساب اعمال الصالحة كما في قوله تعالى على ما فرطت في جنب الله وقيل الضمير للحيوة الدنيا
وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير في الشئ مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع
وقيل الفرط السبق ومنه الفارط اى السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره فالتضعيف فيه للسلب
كما في جلدت البعير وقوله تعالى **وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم** حال من فاعل قالوا فائدته
الايذان بان عذابهم ليس مقصورا على ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون مع ذلك
تحمل الاوزار الثقال والايماء الى ان تلك الحسرة من الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدونه
من فنون العقوبات والسر في ذلك ان العذاب الروحاني اشد من الجسماني نعوذ برحمة الله عز
وجل منهما والوزر في الاصل الحمل الثقيل سمي به الاثم والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور
كذكر الايدي في قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد حمل الاثقال على الظهور كما ان المالوف
هو الكسب بالايدي والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من الحسنات والحال انهم يحملون اوزار
ما عملوا من السيئات **الا ساء ما يزرون** تذييل مقرر لما قبله وتكملة له اى بئس شيئا يزرون وزرهم
وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة الدنيا حياة اخرى يلقون فيها
من الخطوب ما يلقون بين بعده حال تينك الحياتين في انفسهما واللعب عمل يشغل النفس ويفترها
عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل والمعنى اما على حذف المضاف او جعل الحيوة الدنيا
نفس اللعب واللهو مبالغة كما في قول الخنساء فانما هي اقبال وادبار اى وما اعمال الدنيا اى
الاعمال المتعلقة بها من حيث هي هي او وما هي من حيث انها محل الكسب تلك الاعمال الا لعب شئ
يشغل الناس ويلهيهم بما فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم منفعة
جليلة باقية ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح **وللدار الآخرة** التي هي محل الحيوة
الاخرى **خير للذين يتقون** الكفر والمعاصي لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير منغصة
بالآلام مستمرة على الدوام **افلا تعقلون** ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفاء
للعطف على مقدر اى اتغفلون فلا تعقلون او لا تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة

قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون استيناف مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الحزن الذى يعتريه مما حكى من الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة فيه ببيان انه عليه السلام
بمكانه من الله عز وجل وان ما يفعلون فى حقه فهو راجع اليه تعالى فى الحقيقة وانه ينتقم منهم
لامحالة اشد انتقام وكلمة قد لتاكيد العلم بما ذكر المفيد لتاكيد الوعيد كما فى قوله تعالى قد يعلم ما انتم
عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما يخرج اليه ربما
فى مثل قوله وان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود جريا على سنن العرب عند
قصد الافراط فى التكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس
عندى وعنده مقانب جمة يريد بذلك التمادى فى تكثير فرسانه ولكنه روم اظهار براءته عن
التزيد وابراز انه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل ربما يود
الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لاتحوم
حوله شائبة ريب حقيقة كما فى الايات الكريمة المذكورة او ادعاء كما فى البيت وقوله قد اترك
القرن مصفرا انامله وقوله ولكنه قد يهلك المال نائله والمراد بكثرة علمه تعالى كثرة تعلقه وهو
متعد الى اثنين وما بعده ساد مسدهما واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة المفسرة له والموصول
فاعل يحزنك وعائده محذوف اى الذى يقولونه وهو ما حكى عنهم من قولهم ان هذا الا اساطير
الاولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى **فانهم لا
يكذبونك** تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهى عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التشاغل
عنه وعدم هيبتنا والاقبال التام على ما هو اهم منه من استعظام جحودهم بايات الله عز وجل كما
قيل فانه مع كونه بمعزل من التسلية بالكلية مما يوهم كون حزنه صلى الله عليه وسلم بخاصة
نفسه بل بطريق المسلى بما يفيده من بلوغه عليه السلام فى جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى
من الله عز وجل الى حيث لاغاية وراءه حيث لم يقتصر على جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا لاياته
سبحانه على طريقة قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله بل نفى تكذيبهم عنه عليه السلام واثبت
لاياته تعالى على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ايذانا بكمال القرب
واضمحلال شئونه عليه السلام فى شان الله عز وجل نعم فيه استعظام لجناياتهم منبئ عن عظم عقوبتهم
كانه قيل لا تعتد به وكله الى الله تعالى فانهم فى تكذيبهم ذلك لا يكذبونك فى الحقيقة **ولكن
الظالمين بايات الله يجحدون** اى ولكنهم باياته تعالى يكذبون فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا
عليهم بالرسوخ فى الظلم الذى جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة
واستعظام ما اقدموا عليه من جحود اياته تعالى وايراد الجحود فى مورد التكذيب للايذان بان اياته
تعالى من الوضوح بحيث يشاهد صدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذى
هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما فى قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى

يقول من قال انه نفى ما فى القلب ثباته او ثبات ما فى القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحد
حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل هى لتضمين الجحود معنى التكذيب واياما كان فتقديم الجار والمجرور
للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم ويعضده ما روى من ان
الاخنس بن شريق قال لابى جهل يا ابا الحكم اخبرنى عن محمد صادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا
احد غيرنا فقال له والله ان محمدا الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصى باللواء والسقاية
والحجابة والنبوة فماذا يكون لساير قريش فنزلت وقد روى عن ابن عباس رض ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب فى شئ ولكنهم كانوا يجحدون وقيل فانهم
لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بايات الله كما يروى ان ابا
جهل كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك وانك عندنا لصادق ولكنا نكذب
ما جئتنا به فنزلت وكان صدق المخبر عند الخبيث بمطابقة خبره لاعتقاده والاول هو الذى تستدعيه
الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من الاكذاب فقيل كلاهما بمعنى واحد كاكثر وكثر وانزل ونزل
وهو الاظهر وقيل معنى اكذبه وجده كاذبا ونقل عن الكسائى ان العرب تقول كذبت الرجل
اى نسبت الكذب اليه واكذبته اى نسبت الكذب اى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى **ولقد كذبت
رسل من قبلك** افتنان فى تسليته عليه السلام فان عموم البلية ربما يهون امرها بعض تهوين
وارشاد له عم الى الاقتداء بمن قبله من الرسل الكرام عليهم السلام فى الصبر على ما اصابهم من اممهم
من فنون الاذية وعدة ضمنية له عليه السلام بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد
التسلية وتنوين رسل للتفخيم والكثرة ومن اما متعلقة بكذبت او بمحذوف وقع صفة لرسل اى
وبالله لقد كذبت من قبل تكذيبك رسل اولى شان خطير وذوو اعداد كثيرة او كذبت رسل كانوا
من زمان قبل زمانك **فصبروا على ما كذبوا** ما مصدرية وقوله تعالى **واوذوا** عطف على
كذبوا داخل فى حكمه فانسبك منهما مصدران من المبنى للمفعول اى فصبروا على تكذيبهم وايذائهم
فتاس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم واما ما يقارنه من فنون
الايذاء لم يصرح به ثقة باستلزام التكذيب اياه غالبا واياما كان ففيه تاكيد للتسلية وقيل
عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استيناف وقوله **حتى اتيهم نصرنا** غاية للصبر
وفيه ايذان بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوجه اليهم لا بد من اتيانه البتة والالتفات
الى نون العظمة لابراز الاعتناء بشان النصر وقوله تعالى **ولا مبدل لكلمات الله** اعتراض مقرر لما
قبله من اتيان نصره اياهم والمراد بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلى
من المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام الدالة على نصرة رسول الله ايضا لا نفس الايات المذكورة
ونظائرها فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد عدم تبدل المواعيد الواردة الى رسول الله م

خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام ويجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من
جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في حقه عليه السلام دخولا اوليا والالتفات
الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال
ولا يقع منه تعالى خلف في قول من الاقوال وقوله تعالى **ولقد جاءك من نبإ المرسلين** جملة قسمية جيء
بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتأكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لتقرير
جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار والمجرور في محل الرفع على انه فاعل
اما باعتبار مضمونه اي بعض نبإ المرسلين او بتقدير الموصوف اي بعض من نبإ المرسلين كما مر
في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الاية واياما كان فالمراد بنبئهم عليهم السلام
على الاول نصره تعالى اياهم بعد اللتيا والتي وعلى الثاني جميع ما جرى بينهم عليهم السلام وبين اممهم
على ما نبئ عنه قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الاية وقيل في محل النصب على الحالية من المستكن في جاء العائد
الى ما يفهم من الجملة السابقة اي ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من المرسلين **وان كان كبر عليك**
اعراضهم كلام مستأنف مسوق لتأكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه امر لا محيد
عنه اصلا اي ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت به من القرآن الكريم حسبما
يفصح عنه ما حكي عنهم من تسميتهم له اساطير الاولين ونأيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل
ان الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من
قريش فقالوا يا محمد ائتنا بآية من عند الله كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك فأبى الله ان
يأتيهم بآية مما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لما انه عليه
السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا سألوه آية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا
في ايمانهم فنزلت فقوله تعالى اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار والمجرور عليه لما مر مرارا من
الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان مفسرة لاسمها الذي
هو ضمير الشان ولا حاجة الى تقدير قد وقيل اسم كان اعراضهم وكبر جملة فعلية في محل النصب
على انها خبر لها مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستتر كما هو المشهور وعلى التقديرين
فقوله عز وجل **فان استطعت** الى آخره شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط
الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من
قبيل الآيات واحببت ان تجيبهم الى ما سألوه اقتراحا فان استطعت **ان تبتغي نفقا** اي سربا
ومنفذا **في الارض** تنفذ فيه الى جوفها **او سلما** اي مصعدا **في السماء** تعرج به فيها **فتأتيهم**
منهما **بآية** مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالآية فالفاء في فتأتيهم
حينئذ تفسيرية وتنوين آية للتفخيم اي فان استطعت ان تبتغيهما فتجعل ذلك آية لهم فافعل والظرفان

متعلقان

متعلقان بمحذوف هما نعتان لنفقا وسلما والاول لمجرد التأكيد اذ النفق لا يكون الا في الارض او
بتبتغي وقد جوز تعلقهما بمحذوف وقع حالا من فاعل تبتغي اي ان تبتغي نفقا كائنا انت في الارض
او سلما كائنا في السماء وفيه من الدلالة على تبالغ حرصه عليه السلام على اسلام قومه وتراميه
الى حيث لو قدر على ان يأتي بآية من تحت الارض او من فوق السماء لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى
وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه
فكيف باتخاذه **ولو شاء الله لجمعهم على الهدى** اي ولو شاء تعالى ان يجمعهم على ما انتم عليه من الهدى
لفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن لم يشأ لعدم صرف اختيارهم الى جانب الهدى
مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للآيات الداعية اليه لا انه تعالى لم يوفقهم له مع توجههم
الى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان يأتيهم بآية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه
عن الحكمة وقوله تعالى **فلا تكونن من الجاهلين** نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان
عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والميل الى اتيان ما يقترحونه من الآيات طمعا في ايمانهم
مرتب على بيان عدم تعلق مشيئته تعالى بهدايتهم والمعنى واذا عرفت انه تعالى لم يشأ هدايتهم
وايمانهم باحد الوجهين فلا تكونن بالحرص الشديد على اسلامهم او الميل الى مقترحاتهم نزول
من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من عدم تعلق مشيئته تعالى بايمانهم
اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على
الاختيار ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويراد بالنهي منعه عليه
السلام من المساعدة على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط
النهي الذي هو الوصف الجامع بينه عليه السلام وبينهم **انما يستجيب الذين يسمعون** تقرير لما مر
من ان على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي آذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم
بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الايمان البتة والاستجابة الاجابة المقارنة للقبول
اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع فهم وتدبر دون الموتى
الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى انك لا تسمع الموتى وقوله تعالى **والموتى يبعثهم الله** تمثيل
لاختصاصه تعالى بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى
من القبور وقيل بيان لاستمرارهم على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار
للكفرة بناء على تشبيه جهلهم بموتهم اي وهؤلاء الكفرة يبعثهم الله تعالى من قبورهم **ثم**
اليه يرجعون للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على
البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهور اوفق بحق المقام لانبائه عن كون مرجعهم اليه تعالى
بطريق الاضطرار **وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه** حكاية لبعض آخر من اباطيلهم بعد حكاية
ما قالوا في حق القرآن الكريم وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش وقيل الحارث

بن عامر بن نوفل واصحابه ولقد بلغت بهم الضلالة والطغيان الى حيث لم يقنعوا بما شاهدوا من
البينات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترءوا على ادعاء انها ليست من قبيل الايات وانما هي
ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء الاية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سيأتي
وما يفيده التعرض لعنوان ربوبيته تعالى له عليه السلام من الاشعار بالعلية انما هو بطريق
التعريض بالتهكم من جهتهم واطلاق الاية في قوله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل
اية مع ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا اية ما من الايات لفساد المعنى مجاراة معهم
على زعمهم ويجوز ان يراد بها اية موجبة لهلاكهم كانزال ملائكة العذاب ونحوه على ان
تنوينها للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة
القدرة الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع انها ليست في حيز
الانكار للايذان بان عدم تنزيله تعالى اياها مع قدرته عليه لحكمة بالغة يجب معرفتها وهم
عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله تعالى ولكن اكثرهم لا يعلمون اي
ليسوا من اهل العلم على ان المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه محذوف مدلول
عليه بقرينة المقام والمعنى انه تعالى قادر على ان ينزل اية من ذلك او اية ولكن اكثرهم
لا يعلمون فلا يدرون ان عدم تنزيلها مع ظهور قدرته عليه لما ان في تنزيلها قلعا للاساس
التكليف المبني على قاعدة الاختيار او استيصالا لهم بالكلية فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم
تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان بعضهم واقفون على حقيقة الحال
وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى وما من دابة في الارض الخ كلام مستانف
مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه تعالى
قادر على تنزيل الاية وانما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من لتاكيد الاستغراق
وفي متعلقة بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من افراد
الدواب يستقر في قطر من اقطار الارض وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى ولا طائر يطير
بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير اي ولا طائر يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه
كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع عطفا على محل الجار والمجرور كانه قيل وما
دابة ولا طائر الا امم اي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كانه قيل وما من دواب
ولا طير الا امم امثالكم اي كل امة منها مثلكم في ان احوالها محفوظة وامورها معينة و
مصالحها مرعية جارية على سنن السداد ومنتظمة في سلك التقديرات الالهية والتدبيرات
الربانية ما فرطنا في الكتاب من شيء يقال فرط الشيء اي ضيعه وتركه قال ساعدة بن جوية
معه سقاء لا يفرط حمله اي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء اي اهمل ما ينبغي ان يكون

من الطيور مع

فيه

فيه واغفله فقوله تعالى في الكتاب اي القران على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من
شيء مفعول لفرطنا ومن مزيدة للاستغراق ما تركنا في القران شيئا من الاشياء المهمة التي
من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول للفعل
ومن شيء في موضع المصدر اي ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه
كل ما لا بد من ذكره وايا ما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها وقيل الكتاب
اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة في اللوح غير مقصورة
على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا بالتخفيف وقوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون بيان لاحوال
الامم المذكورة في الاخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها على صيغة جمع العقلاء
لاجرائها مجراهم والتعبير عنها بالامم اي الى مالك امورهم يحشرون يوم القيمة كدابكم لا الى
غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان ياخذ للجماء من القرناء وقيل
حشرها موتها وياباه مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى والذين كذبوا
باياتنا متعلق بقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء والموصول عبارة عن المعهودين
في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الايات ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي اوردنا
في القران جميع الامور المهمة وازحنا به العلل والاعذار والذين كذبوا باياتنا اي التي منه
صم لا يسمعونها سمع فهم وتدبر فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الايات
ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون على ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك
بها وقوله تعالى في الظلمات اي في ظلمات الكفر او ظلمات الجهل والعناد والتقليد اما
خبر ثان للمبتدا على انه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي واما متعلق بمحذوف
وقع حالا من المستكن في الخبر كانه قيل ضالون كائنين في الظلمات او صفة لبكم اي بكم
كائنون في الظلمات والمراد به بيان كمال عراقتهم في الجهل وسوء الحال فان الاصم الابكم اذا
كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته وكذا يشعر غيره بما في ضميره بالا
وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى او كان في الظلمات فينسد عليه
باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى من يشاء الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من
حالهم ببيان انهم من اهل الطبع لا يتاتى منهم الايمان اصلا فمن مبتدا خبره ما بعده ومفعول
المشية محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مفعول الجزاء وانتفاء
الغرابة في تعلقها به اي من يشاء الله اضلاله اي ان يخلق فيه الضلال يضلله اي يخلقه فيه
لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره الى كسبه
وتحصيله وقس عليه قوله تعالى ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب اليه
ولا يزل من ثبت قدمه عليه قل ارايتكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم

ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف حرف جئ به لتاكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ومبنى
التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها
اى اخبرونى **ان اتيكم عذاب الله** حسبما اتى الامم السالفة من انواع العذاب الدنيوى **او اتتكم**
الساعة التى لا محيص عنها البتة **اغير الله تدعون** هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله
تعالى **ان كنتم صادقين** متعلق بان انكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف
ثقة بدلالة المذكور عليه اى ان كنتم صادقين فى ان اصنامكم آلهة كما انها دعواكم المعروفة او
ان كنتم قوما صادقين فاخبرونى اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله الخ فان صدقهم باى معنى
كان من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه واما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى
اغير الله تدعون اعنى فادعوه على ان الضمير لغير الله فمخل بجزالة النظم الكريم كيف لا والمطلوب
منهم انما هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى عند اتيان ما ياتى لا نفس دعائهم اياه وقوله تعالى
بل اياه تدعون عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التى تعلق بها الاستخبار انباء جليا
كانه قيل لا غيره تعالى تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى **فيكشف ما تدعون اليه** اى الى
كشفه عطف على تدعون اى فيكشفه اثر دعائكم وقوله تعالى **ان شاء** اى ان شاء كشفه لبيان
ان قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية قد استاثر الله تعالى بعلمها
فقد يقبله كما فى بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الدنيوى وقد لا يقبله كما فى بعض اخر
منها وفى جميع ما يتعلق بكشف العذاب الاخروى الذى من جملته الساعة وقوله تعالى **وتنسون**
ما تشركون اى تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا وتوسيط
الكشف بينهما مع تقارنهما وتاخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشان الكشف والايذان
بترتبه على الدعاء خاصة وقوله تعالى **ولقد ارسلنا** كلام مستانف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعو الله
تعالى عند اتيان العذاب ايضا لتماديهم فى الغى والضلال لا يتاثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتاثرون
بالزواجر التنزيلية وتصديره بالجملة القسمية لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف
لما ان مقتضى المقام بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اى وبالله لقد ارسلنا رسلا **الى امم** كثيرة
من قبلك اى كائنة من زمان قبل زمانك **فاخذناهم** اى فكذبوا رسلهم فاخذناهم **بالباساء**
اى فكذبوا رسلهم فاخذناهم **والضراء** اى بالشدة والفقر **والضراء** اى الضر والآفات وهما صيغتا
تانيث لا مذكر لهما **لعلهم يتضرعون** اى لكى يدعوا الله تعالى فى كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه
من كفرهم ومعاصيهم **فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا** اى فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه
ولكن قست قلوبهم استدراك عما قبله اى فلم يتضرعوا اليه تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق
ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم نقيضه حيث قست قلوبهم اى استمرت على ما هى عليه من القساوة
او ازدادت قساوة كقولك لم يكرمنى اذ جئته ولكن اهاننى **وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون**

من الكفر والمعاصى فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من الباساء والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك
لبيان انه لم يكن لهم فى ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم والاعجاب باعمالهم التى زينها الشيطان
لهم وقوله تعالى **فلما نسوا ما ذكروا به** عطف على مقدر ينساق اليه النظم الكريم اى فانهمكوا
فيه ونسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء فلما نسوه **فتحنا عليهم ابواب كل شيء** من فنون
النعماء على منهاج الاستدراج لما روى انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا بالتشديد
للتكثير وفى ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكير فى الجملة غير خال عن النفع وحتى فى
قوله تعالى **حتى اذا فرحوا بما اوتوا** هى التى يبتدا بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما فى قوله
تعالى حتى اذا جاء امرنا الاية ونظايره وهى مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل هو عليه
كانه قيل ففعلوا ما فعلوا حتى اذا اطمانوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا **اخذناهم بغتة** اى نزل
بهم عذابنا فجاءة ليكون اشد عليهم وقعا وافظع هولا **فاذا هم مبلسون** متحسرون غاية الحسرة
آيسون من كل خير واجمعون وفى الجملة الاسمية دلالة على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة
فقطع دابر القوم الذين ظلموا اى اخرهم بحيث لم يبق منهم احد من دبره دبرا ودبورا اى تبعه
ووضع الظاهر موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب ظلمهم الذى هو وضع الكفر موضع
الشكر واقامة المعاصى مقام الطاعات **والحمد لله رب العالمين** على ما جرى عليهم من النكال فان
اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقايدهم الفاسدة واعمالهم
الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلام كلمة الحق التى نطقت بها رسلهم عليهم
السلام **قل ارايتم** امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت عليهم وتثنية الالزام بعد
تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا فى الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق
الرؤية وان كان بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية **ان اخذ الله سمعكم وابصاركم** بان
اصمكم واعماكم بالكلية **وختم على قلوبكم** بان غطى عليها ما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتصيرون
مجانين ويجوز ان يكون الختم عطفا تفسيريا للاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب
منهما يرد ما يرده من المدركات فاخذهما سد لبابه بالكلية وهو السر فى تقديم اخذهما على ختمها
واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الآيات القرآنية وافراده لما ان اصله مصدر وقوله
تعالى **من اله** مبتدا وخبر ومن استفهامية وقوله تعالى **غير الله** صفة للخبر وقوله تعالى **ياتيكم**
به اى بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له والجملة
متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اى اخبرونى ان سلب الله تعالى مشاعركم من اله غيره تعالى
ياتيكم بها وقوله تعالى **انظر كيف نصرف الآيات** تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من
عدم تاثرهم بما عاينوا من الآيات الباهرة اى انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة عن اسلوب الى
اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه

والتذكير ثم هم يصدفون عطف على نصرف داخل فى حكمه وهو العمدة فى التعجيب وثم لاستبعاد صدوفهم
اى اعراضهم عن تلك الايات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال عليها قل ارايتكم
تبكيت اخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم ان اتيكم عذاب الله اى عذابه
العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اى فجاءة من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان وحيث
تضمن هذا معنى الخفية قوبل بقوله تعالى او جهرة اى بعد ظهور اماراته وعلائمه وقيل ليلا او
نهارا كما فى قوله تعالى بياتا او نهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ
بغتة وجهرة وهما فى موضع المصدر اى اتيان بغتة او اتيان جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول
وافظع وقوله تعالى هل يهلك متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير اى قل لهم تقريرا لهم باختصاص
الهلاك بهم اخبرونى ان اتاكم عذابه تعالى حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب الا انتم
اى هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه الا القوم الظالمون تسجيلا عليهم بالظلم وايذانا
بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذى هو وضعهم الكفر موضع الايمان وقيل المراد بالظالمين الجنس
وهم داخلون فى الحكم دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم ويا باه تخصيص
الاتيان بهم وقيل الاستفهام بمعنى النفى فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف كانه قيل اخبرونى
ان اتاكم عذابه تعالى بغتة او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم
الظالمون اى ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم الا انتم فمن قيد الهلاك بهلاك التعذيب
والسخط لتحقيق الحصر باخراج غير الظالمين لما انه ليس بطريق التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة
ورفع الدرجة فقد اهمل ما يجديه واشتغل بما لا يغنيه واخل بجزالة النظم الكريم وقرئ هل يهلك
من الثلاثى وما نرسل المرسلين كلام مستانف مسوق لبيان وظايف منصب الرسالة على الاطلاق
وتحقيق ما فى عهدة الرسل عليهم السلام واظهار ان ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس مما يتعلق
بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى
الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين اى ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم
ففيهما معنى العلة الغائية قطعا اى ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقاب
على المعصية اى ليخبروهم بالخبر السار والخبر الضار دنيويا كان او اخرويا من غير ان يكون لهم دخل
ما فى وقوع المخبر به اصلا وعليه يدور القصر والالزم ان لا يكون بيان الشرايع والاحكام من
وظايف الرسالة والفاء فى قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لشبه الموصول بالشرط
اى لا خوف عليهم من العذاب الذى انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات
ما بشروا به من الثواب العاجل والاجل وتقديم نفى الخوف على نفى الحزن لمراعاة حق المقام وجمع
الضماير الثلثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد الضميرين السابقين باعتبار لفظها
اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام

انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما تقرر فى موضعه من
ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام الا ترى ان الجملة
الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار الثبوت فاذا دخل عليها حرف النفى دلت على استمرار
الانتفاء لا على انتفاء الاستمرار كذلك المضارع الخالى عن حروف النفى يفيد استمرار الثبوت
فاذا دخل عليه حرف النفى يفيد استمرار الانتفاء لا انتفاء الاستمرار ولا بعد فى ذلك فان
قولك ما زيدا ضربت مفيد لاختصاص النفى لا لنفى الاختصاص كما بين فى محله وقوله عز وجل
والذين كذبوا عطف على من امن داخل فى حكمه وقوله تعالى باياتنا اشارة الى ان ما ينطق
به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار ويبلغونه الى الامم اياته تعالى وان من امن به فقد
امن باياته تعالى ومن كذب فقد كذب بها وفيه من الترغيب فى الايمان به والتحذير عن تكذيبه
ما لا يخفى والمعنى ما نرسل المرسلين الا ليخبروا اممهم من جهتنا بما سيقع منا من الامور السارة
والمضارة لا ليوقعوها استقلالا من تلقاء انفسهم او استدعاء من قبلنا حتى يقترحوا عليهم ما
يقترحون فاذا كان الامر كذلك فمن امن بما اخبروا به من قبلنا تبشيرا او انذارا فى ضمن اياتنا
واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او دخل فى الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا
باياتنا التى بلغوها عند التبشير والانذار يمسهم العذاب اى العذاب الذى انذروه عاجلا
او اجلا وحقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا بما كانوا يفسقون اى بسبب
فسقهم المستمر الذى هو الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم عندى
خزائن الله استيناف مبنى على ما اسس من السنة الالهية فى شان ارسال الرسل وانزال الكتب
مسوق لاظهار تبريه عليه السلام عما يدور عليه مقترحاتهم اى قل للكفرة الذين يقترحون
عليك تارة تنزيل الايات واخرى غير ذلك لا ادعى ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الى اتصرف
فيها كيف اشاء استقلالا او استدعاء حتى تقترحوا على تنزيل الايات او انزال العذاب او قلب
الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشانى وجعل هذا تبرءا عن دعوى الالهية مما لا وجه له قطعا
وقوله تعالى ولا اعلم الغيب عطف على محل عندى خزائن الله اى ولا ادعى ايضا انى اعلم الغيب من
افعاله تعالى حتى تسالونى عن وقت الساعة ووقت نزول العذاب او نحوهما ولا اقول لكم
انى ملك حتى تكلفونى من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقى فى السماء ونحوه
او تعدوا عدم اتصافى بصفاتهم قادحا فى امرى كما ينبئ عنه قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشى
فى الاسواق والمعنى انى لا ادعى شيئا من هذه الاشياء الثلثة حتى تقترحوا على ما هو من اثارها و
احكامها وتجعلوا عدم اجابتى الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التى لا تعلق لها بشئ
مما ذكر قطعا بل انما هى عبارة عن تلقى الوحى من جهة الله تعالى والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه
قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره

بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول آخر كما هو الاستعمال الشايع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفى فى الاصل والاثبات فى القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفى والاثبات معا فى خصوصيته فان ذلك غير ممكن قطعا بل باعتبار النفى فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة كنصر مثلا ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقومه فان معناه فعل النصر يرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطى ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر فى الحقيقة ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفى الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الى من غير ان يكون لى مدخل ما فى الوحى او فى الموحى بطريق الاستدعاء بوجه آخر من الوجوه اصلا **قل هل يستوى الاعمى والبصير** مثل للضال والمهتدى على الاطلاق والاستفهام انكارى والمراد انكار استواء من لا يعلم ما ذكر من الحقايق ومن يعلمها وفيه من الاشعار بكمال ظهورها ومن التنفير عن الضلال والترغيب فى الاهتداء ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية التبكيت وتاكيد الالزام وقوله تعالى **افلا تتفكرون** تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او تسمعونه فلا تتفكرونه فيه فمناط التوبيخ فى الاول عدم الامرين معا وفى الثانى عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه **وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم** بعد ما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بتصريف الآيات الباهرة ولا يتاثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة قد ابغت مشاعرهم بالكلية والتحقوا بالاموات وقرر ذلك بان كرر عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر اى القام فابوا الا الاباء والنكير وما نجع فيهم عظة ولا تذكير وما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار امر صلى الله عليه وسلم بتوجيه الانذار الى من يتوقع منهم التاثر فى الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الآتى سواء كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين المعترفين بالبعث المترددين فى شفاعة آبائهم الانبياء كالاولين او فى شفاعة الاصنام كالآخرين او مترددين فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون للحشر راسا والقائلون به القاطعون بشفاعة آبائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون ممن امر بانذارهم وقد قيل هم المفرطون فى الاعمال من المؤمنين ولا يساعده سياق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقضى باستحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى او لما دل هو عليه من القرآن والمفعول الثانى للانذار اما العذاب الاخروى المدلول عليه بما فى حيز الصلة واما مطلق العذاب الذى ورد به الوعيد والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلى لتربية المهابة وتحقيق المخافة وقوله تعالى **ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع**

فى حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من اسم ليس لانه فى الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا اى خلا ان الحال الاولى لاخراج الحشر الذى لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق ان ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا الحشر كيفما كان ضرورة ان المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين له فى عدم الخوف الذى عليه يدور امر الانذار واما الحال الثانيه فليست لاخراج الولى الذى لم يقيد بها عن حيز الانتفاء لفساد المعنى لاستلزامه ثبوت ولايته تعالى لهم كما فى قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير بل لتحقيق مدار خوفهم وهو فقدان ما علقوا به رجاءهم وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى كما فى قوله تعالى ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض وليس له من دونه اولياء والمعنى انذر به الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم وعن هذا اتضح ان لا سبيل الى كون المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين اذ ليس لهم ولى سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وانما الذى يخافونه الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى **لعلهم يتقون** تعليل للامر اى انذرهم لكى يتقوا الكفر والمعاصى او حال من ضمير الامر اى انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول اى انذرهم مرجوا منهم التقوى **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى** لما امر عليه السلام بانذار المذكورين لينتظموا فى سلك المتقين نهى عليه السلام عن كون ذلك بحيث يؤدى الى طردهم المتقين روى ان رؤساء من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت عنا هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقراء المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت قال عليه السلام نعم طمعا فى ايمانهم وروى ان عمر رضى الله عنه قال له عليه السلام لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون وقيل ان عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدى والحارث بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل واشراف بنى عبد مناف من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفاءنا وهم عبيدنا وعتقاؤنا كان اعظم فى صدورنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب الى النبى صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذى كلموه فقال عمر رضى الله عنه لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذى يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان وخباب فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وعباس بن مرداس وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبى صلى الله عليه وسلم جالسا مع ناس من ضعفاء المؤمنين فلما راوهم حوله عليه السلام حقروهم فاتوه عليه السلام فقالوا يا رسول الله لو جلست فى صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم لجالسناك وحادثناك واخذنا عنك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك فنستحيى ان ترانا

مع هؤلاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنّا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال عليه السّلام
نعم قالوا فاكتب لنا كتابا فدعا بالصّحيفة وبعليّ رضى الله عنه ليكتب ونحن قعود فى ناحية فنزل
جبرئيل عليه السّلام بالاية فرمى عليه السّلام بالصّحيفة ودعانا فاتيناه وجلسنا عنده وكنّا
ندنو منه حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنّا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الّذين
يدعون ربّهم فترك القيام عنّا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الّذى لم يمتنى حتى امرنى ان اصبر نفسى
مع قوم من امّتى معكم المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر الوقتين الدّوام وقيل صلوة الفجر والعصر
وقرئ بالغدوة وقوله تعالى **يريدون وجهه** حال من ضمير يدعون اى يدعونه تعالى مخلصين
له فيه وتقييده به لتاكيد عليته للنّهى فانّ الاخلاص من اقوى موجبات الاكرام المضاد للنطرد
وقوله تعالى **ما عليك من حسابهم من شئ** اعتراض وسّط بين النّهى وجوابه تقريرًا له ودفعًا لما عسى
يتوهّم كونه مسوّغًا لطردهم من اقاويل الطّاعنين فى دينهم كداب قوم نوح حيث قالوا ما نراك
اتبعك الّا الّذين هم اراذلنا بادى الرّاى اى ما عليك شئ ما من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة
حتّى تتصدّى له وتبنى على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شان منصب
النبوّة اعتبار ظواهر الاعمال واجراء الاحكام على موجبها وامّا بواطن الامر فحسابها على العليم بذات
الصّدور كقوله تعالى ان حسابهم الّا على ربى وذكر قوله تعالى **وما من حسابك عليهم من
شئ** مع انّ الجواب قد تم بما قبله للمبالغة فى بيان انتفاء كون حسابهم عليه عليه السّلام بنظمه
فى سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفاء كون حسابه عليه السّلام عليهم على طريقة قوله تعالى
لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وامّا ما قيل من انّ ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة
واحدة لتاديه معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فغير حقيق بجلالة شان
التّنزيل وتقديم عليك فى الجملة الاولى للقصد الى ايراد النّفى على اختصاص حسابهم به عليه السّلم
اذ هو الدّاعى الى تصدّيه عليه السلام بحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى انّك لا تواخذ بحسابهم
حتّى يهمّك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين وقوله تعالى **فتطردهم** جواب
النفى وقوله تعالى **فتكون من الظّالمين** جواب النّهى وقد جوّز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبّب
وليس بذاك **وكذلك فتنّا بعضهم ببعض** استيناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النّهى وذلك
اشارة الى مصدر ما بعده من الفعل الّذى هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين فى امر الدين
بتوفيقهم للايمان مع ما هم عليه فى امر الدّنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلوّ درجة المشار اليه وبعد منزلته فى الكمال والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من
الفخامة ومحلّها فى الاصل النّصب على انّه نعت لمصدر مؤكّد محذوف والتّقدير فتنا بعضهم ببعض
فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدّم على الفعل لافادة القصر المفيد لعدم القصور فقط واعتبرت
الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكّد لا نعتا له والمعنى ذلك الفتون الكامل البديع فتنّا اى

ابتلينا

ابتلينا بعض النّاس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدّمنا الآخرين فى امر الدّين على الاوّلين المتقدّمين
عليهم فى امر الدّنيا تقدّما كليّا واللّام فى قوله تعالى **ليقولوا** للعاقبة اى ليقول البعض الاوّلون
مشيرين الى الآخرين محقّرين لهم نظرا الى ما بينهما من التفاوت الفاحش الدّنيوى وتعاميا عمّا هو
مناط التفضيل حقيقة **اهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا** بان وفّقهم لاصابة الحقّ ولما يسعدهم عنده
تعالى من دوننا ونحن المقدّمون والرّؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع
المنّ راسًا على طريقة قولهم لو كان خيرًا ما سبقونا اليه لا تحقير الممنون عليهم مع الاعتراف بوقوعه
بطريق الاعتراض عليه تعالى وقوله تعالى **اليس الله باعلم بالشّاكرين** ردّ لقولهم ذلك وابطال له و
اشارة الى انّ مدار استحقاق الانعام معرفة شان النّعمة والاعتراف بحقّ المنعم والاستفهام لتقرير
علمه البالغ بذلك اى اليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتّى تستبعدوا انعامه عليهم وفيه من الاشارة
الى ان اولئك الضّعفاء عارفون بحقّ نعمة الله تعالى فى تنزيل القرآن والتّوفيق للايمان شاكرون
له تعالى على ذلك مع التّعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى **واذا جاءك الّذين
يؤمنون باياتنا** هم الّذين نهى عن طردهم وصفوا بالايمان بايات الله عزّ وجل كما وصفوا بالمداومة
على عبادته تعالى بالاخلاص تنبيهًا على حيازهم لفضيلتى العلم والعمل وتاخير هذا الوصف مع تقدّمه
على الوصف الاوّل لما انّ مدار الوعد بالرّحمة والمغفرة هو الايمان بها كما انّ مناط النّهى عن
الطّرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى **فقل سلام عليكم** امر بتبشيرهم بالسّلامة
عن كل مكروه بعد انذار مقابليهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى اليهم وقيل بان يبداهم بالسّلام
وقوله تعالى **كتب ربّكم على نفسه الرّحمة** اى قضاها واوجبها على ذاته المقدّسة بطريق التّفضّل
والاحسان بالذات لا بتوسّط شئ ما اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى وبنيل المطالب اثر
تبشيرهم بالسّلامة عن المكاره وقبوله التّوبة منهم وفى التّعرض لعنوان الربوبيّة مع الاضافة
الى ضميرهم اظهار اللّطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل انّ قومًا جاؤا الى النبىّ صلّى الله
عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبًا عظامًا فلم يرد عليهم شيئًا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى
انّه من عمل منكم سوءً بدل من الرّحمة وقرئ بكسر انّه على انّه تفسير للرحمة بطريق الاستيناف
وقوله تعالى **بجهالة** حال من فاعل عمل اى عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضارّ والتقييد
بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر ما يعلم انّه يؤدى الى الضرر او عمله ملتبسًا بجهالة **ثم تاب
من بعده** اى من بعد عمله او من بعد سفهه **واصلح** اى ما افسده تداركا وعزمًا على ان لا يعود
اليه ابدًا **فانّه غفور رّحيم** اى فامره انه غفور رحيم او فله انه غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر
على انه استيناف وقع فى صدر الجملة الواقعة خبر المن على انها موصولة او جوابا لها على انّها
شرطيّة **وكذلك نفصّل الايات** قد مرّ انفا ما فيه من الكلام اى هذا التفصيل البديع نفصّل
الايات فى صفة اهل الطّاعة واهل الاجرام المصرّين منهم والاوّابين **ولتستبين سبيل المجرمين**

بتانيث الفعل بناء على تانيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل مما يذكر ويؤنث
وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له فوائد
جمة من جملتها ماذكر او علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور فيكون مستانفا اى ولتستبين
سبيلهم نفعل ما نفعل من التفصيل وقرئ بنصب السبيل على ان الفعل متعد وتاؤه للخطاب اى
ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق **قل انى نهيت** امر صلى الله عليه وسلم
بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من اهل الانذار والتبشير
بما يليق بحالهم اى قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام اليهم وبيانا لكون ما هم
عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا انى صرفت وزجرت بما نصب لى من الادلة وانزل
على من الايات فى امر التوحيد **ان اعبد الذين تدعون** اى عن عبادة ما تعبدونه **من دون**
الله كائنا ما كان **قل** كرر الامر مع قرب العهد اعتناء بشان المامور به او ايذانا باختلاف المقولين
من حيث ان الاول حكاية لما من جهته تعالى من النهى والثانى حكاية لما من جهته عليه السلام
من الانتهاء عما ذكر من عبادة ما يعبدونه وانما قيل **لا اتبع اهواءكم** استجهالا لهم وتنصيصا
على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا على شئ مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا
بما يوجب النهى والانتهاء وقوله تعالى **قد ضللت اذا** استيناف مؤكد لانتهائه عما نهى عنه
مقرر لكونهم فى غاية الضلال والغواية اى ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت وقوله تعالى **وما انا**
من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام والاستمرار
اى دوام النفى واستمراره لا لنفى الدوام والاستمرار كما مر مرارا اى ما انا فى شئ من الهدى حتى اكون
فى عدادهم وقوله تعالى **قل انى على بينة** تحقيق للحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبيان لاتباعه اياه اثر ابطال الباطل الذى عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة
التى تفصل بين الحق والباطل والمراد بها القران والوحى وقيل هى الحجج العقلية او ما يعمهما ولا
يساعده المقام والتنوين للتفخيم وقوله تعالى **من ربى** متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة
لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام من التشريف ورفع المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى **وكذبتم به** اما جملة
مستانفة او حالية بتقدير قد او بدونه جئ بها لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق
ما يقتضى عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمعنى
انى على بينة عظيمة كائنة من ربى وكذبتم بها وبما فيها من الاخبار التى من جملتها الوعيد بمجئ
العذاب وقوله تعالى **ما عندى ما تستعجلون به** استيناف مبين لخطائهم فى شان ما جعلوه منشأ
لتكذيبهم بها وهو عدم مجئ ما وعد فيها من العذاب الذى كانوا يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم اى ليس ما تستعجلونه من العذاب

الموعود

الموعود فى القران وتجعلون تاخره ذريعة الى تكذيبه فى حكمى وقدرتى حتى اجئ به واظهر لكم صدقه اى ليس
امره بمفوض الى **ان الحكم** اى ما الحكم فى ذلك تعجيلا وتاخيرا او ما الحكم فى جميع الاشياء فيدخل فيه
ما ذكر دخولا اوليا **الا لله** وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما فيه بوجه من الوجوه وقوله تعالى
يقص الحق اى يتبعه بيان لشئونه تعالى فى الحكم المعهود او فى جميع احكامه المنتظمة له انتظاما اوليا اى
لا يحكم الا بما هو حق فيثبت حقية التاخير وقرئ يقضى فانتصاب الحق على المصدرية اى يقضى القضاء
الحق او على المفعولية اى يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل
بتمام الامر واصل الحكم المنع فكانه يمنع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدى على صاحبه **وهو**
خير الفاصلين اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مشير الى قص الحق ههنا بطريق خاص هو الفصل
بين الحق والباطل هذا هو الذى يستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل ان المعنى انى من معرفة ربى وانه
لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى غيره وانت خبير
بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما لحق على وصفهم بتكذيب ايات الله تعالى بسبب عدم مجئ العذاب
الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه فى امر التوحيد مما لا تعلق له بالمقام اصلا **قل لو ان عندى** اى
فى قدرتى ومكنتى **ما تستعجلون به** من العذاب الذى ورد به الوعيد بان يكون امره مفوضا الى من
جهته تعالى **لقضى الامر بينى وبينكم** اى بان ينزل ذلك عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا
الوعد ونظائره وفى بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعين الفاعل الذى هو الله سبحانه وتهويل
الامر ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل فى تفسيره لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى ولتخلصت
منكم سريعا بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى **والله اعلم بالظالمين** اعتراض مقرر لما افاده
الجملة الامتناعية من انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الامر
وتعليل له والمعنى والله اعلم بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب
ولذلك لم يفوض الامر الى فلم يقض الامر بتعجيل العذاب او والله اعلم **وعنده مفاتح الغيب** بيان
لاختصاص المقدورات الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص كلها به تعالى من حيث
القدرة والمفاتح اما جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن فهو مستعار لمكامن الغيب كانها خزائن فيها الامور
الغيبية يغلق عليها وتفتح واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار
لما يتوصل به الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى اى عنده تعالى خاصة خزاين غيوبه او ما يتوصل
به اليها وقوله عز وجل **لا يعلمها الا هو** تاكيد لمضمون ما قبله وايذان بان المراد هو الاختصاص
من حيث العلم لا من حيث العلم القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لى حتى
الزمكم بتعجيله ولا معلوما لدى لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله
حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى **ويعلم ما فى البر والبحر** بيان لتعلق علمه
تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل بالنسبة الى علمه المحيط

سواء فی الجلاء ای یعلم مافیهما من الموجودات مفصّلة علی اختلاف اجناسها وانواعها وتکثر افرادها وقوله
وما تسقط من ورقة الا یعلمها بیان لتعلقه باحوالها المتغیّرة بعد بیان تعلّقه بذواتها فان تخصیص
حال السّقوط بالذکر لیس الا بطریق الاکتفاء بذکرها عن ذکر حال الورقة وما عطف علیها خاصّة دون
احوال سایر ما فیهما من فنون الموجودات الغائبة للحصر باعتبار انّها انموذج لاحوال سائرها وقوله
تعالی ولا حبّة عطف علی ورقة وقوله تعالی فی ظلمات الارض متعلّق بمحذوف هو صفة لحبّة
مفیدة لکمال نفوذ علمه تعالی ای ولا حبّة کائنة فی بطون الارض الّا یعلمها وکذا قوله تعالی
ولا رطب ولا یابس معطوفان علیها داخلان فی حکمها وقوله تعالی الّا فی کتاب مبین
بدل من الاستیناف الاول بدل الکل علی ان الکتاب المبین عبارة عن علمه تعالی او بدل الاشتمال
علی انّه عبارة عن اللّوح المحفوظ وقرئ الاخیران بالرّفع عطفا علی محلّ من ورقة وقیل رفعهما
بالابتداء والخبر الّا فی کتاب مبین وهو الانسب بالمقام لشمول الرّطب والیابس حینئذ لما لیس
من شانه السّقوط وقد نقل قراءة الرّفع فی ولا حبّة ایضا وهو الّذی یتوفّیکم باللّیل من ای
ینیمکم فیه علی استعارة التوفّی من الاماتة للانامة لما بین الموت والنّوم المشارکة فی زوال الاحساس
والتمییز واصله قبض الشئ بتمامه ویعلم ما جرحتم بالنّهار ای ما کسبتم فیه والمراد باللّیل والنّهار
الجنس المتحقّق فی کلّ فرد من افرادهما اذ بالتّوفّی والبعث الموجودین فیهما یتحقّق قضاء الاجل
المسمّی المترتب علیهما الا فی بعضها والمراد بعلمه تعالی ذلك علمه قبل الجرح کما یلوح به تقدیم
ذکره علی البعث ای یعلم ما تجرحون بالنّهار وصیغة الماضی للدّلالة علی التحقق وتخصیص التوفّی باللیل
والجرح بالنّهار مع تحقّق کلّ منهما فیما خصّ بالآخر للجری علی سنن العادة ثم یبعثکم فیه ای یوقظکم
فی النّهار عطف علی یتوفیکم وتوسیط قوله تعالی ویعلم الخ بینهما لبیان ما فی بعثهم من عظیم الاحسان
الیهم بالتنبیه علی ان ما یکتسبونه من السّیّات مع کونها موجبة لابقائهم علی التوفّی بل لاهلاکهم
بالمرّة یفیض علیهم الحیٰوة ویمهلهم کما ینبئ عنه کلمة التّراخی کانّه قیل هو الّذی یتوفیکم فی
جنس اللّیالی ثم یبعثکم فی جنس النهر مع علمه بما تجرحون فیها لیقضی اجل مسمّی معیّن لکلّ
فرد فرد بحیث لا یکاد یتخطّی احد ما عیّن له طرفة عین ثم الیه مرجعکم ای رجوعکم بالموت
لا الی غیره اصلا ثم ینبّئکم بما کنتم تعملون بالمجازات باعمالکم الّتی کنتم تعملونها فی تلك اللّیالی
والایّام وقیل الخطاب مخصوص بالکفرة والمعنی انکم ملقون کالجیف باللّیل کاسبون للاثام بالنّهار
وانه تعالی مطّلع علی اعمالکم یبعثکم من القبور فی شان ما قطعتم به اعمارکم من النّوم باللیل وکسب الاثام
بالنّهار لیقضی الاجل الّذی سمّاه وضربه لبعث الموتی وجزائهم علی اعمالهم وفیه ما لا یخفی من التّکلّف
والاختلال لافضائه الی کون البعث معلّلا بقضاء الاجل المضروب له وهو القاهر فوق عباده
ای هو المتصرّف فی امورهم لا غیر یفعل بهم ما یشاء ایجادا واعداما واحیاء واماتة وتعذیبا واثابة الی
غیر ذلك ویرسل علیکم خاصّة ایّها المکلّفون حفظة من الملئکة وهم الکرام الکاتبون وعلیکم متعلق

بیرسل

بیرسل لما فیه من معنی الاستیلاء وتقدیمه علی المفعول الصّریح لما مرّ مرارا من الاعتناء بالمقدّم والتشویق
الی المؤخّر وقیل متعلّق بمحذوف هو حال من حفظة اذ لو تاخّر لکان صفة ای کائنین علیکم وقیل
متعلّق بحفظة والمحفوظ محذوف علی کلّ حال او یرسل علیکم ملئکة یحفظون اعمالکم کائنا ما کان وفی ذلك
حکمة جلیلة ونعمة جمیلة لما ان المکلّف اذ علم انّ اعماله تحفظ علیه وتعرض علی رؤس الاشهاد کان
ذلك ازجر له عن تعاطی المعاصی والقبایح وانّ العبد اذا وثق بلطف سیّده واعتمد علی عفوه وستره
لم یحتشمه احتشامه من خدمه الواقفین علی احواله وحتّی فی قوله تعالی حتّی اذا جاء احدکم
الموت هی الّتی یبتدا بها الکلام وهی مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة الشرطیّة غایة لما قبلها کانه
قیل ویرسل علیکم حفظة یحفظون اعمالکم مدّة حیاتکم حتّی اذا انتهت مدّة احدکم کائنا من کان
وجاء اسباب الموت ومبادیه توفّته رسلنا الاخرون المفوّض الیهم ذلك وهم ملك الموت واعوانه
وانتهی هناك حفظ الحفظة وقرئ توفّاه ماضیا او مضارعا بطرح احدی التائین وهم ای الرّسل
لا یفرّطون ای بالتوانی والتّاخیر وقرئ مخففا من الافراط ای لا یجاوزون ما حدّ لهم بزیادة او نقصان
والجملة حال من رسلنا وقیل مستانفة سیقت لبیان اعتنائهم بما امروا به وقوله تعالی ثمّ
ردّوا عطف علی توفّته والضّمیر للکلّ المدلول علیه باحدکم وهو السرّ فی مجیئه بطریق الالتفات
تغلیبا والافراد اوّلا والجمع اخرا لوقوع التوفّی علی الانفراد والرّدّ علی الاجتماع ای ثم ردّوا بعد البعث
بالحشر الی الله ای الی حکمه وجزائه فی موقف الحساب مولاهم ای مالکهم الّذی یلی امورهم
علی الاطلاق لا ناصرهم کما فی قوله تعالی وان الکافرین لا مولی لهم الحقّ الذی لا یقضی الّا بالعدل وقرئ
بالنّصب علی المدح الا له الحکم یومئذ صورة ومعنی لا لاحد غیره بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبین
یحاسب جمیع الخلائق فی اسرع زمان واقصره لا یشغله حساب عن حساب ولا شان عن شان وفی الحدیث
انه تعالی یحاسب الکلّ فی مقدار حلب شاة قل من ینجّیکم من ظلمات البرّ والبحر ای قل تقریرا لهم بانحطاط
شرکائهم عن رتبة الالهیّة من ینجّیکم من شدائدهما الهائلة الّتی تبطل الحواس وتدهش العقول
ولذلك استعیر لها الظّلمات المبطلة لحاسّة البصر یقال للیوم الشدید یوم مظلم ویوم ذو کوکب
او من الخسف فی البرّ والغرق فی البحر وقرئ ینجیکم من الانجاء والمعنی واحد وقوله تعالی تدعونه
نصب علی الحالیّة من مفعول ینجیکم والضّمیر لمن ای من ینجیکم منها حال کونکم داعین له او من فاعله
تدعون او مصدر مؤکّد له ای تدعونه متضرّعین جهارا ومسرّین او تدعونه دعاء اعلانا واخفاء وقرئ
خفیة بکسر الخاء وقوله تعالی لئن انجیتنا حال من الفاعل ایضا علی تقدیر القول ای قائلین
لئن انجیتنا من هذه الشدّة والورطة الّتی عبّر عنها بالظّلمات لنکوننّ من الشّاکرین ای الرّاسخین
فی الشکر المداومین علیه لاجل هذه النّعمة او جمیع النّعماء الّتی من جملتها هذه وقرئ اخفض لئن انجانا
مراعاة لقوله تعالی تدعونه قل الله ینجیکم منها ومن کلّ کرب امر علیه السلام بتقریر
الجواب مع کونه من وظائفهم للایذان بانّه متعیّن عندهم ولبناء قوله تعالی ثم انتم تشرکون

ای من ینجیکم منها حال کونکم تدعونه تضرعا وقوله تعالی تضرعا وخفیة اما حال من فاعل ع

عليه اى الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم
والكرب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى غيره وقرئ ينجيكم بالتخفيف
وقوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استيناف مسوق لبيان انه تعالى هو
القادر على القائهم فى المهالك اثر بيان انه هو المنجى لهم منها وفيه وعيد ضمنى بالعذاب لاشراكهم
المذكور على طريقة قوله عز وجل افامنتم ان يخسف بكم جانب البر الى قوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم
فيه تارة اخرى الاية وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة الى
بيان كون المبعوث مما يضرهم ولتهويل امر المؤخر وقوله تعالى من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف
وقع صفة لعذابا اى عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من قوم لوط واصحاب الفيل
واضرابهم او من تحت ارجلكم اى من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل من فوقكم اكابركم
ورؤساكم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع لما كان من الجهتين
معا كما فعل بقوم نوح او يلبسكم شيعا اى يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة مشايعة
لامام فينشب بينكم القتال فيختلطوا فى الملاحم كقول الحماسى وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست
نفضت لها يدى ويذيق بعضكم باس بعض عطف على يبعث وقرئ بنون العظمة على طريق الالتفات
لتهويل الامر والمبالغة فى التحذير والبعض الاول الكفار والاخر المؤمنون ففيه وعد ووعيد عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند قوله تعالى عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك وعند قوله
تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض هذا اهون او هذا ايسر وعنه عليه السلام.
انه قال سالت ربى ان لا يبعث على امتى عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطانى ذلك
وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنى ذلك انظر كيف نصرف الايات من حال الى حال لعلهم
يفقهون كى يفقهوا ويقفوا على جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به
اى بالعذاب الموعود او القران المجيد الناطق بمجيئه قومك اى المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا
العنوان للايذان بكمال سوء حالهم فان تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه السلام مما يقتضى بغاية
عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق
الى المؤخر وقوله تعالى وهو الحق حال من الضمير المجرور اى كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه
الكتاب الصادق فى كل ما نطق به وقيل هو استيناف وايا ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم
ونهاية قبحها قل لهم منبها على ما يؤل اليه امرهم وعلى انك قد اديت ما عليك من وظايف الرسالة
لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الى امركم لامنعكم من التكذيب واجبركم على التصديق انما انا
منذر وقد خرجت عن العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه لكل نبإ اى لكل شئ ينبا به من الانباء التى من
جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار من جملتها خبر مجيئه مستقر اى وقت استقرار ووقوع البتة او
وقت استقرار بوقوع مدلوله وسوف تعلمون اى حال نبائكم فى الدنيا او فى الاخرة او فيهما معا وسوف

للتاكيد

للتاكيد كما فى قوله تعالى ولتعلمن نباه بعد حين واذا رايت الذين يخوضون فى اياتنا
اى بالتكذيب والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو داب قريش ودينهم فاعرض عنهم بترك مجالستهم
والقيام عنهم وقوله تعالى حتى يخوضوا فى حديث غيره غاية للاعراض اى استمر على الاعراض الى
ان يخوضوا فى حديث غير اياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا فان وصف الحديث بمغايرتها مشير
الى اعتبارها بعنوان الحديثية وقيل باعتبار كونه قرانا واما ينسينك الشيطان بان يشغلك فتنسى
النهى فتجالسهم ابتداء او بقاء وقرئ ينسينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى اى بعد تذكر النهى
مع القوم الظالمين اى معهم فوضع المظهر موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون
واضعون للتكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم راسخون فى ذلك وما على الذين
يتقون روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المسلمين حين نهوا عن مجالستهم عند خوضهم
فى الايات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقران لم نستطع ان نجلس فى المسجد الحرام ونطوف بالبيت
فنزلت اى ما على الذين يتقون قبايح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم اى مما يحاسبون عليه
من الجراير من شئ اى من شئ ما على انه فى محل الرفع على انه مبتدأ وما تميمية او اسم لها وهى حجازية
ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال منه وعلى الذين يتقون فى محل الرفع على انه خبر للمبتدا
او لما الحجازية على راى من لا يجيز اعمالها فى الخبر المقدم مطلقا او فى محل النصب على راى من يجوز اعمالها
فى الخبر المقدم عند كونه ظرفا او حرف جر ولكن ذكرى استدراك من النفى السابق اى ولكن
عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه من القبايح بما امكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم
الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المحذوف اى عليهم ان يذكروهم
تذكيرا او الرفع على انه مبتدأ محذوف الخبر اى ولكن عليهم ذكرى لعلهم يتقون اى يجتنبون
الخوض حياء او كراهة لمساءتهم وقد جوز كون الضمير للموصول اى يذكرونهم رجاء ان يثبتوا على تقواهم
او يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم الذى كلفوه وامروه باقامة مواجبه لعبا ولهوا حيث
سخروا به واستهزؤا او بنوا امر دينهم على ما يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه لو صدر
بطريق اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحاير والسوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم
ولا تبال بافعالهم واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الاية وغرتهم
الحيوة الدنيا واطمانوا بها حتى زعموا ان لا حيوة بعدها ابدا وذكر به اى بالقران من يصلح
للتذكير ان تبسل نفس بما كسبت اى لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا الاية او مخافة ان تبسل
او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما فى قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وترتهن بسوء عملها واصل
الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت منه او لانه متمنع والباسل الشجاع لامتناعه
من قرنه وهذا ابسل عليك اى حرام ممنوع وقد جوز ان يكون الضمير المجرور فى به راجعا الى الابسال
مع عدم جريان ذكره كما فى ضمير الشان ويكون الجملة بدلا منه مفسرا له لما فى الابهام اولا والتفسير ثانيا

من التفخيم وزيادة التقرير كما فى قوله على جوده لضن بالماء حاتم بجر حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى
وذكر بارتهان النفوس وحبسها بما كسبت وقوله تعالى **ليس لها من دون الله ولى ولا شفيع**
استيناف مسوق للاخبار بذلك وقيل فى محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل فى محل الرفع
على انه وصف لنفس والاظهر انه حال من نفس فانه فى قوة نفس كافرة او نفوس كثيرة كما فى قوله تعالى
علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولى كما بين فى تفسير قوله تعالى
وانذر به الاية وقيل هو خبر لليس فيكون لها حينئذ متعلقا بمحذوف على البيان **وان تعدل** اى
ان تعد تلك النفس **كل عدل** اى كل فداء على انه مصدر مؤكد **لا يؤخذ منها** على اسناد الفعل الى الجار
والمجرور لا الى ضمير العدل كما فى قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فانه المعدى لا المصدر كما نحن فيه
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
درجتهم فى سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى **الذين ابسلوا بما كسبوا** والجملة
مستانفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اى اولئك المتخذون
دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحيوة الدنيا هم الذين اسلموا الى ما كسبوا من القبائح وقوله تعالى
لهم شراب من حميم استينافا آخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبنى على سوال نشا من
الكلام كانه قيل ماذا لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم
وتتقطع به امعاؤهم **وعذاب اليم** بنار تشتعل بابدانهم **بما كانوا يكفرون** اى بسبب كفرهم المستمر
فى الدنيا وقد جوز ان يكون لهم شراب الخ حالا من ضمير ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذابين
على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا حسبما ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه العمدة فى
ايجاب العذاب والاهم فى باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه ومن مستتبعاته من المعاصى
والسيئات هذا وقد جوز ان يكون اولئك اشارة الى النفس المدلول عليها بنفس محله الرفع بالابتداء
والموصول الثانى صفته او بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان تبعة الابسال **قل**
اندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت فى ابى بكر رضى الله تعالى عنه حين دعاه ابنه عبد
الى عبادة الاصنام فتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ للايذان بما بينهما من الاتصال
والاتحاد تنويها لشان الصديق رض اى انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات الالوهية
التى من جملتها القدرة على النفع والضر ما لا يقدر على نفعنا اذا عبدناه ولا على ضرنا اذا تركناه وادنى
مراتب المعبودية القدرة على ذلك وقوله تعالى **ونرد على اعقابنا** عطف على ندعو داخل فى حكم
الانكار والنفى اى ونرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره
بصورة ما هو علم فى القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهر
وايثار نرد على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضلين وقطعا لاطماعهم
الفارغة وايذانا بان الارتداد من غير راد ليس فى حيز الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله

تعالى

تعالى **بعد اذ هدينا الله** اى الى الاسلام وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتاكيد النكير لا لتحقيق
معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال بعد اذ اهتدينا كانه قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل
بعد اذ هدانا الله الذى لا هادى سواه وقوله تعالى **كالذى استهوته الشياطين** فى محل النصب
على انه حال من مرفوع نرد اى انرد على اعقابنا مشبهين بالذى استهوته مردة الجن واستغوته
الى المهامه والمهالك او على انه نعت لمصدر محذوف اى انرد ردا مثل رد الذى استهوته
الخ والاستهواء استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كانها طلبت هويه وحرصت عليه
وقرئ استهواه بالف ممالة وقوله تعالى **فى الارض** اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال
من مفعوله اى كائنا فى الارض وكذا قوله تعالى **حيران** حال منه على انها بدل من الاولى
او حال ثانية عند من يجوزها او من الذى او من المستكن فى الظرف اى تائها ضالا عن الجادة لا
يدرى ما يصنع وقوله تعالى **له اصحاب** جملة فى محل النصب على انها صفة لحيران او حال من
الضمير فيه او مستانفة سيقت لبيان حاله وقوله تعالى **يدعونه الى الهدى** صفة لاصحاب
اى لذلك المستهوى رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة كانه نفس
الهدى **ائتنا** على ارادة القول على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله اى يقولون ائتنا
وفيه اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس ممن يعرف
الطريق المستقيم ليدعى الى اتيانه وانما يدرك سمت الداعى ومورد النعيق فقط **قل ان هدى الله**
الذى هدانا اليه وهو الاسلام **هو الهدى** وحده وما عداه ضلال محض وغى بحت كقوله تعالى
فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكرير الامر للاعتناء بشان المامور به ولان ما سبق للزجر عن
الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان اختصاص الهدى بهداه تعالى مما يوجب
الامتثال بالاوامر الواردة بعده **وامرنا** عطف على ان هدى الله هو الهدى داخل تحت القول
واللام فى **لنسلم لرب العالمين** تعليل الامر المحكى وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلثة كما فى
قوله تعالى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلوة وينفقوا الاية كانه قيل امرنا وقيل لنا اسلموا
لاجل ان نسلم وقيل هى بمعنى الباء اى امرنا بان نسلم وقيل زائدة اى امرنا ان نسلم على حذف الباء
وقوله تعالى **وان اقيموا الصلوة واتقوه** اى الله تعالى فى مخالفة امره عطف على نسلم على الوجوه
الثلثة على ان ان المصدرية اذا وصلت بالامر تجرد هو عن معنى الامر نحو تجرد الصلة الفعلية
عن معنى المضى والاستقبال فالمعنى على الاول امرنا اى قيل لنا اسلموا واقيموا الصلوة واتقوا الله
لاجل ان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى وعلى الاخيرين امرنا بان نسلم ونقيم الصلوة ونتقيه تعالى
والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين لتعليل الامر وتاكيد وجوب الامتثال به كما ان قوله
تعالى **وهو الذى اليه تحشرون** جملة مستانفة موجبة للامتثال بما امر به من الامور الثلثة **وهو**
الذى خلق السموات والارض اريد بخلقهما خلق ما فيهما ايضا وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما

على جميع العلويّات والسّفليّات وقوله تعالى **بالحقّ** متعلّق بمحذوف هو حال من فاعل خلق او من مفعوله
اوصفة لمصدره المؤكّد له اى قائما بالحقّ او ملتبسة بالحقّ او خلقا ملتبسًا به وقوله تعالى **ويوم يقول**
كن فيكون قوله الحقّ استيناف ببيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السّموات والارض ليس ممّا يتوقّف
على مادّة او مدّة بل يتم بمحض الامر التكوينيّ من غير توقف على شئ اخر اصلا وان ذلك الامر المتعلّق
بكلّ فرد فرد من افراد المخلوقات فى حين معيّن من افراد الاحيان حق فى نفسه متضمّن للحكمة ويوم
ظرف لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انّه
مدار الحقيّة وترك ذكر المقول للثقة بغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور
فالمعنى وامره المتعلّق بكل شئ يريد خلقه من الاشياء فى حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق
اى المشهود له بالحقيّة المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدا والحق صفته ويوم يقول خبره مقدّما
عليه كقولك يوم الجمعة القتال وانتصابه بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى قوله الحق كائن حين يقول
لشئ من الاشياء كن فيكون ذلك الشئ وقيل يوم منصوب بالعطف على السّموات او على الضمير
فى واتقوه او بمحذوف دلّ عليه بالحقّ وقوله الحقّ مبتداء وخبر او فاعل يكون على معنى حين يقول
لقوله الحق اى لقضائه الحقّ كن فيكون والمراد حين يكوّن الاشياء ويحدثها او حين يقوم القيامة
فيكون التكوين حشر الاجساد واحياءها فتامّل حقّ التامل **وله الملك يوم ينفخ فى الصّور**
تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص لجميع الاوقات لغاية ظهور
ذلك بانقطاع العلايق المجازيّة الكاينة فى الدّنيا المصحّحة للمالكية المجازيّة فى الجملة كقوله لمن الملك
اليوم لله الواحد القهار **عالم الغيب والشّهادة** اى هو عالمهما **وهو الحكيم** فى كل ما يفعله **الخبير**
بجميع الامور الجليّة والخفيّة **واذ قال ابرهيم** منصوب على المفعوليّة بمضمر خوطب به النّبى صلى الله
عليه وسلم معطوف على قل اندعوا لا على اقيموا كما قيل لفساد المعنى اى واذكر لهم بعد ما انكرت عليهم
عبادة ما لا يقدر على نفع وضرّ وحققت انّ الهدى هدى الله تعالى وما يتبعه من شئونه تعالى وقت
قول ابرهيم الّذى يدّعون انهم على ملّته موبخا **لابيه اٰذر** على عبادة الاصنام فان ذلك ممّا يبكتهم
وينادى بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذّكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها
المقصودة لما مرّ مرارا من المبالغة فى ايجاب ذكرها واذ ربزنة ادم وعابر وعازر وفالغ وكذلك
تارخ ذكره محمد بن اسحق والضحّاك والكلبىّ وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة والعلمية
وقيل اسمه بالسّريانية تارخ واٰزر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزومه عبادته
فهو عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفرّاء
وسليمن التيمى المعوج فهو نعت له كما اذا جعل مشتقا من الازر او الوزر او اريد به عابد اٰزر على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ اٰزرُ على النداء وهو دليل العلميّة اذ لا يحذف حرف
النداء الا من الاعلام **اتتّخذ** متعدّ الى مفعولين هما **اصنامًا اٰلهة** اى اتجعلها لنفسك اٰلهة على

توجيه الانكار الى اتّخاذ الجنس من غير اعتبار الجمعيّة وانّما ايراد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ
ازر بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة وراء منوّنة مفتوحة وهو اسم صنم ومعناه
اتعبدا زرًا ثم قيل تتخذ اصناما اٰلهة تثبيتًا لذلك وتقريرا وهو داخل تحت الانكار لكونه بيانا
له وقيل الازر القوّة والمعنى الاجل القوّة والمظاهرة تتخذ اصنامًا اٰلهة انكارا لتعزّزه بها على طريقة
قوله عزّ وجل ايبتغون عندهم العزّة **انّى اريك وقومك** الذين يتّبعونك فى عبادتها **فى ضلال**
عن الحقّ **مبين** اى بيّن كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرّؤية امّا علميّة فالظّرف مفعولها
الثانى وامّا بصريّة فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ **وكذلك نرى ابرهيم**
هذه الاراءة من الرّؤية البصريّة المستعارة للمعرفة ونظر البصيرة اى عرّفناه وبصّرناه وصيغة
الاستقبال حكاية الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نرى لا الى اراءة اخرى
مفهومة من قوله تعالى انى اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلوّ درجة المشار اليه وبعد
منزلته فى الفضل وكمال تميّزه بذلك وانتظامه بسببه فى سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد ما
افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلّها فى الاصل النصب على انّه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير
نرى ابرهيم اراءة كائنة مثل تلك الاراءة فقدّم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة
للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكّد لا نعتا له اى ذلك التّبصير البديع نبصّره عليه
السّلام **ملكوت السّموات والارض** اى ربوبيّته تعالى ومالكيّته لهما وسلطانه القاهر عليهما و
كونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا له تعالى لا تبصيرا اٰخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة
كالرّهبوت والجبروت ومعناه الملك العظيم والسّلطان القاهر ثم هل هو مختص بملك الله عزّ سلطانه
اولا فقد قيل وقيل والاوّل هو الاظهر وبه قال الرّاغب وقيل ملكوتهما عجايبهما وبدايعهما
روى انه كشف له عليه السّلام عن السّموات والارض حتّى العرش واسفل الارضين وقيل
اٰياتهما وقيل ملكوت السّموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الارض الجبال والاشجار والبحار
وهذه الاقوال لا تقتضى ان تكون الاراءة بصريّة اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور الحسيّة
مجرّد تمكينه عليه السّلام من ابصارها ومشاهدتها فى انفسها بل اطلاعه عليه السّلام على حقايقها
وتعريفها من حيث دلالتها على شئونه عزّ وجل ولا ريب فى انّ ذلك ليس ممّا يدرك حسًّا كما ينبئ عنه
اسم الاشارة المفصح عن كون المشار اليه امرا بديعًا فان الاراءة البصريّة المعتادة بمعزل من تلك
المثابة وقرئ ترى بالتّاء واسناد الفعل الى الملكوت اى تبصّره عليه السّلام دلايل الرّبوبيّة
واللام فى قوله تعالى **وليكون من الموقنين** متعلّق بمحذوف مؤخّر والجملة اعتراض مقرّر لما قبلها
اى وليكون من زمرة الرّاسخين فى الايقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى
فعلنا ما فعلنا من التّبصير البديع المذكور لا لامر اٰخر فان الوصول الى تلك الغاية القاصية كمال مترتّب
على ذلك التّبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته فى ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام

المشركين كما سياتى من فوائده بلامرية بل لبيان انه الاصل الاصيل والباقى من مستتبعاته وقيل
هى متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على علة اخرى محذوفة ينسحب عليه الكلام اى ليستدل
بها وليكون الخ فينبغى ان يراد بملكوتهما بدائعهما واياتهما لان الاستدلال من غاية اراءتهما لا من
غايات اراءة نفس الربوبية وقوله تعالى فلما جن عليه الليل على الاول وهو الحق المبين
عطف على قال ابرهيم داخل تحت ما امر بذكره وقته وما بينهما اعتراض مقرر لما سبق
وما لحق فان تعريفه عليه السلام ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما وكون
الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه فى الوجود وساير ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من
الراسخين فى معرفة شيونه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقضى بان يحكم عليه السلام
باستحالة الهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب وعلى الثانى هو تفصيل لما ذكر من اراءة
ملكوت السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله الى رتبة الايقان
ومعنى جن عليه الليل ستره بظلامه وقوله تعالى راى كوكبا جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال
نور الشمس عن الحس وهذا صريح فى انه لم يكن فى ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق
الاضمحلال بنور الشمس والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب
هو الزهرة وقيل هو المشترى وقوله تعالى قال هذا ربى استيناف مبنى على سؤال نشا من الشرطية
السابقة المتفرعة على بيان اراءته عم ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على
استكشاف ما ظهر منه عليه السلام من اثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه
السلام حين راى الكوكب فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربى مجارات مع ابيه وقومه الذين
كانوا يعبدون الاصنام والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه على راى خصمه ثم يكر عليه
بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة فى بيان استحالة ربوبية الكوكب دون بيان استحالة الهية
الاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة من الاول فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله فى حق
عبادة الاصنام لتمادوا فى المكابرة والعناد ولجوا فى طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام
على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك فى زمان مراهقته واول اوان بلوغه وهو مبنى على تفسير
الملكوت باياتهما وعطف قوله تعالى ليكون على ما ذكر من العلة المقدرة وجعل قوله تعالى
فلما جن الخ تفصيلا لما ذكر من الارادة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت خبير بان كل ذلك مما
يخل بجزالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل عليه السلام فلما افل اى غرب قال لا احب
الافلين اى الارباب المتنقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار فانهم
بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما راى القمر بازغا اى مبتدئا فى الطلوع اثر غروب الكوكب
قال هذا ربى على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدنى ربى الى
جنابه الذى هو الحق الذى لا محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيا مما رايته

لايليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه السلام فى اظهار النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك
فى موضع كان فى جانبه الغربى جبل شامخ يستر به الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده
بقليل وكان الكوكب قريبا منه وافقه الشرقى مكشوف اولا والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب
ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة اى مبتدئة فى الطلوع
مما لا يكاد يتصور قال اى على النهج السابق هذا ربى وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه والمحكوم
عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو مسمى باسم من الاسامى فضلا عن حيثية
تسميته بالشمس او لتذكير الخبر وصيانة الرب عن وصمة التانيث وقوله تعالى هذا اكبر
تاكيد لما رامه عليه السلام من اظهار النصفة مع اشارة خفية الى فساد دينهم من جهة اخرى
ببيان ان الاكبر احق بالربوبية من الاصغر فلما افلت هى ايضا كما افل الكوكب والقمر قال مخاطبا
للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم انى برئ مما تشركون اى من الذى تشركونه من الاجرام المحدثة
المتغيرة من حالة الى اخرى المسخرة لمحدثها او من اشراككم وترتيب هذا الحكم ونظريه على الافول
دون البزوغ والظهور من ضروريات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان كلا منهما وان
كان فى نفسه انتقالا منافيا لاستحقاق معروضه للربوبية قطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة
لظهور الاثار والاحكام ملائمة لتوهم الاستحقاق فى الجملة رتب عليها الحكم الاول على الطريقة
المذكورة وحيث كان الثانى حالة مقتضية لانطماس الاثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق
المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرا عليه
السلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال انى وجهت وجهى للذى فطر
السموات التى هذه الاجرام التى تعبدونها من اجزائها والارض التى تغيب هى فيها حنيفا
اى مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما انا من المشركين فى شئ من الافعال
والاقوال وحاجه قومه اى شرعوا فى مغالبته فى امر التوحيد قال استيناف وقع جوابا عن
سؤال نشا من حكاية محاجتهم كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه فقيل قال منكرا
لما اجترؤا عليه من محاجته عم مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم اتحاجونى
فى الله بادغام نون الجمع فى نون الوقاية وقرئ بحذف الاولى وقوله تعالى وقد هدانى حال من
ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عم مهديا من جهة الله عز وجل ومؤيدا من عنده مما يوجب
استحالة محاجته عم اى اتجادلوننى فى شانه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هدانى الى
الحق بعد ما سلكت طريقتكم بالفرض والتقدير وتبين بطلانها تبينا تاما كما شاهدتموه وقوله
تعالى ولا اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه السلام فى اثناء المحاجة من اصابة مكروه
من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام قومه ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء ولعلهم
فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام بالهتهم ما فعل وما موصولة اسمية حذف عائدها وقوله تعالى

الا ان يشاء ربى شيئا استثناء مفرغ من اعمّ الاوقات اى لا اخاف ما تشركونه به سبحانه
من معبوداتكم فى وقت من الاوقات الّا فى وقت مشيّته تعالى شيئا من اصابة مكروه لى من جهتها
وذلك انّما هو من جهته تعالى من غير دخل لالهتكم فيه اصلا وفى التعرض لعنوان الربوبيّة مع الاضافة
الى ضميره عليه السّلام اظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلام لامره واعتراف
بكونه تحت ملكوته وربوبيّته تعالى وقوله تعالى **وسع ربى كل شىء علما** كانّه تعليل للاستثناء
اى احاط بكل شئ علما فلا يبعد ان يكون فى علمه تعالى ان يحيق لى مكروه من قبلها بسبب من الاسباب
وفى الاظهار فى موقع الاضمار تاكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى **افلا تتذكرون** اى
اتعرضون عن التامّل فى ان الهتكم جمادات غير قادرة على شئ مّا من نفع ولا ضرّ فلا تتذكّرون انّها
غير قادرة على اضرارى وفى ايراد التذكر دون التفكّر ونظائره اشارة الى انّ امر اصنامهم مركوز
فى العقول لا يتوقف الّا على التّذكر وقوله تعالى **وكيف اخاف ما اشركتم** استيناف مسوق لنفى الخوف
عنه عليه السّلام بحسب زعم الكفرة بالطّريق الالزامى كما سياتى بعد نفيه عنه بحسب الواقع
ونفس الامر والاستفهام لانكار الوقوع ونفيه بالكليّة كما فى قوله تعالى كيف يكون للمشركين
عهد عند الله الاية لا لانكار الواقع واستبعاده مع وقوعه كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله
وفى توجيه الانكار الى كيفيّة الخوف من المبالغة ما ليس فى توجيهه الى نفسه بان يقال
أاخاف لما ان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال وكيفيّة من الكيفيات قطعًا
فاذا انتفى جميع احواله وكيفيّاته فقد انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهانى وقوله
عزّ وجل **ولا تخافون انكم اشركتم بالله** حال من ضمير اخاف بتقدير مبتدا والواو كافية فى الرّبط
من غير حاجة الى الضّمير العائد الى ذى الحال وهو مقرّر لانكار الخوف ونفيه عنه عليه السّلام
ومفيد لاعترافهم بذلك فانّهم حيث لم يخافوا فى محلّ الخوف فلان لا يخاف عليه السّلام
فى محلّ الامن اولى واحرى اى وكيف اخاف انا ما ليس فى حيّز الخوف اصلا وانتم لا تخافون
غائلة ما هو اعظم المخوفات واهولها وهو اشراككم بالله الذى ليس كمثله شئ فى الارض
ولا فى السماء ما هو من جملة مخلوقاته وانّما عبّر عنه بقوله تعالى **ما لم ينزّل به** اى باشراكه
عليكم سلطانا على طريقة التهكّم مع الايذان بان الامور الدينيّة لا يقول فيها الا على الحجّة المنزلة
من عند الله تعالى وفى تعليق الخوف الثّانى باشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الادب
ما لا يخفى هذا وامّا ما قيل من ان قوله تعالى ولا تخافون الخ معطوف على اخاف داخل معه فى حكم
الانكار والتعجيب فممّا لا سبيل اليه اصلا لافضائه الى فساد المعنى قطعًا كيف لا وقد عرفت ان
الانكار بمعنى النّفى بالكليّة فيؤول المعنى الى نفى الخوف عنه عليه السّلام ونفى نفيه عنهم وانّه بيّن
الفساد وحمل الانكار فى الاوّل على معنى نفى الوقوع وفى الثّانى على استبعاد الواقع ممّا لا مساغ له
على ان قوله تعالى **فاىّ الفريقين احقّ بالامن** ناطق ببطلانه حتما فانّه كلام مرتّب على انكار خوفه

عليه

عليه السّلام فى محلّ الامن من تحقّق عدم خوفهم فى محلّ الخوف مسوق لالجائهم الى الاعتراف
باستحقاقه عليه السّلام لما هو عليه من الامن وبعدم استحقاقهم لما هم عليه وانّما جئ بصيغة
التّفضيل المشعرة باستحقاقهم له فى الجملة لاستنزالهم عن رتبة المكابرة والاعتساف بسوق
الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الامن فى محلّ الامن والفريق الامن فى محلّ
الخوف فايثار ما عليه النّظم الكريم على ان يقال فاينا احق بالامن انا انتم لتاكيد الالجاء الى
الجواب الحقّ بالتّنبيه على علّة الحكم والتّفادى عن التّصريح بتخطئتهم لا لمجرّد الاحتراز عن تزكية النفس
ان كنتم تعلمون المفعول امّا محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام اى ان كنتم تعلمون
من احقّ بذلك او قصدًا الى التعميم اى ان كنتم تعلمون شيئا وامّا متروك بالمرّة اى ان كنتم من
اولى العلم وجواب الشّرط محذوف اى فاخبرونى **الذين امنوا** استيناف من جهته تعالى مبيّن
للجواب الحقّ الّذى لا محيد عنه اى الفريق الّذين امنوا **ولم يلبسوا ايمانهم** ذلك اى لم يخلطوه
بظلم اى بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انّهم يؤمنون بالله عزّ وجل وانّ
عبادتهم الاصنام من تتمات ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التّقريب والشّفاعة كما قالوا انّما
نعبدهم ليقرّبونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط **اولئك** اشارة الى الموصول من حيث اتّصافه
بما فى حيّز الصّلة وفى الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانّهم تميّزوا بذلك عن غيرهم
وانتظموا فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلوّ درجتهم وبعد منزلتهم
فى الشّرف وهو مبتداء ثان وقوله تعالى **لهم الامن** جملة من خبر مقدّم ومبتداء مؤخّر وقعت
خبرًا لاولئك وهو مع خبره خبر للمبتداء الاوّل الّذى هو الموصول ويجوز ان يكون اولئك
بدلا من الموصول او عطف بيان له ولهم خبرا للموصول والامن فاعلا للظّرف لاعتماده على
المبتداء ويجوز ان يكون لهم خبرًا مقدّمًا والامن مبتدا والجملة خبرًا للموصول ويجوز ان يكون
اولئك مبتداء ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا له والجملة خبرًا للموصول اى اولئك الموصوفون
بما ذكر من الايمان الخالص عن شوب الشرك لهم الامن فقط **وهم مهتدون** الى الحقّ ومن عداهم
فى ضلال مبين روى انّه لمّا نزلت الاية شقّ ذلك على الصّحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
وقالوا ايّنا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه وسلّم ليس ما تظنّون انّما هو ما قال لقمن لابنه يا بنىّ
لا تشرك بالله انّ الشرك لظلم عظيم ولبس الايمان به ان يصدّق بوجود الصّانع الحكيم ويخلّط بهذا
التّصديق الاشراك به وليس من قضيّة الخلط بقاء الاصل بعد الخلط حقيقة وقيل المراد بالظّلم
المعصية الّتى تفسّق صاحبها والظاهر هو الاوّل لوروده مورد الجواب عن حال الفريقين **وتلك**
اشارة الى ما احتجّ به ابرهيم عليه السّلام من قوله تعالى فلمّا جنّ وقيل من قوله تعالى اتحاجّونى الى
قوله تعالى مهتدون وما فى اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شان المشار اليه والاشعار بعلوّ طبقته
وسموّ منزلته فى الفضل وهو مبتداء وقوله تعالى **حجّتنا** خبره وفى اضافتها الى نون العظمة من التفخيم

ما لا يخفى وقوله تعالى اتيناها ابرهيم اى ارشدناه اليها او علمناه اياها فى محل النصب على انه حال من حجتنا و
العامل فيها معنى الاشارة كما فى قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا او فى محل الرفع على انه خبر ثان او هو
الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدا وابرهيم مفعول اول لاتينا قدم عليه الثانى لكونه ضميرا وقوله تعالى
على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبرا لتلك او بمحذوف ان جعل بدلا اى اتينا ابرهيم حجة على قومه وقيل
بقوله اتينا نرفع بنون العظمة وقرئ بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل الاتى درجات اى
رتبا عظيمة عالية من العلم والحكمة وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اى الى
درجات او على التمييز والمفعول قوله تعالى من نشاء وتاخيره على الوجوه الثلثة الاخيرة لما مر
من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول المشية محذوف اى من نشاء رفعه حسبما يقتضيه الحكمة
ويستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين
الاخيار غير مختصة بابرهيم عليه السلام وقرئ بالاضافة الى من فاعل اتينا اى حال كوننا رافعين الخ
ان ربك حكيم فى كل ما فعل من رفع وخفض عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب
متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفى وضع الرب مضافا الى ضميره عليه السلام موضع نون العظمة
بطريق الالتفات فى تضاعيف بيان احوال ابرهيم عم اظهار لمزيد لطف وعناية به صلى الله عليه وسلم
ووهبنا له اسحق ويعقوب عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الخ فان عطف كل من الجملة الفعلية
والاسمية على الاخرى مما لا نزاع فى جوازه ولا مساغ لعطفه على اتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا
ورفعا حسبما بين من قبل فلو عطف هذا عليه لكان فى حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للرابط
ولا سبيل اليه ههنا كلا مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا
بل بالنسبة الى احدهما اى كل واحد منهما هدينا لا احدهما دون الاخر وترك ذكر المهدى اليه لظهور
انه الذى اوتى ابرهيم وانهما مقتديان به ونوحا منصوب بمضمر يفسره هدينا من قبل اى من
قبل ابرهيم عد هداه نعمة على ابرهيم عليهما السلام لان شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته
الضمير لابرهيم لان مساق النظم الكريم لبيان شؤنه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد
الانبياء وابقاء هذه الكرامة فى نسله الى يوم القيمة كل ذلك لالزام من ينتمى الى ملته عليه السلام من
المشركين واليهود وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابرهيم عليه السلام فلو كان
الضمير له لاختص البيان بالمعدودين فى هذه الاية والتى بعدها واما المذكورون فى الاية الثالثة
فعطف على نوحا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية
ابرهيم وان كان منهم من لم يلحقه بولاد من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخى ابرهيم والعرب تجعل
العم ابا كما اخبر الله تعالى عن ابناء يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق
مع ان اسمعيل عم يعقوب داود وسليمان منصوبان بمضمر مفهوم مما سبق وكذا ما عطف عليهما
وبه يتعلق من ذريته وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بشانه مع ما فى المفاعيل من نوع طول ربما

يحل تاخيره بتجاوب النظم الكريم اى وهدينا من ذريته داود وسليمان وايوب هو ابن اموص
من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى وهرون او بمحذوف وقع حالا من المذكورين اى وهديناهم
حال كونهم من ذريته وكذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من جزاء ابرهيم عليه السلام ومحل
الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نجزى المحسنين جزاء مثل ذلك الجزاء
والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس ومماثلة جزائهم لجزائه عليه السلام مطلق
المشابهة فى مقابلة الاحسان بالاحسان والمكافاة بين الاعمال والاجزية من غير تحيس لا المماثلة من
كل وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد الانبياء مما اختص به ابرهيم عليه السلام والاقرب ان لام
المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وهو عبارة عما اوتى المذكورون من
فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتاكيد ما افاده اسم
الاشارة من الفخامة ومحلها فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير ونجزى
المحسنين المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت
الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اى وذلك الجزاء
البديع نجزى المحسنين المذكورين لا جزاء اخر ادنى منه والاظهار فى موضع الاضمار للثناء عليهم
عليهم بالاحسان الذى هو عبارة عن الاتيان بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذى هو حسنها
الوصفى المقارن لحسنها الذاتى وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها وزكريا هو ابن اذن ويحيى ابنه
وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد البنات والياس قيل هو
ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن فى الاية الاولى وقيل هو من اسباط هرون اخى موسى
عم كل اى كل واحد من اولئك المذكورين من الصالحين اى من الكاملين فى الصلاح الذى
هو عبارة عن الاتيان بما ينبغى والتحرز عما لا ينبغى والجملة اعتراض جئ به للثناء عليهم بالصلاح
واسمعيل واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو على القرائتين علم اعجمى ادخل عليه
السلام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع وسع واللام
كما فى يزيد فى قول من قال رايت الوليد بن اليزيد مباركا شديدا باعباء الخلافة كاهله
ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن هرون ابن اخى ابرهيم عليهما السلام وكلا اى كل واحد
من اولئك المذكورين فضلنا بالنبوة لا بعضهم دون بعض على العالمين على عالمى عصرهم
والجملة اعتراض كاختها وقوله تعالى ومن ابائهم وذرياتهم واخوانهم اما متعلق بما تعلق
به من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اى وهدينا من ابائهم وذرياتهم واخوانهم جماعات
كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اى وفضلنا بعض ابائهم الخ واجتبيناهم عطف على فضلنا
اى اصطفيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما هدوا اليه ذلك

اشارة الى مايفهم من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به ومافى ذلك
من معنى البعد لمامرّ مرارًا هدى الله الاضافة للتشريف يهدى به من يشاء من عباده وهم
المستعدّون للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انّه تعالى متفضّل بالهداية ولو اشركوا اى
هؤلاء المذكورون لحبط عنهم مع فضلهم وعلوّ طبقاتهم ما كانوا يعملون من الاعمال المرضية
الصّالحة فكيف بمن عداهم وهم وهم واعمالهم اعمالهم اولئك اشارة الى المذكورين من الانبياء الثّمانية
عشر والمعطوفين عليهم عليهم باعتبار اتّصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النّعوت الجليلة
الثّانية لهم وما فيه من معنى البعد لمامرّ غير مرّة من الايذان بعلوّ طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل
والشّرف وهو مبتدا خبره قوله تعالى الّذين اتيناهم الكتاب اى جنس الكتاب المتحقّق
فى ضمن اىّ فرد كان من افراد الكتب السّماويّة والمراد باتيانه التفهيم التّام بما فيه من الحقايق و
التّمكين من الاحاطة بالجلائل والدّقائق اعمّ من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاءً
فان المذكورين لم ينزل على كلّ واحد منهم كتاب معيّن والحكم اى الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه
الحق والصّواب والنّبوّة اى الرسالة فان يكفر بها اى بهذه الثّلثة او بالنبوّة الجامعة
للباقين هؤلاء اى كفّار قريش فانّهم بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل اليه من
القران كافرون بما يصدّقه جميعًا وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لمامرّ مرارا من الاهتمام بالمقدّم
والتّشويق الى المؤخّر فقد وكّلنا بها اى امرنا بمراعاتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها
قومًا ليسوا بها بكافرين فى وقت من الاوقات بل مستمرّون على الايمان بها فان الجملة الاسميّة
الايجابيّة كما تفيد دوام الثّبوت كذلك السّلبيّة تفيد دوام النّفى بمعونة المقام لانفى الدوام كما
حقق فى مقامه قال ابن عبّاس رضى الله عنهما ومجاهد هم الانصار واهل المدينة وقيل اصحاب
النّبىّ صلى الله عليه وسلم وقيل كلّ مؤمن من بنى ادم وقيل الفرس فان كلًّا من هؤلاء الطّوائف
موفّقون للايمان بالانبياء وبالكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشّرائع وفروعها
الباقية فى شريعتنا وبه يتحقق الخروج عن عهدة التّوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها بانتساخها
خارجة عن كونها من احكامها وقد مرّ تحقيقه فى تفسير سورة المائدة وقيل هم الانبياء المذكورون
فالمراد بالتوكيل الامر بما هو اعمّ من اجراء احكامها كما هو شانهم فى حق كتابهم ومن اعتقاد حقيّتها كما هو
شانهم فى حق ساير الكتب التى من جملتها القران الكريم وقيل هم الملائكة فالتوكيل هو الامر بانزالها
وحفظها واعتقاد حقيّتها وايا ما كان فتنكير قوما للتفخيم والباء الاولى صلة للكافرين قدمت عليه
محافظة على الفواصل والثّانية لتاكيد النّفى وامّا تقديم صلة وكّلنا على مفعوله الصّريح فلما ذكر انفًا
من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخّر ولانّ فيه نوع طول ربما يؤدى تقديمه الى الاخلال بتجاوب
النّظم الكريم او الى الفصل بين الصّفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدلّ عليه المذكور اى
فان يكفر بها هؤلاء فلا اعتداد به اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما فخامًا ليسوا بكافرين بها قطعًا

بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففى ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء وعن هذا تبيّن
ان الوجه ان يكون المراد بالقوم احدى الطّوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقران والعمل باحكامه يتحقق
الغنية عن ايمان الكفرة به والعمل باحكامه وامّا الانبياء والملئكة عليهم السّلام فايمانهم به ليس
من قبيل ايمان احاد الامّة كما اشير اليه اولئك اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلوّ رتبتهم وهو مبتداء خبره قوله تعالى الّذين هدى الله اى الى الحق والنهج
المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلّة الهداية فبهداهم اقتده اى فاختصّ
هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول
الدّين دون الشّرائع القابلة للنّسخ فانّها بعد النسخ لا تبقى هدى والهاء فى اقتده للوقف حقّها
ان تسقط فى الدّرج اثباتها فيه ايضا اجراء له مجرى الوقف واقتداء بالامام وقرئ باشباعها
على انّها كناية المصدر قل لا اسئلكم عليه اى على القران او على التّبليغ فان مساق الكلام
يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرًا من جهتكم كما لم يسأله من قبلى من الانبياء عليهم السلام و
هذا من جملة ما امروا بالاقتداء بهم فيه ان هو اى بالقران الّا ذكرى للعالمين اى عظة
وتذكير لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختصّ بقوم دون اخرين وما قدروا الله لما بيّن شان
القران العظيم وانه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الامم حسبما ينطق به قوله تعالى وما ارسلناك
الّا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان عظمهم ايّاها وكفرهم بها على وجه سرى ذلك الى الكفر بجميع
الكتب الالهيّة واصل القدر السّبر والحزر يقال قدر الشّئ يقدره بالضمّ قدرا اذا سبره وحزره
ليعرف مقداره ثم استعمل فى معرفة الشّئ فى مقداره واحواله واوصافه وقوله تعالى حق قدره نصب
على المصدريّة وهو فى الاصل صفة للمصدر اى قدره الحقّ فلمّا اضيف الى موصوفه انتصب على ما
كان ينتصب عليه موصوفه اى ما عرفوه تعالى حقّ معرفته فى اللّطف بعباده والرحمة عليهم
ولم يراعوا حقوقه تعالى فى ذلك بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا منكرين لبعثة الرّسل وانزال
الكتب كافرين بنعمته الجليلة فيهما ما انزل الله على بشر من شئ فنفى معرفتهم لقدره سبحانه كناية
عن حطهم لقدره الجليل ووصفهم له تعالى بنقيض نعته الجميل كما ان نفى المحبّة فى مثل انّ الله
لا يحبّ الكافرين كناية عن البغض والسّخط والّا فنفى معرفة قدره تعالى يتحقق مع عدم التعرّض
لحطّه بل مع السّعى فى تحصيل المعرفة كما فى قول من يناجى مستقصرًا لمعرفته وعبادته سبحانك ما عرفناك
حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك او ما عرفوه حق معرفته فى السخط على الكفّار وشدّة بطشه
تعالى بهم حسبما نطق به القران حين اجترؤا على التفوّه بهذه العظيمة الشنعاء فالنّفى بمعناه الحقيقى
والقائلون هم اليهود وقد قالوا مبالغة فى انكار انزال القران على رسول الله صلى الله عليه وسلّم
فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره اصلا حيث قيل قل من انزل الكتاب الّذى جاء به موسى
اى قل لهم ذلك على طريقة التبكيت والقام الحجر وروى انّ مالك بن الضّيف من احبار اليهود ورؤسائهم

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذى انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله
يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب مالك
ثم التفت الى عمر رضى الله تعالى عنه فقال ما انزل الله على بشر من شئ فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن
الاشرف وقيل هم المشركون والزامهم انزال التورية لما انه كان عندهم من المشاهير الذائعة ولذلك
يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالموصول اليهم لزيادة التقرير
وتشديد التبكيت وكذا تقييده بقوله تعالى **نورا وهدى** فان كونه تبيينا بنفسه ومبينا لغيره
مما يؤكدها الالزام اى تاكيد وانتصابهما على الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير فى به والعامل
جاء واللام فى قوله تعالى **للناس** اما متعلق بهدى او بمحذوف هو صفة له اى هدى كائنا
للناس وليس المراد بهذا مجرد الزامهم الاعتراف بانزال التورية فقط بل بانزال القران ايضا
فان الاعتراف بانزالها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعا لما فيها من الشواهد الناطقة به وقد نعى
عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل **تجعلونه قراطيس** اى تضعونه فى قراطيس مقطعة
وورقات مفرقة بحذف الجار بناء على تشبيه القراطيس بالظرف المبهم او تجعلونه نفس القراطيس
المقطعة وفيه زيادة توبيخ لهم بسوء صنيعهم كانهم اخرجوه من جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس
الخالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى **تبدونها** صفة لقراطيس وقوله تعالى **وتخفون
كثيرا** معطوف عليه والعائد الى الموصوف محذوف اى كثيرا منها وقيل كلام مبتداء لا محل له
من الاعراب والمراد بالكثير نعوت النبى صلى الله عليه وسلم وساير ما كتموه من احكام التورية و
قرئ الافعال الثلثة بالياء حملا على قالوا وما قدروا وقوله تعالى **وعلمتم ما لم تعلموا انتم
ولا اباؤكم** قيل هو حال من فاعل تجعلونه باضمار قد او بدونه على اختلاف الرائين قلت فينبغى ان يجعل
ما عبارة عما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرائع ليكون التقييد بالحال مفيدا لتاكيد التوبيخ وتشديد
التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء والاخفاء شناعة عظيمة
فى نفسها ومع ملاحظة كونه ماخذا لعلومهم ومعارفهم اشنع واعظم لا عما تلقوه من جهة النبى صلى
الله عليه وسلم زيادة على ما فى التورية وبيانا لما التبس عليهم وعلى ابائهم من مشكلاتها حسبما
ينطق به قوله تعالى ان هذا القران يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون كما قالوا لان
تلقيهم لذلك من القران الكريم ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتورية اما ما ورد فيه زيادة على ما
قبلها فلانه لا تعلق له بها نفيا ولا اثباتا واما ما ورد بطريق البيان فلانه مدار ما فعلوا بها من
التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من التباس الامر واشتباه الحال حتى يقلعوا عن ذلك بايضاحه
وبيانه فيكون الجملة حينئذ خالية عن تاكيد التوبيخ فلا تستحق ان تقع موقع الحال بل الوجه حينئذ
ان يكون استينافا مقررا لما قبلها من مجئ الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه
من مجئ القران ولا سبيل الى جعل ما عبارة عما كتموه من احكام التورية كما يفصح عنه قوله تعالى قد

جاءكم

جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان ظهوره وان كان مزجرة لهم عن الكتم
مخافة الافتضاح ومصححا لوقوع الجملة فى موقع الحال لكن ذلك مما يعلمه الكاتمون حتما هذا وقد قيل
الخطاب لمن امن من قريش كما فى قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وقوله تعالى **قل الله** امر
لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا
بانهم افحموا ولم يقدروا على التكلم اصلا **ثم ذرهم فى خوضهم** فى باطلهم الذى يخوضون فيه
ولا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر **يلعبون** حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم
او المؤخر او متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الاول او من فاعل الثانى ومن الضمير الثانى
لانه فاعل فى الحقيقة والظرف متصل بالاول **وهذا كتاب انزلناه** تحقيق لنزول القران الكريم
بعد تقرير انزال ما بشر به من التورية وتكذيب لهم فى كلمتهم الشنعاء اثر تكذيب **مبارك** اى
كثير الفوائد وجم المنافع **مصدق الذى بين يديه** من التورية لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب
التى قبلها فانه مصدق للكل فى اثبات التوحيد والامر به ونفى الشرك والنهى عنه وفى ساير اصول
الشرائع التى لا تنسخ **ولتنذر ام القرى** عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولانذارك
اهل مكة وانما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها اعظم القرى شانا وقبلة لاهلها قاطبة ايذانا بان
انذار اهلها اصل مستتبع لانذار اهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب
ومن حولها من اهل المدر والوبر فى المشارق والمغارب **والذين يؤمنون بالاخرة** وبما فيها
من افانين العذاب **يؤمنون به** اى بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم
على النظر والتامل حتى يؤمنون به **وهم على صلوتهم يحافظون** تخصيص محافظتهم على الصلوة بالذكر
من بين ساير العبادات التى لا بد للمؤمنين من ادائها للايذان بانافتها من بين ساير الطاعات
وكونها اشرف العبادات بعد الايمان **ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا** فزعم انه تعالى بعثه نبيا
كمسيلمة الكذاب والاسود العنسى او اختلق عليه احكاما من الحل والحرمة كعمرو بن لحى ومتابعيه
اى هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفى الاظلم منه وانكاره من غير تعرض لنفى المساوى
وانكاره فان الاستعمال الفاشى فى قولك من افضل من زيد او لا اكرم منه على انه افضل من كل
فاضل واكرم من كل كريم وقد مر تمام الكلام فيه **او قال اوحى الى** من جهته تعالى **ولم يوح
اليه** اى والحال انه لم يوح اليه **شئ** اصلا كعبد الله بن سعد بن ابى سرح كان يكتب للنبى صلى
الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين فلما بلغ ثم انشاناه خلقا
اخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من تفصيل خلق الانسان ثم قال عليه السلام
اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا فقد اوحى الى كما اوحى اليه ولئن كان
كاذبا فقد قلت كما قال **ومن قال سانزل مثل ما انزل الله** كالذين قالوا لو نشاء لقلنا
مثل هذا **ولو ترى اذ الظالمون** حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى الظالمين

اذهم في غمرات الموت اى شدائده من غمره اذا غشيه والملئكة باسطوا ايديهم بقبض ارواحهم
كالمتقاضى الملظّ الملحّ يبسط يده الى من عليه الحقّ ويعنّف عليه فى المطالبة من غير امهال وتنفيس
او باسطوها بالعذاب قائلين اخرجوا انفسكم اى اخرجوا ارواحكم الينا من اجسادكم او خلّصوا
انفسكم من العذاب اليوم اى وقت الاماتة او الوقت الممتدّ بعده الى ما لانهاية له تجزون
عذاب الهون اى العذاب المتضمّن لشدّة واهانة فاضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته
فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحقّ كاتّخاذ الولد له ونسبة الشّريك اليه وادعاء النّبوّة و
الوحى كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا
للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وغير ذلك ممّا اثرتموه من الدّنيا او عن الاعوان
والاصنام التى كنتم تزعمون انّها شفعاؤكم وهو جمع فرد والالف للتّانيث ككسالى وقرئ فرادًا
كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اوّل مرّة بدل من فرادى اى على الهيئة التى ولدتم
عليها فى الانفراد او حال ثانية عند من يجوّز تعدّدها او حال من الضمير فى فرادى اى متشبهين ابتداء
خلقكم عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا اى مجيئا كخلقنا لكم اوّل مرّة وتركتم ما
خوّلناكم تفضّلنا به عليكم فى الدّنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم ما قدّمتم منه شيئا
ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انّهم فيكم شركاء اى
شركاء الله تعالى فى الرّبوبيّة واستحقاق العبادة لقد تقطّع بينكم اى وقع التقطّع بينكم كما
يقال جمع بين الشيئين اى اوقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرّفع على اسناد الفعل الى الظّرف كما يقال
قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اى تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضلّ
عنكم اى ضاع او غاب ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء انّ الله فالق
الحبّ والنّوى شروع فى تقرير بعض افاعيله تعالى الدّالة على كمال علمه وقدرته ولطف صنعه
وحكمته اثر تقرير ادلّة التوحيد والفلق الشّق بابانة اى شاق الحبّ بالنبات والنّوى بالشجر
وقيل المراد به الشق الذى فى الحبوب والنّوى اى خالقهما كذلك كما فى قولك ضيّق فم الركية ووسع
اسفلها وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدى ذهبوا بفالق مذهب فاطر يخرج الحىّ من الميّت
اى يخرج ما ينمو من الحيوان والنبات ممّا لا ينمو من النّطفة والحبّ والجملة مستانفة مبيّنة لما قبلها
وقيل خبر ثان لان وقوله تعالى ومخرج الميّت كالنّطفة والحبّ من الحىّ كالحيوان والنبات
عطف على فالق الحبّ لا على يخرج على الوجه الاوّل لان اخراج الميّت من الحىّ ليس من قبيل فلق الحبّ
والنّوى ذلكم القادر العظيم الشان هو الله المستحق للعبادة وحده فانّى تؤفكون فكيف تصرفون
عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا فالق الاصباح خبر اخر لانّ او لمبتداء محذوف والاصباح
مصدر سمى به الصّبح وقرى بفتح الهمزة على انه جمع صبح اى فالق عمود الفجر عن بياض النّهار واسفاره
او فالق ظلمة الاصباح وهى الغبش الذى يلى الصبح وقرى فالق بالنّصب على المدح وجعل الّليل سكنا

يسكن اليه التعب بالنّهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمانّ اليه استيناسا به او يسكن فيه الخلق
من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الّليل فانتصاب سكنا بفعل دلّ عليه جاعل وقيل بنفسه
على ان المراد به الجعل المستمر فى الازمنة المتجدّد حسب تجددها لا الجعل الماضى فقط وقيل اسم الفاعل
من الفعل المتعدّى الى اثنين يعمل فى الثّانى وان كان بمعنى الماضى لانّه لما اضيف الى الاوّل تعيّن نصبه
للثّانى لتعذر الاضافة بعد ذلك والشّمس والقمر معطوفان على الّليل وعلى القراءة الاخيرة قيل
هما معطوفان على محلّه والاحسن نصبهما بفعل مقدّر وقد قريا بالجرّ وبالرّفع ايضا على الابتداء
والخبر محذوف اى مجعولان حسبانا اى على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات الّتى ينط بها
العبادات والمعاملات او محسوبان حسبانا والحسبان بالضم مصدر حسب كما انّ الحسبان بالكسر
مصدر حسب ذلك اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلوّ رتبة المشار
اليه وبعد منزلته اى ذلك التيسير البديع تقدير العزيز الغالب القاهر الّذى لا يستعصى عليه
شئ من الاشياء الّتى من جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع المعلومات التى من جملتها
ما فى ذلك التّيسير من المنافع والمصالح المتعلّقة بمعاش الخلق ومعادهم وهو الّذى جعل لكم النّجوم
شروع فى بيان نعمته تعالى فى الكواكب اثر بيان نعمته تعالى فى النيّرين والجعل الى واحد واللام
متعلّقة به وتاخير المفعول الصّريح عن الجارّ والمجرور لما مرّ غير مرّة من الاهتمام بالمقدّم والتّشويق
الى المؤخّر اى انشاءها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى لتهتدوا بها بدل من المجرور باعادة العامل
بدل اشتمال كما فى قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرّحمن لبيوتهم سقفا والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم
لكن لا على انّ غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض منافعها وغاياتها بالذكر حسبما
يقتضيه المقام وقد جوّز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى التصيير اى جعلها كائنة لاهتدائكم
فى اسفاركم عند دخول المفاوز او البحار كما ينبئ عنه قوله تعالى فى ظلمات البرّ والبحر اى فى
ظلمات الّليل فى البرّ والبحر واضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انّما تتحقق عند
ذلك او فى مشتبهات الطّرق عبّر عنها بالظّلمات على طريقة الاستعارة قد فصّلنا الايات اى
بيّنا الايات المتلوّة المذكّرة لنعمه التى هذه النّعم من جملتها او الايات التكوينيّة الدّالة على شؤنه
تعالى مفصّلة لقوم يعلمون اى معانى الايات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكّرون فى الايات
التكوينيّة فيعلمون حقيقة الحال وتخصيص التّفصيل بهم مع عمومه للكل لانّهم المنتفعون به وهو الّذى
انشاكم من نفس واحدة تذكير لنعمة اخرى من نعم تعالى دالّة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته
اى انشاكم مع كثرتكم من نفس ادم عليه السّلام فمستقرّ ومستودع اى فلكم الاستقرار فى الاصلاب
او فوق الارض واستيداع فى الارحام او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع فيما ذكر والتّعبير
عن كونهم فى الاصلاب او فوق الارض بالاستقرار لانّهما مقرّهم الطبيعىّ كما انّ التعبير عن كونهم فى
الارحام او تحت الارض بالاستيداع لما انّ كلّا منهما ليس بمقرّهم الطّبيعىّ وقد حمل الاستيداع على

كونهم فى الاصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف اى فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان الاستقرار
منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الايات المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الاية ونظائرها
لقوم يفقهون غوامض الدقايق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان لطايف صنع الله عز وجل
فى اطوار بنى ادم مما يحار فى فهمه الالباب وهو السر فى ايثار يفقهون على يعلمون كما ورد فى شان النجوم
وهو الذى انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى منبئة عن كمال قدرته تعالى وسعة رحمته
اى انزل من السحاب او من سمت السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
لما مر مرارا فاخرجنا به التفت الى التكلم اظهارا لكمال العناية بشان ما انزل الماء لاجله اى فاخرجنا
بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شئ من الاشياء التى من شانها النمو من اصناف
النجم والشجر وانواعهما المختلفة فى الكم والكيف والخواص والاثار اختلافا متفاوتا فى مراتب الزيادة
والنقصان حسبما يفصح عنه قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وقوله تعالى
فاخرجنا منه خضرا شروع فى تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل حال النجم اى فاخرجنا
من النبات الذى لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال شئ اخضر وخضر كاعور وعور واكثر ما يستعمل
الخضر فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج من الحبة وقوله تعالى نخرج
منه صفة لخضرا وصيغة المضارع لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة اى نخرج من ذلك
الخضر حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة
وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى ومن النخل شروع فى تفصيل حال الشجر اثر بيان حال
النجم فقوله تعالى ومن النخل خبر مقدم وقوله تعالى من طلعها بدل منه باعادة العامل كما فى
قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله الخ والطلع شئ يخرج من النخل
كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان مبتداء اى وحاصلة من طلع النخل
قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اى ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرا يخرج
منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان
او من النخل شئ من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان وقرئ بضم القاف
كذئب وذؤبان وبفتحها على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع دانية سهلة المجتنى قريبة
من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تاتى بالثمر لا ينتظر الطول او ملتفة متقاربة
والاقتصار على ذكرها لدلالتها على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها
وجنات من اعناب عطف على نبات كل شئ اى واخرجنا به جنات كائنة من اعناب وقرئ جنات
بالرفع على الابتداء اى ولكم او ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان كانه قيل وحاصلة او مخرجة من
النخل قنوان وجنات من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء بذكر اسم الجنس
كما فيما تقدم وما تاخر لما ان الانتفاع بهذا الجنس لا يتاتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده

والزيتون والرمان منصوبان على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات
وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون اكتفى به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى
بخبر المعطوف عليه عن خبر المعطوف فى نحو قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وتقديره
والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك وقد جوز ان يكون حالا من الرمان لقربه
ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه فى الهيئة والمقدار واللون
والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها انظروا
الى ثمره اذا اثمر اى انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا لا يكاد ينتفع
به وقرئ الى ثمره وينعه اى والى حال نضجه كيف يصير الى كماله اللائق به ويكون شيئا جامعا لمنافع
جمة والينع فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر وقرئ بالضم وهى
لغة فيه وقرئ يانعه ان فى ذلكم اشارة الى ما امر بالنظر اليه وما فى اسم الاشارة من معنى
البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته لايات لقوم يؤمنون اى لايات عظيمة
او كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع
المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يحار فى فهمه الالباب لا يكاد يكون
الا باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما يقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه
عن ذلك ضد يناويه او ند يقاويه ولذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث
قيل وجعلوا لله شركاء اى جعلوا فى اعتقادهم لله الذى شانه ما فصل فى تضاعيف هذه الايات
الجليلة شركاء الجن اى الملئكة حيث عبدوهم وقالوا الملئكة بنات الله وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا
لشانهم بالنسبة الى مقام الالوهية او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله تعالى وعبدوا الاوثان
بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو راى
الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء الجن قدم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ لله سبحانه
شريك ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء قدم عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن
بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وابو اسحق او منصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر
نشا من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كانه قيل من جعلوه شركاء لله تعالى فقيل الجن اى
جعلوا الجن ويؤيده قراءة ابى حيوة ويزيد بن قطيب الجن بالرفع على تقدير هم الجن فى جواب من
قال من الذين جعلوهم شركاء لله تعالى وقد قرئ بالجر على الاضافة للتبيين وخلقهم حال من
فاعل جعلوا بتقدير قد او بدونه على اختلاف الرايين مؤكدة لما فى جعلهم ذلك من كمال القباحة
والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها اى وقد علموا انه تعالى خالقهم خاصة وقيل الضمير للشركاء
اى والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له تعالى وقرئ وخلقهم عطفا على الجن
اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه اليه تعالى

وخرقوا له اى افتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرئ خرّقوا
بالتشديد للتكثير وقرئ وحرّفوا له اى زوّروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وقالت طائفة من العرب الملئكة بنات الله بغير علم اى بحقيقة ما قالوه
من خطاء اوصواب بل رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه
وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا
اونعت لمصدر مؤكد له اى خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا بغير علم سبحانه استيناف
مسوق لتنزيهه عزّ وجل عمّا نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذى هو التبعيد عن السوء اعتقادا
وقولا اى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح فى الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن ومنه فرس
سبوح اى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح سبحانه اى انزهه
عما لا يليق به عقدا او عملا تنزيها خاصا به حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح
ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الانس الموضوع له
خاصة لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل
وقيل هو مصدر كغفران لانه سمع له فعل من الثلاثى كما ذكر فى القاموس اريد به التنزيه التام
والتباعد الكلى ففيه مبالغة من حيث اسناد التنزه الى ذاته المقدسة اى تنزه بذاته تنزها
لايقا به وهو الانسب بقوله سبحانه وتعالى فانه معطوف على الفعل المضمر لامحالة ولما فى التسبحان
والتعالى من معنى التباعد قيل عمّا يصفون اى متباعدا عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا
بديع السموات والارض اى مبدعهما ومخترعهما بلا امثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه فان البديع
كما يطلق على المبتدع يطلق على المبتدِع نص عليه ائمة اللغة كالصريخ بمعنى المصرخ وقد جاء بدعه
كمنعه بمعنى انشائه كابتدعه على ما ذكر فى القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع فى قوله
امن ريحانة الداعى السميع وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف بعد نصبه
تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اى بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب وشكل
فائق وحسن رائق او الى الظرف كما فى قولهم ثبت العذر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه
والمعنى انه تعالى مبدع لقطرى العالم العلوى والسفلى بلا مادة فاعل على الاطلاق منزه عن الانفعال
بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ بديع
بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور فى سبحانه على راى من يجيزه
وارتفاعه فى القرآن المشهورة على انه خبر مبتداء محذوف او فاعل تعالى واظهاره فى موقع الاضمار
لتعليل الحكم وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتداء خبره قوله تعالى انّى يكون
له ولد وهو على الاولين جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى وتقرير
تنزهه عنه وقوله تعالى ولم تكن له صاحبة حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان

يكون

يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة
وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لاريب فيه لاحد فمن ضرورته انتفاء الثانى اى
من اين او كيف يكون له ولد كما زعموا والحال انه ليس له على زعمهم ايضا صاحبة يكون الولد منها
وقرئ لم يكن بتذكير الفعل للفصل ولان الاسم ضميره تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع
به على الفاعلية لاعتماده على المبتداء او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتداء مؤخر والجملة خبر
للكون وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشان لصلاحية الجملة ح لان تكون مفسرة لضمير
الشان لصلاحية الجملة لا على الوجه الاول لما بيّن فى موضعه ان ضمير الشان لا يفسر الا بجملة
صريحة وقوله تعالى وخلق كل شيء اما جملة مستانفة اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة
او حال اخرى مقررة لها اى انّى يكون له ولد والحال انه خلق كل شئ انتظمه التكوين والايجاد من
الموجودات التى من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف يتصور ان يكون المخلوق ولدا لخالقه وهو
بكل شيء من شانه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك الاضمار الى الاظهار
عليم مبالغ فى العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى عليه خافية
مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التى من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما
لا يجوز من المحالات التى ما زعموه فرد من افرادها والجملة استيناف مقرر لمضمون ما قبلها من
الدلائل القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التى اجترؤا عليها بغير علم ذلكم اشارة الى المبعوث
بما ذكر من جلائل النعوت وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته
فى العظمة والخطاب للمشركين المعهودين بطريق الالتفات وهو مبتداء وقوله تعالى الله ربكم
لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار اربعة مترادفة اى ذلك الموصوف بتلك الصفات العظيمة
هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شئ مما كان ومما سيكون
فلا تكرار اذ المعتبر فى عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه صيغة الماضى وقيل
الخبر هو الاول والبواقى ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتداء والبواقى اخبار وقيل يقدر
لكل من الاخبار الثلثة مبتداء وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم
مترتب على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى
وهو على كل شيء وكيل عطف على الجملة المتقدمة اى هو مع ما فصل من الصفات الجليلة
متولى امور جميع مخلوقاته التى انتم من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى نجاح مآربكم
الدنيوية والاخروية لا تدركه الابصار البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث انها
محلها وادراك الشئ عبارة عن الوصول اليه والاحاطة به اى لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به
كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به فلا متمسك فيه لمنكرى
الرؤية على الاطلاق وقد روى عن ابن عباس رض ومقاتل رض لا تدركه الابصار فى الدنيا وهو

يُرى في الآخرة **وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ** اى يحيط بها علمه اذ لا تخفى عليه خافية **وهو اللطيف الخبير**
فيدرك ما لا تدركه الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف اى
لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من
مقابل الكثيف لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى **قد جاءكم بصائر من ربكم**
استئناف وارد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهي النور الذي به تستبصر
النفس كما ان البصر نور به تبصر العين والمراد بها الآيات الواردة ههنا او جميع الآيات
المنتظمة لها انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سواء تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اى قد
جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم اى كمالكم اللائق بكم من الوحي الناطق بالحق والصواب ما هو
كالبصائر للقلوب او قد جاءكم بصائر كائنة من ربكم **فَمَنْ أَبْصَرَ** اى الحق بتلك البصائر وآمن
به **فَلِنَفْسِهِ** اى فلنفسه ابصر او فابصاره لان نفعه مخصوص بها **ومن عمي** اى ومن لم يبصر
الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما عبر عنه بالعمى تقبيحا وتنفيرا
عنه **فَعَلَيْهَا** اى فعليها عمي او فعماه عليها او وبال عماه **وما انا عليكم بحفيظ** وانما انا منذر
والله هو الذي يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها **وكذلك نصرف الآيات** اى مثل ذلك التصريف
البديع نصرف الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفا ادنى منه
وقوله تعالى **وليقولوا درست** علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السياق عليه اى وليقولوا
درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هي عاطفة
على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف اى مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لنلزمهم الحجة
وليقولوا الخ وقيل اللام لام الامر وتنصره القراءة بسكون اللام كانه قيل وكذلك نصرف الآيات
وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد
وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بان ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست
اى دارست العلماء ودرست اى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودَرُسَتْ
بضم الراء مبالغة في درست اى اشتد دروسها ودُرِسَتْ على البناء للمفعول بمعنى قُرِئَتْ او عُفِيَتْ
ودارست وفسر وها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم
بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات وهو في الحقيقة لاهلها اى دارس اهل الآيات و
حملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودَرَسَ اى درس محمد ودارسات على هي دارسات
اى قديمات او ذات درس كعيشة راضية وقوله تعالى **وَلِنُبَيِّنَهُ** عطف على ليقولوا واللام
على الاصل لان التبيين غاية التصريف والضمير للآيات باعتبار المعنى او للقرآن وان لم يذكر
او للمصدر اى ولنفعل التبيين واللام في قوله تعالى **لقوم يعلمون** متعلقة بالتبيين وتخصيصه بهم

المنتفعون به قال ابن عباس هم اولياؤه الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان
بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة **اتبع ما اوحي اليك من ربك** لما حكي عن المشركين
قدحهم في تصريف الآيات عقب ذلك بامره عليه السلام بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم
وباباطيلهم اى دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحي اليك من الشرائع والاحكام التي عمدتها
التوحيد وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به ما
لا يخفى وقوله تعالى **لا اله الا هو** اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع
الوحي لا سيما في امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اى منفردا في الالوهية **واعرض
عن المشركين** لا تحتفل بهم وباقاويلهم الباطلة التي من جملتها ما حكي عنهم آنفا ومن جعله
منسوخا بآية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم **ولو شاء الله** اى عدم اشراكهم
حسبما هو القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون
الجزاء **ما اشركوا** وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لكن لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه
مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئي نحو الايمان واصراره
على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعراض وكذا قوله تعالى **وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** اى
رقيبا مهيمنا من قبلنا يحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تعالى **وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ** من جهتهم تقوم
بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهما في الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل
ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن تقولوا تبا
لكم ولما تعبدونه مثلا **فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا** تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم
لهم **بغير علم** اى بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ عُدُوًّا يقال عدا يعدو عدوا
وعدوا وعداء وعدوانا روي انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى
انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك كان
المسلمون يسبونهم فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه ان الطاعة اذا ادت
الى معصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدي الى الشر شر **كذلك** اى مثل ذلك التزيين القوي
زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا او تخذيلا
ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله
تعالى لهم **ثم الى ربهم** مالك امرهم **مرجعهم** اى رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير
تأخير **بما كانوا يعملون** في الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء
والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة ابية
وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة
لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الآخرة فان المعاصي سموم قاتلة قد برزت في الدنيا

بصورة يستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الاية الكريمة وكذا الطاعات فانها مع كونها احسن
الاحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت
النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم في هذه النشاة بصورة مزينة يستحسنها الغواة
ويستحسنها الطغاة وستظهر في النشاة الآخرة بصورتها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون
ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها
كما هي فليتدبر قوله تعالى **واقسموا بالله** روى ان قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله م
فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني فقالوا نعم واقسموا لئن فعلت لنؤمنن جميعا فسال
المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تنزيلها طمعا في ايمانهم فهم عليه السلام بالدعاء
فنزلت وقوله تعالى **جهد ايمانهم** مصدر في موقع الحال اي اقسموا به تعالى جاهدين في ايمانهم
لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم او من جنس الآيات وهو الانسب بحالهم في المكابرة والعناد
وترامي امرهم في العتو والفساد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة من
الآيات **ليؤمنن بها** وما كان مرى غرضهم في ذلك الا التحكم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقية بان تقطع بها الارض
وسير بها الجبال **قل انما الآيات** اي كلها فيدخل فيها ما اقترحوه دخولا اوليا **عند الله** اي
امرها في حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا تعلق بها ولا
بشان من شئونها قدرة احد ولا مشيئته لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكنني ان
انصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على ابلغ وجه واحسنه ببيان
علو شان الآيات وصعوبة منالها وتعاليها من ان يكون عرضة للسؤال والاقتراح واما ما قيل
من ان المعنى انما الآيات عند الله تعالى لا عندي فكيف اجيبكم اليها او آتيكم بها وهو القادر عليها
لا انا حتى آتيكم فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله وارادته حتى يجابوا
بذلك وقوله تعالى **وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون** كلام مستانف غير داخل تحت الامر
مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجئ الآيات
خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين لما كانوا راغبين في نزولها طمعا في اسلامهم واما
معهم بطريق التعميم لما روي عنه عليه السلام من الهم بالدعاء وقد بين فيه ان ايمانهم فاجرة
وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيب الى ما سالوه وما استفهامية انكارية لكن لا على ان
مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الاشعار مع تحقق المشعر به في نفسه اي واي شئ
يعلمكم ان الآية التي يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد
اي لا تعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا في ايمانهم فكانه تسطعذر من جهة المسلمين في تمنيهم نزول
الآيات وقيل لا مزيدة فيتوجه الانكار الى الاشعار والمشعر به جميعا اي اي شئ يعلمكم ايمانهم

عند

عند مجئ الآيات حتى تتمنوا مجيئها طمعا في ايمانهم فيكون تخطئة لراي المسلمين وقيل ان بمعنى لعل
ادخل السوق انك تشتري اللحم وعنك وعلك ولعلك كلها بمعنى ويؤيده انه قرئ لعلها اذا جاءت
لا يؤمنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثاني ليشعركم محذوف كما في قوله تعالى وما يدريك
لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الانكار وتقريره اي اي شئ يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجئ الآيات
لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فان تمنيه انما يليق بما اذا كان ايمانهم بها محقق
الوجود عند مجيئها لا مرجو العدم وقرئ انها بالكسر على انه استئناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق
لعدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب في وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم
انها اذا جاءتهم لا يؤمنون فمرجع الانكار اقدام المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم
بحال قلوبهم عند مجئ الآيات وبكونها حينئذ كما هي الآن **ونقلب افئدتهم وابصارهم** عطف على لا
يؤمنون داخل في حكم ما يشعركم مقيد بما قيد به اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن ادراك
الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجهها اليه واستعدادها لقبوله
بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم
في الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشئ من تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار **كما لم يؤمنوا**
به اي بما جاء من الآيات **اول مرة** اي عند ورود الآيات السابقة والكاف في محل النصب
على انه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اي لا يؤمنون بل يكفرون
كفرا كائنا ككفرهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه من تتمات عدم
ايمانهم **ونذرهم** عطف على لا يؤمنون داخل في حكم الاستفهام الانكاري مقيد بما قيد به مبين
لما هو المراد بتقليب الافئدة والابصار ومعرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله
سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجيههم اليه واستعدادهم له بطريق الاجبار بل بان يخليهم
وشانهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن الحق وعدم تاثير اللطف فيهم اصلا ويطبع على
قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما اشرنا اليه وقوله تعالى **في طغيانهم** متعلق بنذرهم
وقوله تعالى **يعمهون** حال من الضمير المنصوب في نذرهم اي ندعهم في طغيانهم متحيرين لا نهديهم
هداية المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اي نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذر بالياء على
على اسنادهما الى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم
ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة تصريح بما اشعر به قوله عز وجل وما يشعركم انها اذا جاءت
لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك الاجابة الى ما اقترحوه من الآيات اثر بيان انها في
حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل لاحد في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم
في ايمانهم الفاجرة على ابلغ وجه واكده اي ولو اننا لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه ههنا من آية واحدة
من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سالوه بقولهم لولا انزل علينا الملائكة وقولهم لو ما تاتينا بالملائكة

وكلمهم الموتى وشهدوا بحقية الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فاتوا بآبائنا
وحشرنا اى جمعنا عليهم كل شئ قبلا بضمتين وقرئ بسكون الباء اى كفلاء بصحة الامر وصدق
النبى صلى الله عليه على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب
بقوله تعالى او تاتى بالله والملئكة قبيلا اى لو لم تقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان
احضرنا اليهم كل شئ يتاتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لافرادى بل بطريق المعية او جماعات
على انه جمع قبيل هو جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شئ وشموله للانواع والاصناف اى حشرنا
كل شئ نوعا نوعا وصنفا صنفا وفوجا فوجا بانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموع
اللازم للكل الافرادى او مقابلة وعيانا على انه مصدر كقبلا وقد قرئ كذلك وانتصابه على
الوجهين على انه مصدر فى موقع الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى
الجهة كما فى قولك لى قبل فلان حق وان انتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا اى ماصح
ولا استقام لهم الايمان لتماديهم فى العصيان وغلوهم فى التمرد والطغيان واما سبق القضاء
عليهم بالكفر فمن الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ونذرهم فى طغيانهم
يعمهون وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات الى الاسم
الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة اى ما كانوا ليؤمنوا بعد اجتماع ما ذكر من الامور
الموجبة للايمان فى حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا فى حال مشيئته
تعالى لايمانهم ومن اعم العلل اى ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته
تعالى له واياما كان فليس المراد بالاستثناء بيان ان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته
تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالته وقوعه بناء على استحالة وقوعها كانه قيل ما كانوا ليؤمنوا
الا ان يشاء الله وهيهات ذلك وحالهم حالهم بدليل ما سبق من قوله ونقلب افئدتهم
الاية كيف لا وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون استدراك من مضمون الشرطية
بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب فى ان الذى يجهلونه سواء اريد بهم المسلمون وهو
الظاهر او المقسمون ليس عدم ايمانهم بلا مشيئة الله تعالى كما هو اللازم من حمل النظم الكريم
على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الاخرون بل انما هو عدم ايمانهم
لعدم مشيئته ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم مشيئته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح ولكن
اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجئ الايات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم فيتمنون
مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون قوله تعالى وما يشعركم الى اخره على القراءة
المشهورة او ولكن اكثر المشركين يجهلون عدم ايمانهم عند مجئ الايات لجهلهم عدم مشيئته
تعالى لايمانهم فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان
مبتداء لمنشاء خطاء المقسمين ومناط اقسامهم وتقديره له على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية

وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءت لا يؤمنون وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا كلام
مبتداء مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يشاهده من عداوة قريش له عليه
السلام وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل والافاعيل ببيان ان ذلك ليس مختصا
بك بل هو امر ابتلى به كل من سبقك من الانبياء عليهم السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر
مؤكد لما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم مما قبله اى جعلنا لكل نبى عدوا جعلا كما جعلنا لك عدوا والتقديم
على الفعل المذكور للقصر المفيد للمبالغة والمعنى مثل ذلك الجعل الذى جعلنا فى حقك حيث جعلنا لك
عدوا يضادونك ويضارونك ولا يؤمنون ويبغونك الغوائل ويدبرون فى ابطال امرك مكائد
جعلنا لكل نبى تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك اعداؤك لا جعلا انقص منه وفيه دليل على ان
عداوة الكفرة للانبياء عليهم السلام بخلقه تعالى للابتلاء شياطين الانس والجن اى مردة الفريقين
على ان الاضافة بمعنى من البيانية وقيل هى اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس والجن
الشياطين وقيل هى بمعنى اللام اى الشياطين للانس والتى للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد الى واحد
او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه الثانى مسارعة الى بيان العداوة واللام على التقديرين
متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تعالى يوحى بعضهم الى بعض كلام مستانف
مسوق لبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين
او نعت لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما فى قوله اذا انا لم انفع صديقى
بوده فان عدوى لم يضرهم بغضى والوحى عبارة عن الايماء والقول السريع اى يلقى ويوسوس
شياطين الجن الى شياطين الانس او بعض كل من الفريقين الى بعض اخر زخرف القول اى المموه
منه المزين ظاهره الباطل باطنه من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له ليوحى اى ليغروهم
او مصدر فى موقع الحال اى غارين او مصدر مؤكد لفعل مقدر هو حال من فاعل يوحى اى يغرون
غرورا ولو شاء ربك رجوع الى بيان الشئون الجارية بينه عم وبين قومه المفهومة حكاية
ما جرى بين الانبياء عليهم السلام وبين اممهم كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال اللطف فى التسلية اى ولو شاء ربك عدم
الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان مفعول المشيئة انما يحذف عند وقوعها
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وقوله تعالى ما فعلوه اى ما فعلوا ما ذكر من عداوتك
وايحاء بعضهم الى بعض منهم مزخرفات الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا بما يعمه وامور
الانبياء عليهم السلام ايضا كما قيل فان قوله تعالى فذرهم وما يفترون صريح فى ان المراد بهم
الكفرة المعاصرون له اى اذا كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد بمشيئته تعالى
فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكائد فان لهم فى ذلك عقوبات شديدة ولك عواقب
حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم البالغة البتة ولتصغى اليه اى الى زخرف القول وهو على الوجه

الاول علّة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب لفقد شرطه اذ الغرور
فعل الموحى وصغو الافئدة فعل الموحى اليه اى يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول ليغرّوهم به ولتصغى
افئدة الّذين لايؤمنون بالآخرة انّما خصّ بالذّكر عدم ايمانهم بالاخرة دون ماعداها من الامور
الّتى يجب الايمان بها وهم بها كافرون اشعارًا بما هو المدار فى صغو افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذّات
الآخرة محفوفة فى هذه النّشاة بالمكاره والامها مزيّنة بالشّهوات فالّذين لايؤمنون بها وباحوال
مافيها لايدرون ان وراء تلك المكاره لذات ودون هذه الشهوات الامًا وانما ينظرون
الى ما بدا لهم فى الدّنيا بادى الرّاى فهم مضطرّون الى حبّ الشّهوات التى من جملتها مزخرفات
الاقاويل ومموّهات الاباطيل واما المؤمنون بها فحيث كانوا واقفين على حقيقة الحال ناظرين
الى عواقب الامور لم يتصوّر منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة عاقبتها واما
على الوجهين الاخيرين فهو علّة لفعل محذوف يدلّ عليه المقام اى وليكون ذلك جعلنا ماجعلنا
والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة اولام القسم اولام الامر وضعفه فى غاية الظّهور وليرضوه
لانفسهم بعد ما مالت اليه افئدتهم وليقترفوا اى يكتسبوا بموجب ارتضائهم له ماهم مقترفون
له من القبائح التى لايليق ذكرها افغير الله ابتغى حكمًا كلام مستانف وارد على ارادة القول والهمزه
للانكار والفاء للعطف على مقدّر يقتضيه الكلام اى قل لهم اأميل الى زخارف الشّياطين فابتغى حكمًا
غير الله يحكم بيننا ويفصل المحقّ منّا من المبطل وقيل ان مشركى قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اجعل بيننا وبينك حكمًا من احبار اليهود او من اساقفة النّصارى ليخبرنا عنك بما فى كتابهم
من امرك فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عم لا الى المشركين كما فى قوله تعالى افغير دين الله
يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال التصفه اولمراعاة قولهم اجعل بيننا وبينك حكمًا وغيرًا امّا
مفعول ابتغى وحكمًا حال منه واما بالعكس واياما كان فتقديمه على الفعل الّذى هو المعطوف بالفاء
حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكمًا لامطلق الابتغاء وقيل
حكمًا تمييز لما فى غير من الابهام كقولهم انّ لنا غيرها ابلًا قالوا الحكم ابلغ من الحاكم وادلّ على الرّسوخ
لما انه لايطلق الّا على العادل وعلى من تكرّر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله تعالى وهو الّذى انزل
اليكم الكتاب جملة حاليّة مؤكّدة لانكار ابتغاء غيره تعالى حكمًا ونسبة الانزال اليهم خاصّة مع انّ
مقتضى المقام اظهار تساوى نسبته الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه
بايهام قوة نسبته اليهم الى اغيره تعالى ابتغى حكمًا والحال انه هو الّذى انزل اليكم وانتم امّة اميّة لاتدرون
ماتاتون وماتذرون القرآن النّاطق بالحق والصّواب الحقيق بان يخصّ به اسم الكتاب مفصّلًا
اى مبيّنًا فيه الحقّ والباطل والحلال والحرام وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق فى امر الدّين شئ
من التخليط والابهام فاىّ حاجة بعد ذلك الى الحكم وهذا كما ترى صريح فى ان القرآن الكريم كاف فى امر
الدّين مغن عن غيره ببيانه وتفصيله واما ان يكون للاعجاز دخل فى ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى

والذين

والّذين آتيناهم الكتاب يعلمون انّه منزّل من ربّك بالحقّ كلام مستانف غير داخل تحت القول
المقدر مسوق من جهته سبحانه لتحقيق حقيّة الكتاب الّذى نيط به امر الحكميّة وتقرير كونه منزلًا من
عنده عزّ وجل ببيان ان الذى وثقوا بهم ورضوا بحكميّتهم حسبما نقل آنفًا من علماء اليهود والنصارى
عاملون بحقيته ونزوله من عنده تعالى وفى التعبير عن التّورية والانجيل باسم الكتاب ايماء الى
مابينهما وبين القرآن من المجانسة المقتضية للاشتراك فى الحقيّة والنّزول من عنده تعالى مع ما فيه
من الايجاز وايراد الطّائفتين بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بانهم علموه من جهة كتابهم حيث
وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له فى الاصول وما لايختلف من الفروع ومخبرًا عن
امور لاطريق الى معرفتها سوى الوحى والمراد بالموصول امّا علماء الفريقين وهو الظاهر فالايتاء
هو التفهيم بالفعل وامّا الكلّ وهم داخلون فيه دخولًا اوّليًا فهو اعمّ مما ذكر ومن التفهيم بالقوّة
ولا ريب فى ان الكل متمكّنون من ذلك وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرئ منزل من
الانزال والتعرّض لعنوان الرّبوبيّة مع الاضافة الى ضميره عليه السّلام لتشريفه عليه السّلام
والباء فى قوله تعالى بالحقّ متعلق بمحذوف وقع حالًا من الضمير المستكن فى منزل اى ملتبسًا بالحقّ
فلاتكوننّ من الممترين اى فى انّهم يعلمون ذلك لما لاتشاهد منهم آثار العلم واحكام المعرفة
فالفاء لترتيب النّهى على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشان القرآن او فى انّه منزل من ربّك بالحق
فيكون من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولاتكوننّ من المشركين وقيل الخطاب فى الحقيقه
للامّة وان كان له عليه السلام صورة وقيل الخطاب لكلّ احد على معنى ان الادلّة قد تعارضت
وتظاهرت فلا ينبغى لاحد ان يمترى فيه والفاء على هذه الوجوه لترتيب النّهى على نفس علمهم بحال
القرآن وتمت كلمت ربّك شروع فى بيان كمال الكتاب المذكور من حيث ذاته اثر بيان كماله من
حيث اضافته اليه تعالى بكونه منزّلًا منه بالحقّ وتحقيق ذلك بعلم اهل الكتاب به وانما عبّر عنه
بالكلمة لانها الاصل فى الاتصاف بالصّدق والعدل وبها يظهر الآثار من الحكم وقرئ كلمات
ربّك صدقًا وعدلًا مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلّة وقوله تعالى لامبدّل
لكلماته اما استيناف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها فى نفسها واما حال اخرى
من فاعل تمت على ان الظّاهر مغن عن الضّمير الرّابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقًا فى
الاخبار والمواعيد وعدلًا فى الاقضية والاحكام لا احد يبدّل شيئًا من ذلك بما هو اصدق واعدل
ولا بما هو مثله فكيف يتصوّر ابتغاء حكم غيره تعالى وهو السّميع لكلّ ما يتعلّق به السمع العليم
بكلّ ما يمكن ان يعلم فيدخل فى ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولًا اوّليًا هذا
وقد قيل المعنى لا احد يقدر على ان يحرّفها كما فعل بالتوّرية فيكون ضمانًا لها من الله عزّ وجل
بالحفظ كقوله تعالى انا نحن نزّلنا الذّكر وانّا له لحافظون او لانبىّ ولا كتاب بعدها ينسخها وان
تطع اكثر من فى الارض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكميّة لاستقلاله بما يوجبها من انزال الكتاب

الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع وجود من يبدل
شيئًا منها واستبداده تعالى بالاحاطة التامّة بجميع المسموعات والمعلومات عقّب ذلك ببيان
انّ الكفرة متّصفون بنقايض تلك الكمالات من النقايض التى هى الضّلال والاضلال واتّباع الظنون
الفاسدة الناشئ من الجهل والكذب على الله سبحانه ابانةً لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرًا عن
الرّكون اليهم والعمل بارائهم والمراد بمن فى الارض النّاس وباكثرهم الكفار وقيل اهل مكّة والارض
ارضها اى ان تطعهم بان جعلت منهم حكمًا **يضلّوك عن سبيل الله** عن الطريق الموصل اليه او عن
الشّريعة التى شرعها لعباده **ان يتبعون الّا الظنّ** وهو ظنّهم انّ اباءهم كانوا على الحقّ فهم على اثارهم
يهتدون او جهالاتهم وارائهم الباطلة على انّ المراد بالظنّ ما يقابل العلم والجملة استيناف مبنىّ
على سوال نشاء من الشرطيّة كانّه قيل كيف يضلّون فقيل لا يتبعون فى امور دينهم الّا الظنّ وانّ
الظنّ لا يغنى من الحق شيئًا فيضلّون ضلالًا مبينًا ولا ريب فى ان الضّال المتصدّى للارشاد انما يرشد
غيره الى مسلك نفسه فهم ضالّون مضلّون وقوله تعالى **وان هم الّا يخرصون** عطف على ما قبله
داخل فى حكمه ان يكذّبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه تعالى كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاوثان
ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحاير ونظائرها او يقدّرون انهم على شئ وانّى لهم
ذلك ودونه مناط العيّوق وحقيقته ما يقال عن ظنّ وتخمين **ان ربّك هو اعلم من يضلّ
عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين** تقرير لمضمون الشرطيّة وما بعدها وتوكيد لما يفيده من التحذير
اى هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من الاوّلين ومن موصولة او موصوفة فى محلّ النّصب
لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر فى مثل هذه الصّور بل بفعل دلّ هو عليه او
استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضلّ والجملة معلّق عنها الفعل المقدّر وقرئ يُضلّ بضمّ الياء على
ان من فاعل ليضلّ ومفعوله محذوف ومحلّها النّصب بما ذكر من الفعل المقدّر اى هو اعلم يعلم من
يضلّ النّاس فيكون تاكيدًا للتحذير عن طاعة الكفرة واما انّ الفاعل هو الله سبحانه ومن منصوبة
بما ذكر اى يعلم من يضلّه او مجرورة باضافة اعلم اليها اى اعلم المضلّين من قوله تعالى من يضلل الله
او من قولك اضللته اذا وجدته ضالًا فلا يساعده السّباق والسّياق والتّفضيل فى العلم بكثرته
واحاطته بالوجوه التى يمكن تعلّق العلم بها ولزومه وكونه بالذّات لا بالغير **فكلوا ممّا ذكر اسم الله
عليه** امر مترتّب على النّهى عن اتباع المضلّين الّذين من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام
وذلك انّهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوه ممّا قتلتم انتم فقيل
للمسلمين كلوا ممّا ذكر اسمه تعالى خاصّة على ذبحه لا ممّا ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى او
مات حتف انفه **ان كنتم باياته** التى من جملتها الايات الواردة فى هذا الشّان **مؤمنين** فان
الايمان بها يقتضى استباحة ما احله الله والاجتناب عما حرّمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله
عليه **وما لكم ان لا تاكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه** انكار لان يكون لهم شئ يدعوهم الى الاجتناب

عن الكل

عن كل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر والسّوائب ونحوها وقوله تعالى **وقد فصّل لكم** الى اخره
جملة حاليّة مؤكّدة للانكار كما فى قوله تعالى وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا
وابنائنا اى واىّ سبب حاصل لكم فى ان لا تاكلوا ممّا ذكر اسم الله عليه او واىّ غرض يحملكم على ان لا
تاكلوا ويمنعكم من اكله والحال انّه قد فصّل لكم **ما حرّم عليكم** بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحى
الىّ محرّما الخ فبقى ما عدا ذلك على الحلّ لا بقوله تعالى حرّمت عليكم الميتة الخ لانها مدنيّة واما
التّاخر فى التّلاوة فلا يوجب التّاخر فى النّزول وقرئ الفعلان على البناء للمفعول وقرئ الاوّل
على البناء للفاعل والثّانى للمفعول **الّا ما اضطررتم اليه** ممّا حرّم فانه ايضا حلال حـ **وانّ
كثيرًا** اى من الكفار **ليضلّون** النّاس بتحريم الحلال وتحليل الحرام كعمرو بن لحىّ واضرابه وقرئ
يضلون باهوائهم الزائغة وشهواتهم الباطلة **بغير علم** مقتبس من الشريعة الشّريفة مستند
الى الوحى **انّ ربّك هو اعلم بالمعتدين** المتجاوزين لحدود الحقّ الى الباطل والحلال الى الحرام **وذروا
ظاهر الاثم وباطنه** اى ما يعلن من الذّنوب وما يسرّ او ما يعمل منها بالجوارح وما بالقلب وقيل
الزنا فى الحوانيت واتخاذ الاخدان **انّ الّذين يكسبون الاثم** اى يكتسبونه من الظّاهر والباطن
سيجزون بما كانوا يقترفون كائنًا ما كان فلا بدّ من اجتنابهما والجملة تعليل للامر **ولا تاكلوا ممّا
لم يذكر اسم الله عليه** ظاهر فى تحريم متروك التّسمية عمدًا كان او نسيانًا واليه ذهب داود وعن احمد
بن حنبل مثله وقال مالك والشّافعى بخلافه لقوله عليه السّلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر
اسم الله عليه وفرق ابو حنيفه رح بين العمد والنسيان واوّله بالميته او بما ذكر عليه اسم غيره
تعالى لقوله **وانّه لفسق** فان الفسق ما اهلّ به لغير الله والضّمير لما ويجوز ان يكون للاكل
المدلول عليه بلا تاكلوا والجملة مستانفة وقيل حالية **وان الشّياطين ليوحون الى اوليائهم**
المراد بالشياطين ابليس وجنوده فايحاؤهم وسوستهم الى المشركين وقيل مردة المجوس فايحاؤهم
الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون امر الله ثم يزعمون
ان ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام **ليجادلوكم** اى بالوساوس الشّيطانيّة او بما نقل من
اباطيل المجوس وهو يؤيد التّاويل بالميتة **وان اطعتموهم** فى استحلال الحرام وساعدتموهم على
اباطيلهم **انّكم لمشركون** ضرورة ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه فى دينه فقد
اشرك به تعالى بل اثره عليه سبحانه **اَوَمَنْ كانَ مَيْتًا** وقرئ ميّتا على الاصل **فاحييناه**
تمثيل مسوق لتنفير المسلمين عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون
بانوار الوحى الالهى والمشركين خابطوا فى ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم لهم
والهمزة للانكار والنفى والواو لعطف الجملة الاسميّة على مثلها الّذى يدل عليه الكلام اى انتم
مثلهم ومن كان ميّتا فاعطيناه الحيوة وما يتبعها من القوى المدركة والمحرّكة **وجعلنا له** مع ذلك
من الخارج **نورًا** عظيما يمشى به اى بسببه والجملة استيناف مبنى على سؤال نشاء من الكلام كانه قيل

فاذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس اي فيما بينهم امنا من جهتهم او صفة له كمن مثله اي
صفة العجيبة وهو مبتداء وقوله تعالى في الظلمات خبره على ان المراد بهما اللفظ لا المعنى كما في قولك
زيد صفته اسم وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى
ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي غير خارج منها بحال وهذا
كان مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه
الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالايات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على ان
يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهه
بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من
الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي الممثلين هيئة على حدة ومن الامور المتعددة
المذكورة في كل واحد من جانبي المثلين هيئة على حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا منزلتهما فاستعمل
فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم
الاية الى ان التمثيل قسم براسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة
التمثيلية من عبارات المتاخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه
كما بين التمثيلين ونظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع كذلك اي مثل ذلك التزيين البليغ زين اي من جهة الله
عز وجل بطريق الخلق عند ايحاء الشياطين او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل للكافرين
التابعين للوساوس الشيطانية بطريق الاخذين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا
يعملون ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها
لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الاية نزلت في حمزة رحمه الله وابي
جهل وقيل في عمر او عمار رض وابي جهل وكذلك قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا
فيها جعلنا في كل قرية من ساير القرى اكابر مجرميها ليمكروا فيها ومفعولا جعلنا اكابر
مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو او هما الظرف واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف
اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها او مفعوله الاول وقيل اكابر مجرميها صح
والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني لا بد ان يكون مشهور التحقق عند الناس
معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان يصرف الاشارة عن سياق النظم الكريم وتوجه اليه ويجعل مقياسا لنظائره
باخراج مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما يفهم من قوله كذلك
زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان مآل المعنى حينئذ بعد اللتيا والتي كما
جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الخ فاذن الاقرب ان ذلك اشارة الى
الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق او المذكور ومحل الكاف النصب

على

على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الاية
والاول اكابر مجرميها والظرف لغو اي ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا
في كل قرية اكابرها المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم على الباطل
مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله عم وقوله تعالى وما
يمكرون الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله عم والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة
مكرهم الا بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اي انما
يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى
واذا جاءتهم اية رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم
ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر فان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا عن ساير المجرمين
اي اذا جاءتهم اية بواسطة الرسول عليه قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله
قال ابن عباس رضي الله عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبرئيل م فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا
او يأتي بالله والملئكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما علق بايتاء ما اوتي
الرسل عليهم السلام هو ايمانهم برسول الله عليه السلام وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر
منه عند الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبرئيل
عليه السلام في الجملة وان يصرف الرسالة في قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته عن ظاهرها
ويحمل على رسالة جبرئيل م بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها في موضعها
الذي هو الرسول ليتأتى كونه جوابا عن اقتراحهم وردا له بان يكون معنى الاقتراح لن نؤمن
بكون تلك الاية نازلة من عند الله تعالى الى الرسول حتى يأتينا جبرئيل بالذات عيانا كما يأتي
الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم من يليق بارسال جبرئيل عليه السلام اليه لامر
من الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل
نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى يأتينا وحي كما يأتيه وقال الضحاك
سأل كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا للرد المذكور
لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله عليه
وسلم في الجملة من غير شمول لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى يأتينا وحي كما
يأتيه الخ غاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع فانه مقرر على تقدير اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن
نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء مثل
ايتاء رسل الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

١
بسم الله الرحمن الرحيم

فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به **في الناس** اي فيما بينهم امنا من جهتهم اوصفة له **كمن مثله** اي
صفة العجيبة وهو مبتداء وقوله تعالى **في الظلمات** خبره على ان المراد بهما اللفظ لا المعنى كما في قولك
زيد صفته اسم وهذه الجملة صلة لمن وهي مجرورة بالكاف وهي مع مجرورها خبر لمن الاولى وقوله تعالى
ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول اي غير خارج منها بحال وهذا
كما ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه
الله تعالى على فطرة الاسلام وهداه بالايات البينة الى طريق الحق يسلكه كيف يشاء لكن لا على ان
يدل على كل واحد من هذه المعاني بما يليق به من الالفاظ الواردة في المثلين بواسطة تشبيهه
بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية بل على انه قد انتزعت من
الامور المتعددة المعتبرة في كل واحد من جانبي الممثلين هيئة على حدة ومن الامور المتعددة
المذكورة في كل واحد من جانبي المثلين هيأة على حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا منزلتهما فاستعمل
فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم
الاية الى ان التمثيل قسم براسه لا سبيل الى جعله من باب الاستعارة حقيقة وان الاستعارة
التمثيلية من عبارات المتاخرين نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه
كهذين التمثيلين ونظائرهما وقد يجري على منهاج التشبيه كما في قوله وما الناس الا كالديار واهلها
بها يوم خلوها وغدوا بلاقع **كذلك** اي مثل ذلك التزيين البليغ **زين** اي من جهة الله
عز وجل بطريق الخلق عند ايجاء الشياطين او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة والتسويل **للكافرين**
التابعين للوساوس الشيطانية بطريق الاخذين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم **ما كانوا
يعملون** ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها
لو لم تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الاية نزلت في حمزة رحمه الله وابي
جهل وقيل في عمر او عمار رض وابي جهل **وكذلك** قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا
فيها **جعلنا في كل قرية** من ساير القرى **اكابر مجرميها ليمكروا فيها** ومفعولا جعلنا اكابر
مجرميها على تقديم المفعول الثاني والظرف لغوا وهما الظرف واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف
اليه فان افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها مفعوله الاول
والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني لا بد ان يكون مشهور التحقق عند الناس
معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان يصرف الاشارة عن سياق النظم الكريم وتوجه اليه ويجعل مقياسا لنظائره
باخراج مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيهها الى ما بعيهم من قوله كذلك
زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اكابر مكة لان مآل المعنى حينئذ بعد اللتيا والتي كما
جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الخ فاذن الاقرب ان ذلك اشارة الى
الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد بتاويل الفريق او المذكور ومحل الكاف النصب

وقيل اكابر مجرميها صح

على

على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك كنتم من قبل الاية
والاول اكابر مجرميها والظرف لغواي ومثل اولئك الكفرة الذين هم صناديد مكة ومجرموها جعلنا
في كل قرية اكابرها المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم على الباطل
مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذا تسلية لرسول الله عم وقوله تعالى **وما
يمكرون الا بانفسهم** اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله عم والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة
مكرهم الا بهم **وما يشعرون** حال من ضمير يمكرون مع اعتبار ورود الاستثناء على النفي اي انما
يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى
واذا جاءتهم اية رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق التسلية ان حال غيرهم
ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر فان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم لا عن ساير المجرمين
اي اذا جاءتهم اية بواسطة الرسول عليه **قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله**
قال ابن عباس رضي الله عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبرئيل ع م فيخبرنا ان محمدا صادق كما قالوا
او يأتي بالله والملئكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهذا كما ترى صريح في ان ما علق بايتاء ما اوتي
الرسل عليهم السلام هو ايمانهم برسول الله عليه السلام وبما انزل اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر
منه عند الاطلاق خلا انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق الوحي ومخاطبة جبرئيل
عليه السلام في الجملة وان يصرف الرسالة في قوله تعالى **الله اعلم حيث يجعل رسالته** عن ظاهرها
ويحمل على رسالة جبرئيل ع م بالوجه المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه لا وضعها في موضعها
الذي هو الرسول ليتاتى كونه جوابا عن اقتراحهم ورداله بان يكون معنى الاقتراح لو نؤمن
بكون تلك الاية نازلة من عند الله تعالى الى الرسول حتى يأتينا جبرئيل بالذات عيانا كما يأتي
الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم من يليق بارسال جبرئيل عليه السلام اليه لامر
من الامور ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل
نزلت في ابي جهل حين قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان
قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا حتى يأتينا وحي كما يأتيه وقال الضحاك
سال كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ
منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من هذين القولين وان كان مناسبا للرد المذكور
لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل مجرد تصديقهم برسالته صلى الله عليه
وسلم في الجملة من غير شمول لكافة الناس وان يكون كلمة حتى في قول اللعين حتى يأتينا وحي كما
يأتيه الخ غاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع فانه مقرر على تقديري اتيان الوحي وعدمه فالمعنى لن
نؤمن برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة مثل ما اوتيه رسل الله او ايتاء مثل
ايتاء رسل الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لوكانت النبوّة حقّا لكنت اولى بها منك لانى اكبر منك سنّا واكثر منك مالًا وولدًا فنزلت
فلا تعلّق له بكلامهم المردود الّا ان يراد بالايمان المعلّق بما ذكر مجرّد الايمان بكون الاية النازلة
وحيًا صادقًا لا الايمان بكونها نازلة اليه عليه السّلام فيكون المعنى واذا جاءتهم اية نازلة الى
الرّسول قالوا لن نؤمن بنزولها من عند الله حتى يكون نزولها الينا لا اليه لانا نحن المستحقّون
دون فان ملخّص معنى قوله لوكانت النبوة حقا الخ لوكان ما تدعيه من النبوّة حقا لكنت
انا النبى لا انت واذ لم يكن الامر كذلك فليست بحقّ وما له تعليق الايمان بحقيّة النبوّة بكون
نفسه نبيّا ومثل ما اوتى نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اى حتى نؤتى اتاها
ايتاءً مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عليه السّلام وحيث
نصب على المفعولية توسّعا الابنفس اعلم لما عرفت من انه لا يعمل فى الظّاهر بل نفعل دل هو عليه
اى هو اعلم يعلم الموضع الّذى يضعها فيه والمعنى ان منصب الرّسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد
ونعاضد الاسباب والعدد وانّما تنال بفضائل نفسانية يخصّها الله تعالى من يشاء من خلص
عباده وقرئ رسالاته سيصيب الّذين اجرموا استيناف اخر ناع عليهم ما سيلقونه من
فنون الشّر بعد ما نعى عليهم حرمانهم ممّا امّلوه والسّين للتاكيد ووضع الموصول موضع الضّمير
للاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع لجميع الشرور والقبائح اى يصيبهم البتة مكان
ما تمنّوه وعلّقوا به اطماعهم الفارغة من عزّة النبوّة وشرف الرّسالة صغار اى ذلة وحقارة
بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وقيل من عند الله وعذاب شديد فى الاخرة او فى الدّنيا بما
كانوا يمكرون اى بسبب مكرهم المستمرّ او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد اجرامهم
صرّح بسببيّته فمن يرد الله ان يهديه اى يعرّفه طريق الحقّ ويوفّقه للايمان يشرح صدره
للاسلام فيتسع له وينفتح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحقّ مهيّات لحلوله فيها مصفّات
عما يمنعه وينافيه واليه اشار صلى الله عليه وسلم حين سئل فقال نور تقذفه الله تعالى فى
قلب المؤمن فينشرح له وينفتح فقالوا اهل لذلك من امارة يعرف بها فقال نعم الانابة الى دار
الخلود والاعراض عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضلّه اى
اى يخلق فيه الضّلال لصرف اختياره اليه يجعل صدره ضيّقا حرجًا بحيث ينبو عن قبول الحقّ
فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتّخفيف وحرجا بكسر الرّاء اى شديد الضّيق والاوّل
مصدر وصف به مبالغة كانّما يصّعّد ماهذه مهيئة لدخول كان على الجمل الفعليّة
فى السّماء شبه للمبالغة فى ضيّق صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فان صعود السّماء
مثل فيما هو خارج عن دائرة الاستطاعة وفيه تنبيه على انّ الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصّعود
وقيل معناه كانّما يتصاعد الى السّماء نبوّا عن الحقّ وتباعدًا فى الهرب منه واصل يصّعد يتصعّد
وقد قرئ به وقرئ يصّاعد واصله يتصاعد كذلك اى مثل ذلك الجعل الذى هو جعل الصّدر

حرجا

حرجًا على الوجه المذكور يجعل الله الرّجس اى العذاب او الخذلان قال مجاهد الرّجس ما لا خير
فيه وقال الزّجاج الرّجس اللّعنة فى الدّنيا والعذاب فى الاخرة على الّذين لا يؤمنون اى عليهم
ووضع الموصول موضع الضّمير للاشعار بانّ جعله تعالى معلّل بما فى حيّز الصّلة من كمال نبوّهم
عن الايمان واصرارهم على الكفر وهذا اى البيان الّذى جاء به القران او الاسلام او ما سبق من التوفيق
والخذلان صراط ربّك اى طريقه الّذى ارتضاه او عادته وطريقته التى اقتضتها حكمته وفى
التّعرّض لعنوان الرّبوبيّة ايذان بان تقويم ذلك الصّراط للتربية وافاضة الكمال مستقيمًا
لا عوج فيه او عادلا مطّردا وهو حال مؤكّدة كقوله تعالى وهو الحقّ مصدّقا والعامل فيها
معنى الاشارة قد فصّلنا الايات بيّناها مفصّلة لقوم يذّكّرون يتذكّرون ما فى تضاعيفها
فيعلمون ان كلّ ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرّا فانّما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه
وانّه تعالى عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل بهم وتخصيص القوم المذكورين بالذكر لانّهم
المنتفعون بتفصيل الايات لهم دار السّلام اى للمتذكّرين دار السّلامة من كل المكاره وهى
الجنّة عند ربّهم اى فى ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو وليّهم اى مولاهم
وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الصّالحة او متولّيهم بجزائها يتولّى ايصاله اليهم
ويوم يحشرهم جميعًا منصوب بمضمر امّا على المفعوليّة او الظّرفيّة وقرئ بنون العظمة
على الالتفات لتهويل الامر والضّمير المنصوب لمن يحشر من الثّقلين اى واذكر يوم يحشر
الثّقلين قائلا يا معشر الجنّ او ويوم يحشرهم يقول يا معشر الجنّ او ويوم يحشرهم ويقول يا معشر
الجنّ يكون من الاحوال والاهوال ما لا يساعده الوصف لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر
الجنّ الشّياطين قد استكثرتم من الانس اى من اغوائهم واضلالهم او منهم بان جعلتموهم اتباعكم
فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وهذا بطريق التّوبيخ والتّقريع وقال اولياؤهم
اى الّذين اطاعوهم ومن فى قوله تعالى من الانس امّا لبيان الجنس اى اولياؤهم اى
كائنين من الانس ربّنا استمتع بعضنا ببعض اى انتفع الانس بالجنّ بان دلّوهم على الشّهوات
وما يتوصل به اليها وقيل بان القوا اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة والجنّ بالانس
بان اطاعوهم وحصّلوا مرادهم بقبول ما القوه اليهم وقيل استمتاع الانس بهم انّهم كانوا يعوذون
بهم فى المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانّهم قادرون على اجارتهم وبلغنا
اجلنا الّذى اجّلت لنا وهو يوم القيمة قالوه اعترافا بما فعلوا من طاعة الشّياطين واتباع
الهوى وتكذيب البعث واظهارا للنّدامة عليها وتحسّرا على حالهم واستسلاما لربّهم ولعلّ
الاقتصار على حكاية كلام الضّالين للايذان بان المضلّين قد افحموا بالمرّة فلم يقدروا على التكلم
اصلا قال استيناف مبنىّ على سؤال نشأ من حكاية كلامهم كانّه قيل فماذا قال الله تعالى
حينئذ فقيل قال النّار مثواكم اى منزلكم او ذات ثوابكم كما ان دار السّلام مثوى المؤمنين

خالدين فيها حال والعامل مثوىٰكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما
شاء الله قال ابن عباس رض استثنى الله تعالى قوما قد سبق فى علمه انهم يسلمون ويصدّقون النبى
صلى الله عليه وسلم وهذا مبنىّ على انّ الاستثناء ليس من المحكى وما بمعنى من وقيل المعنى الّا
الاوقات الّتى ينقلون فيها من النّار الى الزّمهرير فقد روى انّهم يدخلون واديا فيه من
الزّمهرير ما تميّز بعض اوصالهم من بعض فيتعادون ويطلبون الرّد الى الجحيم وقيل يفتح لهم
وهم فى النّار باب الى الجنّة فيسرعون نحوه حتّى اذا صاروا اليه سدّ عليهم الباب وعلى التقدير من
فى الاستثناء تهكّم بهم وقيل الّا ما شاء الله قبل الدّخول كانّه قيل النّار مثواكم ابدا الّا
ما امهلكم ولا يخفى بعده ان ربّك حكيم فى افاعيله عليم باحوال الثّقلين واعمالهم وبما
يليق بها من الجزاء وكذلك اى مثل ما سبق من تمكين الجنّ من اغواء الانس واضلالهم
نولّى بعض الظّالمين من الانس بعضا اخر منهم اى نجعلهم بحيث يتولّونهم بالاغواء والاضلال
او نجعل بعضهم قرناء بعض فى العذاب كما كانوا كذلك فى الدّنيا عند اقتراف ما يؤدى اليه
من القبايح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرّين على كسبه من الكفر والمعاصى يا معشر
الجنّ والانس شروع فى حكاية ما سيكون من توبيخ المشعرين وتقريعهم بتفريطهم فيما يتعلّق
بخاصّة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجنّ باغواء الانس واضلالهم وبيان مآل امرهم الم يأتكم
اى فى الدّنيا رسل اى من عند الله عزّ وجل لكن لا على ان يأتى كلّ رسول كلّ واحد من
الامم بل على ان يأتى كلّ امة رسول خاصّ بها اى الم يأت كلّ فريق منكم رسول معين وقوله تعالى
منكم متعلّق بمحذوف وقع صفة لرسل اى كائنة من جملتكم لكن لا على انّهم من جنس الفريقين
معا بل من الانس خاصّة وانّما جعلوا منهما امّا لتاكيد وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا
واتحادهما تكليفا وخطابا كانّهما جنس واحد ولذلك تمكن احدهما من اضلال الاخر واما لانّ
المراد بالرّسل ما يعمّ رسل الرّسل وقد ثبت انّ الجنّ قد استمعوا القران وانذروا به قومهم
حيث نطق به قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجنّ يستمعون القران الى قوله تعالى
فلمّا حضروه قالوا انصتوا فلمّا قضى ولّوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى يقصّون عليكم
اياتى صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرّسل من التّبليغ والانذار وقد
حصل ذلك بالنّسبة الى الثّقلين وينذرونكم بما فى تضاعيفها من القوارع لقاء يومكم هذا
يوم الحشر الّذى قد عاينوا فيه ما اعدّ لهم من افانين العقوبات الهائلة قالوا استيناف
مبنىّ على سؤال نشأ من الكلام السّابق كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك التّوبيخ الشديد فقيل
قالوا شهدنا على انفسنا اى باتيان الرّسل وانذارهم وبمقابلتهم اياهم بالكفر والتّكذيب وباستحقاقهم
بسبب ذلك للعذاب المخلد حسبما فصّل فى حكاية جوابهم عن سؤال خزنة النّار حيث قالوا بلى
قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شئ ان انتم الّا فى ضلال كبير وقد اجمل ههنا فى الحكاية

كما اجمل فى حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى وغرّتهم
الحيوة الدّنيا مع ما عطف عليه اعتراض لبيان ما ادّاهم فى الدّنيا الى ارتكابهم للقبايح الّتى ارتكبوها
والجاهم فى الآخرة الى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذمّ لهم بذلك اى واغترّوا فى الدّنيا بالحيوة
الدنية واللّذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الّذى بشّرت به الرّسل واجترؤا على
ارتكاب ما يجرّهم الى العذاب المؤبّد الّذى انذروهم اياه وشهدوا فى الآخرة على انفسهم انّهم
كانوا فى الدّنيا كافرين اى بالايات والنّذر الّتى اتى بها الرّسل على التفصيل المذكور انفا
واضطرّوا الى الاستسلام لاشدّ العذاب كما ينبئ عنه ما حكى عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنّا
نسمع او نعقل ما كنّا فى اصحاب السّعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السّامعين عن مثل صنيعهم
ما لا مزيد عليه ذلك اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب
للرّسول صلى الله عليه وسلم بطريق التّلوين وهو مبتداء خبره قوله تعالى ان لم يكن ربّك
مهلك القرى بحذف اللام على انّ ان مصدرية او مخففة من انّ وضمير الشّان الّذى هو اسمها
محذوف وقوله تعالى بظلم متعلّق اما بمهلك اى بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من القرى اى
ملتبسة بظلم فان ملابسة اهلها للظّلم ملابسة للقرية له بواسطتهم واما كونه حالا من ربّك او
من ضميره فى مهلك كما قيل فيأباه ان غفلة اهلها ماخوذة فى معنى الظّلم وحقيقته لامحالة فلا
يحسن تقييده بقوله تعالى واهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربّك او لانّ
الشّان لم يكن ربّك مهلك القرى بسبب اىّ ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان ينهوا عنه وينبّهوا
على بطلانه برسول وكتاب وان قضى به بديهة العقول وينذروا عاقبة جناياتهم اى لولا انتفاء
كونه تعالى معذّبا لهم قبل ارسال الرّسل وانزال الكتب لما امكن التّوبيخ بما ذكر ولما شهدوا
على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولاعتذروا بعدم اتيان الرّسل كما فى قوله تعالى ولو انّا
اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربّنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتّبع اياتك من قبل ان نذلّ
ونخزى وانّما علّل ما ذكر بانتفاء التعذيب الدّنيوى الذى هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان
التقريب فى تعليله بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرّسل اتمّ على ما نطق به قوله تعالى وما
كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدّنيوىّ
والاخروىّ معا من غير انذار على ابلغ وجه واكده حيث اقتصر على نفى التعذيب الدّنيوى عنه
تعالى ليثبت نفى التّعذيب الاخروى عنه تعالى على الوجه البرهانى بطريق الاولوية فانه تعالى
حيث لم يعذّبهم بعذاب يسير منقطع بدون انذار فلان لا يعذّبهم بعذاب شديد مخلّد اولى واجلى
ولو علّل بما ذكر من النّفى التّعذيب لانصرف بحسب المقام الى ما فيه الكلام من نفى التّعذيب الاخروى
ونفى التّعذيب الدنيوى غير متعرّض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفى الاعلى لا يدل على
نفى الادنى ولانّ ترتّب التّعذيب الدّنيوى على الانذار عند عدم تاثر المنذرين منه معلوم مشاهد

عند السّامعين فيستدلّون بذلك على ان التّعذيب الاخروى ايضا كذلك فينزجرون عن الاخلال بموجب
الانذار اشدّ انزجار هذا هو الّذى يستدعيه جزالة النّظم الكريم واما جعل ذلك اشارة الى ارسال
الرّسل عليهم السّلام وانذارهم وخبر المبتدأ محذوف كما اطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام
والله سبحانه اعلم ولكلّ اى من المكلّفين من الثّقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة ممّا
عملوا من اعمالهم صالحة كانت او سيّئة فان اعمالهم درجات فى انفسها او من جزاء اعمالهم فان كل جزاء
مترتبة معيّنة لهم او من اجل اعمالهم وما ربّك بغافل عمّا يعملون فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر
ما يستحقون بها من ثواب او عقاب وقرئ بالتّاء تغليبًا للخطاب على الغيبة وربّك الغنىّ مبتدأ
وخبر اى هو المعروف بالغنى عن كلّ ما سواه كائنا من كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن
عبادتهم وفى التعرّض لوصف الربوبيّة فى الموضعين لا سيّما فى الثانى لكونه موقع الاضمار مع الاضافة
الى ضميره صلى الله عليه وسلم من اظهار اللّطف به عليه السلام وتنزيه ساحته عن توهم شمول
الوعيد الآتى لها ايضا ما لا يخفى وقوله تعالى ذو الرّحمة خبر اخر او هو الخبر والغنى صفة اى يترحم
عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصى وفيه تنبيه على ان ما سلف ذكره من الارسال ليس
لنفعه بل لترحّمه على العباد وتمهيد لقوله تعالى ان يشا يذهبكم اى ما به حاجة اليكم ان شاء
يذهبكم ايّها العصاة وفى تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم اى من بعد
اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء
كما انشاكم من ذرّيّة قوم اخرين اى من نسل قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة
نوح عليه السّلام لكنّه ابقاكم ترحما عليكم وما فى كما مصدريّة ومحل الكاف النّصب على انّه مصدر تشبيهى
على غير الصّدر فان يستخلف فى معنى ينشئ كانه قيل وينشئ انشاء كما انشاكم الخ او نعت لمصدر الفعل
المذكور اى يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الخ والشرطيّة استيناف مقرر لمضمون ما قبلها من
الغنى والرّحمة ان ما توعدون اى الذى توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة و
صيغة الاستقبال للدّلالة على الاستمرار التجددى لاتٍ لواقع لا محالة كقوله تعالى ان ما توعدون
لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعته وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب
حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما انتم بمعجزين اى بفائتين ذلك وان ركبتم فى الهرب متن
كلّ صعب وذلول كما ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان
دوام انتفاء الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسميّة كما تدلّ على دوام الثبوت تدلّ
بمعونة المقام اذا دخل عليها حرف النّفى على دوام الانتفاء كما حقّق فى موضعه قل يا قوم اعملوا على
مكانتكم اثر ما بيّن لهم حالهم وما لهم بطريق الخطاب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق
التّلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التّصلّب
فى الدّين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اى اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال امكن

مكانة اذا تمكّن ابلغ التّمكّن او على جهتكم وحالتكم التى انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ
مكاناتكم والمعنى اُثبتوا على كفركم ومعاداتكم انّى عامل ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار
على الاعمال الصّالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة فى الوعيد كانّ المهدّد يريد تعذيبه
مجمعًا عليه فيحمله بالامر على ما يؤدّى اليه وتسجيل بانّ المهدّد لا يأتى منه الا الشرّ كالذى امر به بحيث
لا يجد الى التفصّى عنه سبيلا فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدّار سوف لتاكيد مضمون الجملة والعلم
عرفانىّ ومن امّا استفهاميّة معلّقة لفعل العلم محلّها الرّفع على الابتداء وتكون باسمها وخبرها
خبر لها وهى مع خبرها فى محلّ نصب لسدّها مسدّ مفعول تعلمون اى فسوف تعلمون ايّنا تكون له
العاقبة الحسنى التى خلق الله تعالى هذه الدّار لها وامّا موصولة فمحلّها النّصب على انّها مفعول لتعلمون
اى فسوف تعلمون الذى له عاقبة الدّار وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وتنبيه على كمال وثوق
المنذر بامره وقرئ بالياء لان تانيث العاقبة غير حقيقى انّه اى ان الشّان لا يفلح الظّالمون
وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بان امتناع الفلاح يترتّب على اىّ فرد كان من افراد الظّلم فما ظنّك
بالكفر الّذى هو اعظم افراده وجعلوا شروع فى تقبيح احوالهم القطيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة
وهم مشركوا العرب كانوا يعيّنون اشياء من حرث ونتاج الله تعالى واشياء منهما لآلهتهم فاذا
رأوا ما جعلوه لله تعالى زاكيًا ناميًا يزيد فى نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لآلهتهم واذا زكا ما جعلوه
لآلهتهم تركوه معتلّين بانّ الله تعالى غنى وما ذلك الا لحبّ آلهتهم وايثارهم لها والجعل امّا متعدّ
الى واحد فالجاران فى قوله تعالى لله ممّا ذرأ متعلّقان به ومن فى قوله تعالى من الحرث
والانعام بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق فى خلقه جمادا لا يقدر
على شئ ثمّ رجحوا عليه بان جعلوا الزكىّ له اى عيّنوا لله تعالى ممّا خلقه من الحرث والانعام نصيبا
يصرفونه الى الضّيفان والمساكين وتاخيره من المجرور لما مرّ مرارا من الاهتمام بالمقدّم والتشويق
الى المؤخّر وامّا الى مفعولين اولهما ممّا ذرأ على ان من تبعيضيّة اى جعلوا بعض ما خلقه نصيبًا
له وما قيل من ان الاوّل نصيبا تدل على انّهم جعلوا لشركائهم ايضا نصيبًا ولم يذكر اكتفاء
بقوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرئ بضمّ الزّاء وهو لغة فيه وانّما قيّد به
الاوّل للتّنبيه على انّه فى الحقيقة ليس بجعل لله تعالى غير مستتبع لشئ من الثواب كالتطوّعات
التى يبتغى بها وجه الله تعالى لا لما قيل من انّه للتنبيه على ان ذلك ممّا اخترعوه لم يامرهم الله
تعالى به فانّ ذلك مستفاد من الجعل ولذلك لم يقيّد به الثّانى ويجوز ان يكون ذلك تمهيدًا
لما بعده على معنى ان قولهم هذا لله مجرّد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه الذى هو اختصاصه به تعالى
فقوله تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان
وتفصيل له اى فما عيّنوه لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التى يصرف اليها ما عيّنوه لله تعالى من قرى
الضّيفان والتصدّق على المساكين وما عيّنوه لله تعالى اذا وجدوه زاكيا يصرف الى الوجوه

التى يصرف اليها ماعيّنوه لآلهتهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك
ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم وما بمعنى الذى والتقدير
ساء الذى يحكمون حكمهم فيكون حكمهم مبتدا، وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك
ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك فى قسمة القربان بين الله تعالى وبين آلهتهم او مثل ذلك
التزيين البليغ المعهود من الشياطين زيّن لكثير من المشركين قتل اولادهم بوادهم ونحرهم
لآلهتهم كان الرجل يحلف فى الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرنّ احدهم كما حلف عبد المطلب
وهو مشهور شركاؤهم اى اولياؤهم من الجنّ او من السدنة وهو فاعل زيّن اخر عن الظرف
والمفعول لما مرّ غير مرة وقرئ على البناء للمفعول الذى هو القتل ونصب الاولاد وجرّ الشركاء
باضافة القتل اليه مفصولا بينهما بمفعوله وقرئ على البناء للمفعول ورفع قتل وجرّ اولادهم
ورفع شركاؤهم باضمار فعل دلّ عليه زيّن كانه لما قيل زيّن لهم قتل اولادهم قيل من
زيّنه شركاؤهم ليردوهم اى ليهلكوهم بالاغواء وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا
عليه من دين اسمعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان
التزيين من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله اى عدم فعلهم ذلك
ما فعلوه اى ما فعل المشركون ما زيّن لهم من القتل والشركاء التزيين او الارداء واللبس او
الفريقان جميع ذلك على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة اى
اذا كان ما فعلوه بمشية الله تعالى فدعهم وافتراءهم او ما يفترونه من الافك فان فيما شاء الله
تعالى حكما بالغا انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب اليم وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى
وقالوا حكاية لنوع اخر من انواع كفرهم هذه اشارة الى ما جعلوه لآلهتهم والتانيث للخبر انعام
وحرث حجر اى حرام فعل بمعنى مفعول كالذبح يستوى فيه الواحد والكثير والذكر والانثى
لانّ اصله المصدر ولذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرئ حجر بالضم وبضمتين وحرج اى
ضيّق واصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان
من الرجال دون النساء والجملة صفة اخرى لانعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال
من فاعل قالوا اى قالوه ملتبسين بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدا محذوف
والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه انعام الخ اى قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم
وهذه انعام حرمت ظهورها يعنون بها البحاير والسوايب والحوامى وانعام اى وهذه
انعام كما مرّ وقوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة لانعام لكنه غير واقع فى كلامهم المحكى كنظائره
بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره كما فى قوله تعالى وقولهم انا
قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله على احد التفاسير كانه قيل وانعام ذبحت على الاصنام
فانها التى لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان الحج

لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا
فى شئ من شانها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا افتراء عليه
نصب على المصدر على انّ ما قالوه تقول على الله تعالى واما على تقدير عامل من لفظه اى افتروا افتراء
والجار متعلق بقالوا او بافتروا المقدر او بمحذوف هو صفة له لا بافتراء لان المصدر المؤكد
لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا اى مفترين او على العلة اى للافتراء فالجار متعلق به سيجزيهم
بما كانوا يفترون اى بسببه او بدله وفى ابهام الجزاء من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية
لفن اخر من فنون كفرهم ما فى بطون هذه الانعام يعنون به اجنة البحائر والسوائب خالصة
لذكورنا حلال لهم خاصة والتاء للنقل الى الاسمية او للمبالغة او لان الخالصة مصدر كالعافية
وقع موقع الخالص مبالغة او بحذف المضاف اى ذو خالصة او للتانيث بناء على ان ما عبارة
عن الاجنة والتذكير فى قوله تعالى ومحرم على ازواجنا اى جنس ازواجنا وهن الاناث باعتبار
اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذى هو الحمل على اللفظ اولا وعلى
المعنى ثانيا كما فى قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم الخ ونظائره واما العكس
فقد قالوا انه لا نظير له فى القران وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد
وان يكن ميتة اى ان ولدت ميتة فهم اى الذكور والاناث فيه اى فيما فى بطون
الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعمّ الذكر والانثى فغلّب الاول على الثانى شركاء يأكلون
منه جميعا وقرئ خالصة بالنصب على انه مصدر مؤكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى
فى الظرف لا من الذى فى ذكورنا ولا من الذكور لانه لا يتقدم على العامل المعنوى ولا على صاحبه
المجرور وقرئ خالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل من ما او مبتدا ثان سيجزيهم
وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى فى امر التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف
السنتهم الكذب انه حكيم عليم تعليل للوعد بالجزاء فان الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك
جزاءهم الذى هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين قتلوا اولادهم جواب قسم محذوف
وقرئ بالتشديد وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة
السبى والفقر اى خسروا دينهم ودنياهم سفها بغير علم متعلق بقتلوا على انه علة له اى لخفة
عقلهم وجهلهم بان الله هو الرازق لهم ولاولادهم او نصب على الحال ويؤيده انه قرئ سفهاء
او مصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحائر والسوائب ونحوهما افتراء على الله نصب على
احد الوجوه المذكورة واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم
قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين اليه وان هدوا بفنون الهدايات او وما
كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم فالجملة حينئذ اعتراض وعلى الاول عطف على ضلوا
وهو الذى انشأ جنات معروشات تمهيد لما سياتى من تفصيل احوال الانعام اى هو الذى انشأهن

من غير شركة لاحد فى ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات من الكروم المرفوعات على ما يحملها وغير
معروشات وهى الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس وعرشوه وغير المعروشات
ما نبت فى البوادى والجبال والنخل والزرع عطف على جنات اى انشاهما مختلفا اكله وقرئ
اكله بسكون الكاف اى ثمره الذى يوكل فى الهيئة والكيفية والضمير اما للنخل والزرع داخل فى
حكمه او للزرع والباقى مقيس عليه او للجميع على تقدير اكل ذلك او كل واحد منها ومختلفا حال
مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشاء والزيتون والرمان اى انشاءهما وقوله تعالى متشابها
وغير متشابه نصب على الحالية اى يتشابه بعض افرادهما فى اللون والهيئة او الطعم ولا يتشابه
بعضها كلوا من ثمره اى من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم ينع بعد
وقيل فائدته رخصة المالك فى الاكل منه قبل اداء حق الله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده
اريد به ما كان يتصدق به يوم الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار لا الزكوة المقدرة
فانها فرضت بالمدينة والسورة مكية وقيل الزكوة والاية مدنية والامر بايتائها يوم الحصاد
ليهتم به حينئذ حتى لا يوخر عن وقت الاداء ليعلم ان الوجوب بالادراك لا بالتصفية
وقرئ يوم حِصاده بكسر الحاء وهو لغة فيه ولا تسرفوا اى فى التصدق كما روى عن ثابت
بن قيس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كلها ولم يدخل منه شيئا الى منزله كقوله تعالى
ولا تبسطها كل البسط الاية انه لا يحب المسرفين اى لا يرتضى اسرافهم ومن الانعام حمولة
وفرشا شروع فى تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى فى شانها بالتحريم والتحليل
وهو عطف على مفعول انشأ ومن متعلقة به اى وانشاء من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما
يفرش المصنوع من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض
كانها فرش مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله ما عبارة عما ذكر من الحمولة والفرش ومن
تبعيضية اى كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى اى حلاله وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم
ولا تتبعوا فى امر التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم المجازفين فى ذلك من تلقاء انفسهم المفترين
على الله سبحانه خطوات الشيطان فان ذلك منهم باغواء الشيطان واستتباعه اياهم انه لكم
عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج الزوج ما معه آخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما
النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سيق
له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وبما فى بطنها وهو بدل من حمولة
وفرشا منصوب بما نصبهما وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الاية معترض
بينهما او حالا من ما بمعنى مختلفة او متعددة يا باه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح
حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلهما الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل
الاولى الى الابل والبقر وتفصيل الثانى الى الضان والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة

الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التى تقولوا فيها عليه سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم
ثم تبكيتهم باظهار كذبهم وافترائهم فى كل مادة مادة من تلك المواد بتوجيه الانكار اليها
مفصلة واثنين فى قوله تعالى من الضان اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه
وهو العامل فى من اى انشأ من الضان زوجين الكبش والنعجة وقرئ اثنان على الابتداء والضان
اسم جنس كالابل وجمعه ضئين كامير او جمع ضائن كتاجر وتجر وقرئ بفتح الهمزة ومن المعز
اثنين عطف على مثله شريك له فى حكمه اى وانشأ من المعز زوجين التيس والعنز وقرئ
بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرئ ومن المعزى وهذه الازواج
الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها فى التفصيل مع تاخر اصلها فى الاجمال لكون هذين
النوعين عرضة للاكل الذى هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر فى الاقتصار على الامر
به فى قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما
حرموه فى السائبة واخواتها قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
اثر تفصيل انواع الانعام التى انشاها اى قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب الذكرين
من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس حرم اى الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم
ام الانثيين وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو موخر عنهما بحسب
المعنى وان توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اى
ما حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله تعالى نبئونى بعلم الى اخره تكرير
للالزام وتثنية للتبكيت والافحام اى اخبرونى بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب او
اخبار الانبياء يدل على انه تعالى حرم شيئا مما ذكر او نبئونى تنبئة ملتبسة بعلم صادرة عنه
ان كنتم صادقين اى فى دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى ومن الابل اثنين عطف
على قوله تعالى من الضان اثنين اى وانشأ من الابل اثنين هما الجمل والناقة ومن البقر اثنين
ذكرا وانثى قل افحاما لهم فى امر هذين النوعين ايضا آلذكرين منهما حرم ام الانثيين
اما اشتملت عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه حرم عليهم
شيئا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم فى ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما فى
بطونها للمبالغة فى الرد عليهم بايراد الانكار على كل مادة من مواد افترائهم فانهم كانوا
يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيف ما كانت تارة اخرى مسندين ذلك
كله الى الله سبحانه وانما عقب تفصيل كل واحد من نوعى الصغار ونوعى الكبار بما ذكر من الامر بالاستفهام
والانكار مع حصول التبكيت بايراد الامر عقيب تفصيل الانواع الاربعة بان يقال قل آلذكور
حرم ام الاناث اما اشتملت عليه ارحام الاناث لما فى التثنية والتكرير من المبالغة فى التبكيت والالزام
وقوله تعالى ام كنتم شهداء تكرير للافحام كقوله تعالى نبئونى بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة

الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب عن التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه آخر اى بل كنتم حاضرين
مشاهدين اذ وصاكم الله بهذا اى حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبى فلا طريق
لكم حسبما تعودون اليه مذهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم
والتهكم بهم ما لا يخفى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد
كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحى بن قمعة وهو المؤسس لهذا الشر او الكل لاشتراكهم
فى الافتراء عليه سبحانه اى فاى فريق اظلم من فريق افتروا الخ ولا يقدح فى اظلمية الكل كون
بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم واظهار
كذبهم وافترائهم اى هو اظلم من كل ظالم وان كان المنفى صريحا الاظلمية دون المساوات كما مر
غير مرة ليضل الناس متعلق بالافتراء بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى
اى افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم عنه تعالى وانما وصفوا بعدم العلم بذلك مع
انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذانا بخروجهم فى الظلم عن الحدود والنهايات فان
من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه اذا كان اظلم
من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالا
من فاعل يضل اى ملتبسا بغير علم بما يؤدى بهم اليه ان الله لا يهدى القوم الظالمين
كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا او آجلا واذا كان هذا حال المتصفين بالظلم
فى الجملة فما ظنك بمن هو فى اقصى غاياته قل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين
وتبكيتهم وبيان ان ما يتقولونه فى امر التحريم افتراء بحت لا اصل له قطعا بان يبين لهم ما حرمه
عليهم وفى قوله تعالى لا اجد فيما اوحى الى محرما ايذان بان مناط الحل والحرمة هو الوحى
وانه عليه السلام قد تتبع جميع ما اوحى اليه وتفحص عن المحرمات ولم يجد غير ما فصل وفيه
مبالغة فى بيان انحصارها فى ذلك ومحرما صفة لمحذوف اى لا اجد ريثما تصفحت ما اوحى
الى طعاما محرما من المطاعم التى حرموها على طاعم اى اى طاعم كان من ذكر او انثى ردا على
على قولهم محرم على ازواجنا وقوله تعالى يطعمه لزيادة التقرير الا ان يكون ميتة اى ذلك
الطعام ميتة وقرئ تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرئ ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله
تعالى او دما مسفوحا عطف على ان مع ما فى حيزه اى الا وجود ميتة او دما مسفوحا اى
مصبوبا كالدماء التى فى العروق لا كالطحال والكبد او لحم خنزير فانه اى الخنزير رجس
او لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض
مقرر لحرمته اهل لغير الله به صفة له موضحة اى ذبح على اسم الاصنام وانما سمى ذلك فسقا
لتوغله فى الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع
الى ما رجع اليه المستكن فى يكون فمن اضطر اى اصابه الضرورة الداعية الى اكل الميتة بوجه من

الوجوه المضطرة غير باغ فى ذلك على مضطر آخر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك
غفور رحيم مبالغ فى المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الاولى لبيان انه
لو لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام آخر هو اخذه حق مضطر آخر
فان من اخذ لحم الميتة من يد مضطر آخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه
حقا للمضطر الآخر واما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز
عن القدر الذى يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفى التعرض لوصفى المغفرة والرحمة
ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والآية محكمة لانها تدل على انه
عليه السلام لم يجد فيما اوحى اليه الى تلك الغاية غيره ولا ينافيه ورود التحريم بعد
ذلك فى شئ آخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على حل الاشياء
التى هى غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا خاصة لا على من عداهم من الاولين والآخرين
حرمنا كل ذى ظفر اى كل ما له اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذى
مخلب وحافر وسمى الحافر ظفرا مجازا والمسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض
ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وهذا تحقيق لما سلف من حصر المحرمات
فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم فى ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا
اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابرهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم
الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من
الشحم بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا عطف على ظهورهما اى ما حملته الحوايا وهى جمع
حاوية او حاوياء كقاصعاء وقواصع او حوية كسفينة وسفائن او ما اختلط بعظم عطف
على ما حملت وهو شحم الالية واختلاطه بالعظم اتصاله بعجب الذنب وقيل هو كل شحم متصل
بالعظم من الاضلاع وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب على انه
مصدر مؤكد لما بعده وعلى الثانى على انه مفعول ثان له اى ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم
بسبب ظلمهم وهو قتلهم الانبياء بغير حق واكلهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال
الناس بالباطل كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكانوا
كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شئ مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة
على الامم فرد عليهم ذلك واكد بقوله تعالى وانا لصادقون اى فى جميع اخبارنا التى من
جملتها هذا الخبر ولقد القمهم الحجر قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل
على نفسه من قبل ان تنزل التورية قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين روى انه
عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التورية كيف وقد بين فيها جميع

مايجذرون اوضح بيان فان كذبوك قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد
ذلك بعنوان الاشراك وقيل للمشركين فالمعنى على الاول ان كذبتك اليهود فى الحكم المذكور
واصرّوا على ما كانوا عليه من ادّعاء قدم التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم
بجل ما تاتونه من المعاصى ويمهلكم على بعضها ولا يرد باسه بالكلية عن القوم المجرمين فلا
تنكروا ما وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثانى فان
كذبك المشركون فيما فصّل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يعاجلكم
بالعقوبة على تكذيبكم فلا تغترّوا بذلك فانه امهال لا اهمال وقيل ذو رحمة للمطيعين وذو
باس شديد على المجرمين فاقيم مقامه قوله تعالى ولا يردّ باسه الخ لتضمنه التنبيه على انزال الباس
عليهم مع الدلالة على لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم اصلا سيقول الذين اشركوا
حكاية لفن اخر من كفرهم واخباره قبل وقوعه ثم وقوعه حسبما اخبر به كما يحكيه قوله تعالى
عند وقوعه وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شئ صريح فى انه من عند الله
تعالى لو شاء الله ما اشركنا اى لو شاء خلاف ذلك مشية ارتضاء لما فعلنا الاشراك نحن
ولا اباؤنا ولا حرمنا من شئ ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضى عند الله تعالى لا الاعتذار من
ارتكاب هذه القبايح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة الا يرى
الى قوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم اى مثل ما كذبك هؤلاء فى انه تعالى منع من الشرك
ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فانه صريح فيما قلنا وعطف اباؤنا على الضمير
للفصل بلا حتى ذاقوا باسنا الذى انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم
يصح الاحتجاج به على ما زعمتم فتخرجوه لنا اى فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن اى ما يتبعون
فى ذلك الا الظن الباطل الذى لا يغنى من الحق شيئا وان انتم الا تخرصون تكذبون على الله
عزوجل وليس فيه دلالة على المنع من اتباع الظن على الاطلاق بل فيما يعارضه قطعى قل فلله
الحجة البالغة الفاء جواب شرط محذوف اى واذ قد ظهر ان لا حجة لكم فلله الحجة البالغة اى البينة
الواضحة التى بلغت غاية المتانة والثواب او بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب
والرسول والبيان وهى من الحج بمعنى القصد كانها تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء هدايتكم
جميعا لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن لم يشا هداية الكل بل هداية البعض
الصارفين هممهم الى سلوك طريق الحق وضلال اخرين صرفوا اختيارهم الى خلاف ذلك
من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم اى احضروهم وهو اسم فعل لا يتصرف
على لغة اهل حجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بنى تميم على الجمهور وقد خالفهم البعض فى فعليته
وليس بشئ واصله عند البصريين ها لم من لمّ اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون فى اللام
فانه الاصل وعند الكوفيين هل امّ فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان

هل لا تدخل الامر ويكون متعديا كما فى الاية ولازما كما فى قوله تعالى هلم الينا الذين يشهدون
ان الله حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وانما امروا باستحضارهم ليلزمهم
الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم من يقلدهم ولذلك قيد الشهداء بالاضافة
ووصفوا بما يدل على انهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم فان شهدوا بعد
ما حضروا بان الله حرم هذا فلا تشهد معهم اى فلا تصدقهم فانه كذب بحت وافتراء
صرف وبين لهم فساده فان تسليمه منهم موافقة لهم فى الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء
الذين كذبوا باياتنا من وضع المظهر مقام المضمر للدلالة على ان من كذب بايات الله تعالى
وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير وان من اتبع الحجة لا يكون الا مصدقا بها والذين
لا يؤمنون بالاخرة كعبدة الاوثان عطف على الموصول الاول بطريق عطف الصفة على الصفة
مع اتحاد الموصوف كما فى قوله الى الماجد القرم وابن الهمام وليس الكتائب فى المزدحم
فان من يكذب باياته تعالى لا يؤمنون بالاخرة وبالعكس وهم بربهم يعدلون اى يجعلون له
عديلا عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب ايات الله تعالى
وبين الكفر بالاخرة وبين الاشراك به سبحانه لكن لا على ان يكون مدار النهى الجمع المذكور
بل على ان اولئك جامعون لها متصفون بكلها قل تعالوا لما ظهر بطلان ما ادعوا من ان
اشراكهم واشراك ابائهم وتحريم ما حرموا بامر الله تعالى ومشيته بظهور عجزهم عن اخراج
شئ ما يتمسك به فى ذلك واحضار شهداء يشهدون بما ادعوا فى امر التحريم بعد ما كلفوه
مرة بعد اخرى عجزا بينا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم من المحرمات ما
يقتضى الحال بيانه على الاسلوب الحكيم ايذانا بان حقهم الاجتناب عن هذه المحرمات
واما الاطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل لا اجد الاية ويقال امر من التعالى والاصل
فيه ان يقوله من فى مكان عال لمن هو اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما ان الغنيمة فى الاصل
اصابة الغنم من العدو ثم استعملت فى اصابة كل ما يصاب منهم اتساعا ثم فى الفوز بكل طلب
من غير مشقة اتل جواب الامر وقوله تعالى ما حرم ربكم منصوب به على ان ما موصولة و
العايد محذوف اى اقرا الذى حرمه ربكم اى الايات المشتملة عليه او مصدرية اى الايات
المشتملة على تحريمه او بحرم على انها استفهامية والجملة مفعول لاتل لان التلاوة من باب
القول كانه قيل اقل اى شئ حرم ربكم وعليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل باتل والاول
انسب بمقام الاعتناء بايجاب الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر فى التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم فان تذكير كونه تعالى ربا لهم ومالكا لامرهم على الاطلاق
من اقوى الدواعى الى انتهائهم عما نهاهم عنه اشد انتهاء وان فى قوله تعالى ان لا تشركوا به
مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الاوامر والنواهى

عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه تفسيرًا للتلاوة المحرمات بحسب منطوقه كون المعطوفات
ايضا كذلك حتى يمتنع انتظام الاوامر فى سلك العطف عليه بل يكفى فى ذلك كونها تفسيرا لها باعتبار
لوازمها التى هى النواهى المتعلقة باضداد ما تعلقت هى به فان الامر بالشئ مستلزم للنهى عن ضده
بل هو عينه عند البعض كان الاوامر ذكرت وقصد لوازمها فان عطف الاوامر على النواهى الواقعة بعد
ان المفسرة لتلاوة المحرمات مع القطع بان المامور به لا يكون محرما دليل واضح على ان التحريم راجع
الى الاضداد على الوجه المذكور فكانه قيل اتل ما حرم ربكم ان لا تشركوا ولا تسيئوا الى الوالدين
خلا انه قد اخرج مخرج الامر بالاحسان اليهما بين النهيين المكتنفين له للمبالغة فى ايجاب مراعات
حقوقهما فان مجرد ترك الاسائة اليهما غير كاف فى قضاء حقوقهما ولذلك عقب به النهى عن
الاشراك الذى هو اعظم المحرمات واكبر الكبائر ههنا وفى سائر المواقع وقيل ان ناصبة ومحلها
النصب بعليكم على انه للاغراء وقيل النصب على البدلية من ما حرم وقيل من عائدها المحذوف
على ان لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو ان لا تشركوا والمحرم ان
تشركوا بزيادة لا وقيل وقيل والذى عليه التعويل هو الاول لامور من جملتها ان فى اخراج
المفسر على صورة النهى مبالغة فى بيان التحريم وقوله تعالى **شيئا** نصب على المصدرية او المفعولية
اى لا تشركوا به شيئا من الاشراك او شيئا من الاشياء **وبالوالدين** اى واحسنوا بهما **احسانا** وقد
مر تحقيقه **ولا تقتلوا اولادكم** تكليف متعلق بحقوق الاولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق
الوالدين اى لا تقتلوهم بالواد **من املاق** اى من اجل فقر كما فى قوله تعالى خشية املاق وقيل هذا
فى الفقر الناجز وذا فى المتوقع وقوله تعالى **نحن نرزقكم واياهم** استيناف مسوق لتعليل النهى وابطال
سببية ما اتخذوه سببا لمباشرة المنهى عنه وضمان منه تعالى لارزاقهم اى نحن نرزق الفريقين
لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق وقوله تعالى **ولا تقربوا الفواحش** كقوله
تعالى ولا تقربوا انه كان فاحشة الاية الا انه جئ ههنا بصيغة الجمع قصدا الى النهى عن انواعها
ولذلك ابدل عنها قوله تعالى **ما ظهر منها وما بطن** اى ما يفعل منها علانية فى الحوانيت كما داب
اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان كما هو عادة اشرافهم وتعليق النهى بقربانها اما للمبالغة
فى الزجر عنها لقوة الدواعى اليها واما لان قربانها داع الى مباشرتها وتوسيط النهى عنها بين النهى
عن قتل الاولاد والنهى عن القتل مطلقا كما وقع فى سورة بنى اسرائيل باعتبار انها مع كونها فى
نفسها جناية عظيمة فى حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا فى حكم الاموات وقد قال عليه السلام فى
حق العزل ذاك واد خفى ومن ههنا تبين ان حمل الفواحش على الكبائر مطلقا وتفسير ما ظهر منها
وما بطن بما فسر به ظاهر الاثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه **ولا
تقتلوا النفس التى حرم الله** اى حرم قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد فيخرج منها الحربى وقوله
تعالى **الا بالحق** استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تقتلوها فى حال من الاحوال الا حال ملابستكم

بالحق الذى هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة
او من اعم الاسباب اى لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وهو ما ذكر من اعم المصادر اى
لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل باحد الامور المذكورة **ذلكم** اشارة الى ما ذكر
من التكاليف الخمسة وما فى ذلك من معنى البعد للايذان بعلو طبقاتها من بين التكاليف الشرعية
وهو مبتداء وقوله تعالى **وصاكم به** اى امركم به ربكم امرا مؤكدا خبره والجملة استيناف جئ به تجديدا
للعهد وتاكيدا لايجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت الامور المنهى عنها مما يقضى بديهة العقول
بقبحها فصلت الاية الكريمة بقوله تعالى **لعلكم تعقلون** اى تستعملون عقولكم التى تعقل نفوسكم
وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة **ولا تقربوا مال اليتيم** توجيه النهى الى قربانه لما مر من
المبالغة فى النهى عن اكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهى بطريق الاستثناء اى لا تتعرضوا له
بوجه من الوجوه **الا بالتى هى احسن** الا بالخصلة التى هى احسن ما يكون من الحفظ والتميز ونحو
ذلك والخطاب للاولياء والاوصياء لقوله تعالى **حتى يبلغ اشده** فانه غاية لما يفهم من الاستثناء
لا للنهى كانه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه كما فى قوله تعالى فان انستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم والاشد جمع كنعمة وانعم او شد ككلب واكلب او شد كصر واصر
وقيل هو مفرد كآنك **واوفوا الكيل والميزان بالقسط** اى بالعدل والسوية **لا نكلف نفسا
الا وسعها** الا ما يسعها ولا يعسر عليها وهو اعتراض جئ به عقيب الامر بالعدل للايذان بان
مراعات العدل كما هو عسير كانه قيل عليكم بما فى وسعكم وما وراءه معفو عنكم **واذا قلتم** قولا
فى حكومة او شهادة او نحوهما **فاعدلوا** فيه **ولو كان** اى المقول له او عليه **ذا قربى** اى
ذا قرابة منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا وقد مر تحقيق معنى لو فى مثل هذا الموضع مرارا **وبعهد الله
اوفوا** اى ما عهد اليكم من الامور المعدودة او اى عهد كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا او
ما عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور وتقديمه للاعتناء بشانه **ذلكم** اشارة الى ما فصل
من التكاليف ومعنى البعد لما ذكر فيما قبل **وصاكم به** امركم به امرا مؤكدا **لعلكم تذكرون**
تتذكرون ما فى تضاعيفه وتعملون بمقتضاه وقرئ بتشديد الذال وهذه احكام عشرة لا تختلف
باختلاف الامم والاعصار عن ابن عباس رضى الله عنهما هذه ايات محكمات لم ينسخهن شئ من
جميع الكتب وهن محرمات على بنى ادم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن
دخل النار وعن كعب الاحبار والذى نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شئ فى التورية
بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الايات **وان هذا صراطى** اشارة الى ما ذكر فى الايتين من
الامر والنهى قال مقاتل وقيل الى ما ذكر فى السورة فانها باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان
الشريعة وقرئ صراطى بفتح الياء ومعنى اضافته الى ضميره عليه السلام انتسابه اليه عليه السلام
من حيث السلوك لا من حيث الوضع كما فى صراط الله والمراد بيان ان ما فصل من الاوامر والنواهى

غير مختصة بالمتلو عليهم بل متعلقة به عليه السلام ايضا وانه عليه السلام مستمر على العمل بها ومراعاتها
وقوله تعالى مستقيما حال مؤكدة ومحل انّ مع ما فى حيزها الجرّ بحذف لام العلّة اى ولانّ هذا صراطى
اى مسلكى مستقيما فاتّبعوه كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدًا وتعليل اتباعه بكونه
صراطه عليه السّلام لا بكونه صراط الله تعالى مع انه فى نفسه كذلك من حيث ان سلوكه عليه السّلم
فيه داع للخلق الى الاتباع اذ بذلك يتضح عندهم كونه صراط الله عزّ وجل وقرئ بكسر الهمزة على الاستيناف
وقرئ ان هذا مخففة من انّ على ان اسمها الذى هو ضمير الشّان محذوف وقرئ سراطى وقرئ وهذا
صراطى وقرئ وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربّك ولا تتّبعوا السُّبُل الاديان المختلفة او
طرف البدع والضلالات فتفرّق بكم بحذف احد التائين والباء للتعدية اى فتفرّقكم حسب تفرقها
ايادى سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرّقكم كما قيل من ان ذهب به لما فيه من الدلالة على الاستصحاب
ابلغ من اذهبه عن سبيله اى سبيل الله الذى لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام الذى ذكر
بعض احكامه وقيل هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه عليه السّلام
عين سبيل الله تعالى ذلكم اشارة الى ما مرّ من اتباع سبيله تعالى وترك اتباع ساير السبل وصّاكم
به لعلّكم تتّقون اتباع سبل الكفر والضلالة ثمّ اتينا موسى الكتاب كلام مسوق من جهته
تعالى تقريرا للوصيّة وتحقيقا لها وتمهيدًا لما يعقبه من ذكر انزال القران المجيد كما ينبئ عنه تغيير
الاسلوب بالالتفات الى التكلّم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النّظام كانه قيل
بعد قوله تعالى ذلكم وصّيكم به بطريق الاستيناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك ثم اتينا
الخ كما ان قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدلّ عليه معنى اولم يهد الخ كانّه قيل يغفلون
عن الهداية ونطبع الخ واما عطفه على ذلكم وصاكم به ونظمه معه فى سلك الكلام الملقن كما اجمع عليه
الجمهور فمما لا يليق بجزالة النّظم الكريم فتدبّر وثم للتراخى فى الاخبار كما فى قولك بلغنى ما صنعت
اليوم ثم ما صنعت امس اعجب او للتفاوت فى الرّتبة كانه قيل ذلكم وصاكم به قديما وحديثا ثم
اعظم من ذلك انا اتينا موسى التورية فان ايتاءها مشتملة على الوصيّة المذكورة وغيرها اعظم من
التّوصية بها فقط تمامًا للكرامة والنعمة اى اتماما لهما على انه مصدر من اتم بحذف الزّوايد على الّذى
اَحْسَنَ اى على من احسن القيام به كائنًا من كان ويؤيّده انه قرئ على الذين احسنوا وتماما
على المحسنين او على الذى احسن تبليغه وهو موسى عليه السلام او تماما على ما احسنه موسى ع م
اى اجاده من العلم والشّرايع اى زيادة على علمه على وجه التتميم وقرئ بالرّفع على انه خبر محذوف
اى على الّذى هو احسن دين وارضاه او اتينا موسى الكتاب اى تماما كاملا على احسن ما يكون عليه
الكتب وتفصيلا لكلّ شئ وبيانا مفصلا لكلّ ما يحتاج اليه فى الدّين وهو عطف على تماما ونصبهما
اما على العليّة او على المصدرية كما اشير اليه او على الحاليّة وكذا قوله تعالى وَهُدًى وَرحمة وضمير
لعلّهم لبنى اسرائيل المدلول عليهم بذكر موسى وايتاء الكتاب والباء فى قوله تعالى بلقاء ربّهم متعلقة

بقوله تعالى يؤمنون قدّمت عليه محافظة على الفواصل قال ابن عبّاس رضى الله عنهما كى يؤمنوا
بالبعث ويُصَدّقوا بالثواب والعذاب وهذا اى الّذى تليت عليكم اوامره ونواهيه اى القران
كتاب عظيم الشان لا يقادر قدره وقوله تعالى انزلناه مبارك اى كثير المنافع دينا ودنيا
صفتان لكتاب وتقديم وصف الانزال مع كونه غير صريح لان الكلام مع منكريه او خبران اخران
لاسم الاشارة اى انزلناه مشتملا على فنون الفوائد الدينيّة والدّنياويّة التى فصّلت عليكم طائفة
منها والفاء فى قوله تعالى فاتّبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان عظم شان الكتاب فى نفسه
وكونه منزلا من جنابه عزّ وجلّ مستتبعًا للمنافع الدّينيّة والدّنيويّة موجب لاتباعه اى ايجاب
واتقوا مخالفته لعلّكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه ان تقولوا علة لانزلناه المدلول
عليه بالمذكور لا لنفسه للزُوم الفصل بين العامل والمعمول باجنبى هو مبارك وصفا كان
او خبرا اى انزلناه كذلك كراهة ان تقولوا يوم القيمة لو لم ننزله انّما انزل الكتاب الناطق
بتلك الاحكام العامّة لكلّ الامم على طائفتين كائنتين من قبلنا وهما اليهود والنصارى و
تخصيص الانزال بكتابيهما لانهما الّذى اشتهر فيما بين الكتب السماويّة بالاشتمال على الاحكام
لاسيما الاحكام المذكورة وان كنّا ان هى المخففة من انّ واللام فارقة بينها وبين النّافية
وضمير الشان محذوف وبذلك مرادهم صح دفع ما يرد عليهم من ان نزوله عليهما لا ينافى عموم احكامه فلو لم
تعملوا باحكامها العامة اى وانّه كنّا عن دراستهم لغافلين لا ندرى ما فى كتابهم اذ لم يكن على
لغتنا حتّى نتلقّى منه تلك الاحكام العامّة ونحافظ عليها وان لم يكن منزلا علينا وبهذا تبيّن ان
معذرتهم هذه مع انهم غير مامورين بما فى الكتابين لاشتمالهما على الاحكام المذكورة المتناولة
لكافة الامم كما ان قطع تلك المعذرة بانزال القران لاشتماله ايضا عليها لا على ساير الشرايع والاحكام
فقط او تقولوا عطف على تقولوا وقرئ كلاهما بالياء على الالتفات من خطاب فاتبعوه واتقوا
لو لا انزل علينا الكتاب كما انزل عليهم لكنّا اهدى منهم الى الحقّ الّذى هو المقصد الاقصى
او الى ما فى تضاعيفه من جلائل الاحكام والشرائع ودقائقها لحدّة اذهاننا ونقابة افهامنا ولذلك
تلقفنا من فنون العلم كالقصص والاخبار والخطب والاشعار ونحو ذلك طرفا صالحًا ونحن اميّون
وقوله تعالى فقد جاءكم متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة امّا معلّل به اى لا تعتذروا بذلك
فقد جاءكم الخ واما شرط له اى ان صدقتم فيما كنتم تعدون من انفسكم من كونكم اهدى من الطّائفتين
على تقدير نزول الكتاب عليكم فقد حصل ما فرضتم وجاءكم بيّنة واىّ بيّنة اى حجّة واضحة لا يكتنه
كنهها وقوله تعالى من ربّكم متعلق بجاءكم او بمحذوف هو صفة لبيّنة اى بيّنة كائنة منه تعالى
واياما كان ففيه دلالة على فضلها الاضافىّ كما ان فى تنوينها التفخيمى دلالة على فضلها الذّاتىّ وفى
التعرّض لوصف الرّبوبيّة مع الاضافة الى ضميرهم مزيد تاكيد لايجاب الاتباع وهدى ورحمة عطف
على بيّنة وتنوينها ايضا تفخيمىّ عبّر عن القران بالبيّنة ايذانا بكمال تمكّنهم من دراسته ثم بالهدى والرّحمة

تنبيها على انه مشتمل على ما اشتمل عليه التورية من هداية الناس ورحمتهم بل هو عين الهداية والرحمة فمن اظلم الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان مجى القران المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية الاظلمية من يكذب به اى واذا كان الامر كذلك فمن اظلم ممن كذب بايات الله وضع الموصول موضع ضميرهم بطريق الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما فى حيز الصلة واشعارا بعلة الحكم واسقاطا لهم عن رتبة الخطاب وعبر عما جاءهم بايات الله تعالى تهويلا للامر وتنبيها على ان تكذيب اى آية كانت من اياته تعالى كاف فى الاظلمية فما ظنك بتكذيب القران المنطوى على الكل والمعنى انكار ان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساوات ونفيها فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما بحكم العرف الفاشى والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وقد مر مرارا وصدف عنها اى صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والاضلال سنجزى الذين يصدفون الناس عن اياتنا وعيد لهم ببيان جزاء اضلالهم بحيث يفهم منه جزاء ضلالهم ايضا ووضع الموصول موضع الضمير لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب اى العذاب الشئ الشديد النكاية بما كانوا يصدفون اى بسبب ما كانوا يفعلون الصدف و الصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما اشعر به اجراء الحكم على الموصول من علية ما فى حيز الصلة له هل ينظرون استيناف مسوق لبيان انه لا يتاتى منهم الايمان بانزال ما ذكر من البينات والهدى وانهم لا يرعوون عن التمادى فى المكابرة واقتراح ما ينافى الحكمة التشريعية من الايات الملجئة وان الايمان عند اتيانها مما لا فائدة له اصلا مبالغة فى التبليغ والانذار وازاحة العلل والاعذار اى ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملئكة او ياتى ربك حسبما اقترحوا بقولهم لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا وبقولهم او تاتى بالله والملئكة قبيلا وبقولهم لولا انزل علينا الملئكة ونحو ذلك او الا ان تاتيهم ملئكة العذاب او ياتى امر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما سيجيئ وقرئ ياتيهم بالياء لان تانيث الملئكة غير حقيقى او ياتى بعض ايات ربك اى غير ما ذكر كما اقترحوا بقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظايم الايات التى علقوا بها ايمانهم والتعبير عنها بالبعض للتهويل والتفخيم كما ان اضافة الايات فى الموضعين الى اسم الرب المنبئ عن المالكية الكلية لذلك واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف وقيل المراد بالملئكة ملئكة الموت وباتيانه سبحانه وتعالى اتيان كل اياته بمعنى ايات القيمة والهلاك الكلى بقرينة ما بعده من اتيان بعض اياته تعالى على ان المراد به اشتراط الساعة التى هى الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى عليه السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور وحيث لم يكن اتيان هذه الامور مما ينتظرونه كاتيان ما اقترحوه من الايات فان تعليق ايمانهم باتيانها انتظار منهم له ظاهرا حمل الانتظار على التمثيل المبنى على تشبيه حالهم فى الاصرار

على الكفر

على الكفر والتمادى فى العناد الى ان ياتيهم تلك الامور الهائلة التى لا بد لهم من الايمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وانت خبير بان النظم الكريم بسياقه المنبئ عن تماديهم فى تكذيب ايات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الايمان عند اتيان ما ينتظرونه يستدعى ان يحمل ذلك على امور هائلة مخصوصة بهم اما بان تكون عبارة عما اقترحوه او عن عقوبات مترتبة على جناياتهم كاتيان ملئكة العذاب واتيان امره تعالى بالعذاب وهو الانسب لما سيأتى من قوله تعالى قل انتظروا انا منتظرون واما حمله على ما ذكر من اتيان ملئكة الموت واتيان كل ايات القيمة وظهور اشراط الساعة مع شمول اتيانها الكل برا وفاجرا واشتمال غائلتها على كل مؤمن وكافر فمما لا يساعده المقام على ان بعض اشراط الساعة ليس مما يسد به باب الايمان والطاعة فلا يجوز حمل بعض الايات فى قوله عز وعلا يوم ياتى بعض ايات ربك على ما يعم مقترحاتهم وغيرها من الدواهى العظام السالبة للاختيار الذى عليه يدور فلك التكليف فانه بمنزلة الكبرى من الشكل الاول لا يتم التقريب بدخول ما ينتظرونه فى ذلك دخولا اوليا ويوم منصوب بقوله تعالى لا ينفع فان امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند توسطها جواب القسم وقرئ يوم بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف اى لا ينفع فيه نفسا من النفوس ايمانها حينئذ لانكشاف الحال وكون الامر عيانا ومدار قبول الايمان ان يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وقرئ لا تنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب الايمان من ملابسة المضاف اليه تانيثا وقوله تعالى لم تكن امنت من قبل اى من قبل اتيان بعض الايات صفة لنفسا فصل بينهما بالفاعل لاشتمالها على ضمير الموصوف ولا ضير فيه لانه غير اجنبى منه لاشتراكهما فى العامل وقوله تعالى او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على امنت بايراد الترديد على النفى المفيد لكفاية احد النفيين فى عدم النفع والمعنى لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم تقدم ايمانها او قدمته ولم تكسب فيه خيرا ومن ضرورته اشتراط النفع بتحقق الامرين اى الايمان المقدم والخير المكسوب فيه معا بمعنى ان النافع هو تحققهما والايمان المؤخر لغو وتحصيل للحاصل لا انه هو النافع وتحققهما شرط فى نفعه كما لو كان المقدم غير المؤخر بالذات فان قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن من قبلهما معناه انهما ينفعانه عند وقوعهما بعد الايمان وقد استدل به اهل الاعتزال على عدم اعتبار الايمان المجرد عن الاعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفى الترديد المستلزم لعموم السلب المفيد بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الامرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقى والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم يصدر عنها من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد او الخير المكسوب فيتحقق النفع بايهما كان حسبما نطق به النصوص الكريمة من الايات والاحاديث وما قيل من ان عدم الايمان السابق يستلزم لعدم كسب الخير بالضرورة فيكون ذكره تكريرا بلا فائدة على ان الموجب للخلود فى النار هو العدم الاول من غير ان يكون للثانى دخل ما فى ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد

بيان مايوجب الخلود لغوا من الكلام لغو من الكلام مبنى على توهّم ان المقصود بوصف النفس بالعدمين
المذكورين مجرّد بيان ايمانهما للخلود فيها وعدم نفع الايمان الحادث فى انجائها عنه وليس كذلك والا
يكفى فى البيان ان يقال لاينفع نفسًا ايمانها الحادث بل المقصد الاصلى من وضعها بذنيك العدمين
فى اثناء بيان عدم نفع الايمان الحادث تحقيق ان موجب النفع احد ملكيتهما اعنى الايمان السّابق
والخير المكسوب فيه بما ذكر من الطّريقة والترغيب فى تحصيلها فى ضمن التحذير من تركهما ولاسبيل
الى ان يقال كما ان عدم الاوّل مستقلّ فى ايجاب الخلود فى النّار فيلغو ذكر عدم الثّانى كذلك وجوده
مستقل فى ايجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثانى لغوا لما انه قياس مع الفارق كيف لا والخلود فيها
امر لايتصوّر فيه تعدد العلل واما الخلاص منها مع دخول الجنه فله مراتب بعضها مترتب على
نفس الايمان وبعضها على فروعه النفاوتة كمّا وكيفًا وانّما لم تقتصر على بيان مايوجب اصل النّفع وهو
الايمان السّابق مع انّه هو المقابل لما لايوجبه اصلا اعنى الايمان الحادث بل قرن به مايوجب النّفع
الزّايد ايضا ارشادًا الى تحرى الاعلى وتنبيهًا على كفاية الادنى واقناطا للكفرة عمّا علّقوا به اطماعهم
الفارغة من اعمال البرّ الّتى عملوها فى الكفر من صلة الارحام واعتاق الرّقاب وفك العناه واغاثة
الملهوفين وقرئ الاضياف وغير ذلك ممّا هو من باب المكارم ببيان ان كلّ ذلك لغو بحت
لابتنائه على غير اساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كرماد اشتدّت به الرّيح الآية
ونحو ذلك من النّصوص الكريمة وان الايمان الحادث كما لاينفعهم وحده لاينفعهم بانضمام اعمالهم
السّابقة واللّاحقة ولك ان تقول المقصود بوصف النّفس بما ذكر من العدمين التّعريض بما للكفرة
فى تمرّدهم وتفريطهم فى كل واحد من الامرين الواجبين عليهم وان كان وجوب احدهما منوطا
بالآخر كما فى قوله عزّ وعلا فلاصدّق ولاصلى تسجيلا بكمال طغيانهم وايذانا بتضاعف عقابهم
لما تقرّر من ان الكفار مخاطبون بفروع الشّرايع فى حقّ المواخذة كما ينبئ عنه قوله تعالى فويل للمشركين
الذين لايؤتون الزّكوة اذا تحققت هذا وقفت على ان الآية الكريمة احق بان تكون حجّة على المعتزلة
من ان تكون حجّة لهم هذا وقد قيل انّها من باب اللّف التقديرى اى لاينفع نفسًا ايمانها ولا كسبها
فى الايمان لم تكن آمنت من قبل او كسبت فيه وليس بواضح فان مبنى اللّف التقديرى ان يكون المقدّر
من متمّمات الكلام ومقتضيات المقام قد ترك ذكره تعويلا على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه
ايّاه كما مرّ فى تفسير قوله عزّ وجل ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعًا فانه
قد طوى فى المفصّل ذكر حشر المؤمنين لغة بانباء التفصيل عنه اعنى قوله تعالى فامّا الذين امنوا
الآية ولاريب فى انّ ما نحن فيه ليس ممّا يستدعيه قوله تعالى او كسبت فى ايمانها خيرًا ولا هو
من مقتضيات المقام لانه ليس مما وعدوه وعلّقوه باتيان ما ذكر من الآيات كالايمان حتّى يردّ
عليهم ببيان عدم نفعه اذاذاك على ان ذلك مشعر بان لهم بعد ما اصابهم من الدواهى ما اصابهم
بقاء على السّلامة وزمانا يتأتّى منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الاخلال بمقام تهويل الخطب وتفظيع

الحال

الحال ما لايخفى وقد اجيب عن الاستدلال بوجوه اخر قصارى امرها اسقاط الآية الكريمة عن رتبة
المعارضة للنّصوص القطعية المتون القويّة الدّلالة على ما ذكر من كفاية الايمان المجرّد عن العهد
فى الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللّتيا والّتى لما تقرّر من ان الظنى بمعزل من معارضة القطعىّ
قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد انتظروا ما تنتظرونه من اتيان احد الامور
الثلاثة لتروا اى شئ تنتظرون انّا منتظرون لذلك لنشاهد مايحلّ بكم من سوء العاقبة وفيه تاييد
لكون المراد بما ينتظرونه اتيان مليكة العذاب او اتيان امره تعالى بالعذاب كما اشير اليه وعدة
ضمنيّة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لمعاينتهم لما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك
هو الذى شاهدوه يوم بدر والله سبحانه اعلم انّ الّذين فرّقوا دينهم استيناف لبيان احوال
اهل الكتابين اثر بيان حال المشركين اى بدّدوه وبعّضوه فتمسّك بكلّ بعض منه فرقة منهم وقرئ
فارقوا اى باينوا فان ترك بعضه وان كان ياخذ بعض آخر منه ترك للكل ومفارقة له وكانوا
شيعًا اى فرقا تشيع كلّ فرقة امامًا لها قال عليه السّلام افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلهم فى الهاوية الّا واحدة وافترقت النّصارى اثنتين وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية
الّا واحدة واستثنا الواحدة من فرق كلّ من اهل الكتابين انما هو بالنّظر الى العصر الماضى قبل النسخ
وامّا بعده فالكل فى الهاوية وان اختلفت اسباب دخولهم فمعنى قوله تعالى لست منهم فى شئ
ليست من البحث عن تفرّقهم والتعرّض لمن يعاصرك منهم بالمناقشة والمواخذة وقيل من قتالهم
فى شئ سوى تبليغ الرسالة واظهار شرايع الدّين الحقّ الّذى امرت بالدّعوة اليه فيكون منسوخًا
باية السّيف وقوله تعالى انّما امرهم الى الله تعليل للنفى المذكور اى هو يتولى وحده امر اوليهم
واخريهم ويدبّره كيف يشاء حسبما يقتضيه الحكمة يواخذهم فى الدّنيا متى شاء ويامر بقتالهم اذا اراد
وقيل المفرّقون اهل البدع والاهواء الزايغة من هذه الامة ويردّه انه عليه السلام مامور بمواخذتهم
والاعتذار بان معنى لست منهم فى شئ انت برئ منهم ومن مذهبهم وهم براء منك ياباه التّعليل
المذكور ثمّ ينبّئهم اى يوم القيمة بما كانوا يفعلون عبّر عن اظهاره بالتّنبية لما بعد من
الملابسة فى انّهما سببان للعلم تنبيهًا على انهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبة
اى يظهر لهم على رؤس الاشهاد ويعلمهم اى شئ شنيع كانوا يفعلونه فى الدّنيا على الاستمرار ويترتّب
عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها استيناف مبيّن
لمقادير اجزية العاملين وقد صدّر ببيان اجزية المحسنين المدلول عليهم بذكر اضدادهم قال
عطاء عن ابن عبّاس يريد من عمل من المصدّقين حسنة كتبت له عشر حسنات امثالها تفضّلا من الله
عزّ وجل وقرئ عشر بالتّنوين امثالها بالرّفع على الوصف وهذا اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء
الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر العشر بيان الكثرة لا الحصر فى العدد
الخاص ومن جاء بالسّيّئة اى بالاعمال السيّئة كائنا من كان من العاملين فلايجزى الّا مثلها بحكم الوعد

واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل انني هداني ربي امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذين يدعون انهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم لمزيد تشريفه اى قل لاولئك المفرقين ارشدني ربي بالوحي وبما نصب في الآفاق والانفس من الآيات التكوينية الى صراط مستقيم موصل الى الحق وقوله تعالى دينا بدل من الى صراط فان محله النصب كما في قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل مضمر يدل عليه المذكور قيما مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لاعلال فعله كالقيام وقرئ قيّما وهو فعيل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وان كان هو ابلغ منه باعتبار الصيغة ملة ابرهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابرهيم اى مائلا عن الاديان الباطلة وقوله تعالى وما كان من المشركين اعتراض مقرر لنزاهته عليه السلام عما عليه المفرقون لدينه من عقد وعمل اى ما كان منهم في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم على ملته عم من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم عزير ابن الله والنصارى المشركين بقولهم المسيح بن الله قل ان صلاتي ونسكي اعيد الامر لما ان المامور به متعلق بفروع الشرايع وما سبق باصولها اى عبادتي كلها وقيل وذبحي جمع بينه وبين الصلوة كما في قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي ومحياي ومماتي اى وما انا عليه في حياتي واكون عليه عند موتي من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقيل محياي بسكون اليا اجرا للوصل مجرى الوقف لله رب العالمين لا شريك له خالصة له لا اشرك فيها غيره وبذلك اشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل اى بذلك الاخلاص امرت لا بشيء غيره وقوله تعالى وانا اول المسلمين مسارعة عم الى الامتثال بما امر به وان ما امر به ليس من خصايصه عم بل الكل مامورون به يقتدي به عم من اسلم منهم قل اغير الله ابغي ربا اخر فاشركه في العبادة وهو رب كل شيء جملة حالية مؤكدة للانكار اى والحال ان كل ما سواه مربوب مثلي فكيف يتصور ان يكون شريكا له في المعبودية ولا تكسب كل نفس الا عليها كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم القيمة ما كتب عليكم من الخطايا فهذا رد له بمعنى الاول اى لا يكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون صدورها عن شخص وقرارها على شخص اخر حتى يتاتى ما ذكرتم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى رد له بالمعنى الثاني اى لا تحمل يومئذ نفس حاملة حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى الكل لتاكيد الوعد وتشديد الوعيد اى الى مالك اموركم رجوعكم يوم القيمة فينبئكم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغي وتمييز الحق من الباطل وهو الذي جعلكم خلائف الارض حيث خلفتم الامم

السالفة

السالفة او يخلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى في ارضه تتصرفون فيها على ان الخطاب عام ورفع بعضكم في الشرف والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة ليبلوكم فيما اتاكم من المال والجاه اى ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده ان ربك تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام لابراز مزيد اللطف به عليه السلام سريع العقاب اى عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق ما اتاه الله تعالى ولم يشكره لان كل آت قريب او سريع التمام عند ارادته لتعاليه عن استعمال المبادي والآلات وانه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغي وفي جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء المبالغة مؤكدا باللام مع جعل الخبر الاولى صفة جارية على غير من هي له من التنبيه على انه تعالى غفور رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله تعالى اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت علي سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوم وليلة والله الموفق

سورة الاعراف مائتان وخمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

المص اما سرد على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتداء محذوف وتقديره هذا المص اى مسمى به وتذكير اسم الاشارة مع تانيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه مسمى بالاسم المذكور لا من حيث انه مسمى بالسورة وانما صحت الاشارة اليه مع عدم سبق ذكره لما انه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل كتاب على الوجه الاول خبر مبتداء محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف مرادا به السورة كتاب اه او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المؤلف منه منزلة حضور نفس المؤلف اى هذا كتاب اه وعلى الوجه الثاني خبر بعد خبر به اثر بيان كونه مترجما باسم بديع منبئ عن غرابته في نفسه ابانة لجلالة محله ببيان كونه فردا من افراد الكتب الالهية حائزا للكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبرا والمص مبتداء اى المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه من ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا عهد بالتسمية قبل تحققها الاخبار بها انزل اليك اى من جهته تع بني الفعل للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر في ترك ذكر مبتداء الانزال كما في قوله عز وجل ذكره بلغ ما انزل اليك من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن انزل اليه وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم الشان انزل اليك خلاف الاصل

فَلَا يَكُنْ فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ اى شك كما فى قوله تع فان كنت فى شك مما انزلنا اليك خلا انه عبّر عنه
بما لا يلزمه من الحرج فان شاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة
فى تنزيه ساحته ءم عن نسبة الشك ولو فى ضمن النهى فانه من الاحوال القلبيّة التى يستحيل اعتراؤه
ايّاه ءم وما قد يقع من نسبته اليه فى ضمن النهى فعلى طريقة التهييج والالهاب والمبالغة فى التنفير والتحذير
بايهام عن ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا فكيف بمن يمكن ذلك
منه والتعريض للتخفير وايثار فى قوله تعالى مِنْهُ متعلّق بحرج يقال خرج منه اى ضاق به صدره او بمحذوف
وقع صفة له اى خرج كائن منه اى لا يكون فيك شك مّا فى حقيّته او فى كونه كتابا منزلا اليك من عنده
تعالى فالفاء على الاوّل لترتيب النهى او الانتهاء على مضمون الجملة فانه ممّا يوجب انتفاء الشك فيما ذكر
بالكليّة وحصول اليقين به قطعا واما على الثانى فهى لترتيب فاذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر و
توجيه النهى الى الحرج مع ان المراد نهيه ءم عنه اما لما مرّ من المبالغة فى تنزيهه ءم عن الشك فيما ذكر
فان النهى عن الشئ ممّا يوهم امكان صدور المنهى عنه عن المنهىّ واما للمبالغة فى النهى فانّ وقوع الشك
فى صدره ءم سبب لاتصافه ءم به والنهى عن السبب نهى عن المسبّب بالطريق البرهانى ونفى له عن اهله
بالمرّة كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الاية وليس هذا من قبيل لا اريناك ههنا فان النهى
هناك وارد على المسبب مرادا به النهى عن السبب فيكون المآل نهيه ءم عن تعاطى ما يورث الحرج على
فتامل وقيل الحرج على حقيقته اى لا يمكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك او ان تقصر فى
القيام بحقه فانه ءم كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط
له فامنه الله عز وجل ونهاه عن المبالات بهم فالفاء للترتيب على مضمون الجملة على الاخبار به فان كلا
منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعا وان كان ايجاب الثانى بواسطة الاولى وقوله تعالى
لِتُنْذِرَ بِهِ اى بالكتاب المنزل متعلّق بانزل وما بينهما اعتراض بتوسط بينهما تقرير الما قبله وتمهيدا لما
بعده وحسبما يتوهم ان مورد الشك هو الانزال للانذار وقيل متعلق بالنهى فان انتفاء فى كونه منزلا
من عنده تعالى موجب للانذار به قطعا وكذا انتفاء الخوف منهم او العلم بانه موفق للقيام بحقه موجب
للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا يتاتى على التفسير الاوّل لان تعليل النهى عن الشك بما ذكر من الانذار
والتذكير مع ايهامه لامكان صدوره ءم مشعر بان المنهى عنه ليس محذورا لذاته بل لافضائه الى
فوات الانذار والتذكير لا اقل من الايذان بان ذلك معظم غائلته ولا ريب فى فساده واما على التفسير
الثانى فانما يتاتى التعليل بالانذار لا بتذكير المؤمنين اذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل غاية لانتفائه قوله
تعالى وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ فى حيّز النصب باضمار فعله معطوفا على تنذر اى وتذكر المؤمنين تذكيرا او
الجر عطفا على محلّ ان تنذر اى للانذار والتذكير وقيل مرفوع عطفا على كتاب او خبر لمبتداء محذوف و
تخصيص التذكير بالمؤمنين وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ كلام مستانف
خوطب به كافة المكلّفين بطريق التلوين وامروا باتباع ما امر النبى صلى الله ءم قبله بتبليغه بطريق الانذار

٣٥٠
والتذكير وجعله منزلا اليهم بواسطة انزاله ءم اثر ذكر ما يصححه من الانذار والتذكير لتاكيد وجوب
اتباعه وقوله تعالى مِنْ رَبِّكُمْ متعلّق بانزل على ان من لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع
حالا من الموصول او من ضميره فى الصلة وفى التعرض لوصف الربوبيّة مع الاضافة الى ضمير المخاطبين
مزيد لطف بهم وترغيب لهم فى الامتثال بما امروا به وتاكيد لوجوبه وجعل ما انزل ههنا على السنّة
القوليّة والفعليّة بعيد نعم يعمّهما حكمه بطريق الدلالة لا بطريق العبارة لما كان اتباع ما انزل الله
تعالى اتباعه عقيب الامر بذلك بالنهى عن اتباع غيره تعالى فقيل وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ اى من دون
ربكم الذى انزل اليكم ما يهديكم الى الحقّ ومحلّه النصب على انه حال من فاعل فعل النهى اى لا تتبعوا متجاوزين
الله تعالى أَوْلِيَاءَ من الجنّ والانس ما تقبلوا ما يلقونه اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل
ليضلّوكم عن الحقّ ويحملوكم على البدع والاهواء الزائغة او من اولياء قدّم عليه لكونه نكرة اذ لو اخّر عنه
لكان صفة له اى اولياء كائنة غيره تعالى وقيل الضمير للموصول على حذف المضاف فى اولياء اى ولا تتبعوا
من دون ما انزل اباطيل اولياء كانه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين اولياء وقرئ ولا تبتغوا
كما فى قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا وقوله تعالى قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ بحذف احدى التائين
والتخفيف الذال وقرئ بتشديدها على ادغام التاء المهموسة فى الذال المجهورة وقرئ يتذكرون على صيغة
الغيبة وقليلا نصب اما بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدّم للقصر او لزمان كذلك محذوف
وما مزيدة لتاكيد القلة اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا حيث لا تتاثرون بذلك ولا
تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ولجواز ان يراد بالقلّة العدم كما قيل فى قوله تعالى
فقليلا ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييلى مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات على القراءة الاخيرة للايذان
باقتضاء سوء حالهم فى عدم الامتثال بالامر والنهى صرف الخطاب عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة
واما نصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به اى لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا
تذكركم لكن لا على توجيه النهى الى المقيد فقط كما فى قوله تعالى لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل الى المقيد
والقيد جميعا وتخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا شروع فى انذارهم
بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى واصرارهم على اتباع دين اوليائهم
وكم خبرية للتكثير فى موضع رفع على الابتداء كما فى قولك زيد ضربته والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز
والضمير فى اهلكناها راجع الى معنى كم اى كثير من القرى اهلكناها او فى موضع نصب باهلكناها كما فى قوله
تعالى انا كل شئ خلقناه والمراد باهلاكها ارادة اهلاكها كما فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة اى اردنا
اهلاكها فَجَاءَهَا اى فجاء اهلها بَأْسُنَا اى عذابنا بَيَاتًا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اى
بائتين كقوم لوط أَوْ هُمْ قَائِلُونَ عطف عليه اى او قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما
حذفت الواو من الحال المعطوفة على اختها استثقالا لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد
استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير كما فى جاءنى زيد هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالين بالعذاب

لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع وحكايته للسامعين ازجر واردع عن الاغترار باسباب
الامن والراحة ووصف الكل بوصفى البيات والقيلولة مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما لاسيما القيلولة
للايذان بكمال غفلتهم وامنهم فما كان دعواهم باسنا عذابنا وعاينوا اماراته الا ان قالوا جميعا
انا كنا ظالمين اى الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه وبشهادتهم ببطلانه تحسرا عليه وندامة وطمعا
فى الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسئلن الذين ارسل اليهم بيان لعذابهم الاخروى
اثر بيان عذابهم الدنيوى خلا انه قد تعرض لبيان مبادى احوال المكلفين جميعا لكونه ادخل فى التهويل
والقاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليها وجودا اى لنسالن الامم
قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين ولنسئلن المرسلين عما اجيبوا قال تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول
ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذى نفى بقوله تعالى ولا يسئل عن ذنوبهم
المجرمون سؤال الاستعلام او الاول فى موقف الحساب والثانى فى موقف العقاب فلنقصن عليهم
على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى الرسل اليهم جميعا ما كانوا عليه
بعلم اى عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا وما كنا غائبين عنهم فى حال من الاحوال فيخفى
علينا شئ من اعمالهم واحوالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها والوزن اى وزن الاعمال والتمييز بين
راجحها وخفيفها وجيدها ورديها ورفعها على الابتداء وقوله يومئذ خبره قوله تعالى الحق صفته
اى والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما ذلك
الوزن فقيل الحق اى العدل السوى وقرئ القسط واختلف فى كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف
الاعمال هى التى توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة
كما يسالهم عن اعمالهم فيعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملئكة والاشهاد وكما
سبثبت فى صحائفهم فيقرؤنها فى موقف الحساب ويؤيده ما روى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له
تسعة وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى
كفة فتطيش السجلات وتثقل البطاقة وقيل بوزن الاشخاص لما روى عنه انه ليأتى العظيم السمين
يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل وبه
قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتاخرين بناء على ان استعمال لفظ وزن فى هذا
المعنى شايع فى اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير الشئ
ومقادير اعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل الوزن
وقيل ان الاعمال الظاهرة فى هذه النشاة بصور عرضية تبرز فى النشاة الآخرة بصور جوهرية مناسبة
لها فى الحسن والقبح حتى ان الذنوب لتتجسم هناك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم
لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وكذا قوله عم
فى حق يشرب من اناء الذهب والفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم ولا بعد فى ذلك الا ترى ان العلم يظهر فى

عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رض
انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صور حسنة وبالاعمال السيئة على صور قبيحة فتوضع فى الميزان ان قيل
المكلف يوم القيمة اما مؤمن بانه تعالى حليم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بتفاوت الاعمال وكمياتها
واما منكر له فلا يسلم حينئذ ان رجحان بعض الاعمال على بعض لخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الاعمال
بل يسنده الى اظهار الله تعالى اياه على ذلك الوجه فما الفائدة فى الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ
ويظهر جميع الاشياء بحقايقها على ما هى عليه وباوصافها واحوالها فى انفسها من الحسن والقبح وغير
ذلك وينخلع عن الصور المستعارة بما ظهرت فى الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها شبهة فى انها هى التى
كانت فى الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر فى هذه النشاة بصورة الحقيقة المستتبعة لصفاته ولا
يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى اعلم فمن ثقلت موازينه تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن
والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون على ان المراد به ما له وزن وقدر وهو الحسنات فان
رجحان احدهما مستلزم لرجحان الآخر اى فمن رجحت موزونية التى توزن بها حسناته او اعماله التى
لها قدر وزنه وعن الحسن البصرى وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه
السيئات ان يخف فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار
معناه كما ان جمع الموازين لذلك واما ضمير موازينه فراجع اليه باعتبار لفظه وما فيه من معنى
البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل والشرف هم المفلحون الفائزون بالنجاة و
الثواب وهم اما ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند
اليه او مبتدا خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على انهم الناس الذين
بلغك انهم مفلحون فى الآخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصايصهم ومن خفت
موازينه اى موازين اعماله او اعماله التى لا وزن لها ولا اعتداد بها وهى اعماله السيئة فاولئك اشارة
اليهم باعتبار اتصافهم بتلك الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر آنفا فى نظيره وهو مبتدا خبره
الذين خسروا انفسهم اى ضيعوا الفطرة السليمة التى فطروا عليها وقد ايدت بالايات البينة
وقوله تعالى بما كانوا باياتنا يظلمون متعلق بخسروا وما مصدرية وباياتنا متعلق بيظلمون على
تضمين معنى التكذيب قدم عليه لمراعاة الفواصل والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار
الظلم فى الدنيا اى فاولئك الموصوفون بخفة الموازين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر باياتنا
ظالمين ولقد مكناكم فى الارض لما امر الله سبحانه اهل مكة باتباع ما انزل اليهم ونهاهم عن اتباع
غيره وبين لهم وخامة عاقبته بالاهلاك فى الدنيا والعذاب المخلد فى الآخرة ذكرهم ما افاض عليهم
من فنون النعم الموجبة للشكر ترغيبا فى الامتثال بالامر والنهى اثر ترهيب اى جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا
او ملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم فيها معايش المعايش جمع معيشة وهى
ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه فى قرائته اخلاص الياء وعن ابن عامر

انه همزة تشبيهًا له بصحايف وهدا بن والجعل بمعنى الانشاء والابداع اى انشأ نا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم
فيها اسبابًا تعيشون بها وكلّ واحد من الظّرفين متعلق به او بمحذوف وقع حالًا من مفعوله المنكراذ
لو تاخّر لكان صفة له وتقديمهما على المفعول مع ان حقّهما التّاخّر عنه لما مرّ غير مرّة من الاعتنا بشان
المقدّم والتشويق الى المؤخّر فان النّفس عند تاخير ما حقه التّقديم لاسيما عند كون المقدّم مبنيًا عن منفعة
للسامع تبقى مترقبة لورود المؤخّر فتمكّن فيها عند الورود فضل تمكّن واما تقديم اللّام على فى فلما انّه
المنبىٔ عمّا ذكر من المنفعة فالاعتنا بشانه اتم والمسارعة الى ذكره اهمّ هذا وقد قيل ان الجعل متعد
الى مفعولين ثانيهما احد الظّرفين على انّه مستقرّ قدّم على الاوّل والظّرف الاخر اما لغو متعلّق
بالجعل او بالمحذوف الواقع حالًا من المفعول الاوّل كما تعروانت خبير بانّه لا فائدة معتد بها فى الاخبا
بجعل المعايش حاصلة لهم او حاصلة فى الارض وقوله تعالى قليلا ما تشكرون اى لتلك النعمة
تذييل مسوق لبيان سوء حال المخاطبين وتحذيرهم وبقيّة الكلام فيه عين ما مرّ فى تفسير قوله تعالى
قليلا ما تذكّرون ولقد خلقناكم ثمّ صوّرناكم تذكير لنعمة عظيمة فايضة على آدم عليه السّلام سارية
الى ذرّيته موجبة لشكرهم كافة وتاخيره عن تذكير ما وقع قبله من نعمة التّمكين فى الارض امّا لانّها
فايضة على المخاطبين بالذّات وهذه بالواسطة واما الايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة
للشّكر على حيالها فان رعاية التّرهيب الوقوعى ربّما تودى الى توهّم عدّ الكلّ نعمة واحدة كما ذكر فى
قصّة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التّحقيق لاظهار كمال نعمة العناية بمضمونهما وانّما نسب
الخلق والتّصوير الى المخاطبين مع ان المراد بهما خلق آدم عليه السّلام وتصويره حتما توفية لمقام
الامتنان حقّه وتاكيد الوجوب الشكر عليهم بالرّمز الى ان لهم حظا من خلقه عم وتصويره لما انّهما ليسا
من الخصايص المقصورة عليه السلام كسجود الملائكة له بل من الامور السارية الى ذرّيته جميعًا اذ الكل
مخلوق فى ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته فكانهم الّذى تعلّق به خلقه وتصويره اى خلقنا اباكم
آدم طينا غير مصوّر ثمّ صوّرناه ابدع تصوير واحسن تقويم ساريا اليكم جميعًا ثمّ قلنا للملٰئكة اسجدوا
لآدم صريح فى انه ورد بعد خلقه عم وتسويته ونفخ الرّوح فيه امرا منجزا غير الامر المعلق الوارد قبل
ذلك بقوله تعالى فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وهو المراد بما حكى بقوله تعالى
واذ قلنا للملئكة اسجدوا لآدم الاية فى سورة البقرة وسورة بنى اسرائيل وسورة الكهف وسورة
طه من غير تعرّض لوقته وكلمة ههنا تقتضى تراخيه عن التّصوير من تعرّض لبيان ما جرى بينهما من
الامور وقد بيّنا فى سورة البقرة ان ذلك ظهور فضل لآدم عليه السّلام بعد المحاورة المسبوقة
بالاخبار باستخلافه عليه السّلام حسبما نطق به قوله تعالى واذ قال ربّك للملئكة انّى جاعل فى الارض
خليفة الى قوله وما كنتم تكتمون فان ذلك ايضا من جملة ما نيط به الامر المعلّق من التسوية ونفخ الروح
وعدم ذكره عند الحكاية لا يقتضى عدم ذكره عند وقوع المحكى لما انّ عدم ذكر الامر المعلّق عند حكاية
الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة يقتضيها المقام ليست

بعزيزة

بعزيزة فى الكلام العزيز فلعلّه قد القى الى الملئكة اولا جميع ما يتوقّف عليه الامر المنجّز اجمالًا بان قيل مثلا
انّى خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل ايّاه خليفة فى الارض فاذا سوّيته ونفخت فيه من روحى وتبيّن
لكم فضله فقعوا له ساجدين فخلقه فسوّاه فنفخ فيه من روحه فقالوا عند ذلك ما قالوا او القى اليهم
خبر الخلافة بعد تحقّق الشّرايط المذكوره بان قيل اثر نفخ الرّوح انّى جاعل هذا خليفة فى الارض
فهنالك ذكروا فابدى الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عم ما شاهدوا فعند ذلك ورد
الامر المنجز اعتناء بشان المامور به وايذانا بوقته وقد حكى بعض الامور المذكورة فى بعض المواطن
وبعضها فى بعضها اكتفاء بما ذكر فى كل موطن عمّا ترك فى موطن آخر والذى يرفع غشاوة الاشتباه
عن البصاير السّليمة ان ما فى سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربّك للملائكة الايات بدل من قوله
اذ يختصمون فيما قبله من قوله ما كان لى من علم بالملاء الاعلى اذ يختصمون اى بكلامهم عند اختصامهم
ولا ريب فى ان المراد بالملاء الاعلى الملئكة وآدم عم وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين
وباختصامهم ما جرى بينهم فى شان الخلافة من التقاول الذى من جملته ما صدر عنه عم من الانبا
بالاسماء من قضيّة البدليه وقوع الاختصام المذكور فى تضاعيفه باشرح فيه مفصّلا من الامر
المعلّق وما علّق به من الخلق والتسوية ونفخ الرّوح فيه وما ترتب عليه من سجود الملئكة وعناد ابليس
ولعنه واخراجه من بين الملئكة وما جرى بعده من الافعال والاقوال واذ ليس تمام الاختصام
بعد سجود الملئكة ومكابرة ابليس وطرده من البيّن لما عرفت من انه احد المختصمين كما انّه ليس قبل
الخلق ضرورة فاذن هو بعد نفخ الرّوح وقبل السّجود باحد الطّريقين المذكورين والله تعالى اعلم
فسجدوا اى الملئكة عليهم السّلام بعد الامر من غير تلعثم الّا ابليس استثناء متّصل لما انّه كان
جنيّا مفردًا مغمورا بالوف من الملئكة متّصفا بصفاتهم فغلبوا عليه فى السّجود ثم استثنى استثناء واحد
منهم او لا من الملئكة جنسًا يتوالدون يقال لهم الجنّ كما مرّ فى سورة البقرة فقوله تعالى لم يكن من
السّاجدين اى ممّن سجد لآدم كلام مستانف مبيّن لكيفيّة عدم السّجود وقد يكون للتامل ثمّ يقع
السجود وبه علم انّه لم يقع قط وقيل منقطع فيكون متصلا بما بعده اى لكن ابليس لم يكن من السّاجدين
قال استيناف مسوق للجواب عن سؤال نشاء من حكاية عدم سجوده كانّه قيل فماذا قال الله تع
ح وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير السّؤال على وجه المخاطبة وفيه فائدة
اخرى هى الاشعار بعدم تعلّق المحكى بالمخاطبين كما فى حكاية الخلق والتصوير ما منعك ان لا تسجد
اى ان تسجد كما وقع فى سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذى دخلت عليه كما فى قوله تعالى لئلا
يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشئ مصروف الى خلافه فالمعنى
ما صرفك الى ان لا تسجد اذ امرتك قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور وفى سورة
الحجر يا ابليس ما لك ان لا تكون مع السّاجدين وفى سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدىّ و
اختلاف العبارات عند الحكاية يدل على انّ اللّعين قد ادمج فى معصية واحدة ثلث معاص مخالفة الله

ومفارقة الجماعة والاعن الانتظام فى سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقيره آدم عم وقد وبخ
ح على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية فى كل موطن آخر واشعارا بان كل واحدة منها كافية فى التوبيخ
واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ راسا فى سورة البقرة وسورة بنى اسرائيل وسورة
الكهف وسورة طه قال استيناف كما سبق مبنى على سوال نشا من حكاية التوبيخ كانه قيل فماذا قال
اللعين عند ذلك فقيل قال انا خير منه متجانفا عن تطبيق جوابه على السوال بان يقول منعنى
كذا مدعيا لنفسه بطريق الاستيناف شيئا بين الاستلزام يمنعه من السجود على زعمه ومشعرا بان من شانه
هذا لا يحسن ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن ان يؤمر به كما ينبئ عنه ما فى سورة الحجر من قوله تعالى
لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون فهو اول من اسس بنيان التكبر واخترع
القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى خلقتنى من نار وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من
فضله عليه ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة
الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى اى بغير واسطة على وجه الاعتناء
به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحى وما من جهة الغاية وهو ملاك
الامر ولذلك امر الملئكة بسجوده عليه السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة فى الارض
وان له خواص ليست لغيره وفى الاية دليل على الكون والفساد وان الشياطين اجسام كائنة ولعل
اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب قال استيناف كما سلف و
الفاء فى قوله تعالى فاهبط منها لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفته الامر وتعليله بالاباطيل
واحتجاجه على ذلك اى فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكر لشهرة كونه عن سكانها قال ابن
عباس رضى الله عنه كانوا فى عدن لا فى جنة الخلد وقيل من جملة الملئكة المعززين فان
الخروج من زمرتهم هبوط واى هبوط وفى سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط
من السماء فيرده ان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد
الوجهين قطعا ويكون وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة كما ورد عن الحسن
البصرى وقوله تعالى فما يكون لك اى فما يصح ولا يستقيم لك ولا يليق بشانك ان تتكبر فيها اى فى
الجنة او فى زمرة الملئكة تعليل للامر بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور
فانهما مكان المطيعين الخاشعين ولا دلالة فيه على جواز التكبر فى غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر
لا يليق باهل الجنة وانه تعالى امر بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى انك من الصاغرين تعليل
للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره اى من الاذلاء واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبرك وعن
عمر رضى الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره و
هصه الله الى الارض قال استيناف كما مر مبنى على سوال نشاء مما قبله كانه قيل فما قال اللعين بعد
ما سمع هذا الطرد المؤكد فقيل قال انظرنى اى امهلنى ولا تمتنى الى يوم يبعثون اى آدم وذريته

للجزاء بعد فنائهم وهو وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان تجد فسحة من اغوائهم ويأخذ
منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد البعث قال استيناف كما سلف انك من المنظرين
وورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله لآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم فى ذلك
صريح فى انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان
طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم لا لتاخير العقوبة كما قيل اى انك من جملة الذين اخرت
آجالهم ازلا حسبما يقتضيه الحكمة التكوينية الى وقت فناء غير ما استثناه الله تعالى من الخلائق وهو
النفخة الاولى لا وقت البعث الذى هو المسئول وقد ترك التوقيت الايجاز ثقة بما وقع فى سورة
الحجر وفى سورة ص كما ترك ذكر النداء والفاء فى الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر فيهما بقوله تع
رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم وفى انظاره ابتلاء للعباد
وتعريض للثواب ان قلت لا ريب فى ان الكلام المحكى له عند صدوره عن التكلم حالة مخصوصة يقتضى
وروده على وجه خاص من النظم بحيث لو اخل بشئ من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة
فالكلام الواحد المحكى على وجوه شتى ان اقتضى الحال وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة
عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه
اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين انما صدر عنه مرة واحدة لا غير فمقامه ان اقتضى
اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به من اللعن والطرد على نهج استدعاء الجبر فى مقابلة الكسر
هو المتبادر من قوله رب فانظرنى حسبما حكى عنه فى السورتين فما حكى ههنا يكون بمعزل من المطابقة
لمقتضى الحال فضلا عن العروج الى الاعجاز قلنا مقام استنظاره مقتض لما ذكر من اظهار الضراعة وترتيب
الاستنظار على الحرمان المدلول عليه بالطرد والرجم وكذا مقام الانظار مقتض لترتيب الاخبار
بالانظار على الاستنظار وقد طبق الكلام عليه فى تينك السورتين ووفى كل واحد من مقامى الحكاية
والمحكى جميعا حظه واما ههنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية
على نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل واحد منهما عند المخاطبة والحوار ان قلت فاذن
لا يكون ذلك نقلا للكلام على ما هو عليه ولا مطابقا لمقتضى المقام قلنا الذى يجب اعتباره فى
نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذى يفيده واما كيفية افادته له فليس مما يجب
مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى وقد لا تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح فى اصل الكلام تجريده
عنهما بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يراعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون
المنقول اصل المعنى الا يرى ان جميع المقالات المنقولة فى القرآن الكريم انما حكى بكيفيات واعتبارات
لا يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم بها ضرورة والا لامكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكى
كلاما واما عدم مطابقته لمقتضى الحال فنشاؤه الغفلة عما يجب توفير مقتضاه من الاحوال فان ملاك
الامر هو ملاك الحكاية واما وقوع المحكى فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية يوفى كل واحد

من المقامين حقّه كما فى سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام و
تفصيله على الكيفيات التى وقع عليها روعى حق المقامين معًا واما فى هذه السورة الكريمة فحيث اقتضى
مقام الحكاية الايجاز روعى جانبه الا يرى ان المخاطب المنكر اذا كان ممن لا يفهم الا اصل المعنى وجب
على المتكلم ان يجرد كلامه عن التاكيد وساير الخواص والمزايا التى يقتضيها المقام ويخاطبه بما
يناسبه من الوجوه لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى زايدا يفهمه سامعه آخر بليغ هو تجريده عن الخواص
رعاية لمقتضى حال المخاطب فى الفهم وبذلك يرتقى كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما حقق فى
مقامه فاذا اوجب مراعاة مقام الحكاية مع اقتضائها الى تجريد الكلام عن الخواص والمزايا بالمرة
فما ظنك بوجوب مراعاته مع تحلية الكلام بمزايا اخر يرتقى بها الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا وفى
حق مقام وقوعه المحكى فى السورتين الكريمتين وكان هذا الايجاز مبنيا عليه وثقة به قال
استيناف كاشاله فبما اغويتنى الباء للقسم كما فى قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم فان اغواءه تعالى
اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى فمآل الاقسام بهما واحد فلعل اللعين
اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار وما
مصدرية اى فاقسم باغوائك اياى لاقعدن لهم او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل
القسم المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم كما فى الوجه الاول فان اللام تصل عن ذلك اى فبسبب
اغوائك اياى لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على
السابلة صراطك المستقيم الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام فالقعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه
على الظرفية كما فى قوله كما على الطريق الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقولك ضرب
زيد الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من
الجهات الاربع التى يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اى وجه يتيسر
باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضى الله عنهما من
بين ايديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم
وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث
يتيسر لهم ان يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم ذلك
وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الآخرين بحرف المجاوزة
فان الآتى منهما كالمنحرف المتجافى عنهم المار على عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم
شاكرين اى مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما راى منهم
مبدا الشر متعددا ومبدا الخير واحدا وقيل سمعه من الملئكة عليهم السلام قال استيناف كما سلف
مرارا اخرج منها اى من الجنة او من السماء او من بين الملئكة عليهم السلام مذؤما اى مذموما
من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول فى مسؤول او كمكول فى مكيل من ذام يذيمه ذيما مدحورا مطرودا

لمن تبعك

لمن تبعك منهم اللام موطية للقسم وجوابه لاملان جهنم منكم اجمعين وهو ساد
مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملان على معنى لمن تبعك هذا الوعيد
او علة لاخرج ولاملان جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب المخاطب ويا آدم اى
وقلنا كما وقع فى سورة البقرة وتصدير الكلام بالندا للتنبيه على الاهتمام بتلقى المامور به وتخصيص الخطاب
به عليه السلام للايذان باصالته فى تلقى الوحى وتعاطى المامور به اسكن انت وزوجك الجنة هو من
السكنى الذى هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من السكون الذى هو ضد الحركة وانت
ضمير اكد به المستكن فى اسكن ليصح العطف عليه والفاء فى قوله تعالى فكلا من حيث شئتما لبيان
المراد مما فى سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك كان جمعا كان جمعا
مع الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما فى معنى حيث شئتما ولم يذكر ههنا رغدا ثقة بما ذكر هناك
وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف والايذان بتساويهما فى مباشرة المامور به فان حوا اسوة له عليه
السلام فى حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة له فيه ولتعليق النهى بهما صريحا فى قوله تعالى ولا
تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذها والهاء بدل من الياء فتكونا من
الظالمين اما جزم على العطف او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما
تكلم لهما كلاما خفيا متداركا متكررا وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس
الحلى وقد سبق بيان كيفية وسوسته فى سورة البقرة ليبدى لهما اى ليظهر لهما واللام للعاقبة او للغرض
على انه اراد بوسوسته ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان
كشف العورة فى الخلوة وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع ما ووري عنهما من
سوآتهما ما غطى وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم يقلب
الواو المضمومة همزة فى المشهور كما قلبت فى اويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف
الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها وقال عطف على وسوس
بطريق البيان ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة اى عن اكلها الا ان تكونا ملكين اى الا كراهية
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون فى الجنة وليس فيه دلالة
على افضلية الملئكة لما ان من المعلوم ان الحقايق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما فى ان يحصل لهما اوصاف
الملئكة من الكمالات الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الافضلية
بالمعنى المتنازع فيه وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين اى اقسم لهما وصيغة المقابلة للمبالغة
وقيل اقسما له بالقبول وقيل قالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين واقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة
فدليهما فنزلهما على الاكل من الشجرة وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية
والادلاء ارسال الشئ من الاعلى الى الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم
بالله كاذبا او ملتبسين بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اى فلما وجدا طعمها آخذين

في الاكل منهما اخذتهما العقوبة وشوم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف
في انّ الشجرة كانت السنبلة او الكرم او غيرهما وان اللّباس كان نورا او ظفرا وطفقا يخصفان طفق
من افعال الشروع والتّلبس كاخذ وجعل وانشا وعلق وهب وانثرى اى اخذا يرقعان ويلزقان
ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنّة قيل كان ذلك ورق التّين وقرئ يخصفان من
اخصف اى يخصفان انفسهما ويخصفان من التخصيف ويخصّفا اصله يختصفان وناديهما ربّهما
مالك امرهما بطريق العتاب والتوبيخ الم انهكما وهو تفسير للنداء فلا محلّ له من الاعراب
او معمول لقول محذوف اى وقال او قائلا الم انهكما عن تلكما الشجرة ما في اسم الاشارة من
معنى البعد لما انّه اشارة الى الشجرة التى نهى عن قربانها واقل لكما عطف على انهكما اى اقل لكما
انّ الشّيطان لكما عدوّ مبين وهذا عتاب وتوبيخ على الاغترار بقول العدوّ كما انّ الاول عتاب
على مخالفة النهى قيل فيه على ان مطلق النهى للتحريم ولكما متعلّق بعدوّ لما فيه من معنى الفعل
او بمحذوف هو حال من عدوّ ولم يحك هذا القول هٰهنا وقد حكى في سورة طه بقوله تعالى
ان هذا عدو لك ولزوجك الاية روى انه تعالى قال لأدم الم يكن فيما منحتك من شجر الجنّة
مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزّتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا
قال فبعزّتي لاهبطنّك الى الارض ثم لاتنال العيش الا كدا فاهبط وعلّم صنعة الحديد وامر بالحدث
فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز قالا ربّنا ظلمنا انفسنا اى ضررناها
بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنّة وان لم تغفر لنا ذلك وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين وهو
دليل على ان الصّغاير يعاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لايجوز المعاقبة عليها مع اجتناب
الكباير ولذلك حملوا قولهما ذلك على عادات المقرّبين في استعظام الصّغير من السّيات واستصغار
العظيم من الحسنات قال استيناف كما مرّ مرارا اهبطوا خطاب لادم والحواء وذرّيتهما او لهما
ولابليس كرّر الامر له تبعا لهما ليعلم انّهم قرنا ابدا او اخبر عما قال لهم مفرقا كما في قوله تعالى يا ايها
الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ولم يذكر هٰهنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر في ساير المواضع بعضكم
لبعض عدوّ جملة حالية من فاعل اهبطوا اى متعادين ولكم في الارض مستقرّ اى استقرار
او موضع استقرار ومتاع اى تمتع وانتفاع الى حين انقضا اجالكم قال اعيد الاستيناف
اما الايذان بعدم اتصال ما بعده بما قبله كما في قوله تعالى قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ اثر
قوله تعالى ومن يقنط من رحمة ربّه الّا الضالّون وقوله تعالى قال ارايتك هذا الّذى كرّمت علىّ
بعد قوله قال أسجد لمن خلقت طينا واما لاظهار الاعتناء بمضمون ما بعده من قوله تعالى فيها
تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اى للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تَارَةً أُخْرَى يا بني ادم خطاب للنّاس كافة وايرادهم بهذا العنوان مما لايخفى سرّه قد انزلنا
عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتدبيرات سماويّة واسباب نازلة منها ونظيره وَأَنزَلَ لَكُم

من الانعام الخ وقوله تعالى وانزلنا الحديد يواري سوءاتكم التى قصد ابليس ابداها من ابويكم
حتّى اضطرّا الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك وروى ان العرب كانوا يطوفون
بالبيت عريانا ويقولون لانطوف بثياب عصينا الله تع فيها فنزلت ولعلّ ذكر قصّة أدم حينئذ
للايذان بان انكشاف العورة اوّل سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم في ذلك
كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا تتجملون به والرّيش الجمال وقيل مالا ومنه ترّيش الرّجل اى تموّل
وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب ولباسُ التقوى اى خشية الله تعالى وقيل
الايمان وقيل السّمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتدا خبره جملة ذلك خير او خبره ذلك وخير
لك صفته كانّه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على
لباسا ذلك اى انزال اللباس من ايات الله دالة على عظيم فضله وعمم رحمته لعلّهم
يذكّرون فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبايح يا بني ادم تكرير النّداء للايذان
بكمال الاعتنا بمضمون ما صدّر به وايرادهم بهذا العنوان ممّا لايخفى سببه لا يفتننكم الشّيطان
اى لايوقعنكم في الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول الجنّة كما اخرج ابويكم من الجنّة نعت
لمصدر محذوف اى لايفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد جوّز ان يكون التقدير لايخرجنّكم
بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهى وان كان متوجّها الى الشّيطان لكنّه في الحقيقة متوجه
الى المخاطبين كما في قولك لااريتك هٰهنا وقد مرّ تحقيقه مرارا ينزع عنهما لباسهما ليريهما
سوءاتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النّزع اليه للتسبيب وصيغة المضارع لاستحضار
الصّورة وقوله تعالى انّه يراكم هُوَ وَقَبِيلُهُ اى جنوده وذرّيته استيناف لتعليل النهى و
تاكيد التّحذير منه من حيث لاترونهم من لابتدا غاية الرؤية وحيث ظرف لمكان انتفا
الرّؤية ولاترونهم في محل الجرّ باضافة الظرف اليه ورؤيتهم لنا من حيث لانريهم لايقتضي امتناع
رؤيتنا لهم مطلقا واستحالة تمثلهم لنا انّا جعلنا الشياطين جعل قبيله من جملته فجمع اولياء
للّذين لايؤمنون اى جعلناهم بما اوجدنا بينهم من المناسبة او بارسالهم عليهم وتمكينهم من
اغوائهم وحملهم على ما سوّلوا لهم اولياء اى قرناء مسلطين عليهم والجملة تعليل اخر للنهى وتاكيد
للتحذير اثر تحذير واذا فعلوا فاحشة جملة مبتداة لامحل لها من الاعراب وقد جوّز عطفها على الصّلة
والفاحشة الفعلة المتناهية في القبح والتاء لانها مجراة على الموصوف المؤنث او للنقل من الوصفية
الى الاسميّة والمراد بها عبادة الاصنام وكشف العورة في الطّواف ونحوهما قالوا جوابا للنّاهين
عنها وجدنا عليها اٰباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الابا والافترا على الله سبحانه ولعل
تقديم المقدّم للايذان منهم بان اباهم انما كانوا يفعلونها بامر الله تعالى بها على ان ضمير امرنا لهم
ولابائهم فح يظهر وجه الاعراض عن الاوّل في ردّ مقالتهم بقوله تعالى قل انّ الله لايامر بالفحشاء
فان عادته تعالى جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضي الخصال ولادلالة فيه على ان قبح

الفعل بمعنى ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب اجلا عقلى فان المراد بالفاحشه ما ينفر عنه الطبع السليم
ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سوالين مترتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا
عليها اباءنا فقيل لم فعلوها اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمتنع التقليد اذا قام الدليل
بخلافه لا مطلقا **اتقولون على الله ما لا تعلمون** من تمام القول المامور به والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
وتوجيه الانكار والتوبيخ الى قولهم عليه تعالى ما لا تعلمون صدوره عنه مع ان بعضهم يعلمون
عدم صدوره عنه تعالى مبالغة فى انكار تلك الصورة فان اسناد ما لم يعلم صدوره عنه اليه تعالى اذا
كان منكرا فاسناد ما علم عدم صدوره عنه اليه تعالى اشد قبحا واحق بالانكار **قل امر ربى بالقسط**
بيان للمامور به اثر نفى ما استد امره اليه تعالى من الامور المنهى عنها والقسط العدل وهو من كل شئ
المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط **واقيموا وجوهكم** وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى
غيرها او اقيموا وجوهكم نحو القبله **عند كل مسجد** فى كل مسجد وقت سجود او مكان سجود وهو
الصلوة او فى اى مسجد حضرتكم الصلوة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم **وادعوه** واعبدوه
مخلصين له الدين اى الطاعة فان مصيركم اليه بالآخرة **كما بداكم** اى انشاكم ابتدا **تعودون**
اليه باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما سبه الاعادة بالابدا تقريرا لامكانها والقدرة عليها
وقيل كما بداكم من التراب تعودون اليه وقيل حفاة عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بداكم
مؤمنا وكافرا يعيدكم **فريقا هدى** بان وفقهم للايمان **وفريقا حق عليه الضلاله** بمقتضى القضاء
السابق التابع للمشية المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر يفسره ما بعده اى وخذل فريق
انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانه او تحقيق لضلالتهم **ويحسبون انهم**
مهتدون فيه دلالة على ان الكافر المخطىء والمعاند سوا فى استحقاق الذم وللفارق ان يحمله على
المقصر فى النظر **يا بنى ادم خذوا زينتكم** اى ثيابكم لمواراة عورتكم **عند كل مسجد** اى طواف
او صلوة ومن السنه ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلوة
وكلوا واشربوا مما طاب لكم روى ان بنى عامر كانوا فى ايام حجهم لا ياكلون الطعام الا قوتا ولا ياكلون
دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون بمثله فنزلت **ولا تسرفوا** بتحريم الحلال او بالتعدى الى الحرام
او بالافراط فى الطعام والشره عليه وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان
سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد جمع الله الطب فى نصف اية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا
انه لا يحب المسرفين اى لا يرتضى فعلهم **قل من حرم زينة الله** من الثياب وما يتجمل به **التى**
اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع **والطيبات**
من الرزق اى المستلذات من الماكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس وانواع
التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من انكارى **قل هى للذين امنوا فى الحيوة الدنيا** بالاصالة والكفرة
وان شاركوهم فيها فبالتبع **خالصة يوم القيمة** لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع

على

على انه خبر بعد خبر **كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون** اى مثل هذا التفصيل نفصل ساير الاحكام
لقوم يعلمون ما فى تضاعيفها من المعانى الرايقة **قل انما حرم ربى الفواحش** اى ما تفاحش قبحه من
الذنوب وقيل ما يتعلق منها بالفروج **ما ظهر منها وما بطن** بدل من الفواحش اى جهرها وسرها **والاثم**
اى ما يوجب الاثم وهو تعميم بعد تخصيص وقيل هو شرب الخمر **والبغى** اى الظلم او الكبر افرد بالذكر للمبالغة
فى الزجر عنه **بغير الحق** متعلق بالبغى مؤكد له معنى **وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا**
تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه برهان **وان تقولوا على الله ما لا تعلمون**
بالالحاد فى صفاته والافترا عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه التحريم الى قولهم عليه تعالى ما لا
تعلمون وقوعه لا ما تعلمون عدم وقوعه قد مر سره **ولكل امة** من الامم المهلكة **اجل** حد معين من
الزمان مضروب لمهلكهم **فاذا جاء اجلهم** ان جعل الضمير للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار
الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود الذى هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بواسطة
اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاء اجالهم بان يجئ كل واحدة من
تلك الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار فى موقع الاضمار
لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة اكمل التمييز اى اذا جاءها اجلها الخاص بها **لا يستاخرون**
عن ذلك الاجل **ساعة** اى شيئا قليلا من الزمان فانها مثل فى غاية القلة منه اى لا يتاخرون
اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع طلبهم له **ولا يستقدمون** اى ولا
يتقدمون عليه وهو عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه فى نفسه كالتاخر
بل للمبالغة فى انتفاء التاخر بنظمه فى سلك المستحيل عقلا كما فى قوله سبحانه وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار فان من
كافوا مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم فى عدم القبول فى سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا
بتساوى وجود التوبة وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجئ الدنو بحيث يمكن التقدم فى الجملة كمجئ اليوم الذى
ضرب لهلاكهم ساعة فيه وليس بذاك وتقديم بيان انتفاء الاستيخار لما ان المقصود بالذات
بيان عدم خلاصهم من العذاب واما ما فى قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق
السبق فى الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر تاخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله
تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم هناك بيان انتفاء السبق **يا بنى**
ادم تلوين للخطاب وتوجيه له الى كافة الناس اهتماما بشان ما فى حيزه **اما ياتينكم** هى ان الشرطية
ضمت اليها ما التاكيد معنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وفيه تنبيه على ان
ارسال الرسل امر جايز لا واجب عقلا **رسل منكم** الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل اى كاينون من
جنسكم وقوله تعالى **يقصون عليكم اياتى** صفة اخرى لرسل اى يبينون لكم احكامى وشرايعى وقوله
تعالى **فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** جملة شرطية وقعت جوابا للشرط اى فمن اتقى

منكم التكذيب واصلح عمله فلاخوف الخ وكذا قوله تعالى والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون اى والذين كذبوا منكم باياتنا وايراد الانتفاء فى الاول للايذان بان
مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الانتقا والاجتناب عنه وادخال الفا فى الجزاء الاول
دون الثانى للمبالغة فى الوعد والمسامحه فى الوعيد فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته
اى تقوّل عليه تعالى مالم يقله او كذب ما قاله اى هو اظلم من كلّ ظالم وقد مرّ تحقيقه مرارا اولئك
اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد
للايذان بتمادبهم فى سوء الحال اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الافتراء والتكذيب ينالهم نصيبهم
من الكتاب اى مما كتب لهم من الارزاق والاعمار وقيل الكتاب اللّوح اى ما اثبت لهم فيه واياما كان
فمن الابتدائية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم كاينا من الكتاب وقيل نصيبهم العذاب وسوا
الوجه وزرقة العيون وعن ابن عبّاس كتب لمن يفترى على الله سواد الوجه قال تعالى ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودّة وقوله تعالى اذا جاءتهم رسلنا اى ملك الموت و
اعوانه يتوفونهم اى حال كونهم متوفين لارواحهم وهو بيد الاول فان حتّى وان كانت هى التى يبتدا
بها الكلام لكنها غاية لما قبلها فلا بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون بها الى حين وفاتهم اى ينالهم نصيبهم
من الكتاب الى ان ياتيهم ملئكة الموت فاذا جاءتهم قالوا لهم اينما كنتم تدعون من دون الله اى اين
الالهة التى كنتم تعبدونها فى الدّنيا وما وقعت موصولة بابن فى خط المصحف وحقها الفصل لانها
موصولة قالوا استيناف وقع جوابا عن سوال نشا من حكاية سوال الرّسل كانّه قيل فماذا قالوا عند
ذلك فقيل قالوا ضلوا عنّا اى غابوا عنا اى لا تدرى مكانهم وشهدوا على انفسهم عطفٌ على قالوا
اى اعترفوا على انفسهم انهم كانوا اى فى الدّنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا
حاله وضلاله ولعلّه اريد بوقت مجئ الرّسل وحال التوفى الزّمان الممتد من ابتداء المجئ والتوفى الى انتهائه
يوم الجزاء بناء على تحقق المجئ والتوفى فى كلّ ذلك الزمان بقاء وان كان حدوثهما فى اوّله فقط او قصد
بيان غاية سرعة وقوع البعث والجزاء كانهما حاصلان عند ابتداء التوفى كما ينبئ عند قوله عليه السّلام
من مات فقد قامت قيامته والّا فهذا السّوال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النّار
وما جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انّما يكون بعد البعث لا محالة قال اى الله عزّ وجل يوم
القيمة بالذات او بواسطة الملك ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم اى كائنين من جملة امم مصاحبين
لهم من الجنّ والانس بمعنى كافر الامم الماضية من النّوعين فى النّار متعلّق بقوله ادخلوا كلّما دخلت امة
امّة من الامم السابقة واللاحقة فيما لعنت اختها التى ضلت بالاقتداء بها حتى اذا اداركوا
فيها جميعا اى تداركوا وتلاحقوا فى النار قالت اخريهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاوليهم اى
لاجلهم اذ الخطاب مع الله لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضّلال فاقتدينا بهم فاتهم عذابا
ضعفا اى مضاعفا من النّار كانهم ضلوا واختلفوا قال لكلّ ضعف اما القادة فلما ذكر من الضّلال

والاضلال واما الاتباع فلكفرهم وتقليدهم ولكن لا تعلمون اى مالكم وما لكل فريق من العذاب
وقرئ بالياء وقالت اوليهم اى مخاطبين لاخريهم حين سمعوا جواب الله تعالى فما كان علينا
من فضل اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضّلال واستحقاق العذاب
فذوقوا العذاب اى عذاب المعهود المضاعف بما كنتم تكسبون من قول القادة ان الّذين كذّبوا
باياتنا مع وضوعها واستكبروا عنها اى عن الايمان بها والعمل بمقتضاه لا تفتح لهم ابواب
السّماء اى لا تقبل ادعيتهم ولا اعمالهم او لا تعرج اليها ارواحهم كما هو شان ادعية المؤمنين واعمالهم
وارواحهم والتاء فى تفتّح لتانيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالتخفيف والياء وقرئ
على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل للايات والياء على انه لله تعالى ولا يدخلون الجنّة
حتّى يلج الجمل فى سمّ الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل فى عظم الجرم فيما هو علم فى ضيق المسلك وهو ثقبة
الابرة وفى كون الجمل مما ليس من شانه الولوج فى سم الابرة مبالغة فى الاستبعاد وقرئ الجمل كالقمل والجمل
كالنّغر والجمل كالقفل والجمل كالنّصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم
بالضمّ والكسر وقرئ فى سم المخيط وهو الخياط من القنب ما يخاط به كالحزام والمحزم وكذلك اى مثل ذلك
الجزاء الفظيع نجزى المجرمين اى جنس المجرمين وهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوّليا لهم من جهنّم مهاد
اى فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية ومن فوقهم غواش اى اغطية والتنوين بدل
من الاعلال عند سيبويه وللتصرف عند غيره وقرا غواش على الفا المحذوف كما فى قوله تعالى وله
الجوار المنشآت وكذلك ومثل ذلك الجزاء الشديد نجزى الظّالمين عبّر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين
اخرى اشعارا بانّهم بتكذيبهم الايات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين القبيحين وذكر الجرم
مع الحرمان عن دخول الجنّة والجملة مع التعذيب بالنار للتنبيه على انّه اعظم الجرائم والذين امنوا
اى باياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الايات دخولا اوليا وقوله تعالى وعملوا الصّالحات
اى الاعمال الصّالحة التى شرعت بالايات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلّف نفسا الّا وسعها
اعتراض وسّط بين المبتدا الذى هو الموصول والخبر الذى هو الجملة اولئك اصحاب الجنّة فللترغيب
فى اكتساب ما يؤدى الى النّعيم المقيم ببيان سهولة ضاله وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلّف واسم الاشارة
مبتدأ واصحاب الجنّة خبره والجملة خبره للمبتداء الاوّل او اسم الاشارة بدل من المبتداء الاوّل الذى
هو الموصول والخبر اصحاب الجنّة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل والشرف
وهم فيها خالدون حال من اصحاب الجنّة وقد جوّز كونه حالا من الجنّة لاشتماله على ضميرها والعامل
معنى الاضافة او اللام المقدرة او خبر ثان لاولئك على راى من جوّزه وفيها متعلق بخالدون ونزعنا
ما فى صدورهم من غلّ اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التوادّ
وصيغة الماضى للايذان بتحققه وتقرره وعن على رضى الله عنه انّى لارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة وزبير منهم تجرى من تحتهم الانهار زيادة فى لذتهم وسرورهم وجمله من الضمير فى صدورهم

والعامل اما معنى الاضافة واما العامل في المضاف او حال من فاعل نزعنا والعامل نزعنا وقيل هي
مستانفة للاخبار عن صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا اى لما جزاؤه هذا
وما كنا لنهتدى اى لهذا المطلب الاعلى او لما طلب من المطالب التى هذا من جملتها لولا ان هدينا الله
ووفقنا له واللام لتاكيد النفى وجواب لولا محذوف لعه بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدى
وهدانا الثانى محذوف لظهور المراد والارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية وقرئ
ما كنا لنهتدى الخ بغير واو على انها مبنية ومستقرة للاولى لقد جاءت رسل ربنا جواب قسم
مقدر قالوه تبجحا واغتباطا بما نالوه وابتهاجا بايمانهم بما جاءتهم الرسل عليهم السلام والباء فى قوله
تعالى بالحق اما للتعدية فهى متعلقة بجاءت او للملابسة فهى متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل
اى والله لقد جاؤا بالحق او لقد جاؤا ملتبسين بالحق ونودوا اى نادتهم الملئكة عليهم السلام ان
تلكم الجنة ان مفسرة لما فى النداء من معنى القول او مخففة من ان وضمير الشان محذوف ومعنى البعد
فى اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها من مكان بعيد واما لرفع منزلتها وبعد رتبتها
واما للاشعار بانها تلك الجنة التى وعدوها فى الدنيا اورثتموها بما كنتم تعملون فى الدنيا من
الاعمال الصالحة اى اعطيتموها بسبب اعمالكم او بمقابلة اعمالكم والجملة حال من الجنة والعامل معنى
الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدا وخبر او الجنة صفة والخبر اورثتموها ونادى اصحاب الجنة اصحاب
النار تبجحا بحالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال
مخاطبيهم ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حيث نلنا هذا المنال الجليل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
حذف المفعول من الفعل الثانى اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم
من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعدا كالبعث والحساب ونعيم الجنة فانهم قد وجدوا جميع ذلك حقا
وان لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم اى وجدناه حقا وقرئ بكسر العين وهى لغة فيه فاذن
مؤذن قيل هو صاحب السور بينهم اى بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين بان المخففة
والمفسرة وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجراء اذن مجرى
قال الذين يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عليه ويبغونها
عوجا اى يبغون لها عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو ابعد شئ منهما والعوج بالكسر
فى المعانى والاعيان ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان فى المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون
غير معترفين وبينهما حجاب اى بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار
ليمنع وصول اثر احدهما الى الاخرى وعلى الاعراف اى على اعراف الحجاب وهو السور المضروب
بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه بظهوره اعرف من
غيره رجال طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيجلسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله تعالى فيهم ما يشاء
وقيل قوم علت درجاتهم الانبياء والشهداء والاخيار والعلماء من المؤمنين او ملئكة يرون فى صور

الرجال

الرجال يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم بعلامتهم التى اعلمهم الله تعالى بها كبياض
الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا ارسلها فى المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما
يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم الملئكة ونادوا اى رجال الاعراف اصحاب الجنة حين رأوهم ان
سلام عليكم بطريق الدعاء والتحية او بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها حال من فاعل
نادوا او من مفعوله وقوله تعالى وهم يطمعون حال من فاعل يدخلوها اى نادوهم وهم لم يدخلوها
حال كونهم طامعين فى دخولها مترقبين له اى لم يدخلوها وهم فى وقت عدم الدخول طامعون
واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اى الى جهتهم وفى عدم التعرض لتعلق انظارهم
باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق
الرغبة والميل والثانى بخلافه قالوا متعوذين بالله تعالى من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين اى فى النار وفى وصفهم بالظلم دون ما هم عليه من العذاب وسوء الحال الذى هو الموجب
للدعاء اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب فقط بل مع ما يوجبه ويؤدى اليه من الظلم
ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار لزيادة التقرير رجالا من رؤساء الكفار
حين رأوهم فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم الدالة على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم
فى الدنيا قالوا بدل لمن نادى ما اغنى عنكم اما استفهامية للتوبيخ والتقريع او نافية جمعكم
اى اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اى ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم
المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ تستكثرون من الكثرة اى من الاموال
والجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء المؤمنين
الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون صريحا انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن
ذلك كما فى قوله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب وتوجيه
له الى اولئك المذكورين اى ادخلوا الجنة على رغم انوفهم لا خوف عليكم بعد هذا ولا انتم تحزنون
او قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد ان حبسوا وشاهدوا احوال الفريقين
وعرفوهم وقالوا ما قالوا والاظهر ان لا يكون المراد باصحاب الاعراف المقصرين فى العمل لان هذه المقالات
وما يتفرع عليه من المعرفة لا يليق حاله بعد وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب
الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله تعالى او الملئكة ردا عليهم اهؤلاء الخ وقرئ ادخلوا ودخلوا
على الاستيناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا فى حقهم لا خوف عليكم ونادى اصحاب النار اصحاب
الجنة بعد ان استقر بكل من الفريقين القرار واطمأنت به الدار ان افيضوا علينا من الماء اى صبوه
وفيه دلالة على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من
الاطعمة على ان الافاضة عبارة عن الاعطاء بكثرة قالوا استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل
قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اى منعهما منهم منعا كليا فلا سبيل الى ذلك قطعا الذين اتخذوا

دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والسايبة ونحوهما والتصدية حول البيت واللهو صرف الهم الى ما لا
يحسن ان يصرف اليه واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا بزخارفها
العاجلة فاليوم ننسيهم نفعل بهم ما يفعل الناسى بالمنسى من عدم الاعتداد بهم وتركهم فى النار تركا
كليا والفاء فى فاليوم فصيحة وقوله تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا فى محل النصب على انه نعت لمصدر
محذوف اى ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم تستعدوا له وقوله
تعالى وما كانوا باياتنا يجحدون عطف على ما نسوا اى وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى
انكارا مستمرا ولو جئناهم بكتاب فصلناه اى بينا معانيه من العقايد والاحكام والمواعظ والضمير
للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب هو القران على علم حال من فاعل
فصلناه اى عالمين بوجه تفصيله جاء حكيما او من مفعوله اى مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه اى على
ساير الكتب عالمين بفضله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المغتنمون لاثاره
المقتبسون من انواره هل ينظرون الا تاويله اى ما ينظر هؤلاء الكفرة بعدم ايمانهم به الا مايول
اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد يوم ياتى تاويله وهو يوم القيمة
يقول الذين نسوه من قبل اى تركوه ترك المنسى من قبل اتيان تاويله قد جاءت رسل ربنا بالحق
اى قد تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب
او نرد اى هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول
المسؤل احد الامرين اما شفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثانى ان يكون لهم شفعاء اما
لاحد الامرين او لامر واحد هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع اى
فنحن نعمل غير الذى كنا نعمل اى فى الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التى هى راس مالهم
الى الكفر والمعاصى وضل عنهم ما كانوا يفترون اى ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام
شركاء الله تعالى وشفعاؤهم يوم القيمة ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة
ايام مشروع فى بيان مبتداء الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اى ان خالقكم ومالككم الذى خلق الاجرام
العلوية والسفلية فى ستة اوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره او فى مقدار ستة ايام فان
المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن هى ح وفى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة
على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث على التانى فى الامور ثم استوى على العرش
اى استوى امره واستولى وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه تعالى
استوى على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بساير الاجسام
سمى به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير منزل منه وقيل الملك يغشى الليل
النهار اى يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ بنصب الليل ورفع النهار
وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا اى يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ والحثيث

فعيل

فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل او من المفعول بمعنى حاثا او محثوثا والشمس
والقمر والنجوم مسخرات بامره اى خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتداء
والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك الله رب العالمين
اى تعالى بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الاية الكريمة والله اعلم ان
الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لانه الذى له الخلق
والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر
والنجوم كما اشار اليه بقوله تعالى فقضيهن سبع سموات فى يومين وعمد الى الاجرام السفلية
فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الاثار والافعال
واشار بقوله تعالى فى يومين ثم انشا انواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها اولا وتصويرها
ثانيا كما قال بعد قوله تعالى خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها
وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام اى مع اليومين الاولين لما فصل سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك
عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير
الكواكب وتكوير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق
والامر تبارك الله رب العالمين ثم امر بان يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم الذى
قد عرفتم شؤنه الجليلة تضرعا وخفية اى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص انه لا يحب
المعتدين اى لا يحب دعاء المجاوزين لما امروا به فى كل شئ فيدخل فيه الاعتداء فى الدعاء دخولا
اوليا وقد نبه به على ان الداعى يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل
هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء
وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسئلك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرئ انه لا يحب
المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بالكفر والمعاصى بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع الاحكام
وادعوه خوفا وطمعا اى ذوى خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة
رحمته ووفور فضله واحسانه ان رحمت الله قريب من المحسنين فى كل شئ ومن الاحسان فى الدعاء
ان يكون مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم او لانه صفة لمحذوف اى امر
قريب او على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول او الذى هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق
بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسب
التانيث من المضاف اليه وهو الذى يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح بشرا تخفيف
بشر جمع بشير اى مبشرات وقرئ بفتح الباء على انه مصدر بشره بمعنى بشرات او للبشارة وقرئ نشرا
بالنون المضمومة جمع نشور اى ناشرات ونشرا على انه مصدر فى موقع الحال بمعنى ناشرات او مفعول
مطلق فان الارسال والنشر متقاربان بين يدى رحمته التى هى المطر فان الصبا تثير السحاب

والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه **حتى اذا اقلت** اى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل
للشئ يستقله **سحابا ثقالا** بالماء جمعه لانه بمعنى السحايب **سقناه** اى السحاب وافراد الضمير لافراد اللفظ
لبلد ميت اى لاجله ولمنفعته اولاحيائه اولسقيه وقرئ ميت **فانزلنا به الماء** اى بالبلد او بالسحاب
او بالسوق او بالريح والتذكير بتاويل المذكور وكذلك قوله تعالى **فاخرجنا به** ويحتمل ان يعود
الضمير الى الماء وهو الظاهر واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاول والظرفية فى الثانى واذا كان
لغيره فهى للسببية **من كل الثمرات** اى من كل انواعها **كذلك نخرج الموتى** الاشارة الى اخراج
الثمرات اوالى احياء البلد الميت اى كما يحييه باحداث القوة النامية فيه ونظريتها بانواع النبات
والثمرات نخرج الموتى من الاحداث ونحيها برد النفوس الى موادابدانها بعد جمعها ونظريتها بالقوى
والحواس **لعلكم تذكرون** بطرح احدى التائين اى تتذكرون فتعلمون اى من قدر على ذلك قدر على هذا
من غير شبهة **والبلد الطيب** اى الارض الكريمة التربة **يخرج نباته باذن ربه** بمشيته وتيسره عبر به عن
كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه فى مقابلة قوله تعالى **والذى خبث** من البلاد كالسبخة
والمرة **لايخرج الا نكدا** قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذى خبث لايخرج
نباته الا نكدا فحذف المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ لايخرج الا نكدا اى لايخرج
البلد الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اى ذا نكد ونكدا باسكان للتخفيف **كذلك** اى مثل ذلك التصريف
البديع **نصرف الايات** اى نرددها ونكررها **لقوم يشكرون** نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها
ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرايع التى هى ماجوع القلوب الى
المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم اثارها وقد عقب ذلك بما يحققه
ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستيناف فقيل **لقد ارسلنا نوحا الى قومه** وهو جواب قسم
محذوف اى والله لقد ارسلنا الخ والمراد استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها منظنة للتوقع الذى
هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن لمك بن متوشخ بن اخنوخ
وهو ادريس النبى عليهما السلام قال ابن عباس بعث عليه السلام على راس اربعين سنة من عمره ولبث يدعو
قومه تسعمائة وخمسين سنه فكان عمره الفا ومائتين واربعين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة
سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنه ومكث يدعو قومه تسعمائة
وخمسين وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة **فقال
يا قوم اعبدوا الله** اى اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة واما العبادة
فى الاشراك فليس من العبادة فى شئ وقوله تعالى **مالكم من اله غيره** اى من مستحق للعبادة استيناف
مسوق لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذى هو الرفع على الابتدا
او الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرى بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا
اى مالكم من اله الا اياه كقولك مافى الدار من احد الا زيدا وغير زيد فمن اله ان جعل مبتداء فلكم خبره

اوخبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اى مالكم فى الوجود اوفى العالم اله غير الله **انى اخاف عليكم** اى
ان لم تعبدوه حسبما امرت به **عذاب يوم عظيم** هو يوم القيمة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعباد
ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعى اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم مايقع فيه
وتكميل الانذار **قال الملا من قومه** استيناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية قوله عم كانه قيل فماذا
قالوا له عم من مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف الذى يملؤن صدور المحافل باجرامهم
والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم **انا لنريك فى ضلال** اى ذهاب عن طريق الحق
والصواب والرؤية قلبية ومفعولا الضمير والظرف **مبين** بين كونه ضلالا **قال** استيناف كما
سبق **يا قوم** ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق **ليس بى ضلالة** اى شئ ما من الضلال
قصد عم تحقيق الحق فى نفى الضلال عن نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا فى اثباته له عم حيث جعلوه
مستقرا فى الضلال الواضح كونه ضلالا وقوله تعالى **ولكنى رسول من رب العالمين** استدراك
مما قبله باعتبار مايستلزمه من كونه فى اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة
له لامحالة كانه قيل ليس لى شئ من الضلالة ولكن فى الغاية القاصية من الهداية ومن لابتداء الغاية
مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لمايفيده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية
اى رسول كائن من رب العالمين **ابلغكم رسالات ربى** استيناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل
احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول على طريقة انا الذى سمتنى امى حيدره وقرئ ابلغكم
من الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها اوالتنوع معانيها اولان المراد بها ما اوحى اليه والى
النبيين من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته تعالى به عم بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار
بعلة الحكم الذى هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له عم من موجبات امتثاله بامره
تعالى بتبليغ رسالته تعالى اليهم **وانصح لكم** عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام
مع تعدى النصح بنفسه للدلالة على امحاض النصيحة لهم وانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع
للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا وقوله تع
واعلم من الله مالاتعلمون عطف على ماقبله وتقرير لرسالته عم اى اعلم من جهة الله تعالى بالوحى مالا
تعلمونه من الامور الاتية او اعلم من شبونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشة الشديد على اعدائه وان
باسه لايرد عن القوم المجرمين مالاتعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم
فكانوا غافلين امنين لايعلمون ماعلمه نوح عم بالوحى **اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم** جواب ورد لما
اكتفى عن ذكره بقولهم انا لنراك فى ضلال مبين من قولهم مانراك الا بشرا مثلنا وقولهم لوشاء الله لانزل
ملئكة والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم
ذكر اى وحى وموعظة من مالككم اموركم ومربيكم **على رجل منكم** اى على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى
ماوعدتنا على رسلك وقلتم لاجل ذلك ماقلتم من ان الله لوشاء لانزل ملئكة **لينذركم** علة للمجئ اى

ليحذركم عاقبة الكفر والمعاصى **ولتتقوا** عطف على العلة الاولى مترتبة عليها **ولعلكم ترحمون** عطف على
العلة الثانية مترتبة عليها اى ولتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفائدة حرف الترجى التنبيه على عزة
المطلب وان التقوى غير موجب للرحمة بل هى منوطة بفضل الله تعالى وان المتقى ينبغى ان لا يعتمد على
تقواه ولا يأمن عذاب الله عز وجل **فكذبوه** فتموا على تكذيبه فى دعوى النبوة وما نزل عليه من
الوحى الذى بلغه اليهم وانذرهم بما تضاعيفه واستمروا على ذلك هذه المتطاولة بعد ما كرر عم
عليهم الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا وحسبما نطق به قوله تعالى رب انى دعوتهم ليلا ونهارا
الايات اذ هو الذى يعقبه الانجاء والاغراق لا مجرد التكذيب **فانجيناه والذين معه** من المؤمنين
قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل تسعة ابناؤه الثلاثة وستة ممن امن به وقوله
تعالى **فى الفلك** متعلق بالاستقرار فى الظرف اى استقروا معه فى الفلك او صحبوه فيه او بفعل
الانجا اى انجيناهم فى السفينة ويجوز ان يتعلق بمضمر وقع حالا من الموصول او من ضميره فى الظرف
واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اى استمروا على تكذيبها وليس المراد بهم الملأ المتصدين للجواب
فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجا على الاغراق للمسارعة الى الاخبا
به والايذان بسبق الرحمة التى هى مقتضى الذات وتقدمها على الغضب الذى يظهر اثره بمقتضى جرائمهم
انهم كانوا قوما عمين عمى القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد
والنبوة والمعاد وقرئ عامين والاول ادل على الثبات والقرار **والى عاد** متعلق بمضمر معطوف
على قوله تعالى ارسلنا فى قصة نوح عم وهو الناصب لقوله تعالى **اخاهم** اى وارسلنا الى عاد اخاهم
اى واحدا منهم فى النسب لا فى الدين كقولهم يا اخا العرب وقيل العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق
واخاهم معطوف على نوحا والاول هو الاولى وايا ما كان فلعل تقديم المجرور ههنا على المفعول
الصريح للحذار عن الاضمار قبل الذكر يرشد الى ذلك ما سياتى من قوله تعالى ولوطا الخ فان قومه لما
لم يعهدوا باسم معروف يقتضى الحال ذكره عم مضافا اليهم كما فى قصة عاد وثمود ومدين خولف فى النظم
الكريم بين قصته عم وبين القصص الثلاثة وقوله تعالى **هودا** عطف لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن
رباح بن الجلود ابن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عم وقيل هود ابن شالح بن ارفخشد بن سام
بن نوح عم ان عم ابى عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله فى صدقه وامانته واقرب
الى اتباعه **قال** استيناف مبنى على سؤال نشا من حكاية ارساله عم اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال
يا قوم اعبدوا الله اى وحده كما يعرب عنه قوله **ما لكم من اله غيره** فانه استيناف جار مجرى
البيان للعبادة المامور بها والتعليل لها او للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا
اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه **افلا تتقون** انكار
واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى بعد ما علموا ما حل بقوم نوح عم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اى الا تتفكرون او تعقلون فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا او لا تعلمون ذلك فلا تتقون

فالتوبيخ على المعطوف فقط وفى سورة هود افلا تعقلون ولعله عم خاطبهم بكل منهما وقد اكتفى بحكاية
كل منهما فى موطن عن حكايته فى موطن اخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هناك من قوله تعالى ان انتم الا مفترون
وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء القصة بل حال نظايره فى ساير القصص لا سيما فى
المحاورات الجارية فى الاوقات المتعددة والله تعالى اعلم **قال الملأ الذين كفروا من قومه** استيناف
كما مر وانما وصف الملأ بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من امن له عم ولكن
كان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد وقيل وصفوا به لمجرد الذم **انا لنريك فى سفاهة** اى متمكنا فى
خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين ابائك الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون **وانا لنظنك من
الكاذبين** اى فيما ادعيت من الرسالة قالوا لعراقتهم فى التقليد وحرمانهم من النظر الصحيح **قال** مستعطفا
لهم ومستميلا لقلوبهم مع ما سمع منهم من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمشافهة بالسوء
يا قوم ليس بى سفاهة اى شئ منها ولا شائبة من شوائبها **ولكنى رسول من رب العالمين** استدراك
مما قبله باعتبار ما يستلزمه ويقتضيه من كونه فى الغاية القصوى من الرشد والاناة والصدق والامانة
فان الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك حتما كانه قيل ليس بى شئ مما تنسبوننى اليه
ولكن فى غاية ما يكون من الرشد والصدق ولم يصرح بنفى الكذب اكتفاء بما فى حيز الاستدراك ومن
لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسول موكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية
بالفخامة الاضافية وقوله **ابلغكم رسالات ربى** استيناف سيق لتقرير رسالته وتفصيل احوالها
وقيل صفة اخرى لرسول والكلام فى اضافة الرب الى نفسه عم بعد اضافته الى العالمين وكذا فى جميع
الرسالات كالذى مر فى قصة نوح عليه السلام وقرئ ابلغكم من الابلاغ **وانا لكم ناصح امين**
معروف بالنصح والامانة مشهور بين الناس بذلك وانما جئ بالجملة الاسمية دلالة على الثبات و
الاستمرار وايذانا بان من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة او الكذب **او عجبتم ان جاءكم ذكر
من ربكم** الكلام فيه كالذى مر فى قصة نوح عم **على رجل منكم** اى من جنسكم **لينذركم** ويحذركم
عاقبة ما انتم عليه من الكفر والمعاصى حتى نسبتمونى الى السفاهة والكذب وفى اجابة الانبياء صلوات
الله عليهم وسلامه من يشافههم بما لا خير فيه من امثال تلك الاباطيل بما حكى عنهم من المقالات
الحقة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة وكمال الشفقة والرافة من الدلالات على حيازتهم القدح المعلى
من مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه **واذكروا اذ جعلكم خلفاء** شروع فى بيان ترتيب احكام النصح
والامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب باذكروا على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة فى ايجاب ذكرها
لما ان ايجاب لذكر باقيه بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هى حاضرة
بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا ولعله معطوف على مقدر كانه قيل لا تعجبوا من ذلك او تدبروا فى
امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفا **من بعد قوم نوح** اى فى مساكنهم او فى الارض بان جعلكم

ملوكا فان شداد بن عاد من ملك معمورة الارض من رمل عاجل الى شجر عمان وزادكم فى الخلق اى فى الابداع
والتصوير او فى الناس بسطة قامة وقوة فانه لم يكن فى زمانهم مثلهم فى عظم الاجرام قال الكلبى والسدى
كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير ستين ذراعا فاذكروا الاء الله التى انعم بها عليكم من
فنون النعماء التى هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير لزيادة التقرير وتعميم اثر تخصيص لعلكم تفلحون
كى يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدى الى النجاة من الكروب والفوز بالمطلوب قالوا مجيبين عن تلك
النصائح العظيمة اجئتنا لنعبد الله وحده اى لنخصه بالعبادة ونذر ما كان يعبد اباؤنا انكروا
عليه عم مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض عن عبادة الاوثان انهماكا فى التقليد وحبا
لما الفوا والفوا اسلافهم عليه ومعنى المجئ اما مجيئه عليه السلام من متعبده ومعتزله واما من السماء
على التهكم واما القصد والتصدى مجازا كما يقال فى مقابلة ذهب يشتمنى من غير ارادة معنى الذهاب
فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى افلا تتقون ان كنت من الصادقين اى
فى الاخبار بنزول العذاب وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه اى فات به قال قد وقع
عليكم اى وجب وحق او نزل باصراركم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة الواقع كما فى قوله
تعالى اتى امر الله من ربكم اى من جهته تعالى وتقديم الظرف الاول على الثانى مع ان مبدا الشئ متقدم
على منتهاه للمسارعة الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذى هو قوله تعالى
رجس مع ما فيه من التشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى وغضب
فى ما تحل تقديمهما بتجاوب النظم الكريم والرجس العذاب من الارتجاس الذى هو الاضطراب والغضب
ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل اتجادلوننى فى اسماء عارية عن المسمى سميتموها اى
سميتم بها انتم واباؤكم انكاد واستقباه لانكارهم مجيئه عليه السلام داعيا لهم الى عبادة الله تعالى
وحده وترك عبادة الاصنام اى اتجادلوننى فى اسماء سميتموها الهة ليست هى الا محض الاسماء
من غير ان يكون فيها من مصداق الالهية شئ ما لان المستحق للعبودية بالذات ليس الا من اوجد
الكل وانها لو استحقت لكان ذلك بجعله تعالى اما بانزال اية او نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك
قوله تعالى ما نزل الله بها من سلطان واذ ليس ذلك فى حيز الامكان تحقق بطلان ما هم
عليه فانتظروا مترتب على قوله تعالى وقع عليكم اى فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فاتنا بما تعدنا الخ
انى معكم من المنتظرين لما يحل بكم والفاء فى قوله تعالى فانجيناه فصيحة كما فى قوله تعالى فانفجرت اى
فوقع ما وقع فانجيناه والذين معه اى فى الدين برحمة اى عظيمة لا يقادر قدرها وقوله تعالى منا
اى من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت لرحمة مؤكد لفخامتها الذاتية المفهمة من تنكيرها بالفخامة
الاضافية وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا اى استاصلناهم بالكلية ودمرناهم عن اخرهم وما كانوا
مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه فى حكم الصلة اى اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعووا عن
ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجا على حكاية الاهلاك قد مر سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان

بالله

بالله تعالى وتصديق اياته كما ان مدار البوار هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن
بالاحقاف وكانوا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان الى حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا
وصمود والهبا فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا
وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى
الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن
سام بن نوح عليه السلام وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم
قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة
خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم قينتا
معاوية فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالى واصهارى
وهولاء على ما هم عليه وكان يستحى ان يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين
فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما
فيسقى ارض عاد ان عادا قد امسوا ما يبينون الكلاما فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذى
نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا
يقدمن معنا فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم
فانشا الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك
فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا بها
وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله
تعالى فيها الى ان ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم
هودا موافق له فى تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عاهد
ابن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ بالصرف بتاويل الحى
وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى واخوة صالح عم لهم من حيث النسب كهود عم
فانه صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله عم اليهم
مظنة لان يسال ويقال فماذا قال لهم وقيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره وقد مر الكلام فى نظايره قد جاءتكم بينة اى اية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتى
وهى من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق فى الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد والجمع كالصالحة
افرادا وجمعا وكذلك الحسنة والسيئة سواء كانتا صفتين للاعمال او للمثوبة او الحالة من الرخاء والشدة
ولذلك اوليت العوامل وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر مرارا
والمراد بها الناقة وليس هذا الكلام منه عم اول ما خاطبهم اثر دعوته اياهم الى التوحيد بل انما قاله بعدما نصحهم

وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الابرى الامافى سورة هود من قوله تعالى هو انشاكم من
الارض واستعمركم فيها الى اخر الايات روى انه لما اهلكت عاد وعمرت ثمود بلادها وخلفوهم
فى الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبنى المسكن المحكم فينهدم فى حيوته فنحتوا البيوت
من الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله تعالى وافسدوا فى الارض وعبدوا الاوثان
فبعث الله تعالى اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله تعالى فلم يتبعه
الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا
فى يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب اتبعناك وان استجيب لنا
اتبعتنا فقال صالح عم نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسئلوا الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع
بن عمرو واشار الى صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة
جوفاء وبراء والمخترجة التى شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عم عليهم
المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعى ربه فتمخضت الصخرة تمخض
النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء لما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعم
وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس
من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان
يومها وضعت راسها فى البئر فما ترفعها حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاؤا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادى فيهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا
وقع البرد تشتت بطن الوادى فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امراتان
عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتى المواشى فعقروها واقتسموا
لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغى ثلاثا وكان صالح عم قال لهم ادركوا الفصيل
عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفرجت الصخرة بعد رغايه فدخلها فقال لهم صالح عم تصبحون
غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب
فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى
تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا و
قوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية استيناف مسوق لبيان البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل
لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووسايط معتادة ولذلك كانت اية واى اية
ولكم بيان لمن هى اية له وانتصاب اية على الحالية والعامل فيها الاشارة ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا
من هذه او عطف بيان له او مبتداء ثانيا ولكم خبرا عاملا فى اية فذروها تفريع على كونها اية من ايات
الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها تاكل فى ارض الله جواب الامر اى الناقة ناقة الله والارض
ارض الله فاتركوها تاكل ما تاكل فى ارض ربها فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها و(قرئ) تاكل بالرفع على انه فى موقع

الحال

الحال اى اكلة فيها وعدم التعرض للشرب اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما فى قوله وعلفتها
تبنا وماء باردا وقد ذكر ذلك فى قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهى
عن المس الذى هو مقدمة الاصابة بالشر الشامل لانواع الاذية ونكر السوء مبالغة فى النهى اى لا تتعرضوا
لها بشئ مما يسوءها اصلا ولا تطردوها ولا تريبوها اكراما لاية الله تعالى فياخذكم عذاب اليم
جواب للنهى ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه
لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من ماءها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين
ان يصيبكم مثل الذى اصابهم وقال عم لعلى رضى الله عنه يا على اتدرى من اشقى الاولين قال الله
ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدرى من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد اى خلفاء فى الارض او خلفاء لهم كما مر وبوأكم فى الارض اى
جعل لكم مباءة ومنزلا فى ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا استيناف مبين
لكيفية التبوئة اى تبنون فى سهولها قصورا رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون منها
من الرهص واللبن والاجر وتنحتون الجبال اى الصخور وقرئ تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع
الفتحة كما فى قوله ينباع من ذفرى اسيل حرة والنحت نجر الشئ الصلب فانتصاب الجبال على المفعولية
وانتصاب قوله تعالى بيوتا على انها حال مقدرة منها كما تقول خيط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب
الجبال على اسقاط الجار اى من الجبال وانتصاب بيوتا على المفعوليه وقد جوز ان يضمن النحت معنى
الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال فى الشتاء
فاذكروا الاء الله التى انعم بها عليكم مما ذكر وجميع الاية التى هذه من جملتها ولا تعثوا فى الارض
مفسدين فان حق الاية تعالى ان تشكر ولا تهمل ولا يغفل عنها فكيف بالكفر والعثى فى الارض بالافساد
قال الملا الذين استكبروا من قومه اى عتوا وتكبروا استيناف كما سلف وقرئ بالواو عطفا على
ما قبله قال يا قوم الخ واللام فى قوله تعالى واللام فى قوله تعالى للذين استضعفوا للتبليغ وقوله
تعالى لمن امن منهم بدل من الموصول باعادة العامل بدل الكل ان كان ضمير منهم لقومه وبدل
البعض ان كان للذين استضعفوا على ان المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه اذ لا داعى الى
توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع ان المجاوبة مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف
مختص بالمؤمنين اى قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم اتعلمون ان صالحا مرسل من
ربه وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا عن الجواب الموافق
لسؤالهم بان يقولوا نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان
الثابت المستمر الذى ينبئ عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله من الظهور بحيث لا ينبغى ان
يسال عنه وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع
صلته مع كفاية الضمير ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار انا بالذى امنتم به

كافرون وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهاراً لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم فعقروا الناقة
اى نحروها اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة اولان ذلك لما كان برضاهم فكانه فعله
كلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه بحيث اصابت غايلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن امر ربهم
اى استكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح عم من الامر والنهى وقالوا مخاطبين له عم بطريق التعجيز
والافحام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا اى من العذاب والاطلاق للعلم به قطعاً ان كنت
من المرسلين فان كونك من جملتهم يستدعى صدق ما تقول من الوعد والوعيد فاخذتهم الرجفة
اى الزلزلة لكن لا اثر ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادى العذاب فى الايام الثلاثة
حسبما تفصيله فاصبحوا فى دارهم اى صاروا فى ارضهم وبلدهم او فى مساكنهم جاثمين هامدين
موتى لا احوال بهم واصل الجثوم البروك يقال الناس جثوم اى تعود لا حراك بهم ولا يسوزنسة
قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير والبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم
من غير اضطراب وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ وسرعة البطش
اللهم انا بك نعوذ من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين حال لا افضائه الى كون الاخبار بكونهم
فى دارهم مقصوداً بالذات وكونهم جاثمين قيداً تابعاً له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة
وحد الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة
فقرن كل منهما بما هو اليق به فتولى عنهم اثر ما شاهد ما جرى عليهم تولى مغتم متحسر على ما فاتهم
من الايمان متحزناً عليهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم بالترغيب
والترهيب وبذلت فيكم وسعى ولكن لم تقبلوا منى ذلك وصيغة المضارع فى قوله تعالى ولكن لا تحبون
الناصحين حكاية حال ماضية اى شانكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم خاطبهم عم بذلك
خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته عم لعلاماته تولى
ذاهب عنهم منكر لاصرارهم على ما هم عليه وروى ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعا ونزل بهم العذاب
يوم السبت وروى انه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فالتفت فراى الدخان ساطعاً فعلم
انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب
بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم مقدما على المنصوب حسبما وقع فيما سبق
وهلم قد مر بيانه فى قصة هود عم وهو لوط بن هاران بن تارخ بن اخى ابرهيم عليهما السلام كان من
ارض بابل من العراق مع عمه ابرهيم عليهما السلام فهاجر الى الشام فنزل فلسطين وانزل لوطا الاردن
وهى كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم وهى بلد بحمص وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف
للمضمر المذكور ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الخ ولعل تقييد ارساله عم بذلك لما ان ارساله
اليهم لم يكن فى اوله وحوله اليهم وقيل هو بدل من لوطا بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر اى اذكر وقت

قوله عم لقوله اتاتون الفاحشة بطريق الانكار التوبيخى التقريعى بها اى اتفعلون تلك الفعلة المتناهية
فى القبح المتمادية فى الشرية والسوء ماسبقكم بها ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما فى قوله عم سبقك
بها عكاشة من قولك سبقته بالكرة ضربتها قبله ومن فى قوله تعالى من احد مزيدة لتاكيد النفى
وافادة معنى الاستغراق وفى قوله تعالى من العالمين للتبعيض والجملة مستانفة مسوقة لتاكيد
النكير وتشديد التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله عليهم اولا اتيان
الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سبك النظم الكريم وان كان على نفى كونهم مسبوقين من
غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين كما مر تحقيقه مرارا
فى نحو قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل
من جهتهم لم لا ناتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للزاجر ما سبقكم بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها
فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحق كانت
لهم ثمار وقرى لم يكن فى الدنيا مثلها فقصدهم الناس فاذوهم فعرض لهم ابليس فى صورة شيخ ان
فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا
فاستحكم فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا يفعلون ذلك الا بالغرباء وقال الكلبى اول من فعل
به ذلك الفعل ابليس الخبيث حيث تمثل لهم فى صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عشوا بذلك
العمل ائنكم لتاتون الرجال خبر مستانف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين
الثانية بغير مد وبمد ايضا على انه تاكيد للانكار السابق وتشديد للتوبيخ وفى زيادة ان واللام
مزيد تقبيح وتقريع كان ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تاكيدا قويا وفى ايراد لفظ الرجال
دون الغلمان والمردان ونحوهما مبالغة فى التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له او مصدر فى موقع
الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغى ان يكون الداعى له الى
المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا اقتضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم
على اشتهايهم تلك الفعلة الخبيثة المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى من دون النساء اى متجاوزين
النساء اللاتى هن محال الاشتهاء كما ينبئ عنه قوله تعالى هن اطهر لكم بل انتم قوم مسرفون اضراب
عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التى افضت بهم الى ارتكاب امثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ
او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم او عن محذوف اى لا عذر لكم فيه بل انتم قوم عادتكم
الاسراف وما كان جواب قومه اى المستكبرين منهم المتولين للامر والنهى المتصدين للعقد
والحل وقوله تعالى الا ان قالوا استثناء مفرغ من اعم الاشياء الا قولهم اى لبعضهم الاخرين المباشرين
للامور معرضين عن مخاطبته عم اخرجوهم اى لوطا ومن معه من اهل المؤمنين من قريتكم اى الا
هذا القول الذى يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عم وقرئ برفع جواب على انه اسم كان وما الا ان
قالوا الخ خبرها وهو اظهر وان كان الاول اقوى فى الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية وايا ما كان

فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط ومواعظه الا هذه المقالة الباطلة كما هو المتسارع الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات المحاورات الجارية بينهم وبينه عليه السلام الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات حسبما حكي عنهم في ساير السور الكريمة وهذا هو الاوجه في نظايره الواردة بطريق القصر وقوله تعالى **انهم اناس يتطهرون** تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارات كما هو ديدن الشطار والدعار **فانجيناه واهله** اى المؤمنين منهم **الا امراته** استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفر **كانت من الغابرين** اى الباقين في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة والجملة استيناف وقع جوابا عن سوال نشأ من استثنائها من حكم الانجاء كانه قيل فما كان حالها فقيل كانت من الغابرين **وامطرنا عليهم مطرا** اى نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة وامطر في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وامطر في العذاب والصحيح ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافرهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروى ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف الحجر له اربعين يوما حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروى ان امراته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت **فانظر كيف كان عاقبة المجرمين** خطاب لكل من يتاتى منه التامل والنظر تعجيبا من مالهم وتحذيرا من اعمالهم **والى مدين اخاهم شعيبا** عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد روعي ههنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور على المنصوب اى وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين ابن ابرهيم عليه السلام شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين وقيل شعيب بن شويب بن مدين وقيل شعيب بن يثرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم السلام بحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم **قال** استيناف مبني على سوال نشا به عن حكاية ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** مر تفسيره مرارا **قد جاءتكم بينة** اى معجزة وقوله تعالى **من ربكم** متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لفاعله مؤكدة لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره بفخامته الاضافية اى بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر معجزته عم في القران العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي صلى الله فمنها ما روى من محاربة عصا موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها ومنها وقوع عصا آدم على يده في المرات السبع لان كل ذلك كان قبل ان يستنبأ موسى عليهما السلام وقيل البينة مجيئه عليه السلام كما في قوله تعالى يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اى حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما آتاه الله تعالى من النبوة

وحكمة

والحكمة **فاوفوا الكيل** اى المكيال كما وقع في سورة هود ويؤيده قوله تعالى **والميزان** فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الاضمار والفاء لترتيب الامر على مجيء البينة ويجوز ان تكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه **ولا تبخسوا الناس اشياءهم** اى تشترونها بها معتمدين على تمامها اى شئ كان واى مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكدرة قال زهير افي كل العراق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم **ولا تفسدوا في الارض** اى بالكفر والحيف **بعد اصلاحها** بعد ما اصلح امرها واهلها الانبيا واتباعهم باجراء الشرايع او اصلحوا فيها واضافته اليها كاضافة مكر الليل والنهار **ذلكم خير لكم** اشارة الى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم **ان كنتم مؤمنين** اى مصدقين في قولي هذا **ولا تقعدوا بكل صراط توعدون** اى بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا اراد واحد ايشرع شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل يقطعون الطريق **وتصدون عن سبيل الله** اى السبيل الذي قعدوا عليه فوضع المظهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدونه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة عن طريق الدين وقوله تعالى **من آمن به** مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل وتصدونهم وتوعدون حال من الضمير في تقعدوا **وتبغونها عوجا** اى وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه او بوصفها للناس بانها معوجة وهي ابعد شئ من شائبة الاعوجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل والمال **وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين** من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود واضرابهم واعتبروا بهم **وان كانت طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به** من الشرايع والاحكام **وطائفة لم يؤمنوا** اى به او لم يفعلوا الايمان **فاصبروا حتى يحكم الله بيننا** اى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين **وهو خير الحاكمين** اى لا معقب لحكمه ولا حيف فيه **قال الملا الذين استكبروا من قومه** استيناف مبني على سوال مقدر ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالوا بعد ما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام فقيل قال اشراف قومه المستكبرون متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه والامتناع من الطاعة له بل بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه عليه السلام فيما هم فيه واتباعه المؤمنين واجترؤا على اكراههم عليه بوعيد النفي وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة التوكيد القسمي **لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا** بنسبة الاخراج اليه عليه السلام اولى والى

المؤمنين ثانيا بعطفهم عليه تنبيها على اصالته عليه السلام في الاخراج لا بالايمان وتبعيتهم له فيه كما ينبئ
عنه قوله تعالى **معك** فانه متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين
لزيادة التقرير والتهديد الناشئة عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك واتباعك **من**
قريتنا بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة على المساكنة والجوار وقوله تعالى **او لتعودن في ملتنا**
عطف على جواب القسم اي والله ليكونن احد الامرين البتة على ان المقصد الاصلي هو العود وانما ذكر
النفي والاجلاء لمحض القسر والالجاء كما يفصح عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كانهم
قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا في ملتنا وادخالهم له عليه السلام في خطاب العود مع استحالة
كونه عليه السلام في ملتهم قبل ذلك انما هو بطريق تغليب الجماعة على الواحد وانما لم يقولوا او
لنعيدنكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا بصورة الطواعية حذار الاخراج باختيار اهون
الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب **قال** استيناف كما سبق اي قال عليه السلام ردا
لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة **اولو كنا كارهين** على ان الهمزة لانكار الوقوع
ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين ويجوز ان يكون الاستفهام
فيه باقيا على حاله وقد مر مرارا ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي
لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية
الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق
من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها
منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه مع ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق
الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه
شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة بجميع
الاحوال المغايرة لها الشاملة بجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء
الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك فلان
جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه
ولو اهانك لبقائه على حاله سالما عما يغيره واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيره بورود الانكار
عليه لكن الاصل في الكل واحد لا ان كلمة لو في الصورة المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها
وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان
ما في حيز لو نقرر على ما هو عليه من المستفاد بخلاف ما نحن فيه لما ان كلمة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه
المذكور وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو مدلوله لا مدلول المذكور وان الجملة حال من ضميره
لا من ضمير المذكور كما سياتي وان المقصود الاصلي انكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما
تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا نقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار

بانه

بانه امر مقرر الا انه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة ان العود مما ينكر عند كون الكراهة
امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لاستنزالهم من رتبة
العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفر ابتداء حتى يقال انها معلومة لهم
فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا للقتل في قوله
تعالى ولو انا كتبنا الآية فانهم كانوا يستبعدونها ويطمعون في انهم حينئذ يختارون العود خشية الاخراج
اذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو اشد منه وافظع والتقدير انعود فيها لو لم نكن كارهين
ولو كنا كارهين غير مبالين بالاكراه فالجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما
اشير اليه اذ ماله العود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكارا لما يفيده كلمتهم الشنيعة باطلاقها
من العود على اي حالة كانت غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها
منه تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائها من ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذي
تعلق به الانكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان تحقق مع عدمها اولى ان قلت
النفي المستفاد من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية
هناك معتبرة بالنسبة الى النفي الا يرى ان الاولى بالتحقق فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت
عنها اعني عدم الغنى هو عدم الاعطاء لا نفسه فكان ينبغي ان يكون الاولى بالتحقق فيما نحن فيه
عند عدم الكراهة عدم العود لا نفسه اذ هو الذي يدل عليه قولنا انعود لانه في معنى لا نعود فلم
اختلف الحال بينهما قلت لما ان مناط الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان تحققه على كل حال وذلك
في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس العود المستفاد
من الفعل المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن واما الاستفهام فخارج عنه
وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي وتوضيحه ان بين
النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية في احدهما
بالنسبة الى نفسه وفي الآخر بالنسبة الى متعلقه ولذلك لا تستقيم اقامة احدهما مقام الآخر على
وجه الكلية الا يرى انك لو قلت مكان العود فيها الخ لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل المعنى
اختلالا فاحشا لان مدلول الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود
المنفي بها وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل وينفيه وما يذكر بعده يرجع اليه من حيث
هو منفي واما همزة الاستفهام فانما تباشر الفعل بعد تقييده بما بعده لما ان دلالتها على الانكار والنفي
ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده
راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر
بعد الفعل من موانعه ودواعي انكاره ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى
الانكار والنفي لما كان المقصود نفي الحكم على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداها

لاستلزام تحققه مع تحققه مع غيره بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها قيدا النفس العود كذلك اى مغنيا عن ذكر ساير الاحوال ضرورة ان تحقق العود فى حال الكراهة مستلزم لتحققه فى حال عدمها البتة وعند كونها قيدا لنفيه بخلاف ذلك اى غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفى العود فى حال الكراهة قطعا استقام الاول لافادته نفى العود فى الحالتين مع الاقتصار على ذكر ما هو مغن عن ذكر الاخرى ولم يستقم الثانى لعدم افادته اياه على الوجه المذكور ان قيل فما وجه استقامتهما جميعا عند ذكر المعطوفين معا حيث تصح ان تقال لا نعود فيها ولو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين كما يصح ان يقال العود فيها ولو لم يكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر فى حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا فى نفسه لا ان معنى احدهما عين معنى الاخر وملازمان متفقان فى جميع الاحكام كيف لا ومعلول الاول ان العود منتف فى الحالتين ومدلول الثانى ان العود فى الحالتين مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على عكس المعنى الاول فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار على ذكر حالة الارادة قد افترينا على الله كذبا اى كذبا عظيما لا يقادر قدره ان عدنا فى ملتكم التى هى الشرك وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله اى ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا على الله كذبا عظيما حيث زعم ان الله تعالى ندا وليس كمثله شئ وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق واى افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام تقديره والله لقد افترينا اه وما يكون لنا اى وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها فى حال من الاحوال او فى وقت من الاوقات الا ان يشاء الله اى الا حال مشية الله تعالى او وقت مشيته تعالى لعودنا فيها وذلك لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى ربنا فان التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ عن استحالة مشيته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيته لعودهم فيها وقيل معناه الا ان يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيته تعالى واياما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود فيها فى حيز الامكان وخطر الوقوع بناء على كون مشيته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيته تعالى وسع ربنا كل شئ علما فهو محيط بكل ما كان وما سيكون من الاشياء التى من جملتها احوال عباده وعزايمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع اعتصامنا به خاصة سيما ينطق به قوله تعالى على الله توكلنا اى فى يثبتنا على ما نحن عليه من الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشرار بالكلية واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار للمبالغة فى التضرع والجوار وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اعراض عن مفاوضتهم اثر ما ظهر له عليه السلام انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله تعالى بالدعاء نفصل ما بينه وبينهم بما يليق

بحال كل من الفريقين اى احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة او اظهر حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على ما قال الملأ الذين الخ ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين ودونهم فى الرتبة شانهم الوساطة بينهم وبين العامة والقيام باموهم حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم هذا هو الكفر كما ان مناط قولهم السابق هو الاستكبار اى قال اشرافهم الذين اجترءوا على الكفر لاعقابهم بعد ما شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين فى الايمان وخافوا ان يستتبعوا قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد القسمى والله لئن اتبعتم شعيبا ودخلتم فى دينه وتركتم دين ابائكم انكم اذا لخاسرون اى فى الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم او فى الدنيا لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة سادة مسد جوابى الشرط والقسم الذى قطامة السلامة فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة وهكذا فى سورة العنكبوت وفى سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اى صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من مبادى الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا فى دارهم اى فى مدينتهم وفى سورة هود فى ديارهم جاثمين اى ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استيناف لبيان ابتلائهم بشوم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا وعقوبتهم بمقابلته والموصول مبتدا خبره قوله تعالى كان لم يغنوا فيها اى استوصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم يقيموا بقريتهم اصلا اى عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استيناف اخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير واعادة الموصول والصلة ولا صلة كما هى لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر فى حيز الصلة هو الذى استوجب العقوبتين اى الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا المتبعون له عليه السلام وبهذا القصر اكتفى عن التصريح بانجائه عليه السلام كما وقع فى سورة هود ومن قوله تعالى فلما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه الخ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم قاله عليه السلام بعد ما هلكوا تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال فكيف اسى اى احزن حزنا شديدا على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف اسى عليكم وقرئ ايسى بامالتين وما ارسلنا فى قرية من نبى اشارة اجمالية الى بيان احوال ساير الامم اثر بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة لتاكيد النفى والصفة محذوفة اى من نبى كذب او كذبه

اهلها **الا اخذنا اهلها** استثناء مفرّغ من اعمّ الاحوال واخذنا فى محل النّصب من فاعل ارسلنا والفعل الماضى لا يقع بعد الّا الّا باحد شرطين امّا بتقدير قد كما فى هذه الآية او مقارنة قد كما فى قولك ما زيد الّا قد قام والتقدير وما ارسلنا فى قرية من القرى المهلكة نبيًّا من الانبياء فى حال من الاحوال كوننا اخذين اهلها **بالباساء** بالبوس والفقر **والضّرّآء** بالضرّ والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انّه مستتبع له غير منفك عنه بالآخرة لاستكبارهم عن اتباع نبيّهم وتعزّزهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة **لعلّهم يضّرّعون** كى يتضرّعوا ويتذلّلوا ويحطّوا اردية الكفر والعزّة عن اكتافهم كقوله تعالى لقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضرّاء لعلّهم يتضرّعون **ثمّ بدّلنا** عطف على اخذنا داخل فى حكمه **مكان السيّئة** التى اصابتهم للعناية المذكورة **الحسنة** اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرّخاء والسعة كقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيّئات **حتّى عفوا** اى كثروا عددا او عددا من عفى النبات اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النّعمة وقالوا غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله سبحانه **قد مسّ اباءنا الضّرّآء والسّرّآء** كما مسّنا ذلك وما هو من الامن عادة الدّهر يعاقب فى النّاس بين الضرّاء والسرّاء من غير ان يكون هناك داعية تؤدّى اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعلّ تاخير السرّاء للاشعار بانّها تعقب الضرّاء فلا خير فيها **فاخذناهم** اثر ذلك **بغتة** فجأة اشدّ الاخذ وافظعه **وهم لا يشعرون** بذلك ولا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الآية وليس المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمّه وما يمضى بين الاخذ واتمام الاهلاك ايام كتاب ثمود **ولو ان اهل القرى** اى القرى المهلكة المدلول عليها بقوله تعالى فى قرية وقيل هى مكّة وما حولها من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لما ذكر ههنا انتظاما اوّليا **آمنوا** بما اوحى الى انبيائهم معتبرين بما جرى عليهم من الابتلاء بالضرّآء والسرّآء **واتّقوا** اى الكفر والمعاصى او اتّقوا ما انذروا به على السنة الانبياء ولم يصرّوا على ما فعلوا من القبايح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدّهر وقال ابن عبّاس رضى الله تعالى عنهما وحّدوا الله واتّقوا الشرك **لفتحنا عليهم بركات من السّمآء والارض** لوسّعنا عليهم الخير ويسّرناه لهم من كل جانب مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التى بعضها من السّماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات وقرئ لفتّحنا بالتشديد للتكثير **ولكن كذّبوا** اى ولكن لم يؤمنوا ولم يتّقوا وقد اكتفى بذكر الاوّل لاستلزامه للثّانى **فاخذناهم بما كانوا يكسبون** من انواع الكفر والمعاصى التى من جملتها قولهم قد مسّ اباءنا وهذا الاخذ عبارة عمّا فى قوله تعالى فاخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فانّها قد تبدّل بالحسنة مكان السيّئة **أفأمن اهل القرى** اى اهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار التوبيخ امن كلّ طائفة ما اتاهم من الباس لا امن مجموع الامم فان كلّ طائفة منهم اصابهم باس خاص بهم لا يتعدّاهم الى غيرهم كما سيأتى والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه كما قاله شامه وغيره لقوله تعالى فلا يامن مكر الله الّا القوم الخاسرون والفاء للعطف على اخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما للمسارعة الى

بيان

بيان ان الاخذ المذكور ممّا كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى **ان ياتيهم باسنا بياتا** اى تبييتا او وقت بيات او مبيّتا وهو فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجئ بمعنى التبييت كالسّلام بمعنى التّسليم **وهم نائمون** حال من ضميرهم البارز او المستتر فى بياتا **او امن اهل القرى** انكار بعد انكار للمبالغة فى التّوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون وقرئ او بسكون الواو على التّرديد **ان ياتيهم باسنا ضحى** اى ضحوة النّهار وهو فى الاصل ضوء الشّمس اذا ارتفعت **وهم يلعبون** اى يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم كانّهم يلعبون **افامنوا مكر الله** تكرير للنكير لزيادة ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به اتيان باسه تعالى فى الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاوّل والثّالث بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور وامّا الثّانى فمن تتمّة الاوّل **فلا يامن مكر الله الّا القوم الخاسرون** اى الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التى فطر النّاس عليها والاستعداد القريب المستفاد من النّظر فى الآيات **اولم يهد للّذين يرثون الارض من بعد اهلها** اى يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكّة ومن حولها وتعدية فعل الهداية باللام لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو الجملة الشرطية اى اولم يبيّن لهم مآل امرهم **ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم** اى ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم او بسبب ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ نهد بنون العظمة فالجملة مفعول له **ونطبع على قلوبهم** عطف على ما يفهم من قوله تعالى اولم يهد كانّه قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية او عن التفكر والتّامّل او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى طبعنا لافضائه الى نفى الطّبع عنهم لانّه فى سياق جواب لو **فهم لا يسمعون** اى اخبار الامم المهلكة فضلا عن التّدبر والنّظر فيها والاغتنام بما فى تضاعيفها من الهدايات **تلك القرى** جملة مستانفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص منبئة عن غاية غواية الامم المذكورة وتماديهم فيها بعدما اتتهم الرّسل بالمعجزات الباهرة وتلك اشارة الى قرى الامم المحكية على ان اللّام للعهد وهو مبتداء وقوله تعالى **نقصّ عليك من انبائها** خبره وصيغة المضارع للايذان بعدم انقضاء القصّة بعد ومن للتبعيض اى بعض اخبارها التى فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتداء والقرى خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوّز كون الخبر الثانى جملة كما فى قوله تعالى **فاذا هى حيّة تسعى** وتصدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصود انباء اهلها والمقصود بيان احوالهم حسبما يعرب عنه قوله تعالى **ولقد جاءتهم رسلهم بالبيّنات** لما ان حكاية هلاكهم بالمرّة على وجه الاستيصال بحيث يشتمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرّجفة وبقائها خاوية معطلة اهول وافظع وقوله تعالى بالبيّنات متعلقة امّا بالفعل المذكور على انّها للتعدية وامّا بمحذوف وقع حالا من فاعله اى ملتبسين بالبيّنات لكن لا بان ياتى كل رسول ببيّنة واحدة بل ببيّنات كثيرة خاصّة به معيّنة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام

الاحاد الى الاحاد انّما هى فيما بين الرّسل وضمير الامم والجملة مستانفة مبيّنة لكمال عتوّهم وعنادهم اى
وبالله لقد جاء كل امّة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البيّنة المتكثرة المتواردة عليهم
الواضحة الدّالة على صحّة رسالته الموجبة للايمان حتما وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار
عدم ايمانهم فى الزّمان الماضى لا لعدم استمرار ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجئ الرسل بالبيّنات
بالفاء لما ان الاستمرار فعل من الافعال بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرار عليه
فى الحقيقة لكنّه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث نحو وعظته فلم ينزجر ودعوته فلم يجب واللام
لتاكيد النّفى اى فما صحّ وما استقام لقوم من اولئك الاقوام فى وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان
ذلك ممتنعا منهم الى ان لقوا الغاية عتوهم وشدّة شكيمتهم فى الكفر والطّغيان ثم ان كان المحكى عنهم اخر
حال كلّ قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والّتى وبها اشير
اليه بقوله تعالى بما كذّبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجئ الرسل اى وقت الاصرار والعناد وانّما لم
يجعل ذلك مقصودا بالذّات كالاوّل بل جعل صلة للموجود ايذانا بانّه بيّن بنفسه وانّما المحتاج الى
البيان عدم ايمانهم بعد تواتر البيّنات الظّاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التى كانت تضطرّهم الى
القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذى تعلّق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا
بالعبارة عن جميع الشرايع التى جاء بها كلّ رسول اصولها وفروعها وان كان المحكى جميع احوال كلّ قوم
منهم فالمراد بما ذكرا ولا كفرهم المستمرّ من حين مجئ الرّسل الى اخره وبما اشير اليه اخرا تكذيبهم قبل
مجيئهم فلا بدّ من جعل الموجود المذكور عبارة عن اصول الشرايع التى اجتمعت عليها الرسل قاطبة و
دعوا اممهم اليها اثر ذى اثير تبدّلها وتغيرها مثل ملّة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل
مجئ رسلهم انهم ما كانوا فى زمن الجاهلية بحيث لم يسمعوا كلمة التّوحيد قط بل كانت كل امة من اولئك
الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجئ رسلهم كحالتهم قبل
ذلك لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال الشئ بدلالة
النّص فانّهم حين لم يؤمنوا بما اجتمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم
جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب هو التكذيب
الواقع بعد الدّعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنّا معذّبين حتّى نبعث رسولا وانّما ذكر ما وقع
قبلها بيانا لعراقتهم فى الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضّماير الثّلاثة متوافقة فى المرجع وقيل
ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الاباء ولا يخفى ما فيه من
من التّعسف وقيل المراد ما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما
كذبوا من قبل كقوله تعالى ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببيّة وما مصدريّة اى بسبب
تعوّدهم تكذيب الحقّ وتمرّنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد هنا ما ورد فى سورة يونس من مخالفة الجمهور
بجعل ماء المصدريّة من قبيل الاسماء كما هو راى الاخفش وابن السّراج ليرجع اليه الضّمير فى به كذلك

ای مثل

اى مثل ذلك الطبع الشّديد المحكم يطبع الله على قلوب الكافرين اى من المذكورين وغيرهم فلا يكاد
يؤثر فيها الايات والنذر وفيه تحذير للسّامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة
وادخال الرّوعة وما وجدنا لاكثرهم اى لاكثر الامم المذكورين واللّام متعلقة بالوجدان كما فى قولك
ما وجدت له مالا اى ما صادفت مالا ولا لقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى من عهد لانّه فى
الاصل صفة للنكرة فلمّا قدّمت عليها انتصب حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة
للاستغراق اى ما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء
والضّراء قائلين لئن انجيتنا من هذه لنكوننّ من الشاكرين فتخصيص هذا الشان باكثرهم ليس لان
بعضهم كانوا يفون بعهودهم بل لان بعضهم كانوا لا يعهدون ولا يفون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله
تعالى اليهم من الايمان والتقوى بنصب الايات وانزال الحجج وقيل ما عهدوا عند خطاب الست
بربّكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل الضمير للنّاس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يفون بالعهود باى معنى
كان وان وجدنا اكثرهم اى اكثر الامم اى علمناهم كما فى قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الاوّل
ايضا كذلك وان مخففة من ان وضمير الشّان محذوف اى ان الشان وجدناهم لفاسقين خارجين
عن الطّاعة ناقضين للعهود وعند الكوفيين ان نافية واللّام بمعنى الّا اى ما وجدناهم الا فاسقين
ثم بعثنا من بعدهم موسى اى ارسلناه من بعد انقضاء وقائع الرّسل المذكورين عليهم السّلام او من بعد
هلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة ثم على التراخى للايذان بان بعثه عليه السّلام جرى
على سنن السنة الالهيّة من ارسال الرّسل تترى وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصّريح لما مرّ مرارا
من ان الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخّر باياتنا متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا
او صفة لمصدره اى بعثناه عليه السلام ملتبسا باياتنا او بعثنا ملتبسا بها وهى الايات التسع
المفصلات التى هى العصا واليد البيضا والسّنون ونقص الثمرات والطّوفان والجراد والقمّل والضّفادع
والدم حسبما سياتى على التفصيل الى فرعون هو لقب لكل ملك معتبر من العمالقة كما ان كسرى لقب
لكل من ملك فارس وقيصر لكل من ملك الرّوم واسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الرّيان
وملائه اى اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه السّلام لقومه كافة حيث كانوا
جميعا مامورين بعبادة ربّ العالمين عزّ سلطانه وترك العظيمة الشنعاء التى كان يدّعيها الطّاغية
ويقبلها منه فئة الباغية لاصالتهم فى تدبير الامور واتباع غيرهم لهم فى الورود والصّدور و
ظلموا بها اى كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد واحد وضمن معنى الكفر او التكذيب اى
ظلموا كافرين بها او مكذّبين بها او كفروا بها مكان الايمان الّذى هو من حقها لوضوحها ولهذا
المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها ان عرضوها للعذاب الخالد او ظلموا النّاس بصدّهم
عن الايمان والمراد بها الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الا ترى الى قوله
فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فكما ان ظلمهم بها مستتبع للامر بالنّظر اليها وكيف خبر كان

قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة فى حيّز النصب باسقاط الخافض اى فانظر بعين عقلك الى كيفيّه
ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد وقال موسى كلام مبتدأ
مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله من كيفيّة اظهار الايات وكيفيّته عاقبة المفسدين يا فرعون انّى
رسول اى اليك من ربّ العالمين على الوجه الّذى مرّ بيانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق
جواب عمّا يتساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالايات من تكذيبهم اياه عليه السّلام فى دعوى الرّسالة
وكان اصله حقيق علىّ ان لا اقول اه كما هو قراءة نافع فقلب للامن من الالباس كما فى قول من قال
وتشقى الرّياح بالضاطرة الحمرا ولان ما لزمك فقد لزمتنا وللاغراق فى الوصف بالصّدق والمعنى
واجب على القول الحق ان اكون انا قائلة لا يرضى الا بمثله ناطقا به او ضمن حقيق معنى حريص او وضع
على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيّده قراءة ابى
بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول وقوله تعالى قد جئتكم ببيّنة من ربّكم استيناف مقرّر لما قبله
من كونه رسولا من ربّ العالمين وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عليه السّلام
وما بعده من جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى فمن
ربكما الايات وقوله تعالى وما ربّ العالمين الايات وقد طوى ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقة
اما بجئتكم على انها لابتداء الغاية مجازا واما بمحذوف وقع صفة لبيّنة مفيدة لفخامتها الاضافيّة
المؤكدة لنوع منه الذاتيّة المستفادة من التنوين التفخيمىّ واضافة اسم الربّ الى المخاطبين بعد
اضافته فيما قبله الى العالمين لتاكيد وجوب الايمان بها فارسل معى بنى اسرائيل اى فخلهم حتّى
يذهبوا معى الى الارض المقدّسة التى هى وطن ابائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط
يستعملهم ويكلّفهم الافاعيل الشاقة فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السّلام وكان بين اليوم
الّذى دخل يوسف مصر واليوم الّذى دخله موسى عليهما السّلام اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال
او الامر به على ما قبله من رسالته ومجيئه بالبيّنة قال استيناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه
الكلام كانه قيل فماذا قال فرعون له عليه السلام حين قال ما قال فقيل ان كنت جئت باية اى
من عند من ارسلك كما تدعيه فأت بها اى فاحضرها حتى يثبت بها رسالتك ان كنت من
الصّادقين فى دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصّدق يقتضى اظهار الاية لامحالة فالقى
عصاه فاذا هى ثعبان مبين اى ظاهر امره لا يشك فى كونه ثعبانا وهى الحيّة العظيمة وايثار الجملة الاسمية
للدّلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كانها فى الاصل كذلك روى
انه لمّا القاها صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحيبه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض
والاعلى سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة
وعشرون الفا فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا اومن بك وارسل معك بنى
اسرائيل فاخذه فعاد عصًا ونزع يده اى من جيبه او من تحت ابطه فاذا هى بيضاء للنّاظرين اى بيضاء

بياضا

بياضا نورانيّا خارجا عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وذلك ما يروى انه ارى فرعون
يده وقال ما هذه فقال يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هى بيضاء بياضا
نورانيّا غلب شعاعه الشمس وكان عليه السّلام آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين لا انها
كانت بيضاء فى جبلّتها قال الملأ من قوم فرعون اى الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته انّ هذا
لساحر عليم اى مبالغ فى علم السّحر وماهر فيه قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول
بعينه مرىّ فى سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم من ارضكم اى من ارض مصر فماذا تأمرون بفتح النون
وما فى ماذا فى محل النصب على انّه مفعول ثان لتأمرون بحذف الجار والاوّل محذوف والتقدير باىّ
شئ تأمروننى وهذا من كلام فرعون كما فى قوله تعالى ذلك ليعلم انّى لم اخنه بالغيب اى فاذا كان
كذلك فماذا تشيرون علىّ فى امره وقيل قاله الملأ من قبله بطريق التغليب الى العامة فقوله قالوا
ارجه واخاه على الاوّل وهو الاظهر حكاية لكلام الملأ الّذين شاورهم فرعون وعلى الثّانى لكلام العامة
الذين خاطبهم الملأ ويابا ان الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست من وظايفهم اى اخره واخاه و
عدم التعرض لظهور كونه معه حسبما ينادى به الايات الاخر والمعنى اخّر امرها واصدرهما عنك
حتى ترى رايك فيهما وتدبّر شانهما وقرئ ارجيه وارجه من ارجاه وارجاه وارسل فى المدائن
حاشرين قيل هى مدائن صعيد مصر وكان رؤساء السّحرة ومهرتهم باقصى مداين الصّعيد وعن
ابن عبّاس رضى الله عنهما انهم كانوا سبعين ساحرا قد اخذوا السّحر من رجلين ستين من اهل
نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وانّما جاء
بعد موسى عليه السلام يأتوك بكلّ ساحر عليم اى ماهر فى السحر وقرئ بكلّ سحّار عليم والجملة
جواب الامر وجاء السحرة فرعون بعد ما ارسل اليهم الحاشرين وانّما لم يصرّح به حسبما فى قوله تع
فارسل الى المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة الحاشرين والسّحرة
الى الامتثال قالوا استيناف منوط بسؤال نشأ من حكاية مجئ السحرة كانه قيل فماذا قالوا له عند
مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم ان لنا لاجرا ان كنّا نحن الغالبين بطريق
الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر عظيم ح او بطريق الاستفهام التقريرى
بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنّا لمجرد تعيين مناط ثبوت الاجر لا لتردّدهم فى الغلبة
وتوسيط الضّمير وتحلية الخبر باللام للقصر اى ان كنّا نحن الغالبين لا موسى قال نعم وقوله تعالى
وانكم لمن المقرّبين عطف على محذوف سدّ مسدّه حرف الايجاب كانّه قال انّى لكم لاجرا وانكم مع ذلك
لمن المقرّبين للمبالغة فى الترغيب روى انه قال لهم تكونون اوّل من يدخل مجلسى واخر من يخرج عنه
قالوا استيناف كما مرّ كانه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصدّين لشانهم مخاطبين لموسى
عليه السّلام يا موسى امّا ان تلقى ما تلقى اوّلا واما ان نكون نحن الملقين اى لما تلقى اوّلا والفاعلين
للالقاء اولا خيّروه عليه السلام بالبداءة بالالقاء مراعاة للادب واظهارا للجلادة وانه لا يختلف

حالهم بالتقديم والتاخير ولكن كانت رغبتهم فى التقديم كما ينبئ عليه تغيير المنتظم بتعريف الخبر
وتوسيط ضمير الفصل وتاكيد ضمير المتصل قال القوا غير مبال بامرهم اى القوا ما تلقون فلما القوا
ما القوا سحروا اعين الناس بان خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اى بالغوا فى ارهابهم وجاؤا
بسحر عظيم فى بابه روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كانها حيات ملات الوادى وركب
بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف ما يافكون الفاء فصيحة اى فالقاها فصارت
حية فاذا هى الاية وانما حذف للاشعار بمسارعة موسى عليه السلام الى الالقاء وبقائه بسرعة
الانقلاب كانها لقفتها لما يافكون قد حصل متصلا بالامر بالالقاء وصيغة المضارع لاستحضار
صورة اللقف الهائلة والافك الصرف والقلب عن الوجه المعتاد وما موصولة او محذوفة والعائد
محذوف اى ما يافكونه ويزورونه او مصدرية وهى مع الفعل بمعنى المفعول روى انه لما تلقفت
الوادى من الخشب والجبال ورفعها موسى فرجعت عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته
الباهرة تلك الاجرام العظام او فرقها اجزاء لطيفة قالت السحرة ولو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا
وعصينا فوقع الحق اى فثبت لظهور امره وبطل ما كانوا يعملون اى ظهر بطلان ما كانوا
مستمرين على عمله فغلبوا اى فرعون وقومه هنالك اى فى مجلسهم وانقلبوا صاغرين اى صاروا
اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر لقوله تعالى والقى
السحرة ساجدين فان ذلك كان بمحضر فرعون قطعا اى خروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم
كيف وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثانى
من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما امنت السحرة اتبع
موسى من بنى اسرائيل ستمائة الف قال فرعون منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوا امنتم به بهمزة
واحدة اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ بحذف الهمزة كما مر فى ان لنا لاجرا وقد قرئ بتحقيق
الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اى امنتم بالله تعالى قبل ان اذن لكم
اى بغير ان اذن لكم كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى لا ان الاذن منه ممكن
فى ذلك ان هذا لمكر مكرتموه يعنى ان ما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل
وظهور المعجزة بل هو جعله اختلقتموها مع مواطاة موسى فى المدينة يعنى مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد
روى ان موسى عليه السلام وامير السحرة التقيا فقال له موسى ارايتك ان غلبتك اتؤمن بى
وتشهد انما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتنى لاؤمنن بك وفرعون سمعها وهو الذى
نشا عنه هذا القول لتخرجوا منها اهلها اى القبط وتخلص هى لك ولبنى اسرائيل وهاتان شبهتان
القاهما الى سماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق
السحرة لها وعدم تمالكهم من ان يؤمنوا بها ليمنعهم بهما عن الايمان بنبوة موسى عليه السلام
بارادة ان ايمان السحرة مبنى على المواضعة بينهم وبين موسى ع م وان غرضهم بذلك اخراج القوم من

المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة الاوطان المالوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق له بجمع اللعين
بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه وتهييجا لعداوتهم له عليه السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم
ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال فسوف تعلمون اى عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق
الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى من كل شق طرفا
ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع
الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه تعالى محاربة لله ورسوله قالوا استئناف مسوق للجواب
عن سؤال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالت السحرة عند ما سمعوا وعيد فرعون هل تاثروا به
او تصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا ثابتين على ما احدثوا من الايمان انا الى ربنا منقلبون
اى بالموت لا محالة فسواء كان ذلك من قبلك او لا فلا نبالى بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه
منقلبون ان فعلت بنا ذلك كانهم استطابوه مشتاقا على لقاء الله تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون
فيحكم بيننا وبينكم وما تنقم منا اى وما تنكر وتعيب منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا وهو خير
الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتاتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتكم ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا
لما فى قلوبهم من الفرحة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا الى الله عز وجل وقالوا ربنا افرغ علينا صبرا
اى افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يغمر الماء او صبه علينا ما يطهرنا من اوضار الاوزار وادناس
الاثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على ما رزقتنا من الاسلام غير مفتونين
من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى انتما ومن اتبعكما
الغالبون وقال الملا من قوم فرعون مخاطبين له بعد ما شاهدوا من امر موسى عليه السلام اتذر
موسى وقومه ليفسدوا فى الارض اى فى ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن متابعتك ويذرك
عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كما فى قول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بينى وبينكم
المودة والاخاء اى ايكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وقرئ بالرفع عطفا على تذر او استئنافا
او حالا وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن والهتك ومعبوداتك
قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم بان يعبدوها تقربا اليه ولذلك
قال انا ربكم الاعلى وقرئ والهتك اى عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم
كما كان نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود
الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون
كما كنا لم يتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة بحسن
العاقبة حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله
الباطلة ان الارض لله اى ارض مصر او جنس الارض وهى داخلة فيها دخولا اوليا يورثها من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين الذين انتم منهم وفيه ايذان بان الاستعانة بالله تعالى والصبر

من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اى بنوا اسرائيل اوذينا اى من جهة
فرعون من قبل ان تاتينا اى بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده
ومن بعد ما جئتنا اى رسولا يعنون به ما توعدهم به من اعادة قتل الابناء وساير ما كان يفعل بهم
لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب واما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنون
فيه من انواع الخدم والمهن كما قيل فليس مما يلحقهم بواسطته عليه السلام فليس لذكر كثير ملابسة بالمقام
قال اى موسى عليه السلام لما راى شدة جزعهم مما شاهدوه مليا لهم بالتصريح بما لوح به فى قوله تعالى
ان الارض لله الخ عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذى فعل بكم ما فعل وتوعدكم باعادته ويستخلفكم فى
الارض اى يجعلكم خلفاء فى الارض معه فينظر كيف تعملون احسنا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم
من الاعمال وفيه تاكيد للتسلية وتحقيق للامر قبل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم عليه السلام ولا
ساعد قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر استخلاف
انفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما مجئ فعل الطمع للجرى على سنن الكبرياء ولقد اخذنا آل
فرعون بالسنين شروع فى تفصيل مبادى الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم
يكونوا فى حفظ ودعة بل رتبت اسباب هلاكهم فتحولوا من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستيصال
وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنون جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيها لغتان
اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء ويحذف نونه بالاضافة واللغة
الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات تنوينها او بحذفه قال الفراء هى فى
هذه اللغة معروفة عند بنى عامر وغير معروفة عند بنى تميم ووجه حذف التنوين التخفيف ح لا يحذف
النون للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر وعاف من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا وجاء
الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف باللغتين ونقص من الثمرات باصابة العاهات
عن كعب ياتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اما السنون
فكانت لباديتهم واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فى امصارهم لعلهم يذكرون كى يتذكروا ويتعظوا
بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والفساد قال الزجاج ان
احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفى الرجوع اليه تعالى الا يرى الى قوله تعالى
واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول فى لعل وفى محلها فى تفسير قوله تعالى لعلكم
تتقون فى اوايل سورة البقرة وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة الخ بيان لعدم تذكرهم وتماديهم
فى الغى اى فاذا جاءتهم السعة والخصب وفى غيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه اى لاجلنا واستحقاقنا
لها وان تصبهم سيئة اى جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه اى يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا
الا بشومهم وهذا كما ترى شاهد بكمال قساوة قلوبهم وغباوتهم فان الشدايد ترقق القلوب وتلين
العرايك لا سيما بعد مشاهدة الآيات وقد كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شئ فيها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف

الحسنة

الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات كما ان تنكير السيئة
وايرادها بحرف الشك للاشعار بندرة وقوعها وعدم تعلق الارادة بها الا بالعرض وقوله تعالى الا
انما طائرهم عند الله استيناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق فى ذلك وتصدير
بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اى ليس سبب طيرهم الا عنده تعالى وهو حكمه ومشيئته المتضمنة
للحكم والمصالح اى ليس سبب شومهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اى مكتوبة لديه فانها التى
ساقت اليهم ما يسوؤهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طاير وقيل جمع له ولكن اكثرهم
لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون مما حكى عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم
يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا
بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا او استكبارا وقالوا شروع فى بيان بعض آخر مما اخذ به
آل فرعون من فنون العذاب التى هى انفسها آيات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من
الكفر والعناد اى قالوا بعد ما راوا ما راوا من شان العصا والسنين ونقص الثمرات مهما تاتنا به
كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ماء الجزاما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتاكيد كما ضمت الى
اين وان فى اينما تكونوا واما تذهبن بك خلا ان الالف الاولى قلبت هاء حذارا من تكرير المتجانسين
هذا هو الراى السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الناهى ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء
والنصب بفعل يفسره ما بعدها اى اى شئ تظهر لدينا وقوله تعالى من آية بيان لمهما وتسميتهم اياها
آية لا يؤثر فيهم وقوله تعالى لتسحرنا به اظهار لكمال الطغيان والعلو فيه وتسميته للارشاد الى الحق
بالسحر وتذكير الابصار والضميران المجروران راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ
لابهامه وتانيث الثانى للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه بانه كما فى قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة
فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك
فارسلنا عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان اى الماء الذى طاف بهم وغشى اماكنهم وحروثهم
من مطر او سيل وقيل هو الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل وقيل هو كبار القردان
وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روى انهم مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لا يستطيع
ان يخرج احد من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل منه
قطرة وهى فى خلال بيوتهم وفاض الماء الى ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة
ايام فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعى فكشف عنهم فنبت من
العشب والكلاء ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم
وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب
فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكلت ما ابقته الجراد وكان يقع فى
اطعمتهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم وقد تحققنا الآن انك ساحر

ثم ارسل الله تعالى الضفادع بحيث لايكشف ثوب ولاطعام الاوجدت فيه وكانت ممتلئ منها مضاجعهم
وتثبت الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرّعوا فاخذ عليهم العهود
فدعى فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله عليهم الدّم فصارت مياههم دما حتّى كان يجتمع
القبطيّ والاسرائيليّ على اناء فيكون مايليه دما ومايلي الاسرائيليّ ماء على حاله ويمصّ من فم الاسرائيليّ فيصير
دما في فيه وقيل سلّط الله عليهم الرّعاف **ايات** حال من المنصوبات المذكورة **مفصّلات** مبيّنات
لايشكل على عاقل انها ايات الله تعالى ونقمته وقيل مفرّقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم
وكان بين كلّ اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة منها اسبوعا وقيل انه عليه السّلام لبثت
فيهم بعد ماغلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل **فاستكبروا** اى عن الايمان بها **وكانوا
قوما مجرمين** جملة معترضة مقرّرة لمضمون ماقبلها **ولمّا وقع عليهم الرّجز** اى العذاب المذكور
على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الايات المفصّلة اى كلّما وقع عليهم عقوبة من تلك
العقوبات **قالوا** في كلّ مرّة **ياموسى ادع لنا ربّك بما عهد عندك** اى بعهده عندك وهو النبوّة او
بالّذى عهد اليك ان تدعوه فيجيبك كما اجابك في اياتك وهو صلة لادع او حال من الضّمير فيه
بمعنى ادع الله متوسّلا اليه بما عهد عندك او متعلّق بمحذوف دلّ عليه التماسهم مثل اسعفنا الى
ما نطلب بحقّ ماعندك اوقسم اجيب بقوله تعالى **لئن كشفت عنّا الرّجز** الذى وقع علينا **لنؤمنّن
لك ولنرسلنّ معك بني اسرائيل** اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الخ **فلمّا كشفنا عنهم الرّجز
الى اجل هم بالغوه** اى الى حدّ من الزمان هم بالغوه فمعذّبون بعده او مهلكون **اذا هم ينكثون** جواب
لما اى فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير تامّل وتوقّف **فانتقمنا منهم** اى فاردنا ان ننتقم منهم
لما اسلفوا من المعاصي والجرايم فان قوله تعالى **فاغرقناهم** عين الانتقام والفاء تفسيرية كما في قوله
تعالى فنادى نوح ربّه فقال ربّ الخ **في اليمّ** في البحر الذى لايدرك قعره وقيل في لجّته **بانّهم
كذّبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين** تعليل للاغراق اى كان اغراق بسبب تكذيبهم بايات الله تع
واعراضهم عنها وعدم تفكّرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكليّة والفاء وان دلّت على
ترتيب الاغراق على ماقبله من النكث لكنه صريح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيب ايات
الله تعالى والاعراض عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الايات الظّاهرة على يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها **واورثنا القوم الّذين كانوا يستضعفون**
اى بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدّلالة على استمرار الاستضعاف
وتجدّده وهم بنوا اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهار الكمال لطفه تعالى بهم وعظم احسانه اليهم
في رفعهم من حضيض المذلّة الى اوج العزّة **مشارق الارض ومغاربها** اى جانبها الشرقي والغربي حيث
ملكها بنوا اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرّفوا في اكنافها الشرقية والغربيّة كيف شاؤا
وقوله تعالى **الّتي باركنا فيها** اى بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض

وفيه

وفيه ضعف للفصل بين الصّفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام امّ هند وابوها العاقلة **وتمّت
كلمة ربّك الحسنى** وهي وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمنّ على الّذين
استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدّد المواعيد ومعنى تمّت
مضت واستمرّت **على بني اسرائيل بما صبروا** اى بسبب صبرهم على الشدايد الّتي كابدوها من جهة فرعونه
ودمّرنا اى خرّبنا واهلكنا **ماكان يصنع فرعون وقومه** من العمارات والقصور اى ودمّرنا
الّذين كان فرعون يصنعه على ان آل فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة خبر كان والعائد
محذوف وقيل اسم كان ضمير عائد الى ماء الموصولة ويصنع مسند الى فرعون والجملة خبر كان والعائد
محذوف ايضا والتقدير ودمّرنا الذين كان هو يصنعه فرعون الخ وقيل كان زائدة وما مصدرية
والتقدير مايصنع فرعون الخ وقيل كان زايد كما ذكر وما موصولة اسميّة والعائد محذوف تقديره
ودمّرنا الذى يصنعه فرعون الخ اى صنعه والعدول الى صيغة المضارع على هذين القولين لاستحضار
الصورة **وماكانوا يعرشون** من الجنّات او ماكانوا يرفعونه من البنيان كصرح هامان وقرئ
يعرشون بضمّ الرّاء والكسر افصح وهذا اخر قصّة فرعون وقومه وقوله عزّوجل **وجاوزنا ببني اسرائيل
البحر** شروع في قصّة بني اسرائيل وشرح ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله عزّوجل
من ملكة فرعون وقومه ومنّ عليهم من النّعم العظام الموجبة للشكر واراهم من الايات الكبار ماتخرّ
له صمّ الجبال تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايقاظا للمؤمنين حتّى لايغفلوا عن محاسبة
انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوز بمعنى جاز وقرئ جوّز بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز فعدّى بالباء
اى قطعناهم البحر روى انه عبّر بهم موسى عليه السّلام يوم عاشوراء بعد ما اهلك الله تعالى فرعون
فصاموا شكرا لله عزّوجل **فاتوا** اى مرّوا **على قوم** قيل كانوا من لخم وقيل من العمالقة الكنعانيين
الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم **يعكفون على اصنام لهم** اى يواظبون على عبادتها ويلازمونها
وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اوّل شان العجل **قالوا** عند ماشاهدوا
احوالهم **ياموسى اجعل لنا الها** مثالا نعبده **كما لهم الهة** الكاف متعلّق بمحذوف وقع صفة لالها
وما موصولة ولهم صلتها والهة بدل من ما والتقدير اجعل لنا الها كائنا كالّذى استقرّ هو لهم
قال انّكم قوم تجهلون تعجّب عليه السلام من قولهم هذا اثر ماشاهدوا من الاية الكبرى والمعجزة
العظمى فوصفهم بالجهل المطلق اذ لاجهل اعظم ممّا ظهر منهم واكّده بقوله **انّ هؤلاء** يعنى القوم الّذين
يعبدون تلك التماثيل **متبّر** اى مدمّر مكسّر **ماهم فيه** اى من الدين الباطلة اى يتبّر الله تعالى
ويهدم دينهم الذى هم عليه عن قريب ويحطّم اصنامهم ويتركها رضاضا وانّما جئ بالجملة الاسميّة
للدّلالة على التحقّق **وباطل** اى مضمحلّ بالكلّيّة **ماكانوا يعملون** من عبادتها وان كان قصدهم بذلك
التقرّب الى الله تعالى فانه كفر محض ولهذا هذا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ماعملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا كما توهم فانّ المراد به اعمال البرّ الّتي عملوها في الجاهليّة فانّها في انفسها حسنات لو قارنت

الايمان لاستتبعت اجورها وانّما بطلت لمقارنتها الكفر وفى ايقاع هؤلاء اسما لانّ وتقديم الخبر من
الجملة الواقعة خبرالها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعترضون للتبار وانه لايعدوهم البتة وانّه
لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ماطلبوا ويبغضها احبّوا قال اغير الله ابغيكم الهًا شروع فى بيان
شؤن الله تعالى الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ماطلبوا عبادته مما لايمكن طلبه
اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك وسّط بينهما قال مع كون كلّ منهما كلام موسى عليه السّلام والاستفهام
للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغىّ غيره تعالى
لما انّه لاختصاص الانكار بغيره تعالى دون انكار الاختصاص بغيره تعالى وانتصاب غير على انّه
مفعول ابغى بحذف اللام اى ابغى لكم اى اطلب لكم غير الله تعالى والها اما تميز او حال او على الحاليّة
من الها وهو المفعول لابغى على ان الاصل ابغى لكم الهًا غير الله فغير الله صفة لالها فلما قدّمت صفة
النّكرة انتصب حالا وهو فضّلكم على العالمين اى والحال انّه تعالى خصّكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه
على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا تخصيص الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقّوه
تفضّلا بان عمدوا الى اخير شئ من مخلوقاته تعالى فجعلوه شريكا له تعالى تبا لهم ولما يعبدون
واذ انجيناكم تذكير لهم من جهته سبحانه نعمة الانجاء من ملكة فرعون وقرئ نجينا من التنجيه وقرئ
انجاكم فيكون مسوقا من جهته موسى اى واذكروا وقت انجائنا اياكم من ال فرعون من ملكتهم
لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم فى المكنة والقدرة بل باهلاكهم بالكليّة وقوله تعالى يسومونكم
سوء العذاب من سامه خسفا اى ولاه اياه او كلّفوه اياه وهو اما استيناف لبيان ما انجاهم
عنه او حال من المخاطبين او من ال فرعون او منهما معًا لاشتماله على ضمير بهما وقوله تعالى يقتّلون
ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبيّن او مفسّر له وفى ذلكم الانجاء او سوء
العذاب بلاء اى نعمة او محنة من ربّكم من مالك امركم فان النّعمة والنقمة كلاهما منه سبحانه
وتعالى عظيم لايقادر قدره وواعدنا موسى ثلثين ليلة روى ان موسى عم وعد بنى اسرائيل
وهم بمصر ان اهلك الله تعالى عدوّهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما اهلك فرعون
سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلثين وهو شهر ذى القعدة فلما اتم الثّلثين انكر خلوف فيه
فتسوك فقالت الملئكة كنا نشتم من فيك رايحة المسك فافسدته السواك وقيل اوحى الله تعالى
اليه اما علمت ان ريح فم الصّايم اطيب عندى من ريح المسك فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة
ايّام من ذى الحجة لذلك وذلك قوله تعالى واتممناها بعشر والتعبير عنها بالليالى لانها غرر
الشهور وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله تعالى ثم انزلت
عليه التورية فى العشر وكلم فيها وقد اجمل ذكر الاربعين فى سورة البقرة وفصّل ههنا وواعدنا بمعنى
وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصّيغة على بابها بناء على تنزيل قبول موسى عليه السّلام منزلة الوعد
وثلثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف اى اتمام ثلثين ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة

اى

اى بالغا اربعين وقال موسى لاخيه هرون حين توجّه الى المناجات حسبما امر به اخلفنى اى كن
خليفتى فى قومى وراقبهم فيما ياتون وما يذرون واصلح ما يحتاج الى الاصلاح من امورهم او كن
مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اى لاتتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه ولما جاء موسى
لميقاتنا لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص اى اختصّ مجيئه لميقاتنا وكلّمه ربه من غير واسطة
كما يكلم الملئكة عليهم السّلام وفيما روى انه عليه السلام كان يسمع ذلك من كل جهة تنبيه على
ان سماع كلامه عزّ وجل ليس من جنس سماع كلام المحدثين قال ربّ ارنى انظر اليك اى ارنى
ذاتك بان تمكننى من رؤيتك او تتجلّى لى فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى
جايزة فى الجملة لما ان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء لاسيما ما يقتضى الجهل لشؤن الله عزّ وجل
ولذلك رده بقوله لن ترانى دون لن أُرى ولن اريك ولن تنظر الىّ تنبيهًا على انه قاصر عن
رؤيته لتوقفها على معدّ فى الراى ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السّؤال لتبكيت قومه الذين
قالوا ارنا الله جهرة خطاء اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل
ذلك حين قالوا اجعل لنا الها وان لا تتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال
بالجواب على استحالتها اشدّ خطاء اذ لا يدل الاخبار لعدم رؤيته اياه على انه لايراه غيره اصلا فضلا
عن ان تدل على استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة او جهل لحقيقة الرّؤية قال استيناف مبنىّ على
سوال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قال رب العزة حين قال موسى عليه السّلام قال فقيل قال
لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقرّ مكانه فسوف ترانى استدراك لبيان انه
لايطيق بها وفى تعليقها باستقرار الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة المعلّق بالممكن ممكن والجبل
قيل هو جبل اردن فلما تجلّى ربه للجبل اى ظهرت له عظمته وتصدّى له اقتداره وامره وقيل
اعطى الجبل حيات ورؤية حتى راه جعله دكّا مدكوكا مفتتا والدّك والدّق اخوان كالشك
والشق وقرئ دكّاء اى ارضا مستوية ومنه ناقة دكا للتى لاسنام لها وقرئ دكا جمع دكا اى قطعًا
وخرّ موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راه فلما افاق الافاقة رجوع العقل والفهم الى الانسان
بعد ذهابهما بسبب من الاسباب قال تعظيمًا لما شاهده سبحانك اى تنزيها لك من ان اسالك
شيئا بغير اذن منك تبت اليك اى من الجراءة والاقدام على السّؤال بغير اذن وانا اول
المؤمنين اى بعظمتك وجلالك وقيل اوّل من امن بانك لاترى فى الدنيا وقيل بانه لايجوز
السّؤال بغير اذن منك قال يا موسى استيناف مسوق لتسليته عليه السّلام من عدم الاجابة
الى سؤال الرّؤية كانه قيل ان منعتك الرّؤية فقد اعطيتك من النعم العظام ما لم اعط احدا من
العالمين فاغتنمها وساير على شكرها انّى اصطفيتك اى اخترتك واتخذتك صفوة واثرتك
على النّاس اى المعاصرين لك وهرون وان كان نبيّا كان مامورا باتباعه وما كان كليما ولا صاحب
شرع برسالاتى اى باسفار التّورية وقرئ برسالتى وبكلامى وبتكلّمى اياك بغير واسطة فخذ

ما اتيتك اى اعطيتك من شرف النبوّة والحكمة وكن من الشاكرين على ما اعطيت من جلائل النعم
قيل كان سؤال الرّؤية يوم عرفة واعطاء التورية يوم النحر وكتبنا له فى الالواح من كلّ شيءٍ
اى ممّا يحتاجون اليه من امور دينهم موعظة وتفصيلا لكلّ شيءٍ بدل من الجار والمجرور اى كتبنا
له كلّ شئ من المواعظة وتفصيل الاحكام واختلف فى عدد الالواح وفى جوهرها ومقدارها فقيل
انّها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرّد جاء بها جبرئيل عليه
السّلام وقيل زبرجدة خضراء او ياقوتة حمراء وقيل امر الله تعالى موسى بقطعها من صخرة صمّاء
ليّنها له فقطعها بيده وسمعها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السّماء فيها التورية
وان طولها كان عشرة اذرع وقيل انزلت التورية وهى سبعون وقر بعد نقراء الجزء فى سنة لم
يقراها الّا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير عليهم السلام وعن مقاتل كتب فى الالواح انّى انا الله
الرّحمن الرّحيم لا تشركوا بى شيئا ولا تقطعوا السّبيل ولا تزنوا ولا تعقّوا الوالدين فخذها على اضمار
قول معطوف على كتبنا اى فقلنا خذها بقوّة بجدّ وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ
ما اتيتك والضمير للالواح او لكلّ شئ لانه بمعنى الاشياء او للرّسالة او للتورية وامر قومك
ياخذوا باحسنها اى باحسن ما فيها كالعفو والصّبر على طريقة النّدب والحث على اختيار الافضل
كما فى قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربّكم او بواجباتها فانّها احسن من المباح وقيل المعنى
ياخذوا بها واحسن صلة قال قطرب اى بحسنها وكلّها حسن كقوله تعالى ولذكر الله اكبر وقيل
هو ان تحمل الكلمة المحتملة لمعنيين او لمعان على اشبه محتملاتها بالحق واقربها الى الصّواب ساريكم
دار الفاسقين تلوين للخطاب وتوجيه له الى قومه عليه السلام بطريق الالتفات حملا لهم على الجد
فى الامتثال بما امروا به اما على نهج الوعيد والتّرهيب على ان المراد بدار الفاسقين ارض مصر وديار
عاد وثمود واضرابهم فان رؤيتها وهى خالية عن اهلها خاوية على عروشها موجب للاعتبار والانزجار
عن مثل اعمال اهلها كيلا يحل بهم ما حل باولئك واما على نهج الوعد والترغيب على ان المراد بدار
الفاسقين امّا ارض مصر خاصّة او مع ارض الجبابرة والعمالقة بالشام فانها ايضا مما انجح لبنى اسرائيل
وكتب لهم حسبما ينطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ومعنى الاراءة
والادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة من قرا سا ورثكم بالثاء المثلثة كما فى قوله تعالى واورثنا
القوم الّذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ساريكم ولعله من اريت
الزند اى سابينها لكم وقوله تعالى ساصرف عن اياتى الّذين يتكبّرون فى الارض استيناف مسوق
لتحذيرهم عن التّكبر الموجب لعدم التفكر فى الايات التى هى ما كتب فى الواح التورية من المواعظ
والاحكام او ما يعمّها وغيرها من الايات التكوينية التى من جملتها ما وعد اراءته من دار الفاسقين
ومعنى صرفهم عنها الطبع على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم
على ما هم عليه من التكبر والتجبّر كقوله تعالى فلمّا زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور

على المفعول

على المفعول الصّريح لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان فى المؤخر نوع طول يخل تقديمه
بتجاوب اطراف النّظم الجليل اى ساطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق
مزية وفضلا فلا ينتفعون باياتى التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا تسلكوا مسلكهم
لتكونوا امثالهم وقيل المعنى ساصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون فى ابطال ما راٰه
من الايات فابى الله الا احقاق الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فالانسب ان يراد بدار الفاسقين
ارض الجبابرة والعمالقة المشهورون بالفسق والتكبّر فى الارض وبراتها للمخاطبين ادخالهم الشّام و
اسكانهم فى مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله
لكم ويكون قوله ساصرف عن اياتى الخ جوابا عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بادخال الشام على ان
المراد سؤال مقدر بالايات ما تلى انفا ونظايره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها
بوقوع اخبارها وظهور احكامها واثارها باهلاكهم على يد موسى عليه السلام حين سار بعد التيه
بمن بقى من بنى اسرائيل او بذرياتهم على اختلاف الرّوايتين الى اريحا ويوشع بن نون فى مقدمته ففتحها
واستقر بنى اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها كانه قيل كيف يرون دارهم وهم فيها فقيل
ساهلكهم وانّما عدل الى الصّرف ليزداد وثوقهم بالايات واطمئنانهم بها وقوله تعالى بغير الحقّ
امّا صلة للتكبّر اى يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق بمحذوف وهو
حال من فاعله اى يتكبرون داخل معه فى حكم الصّلة والمراد بالاية اما المنزلة فالمراد برؤيتها مشاهدتها
بسماعها او ما يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسّماع والابصار
اى وان يشاهدوا كلّ اية من الايات لا يؤمنوا على عموم النفى لا على نفى العموم اى كفروا بكل واحدة
منها لعدم اجتلائهم اياها كما هى وهذا كما ترى يؤيد كون الصّرف بمعنى الطّبع وقوله تعالى وان يروا
سبيل الرّشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله داخل فى حكمه اى لا يتوجّهون الى الحق ولا يسلكون
سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف والزّيغ وقرئ بفتحتين وقرئ
الرّشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغىّ يتّخذوه سبيلا اى يختارونه
لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه بهم الى شهواتهم
ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشئ من الايات واعراضهم عن سبيل الرشد واقبالهم
التام الى سبيل الغى وهو مبتداء خبره قوله تعالى بانّهم اى حاصل بسبب انهم كذّبوا باياتنا
الدالة على بطلان ما اتصفوا به من القبايح وعلى حقية اضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون
فيها والا لما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصّرف ولا يمنعه الاشعار
بعلية ما فى حيز الصّلة كيف لا وقد مرّ ان ذلك فى قوله تعالى ذلك بما عصوا الاية يجوز ان يكون
اشارة الى ضرب الذّلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بايات الله
صريحا وقيل محل اسم الاشارة النّصب على المصدر اى ساصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم

ملتبسين بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها عطف على يتكبرون ع

بآياتنا وغفلتهم عنها **والذين كذّبوا بآياتنا ولقاء الآخرة** اى وبلقائهم الدّار الآخرة او لقائهم ما وعد الله تعالى
فى الآخرة من الجزاء ومحل الموصول الرّفع على الابتداء او قوله تعالى **حبطت اعمالهم** خبره اى ظهر بطلان
اعمالهم التى كانوا عملوها من صلة الارحام واعانة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعد ما كانت مرجوة
النّفع على تقدير ايمانهم بها **هل يجزون** اى لا يجزون **الّا ما كانوا يعملون** اى الاجزاء ما كانوا يعملونه
من الكفر والمعاصى **واتّخذ قوم موسى من بعده** اى ومن بعد ذهابه الى الطّور **من حليّهم** متعلّق باتّخذ
كالجار الاوّل لاختلاف معنيهما فان الاوّل للابتداء والثانى للتّبعيض او للبيان او الثانى متعلق
بمحذوف وقع حالا من بعده اذ لو تاخّر لكان صفة له واضافة الحلىّ اليهم مع انّها كانت للقبط لادنى الملابسة
حيث كانوا استعاروها من اربابها قبيل الغرق فبقيت فى ايديهم واما انّهم ملكوها بعد الغرق فذلك
منوط بملك بنى اسرائيل غنايم القبط وهم مستامنون فيما بينهم فلا يساعده قولهم اوزارا من زينة القوم
والحلى بضم الحاء وكسر اللام جمع حلى كثدى وثدى وقرئ بكسر الحاء وبالاتباع كدلى وقرئ حليهم على الافراد وقوله
تعالى **عجلا** مفعول اتخذ اخر عن المجرور لما مرّ من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع
طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقيل هو متعدّ الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثانى
محذوف اى الها وقوله تعالى **جسدًا** بدل من عجلا اى جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه
وقوله تعالى **له خوار** اى صوت بقر وقرئ بالجيم والهمزة وهو الصّياح نعت لعجلا روى انّ السّامرىّ
لمّا صاغ العجل القى فى فمه ترابا من اثر فرس جبرائيل عم وقد كان اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى
الطّور فصار حيّا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل الرّيح فى جوفه فيصوّت والانسب بما فى سورة طه
هو الاوّل وانّما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانّه واحد منهم واما لانّه رضوا به فكانّهم فعلوه واما لانّ
المراد بالاتخاذ اتخاذهم ايّاه الها لا صنعه واحداثه **الم يروا انّه لا يكلّمهم** استيناف مسوق لتقريعهم
وتشنيعهم وركاكة عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا عليه من المنكر الذى هو اتخاذه الها اى الم يروا
انّه ليس فيه شئ من احكام الالوهيّة حيث لا يكلّمهم **ولا يهديهم سبيلا** بوجه من الوجوه فكيف
اتخذوه الها وقوله تعالى **اتّخذوه** اى فعلوا ذلك **وكانوا ظالمين** اى واضعين للاشياء فى غير
موضعها فلم يكن هذا اوّل منكر فعلوه والجملة اعتراض تذييلى وتكرير اتخذوه لمبد التشنيع وترتيب
الاعراض عليه **ولمّا سقط فى ايديهم** اى ندموا على ما فعلوا غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النّادم
المتحسر يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها فاليد
حقيقة وقال الزّجاج معناه سقط الندم على انفسهم امّا بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل
ورأوا انهم قد ضلّوا باتخاذ العجل اى تبيّنوا بحيث تيقنّوا بذلك حتى كانّهم رأوه باعينهم وتقديم ذكر
ندمهم على هذه الرّؤية مع كونه متاخّرا عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كانه سابق على الرّؤية
قالوا والله **لئن لم يرحمنا ربّنا** بانزال التّوبة المكفّرة **ويغفر لنا** ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم
الرحمة على المغفرة مع ان التخلية حقها ان تقدم على التحلية اما للمسارعة الى ما هو المقصود الاصلى واما

لان

لان المراد بالرحمة مطلق ارادة الخير بهم وهو مبدأ الانزال التوبة المكفّرة لذنوبهم واللام فى لئن موطئة
للقسم كما اشير اليه وفى قوله تعالى **لنكوننّ من الخاسرين** لجواب القسم وما حكى عنهم من النّدامة والرّؤية
والقول وان كان بعد ما رجع موسى عليه السّلام اليهم كما ينطق به الآيات الواردة فى سورة طه لكن
اريد بتقديمه عليه حكاية ما صدر عنهم من القول والفعل فى موضع واحد **ولمّا رجع موسى الى قومه**
شروع فى بيان ما جرى من موسى عليه السّلام بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده
وقوله تعالى **غضبان اسفًا** حالان من موسى عليه السّلام او الثانى من المستكن فى غضبان والاسف
الشديد الغضب وقيل الحزين **قال بئسما خلفتمونى من بعدى** اى بئسما فعلتم من بعد غيبتى حيث عبدتم
العجل بعد ما رايتم فعلى من توحيد الله تعالى ونفى الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من حملكم على
ذلك وكفكم عما طمحت نحوه ابصاركم حيث قلتم اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة
المستخلف فالخطاب للعبدة من السامرى واشياعه او بئسما قمتم مقامى ولم تراعوا عهدى حيث لم تكفوا
العبدة عما فعلوا فالخطاب لهرون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى قال يا هرون ما منعك
اذ رايتهم ضلوا ان لا تتبعنى افعصيت امرى ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخليفة ما يعم
الامرين المذكورين وما نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف
تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم **اعجلتم امر ربّكم** اى تركتموه غير تام على تضمين
عجل معنى سبق يقال عجل من الامر اذا تركه غير تام او اعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقدّرتم
موتى وغيرتم بعدى كما غيرت الامم بعد انبيائهم **والقى الالواح** طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر
حمية للدين روى ان التورية كانت سبعة اسباع فى سبعة الالواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة
اسباعها التى كان فيها تفصيل كل شئ وبقى سبع كان فيه المواعظ والاحكام **واخذ براس اخيه** بشعر
راسه عليهما السلام **يجرّه اليه** حال من ضمير اخذ فعله عم توهما انّه قصّر فى كفهم وهرون كان اكبر
منه عليهما السّلام بثلاث سنين وكان حمولا ولذلك كان احب الى بنى اسرائيل **قال** اى هرون
مخاطبًا لموسى عليهما السّلام **ابن امّ** بحذف حرف النداء وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما
ان حق الام اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدايد وقرئ
بكسر الميم باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف او لتشبيهه
بخمسة عشر **انّ القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى** ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت
جهدى فى كفهم حتى قهرونى واستضعفونى وقاربوا قتلى **فلا تشمت بى الاعداء** اى فلا تفعل لى ما يكون
مسببا لشماتتهم لى **ولا تجعلنى مع القوم الظالمين** اى معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة او النسبة الى التقصير
وهذا يؤيد كون الخطاب للكل ولا تعتقد انى واحد مع الظالمين مع برائتى منهم ومن ظلمهم **قال** استيناف
مبنى على سؤال نشأ من حكاية اعتذاره كانه قيل فماذا قال موسى عم عند ذلك فقيل قال **ربّ
اغفر لى** اى ما فعلت باخى من غير ذنب مقرر من قبله **ولاخى** اى فرط منه تقصير ما فى كفهم عما فعلوه

من العظمة استغفر عم لنفسه ليرضي اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا يتم شماتتهم به ولاخيه للايذان
بانه محتاج الى الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام بعد
غفران ما سلف منا وانت ارحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا
والاخرة والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اى تموا على اتخاذه واستمروا على
عبادته كالسامري واشياعه من الذين اشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثاني عبارة
عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول الاول عبارة عن المصرين سينالهم اى في الاخرة
غضب اى عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات لما ان جريمتهم اعظم الجرايم واقبح الجرائر
وقوله تعالى من ربهم اى مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين
من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى كائن من ربهم وذلة في الحيوة الدنيا هي ذلة الاغتراب
التي تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم وهم جميعا والذلة التي اختص بها السامري
من الانفراد عن الناس والابتلاء بالامساس يروى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك واذا مس احدهم
احد غيرهم حما جميعا في الوقت وايراد ما نالهم في حيز السين مع مضيه بطريق تغليب حال الاخلاف
على الاسلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب ما امروا به من قتل انفسهم واعتذر عن السين
بان ذلك حكاية عما اخبر الله تعالى به موسى حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل بانه سينالهم
غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب وانت خبير بان سباق النظم الكريم وسياقه
لا يبان عن ذلك بنوا ظاهرا كيف لا وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين ينادي على خلافه
فانهم شهداء تائبون فكيف يمكن وصفهم بعد ذلك بالافتراء وايضا ليس يجزي الله كل المفترين
بهذا الجزاء الذين ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم المعاصرون لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فان تعبير الابناء بافاعيل الاباء مشهور معروف منه قوله تعالى واذ قتلتم
نفسا الاية وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى الاية والمراد بالغضب الغضب الاخروي وبالذلة ما اصابهم
من القتل والاجلاء وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في
ينالهم اخلافهم ولا ريب في ان توسيط حال هؤلاء في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل
الفصل بين الشجر ولحائه والذين عملوا السيئات اى سيئة كانت ثم تابوا عن تلك السيئات من
بعدها اى من بعد عملها وامنوا ايمانا صحيحا خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضيات من الاعمال
الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة الاولى ان ربك من بعدها اى من بعد تلك التوبة المقرونة
بالايمان لغفور للذنوب وان عظمت وكثرت رحيم مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية
والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف ولما سكت
عن موسى الغضب شروع في بيان بقية الحكاية اثر ما بين تحزب القوم الى مقر وتائب والاشارة
الى مآل كل منهما اجمالا اى لما سكن عنه الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم وهذا صريح في ان ما حكي

عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان مجيء موسى عم وفي هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل
الغضب الحامل له عم على ما صدر عنه من الفعل والقول منزلة الامر بذلك المغري بالتحكم والتشديد
والتعبير عن سكونه بالسكوت ما لا يخفى وقرئ اسكن وسكت واسكت على ان الفاعل هو الله تعالى
او اخوه او التائبون اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها اى فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى
مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها اى من الالواح المنكسرة هدى اى بيان للحق ورحمة للخلق بارشادهم
اى ما فيه الخير والصلاح للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة
اى كائنة لهم او هي لام الاجل اى هدى ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله
تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون او هي ايضا لام العلة والمفعول محذوف اى يرهبون المعاصي لاجل
ربهم لا للرياء والسمعة واختار موسى قومه شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها و
اختار يتعدى الى اثنين ثانيهما مجرور بمن اى اختار من قومه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور
كما في قوله اخترتك الناس او رثت خلائقهم واعتل من كان يرجى عنده السؤال اى اخترتك من
الناس سبعين رجلا مفعول اول لاختار اخر عن الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق
الى المؤخر لميقاتنا الذي وقتناه بعد ما وقع من قومه لا لميقات الكلام الذي ذكر قبل ذلك
كما قيل قال السدي امره الله تعالى بان يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه تعالى من
عبادة العجل ووعدهم موعدا فاختار من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحق اختارهم ليتوبوا
اليه تعالى مما صنعوا ويسألوه التوبة على من تركوهم وراءهم من قومهم قالوا اختار عم من كل سبط
ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال عم ان لمن قعد مثل اجر من خرج
فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم
الى طور سيناء فلما دنوا من الجبل غشيته غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى يكلم
موسى يامره وينهاه حسبما شاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة مما اجترءوا عليه
من طلب الرؤية فانه يروى انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عم وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة فاخذتهم الرجفة اى الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اى ماتوا ولعلهم ارادوا بقولهم
لن نؤمن لك لن نصدقك في ان الامر بما سمعنا من الامر بقتل انفسهم هو الله تعالى حتى نراه حيث قاسوا
رؤيته تعالى على سماع كلامه قياسا فاسدا فحين شاهد موسى عم تلك الحالة الهائلة قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل اى حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا
اصرارهم عليها واياي ايضا حين طلبت منك الرؤية اى لو شئت اهلاكنا بذنوبنا اهلكتنا اراد
به عم تذكير العفو السابق لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يربط
القيد ويستجلب المزيد يعني انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من موانعه الا عدم مشيئتك اياه
فحيث لطفت بنا وعفوت عنا تلك الجرايم فلا غرو في ان تعفو عن هذه الجريمة ايضا وحمل الكلام

على التمنى باباه قوله تعالى انهلكنا بما فعل السفهاء منا اى الذين لا يعلمون تفاصيل شؤنك ولا يتشبثون
فى المداحض والهمزة اما لانكار وقوع الانكار ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانبارى او
للاستعطاف كما قاله المبرد اى لا تهلكنا ان هى الا فتنتك استيناف مقرر لما قبله واعتذار عما
صنعوا ببيان منشأ غلطهم اى ما الفتنة التى وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة
الا فتنتك اى محنتك وابتلاؤك حيث اسمعتهم كلامك فافتتنوا بذلك ولم يتثبتوا فطمعوا فيما فوق
ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله تعالى تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء استيناف مبين
لحكم الفتنة او حال من فتنتك اى حال كونها مضلا بها الخ اى تضل بسببها من تشاء اضلاله فلا
يهتدى الى الثبت وتهدى من تشاء هدايته الى الحق فلا يتزلزل فى امثالها فيقوى بها ايمانه انت
ولينا اى القايم بامورنا الدنيوية والاخروية وناصرنا وحافظنا لا غيرك فاغفر لنا ما فارقناه
من المعاصى والفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية كانه قيل فمن شان الولى المغفرة والرحمة
وسل ان اقدامه عم على ان يقول ان هى الا فتنتك الخ جزاء عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانها
والتجاوز عنها وارحمنا بافاضة اثار الرحمة الدنيوية والاخروية علينا وانت خير الغافرين اعتراض
تذييلى مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر لانها الاهم بحسب المقام واكتب لنا اى
عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت فى هذه الدنيا حسنة اى نعمة وعافية او خصلة حسنة قال ابن
عباس اقبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة وفى الآخرة اى واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهى
المثوبة الحسنى والجنة انا هدنا اليك اى تبنا وانبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء
من هاد يهيد اذا حرك وامالة ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى املنا انفسنا او املنا
اليك ويجوز ان تكون القراءة المشهورة على بناء المفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها
لغة ضعيفة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل والجملة استيناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما توجب
قبوله بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة فى التوبة والمعنى
انا تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التى جئناك للاعتذار عنها وعما وقع منا من طلب
الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا جميعا
فاخذ موسى عليه السلام يتضرع الى الله تعالى حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم
واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه السلام فبكى فكشفها الله تعالى عنهم قال استيناف وقع جوابا
عن سؤال مقدر ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عم فقيل قال
عذابى اصيب به من اشاء لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم ضمن موسى عم
دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة اى خصلة حسنة عارية عن المشقة
والشدة فان فى قتل انفسهم من العذاب والتشديد ما لا يخفى فاجاب تعالى بان عذابى شانه ان
اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيرى فيه وهم مما تناوله مشيئتى ولذلك جعلت توبتهم

مشوبة بالعذاب الدنيوى ورحمتى وسعت كل شئ اى شانها ان تسع فى الدنيا المؤمن والكافر
بل كل ما يدخل تحت الشيئية من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها فى ضمن العذاب الدنيوى
وفى نسبة الاصابة الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة المضارع ونسبة السعة
الى الرحمة بصيغة الماضى ايذان بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فبمقتضى معاصى العباد والمشية
معتبرة فى جانب الرحمة ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الاترى الى قوله فساكتبها
اى اثبتها واعينها فانه متفرع على اعتبار المشية كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اى كما ذكر من اصابة
عذابى وسعة رحمتى لكل من اشاء فساكتبها كتبة كائنة كما دعوت بقولك واكتب لنا فى هذه الخ
اى ساكتبها خالصة غير مشوبة بالعذاب الدنيوى للذين يتقون اى الكفر والمعاصى اما ابتداء او
بعد ملابستهما وفيه تعريض بقومه كانه قيل لا لقومك لانهم غير متقين فيكفيهم ما قدر لهم من
الرحمة وان كانت مقارنة للعذاب الدنيوى ويؤتون الزكوة وفيه ايضا تعريض بهم حيث كانت
الزكوة شاقة ولعل الصلوة انما لم تذكر مع انافتها على ساير العبادات اكتفاء منها بالاتقاء الذى هو
عبارة عن فعل الواجبات باسرها وترك المنكرات عن اخرها وايراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض
والذين هم باياتنا جميعا يؤمنون ايمانا مستمرا من غير اخلال بشئ منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم
بالايات العظام التى جاء بها موسى عم وبما سيجئ بعد ذلك من الايات البينات كتظليل الغمام
وانزال المن والسلوى وغير ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول
الاول دون ان يقال ويؤمنون باياتنا عطفا على يؤتون الزكوة كما عطف هو على يتقون لما اشير
اليه من القصر بتقديم الجار والمجرور اى هم بجميع اياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين
يتبعون الرسول الذى نوحى اليه كتابا مختصا به النبى اى صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة
بالنسبة الى الامة الامى بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على حالته التى ولد عليها من امه او الى
امة العرب كما قال عليه السلام انا امة لا نحسب ولا نكتب او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اى الذى
لم يمارس القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والآخرين والموصول بدل من الموصول
الاول بدل الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه اعنى الذين او هم الذين واما جعله مبتدا
على ان خبره يامرون واولئك هم المفلحون فغير سديد الذى يجدونه مكتوبا باسمه ونعته بحيث لا
يشكون انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه مكتوبا عندهم زيد هذا الزيادة
التقرير وان شانه عليه السلام حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا فى التورية والانجيل الذين تعبد
بهما بنوا اسرائيل سابقا ولاحقا والظرفان متعلقان بيجدونه او بمكتوبا وذكر الانجيل قبل نزوله
من قبيل ما نحن فيه من ذكر النبى عليه السلام والقرآن الكريم قبل مجيئهما يامرهم بالمعروف وينهيهم
عن المنكر كلام مستانف لا محل له من الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل بعض احكام الرحمة التى
وعد فيما سبق بكتبها اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واحلال الطيبات

وتحريم الخبائث واسقاط التكاليف الشاقة وكلها من اثار رحمته الواسعة وقيل فى محل النصب على انه
حال مقدرة من مفعول يجدونه او من النبى او من المستكن فى مكتوبا او مفسر المكتوبا اى لما كتب
ويحل لهم الطيبات التى حرمت عليهم بشوم ظلمهم **ويحرم عليهم الخبائث** كالدم ولحم الخنزير
والربا والرشوة **ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم** اى يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف
الشاقة التى هى من قبيل ما كتب عليهم ح من كون التوبة بقتل النفس كتعيين القصاص فى العمد
والخطاء من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق
الغنايم وتحريم السبت وعن عطاء انه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح وغلوا ايديهم
الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه
على العبادة وقرئ اصارهم اصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه من الحراك **فالذين امنوا به**
تعليم لكيفية اتباعه وبيان لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة فى الدارين اثر بيان نعوته
الجليلة والاشارة الى ارشاده عليه السلام اياهم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر واحلال
الطيبات وتحريم الخبائث اى فالذين امنوا بنبوته واطاعوه فى اوامره ونواهيه **وعزروه** اى عظموه
ووقروه واعانوه بمنع اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير **ونصروه** على اعدائه
فى الدين **واتبعوا النور الذى انزل معه** اى مع نبوته وهو القران عبر بالنور المنبئ عن كونه
ظاهرا بنفسه ومظهرا لغيره او مظهر الحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون معه
متعلقا باتبعوا اى واتبعوا القران المنزل مع اتباعه عم بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا
القران مصاحبين له فى اتباعه **اولئك** اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من
الصفات الفاضلة للاشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم
وسمو طبقتهم فى الفضل والشرف اى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة **هم المفلحون**
اى هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن المكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عليه السلم
دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما فى توبتهم من المشقة الهائلة وبه يتحقق التحقيق ويتاتى التوفيق
والتطبيق بين دعائه عم وبين الجواب لا لمجرد ما قيل من انه لما دعى لنفسه ولبنى اسرائيل اجيب
بما هو منطو على توبيخ بنى اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم بآياته العظام
التى اجراها على يد موسى عم وعرض بذلك فى قوله تعالى والذين هم بآياتنا يؤمنون واريد
ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كعبد الله
بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا فى اخلاص الايمان والعمل الصالح **قل يا ايها
الناس انى رسول الله اليكم** لما حكى ما فى الكتابين من نعوت رسول الله صم وشرف من يتبعه من
اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين امر عليه السلام ببيان ان تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة
لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة ساير الرسل عليهم السلام

باقوامهم

باقوامهم وارسال موسى عليه السلام الى فرعون وملائه بالايات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب
العالمين عز سلطانه وترك العظيمة التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بنى
اسرائيل من الاسر والقسر واما العمل باحكام التورية فمختص ببنى اسرائيل **جميعا** حال من الضمير فى اليكم
الذى له ملك السموات والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة
والاصل بينهما بما هو متعلق بما اضيف اليه فانه فى حكم المتقدم عليه وقوله تعالى **لا اله الا هو**
بيان لما هو فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وقوله تعالى **يحيى ويميت** لزيادة تقرير
الالوهية والفاء فى قوله تعالى **فامنوا بالله ورسوله** لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته
عليه السلم وايراد نفسه عليه السلام بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات الى الغيبة للمبالغة فى
ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول بقوله **النبى الامى** لمدحه عم بهما ولزيادة تقرير
امره وتحقيق انه المكتوب فى الكتابين ووصفه بقوله تعالى **الذى يؤمن بالله وكلماته** اى ما انزل
اليه والى ساير الرسل عليهم السلام من كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امر وابه
والتصريح بايمانه بالله تعالى للتنبيه على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق
الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القران تنبيها على ان المامور به هو الايمان به عم من حيث
انزل عليه القران من جهة اخرى وعلى ان المراد بها عيسى عليه السلام تعريضا باليهود وتنبيها
على ان من لم يؤمن به لم يعتد بايمانه **واتبعوه** اى فى كل ما ياتى وما يذر من امور الدين **لعلكم
تهتدون** علة للفعلين او حال من فاعليهما اى رجاء لاهتدائكم الى المطلوب او راجين له وفى تعليقه
بهما ايذان بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته فهو بمعزل من الاهتداء مستمر
على الغى والضلالة **ومن قوم موسى** كلام مبتداء لدفع ما عسى يوهم تخصيص كتب الرحمة والتقوى
والايمان بالايات بمتبعى رسول الله عم من حرمان اسلاف قوم موسى عم من كل خير وبيان ان
كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم بل منهم **امة يهدون** اى الناس **بالحق** اى ملتبسين به او يهدونهم
بكلمة الحق **وبه** اى بالحق **يعدلون** اى فى الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة المضارع فى الفعلين
لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين امنوا بالنبى عليه السلام ويأباه انه قدم ذكرهم فيما سلف وقيل
ان بنى اسرائيل لما بالغوا فى العتو والطغيان حتى اجترؤا على قتل الانبياء عليهم السلام تبرأ سبط منهم
مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اولئك الطاغين ففتح الله تعالى لهم
نفقا فى الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء
مسلمون يستقبلون قبلتنا وقد ذكر عن النبى عم ذهب به ليلة الاسرا نحوهم فكلمهم فقال جبرئيل
هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبى الامى فامنوا وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا
من ادرك منكم احمد فليقرأ منى عليه السلام فرد محمد على موسى السلام ثم اقرأهم عشر سور من القران
نزلت بمكة ولم يكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلوة والصلوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون

فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت خبير بان تخصيصهم بالهداية من بين قومه ع م مع ان منهم من امن بجميع
الشرايع لايخلوا عن بعد **وقطعناهم** اى قوم موسى لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى
اثنتى عشرة ثانى مفعولى قطع لتضمنه معنى التصيير والتانيث للحمل على الامة او القطعة اى ميزناهم اثنتى
عشرة امة او قطعة متميزا بعضها من بعض او حال من مفعوله اى فرقناهم معدودين هذا العدد وقوله
تعالى **اسباطا** بدل منه ولذلك جمع او مميز له على ان كل واحدة من اثنتى عشرة قطعة اسباط لا سبط و
قرئ عشرة بكسر الشين وقوله تعالى **امما** على الاول بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثانى بدل من اسباطا
واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه حين استولى عليهم العطش فى التيه الذى وقعوا فيه بسوء صنيعهم
لا بحجر دو استسقائهم اياه عليه الصلوة والسلام بل استسقاؤه ع م لهم لقوله تعالى **ان اضرب بعصاك
الحجر** مفسر لفعل الايحاء وقد مر بيان شان الحجر فى تفسير سورة البقرة **فانبجست** عطف على مقدر ينسحب
عليه الكلام قد حذف تعويلا على كمال الظهور وايذانا بغاية مسارعته عليه السلام الى الامتثال واشعارا بعدم
تاثير الضرب حقيقة وتنبيها على كمال سرعة الانبجاس وسوء الانفجار كانه حصل بتحقق الضرب كما فى قوله اضرب
بعصاك البحر فانفلق اى فضرب فانبجست **منه اثنتا عشرة عينا** بعدد الاسباط واما ما قيل من ان
التقدير فان ضربت فقد انبجست فغير خليق بجزالة النظم التنزيلى وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها **قد
علم كل اناس** كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط **مشربهم** اى عينهم الخاصة بهم
وظللنا عليهم الغمام اى جعلناها بحيث تلقى عليهم ظلها تسير فى التيه بسيرهم وتسكن باقامتهم وكان ينزل
بالليل عمود من نار يسيرون بضوئه **وانزلنا عليهم المن والسلوى** اى الترنجبين والسمانى قيل كان
ينزل عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث عليهم الجنوب عليهم السمانى فيذبح
الرجل منه ما يكفيه **كلوا** اى وقلنا لهم **من طيبات ما رزقناكم** اى مستلذاته وما موصولة كانت او
موصوفة عبارة عن المن والسلوى **وما ظلمونا** رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم وهو
معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بانه امر محقق غنى عن التصريح به اى فظلموا بان كفروا بتلك
النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** اذ لا يتخطاهم ضرورة وتقديم المفعول
لافادة القصر الذى يقتضيه النفى السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل
للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر **واذ قيل لهم** منصوبة بمضمر خوطب به النبى عليه
السلام وايراد الفعل على البناء للمفعول مع اسناده اليه تعالى كما يفصح عنه ما وقع فى سورة البقرة من قوله
تعالى واذ قلنا للجرى على سنن الكبرياء والايذان بالغنى عن التصريح به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالامر
بالذكر للتشديد والتوبيخ اى اذكر لهم وقت قوله تعالى لاسلافهم **اسكنوا هذه القرية** منصوبة على المفعولية
بما سكنت الدار وقيل على الظرفية اتساعا وهى بيت المقدس وقيل اريحا وهى قرية الجبابين وكان
فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة راسهم عوج بن عنق وفى قوله تعالى اسكنوا ايذانا بان المامور
فى سورة البقرة هو الدخول على وجه السكن والاقامة ولذلك اكتفى به عن ذكر رغدا فى قوله تعالى **وكلوا**

منها

منها اى من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية او منها على انها ابتدائية **حيث شئتم** اى من نواحيها
من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون الا رغدا واسعا وعطف كلوا على
اسكنوا بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك قيل هناك فكلوا
وقولوا حطة اى مسئلتنا او امرك حطة لذنوبنا فهى فعلة من الحط كالجلسة **وادخلوا الباب** اى باب
القرية **سجدا** اى منطامنين مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه وتقديم الامر بالدخول
على الامر بالقول المذكور فى سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المامور به هو الجمع بين الفعلين من غير
اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية اريحا فقد روى انهم دخلوها حين سار اليها موسى
عليه السلام بمن بقى من بنى اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر فى سورة
المائدة واما ان كان بيت المقدس فقد روى انهم لم يدخلوه فى حيوة موسى ع م فقيل المراد بالباب
باب القبة التى كانوا يصلون اليها **نغفر لكم خطيئاتكم** وقرئ خطاياكم وخطيئتكم على البناء للمفعول
سنزيد المحسنين عدة بسين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لانه استيناف مترتب
على تقدير سوال نشاء من الاخبار بالغفران كانه قيل فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد وكذلك زيادة
منهم زيادة بيان **فبدل الذين ظلموا منهم** بما امروا به من التوبة والاستغفار حيث اعرضوا عنه ووضعوا
موضعه **قولا** اخر مما لا خير فيه روى انهم دخلوه زاحفين على استاههم وقالوا مكان حطة حنطة وقيل
قالوا بالنبطية هطا شمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله تعالى واستهزاء بموسى ع م وقوله تعالى
غير الذى قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة مع دلالة التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا
على المغايرة من كل وجه **فارسلنا عليهم** اثر ما فعلوا من غير تاخير وفى سورة البقرة على الذين ظلموا او
المعنى واحد والارسال من فوق فيكون كالانزال **رجزا من السماء** عذابا كائنا منها والمراد الطاعون
روى انه مات منهم فى ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا **بما كانوا يظلمون** بسبب ظلمهم المستمر السابق
واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الارسال
عليه بالفاء والتصريح بهذا التعليل لما ان الحكم ههنا مترتب على المضمر دون الموصوف بالظلم كما فى سورة
البقرة واما التعليل بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله تعالى اعلم **واسئلهم** عطف
على المقدر فى اذ قيل اى واسال اليهود المعاصرين لك سوال تقريع وتقرير بقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله
تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التى لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد احاط به
النبى صلى الله عليه وسلم خبرا واذ ليس ذلك بالتلقى من كتبهم لانه عليه السلام بمعزل من ذلك تعين انه
من جهة الوحى الصريح **عن القرية** اى عن حالها وخبرها وما جرى على اهلها من الداهية الدهيا وهى ايلة
قرية بين مدين والطور وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية **التى كانت
حاضرة البحر** اى قريبة منه مشرفة على شاطئه **اذ يعدون فى السبت** اى يتجاوزون حدود الله
تعالى بالصيد يوم السبت واذ ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس

بذلك اذ لافائدة فى تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدّون واصله يعتدون ويعدون
من الاعداد حيث كانوا يعدون الات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العباده اذ
تاتيهم حيتانهم ظرف ليعدون او بدل بعد بدل والاوّل هو الاولى لان السّؤال عن عدوانهم ادخل
فى التقريع والحيتان جمع حوت قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم
للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها بما لايكاد يوجد فى ساير افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة
اولان المراد بها الحيتان الكاينة فى تلك الناحية وان ماذكر من الاتيان وعدمه لاعتيادها احوالهم
فى عدم التعرّض يوم السّبت يوم سبتهم ظرف لتاتيهم اى تاتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر
سبت اليهود اذا عظمت السّبت بالتجرّد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه
ويؤيّد الاوّل قراءة من قرا يوم اسباتهم وقوله تعالى شُرَّعًا جمع شارع من شرع عليه اذا دنى واشرف
وهو حال من حيتانهم اى تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماقريبة من الساحل ويوم لايسبتون اى
لايراعون امر السبت لكن لالمجرد عدم المراعات مع تحقق يوم السبت كما هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اى لا
سبت ولامراعات كما فى قوله ولاترى الضب بها ينجحر وقرئ لايسبتون من اسبت ولايسبتون على البناء
للمفعول بمعنى لايدخلون فى السبت ولايدار عليهم حكم السبت ولايؤمرون فيه بما امروا به يوم السبت
لاتاتيهم كما كانت تاتيهم يوم السّبت حذارا من صيدهم وتغيير السّبك حيث لم يقل ولاتاتيهم يوم
لايسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنّة ان يقال فماذا حالها يوم لايسبتون فقيل يوم لا
يسبتون لاتاتيهم كَذَلِكَ نَبْلُوهُم اى مثل ذلك البلاء العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر
عدوانهم ونواخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والتعجب منها بما كانوا
يفسقون اى بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل لكن لافى تلك
المادة فان فسقهم فيها لايكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر فى كل ما ياتون ومايذرون وقيل
كذلك متصل بما قبله اى لاتاتيهم مثل ما تاتيهم يوم سبتهم فالجملة بعده استيناف مبنى على السّؤال عن
حكمة اختلاف حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ يعدون
مسوق لتماديهم فى العدوان وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والانذارات امّة منهم اى جماعة من
صلحائهم الذين ركبوا فى عظتهم متن كلّ صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لآخرين لايقلعون
عن التذكير رجاء للنّفع والتاثير مبالغة فى الاعذار وطمعا فى فائدة الانذار لم تعظون قومًا الله
مُهلِكُهُم اى مخترمهم بالكلية ومطهر الارض منهم او معذّبهم عذَابًا شديدًا دون الاستيصال بالمرّة
وقيل مهلكهم مخزيهم فى الدنيا او معذبهم فى الآخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان
والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم مهلكون فى الدّنيا ومعذّبون فى الآخرة وايثار صيغة اسم الفاعل
مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب مترقب للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كانهما واقعان وانّما
قالوه مبالغة فى ان الوعظ لاينجع فيهم او ترهيبا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انّما قالوه

بحض

بحضر من القوم حثا لهم على الاتعاظ فان بث القوم بهلاكهم وعذابهم مما يلقى فى قلوبهم الخوف والخشية
وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس بذاك كما ستقف
عليه قالوا اى الوعاظ معذرة الى ربّكم اى نعظهم معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب
بظاهر قولهم لم تعظون او نعتذر معذرة على انّه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرّفع على انه خبر
مبتداء محذوف اى موعظتنا معذرة اليه تعالى حتى لاينسب الى نوع تفريط فى النهى عن المنكر وفى اضافة
الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض بالسائلين ولعلّهم يتقون عطف على معذرة اى ورجاء
لان يتقوا بعض التقات وهذا صريح فى ان القائلين لم تعظون الخ ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب
الخطاب فلمّا نسوا ما ذكّروا به اى تركوا ما ذكرهم به صلحائهم ترك الناس للشئ واعرضوا
عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شئ من تلك المواعظ اصلا انجينا الّذين ينهون عن السّوء وهم
الفريقان المذكوران واخراج انجائهم مخرج الجواب الذى حقه الترتيب على الشرط وهو نسيان المعتدين
المستتبع لاهلاكهم لما ان ما فى حيز الشرط شيئان النسيان والتذكير كانّه قيل فلما ذكر المذكورون
ولم يتذكر المعتدون انجينا الاولين واخذنا الآخرين وامّا تصدير الجواب بانجائهم فلما مر من
المسارعة الى بيان نجاتهم من اول الامر مع ما فى المؤخّر من نوع طول واخذنا الّذين ظلموا بالاعتداء
ومخالفة الامر بعذاب بئيس اى شديد وزنا ومعنى من بئس بؤسا يأسا اذا اشتد وقرئ بئيس
على وزن فيعل بفتح العين وكسرها وبئس كحذر وبس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء ككبد
فى كبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب فى ذئب وبيّس كريس بقلب همزة بئس ياء وادغام الياء فيها
وبئس على تخفيف بئس كهين فى هيّن وتنكير العذاب للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون
متعلق باخذنا كالباء الاوّل ولاضير فيه لاختلافهما معنى اى اخذناهم بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم
فى الفسق الّذى هو الخروج عن الطاعة وهو الظّلم والعدوان ايضا واجراء الحكم على الموصول وان اشعر بعليّة
ما فى حيز الصلة له لكنّه صرّح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة هو الاستمرار على الظّلم والعدوان
مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله تعالى لانفس الظلم والعدوان والالما اخروا عن ابتداء المباشرة
ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستيصال فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا
فى الغى فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى فلمّا عتوا عمّا نهوا عنه اى تمردوا وتكبّروا وابوا ان يتركوا
مانهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين بعداء عن النّاس والمراد بالامر هو الامر التكوينى لا القولى
وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس لخصوصيّة الحوت بل العمدة فى ذلك
هو مخالفة الامر والاستعصاب عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة الثانية تقرير
للاولى روى ان اليهود امروا باليوم الّذى امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت وهو المعنى
بقوله انما جعل السّبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرّم عليهم الصّيد فيه وامروا بتعظيمه وكانت
الحيتان تاتيهم يوم السّبت كانها المخاض لايرى وجه الماء لكثرتها ولاتاتيهم فى ساير الايّام فكانوا على ذلك

برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا سهلة الورود صعبة
الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر الخروج منها و ياخذونها يوم الاحد
فوجد جاره ريح السمك فتطلع فى تنوره فقال له انى ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ فى السبت
القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا وملحوا وباعوا
وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهى وثلث ملوا التذكير وسئموه
وقالوا للواعظين لم تعظون الخ وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن مساكنكم فقسموا القرية
بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم فى مجالسهم
ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب
ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابهم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل القرد ياتى نسيبه الانسى فيشم ثيابه ويبكى فيقول
القرد براسه نعم ثم ماتوا عن ثلاث وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم
وقال الحسن البصرى اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا فى الدنيا واطولها عذابا فى
الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا
والساعة ادهى وامر **واذ تاذن ربك** منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى واسالهم
وتاذن بمعنى اذن كما ان توعد بمعنى وعد او بمعنى عزم فان العازم على الامر يحدث به نفسه واجرى
مجرى فعل القسم لعلم الله وشهد الله فلذلك اجيب بجوابه حيث قيل **ليبعثن عليهم الى يوم القيمة**
اى واذكر لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ان يسلط على اليهود البتة **من يسومهم سوء العذاب** كالاذلال
وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث تعالى عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت
نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية عليهم بقى منهم وكانوا يؤدونها
الى المجوس حتى بعث النبى صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة الى اخر
الدهر **ان ربك لسريع العقاب** يعاقبهم فى الدنيا **وانه لغفور رحيم** لمن تاب وامن منهم **وقطعناهم**
اى فرقنا بنى اسرائيل **فى الارض** وجعلنا كل فرقة منهم فى قطر من اقطارها بحيث لا يخلو ناحية منها منهم
تكملة لادبارهم حتى لا يكون لهم شوكة وقوله تعالى **امما** اما مفعول ثان لقطعنا او حال من مفعوله **منهم
الصالحون** صفة لامما او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم **ومنهم دون ذلك**
اى ناس دون ذلك الوصف اى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم **وبلوناهم بالحسنات
والسيئات** بالنعم والنقم **لعلهم يرجعون** عما كانوا فيه من الكفر والمعاصى **فخلف من بعدهم** من بعد
المذكورين **خلف** اى بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شايع
فى الشر والخلف بفتح اللام فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر النبى عليه السلام **ورثوا الكتاب** اى
التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها **ياخذون عرض هذا الادنى** استيناف مسوق لبيان
ما يصنعون بالكتاب بعد وراثتهم اياه اى ياخذون حطام هذا الشئ الادنى اى الدنيا وهو من الدنو

اوالدنات

اوالدنات والمراد به ما كانوا ياخذونه من الرشى فى الحكومات وعلى تحريف الكلام وقيل حال من واو
ورثوا **ويقولون سيغفر لنا** ولا يواخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية
والفعل مسند الى الجار والمجرور او مصدر ياخذون **وان ياتهم عرض مثله ياخذوه** حال من
الضمير فى لنا اى يرجون المغفرة والحال انهم مصرون على الذنب وعائدون الى مثله غير تائبين عنه
الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب اى الميثاق الوارد فى الكتاب **ان لا يقولوا على الله الا الحق**
عطف بيان للميثاق او متعلق به اى بان لا يقولوا الخ والمراد به الرد عليهم والتوبيخ على بتهم القول
بالمغفرة بلا توبة والدلالة على انها افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب **ودرسوا ما فيه**
عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او على ورثوا وهو اعتراض **والدار الاخرة خير
للذين يتقون** ما فعل هؤلاء **افلا تعقلون** فتعلموا ذلك فلا تستبدلوا الادنى المؤدى الى العقاب
بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وفى الالتفات تشديد للتوبيخ **والذين يمسكون بالكتاب** اى يتمسكون
به فى امور دينهم يقال مسك بالشئ وتمسك به قال مجاهد هم الذين امنوا من اهل الكتاب كعبد الله
بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذى جاء به موسى عم فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه ماكلة وقال
عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ من الامساك وقرئ تمسكوا واستمسكوا موافقا لقوله تعالى
واقاموا الصلوة ولعل التغيير فى المشهورة للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر مستمر فى جميع الازمنة
بخلاف اقامة الصلوة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين ساير العبادات لانافتها عليها
ومحل الموصول اما الجر نسقا على الذين يتقون وقوله تعالى افلا تعقلون اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع
على الابتداء والخبر قوله تعالى **انا لا نضيع اجر المصلحين** والرابط اما الضمير المحذوف كما هو راى جمهور
البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو راى الكوفيين فانه فى حكم مصلحيهم كما فى
قوله تعالى فان الجنة هى الماوى اى ماويهم وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب اى ابوابها واما العموم فى
مصلحين فانه من الروابط ومنه نعم الرجل زيد على احد الوجوه وقيل الخبر محذوف والتقدير والذين
يمسكون بالكتاب ماجورون او مثابون وقوله تعالى انا لا نضيع الاية اعتراض مقرر لما قبله **واذ
نتقنا الجبل فوقهم** اى قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم **كانه ظلة** اى سقيفة وهى كل ما اظلك
وظنوا اى تيقنوا **انه واقع بهم** ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون
به واطلاق الظن فى الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها
فرفع الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم **خذوا ما اتيناكم** اى وقلنا او
قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب **بقوة** بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال من الواو **واذكروا ما فيه**
بالعمل ولا تتركوه كالمنسى **لعلكم تتقون** بذلك قبايح الاعمال ورذايل الاخلاق او راجين ان تنتظموا
فى سلك المتقين **واذ اخذ ربك** منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب به اذ نتقنا مسوق للاحتجاج
على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة وتوبيخهم بنقضه اثر الاحتجاج عليهم بتذكير ميثاق

الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه مرارا اى واذكر
بهم اخذ ربك من بنى ادم المراد بهم الذين ولدهم كاينا من كان نسلا بعد نسل سوى من لم يولد
بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا وايثار الاخذ على الاخراج للايذان بالاعتنا
بشان الماخوذ لما فيه من الانباء على الاجتباء والاصطفا وهو السبب فى اسناده الى اسم الرب بطريق
الالتفات مع ما فيه من التمهيد للاستفهام الاتى واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف وقوله
تعالى من ظهورهم بدل من بنى ادم بدل البعض بتكرير الجار كما فى قوله تعالى للذين استضعفوا لمن
امن ومن فى الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لابتنائه على البيان بعد الابهام والتفصيل غب الاجمال
وتنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم فى اصلاب الابا ولم يستودعوا فى ارحام الامهات وقوله تعالى
ذريتهم مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه ولمراعات اصالته ومنشائه
ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذرياتهم والمراد بهم اولادهم على العموم فيندرج فيه اليهود
المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا اوليا كما اندرج اسلافهم فى بنى ادم كذلك وتخصيصها
باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع صنع الله تعالى شامل للكل كافة مخل بفخامة التنزيل
وجزالة التمثيل واشهدهم على انفسهم اى اشهد كل واحدة من اولئك الذريات الماخوذين من ظهور
ابائهم على نفسها لا على الاختصاص وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى الست بربكم على ارادة القول
قايلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل فى شان من شئونكم
فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى قالوا استيناف مبنى على سوال نشا من الكلام
كانه قيل فماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا بلى شهدنا اى على انفسنا بانك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك
كما ورد فى الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا فى مبدا الفطرة مستعدين للاستدلال
بالدلايل المنصوبة فى الافاق والانفس المودية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به صلى الله عليه وسلم
كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبنى على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة ربوبيته
بعد تمكينهم منها بما ركز فيهم من العقول والبصاير ونصب لهم فى الافاق والانفس من الدلايل تمكينا تاما
ومن تمكنهم منها تمكنا كاملا وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف
بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال
وجواب كما فى قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى ان
تقولوا بالتاء على تكوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاصريه من اليهود تشديدا
فى الالزام اواليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث انهم مخاطبون بقوله تعالى الست بربكم
فانه ليس من الكلام المحكى وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية وايا ما كان فهو مفعول له لما قبله من الاخذ
والاشهاد اى فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا انتها الكفرة او يقولوا هم يوم القيمة عند
ظهور الامر انا كنا عن هذا عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ننبه عليه فانهم حيث

حلوا على ما ذكر من التهيئ التام لتحقيقه الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن
الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى او تقولوا
انما اشرك اباؤنا عطف على تقولوا واو لمنع الخلو دون الجمع اى هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه من
قبل اى من قبل زماننا وكنا نحن ذرية من بعدهم لا نهتدى الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل
افتهلكنا بما فعل المبطلون من ابائنا المضلين بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد
بالراى وانواخذنا فتهلكنا الخ فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا
فان التقليد عن قيام الدلايل والقدرة على الاستدلال بها مما لا يساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه
المقاولة على الحقيقة كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من انه لما خلق الله تعالى ادم عليه السلام
مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودى يومئذ جف
القلم بما هو كاين الى يوم وقد روى عن عمر رضى الله عنه انه سئل عن الاية الكريمة فقال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية
فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء
للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره عليه السلام بالذات بل اخرج
من ظهره عم ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناهم الصلبية وهكذا الى اخر السلسلة لكن لما كان المظهر
الاصلى ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان
يتعلق بذكر الوسايط غرض على نسب اخراج الكل اليه واما الاية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على
الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان عدم افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى ابائهم
اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهر ابيهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لادم عليه
السلام من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق فى حديث عمر رضى الله عنه ليس لبيان العدم ولا مستلزما له
واما ما قالوا من اخذ الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة
انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انه غير واقع لغفلتهم فى ايام التكليف اذ لا فرد من افراد البشرية كر
ذلك فمردود لكن لا بما قيل من ان الله عز وجل قد اوضح الدلايل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا
به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة ونسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار
المخبر الصادق بل بان قوله تعالى ان تقولوا اه ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما يتفرع عليه من
قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم فى الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام
والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيمة
انا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه فى دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور
واما على القراءة بالياء فهو مفعول ولنفس الامر المضمر العامل فى اذ اخذ والمعنى اذكر لهم الميثاق الماخوذ
منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيمة بالغفلة عنه او بتقليد الابا هذا على تقدير كون قوله تعالى شهدنا

من كلام الذرية وهو الظاهر واما على تقدير كونه من كلامه تعالى فهو العامل فى ان تقولوا ولا محذ و واصلا
اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا يوم القيمة اه لانا نردكم ونكذبكم ح **وكذلك** اشارة الى مصدر
الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شان المشار اليه وبعد منزلته والكاف مفخمة
موكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية
اى ذلك التفصيل البديع المستتبع للمنافع الجليلة **نفصل الايات** المذكورات لا غير ذلك **ولعلهم**
يرجعون وليرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الاباء نفعل التفصيل المذكور قالوا وان ابتدا
اسان ويجوز ان تكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب على التفصيل اى وكذلك نفصل الايات ليقفوا
على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا اه **واتل عليهم** عطف على المضمر العامل فى اذ اخذ ورد على
نمطه فى الانباء عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى اى وا تل على اليهود **نبأ الذى اتيناه** اياتنا
اى خبره الذى له شان وهو احد علماء بنى اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعورا او بلعام بن باعر من الكنعانيين
اوتى علم بعض كتب الله تعالى وقيل هو امية بن ابى الصلت وكان مرأ الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل
فى ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبى صلى الله عليه وسلم حسده
وكفر به والاول هو الانسب بمقام توبيخ اليهود بهناتهم **فانسلخ منها** اى من تلك الايات انسلاخ
الجلد من الشاة ولم يخطرها بباله اصلا او خرج منها بالكلية بان كفر بها ونبذها وراء ظهره واياما كان
فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقات بينهما ابدا للايذان
بكمال مباينته للايات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال **فاتبعه الشيطان** اى تبعه حتى لحقه وادركه
فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية او اتبعه
خطواته **فكان من الغاوين** فصار من الضالين الراسخين فى الغواية بعد ان كان من المهتدين
وروى ان قومه طلبوا اليه ان يدعوا على موسى عليه السلام فقال كيف ادعوا على من معه الملئكة فلم
يزالوا به حتى فعل فبقوا فى التيه ويروى ان التيه لموسى عليه السلام روحا وراحة وانما عذب به بنوا
اسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عم عليهم كما مر فى سورة المائدة **ولو شئنا** كلام مستانف مسوق لبيان
مناط ما ذكر من انسلاخه من الايات ووقوعه فى مهاوى الغواية ومفعول المشية محذوف لوقوعها
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اى ولو شئنا رفعه **لرفعناه** اى الى المنازل
العالية للابرار العالمين بتلك الايات العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيتنا من غير ان يكون له دخل
فى ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية الموسعة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد
بل مع مباشرته للعمل المودى الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى بها اى بسبب
تلك الايات بان عمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا فى حصوله ولا فى ترتيب الرفع عليه بل كلاهما
بخلق الله تعالى لكن خلقه تعالى منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك
فى الاستدراك بان اسند ما يودى الى نقيض التاحى اليه حيث قيل **ولكنه اخلد الى الارض** مع ان

الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره اليه الا بخلقه تعالى كانه قيل ولو شئنا رفعه
بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الايات التى هى اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشأه لمباشرته
لسبب نقيضه فترك فى كل من المقامين ما ذكر فى الاخر تعويلا على اشعار المذكور بالمطوى كما فى قوله تعالى
وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله تخصيص كل من المذكورين
بمقامه للايذان بان الرفع مراد له تعالى بالذات وتفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا
وجميع افعاله ومباديها من نعمه تعالى وتفضلاته وان نقيضه انما اصابه بسوء اختياره على موجب
الوعيد لا بالارادة الذاتية له سبحانه كما قيل فى وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع فى الاية المذكورة
وهو السر فى جريان السنة القرانية على اسناد الخير اليه تعالى واضافة الشر الى الغير كما فى قوله تعالى
واذا مرضت فهو يشفين ونظايره والاخلاد الى الشئ الميل اليه مع الاطمئنان به والمراد بالارض
الدنيا وقيل السفاه والمعنى ولكنه اثر الدنيا الدنية على المنازل السنية او الضعة والسفالة على
الرفعة والجلالة **واتبع هواه** معرضا عن تلك الايات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين
والى ذلك اشير بقوله **فمثله كمثل الكلب** لما انه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس
احواله واذلها حيث قيل **ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث** اى فحاله التى هى مثل فى السوء كصفة
فى ارذل احواله وهى حال دوام اللهث به فى حالتى التعب والراحة فكانه قيل فتردى الى ما لا غاية
وراءه فى الخسة والدناءة واشار الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب للايذان
بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب فى فعلى الشرط لكل احد
ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل فى اشاعة فضاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد
اى هو ضيق الحال مكروه به دايم اللهث سواء هيجته وان عجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه
فى الكلاب طبع لا تقدر على نفض الهواء المتسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فوادها
بخلاف ساير الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب
والاعيا والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم فى المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه
لا محل له من الاعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله تعالى ان مثل
عيسى عند الله كمثل ادم وقيل هى فى محل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجهما من حقيقة
الشرط وتحولهما الى معنى التسوية حسب تحول الاستفهامين المتناقضين اليه فى مثل قوله تعالى اانذرتهم
ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا فى الحالتين واياما كان فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما اعتراه بعد
الانسلاخ من سوء الحال واضطرام القلب ودوام القلق والاضطراب وعدم الاستراحة بحال من الاحوال
بالهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعى بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فتدلى على
صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك **ذلك** اشارة الى ما ذكر من الحالة الخسيسة المنسوبة الى
الكلب او الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها فى الخسة والدناءة اى ذلك المثل السيئ

مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وهم اليهود حيث اوتوا فى التورية ما اوتوا من نعوت النبى صلى الله عليه
وسلم وذكر القران المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التورية فاقصص القصص مصدر سمى به المفعول كالسلب
واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى اذا تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين
فاقصص عليهم حسبما اوحى اليك لعلهم يتفكرون فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم
عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك قد علمته من جهة الوحى فيزدادون ايقانا بك والجملة فى محل
النصب على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اى فاقصص القصص راجيا لتفكرهم
او رجاء لتفكرهم ساء مثلا استيناف مسوق لبيان كمال قبح حال المكذبين بعد بيان كونه كحال
الكلب او المنسلخ وساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز مفسر له والمخصوص بالذم قوله
تعالى القوم الذين كذبوا باياتنا وحيث وجب التصادق بينه وبين الفاعل والتمييز وجب المصير
الى تقدير مضاف اما اليه وهو الظاهر اى ساء مثلا مثل القوم الخ او الى التمييز اى ساء اصحاب
مثل القوم الخ وقرئ ساء مثل القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير بان
يقال ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما فى حيز الصلة ولربط قوله تعالى وانفسهم كانوا
يظلمون به فانهم اما معطوف على كذبوا داخل معه فى حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب ايات الله
تعالى بعد قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا
بالتكذيب الا انفسهم فان وباله لا يتخطاها واياما كان ففى يظلمون الخ الى ان تكذيبهم بالايات متضمن
للظلم بها وان ذلك ايضا معتبر فى القصر المستفاد من تقديم المفعول من يهد الله فهو المهتدى لما امر
النبى صلى الله عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا
ما هم عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدى الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من
جهة الله عز وجل وانما العظة والتذكير من قبيل الوسايط العادية فى حصول الاهتداء من غير
تاثير لها فيه سوى كونها دواعى الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تعالى
اياه كساير افعال العباد فالمراد بهذه الهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لان حقيقتها الدلالة
الموصلة الى البغية البتة بل لانها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التى هى الدلالة الى ما يوصل الى البغية
اى ما من شانه الايصال اليها كما سبق تحقيقه فى قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد مجرد الاخبار باهتداء
من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هدايته تعالى للاهتداء
ويحمل النظم الكريم على تعظيم شان الاهتداء والتنبيه على انه فى نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل
له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء على من هداه الله تعالى حسبما يقتضيه تعريف الخبر فالمعنى من يهده الله
اى يخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدى لا غير كائنا من كان ومن يضلل بان لم يخلق فيه
الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها فاولئك الموصوف بالضلالة على الوجه المذكور

هم الخاسرون اى الكاملون فى الخسران لا غير وافراد المهتدى نظرا الى لفظ من وجمع الخاسرون نظرا الى
معناها للايذان باتحاد منهاج الهدى وتفرق طرق الضلال ولقد ذرانا كلام مستانف مقرر لمضمون
ما قبله بطريق التذييل اى خلقنا لجهنم اى لدخولها والتعذيب بها وتقديمه على قوله تعالى كثيرا
اى خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما فى توابعه من نوع طول يودى توسيطه بينهما وتاخيره عنها الى
الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى من الجن والانس متعلق بمحذوف هو صفة لكثيرا اى كائنا
منهما وتقديم الجن لانهم اعرق من الانس فى الاتصاف بما نحن فيه من الصفات واكثر عددا واقدم خلقا
والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم
ما يودى الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من
غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الايات والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها
كما ان جمع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطرى للعبادة وتمكنهم التام منها جعل خلقهم
مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لهم قلوب
فى محل النصب على انه صفة اخرى لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة
مخالفة لساير افراد الجنس فاقدة لكماله بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل بسبب امتناعهم عن
صرفها الى تحصيله وهذا وصف لها بكمال الاغراق فى القساوة فانها حيث لم يتات فيها الفقه بحال
فكانها خلقت غير قابلة له راسا وكذا الحال فى اعينهم واذانهم وحذف المفعول للتعميم اى لهم قلوب
ليس من شانها ان يفقهوا بها شيئا مما من شانه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق و
دلايله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك مخل بالافصاح عن كنه حالهم ولهم اعين لا يبصرون بها
الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالابصار والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الادراك
على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس بالبصر والصوت كما هو وظيفة الانعام اى
لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا ولهم
اذان لا يسمعون بها اى شيئا من المسموعات فيتناول الايات التنزيلية تناولا اوليا واعادة الخبر
فى الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين لا يبصرون بها واذان لا يسمعون بها لتقرير
سوء حالهم وفى اثبات المشاعر الثلاثة لهم ثم وصفها بعدم الشعور دون سلبها عنهم ابتداء بان يقال
ليس لهم قلوب يفقهون بها ولا اعين يبصرون بها ولا اذان يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم
فى الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما
فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى الضلال اى اولئك الموصوف بالاوصاف المذكورة كالانعام
اى فى انتفاء الشعور على الوجه المذكور او فى ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها
بل هم اضل فانها تدرك ما من شانها ان تدركه من المنافع والمضار فتجتهد فى جلبها وسلبها غاية
جهدها مع كونها بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون

كثيرا وقوله تعالى لا يفقهون بها فى محل الرفع على انه صفة صح

الامر فيتركون النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه
وهؤلاء لايعرفون ربهم ولايذكرونه ولايطيعونه وفي الخبر كل شئ اطوع لله من ابن ادم اولئك
المنعوتون بما مر من مثلية الانعام والشر بية منها هم الغافلون الكاملون في الغفلة المستحقون
لان يخص بهم الاسم ولايطلق على غيرهم كيف لا وانهم لايعرفون من شئون الله تعالى ولامن شئون
ما سواه شيئا فيشركون به سبحانه وليس كمثله شئ وهو السميع العليم اصاهم التي هي من اخس مخلوقاته
تعالى ولله الاسماء الحسنى تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية المعاملة مع المخلين بذلك
الغافلين عنه سبحانه وعما يليق به من الامور وما لايليق به اثر بيان غفلتهم التامة وضلالتهم
الطامة والحسنى تانيث الاحسن اى الاسماء التي هي احسن الاسماء واجلها لانبائها عن احسن المعاني
واشرفها فادعوه بها اى فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون في اسمائه الالحاد واللحد
الميل والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثي اى يميلون في
شانها عن الحق الى الباطل اما بان يسموه تعالى بما لا توفيق فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما في قول اهل
البدو يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا نجي ونحو ذلك فالمراد بالترك المامور به الاجتناب عن ذلك
وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى وسموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك
الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا
وما الرحمن ما نعرف سوى رحمن اليمامة فالمراد بالترك الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى
حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج بعضها من البين واما بان
يطلقوها على غيره تعالى كما سموا اصنامهم الهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء اصنامهم كما اشتقوا
اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة كما في الوجه الثاني والاظهار
في موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف في الكل للايذان بان الحادهم في نفس الاسماء من غير اعتبار
الوصف وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك اذ لا ينبوهم صدور مثل في هذا الالحاد
عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم
عن قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون فانه استيناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ من الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازات كانه قيل لم لا نبالي بالحادهم ولا نتصدى
لمجازاتهم فقيل لانه سينزل بهم عقوبته وتتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين
فالمعنى اجتنبوا الحادهم كيلا يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الحادهم وممن خلقنا امة
يهدون بالحق وبه يعدلون بيان اجمالي لحال من عدى المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر
من الضلال والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على انه مبتدا اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف
وما بعده خبره كما مر في تفسير قوله تعالى ومن الناس الخ اى وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا
امة اى طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم بكلمة الحق على الاستقامة وبالحق يحكمون

في الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه
لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة الاية وعنه عليه السلام ان من امتي قوما
على الحق حتى ينزل عيسى وروى لا تزال طائفة من امتي على الحق الى ان ياتي امر الله وروى لا تزال من امتي طائفة
امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة
على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية الناس للايذان بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق
غني عن التصريح به والذين كذبوا باياتنا شروع في تحقيق الحق الذي به يهتدي الهادون وبه يعدل
العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترهيب ومحل الموصول الرفع على انه مبتدا خبره ما بعده
من الجملة الاستقبالية واضافة الايات الى نون العظمة لتشريفها واستعظام الاقدام على تكذيبها اى
والذين كذبوا باياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم اى نستدنيهم
البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل في كل نقل
تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط او الاستقامة واما بمعنى مشى مشيا ضعيفا واما بمعنى طوى
والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ اقصى مراتب العقوبة و
العذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل الموافقة لهواه بحيث
يزعم ان ذلك ترق في مراقي منافعه مع انه في الحقيقة تردٍّ في مهاوي مصارعه فاستدراجه سبحانه اياهم
ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبوا انها لطف لهم منه تعالى فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن
لا على ان المطلوب تدرجهم في مراتب النعم بل هو تدرجهم في مدارج المعاصي الى ان يحق عليهم كلمة العذاب
على افضع حال واشنعها والاول وسيلة اليه وقوله تعالى من حيث لا يعلمون متعلق بمضمر وقع صفة لمصدر
الفعل المذكور اى سنستدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه كذلك بل يحسبون انه اثرة
من الله تعالى وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم واملي لهم عطف على سنستدرجهم غير داخل
في حكم السين لما ان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية كالاستدراج
الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج اثاره واحكامه لا نفسه
كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان المنبئ عن مزيد الاعتناء بمضمون الكلام
لابتنائه على تجديد القصد والعزيمة واما ان ذلك للاشعار بانه بمحض التقدير الالهي والاستدراج بتوسيط
المدبرات فبناه دلالة نون العظمة عن الشركة وادنى ذلك والا لاحترز عن ايرادها في قوله تعالى
لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم الاية بل انما ايرادها في امثال هذه الموارد بطريق
الجريان على سنن الكبرياء ان كيدي متين تقرير للوعيد وتاكيد له اى قوي لا يدافع بقوة ولا بحيلة و
المراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره لطف
وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد هو الاخذ
على خفاء من غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته للمقام ضرورة

استدعائه لاعتبار القيد المذكور حتما **اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة** كلام مبتداء مسوق لانكار عدم
تفكرهم فى شانه عم وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من الايات التى كذبوا بها
والهمزة للانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم الكريم وسياقه وما
اما استفهامية انكارية فى محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم واما نافية اسمها جنة وخبرها النكارة
فى محل الرفع بالابتداء بصاحبهم والجنة من المصادر التى يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها
للتقليل والتحقير والجملة معلقة بفعل التفكر لكونه من الافعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب
على نزع الجار اى اكذبوا بها ولم يتفكروا فى اى شئ من جنون ما كاين بصاحبهم الذى هو اعظم الامة الهادية
بالحق وعليه انزلت تلك الايات او فى انه ليس بصاحبهم بشئ من جنة حتى يوديهم التفكر فى ذلك
الى الوقوف على صدقه وصحة نبوته فيؤمنوا به وبما انزل عليه من الايات او فى انه ليس بصاحبهم
بشئ من جنة حتى يؤديهم التفكر فى ذلك الى الوقوف على صدقه وقيل قد تم الكلام عند قوله تعالى
اولم يتفكروا اى اكذبوا بها ولم يفعلوا التفكر ثم ابتدى فقيل اى شئ بصاحبهم من جنة ما على طريقة
الانكار والتعجب والتبكيت او قيل ليس بصاحبهم شئ منها والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بصاحبهم
للايذان بان طول مصاحبتهم له عم مما يطلعهم على نزاهته عم عن شايبته ما ذكر ففيه تاكيد للنكير وتشديد
له والتعرض لنفى الجنون عنه صلى الله عليه وسلم مع وضوح استحالة ثبوته له عليه السلام لما ان التكلم
بما هو خارق لقضية العقول والعادات لا يصدر الا عمن به مس من الجنون كيف ما اتفق من غير ان
يكون له اصل ومعنى او عمن له تاييد الهى يخبر به عن الامور الغيبة واذ ليس به عليه السلام شايبة
الاول تعين انه عليه السلام مؤيد من عند الله عز وجل وقيل انه عليه السلام علا الصفا ليلا فجعل يدعوا
قريشا فخذا فخذا يحذرهم باس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت
فالتصريح بنفى الجنون حينئذ للرد على عظيمتهم الشنعا والتعبير عنه عليه السلام بصاحبهم وارد على مشاكلة
كلامهم مع ما فيه من النكتة المذكورة وقوله تعالى **ان هو الا نذير مبين** جملة مقررة لمضمون ما قبلها
ومبنية لحقيقة حاله عليه السلام على منهاج قوله تعالى ان هذا الا ملك كريم بعد قوله ما هذا بشرا اى ما هو
عليه السلام الا مبالغ فى الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال الرافة ومبالغة فى الاعذار وقوله
تعالى **اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض** استيناف اخر مسوق للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتامل
فى الايات التكوينية المنصوبة فى الافاق والانفس الشاهدة بصحة مضمون الايات المنزلة اثر ما نعى
عليهم اخلالهم بالتفكر فى شانه عم والهمزة لما ذكر من الانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على
على المقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك العظيم اى اكذبوا او لم يتفكروا فيما ذكر ولم
ينظروا نظر تامل فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملك وكمال القدرة **وما خلق الله** اى وفيما
خلق فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال ظهور عظم الملك فيهما او فى ملكوت ما خلق
على انه عطف على السموات والارض والتعميم لاشتراك الكل فى الدلالة على عظم الملك فى الحقيقة وعليه

قوله

قوله تعالى فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ وقوله تعالى **من شئ** بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص
الدلالة المذكورة بجلايل المصنوعات دون دقايقها والمعنى اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض
وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما ينطق عليه اسم الشئ ليهديهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وبسائر
شئونه التى ينطق بها تلك الايات فيؤمنوا بها لاتحادهما فى المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان
مما عز وهان دليل لايح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم التوحيد وقوله تعالى **وان عسى ان
يكون قد اقترب اجلهم** عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها ضمير الشان وخبرها
عسى مع فاعلها الذى هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم والمعنى
اولم ينظروا فى ان الشان عسى ان يكون الشان قد اقترب اجلهم وقد جوز ان يكون اسم يكون اجلهم
وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه حكما وايا ما كان فمناط الانكار
والتوبيخ تاخيرهم للنظر والتامل اى لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون الى التدبر فى الايات
التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الايات القرانية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة عن الساعة والاضافة
الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله تعالى **فباى حديث بعده يؤمنون**
قطع لاحتمال ايمانهم راسا ونفى له بالكلية مترتب على ما ذكر من تكذيبهم بالايات واخلالهم بالتفكر
والنظر والباء متعلقة بيؤمنون وضمير بعده للايات على حذف المضاف المفهوم من كذبوا والتذكير
باعتبار كونها قرانا او بتاويلها بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى اكذبوا بها ولم يتفكروا
فيما يوجب تصديقها من احواله عليه السلام واحوال المصنوعات فباى حديث يؤمنون بعد تكذيبه
ومعه مثل هذه الشواهد القوية كلا وهيهات وقيل الضمير للقران والمعنى فباى حديث بعد القران
يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان وقيل هو انكار وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم بالمسارعة
الى التامل فيما ذكر كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقران قبل الفوت
وما ينتظرون بعد وضوح الحق وباى حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم
والمعنى فباى حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف
اى فباى حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى **من يضلل الله فلا هادى له**
استيناف مقرر لما قبله منبئ عن الطبع على قلوبهم وقوله تعالى **ويذرهم فى طغيانهم** بالياء والرفع
على الاستيناف اى وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اى ونحن نذرهم وقرئ بالياء
والجزم عطفا على محل فلا هادى له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقد روى الجزم بالنون
عن نافع وابى عمرو فى الشواذ وقوله تعالى **يعمهون** اى يترددون ويتحيرون حال من مفعول يذرهم
وتوحيد الضمير فى حيز النفى نظرا الى لفظ من وجمعه فى حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على
شمول النفى والاثبات للكل **يسئلونك عن الساعة** استيناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم
اى عن القيمة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب

اولانها ساعة عند الله تعالى مع طولها فى نفسها قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا من الساعة ان كنت
نبيا فانا نعلم متى هى وكان امتحانا منهم مع علمهم انه تعالى قد استاثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى
ايان مرساها بفتح الهمزة وقد قرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدا او الفصل
المضارع دون الماضى بخلاف متى حيث يليهما كلاهما قيل اشتقاقه من اى فعلان منه لان اى وقت
وهو من اويت الى الشئ لان البعض اوى الى الكل متساندا اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدأ
مؤخر اى متى ارسلوها اى اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمى من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل
الا فى الشئ الثقيل كما فى قوله تعالى والجبال ارساها ومنه مرسات السفن ومحل الجملة قيل الجر على
البدلية من الساعة والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور
فقط كانه قيل يسئلونك عن الساعة ايان مرساها وفى تعليق السؤال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها
ثانيا تنبيه على ان المقصد الاصلى من السؤال نفسها باعتبار حلولها فى وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه
محلا لها وقد سلك هذا المسلك فى الجواب الملقن ايضا حيث اضيف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها
فاخبر باختصاصه به عز وجل حيث قيل **قل انما علمها** اى علمها بالاعتبار المذكور **عند ربى** ولم يقل
انما علم وقت ارسائها ومن لم يتنبه بهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان توفيقه عم للجواب على الوجه المذكور من
باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استاثر به بحيث لم يخبر به احد من
ملك مقرب او نبى مرسل وقوله تعالى **لا يجليها لوقتها الا هو** بيان لاستمرار تلك الحالة الى
حين قيامها واقناط كلى عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء
الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك
والمعنى لا يكشف ولا يظهر للناس امرها الذى تسالونى عنه الا هو بالذات من غير ان يشعر به احد
من المخلوقين فيتوسط فى اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤل بل ان يقيمها فيشاهدوها
عيانا كما يفصح عنه التجلية بعد ورود الاستثناء للتنبيه من اول الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار
بوقتها بل باظهار عينها فى وقتها الذى يسالون عنه وقوله تعالى **ثقلت فى السموات والارض** استيناف
لما قبله مقرر لمضمون ما قبله اى كبرت وثقلت على اهلهما من الملئكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها
وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل
ثقلت فيهما اذ لا يطيقها منهما ومما فيهما بشئ اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله **لا تاتيكم
الا بغتة** فانه ايضا استيناف مقرر لمضمون ما قبله زايد فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفا اى لا تاتيكم
الا فجأة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته
والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه **يسئلونك كانك حفى عنها** استيناف
مسوق لبيان خطابهم فى توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه عم عالم بالمسؤل

اوان العلم بذلك من مواجب الرسالة اثر بيان خطابهم فى اصل السؤال باعلام شان المسؤل عنه والجملة
التشبيهية فى محل النصب على انها حال من الكاف جئ به بيانا لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعارا
بخطاياهم فى ذلك اى يسالونك مشبها حالك عندهم بحال من هو حفى عنها اى مبالغ فى العلم بها لما ان
بالغ فى السؤال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب على المبالغة والاستقصاء ومنه
احفاء الشارب واحتفاء البغل اى استيصاله والاحفاء فى المسئلة اى الالحاف فيها وقيل عن متعلقة
بيسالونك وقوله تعالى كانك حفى معترض وصلة حفى محذوفة اى حفى بها وقد قرئ كذلك و
قيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان قريشا قالوا له عليه السلام ان بيننا وبينك قرابة
فقل لنا متى الساعة والمعنى يسالونك كانك حفى تتحفى بهم فيختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزول
امرها عن غيرهم ففيه تخطئة لهم من جهتين وقيل هو من حفى بالشئ بمعنى فرح به والمعنى كانك فرح
بالسؤال عنها تحبه مع انك كاره له لما انه تعرض لحرم الغيب الذى استاثر الله تعالى بعلمه **قل انما علمها
عند الله** امر عليه السلام باعادة الجواب الاول تاكيد للحكم وتقريرا له واشعارا بعلته على الطريقة
البرهانية بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التى من جملتها العلم وتمهيدا
للتعريض بجهلهم بقوله تعالى **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** اى لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها
به فبعضهم ينكرونها راسا فلا يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون
انك واقف على وقت وقوعها فيسالونك عنه جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب
الرسالة فيتخذون السؤال عنه ذريعة الى القدح فى رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون
على جلية الحال من المؤمنين واما السائلون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون فى سلك الجاهلين
حيث لم يعملوا بعلمهم وقوله تعالى **قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا** شروع فى الجواب عن السؤال ببيان
عجزه عن علمها اثر بيان عجز الكل عنه وابطال زعمهم الذى بنوا عليه سؤالهم من كونه عليه السلام ممن
يعلمها واعادة الامر لاظهار كمال العناية بشان الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول والتعرض
لبيان عجزه عما ذكر من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق البرهانى واللام اما متعلق باملك او
بمحذوف وقع حالا من نفعا اى لا اقدر لاجل نفسى على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما **الا ما شاء الله** ان
املكه من ذلك بان يلهمنيه فيمكننى منه ويقدرنى عليه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء
منقطع وهذا ابلغ فى اظهار العجز **ولو كنت اعلم الغيب** اى جنس الغيب الذى من جملته ما بين الاشياء
من المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة
لاستكثرت من الخير اى لحصلت كثيرا من الخير الذى ينط تحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب اسبابه
ودفع موانعه **وما مسنى السوء** اى السوء الذى يمكن التفصى عنه بالتوقى عن موجباته والمدافعة بموانعه
لا سوء ما فانه منه ما لا مدفع منه **ان انا الا نذير وبشير** اى ما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة شانى
حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب التى لا علاقة بينها وبين

الاحكام والشرايع وقد كشفت عن امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها لا محالة واقترابها واما تعيين
وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر من ان ابهامه ادعى الى الانزجار عن المعاصي
وتقديم النذير على البشير لما ان المقام مقام الانذار وقوله لقوم يؤمنون اما متعلق بهما جميعا
لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما البشير فقط وما يتعلق بالنذير محذوف اى نذير
للكافرين اى الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون اى فى اى وقت كان ففيه ترغيب للكفرة فى احداث
الايمان وتحذير على الاصرار على الكفر والطغيان هو الذى خلقكم استيناف سيق لبيان كمال عظم
جناية الكفرة فى جرايمهم على الاشراك بتذكير مبادى احوالهم المنافية له وايقاع الموجود خبر التفخيم
شان المبتداء اى هو ذلك العظيم الشان الذى خلقكم جميعا وحده من غير ان يكون لغيره مدخل
فى ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هو ادم عليه السلام وهذا نوع تفصيل لما اشير اليه
فى مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم فى ضمن خلق ادم وتصويره وبيان
لكيفيته وجعل عطف على خلقكم داخل فى حكم الصلة ولا خير فى تقدمه عليه وجودا لما ان الواو لا
تستدعى الترتيب فى الوجود منها اى من جنسها كما فى قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا او من
جسدها لما يروى انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع ادم عليه السلام والاول هو الانسب
اذ الجنسية هى المؤدية الى الغاية الاتية لا الجزئية والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى زوجها
مفعوله الاول والثانى هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح
لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى
وقوله تعالى ليسكن اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثانى اى ليستانس بها ويطمئن
اليها اطمينانا مصححا للازدواج كما يلوح به تذكير الضمير وينفصح عنه قوله تعالى فلما تغشيها اى جامعها
حملت حملا خفيفا فى مبادى الامر فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك
من المراتب والتعرض لذكر خفته للاشارة الى نعمته تعالى عليهم فى انشائه تعالى اياهم متدرجين فى اطوار
الخلق من العدم الى الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به اى فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت
وقعدت واخذت وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضى الله عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف وفمارت
من المور وهو المجئ والذهاب او من المرية اى فظنت الحمل وارتابت به واما قيل من ان المعنى حملت
حملا خف عليها ولا تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله كما يستثقله
فمرت به اى فمضت به الى ميلاده من غير اخراج والازلاق فيرده قوله تعالى فلما اثقلت اذ معناه
فلما صارت ذات ثقل لكبر الولد فى بطنها ولا ريب فى ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى
المذكور انما يقابلها الكرب الذى يعترى بعضهن من اول الحمل اه دون بعض اصلا وقرئ اثقلت على البناء
للمفعول اى اثقلها حملها دعوا الله اى ادم وحواء عليهما السلام لما وسمهما امر لم يعهداه ولم يعرفا ماله
فاهتماه وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى ربهما اى مالك امرهما الحقيق بان يخص به الدعا اشارة الى

انهما

انهما قد صدرا به دعاهما كما فى قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الاية ومتعلق الدعا محذوف تعويلا على شهادة
الجملة القسمية به اى دعواه تعالى ان يواتيهما صالحا ووعدا بمقابلته الشكر على سبيل التوكيد القسمى و
قالا او قائلين لئن اتيتنا صالحا اى ولدا من جنسنا سويا لنكونن نحن ومن تناسل من ذريتنا
من الشاكرين من الراسخين فى الشكر على نعمائك التى من جملتها هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على
الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاهما انموذج لساير افراد الجنس ومعيار لها ذاتا و
صفة وجوده مستتبع لوجودها وصلاحه مستلزم لصلاحها فالدعا فى حقه متضمن للدعا فى حق
الكل مستتبع له كانهما قالا لئن اتيتنا وذريتنا اولادا صالحة وقال ان ضمير اتيتنا ايضا لهما
ولكل من تناسل من ذريتهما وانت خبير بان نظم الكل فى سلك الدعا اصالة باباه مقام المبالغة
فى الاعتناء بشان ما هما بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا محذور فيه لان توسيع دايرة
الشكر غير مخل بالاعتناء المذكور بل هو مؤكد له وايا ما كان فمعنى قوله تعالى فلما اتاهما صالحا
لما اتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى جعلا اى
جعل اولادهما له تعالى شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح
الامر وتعويلا على ما يعقبه من البيان وكذا الحال فى قوله تعالى فيما اتاهما اى فيما اتى اولادهما
من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى ونحو ذلك وتخصيص ذلك اشتراكهم هذا
بالذكر فى مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم وقوعا لما ان مساق
النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر فى مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم فى حقه انما هو تسميتهم
اياه بما ذكر وقرئ شركا اى شركة او ذوى شركة اى شركاء ان قيل ما ذكر من حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه ايضا بصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه ايضا بسرايته اليه
حقيقة او حكما ويتضمن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها المقام كما فى مثل قوله تعالى واذ انجيناكم
من ال فرعون الاية فان الانجاء منهم مع ان تعلقه حقيقة ليس الا باسلاف اليهود وقد نسب الى
اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا فى قوله تعالى قل فلم تقتلون انبياء الله
الاية فان القتل حقيقة مع كونه من جناية ابايهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام التوبيخ
والتبكيت ولا ريب فى انهما عليهما السلام بريئان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من الوجوه
فما وجه اسناده اليهما صورة قلنا وجهه الايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما فى سلك
انفسهما او التزما شكرهم فى ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل تعريف احوالهم ببيان ان اخلالهم بالشكر
الذى وعداه وعداه مؤكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات فى استيجاب الحنث والخلف مع ما فيه
من الاشعار بتضاعيف جناياتهم ببيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما فى ورطة الحنث والخلف
وجعلوهما كانهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما السلام فتعالى
الله عما يشركون تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تعالى واثار

نعمته الزاجرة عن اشراك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعيين الفاعل وتنزيه ادم وحوا
عليهما السلام عن ذلك وما فى عما اما مصدرية اى عن اشراكهما او موصولة او موصوفة اى عما يشركونه به
سبحانه والمراد باشراكهما اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما اوليا وقرى تشركون
بناء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب الال قصى من قريش والمراد بالنفس الواحدة نفس قصى
فانهم خلفوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قريشة وطلبا من الله تعالى ولدا صالحا فاعطاهما
اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار وضمير يشركون لهما ولاعقابهما
المتقدمين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حوا اتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها ما يدريك ما فى
بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت من ذلك فذكرته لادم عليه
السلام فاهمهما ذلك ثم عاد اليها وقال انى من الله تعالى بمنزلة فان دعوته ان يجعله خلقا مثلك و
يسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا فى الملئكة فقبلت فلما ولدته سمته عبد الحارث
فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام كان علما فى علم الاسما والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه
اياه فى مثل هذا الشان الخطير امر قريب من المحال والله اعلم بحقيقة الحال **ايشركون** استيناف مسوق لتوبيخ
كافة المشركين واستقباح اشراكهم على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شان ما اشركوه به سبحانه
وتفصيل احواله القاضية ببطلان ما اعتقدوه فى حقه اى ايشركون به تعالى **ما لا يخلق شيئا** اى لا يقدر
على ان يخلق شيئا من الاشياء اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تعالى **وهم
يخلقون** عطف على لا يخلق وايراد الضميرين بجمع العقلا مع رجوعهما الى ما المعتبر بها عن الاصنام
انما هو بحسب اعتقادهم فيها واجرائهم لها مجرى العقلا وتسميتهم لها الهة وكذا حال ساير الضماير الاتية
ووصفها بالمخلوقية بعد وصفها بنفى الخالقية لابانة كمال منافاتها لما اعتقدوه فى حقها واظهار غاية
جهلهم فان اشراك ما لا يقدر على خلق شئ ما بخالقه وخالق جميع الاشياء مما لا يمكن ان يسوغه من له
عقل فى الجملة وعدم التعرض لخالقها للايذان بتعينه والاستغناء عن ذكره **ولا يستطيعون لهم** اى
لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم وخطب ملم **نصرا** اى نصرا اما بجلب منفعة او دفع مضرة **ولا انفسهم
ينصرون** اذا اعتراهم حادثة من الحوادث اى لا يدفعونها عن انفسهم وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان
لعجزهم عن ايصال منفعة ما من المنافع الوجودية والعدمية الى عبدتهم وانفسهم بعد بيان عجزهم عن
ايصال منفعة الوجود اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا هناك بالمخلوقية لكونهم اهلا لها وههنا
لم يوصفوا بالمنصورية لانهم ليسوا اهلا لها وقوله تعالى **وان تدعوهم الى الهدى** بيان لعجزهم هو
ادنى من النصر المنفى عنهم وايسر وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق حصوله من غير ان
يحصله الطالب والخطاب للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتناء بامر التوبيخ والتبكيت اى
ان تدعوهم ايها المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب او تنجون به عن المكاره **لا يتبعوكم**
الى مرادكم وطلبكم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى **سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون** استيناف

مقرر

٣٩١

مقرر لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اى مستو عليكم فى عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم
البحت فانه لا يتغير حالكم فى الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تعالى ام انتم صامتون جملة اسمية
فى معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لانها فى قوة ام صمتم عدل عنها للمبالغة فى عدم افادة الدعا ببيان
مساواته للسكوت الدايم المستمر وما قيل من ان الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوهم المشركين الى الهدى
اى الاسلام لا يتبعوكم اه مما لا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل
عليهم مكان عليكم كما فى قوله تعالى سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون فان استواء الدعا
وعدمه انما هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين فانهم فايزون بفضل الدعوة **ان الذين
تدعون من دون الله** تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اى ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من
الاصنام وتسمونهم الهة **عباد امثالكم** اى مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز
وجل مسخرة لامره عاجزة عن النفع والضرر وتشبيهها بهم فى ذلك مع كون عجزها عنهما اظهر واقوى
من عجزهم انما هو لاعترافهم بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتهما عليهما اذ هو الذى يدعوهم الى عبادتها و
الاستعانة بها وقوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اى
فادعوهم فى جلب نفع او كشف ضر **ان كنتم صادقين** فى زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون
عنه وقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها اه تبكيت اثر تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزى من عدم
الاستجابة ببيان فقدان الاتها بالكلية فان الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان
لها حيوة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شئ من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل
الهم هذه الالات التى بها يتحقق الاستجابة حتى يمكن استجابتهم لكم وقد وجه الانكار الى كل واحدة
من هذه الالات الاربع على حدة تكرير التبكيت وتثنية للتقريع واشعارا بان انتفاء كل واحدة
منها بحيالها كاف فى الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف الارجل بالمشى بها للايذان بان مدار
الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال ايمشون بارجلهم لتحقيق انها
حيث لم يظهر منها ما يظهر من ساير الارجل فهى ليست بارجل فى الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من
الجوارح الثلث الباقية وكلمة ام فى قوله تعالى **ام لهم ايد يبطشون بها** منقطعة وما فيها من
الهمزة لما مر من التبكيت والالزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه
الى فن اخر منه لما ذكر من المزايا والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطاء وهى لغة فيه والمعنى
بل الهم ايد ياخذون بها ما يريدون اخذه وتاخير هذا عما قبله لما ان المشى حالهم فى انفسهم والبطش
حالهم بالنسبة الى الغير واما تقديمه على قوله تعالى **ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها**
مع ان الكل سواء فى انها من احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة من الايدى والارجل ولان
انتفاء المشى والبطش اظهر والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الاذان واظهر
عينا واثرا هذا وقد قرئ ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل

ما المجازية اى ما الذين تدعون من دونه تعالى عباد امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم اه تقرير
النفى المماثلة باثبات القصور والنقصان قل ادعوا شركاءكم بعد ما بين ان شركاهم لا يقدرون على شئ
ما اصلا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يناصبهم للمحاجة ويكرر عليهم التبكيت والقام الحجر اى ادعوا
شركاءكم واستعينوا بهم على ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا فى ترتيب ما تقدرون عليه
من مبادى الكيد والمكر فلا تنظرون اى فلا تمهلونى ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فانى لا ابالى
بكم اصلا ان وليى الله الذى نزل الكتاب تعليل لعدم المبالات المفهوم من السوق انفهاما جليا ووصفه
تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم المبالات كانه قيل لا ابالى
بكم وبشركائكم لان وليى هو الله الذى نزل الكتاب الناطق بانه وليى وناصرى وبان شركاءكم لا يستطيعون
نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اى
ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون اى تعبدونهم
من دونه تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم على حسبما امرتكم به لا يستطيعون نصركم اى فى امر من
الامور او فى خصوص الامر المذكور ولا انفسهم ينصرون اذا نابتهم نائبة وان تدعوهم الى الهدى اى
الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم على الاطلاق او فى خصوص الكيد المعهود لا يسمعوا
اى دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفى الاتباع وقوله تعالى وتراهم ينظرون اليك
وهم لا يبصرون بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا تكرار اصلا و
الرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون اليك حال من المفعول والجملة الاسمية حال من فاعل ينظرون
اى وترى الاصنام راى العين يشبهون الناظرين اليك ويخيل اليك انهم يبصرونك لما انهم صنعوا
لهم اعينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلالئة وصوروها بصورة من قلب حدقته الى الشئ ينظر اليه
والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير فى تراهم مع رجوعه الى المشركين لتوجيه الخطاب
الى كل واحد واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام
على الهيئة المذكورة لا يتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل فى تراهم لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى لا
يسمعوا اى وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن ان
الخطاب فى قوله تعالى وان تدعوهم للمؤمنين على ان التعليل قد تم قوله تعالى ينصرون اى وان
تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الاسلام لا يلتفتوا اليكم ثم خوطب عليه السلام بطريق التجريد
بانك تراهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه عليه السلام
من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظرين خذ العفو بعد ما عد من
اباطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله امر صلى الله عليه وسلم بمجامع مكارم الاخلاق التى من جملتها الاغضاء
عنهم اى خذ ما عفى لك من افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذى هو ضد

الجهد

الجهد او خذ العفو من المذنبين او الفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف
بالجميل المستحسن من الافعال فانها قريبة من قبول الناس من غير نكير واعرض عن الجاهلين من غير
ممارات ولا مكافات وقيل لما نزلت سال رسول الله جبرئيل عليهما السلام فقال لا ادرى حتى اسال
ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن
جعفر الصادق امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق وروى انه لما نزلت الاية الكريمة قال صلى الله
عليه وسلم كيف يا رب والغضب فنزل قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ
والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس واغراؤه لهم على المعاصى بغرز السائق لما يسوقه واسناده
الى النزغ من قبيل جد جده اى واما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اعتراء
غضب او نحوه فاستعذ بالله فالتجئ اليه تعالى من شره انه سميع يسمع استعاذتك به عليم يعلم تضرعك
اليه قلبا فى ضمن القول او بدونه فيعصمك من شره وقد جوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب
على نهج الاستعارة كما فى قول الصديق رضى الله تعالى عنه ان لى شيطانا يعترينى ففيه زيادة تنفير عنه
وفرط تحذير عن العمل بموجبه وفى الامر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لامره وتنبيه على انه من الغوائل
الصعبة التى لا يتخلص من مضرتها الا بالالتجاء الى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح امرك
فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها ان الذين اتقوا استيناف
مقرر لما قبله ببيان ان ما امر به عليه السلام من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين
والاخلال بها ديدن الغاوين اى ان الذين اتصفوا بوقاية انفسهم عما يضرها اذا مسهم طائف من
الشيطان ادنى لمة منه على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانه يطوف بهم ويدور
حولهم ليوقع بهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا اى الم وقرئ طيف على انه مصدر او تخفيف
من طيف من الواوى او اليائى كهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره فيما سياتى
تذكروا اى الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه فاذا هم بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع
الخطاء ومكايد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه واخوانهم اى اخوان الشياطين وهم
المنهمكون فى الغى المعرضون عن وقاية انفسهم عن المضار يمدونهم فى الغى اى تكون الشياطين مددا
لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم كانهم يعينونهم
بالتسهيل والاغراء وهؤلاء بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون اى لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم
بالكلية ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يرعوون عن الغى ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان
بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تاتهم باية
من القران عند تراخى الوحى او باية مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشئ بمعنى جباه لنفسه
اى هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا يرون بذلك ان سائر الايات ايضا كذلك او هلا تلقيتها
من ربك استدعاء قل ردا عليهم انما اتبع ما يوحى الى من ربى من غير ان يكون لى دخل ما فى ذلك

اصلا على معنى تخصيص حاله عليه الصلوة والسلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة
انما الى نفس الفعل بالنسبة الى مقابله الذى كلفوه اياه عليه السلام لا على معنى تخصيص اتباعه عم
بما يوحى اليه بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول اخر كما هو الشايع فى موارده الاستعمال وقد مر
تحقيقه فى قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الى منه تعالى وفى التعرض
لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ الى الكمال اللائق مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من
تشريفه عم والتنبيه على تاييده ما لا يخفى **هذا** اشارة الى القران الكريم المدلول عليه بما يوحى الى
بصائر من ربكم بمنزلة البصاير للقلوب بها تبصر الحق وتدرك الصواب وقيل حجج بينة وبراهين نيرة
ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها اى بصاير كائنة منه تعالى والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد وجوب الايمان بها وقوله تعالى **وهدى ورحمة** عطف
على بصاير وتقديم عليهما وتعقيبهما بقوله تعالى **لقوم يؤمنون** للايذان بان كل القران بمنزلة البصاير
للقلوب متحقق بالنسبة الى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع واما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين
به اذ هم المقتبسون من انواره والمغتنمون باثاره والجملة من تمام القول المامور به **واذا قرئ القران**
فاستمعوا له ارشاد الى طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع الجليلة التى ينطوى عليها القران اى واذا
قرئ القران الذى ذكرت شيونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول **وانصتوا** اى واسكتوا فى
خلال القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع **لعلكم ترحمون** اى تفوزون
بالرحمة التى هى اقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضى وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القران
فى الصلوة وغيرها وقيل معناه اذا تلى عليكم الرسول القران عند نزوله فاستمعوا له وجمهور
الصحابة رضى الله تعالى عليهم على انه فى استماع المؤتم وقد روى انهم كانوا يتكلمون فى الصلوة فامروا
باستماع قراءة الامام والانصات له وعن ابن عباس رض ان النبى صلى الله عليه وسلم قرا فى المكتوبة
وقرا اصحابه رض خلفه فنزلت واما خارج الصلوة فعامة العلماء على استحبابها والاية اما من تمام القول
المامور به او استيناف من جهته تعالى فقوله تعالى **واذكر ربك فى نفسك** على الاول عطف
على قل وعلى الثانى فيه تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام فى الاذكار كافة فان
الاخفاء ادخل فى الاخلاص واقرب من الاجابة **تضرعا وخفية** اى متضرعا وخائفا **ودون الجهر من**
القول اى متكلما كلاما دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر **بالغدو والاصال** متعلق باذكر اى اذكره
فى وقت الغدوات والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر اصل اى دخل فى الاصيل موافق
للغدو **ولا تكن من الغافلين** عن ذكر الله تعالى **ان الذين عند ربك** وهم الملائكة عليهم الصلوة
والسلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم فى رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته **لا يستكبرون**
عن عبادته بل يؤدونها حسبما امروا به **ويسبحونه** اى ينزهونه عن كل ما لا يليق بجناب كبريائه
وله يسجدون اى يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض بساير

المكلفين

المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم اية السجدة فسجد فله
الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الاعراف جعل الله يوم
القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان ادم شفيعا له يوم القيمة والله اعلم بالصواب

سورة الانفال ست وسبعون ايات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

يسئلونك عن الانفال النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تعالى على ما هو اصل الاجر فى الجهاد
من الثواب الاخروى ويطلق ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فى اللام روى ان المسلمين اختلفوا فى غنايم بدر وفى
قسمها فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا
وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون
ولنا الغنايم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردا لكم وفئة تنحازون اليها حتى
قال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زهادة
فى الاجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا ان نعرى مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت
وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم قد شرط لمن كان معه بلاء ان ينفله ولذلك فعل الشبان
ما فعلوا من القتل والاسر فسالوه عليه السلام ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير
وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت والاول هو الظاهر لما ان السؤال العلام لحكم
الانفال بقضية كلمة عن الاستعطاء لنفسها كما نطق به الوجه الاخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر
والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن ابى وقاص وعلى ابن الحسين وزيد ومحمد الباقر
وجعفر الصادق وعكرمه وعطا رضى الله تعالى عنهم يسالونك الانفال غير منتهض فان مبناها
كما قالوا على الحذف والايصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل **قل الانفال لله والرسول**
اى حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما امر به من غير ان يدخل فيه راى احد
ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله
والرسول لا ينافى اعطاها اياهم بل يحققه لانهم انما يسالونها بموجب شرط الرسول عليه السلام الصادر
عنه باذن الله لا بحكم سبق ايديهم اليها او نحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل الجواب على
معنى ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا من كان
مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل متاخر التزام
لتكرر النسخ من غير علم بالناسخ الاخير ولا مساغ للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد وعكرمه والسدى من
ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شئ بهذه الاية فنسخت بقوله
تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ الاية على ان الحق ان لا نسخ ح ايضا حسبما قاله عبد الرحمن بن زيد بن اسلم

بل بين فى صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله تعالى ورسوله ثم بين مصارفها
وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم اعنى الاختصاص برسول الله صلى الله عليه
وسلم على الانفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل فى ساير الانفال
المشروطة ياباه مقام بيان الاحكام ينبئ عنه اظهار الانفال فى موقع الاضمار على ان الجواب عن سؤال
الموعود ببيان كونه له عليه السلام خاصة مما لا يليق بشانه الكريم اصلا وقد روى عن سعد بن
ابى وقاص انه قال قُتِلَ اخى عُمَير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت مسيفه
فاعجبنى فجئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله تعالى قد شفى صدرى من المشركين
فهب لى هذا السيف فقال عليه السلام ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى ما لا
يعلمه الا الله من قتل اخى واخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سألتنى السيف وليس بى وقد صار لى فاذهب فخذه وهذا كما ترى
يقتضى عدم وقوع التنفيل يومئذ والا لكان سؤال السيف من سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده
لا بطريق الهبة المبتداة وحمل ذلك من سعد على مراعات الادب مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده
وروده عليه السلام قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لى لاستحالته ان يعد عليه السلام بما
لا يقدر على انجازه واعطاؤه عليه السلام بما لا يقدر بعد النزول وترتيبه على قوله وقد صار لى ضرورة
ان مناط صيرورته له عم قوله تعالى الانفال لله والرسول والفرض انه المانع من اعطاء المسؤل
ومما هو نص فى الباب قوله تعالى فاتقوا الله اى اذا كان امر الغنايم لله تعالى ورسوله فاتقوه تعالى
واجتنبوا ما كنتم فيه من المشاجرة فيها والاختلاف الموجب بسخطه تعالى او فاتقوه فى كل ما تاتون
وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا اوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما كان فيه محذور
يجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم واصلحوا ذات بينكم جعل ما بينهم
من الحال لملابستها التامة لبينهم صاحبة له كما جعلت الامور المعمرة فى الصدور ذات الصدور اى
اصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواسات والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عبادة
بن الصامت رضى الله عنه نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه اخلاقنا
فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين على السواء وكان فى ذلك تقوى الله
وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنايمكم
بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض واطيعوا الله ورسوله بتسليم اميره
ونهيه وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال
العناية بالاصلاح بحسب المقام وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة ان كنتم مؤمنين
متعلق بالاوامر الثلاثة والجواب محذوف ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف
المشهور وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق به وفيه تنشيط للمخاطبين وحث لهم على المسارعة الى

الامتثال والمراد بالايمان كماله اى ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلث
طاعة الاوامر واتقاء المعاصى واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان انما المؤمنون جملة
مستانفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة المستتبعة لما ذكر من الخصال
الثلث وفيه مزيد ترغيب لهم من الامتثال بالاوامر المذكورة اى انما الكاملون فى الايمان المخلصون
فيه الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اى فزعت لمجرد ذكره من غير ان يذكر هناك ما يوجب
الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشانه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له
اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهى لغة وقرئ فرقت اى خافت واذا
تليت عليهم اياته اى اياته كانت زادتهم ايمانا اى يقينا وطمانينة نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد
الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمينان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة
والنقصان وانما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت اية صدق المؤمن بها فزاد ايمانا
عددا واما نفس الايمان فهو بحاله وقيل باعتبار ان الاعمال تجعل من الايمان فيزيد بزيادتها والاصوب
ان نفس التصديق يقبل القوة وهى التى عبر عنها بالزيادة للفرق البين بين يقين الانبياء وارباب
المكاشفات ويقين احاد الامة وعليه مبنى ما قال على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت
وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة وعلى ربهم مالكهم ومدبر
امورهم خاصة يتوكلون يفوضون امورهم لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله
تعالى الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون مرفوع على انه نعت للموصول الاول او بدل منه
او بيان له او منصوب على القطع المنبئ عن المدح ذكرا ولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية
والاخلاص والتوكل ثم عقب باعمال الجوارح من الصلوة والصدقه اولئك اشارة الى من ذكرت
صفاتهم الحميدة من حيث انهم متصفون بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم اكمل
تميز منتظمون بسببه فى سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم
وبعد منزلتهم فى الشرف هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه ما فصل من
افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اى اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا
او مصدر مؤكد للجملة اى حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا لهم درجات من الكرامة
والزلفى وقيل درجات عالية فى الجنة وهو اما جملة مبتداءة مبنية على سؤال نشا من تعداد
مناقبهم كانه قيل ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كيت وكيت او خبر ثان لاولئك وقوله
تعالى عند ربهم اما متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة
الذاتية بالفخامة الاضافية اى كاينة عنده تعالى او بما تعلق به الخبر اعنى لهم من الاستقرار
وفى اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف ولطف لهم وايذان بان ما وعد
لهم متيقن الثبوت والحصول مامون الفوات ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم لا ينقضى

امه ولاينتهى عدده وهوما اعد لهم من نعيم الجنّة كما اخرجك ربّك من بيتك بالحقّ الكاف فى
محل الرّفع على انه خبر مبتداء محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعنى ان حالهم فى كراهتهم
لما رايت من كونه حقا كحالهم فى كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق او فى محل النصب على انه صفة
لمصدر مقدر فى قوله تعالى الانفال لله اى الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات
اخراج ربك اياك من بيتك فى المدينة او من المدينة اخراجا ملتبسًا بالحق وان فريقًا من المؤمنين
لكارهون اى والحال انّ فريقا منهم كارهون للخروج امّا لنفرة الطبع من القتال او لعدم الاستعداد
وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبًا منهم ابوسفيان
وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم
تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا ابلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابوجهل فوق الكعبة
يا اهل مكة النجا النجا على كلّ صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدًا وقد رات اخت
العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها انى عجبًا رايت كان ملكا نزل من السّماء فاخذ صخرة من
الجبل ثم خلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصّخرة فحدّث بها العبّاس رضى
الله عنه فقال ابوجهل ما يرضى رجالهم ان يتنبا واحتّى تتنبّا نساؤهم فخرج ابوجهل بجميع اهل مكة وهم
النفير فقيل له ان العير اخذت طريق السّاحل ونجت فارجع بالنّاس الى مكة فقال والله لايكون
ذلك ابدا حتّى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيسامع جميع العرب بمخرجنا
وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماكانت العرب تجتمع فيه لسوقهم
يوما فى السنة فنزل جبرائيل فقال يا محمّد ان الله وعدكم احدى الطائفتين امّا العير واما قريشا
فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كلّ
صعب وذلول فالعير احبّ اليكم ام النفس فقالوا بل العير احبّ الينا من لقاء العدوّ فتغير وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال انّ العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابوجهل
قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عندما غضب النبى عم ابوبكر وعمر رضى الله
عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عباده رضى الله عنه فقال انظر امرك فامض فوالله لوسرت الى عدن
اسى ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو رضى الله عنه يا رسول الله امض لما امرك
الله تعالى فانا معك حيثما احببت لانقول لك كما قالت بنوا اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت
وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت
عين منا تطرف فضحك رسول الله عليه السّلام ثم قال اشيروا علىّ ايها النّاس وهو يريد الانصار لانهم
قالوا له حين بايعوه على العقبة انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت
فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه ابناءنا ونساءنا فكان النبى صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لاتكون الانصار
لاترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال لكانك تريدنا

رسول

رسول الله قال اجل قال قد امنّا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحقّ واعطيناك
على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السّمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذى بعثك بالحقّ
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدوّنا
انا لصبر عند الحرب صدق عند اللّقاء ولعل الله يريك منا ما تقربه عينك فسر بنا على بركة الله
ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله
وعدنى احدى الطّائفتين والله لكانى الآن انظر الى مصارع القوم وروى انه قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شئ فناداه العبّاس رضى الله عنه وهو فى وثاقه
لايصلح فقال له النّبى عم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك يجادلونك
فى الحقّ الذى هو تلقى العير الجملة استيناف او حال ثانية اى اخرجك فى حال مجادلتهم اياك ويجوز ان
يكون حالا من الضّمير فى لكارهون وقوله تعالى بعدما تبيّن منصوب بيجادلونك وما مصدرية
اى بعد تبيّن الحق لهم باعلامك انهم ينصرون اينما توجّهوا ويقولون ما كان خروجنا الا للعير
وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وكان ذلك لكراهتهم القتال كانّما يساقون الى الموت
الكاف فى محل النّصب على الحاليّة من الضّمير فى لكارهون اى مشبّهين بالذين يساقون بالعنف
والصّغار الى القتل وهم ينظرون حال من ضمير يساقون اى والحال انهم ينظرون الى اسباب
الموت ويشاهدونها عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الّا لقلة عددهم وعدم تاهبهم
وكونهم رجالة روى انه لم يكن فيهم الا فرسان واذ يعدكم الله احدى الطّائفتين كلام مستانف
مسوق لبيان جميل صنع الله تعالى بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمّة وقصور الراى
والخوف والجزع واذ منصوب على المفعوليّة بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات
واحدى الطّائفتين مفعول ثان ليعدكم اى اذكروا وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير
مع ان المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مرارًا من المبالغة فى ايجاب ذكرها لما ان ايجاب
ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث
بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصّلا كانه مشاهد عيانا وقرئ يعدكم بسكون
الدّال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها وقوله تعالى انّها لكم
بدل اشتمال من احدى الطّائفتين مبيّن لكيفيّة الوعد اى يعدكم ان احدى الطائفتين كائنة
لكم مختصّة بكم مسخّرة لكم تتسلّطون عليها تسلط الملاك وتتصرّفون فيهم كيف شئتم وتودّون عطف
على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر اى تحبّون انّ غير ذات الشوكة تكون لكم من الطّائفتين
لا ذات الشوكة وهى النفير ورئيسهم ابوجهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هى العير اذ لم يكن فيها
الا اربعون فارسا ورأسهم ابوسفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادهم
لملاقاتهم وموجب كراهتهم ونفرتهم عن موافات النفير والشوكة الحدة مستعار من واحدة الشوك

وشوك القنا شباها **ويريد الله** عطف على تودون منتظم معه فى همهم وقصورا رائهم اى اذكروا وقت وعد
تعالى اياكم احدى الطائفتين وودادتكم لادناهما وارادته تعالى لاعلاهما وذلك قوله تعالى **ان يحق الحق**
اى يثبته ويعليه **بكلماته** اى باياته المنزلة فى هذا الشان او باوامره للملئكة بالامداد وبما قضى من
اسرهم وقتلهم وطرحهم فى قليب بدر وقرئ بكلمته **ويقطع دابر الكافرين** اى اخرهم ويستاصلهم
بالمرة والمعنى انتم تريدون سفاف الامور والله يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة الدين
وشتان بين المرادين وقوله تعالى **ليحق الحق ويبطل الباطل** جملة مستانفة سيقت لبيان الحكمة الداعية
الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر عنها اى
لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشئ اخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين
وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيقته لا جعله حقا بعد ان لم يكن
كذلك وكذا حال ابطال الباطل **ولو كره المجرمون** اى المشركون ذلك اى احقاق الحق وابطال الباطل
اذ تستغيثون ربكم بدل من اذ يعدكم معمول لعامله والمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه والتجائهم
اليه تعالى حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وامداده تعالى ح وقيل متعلق بقوله تعالى
ليحق الحق على الظرفية وما قيل من ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يمكن عمله فى اذ
لانه ظرف لما مضى ليس بشئ لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل
هما فى وقت واحد وانما عبر عن زمانها باذ نظرا الى زمان النزول وصيغة الاستقبال فى تستغيثون
لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر مستانف اى اذكروا وقت استغاثتكم
وذلك انهم لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله تعالى قائلين اى رب انصرنا على عدوك
يا غياث المستغيثين اغثنا ومن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين
وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لى ما وعدتنى
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه
على منكبيه والتزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز ما وعدك **فاستجاب
لكم** عطف على تستغيثون داخل معه فى حكم التذكير لما عرفت انه ماض وصيغة الاستقبال لاستحضار
الصورة **انى ممدكم** اى بانى فحذف الجار وسلط عليه الفعل فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة
القول **بالف من الملئكة مردفين** اى جاعلين غيرهم من الملئكة رديفا لانفسهم فالمراد بهم رؤسا
وهم المستتبعون لغيرهم وقد اكتفى ههنا بذكر البيان الاجمالى وبين فى سورة ال عمران مقدار عددهم
وقيل معناه متبعين انفسهم ملئكة اخرين او متبعين المؤمنين او بعضهم بعضا من اردفته اذا جئت
بعده او متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين بفتح
الدال اى متبعين او متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها
وتشديد الدال واصلهما مرتدفين فادغمت التاء فى الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل

او بالضم على الاتباع وقرئ بالاف ليوافق ما فى سورة ال عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور ان
المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل منهم واختلف
فى مقاتلتهم وقد روى اخبار تدل على وقوعها **وما جعله الله** كلام مستانف سيق لبيان ان الاسباب
الظاهرة بمعزل من التاثير وانما التاثير مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من الن
صر عند فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر
يقتضيه المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم بهم وما جعل امدادكم بهم
الا بشرى لكم وهو استثناء مفرغ من اعم العلل اى وما جعل امدادكم بانزال الملئكة عيانا
لشئ من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون **ولتطمئن به** اى بالامداد قلوبكم وتسكن اليه
كما كانت السكينة لبنى اسرائيل كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقى
الثانى على حاله لفقدانها وقيل للاشارة الى اصالته فى العلية واهميته فى نفسه كما قيل فى قوله والخيل
والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفى قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملئكة للقتال وانما كان
امدادهم بتقوية قلوب المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو راى بعض السلف وقيل الجعل متعد الى
اثنين ثانيهما الا بشرى على انه استثناء من اعم المفاعيل اى وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشارة لكم
فاللام فى ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشئ اخر **وما النصر** اى حقيقة النصر على الاطلاق **الا
من عند الله** اى الا كائن من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد
وانما هى مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية **ان الله عزيز** لا يغالب فى حكمه ولا ينازع فى
قضيته **حكيم** يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار
بان النصر الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة **اذ يغشيكم النعاس** اى يجعله
غاشيا لكم ومحيطا بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف
عليه لحكاية الحال الماضية كما فى تستغيثون او منصوب باضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر وبما فى
من عند الله من معنى الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية و
الفاعل فى الوجهين هو البارى تعالى **امنة منه** على القراءتين الاولين منصوب على العلية بفعل
مترتب على الفعل المذكور اى يغشيكم النعاس فتنعسون امنا كائنا من الله تعالى لا كلالا واعياء او على
انه مصدر لفعل اخر كذلك اى فتامنون امنا كما فى قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين
وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور والامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب على العلية
بيغشاكم باعتبار المعنى فانه فى حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ امنة كرحمة
وينزل عليكم من السماء ماء تقديم الجار والمجرور على المفعول به لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم و
التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فعند وروده يتمكن عندها
فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف

من الانزال ليطهركم به اى من الحدث الاصغر والاكبر ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام فى تقديم
الجار والمجرور كما مرّ انفًا والمراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انّهم
نزلوا فى كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل
لهم الشيطان فوسوس اليهم وقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحقّ وانكم تصلّون على غير وضوء
وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو كنتم على الحقّ ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم
العطش فاذا قطع اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من احبّوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنًا شديدًا و
اشفقوا فانزل الله تعالى المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادى فاغتسلوا وتوضّؤا وسقوا الركاب
وتلبد الرّمل الّذى كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان
وطابت النّفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى وليربط على قلوبكم اى يقويها بالثّقة
بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلايعه ويثبت به الاقدام ولا تسوخ فى الرّمل فالضمير للماء
كالاوّل ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوى وتمكن فيه الصّبر والجراة لا تكاد تزل القدم
فى معارك الحروب وقوله تعالى اذ يوحى ربّك الى الملئكة منصوب بمضمر منصوب مستانف
خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف لما ان المامور به مما لا يستطيعه
غيره عليه السلام فان الوحى المذكور قبل ظهوره بالوحى المتلو على لسانه عليه السلام ليس من النعم
الّتى يقف عليها عامة الامة كساير النّعم السابقة الّتى امروا بذكرها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله
تعالى ويثبت به الاقدام فانه مع ما فيه من عود الضمير المجرور فيه الى الرّبط على القلوب يكون المستغنى
ويثبت اقدامكم بتقوية قلوبكم وقت الحاثه الى الملئكة وامرهم بتثبيتهم اياكم وهو وقت القتال ولا يخفى
ان تقييد التثبيت المذكور بوقت مبهم عندهم ليس فيه مزيد فايدة واما انتصابه على انّه بدل ثالث
من اذ يعدكم كما قيل فيأباه تخصيص الخطاب به عليه السّلام مع ما عرفت من ان المامور به ليس
من الوظايف العامة للكل كساير اخواته وفى التعرض لعنوان الربوبيّة مع الاضافة الى ضميره عم من
التنويه والتشريف ما لا يخفى والمعنى اذكر وقت ايحائه تعالى الى الملئكة انّى معكم اى بالامداد والتوفيق
فى امر التثبيت فهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة القول واجراء الوحى مجراه وما يشعر به دخول
كلمة مع من متبوعيّة الملئكة انّما هى من حيث انهم المباشرون للتثبيت صورة فلهم الاصالة من تلك
الحيثيّة كما فى امثال قوله تعالى ان الله مع الصابرين والفاء فى قوله تعالى فثبّتوا الّذين امنوا لترتيب
ما بعدها على ما قبلها فان امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات التثبيت واختلفوا فى كيفيّة التثبيت
فقال جماعة انما امروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما ممّا تقوى به قلوبهم وتصح عزايمهم ونياتهم
ويتاكّد جدّهم فى القتال وهو الانسب بمعنى التثبيت وحقيقته الّتى هى عبارة الحمل على الثبات فى موطن الحراب
والجلد فى مقاسات شدايد القتال وقد روى انّه كان الملك يتشبه بالرجل الّذى يعرفونه بوجهه فياتى
ويقول انى سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشى بين الصّفين فيقول ابشروا

فانّ الله ناصركم وقال اخرون امروا بمحاربة اعدائهم وجعلوا قوله تعالى سالقى فى قلوب
الّذين كفروا الرّعب تفسيرا لقوله تعالى انّى معكم وقوله تعالى فاضربوا تفسيرا
لقوله تعالى فثبّتوا مبيّنا لكيفيّة التثبيت وقد روى عن ابى داود المازنى رضى الله عنه
وكان ممن شهد بدرا انه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقعت راسه بين
يدى قبل ان يصل اليه سيفى وعن سهل بن حنيف رضى الله عنه انه قال لقد رايتنا يوم
بدر وان احدنا يشير بسيفه الى المشرك فتقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السّيف
وانت خبير بان فعلهم للكفرة مع عدم ملايمته بمعنى تثبيت المؤمنين ممّا لا يتوقف على الامداد
بالقاء الرّعب فلا يتجه ترتيبا لامر به عليه بالفاء وقد اعتذر الاوّلون بان قوله تعالى سالقى
الخ ليس بنص فيما ذكر بل يجوز ان يكون ذلك اثر قوله تعالى فثبّتوا الّذين امنوا تلقينا
للملئكة ما يثبتونهم به كانّه قيل قولوا لهم قولى سَاُلْقِى فِى قُلُوبِ الّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ
فاضربوا الخ فالضّاربون هم المؤمنون واما ما قيل من ان ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين
بالذات على طريق التلوين فمبناه توهم وروده قبل القتال وانى ذلك والسورة الكريمة
انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى فوق الاعناق اى اعاليها الّتى هى المذابح او الهامات
واضربوا منهم كلّ بنان قيل البنان اطراف الاصابع من اليدين والرّجلين وقال ابو الهيثم
البنان المفاصل وكل مفصل بنانه قال ابن عبّاس وابن جريج والضحاك يعنى الاطراف اى اضربوهم
فى جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد بالبنان الادانى وبفوق الاعناق الاعالى
والمعنى فاضربوا الصّناديد والسفلة وتكرير الامر بالضرب لمزيد التشديد والاعتناء
بامره ومنهم متعلّق به او بمحذوف وقع حالا ممّا بعده ذلك اشارة الى ما اصابهم من العقاب
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته فى الشدّة والفظاعة والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او لكلّ احد ممّن يليق بالخطاب ومحله الرّفع على الابتداء وخبره قوله
تعالى بِاَنَّهُم شَاقُّوا اللّهَ وَرَسُولَهُ اى ذلك العقاب الفظيع واقع عليهم بسبب مشاقتهم
ومغالبتهم من لا سبيل الى مغالبته اصلا واشتقاق المشاقة من الشق لما ان كلا من المشاقين
فى شق خلاف شق الاخر كما ان اشتقاق المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم اى
الجانب لان كلى المتعادين والمتخاصمين فى عدوه وخصم غير عدوه الاخر وخصمه وَمَن
يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ الاضمار فى موضع الاضمار لتربية المهابة واظهار كمال شناعة ما اجترؤا
عليه وللاشعار بعلة الحكم وقوله تعالى فَاِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ اما نفس الجزاء
فقد حذف منه العايد الى من عند من يلتزمه اى شديد العقاب له او تعليل للجزاء المحذوف
اى يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطيّة تكملة لما قبلها وتقرير
لمضمونه وتحقيق للسّببيّة بالطريق البرهانى كانه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب

مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله ورسوله كائنا من كان فله
بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب شديد
واما انه وعيد لهم بما اعد لهم فى الآخرة بعد ما حاق بهم فى الدنيا كما
قيل فيرده ما بعد من قوله **ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار** فانه مع
كونه هو المسوق للوعيد بما ذكر ناطق بكون المراد بالعقاب المذكور ما اصابهم
عاجلا سواء جعل ذلكم اشارة الى نفس العقاب او الى ما يفيده الشرطية من
من ثبوت العقاب لهم اما على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه
قوله تعالى فذوقوه والواو فى قوله وان للكافرين الخ بمعنى مع فالمعنى باشروا
ذلكم العقاب الذى اصابكم فذوقوه عاجلا مع ان لكم عذاب النار آجلا فوضع
الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل عليه والمعنى حكم الله ذلكم اى
ثبوت هذا العقاب لكم عاجلا وثبوت عذاب النار آجلا وقوله تعالى فذوقوه
اعتراض وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الاول لنفس المشار اليه وعلى
الثانى لما ضمنه وقد ذكر فى اعراب الآية وجوه اخر مدار الكل على ان المراد بالعقاب
ما اصابهم عاجلا والله تعالى اعلم وقرئ بكسر ان على الاستيناف **يا ايها الذين
امنوا** خطاب للمؤمنين بحكم كلى جار فيما سيقع من الوقايع والحروب جئ به
فى تضاعيف القصة اظهارا للاعتناء بشانه ومبالغة فى حثهم على المحافظة عليه
اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبى زحفا اذا دب
على استه قليلا سمى الجيش الدهم المتوجه الى العدو لانه لكثرته وتكاثفه
يرى كانه يزحف وذلك لان الكل يرى كجسم واحد متصل فيحس حركته
بالقياس اليه فى غاية البطء وان كانت فى نفس الامر على غاية السرعة قال قائلهم
وارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج ونصبه اما على
انه حال من مفعول لقيتم اى زاحفين نحوكم واما على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو
الحال منه اى يزحفون زحفا واما كونه حالا من فاعله او منه ومن مفعوله معا
كما قيل فيأباه قوله تعالى **فلا تولوهم الادبار** اذ لا معنى لتقييد النهى عن الادبار بتوجههم
السابق الى العدو او بكثرتهم بل توجه العدو اليهم وكثرتهم هو الداعى الى الادبار
عادة والمحوج الى النهى عنه وحمله على الاشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث تولوا
مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا بعيد والمعنى اذا لقيتموهم
للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم
مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم فى العدد او تساووهم **ومن يولهم يومئذ** اى يوم اللقاء **دبره**

فضلا

فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء **الا متحرفا لقتال** اما بالتوجه الى قتال طائفة اخرى
اهم من هؤلاء واما بالفر للكر بان يخيل عدوه انه منهزم ليغره ويخرجه من بين
اعوانه ثم يعطف عليه وحده او مع من فى الكمين من اصحابه وهو باب من خدع
الحرب ومكايدها **او متحيزا الى فئة** اى منحازا الى جماعة اخرى من المؤمنين لينضم اليهم
ثم يقاتل معهم العدو وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان سرية فروا وانا معهم
فلما رجعوا الى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون
فقال صلى الله عليه وسلم بل انتم الكرارون وانا فئتكم وانهزم رجل
من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضى الله عنه فقال يا امير المؤمنين
هلكت فررت من الزحف فقال يا امير المؤمنين رضى الله عنه انا فئتك ووزن
متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز وانتصابهما اما
على الحالية والا لغو لا عمل لها واما على الاستثناء من المولين اى ومن يولهم دبره
الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا **فقد باء** اى رجع **بغضب** عظيم لا يقادر قدره ومن
فى قوله تعالى **من الله** متعلقة بمحذوف هو صفة لغضب مؤكدة لما افاده التنوين
من الفخامة والهول بالفخامة الاضافية اى بغضب كائن منه **ومأواه جهنم** اى بدل ما اراد
بفراره اى يأوى اليه من مأوى ينجيه من القتل **وبئس المصير** فى ايقاع البوء فى موقع
جواب الشرط الذى هو التولية مقرونا بذكر المأوى والمصير من الجزالة ما لا مزيد عليه
عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الفرار من الزحف من اكبر الكباير وهذا اذا لم يكن
العدو اكثر من الضعف لقوله تعالى الان خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة
باهل بيته والحاضرين معه فى الحرب **فلم تقتلوهم** رجوع الى بيان بقية احكام الواقعة
واحوالها وتقرير لما سبق منها والفاء جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من امداده
تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك كانه قيل اذا كان الامر كذلك فلم تقتلوهم
انتم بقوتكم وقدرتكم **ولكن الله قتلهم** بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم ويجوز
ان يكون التقدير اذا علمتم ذلك فلم تقتلوهم اى فاعلموا او فاخبركم انكم لم تقتلوهم وقيل
التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على احد التاء وليس لما روى انهم لما انصرفوا من المعركة
غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت فنزلت
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل قال هذه قريش جاءت
بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسئلك ما وعدتنى فاتاه جبرئيل عليهما السلام فقال
خذ قبضة من تراب فارمهم فلما التقى الجمعان قال لعلى رضى الله عنه اعطنى قبضة من حصباء الوادى
فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وذلك

قوله عزّ وجل بطريق تلون الخطاب وما رميت اذ رميت ولكنّ الله رمى تحقيقا لكون الرّمى الظّاهر
على يده عليه السّلام من افعاله عزّ وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلى
بيان حال الرّمى نفيًا واثباتًا اذ هو الّذى ظهر منه ما ظهر وهو المنشا لتغير المرمىّ به في
نفسه وتكثره اى حيث اصاب عينى كل واحد من اولئك الامّة الجمّة بشئ من ذلك اى وما فعلت
انت يا محمّد تلك الرّمية المستتبعة بهذه الاثار العظيمة حقيقة حين فعلتها صورة والالكان
اثرها من جنس اثار الافاعيل البشريّة ولكنّ الله فعلها اى خلقها حين باشرتها لكن لاعلى نهج عادته
تعالى فى خلق افعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا التاثير الخارج عن طوق
البشر وداينه القوى والقدر فمدار اثباتها لله تعالى ونفيها عنه عم كون اثرها من افعاله عليه
السلام وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرّفع فى المحلين واللام فى قوله تعالى وليبلى المؤمنين منه اى
ليعطيهم من عنده تعالى بلاءً حسنا اى عطاء جميلا غير مشوب بمقاسات الشدايد والمكاره اما
متعلّق بمحذوف متاخر فالواو اعتراضيه اى وللاحسان اليهم بالنّصر والغنيمة فعل ما فعل
لالشئ غير ذلك ممّا لايجديهم نفعا واما يرى فالواو للعطف على علة محذوفة اى ولكن الله
رمى ليمحق الكافرين وليبتلى اه وقوله تعالى انّ الله سميع اى لدعائهم واستغاثتهم عليم
اى بنياتهم واحوالهم الدّاعية الى الاجابة تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع
على انه خبر مبتداء محذوف وقوله تعالى وانّ الله موهن كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه
اى المقصد ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقيل المشار اليه القتل
اوالرمى والمبتداء الامر اى الامر ذلكم اى القتل فيكون قوله تعالى وان الله الاية من قبيل عطف
البيان وقرئ موهن بالتّنوين مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا خطاب
لاهل مكة على سبيل التهكم بهم وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة و
قالوا اللهمّ انصر على الجندين واهدى الفئتين واكرم الحزبين اى ان تستنصروا لاعلى الجندين
فقد جاءكم الفتح حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم انكم الاعلى فالتهكم فى المجئ او فقد جاءكم الهزيمة
والقهر فالتهكم فى نفس الفتح حيث وضع موضع ما يقابله وان تنتهوا عمّا كنتم عليه من الحراب
ومعادات الرسول صلى الله عليه وسلم فهو اى الانتهاء خير لكم اى من الحراب الذى ذقتم غايلته
لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار اصل الخيرية فى المفضل عليه هو التهكم وان
تعودوا الى حرابه عليه السلام نعد لما شاهدتموه من الفتح ولن تغنى بالتاء الفوقانيّة وقرئ
بالياء التحتانيّة لان تانيث الفئة غير حقيقة وللفصل اى لن تدفع ابدا عنكم فئتكم جماعتكم
التى تجمعونهم وتستعينون بهم شيئا اى من الاغناء او من المضار وقوله تعالى ولو كثرت جملة حالية
وقدمر التحقيق وانّ الله مع المؤمنين اى ولانّ الله معين المؤمنين كان ذلك او والامر
ان الله مع المؤمنين ويعضد منه بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستيناف

وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عمّا
رغب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم فهو خير لكم من كلّ شئ لما انه مناط لنيل سعادة الدّارين
وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار وتهييج العدوّ ولن تغنى كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنّصر والامر
ان الله مع الكاملين فى الايمان يا ايّها الّذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولاتولوا بطرح احدى التائين
وقرئ بادغامها عنه اى لاتتولوا عن الرّسول فان المراد هو الامر بطاعته والنّهى عن الاعراض عنه
وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على ان طاعته تعالى فى طاعة رسوله عليه السلام من يطع
الرّسول فقد اطاع الله وقيل الضّمير للجهاد وقيل للامر الذى دل عليه الطّاعة وقوله تعالى
وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتاكيد وجوب الانتهاء عن التوالى مطلقا كما فى قوله تعالى
لاتقربوا الصّلوة وانتم سكارى اى لاتتولوا عنه والحال انّكم تسمعون القران الناطق بوجوب
طاعته والمواعظ الزاجرة عن مخالفته سماع فهم واذعان ولاتكونوا تقرير للنّهى السابق وتحذير عن
مخالفته بالتنبيه على انّها مودية الى انتظامهم فى سلك الكفرة بكون سماعهم كلاسماع اى لاتكونوا
بمخالفة الامر والنّهى كالّذين قالوا سمعنا بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين
الّذين يدعون السّماع وهم لايسمعون حال من ضمير قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم لايسمعون
حيث لايصدقون ما سمعوه ولايفهمونه حق فهمه فكانّهم لايسمعونه راسًا انّ شرّ الدّوابّ
استيناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة فى التحذير وتقريرا للنّهى اثر تقرير اى
ان شرّ من يدب على الارض او شر البهايم عند الله اى فى حكمه وقضائه الصّمّ الذين لايسمعون
الحقّ البكم الذين لاينطقون به وصفوا بالصم والبكم لان ما خلق له الاذن واللسان سماع الحق
والنطق به وحيث لم يوجد فيهم شئ من ذلك صاروا كانّهم فاقدون للجارحتين راسًا وتقديم
الصّم على البكم لما ان صممهم متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم
له كما ان النطق به من فروع سماعه ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل الّذين لايعقلون تحقيقا لكمال
سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدى
بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدًا للعقل ايضا فهو الغاية فى الشرية وسوء الحالة وبذلك
يظهر كونهم شرا من البهايم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون على كثير من خلق الله عزّ وجل
فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرًا شيئا من جنس الخير الذى من جملته صرف قواهم
الى تحرى الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبّر ولو وقفوا على حقية الرّسول واطاعوه
وامنوا به ولكن لايعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرّة فلم يسمعهم كذلك لخلوه عن الفائدة و
خروجه عن الحكمة واليه اشير بقوله تعالى ولو اسمعهم لتولّوا اى لو اسمعهم سماع تفهم وهم على
هذه الحالة العارية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحقّ ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعدما صدقوه
صاروا كان لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون امّا حال من ضمير تولوا اى لتولوا على ادبارهم

والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلي اى وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل
كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم احى قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن
بك فالمعنى ولو اسمعهم كلام قصى الخ وقيل هم بنو عبد الدار من قصى لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير
وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه قاتلهم فقتلوا جميعا باحد
وكانوا اصحاب اللوا وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن انهم اهل الكتاب **يا ايها الذين**
امنوا تكرير النداء مع وصفهم بنعت الايمان لتنشيطهم الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من
الاوامر وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك **استجيبوا لله وللرسول** بحسن الطاعة **اذا دعاكم** اى
الرسول اذ المباشر لدعوة الله تعالى **لما يحييكم** من العلوم الدينية التى هى مناط الحيوة الابدية كما ان
الجهل الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقى او هى حيوة القلب كما ان الجهل موجب موته وقيل
لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما فى قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة روى انه عليه
السلام مر على ابى بن كعب وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلوته ثم جاء فقال ع م مامنعك من اجابتى قال
كنت فى الصلوة قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم الخ واختلف فيه فقيل
هذا من خصايص دعائه عليه السلام وقيل لان اجابته ع م لا تقطع الصلوة وقيل كان ذلك الدعا
لامر مهم لا يحتمل التاخير وللمصلى ان يقطع الصلوة لمثله **واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه**
تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى
مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على المبادرة الى اخلاص القلوب
وتصفيتها قبل ادراك المنية فانها حايلة بين المرء وقلبه او تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه
بحيث يفسخ عزايمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد سعادته ويبدله
بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة وقرئ بين المر بتشديد الراء
على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف **وانه** اى الله عز وجل او الشان
اليه تحشرون لا الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب اعمالكم فسارعوا الى طاعة الله تعالى وطاعة رسوله
وبالغوا فى الاستجابة بهما **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** اى لا يختص اصابتها
بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره كاقرار المنكرين اظهرهم والمداهنة فى الامر بالمعروف والنهى عن
المنكر وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على ان قوله تعالى لا تصيبن الخ اما جواب
الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيبن الخ وفيه ان جواب الشرط متردد فلا اصابتكم يليق به النون
المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم واما صفة
لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفى فى غير القسم او للنهى على ارادة القول كقول من
قال حتى جن الظلام واختلط جاؤوا بمذق هل رايت الذيب قط واما جواب قسم محذوف كقراءة من
قرا لتصيبن وان اختلف المعنى فيها وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر باتقاء الذنب

فان

فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الاخيرين
للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم **واعلموا ان الله شديد العقاب** ولذلك
يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه **واذكروا اذ انتم قليل** اى وقت كونكم قليلا فى العدد و
ايثار الجملة الاسمية للايذان باستمرار ما كانوا فيه من العلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى
مستضعفون خبر ثان او صفة لقليل وقوله تعالى **فى الارض** اى فى ارض مكة تحت ايدى قريش و
الخطاب للمهاجرين او تحت ايدى فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلا تحت ايدى
الطائفتين وقوله تعالى **تخافون ان يتخطفكم الناس** خبر ثالث او صفة ثانية لتعليل وصف بالجملة
بعد ما وجب بالمفرد او حال من المستكن فى مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر
اما كفار قريش او كفار العرب لقربهم منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثانى فارس والروم اى واذكروا
وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس وخوفكم من اختطافهم **فاواكم** الى المدينة او جعل لكم
ماوى تحصنون به من اعدائكم **وايدكم بنصره** على الكفار او بمظاهرة الانصار او بامداد الملئكة **ورزقكم**
من الطيبات من الغنايم **لعلكم تشكرون** هذه النعم الجليلة **يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله**
والرسول اصل الخوف النقص كما ان اصل الوفا التمام واستعماله فى ضد الامانة لتضمنه اياه اى لا تخونوهما
بتعطيل الفرايض والسنن او بان تعروا خلاف ما تظهرون او بالغلول فى الغنايم روى انه عليه
السلام حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا الصلح كما صالح بنى النضير على ان يسيروا الى
اخوانهم باذرعات واري من الشام فابى الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ رضى الله عنه فابوا وقالوا
ارسل الينا ابا لبابة وكان مناصحا لهم لما ان ماله وعياله كان فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا ما ترى
هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى خنت
الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد فقال والله لا اذوق طعاما ولا
شرابا حتى اموت او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب
عليك فحل نفسك قال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه
عليه السلام فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى
فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به **وتخونوا اماناتكم** فيما بينكم وهو مجزوم معطوف
على الاول او منصوب على الجواب بالواو وانتم تعلمون انكم تخونون او انتم علماء تميزون الحسن من
القبيح واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة لانها سبب الوقوع فى الاثم والعقاب او محنة من الله تعالى
ليبلوكم فى ذلك فلا يحملنكم حبهما على الخيانة كابى لبابة **وان الله عنده اجر عظيم** لمن اثر رضاه تعالى
عليهما وراعى حدوده فيهما فنيطوا هممكم بما يؤديكم اليه **يا ايها الذين امنوا** تكرير الخطاب والوصف
بالايمان لاظهار كمال العناية بما بعده والايذان بانه مما يقتضى الايمان مراعاته والمحافظة عليه
كما فى الخطابين السابقين **ان تتقوا الله** اى فى كل ما تاتون وما تذرون **يجعل لكم** بسبب ذلك

فرقانا هداية فى قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل ونصريفرق بين المحق والمبطل باعزاز
المؤمنين واذلال الكافرين اومخرجا من الشبهات اونجاة عما يحذرون فى الدارين اوظهورا يشهركم
وينشر صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى الصبح ويكفر عنكم سيآتكم اى سترها
ويغفر لكم ذنوبكم بالعفو والتجاوز عنها وقيل السيآت الصغاير والذنوب الكباير وقيل
المراد ما تقدم وما تاخر لانها فى اهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم وقوله تعالى والله ذو الفضل
العظيم تعليل لما قبله وتنبيه لما ان ما وعد الله تعالى لهم على التقوى تفضل منه واحسان
لا انه مما يوجبه التقوى كما اذا وعد السيد عبده انعاما على عمل واذ يمكر بك الذين كفروا
منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم معطوف على قوله تعالى واذكروا
اذ انتم الخ مسوق لتذكير النعمة الخاصة به عليه السلام بعد تذكير النعمة العامة للكل اى واذكر وقت
مكرهم بك ليثبتوك بالوثاق ويعضده قراءة من قرا ليقيدوك او الاثخان بالجرح من قولهم
ضربه حتى اثبته لا حراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات او يقتلوك
اى بسيوفهم او يخرجوك اى من مكة وذلك انهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم له عليه
السلام فرقوا واجتمعوا فى دار الندوة يتشاورون فى امره عليه السلام فدخل عليهم ابليس فى صورة
شيخ وقال انا شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رايا ونصحا فقال
ابو البخترى راى ان تحبسوه فى بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى
يموت فقال الشيخ بئس الراى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو
راى ان تحملوه على جمل وتخرجوه من ارضكم فلا يضركم ما صنع فقال وبئس الراى يفسد قوما غيركم
ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة
واحدة فيتفرق دمه فى القبايل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه
فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رايه فاتى جبرئيل النبى عليهما السلام واخبره بالخبر وامره
بالهجرة فبيت عليا رضى الله عنه على مضجعه وخرج هو مع ابى بكر رضى الله عنه الى الغار ويمكرون
ويمكر الله اى يرد مكرهم عليهم او يجازيهم عليه او يعاملهم معاملة الماكرين وذلك بان اخرجهم
الى بدر وقلل المسلمين فى اعينهم حتى حملوا عليهم فلقوا منهم ما لقوا والله خير الماكرين لا يعبا بمكرهم
عند مكره واسناد امثال هذا اليه سبحانه مما يحسن للمشاكلة لا مساغ له ابتداء لما فيه من ابهام
ما لا يليق به سبحانه واذا تتلى عليهم اياتنا التى حقها ان تخر لها صم الجبال قالوا قد سمعنا
لو نشاء لقلنا مثل هذا قاله اللعين النضر بن الحارث واسناده الى الكل لما انه كان هو رئيسهم وقاضيهم
الذى يقولون بقوله وياخذون برايه وقيل قاله الذين ايتمروا فى امره عليه السلام فى دار الندوة
وهذا كما ترى غاية المكابرة ونهاية العناد كيف لا ولو استطاعوا شيئا من ذلك فما الذى كان يمنعهم من
المشية وقد تحدوا عشر سنين وقرعوا على العجز وذاقوا من ذلك الامرين ثم قورعوا بالسيف فلم يعارضوا

بماسواه

بماسواه مع انفتهم وفرط استنكافهم ان يغلبوا لا سيما فى باب البيان ان هذا الا اساطير الاولين اى
ما تسطرونه من القصص واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء او ائتنا بعذاب اليم هذا ايضا من اباطيل ذلك اللعين روى انه لما قال ان هذا الا اساطير
الاولين قال له النبى صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله تعالى فقال ذلك والمعنى ان القران
ان كان حقا منزلا من عندك فامطر علينا الحجارة عقوبة على انكارنا او ائتنا بعذاب اليم سواه
والمراد منه التهكم واظهار اليقين بالجزم التام على انه ليس كذلك وحاشاه وقرئ الحق بالرفع على
ان هو مبتداء لا فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على ان المعلق بكونه حقا على الوجه الذى
يدعيه عليه السلام وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون مطابقا للواقع غير منزل كالاساطير
وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم جواب لكلمتهم الشنعاء وبيان للموجب لامهالهم والتوقف فى
اجابة دعائهم واللام لتاكيد النفى والدلالة على ان تعذيبهم عذاب استيصال والنبى صلى الله عليه
وسلم بين اظهرهم خارج عن عادته تعالى غير مستقيم فى حكمه وقضائه والمراد باستغفارهم
فى قوله تعالى وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اما استغفار من بقى فيهم من المؤمنين او قولهم
اللهم اغفر او فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله تعالى وما كان ربك مهلك القرى
بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله بيان لاستحقاقهم العذاب بعد بيان ان المانع
ليس المانع ليس من قبلهم اى وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون وهم
يصدون عن المسجد الحرام اى وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
الهجرة واحصارهم عام الحديبية وما كانوا اولياءه حال من ضمير يصدون مفيدة لكمال قبح
ما صنعوا من الصد فان مباشرتهم للصد عنه مع عدم استحقاقهم لولاية امره فى غاية القبح وهو رد
لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء ان اولياؤه الا
المتقون من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره تعالى انه لا ولاية لهم عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون وفيه اشعار بان
منهم من يعلم ذلك ولكنه يعاند وقيل يريد باكثرهم كلهم كما يراد بالقلة العدم وما كان
صلوتهم عند البيت اى دعاؤهم او ما يسمونه صلوة او ما يضعون موضعها الا مكاء اى صفيرا
فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكى وتصدية اى تصفيقا تفعلة من الصدا او من
الصد على ابدال احد حرفى التضعيف بالياء وقرئ صلوتهم بالنصب على انه الخبر لكان ومساق الكلام
لتقرير استحقاقهم العذاب او عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلوته روى انهم كانوا
يطوفون عراة الرجال والنساء مشبكين بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون
ذلك اذا اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يصلى يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا فذوقوا
العذاب اى القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان يكون للعهد والمعهود
ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا

عن سبيل الله نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر
جزر او فى ابى سفيان استاجر ليوم احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين
اوقيه او فى اصحاب العير فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد
عليه السلام لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها
بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم فى تلك الحال وهو انفاق يوم بدر والثانى اخبار عن انفاقهم
فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان الغرض
من الانفاق ومساق الثانى لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون عليهم حسرة ندما وغما لفواتها
من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهى عاقبة انفاقها مبالغة ثم يغلبون اخر الامر
وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اى ثبتوا على الكفر واصروا عليه الى جهنم
يحشرون اى يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اى الكافر من المؤمن او الفساد
من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون او بيغلبون او ما انفقه المشركون فى عداوته عليه السلام
مما انفقه المسلمون فى نصرته واللام متعلقة بقوله تعالى ثم تكون عليهم حسرة وقرئ التمييز
بالتشديد للمبالغة ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اى يضم بعضه الى بعض حتى
يتراكبوا لفرط ازدحامهم فيجمعهم او يضم الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كما للكافرين فيجعله
فى جهنم كله اولئك اشارة الى الخبث اذ هو عبارة عن الفريق او الى المنفقين وما فيه من معنى
البعد للايذان ببعد درجتهم فى الخبث هم الخاسرون الكاملون فى الخسران لانهم خسروا انفسهم
واموالهم قل للذين كفروا هم ابو سفيان واصحابه اى قل لاجلهم ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة
النبى صلى الله عليه وسلم بالدخول فى الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ ان
تنتهوا يغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتالهم فقد مضت سنة الاولين
الذين تحزبوا على الانبياء عليهم السلام بالتدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم
عطف على قل وقد عمم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين فى القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى
فقد مضت سنة الاولين من الوعيد حتى لا تكون فتنة اى لا يوجد منهم شرك ويكون الدين
كله لله وتضمحل الاديان الباطلة اما باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل
فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما تعملون بصير فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وقرئ
بتاء الخطاب اى بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه بانتهائهم للدلالة على انهم
يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا اولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا
ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير
لا يغلب من نصره واعلموا انما غنمتم عن الكلبى انها نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس من
غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على راس عشرين شهرا من الهجرة

وما موصولة وعائدها محذوف اى الذى اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو
ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب منهم كائنا ما كان وقوله تعالى من شئ بيان للموصول محله النصب
على انه حال من عائد الموصول قصد به الاعتناء بشان الغنيمة وان لا يشذ عنها شئ اى ما غنمتموه كائنا
مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط والمخيط خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى
يخير فيها الامام وكذا الاراضى المغنومة وقوله تعالى فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اى فحق
او واجب ان لله تعالى خمسه وهذه الجملة خبر لان ما الخ وقرئ بالكسر والاولى اكد واقوى فى الايجاب
لما فيه من تكرر الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه
خمسه وقرئ خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله تعالى للتعظيم كما فى قوله تعالى والله ورسوله
احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه بقوله تعالى وللرسول ولذى القربى
واليتامى والمساكين وابن السبيل واعادة اللام فى ذوى القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة
لدفع توهم اشتراكهم فى سهم النبى صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنو هاشم
وبنو المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل لما روى عن عثمان وجبير بن مطعم رضى الله عنهما
انهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا تنكر فضلهم لمكانك الذى
جعلك الله منهم ارايت اخواننا بنى المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال
عليه السلام انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد وشبك
بين اصابعه وكيفية قسمتها عندنا انها كانت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة
اسهم سهم له عليه السلام وسهم للمذكورين من ذوى قرباه وثلاثة اسهم للاصناف الثلاثة الباقية
واما بعده عليه السلام فسهمه ساقط وكذا سهم ذوى القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة لساير
الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على الاصناف الثلاثة ويؤيده ما روى عن ابى بكر رضى الله عنه
انه منع بنى هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم
ومن عداهم فهو بمنزلة ابن السبيل الغنى لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن على مثله قال
ليس لنا ان نبنى منه قصورا ولا نركب منه البراذين وقيل سهم الرسول عليه السلام لولى الامر
بعده واما عند الشافعى رحمه الله فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف
الى ما كان يصرفه ع م من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح ونحو ذلك وسهم
لذوى القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقى للفرق الثلث وعند مالك
الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هؤلاء وان راى اعطاه بعضا منهم دون بعض
وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم وتعلق ابو العالية بظاهر الآية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم الله تعالى
الى رتاج الكعبة لما روى انه عليه السلام كان ياخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقى
على خمسة اسهم وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول عليه السلام هذا شان

الخمس واما الاخماس الاربعة فتقسم بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابى حنيفه وثلاثة
اسهم عندهما قال القرطبى لما بين الله تعالى حكم الخمس وسكت عن الباقى دل ذلك على انه ملك للغانمين
وقوله تعالى ان كنتم امنتم بالله متعلق بمحذوف ينبى عنه المذكور اى كنتم امنتم به تعالى فاعلموا
ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به الى الله تعالى فاقطعوا اطماعكم منه واقنعوا بالاخماس الاربعة
وليس المراد به مجرد العلم بذلك بل العلم المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا عطف على
الاسم الجليل اى كنتم امنتم بالله وبما انزلنا على عبدنا وقرئ عبدنا وهو اسم جمع اريد به الرسول
صلى الله عليه وسلم والمؤمنون فان بعض ما نزل نازل عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان
يوم بدر سمى به لفرقه بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا او بامنتم يوم التقى الجمعان
اى الفريقان من المؤمنين والكافرين وهو بدل من يوم الفرقان او منصوب بالفرقان والمراد
ما انزل عليه يومئذ من الوحى والملئكة والفتح على ان المراد بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينتظم
للكل انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه الاشياء من موجبات العلم بكون الخمس لله تعالى
على الوجه المذكور من حيث ان الوحى ناطق بذلك وان الملئكة والفتح لما كانا من جهته تعالى
وجب ان يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة الى الجهات التى عينها الله تعالى والله على
كل شئ قدير يقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ
انتم بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادى وكذا بالفتح والكسر وقد
قرئ بهما ايضا وهم بالعدوة القصوى اى البعدى من المدينة وهى تانيث الاقصى وكان القياس
قلب الواو ياء كالدنيا والعليا مع كونهما من بنات الواو ولكنها جاءت على الاصل كالقود واستحوذ
وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اى العير او قوادها اسفل منكم اى فى مكان اسفل من
مكانكم فى الساحل وهو نصب على الظرفيه واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبلها وفائدتها الدلالة
على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على ان لا يخلوا مراكزهم
ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شان المسلمين والتباث امرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر
مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن
فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد اى لو تواعدتم
انتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم فى الميعاد هيبة منهم وياسا من الظفر عليهم ليتحققوا
ان ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله عز وجل خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطمئن
نفوسهم بفرض الخمس ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضى الله امرا كان مفعولا
حقيقا بان يفعل من نصر اوليائه وقهر اعدائه ومقدورا فى الازل وقوله تعالى ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حى عن بينة بدل منه او متعلق بمفعولا اى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش
من يعيش عن بينة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وصفه بدر من الايات الواضحة او

ليصدر كفر من كفر وايمان من امن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحيوة للكفر والايمان والمراد
بمن هلك ومن المشارف للهلاك والحيوة او من حاله فى علم الله تعالى الهلاك والحيوة ليهلك
بالفتح وحى بفك الادغام حملا على المستقبل وان الله سميع عليم اى بكفر من كفر وعقابه وايمان
من امن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم
الله فى منامك قليلا منصوب باذكر اى بدل اخر من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم
المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا
على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اى لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم فى الامر اى امر
القتال وتفرقت اراؤكم فى الثبات والفرار ولكن الله سلم اى انعم بالسلامة من الفشل
والتنازع انه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراة والجبن والصبر والجزع ولذلك
دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب به الكل بطريق التلوين
والتعميم معطوف على المضمر السابق والضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثانى وانما
قللهم فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله عنه لمن الى جنبه اتراهم سبعين فقال
اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا النبى صلى الله عليه وسلم ويقللكم فى اعينهم حتى
قال ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور وقللهم فى اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم
ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى راوهم مثليهم ليفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذه من عظائم
ايات تلك الوقعة فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه والى
هذا الحد وانما ذلك بصد الله تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى فى الشرائط
ليقضى الله امرا كان مفعولا كرر لاختلاف الفعل المعلل به او لان المراد بالامر ثمة الالتقاء
على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله واذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور
كلها يصرفها كيفما يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين امنوا
صدر الخطاب بحرفى النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده اذا لقيتم فئة
اى حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يوصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة
واللقاء مما غلب فى القتال فاثبتوا اى للقائهم فى مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اى فى
تضاعيف القتال مستمدين منه مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم
تفلحون اى تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان
العبد ينبغى ان لا يشغله شئ عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ
البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه فى حال من الاحوال واطيعوا الله ورسوله فى كل ما تاتون
وما تذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف الاراء
كما فعلتم ببدر او احد فتفشلوا جواب للنهى وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب

عطف على جواب النهى وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهى اى تذهب دولتكم وشوكتكم فانها
مستعارة للدولة من حيث فى تمشى امرها ونفاذه مشبهة بها فى هبوبها وجريانها وقيل المراد بها
الحقيقة فان النصرة لاتكون الا بريح يبعثها الله تعالى وفى الحديث نصرة بالصبا واهلكت عاد بالدبور
واصبروا على شدايد الحراب **ان الله مع الصابرين** بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع اصالتهم
انما هى من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون من تلك الحيثية ومعيته تعالى انما هى من حيث
الامداد والاعانة **ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم** بعدما امروا به من احاسن الاعمال نهوا
عما يقابلها من قبايحها والمراد بهم اهل مكة خرجوا لحماية العير **بطرا** اى فخرا واشرا **ورئاء الناس**
ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابى سفيان وقال
ارجعوا فقد سلمت عيركم فابوا الا اظهار اثار الجلادة فلقوا ما لقوا حسبما ذكر فى اوايل السورة الكريمة
فنهى المؤمنون ان يكونوا امثالهم مرائين بطرين وامروا بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهى
مستلزم للامر بضده **ويصدون عن سبيل الله** عطف على بطرا ان جعل مصدرا فى موضع الحال وكذا
ان جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر **والله بما يعملون محيط** فيجازيهم عليه **واذ زين لهم**
الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اى واذكر وقت
تزيين الشيطان اعمالهم فى معادات المؤمنين وغيرها بان وسوس اليهم **وقال لا غالب لكم اليوم**
من الناس وانى جار لكم اى القى فى روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون
لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم
انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفة وليس صلته والا لانتصب كقولك
لا ضاربا زيدا عندنا **فلما تراءت الفئتان** اى تلاقى الفريقان **نكص على عقبيه** رجع القهقرى اى بطل
كيده وعاد ما خيل اليهم انه مجيرهم سببا لهلاكهم **وقال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون**
انى اخاف الله اى تبرأ منهم وخاف عليهم وييئس من حالهم لما راى من امداد الله تعالى للمسلمين
بالملئكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة فكاد ذلك يثنيهم
فتمثل لهم ابليس فى صورة سراقة ابن مالك الكنانى وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى مجيركم
من كنانة فلما راى الملئكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحارث فانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم
الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان
وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى اخاف الله انى اخاف ان يصيبنى بمكروه من الملئكة او يهلكنى ويكون الوقت
هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم يره قبله والاول ما قاله الحسن واختاره ابن بحر **والله شديد**
العقاب يجوز ان يكون من كلامه او مستانفا من جهة الله عز وجل **اذ يقول المنافقون** منصوب بزين
او بنكص او بشديد العقاب **والذين فى قلوبهم مرض** اى الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد
وبقى فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم المنافقون فى المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما فى قوله

يالهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب **غر هؤلاء** يعنون **دينهم** حتى تعرضوا لما لا طاقة
لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف **ومن يتوكل على الله** جواب من جهته تعالى ورد
لمقالتهم **فان الله عزيز** غالب لا يذل من توكل عليه واستجار به وان قل **حكيم** يفعل بحكمته
البالغة ما يستبعده العقول ويحار فى فهمه الباب الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه **و**
لو ترى اى ولو رايت فان لو الامتناعية ترد المضارع ماضيا كما ان ترد الماضى مضارعا والخطاب
اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ولو
ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ فى قوله تعالى **اذ يتوفى الذين كفروا الملئكة** ظرف لترى و
المفعول محذوف اى ولو ترى الكفرة حين يتوفيهم الملئكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل
ضمير عايد الى الله عز وجل والملئكة مبتداء وقوله تعالى **يضربون وجوههم** خبره والجملة حال من
الموصول فاستغنى فيها بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منه او من الملئكة او منهما لاشتماله على
ضميرهما **وادبارهم** اى واستاههم او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضاء **وذوقوا عذاب**
الحريق على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا من فاعله اى ويقولون او قائلين ذوقوا بشارة
بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان
بخروجه عن حدود البيان اى لرايت امرا فظيعا لا يكاد يوصف **ذلك** اشارة الى ما ذكر من الضرب
والعذاب وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونهما فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتداء
خبره **بما قدمت ايديكم** اى ذلك الضرب والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى ومحل
ان فى قوله تعالى **وان الله ليس بظلام للعبيد** الرفع على انه خبر مبتداء محذوف اى والامر انه
تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير عن ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب
ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه فى سورة ال عمران
والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان سببيته
مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه تعالى
لعبيده بغير ذنب بل وقوعه لا ينافى كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى
اعتبار عدمه معه نعم لو كان المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج الى ذلك
كداب ال فرعون فى محل الرفع على انه خبر مبتداء محذوف والجملة استيناف مسوق لبيان ان ما حل بهم
من العذاب بسبب كفرهم لا بشئ اخر من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب
جرايمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اى شانهم
الذى استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ كداب ال فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة
العذاب والنكال **والذين من قبلهم** اى من قبل ال فرعون من الامم التى فعلوا من المعاصى ما فعلوا
ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح وعاد واضرابهم من اهل الكفر والعناد وقوله تعالى كفروا بايات الله

تفسير لدابهم الذى فعلوه لالداب ال فرعون ونحوهم كما قيل فان ذلك معلوم منه بقضية التشبيه وقوله
تعالى **فاخذهم الله** تفسير لدابهم الّذى فعل بهم والقالبيان كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة
عليها وقوله تعالى **بذنوبهم** لتاكيد ما افاده الفاء من السّببيه مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوب
اخر لها دخل فى استتباع العقاب ولايجوز ان يكون المراد بذنوبهم معاصيهم المتفرّعة على كفرهم فتكون
الباء للملابسة اى فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين عنها فدابهم مجموع ما فعلوا وفعل بهم لاما فعلوه
فقط كما قيل قال ابن عبّاس رضى الله عنهما ان ال فرعون ايقنوا ان موسى عليه السلام نبىّ الله فكذبوه
كذلك هؤلاء جاء محمد عليه الصّلوة والسّلام بالصّدق فكذّبوه فانزل الله بهم عقوبة كما انزل بال
فرعون وجعل العذاب من جملة دابهم مع انه ليس ممّا يتصوّر مدا ومتهم عليه واعتيادهم اياه كما هو المعتبر
فى مدلول الداب امّا لتغليب ما فعلوه على ما فعل بهم او لتنزيل مدا ومتهم على ما يوجبه من الكفر والمعاصى
منزلة مدا ومتهم عليه لما بينهما من الملابسة التامة وقوله تعالى **ان الله قوىّ شديد العقاب**
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى ذلك الخ استيناف مسوق لتعليل ما يفيده
النظم الكريم من كون ما حلّ بهم من العذاب منوطا باعمالهم السببيّة غير واقع بلا سابقة ما يقتضيه وهو
المشار اليه لانفس ما حلّ بهم من العذاب والانتقام كما قيل فانّه مع كونه معللا بما ذكر من كفرهم وذنوبهم
لايتصوّر تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغيير لحالهم وتوهم ان السّبب
ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته تعالى على تغيير
نعمتهم عند تغيير حالهم بناء على تخيل ان المعلّل ترتب عقابهم على كفرهم من غير تخلّف عنه ركوب
شطط هايل وابعاد عن الحقّ بمراحل وتهوّن لامر الكفر باٰيات الله واسقاطه له عن رتبة ايجاب
العقاب فى مقام تهويله والتحذير منه فالمعنى ذلك اى ترتب العقاب على اعمالهم السببيه دون
ان يقع ابتداء مع قدرته تعالى **ذلك بان الله** اى بسبب انّه تعالى **لم يك** فى حدّ ذاته **مغيّرا نعمة**
انعمها اى لم ينبغ له سبحانه ولم يصحّ فى حكمته ان يكون بحيث يغيّر نعمة انعم بها **على قوم** من الاقوام
اى نعمة كانت جلّت او هانت **حتّى يغيّروا ما بانفسهم** من الاعمال والاحوال التى كانوا عليها وقت
ملابستهم بالنّعمة ويتصفوا بما ينافيها سواء كانت احوالهم السّابقة مرضيّة صالحة او قريبة من
الصّلاح بالنسبة الى الحادثة ككداب هؤلاء الكفرة حيث كانوا قبل البعثة كفرة عبدة اصنام مستمرين
على حالة مصحّحة لافاضة نعمة الامهال وساير النّعم الدّنيوية عليهم فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم
بالبيّنات غيّروها الى اسوء منها واسخط حيث كذّبوه عليه السّلام وعادوه ومن تبعه من المؤمنين
وتحزبوا عليهم يبغونهم الغوايل فغيّر الله تعالى ما انعم به عليهم من نعمة الامهال وعاجلهم بالعذاب
والنكال واصل يك يكن فحذفت النون تخفيفا لتشبهها بالحروف اللينه **وان الله سميع عليم** عطف على
ان الله الخ داخل معه فى حيز التعليل اى وبسبب انه تعالى سميع عليم يسمع ويعلم جميع ما ياتون وما يذرون
من الاقوال والافعال السابقة واللاحقة فيرتب على كل منها ما يليق بها من ابقاء النعمة وتغييرها وقرئ

وان

وان الله بكسر الهمزة فالجملة ح استيناف مقرر لمضمون ما قبلها وقوله تعالى **كداب ال فرعون**
والذين من قبلهم فى محل النّصب على انّه نعت لمصدر محذوف اى حتّى يغيّروا ما بانفسهم تغييرا كاينا
كداب ال فرعون اى كتغييرهم على ان دابهم عبارة عما فعلوه فقط كما هو الانسب بمفهوم الداب وقوله
تعالى **كذّبوا باٰيات ربّهم** تفسير له بتمامه وقوله تعالى **فاهلكناهم** اخبار بترتيب العقوبة عليه
لا انّه من تمام تفسيره ولاخير فى توسط قوله تعالى وان الله سميع عليم بينهما كما مرّ فى سورة ال عمران حيث
جوز وانتصاب محل الكاف عن تغنى مع ما بينهما من قوله تعالى واولئك هم وقود النار هذا على تقدير
عطف الجملة على ما قبلها واما على تقدير كونها اعتراضا فلاغبار فى توسطها قطعا وقيل فى محل الرّفع على
انه خبر مبتداء محذوف كما قبله فالجملة ح استيناف اخر مسوق لتقرير ما سبق له الاستيناف الاول
بتشبيه دابهم بداب المذكورين لكن لابطريق التكرير المحض بل بتغيير العنوان وجعل الدّاب فى
الجانبين عبارة عما يلازم معناه الاوّل من تغيير الحال وتغيير النعمة اخذا ممّا نطق به قوله تعالى
بانّ الله لم يك مغيّرا نعمة الاية اى داب هولا وشانهم الذى هو عبارة عن التغييرين المذكورين
كداب اولئك حيث غيّروا حالهم فغيّر الله تعالى نعمته عليهم فقوله تعالى كذبوا باٰيات ربهم تفسير
لدابهم الّذى فعلوه من تغييرهم لحالهم وقوله فاهلكناهم تفسير لدابهم الّذى فعل بهم من تغييره تعالى
ما بهم من نعمته واما داب قريش فمستفاد منه بحكم التشبيه فلله در شان التنزيل حيث اكتفى فى كلّ
من التشبيهين بتغيير احد الطّرفين واضافته الاٰيات الى الرب المضاف الى ضميرهم لزيادة تقبيح ما فعلوا
بها من التكذيب والالتفات الى نون العظمة فى اهلكنا جريا على سنن الكبريا لتهويل الخطب والكلام
فى الفاء وفى قوله تعالى **بذنوبهم** كالذى مرّ وعطف قوله تعالى **واغرقنا ال فرعون** على اهلكنا مع اندراجه
تحته للايذان بكمال هول الاغراق وفظاعته كعطف جبرئيل على الملئكة عليهم السّلم **وكلّ** اى كل من الفرق
المذكورين او كل من هؤلاء واولئك او كل من غرقى القبط وقتلى قريش **كانوا ظالمين** اى انفسهم
بالكفر والمعاصى حيث عرضوها للهلاك او واضعين للكفر والتكذيب مكان الايمان والتصديق
ولذلك اصابهم ما اصابهم **انّ شرّ الدّواب** بعد ما شرح احوال المهلكين من شرار الكفرة شرع فى بيان
احوال الباقين منهم وتفصيل احكامهم وقوله تعالى **عند الله** اى فى حكمه وقضائه **الّذين**
كفروا اى اصروا على الكفر ولجّوا فيه جعلوا شرّ الدّواب لاشرّ النّاس ايماء الى انهم بمعزل من مجانستهم
وانما هم من جنس الدّواب ومع ذلك شر من جميع افرادها حسبما نطق به قوله تعالى
ان هم الا كالانعام بل هم اضلّ وقوله تعالى **فهم لايؤمنون** حكم مترتب على تماديهم فى الكفر و
رسوخهم فيه وتسجيل عليهم بكونهم من اهل الطّبع لايلوون صارف ولايثنيهم عاطف اصلا جئ به على
وجه الاعتراض لا انه عطف على كفروا داخل معه فى حيّز الصّلة التى لاحكم فيها بالفعل وقوله تعالى
الّذين عاهدت منهم بدل من الموصول الاوّل او عطف بيان له او نصب على الذم اى عاهدتهم
ومن للايذان بان المعاهدة التى هى عبارة عن اعطاء العهد واخذه من الجانبين معتبرة ههنا من حيث

اخذ عليه السلام عهدهم اذ هو المناط لقباحة ما نعى عليهم من النقض لا اعطاؤه عليه السلام اياهم عهده
كانه قيل الذين اخذت منهم عهدهم وقيل هى للتبعيض لان المباشر بالذات للعهد بعضهم لا كلهم
ثم ينقضون عهدهم عطف على عاهدت داخل معه فى حكم الصلة وصيغة الاستقبال للدلالة على
تجدد النقض وتعدده وكونهم على نيته فى كل حال اى ينقضون عهدهم الذى اخذته منهم فى كل
مرة اى من مرات المعاهدة اذ هى التى يتوقع فيها عدم النقض ويستقبح وجوده لا من مرات المحاربة
كما قيل اذ لا يتوقع فيها عدم النقض بل لا يتصور اصلا حتى يستقبح فيها وجوده لكونها مظنة لعدمه
فلا فائدة فى تقييد النقض بالوقوع فى كل مرة من مراتها بل لا صحة له قطعا لان النقض لا يتحقق
الا فى المرة الواردة على المعاهدة لا فى المرات الواقعة بعدها بلا معاهدة ولئن سلم ان المراد هى المرات
الواقعة اثر المعاهدة سمى انتقض الواقع بلا محاربة كبيع السلاح ونحوه خارجا من البيان ولئن عدد ذلك
من المحاربة فلا محيص من لزوم خلو الكلام عن الفائدة بالمرة لان المحاربة بهذا المعنى عين النقض فيؤل
الامر الى ان يقال ينقضون عهدهم فى كل مرة من مرات النقض ويحمل المحاربة على محاربة غيرهم ليكون
المعنى ينقضون عهدهم فى كل مرة من مرات محاربة الاعداء مع كونه فى غاية البعد والركاكة يستلزم
خروج بديهم بالنقض من البيان وهم لا يتقون حال من فاعل ينقضون اى يستمرون على النقض والحال
انهم لا يتقون سببية الغدر ولا يبالون بما فيه من العار والنار وقوله تعالى فاما تثقفنهم شروع
فى بيان احكامهم بعد تفصيل احوالهم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى فاذا كان حالهم كما ذكر
فاما تصادفنهم وتظفرن بهم فى الحرب اى فى تضاعيفها فشرد بهم اى ففرق عن مناصبتك تفريقا
عنيفا موجبا للاضطرار والاضطراب ونكل عنها بان تفعل بهم من النكاية والتعذيب ما يوجب ان
يكل من خلفهم اى من وراءهم من الكفرة وفيه ايماء الى انهم بعد والحرب قريب من نحو لا وقرئ شرذ
بالذال المعجمة وبعده مقلوب شذر بمعنى فرق وقرئ من خلفهم اى افعل التشريد من وراءهم والمعنى
واحد لان ايقاع التشريد فى الوراء لا يتحقق الا بتشريد من وراءهم لعلهم يذكرون يتعظون بما
شاهدوا وقوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة بيان لاحكام المشرفين الى نقض العهد اثر بيان
احكام الناقضين له بالفعل والخوف مستعار للعلم اى واما تعلمن من قوم من المعاهدين نقض عهد
فيما سياتى بما لاح لك منهم من دلائل الغدر ومخايل الشر فانبذ اليهم اى فاطرح اليهم عهدهم على سواء
على طريق مستو قصد بان تظهر لهم النقض وتخبرهم اخبارا مكشوفا بانك قد قطعت ما بينك وبينهم
من الوصلة ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد كيلا يكون من قبلك شائبة خيانة اصلا فالجار
متعلق بمحذوف هو حال من النابذ اى فانبذ اليهم ثابتا على سواء وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد
بحيث يستوى فيه اقصاهم وادناهم او تستوى فيه انت وهم فهو على الاول حال من المنبوذ اليهم وعلى
الثانى من الجانبين ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ اما باعتبار استلزامه للنهى
عن المناجزة التى هى خيانة فيكون تحذيرا للرسول صلى الله عليه وسلم واما باعتبار استتباعه للقتال بالآخرة

فيكون

فيكون حثا له عم على النبذ اولا وعلى قتالهم ثانيا كانه قيل واما تعلمن من قوم خيانة فانبذ اليهم ثم
قاتلهم ان الله لا يحب الخائنين وهم من جملتهم لما علمت حالهم ولا تحسبن الذين كفروا اى انفسهم
فحذف للتكرار وقوله تعالى سبقوا اى فاتوا وافلتوا من ان تظفرهم مفعول ثان ليحسبن والمراد
اقناطهم من الخلاص وقطع اطماعهم الفارغة من الانتفاع بالنبذ والاقتصار على هذا التوهم مع ان مقاومة
المؤمنين بل الغلبة عليهم ايضا مما يتعلق به امانيهم الباطلة للتنبيه على ان ذلك مما لا يحوم حوله وهمهم
وحسبانهم وانما الذى يمكن ان يدور فى خلدهم حسبان المناص فقط وقيل الفعل مسند الى احد اولى
من خلفهم والمفعول الاول الموصول المتناول لهم ايضا وقيل هو الفاعل وان محذوفة من سبقوا
او هى مع ما فى حيزها سادة مسد المفعولين والتقدير ولا تحسبن الذين كفروا ان سبقوا ويعضده
قراءة من قرا انهم سبقوا ونظيره فى الحذف قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق خوفا وقوله تعالى
اغير الله تامرونى اعبد الآية قاله الزجاج وقرئ بالتاء على خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى
قراءة واضحة وقرئ ولا تحسب الذين بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقوله تعالى انهم
لا يعجزون اى لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم تعليل للنهى على طريقة الاستيناف
وقرئ بفتح الهمزة على حذف لام التعليل وقيل الفعل واقع عليه ولا زائدة وسبقوا حال بمعنى
سابقين اى مفلتين هاربين وهذا على قراءة الخطاب لازاحة ما عسى يحذر من عاقبة النبذ لما انه
ايقاظ للعدو وتمكين لهم من الهرب والخلاص من ايدى المؤمنين وفيه نفى لقدرتهم على المقاومة
والمقابلة على ابلغ وجه وآكده كما اشير اليه وقيل نزل فيمن افلت من فل المشركين وقرئ لا يعجزون
بكسر النون ولا يعجزون بالتشديد واعدوا لهم توجيه الخطاب اى كافة المؤمنين لما ان المامور به
من وظائف الكل كما ان توجيهه فيما سبق وما لحق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لكون ما فى حيزه
من وظائفه عليه السلام اى اعدوا لقتال الذين نبذ اليهم العهد وهم الخائنون او لقتال الكفار على الاطلاق
وهو الانسب بسياق النظم الكريم ما استطعتم من قوة من كل ما يتقوى به فى الحرب كائنا ما كان
وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه سمعته عليه السلام على المنبر يقول الا ان القوة الرمى قالها ثلاثا ولعل
تخصيصه عليه السلام اياه بالذكر لانافته على نظائره من القوى ومن رباط الخيل الرباط اسم للخيل
التى تربط فى سبيل الله تعالى فعال بمعنى مفعول او مصدر سميت هى به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط
مرابطة ورباطا او جمع ربيط كفصيل وفصال او جمع ربط ككعب وكعاب وكلب وكلاب وقرئ
ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للايذان بفضلها على
بقية افرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام ترهبون به اى تخوفون وقرئ
ترهبون بالتشديد وقرئ تخزون به والضمير لما استطعتم او للاعداد وهو الانسب ومحل الجملة النصب
على الحالية من فاعل اعدوا اى اعدوا مرهبين به او من الموصول او من عائده المحذوف اى اعدوا ما
استطعتموه مرهبا به عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك

لغاية عتوّهم ومجاوزتهم الحدّ فى العداوة واخرين من دونهم من غيرهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل
المنافقون وقيل الفرس لا تعلمونهم اى لا تعرفونهم باعيانهم او لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة
وهو الانسب بقوله تعالى الله يعلمهم اى لا غير فان اعيانهم معلومة لغيره تعالى ايضا وما تنفقوا
من شئ لاعداد العتاد قل او كثر فى سبيل الله الذى اوضحه الجهاد يوف اليكم اى جزاؤه كاملا
وانتم لا تظلمون بترك الاثابة او بنقص الثواب والتعبير عن تركها بالظلم مع ان الاعمال غير موجبة
للثواب حتى يكون ترك ترتيبه عليها ظلما لبيان كمال تنزهه سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة
ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبايح وابراز الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما مرّ
فى تفسير قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح
ويعدى باللام وبالى اى ان مالوا للسلم اى للصلح بوقوع الرهبة فى قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد
واعتاد العتاد فاجنح لها اى للسلم والتانيث لحمله على نقيضه قال السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب
يكفيك من انفاسها جرع وقرئ فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف ان يبطنوا والك السلم وجنوحهم
مطويّة على المكر والكيد انه تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون فى خلواتهم من مقالات الخداع العليم
فيعلم نياتهم فيواخذهم بما يستحقونه ويرد كيدهم فى نحرهم والاية خاصّة باليهود وقيل عامّة نسختها
اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك باظهار السلم وابطان الحراب فانّ حسبك الله اى
فاعلم بان حسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الذى ايدك بنصره تعليل لكفايته تعالى
اياه عليه السلام بطريق الاستيناف بان تاييده تعالى اياه عليه السلام فيما سلف على ما ذكر من الوجه
البعيد من الوقوع من دلايل تاييده تعالى فيما سياتى اى هو الذى ايدك بامداد من عنده بلا واسطة
كقوله تعالى وما النصر الا من عند الله او بالملئكة مع خرقه للعادات وبالمؤمنين من المهاجرين
والانصار والف بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبيّة والضغينة والتهالك على
الانتقام بحيث لا يكاد ما تلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من ابهى معجزاته
عليه السلام لو انفقت ما فى الارض جميعا اى لتاليف ما بينهم ما الفت بين قلوبهم استيناف مقرر
لما قبله ومبين لعزّة المطلب وصعوبة الماخذ اى تناهى التعادى فيما بينهم الى حد لو انفق منفق فى
اصلاح ذات البين جميع ما فى الارض من الاموال والذخاير لم يقدر على التاليف والاصلاح وذكر
القلوب للاشعار بان التاليف بينها لا يتسنى وان امكن التاليف ظاهرا ولكن الله الف بينهم
قلبا وقالبا بقدرته الباهرة انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصى عليه شئ مما يريده حكيم
يعلم كيفية تسخير ما يريده وقيل الاية فى الاوس والخزرج كان بينهم احسن لا امد لها ووقايع افنت
ساداتهم واعاظمهم ودقت اعناقهم وجماجمهم فانهى الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام
حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة وصاروا انصارا يا ايها النبى شروع فى بيان كفايته
تعالى اياه عليه السلام فى جميع اموره وامور المؤمنين او فى الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة اثر

بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام فى مادة خاصّة وتصدير الجملة بحرف النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء
بمضمونها وايراده عليه السلام بعنوان النبوة للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله اى كافيك فى جميع
امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب ومن اتبعك من المؤمنين فى محل النصب على انه مفعول
معه اى كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما فى قول من قال فحسبك والضحاك عضب مهند وقيل فى موضع
الجر عطفا على الضمير كما هو راى الكوفيين اى كافيك وكافيهم او فى محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى اى
كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت فى البيداء فى غزوة بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبى صلى الله
عليه وسلم ثلاثة وثلثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر رضى الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس
رضى الله عنهما نزلت فى اسلام عمر رضى الله عنه يا ايها النبى بعد ما بيّن كفايته اياهم بالنصر
والامداد بترتيب مبادى نصره وامداده وتكرير الخطاب على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء
بشان المامور به حرّض المؤمنين على القتال اى بالغ فى حثهم عليه وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور
المرغبة التى اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو
ان ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقال الراغب كانه فى الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه
ولا يعتد به قلت فالاوجه ان يجعل الحرض عبارة عن ضعف القلب الذى هو من باب نهك
المرض وقيل مستغنى تحريضهم تسميتهم حرضا بان يقال انى اراك فى هذا الامر حرضا اى ممرضا فيه
لتهييجه الى الاقدام وقرئ حرّص بالصاد المهملة وهو واضع ان يكن منكم عشرون صابرون
يغلبوا مائتين وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم بطريق
الاستيناف بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا مع انفهام مضمونه
مما قبله لكونه كل منهما عدة بتاييد الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيدة لزيادة الاطمينان
على انه قد يجرى بين الجمعين القليلين ما لا يجرى بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين
كل من الجمعين القليلين والكثيرين على نسبة واحدة فبين ان ذلك لا يتفاوت فى الصورتين وقوله
تعالى من الذين كفروا بيان للالف وهذا القيد معتبر فى المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا
على ذكره ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا مع كونه معتبرا حتما ثقة بذكره هناك بانهم قوم
لا يفقهون متعلق بيغلبوا اى بسبب انهم قوم جهلة بالله تعالى وباليوم الاخر لا يقاتلون احتسابا
وامتثالا بامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما يفعله المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية
واتباع خطوات الشيطان واثارة نايرة البغى والعدوان فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل
من ان من لا يؤمن بالله واليوم الاخر لا يؤمن بالمعاد فالسعادة عنده ليست الا هذه الحيوة الدنيوية
فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب فيميل الى ما فيه السلامة فيفر
فيغلب واما من اعتقد ان لا سعادة فى هذه الفانية وانما السعادة هى الحيوة الباقية فلا يبالى بهذه الحيوة
الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوى وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير

فكلام حق لكنه لا يلايم المقام الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لما كان الوعد السابق
متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا نفر ويثبت
الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة رضى الله عنه فى ثلثين راكبا فلقى
ابا جهل فى ثلاثمائة راكب فهن مهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة
الواحد للاثنين وقيل كان فيهم قلة فى الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف والمراد بالضعف ضعف
البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فى الاهتداء الى القتال لا الضعف فى الدين كما قيل
وقرئ ضُعفا بضم الضاد وهى لغة فيه كالفقر والفقير والمكث والمكث وقيل الضعف بالفتح ما فى الراى
والعقل وبالضم ما فى البدن وقرئ ضعفاء جمع ضعيف والمراد بعلمه تعالى بضعفهم علمه تعالى به من
حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا هو ثابت فى الازل وقوله تعالى فان يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن ههنا وفيما سبق
بالتاء الفوقانية وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله اى بتيسيره وتسهيله وهذا
القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر
ههنا وانما ترك ذكره ثقة بما مر وبقوله تعالى والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلى مقرر
لمضمون ما قبله والمراد بالمعية معية نصره وتاييده ولم يتعرض هناك لحال الكفرة من الخذلان كما لم
يتعرض هناك لحال المؤمنين مع ان مدار الغلبة فى الصورتين مجموع الامرين اعنى نصر المؤمنين و
خذلان الكفرة اكتفاء بما ذكر فى كل مقام عما ترك فى المقام الآخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها
لاصالتهم من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا ما كان لنبى وقرئ للنبى على العهد والاول
ابلغ لما فيه من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام ان يكون له اسرى
وقرئ بتانيث الفعل واسارى ايضا حتى يثخن فى الارض اى يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل
الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولى اهله من اثخنه المرض والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك
به ولا براح واصله الثخانة التى هى الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد للمبالغة تريدون عرض الدنيا
استيناف مسوق للعتاب اى تريدون حطامها باخذكم الفدا وقرئ يريدون بالياء والله يريد
الآخرة اى يريد لكم ثواب الآخرة الذى لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب نيل الآخرة من
اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كما فى قوله اكل امرئ تحسبين امرأ ونار
توقد بالليل نارا والله عزيز يغلب اولياؤه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق بكل حال ويخص بها
كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفدا حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين المن بقوله تعالى
فاما منا بعد واما فداء كما تحول الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتى بسبعين اسيرا فيهم العباس رضى الله عنه وعقيل بن ابى طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر
رضى الله عنه قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال

عمر رضى الله عنه اضرب اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفدا مكن عليا من عقيل وحمزة من
العباس ومكنى من فلان نسيب له فلنضرب اعناقهم فقال له عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال
حتى تكون الين من اللين وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل
ابرهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر
على الارض من الكافرين ديارا فاخذوا الفدا فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا هو وابو بكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرنى فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت
فقال ابكى على اصحابك فى اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة
منه وروى انه عليه السلام قال لو نزل عذاب من السماء لما نجى غير عمر وسعد بن معاذ وكان
هو ايضا ممن اشار بالاثخان لولا كتاب من الله سبق اى لولا حكم منه تعالى سبق اثباته
فى اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطى فى اجتهاده او ان لا يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح
لهم بالنهى واما ان الفدية التى اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من موانع مساس العذاب
فان الحل اللاحق لا يمنع حكم الحرمة السابقة على انه قادح كما ان الحرمة اللاحقة كما فى الخمر مثلا لا ترفع
حكم الاباحة السابقة على انه قادح فى تهويل ما نعى عليهم من اخذ الفدا لمسكم اى لاصابكم فيما
اخذتم اى لاجل ما اخذتم من الفداء عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روى انهم
امسكوا عن الغنائم فنزلت فالفاء لترتيب ما بعدها على سبب محذوف اى قد ابحت لكم الغنائم
فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى دعوه فكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة
عن الفدية فانها من جملة الغنائم ويأباه سباق النظم الكريم وسياقه حلالا حال من المغنوم او صفة
للمصدر اى اكلا حلالا وفائدته الترغيب فى اكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتاكيد
الترغيب واتقوا الله اى مخالفة امره ونهيه ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة
الفدا قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبى قل لمن فى
ايديكم اى فى ملكتكم كأن ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ من الاسارى ان يعلم الله
فى قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفداء وقرئ اخذ على البناء
للفاعل روى انها نزلت فى العباس رضى الله عنه كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدى
ابنى اخيه عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال
له عليه السلام فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها
ما ادرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله والفضل فقال
العباس ما يدريك فقال اخبرنى به ربى قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله
وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد كنت
مرتابا فى امرك فاما اذا اخبرتنى بذلك فلا ريب قال العباس بعد حين فابدلنى الله خيرا

تخيير اصحابه ع

من ذلك لى الان عشرون عبدًا وانا ادنى هم ليضرب فى عشرين الفًا واعطانى زمزم ما احب ان لى
بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربى يتاول به ما فى قوله ويغفر لكم والله غفور رحيم
فانه وعد بالمغفره مؤكد بما بعده من الاعتراض التذييلى وان يريدوا خيانتك اى نكث ما بايعوك عليه
من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى لتسليته عم بطريق الوعد له والوعيد لهم فقد خانوا
الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اى اقدرك عليهم حسبما رايت يوم
بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه يمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء
وهم بعيد والله عليم فيعلم ما فى نياتهم وما يستحقونه من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما
يقتضيه حكمته البالغة ان الذين امنوا وهاجروا هم المهاجرون هاجروا اوطانهم حبا لله تعالى
ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح وانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة
القتال واقتحام المعارك والخوض فى المهالك فى سبيل الله متعلق بجاهدوا وقيد لنوعى الجهاد ولعل
تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال اكثر وقوعا واتم دفعًا للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة
بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين اووا ونصروا هم الانصار اووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم
وبذلوا اليهم اموالهم واثروهم على انفسهم ولو كانت بهم خصاصة ونصروهم على اعدائهم اولئك
اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد
منزلتهم فى الفضيلة وهو مبتداء وقوله تعالى بعضهم اما بدل منه وقوله اولياء بعض خبره واما
مبتداء ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر للمبتداء الاول اى بعضهم اولياء بعض فى الميراث وقد كان
المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام
الاية وقيل فى النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم النصر بعد نفى موالاتهم والذين امنوا ولم
يهاجروا كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شىء اى من توليهم فى الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم
حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو تشبيها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة وان استنصروكم فى الدين
فعليكم النصر فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين الا على قوم منهم بينكم وبينهم ميثاق معاهدة
فانه لا يجوز نقض معاهدتهم عهدهم بنصرهم عليهم والله بما تعملون بصير فلا تخالفوهم امره كيلا
يحل بكم عقابه والذين كفروا بعضهم اولياء بعض اخر منهم اى فى الميراث او فى الموازرة وهذا بمفهومه
مفيد لنفى الموارثة والموازرة بينهم وبين المسلمين وايجاب المباعدة والمصارمه وان كانوا اقارب
الا تفعلوه اى ما امرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم بعضا حتى التوارث ومن قطع العلايق بينكم
وبين الكفار تكن فتنة فى الارض اى تحصل فتنة عظيمة فيها وهى ضعف الايمان وظهور الكفر وفساد
كبير فى الدارين وقرئ كثير والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين
اووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم القدر المعلى من
الايمان مع الموعد الكريم بقوله تعالى لهم مغفرة ورزق كريم لا تبعة له ولا منة فيه فلا تكرار لما ان

مساق الاول لايجاب التواصل بينهم والذين امنوا من بعد وهاجروا بعد هجرتكم وجاهدوا معكم فى بعض
مغازيكم فاولئك منكم اى من جملتكم ايها المهاجرون والانصار وهم الذين جاؤا من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم الله تعالى بالسابقين وجعلهم منهم تفضلا
منه وترغيبًا فى الايمان والهجرة وفى توجيه الخطاب اليهم بطريق الالتفات من تشريفهم ورفع
محلهم ما لا يخفى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض منهم فى التوريث من الاجانب فى كتاب الله
اى فى حكمه او فى اللوح او فى القران واستدل به على توريث ذوى الارحام ان الله بكل شىء
عليم ومن جملته ما فى تعليق التوارث بالقرابة الدينية اولا وبالقرابة النسبية اخرا من الحكم
البالغة عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفال وبراءة فانا شفيع له يوم القيمة و
شاهد انه برئ من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته
يستغفرون له ايام حيوته والله تعالى اعلم

سورة التوبة مائة وثلثون وخمس ايات وهى مدنية

ولها اسماء اخر سورة التوبة والمقشقشة والبحوث والمنقرة والمبعثرة والمثيرة
والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها
من ذكر والتبرئة من النفاق والبحث والتنقير عن حال المنافقين واثارتها والحفر
عنها وما يخزيهم وشردهم ويدعون عليهم واشتهارها بهذه الاسماء يقتضى بانها سورة مستقلة
وليست بعضا من سورة الانفال وادعاء اختصاص الاشتهار بالقائلين باستقلالها خلاف الظاهر
فيكون حكمة ترك التسمية عند النزول نزولها فى رفع الامان يأبى مقامه التصوير بما يشعر بسائه
من ذكر اسمه تعالى مشفوعا بوصف الرحمة كما يروى عن ابن عيينة رح لا الاشتباه فى استقلالها وعدم
كما يحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما ولا رعاية ما وقع بين الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
من الاختلاف فى ذلك على ان ذلك ينزع الى القول بان التسمية ليست من القران وانما كتبت للفصل
بين السور كما نقل من قدماء الحنفية وان مناط اثباتها فى المصاحف وتركها انما هو راى من تصدى
بجمع القران دون التوقيف ولا ريب فى ان الصحيح من المذهب انها اية فذة من القران انزلت للفصل
والتبرك بها وان لا مدخل لراى احد فى الاثبات والترك وانما المتبع فى ذلك هو الحى والتوفيق ولا مرية
فى عدم نزولها ههنا والا لامتنع ان يقع فى الاستقلال اشتباه او اختلاف فهو اما لاتحاد السورتين
او لما ذكرنا لا سبيل الى الاول والا لبينه صلعم لمزيد الحاجة الى البيان لتعاضد ادلة الاستقلال من كثرة
الايات وطول المدة فيما بين نزولهما فحيث لم يبينه عم تعين الثانى لان عدم البيان من الشارع فى
موضع البيان بيان للعدم براءة خبر مبتداء محذوف وتنوينه للتفخيم وقرئ بالنصب اى اسمعوا براءة
من قوله عز وجل من الله ورسوله ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لها زيادة تفخيم وتهويل اى
هذه براءة مبتداء من جهة الله ورسوله واصلة الى الذين عاهدتم من المشركين وانما لم يذكر ما تعلق

به البراة حسبما ذكر فى قوله تعالى ان الله برئ من المشركين اكتفاء بما فى حيز الصلة فانه مبنئ عند ابناء
ظاهر او احترازا عن تكرير لفظه بين وقيل هى مبتداء لتخصصها بالصفة وخبره الى الذين ناه والذى يقتضيه
جزالة النظم هو الاول ورسوله حتى يخرج ذلك العنوان مخرج الصفة لها ويجعل المقصود بالذات و
العمدة فى الاخبار شيئا اخر هو وصولها الى المعاهدين وانما الحقيق بان يعتنى بافادته حدوث تلك
البراة من جملة تعالى ووصولها اليهم فان حق الصفات قبل علم المخاطب بثبوتها للموصوف انها ان تكون
اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هى له ان تكون اخبارا وحق الاخبار بعد العلم بثبوتها لما هى
له ان تكون صفات كما حقق فى موضعه وقرئ من الله بكسر النون على ان الاصل فى تحريك الساكن
الكسر ولكن الوجه هذا الفتح فى لام التعريف خاصة الوقوع والعهد العقد الموثق باليمين والخطاب
فى عاهدتم للمسلمين وقد كانوا عاهدوا مشركى العرب من اهل مكة وغيرهم باذن الله تعالى واتفاق
الرسول صلى الله عليه وسلم فنكثوا الا بنى ضمرة وبنى كنانة فامر المسلم بنبذ العهد الى الناكثين وامهلوا اربعة
اشهر ليسيروا اين شاؤا وانما نسبت البراة الى الله تعالى ورسوله مع شمولها للمسلمين واشتراكهم
فى حكمها ووجوب العمل بموجبها وعلقت المعاهدة بالمسلمين خاصة مع كونها باذن الله تعالى واتفاق
الرسول عم للانباء عن تنجزها وتحتمها من غير توقف على راى المخاطبين لانها عبارة عن انها
حكم الان ورفع الخطر المترتب على العهد السابق عن التعرض للكفرة وذلك منوط بجناب الله تعالى
لانه لم يكسائر الاوامر الجارية على حسب حكمة تقتضيها وداعية تستدعيها تترتب عليها اثارها من غير
توقف على شئ اصلا واشتراك المسلمين فى حكمها ووجوب العمل بموجبها انما هو على طريقة الامتثال
بالامر لا على ان يكون لهم مدخل فى اتمامها او فى ترتب عليها احكامها الا بمباشرة المتعاقدين على
وجوه مخصوصة اعتبرها الشرع لم يتصور صدورها عنه سبحانه وانما الصادر عنه فى شانها هو
الاذن فيها وانما الذى يباشرها ويتولى امرها المسلمين ولا يخفى ان البراة انما تتعلق بالعهد لا بالاذن
فيه فنسبت كل واحدة منهما الى من هو اصل فيها على ان فى ذلك تفخيما لشان البراة وتهويلا لامرها و
تسجيلا على الكفرة بغاية الذل والهوان ونهاية الخزى والخذلان وتنزيها لساحة السبحان والكبرياء
عما يوهم شائبة النقض والبداء تعالى عن ذلك علوا كبيرا وادراجه عم فى النسبة الاولى واخراجه عن
الثانية لتنويه شانه الرفيع واجلال قدره المنيع فى كلا المقامين صلى الله عليه وسلم وايثار الجملة الاسمية
على الفعلية كان يقال قد برئ الله ورسوله من الذين ونحو ذلك للدلالة على دوامها واستمرارها
للتوسل الى تهويلها بالتنوين التفخيمى كما اشير اليه **فسيحوا** الساحة والسيح الذهاب **فى الارض**
والسير فيها بسهولة على مقتضى المشية كسيح الماء على موجب الطبيعة ففيه من الدلالة على كمال التوسعة
والترفيه ما ليس فى سيروا ونظائره وزيادة قوله تعالى فى الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام
وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشانهم من الاستعداد للحرب او تحصين الاهل والمال او
تحصيل المهرب او غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب بصرفه عن المسلمين وتوجيهه

اليهم

اليهم مع حصول المقصود بصيغة امر الغايب ايضا للمبالغة فى الاعلام بالامهال حسبما المادة تعللهم
بالغفلة وقطعا لشافة اعتذارهم بعدم الاستعداد وايثار صيغة الامر مع تسنى افادة ذلك المعنى بطريق
الاخبار ايضا كان يقال مثلا فلكم ان تسيحوا او نحو ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث
لهم ولاستعدادهم فكان ذلك امر مطلوب منهم والفاء لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه على ما
يؤذن به البراة المذكور من الحراب على ان الالف مترتب على نفس والفا بكلا متعلقة على عنوان
كونه من الله تعالى لا الترتيب الاول عليه والثانى على الاول كما فى قوله تعالى قل سيروا فى الارض
فانظروا الى اخره كانه قيل هذه براة موجبة لقتالكم فاسعوا فى تحصيل العدد والاسباب وبالغوا
فى اعداد داعاد من كل باب **اربعة اشهر واعلموا انكم** بسياحتكم فى اقطار الارض فى العرض
والطول وان ركبتم متن كل صعب وذلول **غير معجزى الله** اى لا يفوتونه بالهرب والتحصن
وان الله وضع الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل امر الاخزاء وهو الاذلال بما
فيه فضيحة وعار **مخزى الكافرين** اى مخزيكم وخذلكم فى الدنيا بالقتل والاسر وفى الاخرة بالعذاب
وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك والاشعار بان علة الاخزاء هى
كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد بالاشهر
الاربعة هى الاشهر الحرم التى علق القتال بانسلاخها فقيل هى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم
وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الاخر وجعلت حرما
لحرمة قتالهم فيها او التغليب ذى الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذى القعدة الى عشر
من شهر ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك الوقت للنسئ الذى كان فيهم صار فى
العام القابل فى ذى الحجة وذلك قوله عليه السلام ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات
والارض روى انه صلى الله عليه وسلم امر ابا بكر رض عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضى الله
عنه على العضباء ليقراها على اهل الموسم فقيل له عليه السلام لو بعث بها الى بكر فقال عليه السلام
لا يؤدى عنى الا رجل منى وذلك لان عادة العرب ان لا يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل
منها فلما دنا على سمع ابو بكر رضى الله عنهما الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مامور فقال مامور فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر رضى الله
عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله صلى الله
عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلثين او اربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد
العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريانا ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده
واذان من الله ورسوله اى اعلام منهما فعال بمعنى الافعال كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع براءة
والجملة معطوفة على مثلها وانما قيل **الى الناس** اى كافة لان الاذان غير مختص بقوم دون اخرين كالبراءة
الحاصلة بالناكثين بل هو شامل لعامة الكفرة وقيل وللمؤمنين ايضا **يوم الحج الاكبر** هو يوم العيد لان

فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روى انه عليه السلام وقف يوم النحر عند
الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم العرفة لقوله الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر
لان العمرة تسمى الحج الاصغر اولان المراد بالحج ما يقع فى ذلك اليوم من اعماله فانه اكبر من باقى الاعمال
اولان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون اولانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين ان الله
اى بان الله وقرئ بالكسر لما ان الاذان فيه معنى القول بريء من المشركين اى المعاهدين الناكثين
ورسوله عطف على المستكن فى بريء اوعلى محل ان واسمها على قراءة الكسر وقرئ بالنصب عطفا على اسم
ان اولان الواو بمعنى مع اى بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على القسم فان تبتم من الشرك
والغدر التفات من الغيبة الى الخطاب لزيادة تهديد وتشديد والفاء لترتيب مقدم الشرطية على
الاذان بالبراءة المذيلة بالوعيد الشديد المؤذن بلين عريكتهم وانكسار شدة شكيمتهم فهو اى فالتوب
خير لكم فى الدارين وان توليتم عن التوبة اوثبتم على التولى عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم
غير معجزى الله غير سابقين ولا فائتين وبشر الذين كفروا تلوين للخطاب وصرف له عنهم الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم لان البشارة بعذاب اليم وان كانت بطريق التهكم انما تليق بمن يقف على
الاسرار الالهية الا الذين عاهدتم من المشركين استدراك من النبذ السابق الذى اخر فيه القتال
اربعة اشهر كانه قيل لا تمهلوا الناكثين فوق اربعة اشهر لكن الذين عاهدتموهم ثم لم ينكثوا عهدهم
فلا تجروهم مجرى الناكثين فى المسارعة الى قتالهم بل اتموا اليهم عهدهم ولا يضر فى ذلك تخلل الفاصل بقوله
تعالى واذان من الله ورسوله الخ لانه ليس باجنبى بالكلية بل هو امر باعلام تلك البراءة كانه قيل
واعلموا وقيل هو استثناء متصل من المشركين الاول ويرده بقاء الثانى على العموم مع كونهما عبارتين
عن فريق واحد وجعله استثناء من الثانى يا باه وبقاء الاول كذلك وقيل هو استدراك من
المقدر فى فسيحوا اى فقولوا لهم سيحوا اربعة اشهر لكن الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا من
شروط الميثاق ولم يقتلوا منكم احدا ولم يضروكم قط وقرئ بالمعجمة اى ينقضوا عهدكم شيئا من النقض
وكانه ثم للدلالة على ثبات على عهدهم مع تمادى المدة ولم يظاهروا اى ولم يعاونوا عليكم امرا
من اعدائكم كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهرتهم قريش بالسلاح
فاتموا اليهم عهدهم اى ادوه اليهم كاملا الى مدتهم ولا تفاجئوهم بالقتال عند مضى الاجل المضروب
للناكثين ولا تعاملوهم معاملتهم قال ابن عباس رضى الله عنهما بقى لحى من كنانة من عهدهم تسعة اشهر
فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق
العهد من باب التقوى وان التسوية بين الغادر والوفى منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا
فاذا انسلخ اى انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان وجلده والاغلب اسناده الى
الجلد والمعنى اذا انقضى الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه سائرة له انفصال الجلد عن
الشاة انكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكر ابو الهيثم من انه يقال اهللنا شهر كذا اى دخلنا فيه

ولبسناه

ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه الى مضى نصفه ثم نسلخه من انفسنا جزءا فجزءا حتى نسلخ من
انفسنا كله فينسلخ واشد اهللت مثله كفى قاتلا سلخى الشهور واهلالى وتحقيقه ان الزمان محيط
بما فيه من الزمانيات مشتملة عليه اشتمال الجلد للحيوان وكل جزء من اجزائه الممتدة من الايام
والشهور والسنين فاذا مضى فكانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من التلويح بان تلك الاشهر
كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدى المسلمين فنيط قتالهم بزوالها والمراد بها اما ما
من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها بالحرمة تاكيدا
لما ينبى منه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشانها او هى مع
ما فهم من قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقيت لغير الناكثين فعلى
الاول يكون المراد بالمشركين فى قوله تعالى فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون
قتال الباقين مفهوما من عبارة النص بل من دلالته وعلى الثانى مفهوما من العبارة الا انه يكون
الانسلاخ وما نيط به من القتال شيئا فشيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل
طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة الدائرة فى كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما انه
يستدعى بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعد ما ينسخها فلا اعتداد به لا لانها نسخت
بقوله تعالى فاقتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه رجم بالغيب لانه ان اريد به ما فى سورة
الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين كفروا فى قوله تعالى قل للذين
كفروا الخ ابو سفيان واصحابه وقد اسلم فى اواسط رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة
انما نزلت فى شوال سنة تسع وان اريد ما فى سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح كما يعرب عنه
ما قبله من قوله اخرجوهم من حيث اخرجوكم اى مكة وقد فعل ذلك يوم الفتح فكيف ينسخ به
ما نزل بعده بل لان انعقاد الاجماع على انتساخها كان فى الباب من غير حاجة الى كون سنده منقولا
الينا وقد صح ان النبى صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم حيث وجدتموهم
من حل وحرم وخذوهم اى ايسروهم والاخذ الاسر واحصروهم اى قيدوهم او امنعوهم
من التقلب فى البلاد قال ابن عباس رض حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل
مرصد اى كل ممر ومجتاز يجتازون منه فى اسفارهم وانتصابه على الظرفية اى ارصدوهم حتى لا يمروا
به وفائدته على التفسير الثانى رفع احتمال ان يراد بالحصر المحاصرة المعهودة فان تابوا عن
الشرك بالايمان بعدما اضطروا بما ذكر من القتل والاسر والحصر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة
تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية العبادات لكونهما رئيس العبادات
البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدعوهم وشانهم ولا تتعرضوا لهم بشيء مما ذكر ان الله غفور
رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعتهم وهو تعليل للامر بتخلية
السبيل وان احد شروع فى بيان حكم المتصدين لمبادى التوبة من سماع كلام الله تعالى والوقوف

على شعاير الدين اثر ثباتكم التابين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء
لان ان لا تدخل الا الفعل من المشركين استجارك بعد انقضاء الاجل المضروب اى سالك ان تؤمنه وتكون
له جارا **فاجره** اى امنه **حتى يسمع كلام الله** ويتدبره ويطلع على حقيقة ما تدعو اليه والاقتصار
على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شئ اخر فى الفهم لكونهم من اهل السن والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية
او لتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله تعالى استجارك لانه يؤدى الى اعمال حتى فى المضمر وذلك مما لا
يكاد يرتكب فى غير ضرورة الشعر كما فى قوله تعالى فلا والله لا يلقى اناس حتى حناك يا ابن ابى يزيد كنا
قيل الا ان تعلق الاخبار بسماع كلام الله تعالى باحد الوجهين يستلزم تعلق الاستجارة ايضا بذلك
او بما فى معناه من امور الدين وما روى عن على رضى الله عنه انه اتاه رجل من المشركين فقال
ان اراد لرجل منا يأتى محمدا بعد القضا مبدا الاجل لسماع كلام الله تعالى او الحاجة قتل قال لا لان الله
تعالى يقول وان احد من المشركين استجارة فاجره الخ فالمراد بما فيه من الحاجة هى الحاجة المتعلقة
بالدين لا بعمها وغيرها من الحاجات الدنيوية كما ينبئ عنه قوله ان يأتى محمد فان ما يأتيه عم انما يأتيه
للامور المتعلقة بالدين **ثم ابلغه** بعد استماعه له ان لم يؤمن **مأمنه** اى مسكنه الذى يأمن
فيه وهو دار قوم **ذلك** يعنى الامر بالاجارة وابلاغ المامن **بانهم** بسبب انهم **قوم لا يعلمون**
ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى لهم معذرة
اصلا **كيف يكون للمشركين عهد** شروع فى تحقيق حقية ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها
وبين الحكمة الداعية الى ذلك والمراد بالمشركين الناكثون لان البراءة انما هى فى شانهم والاستفهام
انكارى لا بمعنى انكار الواقع كما فى قوله تعالى كيف تكفرون بالله الى اخره بل بمعنى انكار الوقوع ويكون
من الكون التام وكيف فى محل النصب على التشبيه بالحال او الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف
خبر يكون قدم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة للمشركين متعلق بمحذوف وقع حالا من عهد
ولو كان مؤخرا لكان صفة له او بيكون عند من يجوز عمل الافعال الناقصة فى الظروف وعند متعلق
بمحذوف وقع صفة لعهد او بنفسه لانه مصدر او بيكون كما مر ويجوز ان يكون الخبر للمشركين
وعند كما ذكر او متعلق بالاستقرار الذى تعلق به للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين
اما تبيين واما حال من عهد واما متعلق بيكون او بالاستقرار الذى تعلق به الخبر ولا يبالى بتقديم
معمول الخبر على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه بالظرف
او الحال كما فى صورة الكون التام وهو الاولى لان فى انكار ثبوت العهد فى نفسه من المبالغة ما ليس فى
انكار ثبوته للمشركين لان ثبوته الرابطى فرع ثبوته العينى فانتفاء الاصل يوجب انتفاء الفرع راسا
وفى توجيه الانكار الى كيفية ثبوت العهد من المبالغة ما ليس فى توجيهه الى ثبوته لان كل موجود
يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع الاحوال وجوده على حال من الاحوال
قطعا فاذا انتفى جميع الاحوال وجوده فقد انتفى على الطريق البرهانى اى على اى حال او فى اى حال يوجد

لهم

لهم عهد معتد به **عند الله وعند رسوله** يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى تمام المدة ولا
يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما ان يؤمنوا به من عذاب الآخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره اصلا
اذ لا دخل لعهدهم فى ذلك الامن قطعا وان كان مرعيا عند الله تعالى وعند رسوله كعهد غير الناكثين
وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد به عند كل منهما على حدة **الا الذين** استدراك من
النفى المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله بجميع المعاهدين اى لكن الذين **عاهدتم عند المسجد
الحرام** وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها
والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله عز وجل **فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم** والفاء لتضمنه معنى الشرط وما اما مصدرية منصوبة المحل على الظرفية بتقدير المضاف
اى ما استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم واما الشرطية منصوبة المحل على الظرفية النهائية اى اى
زمان استقاموا لكم فيه فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثناء متصل محل النصب على الاصل والجر على
البدل من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعهود وايا ما كان فحكم الامر بالاستقامة ينتهى بانتهاء
مدة العهد لان استقامتهم التى وقت بوقتها الاستقامة المامور بها عبارة عن مراعاة حقوق
العهد وبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة قضاء عين الامر الوارد فيما سلف حيث قيل
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم خلا انه قد صرح ههنا بما لم يصرح به هناك مع كونه معتبرا قطعا
وهو تقييد الاتمام المامور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء **ان الله يحب المتقين** تعليل
للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر **كيف** تكرير لاستنكار
ما مر من ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعات عند الله سبحانه وعند رسوله صلى الله عليه وسلم
واما ما قيل من انه لاستبعاد ثباتهم على العهد فكما ترى لان ما تذكر بصدد التعليل للاستبعاد عين
عدم ثباتهم على العهد لا انه شئ يستدعيه وانما اعيد الاستنكار والاستبعاد تاكيدا لهما وتمهيدا
لتعداد العلل الموجبة لهما لاخلال تخلل ما فى البين بالارتباط والتقريب وحذف الفعل المستنكر
للايذان وحذف الفعل المستنكر للايذان بان النفس مستحضرة له مترقبة لورود ما يوجب
استنكاره لا لمجرد كونه معلوما كما فى قوله وخبرتمانى انما الموت بالقرى فكيف وهاتا هضبة قليب فاذ
علة مصححة لا مرجحة اى كيف يكون لهم عهد معتد به عند الله تعالى وعند رسوله **وان يظهروا
عليكم** اى وحالهم انهم ان يظهروا عليكم اى يظفروا بكم **لا يرقبوا فيكم** اى لم يرعوا فى شانكم
واصل الرقوب النظر بطريق الحفيظ والرعاية ومنه الرقيب ثم استعمل فى مطلق الرعاية والمراقبة ابلغ
منه كالمراعات وفى نفى الرقوب من المبالغة ما ليس فى نفيهما **الا ولا ذمة** اى حلفا وقيل قرابة ولا
عهدا او حقا يعاب على اغفاء مع ما سبق لهم من تاكيد الايمان والمواثيق يعنى ان وجوب مراعات
حقوق العهد على كل من المتعاهدين مشروط بمراعات الاخر لها فاذا لم يراعها المشركون فكيف تراعونها
على منوال قول من قال علام تقبل منهم فدية وهم لا فضة قبلوا منا ولا ذهبا وقيل الال من اسماء الله تعالى

عز وعلا اى لايرعوا حق الله تعالى وقيل الجوار وماله الطلق لانهم اذا تماسحوا وتما القول فعوابه اصواتهم
لتشهيد ولما كان تعليق عدم رعاية العهد بالظرف موهما للرعاية عند عدم كشف عن حقيقة شئونهم
الجليلة والخفية بطريق الاستيناد بين انهم فى حالة العجز ايضا ليسوا من الوفاء فى شئ وان مايظهرونه
مداهنة لامهاونة فقيل **يرضونكم بافواههم** حيث يظهرون الوفاء والمصافات ويعدون لكم
بالايمان والطاعة ويؤكدون ذلك بالايمان الفاجرة ويقللون عند ظهور خلافه بالمعاذير الكاذبة
ونسبة الارضاء الى الافواه للايذان بان كلامهم مجرد الفاظ تيفوهون بها من غير ان يكون لها
مصداق فى قلوبهم **ويابى قلوبهم** مايفيده كلامهم **واكثرهم فاسقون** خارجون عن الطاعة فان
مراعات حقوق العهد من باب الطاعة مستمرون ليست لهم مروة رادعة ولاعقيدة وازعة لا
ينسرون كما يتعاطاه بعضهم ممن يتقا فادى عند العذر ويتعفف عما يجر احدوثة السوء **اشتروا**
باٰيات الله باياته الامرة بالابقاء بالعهود والاستقامة فى كل امر وبجميع اياته فيدخل فيها
ماذكر دخولا اوليا اى تركوها واخذوا بدلها **ثمنا قليلا** اى شيئا حقيرا من حطام الدنيا
وهو اسواؤهم وشهواتهم التى اتبعوها او ما انفقه ابو سفيان من الطعام وحرمة الى الاعراب
فصدوا اى عدلوا ونكبوا من صد صدودا او صرفوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة على سببية
الاشتراء لذلك **عن سبيله** اى الدين الحق الذى لامحيد عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته
الحرام حيث كانوا يصدون الحجاج والقار عنه **انهم ساء ما كانوا يعملون** اى بئس ما كانوا يعملونه
او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف وقد جوز ان يكون كلمة ساء على اصلها من التصرف لازمة
بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف اى ساءهم الذى يعملونه او عملهم وقوله عز وجل **لايرقبون**
فى مؤمن الّا ولا ذمة ناع عليهم عدم مراعات حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار
وقيل هذا فى اليهود او فى الاعراب المذكورين ومن يحذو حذوهم واما ما قيل من انه تفسير بقوله
تعالى يعملون او دليل على ما هو مخصوص بالذم فهو مشعر باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا
دون غيره **واولئك** الموصول بما عدد من الصفات السيئة **هم المعتدون** المجاوزون الغاية
القصوى من الظلم والشرارة **فان تابوا** اى عما هم عليه من الكفر وساير العظايم والفاء للايذان
بان تقريعهم بما نعى عليهم من ساوى اعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة **واقاموا الصلوة واتوا**
الزكوة اى التزموهما وعزموا على اقامتهما **فاخوانكم** اى فهم اخوانكم وقوله تعالى **فى الدين** متعلق
باخوانكم لما فيه من معنى الفعل اى لهم ما لكم وعليهم وما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوان وفيه من
استمالتهم واستجلاب قلوبهم ما لامزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب
التى مرت من قبل تعالى اتحاد الشرط فيهما لما ان الاولى سيقت اثر الامر بالقتل ونظايره فوجب ان
يكون جوابها امر بخلاف ذلك وهذه سيقت بعد الحكم عليهم بالاعتداء واشباهه فلابد من كون جوابها
حكما بخلافه البتة **ونفصل الاٰيات** اى نبينها والمراد بها اما ما مر من الايات المتعلقة باحوال المشركين

من الناكثين

من الناكثين وغيرهم وحكامهم حالتى الكفر والايمان واما جميع الايات فيندرج فيها تلك الايات
اندراجا اوليا **لقوم يعلمون** اى ما فيها من الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التامل فى
الاحكام المندرجة فى تضاعيفها والمحافظة عليها **وان نكثوا** عطف على قوله تعالى فان تابوا اى و
ان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا **ايمانهم من بعد عهدهم** الموثق بها واظهروا ما فى ضمايرهم من الشر
واخرجوه من العقد الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم لايرقبوا الاية او ثبتوا
على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل **وطعنوا فى دينكم** قدحوا فيه
تصريح التكذيب وتقبيح الاحكام **فقاتلوا ائمة الكفر** اى فقاتلوهم وانما اوثر ما عليه النظم
الكريم للايذان بانهم صاروا بذلك ذوى رياسة وتقدم فى الكفر احقاء بالقتال وقيل المراد
بائمتهم رؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما لاهمية قتلهم او للمنع من مراقبتهم لكونهم
مظنة لها او للدلالة على استيصالهم فان قتلهم اوليا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ائمة
بتحقيق الهمزتين على الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن ظاهر
عند القراء **انهم لا ايمان لهم** اى على الحقيقة حيث لايراعونها ولايعدون نقضها محذورا
وان اجروها على السنتهم وانما علق النفى بها كالنكث فيما ثلث لا بالعهد المؤكد بها لانها العمدة
فى التواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال لايساعده تعليقه بالنكث والطعن لان حالهم فى ان
الايمان لهم حقيقة بعد النكث والطعن مع انه لاحاجة الى بيانه خلاف الظاهر ولعل الاولى جعلها
تعليلا لمضمون الشرط كانه قيل وان نكثوا وطعنوا كما هو المتوقع منهم اذ لا ايمان لهم حقيقة حتى لا
ينكثوها او لا لاستمرار القتال المامور به المستفاد من سياق الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا
انهم لا ايمان لهم حتى ينعقد معهم عهد اخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى اعطاء الامان
اى لاسبيل الى ان تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه له لاشعاره بان
مدتهم معنا على طريقة ان يكون اعطاء الايمان من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام من
كونه تعليلا للامر بالقتال اشكال بل استحالة لانه ان حمل على انتفاء الاسلام مطلقا فهو بمعزل عن
العلية للقتال او للامر به كما قيل النكث والطعن وان حمل على انتفائه فيما سياتى فلا يلايم جعل الانتهاء
غاية للقتال فيما سيجئ فالوجه ان يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل ان نكثوا و
طعنوا وهو الظاهر من حالهم لانه لا اسلام لهم حتى يرتدعوا من نقض جنس ايمانهم وعن الطعن
فى دينكم **لعلهم ينتهون** متعلق بقوله تعالى فقاتلوا اى قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اى ليكن غرضكم
من القتال انتهائهم عما هم عليه من الكفر وساير العظايم التى يرتكبونها لا ايصال الاذية كما هو دأب
الموذين **الا تقاتلون** الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم للانكار والتوبيخ يدل على تخصيصهم على
المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار بانتفائهم كانه امر لايمكن ان يتفرق به طائعا لكمال شناعته فيلجاون
الى ذلك ولايقدرون على الاقرار به فيختارون المقاتلة **قوما نكثوا ايمانهم** التى حلفوها عند

المعاهدة على ان يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة وهم باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا
بدار الندوة حسبما ذكر فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا فيكون نعيا عليهم جناياتهم القديمة وقيل
هم اليهود نكثوا على الرسول صلى الله عليه وسلم وهموا باخراجه من المدينة وهم بدؤكم بالمعادات
والمقاتلة اول مرة لا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المبين وتحداهم به
فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة او بدؤا بقتال خزاعة حلفاء النبى صلى الله عليه وسلم لانه
اعانة بنى بكر عليهم قتال معهم اتخشونهم اى اتخشون ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم
وبخهم اولا بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحقق ان من كان
على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله احق ان تخشوه
بمخالفة امره وترك قتال اعدائه ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان تخصيص الخشية به تعالى
وعدم المبالات بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للامر بالقتال بعد التوبيخ
على تركه ووعد بنصرهم وبتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم
ويخزهم قتلا واسرا وينصركم عليهم اى يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر
عن التعذيب والاخزاء ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال وهم خزاعة قال ابن
عباس رضى الله عنهما بطون من اليمن والسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال عليه ابشروا فان الفرج قريب ويذهب
غيظ قلوبهم بما كانوا من المكاره والمكائد ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون
فكان اخباره بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستانف ينبئ عما
سيكون من بعض اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان
كذلك حيث اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب على اضمار ان ودخول التوبة فى جملة
ما اجيب به الامر بحسب المعنى فان القتال كما هو سبب لغل شركتهم والانة شكيمتهم فهو سبب للندم
وفى امرهم وتوبتهم من الكفر والمعاصى وللاختلاف فى وجه السببية غير السبك والله تعالى اعلم
والله ايثار اظهار الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة عليم لا يخفى عليه خافية
حكيم لا يفعل ولا يامر الا ما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم ام منقطعة جئ بها للدلالة على
الانتقال عن التوبيخ السابق الى اخر وما فيها من همزة الاستفهام الانكارى توبيخ لهم على الحسبان
المذكور اى بل احسبتم ان تتركوا على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب
اما لمن شق عليهم القتال من المؤمنين او للمنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو
حالية ولما للنفى مع التوقع والمراد من نفى المعلوم بالطريق البرهانى اذ لو شم رايحة الوجود لعلم
قطعا اى ام حسبتم ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وما فى لما من
التوقع مسية على ان ذلك سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبيين من حيث كونه متعلقا

للعلم ومدار للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج تحت ارادة
اكرم الاكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة او حال من فاعله اى جاهدوا
حال كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اى بطانة وصاحب سر وهو
الذى يطلعه على ما فى ضميرك من الاسترار الحقيقة من الولوج وهو الدخول من دون الله متعلق
بالاتخاذ ان ابقى على حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون اى بجميع
اعمالكم وقرئ على الغيبة وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الخ او حال من فاعله
او من مفعوله والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والمال انه يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه
شئ منها وما كان للمشركين اى ما صح وما استقام لهم معنى نفى الموجود والتحقق لا نفى الجواز
كما فى قوله تعالى وما يحقق لهم ان يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله اى المسجد الحرام وانما جمع
لانه قبلة المساجد وامامها فعامرها كعامرها او لان كل ناحية من نواحيه المختلفة الجهات مسجد على
حياله بخلاف ساير المساجد اذ ليس فى نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة بالتوحيد وقيل
ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس ويأباه انهم
لا يصدون التعبير ساير المساجد ولا يفتخرون بذلك على انه مبنى على كون النفى بمعنى نفى الجواز
واللياقة دون الوجود شاهدين على انفسهم بالكفر اى باظهار اثار الشرك من النصب الاوثان
حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار
كما نقل عن الحسن رض وهو حال من الضمير فى يعمروا اى الحال ان يكونوا ما سموا عمارة بيت الله تعالى
ملابستهم لما ينافيهم ويحبطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة فى شئ واما ما قيل من
ان المعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله تعالى فليس بمعرب عن كنه
المرام فان عدم استقامة الجمع بين المتنافيين انما يستدعى انتفاء احدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة
الذى هو المقصود روى ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك
وطعن على رضى الله عنه توبيخ العباس بقتال النبى صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له فى
القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر
المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى فنزلت اولئك الذين يدعون عمارة المسجد الحرام وما
يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التى يفتخرون بها بما قارنها من الكفر
فصارت هباء منثورا وفى النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة اسمية للمبالغة فى الدلالة
على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة وكلتا الجملتين مستانفة
لتقرير النفى السابق الاولى من جهة نفى استتباع الثواب الثانية من جهة نفى استدفاء العذاب
انما يعمر مساجد الله الكلام فى ايراد صيغة الجمع كما مر فيما مر خلاف ان ارادة جميع المساجد
وادراج المسجد الحرام فى ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقد قرئ بالافراد

ايضا والمراد ههنا ايضا قصر تحقق العمارة و وجودها على المؤمنين لاقصر جوازها ولياقتها اى انما
يصح ويستقيم ان يعمرها عمارة يعتد بها **من امن بالله** وحده **واليوم الآخر** بما فيه من البعث
والحساب والجزاء حسبما نطق به الوحى **واقاموا الصلوة واتوا الزكوة** على ما علم من الدين فيندرج فيه
الايمان بنبوة النبى صلى الله عليه وسلم حتما وقيل هو مندرج تحت الايمان للكل اى يعمرها
من جميع هذه الكمالات العلمية والمراد بالعمارة ما يعم مرمة ما استلزم منها وقمها وتنظيفها و
تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبارة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك
وحمايتها مما لم تبين له لحديث الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث فى المسجد ياكل
الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال عم قال الله تعالى بيوتى فى ارض المساجد ولنا زوارى فيها
عمارها فطوبى لعبد تطهر فى بيته ثم زار فى بيتى فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه السلم
من الف المسجد الفه الله وقال عم اذا رايتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس
رضى الله عنه من اسرج فى مسجد سراجا لم تزل الملئكة وحملة العرش تستغفر له ما دام فى ذلك المسجد
ضوءه **ولم يخش** فى احد الدارين **الا الله** فعمل بموجب امره ونهيه غير اخذ له فى الله لومة لائم ولا
خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلى من الامور المخوفة
فليس من هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها
فاريد نفى تلك الخشية عنهم **فعسى اولئك** المنعوتون بتلك النعوت الجميلة **ان يكونوا من
المهتدين** الى مباغيهم من الجنة وما فيها من فنون المطالب العلمية وابراز اهتدائهم مع ما بهم
من الصفات السنية فى معرض التوقع لقطع اطماع الكفرة عن الوصول مواقف الاهتداء والانتفاع
باعمالهم التى يحسبون انهم فى ذلك محسنون ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فان المؤمنين
مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى فما بال الكفرة وهم اعمالهم وفيه
لطف للمؤمنين وترغيب لهم فى ترجيح جانب الخوف على جناح الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى
اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اى فى الفضيلة وعلو الدرجة **كمن امن بالله واليوم الآخر
وجاهد فى سبيل الله** السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان فلا بد من تقدير
مضاف فى احد الجانبين اى اجعلتم اهلهما كمن امن بالله الخ ويؤيده قراءة من قرا سقاة الحاج وعمرة
المسجد الحرام او اجعلتموها كايمان من امن الخ وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين على طريقة الالتفات
وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به واما لبعض المؤمنين المؤثرين للسقاية
والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء فى الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم
عند الله للفريق الثانى وبيان عظيمة درجتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم حرمان الاولين
بالكلية وجعل معنى التقبل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدى كثير نفع لانه ان لم يشعر بعدم الحرمان
فليس يشعر بالحرمان ايضا اما على الاول فهو توبيخ للمشركين ومدار على انكار تشبيه انفسهم من حيث

انضافهم وصفيهم المذكورين مع قطع النظر عماهم عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم فيهم
بالايمان والجهاد وعلى انكار تشبيه وصفيهم المذكورين فى حد ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتهما للشرك بالايمان والجهاد واما اعتبار مقارنتهما له كما قيل فيا باه المقام كيف لا وقد بين
انما حبوط اعمالهم بذلك الاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك على تشبيههما
بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن اصل الفضيلة بالكلية كما اشير اليه مما
لا يساعده النظم التنزيلى ولو اعتبر ذلك لما احتيج الى تقرير انكار التشبيه وتاكيده بشئ اذ لا
شئ اظهر بطلان امن بالله واليوم الاخر وجاهد وافى سبيله او اجعلتموهما فى ذلك كالايمان
والجهاد وشتان بينهما فان السقاية والعمارة وان كانتا فى انفسهما من اعمال البر والخير لكنهما وان خلتا
عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه اهلها باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان
والجهاد وذلك وقوله عز وجل **لا يستوون عند الله** اى لا يساوى الفريق الاول الثانى من حيث
اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوى بين الوصفين الاولين وبين الاخرين
لانه المدار فى التفاوت بين الوصفين واسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان
تفاوتهم وتوجيه النفى ههنا والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى المفتخرين
بالسقاية والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هى الافضلية دون التساوى والتشابه للمبالغة فى
الرد عليهم فان نفى التساوى والتشابه نفى للافضلية بالطريق الاولى والجملة استيناف لتقرير
للانكار المذكور وتاكيده او حال من مفعولى الجعل والرابط هو الضمير كانه قيل استويتم بينهم
حال كونهم متفاوتين عند تعالى وقوله تعالى **والله لا يهدى القوم الظالمين** حكم عليهم بانهم
مع ظلمهم بالاشراك ومعادات الرسول صلى الله عليه وسلم ضالون فى هذا الجعل غير مهتدين
الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظالمون بوضع الاخر وفيه زيادة تقرير لعدم
التساوى بينهم وقوله تعالى **الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم
وانفسهم** استيناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال المشركين وظلمهم
وزيادة الهجرة وتفصيل نوعى الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد لانه اعتبر بطريق التدارك
امر لم يعتبر فيما سلف اى هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف الجميلة **اعظم درجة عند الله**
اى على رتبة واكثر امة ممن لم يتصف بها كائنا من كان جاز جميع ما عداها من الكمالات التى من
جملتها السقاية والعمارة **اولئك** اى منعوتون بتلك النعوت الفاضلة وما فى اسم الاشارة من
معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم فى الرفعة **هم الفائزون** المختصون بالفوز العظيم او بالفوز
المطلق كان فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثانى فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية
والعمارة من المؤمنين على الهجرة والجهاد وروى ان عليا رضى الله عنه قال للعباس رض بعد السلامة
يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست فى افضل من الهجرة السقى

حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال ما ارانى الا تارك سقياتنا فقال عم اقيموا على سقايتكم
فان لكم فيها خيرا وروى النعمان بن قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل
ما ابالى ان لا اعمل عملا بعد ان اسقى الحاج وقال ما ابالى ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال
آخر الجهاد فى سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر رضى الله عنه قال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليتم استفتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما اختلفتم فيه فدخل فانزل الله عز وجل هذه الاية والمعنى جعلتم اهل السقاية والعمارة
من المؤمنين فى الفضيلة والرفعة كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد وافى سبيله او اجعلتموها
كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الايمان فى جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا تعويلا على
ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم يترك
ذكره فى جانب المشبه به ايضا تقوية للانكار وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادى الافضلية وايذانا
بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر
وكذا اعظمية درجة الفريق الثانى واما قوله تعالى والله لا يهدى القوم الظالمين فالمراد به
عدم هدايته تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم موضع كل منهما موضع الاخر لا عدم
الهداية مطلقا ولا الظلم عموما والفصر فى قوله تعالى واولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة
الفريق الثانى او الى الفوز المطلق ادعاء كما مر والله اعلم **يبشرهم** وقد قرئ بالتخفيف **ربهم**
برحمة عظيمة **منه ورضوان** كبير **وجنات** عالية **لهم فيها** فى تلك الجنات **نعيم مقيم** نعم
لا نفاد لها فى التعرض لعنوان الربوبية تاكيد للمبشر به وتربيته له **خالدين فيها** اى فى جنات
ابدا تاكيد للخلود لزيادة توضيح المراد به اذ قد يراد به المكث الطويل **ان الله عنده اجر عظيم**
لا قدر عنده لاجور الدنيا او للاعمال التى فى مقابلته والجملة استيناف وقع تعليلا لما سبق
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم اولياء نهى لكل فرد من افراد
المخاطبين عن موالات فرد من المشركين يقتضيه مقابلة الجمع بالجمع الموجبة بل انقسام الاحاد
الى الاحاد كما فى عز وجل وما للظالمين من انصار عن موالات طائفة منهم فان ذلك مفهوم من
النظم دلالة عبارة الاية نزلت فى المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا اباءنا
وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت
فهاجروا فجعل الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت به ولا ينزله ولا ينفق
عليه ثم رخص لهم فى ذلك وقيل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيا عن موالاتهم
وعن النبى صلى الله عليه وسلم ولا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب فى الله ويبغض فى الله حتى يحب
فى الله ابعد الناس ويبغض فى الله اقرب الناس اليه **ان استحبوا الكفر** اى اختاروه **على الايمان**
واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا وتعليق النهى عن الموالات بذلك لما انها

قبل ذلك وربما يؤدى بهم الى الاسلام بسبب شعورهم بمحاسن الدين **ومن يتولهم** اى واحد
منهم كما اشير وافراد الضمير فى الفعل لمراعاة الموصول وللايذان باستقلال كل واحد منهم فى الاتصاف
بالظلم لان المراد تولى فرد واحد وكلمة من فى قوله تعالى **منكم** للجنس لا للتبعيض **فاولئك** اى اولئك
المتولون **هم الظالمون** بوضعهم الموالات فى غير موضعها كان ظلم غيرهم كلا ظلم غير ظلمهم **قل** تلوين
الخطاب وامر له صلى الله عليه وسلم بان يثبت المؤمنين ويقوى عزائمهم على الانتهاء عما نهوا عنه
من موالات الاباء والاخوان ويزهدهم فيهم وفيمن يجرى مجراهم من الابناء والازواج ويقطع علائقهم
عن زق الدنيا وزينتها على الوجه التوبيخ والترهيب **ان كان اباؤكم واخوانكم وازواجكم**
اى لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان موالات الابناء والازواج غير معتاد بخلاف المحبة
وعشيرتكم اى اقربائكم ماخوذ من العشرة فانهم جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم
وعشائركم **واموال اقترفتموها** اى اكتسبتموها وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها
بكد اليمين **وتجارة** اى امتعة اشتريتموها للتجارة والربح **تخشون كسادها** بفوات وقت رواجها
بغيبتكم عن مكة المعظمة فى ايام الموسم **ومساكن ترضونها** اى منازل تعجبكم الاقامة فيها من الدور
والبساتين والتعرض للصفات المذكورة للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحيوة الدنيا ليس
لتناسى ما فيها من مبادى المحبة وموجبات الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل ان
يؤثر حبها على حبه تعالى وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى ما غرك بربك الكريم
احب اليكم من الله ورسوله بالحب الاختيارى المستتبع لاثره الذى هو الملازمة وعدم المفارقة
لا الحب الجبلى الذى لا يخلو عنه البشر فانه داخل تحت التكليف الدائر على الطاعة **وجهاد فى سبيله**
نظم حبه فى سلك حب الله عز وجل وحب رسوله عم تنويها لشانه وتنبيها على انه مما يحب فضلا عن يكره و
ايذانا بان محبته راجعة الى محبتهما فان الجهاد عبارة عن قتال اعدائهما لاجل عداوتهم فمن يحبهما
يحب قتال من لا يحبهما **فتربصوا** اى انتظروا **حتى ياتى الله بامره** عن ابن عباس رضى الله عنهما
انه فتح مكة وقيل هى عقوبة عاجلة او اجلة **والله لا يهدى القوم الفاسقين** الخارجين عن الطاعة
فى الموالات المشركين او القوم الفاسقين كافة فيدخل فى زمرتهم هؤلاء دخولا اوليا اى لا يرشدهم
الى ما هو خير لهم وفى الاية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من ربه والله
المستعان **لقد نصركم الله** الخطاب للمؤمنين خاصة **فى مواطن كثيرة** من الحروب وهى مواقفها ومقاماتها
والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة **ويوم حنين** عطف على محل فى
مواطن بحذف المضاف فى احدهما اى وموطن يوم حنين او فى ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل
التغيير للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين
رضى الله عنه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم اى ونصركم يوم حنين **اذ اعجبتكم**
كثرتكم بدل من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه لم يكن فى المعطوف عليه

كثرة ولا اعجاب اذ ليس من قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف او منصوب
باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الواقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة الاف
منهم من شهد فتح مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة
الاف فيمن ضامهم من امداد ساير العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة
بن سلام الانصارى لن نغلب اليوم من قلة ساءت كلمته رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا
شديدا فانهزم المشركون وخلوا الذرارى فاكب المسلمين على الغنايم فتنادى المشركون يا حماة السوء
اذكروا الفضايح فتراجعوا فادركت المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وجل **فلم تغن
عنكم شيئا** والاغناء اعطاء ما يدفع به الحاجة اى لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا
من الاغناء **وضاقت عليكم الارض بما رحبت** اى برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى
مع اى تجدون فيها مقرا يطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب ولا تسعون فيها كمن لا يسعه مكانه **ثم
وليتم مدبرين** روى انه بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه الا عمه العباس
اخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان بن الحرث اخذا بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول
انا النبى لا كذب انا ابن عبد المطلب روى انه عليه الصلوة والسلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون
عليه فيقف لهم فعل ذلك بضع عشرة مرة قال العباس كنت اكف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين
وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على انه صلى الله عليه وسلم كان فى الشجاعة ورباطة الجاش سباقا
للغايات القاصية وما كان ذلك الا بكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب
ائتنى بما وعدتنى وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى
يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله
تعالى **ثم انزل سكينته على رسوله** اى رحمته التى تسكن بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا كليا
مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة له عم قبل ذلك ايضا **وعلى المؤمنين**
عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على ما بينهما من التفاوت اى المؤمنين الذين انهزموا
وقيل على الذين ثبتوا مع النبى صلى الله عليه وسلم او على الكل وهو الانسب والاخير فى تحقق اصل السكينة
فى الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان للاشعار بعليته للانزال **وانزل جنودا لم تروها**
اى بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملئكة عليهم السلام البيض على خيول بلق فنظر النبى عم الى قتال
المسلمين فقال هذا حين حمى الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى به المشركين وقال شاهت الوجوه
فلم يبق منهم احد الا امتلأت به عيناه ثم قال عم انهزموا ورب الكعبة واختلفوا فى عدد الملئكة يومئذ
فقيل خمسة الاف وقيل ثمانية الاف وقيل ستة عشر الفا وفى قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا
الا يوم بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتاييدهم بذلك والقاء
الرعب فى قلوب المؤمنين قال سعيد بن المسيب حدثنى رجل كان فى المشركين يوم حنين قال لما

كشفنا

كشفنا المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا
شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا **وعذب الذين كفروا** بالقتل والاسر والسبى **وذلك**
اى ما فعل بهم مما ذكر **جزاء الكافرين** لكفرهم فى الدنيا **ثم يتوب الله** من بعد ذلك **على من
يشاء** اى يتوب عليهم منهم لحكمة تقتضيه اى يوفقه للاسلام **والله غفور** يتجاوز عما سلف منهم
من الكفر والمعاصى **رحيم** يتفضل عليهم ويثيبهم روى ان ناسا منهم جاؤا رسول الله صلى الله عليه و
سلم وبايعوه على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبى اهلونا واولادنا
واخذت اموالنا وقيل سبى يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال عليه السلم
ان عندى ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل
بالاحساب شيئا فقام النبى صلعم فقال ان هؤلاء جاؤنا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال
فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبى وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا
علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عم انا لا ندرى لعل فيكم من لا يرضى
فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء انهم قد رضوا **يا ايها الذين امنوا انما المشركون
نجس** وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم عين النجاسة او هم ذو نجس لخبث باطنهم او لان معهم
الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهى ملابسة
لهم عن ابن عباس رضى الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا
توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو
تخفيف نجس ككبد فى كبد كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس
فلا يقربوا المسجد الحرام تفريع على نجاستهم وانما نهى عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرام
وهو مذهب عطاء وقيل المراد به النهى عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو
مذهب ابى حنيفة ويؤيده قوله عز وجل **بعد عامهم هذا** فان تقييد النهى بذلك يدل على اختصاص
المنهى عنه بوقت من اوقات العام اى لا يحجوا ولا يعتمروا بعد حج عامهم هذا وهو عام تسعة من
الهجرة حين امر ابو بكر رضى الله عنه على الموسم ويدل عليه قول على رضى الله عنه حين نادى ببراءة
الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وساير المساجد عنده وعند
الشافعى يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهى المشركين ان يقربوا
راجع الى نهى المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعون من تولى المسجد الحرام والقيام
بمصالحه ويعزلوا عن ذلك **وان خفتم عيلة** اى فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه
اليكم من الارفاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعاقبة او حال عائلة **فسوف يغنيكم الله
من فضله** ومن عطائه او من تفضله بوجه اخر فارسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم
واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم

مماخافوا العيلة لفواته ثم فتح عليهم البلاد والغنايم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض ان شاء
ان يغنيكم مشية تابعة للحكمة الداعية اليها وانما قيد ذلك بها لينقطع الامال الى الله تعالى ولان
الاغناء ليس مطردا بحسب الافراد والاحوال والاوقات ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطى
ويمنع قاتلوا الذين لايؤمنون بالله امرهم بالقتال اهل الكتابين اثر امرهم بقتال المشركين
ويمنعهم من ان يحوموا حول ماكانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة الموهمة من
انقطاعهم ونبههم فى تضاعيف ذلك على بعض طرف الاغناء الموعود على الوجه الكلى وارشدهم الى
سلوكه ابتغاء لفضله واستنجار الوعدة والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما فى حيز الصلة للامر
بالقتال وبانتظام بسبب ذلك فى سلك المشركين فان اليهود مشبهة والنصارى مثلثة فهم بمعزل
من ان يؤمنوا بالله سبحانه ولا باليوم الآخر فان علمهم باحوال الاخرة كلا علم فايمانهم المبنى عليه
ليس بايمان به ولايحرمون ماحرم الله ورسوله اى ماثبت تحريمه بالوحى متلوا اوغير متلو وقيل
المراد برسول الرسول الذى يزعمون اتباعه اى يخالفون اصل دينهم المنسوخ اعتقادا اوعملا ولا
يدينون دين الحق الثابت الذى هو ناسخ لساير الاديان وهو دين الاسلام وقيل دين الله من
الذين اوتوا الكتاب من التورية والانجيل فمن بيانية لاتبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف
مانعت حتى يعطوا اى يقبلوا ان يعطوا الجزية الى ما تقرر عليهم ان يعطوه مشتق من جزى دينه
اى قضاه له ولانهم يجزون بها من عليهم بالاعفاء عن القتل عن يد حال من الضمير فى يعطوا اى عن
يد موابته مطيعة بمعنى منقادين اومن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايد غيرهم ولذلك
منع من التوكيل فيه من التوكل فيه اوعن غنى ولذلك لم يجب الجزية عن الفقير العاجز اوعن يد
قاهرة عليهم اى بسبب يد بمعنى عاجزين اذلاء اوعن انعام عليهم فان ابقاء مهجتهم بمابذلوا من
الجزية نعمة عظيمة عليهم اومن الجزية اى نقدا مسلمة عن يد الى يد وغاية القتال ليست نفس هذا
الاعطاء بل قبوله كما اشير اليه وهم صاغرون اى اذلاء وذلك بان ياتى بها بنفسه ماشيا غير راكب
ويسلمها وهو قايم والمتسلم جالس ويأخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها وهى يوخذ عند
ابى حنيفه رح من اهل الكتاب مطلقا ومن مشركى العجم لامن مشركى العرب وعند ابى يوسف رح لايوخذ
من العربى كتابيا كان اومشركا وتوخذ العجمى كتابيا كان اومشركا وعند الشافعى رح توخذ من اهل
الكتاب عربيا اوعجميا ولايوخذ من اهل الاوثان مطلقا وذهب مالك والاوزاعى الى انها توخذ
من جميع الكفار واما المجوس فقد اتفقت الصحابة على اخذ الجزية منهم لقوله عم سنوا بهم سنة اهل
الكتاب روى عن على رض انه كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسرى على كتابهم فرفع من بين
اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبيحتهم ومناكحتهم لقوله عم فى اخر ما نقل من الحديث غير ناكحى نسائهم واكل
ذبيحتهم ووقت الاخذ عند ابى حنيفة اول السنه وتسقط بالموت والاسلام ومقدارها على الفقير
المحتمل اثناعشر درهما وعلى المتوسط الحال اربعة وعشرون درهما وعلى الغنى ثمانية واربعون درهما

ولاجزية

ولاجزية على فقير عاجز عن الكسب ولاعلى شيخ فان اوزمن اوصبى اوامراة وعند الشافعى توخذ
فى اخر السنة من كل واحد دينار غنيا كان اوفقيرا له كسب اولم يكن وقالت اليهود جملة مبتداء
سبقت لتقرير مامر من عدم ايمان اهل الكتابين بالله سبحانه وانتظامهم بذلك فى سلك المشركين
عزير ابن الله مبتداء وخبر وقرئ بغير تنوين على انه اسم اعجمى كعازر وعيزار غير منصرف بالعجمة
والتعريف واما تعليله بالتقاء الساكنين اوبجعل الابن وصفا على ان الخبر محذوف فتعسف مستغنى
عنه قيل هو قول ماتهم ثم انقطع فحكى الله تعالى عنهم ذلك ولاعبرة بانكار اليهود وقيل قول بعض
ممن كان بالمدينة وعن ابن عباس رض انه جاء رسول الله صلى الله عليه ناس منهم وهم سلام بن مشكم
ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الضيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء
وهو الذى قال ان الله فقير ونحن اغنياء وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد
موسى عم فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح فى الارض فاتاه جبرئيل
عليه السلام فقال له اين تذهب قال اطلب العلم فحفظ التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه
لايخرم حرفا فقالوا ماجمع الله التوراة فى صدره وهو غلام الا انه ابنه قال الامام الكلبى لما قتل
بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير اذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله فلما رجع بنو اسرائيل الى
بيت المقدس وليس فيهم من يقرا التورية بعث الله تعالى عزيرا ليجدد لهم التورية ويكون اية بعد
ما اماته مائة عام يقال انه اتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه فمثلث فى صدره فلما اتاهم فقال لهم انى عزير كذبوه
فقالوا ان كنت كما تزعم حامل فقذف التورية فى قلب رجل الا انه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
وعن ابن عباس رضى الله عنه ان اليهود اضاعوا التورية وعملوا بغير الحق فانساهم الله تعالى التورية
ونسخها من صدورهم ورفع التابوت فتضرع عزير الى الله تعالى التورية فعاد حفظ التورية
الى قلبه فانذر قومه به ثم ان التابوت نزل فعرضوا ماتلاه عزير على مافيه فوجدوه مثله فقالوا ما
قالوا وقالت النصارى المسيح ابن الله هو ايضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بغير
اب اولان يفعل مافعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى الها ذلك اشارة الى ماصدر
عنهم من العظيمتين ومافيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار اليه فى الشناعة والفظاعة
قولهم بافواههم اما تاكيد لنسبة القول المذكور اليهم ونفى للتجوز عنها او اشعار بانه قول مجرد عن
برهان وتحقيق مماثل للمهمل الموجود فى الافواه من غير ان يكون له مصداق فى الخارج يضاهؤن
اى فى الكفر والشناعة وقرئ بغير الهمزة قول الذين كفروا اى يشابه قولهم على حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل اى من قبلهم
وهم المشركون يقولون الملئكة بنات الله او اللات والعزى بنات الله لاقدماؤهم كما قيل اذ لا
تعدد فى القول حتى يتاتى التشبيه وجعله بين قولى الفريقين مع اتحاد القول ليس فيه مزيد مزية
وقيل الضمير اى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير الخ لانهم اقدم منهم وهو ايضا كما

كما ترى فانه يستدعى اختصاص الرد والابطال بقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم يقول النصارى
قاتلهم الله دعاء عليهم جميعا بالاهلاك فان من قاتله الله هلك او عجب من شناعة النصارى قولهم
انى يؤفكون كيف يصرفون من الحق الى الباطل والحال انه لا سبيل اليه اصلا اتخذوا زيادة تقرير
لاسلف من كفرهم بالله تعالى احبارهم وهم علماء اليهود اختلف فى واحدة قال الاصمعى لا ادرى
اهو حبر ام وقال ابو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا
كان او مسلما بعد ان كان من اهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من اصحاب الصوامع اى
اتخذ كل واحد من الفريقين علماؤهم لا الكل الكل اربابا من دون الله بان اطاعوهم فى تحريم ما احله الله
تعالى وتحريم ما حرمه او بالسجود لهم ونحوه سمية اتباع الشيطان عبادة له فى قوله تعالى يا ابت لا تعبد
الشيطان وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن قال عدى ابن حاتم اتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفى عنقى صليب من ذهب وكان اذ ذاك على دين يسمى الركوسية فريق من النصارى وهو يقرا
سورة البراءة فقال يا عدى اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى الى قوله تعالى اتخذوا احبارهم
ورهبانهم اربابا من دون الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه السلم اليس
يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتستحلونه فقلت بلى قال ذلك عبادتهم قال
الربيع قلت لابى العالية كيف كانت تلك الربوبية فى بنى اسرائيل قال انهم ربما وجدوا فى كتاب
الله تعالى ما يخالف اقوال الاحبار فكانوا ياخذون باقوالهم ويتركون حكم كتاب الله تعالى والمسيح ابن
مريم يعطف على رهبانهم اى اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا انه ابنه تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به يشير الى ان اليهود ما فعلوا ذلك تعريض وتاخيره فى الذكر مع ان اتخاذهم
له عم ربا معبودا اقوى من مجرد الاطاعة فى امر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الاحبار والرهبان
اربابا لانه مختص بالنصارى ونسبته عم الى امه من حيث دلالتها على من بوس المنافية للربوبية
للايذان بكمال ركاكة راسهم والقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما امروا اى والحال ان اولئك
الكفرة ما امروا فى كتابهم الا ليعبدوا الها واحدا عظيم الشان هو الله سبحانه وسبحانه ويطيعوا
امر غيره بخلافه فان ذلك مخل بعبادته تعالى فان جميع الكتب السماوى متفقة على ذلك قاطبة وقد
قال المسيح عم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة واما اطاعة الرسول عليه السلام وساير
من امر الله بطاعته فهى فى الحقيقة اطاعة الله عز وجل او وما امر الذين اتخذهم الكفرة اربابا من المسيح
والاحبار والرهبان ان لا يوحدوا الله تعالى فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون
مثلهم ولا يقدح فى ذلك كون ربوبية الاحبار والرهبان بطريق الاطاعة فان تخصيص العبادة به
تعالى لا يتحقق الا بتخصيص الطاعة ايضا به تعالى وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة به سبحانه
لا اله الا هو صفة ثانية لالها او استيناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون عن الاشراك به فى
العبادة والطاعة يريدون ان يطفؤا نور الله اطفاء النار عبارة عن ازالة لنيها الموجبة لزوال

نورها لا من ازالة نورها كما قيل لكن لما كان الغرض عن اطفاء نار لا يراد بها الا النور كالمصباح ازالة
نورها جعل اطفاؤها عبارة عنها ثم شايع ذلك كان عبارة عن مطلق ازالة النور وان كان الغير
النار والبر فى ذلك الخطاب امكان الازالة فى نورها والمراد بنور الله سبحانه اما حجته النيرة الدالة
على وحدانيته وتنزهه عن الشركاء والاولاد او القران العظيم ان نحو بذلك اى يريد اهل الكتابين
ان يردوا القران ويكذبوا فيما نطق به من التوحيد والتنزه عن الشركاء والاولاد والشرايع التى
من جملتها ما خالفوه من الحل والحرمة بافواههم باقاويلهم الباطلة الخارجة عنها من ان يكون
لها مصداق تنطبق عليه او اصل تستند اليه حسبما حكى عنهم وقيل المراد به غير نبوة النبى صلى الله
عليه وسلم هذا وقد قيل مثلث حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور عظيم منبث فى الافاق بنفخة
ويابى الله اى لا يريد الا ان يتم نوره باعلاء كلمة التوحيد واعزاز دين الاسلام وانما صح الاستثناء
المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفى كما اشير اليه لوقوعه فى مقابلة قوله يريدون وفيه من المبالغة
والدلالة على الامتناع ما ليس فى نفى الارادة اى لا يريد شيا من الاشياء الا اتمام نوره فيندرج فى
المتنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا عن الاطفاء وفى اظهار النور فى مقام الاضمار مضافا الى الضمير
عز وجل زيادة اعتناء بشانه وتشريف له على تشريف واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون
جواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما فى موقع الحال
اى لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم يكره الكافرون ذلك ولو كرهوه اى على كل حال معرض وقد
حذفت الاولى فى الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة لان الشئ اذا تحقق عند
المانع فلان تحقق عند عدمه اولى وعلى السريد ورمانى ان ولو الوصليتين من التاكيد وقد مر
زيادة تحقيق لهذا مرارا هو الذى ارسل رسوله ملتبسا بالهدى اى على اهل الاديان كلهم
او ليظهر الدين الحق على ساير الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة والجملة بيان وتقرير لمضمون
الجملة ان نعم والكلام فى قوله عز وجل ولو كره المشركون كما قيل سبق خلا ان وصفهم بالشرك بعد وصفهم
بالكفر للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الكفر بالله يا ايها الذين امنوا شرع فى بيان
حال الاحبار والرهبان فى اغوائهم لارادة لهم اثر بيان سوء حال الاتباع فى اتخاذهم بهم اربابا
يطيعونهم فى الاوامر والنواهى واتباعهم فيما ياتون ان كثيرا من الاحبار والرهبان لياكلون
اموال الناس بالباطل ياخذونها بطريق الرشوة لتغيير الاحكام والشرايع والتحقيق والمسامحة فيها
وانما عبر ذلك بالاكل بناء على انه معظم الغرض منه وتقبيحا لهم وتنفيرا للسامعين عنهم ويصدون
الناس عن سبيل الله عن دين الاسلام او عن المسلك المقرر فى التورية والانجيل الى ما افتروه
وحرفوه ياخذ الرشى او بصدون عنه بانفسهم باكلهم الاموال الباطل والذين يكنزون الذهب
والفضة اى يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن او بوجه اخر والموصول عبارة اما عن
الكثير من الاحبار والرهبان فيكون مبالغة فى الوصف بالحرص والظن بهما بعد وصفهم بما سبق

من اخذ الرشى والراطيل فى الاباطيل واما عن المسلمين الكانزين غير المنفقين وهو الانسب بقوله عز وجل **ولا ينفقونها فى سبيل الله** فيكون نظمهم فى قرن المرتشين من اهل الكتاب تغليظا ودلالة على كونهم اسوة لهم فى استحقاق البشارة بالعذاب الاليم فالمراد بالانفاق فى سبيل الله الزكوة لما روى انه لما نزل كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقى من اموالكم ولقوله عليه السلام ما ادى زكوته فليس بكنز وعد عليه فان الوعيد عليه مع عدم الانفاق فيما امر الله بالانفاق فيه واما قوله عليه من ترك صفراء او بيضاء كوى بها ونحوه فالمراد بها ما لم يؤده حقها لقوله عم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفايح من نار فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره **فبشرهم بعذاب اليم** خبر للموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره فبشرهم **يوم** منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اى يعذبون او باذكر **يحمى عليها فى نار جهنم** اى يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها واصله يحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار واسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التانيث الى التذكير كما تقول رفعت القصة الى الامير فان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شان لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال على رضى الله عنه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا الكلام فى قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب كذلك بل اولى **فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم** لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السايل واعرضوا عنه وولوا ظهورهم او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التى هى الدماغ والقلب والكبد او لانها اصول الجهات الاربعة التى هى مناديم البدن وماخره وجنباه **هذا ما كنزتم** على ارادة القول **لانفسكم** لمنفعتها فكان عين مضرتها وسبب تعذيبها **فذوقوا ما كنتم تكنزون** اى وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون **ان عدة الشهور** اى عددها **عند الله** اى حكمه وهو معمول لها لانها مصدر **اثنا عشر** خبر لان شهرا تمييز مؤكد كما فى قولك عندى من الدنانير عشرون دينارا او المراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية **فى كتاب الله** فى اللوح المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثنا عشر شهرا مثبتا فى كتاب الله وقوله عز وعلا **يوم خلق السموات والارض** متعلق بما فى الجار والمجرور من معنى الاستقرار لكتاب على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت فى نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات والازمنة **منها** من تلك الشهور الاثنى عشر **اربعة حرم** من ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ومنه قوله صلعم فى خطبة فى حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار بهيئة يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها

اربعة حرم ثلث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى الاول ولشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذى الحجة بعدما كانوا ازالوه من محله بالنسئ الذى احدثوه فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت ابى بكر رضى الله عنه قبلها فى ذى القعدة **ذلك** اى تحريم الاشهر الاربعة المعينة المعدودة وما فى ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه **هو الدين القيم** المستقيم دين ابرهيم عم واسمعيل عم وكانت العرب يتمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقى رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسئ فغير **فلا تظلموا فيهن انفسكم** بهتك حرمتهن وارتكاب ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصى فيهن فانه اعظم وزرا كارتكابها فى الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت ويؤيد الاول انه عليه السلام حصر طائفا وغزا هوازن بحنين فى شوال وذى القعدة **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة** اى جميعا وهو مصدر كف عن الشئ فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال **واعلموا ان الله مع المتقين** اى معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما وضع المظهر موضعه مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار فى النصر وقيل هى بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم **انما النسئ** هو مصدر نسأه اذا اخره نساء ونسيا نحو مس مسا ومساسا ومسيا وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء تشديد الاولى فيها كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه وحرموا مكانه شهرا اخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا فى عدد الشهور بان يجعلوها ثلثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد المعين فى الكتاب والسنة اى انما تاخير حرمة شهر الى شهر اخر **زيادة فى الكفر** لانه تحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله وهو كفر اخر مضموم الى كفرهم **يضل به الذين كفروا** اضلالا على ضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل من الافعال على ان الفعل لله سبحانه اى يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه والمعنى على القراءة الاولى ايضا وقيل المضلون رؤساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ بفتح الياء والضاد من ضل يضل بنون العظمة **يحلونه** اى الشهر المؤخر **عاما** من الاعوام ويحرمون مكانه شهرا اخر مما ليس بحرام **ويحرمونه** اى يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له فى العام الماضى ولاسنادهم له الى الهتهم كما سيجئ **عاما** اخر اذا لم يتعلق بتغييره غرض من اغراضهم قال الكلبى اول من فعل ذلك رجل كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان اذا هم الناس بالصدور من الموسم يقوم فيخطب ويقول لا مرد لما قضيت وانا الذى لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسالونه ان ينسئهم شهرا ويغيرون فيه ان

صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة
واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل في الموسم فينادي باعلى صوته
ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم
فحرموه وقيل هو رجل من كنانة يقال له القلمس قال قائلهم ومنا ناسي الشهر القلمس وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف في الجملتان تفسير للضلال وحال
من الموصول والعامل عامله ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله من الاشهر الاربعة واللام
متعلقة بالفعل الثاني او بما دل عليه مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة
زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة
للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا فاستمروا على ذلك والله لا يهدي القوم
الكافرين هداية موصلة الى المطلوب البتة وانما يهديهم الى ما يوصل اليه عند سلوكه وهم قد
صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال يا ايها الذين آمنوا رجوع الى حث المؤمنين وتحريض
عزائمهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة لذلك ما لكم استفهام فيه معنى الانكار
والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم تباطأتم وتقاعستم اصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك
اي اي شيء حصل وحاصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا اي اخرجوا اي
انفروا في سبيل الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون فالعامل في الظرف
الاستقرار المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه الحال اي ما لكم متثاقلين
حين قيل لكم انفروا وقرئ أاثاقلتم على الاستفهام الانكاري التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ انما هو الاول
الى الارض متعلق باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها
الفانية عما قليل وكرهتم مشاق الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض
واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم
من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ وقد ادركت ثمار المدينة وطابت ظلالها مع بعد
الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل خرج رسول الله صلعم في غزوة غزاها الا ورى بغيرها الا في
غزوة تبوك فانه عم بين لهم المقصد فيها ليستعدوا لها ارضيتم بالحيوة الدنيا وغرورها من الآخرة
اي بدل الآخرة ونعيمها الدائم فما متاع الحيوة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير اي
فما التمتع بها وبلذائذها في الآخرة اي في جنب الآخرة الا قليل اي مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح الحيوة
الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة فيها وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة
الدنيا ودناءتها وعظم شان الآخرة وعلوها الا تنفروا اي ان لا تنفروا الى ما استنفرهم اليه يعذبكم اي
الله عز وجل عذابا اليما اي يهلككم بسبب فظيع هائل كقحط ونحوه ويستبدل بكم بعد اهلاككم
قوما غيركم وصفهم بالمغايرة لهم لتاكيد الوعيد والتشديد في التهديد بالدلالة على المغايرة الوصفية

والذاتية المستلزمة للاستبدال اي قوما مطيعين مؤثرين للآخرة على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم
كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اي لا يقدح
تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء في كل شيء وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم فان الله عز
وجل وعده بالعصمة والنصرة وكان وعده مفعولا لا محالة والله على كل شيء قدير فيقدر على
اهلاككم والاتيان بقوم آخرين الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم تنصروه فسينصره الله الذي
قد نصره في وقت ضرورة اشد من هذه المرة فحذف الجزاء واقيم سببه مقامه او ان لم تنصروه فقد
اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره اذ اخرجه الذين كفروا
اي تسببوا لخروجه حيث اذن له عم في ذلك حين هموا باخراجه ثاني اثنين حال من ضميره عليه
السلام وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الاعراب اي اثنين من غير
اعتبار كونه عليه السلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلثة ورابع اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد
مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع
اربعة وقد مر في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة من سورة المائدة وجعله عليه
ثانيهما لمشي الصديق امامه ودخوله في الغار اولا لكنسه وتسوية البساط كما ذكر في الاخبار تمحل مستغنى
عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض والمراد به زمان متسع والغار ثقب في اعلى ثور و
هو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلثا اذ يقول بدل ثان او ظرف لثاني لصاحبه
اي الصديق لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا تحوم
حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع فالمراد بما فيه من
المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر رض فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلوة والسلام
ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت
فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول
الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى بابصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق رضي الله
عنه وسابقة صحبته ما لا يخفى ومن ذلك قالوا من انكر صحبة ابي بكر رضي الله عنه وسابقة
صحبته ما لا يخفى ومن ذلك قالوا من انكر صحبة ابي بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكاره كلام الله سبحانه
وتعالى فانزل الله سكينته امنته التي تسكن عندها القلوب عليه على النبي صلى الله عليه
وسلم فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه اذ هو المنزعج واما النبي صلعم
فكان على طمانينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف على نصره الله والجنود هم الملئكة النازلون
يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم
وقوله عز وجل وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر فان ذلك الجعل

لا يتحقق بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر ونحو ذلك **وكلمة الله** اى التوحيد او دعوة الاسلام **هى**
العليا الايدانيها لشئ وتغيير الاسلوب للدلالة على انها فى نفسها كذلك لا يتبدل شانها ولا يتغير
حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين **والله**
عزيز لا يغالب **حكيم** فى حكمه وتدبيره **انفروا** تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار
على المساهلة فيه وفيه تعالى **خفافا وثقالا** حالان من ضمير المخاطبين على اى حال كان من يسر او
عسر حاصلين باى نسب كان من الصحة والمرض او الغنى والفقر او قلة العيال وكثرتهم او غير ذلك
مما ينتظم مساعدة الاسلب وعدمها بعد الامكان والقدرة فى الجملة وما ذكر فى تفسيرهما من قولهم
خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها اى خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا
او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا ليس لتخصيص الامرين المتقابلين بالارادة من غير مقارنة للباقى
عن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن
عباس رضى الله عنهما نسخت بقوله عز وجل ليس على الضعفاء شئ ولا على الضعفاء الاية **وجاهدوا**
باموالهم وانفسكم فى سبيل الله ايجاب للجهاد بهما ان امكن وباحدهما عند امكانه واعواز الاخر
حتى ان ساعده النفس والمال يجاهد بهما ومن ساعده من ساعدة المال دون النفس يغزى مكانه
من حاله الى هذا ذهب كثير من العلماء وقيل هو ايجاب للقسم الاول فقط **ذلكم** اى ما ذكر من
النفير والجهاد وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلته فى الشرف **خير لكم**
اى خير عظيم فى نفسه او خير مما ينبغى بتركه من الراحة والدعة وسعة العيش والتمتع بالاموال
والاولاد **ان كنتم تعلمون** اى تعلمون الخير علمتم انه خيرا وان كنتم تعلمون انه خير اذ لا احتمال
لغير الصدق فى اخبار الله تعالى فبادروا اليه **لوكان** صرف للخطاب عنهم توجيه لهم الى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم تعديدا لما صدر عنهم من الهنات فعلا وقولا على طريق المباثة وبيانا لدنائة
عليهم وساير رذائلهم اى لو كان ما دعوى الله **عرضا قريبا** العرض ما عرض لك من منافع الدنيا
اى لو كان ذلك غنما سهل الماخذ قريب المنال **وسفرا قاصدا** ذا قصد بين القريب والبعيد **لاتبعوك**
فى النفير طمعا فى الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع بكلا الامرين يدل على عدم تحققه عند توسط السفر فقط
ولكن بعدت عليهم الشقة اى المسافة الشاطنة الشاقة التى تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين
وسيحلفون اى المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى او هو من جملة كلامهم والقول مراد على وجهين
اى سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك قائلين **لواستطعنا** او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا
الى اخره اى لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا حسبما عن لهم
عن الكذب والتعلل وعلى التقديرين قوله تعالى **لخرجنا معكم** ساد مسد جوابى القسم والشرط جميعا
اما على الثانى فظاهر واما على الاول فلان قولهم لو استطعنا لانه بيان لقوله تعالى سيحلفون بالله
وتصديق له والاخبار بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات

الباهرة وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع كما فى قوله عز وجل فتمنوا الموت **يهلكون انفسهم**
بدل من سيحلفون لان اطلاق الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال عليه الصلوة والسلام اليمين الفاجرة
تدع الديار بلاقع او حال من فاعله اى مهلكين انفسهم او من فاعل خرجنا جئ به على طريقة الاخبار عنهم
كانه قيل نهلك انفسنا اى لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما فى قولك حلف ليفعلن مكان لافعلن
والله يعلم انهم لكاذبون اى فى مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث
كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا **عفا الله عنك** صريح فى انه سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلعم
ما وقع منه عند استيذان المتخلفين فى التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة واذن اعتمادا على
ايمانهم ومواثيقهم لخلوها عن المزاحم من ترك الاولى والافضل الذى هو التانى والتوقيف الى
انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله عز وجل **لم اذنت لهم** اى لاى سبب اذنت لهم فى التخلف
حين اعتلوا بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك الاولى واشارة الى انه ينبغى ان يكون
اموره عليه السلام منوطة باسباب قوية موجبة لها او مصححة وان ما اوردوه فى معرض التعلل
والاعتذار مشفوعا بالايمان كان بمعزل من كونه سببا للاذن قبل ظهور صدقه وكلتا اللامين
متعلقة بالاذن لاختلافهما فى المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ والضمير المجرور بجميع
المستاذنين وتوجه الانكار الى الاذن باعتبار شموله للكل لا باعتبار تعلقه بكل فرد لتحقق عدم
استطاعة بعضهم كما ينبئ عنه وقوله تعالى حتى يتبين ذلك الذين صدقوا اى فيما اخبروا به
عند الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما
عن لهم هناك **وتعلم الكاذبين** فى ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك
او الاولى الافضل وتخصيص له عليه وسلم عليه فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا
يمكن تعلقها بقوله تعالى لم اذنت لاستلزامه ان يكون اذنه عليه السلام لهم معللا او مغيا
بالتبيين والعلم ويكون توجه الاستفهام اليه من تلك الحيثية وذلك بين الفساد بل بما يدل
عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تانيت حتى ينجلى الامر كما هو قضية قال
قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر منهما بشئ اذنه للمنافقين
واخذ الفداء من الاسارى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير الاسلوب بان عبر عن الفريق
الاول بالموصول الذى صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثانى باسم الفاعل المفيد للدوام
للايذان بان ماظهر من الاولين صدق حادث فى امر خاص غير مصحح لنظمهم فى سلك الصادقين
وان ما صدر عن الاخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على عادتهم المستمرة ناشئ
عن رسوخهم فى الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب بالعلم لما هو
المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلى فظهور صدقه انما هو تبين ذلك
المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه فامر حادث

لادلالة للخبر عليه فى الجملة حتى يكون ظهور سنا له بل هو نقيض لمدلوله فيما يتعلق به يكون علماً
مستانفاً واسناده الى ضميره عليه السلام لا الى المعلومين ببناء الفعل للمفعول مع اسناد التبيّن الى
الاوّلين لما انّ المقصود ههنا علمه عليه السّلام بهم ومؤاخذته بموجبه بخلاف الاوّلين حيث
لامواخذة عليهم ومن لم يتنبه لهذا قال حتى يتبيّن لك من صدق فى عذره ممن كذب فيه واسناد
التبيّن الاوّلين وتعليق العلم بالاخرين مع ان مدار الاستناد والتعلّق اوّلا وبالذّات هو
أصف الصّدق والكذب كما اشير اليه لما ان المقصد هو العلم بكلا الفريقين باعتبار اتصافهم بوصفيهما
المذكورين ومعاملتهما بحسب استحقاقهما الا العلم بوصفهما بذاتيهما او باعتبار قيامهما بموصوفيهما
هذا وفى تصدير فاتحة الخطاب ببشارة العفو دون ما يوهم العتاب من مراعات جانبه عليه السلام
وتعهده بحسن المفاوضة ولطف المراجعة ما لا يخفى على اولى الالباب قال شعبان بن عيينة انظروا
الى هذا اللطف بدا بالعفو قبل ذكر المعفو ولقد اخطا واساء الاديب وبئسما فعل فيما قال وكتب
من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطات وبئسما فعلت هب انه كناية لبس ايثارها
على التصريح بالجناية للتلطيف فى الخطاب والتخفيف فى العتاب وهب وان العفو مستلزم للخطاء
فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع الاثمة بحيث يصح هذه المرتبة من المشافهة بالسوء وسبوع
انشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبته يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن فى خروجهم
مصلحة للدين او منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال حسبما نطق به قوله تعالى لو خرجوا الخ وقد
كرهه سبحانه يفصح عنه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الاية نعم كان الاولى تاخير الاذن حتى
يظهر كفرهم اترى اثر ويفتضحوا على رؤس الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الامن والدعة
ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عليه السّلام وارضوه بالاكاذيب على انه لم يهنأ لهم عيش
وما قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمئنان بل كانوا على حذف من ظهور امرهم وقد كان **لا**
يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر تنبيه على انه كان ينبغى ان يستدل باستئذانهم على حالهم
ولا يؤذن لهم اى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك فى **ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم**
وان الخلّص وقد كرهه سبحانه كما يفصح عنه قوله تعالى ولكن كره الله انبعاثهم الاية نعم كان الاولى تاخير
الاذن حتى يظهر كذبهم اترى اثر ويفتضحوا على رؤس الاشهاد ولا يمكنوا من التمتع بالعيش على الامن
والدعة ولا تتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانهم غروه عليه السّلام وارضوه بالاكاذيب على انه لم يهنأ عيش
وما قرت لهم عين اذ لم يكونوا على امن واطمئنان بل كانوا على خوف من ظهور امرهم وقد كان **لا**
يستاذنوك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر تنبيه على انه ينبغى ان استدل باستئذانهم على حالهم ولا يؤذن
لهم اى ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك فى يجاهدوا **باموالهم وانفسهم** وان الخلّص منهم يبادرون
اليه من غير توقف على الاذن فضلا عن يستاذنوك فى التخلف وحيث استاذنوك هؤلاء فى التخلّف
كان ذلك مئنة للتانى فى امرهم بل دليلا على نفاقهم وقيل المستاذن فيه محذوف ومعنى قوله تعالى

ان يجاهدوا واكرهوا ان يجاهدوا واثم قيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستاذنك المؤمنون فى التخلّف
كراهة الجهاد فيتوجه النّفى الى القيد وبه يمتاز المؤمن من المنافق وهو وان كان فى نفسه امرا خفيّا
لا يتوقف عليه باو مى الامر لكن عامة احوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل امر الظّاهر امقررا وقيل
هو الجهاد اى لا يستاذنك المؤمنون فى الجهاد كراهة ان يجاهدوا وابنا على ان الاستيذان فى الشئ
لكراهته ولا يخفى ان الاستئذان فى الشئ لكراهته مما لا يقع بل لا نفعل ولو سلم وقوعه فالاستئذان
لعلة الكراهة مما لا يمتاز بحسب الظّاهر من الاستئذان لعلة الرّاغبة ولو سلم فالذى نفى من المؤمنين
بحيث ان ثبت للمنافقين وظاهر انّهم لم يستاذنوا فى الجهاد لكراهتهم له بل انّما استاذنوا فى التخلّف
والله عليم بالمتّقين شهادة لهم بالانتظام فى زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب وتقرير لمضمون
ما سبق كانه قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار بان ما صدر عنهم معلّل بالتقوى **انّما يستاذنك**
اى فى التخلف مطلقا على الاوّل او لكراهة الجهاد على الثانى **الّذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر** تخصيص
الايمان بهما فى الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد بذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به
يتسنى للمؤمنين استبدال الحيوة الابديّة والنعيم المقيم الخالد بالحيوة الفانية والمتاع الكاسد **وارتابت**
قلوبهم عطف على الصّلة وايثار صيغة الماضى للدّلالة على تحقيق وتقرّر **فهم** حال كونهم **فى ريبهم**
وشكهم المستقر فى قلوبهم **يتردّدون** اى يتحيّرون فان التردّد ديدن المتحيّر كما ان الثبات ديدن المستبصر
والتعبير عنه به مما لا يخفى حسن موقعه **ولو ارادوا الخروج** يدل على انّ بعضهم قالوا عند الاعتذار
كنا نريد الخروج لكن لم نتهيّا له وقد قرب الرّحل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو
ارادوه **لاعدّوا له** اى للخروج فى وقته **عدّة** اى اهبة من الزاد والرّاحلة والسّلاح وغير ذلك
مما لا بد منه للسّفر وقرئ عدّه بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كلما فعل بالعدّة من قال واخلفوك
عد الامر الذى وعدا الى عدة وقرئ عده بكسر العين وعده بالاضافة **ولكن كره الله انبعاثهم**
اى نهوضهم للخروج قيل هو استدراك عما فهم من مقدم الشرطيّة فان انتفاء ارادتهم للخروج يستلزم انتفاء
خروجهم وكراهة الله تعالى انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فكانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا
والاتفاق فى المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفى لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا فى اللّفظ كقولك ما
احسن الى زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا من نفس المقدّم على نهج ما فى الاقيسة الاستثنائيّة
والمعنى لو ارادوا الخروج لاعدّوا له عدة ولكن ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسد التى
ستبيّن **فثبّطهم** اى حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له **وقيل اقعدوا مع القاعدين**
تمثيل لالقاء الله تعالى كراهة الخروج فى قلوبهم او لوسوسة الشيطان بالامر بالقعود او هو حكاية قول
بعضهم لبعض او هو اذن الرسول عليه السّلام لهم فى القعود والمراد بالقاعدين اما المعذورون
او غيرهم واياما كان فغير خال عن الذم **لو خرجوا فيكم** بيان لسر كراهته تعالى لانبعاثهم اى لو خرجوا مخالطين
لكم **ما زادوكم** اى ما اورثوكم شيئا من الاشياء **الّا خبالا** اى فسادا وشرا فالاستثناء مفرّغ متصل

وقيل منقطع وليس بذلك **ولاوضعوا خلالكم** اى ولسعوا فيما بينكم بالنمايم والتقريب وافساد ذات
البين من وضع البعير وضعًا اذا اسرع واوضعته انا اى حملته على الاسراع والمعنى لاوضعوا ركائبهم
بينكم والمراد به المبالغة فى الاسراع بالنمايم لان الرّاكب اسرع من الماشى وقرئ ولارقصوا من رقصت الناقة
اسرعت وارقصتها انا وقرئ ولاوفضوا اى اسرعوا **يبغونكم الفتنة** يحاولون ان تفتنوكم بايقاع الخلاف
فيما بينكم والقاء الرّعب فى قلوبكم وافساد نيّاتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا اواستيناف **وفيكم
سمّاعون لهم** اى نمّامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة سمعون للمنافقين اى
يطعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم اومن فاعله لاشتمالها على ضميريهما او مستانفة ولعلهم لم
يكونوا فى كثرة العدد وكيفيّة الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد واخلالا عظيمًا
ولم يكن فساد خروجهم معادلا لمنفعته ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين
ولكن حيث كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا لخلل كلّى كره الله انبعاثهم فلم يتيسر اجتماعهم
فاندفع فسادهم ووجه العتاب على الاذن فى قعودهم مع تقرّره لامحالة وتضمّن خروجهم لهذه المفاسد
انهم لو قعدوا بغير اذن منه عم لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اوّل الامر ولم تقدروا على
مخالطتهم والسّعى فيما بينهم بالاراجيف ولم يتيسّر لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بنواع الايات
النازلة **والله عليمٌ بالظّالمين** علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم وما فعلوا فيما مضى وما ياتى منهم
فيما سياتى ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالظّلم والتشديد فى الوعيد والاشعار بترتّبه
على الظلم ولعلّه شامل للفريقين السّماعين والقاعدين **لقد ابتغوا الفتنة** تشتيت شملك و
تفريق اصحابك عنك **من قبل** اى يوم احد حين انصرف عبد الله بن ابى بن سلول المنافق بمن معه
وقد تخلف بمن معه عن تبوك ايضا بعد ما خرج مع النبى صلى الله عليه وسلم الى ذى جدة اسفل من
ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا الرسول صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر
رجلا من المنافقين ليفتكوا به عم فردّهم الله خاسئين وقلّبوا لك الامور تقليب الامر تصريفه من
وجه الى وجه وترديده لاجل التدبير والاجتهاد فى المكر والحيلة يقال للرّجل المتصرّف فى وجوه الحيل
حوّل قلّب اى اجتهدوا ودبّروا لك الحيل والمكايد ودوّروا الاراء فى ابطال امرك وقرئ بالتخفيف
حتّى جاء الحق اى النّصر والتاييد الالهى **وظهر امر الله** غلب دينه وعلا شرعه **وهم كارهون** والحال
انهم كارهون لذلك اى على رغم منهم والايتان لتسلية الرّسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين عن تخلّف
المتخلّفين وبيان ما ثبطهم الله تعالى لاجله وهتك استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم
تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فات بها ليس مما لا يمكن تلافيه تهوينا
للخطب **ومنهم من يقول ائذن لى** فى القعود **ولا تفتنّى** اى لا توقعنى فى الفتنة وهى المعصية والاثم
يريد انّى متخلف لامحالة اذنت اولم تاذن فاذن لى حتى لا اقع فى المعصية بالمخالفة او لا تلقنى فى الهلكة
فانّى ان خرجت معك هلك مالى وعيالى لعدم من يقوم بمصالحهم وقيل قال الجدّ بن قيس قد علمت

الانصار

الانصار انى مستهتر بالنساء فلا يفتننى بنات الاصفر يعنى نساء الروم لكن اعينك بمالى فاتركنى وقرئ ولا
تفتنى من افتنه بمعنى فتنه **الا فى الفتنة** اى فى عينها ونفسها واكمل افرادها الغنى عن الوصف بالكمال
الحقيق باختصاص اسم الجنس به **سقطوا** الا فى شئ مغاير لها فضلا عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك
بما فعلوا من العزيمة على التخلف والجراة على الاستيذان بهذه الطّريقة الشنيعة ومن القعود بالاذن
المبنى عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة وقرئ بافراد الفعل محافظة على لفظ من وفى تصدير الجملة بحرف
التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانّهم وقعوا فيها وهم يحسبون انها منجى من الفتنة زعما منهم ان الفتنة
انما هى التخلف بغير اذن وفى التعبير عن الافتتان بالسّقوط فى الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة
المفصحة عن ترديهم فى دركات الرّدى اسفل سافلين وقوله عزّ وجل **وانّ جهنم لمحيطة بالكافرين**
وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السّابقة داخل تحت التنبيه اى جامعة لهم يوم القيمة من كل جانب
وايثار الجملة الاسميّة للدّلالة على الثبات والاستمرار او محيطة بهم الان تنزيلا للشئ سيقع عن قريب
منزلة الواقع او وضعًا لاسباب التى موضعه فان مبادى احاطة النّار بهم من الكفر والمعاصى محيطة بهم
الان من جميع الجوانب ومن جملتها ما فرّوا منه وما سقطوا فيه من الفتنه وقيل تلك المبادى المتشكلة
بصور الاعمال والاخلاق هى النار بعينها لكن لا تظهر ذلك فى هذه النشأة وانما تظهر عند تشكلها بصورها
الحقيقية فى النشأة الاخرة والمراد بالكافرين اما المنافقون وايثار وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل
عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحاطة المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين
شمولا اوّليا **ان تصبك** فى بعض مغازيك **حسنة** من الظفر والغنيمة **تسؤهم** تلك الحسنة اى
تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم لك **وان تصبك** فى بعضها **مصيبة** من نوع شدة **يقولوا** متبجحين
بما صنعوا حامدين لارائهم **قد اخذنا** اى تلافينا ما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين
والقعود عن الحرب والمدارات مع الكفرة وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا **من قبل**
اى من قبل اصابة المصيبة فى وقت تداركه يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما تروج عند
الكفرة بوقوعها حال قوة الاسلام لا بعد اصابة المصيبة **ويتولّوا** عن مجلس الاجتماع والتحدث الى
اهاليهم او يعرضوا عن النبى صلى الله عليه وسلم **وهم فرحون** بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابه
عليه الصّلوة والسلام والجملة حال من الضّمير فى يقولوا ويتولوا لا فى الاخير فقط لمقارنة الفرح
لهما معا وايثار الجملة الاسميّة للدّلالة على دوام السّرور واسناد المساءة الى الحسنة والمسرة الى انفسهم
دون المصيبة بان يقال وان يصبك مصيبة تسرهم للايذان باختلاف حالهم حالتى عروض المساءة
والمسرة فى الاولى مضطرون وفى الثّانية مختارون **قل** بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد
لن يصيبنا ابدا وقرئ هل يصيبنا وهل يصيّبنا من يفعل لا من فعل لانه واوى يقال صاب السهم
يصوب واشتقاقه من الصواب **الّا ما كتب الله لنا** اى اثبته لمصلحتنا الدنيوية او الاخروية
من النصرة عليكم والشهادة المؤدية الى النعيم الدّائم **هو مولانا** ناصرنا ومتولى امورنا **وعلى الله** وحده

فليتوكل المؤمنون التوكل تفويض الامر الى الله والرضى بما فعله وان كان ذلك بعد ترتيب المبادى العادية والفاء للدلالة على السببية والاجعل ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخل الفاء للدلالة على استجابته تعالى للتوكل عليه كما فى قوله تعالى واياى فارهبون والجملة ان كانت من تمام الكلام والمامور به فاظهار الاسم الجليل فى مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله تعالى امرا للمؤمنين بالتوكل اثر امره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالامر ظاهر وكذا اعادة الامر فى قوله عز وجل **قل هل تربصون بنا** لانقطاع حكم الامر الاول بالثانى وان كان امر الغائب واما على الوجه الاول فهى لابراز كمال العناية بشان المامور به والاشعار بما بينه وبين ما امر به اولا الفرق السابق والتربص التمكث مع انتظار مجئ شئ خيرا كان او شرا والباء للتعدية واحدى التاءين محذوفة اى ما تنتظرون بنا **الا احدى الحسنيين** اى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هى حسنى العواقب وهما النصر والشهادة وهذا نوع بيان لما ابهم فى الجواب الاول وكشف لحقيقة الحال باعلام ان ما يزعمونه مضرة للمسلمين من الشهادة انفع مما يعدونه منفعة فى النصر والغنيمة **ونحن نتربص بكم** احدى السوءيين من العواقب اما ان يصيبكم الله **بعذاب من عنده** كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف صفة عذاب ولذلك حذف عامله وجوبا **او بعذاب بايدينا** وهو القتل على الكفر **فتربصوا** الفاء فصيحة اى اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا **انا معكم متربصون** ما هو عاقبتكم فاذا لقى كل منا ومنكم ما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوءكم **قل انفقوا اموالكم فى سبيل الله طوعا او كرها** مصدران وقعا موقع الفاعل اى طائعين او كارهين وهو امر فى معنى الخبر كقوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها **لن يتقبل منكم** ونظم الكلام فى سلك الامر للمبالغة فى بيان تساوى الامرين فى عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين فينظروا هل يتقبل منهم فشاهدوا عدم القبول وهو جواب قول جد بن قيس ولكن اعينك عالى ونفى التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة عليه وقوله عز وجل **انكم كنتم قوما فاسقين** اى عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم **وما منعهم ان تقبل منهم** وقرئ بالتحتانية **نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله** استثناء من اعم الاشياء اى ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شئ من الاشياء الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل وهو الله تعالى **ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى** اى لا ياتونها فى حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين **ولا ينفقون الا وهم كارهون** لانهم لا يرجعون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا فقوله تعالى طوعا اى من غير الزام من جهته عليه السلام لا رغبة او هو فرض لتوسيع الدائرة **فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم** فان ذلك استدراج لهم ووبال عليهم حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل **انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحيوة الدنيا** بما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يقاسون فيها من الشدائد والمصائب **وتزهق انفسهم وهم كافرون** فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر فى العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة واصل الزهوق الخروج بصعوبة **ويحلفون بالله انهم لمنكم** فى الدين **وما هم منكم** فى ذلك **ولكنهم قوم يفرقون** يخافون ان يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام

نفسه ويؤيدونه بالايمان الفاجرة **لو يجدون ملجأ** استيناف مقرر لمضمون ما سبق من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الاسلام اليهم انما هو للتقية اضطرارا حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجأ اى مكانا حصينا يلجأون اليه من راس جبل او قلعة او جزيرة وايثار صيغة الاستقبال فى الشرط وان كان المعنى على المضى لافادة استمرار الفعل كما هو الظاهر بل قيد يفيد استمرار انتفائه ايضا حسبما يقتضيه المقام فان المعنى قولك لو تحسن الى شكرتك بسبب انتفاء استمرار الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق فى موضعه **او مغارات** اى غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو متعد من غار اذا دخل الغور اى امكنة يغيرون فيها اشخاصهم واهليهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومغار **او مدخلا** اى نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول وقرئ دخلا من الدخول ومدخلا من الادخال اى مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ متدخلا ومندخلا من التدخل والاندخال **لولوا** اى لصرفوا وجوههم واقبلوا وقرئ لوالوا اى لالتجأوا اليه اى الى احد ما ذكر **وهم يجمحون** اى يسرعون بحيث لا يردهم شئ من الفرس الجموح وهذا الذى لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويشتدون ومنه الجماز ومنهم من يلمزك بكسر الميم وقرئ بضمها اى يعيبك سرا وقرئ يلمزك ويلامزك مبالغة فى صدقات اى فى شانها وقسمتها فان اعطوا منها بيان لفساد لمزهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم على حطام الدنيا اى ان اعطوا منها قدر ما يريدون رضوا بما وقع من القسمة واستحسنوها وان لم يعطوا منها ذلك المقدار **اذا هم يسخطون** اى يفاجئون السخط واذا نائب مناب فاء الجزاء قيل نزلت الاية فى ابى الجواظ المنافق حيث قال الا ترون الى صاحبكم يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل فى ابن ذى الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير التميمى راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب اهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه الصلوة والسلام ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر **ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله** اى ما اعطاهم الرسول عليه السلام من الصدقات طيبى النفوس به وان قل وذكر الله عز وجل للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم كان بامره سبحانه وقالوا حسبنا الله اى كفانا فضله وصنعه بنا وما قسم لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد هذا حسبما نرجو ونؤمل **انا الى الله راغبون** فى ان يخولنا فضله والاية باسرها فى حيز الشرط والجواب محذوف بناء على ظهوره اى لكان خيرا لهم **انما الصدقات** شروع فى تحقيق حقيقة ما صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم من القسمة ببيان المصارف ورد لمقالة القالة فى ذلك وحسم لاطماعهم الفارغة المبنية على زعمهم الفاسد ببيان انهم بمعزل من الاستحقاق اى جنس الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة **للفقراء والمساكين** اى مخصوصة بهؤلاء الاصناف الثمانية الاتية لا يتجاوزهم الى غيرهم كانه قيل انما هى لهم لا لغيرهم فما للذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولون وما سوغ لهم ان يتكلموا فيها وفى قاسمها والفقير من له ادنى

شئ والمسكين من لاشئ له هو المرادى عن ابى حنيفه رح وقد قيل على العكس ولكل منهما وجه يدل عليه
والعاملين عليها الساعين فى جمعها وتحصيلها **والمؤلفة قلوبهم** هم اصناف فمنهم اشراف من العرب كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستالفهم ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا ونياتهم ضعيفة فيؤلف
قلوبهم باجزال العطا كعيينه بن حصين والاقرع بن حابس والعباس مرادرس ومنهم من يترقب باعطائهم
السلام نظرائهم ولعل الصنف الاول كان يطيعهم الرسول صلى الله عليه وسلم من خمس الخمس الذى هو
خالص ماله وقد عد منهم من تؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانعى الزكوة وقد سقط سهم
هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما اعز الله عز وعلا واعلى كلمته استغنى عن ذلك
وفى الرقاب اى وللصرف فى فك الرقاب بان يعان المكاتبون بشئ منها على اداء نجومهم وقيل
بان تفدى الاسارى وقيل بان يبتاع منها الرقاب فتعتق واياما كان فالعدول عن اللام لعدم
ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم او للايذان بعدم قرار ملكهم فيما اعطوا
كما فى الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما فى الوجه الاخير او للاشعار برسوخهم فى استحقاق
الصدقة لما ان فى للظرفيه المنبئة عن احاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها **والغارمين** اى الذين
تدينوا لانفسهم فى غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك عند الشافعى رحمه الله
من عزم الاصلاح ذات البين واطفاء ثائرة بين القبيلتين وان كانوا اغنياء **وفى سبيل الله** اى فقراء
القرات والحجيج المنقطع بهم **وابن السبيل** اى المسافر المنقطع عن ماله وتكرير الظرف فى الاخرين
للايذان بزيادة فضلهما فى الاستحقاق او لما ذكر من ايرادهما بعنوان غير مصحح للمالكية والاختصاص
فهذه مصارف الصدقات فللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد منهم وان تقتصر على صنف منهم
لان اللام لبيان انهم مصارف لا يخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق وقد روى ذلك عن عمر وبن عباس
وحذيفة رضى الله عنهم وعند الشافعى رح لا يجوز الا ان يصرف الى ثلثة من تلك الاصناف **فريضة
من الله** مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الاية اى فرض لهم الصدقات فريضة ونقل عن سيبويه
انه منصوب بفعله مقدرا اى فرض الله ذلك فريضة او حال من الضمير المستكن فى قوله للفقراء
اى انما الصدقات كائنة لهم حال كونها فريضة اى مفروضة **والله عليم** باحوال الناس ومراتب
استحقاقهم **حكيم** لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التى من جملتها سوق الحقوق الى
مستحقيها **ومنهم الذين يؤذون النبى** نزلت فى فرقة من المنافقين قالوا فى حقه عم ما لا ينبغى فقال
بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم نأتيه فننكر
ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قوله عز وجل **ويقولون هو اذن**
اى يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويتميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق له وبين
ما لا يليق به وانما قالوه لانه صلعم كان لا يواخذهم سوء ما صنعوا ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب
وقالوا ما قالوا **قل اذن خير لكم** من قبيل رجل صدق فى الدلالة على المبالغة فى الجودة والصلاح

كانه

كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد اذن فى الخير والحق وفيما ينبغى سماعه وقبوله
لا فى غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اى هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله
وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة او خبر ثان وقوله عز وجل **يؤمن
بالله** تفسير لكونه اذن خير لهم اى يصدق بالله تعالى لما قام عنده من الادلة الموجبة له وكون ذلك
خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى **ويؤمن للمؤمنين** اى يصدقهم لما علم فيهم من اللام
والخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق كما فى
قوله تعالى انؤمن لك الخ وقوله تعالى فما امن لموسى الخ ورحمة عطف على اذن خير اى وهو رحمة بطريق
اطلاق المصدر على الفاعل للمبالغة **للذين امنوا منكم** اى للذين اظهروا الايمان منكم حيث يقبله منهم
ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم واسناد الايمان اليهم بصيغة الفعل بعد نسبته الى المؤمنين
بصيغة الفاعل المبنية عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث ماله من قرار وقرئ
بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اى ماذن لكم رحمة **والذين يؤذون رسول الله** بما نقل
عنهم من قولهم هو اذن ونحوه وفى صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه
اشعار بقبول توبتهم كما افصح عنه قوله تعالى فيما سياتى فان يتوبوا يك خيرا لهم بما يجترون
عليه من اذيته عم كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول عذاب اليم وهذا اعتراض مسوق من قبله
عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفى تكرير الاسناد باثبات العذاب الاليم لهم ثم
جعل الجملة خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا
الى الاسم الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط و
الغضب **يحلفون بالله لكم** الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم ياتونهم
فيعتذرون اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم اى يحلفون لكم انهم ما قالوا
ما نقل اليهم مما يورث اذاة النبى صلى الله عليه وسلم واما التخلف عن الجهاد فليس بداخل فى هذا
الاعتذار **ليرضوكم** بذلك وافراد ارضائهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول صلعم
وقد قيل صلعم ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان بان ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة الى رضائه عم
وانه عم انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضا بما فعلوا كما اشير اليه **والله ورسوله
احق ان يرضوه** اى احق بالارضاء ولا يتسنى ذلك الا بالطاعة والمتابعة وايفاء حقوقه عم فى باب
الاجلال والاعظام مشهدا ومغيبا واما ما اتوا به من الايمان الفاجرة فانما يرضى بها من انحصر طريق
علمه فى الاخبار الى ان يجئ الحق ويزهق الباطل والجملة نصب على الحالية من ضمير يحلفون اى يحلفون
لكم لارضائكم والحال انه تعالى ورسوله احق بالارضاء منكم اى يعرضون عما يهمهم ويجديهم ويشتغلوا
بما لا يعنيهم وافراد الضمير فى يرضوه اما للايذان بان رضاه عم مندرج تحت رضاه سبحانه وارضاؤه
عم ارضاء له تعالى لقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذى

يشار به الى الواحد والمتعدى بتاويل المذكور كما فى قوله رؤية فيها خطوط من سوا دو بلق كانه فى الجلد
توليع البهق اى كان ذلك لا يقال اى حاجة الى الاستعارة بعد التاويل المذكور لانا نقول لولا
الاستعارة لم يتيسر التاويل لما ان الضمير لا يتعرض الا للذات ما يرجع اليه من غير تعرض لوصف
من اوصافه التى من جملتها المذكورية وانما المتعرض لها اسم الاشارة واما لانه عايد الى رسوله والكلام
جملتان حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه ومنه قول من قال
نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأى مختلف او الى الله على ان المذكور خبر الجملة الاولى
وخبر الثانية محذوف كما هو راى المبرد ان كانوا مؤمنين جوابه محذوف تعويلا على دلالة
ما سبق عليه اى ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما احق بالارضا الم يعلموا
اى اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما اقدموا عليه من العظيمة مع علمهم لسوء عاقبتها
وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التوبيخ والتوبيخ اى الم يعلموا بما سمعوا من رسول الله صلعم
من فنون القوارع والانذارات انه اى الشان من يحادد الله ورسوله المحادة من الحد كالمشاقة
من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشرى كل من الافعال المذكورة
فى محل غير صاحبه ومن شرطية جوابها قوله تعالى فان له نار جهنم على ان خبره محذوف اى
فحق ان له نار جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية فى محل الرفع على انها خبر لان وهى مع خبرها
سادة مسد مفعول يعلموا وقيل المعنى فله فان تكريرا الاولى تاكيدا لطول العهد لا من باب
التاكيد اللفظى المانع للاولى من العمل ودخول الفاء كما فى قول من قال لقد علم الحى اليمانون اننى اذا
قلت اما بعد انى خطيبها وقد جوز ان يكون فان له معطوفا على انه وجواب الشرط محذوفا تقديره
الم يعلموا من يحادد الله ورسوله يهلك فان له الخ ورد بان ذلك انما يجوز عند كون فعل الشرط
ماضيا او مضارعا مجزوما بلم خالدا فيها حال مقدرة من الضمير المجرور اى ان اعتبر مطلق الاستقرار
فالامر ظاهر ذلك اشير الى ما ذكر من العذاب الخالد بذلك ايذانا ببعد درجته فى الهول والفظاعة
الخزى العظيم الخزى الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهى الثمرات نفاقهم حيث يفتضحون
على رؤس الاشهاد مظهورها ولحوق العذاب الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون
ان تنزل عليهم فى شانهم فان ما نزل فى حقهم نازل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم من
الاسرار الخفية فضلا عما كانوا تظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر والنفاق ومعنى سبها اياهم بما
فى قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على اسرارهم لا اطلاع انفسهم عليها
انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فتنتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه الرجال مذاعة
فكانها تخبرهم بها او المراد بالعسه المبالغة فى كون السورة مشتملة على اسرارهم كانها تعلم من احوالهم
الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وسعى عليهم قباحتهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل الضميران الاولان
للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالى بالتفكك عند ظهور الامر بعود المعنى اليه اى يحذر

المنافقون

المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم فى قلوب المنافقين وتهتك عليهم استارهم قال ابو مسلم كان
اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شيء
ويقول انه بطريق الوحى يكذبونه ويستهزؤن به ولذلك قل استهزؤا اى افعلوا الاستهزاء وهو
امر تهديد ان الله مخرج اى من القوة الى الفعل او من الكمون الى البروز ما تحذرون اى ما تحذرونه
من انزال السورة ومن مخازيكم ومثالبكم المستكنة فى قلوبكم الفاضحة لكم على ملاء الناس والتاكيد
لرد انكارهم بذلك لا لدفع ترددهم فى وقوع المحذور اذ ليس حذرهم بطريق الحقيقة ولئن سالتهم
عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روى انه عليه السلام كان يسير فى غزوة تبوك وبين يديه
ركب من المنافقين يستهزؤن بالقرآن وبالرسول صلعم ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان
يفتتح حصون الشام وقصورها هيهات فاطلع الله تعالى نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب
فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبى الله لا والله ما كنا فى شيء من امرك ولا من امر اصحابك ولكن كنا
فى شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم
جناياتهم منزلا لهم منزلة المعترف لوقوع الاستهزاء موبخا لهم على اخطائهم موقع الاستهزاء قل ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزؤن حيث عقب حرف التقرير بالمستهزء به ولا يستقيم ذلك الا
بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو اثر الذنب فانه
معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم اظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه
بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان تعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او تجنبهم عن الايذاء و
الاستهزاء وقرئ يعف على اسناد الفعل الله سبحانه وقرئ على البناء للمفعول مسندا الى الظرف
بتذكير الفعل وبتانيثه ايضا ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة نعذب بنون العظمة وقرئ
بالياء على البناء للفاعل وبالتاء على البناء للمفعول مسندا الى ما بعده طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين
على الاجرام وهم غير التائبين او مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحق الذى عفى عنه رجل
واحد هو يحيى بن حمير الاشجعى لما نزلت هذه الاية تاب عن نفاقه وقال اللهم انى لا ازال اسمع اية
تقشعر منها الجلود وتجب بها القلوب اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك لا تقول احد انا غسلت
انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره المنافقون والمنافقات
التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم فى الكفر والنفاق بعضهم من بعض اى متشابهون
فى النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد بالشخص وقيل اريد به نفى ان يكونوا من المؤمنين
وتكذيبهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى يامرون بالمنكر
اى بالكفر والمعاصى وينهون عن المعروف اى عن الايمان والطاعة استيناف مقرر لمضمون ما سبق
وموضح عن مضادة حالهم لحال المؤمنين او خبر ثان ويقبضون ايديهم اى عن المبرات والانفاق فى سبيل
الله فان قبض اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم عن رحمته وفضله وخذلهم

والتعبير عنه بالبيّنات للمشاكلة انّ المنافقين هم الفاسقون الكاملون فى التمرّد والفسق الّذى هو
الخروج عن الطّاعة والانسلاخ عن كلّ خير والاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير كما فى قوله تعالى
وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار اى المجاهرين نار جهنّم خالدين فيها مقدّرين الخلود فيها هى حسبهم
عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها وعذابها ولعنهم الله اى ابعدهم من رحمته واهانهم فى اظهار
الاسم الجليل من الايذان بشدة السّخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اى نوع من العذاب غير عذاب
النار دايم لا ينقطع ابدا او ولهم عذاب مقيم معهم فى الدّنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب النفاق
الذى هم منه فى بلية دائمة لا يؤمنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم
كالذين من قبلكم التفات من الغيبة الى الخطاب للتشديد والكاف فى محل الرّفع على الخبرية اى انتم
مثل الّذين من قبلكم من الامم المهلكة او فى حيّز النّصب بفعل مقدّر اى فعلتم مثل فعل الّذين من قبلكم
كانوا اشدّ منكم قوّة واكثر اموالا واولادا تفسير قد بيان لشبههم بهم وتمثيل لحالهم بحالهم
فاستمتعوا وتمتّعوا وفى صيغة الاستقبال ما ليس فى التفعل من الاستزادة والاستدامة فى التمتع
بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدّنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التّقدير وهو ما قدّر لصاحبه
فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى استمتاعا كاستمتاع
الّذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاوّلين باستمتاعهم بحظوظهم الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم
بها عن النظر فى العواقب الحقّة واللّذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم ايّاهم واقتفائهم اثرهم
وخضتم اى دخلتم فى الباطل كالّذى خاضوا اى كالذين باسقاط النون او كالفوج الذى او كالخوض
الذى خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين والمشبه بهم
لا الى الفريق الاخر فقط فان ذلك يقتضى ان يكون حبوط اعمال المشبهين وخسرانهم مفهومين
ضمنا لا صريحا ويؤدّى الى خلق تلوين الخطاب عن الفائدة اذ الظاهر اولئكم والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او لمن يصلح للخطاب اى اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت
اعمالهم ليس المراد بها اعمالهم المعدودة كما يشعر به التعبير عنهم باسم الاشارة فان غائلتها غنية
عن البيان بل اعمالهم التى كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت الايمان اى ضاعت وبطلت
بالكليّة ولم يترتب عليها اثر فى الدّنيا والآخرة بطريق التوبة والكراهة اما فى الآخرة فظاهر واما
فى الدنيا فلان ما يترتب على اعمالهم فيها من الصّحة والسعة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله عزّ وجل من
كان يريد الحيوة الدّنيا وزينتها نوفّ اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس ترتبه عليها على طريقة
المثوبة والكراهة بل بطريق الاستدراج واولئك اى الموصوفون بحبوط الاعمال فى الدّارين هم الخاسرون
الكاملون فى الخسران فى الدّارين الجامعون لمباديه واسبابه طرا فانّه قد ذهبت رؤس اموالهم التى هى اعمالهم
فيما ضرهم ولم ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما لا يضرهم ولا ينفعهم لكفى به خسرانا وايراد اسم الاشارة
فى الموضعين للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها بالحبوط والخسران الم يأتهم اى المنافقين نبؤ

الّذين من قبلهم اى خبرهم الّذى له شان وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير
قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت
بهم اى انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجّيل وقيل قريات المكذّبين وائتفاكهن
انقلاب احوالهنّ من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبيّنات استيناف لبيان نبائهم فما كان الله
ليظلمهم الفاء للعطف على مقدّر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام اى فكذّبوهم فاهلكهم
الله فما ظلمهم بذلك وايثار ما عليه النظم الكريم للمبالغة فى تنزيه ساحة السبحان عن الظلم اى ما
صحّ وما استقام له اى يظلمهم ولكنهم ظلموا انفسهم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل فى قوله عزّ وجل
ولكن كانوا انفسهم يظلمون للدلالة على الاستمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرّضونها للعقاب
بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول لمجرّد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر
المظلومية عليهم على راى من لا يرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما فى قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن
ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل والمفعول وسيجيئ لهذا مزيد بيان فى قوله سبحانه ان الله
لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان
لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومآلا اثر بيان قبح حال اضدادهم عاجلا واجلا والتعبير
عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اولئك عن الاتصالية للايذان بان نسبة هؤلاء
بطريق القرابة الدينية المبنية على العقيدة المستتبعة للاثار من المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة
اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اى جنس المعروف والمنكر
المنتظمين لكل خير وشرّ ويقيمون الصّلوة فلا يزالون يذكرون الله سبحانه فهو فى مقابلة ما سبق من
قوله تعالى نسوا الله ويؤتون الزّكوة بمقابلة قوله تعالى ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله
اى فى كل امر ونهى وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الضيق والخروج عن الطّاعة اولئك اشارة
الى المؤمنين والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد
للاشعار ببعد درجتهم فى الفضل اى اولئك المنعوتون بما فصّل من النعوت الجليلة سيرحمهم
الله اى تفيض عليهم آثار رحمته من التاييد والنّصرة البتة فان السّين مؤكدة للوقوع كما فى قولك سانتقم
منك ان الله عزيز تعليل للوعد اى قوى قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم يبنى
احكامه على اساس الحكمة الداعية الى ايصال الحقوق من النّعمة والنقمة الى مستحقيها من اهل الطّاعة
واهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمّن لوعيد المنافقين كما ان ما سبق فى شان المنافقين من
قوله فنسيهم وعيد بهم متضمّن لوعد المؤمنين فان منع لطفه تعالى عنهم لطف فى حق المؤمنين
وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لآثار رحمته الاخروية اثر ذكر رحمته الدنيوية والاظهار
فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعليّة وصف الايمان لحصول ما تعلّق به الوعد وعدم
التعرّض لذكر ما مرّ من الامر بالمعروف وغير ذلك للايذان بانه من لوازمه ومستتبعاته اى وعدهم

وَعَدًا شاملاً لكلّ واحد منهم على اختلاف طبقاتهم فى مراتب الفضل كيف وكما **جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها** فان كل احد منهم فائز بها لا محالة **ومساكن طيّبة** اى وعد بعض الخواص الكمل منهم منازل تستطيبها النفوس او يطيب فيها العيش فى الخبر انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد و الياقوت الاحمر **فى جنّات عدن** هى ابهى اماكن الجنّات واسفاها عن النبى صلى الله عليه وسلم دار الله لم تراها عين ولم يخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلثة النبوية والصّديقون والشّهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وعن ابن عمر رضى الله عنه انّ فى الجنّة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب على كلّ باب خمسة آلاف حرة لا يدخله الا نبىّ او صدّيق او شهيد وعن ابن مسعود رضى الله عنه هى بطنا الجنّة وسرّعتها فعدن علم على هذا علم وقيل هو بمعناه اللغوى اعنى الاقامة والخلود فمرجع العطف الى اختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو اشرف الاماكن المعروفة عندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليه طباعهم اول ما تقرع اسماعهم ثم وصفهم بانه محفوف بطيب العيش معرّى عن شوايب الكدورات التى لا يكاد يخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهى الانفس وتلذّ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثبات فى جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال **ورضوان من الله** اى وشىء يسير من رضوانه تعالى **اكبر** اذ يدور عليه فوز كل خير وسعادة وبه يناط كلّ شرف وسيادة ولعل عدم نظمه فى سلك الوعد مع عزته فى نفسه لانه متحقق فى ضمن كل موعود ولانه مستمر فى الدّارين روى انه تعالى يقول لاهل الجنّة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم يعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واىّ شئ افضل من ذلك قال احلّ عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم ابدا **ذلك** اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته فى العظم والفخامة **هو الفوز العظيم** دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وتنغصها وتكدّرها ليست بالنسبة الى ادنى شئ من نعيم الآخرة بمثابة جناح بعوض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة فاسقى الكافر منها شربة ماء ونعما قال من قال بالله لو كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا وما من رزقها رغدا ما كان من حق حران يذل بها فكيف وهى متاع نضمحلّ غدًا **يا ايها النبى جاهد الكفّار** اى المجاهرين منهم بالسيف **والمنافقين** بالحجة واقامة الحدود **واغلظ عليهم** فى ذلك ولا تاخذك بهم رافة قال عطا نسخت هذه الآية كلّ شئ من العفو والصّفح **وماويهم جهنّم** جملة مستانفة لبيان اجلّ امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية **وبئس المصير** تذييل لما قبله والمخصوص بالذم محذوف **يحلفون بالله ما قالوا** استيناف لبيان ما صدر عنهم من الجرايم الموجبة لما مرّ من الامر بالجهاد والغلظة عليهم ودخول جهنّم روى انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المخلفين فيسمعه من كان منهم معه عم فقال الجلاس بن سويد منهم لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا

الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرفنا فنحن شرّ من الحمير فقال عامر بن قيس الانصارى للجلاس اجل والله ان محمدا الصادق وانت شرّ من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلعم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصّادق فنزل دابة صيغة الاستقبال فى يحلفون لاستحضار الصّورة او للدلالة على تكرّر الحلف وصيغة الجمع فى قالوا مع ان القايل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم بقوله صاروا بمنزلة القايل **ولقد قالوا كلمة الكفر** هى ما حكى انفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض **وكفروا بعد اسلامهم** اى واظهروا ما فى قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام **وهمّوا بما لم ينالوا** هو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عليه السّلام عن راحلته اذا تسنّم العقبة بالليل وكان عمار بن ياسر اخذا بخطام راحلته يقودها وحذيفة بن اليمان خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السّلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لردّه على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله ابن ابى بن سلول وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم **وما نقموا** اى وما انكروا وما عابوا او وما وجدوا ما يورث نقمتهم **الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله** سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدوم رسول الله صلعم المدينة فى غاية ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنايم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلعم بديته اثنى عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم المفاعيل او من اعم العلل اى وما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء الله تعالى اياهم وما انكروا ما انكروا والعلّة من العلل الا لاغناء الله اياهم **فان يتوبوا** عما هم عليه من الكفر والنّفاق **يك خيرا لهم** فى الدّارين قيل لما تلا رسول الله صلعم قال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علىّ التّوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته **وان يتولوا** اى استمرّوا على ما كانوا عليه من التّولى والاعراض عن الدّين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض **يعذّبهم الله عذابا اليما فى الدّنيا** بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك من فنون العقوبات **والآخرة** بالنّار وغيرها من افانين العقاب **وما لهم فى الارض** مع سعتها وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصحّحة لوجدان ما نفى بقوله عزّ وجل **من ولىّ ولا نصير** ينقذهم من العذاب بالشفاعة او المدافعة **ومنهم** بيان لقبايح بعض آخر منهم **من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصّدّقنّ** الزّكوة وغيرها من الصّدقات **ولنكوننّ من الصّالحين** قال ابن عباس رضى الله عنه يريد الحجّ وقرئ بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت فى ثعلبة بن حاطب اتى النّبى صلعم فقال يا رسول الله ان يرزقنى مالا فقال عم يا ثعلبة قليل تؤدى حقّه خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والّذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا لاعطينّ كلّ ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع من الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث مصدّقين

لاخذ الصّدقات فاستقبلهما النّاس بصدقاتهم ومرّا بثعلبة فسالاه الصّدقة واقراه كتاب رسول الله
صلى الله عليه الذى فيه الفرايض فقال ماهذه الاجزية ماهذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى
راى وذلك قوله عزّ وجل **فلمّا اتاهم من فضله بخلوا به** اى منعوا حق الله منه **وتولّوا** اى اعرضوا
عن طاعة الله سبحانه فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه ياويح ثعلبة
مرّتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال عليه السّلام انّ الله منعنى ان اقبل منك فجعل التراب
على راسه فقال عليه السّلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعنى فقبض عليه الصّلوة فجاء بها الى ابى بكر
رضى الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضى الله عنه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى خلافة عثمان
رضى الله عنه وقيل نزلت فيه وفى سهل بن الحرث وجد بن القيس ومعتب بن قشير والاول هو
الاشهر **وهم معرضون** جملة معترضة اى وهم قوم عادتهم الاعراض وحالية اى تولّوا باجرامهم
وهم معرضون بقلوبهم **فاعقبهم** اى جعل الله عاقبة فعلهم ذلك **نفاقًا** راسخا فى قلوبهم الى يوم
يلقونه الى يوم موتهم الذى يلقون الله تعالى عنده او يلقون فيه جزاء عملهم وهو يوم القيمة
وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكّنا فى قلوبهم ولايلايمه قوله عزّ وجل **بما اخلفوا الله ما وعدوه**
اى بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصّلاح **وبما كانوا يكذبون** اى وبكونهم مستمرين
على الكذب فى جميع المقالات التى من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب به نودى انى بحلبته
الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل عن المزية نسبت الاعقاب المذكور بالاخلاف والكذب
نفضى باسناده الى الله عزّ وجل اذ لامعنى لكونهما سببين لاعقاب البخل النّفاق والتحقيق انه لما كانت
الفاء الدّالة على الترتيب والتفريع منبئة عن ترتب اعقاب النفاق المخلّد على افعالهم المحكية عنهم
من المعاهدة بالتصدّق والصّلاح والبخل والتولى والاعراض وفيها مالادخل له فى الترتيب المذكور
كالمعاهدة ازيح ما فى ذلك من الابهام بتعيين ماهو المدار فى ذلك والله تعالى اعلم قرئ بتشديد
الذّال **الم يعلموا** اى المنافقين ومن عاهد الله تعالى وقرئ بالتاء الفوقانية خطابا للمؤمنين فالهمزه
على الاوّل للانكار والتّوبيخ والتهديد اى الم يعلموا **انّ الله يعلم سرّهم ونجواهم** اى ما اسرّوا به انفسهم
وماتناجوا به فيما بينهم من المطاعن وتسمية الصّدقة جزية وغير ذلك مما لاخير فيه وسر تقديم السّر
على النجوى سيظهر فى قوله سبحانه وستردون الى عالم الغيب والشهادة **وانّ الله علّام الغيوب**
فلايخفى عليه شئ من الاشياء حتّى اجترؤا عليه من العظايم واظهار اسم الجلالة فى الموقعين لالقاء
الرّوعة وتربية المهابة وفى ايراد العلم المتعلق بسرّهم ونجواهم بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد
والعلم المتعلق بالغيوب الكثيرة الدّايمة بصيغة الاسم الدّال على الدّوام والمبالغة من الفخامة والجزالة
ما لايخفى وعلى الثانى لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم بما علم
من اعمالهم **الّذين يلمزون** نصبا ورفع على الذم ويجوز جره على البدلية من الضمير فى سرّهم ونجويهم
وقرئ بضم الميم وهى لغة اى يعيبون **المطّوّعين** اى المتطوعين المتبرعين **من المؤمنين** حال من

المطّوعين وقوله تعالى فى الصّدقات متعلق بيلمزون روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حثّ النّاس
على الصّدقة فاتى عبد الرّحمن بن عوف باربعين اوقيه من ذهب وقيل باربعة الاف درهم وقال
كان لى ثمانية الاف فاقرضت ربى اربعة وامسكت لعيالى اربعة فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على
قيل كان ذلك ثمانين الف دينار ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر وجاء
ابوعقيل الانصارى رح بصاع من تمر قال بتّ ليلى اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت
بصاع ابى عقيل ولكنّه احبّ ان يذكر بنفسه ليعطى فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره
على الصّدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرّحمن وعاصم الّا رياء وكان الله ورسوله لغنيين
عن صاع ابى عقيل ولكنّه احبّ ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت **والّذين لايجدون**
الّاجهدهم عطف على المطوّعين اى ويلمزون الذين لايجدون الّا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد
فى الامر اذا بالغ فيه وقيل هو بالضم الطّاقة وبالفتح المشقة فيسخرون منهم عطف على يلمزون اى يهزؤن
بهم والمراد بهم الفريق الاخير **سخر الله منهم** اخبار بمجازاته تعالى اياهم على ما فعلوا من السخرية والتعبير
عنها بذلك للمشاكلة **ولهم** اى ثابت لهم **عذاب اليم** السوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة اسمية
للدلالة على الاستمرار **استغفر لهم اولاتستغفر لهم** اخبار باستواء الامرين الاستغفار لهم وتركه
فى استحالة المغفرة وتصويره فى صورة الامر للمبالغة فى بيان استوائهما كانه عليه الصّلوة والسلام
امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويتركه اخرى ليظهر له جلية الامر كما مرّ فى قوله عزّ وجل قل انفقوا
طوعًا اوكرها لن يتقبّل منكم **ان تستغفر لهم سبعين مرّة فلن يغفر الله لهم** بيان لاستحالة المغفرة بعد
المبالغة فى الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه روى ان عبد الله بن ابى وكان من المخلصين
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض ابيه ان يستغفر له ففعل عم فنزلت فقال عم محافظة
على ماهو الاصل من ان مراتب الاعداد حدود معيّنة يخالف حكم كل منها حكم ما فوقها ان الله قد رخص
فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم شيًا وقد
شاع استعمال السبعة والسبعين وسبعمائة فى مطلق التكثير لاشتمال السّبعة على جملة اقسام العدد فكانها العدد
باسره وقيل هى اكمل الاعداد لجمعها معانيها ولان الستة اوّل عدد تام لتعادل اجزائها الصّحيحة اذ نصفها
ثلثة وثلثها اثنان وسدسها واحد وجملتها ستة وهى مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لامرتبة بعد التمام
الا الكمال ثم سبعون غاية الكمال اذ الاحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات **ذلك** اشارة الى
امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة فى الاستغفار ان ذلك الامتناع ليس لعدم الاعتداد باستغفارك
بل **بانّهم** اى بسبب انّهم **كفروا بالله ورسوله** كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوّح به وصفهم بالفسق فى قوله
عزّ وعلا **والله لايهدى القوم الفاسقين** فان الفسق فى كلّ شئ عبارة عن التمرّد والتجاوز عن
حدوده اى لايهديهم هداية موصلة الى المقصد البتة لمخالفة ذلك للحكمة التى عليها يدور فلك التكوين

والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما يوصل اليه فهى متحققة لا محالة ولكنهم بسوء اختيارهم لم يقبلوها
فو قعوا فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان المغفرة الكافر انما هى بالاقلاع عن الكفر والاقبال
الى الحق والمنهمك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على عذر النبى صلعم فى استغفاره لهم وهو عدم
ياسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم مطبوعون على الغى والضلال والممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم
كما ينبئ من قوله عز وجل ما كان للنبى الاية **فرح المخلفون** اى الذين خلفهم النبى صلى الله عليه وسلم بالاذن
لهم فى القعود عند استيذانهم او خلفهم الله بتثبيطه اياهم لما علم فى ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم
كسلهم او نفاقهم **بمقعدهم** متعلق بفرح اى بقعودهم وتخلفهم عن الغزو **خلاف رسول الله** اى خلفه
وبعد خروجه حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحى اى بعدهم ظعنوا او لم يظعن ويؤيده قراءة من
قرأ خلف رسول الله فانتصابه على انه ظرف لمقعدهم اذ لا فائدة فى تقييد فرحهم بذلك وقيل هو بمعنى
المخالفة ويعضده قراءة من قرأ خلف رسول الله فانتصابه على انه مفعول له والعامل اما فرح اى فرحوا
لاجل مخالفته عم او على انه حال والعامل احد المذكورين اى فرحوا مخالفين له عليه السلام **وكرهوا**
ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله لا ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله تعالى فقط بل مع ما فى
قلوبهم من الكفر والنفاق فان ايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان منه من غير ان يبلغ الاخر مرتبة
الكراهية وانما اوثر ما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا الى الغزو ايذانا بان الجهاد فى
سبيل الله مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التى يجب ان يتنافس فيه المتنافسون
قد كرهوه كما فرحوا باقبح القبائح الذى هو القعود وتواصيا فيما بينهم بالشر والفساد او للمؤمنين تثبيطا
لهم عن الجهاد ونهيا لهم عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم الى ما فرحوا به من القعود
فقد جعلوا ثلث خلال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية الجهاد ونهى الغير عن
ذلك **لا تنفروا فى الحر** فانه لا يستطاع شدته **قل** ردا عليهم وتجهيلا لهم **نار جهنم** التى ستدخلونها
بما فعلتم **اشد حرا** مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها وتعرضون
انفسكم لها بايثار القعود على النفير **لو كانوا يفقهون** اعتراض تذييلى من جهته سبحانه وتعالى
غير داخل تحت القول المامور به مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اى لو كانوا يفقهون انها كذلك
او كيف هى او ان مآلهم اليها لما فعلوا ما فعلوا او للتأثير وابهذا الالزام واما غير منوى على ان لو لمجرد التمنى
المنبئ عن امتناع تحقق مدخولها اى لو كانوا من اهل الفقاهة والفطنة كما فى قوله تعالى عز وجل قل انظروا
ماذا فى السموات والارض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون **فليضحكوا قليلا وليبكوا**
كثيرا اخبار عن عاجل امرهم واجله من الضحك القليل والبكاء الطويل والمؤدى اعمالهم السيئة التى من
جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء لا لنفسهما اذ لا يتصور
السببية فى الاول اصلا وقليلا وكثيرا منصوبان على المصدرية او الظرفية اى ضحكا قليلا وبكاء كثيرا او
زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه فى صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به فان امر الامر المطاع مما

القعود خلاف رسول الله صلعم وقالوا اى لاخوانهم تثبيطا لهم على التخلف صح

لايكاد

لايكاد يتخلف عنه المامور به خلا ان المقصود افادته فى الاول هو وصف الكثرة مع الموصوف يروى ان اهل
النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح
والبكاء عن الغم وان يكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام **جزاء بما كانوا يكسبون**
من فنون المعاصى والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار والتجدد ما داموا فى الدنيا
وجزاء مفعول له للفعل الثانى اى ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اى يجزون بما ذكر من البكاء الكثير
جزاء بما كسبوا من المعاصى المذكورة **فان رجعك الله** الفاء للتفريع الامر الاتى على ما بين من امرهم
والفعل من الرجع المتعدى دون الرجوع اللازم اى فان ردك الله تعالى الى طائفة منهم اى الى المنافقين
من المتخلفين فى المدينة فان تخلف بعضهم انما كان لعذر عائق مع الاسلام او الى من بقى من المنافقين
المتخلفين بان ذهب بعضهم بالموت او بالغيبة عن البلد او بان لم يستاذن البعض عن قتادة رضى الله
انهم كانوا اثنى عشر رجلا قيل فيهم ما قيل **فاستاذنوك للخروج** معك الى غزوة اخرى بعد غزوتك هذه
فقل اخراجا لهم عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم من محفل صحبتك **لن تخرجوا معى ابدا ولن**
تقاتلوا معى عدوا من الاعداء وهو اخبار فى معنى النهى للمبالغة وقد وقع كذلك **انكم** تعليل لما سلف هى غزوة تبوك
فاقعدوا والفاء لتفريع الامر بالقعود على ما صدر عنهم من الرضى بالقعود اى اذ رضيتم بالقعود اول مرة
فاقعدوا من بعد مع الخالفين اى المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما وقرئ الخلفين على القصر
فكان محو اساميهم عن دفتر المجاهدين ولذهم فى قرن الخالفين عقوبة لهم اى وتذكير اسم التفضيل المضاف
الى المؤنث هو الاكثر الدائر على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قائلا يقول هى كبرى امراة واولى مرة **ولا تصل**
على احد منهم مات صفة لاحد وانما جئ بصيغة الماضى تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة **ابدا** متعلق
بالنهى اى لا تدع **ولا تستغفر لهم ابدا** ولا تقم على قبره اى لا تقف عليه للدفن او للزيادة والدعاء
روى انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض راس النفاق عبد الله
بن ابى ابن سلول بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتيه فلما دخل عليه قال عليه السلام اهلكك
حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لى لا لتؤنبنى وساله ان يكفنه فى شعاره الذى
يلى جلده ويصلى عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مؤمنا صالحا فاجابه عليه السلام تسلية له ومراعات
لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلوة او صلى نزلت وعن عمر رح انه قال لما هلك عبد الله
بن ابى ووضعناه ليصلى عليه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انصلى على عدو الله القايل يوم
كذا وكذا والقايل يوم كذا كذا وكذا وعددت ايامه الخبيثة فتبسم عليه الصلوة والسلام وصلى الله
عليه ثم مشى معه وقام على حفرته حتى دفن فوالله ما لبث الا يسيرا حتى نزلت ولا تصل الى اخر فما صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه
عليه السلام لان الضنة بالقميص كانت مظنة الاخلال بالكرم على انه كان مكافات لقميصه الذى
كان السه العباس رضى الله عنه اسر بيد والخبر مشهور انهم كفروا بالله ورسوله تعليل للنهى على معنى

اى لانكم رضيتم بالقعود اعنى عن الغزو وحملتم بذلك اول مرة ع

ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه وذلك مستحيل فى حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله و
برسوله مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون اى متمردون فى الكفر خارجون عن حدوده كما بين من معنى
الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار بوقوعه ويجوز ان يكون
هذا فى حق فريق غير الفريق الاول وتقديم الاموال فى امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها
اما لعموم مساس الحاجة اليها بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد منه لكل احد من الاباء
والامهات والاولاد فى كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو واولاده فى ضيق ونكال واما
الاولاد لبقاء النوع فانما ترغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء
النوع واما لانها اقدم فى الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سياتى فى
سورة الكهف انما يريد الله بما متعهم به من الاموال والاولاد ان يعذبهم بها فى الدنيا بسبب
معاناتهم الميثاق ومكابدتهم الشدايد فى شانها وتزهق انفسهم وهم كافرون اى فيموتوا وهم كافرين
باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء عن النظر والتدبر فى العواقب واذا ما انزلت سورة من القران ويجوز
ان يراد بها بعضها ان امنوا بالله ان مفسرة لما فى الانزال من معنى القول والوحى او مصدرية حذف
عنها الجار اى بان امنوا وجاهدوا مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته استاذنك اولوا الطول
منهم اى ذو الفضل والسعة والقدرة على الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف تفسيرى لاستاذنك مغن
عن ذكر ما استاذنوا فيه يعنى القعود ذرنا نكن مع القاعدين اى الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من
عذر رضوا استيناف لبيان سوء صنيعهم وعدم امتثالهم لكلا الامرين وان لم يرد والاول صريحا وقيل
الخالف من الاخير فيه وطبع على قلوبهم فهم بسبب ذلك لا يفقهون ما فى الايمان بالله
وطاعته فى اوامره ونواهيه واتباع رسوله عليه الصلوة والسلام والجهاد من السعادة وما فى اضداد
ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه بالله فى شئ وان لم يعرضوا عنه صريحا اعراضهم عن
الجهاد باستيذانهم فى القعود وجاهدوا باموالهم وانفسهم اى ان تخلف هؤلاء عن الغزو فقد نهض اليه
ونهض له من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا واقاموا امر الجهاد بكلا نوعيه كقوله تعالى فان
يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين واولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة نعوتهم
المرتوبة الخيرات اى منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى العقبى وقيل الحور
لقوله عز قائلا فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون اى الفائزون
بالمطلوب لا من حاز بعضا من الحظوظ الفانية عما قليل وتكرير اسم الاشارة تنويه لشانهم ورباء لمكانهم اعد الله
لهم استيناف لبيان كونهم مفلحين اى هيأ لهم فى الاخرة جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها
حال مقدرة من الضمير المجرور والعامل اعد ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد الله سبحانه لهم الجنات المذكورة
من نيل الكرامة العظمى الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم شروع
فى بيان احوال منافقى الاعراب اثر بيان منافقى اهل المدينة والمعذرون من عذر فى الامر اذا قصر فيه

بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتى شانهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة ع

وتوانى ولم يجد حقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء فى الذال
ونقل حركتها الى العين وهم المعتذرون بالباطل وقرئ المعذرون من الاعذار وهو الاجتهاد فى العذر
والاحتشاد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا الجهد فائذن لنا فى التخلف وقيل هم
رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طى على اهالينا ومواشينا فقال عم
سيغنينى الله تعالى عليكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله سبحانه وعن قتادة اعتذروا
بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم
فى العين ادغامها فى الطاء والزاء والصاد فى المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون
بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون اى الذين لم يجيئوا ولم يفرطوا فى العذر وقعد الذين
كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر انهم كذبوا الله ورسوله فى ادعاء
الايمان والطاعة سيصيب الذين كفروا منهم من الاعراب او من المعذرين فان منهم من اعتذر
لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر فى الدنيا والنار فى الاخرة ليس على الضعفاء ولا على
المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون لفقرهم كمزينة وجهينة وبنى عذرة حرج
اثم فى التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما والطاعة لهما فى السر والعلن وتوليهما
فى السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالى الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل
استيناف مقرر لمضمون ما سبق اى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل ومن مزيدة للتاكيد ووضع
المحسنين او تعليل لنفى الحرج عنهم اى ما على جنس المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم
تذييل مؤيد لمضمون ما ذكر مشير الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر ولا على الذين اذا
ما اتوك لتحملهم عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل سياتى انما السبيل الاية وقيل عطف
على الضعفاء وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم
بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله مغفل وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انذرنا
الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه الصلوة والسلام لا اجد
فتولوا وهم يبكون وقيل بنو مقرن معقل وسويد ونعمان وقيل ابو موسى الاشعرى واصحابه قلت لا اجد
ما احملكم عليه حال من الكاف فى اتوك باضمار قد وما عامة لما سألوه عليه السلام وغيره مما يحمل عليه
عادة وفى ايثار لا احد على ليس عندى من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كانه
عليه السلام يطلب ما يسألونه على الاستمرار فلا يجده تولوا جواب اذا واعينهم تفيض اى تسيل
شدة من الدمع اى دمعا فان من البيانية مع مجرورها فى حيز النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض
دمعها لافادتها ان العين بعينها صارت دمعا فياضا والجملة حالية وقوله عز اسمه حزنا نصب على
العلية او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله اى يحزن حزنا فان الحزن يسند الى العين
مجازا كالفيض او تولوا لها او حزنين او يحزنون حزنا فيكون هذه الجملة حالا من الضمير فى تفيض الا يجدوا

على حذف لام متعلقة بحزنا او تفيض اى لئلا يجدوا ما ينفقون فى شراء ما يحتاجون اليه اذ لم يجدوه عندك انما
السبيل بالمقابلة على الذين يستاذنونك فى التخلف وهم اغنياء واجدون لاهبة الغزو مع سلامتهم رضوا
استيناف تعليلى لما سبق كانه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع الخوالف الذين
شانهم الضعة والدناءة وطبع الله على قلوبهم اى خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب ذلك
لا يعلمون ابدا غائلة ما رضوا به وما يستتبعه اجلا كما لم يعلموا بخساسة شانه عاجلا يعتذرون اليكم
استيناف لبيان ما يصدون له عند القفول اليهم روى انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه
السلام اليهم جاؤا يعتذرون اليه بالباطل والخطاب لرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه فانهم كانوا يعتذرون
اليهم ايضا لا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط اى يعتذرون اليكم فى التخلف اذا رجعتم من الغزو منتهين
اليهم وانما لم يقل الى المدينة ايذانا بان مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم
من بادر الى الاعتذار قبل الرجوع اليها قل تخصيص هذا الخطاب برسول الله صلى الله عليه وسلم واما
اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين شمول الرجوع لهم لا تعتذروا اى لا تفعلوا الاعتذار كقوله تعالى اخسئوا
فيها ولا تكلمون او لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير واما التعرض لعنوان كذبها فلا يساعده قوله تعالى
لن نؤمن لكم اى لن نصدقكم فى ذلك ابدا فانه استيناف تعليل للنهى مبنى على سؤال من قبلهم متفرع
على ادعاء الصدق فى الاعتذار كانهم قالوا لم نعتذر فقيل لانا لا نصدقكم ابدا فيكون عبثا اذ لا يترتب
عليه غرض المتعذر وقوله عز وجل قد نبانا الله من اخباركم تعليل لانتفاء التصديق اى اعلمنا بالوحى
بعض اخباركم المنافية للتصديق مما باشرتموه من الشر والفساد واضمرتموه فى ضمايركم وهيأتموه
فى ضمايركم للابداء فى معرض الاعتذار من الاكاذيب وجمع ضمير المتكلم فى الموضعين للمبالغة فى حسم
اطماعهم من التصديق راسا ببيان عدم رواج اعتذارهم عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق
البعض لهم ربما يطمعهم فى تصديق الرسول ايضا صلى الله عليه وسلم بواسطة المصدقين وللايذان
باختصاصهم بين المؤمنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سياتى اتتوبون اليه تعالى مما انتم فيه من النفاق
ام تثبتون وكانه استتابة وامهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على ما عطف على فاعله من قوله تعالى
ورسوله للايذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما والاشعار بان مدار الوعيد هو علمه عز وجل
ثم تردون يوم القيمة الى عالم الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر منكم من الاعمال ووضع المظهر موضع المضمر
لتشديد الوعيد فان علمه سبحانه وتعالى بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة واحاطته باحوالهم البارزة
والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند ردكم اليه ووقوعكم بين يديه بما كنتم تعملون
اى بما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما موصولة
والعايد اليها محذوف او بعملكم المستمر عقيب على انها مصدرية والمراد بالتنبيه بذلك المجازاة به وايثارها
عليها لمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد نبانا الله فان المنبا به الاخبار المتعلقة باعمالهم وللايذان
بانهم ما كانوا عالمين فى الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها يومئذ سيحلفون بالله لكم تاكيدا لمعاذيرهم

الكاذبة

الكاذبة وتقديرها والسين للتاكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا
به من الاكاذيب والجملة بدل من يعتذرون او بيان له اذا انقلبتم انصرفتم من الغزو اليهم ومعنى
الانقلاب هو الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفايدة تقييد حلفهم به
الايذان بانه ليس لدفع ما خاطبهم النبى صلى الله عليه وسلم به من قوله تعالى لا تعتذروا الخ هو امر
مبتداء لتعرضوا عنهم ويصفحوا عنهم صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى لترضوا
عنهم فاعرضوا عنهم لكن لا اعراض رضا كما هو طلبتهم بل اعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله
عز وجل انهم رجس فانه صريح فى ان المراد بالاعراض عنهم انما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس
الروحانى واما ترك استصلاحهم بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة و
هؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض لهم بها وقوله عز وجل وماويهم جهنم اما من تمام
التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعى الاجتناب عنهم وموجبات ترك استصلاحهم باللوم
والعتاب واما تعليل مستقل اى وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا انتم فى ذلك جزاء نصب
على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اى يجزون جزاء او لمضمون الجملة السابقة
فانها مفيدة لمعنى المجازات قطعا كانه قيل مجزيون جزاء بما كانوا يكسبون فى الدنيا من فنون
السيئات او على انه مفعول له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به لظهوره اى
يحلفون به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم فان ترضوا عنهم حسبما
راموا وساعدتموهم فى ذلك فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اى فان رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا
لان الله ساخط عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجب لما حل بهم من السخط وللايذان بشمول الحكم
لمن شاركهم فى ذلك والمراد به نهى المخاطبين عن الرضاء عنهم والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على ابلغ
وجه واكده فان الرضى عمن لا يرضى عنه الله تعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن وقيل انما قيل ذلك لئلا
يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين من دواعى رضى الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهم
وكانوا ثمانين منافقا فقال النبى صلى الله عليه وسلم للمؤمنين حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم
وقيل جاء عبد الله بن ابى يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب هى صيغة جمع وليست بجمع للعرب قال
لئلا يلزم سيبويه كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص سواء سكن البوادى
ام القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من سكن البوادى وبهذا نسب الى الاعراب فلا يطلق الا على
لفظه فقيل اعرابى قال اهل اللغة رجل عربى وجمعه العرب كما يقال المجوسى واليهود ورجل اعرابى و
يجمع على الاعراب والاعاريب اى اصحاب البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوة
قلوبهم وتوحشهم ونشاهم فى معزل من مشاهدة العلماء ومفاوضتهم وهذا من باب وصف الجنس بوصف
بعض افراده كما فى قوله تعالى وكان الانسان كفورا اذ ليس كلهم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا واجدر
ان لا يعلموا اى احق واخلف بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه

وسلم كما ذكر على ما ستحيط به خبرا **واجدر ان لا يعلموا** اى احق واخلف ان لا يعلموا **حدود ما انزل الله** لبعدهم عن مجلسه صلى الله عليه وسلم وحرمانهم من مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرايع في تضاعيف الكتاب والسنة **والله عليم** باحوال كل من اهل الوبر والمدر **حكيم** فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب **ومن الاعراب** شروع في بيان تشعب جنس الاعراب الى الفريقين وعدهم حصارهم من الفريق المذكور كما يتراى من ظاهر النظم الكريم وشرح لبعض مثالب هؤلاء المتفرعة على الكفر والنفاق بعد بيان تمام بهم فيهما وحمل الاعراب على الفريق المذكور خاصة وان ساعده كون من محكى حاله بعضا منهم وهم الذين بصدد الانفاق من اهل النفاق دون فقرائهم او اعراب اسد وغطفان وتميم كما قيل لكن لا يساعده ما سياتى من قوله تعالى ومن الاعراب الذى يؤمن الخ اه فان اولئك ليسوا من هؤلاء قطعا وانما هم من الجنس اى ومن الاعراب الذى نعت بعض افراده **من يتخذ ما ينفق** من المال اى بعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة **مغرما** اى غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه احسابا ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مقيما وانما ينفقه رياء وسمعة فهى غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو باعتبار غرض المنفق من الرياء والسمعة لا باعتبار ذات النفقة اعنى كونها غرامة **ويتربص بكم الدوائر** اصل الدوائر ما يحيط بالشئ والمراد بها ما لا محيص عنه من مصايب الدهر اى ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلى به **عليهم دائرة السوء** دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين على نهج الاعتراض كقوله سبحانه غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه ذمها وهى من باب اضافة الموصول الى صفته فوصفت في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها كقوله عز وجل ما كان ابوك امرا سوء وقيل معنى الدائرة يقتضى معنى السوء فانما هى اضافة بيان وتاكيد كما قالوا شمس النهار ولحيا راسه وقرئ بالضم وهو العذاب وهو العذاب كما قيل له سيئة **والله سميع** بما يقولونه عند الانفاق مما لا خير فيه عليم بما لا يضمرونه من الامور الفاسدة التى من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى **ومن العذاب** اى من جنسهم على الاطلاق **من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ** اى يأخذ لنفسه على وجه الاصطفاء والادخار **ما ينفق** اى ينفقه في سبيل الله تعالى **قربات** اى ذرايع اليها وللايذان بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كانه نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات او افرادهما وهى ثانى مفعولى يتخذ وقوله عز وجل **عند الله** صفتها او ظرف ليتخذ **وصلوات الرسول** اى وسايل اليها فانه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلى عليه كما فعله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صل على آل ابى اوفى فان ذلك منصبه فله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف الايمان بالله واليوم الآخر

في الفريق

في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في الشان اتخاذ ما يتفقانه حالا ومالا وان ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقيق الفرق بين الفريقين من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر والنفاق معلوم من سياق النظم الكريم صريحا **الا انها قربة لهم** شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوه وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتانيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده باحد الوجهين والتنكير للتفخيم المغنى عن الجمع اى قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة اسمية وتصديرها بحرفي التنبيه والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول من ذرايعها وقوله تعالى سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير للقربة كما ان قوله عز وعلا والله سميع عليم وعيد للاولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك وتقرره البتة وقوله تعالى ان الله غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستيناف التحقيقى قيل هذا في عبد الله ذى البجادين وقومه وقيل في بنى مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة خير عند الله يوم القيمة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان **والسابقون الاولون من المهاجرين** بيان لفضايل اشراف المسلمين اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا قبل الهجرة **والانصار** اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد بالسابقين جميع المهاجرين والانصار ومن بيانية **رضى الله عنهم** خبر للمبتداء اى رضى عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم **ورضوا عنه** بما نالوه من رضاه المستتبع لجميع المطالب طرا **واعد لهم** في الآخرة **جنات تجرى تحتها الانهار** وقرئ من تحتها كما في ساير المواقع **خالدين فيها ابدا** من غير انتهاء **ذلك الفوز العظيم** الذى لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظيم الدرجة من مؤمنى الاعراب **وممن حولكم من الاعراب** شروع في بيان حال اهل البادية **منهم** اى ممن حول بلدتكم **منافقون** وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها **ومن اهل المدينة** عطف على ممن حولكم عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى **مردوا على النفاق** اما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان غلوهم في النفاق اثر بيان اتصافهم به واما صفة للمبتدا المذكور فصل بينها وبينه بما عطف على خبره واما صفة لمحذوف اقيمت هى مقامه وهو مبتداء خبره من اهل المدينة كما في قوله انا ابن جلا وطلاع الثنايا والجملة عطف على الجملة السابقة اى ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق اى تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضرى حتى لان عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا

والذين اتبعوهم باحسان اى ملتبسين والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون بالسابقين

في الشرّ فالتمرد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص
بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل البادية اوّلا ثم ذكر منافقي الاعراب
المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي اهلها والله تعالى اعلم وقوله عز شانه **لا تعلمهم** بيان لتمردهم
اى تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسماعهم وانسابهم بل بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا من المهارة
في النفاق والتنوق في مراعات التقية والتحامي عن مواقع التهم الى حيث يخفى عليك حالهم
مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة وفي تعليق نفي العلم
بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما هم فيه من صفة النفاق لعراقتهم ورسوخهم
فيها صارت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم وحمل
عدم علمه عليه السلام باعيانهم على عدم علمه بعد مجيء هذا البيان على انه عليه السلام نعلم ان
فيهم منافقين لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عار عما ذكر من المبالغة وقوله عز وجل
نحن نعلمهم تقرير لما سبق من مهارتهم في فن النفاق اى لا تقف على سرائرهم المركوزة
في ضمائرهم الا من لا يخفى عليه خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطال الكفر واظهار الاخلاص
وفي تعليق العلم بهم مع ان المقصود بيان تعلقه بحالهم ما في تعليق نفيه بهم وقوله عز شانه **سنعذبهم**
وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم الله فيهم من موجباته والسين للتاكيد **مرتين** عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق
اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا هو الاول والثاني اما القتل واما عذاب
القبر اما الاول هو القتل والثاني عذاب القبر او الاول اخذ الزكوة لما انهم يعدونها مغرما بحت
والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعات الفارغة عن الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم
من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير
كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اى كرة بعد اخرى **ثم يردون** يوم القيمة **الى عذاب عظيم**
عظيم وهو عذاب النار وفي تغيير السبك باسناد عذابهم السابق الى نون العظمة حسب
اسناد ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا وان
الاول خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا
وان اختلفت طبقات عذابهم **وآخرون** بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين
وهو عطف على منافقون اى ومنهم يعني وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم آخرون **اعترفوا بذنوبهم**
التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار الدعة عليه والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا
بالمعاذير الكاذبة ولم يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه وابراز ما
ينافيه من المنافقين الذين اعتذروا بالاخير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حب
ديدنهم المالوف وهم رهط من المتخلفين اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في

المتخلفين

في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين حسب عادته الكريمة
وراهم كذلك فسال عن شانهم فقيل انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال عليه السلام
وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت **خلطوا عملا صالحا** هو ما سبق منهم من الاعمال الصالحة
والخروج الى المغازي السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف عن هذه المرة وتذممهم
وندامتهم على ذلك وتخصيصه بالاعتراف بذنوبهم لا يناسب الخلط لا سيما على وجه يؤذن بتوارد
المتخالطين وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى **وآخر**
سيئا فان قولك خلطت الماء باللبن يقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت
الماء واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا والاخر
بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة للدلالة على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك
فيما نحن فيه بورود كل من العملين على الاخر مرة بعد اخرى والمراد بالعمل السيء ما صدر عنهم
من الاعمال السيئة اولا واخرا وعن الكلبي التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى الباء كما في قولهم بعت
الشاة شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم **عسى الله ان يتوب عليهم** اى يقبل توبتهم المفهومة
من اعترافهم بذنوبهم **ان الله غفور رحيم** يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه
وهو تعليل لما يفيده كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب
واي ايجاب **خذ من اموالهم صدقة** روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي
خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال عليه السلام ما امرت ان اخذ اموالكم شيئا فنزلت
فليست هي الصدقة المفروضة لكونها مامورا بها لما روي انه عليه السلام اخذ منهم الثلث
وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وانما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ
عنه قوله عز وجل **تطهرهم** اى عما تلطخوا به من اوضار التخلف والتاء للخطاب والفعل مجزوم
على انه جواب للامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتاء للخطاب
او للصدقة والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره **وتزكيهم**
بها باثبات الياء وهو خبر لمبتداء محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اى وانت
تزكيهم بها اى تنمي بتلك الصدقة حسناتهم الى مراتب المخلصين او اموالهم او تبالغ في تطهيرهم
هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة الرفع فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة وكذا
جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة للصدقة على الوجهين فالثانية عطف على الاولى
حالا وصفة من غير حاجة الى تقدير المبتداء التوجيه دخول الواو في الجملة الحالية **وصل عليهم**
اى واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم **ان صلوتك** وقرئ صلوتك مراعات لتعدد المدعو
لهم **سكن لهم** تسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم ويثقون بانه سبحانه قبل توبتهم والجملة تعليل
للامر بالصلوة عليهم **والله سميع** يسمع لما صدر عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء عليم

بما فى ضمايرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص فى التوبة والدعاء او سميع يجيب دعاءك
لهم عليم بما يقتضيه الحكمة والجملتان تذييل للتعليل مقرر لمضمونه وعلى الاول تذييل لما سبق من
الايتين محقق لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير اما للتائبين فهو تحقيق لما سبق من قبول
توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتطمين لقلوبهم ببيان ان المتولى لقبول
توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله سبحانه وان اسند الاخذ والتطهير والتزكية اليه عليه
السلام اى الم يعلم اولئك التائبون ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن عباده
المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون
ووضع المظهر فى موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون
فى ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات اى يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه
او جنس الصدقات المندرج تحته صدقاتهم اندراجا اوليا اى هو الذى يتولى قبول التوبة
واخذ الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر لها ظاهرا وفيه
من تقرير ما ذكر ورفع شان النبى صلى الله عليه وسلم على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك
انما يبايعون الله ما لا يخفى وان الله هو التواب الرحيم تاكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير
مع زيادة معنى ليس فيه اى الم يعلموا انه المختص المستاثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة
والرحمة وان ذلك سنة مستمرة له وشان دايم والجملتان فى حيز النصب بيعلموا اسد كل واحدة
منهما مسد مفعوليه واما الغير التائبين فقد روى انهم قالوا لما نسبت على الاولين هؤلاء الذين
تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت اى الم يعلموا ما للتائبين من الخصال
الداعية الى التكرمة والتقريب والانتظام فى سلك المؤمنين والتلقى بجنس القبول والمجالسة
فهو ترغيب لهم فى التوبة والصدقة وقوله تعالى وقل اعملوا زيادة ترغيب لهم فى العمل الصالح
الذى من جملته التوبة وللاولين فى الثبات على ما هم عليه اى قل لهم ما بان لهم شان التوبة
اعملوا ما تشاؤن من الاعمال فظاهره ترخيص وتخيير وباطنه ترغيب وترهيب وقوله عز وعلا
فسيرى الله عملكم اى خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتاكيد للترغيب والترهيب و
السين للتاكيد ورسوله عطف على الاسم الجليل وتاخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين
من التفاوت والمؤمنون فى الخبر لو ان رجلا عمل فى صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس
كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية عليهم كما رايتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية
معناها الحقيقى فالامر ظاهر وان اريد بها حالها من الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوى من
اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من الاخيرة واضدادها وستردون
اى بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة فى وضع الظاهر موضع المضمر من تهويل الامر وتربية المهابة
ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب فى الذكر سعة عالمه وزيادة خطره على الشهادة غنى عن البيان

وقيل

وقيل ان الموجودات الغائبة عن الحواس عللا وكالعلل للموجودات المحسوسة والعلم بالعلل
علة بالمعلولات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيب
ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون فالتقديم
لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعين واحد على ابلغ وجه واكد بابهام ان علمه تعالى بما يسرونه
اقدم منه بما يعلنون كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته منزه عن ان يكون بطريق حصول الصورة
بل وجود كل شئ وتحققه فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور
البارزة والكامنة واما للايذان بان مرتبة السر متقدمة على رتبة العلن اذ ما من شئ يعلن الا وهو
او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل ذلك فى القلب فتعلق علمه تعالى به فى حالته الاولى
متقدم على تعلقه به فى حالته الثانية فينبئكم عقيب الرد الذى هو عبارة عن الامر الممتد
الى يوم القيمة بما كنتم تعملون قبل ذلك فى الدنيا والمراد بالتنبئة الجزاء بحسبه ان خيرا فخير
وان شرا فشر فهو وعد ووعيد وآخرون عطف على اخرون قبله اى ومن المتخلفين من اهل
المدينة ومن حولها من الاعراب قوم اخرون غير المعترفين المذكورين مرجون وقرئ مرجؤن
من ارجيه وارجائه اى اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله فى شانهم
قال ابن عباس رضى الله عنهما هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع امية لم يبادروا الى التوبة والاعتذار كما
فعلوا فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه عن ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا
وكانوا من اصحاب بدر فهجروهم والناس فى شانهم على اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله
ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجئين لامره تعالى اما يعذبهم ان بقوا على ما هم عليه من الاهمال وقيل
ان اصروا على النفاق وليس بذاك فان المذكورين ليسوا من المنافقين واما يتوب عليهم
ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة فى محل النصب على الحالية اى منهم هؤلاء اما واما معذبا
عليهم وقيل آخرون مبتداء ومرجون صفته وهذه الجملة خبره والله عليم باحوالهم حكيم
فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم والذين اتخذوا مسجدا ضرارا عطف على ما
سبق اى ومنهم الذين او نصب على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها ضرارا اى مضارة
للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له ومفعول الثانى لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد الفعل
مقدر منصوب على الحالية اى يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا
من ضمير اتخذوا اى مضارين للمؤمنين روى ان بنى عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فيصلى بهم فى مسجدهم فلما فعله عليه الصلوة والسلام حسدهم اخوتهم
بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى فيه ويصلى فيه
ابو عامر الراهب ايضا اذا قدم من الشام وهو الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق
وقد كان قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم

فلم يزل يفعل ذلك الى يوم حنين فلمّا انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى
المنافقين ان استعدّ وا بما استطعتم من قوّة ومن سلاح فانى ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج
محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قباء وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم بنا
مسجد الذى العلّة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحبّ ان تصلّى لنا فيه وتدعو لنا
بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم انى على جناح سفر وحال وشغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى
صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه عن اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم
ومعن بن عدى وعامر بن السكن ووحشى فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظّالم اهله فاهدموه
واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ ان مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق
بالشام بقنسرين تقوية للكفر الذى يضمرونه الذين كانوا يصلون فى مسجد قباء مجتمعين فيغتص
بهم فارادوا ان يتفرقوا ويختلف كلمتهم **وارصادًا** اعدادا وانتظارا وترقبا **لمن حارب الله**
ورسوله وهو الرّاهب الفاسق اى لاجله حتّى يجئ فيصلّى فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قبل متعلق باتخذوا اى اتخذوه من قبل ان ينافقوا بالتخلف حيث كانوا بنوه
قبل غزوة تبوك او بحارب الى حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد **وليحلفنّ ان اردنا** اى ما اردنا
ببناء هذا المسجد **الّا الحسنى** الّا الخصلة الحسنى الا الخصلة وهى الصّلوة وذكر الله والتوسعة
على المصلين او الارادة الحسنى **والله يشهد انّهم لكاذبون** فى حلفهم ذلك **لا تقم** للصلوة
فيه فى ذلك المسجد حسبما دعوك اليه **ابدًا لمسجد اسس على التقوى** يعنى مسجد قباء اسسه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصلّى فيه ايام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلثاء والاربعاء والخميس
وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابى سعيد رض
سالت النبىّ صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذى اسس على التّقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض
فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة واللام امّا للابتداء او للقسم المحذوف اى والله لمسجد وعلى التقدير[ين]
فمسجد مبتداء وما بعده صفته وقوله تعالى **احق ان تقوم فيه** اى للصّلوة وذكر الله تعالى
خبره وقوله تعالى **فيه رجال** جملة مستانفة مبنيّة لاحقيقة لقيامه عليه السّلام فيه من جهة
الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحلّ او صفة اخرى للمبتداء او حال من الضّمير فى فيه وعلى كل
حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه احق نفس كونه حقيقا به اذ لا استحقاق
فى مسجد الضرار راسًا وانّما عبّر عنه بصيغة التفضيل لفضله وكماله فى نفسه او الافضليّة فى الاستحقاق
المتناول لما يكون باعتبار زعم البانى ومن شايعه فى الاعتقاد وهو الانسب بما سياتى **يحبّون**
ان يتطهّروا من المعاصى والخصايل الذمية لمرضات الله سبحانه وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها
والله يحبّ المطهّرين اى يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادناء المحب حبه قيل لمّا نزلت مشى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال المؤمنون

من اول يوم اى من اول ايام وجوده ومتعلق باسس وقوله تعالى

انتم

انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر رضى الله عنه يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه
السّلام اترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه السّلام اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون
فى الرخاء قالوا نعم قال عليه السّلام مؤمنون وربّ الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عزّ
وجلّ قد اثنى عليكم فيما الّذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الماء
فتلا النّبى صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبّون ان يتطهّروا وقرئ ان يطّهّروا بالادغام وقيل
هو عام فى التطهّر عن النجاسات كلّها وكانوا يتبعون الماء اثر البول وعن الحسن رضى الله عنه
هو التّطهير عن الذنوب بالتوبة وقيل يحبّون ان يتطهّروا بالحمّى المكفرة لذنوبهم فحمّوا عن آخرهم
افمن اسّس بنيانه على بناء الفعل للفاعل والنّصب وقرئ على البناء للمفعول والرّفع وقرئ اسس
بنيانه على الاضافة جمع اساس واساس بالفتح والكسر جمع اسس وقرئ اساس بنيانه جمع اسّ
ايضا واس بنيانه وهى جملة مستانفة مبيّنة لخيريّة الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار
والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدّر اى بعد ما علم حالهم من اسس بنيان دينه **على**
تقوى من الله ورضوان اى على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطّاعة والمراد
بالتقوى درجتها الثّانية التى هى التوقى عن كل ما يؤثم من فعل او ترك وقرئ تقوى بالتنوين
على انّ الالف للالحاق دون التانيث **خير ام من اسّس بنيانه** ترك الاضمار للايذان باختلاف
البنيانين ذاتا اختلافهما وصفا واضافة **على شفا جرف هار** الشفا الجرف والتنفير والجرف
ما جرفه السيل اى استاصله واحتفر ما تحته فبقى واهيا يريد الانهدام والهار الهائر المتصدع
المشرف الى السقوط من هار يهور ويهار او هار يهير قدّمت لامه على عينه فصار كغاز
ورام وقيل حذفت عينه اغتباطا اى بغير موجب فجرى وجوه الاعراب على لامه **فانهار**
به فى نار جهنّم مثل ما بنوا عليه امر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رسم بانهاره
فى النار ووضع بمقابلة الرّضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله
الى الرضوان ومقتضياته التى ادناها الجنّة وتاسيس على ما هو بصدد الوقوع فى النار ساعة
فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة وقرئ جرف بسكون الرّاء **والله لا يهدى القوم الظّالمين**
اى لانفسهم او الواضعين للاشياء فى غير مواضعها اى لا يرشدهم الى ما فيه نجاتهم وصلاحهم
ارشادا موجبًا له لا محالة وامّا الدّلالة على ما يرشدهم اليه ان استرشدوا فهو متحقق
بلا اشتباه **لا يزال بنيانهم الّذى بنوا** البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول
الذى صلته فعله للايذان ان يكفيه بناؤهم له وتاسيسه على اوهن قاعدة او هى اساس وللاشعار
بعلة الحكم اى لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدما **ريبةً فى قلوبهم** اى سبب ريبة وشك
فى الدّين كانه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم فى مجمع
على حياله يظهرون فيه ما فى قلوبهم من آثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امورهم ويتشاورون

فى ذلك فبلغى بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا فى الدين
واما حال هدمه فلما انه رسخ به ما كان فى قلوبهم من الشر وتضاعفت آثار احكامه اوسبب ريبة
فى امرهم حيث ضعفت قلوبهم وهى اعتقادهم بخفاء امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا من امرهم
بعد البناء اكثرهما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وساءت ظنونهم
بانفسهم فلما قدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتقوى وصاروا مرتابين فى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل يتركهم على ما كانوا عليه من قبل او يامر بقتلهم ونهب اموالهم
وقال الكلبى معنى ريبة حسرة وندامة وقال السدى وجب والمبرد لا يزال هدم
بنيانهم حرازة وغيظا فى قلوبهم **الا ان تقطع** من التفعل بحذف احدى التائين اى الا ان
تقطع **قلوبهم** قطعا وتتفرق اجزاء بحيث لا يبقى لها قابلية ادراك واضمار قطعا وهو استثنا
من اعم الاوقات او اعم الاحوال ومحله النصب على الظرفية اى لا يزال بنيانهم ريبة فى كل
الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنها واما ما دامت
سالمة فالريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون
المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او فى القبور او فى النار وقرئ تقطع على بناء المجهول
من التفعيل وعلى البناء للفاعل منه على خطاب النبى صلى الله عليه وسلم اى الا ان تقطع
انت قلوبهم بالقتل وقرئ على البناء المجهول من الثلاثى مؤنث وقرئ الى ان تقطع قلوبهم
والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب وقرئ ولو قطعت قلوبهم على اسناد الفعل المجهول الى قلوبهم
ولو قطعت قلوبهم على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ولكل احد ممن يصلح للخطاب وقيل
الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الاشياء التى
من جملتها ما ذكر من احوالهم **حكيم** فى جميع احواله التى من زمرتها امره الوارد فى حقهم
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين فى الجهاد ببيان فضيلته اثر
بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ فى ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول
الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التى بذلوها فى سبيل الله تعالى واثابته اياهم بمقابلتها
الجنة بالشرى على طريق الاستعارة التبعية ثم جعل المبيع الذى هو العمدة والمقصد فى العقد
انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذى هو الوسيلة فى الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس
بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد فى العقد
هو الجنة وما بذله المؤمنين فى مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بتعلق
كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه يقل بالجنة بل قيل **بان لهم الجنة** مبالغة فى تقرر
وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من
ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى وان

تمام

تمام الاستعارة موقوف على ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرى حقيقة لانها صالحة للعوضية
بخلاف الوعد بها فليس بشئ لان مناط دلالة ما عليه النظم الكريم على الوجه ليس كونه جملة ظرفية مصدرة
بان فى ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة التى يستحيل وجودها فى الدنيا ولم يسلم ذلك
يكون العوض الجنة الموعود بها لا الوعد بها **يقاتلون فى سبيل الله** استيناف لكن لا لبيان ما لاجله
الشرى ولا لبيان نفس الاشتراء لان قتالهم فى سبيل الله تعالى ليس باشتراء الله تعالى منهم انفسهم واموالهم
بل هو بذل لهما فى ذلك بل لبيان البيع الذى يستدعيه الاشتراء المذكور كانه قيل كيف يبيعون
انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون فى سبيل الله وهو بذل منهم لانفسهم واموالهم الى جهة الله سبحانه
وتعريض لهما للهلاك وقوله تعالى **فيقتلون ويقتلون** بيان لكون القتال فى سبيل الله لا للنفس
وان المقاتل فى سبيله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد فى الفعلين ليس بطريق اشتراط
الجمع بينهما ولا لاشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال
من الكل سواء وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما
ايضا كما اذا وجد المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم يوجد المضاربة ايضا فانه
يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد وتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان
بعدم الفرق بينهما فى كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبنى للمفعول رعاية
لكون الشهادة عريقة فى الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت فى سبيل الله تعالى بل بكونه احب
اليهم من السلامة كما قيل فى حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا ابتلوا لا
يقع الطعن الا فى نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل فى يقاتلون الخ معنى الامر كما فى قوله
تعالى **تجاهدون فى سبيل الله باموالكم وانفسكم وعدا عليه** مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن
مؤجلا **حقا** نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تاخر لكان صفة له وقوله تعالى **فى التورية و
الانجيل والفرقان** متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اى وعدا مثبتا فى التورية والانجيل كما هو مثبت
فى القران **ومن اوفى بعهده من الله** اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة فى
كونه سبحانه اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان
صدوره عنهم فكيف بجناب الخلاق الغنى عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على
انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه سبحانه من غير تعرض لانكار المساوات ونفيها لكن المقصود
قصدا مطردا انكار المساوات ونفيها قطعا فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به
حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل **فاستبشروا** التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف و
زيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوجب
واوقد والفاء لترتيب الاستبشار والامر به على ما قبله اى فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور
وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل **ببيعكم** مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة

لان المراد ترغيبهم فى الجهاد الذى عبّر عنه بالبيع وانّما لم يذكر العقد بعنوان الشرى لانّ ذلك من قبل الله سبحانه لا من قبلهم والترغيب انّما يكون فيما يتمّ من قبلهم وقوله تعالى **الّذى بايعتم به** لزيادة تقرير بيعهم للاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع للفانى بالباقى ولانّ كلا البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن رضى الله عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روى ان الانصار لمّا بايعوه عليه السلام على العقبة قال عبد الله بن رواحه رضى الله عنه اشترط لربّك ولنفسك ما شئت قال عليه السّلام اشترط لربّى ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى ان تمنعونى ممّا تمنعون منه انفسكم قال اذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنّة قالوا ربح البيع لا نقبل ولا نستقبل ومرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابىّ وهو يقرأها قال كلام من قال كلام الله عزّ وجل قال بيع والله مربح لا نقبله ولا نستقبله فخرج الى الغزو واستشهد **وذلك** اى الجنّة الّتى جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم **هو الفوز العظيم** الذى لا فوز اعظم منه وما فى ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسموّ رتبته فى الكمال ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى البيع الذى امروا بالاستبشار به ويجعل ذلك كانه نفس الفوز العظيم او يجعل فوزا فى نفسه فالجملة على الاوّل تذييل للاية الكريمة وعلى الثانى لقوله تعالى فاستبشروا مقرر لمضمونه **التّائبون** رفع على المدح اى هم التّائبون يعنى المؤمنين المذكورين كما يدلّ عليه القراءة بالياء نصبا على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمؤمنين وقد جوّز الرفع على الابتداء والخبر محذوف اى التائبون من اهل الجنّة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله تعالى وكلّا وعد الله الحسنى ويجوز ان يكون خبره قوله تعالى **العابدون** وما بعده اى التائبون من الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اى المخلصون فى عبادة الله تعالى **الحامدون** لنعمائه او لما نابهم من السرّاء والضرّاء **السّائحون** الصّائمون لقوله عليه السلام سياحة امّتى الصّوم شبّه بها لانّه عائق عن الشهوات او لانّه رياضة نفسانيّة يتوسّل بها الى العثور على خفايا الملك والملكوت وقيل هم السّائحون فى الجهاد وطلب العلم **الرّاكعون السّاجدون** فى الصّلوة **الآمرون بالمعروف** بالايمان والطاعة **والنّاهون عن المنكر** عن الشرك والمعاصى والعطف فيه للدلالة على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة وامّا قوله تعالى **والحافظون لحدود الله** اى فيما بيّنه وعيّنه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للنّاس عليه فلئلّا يتوهّم اختصاصه باحد الوجهين **وبشّر المؤمنين** اى الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشّر به للايذان بخروجه عن حدّ البيان وفى تخصيص الخطاب بالاوّلين اظهار زيادة اعتناء بامرهم من الترغيب والتسلية **ماكان للنّبىّ والّذين آمنوا** بالله وحده اى ما صحّ لهم فى حكم الله عزّ وجلّ وحكمته وما استقام **ان يستغفروا للمشركين** به سبحانه **ولو كانوا** اى المشركون **اولى قربى** اى ذوى قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة

حذفا مطّردا كما بيّن فى قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره روى انّه عليه السّلام قال لعمّه ابى طالب لما حضرته الوفاة يا عمّ قل كلمة احاجّ لك بها عند الله فابى فقال عليه السّلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لمّا افتتح مكّة خرج الى الابواء فزار قبر امّه ثمّ قام مستعبرا فقال انّى استأذنت ربّى فى زيارة قبر امّى فاذن لى فاستأذنت فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فاستأذنت فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وانزل علىّ الآيتين **من بعد ما تبيّن لهم** اى للنّبى عليه السّلام والمؤمنين **انّهم** اى المشركين **اصحاب الجحيم** بان ماتوا على الكفر او نزل الوحى بانّهم يموتون على ذلك **وما كان استغفار ابرهيم لابيه** بقوله واغفر لابى اى بان توفّقه للايمان وتهديه اليه كما يلوّح به تعليله بقوله انه كان من الضّالّين والجملة استيناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظّاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر ابرهيم لابيه وقرئ يستغفر ابرهيم على حكاية الحال الماضية وقوله تعالى **الّا عن موعدة** استثناء مفرّغ من اعمّ العلل اى انّ لم يكن استغفاره عليه السّلام لابيه آزر ناشئا عن شئ من الاشياء الّا عن موعدة **وعدها** ابرهيم عليه السّلام **ايّاه** اى اباه وقد قرئ كذلك بقوله **لاستغفرنّ لك** وقوله سأستغفر لك ربّى بناء على رجاء ايمانه لعدم تبيّن حقيقة امره والّا لما وعدها ايّاه كانّه قيل وما كان استغفار ابرهيم لابيه الّا عن موعدة مبنيّة على عدم تبيّن امره كما ينبئ عنه قوله تعالى **فلمّا تبيّن له** اى لابرهيم بان اوحى اليه انه مصرّ على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بان مات على الكفر والاوّل هو الانسب بقوله تعالى **انّه عدوّ لله** فان وصفه بالعداوة ممّا يأباه حالة الموت **تبرّأ منه** اى تنزّه عن الاستغفار له وتجانب كلّ التجانب وفيه من المبالغة ما ليس فى تركه ونظائره **انّ ابرهيم لاوّاه** لكثير التأوّه وهو كناية عن كمال الرّأفة ورقّة القلب **حليم** صبور على الاذيّة والمحنة وهو استيناف لبيان ما كان يدعوه عليه السّلام اى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابرهيم عليه السّلام كان اوّاها حليما فلذلك صدر عنه ما صدر من الاستغفار قبل التبيّن فليس لغيره ان يأتسى به فى ذلك وتأكيد لوجوب الاجتناب عنه بعد التبيّن بانه عليه السّلام تبرّأ منه بعد التبيّن وهو فى كمال رقّة القلب والحلم فلا بدّ ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا وتبرّءا وامّا ان الاستغفار قبل التبيّن لو كان غير محظور لما استثنى عن الائتساء به فى قوله تعالى **وما كان الله ليضلّ قوما** اى ليس من عادته ان يصفهم بالضّلال عن طريق الحقّ ويجرى عليهم احكامه **بعد اذ هديهم** للاسلام حتّى تبيّن لهم بالوحى صريحا او دلالة ما يتّقون اى ما يجب اتّقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا عمّا نهوا عنه وامّا قبل ذلك فلا يسمّى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به فكانّه تسلية للّذين استغفروا للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان الغافل غير مكلّف بما لا يستبدّ ولا يؤاخذهم بمعرفته العقل **انّ الله بكلّ شئ عليم** تعليل لما سبق اى انّه تعالى عليم بجميع الاشياء التى من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا يستقلّ العقل فى معرفته فيبيّن لهم ذلك كما فعل ههنا **انّ الله له ملك السّموات**

والارض من غير شريك له فيه يحيى ويميت ومالكم من دون الله من ولى ولا نصير لما منعهم من الاستغفار
للمشركين وان كانوا اولى قربى وضمن ذلك التبرا منهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود
ومتولى اموره والغالب عليه ولا يتاتى لهم نصر ولا ولاية الا منه تعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم
متبرئين عما سواه غير قاصدين الا اياه لقد تاب الله على النبى قال ابن عباس رضى الله تعالى
عنه هو العفو عن اذنه للمنافقين فى التخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو فى حق زلات
سبقت منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد بيان فضل التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو
محتاج اليها حتى النبى صلى الله عليه وسلم لما صدر عنه فى بعض الاحوال من ترك الاولى الذين
اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من اوامره فى ساعة العسرة اى وقتها والتعبير عنه بالساعة
لزيادة تعيينه وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة من الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد من
من الزاد تزود التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة
اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفى عسرة من الماء حين نحروا الابل واعتصروا و
افرثها وفى شدة زمان من حمارة القيظ من الجدب والقحط والقضية الشديدة ووصف المهاجرين
والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم فى مثل هاتيك المراتب من الشدة للمبالغة
فى بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغنى عنها غيرهم اولى واحرى من بعد
ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهى الشدة وبلوغها الى ما لا غاية وراءها وهو اشراف
بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم وفى كاد ضمير الشان او ضمير القوم
الراجع اليه الضمير فى منهم وقرئ بتانيث الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم
يعنى المتخلفين من المؤمنين كابى لبابة واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه
تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤف رحيم
استيناف تعليلى فان صفة الرافة والرحمة من دواعى التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة
عن ازالة الضر والثانى عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والآخر للواحق وعلى
الثلثة الذين خلفوا اى وتاب الله على الثلثة الذين اخر امرهم عن امر ابى لبابة واصحابه حيث لم
يقبل معذرتهم مثل اولئك ولا ردت ولا يقطع فى شانهم بشئ الى ان نزل فيهم الوحى وهم كعب
بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع وقرئ خلفوا اى خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا
من الخالفة وخلوف الفم وقرئ خالفوا وقرئ على المخلفين والاول هو الانسب لان قوله تعالى حتى
اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخليف ولا يناسبه الا المعنى الاول اى خلفوا واخر امرهم
الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اى برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم
عن مفاوضتهم وهو مثل لشدة الحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا تطمئن له دار وضاقت عليهم انفسهم
اى اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشئ لعدم الانس والسرور واستيلاء الوحشة والحيرة وظنوا

ان

ان لا ملجا من الله الا اليه اى علموا ان لا ملجا من سخطه تعالى الا الى استغفاره ثم تاب عليهم
اى وفقهم للتوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التوابين او رجع عليهم بالقبول
والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب المبالغة فى قبول التوبة كما وكيفا
وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون الالاء مع استحقاقهم لافانين العقاب
روى ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه
فلحق به عليه السلام عن الحسن انه قال ابلغنى انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم
فقال يا حائطاه ما خلفنى الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فانت فى سبيل الله ولم يكن لآخر الا
اهله فقال يا اهلاه ما بطانى ولا خلفنى الا الضن بك فلا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق
برسول الله صلى الله عليه وسلم فركب ولحق ولم يكن للآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس
ما خلفنى الا حب الحياة لك والله لاكابدن الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتابط
زاده ولحق به عليه السلام قال الحسن رض كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها
وعن ابى ذر الغفارى ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلعم ماشيا فقال
عليه السلام لما راى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال عليه السلام رحم الله
ابا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابى خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة
حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال
ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامراة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح والريح
ما هذا بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرفه الى الطريق فاذا راكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله
عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقى لم يلحق به عليه السلام منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول
الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد على كالمغضب بعد ما ذكرنى فقال يا ليت شعرى ما خلف
كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن برديه والنظر فى عطفيه قال عليه السلام ما اعلم الا فضلا واسلاما
ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون
ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر
يا كعب بن مالك فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفنى ربى وضاقت عليهم الارض بما رحبت
وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبى وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاذا هو جالس فى المسجد وحوله المسلمون فقام الى طلحة بن عبد الله يهرول الى حتى صافحنى
وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة رضى الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه
وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية
وعن ابى بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان يضيق على التائب الارض بما رحبت

ويضيق عليه نفسه كتوبة كعب مالك وصاحبه يا ايها الذين امنوا خطاب يندرج فيه التائبون
اندراجا اوليا وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة اتقوا الله فى كل ما تاتون
وما تذرون فيدخل فيه المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امر المغازى دخولا
اوليا وكونوا مع الصادقين فى ايمانهم وعهودهم او فى دين الله نيته وقولا وعملا او فى كل شان
من الشئون فيدخل فيه ما ذكر واى نوبتهم فيكون المراد بهم ح هؤلاء الثلثة واضرابهم
وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه خطاب لمن امن من اهل الكتاب اى كونوا مع المهاجرين
والانصار وانتظموا فى سلكهم فى الصدق وساير المحاسن وقرئ من الصادقين ماكان
لاهل المدينة وما صح وما استقام بهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة وجهينة واشجع وغفار
واضرابهم ان يتخلفوا عن رسول الله عند توجهه صلى الله عليه وسلم الى الغزو ولا يرغبوا نصب وقد
جوز الجزم بانفسهم عن نفسه اى لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها عما لم يصن عنه نفسه بل
يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والخطوب والكلام فى معنى النهى وان كان على صورة الخبر ذلك اشارة
الى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ اى عطش يسير ولا
نصب ولا تعب ما ولا مخمصة اى مجاعة ما الا ما يستباح عنده المحرمات من مراتبها فان الظمأ والنصب
اليسيرين حين لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلو ذلك منه اولى فلا حاجة الى تاكيد النفى بتكرير كلمة
لا ويجوز ان يراد بها تلك المرتبة ويكون الترتيب بناء على كثرة الوقوع وقلته فان الظمأ اكثر
وقوعا من النصب الذى هو اكثر وقوعا من المخمصة بالمعنى المذكور فتوسيط كلمة لا ح ليس لتاكيد النفى
بل للدلالة على استقلال كل واحد منها بالفضيلة والاعتداد به فى سبيل الله واعلاء كلمته ولا يطئون
موطئا يغيظ الكفار اى لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم دوسا
او مكانا بداس ولا ينالون من عدو نيلا مصدر كالقتل والاسر والنهب او مفعول اى شيئا ينال من
قبلهم الا كتب لهم به اى بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة
بحكم الوعد الكريم للثواب الجميل ونيل الزلفى والتنوين للتفخيم وكون المكتوب عين ما فعلوه من
الامور لا يمنع دخول الباء فان اختلاف العنوان كاف فى ذلك ان الله لا يضيع اجر المحسنين
على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد من المحسنين اما المبحوث عنهم ووضع المظهر مقام المضمر
لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام فى سلك المحسنين وان اعمالهم من قبيل الاحسان وللاشعار
بعلية الماخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا ولا ينفقون نفقة صغيرة ولو
تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضى الله عنه والترتيب باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع
وقلته وتوسيط لا للتنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء لا لتاكيد النفى كما فى قوله عز وجل
ولا يقطعون اى لا يجتازون فى مسيرهم واديا وهو فى الاصل كل منعرج من الجبال والاكام يكون
منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع فى الارض على الاطلاق الا كتب لهم اى اثبت

لهم ذلك الذى فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك احسن ما كانوا يعملون احسن
اجزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اى ما صح وما استقام لهم ان ينفروا
جميعا الى نحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يثبطوا جميعا فان ذلك مخل بامر المعاش فلولا نفر
فهلا نفر من كل فرقة اى طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة طائفة اى جماعة قليلة
ليتفقهوا فى الدين اى يتكلفوا الفقاهة ويتجشموا مشاق تحصيلها ولينذروا قومهم اى وليجعلوا
غاية سعيهم ومرمى غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا اليهم وتخصيصه بالذكر
لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه فى الدين من فروض الكفاية وان يكون غرض المتعلم الاستقامة
والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط فى البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان والله المستعان لعلهم
يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة لان عموم كل فرقة
يقتضى ان ينفر من كل ثلثة تفرد واثر فيه طايفة الى التفقه لينذر فرقتها كى يتذكروا ويحذروا
فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للاية وجه اخر هو ان المؤمنين لما سمعوا
ما نزل فى المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر
من كل فرقة طايفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذى هو الجهاد الاكبر لان
الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير فى ليتفقهوا ولينذروا للبواقى الفرق بعد الطوايف
النافرة للغزو وفى رجعوا للطوايف ولينذر البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم ما حصلوا فى
ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال الاقرب
منهم فالاقرب كما امر عليه السلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة والاستصلاح
قيل هم اليهود حوالى المدينة كبنى قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشام
وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره وليجدوا فيكم غلظة اى شدة وصبرا على القتال
وقرئ بفتح الغين كسخطة وبضمها وهما لغتان فيها واعلموا ان الله مع المتقين بالعصمة والنصرة
والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان الايمان والقتال على الوجه المذكور
من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
والمراد بالمعية الولاية الدايمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع فى قوله تعالى ان الله معنا واذا ما انزلت
سورة من سور القران فمنهم اى من المنافقين من يقول لاخوانه ليثبتهم على النفاق ولعوام
المؤمنين وضعفتهم ليصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ بنصب ايكم
على تقدير فعل يفسره المذكور اى ايكم زادت زادته هذه الخ وايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم
اصلا باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا فاما الذين امنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة
العلم اليقينى الحاصل من التدبر فيها والوقوف على ما فيها من الحقايق وانضمام ايمانهم السابق

وهم يستبشرون بنزولها وبما فيه من المنافع الدينيّة والدنيويّة واما الذين فى قلوبهم مرض اى كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم اى كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها وعقايد باطلة واخلاق ذميمة كذلك وماتوا وهم كافرون واستحكم ذلك الى ان يموتوا عليه اولايرون الهمزة للانكار والتوبيخ والواو للعطف على مقدّر اى لاينظرون ولايرون انّهم اى المنافقين يفتنون فى كلّ عام من الاعوام مرّة اومرّتين والمراد مجرّد التكثير لابيان الوقوع حسب العدد المذبور اى يبتلون بافانين البليّات من المرض والشدّة وغير ذلك مما تذكوا الذنوب والوقوف بين يدى رب العزّة فيؤوى الى الايمان به تعالى او بالجهاد مع رسول الله صلعم فيعاينون ماينزل عليه من الايمان لاسيّما القوارع الزايدة للايمان النّاعية عليهم مافيهم من القباع المخزية لهم ثمّ لايتوبون عطف على لايرون داخل تحت الانكار والتّوبيخ وكذا قوله تعالى ولاهم يذكرون والمعنى اولايرون افتنانهم الموجب لايمانهم ثم لايتوبون عمّا هم عليه من النّفاق ولاهم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتّوبة وقرئ بالتاء والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجب اى الا ينظرون ولاترون احوالهم العجيبة الّتى هى افتنانهم على وجه التتابع وعدم التنبه لذلك فقوله تعالى ثم لايتوبون وماعطف عليه معطوف على يفتنون واذاما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم فى محفل تبليغ الوحى كما انّ الاوّل بيان لمقالاتهم وهم غائبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها اوسخرية بها اوغيظا لما فيها من مخازيهم هل يريكم من احد اى قائلين هل يراكم احد من المسلمين لينصرف مظهرين انهم لايصطبرون على استماعها ويغلب عليهم الضحك فيفتضحون اوتراموا يتشاورون فى تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من ان قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجدّ فى انتهاز الفرصة فان المرء بشانه اكثر اهتماما منه بشان اصحاب كما فى قوله تعالى وليتلطّف ولايشعرن بكم احدا وقيل المعنى واذاما انزلت سورة فى عيوب المنافقين ثم انصرفوا عطف على نظر بعضهم والتراخى باعتبار وجدان الفرصة والوقوف على عدم رؤية احد من المؤمنين اى انصرفوا جميعًا عن محل الوحى خوفا من الافتضاح او غير ذلك صرف الله قلوبهم اى عن الايمان حسب انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية بانّهم اى بسبب انّهم قوم لايفقهون لسوء الفهم اولعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول اى رسول عظيم الشّان من انفسكم من جنسكم عربىّ قرشىّ مثلكم وقرئ بفتح الفاء اى اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ماعنتّم اى شاق شديد عليه عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع فى العذاب وهذا من نتايج ماسلف من المجانسة حريصٌ عليكم فى ايمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهى الرّافة التى عبارة عن شدّة الرّحمة محافظة على الفواصل فان تولّوا تلوين للخطاب وتوجيه له الى النبى صلّى الله عليه وسلم تسلية له اى ان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبى الله فانّه يكفيك ويعينك عليهم لااله الاهو

استيناف مقرّر لمضمون ماقبله عليه توكّلت فلا ارجو ولا اخاف الّا منه وهو ربّ العرش العظيم اى الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذى ينزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرّفع وعن ابىّ آخر مانزل هاتان الآيتان وعن النّبى صلى الله عليه وسلم مانزل القران علىّ الّا آية آية وحرفا حرفا ماخلا سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانّهما انزلتا ومعهما سبعون الف صف من الملئكة

سوره يونس مائة وتسع ايات مكية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الر بتفخيم الرّاء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للاصليّة مجرى المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو امّا مسرود على نمط التعديد بطريق التحدى على احد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة البقرة فلامحلّ له من الاعراب وامّا اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحلّه الرّفع على انه خبر لمبتداء محذوف اى هذه السورة مسمّاة بالر وهو اظهر من الرّفع على الابتداء لعدم سبق العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لاجعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب كما مرّ والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انّها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت فى حكم الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النّصب بتقدير فعل لايق بالمقام نحو اذكروا واقرأ وكلمة تلك اشارة اليها امّا على تقدير كون الر مسرودا على نمط التعديد بعد تنزيل حصول مادّتها التى هى الحروف المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانّه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة الخ وامّا على تقدير كونه اسما للسّورة فقد نوّهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها اوالامر بذكرها اوبقراءتها وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها فى الفخامة ومحله الرّفع على انّه مبتداء خبره قوله عزّ وجل آيات الكتاب وعلى تقدير كون الر مبتدا فهو مبتداء ثان او بدل من الاوّل والمعنى هى آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود ببيان بعضها منه وصفها بما اشتهر اتصافه به من النّعوت الفاضلة والصّفات الكاملة والمراد بالكتاب اوجميع القران العظيم وان لم ينزل الكل حينئذ امّا باعتبار تعينه وتحققه فى علم الله عزوعلا اوفى اللّوح او باعتبار انه انزل الى جملة السماء الدنيا جملة كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وبام القران فى عهد النبوّة ولما يحصل المجموع الشخص اذ ذاك فلابد من ملاحظة كل من الكتاب والقران باحد الاعتبارات المذكورة وامّا جميع القران النازل قبل المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخص يطلق على مجموع ما نزل فى كلّ عصر الاترى الى ماروى عن جابر رضى الله انه قال كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قتلى احد فى ثوب واحد ثم يقول انهم اكثر اخذا القران فاذا اشير له الى احدهما قدمه فى اللحد فان مايفهمه النّاس من القران فى ذلك الوقت ويحافظون على التفاوت فى اخذه انّما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصىّ فى علم الله سبحانه او فى اللّوح ولا لنزوله جملة الى السّماء الدّنيا الحكيم ذى الحكمة وصف به لاشتماله على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها

اوهو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة المكنية المبنية على تشبيه الكتاب
بالحكيم الناطق هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة وكلمة تلك اشارة الى ما فى ضمنها
من الاى فانها فى حكم الحاضر لاسيما بعد ما يتضمنها من السورة عند بيان اسمها او الامر بذكرها اها
او بقراءتها وينبغى ان يكون المشار اليه كل واحدة منها لا جميعا من حيث هو جميع لانه عين السورة
فلا يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف بالمضاف اليه حكمة فلا يتاتى ما قصد من مدح
المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال ولان فى بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما
ليس فى بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب عند الاطلاق وان كان كلمة باحد
الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب فيها والمعهود المشهور وان
كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة اتصاف كل سورة منه
بما اتصف به الكل مما لا اسكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا من القران الكريم اذ
لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما تسنى ذلك وفيه ما لا يخفى من التكلف
والتعسف **اكان للناس عجبا** الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجب السامعين منه لكونه فى غير
محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنه باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم مع انه المدار
لتعجبهم كما تعرض له فى قوله عز وجل قال الكافرون الخ لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتعيين مدار التعجب فى زعمهم ثم تبيين خطائهم واظهار بطلان زعمهم
بايراد الاظهار والتعجب واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا وقيل بعجبا على التوسع
المشهور فى الظروف وقيل المصدر اذا كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله
عليه وقيل متعلقة بكان وهو مبنى على دلالة كان بمعنى اسم الفاعل الناقصة على الحدث **ان
اوحينا** اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشانه لكونه مدارا للانكار والتعجب وتشويقا الى
المؤخر ولان فى الاسم ضرب تفصيل ففى مراعات الاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف الكلام وقرئ
برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر ان اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل فى تاويل المصدر
المضاف المعرفة البتة والمختار ان يجعل كان تامة وان اوحينا متعلقا بعجب على حذف حرف
التعليل اى احدث للناس لان اوحينا او من وحينا او بدلا من عجب لكن لا على توجيه الانكار
والتعجب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان كون الابدال فى حكم تنحية المبدل منه ليس معناه اهداره
بالمرة وانما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم وفيه من زيادة تسجيل
حالهم ما لا يخفى **الى رجل منهم** اى الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا او من حيث
المال لا من عظمائهم كقولهم لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وكلا الوجهين من ظهور
البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول فلان بعث الملك انما يكون عند كون المبعوث اليهم ملئكة
كما قال سبحانه قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا واما

عامة

عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهى منوطة بالتناسب والتجانس فبعث
الملك اليهم مزاحم للحكمة التى عليها يدور فلك التكوين والتشريع وانما الذى يقتضيه الحكمة ان يبعث
الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المويدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا
العالمين الروحانى والجسمانى ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب واما الثانى فلما ان مناط الاصطفا
للنبوة والرسالة هو التقدم فى الاتصاف بما ذكر من النعوت الجميلة والصفات الجليلة والسبق
فى احراز الفضايل العلية وحيازة الملكات السنية جبلة واكتسابا ولا ريب لاحد منهم فى انه صلى
الله عليه وسلم فى ذلك الشان فى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية واما التقدم
فى الرياسة الدنيوية والسبق فى نيل الحظوظ الدنية فلا دخل له فى ذلك قطعا بل له اخلال به غالبا
قال له عليه السلام لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء
ان انذر الناس ان مصدرية بجواز كون صلتها امرا كما فى قوله تعالى وان اقم وجهك وذلك
لان الخبر والانشاء فى الدلالة على المصدر سواء فساغ وقوع الامر والنهى صلة حسب وقوع الفعل
فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهى نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضى والاستقبال و
وجوب كون الصلة فى الموصول الاسمى خبرية انما هو للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل
لا القصور فى دلالة الانشاء على المصدر او مفسرة اذ الايحاء فيه معنى القول وقد جوز كونها
مخففة من المثقلة على حذف ضمير الشان والقول من الخبر والمعنى ان الشان قولنا انذر الناس
والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول وهو النكتة فى ايثار الاظهار على الاضمار وكون
الثانى عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق **وبشر الذين امنوا** بما اوحيناه وصدقوه
ان لهم اى بان لهم **قدم صدق** اى سابقة ومنزلة رفيعة **عند ربهم** وانما عبر عنها بها
اذ بها يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها وقيل
مقام صدق والوجه اذ الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة
على تحققها وثباتها وللتنبيه على ان مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان
التصديق لا ينفك عن الصدق **قال الكافرون** هم المتعجبون وايرادهم ههنا بعنوان الكفر
مما لا حاجة الى ذكر سببه وترك العاطف لجريانه مجرى البيان للجملة التى دخل عليها همزة الانكار
او لكونه استينافا مبنيا على السؤال كانه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد
او قطعوا فيه بشئ فقيل قال الكافرون على طريقة التوكيد **ان هذا** يعنون به ما اوحى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من القران الحكيم المنطوى على الانذار والتبشير **لساحر مبين** اى ظاهر
وقرئ الساحر على ان الاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ ما هذا الا سحر مبين
وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما عاينوه خارج عن طوق البشر نازل من جناب خلاق
القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوه تماديا فى العناد كما هو ديدن المكابر اللجوج ودأب

المفخم المجوج **ان ربكم** كلام مستانف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وبنوا عليه من المقالة
الباطلة غبّ الاشارة اليه بالانكار والتعجب الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير
ويرشدهم الى معرفتها بادنى تذكير لاعترافهم به من غير نكير لقوله تعالى قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل فانى يؤفكون وقوله تعالى قل من يرزقكم من
السّماء والارض الى قوله تعالى ومن يدبّر الامر فسيقولون الله اى انّ ربكم ومالك امركم
الّذى تتعجّبون من ان يرسل اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدّون ما اوحى اليه من
الكتاب الحكيم سحرا هو **الله الّذى خلق السّموات والارض ومافيها** من اصول الكاينات فى ستة
ايّام اى فى ستة اوقات اوفى مقدار ستّة ايّام معهودة فان نفس اليوم الذى هو عبارة
عن زمان كون الشّمس فوق الارض ممّا لايتصوّر تحققه حين لاارض ولاسماء وفى خلقها مدرجا
مع القدرة التّامّة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنّظار وحث لهم على التّانى
فى الاحوال والاطوار وامّا تخصيص ذلك بالعدد المعيّن فامر قد استاثر بعلم مايستدعيه
علاّم الغيوب جلّت قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة الجمع فى السّموات لما هو المشهور
من الايذان بانها اجرام مختلفة الطّباع متباينة الاثار والاحكام **ثمّ استوى على العرش**
العرش هو الجسم المحيط بساير الاجسام سمّى به لارتفاعه او للتشبيه لسرير الملك فان الاوامر
والتّدابير منه ينزل وقيل هو الملك ومعنى استوائه سبحانه عليه استيلاؤه عليه اواستواء
امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه بلاكيف والمعنى انه سبحانه استوى
على العرش على الوجه الذى عناه منزهًا عن التّمكن والاستقرار وهذا بيان لجلالة ملكه وسلطانه
بعد بيان عظمة شانه وسعة قدرته بما مرّ من خلق هاتيك الاجرام العظام **يدبّر الامر**
لتدبير النّظر فى ادبار الامور وعواقبها لتقع على الوجه المحمود والمراد ههنا التّقدير على الوجه
الاتم الاكمل والمراد بالامر امر ملكوت السّموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات
الحادثة شيئا فشيئا على اطوار شتى وانحاء لاتكاد تحصى من المناسبات والمباينات فى الذّوات
والصّفات والازمنة والاوقات اى يقدر ماذكر من امر الكاينات الّذى ما تعجّبوا منه
من امر البعث والوحى فرد من جملته وشعبة من دوحته ويهيئ اسباب كلّ منها حدوثا
وبقاء فى اوقاتها المعيّنة ويرتّب مصالحها على الوجه الفايق والنّمط اللاّئق حسبما يقتضيه
الحكمة ويستدعيه المصلحة والجملة فى محل النّصب على انها حال من ضمير استوى وقد جوّز كونه
خبرا ثانيا لان اومستانفة لامحلّ لها من الاعراب مبنيّة على السّؤال نشاء من ذكر الاستواء على
العرش المبنى عن اجراء احكام الملك وعلى كلّ حال فايثار صيغة المضارع للدّلالة على تجدّد التّدبير
واستمراره وقوله عزّوجل **مامن شفيع** بيان لاستبداده سبحانه فى التقدير والتّدبير ونفى
للشّفاعة على ابلغ الوجوه فان نفى جميع افراد الشّفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفى الشفاعة على اتم

الوجوه

الوجوه كما فى قوله تعالى لاعاصم اليوم من امر الله وهذا بعد قوله تعالى يدبّر الامر جار مجرى قوله تعالى
وهو يجير ولايجار عليه عقيب قوله تعالى قل من بيده ملكوت كلّ شئ وقوله تعالى **الّا من بعد اذنه**
استثناء مفرّغ من اعمّ الاوقات اى مامن شفيع يشفع لاحد فى وقت من الاوقات الّا بعد اذنه
المبنىّ على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع من المصطفين الاخيار والمشفوع له ممّن يليق
بالشّفاعة كقوله تعالى يوم يقوم الرّوح والملئكة صفّا لايتكلّمون الّا من اذن له الرّحمن وقال
صوابا وفيه من الدّلالة على عظمة جلاله سبحانه ما لايخفى **ذلكم** اشارة الى المعلوم بتلك العظمة
اى ذلك العظيم الشّان المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال الّتى عليها يدور استحقاق الالوهيّة **الله**
وقوله تعالى **ربّكم** بيان له اوبدل منه اوخبر ثان لاسم الاشارة وهذا بعد بيان ان ربّهم الله
الّذى خلق السّموات والارض الخ لزيادة التقرير والمبالغة فى التذكير لتفريع الامر بالعبارة عليه
بقوله تعالى **فاعبدوه** اى وحده من غير ان تشركوا به شيئا من ملك اونبىّ فضلا عن جماد لايبصر
ولايسمع ولايضرّ ولاينفع وامنوا بما انزله اليكم **افلاتذكرون** اى اتعلمون ان الامر كما فصّل
فلاتتذكرون ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فرتدعوا عنه **اليه** لاالى احد سواه
استقلالا اواشتراكا **مرجعكم** اى بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى **جميعا** فانه حال من
الضّمير المجرور لكونه فاعلا فى المعنى اى اليه رجوعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة
وعد الله مصدر مؤكد لنفسه لانّ قوله عزّوجلّ اليه مرجعكم وعد منه سبحانه بالبعث ولنعل
مقدّر اى وعد الله وعدا وايّا ما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لان ما بالموت
بمعزل من الوعد كما انّه بمعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل **حقّا** مصدر اخر مؤكّد لما دلّ
عليه الاوّل **انّه يبدؤ الخلق** وقرئ يبدئ **ثمّ يعيده** وهو استئناف علّل به وجوب المرجع اليه
سبحانه وتعالى فان غاية البدء والاعادة هو جزاء المكلّفين باعمالهم حسنة اوسيّئة وقرئ
بالفتح اى لانّه ويجوز كونه منصوبا بما نصب وعد الله وعدا بدأ الخلق ثمّ اعادته ومرفوعا بما نصب
حقا اى حق حقا بدء الخلق **ليجزى الّذين امنوا وعملوا الصّالحات بالقسط** اى بالعدل وهو حال من
فاعل يجزى اى ملتبسا بالعدل اومتعلّق بيجزى اى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم وانما اجمل
ذلك ايذانا بانّه لايفى به الحصر اوبقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال الصّالحة
وهو الانسب بقوله عزّوجل **والّذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون**
فان معناه ويجزى الّذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير الاسناد بجعل الجملة الظّرفيّة جزاء للموصول
لتقوية الحكم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدّلالة على طهم على الكفر وتغيير النّظم الكريم
للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل على الانتظام فى سلك العلّة الغائيّة للخلق
بدأ واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء اختيارهم وامّا المقصود الاصلى من ذلك فهو
الاثابة **هو الّذى جعل الشمس ضياء** تنبيه على الاستدلال على وجوده تعالى ووحدته وعلمه

وقدرته وحكمته باثار صيغة فى النيرين بعد التنبيه على الاستدلال بما مر من ابداع السموات
والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذى اشير اليه اشارة
اجمالية وارشاد الى انه حين دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع فلان
يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال الرسول وانزال الكتاب وتبيين طرايق الهدى و
تعيين المهاوى الردى اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من
مفعوله اى خلقها حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف اوضياء محضا للمبالغة وان جعل
بمعنى التصيير فهو مفعوله الثانى اى جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن لا بعد
ان كانت خالية عن تلك الحالية بل ابدعها كذلك كما فى قولهم ضيق مم الركية ووسع اسفلها
والضياء مصدر كقيام اوجمع ضوء كسباط وسوط وياؤه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ
ضياء بهمزتين بينهما الف بتقديم اللام على العين **والقمر نورا** الكلام فيه كالكلام فى الشمس والضياء
اقوى من النور وقيل ما بالذات ضوء وما بالعرض نور ففيه اشعار بان نوره مستفاد من
الشمس **وقدره** اى قدر له وهيأ **منازل** اوقدر مسيره فى منازل او قدره ذا منازل على تضمين
التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة سيره ومعاينته منازله وتعلق احكام
الشريعة به وكونه عمدة فى تواريخ العرب وقد جعل الضمير لكل منهما وهى ثمانية وعشرون منزلا
لا ينزل القمر كل ليلة فى واحد منها لا يتخطاه ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها
من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا كان فى اخر منازله دق واستقوس ثم يستتر
ليلتين اوليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس فى كل منزلة منها ثلثة عشر يوما وهذا المنازل
هى مواقع النجوم التى نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهى الشرطان والبطين والثريا
الدبران الهقعة الذراع النثرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك
الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة سعد بلع سعد السعود سعد
الاخبية فرع الدلو المقدم فرع الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت **لتعلموا** اما بتعاقب الليل
والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منهما فى تلك المنازل **عدد
السنين** التى يتعلق بها غرض علمى لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية **والحساب** اى حساب
الاوقات على ان الالف واللام عوض عن المضاف اليه من الاشهر والايام والليالى وغير ذلك
مما ينيط به شئ من المصالح المذكورة وتخصيص العدد بالسنين والحساب بالاوقات المحسوبة
وتحقيقه ان الحساب احصاء ماله كمية انفصالية بتكرير امثاله من حيث يتحصل بطائفة معينة منها
حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثنى عشر شهرا قدم تحصل كل من ذلك
من ثلثين يوما قد تحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ولما لم يعتبر فى السنين المعدودة تحصل
حد معين له اسم خاص غير اسامى مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف اليها العدد وتحصل مراتب

الاعداء

الاعداد ومن العشرات والمات والالوف اعتبارى لاجدى فى تحصل المعدود نفعا وحيث اعتبر
فى الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التى لها اسام خاصة واحكام متعلقة علق بها الحساب
المنبئ عن ذلك والسنة من حيث تحققها فى نفسها مما يتعلق به الحساب وانما الذى يتعلق به العدد
طائفة منها وتعلقه فى ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة ليس من الجهة المذكورة اعنى
حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل واحد منها من عدة ايام قد حصل كل منها بطائفة من
الساعات فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة من غير
ان يعتبر معها شئ غير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا وعلما
على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالى بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم يتحد الجهة
اولان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر اخر حسبما حقق انفا نازل من الحساب الذى
اعتبر فيه ذلك منزلة البسيط من المركب **ما خلق الله ذلك** اى ما ذكر من الشمس والقمر
على ما حكى من الاحوال وفيه ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والهيات ليس الا خلقهما
كذلك كما اشير اليه ولا يقدح فى ذلك ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان
المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور عند عدم وجود شرائط لا اتصافه به بالفعل
الا بالحق استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول اى ما خلق ذلك ملتبسا بشئ من
الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعيا فيه ذلك وهو ما اشير اليه اجمالا
من العلم باحوال السنين والاوقات المنوط به امور معاملاتهم وعباداتهم **يفصل الايات**
اى الايات التكوينية المذكورة او جميع الايات فيدخل فيها الايات التنزيلية المنبهة على
ذلك وقرئ بنون العظمة **لقوم يعلمون** الحكمة فى ابداع الكاينات فيستدلون بذلك على شئون
مبدعها جل وعلا او يعلمون ما فى تضاعيف الايات المنزلة فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل
بهم لانهم المنتفعون به **ان فى اختلاف الليل والنهار** تنبيه اخر اجمالى على ما ذكر اى فى تعاقبهما
وكون كل منهما خلفة للاخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون
الارض او فى تفاوتهما فى انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الاخر وانتقاصه بازدياده باختلاف
حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او فى اختلافهما وتفاوتهما بحسب
الامكنة اما فى الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالى ايامها الصيفية اطول
ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما فى انفسهما فان كرية الارض
تقتضى ان يكون بعض الاوقات فى بعض الاماكن ليلا وفى مقابلة نهارا **وما خلق الله فى
السموات والارض** من اصناف المصنوعات **لايات** عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع تعالى
ووحدته وكمال علمه وقدرته وبالغ حكمته التى من جملة مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول
وانزال الكتاب والبعث والجزاء **لقوم يتقون** خصهم بذلك لان الداعى الى النظر والتدبر

انّما هو تقوى الله تعالى والحذر من العاقبة فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات ايات دون
غيرهم **وكاين من اية فى السموات والارض يمرّون عليها وهم عنها معرضون** انّ الّذين
لايرجون لقاء نا بيان لمآل امر من كفر بالبعث واعرض عن الايات الدالّة عليه بعد تحقيق
ان مرجع الكل اليه تعالى وانه يعيدهم بعد بدئهم للجزاء ثوابا وعقابا وتفصيل بعض الايات الشاهدة
بذلك والمراد بلقائه تعالى امّا الرّجوع اليه تعالى بالبعث او لقاء الحساب كما فى قوله عزّ وعلا
انّى ظننت انّى ملاق حسابيه وايّاما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل
الامر ما لايخفى والمراد بعدم الرّجاء عدم التّوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فان
عدمهما لايستدعى عدم اعتقاد وقوع المامول والمخوف اى لايتوقعون الرجوع الينا او لقاء
حسابنا المؤدى اما الى حسن الثّواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاوّل واليه اشير بقوله
عزّ وجل **ورضوا بالحيوة الدّنيا** فانه مبنىّ عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله
تعالى ارضيتم بالحيوة الدّنيا من الآخرة ولايخافون الثانى واليه اشير بقوله تعالى **واطمئنّوا
بها** اى سكنوا فيها سكون من لابراح له منها امين من اعتراء المزعجات مخطرين ببالهم مايسوءهم
من عذابنا وقيل المراد بالرجاء معناه الحقيقى وباللقاء حسن اللّقاء اى لايأملون حسن
لقائنا بالبعث والاحياء بالحيوة الابدية ورضوا بدلا منها وممّا فيها من فنون الكرامات السنية
بالحيوة الدّنيا الدنية الفانية واطمانّوا بها اى سكنوا اليها مكبّين عليها قاصرين مجامع هممهم
على لذائذها وزخارفها من غير صارف يلويها ولا عاطف يثنيهم وايثار الباء على كلمة الى المنبئة
عن مجرد الوصول والانتهاء للايذان بتمام الملابسة ودوام المصاحبة والموانسة وحمل الرجا
على الخوف فقط يأباه كلمة الرضا بالحيوة الدّنيا فانها منبئة عمّا ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى
واختيار صيغة الماضى فى الصّلتين الاخيرتين للدلالة على التحقق والتقرر كما ان اختيار صيغة
المستقبل فى الاولى للايذان باستمرار عدم الرّجاء **والّذين هم عن اياتنا** المفصّلة فى صحايف الاكوان
حسبما اشير الى بعضها او اياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد بها المتفقة معها فى الدّلالة
على حقيّة ما لايرجونه مع اللّقاء المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمانّوا اليه
من الحيوة الدّنيا غافلون لايتفكرون فيها اصلا وان نبّهوا على ذلك وذكّروا بانواع القوارع
لانهماكهم فيما يصدهم عنها من الاحوال المعدودة وتكرير الموصول للتوسّل به الى جعل
صلته جملة اسميّة منبئة عمّا هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها وتنزيل التغاير الوصفى
منزلة التغاير الذاتى ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاوصاف الاوّل واستقلاله باستتباع
العذاب هذا وامّا ما قيل من ان العطف امّا لتغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على
ان الوعيد على الجميع بين الذّهول عن الايات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لايخطر ببالهم
الآخرة اصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم يرا الا الحيوة الدّنيا

وبالاخرين من الهاه حبّ العاجل عن التامل فى الاجل فكلام ناء عن السداد فتامل **اولئك** الموصوفون
بما ذكر من صفات السوء **ماويهم** اى مسكنهم ومقرّهم الذى لابراح لهم منه **النّار** لاما اطمانّوا بها
من الحيوة الدنيا ونعيمها **بما كانوا يكسبون** من الاعمال القلبيّة المعدودة وما يستتبعه
من اصناف المعاصى والسيّات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدّلالة على
الاستمرار التجددى والباء متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن اسم الاشارة وهو
مع خبره خبر لان فى قوله تعالى ان الّذين لايرجون لقاءنا الخ **انّ الّذين امنوا** اى فعلوا
الايمان او امنوا بما يشهد به الايات التى غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج
فيه ذلك اندراجا اوليا **وعملوا الصّالحات** اى الاعمال الصّالحة فى انفسها اللائقة بالايمان وانّما
ترك ذكر الموصوف لجريانها مجرى الاسماء **يهديهم ربّهم** اوثر الالتفات سر تشريفهم باضافة
الرب اليهم واشعار بعلة الهداية **بايمانهم** اى يهديهم بسبب ايمانهم الى ماويهم ومقصدهم
وهى الجنّة وانّما لم يذكر تعويلا على ظهورها واسباق النفس اليها لاسيّما بملاحظة ما سبق
من بيان الكفرة وماويهم اليه من اعمالهم السيئة ومشاهدة ما لحق من التلويح والتصريح و
فى النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصّالح لايكفى فى الوصول الى الجنّة بل لابد بعد
ذلك من الهداية الرّبانية وان الكفر والمعاصى كافية فى دخول النّار ثم انه لانزاع فى ان المراد
بالايمان الذى جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاصّ المشفوع بالاعمال الصّالحة لا الايمان
المجرّد عنها ولا ما هو اعمّ منهما الّا ان ذلك بمعزل عن الدّلالة على خلاف ما عليه اهل السّنة و
الجماعة من ان الايمان الخالى عن العمل الصّالح يفضى الى الجنة فى الجملة ولايخلد صاحبه فى النار فان
منطوق الاية الكريمة ان الايمان المقرون بالعمل الصّالح مسبب للهداية الى الجنّة وامّا ان كلّ
ما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك فلا دلالة لها ولا لغيرها عليه قطعا كيف لا وقوله عزّ
وجلّ الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون مفاد بخلافه فان
المراد بالظّلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا ايمانهم بشرك ولئن حمل على ظاهره
ايضا يدخل فى الاهتداء من امن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل حرام او بترك واجب
تجرى من تحتهم الانهار اى بين ايديهم كقوله سبحانه وهذه الانهار تجرى من تحتى او تجرى
وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستانفة او خبر ثان لان او حال من مفعول
يهديهم على تقدير كون المهدىّ اليه ما يريدونه فى الجنّة كما قيل وقيل يهديهم ويسددهم
للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب والجنّة وقوله تجرى من تحتهم الانهار جار
مجرى التفسير والبيان فان التمسك بحبل السعادة فى حكم الوصول اليها وقيل يهديهم الى ادراك
الحقائق البديعة بحسب القوّة العمليّة كما قال عليه السّلام من عمل بما علم ورّثه الله علم ما لم يعلم
فى جنّات النّعيم خبر اخر او حال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجرى او بيهدى فالمراد بالمهدىّ

اليه اتماما لهم فى الجنة اوابريدون فيها دعواهم اى دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول المقدر لايجوز
اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عند ما عاينوا فيها من تعاجيب اثار قدرته
تعالى ونتايج ورافته ما لاعين رات ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر تقديسا لمقامه تعالى عن
شوايب العجز والنقصان وتنزيها لوعده الكريم عن سمات الخلف وتحيتهم فيها التحية التكرمه بالحالة الجليلة
اصلها احياك الله حيوة طيبة اى يحى به بعضهم بعضا او تحية الملئكة اياهم كما فى قوله تعالى والملئكة اياهم
كما فى قوله تعالى والملئكة يدخلون عليهم من كل باب سلام او تحية الله عزوجل لهم كما فى قوله تعالى
سلام قولا من رب رحيم اى سلامة عن كل مكروه واخر دعواهم اى خاتمة دعائهم ان الحمد
لله رب العالمين اى ان يقولوا ذلك نعتا له عزوجل بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اى
دعائهم منحصر فيما ذكر اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه فى سلك الدعاء وان هى المخففه من ان
المثقله اصله انه الحمد لله فحذف ضمير الشان كما فى ان هالك كل من يحفى وينتقل وقرئ ان الحمد لله
بالتشديد ونصب الحمد ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل الى ختم
الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية ليست باجنبيته على الاطلاق ودعوى كون ترتب الوقوع ايضا
بان كانوا حين دخلوا الجنه وعاينوا عظمة الله تعالى وكبرياؤه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم
حياهم الملئكة بالسلامة عن الافات والفوز باصناف الكرامات او حياهم بذلك رب العزة فحمدوه
تعالى واثنوا عليه يا باها اضافة الاخر الى دعواهم وقد جوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما فى قوله
تعالى واعتزلكم وما تدعون الخ ايذانا بان لا تكليف فى الجنة اى ما عبادتهم الا ان يسبحون ويحمدوه
وليس ذلك بعبارة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولايساعده تعيين الخاتمة ولو يعجل الله للناس
هم الذين لايرجون لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء تشير الى بعض
من عظايم معاصيهم المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء
وايرادهم باسم الجنس لما ان تعجيل الخير لهم ليس دايرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج
اى لو يعجل الله لهم الشر الذى كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تعالى استعجالهم بالخير
نصب على انه مصدر تشبيهى وضع موضع مصدر ناصبه دلالة على اعتبار الاستعجال فى جانب المشبه
كاعتبار التعجيل فى جانب المشبه به واشعارا بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان استعجالهم بالخير نفس
تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله لهم الخير عند استعجالهم
به فحذف تعويلا على دلالة الباقى عليه لقضى اليهم اجلهم لادى اليهم الاجل الذى عين لعذابهم
واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفى ايثار صيغة المبنى للمفعول جرى على سنن الكبرياء مع
الايذان بتعين الفاعل وقرئ على البناء للفاعل كما قرئ لقضينا واختيار صيغة الاستقبال فى الشرط وان
كان المعنى فى الماضى لافادة ان عدم قضاء الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفى الواقع موقع

الماصى

الماضى ليس بنص فى افادة انتفاء استمرار الفعل بل يفيد استمرار انتفاء ايضا بحسب المقام كما حقق فى
موضعه واعلم ان مدار الافادة فى الشرطية ان يكون التالى امرا مغايرا للمقدم فى نفسه مترتبا عليه
فى الوجود كما فى قوله عزوجل لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فان العنت الى الوقوع فى المشقة والهلاك
امر مغاير لطاعته عليه السلام لهم مترتب عليها فى الوجود او يكون فردا كاملا من افراده ممتازا
من البقية بامر يخصه كما فى الاجوبة المحذوفة فى مثل قوله ترى نظائرها الى التراتيب امرا هائلا فظيعا
او نحو ذلك وكما فى قوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذ افسر
الجواب بالاستقبال فانه فرد كامل من افراد مطلق المواخذة قد عبر عنه بما لا مزيد عليه فى الدلالة
على الشدة والفظاعة فحسن موقعه فى معرض التالى للمؤاخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضاء
فليس بامر مغاير لتعجيل الشر فى نفسه وهو ظاهر بل هو اما نفسه جزئى منه كسائر جزئياته من غير مزية
له على البقية اذ لم يعتبر فى مفهومه ما ليس فى مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون فى ترتيبه
عليه وجودا او عدما مزيد فائدة مصححه بجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور
بل هو ارادته المستتبعه للقضاء المذكور وجودا وعدما كما فى قوله تعالى يؤاخذهم بما كسبوا
لعجل لهم العذاب اى لو يريد مواخذتهم فان تعجيل العذاب لهم نفس المواخذة او جزئى من
جزئياتها غير ممتاز عن البقية فليس فى بيان ترتبه عليها وجودا او عدما مزيد فائدة وانما الفائدة
فى بيان ترتبه على ارادتها حسبما ذكر وايضا فى ترتيب التالى على ارادة المقدم ما ليس فى ترتيبه
على نفسه من الدلالة على المبالغة وتهويل الامر والدلالة على ان الامور منوطة بارادته تعالى
المبنية على حكم المبالغة فنذر الذين لايرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على التشديد فى الوعيد
وهو عطف على مقدر ينبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة فتتركها امهالا
واستدراجا مقدر ينبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة فتتركها امهالا
استدراجا فى طغيانهم الذى هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع على ذلك من
اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة يعمهون اى يترددون ويتحيرون وفى وضع الموصول موضع
الضمير نوع بيان للطغيان بما فى حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج وإذا مس
الانسان الضر اى اصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدائد اصابة يسيرة دعانا لكشفه
وازالته لجنبه حال من فاعل دعانا بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما فى قوله تعالى
يخرون للاذقان اى دعانا كائنا جنبه على اى مضطجعا او قاعدا او قائما اى فى جميع الاحوال ثم ماذكر
وما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا فى جميع احوال
مرضه على انه المراد بالضر خاصة مضطجعا عاجزا عن القعود وقاعدا غير قادر على النهوض وقائما
لايستطيع الحراك فلما كشفنا عنه ضره الذى مسه غب ما دعانا حسبما ينبئ عنه الفاء مر اى
مضى استمرار على طريقته التى كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسى حالة الجهد والبلاء امر عن موقف

الضراعة والابتهال ونأى بجانبه كان لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما فى قوله كان لم يكن
بين الحجون الى الصفا والجملة التشبيهية فى محل النصب على الحالية من فاعل مرّ اى مرّ فشبها بما لم يدعنا
الى ضرّ اى كشف ضرّ مسّه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه
الصفات كذلك نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتى وما فيه من معنى
البعد للتفخيم والكاف مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه فخامة لا يكاد يترك فى لغة العرب
ولا فى غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل مكان انت لا تبخل اى مثل ذلك التزيين العجيب زيّن
للمسرفين اى للموصوفين بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم لما ان الله تعالى اعطاهم القوى والمشاعر
ليصرفوها الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقن له من العلوم والاعمال الصالحة فلما صرفوها الى ما لا
ينبغى وهى راس مالهم فقد اتلفوها واسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين اما من جهة الله سبحانه على طريقة
التخلية او الخذلان او من الشيطان بالوسوسة والتسويل ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر
والدعاء والانهماك فى الشهوات وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث ان فى كل منهما املاء للكفرة
على طريقة الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر فى الاولى ومن الضر المقرر فى الاخرى ولقد
اهلكنا القرون اى القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد واضرابهم ومن فى قوله تعالى من قبلكم
متعلقة باهلكنا اى اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة
فى تشديد التهديد بعد تاييد القسم لما ظلموا ظرف للاهلاك اى اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب
والتمادى فى الغى والضلال من غير تاخير وجاءتهم رسلهم الواو للحال من ضمير ظلموا وقوله تعالى جاءتهم
رسلهم حال من ضمير ظلموا باضمار قد وقوله تعالى بالبينات متعلق بجاءتهم على ان الباء للتعدية
او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم فى الظلم وتناهيهم فى المكابرة اى ظلموا بالتكذيب
وقد جاءتهم رسلهم بالايات البينة الدالة على صدقهم او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب
وقد جوّز ان يكون للعطف على ظلموا وقد جوّز ان يكون قوله تعالى وجاءتهم عطفا على ظلموا فلا
محل له من الاعراب عند سيبويه وعند غيره محله الجر لانها معطوف على ما هو مجرور باضافة
الظرف اليه وليس الظلم منحصرا فى التكذيب حتى يحتاج الى اعتذار بان الترتيب الذكرى لا يجب
كونه على وفق الترتيب الوقوعى قوله تعالى ورفع ابويه على العرش وخرّوا له الخ بل هو محمول على
ساير انواع الظلم والتكذيب مستفاد من قوله تعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ وجه واكده فان
اللام لتاكيد النفى اى وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله تعالى
اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا لانه اخبار باحداث التكذيب
وهذا بالاصرار عليه وعلى الثانى عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما يجرى
مجرى مصدره التشبيهى اعنى قوله تعالى كذلك فان الجزاء المشار اليه عبارة عن مصدره اى مثل
ذلك الجزاء الفظيع اى الاهلاك الشديد الذى هو الاستئصال بالمرة نجزى المجرمين اى كل طائفة

مجرمة

مجرمة وفيه وعد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك المهلكين فى الجرايم والجرايم
التى هى تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولو يعجل الله للناس
الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة وقد جوّز ان يكون المراد بالقوم المجرمين
اهل مكة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام فى الاجرام ويأباه كل الاباء
قوله عز وجل ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم فانه صريح فى انه ابتداء تعرض لامورهم
وان ما بين فيه انما مبادى احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه يشعرون باشتمالهم نحو الايمان
والطاعة فمحالة ان يكون ذلك اثر ما منتهى امرهم وخطابهم بت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم
والمعنى ثم استخلفناكم فى الارض بعد اهلاك اولئك القرون التى تسمعون اخبارها وتشاهدون
اثارها استخلاف من يختبر لننظر اى لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فهى استعارة تمثيلية
وكيف منصوب على المصدرية بتعملون لا بننظر فان ما فيه من معنى الاستفهام مانع من تقدم عامله
عليه اى اىّ عمل او على الحالية اى على اىّ حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف
الحسن كقوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا ففيه اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلى
من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال الصالحة واما الاعمال السيئة فبمعزل
من ان تصدر عنهم لا سيما بعد ما سمعوا اخبار القرون المهلكة وشاهدوا اثار بعضها فضلا عن
ان ينتظم ظهورها فى سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه مفعول به اى
اى عمل تعملون اخيرا ام شرا فنعاملكم بحسبه فلا يكون فى كلمة كيف ح دلالة على ان المعتبر فى الجزاء
جهات الاعمال وكيفياتها لا ذواتها كما هو راى القايل بل يكون ح مستعارة بمعنى اى شىء واذا
تتلى عليهم التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر
بالايات البينات وغير ذلك كداب فرعون من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع
للدلالة على تجدد جوابهم الآتى حسب تجدد التلاوة اياتنا الدالة على حقيقة التوحيد وبطلان
الشرك والاضافة لتشريف المضاف والترغيب فى الايمان به والترهيب عن تكذيبه بينات
حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وايراد فعل التلاوة مبنيا للمفعول مسندا الى الايات
دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنائه للفاعل للاشعار بعدم الحاجة لتعين التالى وللايذان
بان كلامهم فى نفس المتلو دون التالى قال الذين لا يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع الضمير
اشعارا بعلية ما فى حيز الصلة للعظيمة المحكية عنهم وانهم اجترؤا عليها لعدم خوفهم من عقابه
تعالى يوم اللقاء لانكارهم له ولما من مباديه من البعث وذما لهم بذلك اى قالوا لمن يتلوها
عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لم يذكر ايذانا بتعينه ائت بقران غير هذا اشاروا
بهذا الى القران المشتمل على الايات لا الى نفسها فقد قصدوا الى اخراج الكل من البين اى ائت بكتاب

اخى تقروه ليس فيه ما استبعده من البعث والحسنات والجزاء او ما تكرهه من ذم الهتنا ومعايبها
والوعيد على عبادتها او بدله بتغيير ترتيبه بان تجعل مكان الاية المشتملة على ذلك اية اخرى خالية
عنها وانما قالوه كيدا وطمعا فى المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزاء قل لهم ما يكون لى
اى ما يصح وما يستقيم لى ولا يمكننى اصلا ان ابدله من تلقاء نفسى اى من قبل نفسى وهو مصدر
استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثانى للايذان
بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث لا حاجة الى بيانها وان التصدى لذلك مع كونه
ضايعا ربما يعد من المجارات مع السفهاء اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلاء ولان
ما يدل على استحالة الثانى يدل على استحالة الاول ان اتبع ما اتبع فى شئ مما اتى واذر الا ما يوحى
الى من تغيير له فى شئ اصلا على معنى قصر حاله عليه السلام على اتباع ما يوحى الى وقد مر تحقيق
المقام فى سورة الانعام وهو تعليل لمصدر الكلام فان من شانه اتباع الوحى على ما هو عليه لا يستبد
بشئ دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا به عليه السلام بهذا
السؤال من ان القران كلامه عليه السلام ولذلك قيد التبديل فى الجواب بقوله من تلقاء نفسى
وسماه عصيانا عظيما مستتبعا لعذاب عظيم بقوله تعالى انى اخاف ان عصيت ربى عذاب
يوم عظيم فانه تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصاء امره عليه السلام على
اتباع الوحى اى اخاف ان عصيته تعالى بتعاطى ما ليس لى من التبديل من تلقاء نفسى والاعراض
عن اتباع الوحى عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة ويوم اللقاء الذى لا يرجونه وفيه بانهم استوجبوا
بهذا الاقتراح والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتهويل امر
العصيان واظهار كمال نزاهته عليه السلام عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمى ووصفه بالعظم
لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل معرضهم على التبديل والاتيان بقران اخر
من جهة الوحى بتفسير قوله تعالى ما يكون لى ان ابدل من تلقاء نفسى بانه لا يتسهل لى ان
ابدل بالاستدعاء من جهة الوحى ما اتبع الا ما يوحى الى من غير وضع ما من الاستدعاء وغيره من قبلى
لانه يرده التعليل المذكور ولكن لا لان المقترح حينئذ ليس فيه معصية اصلا كما توهم فان استدعاء
تبديل الايات النازلة حسبما يقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة
مما لا ريب فى كونه معصية بل لانه ليس فيه معصية الافتراء مع انها المقصودة بما ذكر فى التعليل
الا يرى الى ما بعده من الايتين الكريمتين فانه صريح فى ان مقترحهم الاتيان بغير القران وتبديله
بطريق الافتراء وان زعمهم فى الاصل ايضا كذلك وقوله عز وجل قل لو شاء الله ما تلوته
عليكم تحقيق لحقيقة القران وكونه من عند الله تعالى اثر بيان بطلان ما اقترحوا الاتيان
به واشتماله عبارة ودلالة وانما صدر بالامر المستقبل مع كونه داخلا تحت الامر السابق اظهارا
لكمال الاعتناء بشانه وايذانا باستقلاله مفهوما واسلوبا فانه برهان دال على كونه بامر الله تعالى

ومشيته كما سياتى وما سبق مجرد الاخبار باستحالة ما اخترقوه ومفعول شاء محذوف ينبئ عنه الجزاء لا غير
ذلك كما قيل فان مفعول المشية انما يحذف اذا وقعت شرطا وكان مفعولها مضمون الجزاء ولم يكن فى
تعلقها به غرابة كما فى قوله ولو شئت ان ابكى دما لبكيته حيث لم يحذف لفقدان الشرط الاخير
ولان المستلزم للجزاء اعنى عدم تلاوته عليه السلام عليهم انما هو مشيته تعالى له لا مشيته لغير
القران والمعنى ان الامر كله منوط بمشيته تعالى وليس لى منه شئ قط ولو شاء عدم تلاوتى
له عليكم لا بان شاء عدم تلاوتى له من تلقاء نفسى بل بان لم ينزله على يامرنى بتلاوته كما ينبئ عنه
ايثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم ولا ادراكم به اى ولا اعلمكم به بواسطتى والتالى وهو
عدم التلاوة والادراء منتف فينتفى المقدم اعنى مشيته عدم التلاوة ولا يخفى انها مستلزمة
لعدم مشيته التلاوة قطعا فانتفاؤها مستلزم لانتفائه حتما وانتفاء عدم مشيته التلاوة انما
يكون بتحقق مشيته التلاوة فثبت ان تلاوته عليه السلام للقران بمشيته تعالى وامره وانما قيدنا
الادراء بكونه بواسطته عليه السلام لان عدم الاعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط الذى هو مشيته
عدم تلاوته عليه السلام فلا يجوز نظمه فى سلك الجزاء وفى اسناد عدم الادراء اليه تعالى ايذان بان
لا دخل له عليه السلام فى ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ ولا ادراتكم ولا اداكم بالهمز فيهما
على لغة من يقول اعطأت وارضات فى اعطيت وارضيت او على انه من الدرء بمعنى الدفع اى
ولا جعلتكم بتلاوته عليكم خصماء تدرؤوننى بالجدال وقرئ ولا انذرتكم به وقرئ لادراكم بلام الجواب
اى لو شاء الله ما تلوته عليكم انا ولاعلمكم به على لسان غيرى على معنى انه الحق الذى لا محيص عنه
لو لم ارسل به انا لارسل به غيرى البتة او على معنى انه تعالى يمن على من يشاء فخصنى بهذه الكرامة فقد
لبثت فيكم عمرا تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيته الله عز وجل وامره حسبما بين
انفا لكن لا بطريق الاستدلال عليها بعدم تلاوته عم فيما سبق بسبب مشيته تعالى اياه بل بطريق
الاستشهاد عليها بما شاهدوا منه عم فيما سبق فى تلك المدة الطويلة من الامور الدالة الدالة على
استحالة كون التلاوة من جهته عم بلا وحى وعمرا نصب على التشبيه بظرف الزمان والمعنى قد
اقمت فيما بينكم دهرا مديدا مقدار اربعين سنة تحفظون تفاصيل احوالى طرا وتحيطون بما لدى خبرا
من قبله اى من قبل نزول القران لا اتعاطى شيئا مما يتعلق به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث
معناه الكاشف عن اسرار الحقايق واحكام الشرايع افلا تعقلون اى الا تلاحظون ذلك فلا تعقلون
امتناع صدوره عن مثلى ووجوب كونه منزلا من عند الله العزيز الحكيم فانه غير خاف على من له عقل
سليم والحق الذى لا محيد عنه ان من له ادنى مسكة من العقل اذا تامل فى امره صلى الله عليه وسلم
وانه نشا فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة العلماء فى شان من الشؤن ولا مراجعة اليهم
فى فن من الفنون ولا مخالطة البلغاء فى المفاوضة والحوار والاخوض معهم فى انشاء الخطب والاشعار
ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فائق وبذت بلاغته كل بليغ رائق وعلا نظمه كل منثور ومنظوم

وحوى محواه بدايع اصناف العلوم كاشف عن اسرار الغيب من وراء استار الكمون ناطق باخبار ما
قد كان وما سيكون مصدّق لما بين يديه من الكتب المنزلة مهيمن عليها فى احكامها المجملة و
المفصّلة لا يبقى عنده شائبة اشتباه فى انه وحى منزلة من عند الله تعالى هذا هو الذى اتفقت
عليه حكمة الجمهور ولكن الانسب بنناء الجواب فيما سلف على مجرّد امتناع صدور التغيير والتبديل
عنه عليه السّلام لكونه معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله عليه السّلام على اتباع
الوحى وامتناع الاستبداد بالرّاى من غير تعرض هناك ولا هناك لكون القرٰان فى نفسه امرا
خارجا عن طوق البشر ولا لكونه عليه السّلام غير قادر على الاتيان بمثله ان يستشهد ههنا على
المطلب بما يلايم ذلك من احواله المستمرّة فى تلك المدّة المتطاولة من كمال نزاهته عليه
السّلام عمّا يوهم شائبة صدور الكذب والافتراء عنه فى حقّ احد كان من كان كما ينبئ عنه تعقيب
تظليم المفترى على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحى لا اتعرض لاحد قط بتحكم
ولا جدال ولا احوم حول مقال فيه شائبة شبهة فضلا عمّا فيه كذب او افتراء الا تلاحظون فلا
تعملون ان من هذا شانه المطّرد فى هذا العهد البعيد مستحيل ان يفترى على الله عزّ وجل
وتحكم على كافة الخلق بالاوامر والنّواهى الموجبة لسلب الاموال وسفك الدّماء ونحو ذلك
وان ما اتى به وحى مبين تنزيل من ربّ العالمين قوله عز وجل **فمن اظلم ممّن افترى على الله**
كذبا استفهام انكارى معناه الجحد اى لا احد اظلم منه على معنى انّه اظلم من كلّ ظالم وان كان
سبك التركيب مفيد الانكار ان يكون احد اظلم منه من غير تعرّض لانكار المساوات ونفيها فانّه
اذا قيل من كلّ عالم وزيادة فقوله تعالى كذبا مع ان الافتراء لا يكون الّا كذلك للايذان بان
ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عليه السّلام عليه صريحا مع كونه افتراء على الله تعالى كذب فى نفسه
فرب افتراء يكون كذبه فى الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه
عليه السّلام فى التفادى ممّا ذكر من الافتراء على الله سبحانه **او كذّب باياته** فكفر بها وهذا
تظليم للمشركين بتكذيبهم للقرٰان وحملهم على انّه من جهته عليه السّلام والفاء لترتيب الكلام على
ما سبق من بيان كون القرٰان بمشيئته تعالى وامره فلا محال بحمل الافتراء على الافتراء باتخاذ الولد
والشريك اى واذا كان الامر كذلك فمن افترى عليه تعالى بان يختلق كلاما فيقول هذا من عند الله
او يبدّل بعض اياته تعالى ببعض كما تجوزون ذلك فى شانى وكذلك ومن كذب باياته تعالى
كما تفعلونه اظلم من كلّ ظالم **انّه** الضمير للشان وقع اسمًا لان والخبر ما يعقبه من الجملة ومدار وضعه
موضعه ادّعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصديرها به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه
من زيادة تقريره فى الذّهن فان الضّمير لا يفهم منه من اوّل الامر الّا شان مبهم له خطر فيبقى الذّهن
مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكانه قيل ان الشّان هذا اى **لا يفلح**
المجرمون اى لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين فيندرج فيه المفترى

والمكذب

والمكذّب اندراجا اوّليا **ويعبدون من دون الله** حكاية لجناية اخرى لهم نشات عنها جناياتهم
الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى عليهم الاية عطف قصّة على قصّة ومن دون متعلّق
بيعبدون ومحله النّصب على الحالية من فاعله اى متجاوزين الله سبحانه لا بمعنى ترك عبادته بالكليّة
بل عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينًا لعبادة الاصنام كما يفصح عنه سياق النظم الكريم **ما لا يضرّهم**
وما لا ينفعهم اى ما ليس من شانه الضّر والنّفع من الاصنام التى هى جمادات وما موصولة او
موصوفة وتقديم نفى الضّرر لانّ ادنى احكام العبادة دفع الضرر الذى هو اوّل المنافع والعبادة
امر حادث مسبوق بالعدم الّذى هو مظنة الضرر فحيث لم يقدر الاصنام على الضرر لم يوجد
لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضرّهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها كان
اهل الطّائف يعبدون اللات واهل مكة عزى ومنات وهبل واسافا ونائلة **ويقولون هؤلاء**
شفعاؤنا عند الله عن نضر بن الحرث اذا كان يوم القيمة يشفع لى اللات قيل انهم كانوا يعتقدون
ان المتولى لكل اقليم روح معيّن من ارواح الافلاك فعينوا لذلك الرّوح صنما معيّنا من الاصنام
واشتغلوا بعبادته ومقصودهم ذلك الرّوح ثم اعتقدوا ان ذلك الرّوح يكون عند الاله الاعظم
مشتغلا بعبودية وقيل انّهم كانوا يعبدون الكواكب فوضعوا لها اصنامًا معينة واشتغلوا
بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انّهم وضعوا طلسمات معينة على تلك الاصنام ثم تقربوا
اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم واكابرهم وزعموا انّهم متى اشتغلوا بعبادة
هذه التماثيل فان اولئك الاكابر تشفعون لهم عند الله تعالى **قل** تبكيتا لهم **اتنبّؤن الله**
بما لا يعلم اى اتخبرونه بما لا وجود له اصلا وهو كون الاصنام شفعاؤهم عند الله تعالى اذ لو كان
لعلمه علّام الغيوب وفيه تقريع وتهكم بهم وبما يدّعونه من المحال الذى لا يكاد يدخل تحت
الصّحة من والامكان وقرئ اتنبئونه بالتخفيف وقوله تعالى **فى السّموات ولا فى الارض** حال
من العايد المحذوف فى يعلمه مؤكّدة للنّفى لانّ ما لا يوجد فيهما فهو منتف عادة **سبحانه وتعالى**
عمّا يشركون عن اشراكهم المستلزم بتلك المقالة الباطلة او عن شركائهم الّذين يعتقدونهم
شفعاؤهم عند الله تعالى وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه من جملة القول المامور به وعلى الاوّل
هو اعتراض تذييلى من جهته سبحانه وتعالى وما كان النّاس الّا امّة واحدة بيان لان التوحيد
والاسلام ملة قديمة اجمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا وان الشرك وفروعه جهالات
ابتدعها الغواة خلافا للجمهور وشقا لعصا الجماعة واما حمل اتخاذهم على الاتفاق على الضّلال عند
الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار فممّا لا احتمال له اى وما كان النّاس كافة
من اوّل الامر الّا متفقين على الحق والتوحيد من غير اختلاف وذلك من عهد ادم الى ان قتل قابيل
هابيل وقيل الى زمن ادريس وقيل الى زمن نوح عليهما السّلام وقيل من حين الطّوفان حين
لم يذر الله من الكافرين ديّارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن ابرهيم عليه السّلام

الى ان ظهر عمرو بن يحي عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب وهو الانسب بايراد الايات الكريمة
اثر حكاية ما حكى عنهم من التهات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا بان كفر بعضهم
وثبت اخرون على ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الاخر لا ان كلا منهما احدث ملة على حدة
من ملل الكفر مخالفة لملة الاخر فان الكلام ليس فى ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل فلا يتصور
ان يقضى بينهما بابقاء المحق واهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافى امتداد زمان الاتفاق اذ المراد
بيان وقوع الاختلاف عقيب انصراف مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ولولا كلمة
سبقت من ربك بتاخير القضاء بينهم او بتاخير العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه
يوم الفصل لقضى بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك
المبطل وصيغة الاستقبال حكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار ويقولون حكاية
لجناية اخرى لهم معطوفة على قوله تعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم
الشنعاء والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة لولا انزل عليه اية من ربه ارادوا اية
من الايات التى اقترحوها كانهم لفرط العتو والفساد ونهاية التمادى فى المكابرة والعناد
لم يعدوا البينات النازلة عليه السلام من جنس الايات واقترحوا غيرها مع انه قد
انزل عليه من الايات الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم الى الانقياد والقبول لو كانوا
من ارباب العقول فقل لهم فى الجواب انما الغيب لله اللام للاختصاص العلمى دون التكوينى
فان الغيب والشهادة فى ذلك الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحوه وزعمتم انه من لوازم
النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله من الغيوب المختصة بالله سبحانه لا وقوف لى عليه فانتظروا
نزوله انى معكم من المنتظرين اى لما يفعل الله بكم الاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الايات
واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن الصارف عن انزال الايات المقترحة يا باه ترتيب
بالانتظار على اختصاص الغيب به تعالى واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء
مستهم اى خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد المساس الى الضراء بعد اسناد الاذاقة
الى ضمير الجلالة من الاداب القرانية كما فى قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظايره قيل
سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فطفقوا يطعنون
فى اياته مكر فى اياتنا اى بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال فى دفعها واذا الاولى شرطية
والثانية جوابها كانه قيل فاجوا وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفى متعلقة بالاستواء الذى
يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا اى اعجل عقوبة اى عذابه اسرع وصولا اليكم مما ياتى فى دفع الحق
وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها فى مقابلة مكرهم وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين يحفظون
اعمالكم والاضافة للتشريف يكتبون ما تمكرون اى مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام منهم
وتنبيه على ان ما دبروا فى اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال

فى الفعلين

فى الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددى والجملة تعليل من جهة تعالى لاسرعية مكره سبحانه غير داخل
فى الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل لما يمكرون من مبادى بطلان
مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وتلوين الخطاب بصرفه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم اليهم للتشديد فى التوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون تعليلا لما ذكر
او للامر هو الذى يسيركم كلام مستانف مسوق لبيان جناية اخرى لهم مبنية على ما مر انفا من
اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يقربهم من السراء والضراء اى يمكنكم من السير تمكينا مستمرا عند
الملابسة به وقبلها فى البر مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله عز وجل ثم اذا انتم بشر تنتشرون
والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك اى السفن فانه جمع فلك على زنة اسد جمع اسد لا على وزن قفل وغاية التسيير
ليست ركوبهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامه كما ينبئ عنه ايثار الكون المؤذن بالدوام على الركوب
المشعر بالحدوث وجرين اى السفن بهم بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان بما لهم
من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كانه يذكر لغيرهم مساوى احوالهم ليعجبهم منها ويستدعى منه الانكار
والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك اذا كان بعضكم فيها
اذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون فى البر فالضمير الغايب عايد الى ذلك المضاف المقدر كما فى قوله
تعالى او كظلمات فى بحر لجى يغشيه اى او كذى ظلمات يغشيه موج بريح طيبة لينة الهبوب
موافقة لمقصودهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب
للريح الطيبة اى تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فان الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئا للريح
اخرى عادة بل هو اشتداد للريح الاولى وقيل للفلك والاول اظهر لا يستلزمه للثانى من غير عكس لان
الهبوب على طريقة الريح اللينة تعد مجيئا من كل مكان ولان التهويل فى بيان استيلائها على ما فرحوا به و
علقوا به حبال رجائهم اكثر ريح عاصف اى ذات عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة
الى الفارق وقيل الريح قد تذكر وجاءهم الموج فى الفلك من كل مكان اى امكنة مجئ الموج عادة
ولا بعد فى مجيئه من جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه من جهة هبوب الريح فقط بل قد
يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق وظنوا انهم احيط بهم اى هلكوا فان ذلك مثل فى الهلاك
واصله احاطة العدو بالحى او سدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل من ظنوا بدل
اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه الاذهان كانه قيل
فماذا صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من الهتهم لا مخصصين
للدعاء به تعالى فقط بل للعبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين
له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اى قائلين والله لئن انجيتنا من هذه
الورطة لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التى من جملتها هذه النعمة المسؤلة
وقيل الجملة مفعول دعوا لان الدعا من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعاء الثانى

لاقتضاء دعائهم على ذلك فقط وفى قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة فى الدلالة على كونهم ثابتين فى الشكر
متابرين عليه فى سلك المنعوتين بالشكر الراسخين فيه ما ليس فى ان يقال لنشكرن **فلما انجاهم** مما
غشيهم من الكربة والفاء للدلالة على سرعة الاجابة **اذا هم يبغون فى الارض** اى ماجوا الفساد فيها
وسارعوا اليه مترادفين فى ذلك متجاوزين عما كانوا عليه من حدود العبث من قولهم بغى الجرح اذا
ترامى فى الفساد وزيادة فى الارض للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد
والاستمرار وقوله تعالى **بغير الحق** تاكيد لما يفيده البغى او معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان
يكون ذلك ظلما ظاهرا لا يخفى قبحه على احد كما فى قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير الحق واما ما قيل
من انه للاحتراز عن البغى بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده
النظم الكريم لابتنائه على كون البغى بمعنى افساد صورة الشئ وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق
بحال المفسرين **يا ايها الناس** توجيه للخطاب الى اولئك الباغين للتشديد فى التهديد والمبالغة فى
الوعيد **انما بغيكم** الذى تتعاطونه وهو مبتداء وقوله تعالى **على انفسكم** خبره اى عليكم فى الحقيقة
لا على الذين تبغون عليهم وان ظن كذلك وقوله تعالى **متاع الحيوة الدنيا** بيان لكون ما فيه
من المنفعة العاجلة شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل
مقدر بطريق الاستيناف اى تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع الحال اى متمتعين
بالحيوة الدنيا والعامل هو الاستقرار الذى فى الخبر لا نفس البغى لانه يؤدى الى الفصل بين المصدر و
معموله بالخبر ولا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وانت خبير بانه لبس فى تقييد كون بغيهم على
انفسهم بحال تمتعهم بالحيوة الدنيا معنى يعتد به وقيل على انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اى زمن متاع
الحيوة الدنيا وفيه ما مر بعينه وقيل على انه مفعول لفعل دل عليه المصدر اى تبغون متاع الحيوة
الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغى بمعنى الطلب وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم لان
الاستيناف لبيان سوء عاقبة ما حكى عنهم من البغى المفسر بالافساد المفرط اللائق بحالهم فاى مناسبة
بينه وبين البغى بمعنى الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقيل على انه
مفعول له اى لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه ان المعلل بما ذكر نفس
البغى لا كونه على انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اى تبغون لاجل متاع الحيوة الدنيا
على ان الجملة مستانفة وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف لغو متعلق به والمراد بالانفس
الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم متاع الحيوة الدنيا محذور او ظاهر
الفساد او نحو ذلك وفيه ما مر من ابتنائه على ما لا يليق بالمقام من كون البغى بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه
على العلة اى انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان له وجه
فى الجملة لكن الحق الذى يقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر والظرف صلة
للمصدر او خبر ثان او خبر لمبتداء محذوف اى هو متاع الخ كما فى قوله عز وجل الا ساعة من نهار **بلاغ**

اى هذا بلاغ فالمراد بانفسهم على الوجه الاول ابناء جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هزا لشفقتهم عليهم وحالهم
على ترك ايثار التمتع المذكور على حقوقهم ولا مجال للحمل على الحقيقة لان كون بغيهم ولا عليهم ليس بثابت عندهم
حسبما يقتضيه ما حكى عنهم ولم يخبر به حتى يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه متاعا مقصودا الافادة على ان
عنوان كونه وبالا عليهم قادح فى كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادى ثبوته للمبتداء كما هو المتبادر من السوق
واما كون البغى على ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادى التمتع من اخذ المال والاستيلاء
على الناس وغير ذلك اما على الوجهين الاخيرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان المبتدا اما نفس
البغى والضمير العايد اليه من حيث هو هو لا من حيث كونه وبالا عليهم كما فى صورة كون الظرف صلة
للمصدر فتدبر وقرئ متاعا الحيوة الدنيا اما نصب متاعا فعلى ما مر واما نصب الحيوة فعلى انه بدل
اشتمال وقيل على انه مفعول به لمتاعا اذ لم يكن انتصابه على المصدرية لان المصدر المؤكد لا يعمل
عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن
ناكثا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال الله تعالى
انما بغيكم على انفسكم وما يمكرون الا بانفسهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه وعنه صلعم اسرع الخير ثوابا
صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله تعالى فى الدنيا البغى وعقوق
الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغى **ثم الينا مرجعكم**
عطف على ما مر من الجملة المستانفة المقدرة كانه قيل تتمتعون متاع الحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا
وانما غير السبك الى الجملة الاسمية مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر **فينبئكم
بما كنتم تعملون** فى الدنيا على الاستمرار من البغى وهو وعيد بالجزاء العذاب كقول الرجل لمن
يتوعده ساخبرك بما فعلت وفيه نكتة حقيقة مبنية على حكمة ابية هى ان كل ما يظهر فى هذه النشاة
من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مغايرة لصورته الحقيقية التى بها يظهر فى النشاة الاخرة
فان المعاصى مثلا سموم قاتلة قد برزت فى الدنيا بصور يستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعات مع
كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم بصور مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات فالبغى فى هذه النشاة وان برز بصورة تشتهيها البغاة ويستحسنها الغواة
لتمتعهم به من حيث اخذ المال والتشفى من الاعداء ونحو ذلك لكن ذلك ليس بتمتع فى الحقيقة بل هو تضرر
من حيث لا يحتسبون وانما يظهر لهم ذلك عند ابراز ما كانوا يعملونه من البغى بصورة الحقيقية المضادة
لما كانوا يشاهدونه على ذلك من الصورة وهو المراد بالتنبئة المذكورة والله سبحانه اعلم **انما مثل
الحيوة الدنيا** كلام مستانف سيق لبيان شان الحيوة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع
الموعود وقد شبه حالها العجيبة الشان البديعة المثال المنتظمة لغرابتها فى سلك الامثال فى سرعة تقضيها
وانصرام نعيمها غب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض من انواع النبات فى زوال رونقها و
نضارتها فجاءة وذهابها حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعد ما كانت مخضرة طرية قد التفت بعضها ببعض

وزيّنت الارض بالوانها وبعوت بعد ضعفها بحيث طمع النّاس وظنّوا انّها سلمت من الحوايج وليس المشتّبه
به ما دخله الكاف فى قوله عزّ وجل كماء انزلناه من السّماء فاختلط به نبات الارض بل
ما يفهم من الكلام فانّه من التشبيه المركّب ممّا ياكل النّاس والانعام من البقول والزّروع والحشيش حتّى
اذا اخذت الارض زخرفها جعلت الارض فى تزيّنها بما عليها من اصناف النباتات واشكالها والوانها
المختلفة المونقة اخذه زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التى قد اخذت من الوان الثياب والزين فتزيّنت
بها وازّيّنت اصله تزيّنت فادغم وقرئ على الاصل وازينت كاغيلت من غير اعلال والمعنى صارت ذات
زينة وازيانت كابياضت وظنّ اهلها انّهم قادرون عليها متمكّنون من حصدها ورفع غلّتها اتاها
امرنا جواب اذا اى ضرب زرعها ما يجاحه من الآفات والعاهات ليلًا او نهارًا فجعلناها اى زرعها
وساير ما عليها حصيدا اى شبيهًا بما حصد من اصله كان لم تغن كانّه لم يغن زرعها والمضاف محذوف
للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل بالامس اى فيما قبل بزمان قريب فانّ الامس مثل فى ذلك كانّه
قيل لم تغن آنفا كذلك اى مثل ذلك التفصيل البديع نفصّل الآيات اى الآيات القرانيّة
الّتى من جملتها هذه الآيات المنبّهة على احوال الحيوة الدنيا اى نوضحها ونبيّنها لقوم يتفكرون
فى تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانّهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالآيات
ما ذكر فى اثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكىّ ايجادًا
واعداما فانّها آيات وعلامات يستدلّ بها من يتفكر على احوال الحيوة الدّنيا حالا ومآلا والله
يدعوا الى دار السّلام ترغيب للنّاس جميعًا الى دار السّلامة عن كلّ مكروه وآفة وهى الجنّة وانّما ذكرت
بهذا الاسم لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معروضا للآفات اوالى دار الله تعالى وتخصيص الاضافة
التشريفيّة بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك اوالى دار يسلّم الله تعالى والملئكة فيها على من
يدخلها او يسلّم بعضهم على بعض ويهدى من يشاء هدايته منهم الى صراط مستقيم موصل اليها
وهو الاسلام والتزوّد بالتقوى وفى تعميم الدّعوة وتخصيص الهداية بالمشيّة دليل على ان الامر غير
الارادة وان من اصرّ على الضّلالة لم يرد الله رشده للّذين احسنوا اى اعمالهم اى عملوها على الوجه
اللّايق وهو جنسها الوصفىّ المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسّره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله
ان تعبد الله كانّك تراه فان لم يكن يراه فانّه يراك الحسنى اى المثوبة الحسنى وزيادة اى وما
يزيد على المثوبة تفضّلا كقوله عزّ اسمه ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر
امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنّة والزيادة
اللّقاء ولا يرهق وجوههم اى لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلّة اى اثر هوان وكسف
بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النّار ولا يرهق ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير
للتحقير اى شئ منهما والجملة مستانفة لبيان امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والثانى وان
اقتضى الاوّل الّا انّه ذكر اذكارا بما ينقذهم الله تعالى منه برحمة وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام

ببيان ان المصون من الرهق اشرف اعضائهم وللتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر بقى النفس
مترقّبة لوروده فعند وروده عليها يتمكن عندها فضل تمكن ولان فى الفاعل ضرب تفصيل كما فى
قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله عزّ وجل وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين
اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتّصافهم بالصّفات المذكورة وما فى اسم الاشارة من معنى
البعد للايذان بعلوّ درجتهم وسموّ طبقتهم اى اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجميليّة الفائزون
بالمثوبات الناجون من المكاره اصحاب الجنّة هم فيها خالدون بلا زوال دائمون بلا انتقال
والّذين كسبوا السّيّئات اى الشرك والمعاصى وهو مبتداء بتقدير المضاف خبره قوله تعالى
جزاء سيّئة بمثلها اى جزاء الذين كسبوا السيّئات اى يجازى سيّئة واحدة بسيّئة مثلها لا يزاد
عليها كما يزاد فى الحسنة وتغيير السّبك لمراعات ما بين الفريقين من كمال التّنافى والتباين وايراد
الكسب للايذان بان ذلك انّما هو لسوء صنيعهم وبسبب جنايتهم على انفسهم والموصول معطوف
على الموصول الاوّل كانّه قيل وللّذين كسبوا السّيّئات جزاء سيّئة بمثلها كقولك فى الدّار زيد
والحجرة عمرو وفيه دلالة على ان المراد بالزيادة الفضل وترهقهم ذلّة واى ذلّة كما ينبئ عنه التنوين
التفخيمىّ وفى اسناد الرهق الى انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعًا وقرئ
يرهقهم بالياء التحتانيّة ما لهم من الله من عاصم اى لا يعصمهم احد من سخطه تعالى وعذابه
او ما لهم من عنده تعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفى نفى العاصم من المبالغة فى نفى العصمة ما لا يخفى
والجملة مستانفة او حال من ضمير ترهقهم كانّما اغشيت وجوههم قطعًا من اللّيل لفرط سوادها و
ظلمتها مظلمًا حال من اللّيل والعامل فيه اغشيت لانّه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور و
العامل فى الموصوف عامل فى الصّفة او معنى الفعل فى من اللّيل وقرئ قطعا بسكون الطّاء وهو طائفة
من اللّيل قال افتحى الباب وانظرى فى النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم فيجوز كون مظلما صفة له
او حالا منه وقرئ كانّما يغشى وجوههم قطع من اللّيل مظلم والجملة كما قبلها مستانفة او حال من ضمير
ترهقهم اولئك اى الموصوفون بما ذكر من الصّفات الذميمة اصحاب النّار هم فيها خالدون
وحيث كانت الآية الكريمة فى حق الكفّار بشهادة السياق والسّباق لم يكن فيها تمسّك للوعيديّة ويوم
نحشرهم كلام مستانف مسوق لبيان بعض آخر من احوالهم الفظيعة وتاخيره فى الذكر مع تقدّمه فى
الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان ان باستقلال كلّ من السّابق واللاحق بالاعتبار ولو
روعى الترتيب الخارجىّ لعدّ الكلّ شيئا واحدًا كما مرّ فى قصّة البقرة ولذلك فصل عمّا قبله ويوم منصوب
على المفعوليّة بمضمر اى انذرهم او ذكّرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الّذين احسنوا والّذين كسبوا
السيّئات لانّه المتبادر من قوله تعالى جميعًا ومن افراد الفريق الثانى بالذكر فى قوله تعالى ثمّ نقول
للّذين اشركوا اى نقول للمشركين من بينهم ولانّ توبيخهم وتهديدهم على رؤس الاشهاد افظع والاخبار
بحشر الكلّ فى تهويل اليوم ادخل وتخصيص وصف اشراكهم بالذكر فى حيّز الصّلة من بين ساير ما اكتسبوه

من السيّات لابتناء التوبيخ والتفريع عليه مع ما فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم وعمدة سيّاتهم وقيل للفريق
الثانى خاصّة فيكون وضع الموصول موضع الضمير لما ذكرانفا **مكانكم** نصب على انه فى الاصل ظرف
لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو راى الفارسى اى الزموا حتى تنظروا ما يفعل بكم
انتم تاكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده مسده **وشركاؤكم** عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو
بمعنى مع **فزيّلنا** من زلت الشئ عن مكانه اى ازلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية وقرئ فزيلنا بمعناه
نحو كلّمته وكالمته وهو معطوف على نقول وايثار صيغة الماضى للدّلالة على التحقق المورث لزيادة التوبيخ
والتحسير والفاء للدّلالة على وقوع التنزيل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهملة ايذانا بكمال رخاوة
ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اى فرقنا **بينهم** وقطعنا اقرانهم والوصل التى كانت بينهم
فى الدّنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء للشياطين كما سيجيئ
فخابت امالهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم الياس الكلّى من حصول ما كانوا يرجونه من جهتهم
والحال وان كانت معلومة لهم من حين الموت والابتداء بالعذاب لكن هذه المرتبة من اليقين انما
حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتنزيل التفريق الحسّى اى فباعدهم بعد الجمع فى الوقف
وتبرء شركائهم منهم ومن عبادتهم كما فى قوله تعالى اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلّوا عنا قالوا وحينئذ
فى قوله تعالى **وقال شركاؤهم** حاليّة بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيرهم لا عاطفة كما فى
التفسير الاوّل لاستدعاء المحاورة المحاضرة الفائتة بالمباعدة وليس فى ترتيب التنزيل بهذا المعنى
على الامر بلزوم المكان ما فى ترتيبه عليه بالمعنى الاوّل من النكتة المذكورة ليصار لاجل رعايتها الى تغيير
الترتيب الخارجىّ فان المباعدة بعد المحاورة حتما واما قطع الاقران والعلايق فليس كذلك بل ابتداؤه
حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانّما الحاصل عند المحاورة اقصاها كما اشير اليه
فلا اعتداد بما فى تقديمه من التغيير لا سيّما مع رعاية ما ذكر من النكتة ولو سلم تاخّر جميع مراتبه من المحاورة
فمراعاة تلك النكتة كافية فى استدعاء تقديمه عليها ويجوز ان يكون حالية على هذا التقدير ايضا
والمراد بالشركاء قيل الملئكة وعزير والمسيح وغيرهم ممّن عبدونه من اولى العلم ففيه تاييد لرجوع الضمير
الى الكل وقولهم **ما كنتم ايّانا تعبدون** عبارة عن تبريهم من عبادتهم وانهم انّما عبدوا فى الحقيقة
اهواءهم وشياطينهم الّذين اعودهم لانّها الامرة لهم بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت وليّنا
من دونهم الاية وقيل الاصنام ينطقها الله الّذى انطق كلّ شئ فتشافههم بذلك مكان الشفاعة الّتى
كانوا يتوقعونها **فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم** فانه العليم الخبير **ان كنّا عن عبادتكم لغافلين**
اى عن عبادتكم لنا وتركه للظهور وللايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والّا
فعدم شعور الملئكة بعبادتهم لهم غير ظاهر وهذا يقطع احتمال كون المراد بالشّركاء الشّياطين كما قيل
فان ارتضاءهم باشراكهم ممّا لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من انّ واللام
فارقة **هنالك** اى فى ذلك المقام الدهش او فى ذلك الوقت على استعارة ظرف المكان للزمان **تبلو**

اى

اى تختبر وتذوق **كل نفس** مؤمنة كانت او كافرة سعيدة او شقيّة **ما اسلفت** من العمل وتعاينه
بكنهه مستتبعا لاثاره مع نفع او ضرّ وخيرا وشر واما ما علمت من حالها من حين الموت والابتلاء بالعذاب
فى البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اى نعاملها معاملة من يبلوها و
يتعرّف احوالها من السّعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت من العمل ويجوز ان يراد نصيب بالبلاء
اى العذاب كلّ نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشرّ فيكون ما منصوبة بنزع الخافض وقرئ تتلو اى تتبع
لان عملها هو الذى يهديها الى طريق الجنّة او الى طريق النّار او تقرا فى صحيفة اعمالها ما قدمت من
خير او شرّ وردّوا الضمير للذين اشركوا على انّه معطوف على زيّلنا وما عطف عليه وقوله عزّ وجل
هنالك تبلو الى اخره اعتراض فى اثناء الحكاية مقرّر لمضمونها **الى الله** اى الى جزائه وعقابه **مولاهم** ربهم
الحقّ اى المتحقق الصّادق ربوبيّته لا ما اتخذوه ربّا باطلا وقرئ الحقّ بالنصب على المدح كقولهم
الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكّد **وضلّ عنهم** وضاع اى ظهر ضياعه وضلاله انّه كان قبل
ذلك غير ضال او ضلّ فى اعتقادهم ايضا **ما كانوا يفترون** من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون
انها الهة هذا وجعل الضّمير فى ردّوا للنفوس المدلول عليها بكلّ نفس على انّه معطوف على تبلو وان
العدول الى الماضى للدّلالة على التحقق والتقرر وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعالى
يكون على طريقة الاجتماع لا يلايمه التعرّض لوصف الحقيقة فى قوله تعالى مولاهم الحق فانّه للتّعريض
بالمراد ودبن حسبما اشير اليه ولئن اكتفى فيه بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على معنى العدل فى الثواب
والعقاب فقوله عزّ وجل وضلّ عنهم ما كانوا يفترون ممّا لا مجال فيه للتدارك قطعا فانّ ما فيه
من الضماير الثّلثه للمشركين فيلزم التفكيك حتما وتخصيص كلّ نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوى
للكل يابا ه مقام تهويل المقام والله تعالى اعلم قل اى لاولئك المشركين الّذين حكيت احوالهم وبيّن
ما يؤدى اليه اعمالهم احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك **ويرزقكم**
من السّماء والارض اى منها جميعا فان الارزاق تحصيل باسباب سماويّة ومواد ارضيّة او من كلّ واحد
منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف اى من اهل السّماء والارض **ام من**
يملك السّمع والابصار ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاوّل لكن لا على طريقة
الابطال بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام اخر تنبيها على كفاية فيما هو المقصود
اى من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة العجيبة او من يحفظهما من الافات مع كثرتها وسرعة
انفعالهما من ادنى شئ يصيبهما **ومن يخرج الحىّ من الميت ويخرج الميّت من الحىّ** اى ومن يحيى
ويميت او من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان **ومن يدبّر الامر** اى ومن يلى تدبير
امر العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض ما اندرج تحته من الامور الظّاهرة بالذكر **فسيقولون** بلا
تلعثم ولا تاخير **الله** اذ لا مجال للمكابرة لغاية وضوحه والخبر محذوف اى الله يفعل ما ذكر من الافاعيل
لا غيره **فقل** عند ذلك تبكيتا لهم **افلا تتقون** الهمزة لانكار عدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما انّ

اياك لا بمعنى انكار الوقوع كما فى اضرب ابى والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اى اتعلمون
ذلك فلا تتقون انفسكم عذابه الذى ذكر لكم بما تتعاطونه من اشراككم به ما لا يشاركه فى شئ مما ذكر
من خواص الالهية. فذلكم فذلكم لما تقدم اى ذلكم الذى اعترفتم باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ
وقوله تعالى الله خبره وقوله تعالى ربكم اى مالككم ومتولى اموركم على الاطلاق بدل منه
او بيان له وقوله تعالى الحق صفة اى ربكم الثابت ربوبيته والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه فماذا
يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام على اسم الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعنى
الذى اى ما الذى بعد الحق اى غيره بطريق الاستعارة واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول
واما لزيادة التقرير ومراعات كمال المقابلة بينه وبين الضلال والاستفهام انكارى بمعنى انكار الوقوع
ونفيه اى ليس غير الحق الا الضلال الذى لا يختاره احد فحيث ثبت ان عبادة من هو منعوت
بما ذكر من النعوت الجميلة حق ظهر ان ما عداها من عبادة الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما و
انما سميت ضلالا مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار ابتنائها على ما هو ضلال محض من الاعتقاد
والرأى هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال
هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا بعد الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اى الباطل الضائع
المضمحل وانما سمى بالمصدر مبالغة كانه نفس الضلال والضياع وهذا انسب بقوله تعالى وضل عنهم
ما كانوا يفترون على التفسير الثانى فانى تصرفون استفهام انكارى بمعنى انكار الواقع واستبعاده
والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس فى توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد من
ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق
البرهانى كما مر مرارا والفاء لترتيب الانكار على ما قبله اى كيف تصرفون من الحق الذى لا محيد
عنه وهو التوحيد الى الضلال عن السبيل المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة
ربكم الحق الثابت ربوبيته الى عبادة الباطل الذى سمعتم ضلاله وضياعه فى الاخرة وفى ايثار صيغة
المبنى للمفعول ايذان بان الانصراف من الحق الى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بارادته وانما يقع
عند وقوعه بالقسر من جهة صارف خارجى كذلك اى كما حقت الربوبية لله تعالى او كما انه
ليس بعد الحق الا الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على
الذين فسقوا اى تمردوا فى الكفر وخرجوا من اقصى حدوده انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او
تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب قل هل من شركائكم احتجاج اخر على حقية التوحيد
وبطلان الاشراك باظهار كون شركائهم بمعزل من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من
بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا باستقلال فى اثبات المطلوب
والسؤال للتبكيت والالزام وقد جعلت هلية الاعادة وتحققها لوضوح مكانها وسنوح برهانها
بمنزلة بدء الحق فنظمت فى سلكه حيث قيل من يبدؤ الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما وجودا وعلما

يستلزم الاعتراف به الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر صلى الله عليه
وسلم بان يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده اى هو يفعلهما لا غير
كائنا ما كان لا بان ينوب عليه السلام عنهم فى ذلك كما قيل لان القول المامور به غير ما اريد
منهم من الجواب وان كان مستلزما له اذ ليس المسؤل عنه من يبدؤ الخلق ثم يعيده كما فى قوله تعالى
قل من رب السموات والارض قل الله حتى يكون القول المامور به عين الجواب الذى اريد منهم
ويكون عليه السلام نائبا عنهم فى ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدأ والاعادة من شركائهم
فالجواب المطلوب منهم لا لا غير نعم امر صلى الله عليه وسلم بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه وتحتمه واشعارا
بانهم لا يجترئون على التصريح به مخافة التبكيت والقام الحجر لا مكابرة ولجاجا فتدبر واعادة الجملة فى الجواب
بتمامها غير محذوفة الخبر كما فى الجواب السابق لمزيد التاكيد والتحقيق فانى تؤفكون الافك
الصرف والقلب عن الشئ وقد يخص بالقلب عن الرأى وهو الانسب بالمقام اى كيف تقلبون من
الحق الى الباطل والكلام فيه كما ذكر فى تصرفون قل هل من شركائكم احتجاج اخر على ما ذكر
الزاما لهم غب الزام وافحام اثر افحام وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله من يهدى الى
الحق اى بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب المعبودية الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال الرسل
والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل مخل بما تقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن
الهداية على وجه خاص لا يستلزم العجز عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى
الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على ان المنتهى غاية للهداية وانما لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق
ولذلك استعمل بهما ما اسند الى الله تعالى حيث قيل قل الله يهدى للحق اى هو يهدى له دون
غيره وذلك بما ذكر من نصب الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر
وغير ذلك من فنون الهداية والكلام فى الامر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر افمن يهدى الى الحق
وهو الله عز وجل احق ان يتبع ام من لا يهدى بكسر الهاء اصله يهتدى فادغم وكسرت الهاء لالتقاء
الساكنين وقرئ بكسر الياء اتباعا لها لحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء نقلا لحركة التاء اليها اى لا يهدى بنفسه
فضلا عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى وانما نفى عنه الاهتداء مع ان المفهوم مما سبق
نفى الهداية لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالبا فان من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره فى
الجملة وادناها كونه قدوة له بان يراه فيسلك من حيث لا يدرى والفاء لترتيب الاستفهام على ما
سبق من تحقق هدايته تعالى صريحا وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المبنى
عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق لا لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع فى
بعض المواقع فان ذلك مختص بالانكارى كما فى قوله تعالى افمن اتبع رضوان الله الى اخره ونحوه والهمزة
متاخرة فى الاعتبار وانما تقديمها فى الذكر لاظهار عراقتها فى اقتضاء الصدارة كما هو راى الجمهور حتى
لو كان السؤال بكلمة اى لاخرت حتما الا ترى الى قوله تعالى فاى الفريقين احق بالامن اثر تقدير

ما يلجئ المشركين الى الجواب من حالهم وحال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرى لا نهدى بمعنى لا يهدى لجبلته
لازمًا او لا يهدى غيره وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكي والتقدير
افمن يهدى الى الحق احق ان يتبع ممن لا يهدى ام من لا يهدى احق الخ واما بمعنى حقيق كما اختاره ابو
حيان واياما كان فالاستفهام للالزام وان يتبع في حيز النصب او الجر بعد حذف الجار على الخلاف المعروف
اى بان يتبع **الا ان يهدى** استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى يهدى او لا يهدى غيره في حال من الاحوال
الا حال هدايته تعالى له الى الاهتداء او الى هداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم من الملئكة
والمسيح وعزير عليهم السلام وقيل المعنى ام من لا يهدى من الاوثان الى مكان فينقل اليه الا ان ينقل
اليه او الا ينقله الله تعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه وقرئ الا ان يهدى من
التفعيل للمبالغة **فما لكم** اى اى شئ لكم في اتخاذكم هؤلاء شركاء لله سبحانه وتعالى والاستفهام
للانكار التوبيخي وفيه تعجب من حالهم وقوله تعالى **كيف تحكمون** اى بما يقتضى صريح العقل ببطلانه
انكار لحكمهم الباطل وتعجب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على ما ظهر من
وجوب اتباع الهادى الى الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر في حق من يعكس جوابه
الصحيح فيحكم باحقية من لا يهدى بالاتباع دون من يهدى وهم ليسوا حاكمين باحقية شركائهم
لذلك دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقها جميعا مع رجحان جانبه تعالى حيث يقولون هؤلاء
شفعاؤنا عند الله قلت حكمهم باستحقاقهم تعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم بعدم استحقاقه
تعالى بطريق الاستقلال فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تعالى من حيث لا يحتسبون
وما يتبع اكثرهم كلام مبتداء غير داخل في حيز الامر مسوق من قبله تعالى لبيان فهمهم لمضمون
ما افحمهم والفهم الجم من البرهان النير الموجب لاتباع الهادى الى الحق الناعى عليهم ببطلان حكمهم
وعدم تاثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اى ما يتبع اكثرهم في معتقداتهم ومحاوراتهم
الا ظنا واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان يسلكوا مسالك الادلة الصحيحة
الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فيفهموا مضمونها او يقفوا على صحتها وبطلان
ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل
لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون لهم في اثنائه
اتباع لفرد العلم والتفات اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم قد يتبعون
العلم فيقفون على حقية التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيحصل بالنسبة
اليهم التاثر من البرهان المزبور وان لم يظهروه وكونهم اشد كفرا واكثر عذابا من الفريق الاكثرهم
الاول لا يقدح فيما يفهم من فحوى الكلام عرفا من كون اولئك اسوء حالا من غيرهم اذ المعتبر
سوء الحال من حيث الفهم والادراك لا من حيث الكفر والعذاب او وما يتبع اكثرهم مدة عمرهم الا ظنا ولا
يتركونه ابدا فان حرف النفى الداخل على المضارع يفيد استمرار النفى بحسب المقام فالمراد بالاتباع حينئذ

هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم مع مشاركة
المعاندين لهم في ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما سياتي هذا وقيل المعنى
وما يتبع اكثرهم في اقرارهم بالله تعالى الا ظنا غير مستند الى برهان وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم
للاصنام انها الهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فتامل قيل الضمير في اكثرهم للناس فلا حاجة الى
التكليف **ان الظن لا يغنى من الحق** من العلم اليقين والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع **شيئا** من
الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استيناف لبيان شان الظن وبطلانه
وفيه دلالة على وجوب العلم في الوصول وعدم جواز الاكتفاء بالتقليد **ان الله عليم بما
يفعلون** وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكى عنهم من الاعراض عن البراهين القاطعة
والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب لتشديد
الوعيد **وما كان هذا القران** شروع في بيان ردهم للقران الكريم اثر بيان ردهم للادلة العقلية
المندرجة في تضاعيفه اى وما صح وما استقام ان يكون هذا القران المشحون بفنون الهدايات
المستوجبة للاتباع التى من جملتها ما اتيك الحجج البينة الناطقة بحقية التوحيد وبطلان الشرك
ان يفترى من دون الله اى افتراء من الخلق اى مفترى منهم سمى بالمصدر مبالغة **ولكن تصديق
الذى بين يديه** من الكتب الالهية المشهود على صدقها كيف لا وهو لكونه معجزا دونها
عيار عليها شاهد بفتحها ونصبه بانه خبر كان مقدرا وقد جوز كونه علة لفعل محذوف تقديره
لكن انزله الله تصديق الخ وقرئ بالرفع على تقدير المبتداء ولكن هو تصديق الخ **وتفصيل الكتاب**
عطف عليه نصبا ورفعا اى وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق والشرائع لا ريب خبر ثالث
داخل في حكم الاستدراك اى منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان كان مضافا اليه فانه
مفعول في المعنى او استيناف لا محل له من الاعراب **من رب العالمين** خبر اخرى كائنا من
رب العالمين او متعلق بتصديق او تفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب فيه اعتراض كما في
قولك زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او من الضمير في فيه ومساق الاية الكريمة بعد
المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه **ام يقولون افتراه** اى بل ايقولون افتراه محمد
عليه السلام والهمزة لانكار الواقع او استبعاده **قل** تبكيتا لهم واظهارا للبطلان مقالاتهم الفاسدة
ان كان الامر كما تقولون **فاتوا بسورة مثله** اى في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى
على وجه الافتراء فانكم مثلى في العربية والفصاحة واشد تمرنا منى في النظم والعبارة وقرئ بسورة
مثله على الاضافة اى بسورة كتاب مثله **وادعوا** للمظاهرة والمعاونة **من دون الله** دعاءه
والاستعانة به من التهكم التى تزعمون انها ممدة لكم في المهمات والملمات ومدار حكم الذين يلجاون
الى ارائهم في كل ما تاتون وما تذرون **من دون الله** متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء
وقد مر تفصيله في قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله اى ادعوا سواه تعالى من استطعتم من

خلقه فانّه لايقدر عليه احد واخراجه سبحانه من حكم الدّعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم
فى عروة المضادة والمشاقه لا لبيان استبداده تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم
لو دعوه تعالى لاجابهم اليه **ان كنتم صادقين** اى فى انّى افتريته فان ذلك مستلزم لامكان
الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه **بل كذّبوا**
بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار بطلان ما قالوا فى حقّ القران العظيم بالتحدى الى
اظهاره ببيان انّه كلام ناشئ عن جهلهم لشانه الجليل فيما عبارة عن كله لا عمّا فيه من ذكر البعث
والجزاء وما يخالف دينهم كما قيل فانّه ممّا يجب تنزيه ساحة التنزيل عن مثله اى سارعوا الى
تكذيبه اثر ذى اثير من غير ان يتدبّروا فيه ويقفوا على ما فى تضاعيفه من الشواهد الدّالة على
كونه كما وصف انفا ويعلمون انّه ليس ممّا يتمكن ان يكون له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير
عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذّبوا به من غير ان يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان
بكمال جهلتهم به وانّهم لم يعلموه الا بعنوان عدم العلم به وبان تكذيبهم به انّما هو بسبب عدم علمهم
به لما ان ادارة الحكم على الموصول مشعرة بعليّة ما فى حيّز الصّلة له **ولما ياتهم تاويله** عطف
على الصّلة او حال من الموصول اى ولم يقفوا بعد على تاويله ولم يبلغ اذهانهم معاينة الرائقة المبنيّة
على علوّ شانه والتعبير عن ذلك باتيان التاويل للاشعار بان تاويله متوجه الى الاذهان
مساق اليها بنفسه او لم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبيّن انّه صدق
ام كذب والمعنى ان القران معجز من جهة النظم والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجؤا
تكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا فى معناه او ينظروا وقوع ما اخبر به من الامور
المستقبلة ونفى اتيان التاويل بكلمة لما الدّالة على التوقيع بعد النفى الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتاكيد
الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة فى تكذيب الشئ قبل علمه المتوقع اتيانه افحش منها فى تكذيبه
قبل علمه مطلقا والمعنى انّه كان يجب عليهم ان يتوقفوا الى زمان وقوع المتوقع فلم يفعلوا واما ان
المتوقّع قد وقع بعد وانّهم استمروا بعد ذلك ايضا على ما هم عليه اولا فلا يتعرض له ههنا و
الاستشهاد عليه بعدم انقطاع الذّم او ادّعاء ان قولهم افتراه تكذيب بعد التدبر ناشئ عن عدم
التدبر كيف لا وهم لم يقولوه بعد التحدى بل قبله وادعاء كونه مسبوقا بالتحدى الوارد فى سورة
البقرة يرده انّها مدنية وهذه مكية وانّما الذى يدلّ عليه ما سلى عليك من قوله تعالى ومنهم
من يؤمن به ومنهم الخ وقوله تعالى **كذلك** الى اخره وصف لحالهم المحكى وبيان لما يؤدى اليه
من العقوبة اى مثل ذلك التكذيب المبنىّ على بادى الرّاى والمجازفة من غير تدبّر وتامّل **كذّب**
الذين من قبلهم فعلوا التكذيب او كذّبوا ما كذّبوا من المعجزات التى ظهرت على ايدى انبيائهم
او كذب انبياءهم **فانظر كيف كان عاقبة الظّالمين** وهم الّذين من قبلهم من المكذّبين
وانّما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليّة الاصابة ما اصابهم من سوء

العاقبة وبدخول هؤلاء الظّالمين فى زمرتهم خبرما ووعيدا ودخولا اوليا وقوله عزّ وجل منهم
الى اخره وصف لحالهم بعد اتيان التّاويل المتوقع اذ حينئذ يتمكن تنويعهم الى المؤمن به وغير
المؤمن ضرورة امتناع الايمان بشئ من غير علم به واشتراك الكلّ فى التّكذيب والكفر به قبل ان
ذلك حسبما افاده قوله تعالى بل كذّبوا بما لم يحيطوا بعلمه اى ومن هؤلاء المكذّبين **من يؤمن**
به عند الاحاطة بعلمه واتيان تاويله وظهور حقيّة بعد ما سعوا فى المعارضة ورازوا قواهم
فيها فتضاءلت دونها او بعد شاهدوا وقوع ما اخبر كما اخبر به مرارا ومعنى الايمان به
اما الاعتقاد بحقيته فقط اى يصدق به فى نفسه ويعلم انّه حق ولكنه يعاند ويكابر هؤلاء هم
الذين اشير بقصر اتباع الظّن على اكثرهم الى انهم يعلمون الحقّ على التفسير الاوّل اشير اليه بالقصر
المذكور على التفسير الثانى الى انهم سيتبعون الحق كما مرّ **ومنهم من لا يؤمن به** اى لا يصدق
به فى نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته المانع عن الاحاطة بعلمه كما ينبغى وان كان فوق
مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة عقله واختلال تميزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة
الظنون والاوهام التى الفها فيبقى على ما كان عليه من الشك وهذا القدر من الاحاطة واتيان
التّاويل كاف فى مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرّة وهؤلاء هم الّذين اريدوا فيما سلف بقوله
عز وجل وما يتبع اكثرهم الّا ظنّا على التفسير الاوّل او لا يؤمن به فيما سياتى بل يموت على كفره معاندا
كان او شاكا وهم المستمرّون على اتباع الظّن على التفسير الثانى من غير اذعان للحق وانقياد له
وربّك اعلم بالمفسدين اى بكلا الفريقين على الوجه الاوّل لا بالمعاندين فقط كما قيل لاشتراكهما
فى اصل الفساد المستدعى لاشتراكهما فى الوعيد او بالمصرّين الباقين على الكفر على الوجه الثانى من
المعاندين والشاكين وان كذّبوك اى اتموا على تكذيبك واصروا على حسبما اخبر عنهم بعد الزام
الحجّة بالتحدى **فقل لى عملى ولكم عملكم** اى تبرّا منهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان
عصوك فقل انى برئ والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف
اليهم باعتبار الاتحاد النوعى ولمراعات كمال المقابلة **انتم بريئون ممّا اعمل وانا برئ ممّا**
تعملون تاكيد لما افاده لام الاختصاص من عدم تعدى جزاء العمل الى غير عامله اى لا يؤاخذون
بعلى ولا على اواخذكم بعملكم ولما فيه من ايهام المشاركة وعدم التعرّض لهم قيل انه منسوخ باية
السّيف **ومنهم من يستمعون اليك** بيان لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم
وانما جمع الضّمير الراجع الى الكلمة من رعاية بجانب المعنى كما افرد فيما سياتى محافظة على ظاهر اللفظ و
لعلّ ذلك للايمان الى كثرة المستمعين بناء على عدم توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر
من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اى ومنهم ناس يستمعون اليك عند قرائتك القران وتعليمك
للشرايع **افانت تسمع الصّمّ** همزة الاستفهام انكارية والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما لترتيب
انكار الاستماع على الاستماع كما هو راى سيبويه والجمهور على ان يجعل تقديم الهمزة على الاقتضائها

الصّدارة كما تقرّر فى موضعه بل لانكار ترتبية عليه حسبما هو المعاد لكن لابطريق العطف على الفعل
المذكور لادابه الى اختلال المعنى لانه امّا صلة او صفة وايّاما كان فالعطف عليه يستدعى دخول
المعطوف فى حيّزه وتوجّه الانكار اليه من تلك الحيثيّة ولاريب فى فساده بل بطريق العطف
على مقدر مفهوم من فحوى النظم كانّه قيل ايستمعون اليك فانت تسمعهم لا انكار الاستماعهم
فانه امر محقق بل انكار الوقوع الاستماع عقيب ذلك وترتّبه عليه حسب العادة الكليّة بل
نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصّم موضع ضميرهم ووضعهم بعدم الفعل بقوله عزّوجل ولو
كانوا لايعقلون اى ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصمّ العاقل ربما تعرس اذا وصل
الى صماخه صوت وامّا اذا اجتمع فقدان السّمع والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك
ويعاين دلائل نبوتك الواضحة افانت اى عقيب ذلك انت تهدى العُمى ترتبية لانكار
هدايتهم وابراز الوقوعها فى معرض الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لايبصرون
اى لو انضم الى عدم البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك
هى البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر ويتفطن لما لايدركه البصير الاحمق فحيث اجتمع فيهم
الحمق والعمى فقد انسد عليهم باب الهدى وجواب لو فى الجملتين محذوف لدلالة قوله تعالى
تسمع الصم تهدى العمى عليه وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها فى الفحوى كلتاهما فى موضع
الحال معمول الفعل السابق اى فانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون افانت تهدى العمى لو كانوا
يبصرون اى على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى فى الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية
عليهما دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوى فلان يتحقق عند
عدمه او عند تحقق المانع الضّعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى لو وان الوصلتين من التاكيد
وقد مرّ الكلام فى قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظايره مرارا ان الله لايظلم النّاس اشارة الى
ان ما حكى عنهم من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند
الى الله عزّوجل من خلقهم مؤفى المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم اى لاينقصهم شيئا مما
ينط به مصالحهم الدينيّة والدنيويّة وكمالاتهم الاولويّة والاخرويّة من مبادى ادراكاتهم
واسباب علومهم من المشاعر الظّاهرة والباطنة والارشاد الى الحقّ بارسال الرّسل وانزال الكتب
بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشئ اصلا ولكن النّاس وقرئ بالتخفيف ورفع النّاس وضع
الظّاهر موضع الضّمير لزيادة تعيين وتقرير اى لكنّهم بعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له و
اعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرّسل والكتب انفسهم يظلمون اى ينقصون
ما ينقصون مما يخلون به من مبادى كمالهم وذرائع اهتدائهم وانّما لم يذكر لما ان مرمى الغرض
انما هو قصر الظلم على انفسهم لابيان ما يتعلق به الظّلم والتعبير عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا
بالكليّة وابطالا بالمرّة لمراعات جانب قرينته وقوله عزّوجل انفسهم تاكيد للنّاس فيكون بمنزلة

ضمير

ضمير الفصل فى قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظّالمين فى قصر الظّالميّة عليهم وامّا مفعول
ليظلمون حسبما وقع فى ساير المواقع وتقديمه عليه بمجرّد الاهتمام به مع مراعات الفاصلة من غير
قصد المظلوميّة عليهم على راى من لايرى التقديم موجبا للقصر فيكون كما فى قوله سبحانه وتعالى
وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظّلم لاعلى الفاعل ولاعلى المفعول وامّا على راى من يراه
موجبا له فلعلّ ايثار قصرها دون قصر الظّالميّة عليهم للمبالغة فى بيان بطلان افعالهم وسخافة
عقولهم لما ان اقبح الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول واشدهما انكارا عند الفعل ونفرة لدى
الطبع واوجبهما حذرا منه عند كل احد هو المظلوميّة لاالظالميّة على ان قصر الاولى عليهم مستلزم
لما يقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة انّه اذا لم يظلم احد من النّاس الانفسه
يلزم ان لايظلمه الاّ نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم كون ذلك الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان
لايظلم احد الاّ نفسه فاكتفى بالقصر الاوّل عن الثانى مع رعاية ما ذكر من الفائدة وصيغة المضارع
للاستمرار نفيا واثباتا فان حرف النّفى اذا دخل على المضارع يفيد بحسب المقام استمرار النفى لانفى
الاستمرار الايرى ان قولك ما زيدا ضربت يدل على اختصاص النفى لاعلى الاختصاص وسياق
الاية الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفى للاستقبال والمثبت للاستمرار
والمعنى ان الله لايظلمهم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا فان مباشرتهم المستمرة للسيّات
الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين فالاية الكريمة تذييل لما سبق ويوم يحشرهم
منصوب بمضمر وقرئ بالنّون على الالتفات اى اذكر لهم او انذرهم يوم يحشرهم كان لم
يلبثوا اى كانهم لم يلبثوا الاّ ساعة من النّهار اى شيئا قليلا منه فانها مثل فى غاية القلة وتخصيصها
بالنهار لان ساعته اعرف حالا من ساعات اللّيل والجملة فى موقع الحال من ضمير المفعول اى
يحشرهم متشبّهين فى احوالهم الظاهرة للنّاس بمن لم يلبث فى الدّنيا ولم يتقلّب فى نعيمها الاّ ذلك
القدر اليسير فان من اقام بها دهرا وتمتع بمتاعها لايخلو عن بعض اثار نعمة واحكام بهجة منافية
لما فيهم من رثاثة الهياة وسوء الحال او بمن لم يلبث فى البرزخ الاّ ذلك المقدار وفائدة التقييد
بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل واظهار بطلان استبعادهم
وانكارهم بقولهم ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ونحو ذلك او بيان تمام الموافقة
بين النشاتين فى الاشكال والصور فان قلّة اللبث فى البرزخ من موجبات عدم التبدّل و
التغيير فيكون قوله عزّوجل يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف مع طول العهد
ينقلب تناكرا وعلى الاوّل يكون استينافا اى يعرف بعضهم بعضا كانهم يتعارفوا الاّ قليلا
وذلك اوّل ما خرجوا من القبور ثم ذهاب على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة فيما بينهم فيما بينهم
ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة للصّور والاشكال
المبدّلة لها من حال الى حال قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله شهادة من الله سبحانه

وتعالى على خسرانهم وتعجب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول والتعبير عنهم بالموصول مع
كون المقام مقام اضمار لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى ان
مطلق الحساب والجزاء او حسن اللقاء فالمراد بالخسران الوضعية والمعنى وضعوا في تجارتهم ومعاملاتهم
واشترائهم الكفر بالايمان والضلالة بالهدى ومعنى قوله تعالى وما كانوا مهتدين ما كانوا عارفين
باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان سوء اللقاء فالخسران الهلاك والضلال اى قد ضلوا وهلكوا
بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة **واما نرينك** اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط
ومن ثمة اكد الفعل بالنون اى ننصرنك بان نظهر لك **بعض الذى نعدهم** اى وعدناهم من العذاب
وتعجله في حيوتك فترا ه والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد
والاستمرار اى نعدهم وعدا متجددا حسبما يقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفي تخصيص البعض
بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض الموعود وقد اراه يوم بدر **او نتوفينك** قبل ذلك **فالينا مرجعهم**
اى كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدناهم او لا فالينا مرجعهم في الدنيا والاخرة فننجز ما وعدناهم
البتة وقيل المذكور جواب للشرط الثاني كانه قيل فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وجواب
الاول محذوف لظهوره اى فذاك **ثم الله شهيد على ما يفعلون** من الافعال السيئة التي حكيت
عنهم والمراد بالشهادة اما مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالى اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق
الجوارح واظهار اسم الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد وقوى ثمة اى هناك
ولكل امة من الامم الخالية **رسول** يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق
فاذا جاء رسولهم فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه **قضى بينهم** اى بين كل امة ورسولها
بالقسط بالعدل وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا
معذبين حتى نبعث رسولا **وهم لا يظلمون** في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لانه من نتايج
اعمالهم او ولكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف
ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله عز وجل وجئ بالنبيين والشهداء وقضى بينهم **ويقولون**
متى هذا الوعد استعجالا لما وعدوا من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يرشد
اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقت مجيئه على وجه الالزام في سورة الملك **ان كنتم صادقين** اى في انه
ياتينا والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الايات المتضمنة للوعد
المذكور وجواب الشرط محذوف اعتمادا على ما تقدمه حسبما حذف في مثل قوله تعالى فاتنا بما تعدنا
ان كنت من الصادقين فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا عجلة ان كنتم
صادقين ولما فيه من الاشعار بكون اتيانه بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم قيل **قل لا املك لنفسي**
ضرا ولا نفعا اى لا اقدر على شئ منهما بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم لاظهار العجز
عنه واما ذكر النفع فلتوسيع الدائرة تكملة للعجز وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار باهميته

والمقام

والمقام مقامه والمعنى انى لا املك شيئا من شيئ ني ردا وايرادا مع ان ذلك اقرب حصولا فكيف املك
شيئا نكم حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود **الا ما شاء الله** استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله كائن
وحمله على الاتصال على معنى الا ما شاء الله ان املكه يا باه مقام التبرء عن ان يكون له عليه السلام دخل
في اتيان الوعد فان ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام و
جعل ما عبارة عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد
على ان يكون المعنى لا املك لنفسي شيئا من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع
المترتبين على افعال الاختيارية كالضر والنفع المرتبتين على الاكل والشرب عدما ووجودا
تعسف ظاهر وقوله تعالى **لكل امة اجل** بيان لما ابهم في الاستثناء وتقييد لما في القضاء
السابق من الاطلاق المشعر بكون المقتضى به امرا منجزا غير متوقف على شئ غير مجئ الرسول وتكذيب
الامة فمن قضى بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب بعذابهم
يحل بهم عند حلوله **اذا جاء اجلهم** ان جعل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه
ظاهر وان اريد به ما امتد اليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هناك يتحقق مجيئه بتمامه
والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة المعنى المقصود
الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة اكتساب الاجل
بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم اجالهم بان يجئ كل واحدة من تلك
الامم اجلها الخاص بها وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار في موقع الاضمار لزيادة
التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اى اذا جاءها اجلها الخاص بها **فلا يستاخرون**
عن ذلك الاجل **ساعة** اى شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة اى لا يتاخرون عنه
اصلا وصيغة الاستقبال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له **ولا يستقدمون** اى لا يتقدمون
عليه وهو عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتاخر بل للمبالغة
في انتفاء التاخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله تعالى سبحانه وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار فان
من مات كافرا مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور
الموت ايذانا بتساوي وجود التوبة ح وعدمها بالمرة كما مر في الاعراف وقد جوز ان يراد بمجئ الاجل
دنوه بحيث يمكن التقدم في الجملة كمجئ اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد
عدم الاستئخار بدنوه مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام
لان المقصود الاهم بيان عدم خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتاخر واما في قوله تعالى
ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هناك بيان سر
تاخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل

فسوف يعلمون فالام اذ ذاك بيان انتفاء السبق كماذكرهناك قل لهم تهكما بهم كيفية جريان سنة
الله تعالى عز وجل فيما بين الامم على الاطلاق وسهم على انّ عذابهم امرمقرر محتوم لايتوقف الا على
مجئ اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة ارايتم اخبرونى ان اتيكم عذابه
الّذى يستعجلون به بياتًا اى وقت بيات واشتغال بالنوم اونهارًا اى عند اشتغالكم بمشاغلكم
حسبما عيّن لكم من الاجل المقتضى المشية التّابعة للحكمة كما عين لساير الامم المهلكة قوله عزّ وجل ماذا
يستعجل منه المجرمون جواب للشّرط بحذف الفاء كما فى قولك ان اتيتك ماذا تطعمنى والمجرمون
موضوع موضع المضمر لتاكيد الانكار ببيان مباينته حالهم للاستعجال فان حق المجرم ان يهلك
فزعًا من اتيان العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطيّة متعلّقة بارايتم والمعنى اخبرونى ان اتاكم
عذابه تعالى اىّ شئ تستعجلون منه سبحانه والشئ لا يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة
فى انكار استعجاله باخراجه عن حيّز الامكان وتنزيله فى الاستعجالة بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرّر
اتيانه ودنوّه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار بمنزلة النّهى فى قوله عزّ وعلا اتى
امر الله فلا تستعجلوه خلا ان التّنزيل هناك صريح وهناك كما فى قول من قال لغريمه الّذى يتقضاه حقه
ارايت ان اعطيتك حقّك فماذا تطلب منى يريد المبالغة فى انكار التقاضى بنظمه فى سلك التقاضى بعد
الاعطاء بناء على تنزيل تقرّر منزلة نفسه وقوله عز وجل اثم اذا ما وقع امنتم به انكار لايمانهم
بنزول العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع ما قبله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت
القول المامور به اى ابعد ما وقع العذاب وحلّ بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكار
التّاخيره الى هذا الحدّ وايذانا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعون عما هم عليه من العناد ويتوجهوا
نحو التدارك قبل فوت الوقت فتقديم الظّرف للقصر وقيل ماذا استعجل منه متعلق بارايتم وجواب
الشرط محذوف اى تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه والشرطيّة اعتراض مقرّر لمضمون الاستعجا
وقيل الجواب قوله تعالى اثم اذا ما وقع الى آخره والاستفهاميّة الاولى اعتراض والمعنى اخبرونى ان
اتاكم عذابه امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ثم جئ بكلمة التراخى دلالة التّراخى دلالة
على الاستبعاد ثم زيد اداة الشرط دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاوّل كالتمهيد له وجئ
باذا مؤكدا بما ترشيحا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وانّهم لم يؤمنوا الّا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة
وقوله تعالى الان استيناف من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون
ماسبق على ارادة القول اى قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الان آمنتم به انكارا للتاخير
وتوبيخا عليه ببيان انّه لم يكن ذلك لعدم سبق الانذار به ولا للتامّل والتدبر فى شانه ولا شئ
اخر مما عسى يعد عذرا فى التّاخير بل كان ذلك على طريق التكذيب والاستعجال به على وجه الاستهزاء
وقرئ الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقوله تعالى وقد كنتم به تستعجلون اى تكذيبا
واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل امنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم والتحسير

وتقديم

وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى ثم قيل الى اخره تاكيد
للتّوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبيل الآن للّذين ظلموا اى
وضعوا الكفر والتّكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب والهلاك و
وضع الموصول موضع الضّمير لذمهم بما فى حيّز الصّلة والاشعار بعلّيته لاصابة ما اصابهم ذوقوا عذاب
الخلد المولم على الدوام هل تجزون اليوم الّا بما كنتم تكسبون فى الدّنيا من اصناف الكفر والمعاصى
التى من جملتها ما مرّ من الاستعجال ويستنبئونك اى يستخبرونك فيقولون على طريقة الاستهزاء
والانكار احقّ هو احق خبر قدّم على المبتداء الذى هو الضّمير للاهتمام به ويؤيده قوله تعالى
انه الحقّ او مبتداء والضمير مرتفع به سادّ مسدّ الخبر والجملة فى موقع النّصب بيستنبئونك و
قرئ الحق هو تعريضا بانّه باطل كانّه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الّذى سمّيتموه الحقّ قل لهم
غير ملتفت الى استهزائهم مغضبا عما قصدوا وبانيا للامر على اساس الحكمة اى وربّى اى من حرف
الايجاب بمعنى نعم فى القسم خاصّة كما ان هل بمعنى قد فى الاستفهام خاصّة ولذلك يوصل بواوه انّه
اى العذاب الموعود لحق لثابت البتة اكد الجواب باتم وجوه التّاكيد حسب شدة انكارهم وقوّته
وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عزّ اسمه وما انتم بمعجزين اى بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق
بكم لا محالة وهو امّا معطوف على جواب القسم او مستانف سيق لبيان عجزهم من الخلاص مع ما فيه
من التقرير المذكور ولو انّ لكلّ نفس ظلمت بالشّرك او التعدى على الغير او غير ذلك من
اصناف الظلم ولو مرّة حسبما يفيده كون الصّفة فعلا ما فى الارض اى ما فى الدّنيا من خزائنها واموالها
ومنافعها قاطبة بما كثرت لافتدت به اى لجعلته فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه
واسرّوا اى النفوس المدلول عليها بكلّ نفس والعدول الى صيغة الجمع مع تحقق العموم فى صورة
الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما
سبق لتحقيق ما يتوخّى من فرض كون جميع ما فى الارض لكلّ واحد من النّفوس وايثار صيغة جمع
المذكر لحمل لفظ النفوس على الشّخص او لتغليب ذكور مدلوله على اناثه النّدامة على ما فعلوا من
الظّلم اى اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات ولات حين اصطبار بل لانّهم
بهتوا لمّا راوا العذاب اى عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاهوال ما لم يكونوا يحتسبون
فلم يقدروا على ان ينطقوا بشئ فلما بمعنى حين منصوب باسروا او حرف شرط حذف جوابه لدلالة
ما تقدم عليه وقيل اسروها واسروها ممّن اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم ولكن الامر
اشدّ من ان يعتبر بهم هناك شئ غير خوف العذاب وقيل اسرّوا النّدامة اخلصوها لانّ
اسرارهم اخلاصها او لان سرّ الشئ خالصة حيث تخفى وتضن بها ففيه تهكم بهم وقيل اظهروا
الندامة من قولهم اسرّ الشئ واشره اذا اظهره حين عيل صبره ومحى تجلده وقضى بينهم اى اوقع
القضاء بين الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظّلم بان اظهر الحقّ سواء كان من

حقوق الله سبحانه او من حقوق العبادة من الباطل وعومل اهل كلّ منهما بما يليق به **بالقسط** بالعدل
وتخصيص الظلم بالتعدّى وحمل القضاء على مجرّد الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير ان يتعرض
لحال المشركين وهم اظلم الظالمين لايساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك او
عما يدخل فيه دخولا اوليا **وهم** اى الظالمون فيما فعل بهم من العذاب بل هو مقتضيات ظلمهم و
لوازمه الضرورية **الا انّ لله ما فى السموات والارض** اى ما وجد فيهما داخلا فى حقيقتهما او
خارجا عنهما متمكنا فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء
وبيان لاندراج الكل تحت ملكوت يتصرف فيه كيفما يشاء ايجادا واعداما واثابة وعقابا **الا انّ
وعد الله** اظهار الاسم الجليل لتفخيم شان الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود اى
جميع ما وعد به كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذى استعجلوه وما ذكر فى اثناء بيان حاله اندراجا
اوليا او بمعناه المصدرى اى وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله تعالى **حق** على الاول ثابت واقع لامحالة
وعلى الثانى مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفى التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونهما المقرر
لمضمون ما سلف من الايات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه **ولكن اكثرهم**
لقصور عقولهم واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة **لا يعلمون** ذلك فيقولون
ما يقولون ويفعلون ما يفعلون **هو يحيى ويميت** فى الدنيا من غير دخل لاحد فى ذلك **واليه
ترجعون** فى الاخرة بالبعث والحشر **يا ايها الناس** التفات ورجوع الى استمالتهم نحو الحق واستنزالهم
الى قبوله واتباعه غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلى عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء
عاقبتهم وايذان بان جميع ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم **قد جاءتكم موعظة** هى والوعظ
والعظة التذكير بالعواقب سواء كان بالزجر والترهيب او باستمالة والترغيب وكلمة من فى قوله
تعالى **من ربكم** ابتدائية متعلقة بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اى
موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفى التعرض لعنوان الربوبية من حسن المواقع ما لا يخفى **وشفاء لما
فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين** اى كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فانه كاشف عن احوال
الاعمال حسناتها وسيئاتها مرغب فى الاولى ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف الحقة التى هى
شفاء لما فى الصدور من الادواء القلبية كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقايد
الزائغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلايل المنصوبة فى الافاق و
الانفس فى مجيئه رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من
دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان والتنكير فى الكل للتفخيم **قل** تلوين للخطاب وتوجيه
له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليامر الناس بغتنموا ما فى مجئ القران من الفضل والرحمة واما لجنس
وهما داخلان فيه دخولا اوليا والباء متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته
وتكرير الباء فى رحمته للايذان باستقلالها فى استيجاب الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة

القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فصار **بفضل الله وبرحمته فليفرحوا** ثم قيل فبذلك
فليفرحوا للتاكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثانى عليه والفاء الاولى جزائية والثانية
للدلالة على السببية والاصل ان فرحوا بشئ فبذلك ليفرحوا لا بشئ اخر ثم ادخل الفاء للدلالة على
السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد فى اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى
ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان يتعلق الباء
بجاءتكم اى جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اى فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا وقرئ
اى فافرحوا وعن ابى كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل وبرحمته فقال
بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه هو اى ما ذكر من فضل الله ورحمته
خير مما يجمعون من حطام الدنيا تجمعون اى فبذلك فليفرح المؤمنون هو خير مما تجمعون
ايها المخاطبون **قل ارايتم** اى اخبرونى **ما انزل الله لكم من رزق** ما منصوبة المحل بما بعدها
او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما حل لهم وجعله منزلا لانه مقدر فى السماء محصل
هوا وما يتوقف عليه وجودا او بقاء باسباب سماوية من المطر والكواكب فى الانضاج والتلوين
فجعلتم منه اى جعلتم بعضه **حراما** اى حكمتم بانه حرام **وحلالا** اى وجعلتم بعضه حلالا
اى حكمتم بجعله مع كون كله حلالا وذلك قولهم هذه انعام وحرث حجر الاية وقولهم ما فى بطون هذه
الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام على الحلال لظهور اثر الجعل
فيه ودوران التوبيخ عليه **قل** تكرير لتاكيد الامر بالاستخبار اى اخبرونى **آلله اذن لكم** فى
ذلك الجعل فانتم فيه ممتثلون بامره تعالى **ام على الله تفترون** ام متصلة والاستفهام للتقرير
والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل ام لم يأذن لكم بل يفترون عليه سبحانه
فاظهر الاسم الجليل وقدم على الفعل دلالة على كمال قبح افترائهم وتاكيد التبكيت اثر تاكيد مع مراعاة
الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال
من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما يفيده همزتها من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتقريره
وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز ان يكون للقصر كانه قيل بل على الله تعالى خاصة تفترون
وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مسوق من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه
غير داخل تحت القول المامور به والتعبير عنهم بالموصول فى موقع الاضمار لقطع احتمال الشق
الاول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون
الا كذبا لاظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذبا فى اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية وقعت
مبتداء وظن خبرها ومفعولاه محذوفان فقوله عز وجل **يوم القيمة** ظرف لنفس الظن اى اى شئ
ظنهم فى ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازات عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله
وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم

من الامور التى ستقع يوم القيمة تنزيلا له ولما فيه من الاحوال لكمال ووضوح امره فى التقرر والتحقق منزلة
المسلم عندهم اى اى شئ ظنهم لما سيقع يوم القيمة ايحسبون انهم لا يسالون عن افترائهم او لا يجازون
عليه او يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفى اشد العذاب لان معصيتهم
اشد المعاصى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا وقرئ على لفظ الماضى اى اى ظن ظنوا يوم القيمة وايراد
صيغة الماضى لانه كائن فكانه قد كان ان الله لذو فضل اى عظيم لا يكتنه كنهه على الناس اى
جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال
الرسل وبين لهم الاسرار التى لا تستقل العقول فى ادراكها وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد
ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون
دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه
يوم القيمة فلا يلتفتون اليه فيقعون فيما يقعون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما تكون فى
شان اى فى امر من شانت شانه اى قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول وما تتلو منه الضمير
للشان والظرف صفة لمصدر محذوف اى تلاوة كائنة من الشان اذ هى معظم شؤونه عليه السلام
او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شانه ومن ابتدائية او تبعيضية او لله عز وجل ومن
ابتدائية فى قوله تعالى من قران مزيدة لتاكيد النفى وابتدائية على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية
على الثانى والثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمقتدى الكل وقد روعى فى كل من
المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير
الا كنا عليكم شهودا استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلثة اى ما تلابسون
بشئ منها فى حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اذ تفيضون فيه اى
تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة
الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضى ايضا اوثر فى الاستثناء صيغة الماضى وفى الظرف كلمة
اذ التى تفيد المضارع معنى الماضى وما يعزب عن ربك اى لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفى التعرض
لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاء من مثقال ذرة كلمة من
مزيدة لتاكيد النفى اى ما يعزب عنه ما يساوى فى الثقل نملة صغيرة او هباء فى الارض ولا فى السماء
اى فى دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس فى احدهما او متعلقا بهما وتقديم
الارض لان الكلام فى حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلهما وقوله
ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا فى كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها
وفى كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر
لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب عن ربك شئ ما لكن
جميع الاشياء فى كتاب مبين فكيف يعزب عنه شئ وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلا ويعزب

بمعنى

بمعنى يبين ويصدر والمعنى لا يبعد عنه تعالى شئ الا وهو فى كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح
المحفوظ الا ان اولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد لما هو نتيجة لاعمال المبين وغاية لما ذكر
قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته فى كل ما يأتون وما يذرون واحاطة علمه
سبحانه بجميع ما فى السماء والارض وكون الكل مثبتا فى الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة حال
المفترين على الله تعالى يوم القيمة وما يستقر بهم من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد
والوعيد وصدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولى لغة القريب
والمراد باولياء الله تعالى خلص المؤمنين لقربهم الروحانى منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه
تفسيرهم لا خوف عليهم فى الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب
اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم
خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما
لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصار الجد والسعى فى اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص
والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا
لما مر مرارا من ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما
لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك
مما لا ريب فى حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من
الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهى بمعزل من الانتظام فى سلك مقصدهم
وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله تعالى عز وجل
الذين آمنوا اى بكل ما جاء من عند الله تعالى وكانوا يتقون اى يقون انفسهم عما يحق وقايتها
من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل بيان وتفسير
لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستيناف المبنى على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر
لمبتدا محذوف كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين
الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح او
على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح فى ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منها
الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقى عن الشرك التى يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن كل ما يؤثم
من فعل وترك اعنى تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهو التقوى الحقيقى
المامور به فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل الشهود والحضور والقرب
الذى عليه يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال كل من دخل معه عليه الصلوة والسلام تحت
الخطاب بقوله عز وجل ولا تعملون من عمل خلا ان لهم فى شان التبتل والتنزه درجات متفاوتة
حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الا ان اقصاها

انتهى اليه هم الانبياء عليهم السلام حتى جمعوا بذلك بين رياستى النبوة والولاية ولم يعهم التعلق بعالم
الاشباح عن الاستغراق فى عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق
لكمال الاستعداد ونفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية فلاك امر الولاية هو التقوى المذكور
فاولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون ويعرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان
وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله برؤيتهم
لما روى عن سعيد ابن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله تعالى فقال هم
الذين يذكر الله برؤيتهم اى بسمتهم واخباتهم وسكينتهم ولا ما قيل من انهم المتحابون فى الله لما روى
عن عمر رضى الله عنه انه قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان عباد الله عبادا ليسوا بانبياء
ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما
اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم
لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس فان ما ذكر من حسن
سمت والسكينة المذكرة لله تعالى والتحاب فى الله سبحانه من الاحكام الدنيوية اللازمة للايمان
والتقوى والاثار الخاصة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر لظهورها وقربها من افهام الناس فذاورد
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام الارشاد والتذكير ترغيبا للسائلين
اوغيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر هناك من احكامها فلعل الحاضرين ولا كانوا محتاجين الى
اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو ذلك والحاضرين ثانيا مفتقرين الى تاليف
قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم وبينهم من جهة النسب والقرابة وتاكيد ما بينهم
من الاخوة الدينية ببيان عظم شانها ورفعة مكانها وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها ويحبوا من
يوافقهم فى الدين من غير ارحامهم واما ما ذكر من انه يغبطهم الانبياء فتصوير لحسن حالهم على طريقة
التمثيل قال الكواشى وهذا مبالغة والمعنى لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل اولياء الله
الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وجعل قوله عز وجل الذين آمنوا وكانوا يتقون
تفسيرا لتوليهم اياه تعالى وقوله عز وعلا لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة تفسيرا
لتوليه تعالى اياهم ولا ريب فى ان اعتبار القيد الاخر فى مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب
المؤمنين فى تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم باثارها ونتايجها بل مخل بذلك اذ التحصيل
انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم
حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله حتى يعرفوا حصول الولاية لهم ويستبشروا
بمحاسن آثارها بل تولى بالكرامة عين نتيجة الولاية فاعتباره فى عنوان الموضوع ثم الاخبار بعدم
الخوف والحزن مما لا يليق بشان التنزيل الجليل فالذى يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير للاولياء
حسبما شرع والثانى بيان لما اولاهم من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما

وبالجملة

وبالجملة مستانفة كما سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم فى الدارين
وتقديم الاول وهو بيان انجائهم لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة
حق المقابلة بين حسن حال المؤمنين وسوء حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتيسير الخلاص عن
الاهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار
كمال العناية بتفسير الاولياء مع الايذان مع انتفاء الخوف والحزن لاتقائهم عما يؤدى اليهما
من الاسباب والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك
والآجلة الغنية عن البيان وايثار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان
فى موقع الحال منه والعامل ما فى الخبر من معنى الاستقرار اى لهم البشرى حال كونها فى الحيوة الدنيا
وحال كونها فى الاخرة اى عاجلة وآجلة او من الضمير المحذور اى حال كونهم فى الحيوة الى آخره ومن
البشرى العاجلة الثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابى ذر رضى الله عنه قلت يا رسول
الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقيل
البشرى مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى فى الدنيا فهى البشارات الواقعة للمؤمنين
المتقين فى غير موضع من الكتاب المبين وعن النبى صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة
يراها المؤمن او ترى له وعنه عليه الصلوة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن
عطاء لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملئكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملئكة الا تخافوا
ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى فى الآخرة فتلقى الملئكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز
والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحايف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير
ذلك من البشارات فيكون هذه بشارة بما سيقع من البشارات العاجلة والآجلة المطلوبة
لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان صرف البشارات الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسائلها مما
لا يساعده جلالة شان التنزيل الكريم لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله التى من جملتها
مواعيده الواردة بشارة للمؤمنين المتقين فيدخل فيها البشارات الواردة ههنا دخولا
اوليا ويثبت امتناع الاخلاف فيها ثبوتا قطعيا وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرؤيا الصالحة
فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم بينهما وبين نتايجها الدنيوية والاخروية بل عدم
الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما سياتى بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى
فتدبر ذلك اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى فى الدارين هو الفوز العظيم الذى لا فوز
وراءه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتى قبلها اعتراض بتحقيق بالمبشر به وتعظيم
شانه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله او هذه تذييل والسابقة اعتراض ولا
يحزنك قولهم تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من الاذية الناشية من
مقالاتهم الموحشة وتبشير له عليه السلام بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم اثر بيان ان له ولاتباعه

امنا من كل محذور وفوزا بكلّ مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو فى الحقيقة نهى له عليه السّلام
عن الحزن كانّه قيل لا يحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال امرك
وساير ما يتفوهون به فى شانك مما لا خير فيه وانّما وجه النهى الى قولهم للمبالغة فى نهيه عليه
السّلام عن الحزن لما ان النهى عن التّاثير نهى عن التاثير باصله ونفى له بالمرّة وقد يوجّه النهى
الى اللازم والمراد هو النّهى عن الملزوم كما فى قولك لا ارينك ههنا وتخصيص النّهى عن الحزن اللازم
بالايراد مع شمول النّفى السّابق للخوف ايضا لما انّه لم يكن فيه عليه السّلام شائبة خوف حتى ينهى
عنه وربما كان يعتريه عليه السّلام فى بعض الاوقات نوع حزن تسلّى عن ذلك وقوله تعالى
انّ العزّة تعليل للنهى على طريقة الاستيناف الى الغلبة والقهر **لله جميعا** اى فى ملكته وسلطانه
لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ولا يعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان
كذلك فهى من جملة البشرى ان العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل اى لان العزّة لله **هو
السّميع العليم** سمع ما يقولون فى حقك ويعلم ما يفرحون عليه وهو مكافيهم بذلك **الا انّ لله
من فى السّموات ومن فى الارض** اى العقلاء من الملئكة والثقلين وتخصيصهم بالذّكر للايذان
بعدم الحاجة الى تصريح بغيرهم فانهم مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين
تحت قدرته وهلكته فى عداهم من الموجودات اى بذلك وهو مع ما فيه من التّاكيد لما سبق
من اختصاص العزّة بالله تعالى الموجود لسلوته عليه السلام وعلم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم
تمهيد لما لحق من قوله تعالى **وما يتّبع الّذين يدعون من دون الله شركاء** وبرهان على بطلان
ظنونهم واعمالهم المبنية عليها وما امّا نافيه وشركاء مفعول يتّبع ومفعول يدعون محذوف
لظهوره اى ما يتبع الّذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فى الحقيقة وان سموها شركا فاقتصر
على احدهما الظهور دلالته على الآخر ويجوز ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول
يتبع محذوفا لاحضاره من قوله تعالى **ان يتّبعون الّا الظّنّ** اى ما يتبعون يقينا انّما يتبعون
ظنّهم الباطل وما موصولة معطوفة على من كانّه قيل ولله وما يتبعه الّذين يدعون من
دون الله شركاء اى وله شركاؤهم وتخصيصهم بالذّكر مع دخولهم فيما سبق عبارة او دلالة
للمبالغة فى بيان بطلان اتباعهم وفساد وما بنوه عليه من ظنهم شركاؤهم معبودين مع كونهم
عبيدا له سبحانه وما استفهامية اى شئ يتبعون اى لا يتبعون شيئا ما يتبعون الّا الظّنّ والخيال
الباطل كقوله تعالى ما تعبدون الا اسماء سمّيتموها الخ وقرئ تدعون بالتاء فالاستفهام للتبكيت
والتوبيخ كانّه قيل واىّ شئ يتبع الذين يدعونهم شركاء من الملئكة والنبيين تقريرا لكونهم
متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم فى ذلك كقوله تعالى اولئك الّذين
يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الغيبة فقيل ان يتبع هؤلاء المشركون
الّا الظنّ ولا يتبعون ما يتبعه الملئكة والنبيّون من الحق **وان انتم الّا يخرصون** يكذبون فيما ينسبونه

الله سبحانه ويحزنون ويقدرون انهم شركاء تقديرا باطلا **هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار
مبصرا** تنبيه على تقريره تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة الشّاملة ليدلّهم على توجه سبحانه باستحقاق
العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص
العزة به سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع والخلق فمبصرا حال والّا فلكم مفعوله الثانى وهو حال كما
فى الوجه الاوّل والمفعول الثانى لتسكنوا فيه او هو محذوف يدل عليه المفعول الثانى من الجملة
الثّانية كما انّ العلة الغائيّة منها محذوفة اعتمادا على ما فى الاوّل والتّقدير هو الّذى جعل لكم الليل
مظلمات لتسكنوا فيه والنّهار مبصرا لتحركوا فيه لمصالحكم كما يجئ نظيره فى قوله تعالى وان
يمسسك الله بضرّ فلا كاشف له الّا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية فحذف فى كل واحد
من الجانبين وما ذكر فى الآخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك واسناد الابصار الى النهار مجازى كالّذى فى نهاره
صائم **ان فى ذلك** اى فى جعل كل منهما كما فى وصف او فيهما وما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان
ببعد منزلة المشار اليه علو رتبته **لآيات** اى عجيبة كثيرة او آيات اخر غير ما ذكر **لقوم يسمعون**
اى هذه الآيات المتلوّة ونظائرها المسهمة على تلك الآيات التكوينيّة الامرة بالتّامّل فيها سماع
تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص الآيات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لما انّهم المنتفعون
بها **قالوا** شروع فى ذكر ضرب الآخر من اباطيلهم وبيان بطلانه **اتّخذ الله ولدا** اى تبناه **سبحانه**
تنزيه وتقديس له عمّا نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء **هو الغنىّ** على الاطلاق عن كل شئ
فى كلّ شئ وهو علة تنزهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من احكام الحاجة وقوله عزّ وجل
له ما فى السّموات وما فى الارض اى من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه تحقيق لمالكيته تعالى
لكل ما سواه وقوله تعالى ان عندكم من سلطان اى حجة بهذا اى بما ذكر من قولهم الباطل توضيح
لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان السّابق عن المعارض فمن فى من سلطان زائدة لتاكيد
النفى وهو مبتداء والظرف المقدّم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده على النفى وبهذا متعلق
امّا بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان وامّا بمحذوف وقع صفة له واما بما فى عندكم من معنى الاستقرار
كانه قيل ان عندك فى هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب لمزيد المبالغة فى
الالزام والافحام وتاكيد ما فى قوله تعالى **اتقولون على الله ما لا تعلمون** من التّوبيخ والتقريع على
جهلهم واختلافهم وفيه تنبيه على ان كلّ مقالة لا دليل عليها فهى جهالة وان العقائد لا بدّ
لها من برهان قطعىّ وان التقليد بمعزل من الاعتداد به **قل** تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليبيّن لهم سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم **انّ الّذين يفترون على الله
الكذب** اى فى كلّ امر فيدخل ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك اليه سبحانه
دخولا اوّليا **لا يفلحون** اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص عدم النجاة
والفوز بما يندرج فى ذلك من عدم النّجاة من النّار وعدم الفوز بالجنّة لا يناسبه مقام المبالغة

في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه متاع في الدّنيا كلام مستانف سيق لبيان ان مايرای فيهم بحسب
الظّاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدّنيويّة على الاطلاق او ضمن افترائهم بمعزل من ان
يكون من جنس الفلاح كانّه كيف لايفلحون وهم في غبطة ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدّنيا
وليس بفوز بالمطلوب ثمّ اسر انتفاء النجات عن المكروه ايضا بقوله عزّ وعلا ثمّ الينا
مرجعهم اى بالموت ثم نذيقهم العذاب الشّديد بما كانوا يكفرون فيبقون في الشقاء المؤبد
بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح وقيل المبتداء المحذوف حيوتهم
او تقلبهم وقد قيل انّه افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع انّما يطلق على ما يكون مطلوعًا عند النّفس مرغوبًا
فيه في نفسه يمتع وينتفع به وانّما عدم الاعتداد به سرعة زواله ونفس الافتراء عليه شئ
اقبح القبايح عند النّفس فضلا عن ان يكون مطبوعًا عندها وعدّ كذلك باعتبار اجراء حكم
ما يؤدى اليه من رياساتهم عليه مما لاوجه له فالوجه ما ذكرا ولا وليس ببعيد ما قيل ان المحذوف
هو الخبر اى لهم متاع لهم والاية اما مسوقة من جهة الله سبحانه لتحقيق عدم افلاحهم غير
داخلة في الكلام المامور به كما يقتضيه ظاهر قوله تعالى ثمّ الينا وقوله تعالى ثم نذيقهم واما داخلة
فيه على ان النبى صلى الله عليه وسلم مامور بنقله وحكايته عنه عزّ وجل واتل عليهم اى على
المشركين من اهل مكة وغيرهم لتحقيق ما سبق من انّهم لايفلحون وان ما يتمتعون به على جناح
الفوات وانهم مشرفون على العذاب الخالد نبأ نوح اى خبره الذى له شان وخطر مع قومه
الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد ليتدبّروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النّعيم وحلول
عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم لينزجروا بذلك عمّا هم عليه من الكفر او تنكسر شدّة
شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحّة نبوّتك بان عرفوا ان ما تتلوه موافقا لما ثبت عندهم من غير
مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك من احد ليس الّا بطريق الوحى وفيه من تقرير ما
سبق من كون الكل سبحانه واختصاص العزة به تعالى وانتفاء الخوف والحزن من اوليائه عزّ وعلا
قاطبة وتشجيع النبى صلى الله عليه وسلم وحمله عدم المبالات بهم وباقوالهم وافعالهم وما لايخفى
اذ قال معمول لنباء او بدل منه بدل اشتمال وايّاما كان فالمراد بعض نبائه لا كل ما جرى
بينه وبين قومه واللّام في قوله تعالى لقومه للتبليغ يا قوم ان كان كبر اى عظم وشق عليكم
مقامى اى نفسى كما يقال فعلته لمكان فلان اى لفلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربّه
او قيامى ومكثى بين ظهرانيكم مدة طويلة او قيامى وتذكيرى بايات الله فانهم كانوا اذا وعظوا
الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة قعود ليظهر حالهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب
للشرط اى دمت على تخصيص التوكل به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب
التوكّل فاجمعوا امركم عطف على الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع على التوكل لا لترتيب
نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية والاجماع العزم قيل هو متعدّ بنفسه

وقيل

وقيل فيه حذف وايصال قال السّدوسى اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقال ابو الهيثم اجمع
امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرّقا وتفرقة انه يقول مرّة افعل كذا واذا عزم على امر واحد فقد
جمعه اى جعله جميعًا وشركاءكم بالنّصب على انّ الواو بمعنى كما يدل عليه القراءة بالرّفع عطفًا
على الضّمير المتّصل تنزيلا للفصل منزلة التّاكيد واسناد الاجماع الى الشّركاء على طريقة التهكّم و
قيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اى امر شركائكم وقيل منصوب بفعل محذوف اى
وادعوا شركائكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اى فاعزموا على كم الّذى تريدون
بى من السّعى واهلاكى واحتشروا فيه على اىّ وجه يمكنكم ثمّ لا يكن امركم ذلك عليكم غمّة
اى مستورا من غمّه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فان الستر انّما يصار اليه لسد باب
تدارك الخلاص بالهرب او نحوه فحيث استحال ذلك في حقى لم يكن للسرّ وجه وانّما خاطبهم عليه
السّلام بذلك اظهارا لعدم المبالات بهم وانّهم لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما
وعده من عصمته وكلائته فكلمة ثمّ للتراخى في الترتبة واظهار الامر في موقع الاضمار لزيادة تقرير
يقتضيها مقام الامر بالاظهار الّذى يستلزمه النّهى عن الستر والاسرار وقيل المراد بامرهم ما يعتريهم
من جهته عم من الحال الشّديدة عليهم المكروهة لديهم والغمّة الغم كالكربة والكرب وثم للتراخى
الزّمانى والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمّة وتخلصوا باهلاكى من ثقل مقامى وتذكيرى ولا يخفى
انه لا يساعده قوله عزّ وجل ثمّ اقضوا الىّ ولا تنظرون اى ادّوا الىّ احكموا ذلك الامر الّذى تريدون
بى ولا تمهلونى كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا اليه ما هو حق عليكم عندكم
من اهلاكى كما يقتضى الرّجل غريمه فان توسيط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بالعزم على مباديه
وبين الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ افضوا بالفاء اى انتهوا الى بشركم
او ابرزوا الىّ من افضى اذا خرج الى الفضاء فان توليتم الفاء لترتيب التولى على ما سبق فالمراد
به ان الاستمرار عليه وامّا احداث التولى المخصوص اى ان اعترفتم من نصيحتى وتذكيرى اثر
ما شاهدتم منى مخائل صحّة ما اقول ودلائلها الّتى من جملتها دعوتى اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون
بى من السّوء غير مبال بكم وبما ياتيني منكم واحجامكم من الاجابة علما منكم بانى على الحقّ المبين مؤيد من عند
الله العزيز فان سألتكم بمقابلة وعظى وتذكيرى من اجر يؤدونه الىّ حتّى يؤدى ذلك الى
توليكم المؤدّى اما لاتهامكم اياى بالطّمع والسّؤال وامّا الثقل دفع المسؤل عليكم او حتّى يضرنى توليكم
المؤدى الى الحرمان فالاوّل لاظهار بطلان التولى ببيان عدم ما يصحّحه والثّانى لاظهار عدم
مبالاته عليه السّلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين فالفاء الجزائيّة سببيّة الشرط لاعلام مضمون
الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس فى مصحح له ولا تاثر منه وقوله عزّ وجل ان
اجرى الّا على الله ينظم المعنيين جميعًا خلا انه على الاوّل تاكيد وعلى الثّانى تعليل لاستغنائه
عم عنهم اى ما ثوابى على العظة والتذكير الّا عليه تعالى يثيبنى به امنتم او توليتم وامرت ان اكون

من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخاف امره ولا ارجو غيره او المستسلمين لكل مايصيب من
البلاء فى طاعة الله تعالى فكذبوه فاصرّوا على ماهم عليه من التكذيب بعدما الزمهم الحجة وبين
لهم المحجة وحقق ان توليهم ليس له سبب غير التمرّد والعناد فلاجرم حقت عليهم كلمة العذاب
فنجّيناه ومن معه فى الفلك من المسلمين وكانوا ثمانين وجعلناهم خلائف من الهالكين واغرقنا
الذين كذّبوا باياتنا اى بالطّوفان وتاخير ذكره عن ذكر الانجاء والاستخلاف حسبما وقع فى
قوله عز وعلا ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة
وغير ذلك من الايات الكريمة لاظهار كمال العناية بشان المقدم ولتعجيل المسرّة للسّامعين
وللايذان بسبق الرحمة التى هى من مقتضيات الربوبيّة على الغضب الذى هو من مستتبعات
جرايم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير لمن كذّب
بالرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له عليه السّلام ثم بعثنا اى ارسلنا من بعده اى من
بعد نوح عليه السّلام التنكير للتفخيم واثار وصفا اى رسلا كراما ذوى عدد كثير الى قومهم
اى الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كلّ رسول منهم الى اقوام الكل او الى قوم كانوا بل كلّ رسول الى
قومه خاصّة بل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك عن قص منهم ومن يقصّ فجاؤهم
اى جاء كل رسول قومه المخصوصين به بالبيّنات اى المعجزات الواضحة الدّالة على صدق ما قالوا
والباء امّا متعلقة بالفعل المذكور على انّها للتعدية او بمحذوف وقع حالا من ضمير جاؤا اى
ملتبسين بالبيّنات لكن لا بان ياتى كل رسول ببيّنة واحدة بل ببيّنات كثيرة خاصّة به معيّنة
له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الاحاد الى الاحاد انما هى فيما بين ضميرى جاؤهم
كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم فى الزمان الماضى لا لعدم استمرار
ايمانهم كما مرّ مثله فى هذه السورة الكريمة غير مرّة اى فما صحّ وما استقام لقوم من اولئك الاقوام
فى وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدّة شكيمتهم فى الكفر والعناد ثم ان
كان المحكىّ اخر حال كل قوم حسب ما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا
اصرارهم على ذلك بعد اللّتيا والّتى وبما اشير اليه فى قوله عز وجل بما كذّبوا به من قبل
تكذيبهم من حين مجئ الرّسل الى زمان الاصرار والعناد وانّما لم يجعل ذلك مقصودا بالذّات
كالاوّل حيث جعل صلة للموصول ايذانا بانّه بيّن بنفسه غنىّ عن البيان وانّما المحتاج الى ذلك
عدم ايمانهم بعد تواتر البيّنات الظّاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التى كانت تضطرهم الى القبول
لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذى تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة
عن جميع الشّرايع التى جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكىّ جميع احوال كلّ قوم
منهم فالمراد بما ذكر اوّلا كفرهم المستمرّ من حين مجئ الرّسل الى اخره وبما اشير اليه اخرا تكذيبهم
قبل مجيئهم فلابد من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشّرايع التى اجمعت عليها الرّسل

قاطبة

قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذى اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها
ومعنى تكذيبهم بها قبل مجئ رسلهم انهم ما كانوا فى زمن الجاهليّة بحيث لم يسمعوا بكلمة التّوحيد
قط بل كان كلّ قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بها من بقايا من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد
من بقايا قوم نوح عليه السّلام فيكذبونها ثم كانت حالتهم بعد مجئ الرّسل كحالتهم قبل ذلك
كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التّكذيب وعدم الايمان بما ذكر من الاصول لظهور حال
الباقى بدلالة النّص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرّسل فلان لا يؤمنوا بما
تفرّد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذّات لما ان ما عليه يدور امر
العذاب والعقاب عند اجتماع التكذيبين هو التكذيب الواقع بعد الدّعوة حسبما يعرب
عنه قوله تعالى وما كنّا معذّبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم
فى الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضّماير الثلاثة متوافقة فى المرجع وقيل ضمير كذبوا
راجع الى قوم نوح عم والمعنى فما كان قوم الرّسل ليؤمنوا بما كذب به قوم نوح ولا يخفى ما فيه
من التّعسف وقيل الباء للسببيّة اى بسبب تعوّدهم تكذيب الحقّ وتمرّنهم عليه قبل
بعثة الرّسل ولا يخفى ان ذلك يؤدى الى مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل الاسماء
كما هو راى الاخفش وابن السّراج ليرجع اليها الضمير وفى ارجاء الى الحق بادعاء كونه مركوزا فى
الاذهان ما لا يخفى من التعسّف كذلك اى مثل ذلك الطّبع المحكم نطبع بنون العظمة وقرئ
بالياء على ان الضّمير لله سبحانه على قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحدود المعهودة فى الكفر
والعناد والمتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرّشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشانهم
لانهماكهم فى الغىّ والضّلال وفى امثال هذا دلالة على انّ الافعال واقعة بقدرة الله تعالى
وكسب العبد ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم عطف قصّة
على قصّة من بعدهم اى من بعد اولئك عليهم السّلام موسى وهرون خصّت بعثتهما عليهما
السّلام بالذكر ولم يكتف باندراج خبرهما فيما اشير اليه اشارة اجماليّة من اخبار الرّسل عليهم
السّلام مع قوامهم واوثر فى ذلك ضرب تفصيل ايذانا بخطر شان القصّة وعظم وقعها كما فى
نباء نوح الى فرعون وملائه اى اشراف قومه وتخصيصهم بالذّكر لاصالتهم فى اقامة المصالح
والمهمات ومراجعة الكلّ اليهم فى النّوازل والملمات باياتنا اى ملتبسين بها وهى الايات
المفصّلات فى الاعراف فاستكبروا استكبروا وادعاء الكبر من غير استحقاق والفاء فصيحة اى
فاتياهم فبلغاهم الرّسالة فاستكبروا عن اتباعهما وذلك قول اللعين لموسى عم الم نربك فينا
وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الى اخره وكانوا قوما مجرمين اعتراض مقرر لمضمون
ما قبله اى كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه
الجرم اى الجثّة فلذلك اجترؤا على ما اجترؤا من الاستهانة برسالة الله عزّ وجل وحمل الاستكبار

على الامتناع عن قبول الايات لايساعده قوله عز وعلا **فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر مبين** فانه صريح في ان المراد باستكبارهم ما وقع منهم قبل مجئ الحق الذي سموه سحرا اعني العصا واليد البيضا كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما ظهر عم من الايات العظام والفاء فيه فصيحة ايضا معربة عما صرح به في مواضع اخر كانه قيل قال موسى قد جئتكم ببينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم **ان هذا لسحر مبين** اي ظاهر كونه سحرا او فائق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ الساحر **قال موسى** استيناف مبني على سوال ينساق اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستفهام الانكاري التوبيخي **اتقولون للحق** الذي هو ابعد شئ من السحر الذي هو الباطل البحت **لما جاءكم** اي حين مجيئه اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تامل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذانا بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به ولو على نهج الحكاية اي اتقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الخ فيستغني عن المفعول اي اتعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل **اسحر هذا** انكار مستانف من جهته عليه السلام بكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه انكار كونه معيبا بان يقال مثلا افيه عيب حسبما يقتضيه ظاهر الانكار السابق التصريح بالرد عليهم في خصوصية ما عابوه به بعد التنبيه بالانكار السابق على ان ليس فيه شائبة عيب ما وما في هذا من معنى القرب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه اية باهرة من ايات الله المنادية على امتناع كونه سحرا هذا الذي امره واضح مكشوف وشانه مشاهد معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة وتقديم الخبر للايذان بانه مصب الانكار ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوابيخ والتجهيل بقوله عز وجل **ولا يفلح الساحرون** وهو جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير كما في قول من قال جاء الشتاء ولست املك عدة وقولك جاء زيد ولم يطلع الشمس اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يمكن صدوره من مثلي من المؤيدين من عند الله العزيز الحكيم الفائزين بكل مطلب الناجين عن كل محذور وقوله تعالى اسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكد بها الانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته سحرا بالنظر الى صدوره عنه عم هذا واما تجويز ان يكون الكل مقولا على ان المعنى اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون فمما لا يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر من غير ان يكون فيه دلالة على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جوابه عم

عن صريح ما خاطبوه به الى ما لا يفهم منه اصلا مما يجب تنزيه النظم الكريم التنزيلي عن الحمل على امثاله واما ثانيا فلان التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظايف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة المتمسكين باذيال بعض منهم في معارضته عم ولو كان ذلك من كلامهم لناسب تخصيص عدم الافلاح بمن زعموه ساحرا بناء على غلبة من ياتون به من السحرة واما ثالثا فلان قوله عز وجل قالوا اجئتنا الخ مسوق لبيان انه عم القمهم الحجر فانقطعوا عن الاتيان بكلام له تعلق بكلامه عم فضلا عن الجواب الصحيح واضطروا الى التثبت بذيل التقليد الذي هو داب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على انه استيناف وقع جوابا عما قبله من كلامه عم على طريقة قوله تعالى قال موسى الخ حسبما اشير اليه كانه قيل فماذا قالوا لموسى عم عند ما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة **اجئتنا لتلفتنا** اي لتصرفنا فان الفتل واللفت اخوان **عما وجدنا عليه اباءنا** اي من عبادة الاصنام ولا ريب في ان ذلك انما ينبئ بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام على الوجه الذي شرح اذ على تقدير كونه محكيا من قبلهم يكون جوابه عم خاليا عن التبكيت الملجئ لهم الى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في انه لا علاقة بين قولهم اجئتنا الخ وبين انكاره عم لما حكى عنهم مصححة لكونه جوابا عنه **وتكون لكما الكبرياء** اي الملك او التكبر على الناس باستتباعهم وقرئ ويكون بالياء التحتانية وكلمة في في قوله تعالى **في الارض** اي ارض مصر متعلقة بتكون او بالكبرياء او بالاستقرار في لكما لوقوعه خبرا او بمحذوف وقع حالا من الكبريا او من الضمير في لكما لتحمله اياه **وما نحن لكما بمؤمنين** اي بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد افراده فيما تقدم من المقامين باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لاحدهما التصديق للاخر واما اللفت والمجئ له فحيث كانا من خصائص صاحب الشريعة اسند الى موسى عم خاصة **وقال فرعون** توحيد الفعل لان الامر من وظايف فرعون اي قال الملائه تامرهم بترتيب مبادي الزامهما عليهما السلام بالفعل بعد اليأس عن الزامهما بالقول **ائتوني بكل ساحر عليم** بفنون السحر حاذق ماهر فيه وقرئ سحار **فلما جاء السحرة** عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف ايذانا بسرعة امتثالهم بامر فرعون كما هو شان الفاء الفصيحة في كل مقام اي فاتوا به فلما جاءوا **قال لهم موسى** لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعد ما قالوا له عم ما حكي عنهم في السور الاخر من قولهم اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين ونحو ذلك **القوا ما انتم ملقون** اي ملقون له كائنا ما كان من اصناف السحر **فلما القوا** ما القوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤا بسحر عظيم **قال** لهم **موسى** غير مكترث بهم وبما صنعوا **ما جئتم به السحر** ما هو موصوله وقعت مبتداء والسحر خبره اي هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من ايات الله سبحانه او هو من جنس السحر يريهم ان حاله بين لا يعبابه كانه قال ما جئتم به مما لا ينبغي ان يجاء به وقرئ السحر على الاستفهام فما استفهامية اي اي شئ جئتم به اهو السحر الذي يعرف حاله كل احد ولا يتصدى له عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما اتيتم به سحر ودلالتهما على

المعنى الثانى فى القراءة المشهورة اظهر ان الله سيبطله اى سيمحقه بالكلية بما يظهره على يدىّ من المعجزة
فلا يبقى له اثرا اصلا او سيظهر بطلانه للناس والسين للتاكيد ان الله لا يصلح عمل المفسدين اى عمل جنس
المفسدين على الاطلاق فيدخل فيه السحر دخولا اوليا او عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع المضمر
للتسجيل عليهم بالافساد والاشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم اصلاح عملهم عدم جعل فسادهم
صلاحا بل عدم اثباته واتمامه اى لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه ويسلط عليه الدماء
والجملة تعليل لما سبق من قوله ان الله سيبطله والكل اعتراض تذييلى وفيه دليل على ان السحر افساد و
تمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق عطف على قوله تعالى سيبطله اى يثبته ويقويه واظهار الاسم الجليل فى
المقامين الاخيرين لالقاء الروعة والربية المهابة وكلماته باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو
كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالاجرام من السحرة وغيرهم وما امن لموسى معطوف
على مقرر قد فصل فى مواقع اى فالقى عصاه فاذا هى تلقف ما يافكون الخ وانما لم يذكر تعويلا على ذلك
فايثار الايجاز وايذانا بان قوله تعالى ان الله سيبطله مما لا يحتمل الخلف الفاء وبعطفه على ذلك بالفاء مع
مع كونه عدما مستمرا من قبيل ما فى قوله عز وجل فاتبعوا امر فرعون وما فى قولك وعظته فلم يتعظ وصحت
به فلم تنزجر والسر فى ذلك ان الاتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا
عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وضع حادث اى فما امن له عم بمشاهدة تلك الايات القاهره
الا ذرية من قومه اى الا اولاد من اولاد قومه بنى اسرائيل حيث دعا الاباء فلم يجيبوا خوفا من فرعون
واجابة طائفة من شبانه وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم امنوا به عم او مؤمن ال
فرعون وامرأته اسيه وخادمة امرأته وماشطته وهو بعيد على خوف اى كائنين على خوف عظيم
من فرعون وملائهم الضمير لفرعون والجمع لما هو المعتاد فى ضماير العظماء ولا يأباه مقام بيان علوه
فى الفساد وغلوه فى الشر والتسلط على العباد اولان المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر او للذرية او
للقوم اى على خوف من فرعون ومن اشراف بنى اسرائيل حيث كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون
عليهم وعلى انفسهم ان يفتنهم اى يعذبهم وهو بدل اشتمال او مفعول خوف فان اعمال المصدر المنكر
كثير كما فى قوله عز وجل او اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما او مفعول له بعد حذف اللام واسناد
الفعل الى فرعون خاصة لانه الامر بالتعذيب وان فرعون لعال فى الارض لغالب فى ارض
مصر وانه لمن المسرفين فى الظلم والفساد بالقتل وسفك الدماء او فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية
واسترق اسباط الانبياء والجملتان اعتراض تذييلى مؤكدا لمضمون ما سبق وقال موسى لما راى
تخوف المؤمنين منه يا قوم ان كنتم امنتم بالله اى صدقتم به وباياته فعليه توكلوا وبه ثقوا
ولا تخافوا احدا غيره فانه كافيكم كل شر وضر ان كنتم مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس
هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل عليه تعالى فانه المقتضى له والمشروط
بالاسلام وجوده فانه لا يتحقق مع التخليط ونظيره ان احسن اليك زيد فاحسن اليه ان قدرت عليه فقالوا

مجيبين

مجيبين له عليه السلام من غير تلعثم فى ذلك على الله توكلنا لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا
ربهم قائلين ربنا لا تجعلنا فتنة اى موقع فتنة للقوم الظالمين اى لا تسلطهم علينا حتى يعذبونا
او يفتنونا عن ديننا او يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما اجيبوا وقوله تعالى ونجنا
برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالانجاء من سوء جوارهم وشوم مصاحبتهم بعد الانجاء من ظلمهم
ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفى ترتيب الدعا على التوكل تلويح بان الداعى حقه ان
يبنى دعاءه على التوكل على الله تعالى واوحينا الى موسى واخيه ان تبوآ ان مفسرة لان فى الوحى معنى القول
اى اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتا تسكنون فيها وترجعون اليها للعبادة واجعلوا انتما وقومكما
بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة فان موسى عليه كان
يصلى اليها واقيموا الصلوة اى فيها امروا بذلك فى اول امرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم
عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة فى الدنيا اجابة لدعوتهم والجنة فى العقبى وانما ثنى الضمير اولا لان
التبوؤ للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلوة
فيها مما يفعله كل احدهم ووحد لان بشارة الامة وظيفة صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع
ضمير القوم لمدحهم بالايمان وللاشعار بانه المدار فى التبشير وقال موسى ربنا انك اتيت
فرعون وملأه زينة اى ما يتزين به من اللباس والمراكب ونحوها واموالا وانواعا كثيرة من المال
فى الحيوة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم بممارسة احوالهم انه لا يكون
غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة باتيت او للعلة لان ابناء النعم
على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها ذريعة الى الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا
فيكون ربنا تكريرا للاول تاكيدا او تنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى
ربنا اطمس على اموالهم الطمس المحق وقرئ بضم الميم اى اهلكها واشدد على قلوبهم اى اجعلها
قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للايمان كما هو قضية شأنهم فلا يؤمنوا جواب للدعاء او دعاء
بلفظ النهى او عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض حتى يروا العذاب الاليم اى يعاينوه
ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك اذ ذاك قال قد اجيبت دعوتكما يعنى موسى وهرون عليهما
السلام لانه كان يؤمن كما يشعر به اضافة الرب الى المتكلم مع الغير فى المواقع الثلثة فاستقيما فاثبتا
على ما انتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتماه كائن فى وقته لا محالة روى انه
مكث فيهم بعد الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اى بعادات الله سبحانه
فى تعليق الامور بالحكم والمصالح او سبيل الجهلة فى الاستعجال او عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ
بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان ايضا وجاوزنا ببنى اسرائيل
البحر هو من جاوز المكان اذا تخطاه وخلفه والباء للتعدية اى جعلناهم مجاوزين البحر بان جعلناه
يبسا وحفظناهم حتى بلغوا الشط وقرئ جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة لا مما هو بمعنى

التنفيذ نحو ما وقع فى قول عسى صدر كما جوز السكى فى الباب قتيق الا القيل وجوزنا بنى اسرائيل
فى البحر وبجلا النظم الكريم عن الايذان بانقصا لهم عن البحر وبمفازته العناية الالهية لهم عند الجواز
كما هو المشهور فى الفرق بين اذهبه وذهب به **فاتبعهم** يقال تبعت حتى اتبعته اذا كان سبقك
فالحقته اى ادركهم ولحقهم **فرعون وجنوده** حتى تراءة الفئتان وكاد يجتمع الجمعان **بغيا وعدوا**
ظلما واعتداء اى باغين وعادين او للبغى والعدوان وقرئ وعدوا وذلك ان موسى عم خرج بنى
اسرائيل على حين غفلة من فرعون فلا سمع به سمعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وهم قد خرجوا
من البحر ومسلكهم باق على حاله يبسا فسلكه بجنوده اجمعين فلما دخل اخرهم وهم اوليهم بالخروج غشيهم
من اليم ما غشيهم **حتى اذا ادركه الغرق** اى لحقه والجمه **قال امنت انه** اى بانه والضمير للشان
وقرئ انه على الاستيناف بدلا من امنت وتفسيرا له **لا اله الا الذى امنت به بنوا اسرائيل** لم يقل
كما قاله السحرة امنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته
ايمان بنى اسرائيل به تعالى للاشعار برجوعه عن الاستعصاء باتباعه لمن كان يستتبعهم طمعا فى
القبول والانتظام معهم فى سلك النجات **وانا من المسلمين** اى الذين اسلموا نفوسهم لله اى جعلوها
سالمة خالصة له تعالى واراد بهم اما بنى اسرائيل خاصة واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
والجملة على الاول عطف على امنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار على الثانى يحتمل الحالية
ايضا من ضمير المتكلم اى امنت مخلصا لله منتظما فى سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى الواحد ثلث
عبارات حرصا على القبول المفضى الى النجات وهيهات هيهات بعد ما فات ما فات واى
ماهوات وقوله عز وجل **الان** مفعول لقول مقدر معطوف على قال اى فقيل الان وهو الى قوله
تعالى اية حكاية لما جرى منه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد على وجه
الانكار التوبيخى على تاخيره وتقريعه بالعصيان والافساد وغير ذلك وفى حذف الفعل المذكور
وابراز الخبر المحكى فى صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يفصح عنه
ما روى ان جبرئيل عم ومس فاه عند ذلك بحال البحر وسده فانه تاكيد للرد القولى بالرد العقلى
ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه قال للنبى عليهما السلام فلو رايتنى يا محمد وانا اخذ
من حال البحر فادسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد به الرحمة الدنيوية اى النجات التى هى طلبة
المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما فى ايمان قوم يونس عم حتى يلزم من كراهية
ما لا يتصور فى شان جبر عم من الرضاء بالكفر اذ لا استحالة فى ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه
بكلمة الايمان وان كان ذلك فى حالة الباس والياس فيحمل دسه عم على سد باب الاحتمال البعيد
لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق وحق العامل فى الظرف ان يقدر موخرا ليتوجه الانكار
والتوبيخ الى تاخير الايمان الى حد يمتنع قبوله فيه اى الان مومن حين يئست من الحيوة وايقنت
بالممات وقوله عز وجل **وقد عصيت قبل** حال من فاعل الفعل المقدر جئ به لتشديد التوبيخ والتقريع

على تاخير الايمان الى هذا الان ببيان انه لم يكن تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل والتدبر
فى دلائله واياته ولا لشئ اخر مما عسى يعد عذرا فى التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء
والافساد فان قوله تعالى **وكنت من المفسدين** عطف على عصيت داخل فى حيز الحال اى وكنت من
الغالين فى الضلال والاضلال عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم
عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون فهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والسارى الى غيره
من الظلم والتعدى وصد بنى اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به **فاليوم ننجيك** اى
نخرجك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفى التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده
بالايمان هو النجات كما مر وتهكم به او نلقيك على نجوة من الارض يراك بنوا اسرائيل وقرئ ننجيك
من الانجاء وننحيك من التنحية اى نلقيك بناحية الساحل **ببدنك** فى موضع الحال من ضمير المخاطب
اى ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع روحك كما هو مطلوبك فهو تخييب له وحسم لاطماعه بالمرة او
او عاريا عن اللباس او كاملا سويا او ببدرعك وكانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك
اى باجزاء بدنك كلها كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها **لتكون لمن
خلفك اية** لمن وراءك علامة لهم بنوا اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك
حتى يروى انهم لم يصدقوا موسى عم حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطرحا على ممرهم من الساحل او تكون
لمن ياتى بعدك من الامم اذا سمعوا مال امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان او حجة تدلهم
على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشان وعلو الكبرياء وقوة السلطان فهو مملوك
مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك بالقاف اى لتكون لخالقك اية كساير الايات
فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه قصد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة
فى امرك وبرهان نير على كمال علمه وقدرته وحكمته وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة
ايضا وفى تعليل تنجيته بما ذكر ايذان بانها ليست لاعزازه او لفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة
به وتفضيحه على رؤس الاشهاد وزيادة تفظيع حاله كمن يقتل ثم يجر جسده فى الاسواق او يدار براسه
فى البلاد واللام الاولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من اية اى كاينة لمن خلفك
وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلى
جئ به عند الحكاية تقريرا لفحوى الكلام المحكى **ولقد بوانا بنى اسرائيل** كلام مستانف سيق
لبيان النعم الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلالهم بشكرها واداء حقوقها اى
اسكناهم وانزلناهم بعد ما انجيناهم واهلكنا اعداءهم **مبوا صدق** اى منزلا صالحا مرضيا وهو الشام
ومصر ملكوها بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها حسبما نطق به قوله تعالى واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها **ورزقناهم من الطيبات**
اى اللذائذ **فما اختلفوا** فى امور دينهم **حتى جاءهم العلم** اى الا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التورات

وعلمهم باحكامها او فى امر محمد عليه السلام الامن بعد علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته فالمراد بالمتخلفين
اعقابهم الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ان ربك يقضى بينهم يوم القيمة فيما كانوا
فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب فان كنت فى شك اى فى شك ما سير
على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شئ من غير تعرض لامكان شئ منهما كيف لا
وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين وقوله تعالى
لئن اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما مما انزلنا اليك من القصص التى من جملتها قصة فرعون
وقومه واخبار بنى اسرائيل فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك فان ذلك محقق عندهم ثابت فى
كتبهم حسبما القينا اليك والمراد اظهار نبوته عليه السلام بشهادة الاحبار حسبما هو المسطور
فى كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا او وصف اهل الكتاب بالرسوخ فى العلم بصحة نبوته عليه
السلام او تهييجه عم وزيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين لا تجويز صدور الشك منه عليه
السلام ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسال وقيل المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام وتميم الدارى وكعب واضرابهم وقيل الخطاب للنبى عم والمراد امته ولكل
من يسمع اى كنت ايها السامع فى شك مما انزلنا اليك على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته
شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع الى اهل العلم وقرئ فاسئل الذين يقرؤن الكتب
لقد جاءك الحق الذى لا محيد عنه ولا ريب فى حقيته من ربك وظهر ذلك بالايات
القاطعة التى لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من الممترين بالتزلزل عما انت عليه من
الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل ولا تكونن من الذين كذبوا بايات الله من باب التهييج
والالهاب والمراد به اعلام ان التكذيب من القبح والمحذورية بحيث ينبغى ان ينهى عنه من لا يتصور
امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه به وفيه قطع لاطماع الكفرة فتكون بذلك من الخاسرين
انفسا واعمالا ان الذين حقت عليهم شروع فى بيان سر اصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر
والضلال اى ثبتت ووجبت بمقتضى المشية المبنية على الحكمة البالغة كلمة ربك حكمه وقضاؤه
بانهم يموتون على الكفر ويخلدون فى النار كقوله تعالى ولكن حق القول منى لاملان جهنم الخ لا
يؤمنون ابدا اذ لا كذب لكلامه ولا انتقاض لقضائه اى لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا فى اوانه
فيندرج فيه المؤمنون عند معاينة العذاب مثل فرعون باقيا عند الموت فيدخل فيهم المرتدون
ولو جاءتهم كل اية واضحة المدلول مقبولة لدى العقول لان سبب ايمانهم وهو تعلق ارادته تعالى
به مفقود لكن فقدانه ليس بمنع منه سبحانه مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم المتفرع على عدم استعدادهم
لذلك حتى يروا العذاب الاليم كداب ال فرعون واضرابهم فلولا كانت كلام مستانف
لتقرير ما سبق من استحالة ايمان من حقت عليهم كلمته تعالى لسوء اختيارهم مع تمكنهم من التدارك

فيكون

فيكون الاستثناء الاتى بيانا لكون قوم يونس عم ممن لم يحق عليه الكلمة لاهتدائهم الى التدارك
فى وقته ولولا بمعنى هلا وقرئ كذلك اى فهلا كانت قرية من القرى المهلكة امنت قبل
معاينة العذاب ولم يؤخر ايمانهم الى حين معاينته كما فعل فرعون وقومه فنفعها ايمانها بان
يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها الا قوم يونس استثناء منقطع اى لكن قوم
يونس لما امنوا اول ما راوا امارة العذاب ولم يؤخروا الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزى فى
الحيوة الدنيا بعد ما اظلهم وكاد يحل بهم ويجوز ان يكون الجملة فى معنى النفى كما يفصح عنه حرف
التحضيض فيكون الاستثناء متصلا اذ المراد بالقرى اهاليها كانه قيل ما امنت طائفة من الامم
العاصية فنفعهم ايمانهم الا قوم يونس عم فيكون قوله تعالى لما امنوا استئنافا لبيان نفع ايمانهم
ويؤيد قراءة الرفع على البدلية ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم الى حين
مقدر لهم فى علم الله سبحانه روى ان يونس عم بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب
عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال
لهم يونس عم اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان راينا اسباب الهلاك امنا بك فلما مضت خمس وثلثون
اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم
فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان
وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة
وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود
رضى الله عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه اساس
بنائه فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب
فما ترى فقال لهم قولوا يا حى حين لا حى ويا حى محيى الموتى ويا حى لا اله الا انت فقالوها فكشف
عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل
بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك لامن من فى الارض تحقيق لدوران
ايمان كافة المكلفين وجودا وعدما على قطب مشيئته تعالى مطلقا اثر بيان تبعية كفر الكفرة لكلمته
ومفعول المشية محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وان
لا يكون فى تعلقها به غرابة كما هو المشهور اى لو شاء سبحانه ايمان من فى الارض من الثقلين لامن
كلهم بحيث لا يشذ احد منهم جميعا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه
مخالفا للحكمة التى عليها بنى اساس التكوين والتشريع وفيه دلالة على ان من شاء الله تعالى ايمانه
يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على ما لم يشاء الله منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع فى الشرطية
والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل اربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم
حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار متوجها الى ترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيئته تعالى

ويجوز ان يكون الفاء لترتيب الانكار على عدم مشيئته تعالى بناء على ان الهمزة متاخرة في الاعتبار
وانما قدمت لاقتضائها الصدارة كما هو راى الجمهور وايا ما كان فالمشية على اطلاقها اذ لا فائدة بل
لا وجه لاعتبار عدم مشية الالجاء خاصة في انكار الترتب عليه او ترتيب الانكار عليه وفي ايلاء الاسم
حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر ممكن لكن الشان في المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشاركه
فيه لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر وفيه
ايذان باعتبار الالجاء في المشيئة كما اشير اليه **وما كان لنفس** بيان لتبعية ايمان النفوس المؤمنة
لمشيته تعالى وجودا بعد بيان الدوران الكلي عليها وجودا وعدما اى ما صح وما استقام لنفس
من النفس التي علم الله تعالى انها يؤمن **ان تؤمن الا باذن الله** اى بتسهيله ومنحه للالطاف وانما
خصت النفس بمن ذكر ولم يجعل من قبيل قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله لان
الاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اى ما كان لنفس ان تؤمن في حال من احوالها الا حال كونها ملابسة
باذنه تعالى فلا بد من كون الايمان مما يؤل اليه حالها ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها
عنه فلا بد من تخصيص النفس بمن ذكر فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال تؤمن
فيها حتى يتنى تلك الحال عن غيرها **ويجعل الرجس** اى الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس
الذي هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه وقيل هو العذاب
او الخذل لان المؤدى اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاء اى يجعل الكفر ويبقيه **على الذين
لا يعقلون** لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والايات او لا يعقلون دلايله واحكامه لاعلى قلوبهم
من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون مغمورين بقبايح الكفر والضلال
او مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب على النظم الكريم كانه قيل فياذن
لهم بمنح الالطاف ويجعل الخ **قل** مخاطبا لاهل مكة بعثالهم على التدبر في ملكوت السموات والارض
وما فيهما من تعاجيب الايات الانفسية والافاقية ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون وحقت
عليهم الكلمة انظروا اى تفكروا وقرئ بنقل حركة الهمزة الى اللام قل **انظروا ماذا في السموات والارض**
اى اى شئ بديع فيهما من عجايب صنعة الدالة على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب
اسما واحدا مغلبا فيه الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتداء خبره الظرف ويجوز ان يكون ما
مبتداء وذا بمعنى الذي والظرف صلته والجملة خبر للمبتداء وعلى التقديرين والمبتداء والخبر
في محل النصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام **وما تغني** اى ما تنفع وقرئ بالتذكير
الايات وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والارض **والنذر** جمع نذير على انه فاعل
بمعنى منذر او على انه مصدر اى لا تنفع الايات والرسل المنذرون او الانذارات **عن قوم لا
يؤمنون** في علم الله سبحانه وحكمه فيما نافيه والجملة اما حالية واعتراضية ويجوز كونها استفهامية
انكارية في موضع النصب على المصدرية اى اى اغناء يغني الخ فالجملة ح اعتراضية **فهل ينتظرون**

اي مشركوا

اي مشركوا مكة واضرابهم **الا مثل ايام الذين خلوا** اى الا يوما مثل ايام الذين خلوا **من قبلهم** من مشركي
الامم الماضية اى مثل وقائعهم ونزول باس البه بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام العرب لوقائعها
قل تهديدا اليهم **فانتظروا** ما هو عاقبتكم **اني معكم من المنتظرين** لذلك **ثم ننجي رسلنا** بالتشديد
وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض
جئ به مسارعة الى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كانه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا
رسلنا المرسلة اليهم **والذين امنوا** وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل
امرها باستحضار صورها وتاخير حكاية التنجية عن حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله
تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الخ ونظايره الواردة في مواقع عديدة ليتصل به قوله عز وعلا
كذلك اى مثل ذلك الانجاء **حقا علينا** اعتراض بين العامل والمعمول اى حق ذلك
حقا والكاف متعلقة بقوله تعالى **ننج المؤمنين** اى من كل شدة وعذاب والجملة تذييل
لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين اما الجنس المتناول للرسل عم والاتباع واما الاتباع
فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا بعدم الحاجة اليه وايا ما كان ففيه تنبيه على ان مدار
النجاة هو الايمان **قل** لجمهور المشركين **يا ايها الناس** اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا
بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشان ما بلغ اليهم **ان كنتم في شك من
ديني** الذي انعبد الله عز وجل به وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وصفته **فلا اعبد الذين
تعبدون من دون الله** في وقت من الاوقات **ولكن اعبد الله الذي يتوفكم** ثم يفعل بكم ما
يفعل من فنون العذاب اى فاعلموا انه تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه
من الاصنام وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير عن عبادته تعالى لتقدم
التخلية كما في كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر او ان كنتم في شك من صحة ديني
وسداده فاعلموا ان خلاصة اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل
منهما من الاصنام فاعرضوها على عقولكم واحملوا فيها افكاركم وانظروا بعين الانصاف
لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير
عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في
هذا الباب هو اني لا اتركه ابدا **وامرت ان اكون من المؤمنين** بما دل عليه الفعل ونطق به
الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس بطريق العقل الصرف بل بالامداد و
السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون من باب الحذف المطرد مع ان
وان وان يكون خاصا بفعل الامر كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به **وان اقم وجهك
للدين** عطف على ان يكون خلا ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا خير في ذلك لان مناط
جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلب ووجوب

كون الصّلة خبريّة فى الموصول الاسمى انّما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهى لا توصف الّا
بالجمل الخبريّة وليس الموصول الحرف كذلك اى وامرت بالاستقامة فى الدّين والاستبداد فيه
باداء المامور به والانتهاء عن المنتهى عنه او باستقبال القبلة فى الصّلوة وعدم الالتفات الى
اليمين والشمال حنيفًا حال من الدين او الوجه اى مايلا عن الاديان الباطلة ولا تكوننّ من
المشركين عطف على اقم داخل تحت الامر اى لا تكوننّ منهم اعتقادا او لا عملا وقوله عزّ وعلا ولا تدع
عطف على قوله تعالى يا ايّها النّاس غير داخل تحت الامر وقيل على ما قبله من النهى والوجه هو الاوّل
لانّ ما بعده من الجمل الى اخر الايتين مشتقة لا يتمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ولا وجه لادراج
الكل تحت الامر وهو تاكيد للنّهى المذكور وتفصيل لما اجمل فيه اظهار الكمال العناية بالامر وكشفا
عن وجه بطلان ما عليه المشركون اى لا تدع من دون الله استقلالا ولا اشتراكا ما لا ينفعك
اذا دعوته بدفع مكروه او جلب محبوب ولا يضرّك اذا تركته بسلب المحبوب دفعًا او رفعًا
او نفاع المكروه وتقديم النّفع على الضّر وغنى عن بيان السبب فان فعلت اى ما نهيت عنه
من دعاء ما لا ينفع ولا يضرّ كنى به عنه تهويلا لشانه عليه السّلام وتنبيها على رفعة مكانه
من ان ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو فى ضمن الجملة الشرطيّة فانّك اذا من الظّالمين
جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسال عن تبعة ما نهى عنه وان يمسسك الله بضرٍّ تقرير لما اورد
فى حيّز الصّلة من سلب النفع من الاصنام وتصوير لاختصاصه به سبحانه فلا كاشف له عنك
كائنا من كان وما كان الّا هو وحده فيثبت كشف الاصنام بالطريق البرهانى وهو بيان
لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرًا فان رفع المكروه ادنى
مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بالكليّة وان يردك بخير تحقيق لسلب الضر الوارد
فى حيز الصّلة اى ان يرد ان يصيبك بخير فلا رادّ لفضله الّذى من جملته ما ارادك به
من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه ايذان بان فيضان الخير منه تعالى بطريق
التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه اى لا احد يقدر على ردّه قبل وقوعه المستلزم
لعدم ضرّها برفعه او بايقاع المكروه استلزاما جليا ولعلّ ذكر الارادة مع الخير والمسّ مع
الضر مع تلازم الامرين للايذان بان الخير مراد بالذات وان الضّر وانّما يمسّ من يمسّه لما يوجبه
من الدّواعى الخارجيّة لا بالقصد الاوّلى او اريد معنى الفعلين فى كلّ من الضّر والخير وانه لا رادّ
لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر فى احدهما المس فى الاخر الارادة
ليدل بما ذكر فى كلّ جانب على ما ترك فى الجانب الاخر على انّه قد صرّح بالاصابة حيث قيل
يصيب به اظهار الكمال العناية بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه اى يصيب بفضله
الواسع المنتظم لما ارادك به من الخير وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون
من باب وضع المظهر فى موضع المضمر لما ذكر من الفائدة يا باه قوله عزّ وجل من يشاء من عباده

٤٧٠

فان ذلك ينادى بعموم الفضل وقوله عزّ وجل وهو الغفور الرّحيم تذييل لقوله يصيب
به الخ مقرّر لمضمونه والكل تذييل للشرطيّة الاخيرة محقق لمضمونها قل مخاطبًا لاولئك الكفرة
بعد ما بلغتهم ما اوحى اليك يا ايّها النّاس قد جاءكم الحقّ من ربّكم وهو القران العظيم المشتمل
على محاسن الاحكام التى من جملتها ما مرّ انفا به والعمل بما فى مطاويه فانّما يهتدى لنفسه اى منفعة
اهتدائه لها خاصّة ومن ضلّ بالكفر به والاعراض عنه عمّ من جلب نفع او دفع ضرّ كما يلوح به
اسناد المجئ الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطته وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الىّ
امركم وانما انا بشير ونذير واتبع اعتقادا وعملا وتبليغا ما يوحى اليك على نهج التجدّد و
الاستمرار من الحقّ المذكور المتاكد يومًا فيومًا وفى التعبير عن بلوغه اليهم بالمجئ واليه عليه
السلام بالوحى تنبيه على ما بين المرتبتين من التنافى واصبر على ما تعتريك من مشاق التبليغ
حتى يحكم الله بالنّصرة عليهم او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يتمكن الخطاب
فى حكمه لاطلاعه السّرائر اطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرء سورة
يونس اعطى له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق
بفرعون الحمد لله سبحانه على التمام والصلوة والسلام على سيّدنا محمد واله اجمعين

سورة هود مكيّة وهى مائة وثلث وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر محله الرّفع على انه خبر لمبتداء محذوف وقيل على انه مبتداء والاول هو الاظهر كما
اشير اليه فى سورة يونس عليه السّلام او النّصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اذكر او اقرأ على
تقدير كونه اسمًا للسورة على ما عليه اطباق الاكثر او محل له من الاعراب مسرود على نمط التعديد
حسبما فصل فى اخواته وقوله عزّ وجل كتاب خبر له على الوجه الثانى ولمبتداء محذوف على
الوجوه الباقية اُحكمت اياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من الوجوه او جعلت حكيمة
لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت من النسخ بمعنى التغيير مطلقا او ايّدت
بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عزّ وجل او على ثبوت مدلولاتها فالمراد بالايات جميعًا
او على حقيّة ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعيّة فالمراد بها بعضها المشتمل عليها كما اذا فسّر الاحكام
بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعى خاصّة واما تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم
احكمت الدابّة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح ففيه ابهام ما لا يكاد يليق بشان الايات
الكريمة من التداعى الى الفساد لولا المانع وفى اسناد الاحكام على الوجوه المذكورة الشاملة لكلّ
اية اية منه من حسن الموقع والدلالة على كونه فى اقصى غاية منه ما لا يخفى ثمّ فصّلت اى جعلت
فصولا من الاحكام والدلايل والمواعظ والقصص او فصّل فيها مهمّات العباد فى المعاش والمعاد على الاسناد
المجازى والتفسير بجعلها اية اية لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاوّليّة لها فلا يناسب

عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعنيان الاولان فيهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث
لم تنزل الايات محكمة مفصّلة لا انها احكمت او فصّلت بعدان لم تكن كذلك اذ الفضلان من قبيل
قولهم سبحان من صغّر البعوض وكبّر الفيل الّا انهما حيث كانا من صفات الايات باعتبار نسبة
بعضها الى بعض على وجه يستتبع احكامًا مخصوصة واثارا معتدّا بها وبملاحظة مصالح العباد ناسب
ان يشار الى تراخي رتبتهما عن رتبة احكام وان حمل جعلها اية اية على معنى تفريق بعضها عن بعض
يكون من هذا القبيل الّا انه ليس في مثابته في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والاثار او فرقت
في التنزيل منجّمة بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني وان اريد جعلها
في نفسها بحيث يكون نزولها منجّما حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف
لازم لها حقيق بان يرتب على وصف احكامها وقرئ احكمتُ اياته ثم فصّلتُ على صيغة التكلم وعن
عكرمة والضحّاك ثم فصَلت اى فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة للكتاب
وصف بها بعدما وصف باحكام اياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات ابانة
بجلالة شانه من حيث الاضافة او خبر بعد خبر للمبتداء المذكور او المحذوف او صلة للفعلين
وفي بنائهما للمفعول ثم ايراد الفاعل بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلايلها ودقايقها منكرا
بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على النهج المعهود في اسناد الافاعل الى فواعلها مع رعاية حسن الطباق
من الجزالة والدلالة على فخامتهما وكونهما على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه ألَّا تعبدوا الَّا اللَّه
مفعول له حذف عنه اللام مع فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفاعل المعلّل جريا على سنن
القياس المطّرد في حذف حرف الجرّ مع ان المصدرية كانه قيل كتاب احكمت اياته ثم فصلت لئلا
تعبدوا الّا الله اى لتتركوا عبادة غير الله عزّ وجل وتمحّصوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل
على ما فصّل المعاني ممّا يدعوهم الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطّاعات فاحبه وقيل
ان مفسرة لما في التفصيل من معنى القول ان قيل لا تعبدوا الّا الله انني لكم منه من
جهة الله تعالى نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله
تعالى وبشير ابشركم بثوابه ان امنتم به وتمحّضتم في عبادته ولما ذكر شئون الكتاب من احكام
اياته وتفصيلها وكون ذلك من قبيل الله تعالى واورد معظم ما نظم في سلك الغاية والامر
من التوحيد وترك الاشتراك وسط بينه وبين قرينته اعني الاستغفار والتوبة ذكر ان من
نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وترشيحها بالمؤيدات من الوعد
والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر وابديها به بالخطاب
غب الكتاب مع تلويح بانه كما لا يتحقق في نفسه الا معانا للحكم برسالته صلى الله عليه وسلم كذلك
في الذكر لا ينفك احدهما عن الاخر وقد روعي في سوق الخطاب تقديم الانذار على التبشير ما روعي
في الكتاب من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب اطراف الكلام ويجوز ان يكون

قوله

قوله وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو دلالته على المصدرية هو
موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف
بالجمل وهي لا توصف بها الّا اذا كانت خبرية وامّا الموصول الحرفي فليس كذلك ولمّا كان
الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سواء ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب مساغ وقوع
الفعل فيتجرّد عند ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرّد الصّلة الفعليّة عن معنى المضي والاستقبال
ثمّ توبوا الى الله عطف على استغفروا والكلام فيه والمعنى فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل
لتخصّوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطّاعة
او تستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار او تستغفروا من الشرك وتتوبوا من
المعاصي وعلى الثاني ان مفسرة ان قيل في اثناء تفصيل الايات لا تعبدوا الّا الله واستغفروه
ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبيّة تلقين للمخاطبين وارشاد لهم الى طريق الابتهال في
السّؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع واثار الفضل بقوله يمتّعكم متاعا حسنا اى تمتيعا وانتصابه
على انه مصدر حذف عنه الزوايد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم
لما يتمتع به من منافع الدّنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم
فيه شئ مما تشتهون ولا ينغصه شئ من المكدّرات الى اجل مسمّى مقدر عند الله عزّ وجل وهو
اخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمح وراءها طامح جرى التمتع البها مجرى التابيد عادة او لا يهلككم
بهلاك الاستيصال ويؤت كل ذى فضل في الطاعة والعمل فضله جزاء فضله امّا في الدنيا او في
الاخرة وهذه تكملة لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمّى وتبيين لما عسى يعسر مبهم حكمته من بعض ما يتفق
في الدنيا اكثر ممّا متع اخر دونه في الفضل وربّما يكون المفضول اكثر تمتيعا فقيل ويعط كل فاضل
جزاء فضله امّا في الدنيا كما يتفق في بعض المواد وامّا في الاخرة وذلك ممّا لا مردّ له وهذا ضرب
تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع في الانذار فقيل وان تولّوا اى تتولّوا عمّا القي
اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وانّما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرّحمة على
الغضب او لان العذاب قد علّق بالتولي عمّا ذكر من التّوحيد والاستغفار والتّوبة وذلك يستدعي
سابقة ذكره وقرئ تولّوا من ولّى فانّي اخاف عليكم بموجب الشفقة والرافة او اتوقع عذاب
يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم في قوله تعالى الا يظنّ اولئك
انهم مبعوثون ليوم عظيم امّا لكونه كذلك في نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه كما وصف
بالثقل في قوله ثقلت في السّموات والارض وقيل يوم الشّدايد وقد ابتلوا بقحط اكلوا فيه
الجيف وايا ما كان ففي اضافة العذاب اليه تهويل له وتفظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم
بالموت ثم البعث للجزاء في مثل ذلك اليوم لا الى غيره جميعا لا يتخلف منكم احد وهو على كلّ شئ
قدير فيندرج في تلك الكليّة قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذّبكم بافانين العذاب

وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القى اليهم فحوى الكتاب على لسان النبى صلى الله عليه وسلم
وسيق اليهم ما ينبغى ان يساق من الترغيب والترهيب وقع فى ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا امثال هذا
المقال الذى تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاجلال او تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال
فقيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما يعقبها من هنا تهم امر يجب ان يفهم ويتعجب منه الا
انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اى يستمرون على ما كانوا عليه من التولى والاعراض
لان من اعرض عن شئ ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا
نحوه العلامة الزمخشرى ولكن حيث لم يصلح التولى سببا للاستخفاء فى قوله عز وجل ليستخفوا منه التجاء
الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على اعراضهم
وجعله فى ورود المعنى اليه من قبيل الاضمار فى قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فضرب فانفلق
ولا يخفى ان انسياق الذهن الى توسيط الارادة بين ثنى الصدور وبين الاستخفاء ليس كانسياقه الى توسيط
الضرب بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر
والاعراض عن الحق وعداوة النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما يعطف الثياب
على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك استهجانا بذكره او ايماء الى ان ظهوره مغن عن ذكره
او ليذهب ذهن السامع الى كل ما لا خير فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق
الذى القى اليهم دخولا اوليا فحينئذ يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روى عن ابن عباس رض
انها نزلت فى الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله
عليه وسلم المحبة ويضمر فى قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت فى بعض المنافقين كان اذا مر
برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ راسه وغطى وجهه كيلا يراه النبى صلى الله
عليه وسلم فكانه انما كان يصنع لانه لو راه النبى صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه
والمصاحبة معه وربما يؤدى ذلك الى ظهور ما فى قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنونى صدورهم
بالياء والتاء من اثنونى افعوعل من الثنى كاحلولى من الحلاوة هو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضى الله
عنهما تثنونى وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو هش من الكلاء وضعف يريد مطاوعة
صدورهم للثنى كما تثنى الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنئن من
اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت وادهامت وقرئ تثنوى بوزن ترعوى الا حين يستغشون
ثيابهم اى يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد او حين ياوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم
فان يقع ح حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخى ستره ويحنى ظهره ويتغشى
بثوبه ويقول هل يعلم الله ما فى قلبى يعلم ما يسرون اى يضمرون فى قلوبهم وما يعلنون اى يستوى
بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم السر على العلن نعيا
عليهم من اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين

على ابلغ وجه فكان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما فى صدوركم
او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع فى قوله تعالى وان تبدوا ما فى
انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار ان المحاسبة بما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض
بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه اولى منه بما يعلنونه
غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود
كل شئ فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة
واما قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فحيث كان واردا بصدد الخطاب مع الملئكة
عليهم السلام المنزه مقامهم عن اقتضاء التاكيد والمبالغة فى الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر
والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغنية عنه بما قبله من قوله عز وجل انى اعلم
غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن
اذ ما من شئ يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر فى القلب فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى
متقدم على تعلقه بحالته الثانية انه عليم بذات الصدور تعليل لما سبق وتقرير له واقع
موقع الكبرى من القياس وفى صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن
الضماير بعنوان صاحبتها من البراعة ما لا يصفه الواصفون كانه قيل انه مبالغ فى الاحاطة بمضمرات
جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة فى صدورهم بحيث لا تفارقهم اصلا فكيف يخفى عليه
ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب
التى فى الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة فى
الارض الا على الله رزقها غذاؤها اللائق بها من حيث الخلق ومن حيث الايصال اليها بطريق طبيعى
او ارادى لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جئ به على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا
لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب النفس فى طلبه
ويعلم مستقرها قرارها فى الاصلاب ومستودعها موضعها فى الارحام وما يجرى مجراها من البيض
ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب فى حيزها
الطبيعى ومنشاها الخلقى واما بالنسبة الى الارحام وما يجرى مجراها فهى مودعة فيها الى وقت معين
او مسكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمعادن حين كانت بعد بالقوة
ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة فى
الارض والمعنى ما من دابة فى الارض الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم
موادها المتخالفة المندرجة فى مراتب الاستعدادات المتفاوتة المنطوية فى الاطوار المتباينة ومقارها
المتنوعة ويفيض عليها فى كل مرتبة ما يليق بها من مبادى وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد
فسر المستودع باماكنها فى الممات ولا يلائمه مقام التكفل بارزاقها كل من الدواب ورزقها ومستقرها

ومستودعها في كتاب مبين اى مثبت في اللوح المحفوظ البيّن لمن ينظر فيه من الملئكة عليهم
السلام او المظهر لما اثبت فيه للناظرين ولما انتهى الامر الى انّه سبحانه محيط بجميع احوال ما في الارض
من المخلوقات التى لا تكادى تحصى من مبدأ فطرتها الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدأ خلق السموات
والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل وهو الّذى خلق السّموات والارض في ستّة ايّام السموات
في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك في يومين حسبما
فصّل في سورة حم السجدة ولم يذكر خلق ما في الارض لكونه من تتمات خلقها وهو السّر في جعلها زمان
خلقة تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايّام اى في تتمة اربعة ايّام والمراد بالايّام الاوقات
كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اى في ستة اوقات او مقدار ستّة ايام فانّ اليوم في
المتعارف زمان كون الشمس فوق الارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة التامة على خلقها دفعة
دليل على انّه قادر مختار واعتبار للنظار وحث على التانى في الامور واما تخصيص ذلك بالعدد المعين
فامر استاثر بعلم ما تقتضيه علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السّموات لما هو المشهور
من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطبايع ومتفاوتة الاثار والاحكام وكان عرشه قبل
خلقهما على الماء ليس تحته شئ غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثر
فلا دلالة على امكان الخلاء كيف لا ولو دلّ لدل على وجوده لا على امكانه فقط ولا على كون الماء اوّل
ما حدث في العالم بعد العرش وانما يدلّ على ان خلقهما اقدم من خلق السّموات والارض من غير
تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم متعلق بخلق اى خلق السّموات والارض وما فيها من المخلوقات التى
من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من مبادى وجودكم واسباب معايشكم واودع في تضاعيفهما
من تعاجيب الصنايع والعبر ما تستدلون به على مطالبكم الدينيّة ليعاملكم معاملة يبتليكم ايّكم احسن
عملا فيجاريكم بالثواب والعقاب غبّ ما تبيّن المحسن من المسئ وامتازت درجات افراد كل من الفريقين
حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة عليه انظارهم فيما نصب من الحجج والدلايل والامارات
والمخائل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسّر صلى الله عليه
وسلم بقوله ايّكم احسن عملا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا
مخصوصا به فكما انّ الاوّل اشرف من الثانى فكذا الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عزّ وجل
الواجبة على العباد اثر ذى اثير وانما طريقها النظرى التفكّر في بدايع صنايع الملك الخلاق والتدبر
في ايانة البيّنات المنصوبة في الانفس والافاق ولا طاعة بدون فهم من مطاوى الكتاب الحكيم من
الاوامر والنواهى وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له كلّ يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك
التفكر في امر الله عزّ وجل التى هو عمل القلب لان احدا لا يقدر على ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل
اهل الارض وتعليق فعل البلوى اى تعصيه بحرف الاستفهام لا التعليق المشهور الذى يقتضى عدم

ابراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر و
نظايره ولذلك اجرى مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعيّة وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء
شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان
بان المراد بالذات والمقصود الاصلى مما ذكر من ابداع تلك البدايع على ذلك النمط الرّايع انّما هو ظهور
كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجود اللائقة واكمل الاساليب الرّائقة يوجب
العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدى كلّ فرد الى ما يرشد اليه من مطلق
الايمان والطاعة وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوّة والضّعف والكثرة والقلة واما الاعراض
عن ذلك والوقوع في مهاوى الضّلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن ان ينظم ظهوره
في سلك القلة الغاية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير
مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما في من الترغيب في الى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن
مباشرة نقائضهما والله تعالى اعلم ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت على ما يوجبه
قضيّة الابتلاء ليترتب عليه الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال ليقولنّ الّذين كفروا
ان توجه الخطاب في قوله تعالى انكم الى جميع المكلّفين فالموصول مع صلته للتّخصيص اى ليقولن الكافرين
منهم وان وجه الى الكافرين منهم فهو وارد على طريقة الذم ان هذا الّا سحر مبين اى مثله في
الخديعة او البطلان وهذا اشارة الى القول المذكور او الى القران فان الاخبار عن كونهم مبعوثين
وان لم يجب كونه بطريق الوحى المتلو الّا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القران لا تباينه في كل موضع
وكونه علما عندهم في ذلك فعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتقاديا عن سنن
الرّشاد وقيل هو اشارة الى بعث ولابد للتسمية بالسحر فانه انّما يطلق على شئ موجود ظاهر الا اصل له
في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلّق الاية الكريمة بما قبلها امّا من حيث ان البعث
كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكانّه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم بمقدمة فذة
من مقدماته وقضية فردة من تتماته لا يتلعثمون في الرد ويعدون ذلك من قبيل ما لا صحّة
له اصلا فضلا وهو الذى خلق جميع المخلوقات ابتداء لهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم
بانه يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عمّا يصفون
وقرا حمزة والكسائى الا ساحر على ان الاشارة الى القائل او الى القران على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح
على تضمين قلت معنى ذكرت او على انّ انك بمعنى علك في علك اى ولئن قلت لعلكم مبعوثون على ان
الرّجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين اى توقعوا ذلك ولا تسعوا القول بانكاره او على انه مجارات
معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج والعناد وسما قرع اسماعهم بت القول بخلاف
ما الفوا عليه اباءهم من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التامّل والتدبّر وما فعلوه قاتلهم الله
انى يؤفكون ولئن اخرنا عنهم العذاب المترتب على بعثهم او العذاب الموعود في قوله تعالى فان

تولوا فانى اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قتل
جبرئيل عم المستهزئين والظاهر ان المراد انه العذاب الشامل للكفرة دون ما يخص بعضهم على انه
لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون الى امة معدودة الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحصره العد
قليل ليقولن ما يحبسه اى اى شئ يمنعه من المجئ فكانه يريد فيمنعه مانع وانما كانوا يقولونه
بطريق الاستعجال استهزاء لقوله تعالى ما كانوا به يستهزؤن ومرادهم انكار المجئ والحبس رأسا
لا الاعتراف به والاستفسار عن حابسه الا يوم يأتيهم ذلك ليس مصروفا محبوسا عنهم على انه
لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب الآخرة او لا يدفعه ابدا عنكم دافع بل هو واقع بكم ان اريد به عذاب
الدنيا ويوم منصوب بخبر ليس مقدما واستدل به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذ المعمول
تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع متبوعه ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز فى غيره توسعا وبانه
قد تقدم المعمول حيث لا مجال لتقدم العامل كما فى قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا
تنهر فان اليتيم والسائل مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع
تقدم الفعلين عليها قال ابو حيان تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا
تقديم معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الآية الكريمة وقول الشاعر فيابى فما يزداد الا لجاجة وكنت
ابيا فى الخنا لست اقدم وحاق بهم اى احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن اى العذاب الذى كانوا
يستعجلون به استهزاء وفى التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار بعلية ما ورد فى حيز الصلة
من استهزائهم به لنزوله واحاطته والتعبير عنها بالماضى وارد على عادة الله تعالى فى اخباره لانها فى
تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفى ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر وتقرير
وقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اى اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة
وغيرها واوصلناها اليه بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه اى سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار
بشدة تعلقه بها وحرصه عليها انه ليؤس شديد القنوط من روح الله قطوع رجاءه من عود امثالها
اجلا او عاجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به كفور عظيم الكفران
لما سلف من النعم وفيه اشارة الى النزع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم
الله عز وجل وتاخيره عن وصف يأسه مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على ان اليأس من فضل
الله سبحانه وقطع الرجاء عن افاضة امثاله فى العاجل وايصال اخيره فى الآجل من باب الكفران
للنعمة السالفة ايضا ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم ووجد بعد عدم وفرج بعد شدة
وفى التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق المؤذن بلذتهما وكونهما مما يرغب فيه وعن ملابسة الضراء
بالمس المشعر بكونها فى ادنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها واسناد الاول الى الله عز وجل دون
الثانى ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده تعالى انما هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن
ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر وانما ينالهم ذلك بسوء اختيارهم نيلا يسيرا كانما

يلاصق وهى كفرانهم بها كما سبق وتنكير الرحمة باعتبار لحوق النزع بها ليقولن ذهب السيئات عنى
اى المصائب التى تسوءنى ولن يعتريني بعد امثالها كما هو شان اولئك الاشرار فان الترغيب لورود
امثالها مما يكدر السرور وينغص العيش انه لفرح بطر واشر بالنعم مغتر بها فخور على الناس بما اوتى
من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها واللام فى لئن فى الآيات الاربع موطئة للقسم وجوابه ساد
مسد جواب الشرط الا الذين صبروا على ما اصابهم من الضراء سابقا ولاحقا ايمانا بالله واستسلاما لقضائه
وعملوا الصالحات شكرا على الآية السالفة والآنفة واللام فى الانسان اما للاستغراق الجنس فالاستثناء
متصل وللعهد فمنقطع اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من
معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم فى الفضل اى اولئك الموصوفون بتلك الصفات
الحميدة لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وان جمت واجر ثواب لاعمالهم الحسنة كبير ووجه تعلق
الآيات الثلث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع
موقع التفصيل من الاجمال الواقع فى قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا وان المعنى كلا من اذاقة النعماء ونزعها
مع كونه ابتلاء للانسان اشكر ام يكفر لا يهتدى الى سنن الصواب بل يحيد فى كلتا الحالتين عنه الى مهاوى
الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصالحين الصابرين او من حيث ان انكارهم بالبعث واستهزائهم
بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا لان طبيعة الانسان مجبولة على ذلك
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك من البينات الدالة على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند
الله عز وجل لمن له اذن واعية وضائق به صدرك اى عارض لك ضيق صدر بتلاوته عليهم
وتبليغه اليهم فى اثناء الدعوة والمحاجة ان يقولوا لان يقولوا تعاميا عن تلك البراهين التى لا
يكاد يخفى صحتها على احد ممن ادنى بصيرة وتماديا فى العناد على وجه الاقتراح لولا انزل عليه كنز
مال خطير مخزون يدل على صدقه او جاء معه ملك يصدقه قيل قاله عبد الله بن امية المخزومى
وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رؤساء مكة قالوا يا محمد اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت
رسولا وقال آخرون ائتنا بالملائكة يشهد وا بنبوتك فقال لا اقدر على ذلك فنزلت فكانه صلى الله
عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه العظايم غير قانعين بالبينات الباهرة التى كانت
تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول
مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها سحرا مثل حاله عم بحال من يتوقع منه ان يضيق
صدره بتلاوة تلك الآيات الساطعة عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما فى لعل من الاشفاق
فقيل انما انت نذير ليس عليك الا الانذار بما اوحى اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول
والله على كل شئ وكيل يحفظ احوالك واحوالهم فتوكل عليه فى جميع امورك فانه فاعل بهم
ما يليق بحالهم والاقتصار على النذير فى اقصى غاية من اصابة المحز ام يقولون افتراه اضراب بام المنقطعة
عن ذكر ترك اعتدادهم بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة

على كونه من عند الله عز وجل وعلى حقية نبوته صلى الله عليه وسلم وشرع فى ذكر ارتكابهم لما هو اشد
منه واعظم وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار والتعجيب والضمير المستكن فى افتراه للنبى صلى الله
عليه وسلم والبارز لما يوحى اى بل ايقولون افتراه وليس من عند الله قل ان كان الامر كما تقولون فأتوا
انتم ايضا بعشر سور مثله فى البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور اى امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة
كل واحدة منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما فى قوله تعالى انؤمن لبشرين مثلنا
او للايمان الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة فى الجميع شئ واحد هو البلاغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز
فكان الجميع واحد مفتريات صفة اخرى لسور اخرى عن وصفه بالمماثلة لما يوحى لانها الصفة المقصودة
بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور
عليه شئ فى مقام التحدى وانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما توهم
ان المراد هو المماثلة فى الافتراء والمعنى فأتوا بعشر سور مماثلة له فى البلاغة مختلفات من عند انفسكم
ان صح انى اختلقته من عندى فانكم اقدر على ذلك منى لانكم عرب فصحاء قد مارستم مبادى ذلك من
الخطب والاشعار وحفظتم الوقايع والايام وزاولتم اساليب النظم والنثر وادعوا للاستظهار
فى المعارضة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من الهتكم التى تزعمون انها ممدة لكم فى كل ما تأتون
وتذرون والكهنة وهداركم الذين تلجأون الى رائهم فى الملمات لتعضدوكم فيها من دون الله
متعلق بادعوا اى متجاوزين الله ان كنتم صادقين فى انى افتريته فان ذلك يستلزم امكان
الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور فان لم
يستجيبوا لكم اى فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر
عنه بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من امره كان امره لهم بالاتيان بمثله
دعاء لهم الى امر يريد وقوعه والضمير فى لكم للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم كما فى قول من قال
وان شئت حرمت النساء سواكم او له وللمؤمنين لانهم اتباع له عم فى الامر بالتحدى وفيه تنبيه لطيف
على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه عم ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين كما كانوا يفعلونه فى الجهاد وارشاد
الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ فى الايمان والطمانينة فى الايمان ولذلك رتب عليه قوله عز وجل
فاعلموا اى اعلموا حين ظهر لكم عجزهم من المعارضة مع تهالكهم عليها علما يقينا مناخا لعين اليقين
بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه كانه ما عداه من مراتب العلم ليس بعلم لكن لا لاشعار
بانحطاط تلك المراتب بل بارتقاء هذه الرتبة وبه يتضح سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة
فان تنزيل ساير المراتب منزلة العدم مستتبع لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه
او اثبتوا واستمروا على ما كنتم عليه من العلم انما انزل ملتبسا بعلم الله المخصوص به بحيث لا يحوم
حوله العقول والافهام مستندا بخصايص الاعجاز من جهتى النظم الرائق والاخبار بالغيب وان
لا اله الا هو اى واعلموا ايضا ان لا شريك له فى الالوهية واحكامها ولا يقدر عليه احد

فهل انتم مسلمون اى مخلصون فى الاسلام او ثابتون عليه وهذا من باب التثبيت والترقيه
الى معارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب فى الكل للمشركين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم
داخلا تحت الامر بالتحدى والضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم اى فان لم يستجب لكم الهتكم وساير من
اليهم تجارون فى مهماتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا ان ذلك خارج عن دايرة قدرة البشر وانه
منزل من خالق القوى والقدر فايراد كلمة الشك مع الجزم بعدم الاستجابة من جهة الهتهم
وتهكم بهم وتسجيل عليهم بكمال سخافة العقل وترتيب الامر بالعلم على مجرد عدم الاستجابة من حيث
انه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكانه قيل فان لم يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم
بعد ما اضطررتم الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل او من حيث ان من يستمدون
بهم اقوى منهم فى اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور عجز بانفسهم يكون
عجزهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان الهتكم بمعزل عن رتبة الشركة فى الالوهية واحكامها فهل انتم داخلون
فى الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة فى حقيته وفى بطلان ما كنتم فيه من الشرك فيدخل فيه الاذعان
لكون القران من عند الله تعالى دخولا اوليا او منقادون للحق الذى هو كون القران من عند الله تعالى و
تاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفى هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب و
التنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقناط من مجيرهم الهتهم من باس الله عز سلطانه هذا
والاول انسب لما سلف من قوله تعالى وضايق به صدرك ولما سياتى من قوله تعالى فلا تك
فى مرية منه واشد ارتباطا بما يعقبه كما ستحيط به خبرا من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اى ما يزينها
ويحسنها من الصحة والامن والسعة فى الرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد بالارادة
ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله تعالى نوف اليهم اعمالهم فيها
وادخال كان عليها للدلالة على الاستمرار منهم بحيث لا يكادون يريدون الاخرة اصلا وليس
المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد ينال كل ما يهواه فان ذلك
منوط بالمشية الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها
ما نشاء لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذى يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء
من اعمال البر وقد اطلقت واريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم فى الحيوة الدنيا
كاملة وقرئ يوف على الاسناد الى الله عز وجل ويوف بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع اعمالهم
وقرئ توفى بالتخفيف والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا
غائب مالى ولا حرم وهم فيها اى فى الحيوة الدنيا لا يبخسون اى لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس
الذى هو نقص الحق مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية التى هى اعطاء
الحقوق مع ان اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور
الاعمال ومبالغة فى نفى النقص كان ذلك نقص لحقوقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم

اصلا والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا ولا يحرمونها
حرمانا كليا واما فى الاخرة فهم فى الحرمان المطلق والياس المحقق كما ينطق به قوله تعالى اولئك فانه
اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحيوة الدنيا او باعتبار توفيتهم اجورهم من غير بخس وباعتبا
معا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى سوء الحال اى اولئك المريدون للحيوة الدنيا
وزينتها الموفون فيها ثمرات اعمالهم من غير بخس الذين ليس لهم فى الاخرة الا النار لان هممهم
كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم مقصورة على تحصيلها وقد احسوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون
بها شيئا اخر فلا جرم لم يكن لهم فى الاخرة الا النار وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا فيها اى ظهر فى الاخرة
حبوط ما صنعوا من الاعمال التى كانت تؤدى الى الثواب لو كانت معمولة للاخرة او حبط ما صنعوا
فى الدنيا فى اعمال البر اذ شرط الاعتداد بها الاخلاص وباطل اى فى نفسه ما كانوا يعملون فى
اثناء تحصيل المطالب الدنياوية ولاجل ان الاول من شانه استتباع الثواب والاخر وان عدمه
لعدم مقارنته للاخلاص والنية الصحيحة وان الثانى ليس جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط
المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل المنبئ عن الحدوث وبالثانى البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل
تحته اصلا بالاسمية الدالة على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفى زيادة كان فى الثانى دون
الاول ايماء الى ان صدور اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس فى الاستمرار والدوام كصدور
الاعمال التى هى من مقدمات مطالبهم الدنيوية وقرئ وبطل على الفعل اى ظهر بطلانه حيث علم هناك
ان ذلك وما يستتبعه من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثره الدنيوى فبطل مطلقا
وقرئ وباطلا ما كانوا يعملون على ان ما ابهامية او فى معنى المصدر كقوله ولا خارجا من فى زور الكلام
وعن انس رضى الله عنه ان المراد بقوله تعالى من كان يريد اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او
وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة فى الرزق وصحة فى البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم فى الغنايم وانت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة
والسورة مكية وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل
ذلك وهكذا لغيره من يعمل اعمال البر لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم
الا النار بان ليس لهم بسبب اعمالهم الريائية الا ذلك والذى تقتضيه جزالة النظم الكريم ان
المراد به مطلق الكفرة بحيث يندرج فيهم القادحون فى القران العظيم اندراجا اوليا فانه عز وعلا لما
امر نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بان يزدادوا علما ويقينا بان القران منزل بعلم الله وبان
لا قدرة لغيره على شئ اصلا ونبههم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة
وما يدعون من دون الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شئ اصلا اقتضى الحال ان يتعرض
شئونهم الموهمة لكونهم على شئ فى الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستوائهم على المطالب الدنيوية وبيان
ان ذلك بمعزل من الدلالة عليه ولقد بين ذلك اى بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان

بالقران والتوحيد والاسلام فقيل افمن كان على بينة من ربه اى برهان نير عظيم الشان يدل على
حقية ما رغب فى الثبات عليه من الاسلام وهو القران وباعتباره او بتاويل البرهان ذكر الضمير
الراجع اليها فى قوله تعالى ويتلوه اى يتبعه شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز
فى نظمه المطرد فى كل مقدار سورة منه او ما وقع فى بعض اياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد
بكونه من عند الله عز وجل غير انه على تقدير الاول يكون الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمؤمنون فى تمسكهم بالقران غير خارج عنه او من جهة الله تعالى فان كلا منهما وارد من
جهة الله تعالى للشهادة ويجوز هذا التقدير ان يراد بالشاهد المعجزات الظاهرة على يدى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة للقران الواردة من جهته تعالى فالمراد
بمن فى قوله افمن كل من اتصف بهذه الصفة الحميدة فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل انتم
دخولا اوليا وقيل هو النبى صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنوا اهل الكتاب كعبد بن سلام واضرابه
وقيل المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد القران فالضمير فى منه لله عز وجل او البينة القران ويتلوه
من التلاوة والشاهد جبرئيل او لسان النبى صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او من التلو والشاهد
للبرهان اقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى تابعا له بحيث لا يفارقه فى مشهد من المشاهد
فان القران بينه باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذى يشهد بامرها الى يوم القيمة عند كل مؤمن
وجاحد عطف كتاب موسى فى قوله عز قائلا ومن قبله كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه فى
النزول قبله هو كتاب موسى وانما قدم فى الذكر المؤخر فى النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق
عنه ولعراقته فى وصف التلو والتنكير فى بينه وشاهد اخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم فى الذكر
المؤخر فى النزول لكونه وصفا لازما له غير مفارق عنه ولعراقته فى وصف التلو والتنكير فى بينه وشاهد
للتفخيم اماما اى مؤتما به فى الدين ومقتدى وفى التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب
ما لا يخفى من تفخيم شان المتلو ورحمة اى نعمة عظيمة على من انزل اليهم ومن بعدهم الى القيمة باعتبار احكامه
الباقية المؤيدة بالقران العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك الموصوفون بتلك الصفة الحميدة وهى
الكون على بينة من الله ولما ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد
لمن سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقايق الحقايق وصفهم بانهم يؤمنون به اى يصدقونه حق
التصديق حسبما يشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به اى بالقران ولم يصدق
بتلك الشواهد صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وعلا ليس فى
الاخرة الا النار وفى جعلها موعدا اشعار بان له فيها ما لا يوصف من افانين العذاب فلا تك فى مرية منه
اى فى شك من امر القران وكونه من عند الله عز وجل بما شهدت به شواهد المذكورة وظهر فضل من
تمسك به انه الحق من ربك الذى يربك فى دينك ودنياك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك
اما لقصور انظارهم واختلال افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم فمن فى قوله تعالى افمن كان على بينة من

ربه مبتداء حذف خبره لاغناء الحال عن ذكره وتقديره افمن كان على بيّنة من ربّه كاولئك الّذين ذكرت
اعمالهم وبين مصيرهم ومالهم يعنى ان بينهما تفاوتا عظيمًا بحيث لايكاد يرااى نارهما وايراد الفاء بعد الهمزة
لانكار ترتب توهم المماثلة على ماذكر من صفاتهم وعدّ من هناتهم كانه قيل ابعدظهور حالهم فى الدّنيا
والآخرة كما وصف بتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على احسن مايكون فى العاجل والاجل كما فى قوله تعالى
افاتّخذتم من دونه اولياء اى بعد ان علمتوه ربّ السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى
افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربّك الحق كمن هو اعمى ومن اظلم ممن افترى ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا بان نسب اليه ما لايليق به كقولهم للملئكة بنات الله تعالى عن ذلك علوّا كبيرا او قولهم لالهتهم
هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعنى انهم مع كفرهم بايات الله تعالى مفترون عليه كذبا وهذا التركيب وان
كان سبكه على ان كار ان يكون احد اظلم منهم من غير تعرض لانكار المساوات ونفيها ولكن المقصود به قصدا
مطردا انكار المساوات ونفيها وافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيتلى من قوله عزّ وجل لاجرم
انهم فى الاخرة هم الاخسرون فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد منه حتما انّه اكرم من كلّ
كريم وافضل من كل فاضل اولئك الموصوفون بالظلم البالغ الّذى هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الاشا
من حصلت العسه عن اسناد العرض الى اعمالهم واكتفى باسناده اليهم حيث قيل يعرضون لان عرضهم
من تلك الحيثية وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله افطع من عرض
عمله مع غيبة على ربّهم الحق وفيه ايماء الى بطلان رايهم فى اتخاذهم اربابا من دون الله عزّ وجل و
يقول الاشهاد عند العرض من الملئكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد او شهيد كاصحاب
واشراف هؤلاء الّذين كذبوا على ربّهم بالافتراء عليه كان ذلك امر واضح غنى عن الشّهادة بوقوعه
وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه ذلك فلذلك لايقولون هؤلاء كذبوا على ربّهم
ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحضّار وهو جميع اهل الموقف على ماقاله قتاده ومقاتل ويكون قولهم
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ذما لهم بذلك لاشهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون ويشهد
وتوطئة لما يعقبه من قوله الا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون هذا على الوجه
الاوّل من كلام الله عزّ وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللّهم انا نعوذ بك من
الخزى على رؤس الاشهاد الّذين يصدون اى كلّ من يقدرون على صده او يفعلون الصّد عن سبيل
الله عن دينهم القويم ويبغونها عوجًا انحرافا اى يصفونها بذلك وهو ابعد شئ منه او يبغون اصلها
ان يحرفوا عنها يقال بغيتك خيرا او شرّا اى طلبت لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقران وقولهم انه ليس من
عند الله وهم بالاخرة هم كافرون اى يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها الا انهم يؤمنون
بها ويزعمون ان لها سبيلا سويا يهدون الناس اليه تكرير الضمير لتاكيد كفرهم واختصاصهم به كان كفر
غيرهم ليس شئ عند كفرهم اولئك مع ما وصف من احوالهم الموجبة للتدبير لم يكونوا معجزين الله تعالى
معلتين بانفسهم من اخذه لو اراد ذلك فى الارض مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب وما كان لهم

من

من دون الله من اولياء ينصرونهم من باسه ولكن اخّر ذلك الحكمة تقتضيه والجمع اما باعتبار افراد الكلمة
كانه قيل وماكان لاحد منهم من ولىّ او باعتبار تعدد ماكانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون
ذلك بيانا لحال الهتهم من سقوطها عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب استيناف يتضمن حكمه
تاخير المؤخذة وقرا ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالتشديد ماكانوا يستطيعون السّمع لفرط
اتصافهم عن الحقّ وبغضهم له كانهم لايقدرون على السّمع ولما كان قبح حالهم فى عدم اذعانهم للقرآن
الّذى طريق تلقيّه السمع اشد منه فى عدم قبولهم لساير الآيات المنوطة بالابصار بالغ فى نفى الاوّل عنهم
حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى فى الثانى بنفى الابصار فقال وماكانوا يبصرون لتعاميهم عن
آيات الله المبسوطة فى الانفس والافاق وهو استيناف وقع تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان
لما نفى من ولاية الالهة فان ما لايسمع ولايبصر بمعزل من الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب
اعراض وسط بينهما نعيا عليهم من اوّل الامر سوء العاقبة اولئك المنعوتون بما ذكر من ذكر من
القبايح الّذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الالهة بعبادة الله عزّ سلطانه وضل عنهم
ماكانوا يفترون من الالهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى
الحسرة والندامة لاجرم فيه ثلثة اوجه الاوّل ان لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى حق وان مع ما فيه
حيزه فاعله والمعنى ان لاينفعهم ذلك الفعل حق انهم فى الآخرة هم الاخسرون وهذا مذهب
سيبويه والثانى جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دلّ عليه الكلام اى كسب ذلك خسرانهم
فالمعنى ما حصل من ذلك الّا ظهور خسرانهم والثالث ان لاجرم بمعنى لابد اى لابد انهم فى الاخرة
هم الاخسرون وايّا ما كان فمعناه انهم اخسر من كل خاسر فتبيّن انهم اظلم من كل ظالم وهذه الآيات
الكريمة كما ترى مقررة لما سبق من انكار المماثلة بين من كان على بيّنة من ربّه وبين من كان
يريد الحيوة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا اظلم من كلّ ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصوّر مماثلة بينهم
وبين احد من الظّلمة الاخسرين فما ظنّك بالمماثلة بينهم وبين هو فى اعلى مدارج الكمال ولمّا ذكر
فريق الكفّار واعمالهم وبين مصيرهم وما لهم شرع فى بيان حال اضدادهم اعنى فريق المؤمنين وما
تؤل اليه امرهم من العواقب الحميدة تكملة لما سلف من محاسنهم المذكورة فى قوله تعالى افمن كان على
بيّنة من ربه الا بالنبيين ما بينهما من التباين البيّن حالا وما لا فقيل انّ الّذين آمنوا اى بكل
ما يجب ان يؤمن به فيندرج تحته ما نحن بصدده من الايمان بالقرآن الذى عبّر عنه بالكون على بيّنة
من الله وانّما يحصل ذلك باستماع الوحى والتّدبر فيه ومشاهدة ما يؤدى الى ذلك فى الانفس والافاق
او فعلوا ايمان كما فى يعطى ويمنع وعملوا الصّالحات واخبتوا الى ربّهم اى اطمئنّوا اليه وانقطعوا الى عبادته
بالخضوع والتواضع من الخبت وهى الارض المطمئنّة ومعنى اخبت دخل فى الخبت كانهم وانجد دخل فى
تهامة ونجد اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة اصحاب الجنّة هم فيها خالدون دائمون
وبعد بيان تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل مثل الفريقين المذكورين اى حالهما

العجيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات **كالاعمى والاصم والبصير والسميع**
اى كحال هولاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول بالاعمى وبالاصم
وتشبيه الفريق الثانى بالبصير والسميع لكن الادخل فى المبالغة والاقرب الى ما يشير اليه لفظ المثل و
الانسب بما سبق من وصف الكفرة بعدم استطاعة السمع وبعدم الابصا ان يحمل على تشبيه الفريق الاول
بمن جمع بين العمى والصمم وتشبيه الفريق الثانى بمن جمع بين البصر والسمع على ان يكون الواو فى قوله تعالى
والاصم وفى قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما فى قول من قال الى الملك القرم وابن الهمام وليث
الكتيبة فى المزدحم واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ المثل وهى التى يدور عليها
امر التشبيه ما يلايم الاحوال المذكورة المعتبرة فى جانب المشبة به من تعامى الفريق الاول عن مشاهدة
ايات الله المنصوبة فى العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصامهم عن استماع ايات القران الكريم وتلقيها
بالقبول حسبما ذكر فى قوله تعالى لا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وانما لم يراع هذا الترتيب ههنا
لكون الاعمى اظهر واشهر فى سوء الحال من الاصم ومن استعمال الفريق الثانى بكل من ابصارهم واسماعهم
فيما ذكر كما ينبغى المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح والاخبات حسبما فسر به فيما مر
فلا يكون التشبيه تمثيليا لا جميع الاحوال المعدودة لكل من الفريقين مما ذكر وما يودى اليه من
العذاب المضاعف والخسران البالغ فى احدهما ومن النعيم المقيم فى الاخر فان اعتبار ذلك منزع الى
كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من حال الفريق الاول فى تصامهم وتعاميهم المذكورين ووقوعهم
بسبب ذلك فى العذاب المضاعف والخسران الذى لا خسران فوقه هيئة فتشبيه بهيئة منتزعة
ممن فقد مشعرى البصر والسمع فتخبط فى مسلكه فوقع فى مهاوى الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع
من حال الفريق الثانى فى استعمال مشاعرهم فى ايات الله تعالى حسبما ينبغى وفوزهم بدار الخلود هيئة
فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما فى مهماته فيهتدى الى سبيله وينال مرامه **هل**
يستويان يعنى الفريقين المذكورين والاستفهام انكارى مذكر لما سبق من انكار المماثلة فى قوله عز
وجل افمن كان على بينة الاية **مثلا** اى حالا وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان **افلا تذكرون**
اى تشكون فى عدم الاستواء وما بينهما من التباين او تغفلون عنه فلا تتذكرونه بالتامل فيما ضرب
لكم من المثل فيكون الانكار واردا على المعطوفين معا او تسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا
الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو المثل المضروب كما فى قوله تعالى افان مات او قتل
انقلبتم على اعقابكم فان الفاء هناك لانكار الانقلاب بعد تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل
قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم او افلا تعقلون التذكر او افلا تعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم
التذكر واستبعاد صدوره عن المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع الا من قبل الانكار فى قوله تعالى
افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى هل يستويان فان ذلك لنفى المماثلة ونفى الاستواء ومما تبين
من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام انها كتاب محكم الايات مفصلها نازل فى شان التوحيد وترك

عباده

عبادة غير الله سبحانه وان الذى انزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وفى تضاعيف ذلك ما له
مدخل فى تحقيق هذا المرام من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة
الدالة على كونه من عند الله تعالى وتسلية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم مما عراه من ضيق الصدر
العارض له من اقتراحاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقران تارة سحرا واخرى مفترى وتثبيته
عليه السلام والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع فى تحقيق
ما ذكر وتقريره بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة
الكريمة ليتاكد ذلك بطريقين احدهما ان ما امر به من التوحيد وفروعه مما اطبق عليه الانبياء
قاطبة والثانى ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحى فلا يبقى فى حقيته
كلام اصلا وليتسلى بما يشاهده من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدايد من جهتهم
فقيل **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه** الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحذف الواو كما فى سورة
الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد يطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة التوقع وان المخاطب اذا
سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن ملك بن متوشلح بن ادريس عليهما السلام وهو اول نبى بعث
بعده قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بعث عليه السلام على راس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه
تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل
بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة
ومكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا
واربعمائة وخمسين سنة **انى لكم نذير** بالكسر على ارادة القول اى فقال او قائلا وقرئ ابن كثير وابو عمرو
والكسائى بالفتح على اضمار حرف الجر اى ارسلناه ملتبسا بذلك الكلام وهو انى لكم نذير بالكسر فلما اتصل
به الجار فتح كما فتح فى كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد واقتصر على ذكر كونه عليه السلام
نذيرا لا لان دعوته عليه السلام كانت بطريق الانذار فقط الا يرى الى قوله عليه السلام فقلت استغفروا
ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الخ بل لانهم لم يغتنموا البشارة **مبين** ابين لكم
موجبات العذاب ووجه الخلاص عنه لان الانذار اعلام المحذور لا لمجرد التخويف والازعاج بل للحذر
منه فيتعلق بكلا وصفيه **الا تعبدوا الا الله** اى بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية والباء متعلقة
بارسلنا ولا ناهية اى ارسلناه ملتبسا بنهيهم عن الشرك الا الله وسطه بينهما ببيان بعض اوصافه واحواله
عم وهو كونه نذيرا مبينا ليكون ادخل فى القبول ولم يفعل ذلك فى صدر السورة لئلا يفرق بين الكتاب
ومضمونه بما ليس من اوصافه واحواله او مفسرة متعلقة به او بنذير او مفعول لمبين وعلى قراءة الفتح
بدل من انى لكم نذير مبين وتعيين لما يوجب وقوع المحذور وتبيين لوجه الخلاص وهو عبادة الله تعالى
قوله **انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم** تعليل لموجب النهى وتصريح بالمحذور وتحقيق للانذار والمراد به يوم
القيمة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازى للمبالغة كما فى نهاره صايم وهذه المقالة وما فى

معناها مما قاله عليه السّلام فى اثناء الدّعوة على ما عزى اليه فى ساير السّور لما تصدر عنه عليه السلام مرّة
واحدة بل كان يكررها عليهم فى تلك المدّة المتطاولة على ما نعلّق به قوله تعالى ربّ انّى دعوت قومى
ليلا ونهارا الايات عطف على فعل الرّسالة المقارن اليها او القول المقدّرة بعد جوابهم المتعرّض لاحوال
المؤمنين الّذين اتّبعوه عليه السّلام بعد التّنبيا واللتى بالفاء التعقيبيّة فقيل فقال الملا الّذين
كفروا من قومه اى الاشراف منهم من قولهم فلانٌ ملىٌّ بكذا اى مطيق له لانهم هوابكفايات الامور او
لانهم ملؤا القلوب هيبة والمجالس ابهته او لانهم ملا بالاحلام والاراء الصّائبة ووصفهم بالكفر لذمّهم
والتسجيل عليهم بذلك من اوّل الامر لا لانّ بعض اشرافهم ليسوا بكفرة ما نراك الّا بشرا مثلنا مرادهم
ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزيّة تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوّة ولو كان كذلك لرايناه
لا ان ذلك محتمل ولكن لا نراه وكذا الحال فى قولهم وما نريك اتّبعك الّا الّذين هم اراذلنا بادى
الرّاى فالفعلان من رؤية العين وقوله تعالى الّا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا قوله اتّبعك
فى موضع الحال منه امّا على حاله او بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون من رؤية القلب
وهو الظّاهر فهما المفعول الثانى وتعلّق الرّاى فى الاوّل بالمثليّة لا بالبشريّة فقط وانّما لم يثبتوا القول
بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه اراءة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا بل بعد التّامل فى الامر والتدبّر
فيه ولذلك فتصروا على ذكر الظّن فيما سياتى وتعريضا من اوّل الامر براى المتبعين فكان قولهم وما
نراك جواب عما يرد عليهم من انه عليه السّلام ليس مثلهم حيث عاين دلايل نبوته واغتنم اتباعه
من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هؤلاء اراذلنا اى اخسّاؤنا واداسنا جمع ارذل فانّه
صار بالفعليّة جاريا مجرى الاسم كالابر والاكابر او جمع ارذل جمع رذل كالكالب والاكلب يعنون
انّه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة راى وقد كان ذلك منهم فى بادى الرّاى
اى ظاهره من غير تعمق من البدو او فى اوّله من البداء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها
وقد قراه ابو عمرو بها وانتصابه على الظّرفيّة على حذف المضاف اى وقت حدوث بادى الرّاى و
العامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولى الباب الراجحة لفقرهم فانّهم لمّا لم يعلموا الا ظاهر
الحيوة الدّنيا كان الاشراف عندهم الاكثر منها حظا والارذل من حرمها ولم نفقهوا ان ذلك لا يزن
عند الله جناح بعوضة وان النّعيم انما نعيم الاخرة والاشرف فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله
تعالى من ذلك وما نرى لكم اى لك ولمتبعك فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل
يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوّتك ولا يحدث لك فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم
ههنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم برو التهم فيما سبق باعتبا حالهم السّابق واللاحق ومرادهم
انّهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا بل نظنّكم كاذبين
جميعا الكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة او اياك فى دعوى النبوّة واياهم فى تصديقك واقتصارهم
على الظّن احترازا منهم عن نسبتهم الى المجازفة ومجارات معه عم بطريق الارادة على نهج الانصاف قال

قال يا قوم ارايتم اى اخبرونى وفيه ايماء الى ركاكة رايهم المذكور ان كنت على بيّنة برهان ظاهر
من ربّى وشاهد يشهد بصحة دعواى واتانى رحمة من عنده هى النبوّة ويجوز ان يكون هى البيّنة
نفسها جئ بها ايذانا بانها مع كونها بيّنة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضّمير فى
قوله فعميت عليكم ح ظاهر وان اريد بها النّبوة بالبيّنة البرهان الدّال على صحتها فالافراد لارادة
كلّ واحدة منهما او لكون الضّمير للبيّنة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوّة او لتقدير فعل
اخر بعد البيّنة ومعنى عمّيت اخفت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته ان الحجة كما تجعل عمياء
لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره وفى قراءة انى فعمّاها عليكم على الاسناد الى الله عزّ وجل انلزمكموها
اى انلزمكم على الاهتداء بها وهو جواب ارايتم وساد ومسد جواب الشرط وقرئ ابو عمرو باخفاء حركة
الميم وحيث اجتمع ضميران منصوبان وقد قدّم اعرفهما جاز فى الثّانى الوصل والفصل فوصل كما فى قوله
تعالى فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاهون فيها ومحصول الجواب اخبر
ونى ان كنت على حجة ظاهرة الدّلالة على صحّة دعواى الّا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم ايمكننا ان
نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبّرين فيها اى لا يكون ذلك وظاهره مشعر بصدوره عنه
عليه السلام بطريق اظهار باس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله ولا ينفعكم نصحى الخ لكنّه
محمول على ان مراده عليه السّلام ردهم عن الاعراض عنها وحثهم على التدبر فيها بصرف الانكار الى
الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقًا هذا ويجوز ان يكون المراد بالبيّنة دليل العقل الذى
هو هلاك الفضل وبحسبه يمتاز افراد البشر بعضها عن بعض وبه يناط الكرامه عند الله عزّ وجل
والاجتباء للرّسالة وبالكون عليها التمسك به والثّبات عليه وبخفائها على الكفرة على ان يكون الضّمير
للبيّنة عدم ادراكهم لكونه عليه السّلام وبالرحمة النبوّة التى انكروا اختصاصه عليه السّلام بها من
ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم ان عهد النّبوّة لا ينال الامن له فضيلة على ساير النّاس مستتبعة لاختصاصه
به دونهم اخبرونى ان اقترن عنكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربّى واتانى بحسبها نبوة من
عنده فخفيت عليكم تلك البيّنة ولم تصيبوها ولم تنالوها ولم تعلموا حيازتى لها وكونى عليها الى الان
حتى زعمتم انى مثلكم وهى متحققة فى نفسها انلزمكم قبول نبوتى التابعة لها والحال انكم كارهون لذلك
فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة وح يكون كلامه عليه السّلام جوابا
عن شبههم التى ادرجوها فى خلال مقالهم من كونه عم بشرا قصارى امره ان يكون مثلهم من غير له
عليهم وقطعا لساحة ارائهم الركيكة ويا قوم لا اسئلكم عليه اى على ما قلته فى اثناء دعوتكم
مالا تؤدونه الىّ بعد ايمانكم واتباعكم لى فيكون ذلك اجرا لى فى مقابلة اهتدائكم ان اجرى الّا
على الله الذى يثيبنى فى الاخرة وفى التعبير عنه حين نسب اليهم بالمال ما لا يخفى من المزيّة وما
انا بطارد الّذين امنوا جواب عمّا لوحوا به بقولهم وما نريك اتبعك الّا الّذين هم اراذلنا من انّه
لو اتّبعه الاشراف لوافقوهم وان اتباع الفقراء مانع لهم عن ذلك كما صرّحوا به فى قولهم انؤمن لك

واتبعك الارذلون فكان ذلك التماسًا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عم بذلك انفة من الانتظام معهم
فى واحد انهم ملاقوا ربهم تعليل لامتناعه عليه السلام عن طردهم اى انهم فايزون فى الاخرة بلقاء الله
عز وجل كانه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسى لانهم مقربون فى حضرة القدوس والتعرض لوصف
الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن طردهم او مصدقون فى الدنيا بلقاء ربهم موقنون
به عاملون انهم ملاقوه لا محالة فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم يلاقونه فيجازيهم على ما فى قلوبهم
من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لى نوح عم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادئ
الراى من غير نظر وتفكر وما على ان اشق على قلوبهم واعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان
الامر كما تزعمون يا باه الجزم بترتيب غضب الله تعالى على طردهم كما سياتى وايصال انما قالوا ان اتباعهم
لك انما هو بحسب بادى الراى بلا تامل وتفكر وهذا لا يكاد يصلح مدارا للطرد فى الدنيا ولا للمواخذة
فى الاخرة غايته ان لا يكون نوافى مرتبة الموقنين وادعاء ان بناء الايمان على ظاهر الراى يؤدى الى الرجوع
عنه عند التامل فكانهم قالوا انهم اتبعوك بلا تامل فلا يثبتون على دينك بل يرتدون عنه تعسف
لا يخفى **ولكنى اريكم قوما تجهلون** بكل ما ينبغى ان يعلم ويدخل فيه جهلهم بلقاء الله عز
وعلا وبتميزهم عنه وباستيجاب طردهم لغضب الله كما سياتى وبركاكة رايهم فى التماس ذلك و
توقيف ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم فى سلك واحد وزعما منهم ان الرذالة بالفقر والشرف
بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار او تتسافهون على المؤمنين نسبتهم الى الخساسة
ويا قوم من ينصرنى من الله بدفع حلول سخطه عنى **ان طردتهم** فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد
ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح به اشعارا بانه غنى عن البيان لا سيما عما قدم ما يلوح به
من احوالهم فكانه قيل من يدفع عنى غضب الله تعالى ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة
والزلفى كما ينبئ عنه قوله تعالى **افلا تذكرون** اى اتستمرون على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا
تتذكرون ما ذكر من حالهم حتى تعرفوا ان ما تاتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة
بوجه مخصوص ظاهر الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد افردت عن التعليل السابق وصدرت بيا قوم
ولا اقول لكم حين ادعى النبوة **عندى خزائن الله** اى رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها
على كذبى بقولكم **وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين** فان النبوة اعز من ان ينال باسباب
دنيوية ودعواها بمعزل عن ادعاء المال والجاه **ولا اعلم الغيب** اى لا ادعى فى قولى انى لكم
نذير مبين انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد ولا اقول
لكم انى ملك حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من مباديها
يعنى انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلثة ذريعة الى تكذيبى والحال انى لا ادعى شيئا من ذلك ولا
الذى ادعيه يتعلق بشئ منها وانما يتعلق بالفضايل النفسانية التى بها تتفاوت مقادير البشر **ولا
اقول** مساعدة لكم كما تقولون **للذين تزدرى اعينكم** اى تستحقرهم وتحتقرهم من ذراه اذا عابه

واسناد الازدراء الى اعينهم بالنظر الى قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا واما للاشعار
بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا فى شانهم ما فعلوا ذلك اى لا اقول فى شان الذين استرذلوهم
لفقرهم من المؤمنين **لن يؤتيهم الله خيرا** فى الدنيا او فى الاخرة فعسى الله ان يؤتيهم خير الدارين
ان قلت هذا القول ليس مما يستنكره الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام اصالة و
استتباعا كادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزاين مما نفاه عليه السلام عن نفسه بطريق التبرى
والتنزه عنه فمن اى وجه عطف نفيه على نفيها قلت من جهة ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل
الذى تمسكوا به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانها لا تسنى ممن ليس
على تلك الصفات وان العثور على مكانها واغتنام مغانمها ليس من داب الاراذل فاجاب عليه
السلام بنفى ذلك جميعا فكانه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا عدم المال
والجاه من موانع الخير **الله اعلم بما فى انفسهم** من الايمان وانما هو اقتصر على نفى القول المذكور مع
انه عم جازم بان الله سبحانه سيؤتيهم خيرا عظيما فى الدارين فانهم على يقين راسخ فى الايمان
جريا على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان
اللائق لكل احد ان لا يثبت القول الا فيما يعلمه يقينا ويبنى اموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف
فيما ليس فيه على تنبيه ظاهرة **انى اذا** اى اذا قلت ذلك **لمن الظالمين** بحطه من رتبتهم ونقص حقوقهم
او من الظالمين لانفسهم بذلك فان وباله راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون فى ازدرائهم
واسترذالهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزاين وهو بعيد
لان تبعة تلك الاقوال مغنية عن التعليل بلزوم الانتظام فى زمرة الظالمين **قالوا يا نوح قد
جادلتنا** خاصمتنا **فاكثرت جدالنا** اى اطلته او اتيته بانواعه فان اكثار الجدال يتحقق بعد وقوع
اصله فلذلك عطف عليه بالفاء او اردت ذلك فاكثرته كما فى قوله تعالى فاذا قرات القرآن
فاستعذ بالله ولما حجتهم عم وابرز لهم بينات واضحة المدلول وحجا تلقاها القبول و
الفهم بالجرد وشبههم الباطلة ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا **فاتنا بما تعدنا**
من العذاب المعجل والعذاب الذى اشير اليه فى قوله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير
ان لا يكون المراد بالقيمة **ان كنت من الصادقين** فيما تقول **قال انما ياتيكم به الله ان شاء**
يعنى ان ذلك ليس موكولا الى ولا هو مما يدخل تحت قدرتى وانما ياتيكم به الله الذى كفرتم به وعصيتموه
ياتيكم به عاجلا او اجلا ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكانه
قيل الاتيان به امر خارج عن دايرة القوى البشرية وانما يتعلق بالعلانية عز وجل **وما انتم بمعجزين**
بالهرب او بالمدافعة كما تدافعوننى فى الكلام **ولا ينفعكم نصحى** النصح كلمة جامعة لكل ما يدور عليه
الخير من فعل او قول وحقيقته امحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه الغش وقيل هو اعلام
موقع الغى ليتقى وموضع الرشد ليقتفى **ان اردت ان انصح لكم** شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق

عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحى وهذه الجملة دليل على ما حذف جوابه لدلالة ما
سبق عليه قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم والتقدير ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم
لا ينفعكم نصحى هذا على ما ذهب اليه البصريون من عدم تقديم الجزاء على الشرط واما على ما ذهب الكوفيون
من جوازه فقوله عز وعلا ولا ينفعكم نصحى جزاء للشرط الاول والجملة خبر للشرط الثانى وعلى التقديرين
فالجزاء متعلق بالشرط الاول وتعلقه به معلق بالشرط الثانى وهذا الكلام متعلق بقولهم قد
جادلتنا فاكثرت جدالنا صدر عنه عليه السلام اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات لتماديهم
فى العناد وايذانا بان ما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم والشفقة عليهم
وبانه لم يال جهدا فى ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى سبيله المستبين وامحاض النصح لهم ولكن لا
ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوائهم وتقييد عدم نفع النصح بارادته مع انه محقق لا محالة
للايذان بان ذلك النصح منه مقارن للارادة والاوهام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما
وقع بازائه من ارادته تعالى لاغوائهم وانما اقتصر فى ذلك على مجرد ارادة الاغواء دون نفسه
حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة فى بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل ذلك على ان نصحه
المقارن للاهتمام به لا يجديهم عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوائهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه
فيهم وزيادة كان للاشعار بتقديم ارادته تعالى زمانا لتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها و
استمرارها وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فاتنا بما تعدنا من قوله تعالى انما ياتيكم به الله
انشاء ردا عليهم من اول الامر تسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال الجواب بالسؤال
وفيه دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغواء وان خلاف مراده وغير واقع وقيل معنى ان
يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا سم وهلك هو ربكم خالقكم ومالك امركم واليه
ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام يقولون افتراه قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى نوحا عم
ومعناه بل ايقول قوم نوح ان نوحا عم ومعناه بل ايقول افترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل قل
يا نوح ان افتريته بالغرض البحث فعلى اجرامى اثمى ووبال وهو كسب الاثم وقرئ بلفظ الجمع
وينصره ان فسره الاولون باثامى وانا برئ مما تجرمون من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى فلا حاجة لاعراضكم
على ومعاداتكم لى وقال مقاتل يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه بل ايقول مشركوا مكة افترى
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح عليه السلام فكانه انما جئ به فى تضاعيف القصة عند سوق
طرف منها تحقيقا لحقيتها وتاكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة
طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة
بعذابهم واوحى الى نوح انه لن يؤمن من قومك اى المصرين على الكفر وهو اقناط له عليه السلم
واعلام لكونه كالمحال الذى لا يصح توقعه الا من قد امن الا من وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه
وهذا الاستثناء على طريقة قوله الا ما قد سلف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اى لا تحزن حزن بائس

مستكين ولا تعم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزاء والايذاء فى هذه المدة الطويلة فقد انتهى
افعالهم وحان وقت الانتقام منهم ويصنع الفلك ملتبسا باعيننا اى بحفظنا وكلائتنا كان معه
من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلؤنه باعينهم من التعدى من الكفرة ومن الزيغ فى الصنعة ووحينا اليك
كيف تصنعها مثل جؤجؤ الطاير والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب
كوجوبها واللام اما للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحى الله تعالى اليه عم انه سيهلكهم
بالغرق وينجيه ومن معه بشئ سيصنعه بامره تعالى ووحيه من شانه كيت وكيت واسمه كذا واما
للجنس قيل صنعها عم فى سنين وقيل فى اربعمائة سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلثة
بطون حمل فى البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الاوسط الدواب والانعام وفى البطن
الاعلى جنس البشر هو ومن معه ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد ادم عم وقيل جعل الاول
الدواب والوحوش وفى الثانى الانس وفى الاعلى الطير قيل كان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين
ذراعا وسمكها ثلثين ذراعا وقال الحسن كان طولها الفا ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وقيل
ان الحواريين قالوا لعيسى عم لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى
كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم
قال هذا كعب بن حام قال فضرب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه
وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكنى ظننت انها
الساعة فمن ثم شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الفا ومائتى ذراع وعرضها
ستمائة ذراع وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال
عد باذن الله تعالى كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا اى لا تراجعنى فيهم ولا تدعنى باستدفاع
العذاب عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعنى فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بما
يستتبعه اكد التعليل فقيل انهم مغرقون اى محكوم عليهم بالاغراق قد مضى به القضاء وجف
القلم فلا سبيل الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للاخرين ويصنع
الفلك حكاية حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديره واخذ يصنع الفلك او اقبل
يصنعها فاقتصر على يصنع وايا ما كان ففيه ملاءمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من
ضميره اعنى قوله تعالى وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه استهزؤا به لعمله السفينة اما لانهم
ما كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان
يصنعها فى برية بهماء فى ابعد موضع من الماء وفى وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون ويقولون
يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عم كان ينذرهم الغرق فلما طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا
منه عينا ولا اثرا عدوه من باب المحال ثم لما راوا اشتغاله باسباب الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا
ومدار الجمع انكار ان يكون لعمله عليه السلام عاقبة حميدة مع ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التى لا يكاد

تطاق واستجاله عليه السّلام فى ذلك قال ان تسخروا منّا مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانّا نسخر منكم
اى نستجهلكم فيما انتم عليه السّلام سخريّة من المؤمنين ايضا او لانهم كانوا يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر
سخريتهم منه عليه السّلام ولذلك تعرض الجميع للمجازات فى قوله تعالى فان نسخر منكم الخ فتكافا الكلام من
الجانبين وتعليق استجهاله عم اياهم بما فعلوا من السّخريّة باعتبار اظهاره ومشافهته عليه السّلام اياهم
بذلك والّا فعدّه عليه السّلام ايّاهم جاهلين فيما ياتون ويذرون امر مطّرد لا تعلّق له بسخريتهم
منهم لكنّه عم لم يكن يتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة وانّما اظهره جزاء بما صنعوا بعد
اللّتيا واللّتى فان سخريتهم كانت مستمره ومتجدّدة حسب تجدد مرورهم به ولم يكن عم فى كل مرّة
والّا لقيل ويقول ان تسخروا منا الخ بل انّما اجابهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذون به الاستيناف
فكان سائلا سال فقال فما صنع نوح عليه السلام عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا
منّا اى ان تنسبونا فيما نحن بصدده من التّاهيب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل
وتسخروا منّا لاجله فانا ننسبكم اليه فيما انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطّاعة ومن
الاستمرار على الكفر والمعاصى والتّعرض لاسباب حلول سخط الله تعالى الّتى من جملتها استجهالكم
ايانا وسخريّتكم منّا والتشبيه فى قوله عزّ وعلا كما تسخرون اما فى مجرّد التحقق والوقوع او فى التّجدد
والتّكرر حسبما صدر عن ملاء غبّ ملاء لا فى الكيفيّات والاحوال الّتى لا يليق بشان النبى عم فكلا الامرين
واقع فى الحال وقيل نسخر منكم فى المستقبل سخريّة مثل سخريّتكم اذا وقع عليكم الغرق فى الدّنيا والحرق فى
الآخرة ولعل مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس السّخريّة مما لا يكاد يليق بمنصب النبوّة
ومع ذلك لا سداد له لان حالهم اذ ذاك ليس مما يلائمه السخريّة او ما يجرى مجراها فتامل فسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق ويحلّ عليه حلول الدّين المؤجّل عذاب مقيم هو
العذاب النّار الدّايم وهو تهديد بليغ ومن عبارة عنهم وهى اما استفهامية فى حيّز الرّفع او موصولة
فى محل النّصب بتعلمون وما فى حيّزها ساد مسدّ مفعولين او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى المعرفة ولما
كان مدار سخريّتهم استجهالهم اياه عليه السّلام فى مكابدة المشاق القادحة لدفع ما لا يكاد يدخل تحت
الصّحة على زعمهم من الطّوفان ومقاسات الشدايد فى بناء السفينة وكانوا يعدونه عذابا قيل بعد
استجهالهم فسوف تعلمون من ياتيه العذاب يعنى ان ما اباشره ليس فيه عذاب لاحق لى فسوف تعلمون
من المعذب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم مخزة ووصف العذاب بالاخزاء لما فى الاستهزاء والسخريّة
من لحوق الخزى والعار عادة والتّعرّض لحلول العذاب المقيم للمبالغة فى التهديد وتخصيصه بالمؤجّل
وايراد الاوّل بالاتيان فى غاية الجزالة حتّى اذا جاء امرنا حتى هى التى يبتدأ بها الكلام دخلت على
الجملة الشرطيّة وهى مع ذلك غاية لقوله ويصنع وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب لكلما
وقال استيناف على تقدير السّؤال سائل كما ذكرنا وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة
لملا وعرفت ان الحقّ هو الاوّل لان المقصود بيان تناهيهم فى ايذائه عليه السّلام وتحمله لاذيتهم لا مساوية

عليه

عليه السّلام الى جوابهم كلّما وقع منهم ما يوذيه من الكلام وفار التّنّور نبع منه الماء وارتفع بشدّة كما يفور
القدر بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روى انه قيل لنوح عم اذا رايت الماء يفور
من التّنّور فاركب ومن معك فى السّفينة فلما نبع الماء اخبرته امراته فركب وقيل كان تنورا آدم
عم وكان من حجارة فصار الى نوح عم وانّما نبع منه وهو ابعد شئ من الماء على خرق العادة وكان فى
الكوفة فى موضع مسجدها عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وكانّ عمل السفينة فى ذلك الموضع او
فى الهند او فى موضع بالشّام يقال له عين وردة وعن ابن عبّاس رضى الله تعالى عنهما وعكرمة والزهرى
ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع فى الارض اى اعلاه وعن على رضى الله تعالى عنه
فار التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها اى فى السفينه وهو جواب اذا من كلّ اى من كلّ نوع لا بدّ
منه فى الارض زوجين الزوج ماله مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هى زوج له وقد يطلق على
مجموعهما فيقابل بل الفرد ولا ذاله ذلك الاحتمال قيل اثنين كلّ منهما زوج للاخر وقرئ على الاضافة
وانّما قدم ذلك على اهله وساير المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه يحتاج الى فراوله الاعمال
منه عم فى تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج فانه روى انه عم قال يا رب كيف احمل من كل
زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه السّباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه فى كل جنس فيقع الذكر
فى يده اليمنى والانثى فى اليسرى فيجعلها فى السّفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فخف
فيه معنى الحمل او لانها انما يحمل بمباشرة البشر وهم انّما يدخلونها بعد حملهم ايّاها واهلك عطف على
زوجين او على اثنين والمراد امراته وبنوه ونساؤه الّا من سبق عليه القول بانه من المغرقين
بسبب ظلمهم فى قوله تعالى ولا تخاطبنى فى الّذين ظلموا الاية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما
كانا كافرين والاستثناء منقطع ان اريد بالاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد
به الاهل قرابة ويكفى فى صحة الاستثناء المعلوميّة عند المراجعة الى احوالهم والتفحّص عن اعمالهم
وجئ بعلى لكون السّابق ضارا لهم كما جئ باللّام فيما هو نافع لهم فى قوله عزّ وجل ولقد سبقت لهم
منّا الحسنى ومن آمن من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور وايثار صيغة الافراد فى آمن
محافظة على لفظ من الانذار بقلتهم كما اعرف قوله عزّ قائلا وما آمن معه الّا قليل كانوا ثمانية
نوح عم واهله وبنوه ثلثة ونساؤهم وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمسة نسوة وعنه
ايضا انهم كانوا عشرة سوى نسائهم وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح عليه
السلام سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار
المعيّة فى سمر الامان والنجاة وقال اى نوح عليه السّلام لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه
قوله تعالى ان ربّى لغفور رحيم ولو رجع الضّمير الى الله تعالى لناسب ان يقال ان ربّكم ولعلّ
ذلك بعد ادخال ما امر بحمله فى الفلك من الازواج كانه قيل فحمل الازواج او ادخلها فى الفلك و
قال للمؤمنين اركبوا فيها كما سياتى مثله فى قوله تعالى وهى تجرى بهم والرّكوب العلوّ على شئ متحرك

ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا بكلمة فى ليس لان المامور به كونهم فى جوفها لا فوقها كما ظن فان
اظهر الروايات انه عليه السلام جعل الوحوش ونظائرها فى البطن الاسفل والانعام فى الاوسط
وركب هو ومن معه فى الاعلى بل لرعاية جانب المحلية والكاينية فى الفلك والسر فيه ان معنى
الركوب العلو على شئ له حركة اما ارادية كالحيوان اوقسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل
فى الاول يوفر له حظ الاصل فيقال ركبت الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وان استعمل فى الثانى يلوح بمحلية المفعول بكلمة فى فيقال ركبت السفينة وعليه الاية
الكريمة قوله عز قائلا فاذا ركبوا فى الفلك قوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها بسم الله
متعلق باركبوا حال من فاعله اى ركبوا مسمين لله تعالى او قائلين بسم الله مجريها ومرسيها نصب
على الظرفية اى وقت اجرائها وارسائها على انهما اسما زمان او مصدران كالاجرام والارساء بحذف
الوقت كقولك اتيك خفوق النجم او اسما مكان انتصبا بما فى بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول
ويجوز ان يكون بسم الله مجراها ومرساها مستقلة من مبتداء وخبر فى موضع الحال من ضمير الفلك
اى اركبوا فيها مجراة ومرسات باسم الله تعالى بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين او مقتضية
على ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجرائها وارسائها باسم الله تعالى فيكون
كلامين له عم قيل كان عم اذا اراد ان يجريها يقول باسم الله فتجرى واذا اراد ان يرسيها يقول
باسم الله فرسو ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما فى قوله الى الحول ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجرؤها
وارساؤها اى بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها على صيغة الفاعل مجرورى المحل صفتين لله و
مجريها ومرسيها بفتح الميم مصدرين او زمانين اومكانين من جرا وسا ان ربى لغفور للذنوب
والخطايا رحيم لعباده ولذلك نجاكم من هذه الطامة والداهية التامة ولولا ذلك لما فعله وفيه
دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وغفرانه ورحمته على
ما عليه راى اهل السنة وهى تجرى بهم متعلق بمحذوف دال عليه الامر بالركوب اى فيركبوا فيها
مسمين وهى تجرى ملتبسة بهم فى موج كالجبال وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من
ذلك كجبل فى ارتفاعها وتراكمها وما قيل من ان الماء طبقا ما بين السماء والارض وكانت السفينة
تجرى فى جوفه كالحوت فغير ثابتة والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا او اربعين ذراعا
ولئن صح ذلك فهذا الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى ونادى
نوح ابنه فان ذلك انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان
ما جرى بين نوح عليه السلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعاء الى السفينة والجواب بالاعتصام
بالجبل وقرئ ابنها وقرئ وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامراته وكان ربيبة وما يقال من انه
كان لغير رشده لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات
الله تعالى عليهم وسلامه ارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة فى الدين وقرئ

اباه على النّدبة ولكونها حكاية سوّغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلايمه الاستدعاء الى السفينة
فانه صريح فى انه لم يقع من حونه باس بعد وكان فى معزل اى فى مكان عزل فيه نفسه عن ابيه
ونعوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور وقيل فى معزل
من الكفار قد انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة وقيل كان
نافق اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه السلام ظن انه
عند مشاهدة تلك الاهوال يرجع عما كان عليه ويتقبل الايمان وقيل لم يكن الذى تقدم من
قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا فى كون ابنه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة
الابوة على ذلك يا بنى بالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة فى قولك
يا بنيا وقرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة او سقطت الالف والياء لالتقاء الساكنين
لان الراء بعدهما ساكنة اركب معنا قرا ابو عمرو والكسائى وحفص بادغام الباء فى الميم لتقاربهما
فى المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام حيث حال الجريض
دون القريض مع اغناء المعية عن ذلك ولا تكن مع الكافرين اى فى المكان وهو وجه الارض
خارج الفلك لا فى الدين وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه عليه السلام كونه معه
فى الايمان لانه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلايمه النهى عن الكفر قال ساوى الى
جبل من الجبال يعصمنى بارتفاعه من الماء زعما منه ان ذلك كساير المياه فى ازمنة السيول
المعتادة التى ربما يتقى منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك وقد بلغ السيل الربى وجهلا بان
ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى الالتجاء الى ملجأ المؤمنين فلذلك
اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذكر الكفر المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب
بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفى ما اثبته للجبل من كونه عاصما له من الماء بان يقول لا يعصمك
منه مفيد النفى وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض لنفيه عن ولا لنفى الموصوف اصلا لكنه
عليه السلام حيث قال لا عاصم اليوم من امر الله سلك طريقة نفى الجنس المنتظم لنفى جميع افراد
العاصم ذاتا وصفة كما فى قولهم ليس فيه داع ولا مجيب اى احد من الناس للمبالغة فى نفى كون
الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه على انه ليس كساير الايام التى تقع فيها الوقايع
وتلم فيها الملمات المعتادة التى ربما يتخلص من ذلك بالالتجاء الى بعض الاسباب العادية وعبر عن
الماء فى محل اضماره بامر الله اى عذابه الذى يشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما لشانه وتهويلا
لامره وتنبيها لابنه على خطائه فى تسمية ماء وتوهمه انه كساير المياه التى يتقصى منها بالهرب الى بعض المهارب
المعهودة وتعليلا للنفى المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيد الحصر العصمة فى جناب الله
عز جاره بالاستثناء كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم تفخيما لشانه الجليل
بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته فى ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل

ذلك لكمال عنايته عليه السلام بتحقيق ما ينوخاه من نجات ابنه ببيان شانه الداهية وقطع اطماعه
الفارغة وصرفه عن تعليل بما لا يغنى عنه شيئا وارشاده الى العباد بالمعاد الحق عز جاه وقيل
لامكان يعصم من امر الله الامكان من رحمه الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من
رحمه الله تعالى **وحال بينهما الموج** اى بين نوح وبين ابنه فانقطع ما بينهما من المجاوبة لا بين ابنه
وبين الجبل لقوله تعالى **فكان من المغرقين** اذ هو انما يتضرع على حيلولة الموج بينه عليه السلام
وبين ابنه لاسه وبين الجبل لانه بمعزل من كونه عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجى اليه موج و
فيه دلالة على هلاك ساير الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امر مقرر الوقوع غير مفتقر الى البيان
وفى ايراد كان دون صار مبالغة فى كونه منهم **وقيل يا ارض ابلعى** اى انشفى السعير له من ازدراد
الحيوان ما ياكله للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجى **ماءك** اى ما على وجهك من ماء
الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما سلف بامر الله
تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل **ويا سماء اقلعى** اى امسكى عن ارسال المطر
يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اى كفت **وغيض الماء** اى نقص ما بين السماء والارض
من الماء **وقضى الامر** اى انجز ما وعد الله تعالى نوحا من هلاك قومه وانجائه باهله او اتم الامر **واستوت**
استقرت الفلك **على الجودى** هو جبل بالموصل او بالشام او بامل روى انه عليه السلام ركب فى الفلك
فى عاشر رجب المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة **وقيل بعدا للقوم الظالمين** اى هلاكا لهم
والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعلية للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم
مغرقون ولقد بلغت الاية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى
لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمرى ان ذلك فوق ما يصفه الواصفون فحرى بنا ان نوجز الكلام فى
هذا الباب ونفوض الامر الى تامل اولى الالباب والله عنده علم الكتاب **ونادى نوح ربه** اى
اراد ذلك بدليل الفاء فى قوله تعالى **فقال رب ان ابنى من اهلى** وقد وعدتنى انجاءهم فى ضمن الامر
بحملهم فى الفلك او النداء على الحقيقة والفاء لتفصيل ما فيه من الاجمال **وان وعدك الحق** اى وعدك
ذلك او ان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا **وانت
احكم الحاكمين** لانك اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحكم من الحكمة كالدارع
من الدرع وهذا الدعاء منه عم على طريقة دعاء ايوب عليه السلام اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت
ارحم الراحمين **قال يا نوح** لما كان دعاؤه عليه السلام بتذكير وعده جل ذكره مبنيا على كون كنعان
من اهله نفى اولا كونه منهم بقوله تعالى **انه ليس من اهلك** اى ليس منهم اصلا لان مدار الاهلية
هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر وليس من اهلك الذين امرتك بحملهم فى الفلك لخروجه
عنهم بالاستثناء وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد بانجائهم ثم علل عدم كونه منهم على طريقة الاستيناف
التحقيقى بقوله **انه عمل غير صالح** اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفس العمل مبالغة كما فى قول الخنساء

فانما هى اقبال وادبار وايثار غير صالح على فاسد اما لان الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شانه الصلاح
فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والمظالم واما للتلويح بان نجاتك من نجا انما هى
بصلاحه وقرئ الكسائى ويعقوب انه عمل غير صالح اى عملا غير صالح ولما كان دعاؤه عليه السلام
مبنيا على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من اهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك
النهى عن سؤال انجائه الا انه جئ بالنهى على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل **فلا
تسألنى** اى اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب **ما ليس لك به علم** اى مطلبا لا تعلم يقينا ان
حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسؤل الذى هو مفعول للسؤال
او طلبا لا تعلم انه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذى هو مفعول مطلق فيكون النهى
واردا بصريحه فى كل معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز ان يكون المعنى ما ليس لك علم بانه
صواب او غير صواب فيكون النهى واردا فى مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد وبالطريق
الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح فى ان نداءه
عم ربه عز وعلا ليس استفسارا عن سبب عدم انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله وهو منهم
كما قيل فان النهى عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشئ داع الى الاستفسار
عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه لانجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد اما بتقريبه
الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه وقيل او بانجائه فى قلة الجبل وبابائه تذكير الوعد فى
الدعاء فانه مخصوص بالانجاء فى الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ومجرد حيلولة الموج
بينهما الموج لا يستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه برحمته وقد وعد
بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه السلام ان يدعو الى الفلك او يدعو
ربه لانجائه واعتزاله عنه عليه السلام وقصده الالتجاء الى الجبل ليس بنص فى الاصرار على الكفر لظهور
جواز ان يكون ذلك بجهله باختصاص النجاة فى الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجرى مجراه او لكراهة
الاحتباس فى الفلك بل قوله ساوى الى جبل يعصمنى من الماء بعد ما قال له نوح عم ولا تكن مع الكافرين
ربما يطمعه عليه السلام فى ايمانه حيث لم يقل كون معهم او ساوى او يعصمنا فان افراد نفسه بنسبة
الفعلين المذكورين ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض امره به نوح
عم لو تامل فى شانه حق التامل وتفحص عن احواله فى كل ما ياتى ويذر لما اشتبه عليه انه ليس بمؤمن
وانه المستثنى من اهله ولذلك قيل **انى اعظك ان تكون من الجاهلين** فعبر عن ترك الاولى
بذلك وقرئ فلا تسألن بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء **قال رب انى اعوذ بك
ان اسألك** اى اطلب منك من بعد **ما ليس لى به علم** اى مطلوبا لا اعلم ان حصوله مقتضى
الحكمة او طلبا لا اعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد ومشتبه الحال او لا اعلم انه صواب او غير
صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك منه او من ذلك مبالغة

فى التوبة واظهارًا للرّغبة والنّشاط فيها وبر كابذ كوما لعمه الله تعالى وهو ابلغ من ان يقول انوبُ اليكَ
ان اسالك لما فيه من الدّلالة على كون ذلك امرًا هائلاً محذورًا لامحيص منه الّا بالعوذ بالله تعالى
وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الّا بذلك **والّا تغفِرْ لِي** ماصدر عنى من السّؤال المذكور
وترحمنى بقبول توبتى **اكن من الخاسرين** اعمالا بسبب ذلك فان الذّهول عن شكر الله تعالى لاسيّما
عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التى هى النجاة وهلاك الاعداد والاشتغال بما لا يعنى خصوصا
بمبادى الخلاص من قيل فى شانه انّه عمل غير صالح والتضرع الى الله تعالى فى امر معاملة غير رابحة
وخسرانٌ مبين وتاخير ذكر هذا النداء عن حكاية الامر الوارد على الارض والسّماء ومايتلوه من
زوال الطّوفان وقضاء الامر واستواء الفلك على الجودى والدّعاء بالهلاك على الظّالمين مع ان حقّه
ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين حسبما وقع فى الخارج او حينئذ يتصوّر الدّعاء بالانجاء
لابعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من استقلاله بغرض هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وانْ
لايقدم فى الامور الدينية الاصوليّة الّا بعد اليقين قياسًا على ما وقع فى قصّة البقرة من ذكر الامر
بذبحها على ما ذكر القتيل الذى هو اوّل القصّة وكان حقها ان يقال واذ اقتلتم نفسًا فادارأتم فيها
فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه كما قرر فى موضعه فان تغيير الترتيب هناك للدّلالة على كمال سوء حال
اليهود بتقدير جناياتهم المتنوعة وبسبه التقريع عليهم بكل نوع نوع على حدة فقوله تعالى واذ قال
موسى لقومه انّ الله يامركم ان تذبحوا بقرة الخ لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال
ومايتبع ذلك وقوله تعالى واذ اقتلتم نفسًا الى اٰخره للتّقريع على قتل النّفس المحرّمة ومايتبعه
من الامور العظيمة ولو قصّت القصّة على ترتيبها لفات الغرض الذى هو بسبه التقريع ولظن انّ
المجموع تقريع واحد وامّا مانحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر
من جعل القرابة الدّينيّة عامرة للقرابة النسبيّة الى اٰخره لايفوت على تقدير سوق الكلام على
ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر هذا النّداء كما ترى مستدع لذكر ما مرّ من الجواب المستدعى لذكر
ما مرّ من توبته عم المؤدّى ذكرها الى ذكر قبولها فى ضمن الامر الوارد بنزوله عليه السّلام من
الفلك بالسلام والبركات الفائضة عليه وعلى المؤمنين حسبما سيجئ مفصّلا ولا ريب فى انّ
هذه المعانى اخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لايكادى يفرق الاٰيات الكريمة المنطوية عليها بعضًا من بعض
وان ذلك انما يتم بتمام القصّة ولا ريب ان ذلك انما يكون بتمام الطّوفان فلاجرم اقتضى الحال ذكر
تمامها قبل هذا النّداء وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد
حسن موقع الانجاء البليغ وفيه فائدة اخرى هى التصريح بهلاكه من اوّل الامر ولو ذكر النداء الثانى
عقيب قوله فكان من المغرقين لربما توهم من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد على الارض والسّماء الذى
هو عبارة عن تعلق الارادة الربانيّة الازليّة بما ذكر من الغيض والاقلاع وبين بلوغ امر الله محلّه
وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطّوفان واستواء الفلك

على الجودىّ فقصّت القصّة الى هذه المرتبة وبين ذلك اى بيان ثمّ تعرض لما وقع فى تضاعيف ذلك
ممّا جرى بين نوح وبين رب العزة جلّت حكمته فذكر بعد توبته عليه السلام قبولها بقوله **قيل**
يانوح اهبط اى انزل من الفلك وقرئ بضمّ الباء **بسلام** ملتبسًا بسلامة من المكان كائنة **منا** او
بسلام وتحيّة منا عليك كما قال سلام على نوح فى العالمين **وبركات عليك** اى خيرات نامية فى نسلك
ومايقوم به معاشك ومعاشهم من انواع الارزاق وقرئ بركة وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى
بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان انواع الخيرات عليه فى كل ما ياتى ومايذر **وعلى امم**
ناشئة **ممّن معك** متشعّبة منهم فمن ابتدائية والمراد الامم المؤمنة المتناسلة فمن معه الى يوم القيمة
وامم سنمتّعهم اى ومنهم على انه خبر حذف لدلالة ماسبق عليه فان ايراد الامم المبارك عليهم
المتشعّبة منهم نكرة يدل على ان بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم يعنى ليس جميع من تشعب منهم
مسلما ومباركًا عليه بل منهم امم ممتعون فى الدّنيا معذبون فى الاخرة وعلى هذا لايكون الكائنون
مع نوح عليه السّلام مُسلما ومباركا عليهم صريحًا وانما يفهم ذلك مع كونهم مع نوح عليه السّلام
ومن كون ذرّياتهم كذلك بدلالة النّص ويجوز ان يكون من بيانيّة اى وعلى امم هم الذين معك وانّما
سمّوا امما لانهم امم متحزبة وجماعات متفرقة اولان جميع الامم انما تشعبت منهم فح يكون المراد بالامم المشار اليهم
فى قوله تعالى وامم سنمتّعهم بعض الامم المؤمنة النّاشئة منهم مبهما غير متعرّض له ولا مدلول عليه ومع
ذلك نفى دلالة المذكور وعلى خبره المحذوف خفاء لان من المذكورة بيانيّة والمحذوفة تبعيضيّة او
ابتدائيّة فتامّل **ثمّ يمسّهم** اما فى الاخرة او فى الدّنيا ايضا **منا عذابٌ اليمٌ** عن محمد بن كعب القرظى
دخل فى ذلك السّلام كلّ مؤمن ومؤمنة الى يوم القيمة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد
هبطوا والله عنهم راضى ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذاب وقيل المراد بالامم الممتّعة قوم
هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السّلام وبالعذاب ما نزل بهم **تلك** اشارة الى ما قصّ من قصّة
نوح عليه السّلام اما لكونها بتقيصها فى حكم البعيد او للدّلالة على بعد منزلتها وهى مبتداء خبره
من انباء الغيب اى من جنسها اى ليست من قبل ساير الانبياء عليهم السّلام بل هى نسيج وحدها
متفردة عمّا عداها او بعضها **نوحيه اليك** خبر ثان والضّمير لها اى موحات اليك او هو الخبر من
انباء متعلق به فالتعبير بصيغة المضارع لاستحضار الصّورة او حال من انباء الغيب اى موحات
اليك **ماكنت تعلمها انت ولا قومك** خبر اخر اى مجهولة عندك وعند قومك **من قبل هذا**
اى من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذى كسبه بالوحى او من قبل هذا
الوقت او حال من الهاء فى نوحيها او الكاف فى اليك اى جاهلا انت وقومك بها وفى ذكر جهلهم
تنبيه على انه عليه السلام لم يتعلمه اذ لم يخالط غيرهم وانّهم مع كثرتهم لمّا لم يعلموه فكيف يؤخذ منهم
فاصبر متفرع على الايحاء او العلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ماكنت تعلمها انت ولا قومك
من قبل هذا اى واذ قد اوحيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرّسالة واذية قومك

كما صبر نوح على ما سمعته من انواع البلايا فى هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تعالى
ولعلك تارك بعض ما يوحى اليك الخ ان العاقبة بالظفر فى الدنيا وبالفوز بالآخرة للمتقين
كما شاهدته فى نوح عليه السلام وقومه ولك فيه اسوة حسنة وهى تسليه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وتعليل للامر بالصبر فان كون العاقبة الحميدة وهو فى اقصى درجات التقوى والمؤمنون
كلهم متقون مما يسليه عليه السلام ويهون عليه الخطوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضيق صدر
وهذا على تقدير ان يراد بالتقوى الدرجة الاولى منه اعنى التوقى من العذاب المخلد بالتبرء عن
الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى ويجوز ان يراد الدرجة الثانية منه وهى ان يتنزه
عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى اتقوا الله
حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين
والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا فى قصة نوح عليه السلام وهو الناصب
لقوله تعالى اخاهم اى وارسلنا الى عاد اخاهم اى واحدا منهم فى النسب كقولهم يا اخا العرب
وتقديم المجرور على المنصوب ههنا للحذار عن الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما
سبق واخاهم معطوف على نوحا عليه السلام وقد مر فى سورة الاعراف قوله تعالى هودا عطف
بيان لاخاهم وكان عليه السلام من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص
بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود سالح بن ارفخشد بن سام نوح ابن عم ابى عاد وانما جعل منهم
لانهم افهم لكلامه واعرف بحاله وارغب فى اقتفائه قال لما كان ذكر ارساله اليهم مظنة للسؤال
عما قال لهم ودعاهم اليه اجيب عنه بطريق الاستيناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اى وحده
كما ينبئ عنه قوله تعالى ما لكم من اله غيره فانه استيناف يجرى مجرى البيان للعبادة المامور
بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اوليس لكم من اله سواه و
غيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظ ان انتم ما انتم باتخاذكم الاصنام
شركاء له او بقولكم ان الله امرنا بعبادتها الا مفترون عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم
لا اسئلكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرنى خاطب به كل نبى قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه
وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالمطامع بمعزل عن التاثير وايراد الموصول للتفخيم وجعل
الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة للشكر الذى لا يتاتى الا
بالجريان على موجب امره الغالب معرضا عن المطالب الدنية التى من جملتها الاجر افلا تعقلون
اى اتغفلون عن هذه القضية اولا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او تجهلون كل شئ فلا تعقلون
شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغى ان يخفى على احد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم اى اطلبوا
مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه اى توسلوا اليه بالتوبة
وايضا التبرء عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء اى المطر

عليكم مدرارا اى كثير الدرور ويزدكم قوة مضافة منضمة الى قوتكم اى يضاعفها لكم وانما
رغبهم بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم
ارحام نسائهم ثلث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان
والتوبة ولا تتولوا اى لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام
قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اى بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوه لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم
بما جاءهم من البينات الخارجة عن الحصر وما نحن بتاركى آلهتنا اى بتاركى عبادتها عن قولك اى
صادرين عنه صادرا تركنا عن ذلك باسناد حال الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل على
ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم فى سورة
الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا وما نحن لك بمؤمنين اى بمصدقين
فى شئ مما تاتى وتذر فيندرج تحته ما دعاهم اليه من التوحيد وترك عبادة الآلهة وفيه من الدلالة
على شدة الشكيمة وتجاوز الحد فى العتو ما لا يخفى ان نقول الا اعتراك اى ما نقول الا قولنا اعتراك
اى اصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة
الالوهية والمعبودية بما مر من قولك ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير فى سوء للتقليل
كانهم لم يبالغوا فى العتو كما ينبئ عنه نسبة ذلك الى بعض آلهتهم دون كلها والجملة مقول القول
والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا الكلام مقرر لما مر من قولهم وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك
وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه هود عليه السلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم
الاعتداد بقوله هود عليه السلام وعده من قبيل الخرافات فضلا عن التصديق والعمل بمقتضاه
يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب من الهذيانات الصادرة
عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد سلكوا فى طريقة المخالفة والعناد الى سبيل
الترقى من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه بالبينة مع احتمال كون ما جاء به
عليه السلام حجة فى نفسه وان لم يكن واضحة الدلالة على المراد وثانيا عن ترك الامتثال بقوله
عليه السلام بقولهم وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه
السلام فى كلامه ثم نفوا تصديقهم له عليه السلام فى كلامه ثم نفوا تصديقهم له بقولهم وما
نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك المرتبة ايضا حيث
قالوا ما قالوا قاتلهم الله انى يؤفكون قال انى اشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون
من دونه اى من اشراككم من دون الله اى من غير الله ان ينزل به سلطانا كما قال فى سورة الاعراف
اتجادلوننى فى اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان او مما تشركونه من اله غير الله
اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد كون آلهتهم مما يضر وينفع وانها بمعزل عن ذلك ولما كان
ما وقع اولا منه عليه السلام فى حق آلهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية انما وقع فى ضمن الامر بعبادة الله

تعالى باختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شيأ حتى زعموا انها نصيبه عليه السلام
بسوء مجازاة لصنيعه معها صرح عليه السلام بالحق وصدع به حيث اخبر براءته القديمة عنها بالجملة
الاسمية المصدرة بان واشهد والله تعالى على ذلك وامرهم بان يسمعوا ذلك ويشهدوا به استهانة
بهم ثم امرهم بالاجتماع والاحتشاد ومع الهتهم جميعا دون بعضها حسبما يشعر به قولهم الهتنا والتعاون
فى ايصال الكيد اليه عم ونهاهم عن الانظار والامهال فى ذلك فقال فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون
اى ان صح ما توهمتم به من كون الهتكم مما يقدر على اضرار من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق
ضمنى فانى بريء منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا كيدى ثم لا تمهلونى ولا تسامحونى فى ذلك
فالفاء لتفريع الامر على زعمهم فى قدرة الهتهم على ما قالوا وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات
فانه عم كان رجلا مفردا بين الجم الغفير والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم
وحقرهم والهتهم وهيجهم على مباشرة مبادى المضادة والمضارة وحثهم على التصدى لاسباب المعازة
والمعارة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما كلفوه فظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجا الى ركن
منيع رفيع واعتصم بحبل متين حيث قال انى توكلت على الله ربى وربكم يعنى انكم وان بذلتم فى
مضارى مجهودكم لا تقدرون على شيء مما تريدون بى فانى متوكل على الله تعالى وانما جيء بلفظ الماضى
لكونه ادل على الانشاء المناسب للمقام وواثق بكلاءته وحفظه عن غوائلكم وهو مالكى ومالككم
لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبنى امر الا بارادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو اخذ
بناصيتها اى الا هو مالك لها قادر عليها يصرفها كيف يشاء وغير مستعصية عليه
فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان ربى على صراط مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل
من عدم قدرتهم على اضراره اى هو على الحق والعدل فلا يكاد يسلطكم على اذ لا يضيع عنده معتصم
ولا يفتات عليه ظالم والاقتصار على اضافة الرب الى نفسه اما بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما
لان فائدة كونه تعالى ما لكالهم ايضا راجعة اليه عم فان تولوا اى تتولوا بحذف احدى التائين
اى ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولى والاعراض فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اى لم
اعاتب على تفريط فى الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم الا التكذيب والجحود ويستخلف
ربى قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف فى ديارهم واموالهم
قوما اخرين او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضى الله تعالى عنه بالجزم عطفا على
الموضع كانه قيل فان تولوا يعذرنى ويهلككم ويستخلف مكانكم اخرين وفى الاقتصار اضافة الرب
رمز الى اللطف به والتدمير للمخاطبين ولا تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه
ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون ان ربى على كل شيء حفيظ اى رقيب مهيمن فلا يخفى
عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حافظ مستول على كل شيء فكيف يضره وهو الحافظ للكل ولما جاء
امرنا اى نزول عذابنا وفى التعبير عنه بالامر مضافا الى الضمير جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى

من التفخيم والتهويل او ورد امرنا بالعذاب نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف
برحمة عظيمة كائنة منا وهى الايمان انعمنا به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه ونجيناهم من
عذاب غليظ اى كانت تلك التنجية من عذاب غليظ وهى السموم التى كانت تدخل انوف الكفرة
وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل اريد بالثانية التنجية من عذاب الاخرة ولا عذاب
اغلظ منه واشد وهذه التنجية وان لم تكن مقيدة بمجيء الامر لكن جيء بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضا بان
المهلكين كما عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الاخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم
الاشارة باعتبار القبيلة اولان الاشارة الى قبورهم واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها بعد
ما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع انه لم يرسل اليهم غير هود عم تفظيعا لحالهم واظهارا لكمال
كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق
كلمتهم على التوحيد لا نفرق بين احد من رسله فيجوز ان يراد بالايات ما اتى به هود عم وغيره
من الانبياء عليهم السلام وفيه ملائمة لما تقدم من جميع الايات وما تاخر قوله واتبعوا امر كل جبار
عنيد من كبرائهم ورؤسائهم الدعاة الى الضلال والى التكذيب الرسل فكانه قيل عصوا كل
رسول واتبعوا امر كل جبار وهذا الوصف ليس كما سبق من جحود الايات وعصيان الرسل فى الشمول
لكل فرد فرد منهم فان الاتباع للامر من اوصاف الاسافل دون الرؤساء وعنيد فعيل من عند
عندا وعندا اذا طغا والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من حداهم الى الردى واتبعوا فى
هذه الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة وكل خير اى جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك بالتبعية
للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه فى صحبة
اتباعهم رؤساهم يعنى انهم لما اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيمة اى اتبعوا يوم
القيمة ايضا لعنة وهى عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها وللايذان ان يكون كل
من اللعنتين نوعا براسه لم يجمعها فى قرن واحد بان يقال واتبعوا فى هذه الدنيا ويوم القيمة لعنة
كما فى قوله تعالى واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة ايذانا باختلاف نوعى الحسنتين فان
المراد بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة
الا ان عادا كفروا ربهم اى بربهم او نعمة ربهم حملا له على نقيضه الذى هو الشكر او جحدوه الا
بعدا لعاد دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اى هلاك تسجيلا عليهم بالاستحقاق للهلاك و
استيجاب الدمار وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة فى تفظيع حالهم والحث على الاعتبار
بقصتهم قوم هود عطف بيان لعاد فائدته التمييز عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان
استحقاقهم للبعد بسبب ما جرى بينهم وبين هود عم وهم قومه والى ثمود اخاهم صالحا
عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وثمود عليهم السلام قبيلة من العرب سموا
باسم ابيهم الاكبر ثمود بن عامر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء

القليل وصالح عليه السّلام هو ابن عبيد بن اسف بن ماشح بن عبيد بن خادر بن ثمود ولمّا كان الاخبار
بارساله اليهم مظنّة لان يسال ويقال ماذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم
اعبدوا الله اى وحده وعلّل ذلك بقوله ما لكم من اله غيره ثمّ زيد فيما يبعثهم على
الايمان والتّوحيد ويحثهم على زيادة الاخلاص فيه بقوله هو انشاكم من الارض اى هو كوّنكم
وخلقكم منها الاغيره فصر قلب اوقصر افراد فان خلق ادم ء م منها لما مرّ مرارا من ان خلقته عليه
السّلام لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته التى ستوجد
الى يوم القيمة انطواء اجماليّا وقيل ان خلق ادم عليه السّلام وانشاء مواد النّطف التى منها خلق
نسله من التراب انشاء بجميع الخلق من الارض فتدبّر واستعمركم من العمر اى عمّركم واسفاكم فيها
او من العمارة اى اقدركم على ما رتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم
ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمّرين دياركم تسكنونها مدّة عمركم ثم يتركونها لمثلكم فاستغفروه
ثمّ توبوا اليه فان ما فصّل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم من التفريط والتوبة
عمّا كانوا يباشرونه من القبايح وقد زيد فى بيان ما يوجب ذلك فقيل ان ربّى قريب اى
قريب الرحمة كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين مجيب لمن دعاه وساله وقد روعى
فى النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار والتوبة واخر
عنه ذكر الغائبة المتاخرة عنهما فى الوجود اعنى الاجابة قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوّا
اى كنا نرجو منك لما كنّا نرى منك من دلايل السّداد ومخائل الرّشاد ان يكون لنا سيّدا و
مستثارا فى الامور وعن ابن عبّاس رضى الله تعالى عنهما فاضلا خيّرا فقدمك على جميعنا وقيل
كنا نرجوا ان تدخل فى ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذى باشرته من الدّعوة
الى التوحيد وترك عبادة الالهة او قبل هذا الوقت فكانّهم لم يكونوا الى الآن على ياس من
ذلك ولو بعد الدّعوة الى الحقّ فالآن قد انصرم عنك رجاؤنا وقرا طلحة مرجوء بالمد والهمزة
اتنهينا ان نعبد ما يعبد اباؤنا اى عبد والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية
واننا لفى شك مما تدعونا اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار
والتّوبة مريب اى موقع فى الرّيبة من ارابه اى اوقعه فى الريبة اى خلق النفس وانتفاء الطمانينة
او من اراب اذا كان ذا ريبة وايهما كان فالاسناد مجازى والتنوين فيه وفى شك للتفخيم قال
يا قوم ارايتم اى اخبرونى ان كنت فى الحقيقة على بيّنة اى حجّة ظاهرة وبرهان وبصيرة من
ربّى مالكى ومتولى امرى واتانى منه من جهته رحمة نبوّة وهذه الامور وان كانت محققة
الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن المحاورة لاستنزالهم
من المكابرة فمن ينصرنى من الله اى ينجيا من عذابه والعدول الى الاظهار لزيادة التهويل والفاء
لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بيّنة من ربّه على تقدير العصيان حسبما

يعرب عنه قوله تعالى ان عصيته اى بالمساهلة فى تبليغ الرسالة والمحازات معكم فيما تاتون
وتذرون فان العصيان ممّن ذلك شانه ابعد والمواخذة عليه الزم وانكار نصرته ادخل فما
تزيدوننى اذن استتباعكم اياى كما ينبئ عنه قولهم قد كنت فينا مرجوّا قبل هذا اى لا يفيدوننى
اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى يزيدوه غير تخسير اى غير ان تجعلونى خاسرا بابطال اعمالى وتعريضى
لسخط الله تعالى او فما تزيدوننى بما تقولون لى غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون
فالزّيادة على معناه والفاء لترتيب عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير
العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه عليه السّلام على بيّنة من ربّه وايتائه النبوة ويا قوم
هذه ناقة الله الاضافة للتشريف والتنبيه على انّها مفارقة لساير ما يجانسها من حيث الخلقة
ومن حيث الخلوق لكم اية معجزة دالة على صدق نبوّتى وهى حال من ناقة الله والعامل فى هذه من
معنى الفعل ولكم حال من اية متقدّمة عليها لكونها نكرة ولو تاخّرت لكانت صفة لها ويجوز ان
يكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان ولكم خبرا وعاملا فى اية فذروها خلّوها وشانها
تاكل فى ارض الله ترع نباتها وتشرب مائها واضافة الارض الى الله عزّ وجل لتربية استحقاقها
لذلك وتعليل الامر بتركها وشانها ولا تمسّوها بسوء بولغ فى النّهى عن التعرض لها بما يضرها حيث
نهى عن المس الذى هو من مبادى الاصابة ونكر السّوء فضلا عن عقرها وقتلها فياخذكم عذاب
قريب اى قريب النّزول روى انّهم طلبوا منه ان يخرج من صخرة تسمّى الكاتبة ناقة عشراء مخترجة
جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك صدّقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك ليؤمننّ
فقالوا نعم فصلى ودعا ربّه فتمخضت الصّخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما
وصفوا وهم ينظرون ثم انتجت ولدا مثلها فى العظم فامن به جندع بن عمرو فى جماعة ومنع الباقين
من الايمان ذواب بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكث النّاقة مع ولدها ترعى
الشجر وترد الماء غبّا فما ترفع راسها من البئر حتى تشرب كلّ ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى تملئ اوانيهم
فيشربون ويدّخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زيّنت عقرها عنيزة ام غنم وصدقة
بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح لهم ادركوا
الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفرجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال
لهم صالح تمتّعوا اى عيشوا فى داركم اى فى منازلكم او فى الدّنيا ثلثة ايّام قيل قال لهم
تصبح وجوهكم غدا مصفرّة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودّة ثم يصبّحكم العذاب ذلك اشارة
الى ما يدل عليه الامر بالتمتّع ثلثة ايام من نزول العذاب عقيبها والمراد بما فيه من البعد تفخيمه
وعد غير مكذوب اى غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله ويوم شهدناه سليما
وعامرا او غير مكذوب كان الواعد قال له انى بك فان وفى صدقه والا كذبه او وعد غير كذب

على انّه مصدر كالمجلود والمعقول فلمّا جاء امرنا اى عذابنا او امرنا بنزوله وفيه ما لا يخفى من التهويل
نجّينا صالحًا والّذين امنوا معه متعلق بنجّينا او بامنوا برحمة بسبب رحمة عظيمة منّا وهى بالنسبة
الى صالح النبوّة والى المؤمنين الايمان كما مرّ او ملتبسين برحمة ورافة ومن خزى يومئذ اى
ونجّيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصّيحة كقوله تعالى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم
بالصّيحة كقوله تعالى ونجّيناهم من عذاب غليظ على معنى انّه وكانت تلك التنجية تنجية من خزى
يومئذ اى من ذلّه ومهانته او ذلهم وفضيحتهم يوم القيمة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق
فيكون المعنى ونجّيناهم من عذاب يوم القيمة بعد تنجيتنا ايّاهم من عذاب الدّنيا وعن نافع بالفتح
على اكتساء المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين
ونصب يومئذ ان ربّك الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم هو القوىّ العزيز القادر
على كلّ شئ والغالب عليه لا غيره ولكون الاخبار بتنجية الاوليا لا سيّما عند الانباء بحلول العذاب
اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الّذين ظلموا عدل عن المضمر الى المظهر تسجيلا
عليهم بالظلم واشعارا بعليّة لنزول العذاب بهم الصّيحة اى صيحة جبرئيل عم وقيل اتتهم
من السّماء صيحة فيها صوت كلّ صاعقة وصوت كلّ شئ فى الارض فقطعت قلوبهم فى صدورهم
وفى سورة الاعراف فاخذتهم الرّجفة ولعلّها وقعت عقيب الصّيحة المستتبعة لتموج الهواء
فاصبحوا اى صاروا فى ديارهم اى بلادهم او مساكنهم جاثمين هامدين موتى لا يتحركون
والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند
الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدّة الاخذ وسرعته اللّهمّ انّا نعوذ بك من حلول
غضبك قبل لمّا راوا العلامات الّتى بيّنها صالح من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها
عمدوا الى قتله عم فنجّاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرّابع وهو يوم السّبت
تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصّيحة فقطعت قلوبهم فهلكوا كان لم يغنوا اى كانّهم لم يقيموا
فى بلادهم وفى مساكنهم وهو فى موقع الحال اى اصبحوا جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم
فى مقام قط الّا انّ ثمود وضع موضع المضمر لزيادة البيان ونوّنه ابو بكر هنا وفى النجم وقرأ
حفص هنا وفى الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربّهم صرّح بكفرهم مع كونه معلومًا
ممّا سبق من احوالهم تقبيحا لهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدّعاء عليهم بالبعد والهلاك فى قوله تع
الا بُعدًا لثمود وقرئ الكسائى بالتنوين ولقد جاءت رُسُلنا ابرهيم وهم الملئكة عن ابن عبّاس
رضى الله تعالى عنهما انّهم جبرئيل عليه السّلام وملكان وقيل هم جبرئيل وميكائيل واسرافيل عليهم
السّلام وقال الضّحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبرئيل ومعه سبعة والسّدى احد عشر على
صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا عليهم السّلام وانما اسند اليهم مطلق
المجئ بالبشرى دون الارسال لانّهم لم يكونوا مرسلين اليه عليهما السّلام بل الى قوم لوط لقوله تعالى

انا ارسلنا

انّا ارسلنا الى قوم لوط وانّما جاؤه لداعية البشرى ولما كان المقصه فى السّورة الكريمة ذكر سوء صنع الامم السالفة
مع الرّسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابرهيم عم فمن لحق بهم العذاب
بل انّما لحق بقوم لوط منهم خاصّة غير الاسلوب المطّرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودًا والى
ثمود اخاهم صالحًا ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين اخاهم شعيبًا بالبشرى اى ملتبسين بها قيل هى
مطلق البشرى المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشّرناها باسحق الاية وقوله وبشرناه
بغلام حليم وقوله وبشروه بغلام عليم وللبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن
ابرهيم الرّوع وجاءته البشرى لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كما سياتى وقيل هى البشارة بهلاك قوم
لوط وياباه مجادلته عليه السّلام فى شانهم والاظهر انها البشارة بالولد وستعرف سر تفرع المجادلة
على ذلك ولما كان الاجاز بمجيئهم بالبشرى مظنّة لسؤال السّامع بانّهم ما قالوا اجيب بانهم قالوا سلامًا
اى سلّمنا او نسلّم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اى قالوا قولا ذا سلام او ذكروا سلامًا
قال سلام اى عليكم سلام او سلام عليكم حيّاهم باحسن من تحيّتهم وقرئ سلم كحرم فى حرام وقرأ ابن ابى
عبلة قال سلامًا وعنه انه قرأ بالرّفع فيهما فما لبث ابرهيم ان جاء بعجل اى فى المجئ به او ما لبث
مجيئه بعجل حنيذ اى مشوى بالرّضف فى الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه كقوله بعجل سمين من
حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال فلمّا راى ايديهم لا تصل اليه لا يمدّون اليه ايديهم للاكل نكرهم
يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا نزل بهم ضيف ولم ياكل من طعامهم
ظنّوا انّه لم يجئ بخير وقد روى انّهم كانوا ينكتون بقداح كانت فى ايديهم فى اللحم ولا تصل اليه ايديهم
وهذا الانكار منه عليه السّلام راجع الى فعلهم المذكور واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا تعلّق له
برؤيته عدم اكلهم وانّما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده من النّاس
الا يرى الى قوله تعالى فى سورة الذّاريات سلام قوم منكرون واوجس منهم اى احسّ او اضمر من
جهتهم خيفة لما ظنّ ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب قومه وانّما اخر المفعول الصّريح
عن الظرف لان المراد الاخبار بانّه عليه السّلام اوجس من جهتهم شيئا هو الخيفة لا انّه اوجس الخيفة
من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحقيقه انّ تاخير ما حقّه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند
وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف ما قالوه بمجرّد ما راوه فى مخائل الخوف ازالة له منه بل اظهاره
عليه السّلام له قال تعالى فى سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك ههنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا
ظاهره انه استيناف بمعنى التّعليل للنّهى المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم
الى قوم اخرين يوجب امنهم من الخوف اى ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصّة الّا انه ليس كذلك
فان قوله تعالى قال فما خطبكم ايّها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح فى انّهم قالوه جوابًا
عن سؤاله عليهم السّلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامراته قائمة وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم
او على رؤسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اى قالوه وهى قائمة تسمع مقالتهم

فضحكت سرورًا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعًا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت
تقول سلف فانها كانت تقول لابرهيم اضمم اليك لوطا فانى ارى ان العذاب نازل بهؤلاء القوم
وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء فبشرناها
باسحق اى عقبنا سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا ومن وراء اسحق يعقوب بالنصب
على انه مفعول لما دل عليه قوله بشرناها اى وهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على
الابتداء خبره الظرف اى من بعد اسحق يعقوب مولودًا او موجودًا وكلا الاسمين داخل فى البشارة
كيحيى او واقع فى الحكاية بعد ان ولدا فسميا بذلك وتوجيه البشارة هنا اليها مع ان الاصل فى ذلك
ابرهيم عليه السلام وقد وجهت اليه حيث قيل وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان
بان ما بشر به يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استيناف وردجوابا عن سوال
من سال وقال فيما فعلت اذ ابشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتا اصل الويل الخزى ثم شاع فى
كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما فى يا لهفا ويا عجبا وقرا الحسن على الاصل واما لها
ابو عمرو وعاصم فى رواية ومعناه يا ويلتى احضرى فهذا اوان حضورك وقيل هى الف الندبة ويوقف
عليها بهاء السكت ءالد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا الذى تشاهدونه
بعلى اى زوجى واصل البعل القايم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على
الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف اى هو شيخ او خبر بعد خبر
او هو الخبر وبعلى بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير فى ءالد لتقرير
ما فيه من الاستبعاد وتعليله اى ءالد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها
على بيان حاله عليه السلام لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد اكثر للشيوخ من
الشواب اما العجايز دوائر عقام لان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس فى البيان ربما
يوهم من اول الامر نسبة المانع عن الولادة الى جانب ابرهيم ع م وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها
الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق
بها استبعاد ان هذا اى ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا لشئ عجيب بالنسبة الى
سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستيناف التحقيقى
ومقصدها استعظام نعمة الله عز وجل عليها فى ضمن الاستعجاب العادى لا استبعاد ذلك بالنسبة
الى قدرته سبحانه وتعالى قالوا اتعجبين من امر الله اى قدرته وحكمته او تكوينه او شانه انكروا
عليها تعجبها من ذلك الا انها كانت ناشئة فى بيت النبوة ومهبط الوحى والايات ومظهر المعجزات
والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهى بساير النساء من امثال هذه
الخوارق من الطاف الله تعالى الخفية ولطايف صنعه الفائضة على كل احد ممن يتعلق بذلك مشيته
الازلية لاسيما على اهل بيت النبوة التى ليست مرتبتهم عند الله سبحانه وتعالى كمراتب ساير الناس

وان تسبح الله وتحمده وتمجده والى ذلك اشار بقوله تعالى رحمة الله التى وسعت كل شئ واستتبعت
كل خير وانما وضع المظهر موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اى خيراته النامية المتكاثرة فى كل
باب التى من جملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان
الانبياء منهم وكلهم من ولد ابرهيم عليهما السلام عليكم اهل البيت نصب على المدح او الاختصاص
لانهم اهل بيت خليل الرحمن وحرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جمع المذكر لتعميم حكمه لابرهيم
عليه السلام ايضا ليكون جوابهم لها جوابا له ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام
مستانف علل به انكار تعجبها كانه قيل ليس المقام مقام التعجب فان الله تعالى على كل شئ قدير
ولستم يا اهل بيت النبوة والكرامة والزلفى كساير الطوايف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة
لكل شئ وبركاته اى خيراته النامية الفايضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تنفارقكم
انه حميد فاعل ما يستوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من
قوله رحمة الله وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابرهيم الروع اى ما اوجسه من الخيفة واطمان
قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابرهيم عليه السلام ببعض غب
انفصالها بما ليس باجنبى من كل وجه بل له مدخل تام فى السياق وتاخير الفاعل عن الظرف لانه
مصب الفائدة فان بتاخير ما حقه التقديم تبقى النفس منتظرة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده
اليها فضل تمكن وجاءته البشرى ان فسرت البشرى بقولهم لا تخف فسببية ذهاب الخوف
ومجئ السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى يجادلنا فى قوم لوط اى جادل رسلنا فى
شانهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا ظاهرة خبر لقوله فسببية
ذهاب الخوف وانما ان فسرت ببشارة الولد او بما يعمها فلعل سببيتها لها من حيث انها تفيد
زيادة اطمئنانا قلبا بسلامته وسلامة اهله ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا له انا مهلكوا
اهل هذه القرية ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين انهلكونها قالوا لا قال فاربعون
قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل مسلم انهلكونها
قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان قيل المتبادر
هذا الكلام ان يكون ابرهيم عليه السلام قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب
الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم فى شانهم لاشتغاله بشان نفسه فلما ذهب عنه الروع
فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم
لوط قلنا كان لوط عليه السلام وقومه مكلفين به فلما راى من الملئكة ما راى خاف على نفسه
وعلى كافة امته التى من جملتهم قوم لوط ولا ريب فى تقدم هذا الخوف على قولهم لا تخف واما
الذى علمه ع م بعد النهى عن الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لادخولهم تحت العموم فتامل وهذه
الموفق ان ابرهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التاوه على الذنوب والتاسف

على النّاس منيب راجع الى الله تعالى والمقصود بتعداد صفاداته الجميلة المذكورة بيان ما حمله
عليه السّلام ما صدر عنه من المجادلة يا ابرهيم اى قالت الملئكة يا ابرهيم اعرض عن هذا الجدال
انّه اى الشان قدجآء امر ربّك اى قدره الجارى على وفق قضائه الازلىّ الذى هو عبارة عن الارادة
الازليّة والعناية الالهيّة المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاصّ حسب تقلّقها بالاشياء
فى اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانّهم اتيهم عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما
ولمّا جاءت رسلنا لوطاً قال ابن عبّاس رضى الله تعالى عنهما انطلقوا من عند ابرهيم عم الى
لوط عم وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه فى صور غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك
سئ بهم اى ساءه مجيئهم لظنه انّهم اناس يخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرا
نافع وابن عامر والكسائى وابو عمرو سئ وسيئت باشمام السين الضّم روى ان الله تعالى قال للملئكة
لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما
بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك
اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت به وقالت
ان فى بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط وضاق بهم ذرعاً اى ضاق بمكانهم صدره
او قلبه او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال
فيه ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل لا وهو المساحة من المرفق الى الانامل والذرع
مدّها ومعنى ضيق الذرع فى قوله تعالى ضاق بهم ذرعاً قصرها كما ان معنى سعتها وبسطها طولها
ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مدّها ليتناول ما يتناوله الطويل الذرع تقاصر عنه
وعجز عن تعاطيه فضرب مثلا للذى قصرت طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب
شديد من عصبه اذا شدّه وجآءه اى لوطا وهو فى بيته مع اضافه قومه يهرعون اليه اى
يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضافه والجملة حال من قومه وكذا قوله
ومن قبل اى من قبل هذا الوقت كانوا يعملون السّيّئات اى جاؤا مسرعين والحال انّهم
كانوا منهمكين فى عمل السّيّئات فضروا بها وتمرّ نوا فيها حتّى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا
مما فعلوا من مجيئهم مهرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتى هنّ اطهر لكم فتزوّجوهنّ
وكانوا يطلبونهن من قبل ولا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعية فان تزويج المسلمات
من الكفّار كان جائزاً وقد زوّج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبة بن ابى لهب والى العاص بن
الرّبيع قبل الوحى وهما كافران وقيل كان لهم سيّدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه واياً
ما كان فقد اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجرى على الحقيقة
من ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة فى التواضع لهم واظهار الشدة امتعاضه مما اورده عليه
طمعا فى ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما اقدموا عليه مع ظهور الامر واستقرار

العلم

العلم انه عنده وعندهم جميعًا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق
كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون فى ضيفى اى لا
تفضحونى فى شانهم فان اخزاء ضيف الرّجل وجاره اخزاء له او لا تخجلونى من الخزاية وهى الحياء اليس
منكم رجل رشيد يهتدى الى الحق الصّريح ويرعوى عن الباطل القبيح قالوا معرضين عمّا
نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنّهى عن خزايه مجيبين عن اوّل كلامه لقد علمت ما لنا
فى بناتك من حق مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انّك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا
وبينا وما عرضك الا عرض سابرى ولا مطمع لنا فى ذلك وانّك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران
ولما يئس عليه السّلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغى قال لو انّ لى بكم قوّة اى لفعلت بكم
ما فعلت وصنعت كقوله تعالى ولو ان قرانا سيّرت به الجبال او قطعت به الارض او كلّم به الموتى
او اوى الى ركن شديد عطف على ان لى بكم الخ لما فيه من معنى الفعل اى لو قويت على دفعكم
بنفسى او اويت الى ناصر عزيز قوى اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى الشدّة والمنفعة وروى عن النبىّ
صلى الله عليه تعالى عليه وسلم رحم الله اخى لو كان ياوى الى ركن شديد روى انه عليه السّلام
اغلق بابه دون اضافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلمّا رأت الملئكة ما على لوط
من الكرب قالوا اى الرّسل لمّا شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط انا رسل ربّك لن يصلوا
اليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا وايّاهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبرئيل عم
ربّه رب العزة جل جلاله فى عقوبتهم فاذن له فقام فى الصّورة التى يكون فيها فنشر جناحه وله
جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم
واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطّريق فخرجوا وهم يقولون النّجا النجا
فان فى بيت لوط عليه السلام قوما سحرة فاسر باهلك بالقطع من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل
حيث جاء فى القران من السرى والفاء لترتيب الامر بالاسراء على الاخبار برسالتهم الموذنة بورود
الامر والنهى من جنابه عز وجل اليه عليه السلام بقطع من الّليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم
اى لا يتخلف او لا ينظر الى ورائه احدٌ منك ومن اهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدّوا فى السّير فان
من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم
الّا امراتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك ويؤيّده انه قرئ فاسر باهلك بقطع من الّليل
الّا امراتك وقرئ بالرّفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى التّخلف لا بمعنى النّظر الى الخلف كيلا
يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فان النّصب يقتضى كونه عليه السّلام غير مامور بالاسراء
بها والرّفع كونه مامورا بذلك والاعتذار بان مقتضى الرّفع انّما هو مجرّد كونها معهم وذلك لا
يستدعى الامر بالاسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز ان سرت هى بنفسها كما روى انّه عليه السّلام
لما اسرى باهله تبعتهم فلما سمعت هذه العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان

سيرى بهاءم من غيرامر بذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهى عن الاسراء
بها حتى يكون عليه السلام بالاسراء بها مخالفا للنهى لايجدى نفعا انصراف الاستثناء الى الالتفات
يستدعى بقاء الاهل على عمومه فيكون الاسراء بها ماموراً به قطعا وفى حمل الاهلية فى احدى القرائتين
على الاهلية الدينية وفى الاخرى على النسبة مع ان فيه ما لا يخفى من التحكم والاعتساف على ما فترك
منه من المناقصة فالاولى جعل الاستثناء على القرائتين من قوله لا يلتفت مثل الذى فى قوله تعالى
مافعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر قراه بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل ولا بعد فى كون
اكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح
ولذلك علله على طريقة الاستيناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم من العذاب وهو امطار الحجر
فان لم يصبها الخسف والضمير فى انه للشان وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما اصابهم مبتداء
والجملة خبر لان الذى اسم ضمير الشان وفيه ما لا يخفى من تفخيم الشان ما اصابهم ولا يحسن جعل
الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع ان موعدهم الصبح اى موعد عذابهم وهلاكهم تعليل الامر بالاسراء
والنهى على الالتفات المشعر بالحث على الاسراع اليس الصبح بقريب تاكيد للتعليل فان قرب
الصبح داع الى الاسراع فى الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروى انه قال للملئكة عليهم السلام
متى موعد هلاكهم قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فقالوا ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم
الصبح لانه وقت الدعة والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة
للناظرين فلما جاء امرنا اى وقت عذابنا وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها اى عالى قرى قوم
لوط وهى التى عبر عنها بالمؤتفكات وهو خمس مدائن فيها اربعمائة الف الف سافلها اى قلبناه
على تلك الهيأة وجعل عاليها مفعولا اول للجعل وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب بالعكس
ايضا لتهويل الامر وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذى هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم
واشق من جعل سافلها عاليها وان مستلزما روى انه جعل جبرائيل جناحه فى اسفلها ثم رفعها الى
السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار الى
الضمير سبحانه باعتبار انه المسبب لتفخيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا عليها اهل المداين
او اشدادهم حجارة من سجيل من طين المتحجر كقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل هو
من اسجله اذا ارسله او ادر عطيته والمعنى من مثل الشئ المرسل او مثل العطية فى الادرار او من
السجل اى مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اى من جهنم فابدلت نونه لاما
منضود نضد فى السماء نضدا معدا للعذاب وقيل رسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار مسومة
معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم من ترمى به
عند ربك فى خزائنه التى لا يتصرف فيها غيره عز وجل وماهى اى الحجارة الموصوفة من الظالمين
من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد شديد لاهل الظلم

كائنة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبرئيل عليه السلام فقال يعنى امتك ما من
ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هى قريبة من
ظالمى مكة يمرون بها فى مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تاويل الحجارة بالحجر او اجرائه
على موصوف مذكر اى شئ بعيد او بمكان فانها وان كانت فى السماء وهى غاية البعد من الارض الا انها حين
هوت منها فهى اسرع شئ طوفانهم فكانها بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل و
المصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمؤنث والى مدين اى اولاد مدين بن ابرهيم عليه السلام
او جعل اسما للقبيلة او بالقلية اهل مدين وهو بلد بناه مدين فسمى باسمه اخاهم اى نسيبهم شعيبا
وهو ابن مكيل بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله تعالى
والى ثمود اخاهم صالحا اى وارسلنا الى مدين شعيبا قال استيناف وقع جوابا عن سوال نشا عن صدر
الكلام فكانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام قال يا قوم اعبدوا
الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره تحقيق للتوحيد وتعليل الامر به بعد ما امرهم
بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادى ما اعتادوه من البخس والتطفيف
عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان كى تتوسلوا بذلك الى بخس حقوق الناس انى اريكم بخير
اى ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم عن ذلك او بنعمة من الله تعالى حقها ان تقابل بغير ما تاتونه من المسامحة
والتفضل على الناس شكرا عليها او اراكم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهى
عقبت بعلة اخرى اعنى قوله عز وجل وانى اخاف عليكم ان لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط
لا يشذ منه شاذ منكم وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله من احاطة العدو
والمراد عذاب يوم القيمة او عذاب الاستيصال ووصف اليوم بالاحاطة وهى حال العذاب على الاسناد
المجازى وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث فاذا احاط
بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويجوز ان يكون هذا تعليلا للامر و
النهى جميعا ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اى بالعدل من غير زيادة ولا نقصان فان
الزيادة فى الكيل والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها فى الالة محظورة كالنقص فلعل الزائد
للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتها وتعليلهما صريحا بعد النهى
عن نقصهما مبالغة فى الحمل على الايفاء والمنع من البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف عن النقص والبخس
بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيار الظلم واقانونا للعدوان ولا تبخسوا الناس نقصهما
وعدم اعتدالهما اشياءهم التى يشرونها بهما وقد صرح بالنهى عن البخس بعد ما علم ذلك فى ضمن النهى
عن نقص المعيار والامر بايفائه اهتماما وترغيبا فى ايفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز
ان يكون المراد بالامر بايفاء المكيال والميزان الامر بايفاء المكيلات والموزونات ويكون النهى عن
البخس عاما للنقص فى المقدار وغيره تعميما بعد التخصيص كما فى قوله تعالى ولا تعثوا فى الارض

مفسدين فان العثى يعم نقص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل البخس المكس وكاخذ العشور فى المعاملا
قال زهير بن ابى سلمى افى كل اسواق العراق اتاوه وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم والعثى فى الارض السرقه
وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق
السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين امر اخرتكم ومصالح دينكم **بقية الله**
اى ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطى المحرمات **خير لكم** مما تجمعون بالبخس والتطفيف
فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربى ويربى الصدقات
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان
لا محالة او ان كنتم مصدقين فى مقالتى لكم وقيل البقية الطاعة كقوله عز وجل والباقيات الصالحات
خير عند ربك وقرئ بقية الله بالفوقانية وهى تقواه وعن المعاصى **وما انا عليكم بحفيظ** احفظكم
من القبايح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم ال فى ذلك جهدا
او ما انا بحافظ ومستبق عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع **قالوا يا شعيب**
اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاوثان اجابوا بذلك امره عليه السلام اياهم بعبادة الله
تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام ولقد بالغوا ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون
والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحى الامر بذلك حتى ادعوا ان لا امر به من الفعل واللب اصلا وانه
من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء اصلوتك التى هى
من نتايج الوسوسة وافاعيل المجانين تامرك بان نترك عبادة الاوثان التى توارثناها اباً عن
جد وانما جعلوه عليه السلام مامورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك
من الشرايع لانه عليه السلام لم يكن يامرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحى وانه كان يعلمهم
بانه مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد الامر الى الصلوة من بين ساير احكام النبوة لانه عليه السلم
كان كثير الصلوة معروفا بذلك فكانوا اذا راوه يصلى يتغامزون ويتضاحكون فكان هى من بين ساير
شعاير الدين ضحكة لهم وقرئ اصلواتك **او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء** جواب عن امره عليه السلم
بايفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اى او ان نترك او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء
من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء فى الفعلين عطف على مفعول تامرك اى اصلوتك
تامرك ان نفعل انت فى اموالنا ما نشاء وتجويز العطف على ما على ما قيل يستدعى ان يراد بالترك
معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل فى معاملاتهم لا نفس الايفاء
فان ذلك ليس من افعاله عليه السلام بل من افعالهم وانما لم نقل عطفا على ان نترك لان الترك ليس
مامورا به على الحقيقة بل المامور به تكليفه عليه السلام اياهم وامره بذلك والمعنى اصلوتك تامرك
ان تكلفنا ان نترك ما يعبد اباؤنا وحمله على معنى اصلوتك تامرك بما ليس فى وسعك وعهدتك
من افاعيل غيرك بسكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رايه عليه السلام واستهزاء به من تلك الجهة

ياباه دخول الهمزة على الصلوة دون الامر ويستدعى ان يصدر عنه عليه السلام فى اثناء الدعوة
ما يدل على ذلك او يوهمه وانى ذلك فتامل وقرئ فى بالنون فى الاول والتاء فى الثانى عطفا على ان
ترك اى او نفعل نحن فى اموالنا عند المعاملة ما تشاء انت من التسوية والايفاء **انك لانت الحليم**
الرشيد انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكروه على
معنى انك لانت الحليم الرشيد على زعمك واما وصفه بهما على الحقيقة فياباه مقام الاستهزاء اللهم الا
ان يراد بالصلوة الدين كما قيل **قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة** اى حجة واضحة وبرهان
نير عبر بها عما اتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء فى جعلهم امره ونهيه غير مستند
الى سند **من ربى** ومالك اموري وايراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما عليه من
البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعات حسن المحاورة معهم كما ذكر **ورزقنى منه** اى من لدنه
رزقا حسنا هو النبوة والحكمة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف
لا وذلك مناط الحيوة الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام اى اتقولون
فى شانى ما تطعنون فى ما تقولون والمعنى انكم نظمتمونى فى سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عنى
من الاوامر والنواهى من قبيل ما لا يصح ان يتفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون واستهزاء
تم بى وبافعالى حتى قلتم ان ما امرتكم به امر الفعل ويقتضى به قاضى الفطنة وانما يامر به الصلوة التى
هى من احكام الوسوسة والجنون فاخبرونى ان كنت من جهة ربى ومالك امورى ثابتا على النبوة و
الحكمة التى ليس وراءها غاية الكمال ولا مطمح لطامح ورزقنى بذلك تجريد رزقا حسنا اتقولون فى شانى
وشان افعالى ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه وهذا هو الجواب الذى يستدعيه السباق
ويساعده النظم الكريم واما ما قيل من المحذوف ايصح لى ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف
عن المعاصى او هل يسع مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون فى وحيه
واخالفه فى امره ونهيه فبمعزل من ذلك وانما يناسب تقديره ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلوة الدين
على معنى ادينك يامرك ان تكلفنا بترك عبادة الهتنا القديمة وترك تصرف المطلق فى اموالنا
وتخالفنا فى ذلك وتسوق عطانا وهذا مما لا ينبغى ان يصدر عنك فانك انت المشهور بالحلم العاضل والرشد
الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسرورا على ذلك النمط فاجيبوا بما
اجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذى اتاه الله تعالى والمعنى حينئذ
اخبرونى ان كنت نبيا من عند الله ورزقنى مالا حلالا استغنى به عن العالمين ايصح ان اخالف امره
واوافقكم فيما تاتون وما تذرون **وما اريد** بنهى اياكم عما نهاكم عنه من البخس والتطفيف **ان**
اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى اقصده بعد ما وليكم عنه واستبد به دونكم يقال خالف زيدا الى كذا
اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس **ان اريد** اى ما اريد بما اباشره
من الامر والنهى **الا الاصلاح** الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة **ما استطعت** اى مقدار

مفسدين فان العثى يعم نقص الحقوق وغيره من انواع الفساد وقيل البخس المكس وكاخذ العشور في المعاملات
قال زهير ابن ابى سلمى افى كل اسواق العراق اتاوه وفى كل ما باع امرو مكس درهم والعثى فى الارض السرقه
وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق
السفينة وقتل الغلام وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين امراخرتكم ومصالح دينكم بقيت الله
اى ما ابقاه لكم من الحلال بعد التنزه عن بقاطى المحرمات خير لكم مما تجمعون بالبخس والتطفيف
فان ذلك هباء منثور بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربوا ويربى الصدقات
ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان
لا محالة او ان كنتم مصدقين فى مقالتى لكم وقيل البقية الطاعة كقوله عز وجل والباقيات الصالحات
خير عند ربك وقرئ تقيه الله بالفوقانية وهى تقواه وعن المعاصى وما انا عليكم بحفيظ احفظكم
من القبايح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت اذ انذرت ولم ال فى ذلك جهدا
او ما انا بحافظ ومستبق عليكم نعم الله تعالى ان لم تتركوا ما انتم عليه من سوء الصنيع قالوا يا شعيب
اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاوثان اجابوا بذلك امره عليه السلام اياهم بعبادة الله
تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام ولقد بالغوا فى ذلك وبلغوا اقصى مراتب الخلاعة والمجون
والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحى الامر بذلك حتى ادعوا ان لا امر به من العقل واللب اصلا وانه
من احكام الوسوسة والجنون وعلى ذلك بنوا استفهامهم وقالوا بطريق الاستهزاء اصلوتك التى هى
من نتايج الوسوسة وافاعيل المجانين تامرك بان نترك عبادة الاوثان التى توارثناها اباً عن
جد وانما جعلوه عليه السلام مامورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر بعبادة الله تعالى وغير ذلك
من الشرايع لانه عليه السلام لم يكن يامرهم بذلك من تلقاء نفسه بل من جهة الوحى وانه كان يعلمهم
بانه يامر بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد الامر الى الصلوة من بين ساير احكام النبوة لانه عليه السلم
كان كثير الصلوة معروفا بذلك فكانوا اذا راوه يصلى يتغامزون ويتضاحكون فكان هى من بين ساير
شعاير الدين ضحكة لهم وقرئ اصلواتك او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء جواب عن امره عليه السلم
بايفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص معطوف على ما اى او ان نترك او ان نفعل فى اموالنا ما نشاء
من الاخذ والاعطاء والزيادة والنقص وقرئ بالتاء فى الفعلين عطفا على مفعول تامرك اى اصلوتك
تامرك ان تفعل انت فى اموالنا ما تشاء وتجويز العطف على ما على ما قيل يستدعى ان يراد بالترك
معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام ايجاب الايفاء والعدل فى معاملاتهم لا نفس الايفاء
فان ذلك ليس من افعاله عليه السلام بل من افعالهم وانما لم نقل عطفا على ان نترك لان الترك ليس
مامورا به على الحقيقة بل المامور به تكليفه عليه السلام اياهم وامره بذلك والمعنى اصلوتك تامرك
ان نكلفنا ان نترك ما يعبد اباؤنا وحمله على معنى اصلوتك تامرك بما ليس فى وسعك وعهدتك
من افاعيل غيرك بسكون ذلك تعريضا منهم بركاكة رايه عليه السلام واستهزاء به من تلك الجهة

باباه دخول الهمزة على الصلوة دون الامر ويستدعى ان يصدر عنه عليه السلام فى اثناء الدعوة
ما يدل على ذلك او يوهم وانى ذلك فتامل وقرئ فيهما بالنون فى الاول والتاء فى الثانى عطفا على ان
نترك اى او نفعل نحن فى اموالنا عند المعاملة ما تشاء انت من التسوية والايفاء انك لانت الحليم
الرشيد انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكروه على
معنى انك لانت الحليم الرشيد على زعمك واما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم الا
ان يراد بالصلوة الدين كما قيل قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة اى حجة واضحة وبرهان
نير عبر بها عما اتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء فى جعلهم امره ونهيه غير مستند
الى سند من ربى ومالك امورى وايراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما عليه من
البينات والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكر ورزقنى منه اى من لدنه
رزقا حسنا هو النبوة والحكمة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما مع كونهما بينة رزق حسن كيف
لا وذلك مناط الحيوة الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام اى اتقولون
فى شانى ما تقولون والمعنى انكم نظمتمونى فى سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عنى
من الاوامر والنواهى من قبيل ما لا يصح ان يتفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون واستهزاءتم بى وبافعالى حتى قلتم ان ما امرتكم به امر الفعل ويقتضى به قاضى الفطنة وانما يامر به الصلوة التى
هى من احكام الوسوسة والجنون فاخبرونى ان كنت من جهة ربى ومالك امورى ثابتا على النبوة و
الحكمة التى ليس وراءها غاية الكمال ولا مطمح لطامح ورزقنى بذلك تجريد رزقا حسنا اتقولون فى شانى
وشان افعالى ما تقولون مما لا خير فيه ولا شر وراءه وهذا هو الجواب الذى يستدعيه السباق
ويساعده النظم الكريم واما ما قيل من المحذوف ايصح لى ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف
عن المعاصى او هل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون فى وحيه
واخالفه فى امره ونهيه فبمعزل من ذلك وانما سبب تقديره ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلوة الدين
على معنى ادينك يامرك ان نكلفنا بترك عبادة الهتنا القديمة وترك تصرف المطلق فى اموالنا
وتخالفنا فى ذلك وسوق عطانا وهذا مما لا ينبغى ان يصدر عنك فانك انت المشهور بالحلم الفاضل والرشد
الكامل فيما بيننا كما كان قول قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مسوقا على ذلك النمط فاجيبوا بما
اجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون المراد بالرزق الحسن الحلال الذى اتاه الله تعالى والمعنى حينئذ
اخبرونى ان كنت نبيا من عند الله ورزقنى مالا حلالا استغنى به عن العالمين ايصح ان اخالف امره
او اوافقكم فيما تاتون وما تذرون وما اريد بنهى اياكم عما نهاكم عنه من البخس والتطفيف ان
اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى اقصده بعد ما وليتكم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا
اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس ان اريد اى ما اريد بما اباشره
من الامر والنهى الا الاصلاح الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت اى مقدار

ما استطعته من الاصلاح والتقيّد به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح فى الجملة لا عن ارادة ما ليس فى
وسعه منه وما توفيقى اى كونى موفقا لتحقيق ما انتحيه من اصلاحكم الا بالله اى بتاييده ومعونته بل
الاصلاح من حيث الخلق مستند اليه سبحانه وانما انا من مبادية الظاهرة قاله عم تحقيقا للحق واناحة
لما عسى يوهمه اسناد الاستطاعة اليه باراد ته من استبداده بذلك عليه توكّلت فى ذلك معرضاً عمّا
عداه عاجز محض فى ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار بمعزل من مرتبة الاستمداد به
والاستظهار واليه انيب اى ارجع فيما انا بصدده ويجوز ان يكون المراد وما كونى موفقا لاصابة
الحق والصواب فى كل ما آتى واذر الا بهدايته ومعونته عليه توكلت وهو اشارة الى محض التوحيد
الذاتى والفعلى واليه انيب اى عليه قبل بشر اشر نفسى فى مجامع امورى وايثار صيغة الاستقبال على
الماضى لانسب للتقرر والتحقق كما فى التوكّل لاستحضار الصّورة والدّلالة على الاستمرار ولا يخفى ما فى
جوابه عليه السّلام من دعات لطف المراجعة ورفق الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجارات
والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من جناب الله عزّ وجل والاستعانة به فى اموره وحسم
اطماع الكفّار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالات بمعاداتهم واما تمهيدهم بالرّجوع الى الله تعالى للجزاء
كما قيل فلا لانّ الانابة انّما هى الرّجوع الاختيارى بالفعل الى الله تعالى لا الرّجوع الاضطرارى
او ما يعمّه ويا قوم لا يجرمنّكم اى لا يكسبنّكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقى معاداتى و
اصلهما ان احد المتعادين يكون فى عدوة وشق والآخر فى اخرى ان يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم اى
لا يكسبنّكم معاداتكم الى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح من الغرق او قوم هود من الريح
او قوم صالح من الصّيحة والرّجعة وقرا ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جاء ماله
اى كاسبا وهو منقول من جرم المتعدى الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال فكما لا فرق بين كسبته
مالا واكسبته اياه لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه فى المعنى الا انّ الاوّل اصح دادور على السنة
الفصحاء وقرا ابو حيوة مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكّن كقوله وهذا وان كان بحسب
الظّاهر نهيًا للشّقاق عن كسب اصابة العذاب لكنّه فى الحقيقة نهى للكفرة عن مشاقته عليه السّلام على
الطف اسلوب وابدعه كما مرّ فى سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الاية وما قوم
لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا عنهم
فكانّه انّما غيّر اسلوب التحذير بهم ولم يصرّح بما اصابهم بل اكتفى بذكر قربهم ايذانا بان ذلك مغن عن
ذكره لشهرة كونه منظوما فى سمط ماذكر من دواهى الامم المرفوعة او ليسوا ببعيد منكم فى الكفر والمعاصى
فلا يبعد ان يصيبكم مثل ما اصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لانّ المراد وما اهلاكهم على نيّة المضاف
او وما هم بشئ بعيد لانّ المقصود افادة عدم بعدهم على الاطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوما او
ماهم فى زمان بعيد او مكان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك لكونه على زنة المصادر كالنّهيق والشهيق
ولمّا انذرهم عليه السّلام بسوء عاقبة جنيعهم عقبه طمعا فى ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم

بالجمل

بالجمل على الاستغفار والتّوبة فقال واستغفروا ربّكم ثم توبوا اليه مرّ تفسير مثله فى اوّل السّورة
انّ ربّى رحيم عظيم رحمة للتائبين ودود مبالغ فى فعل ما يفعل البليغ المودّة بمن يودّه من
اللّطف والاحسان وهذا تعليل للامر بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب ما نفقه
كثيرًا مما تقول الفقه معرفة غرض المتكلم من كلامه اى ما نفهم مرادك وانّما قالوه بعد ما سمعوا منه دلايل
الحق المبين على احسن وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا
سوى الصّد ودعن منهاج العقل والسّلوك الى سبيل الشقاء كما هو ديدن عادة المفحم المحجوج يقابل
البيّنات بالسبّ والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع العلوم
والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وادمجوا فى ضمن ذلك ان فى تضاعيفه ما يستحق
اقصى ما يكون من المواخذة والعقاب ولعلّ ذلك ما فيه من التحذير من عواقب الامم السّالفة ولذلك
قالوا وانا لنريك فينا ضعيفا فيما بيننا لا قوة لك ولا قدرة على شئ من الضرّ والنّفع والايقاع
والرّفع ولولا رهطك لولا مراعات جانبهم لا لولاهم ممانعوننا وبدا فعوننا لرجمناك فان ممانعة
الرّهط وهو اسم للثّلثة الى السّبعة او الى العشرة لهم وهم الوف مؤلفة ممّا لا يكادون ينوهم وقد ايّد
ذلك بقوله عزّ وجل ما انت علينا بعزيز مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وانّما نكف عنه
للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على ديننا ولم يختاروك علينا تبعول دوننا وايلاء الضّمير
حرف النفى وان لم يكن الخبر فعليا غير حال عن الدّلالة على رجوع النّفى الى الفاعل دون الفعل لا سيّما
مع قرينة قوله ولولا رهطك كانّه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزّة علينا وحيث
كان غرضهم من عظيم هذه عائد الى نفى ما فيه عليه السّلام من القوّة والعزّة الربانيّة حسبما
يوجبه كونه على بيّنة من ربّه مؤيّدا من عنده وتقتضيه قضيّة طلب التوفيق منه والتّوكل عليه
والانابة اليه الى اسقاط ذلك كلّه عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السّلام فى
جوابهم يا قوم ارهطى اعزّ عليكم من الله فان الاستهانة بمن لا يتعزّز الا به عزّ وجل استهانة بجنابه
العزيز وانّما انكر عليهم اعزّية رهطه منه تعالى مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة رهطه لا اعزّيتهم
منه عزّ وجل مع الاشتراك فى اصل العزّة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث انكر عليهم اولا ترجيح
جنبة الرّهط على جنبة الله تعالى وثانيا بنفى العزّة بالمرّة والمعنى ارهطى اعزّ عليكم من الله فانّه مما لا يكاد
يصح والحال انّكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزّة اصلا واتخذتموه سبب عدم اعتدادكم بمن لا يرد
ولا يصدره الا بامره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء الظهر منسيا لا يبالى به منسوب الى
الظّهر والكسر لتغيير النّسب كالامسى فى النسبة الى الامس انّ ربّى بما تعملون من الاعمال السيّئة
التى من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى عليه منها خافية وان جعلتموه فيجازيكم عليها ويحتمل
ان يكون الانكار للرد والتكذيب فانّهم لما ادعوا انّهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوّته
وعزته بل لمراعات جانب رهطه ردّ عليهم ذلك بانّهم ما قدروا الله حق قدره العزيز ولم تراعوا

جنابه القول فكيف تراعون جانب رهطى الاذلة ويا قوم اعملوا لما رأى عليه السلام احرارهم على
الكفر وانهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصى حتى اجترأوا على العظيمة التى هى الاستهانة به والعزيمة
على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة التهديد اعملوا على مكانتكم اى على غاية تمكنكم
واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما قال لهم ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون
على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة له او على ناحيتكم وجهتكم التى انتم عليها من قولهم مكان
ومكانة كمقام والمعنى اثبتوا على انتم عليه من الكفر والمشاقة لى وساير ما انتم عليه مما لا خير فيه
وابذلوا جهدكم فى مضارتى وايقاع ما فى نيتكم واخراج ما فى امنيتكم من القوة الى الفعل انى عامل
على مكانتى حسبما يؤيدنى الله ويوفقنى بانواع التاكيد والتوفيق سوف تعلمون لما هددهم
عليه السلام بقوله اعملوا على مكانتكم انى عامل كان مظنة ان يسال منهم سائل فيقول فماذا يكون
بعد ذلك فقيل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء تعريضا
بما اوعدوه عليه السلام من الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزى ظاهر حيث لا يكون الا بجناية
عظيمة توجبه ومن هو كاذب عطف على من يأتيه لا على انه قسيم له بحيث اوعدوه بالرجم
وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب والكاذب وفيه تعريض بكذبهم فى ادعائهم القوة
والقدرة على رجمه عليه السلام وفى النسبة الى الضعف والهوان وفى ادعائهم الابقاء عليه لرعاية
جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين بالفعلية والاسمية لان كذب الكاذب ليس بمترقب
كاتيان العذاب بل انما المترقب ظهور الكذب السابق المستمر ومن اما استفهامية متعلقة للعلم
عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزى واينا كاذب واما موصولة اى سوف
تعرفون الذى يأتيه عذاب والذى هو كاذب وارتقبوا وانتظروا مآل ما اقول انى معكم رقيب
منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المراتب كالرفيع وفى زيادة معكم
اظهار منه عليه لكمال الوثوق بامره ولما جاء امرنا اى عذابنا كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف
تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب مؤذن بذلك نجينا شعيبا والذين آمنوا
معه برحمة منا وهى الايمان الذى وفقناهم له او برحمة كائنة منا لهم وانما ذكر بالواو كما فى
قصة هود لما انه لم يسبقه فيهما ذكر وعد يجرى مجرى السبب المقتضى لدخول الفاء فى معلوله كما فى قصتى صالح
ولوط عليهما السلام فانه قد سبق هنالك سابقة الوعد بقوله ذلك وعد غير مكذوب وقوله ذلك
وعد ان موعدهم الصبح واخذت الذين ظلموا عدل اليه عن الضمير تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان
ما اخذهم بسبب ظلمهم الذى فصل فيما سبق فنونه الصيحة قيل صاح بهم جبرئيل عليه السلام
فهلكوا وفى سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة وفى سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة
ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء المفضى اليها كما مر فيما قبل فاصبحوا فى ديارهم
جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم فى قوله سوف تعلمون من

يأتيه

يأتيه عذاب الخ نفس مجئ العذاب بل من يجيئه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن
الاخبارية حيث جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصودا
لافادة وانما قدم تنجية اهتماما بشانها وايذانا بسبق الرحمة التى هى مقتضى الربوبية على الغضب الذى
يظهر اثره بموجب جرائرهم وجرائمهم كان لم يغنوا فيها اى لم يقيموا فيها متصرفين فى اطرافها متقلبين
فى اكنافها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود والعدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم
الذى اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بمن شبه هلاكهم بهلاكهم عين ثمود وانما شبه هلاكهم بهلاكهم
لانهما اهلكتا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من فوقهم واولئك من تحتهم وقرئ بعدت
بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدرهما والبعد
مصدر للمكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهى الايات التسع المفصلات التى هى العصا واليد
البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ونقص الثمرات والانفس منهم من جعلهما اية واحدة
وعد منها اضلال الجبل وليس كذلك فانه لقبول احكام التورية حين اباه بنوا اسرائيل والباء متعلقة
بمحذوف وقع حالا من مفعول ارسلنا او نعتا لمصدره المؤكد اى ارسلناه حال كونه ملتبسا باياتنا
او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة منها او هو العصا والافراد بالذكر
لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد بالايات ما عداها او هما عبارتان عن شئ واحد اى ارسلناه
بالجامع بين كونه اياتنا وبين كونه سلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه او موضحا اياها من ابان لازما او
متعديا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما بينه عليه السلام
فى تضاعيف دعوته حين قال له فرعون من ربكما فما بال القرون الاولى من الحقائق الرائقة والدقائق
اللائقة وجعلهما عبارة عن التورية او ادرجها فى الايات يرده قوله عز وجل الى فرعون وملائه
فان نزولها انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنوا اسرائيل فيما يأتون وما يذرون
واما فرعون وقومه فانما كانوا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء
التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية وبارسال بنى اسرائيل من الاسر والقسر وتخصيص ملائه
بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة لاصالتهم فى الراى وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم
فى الورود والصدور وانما لم يصرح بكفر فرعون بايات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال
والاضلال بل اقتصر على ذكر الشان ملائه فقيل فاتبعوا امر فرعون اى امره بالكفر بما جاء به موسى
عليه السلام من الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامره ملائه بذلك امر محقق الوجود غير
محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج الى ذلك لشان ملائه المترددين بين هاد الى الحق وداع الى الضلال
فنعى عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء فى اتباعهم المترتب على امر فرعون المبنى على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة
للاشعار بمفاجاتهم فى الاتباع ومسارعة فرعون الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال
والتبليغ بل وقع جميع ذلك فى وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد بامر فرعون شانه المشهور

وطريقة الرائقة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثل ما فى قولك وعظته فلم يتعظ وصحت
به فلم ينزجر فان الاتيان بالشئ بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بعدم
الاستمرار بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتامل وترك الاضمار لدفع توهم الرجوع الى
موسى عليه السلام من اول الامر ولزيادة حال المتبعين فان فرعون علم فى العناد والفساد والضلال
والاضلال فاتباعه الاستبصار وكذا الحال فى قوله تعالى **وما امر فرعون برشيد** الرشد
ضد الغى وقد يراد به محمودية العاقبة فهو على الاول بمعنى المرشد او ذى الرشد حقيقة لغوية والاسناد
مجازى وعلى الثانى مجاز والاسناد حقيقى **يقدم قومه** جميعا من الاشراف وغيرهم **يوم القيمة**
اى تتقدمهم من قومه وهو استيناف لبيان حاله فى الآخرة اى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك
لتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح ماله امر وسوء عاقبته **فاوردهم النار**
اى بورودهم وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع لا محالة شبه فرعون بالفارط الذى يتقدم
الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذى يردونه ثم قيل **وبئس الورد المورود**
اى بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد وانما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار
على ضد ذلك **واتبعوا** اى الملاء الذى اتبعوا امر فرعون **فى هذه** اى فى الدنيا **لعنة** عظيمة
حيث يلعنهم من بعدهم من الامم الى يوم القيمة **ويوم القيمة** ايضا حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة
فهى تابعة لهم حيثما ساروا ودارت معهم اينما داروا فى الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة فى
فى الدارين جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيع وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان
حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم فى هذا الضلال البعيد وحيث كان شانهم الاتباع
ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا لهم على طريقة التهكم فقيل **بئس الرفد المرفود**
اى بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطاء ولا يلايم المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده و
المخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهى اللعنة فى الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منها
معينة وممدة لصاحبتها ومؤيدة لها **ذلك** اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه فى الذكر
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتداء خبره **من انباء القرى** المهلكة بما جنت ايدى هما
نقصه عليك خبر بعد خبر اى ذلك النبأ بعض انباء القرى مقصوص عليك **منها** اى من تلك
القرى **قائم وحصيد** اى ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه شبه ما بقى منها بالزرع القايم على ساقه
وما عفا وبطل بالحصيد والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب **وما ظلمناهم** بان اهلكناهم **ولكن
ظلموا انفسهم** بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه **فما اغنت عنهم** نفعتهم ولا
دفعت باس الله تعالى عنهم **الهتهم التى يدعون** اى يعبدونها **من دون الله** اوثر صيغة المضارع حكاية
للحال الماضية او دلالة على استمرار عبادتهم لها **من شئ** فى موضع المصدر اى شيئا من الاغناء **لما جاء
امر ربك** اى حين مجئ عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ الهتهم اللاتى ويدعون على البناء للمجهول

وما

وما زادوهم غير تتبيب اى هلاك وتخسر فانهم انما هلكوا وخسروا بسبب عادتهم لها **كذلك** اى
ومثل ذلك الاخذ الذى مر بيانه وهو رفع على الابتداء وخبر قوله **اخذ ربك** قرئ اخذ ربك فمحل الكاف
النصب على انه مصدر مؤكد **اذا اخذ القرى** اى اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها
اليها حسبما ذكر وقرئ اذ اخذ **وهى ظالمة** حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم
فى الاخذ اجريت الحال عليها وفايدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم **ان
اخذه اليم شديد** وجيع صعب على الماخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير
ان فى ذلك لاية اى فى اخذه تعالى للامم المهلكة او فى قصصهم **لاية** لعبرة **لمن خاف عذاب الآخرة**
فانه المعتبر به حيث يستدل بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيات على احوال عذاب الآخرة
واما من انكر الآخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شئ من احواله مستند الى الفاعل المختار وانما
يقع فيه من الحوادث فانما يقع الحوادث تقتضيه من اوضاع فلكية تتفق فى بعض الاوقات لا لما ذكر
من المعاصى التى تعرفها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار تبا لهم ولما لهم من الافكار **ذلك**
اشارة الى يوم القيمة المدلول عليه بذكر الآخرة **يوم مجموع له الناس** اى يجمع له الناس للمحاسبة
والجزاء والتغير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه لا محالة وعدم انفكاك الناس فهو ابلغ من
قوله تعالى يجمعكم ليوم الجمع **وذلك** اى يوم القيمة مع ملاحظة عنوان جمع الناس **يوم مشهود**
اى مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول
به كما فى قوله تعالى فى محل من نواحى الناس مشهود اى كثير شاهدوه ولو جعل نفس اليوم مشهودا لفات
ما هو الغرض من تعظيم اليوم وتهويله وتمييزه عن غيره فان ساير الايام ايضا كذلك **وما نؤخره** اى ذلك
اليوم الملحوظ بعنوانى الجمع والشهود **الا لاجل معدود** الا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه
الحكمة **يوم يات** اى حين ياتى ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى ان ياتيهم الساعة وقيل
يوم ياتى الجزاء الواقع فيه وقيل اى الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شان اليوم وقرئ باثبات
الياء على الاصل **لا تكلم نفس** اى تتكلم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة وهو العامل فى الظرف او
الانتهاء المحذوف فى قوله تعالى الا لاجل معدود اى ينتهى الاجل يوم ياتى او المضمر المعهود اعنى اذكر الا باذنه
عز سلطانه فى التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى موطن من مواطن ذلك
اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر من مواقفه كما ان قوله
سبحانه يوم ياتى كل نفس تجادل عن نفسها فى آخر منها او الماذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار
الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار بطلانها كما فى قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظايره
فمنهم شقى وجب له النار بموجب الوعيد **وسعيد** اى ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول
عليه وهو حيث له الجنة بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس او
للناس وتقديم الشقى على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار **فاما الذين شقوا** اى سبقت

لهم الشقاوه ففی النار ای مستقرون فیها لهم فیها زفیر وشهیق الزفیر اخراج النفس والشهیق ردّه
واستعمالها فی اوّل النهیق واخره قال الشماخ یصف حمار الوحش بعید مدی التطریب اوّل صوته زفیر ویتلوه
شهیق مخشرج والمراد بهما وصف شدّة کربهم وتشبیه حالهم بحال من استولت علی قلبه الحرارة والحصر فیه روحه
او تشبیه صرافهم باصوات الحمیر وقرئ یشقوا بالضم والجملة مستانفة کان سائلا قال ما شانهم فیها فقیل
لهم فیها کذا وکذا او منصوبة المحل علی الحالیة من النار او من الضمیر فی الجار والمجرور کقوله عز اسمه خالدین
فیها خلا انه ان ارید حدوث کونهم فی النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض ای
مدّة دوامها وهذا التوقیت عبارة عن التابید ونفی الانقطاع سا علی منهاج قول العرب ما دام تعار
وما اقام ثبیر وما لاح کوکب وما اختلف اللیل والنهار وما طمی البحر وغیر ذلک من کلمات التابید
لا تعلیق قرارهم فیها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص القاطعة دالة علی تابید قرارهم
فیها انقطاع دوامها فان ارید التعلیق فالمراد سموات الاخرة وارضها کما یدل علی ذلک النصوص
کقوله تعالی یوم تبدل الارض والسموات وقوله تعالی واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حیث
نشاء وجزم کل احد بان اهل الاخرة لابد لهم من مظلة ومقلة دائمتین یکفی فی تعلیق دوام
قرارهم فیها بدوامهما ولا حاجة الی الوقوف علی تفاصیل احوالهما وکیفیاتهما الا ما شاء ربک
استثناء من الخلود علی طریقة قوله تعالی لا یذوقون فیها الموت الا الموتة الاولی وقوله ولا تنکحوا
ما نکح اباؤکم من النساء الا ما قد سلف وقوله حتی یلج الجمل فی سم الخیاط غیر ان استحالة الامور المذکورة
معلومة بحکم العقل واستحالة تعلق المشیة بعدم الخلود معلومة بحکم النقل یعنی انهم مستقرون فی النار
فی جمیع الازمنة الا فی زمان مشیة الله تعالی لعدم قرارهم فیها واذ لا امکان لتلک المشیة ولا لزمانها
بحکم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا امکان لانتهاء مدة قرارهم فیها ولدفع ما عسی یتوهم من
کون استحالة تعلق مشیة الله تعالی بعدم الخلود بطریق الوجوب علی الله تعالی قال ان ربک فعال
لما یرید یعنی انه فی تخلید الاشقیاء فی النار بحیث یستحیل وقوع خلافه فعال بموجب ارادته
قاض بمقتضی مشیته الجاریة علی سنن حکمته الداعیة الی ترتیب الاجزیة علی افعال العباد والعدول
من الاضمار الی الاظهار لتربیة المهابة وزیادة التقریر وقیل هو استثناء من الخلود فی عذاب
النار فانهم لا یخلدون فیه بل یعذبون بالزمهریر وبانواع اخر من العذاب وبما هو اغلظ منها
کلها وهو سخط الله تعالی علیهم وخسوء لهم واهانته ایاهم وانت تدری انا وان سلمنا ان
المراد بالنار لیس دار العذاب المشتملة علی انواع العذاب بل نفس النار فیما خلا عذاب الزمهریر من
تلک الانواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق فی ذلک الاستثناء ولک ان تقول انهم لیسوا
المخلدین فی العذاب الجسمانی الذی هو عذاب النار بل لهم من افانین العذاب ما لا یعلمه الا الله
سبحانه وهی العقوبات والالام الروحانیة التی لا یقف علیها فی هذه الحیوة الدنیا المنغمسون فی
احکام الطبیعة المقصور ادراکهم علی ما الفوه من الاحوال الجسمانیة ولیس لهم استعداد لتلقی ما وراء

ذلک من الاحوال الروحانیة اذا القی الیهم ولذلک لم یتعرض لبیانه واکتفی بهذه المرتبة الاجمالیة المنبئة
عن التهویل وهذه العقوبات وان کانت تعتریهم وهم فی النار لکنهم ینسون بها عذاب النار ولا یحسون
بها وهذه المرتبة کافیة فی تحقیق معنی الاستثناء وهذا وقد قیل الا بمعنی سوی وهو اوفق بما
ذکر وقیل ما بمعنی من علی ارادة معنی الوصفیة فالمعنی ان الذین شقوا فی النار معذبین الخلود فیها الا
الا الذین شاء الله عدم خلودهم فیها وهم عصاة المؤمنین واما الذین سعدوا ففی الجنة خالدین
فیها ما دامت السموات والارض الکلام فیه کالکلام فیما سبق خلا انه لم یذکر ههنا ان لهم فیها بهجة
وسرورا کما ذکر فی اهل النار من انه لهم فیها زفیر وشهیق لان المقام مقام التحذیر والانذار الا
ما شاء ربک ان حمل علی طریقة التعلیق بالمحال ففوله سبحانه عطاء غیر مجذوذ نصب المصدریة
معنی الجملة لان قوله ففی الجنة خالدین فیها یقتضی اعطاء وانعاما فکانه قیل یعطیهم عطاء وهو اما اسم
مصدر هو الاعطاء او مصدر بحذف الزوائد عبر عنه بما لا عین رات ولا اذن سمعت ولا خطر علی
قلب بشر فهو نصب علی الحالیة من المفعول المقدر للمشیة او تمییز فان نسبة متعینة الخروج الی الله
تعالی یحتمل ان یکون علی جهة عطاء مجذوذ وعلی جهة عطاء غیر مجذوذ فهو رافع للابهام عن النسبة قال
ابن زید اخبرنا الله تعالی بالذی یشاء لاهل الجنة فقال عطاء غیر مجذوذ ولم یخبرنا بالذی یشاء
لاهل النار ویجوز ان یتعلق بکلا التعبین او بالاول دفعا لما یتوهم من ظاهر الاستثناء من القطاعة
فلا تک فی مریة ای فی شک والفاء لترتیب النهی علی ما قص من القصص وبین فی تضاعیفها من
العواقب الدنیویة والاخرویة مما یعبد هؤلاء ای من جهة عبادة هؤلاء المشرکین وسوء عاقبتها
او من حال یعبدونه من الاوثان فی عدم نفعه لهم ولما کان مساق النظم الکریم قبیل الشروع فی
القصص لبیان غایة سوء حال الکفرة وکمال حسن حال المؤمنین وقد ضرب لهم مثل فقیل مثل الفریقین
کالاعمی والاصم والبصیر والسمیع هل یستویان مثلا افلا تذکرون وقد قص عقیب ذلک من
انباء الامم السالفة مع رسلهم المبعوثة الیهم ما یتذکر به المتذکر نهی رسول الله صلی الله علیه وسلم
عن کونه فی شک من مصیر امر هؤلاء المشرکین فی الاجل[العاجل صح] ثم علل ذلک بطریق الاستیناف فقیل نفی ما یعبدون
الا کما یعبد اباؤهم الذین قصت علیک قصصهم من قبل ای هم واباؤهم سواء فی الشرک ما یعبدون
عبادة الا کعبادتهم او ما یعبدون شیئا الا مثل ما عبدوه من الاوثان والعدول الی صیغة المضارع
لحکایة الحال الماضیة لاستحضار صورتها او مثل ما کانوا یعبدونه فحذف کان لدلالة قوله
من قبل علیه ولقد بلغک ما لحق باباءهم فیلحقهم مثل ذلک فان تماثل الاسباب یقتضی تماثل
المسببات وانا لموفوهم ای هؤلاء الکفرة نصیبهم ای حظهم المعین لهم حسب جرائمهم وجرائرهم
من العذاب عاجلا واجلا کما وفینا اباءهم انصباءهم المقدرة لهم او من الرزق المقسوم لهم فیکون
لهم فیکون بیانا لوجه تاخر العذاب عنهم مع تحقق ما یوجبه غیر منقوص حال مؤکدة من النصب
کقوله تعالی ثم ولیتم مدبرین وفائدته دفع توهم التجوز وجعلها مقیدة له لدفع احتمال کونه منقوصا

فی حدّ نفسه مبنی علی الذهول عن کون العامل هو التوفیة فتامّل ولقد اتینا موسی الکتاب ای التورية
فاختلف فیه ای فی شانه وکونه من عند الله تعالی فامن به قوم وکفر به آخرون فلا یبال باختلاف
قومك فیما اتیناك من القران وقولهم لولا انزل علیه کنز او جاء معه ملك وزعمهم انك افتریته
ولولا کلمة سبقت من ربك وهی کلمة القضاء بانظارهم الی یوم القیمة علی حسب الحکمة الداعیة
الی ذلك لقضی بینهم ای لاوقع القضاء بین المختلفین من قومك بانزال العذاب الذی
یستحقه المبطلون لیتمیزوا به عن المحقین وقیل بین قوم موسی عم ولیس بذلك وانهم ای وان
کفار قومك ارید به بعض رجع الیهم ضمیر بینهم للامن من الالباس لفی شك عظیم منه ای من
القران وان لم یجر له ذکر ایتاء کتاب موسی علیه السلام ووقوع الاختلاف فیه لاسیما بصدد السلبه
ینادی به نداء غیر خفی مریب موقع فی الریبة وان کلا التنوین عوض من المضاف الیه ای
وان کل المختلفین فیه المؤمنین منهم والکافرین وقرا ابن کثیر ونافع وابو بکر بالتخفیف مع الاعمال
اعتبارا للاصل لما لیوفینهم ربك اعمالهم ای اجزیة اعمالهم واللام الاولی موطئة للقسم والثانیة
جواب للقسم المحذوف ولما مرکبة من من الجارة وماء الموصولة او الموصوفة واصلها لمن ما فقلبت
النون میما للادغام فاجتمع ثلث میمات فحذفت اولاهن والمعنی لمن الذین او لمن خلق او لمن فریق
والله لیوفینهم ربك وقرئ لما بالتخفیف علی ان ما مزیدة للفصل بین اللامین والمعنی وان جمیعهم والله
لیوفینهم الایة وقرئ لما بالتنوین ای جمیعا کقوله سبحانه اکلا لما وقرئ ابی وکل لما لیوفینهم
علی ان نافیة ولما بمعنی الا وقد قرئ به انه بما یعملون ای بما یعمله کل فرد من المختلفین من الخیر والشر
خبیر بحیث لا یخفی علیه شیء من جلائله ودقائقه وهو تعلیل لما سبق من توفیة اجزیة اعمالهم فان
الاحاطة بتفاصیل اعمال الفریقین وما یستوجبه کل عمل بمقتضی الحکمة من الجزاء المخصوص یوجب توفیة
کل ذی حق حقه ان خیرا فخیر وان شرا فشر فاستقم کما امرت لما بین فی تضاعیف القصص المحکیة
عن الامم الماضیة سوء عاقبة الکفر وعصیان الرسل اشیر الی ان حال هؤلاء الکفرة والضلال واستحقاق
العذاب مثل اولئك المعذبین وان نصیبهم من العذاب واصل الیهم من غیر نقص وان تکذیبهم
للقران مثل تکذیب قوم موسی عم للتورية وانه لولا تسبق کلمة القضاء بتاخیر عقوبتهم العامة و
مواخذتهم التامة الی یوم القیمة لفعل بهم ما فعل بابائهم من قبل وانهم یوفون نصیبهم غیر منقوص
وان کل واحد من المؤمنین والکافرین یوفی جزاء عمله امر رسول الله صلی الله علیه وسلم بالاستقامة
کما امر به فی العقاید والاعمال المشترکة بینه وبین سایر المؤمنین ولاسیما الاعمال الخاصة به من
تبلیغ الاحکام الشرعیة والقیام بوظایف النبوة وتحمل اعباء الرسالة بحیث یدخل تحته ما امر به فیما
سبق من قوله تعالی فلعلك تارك بعض ما یوحی الیك وضائق به صدرك الایة وبالجملة فهذا الامر
منتظم بجمیع محاسن الاحکام الاصلیة والفرعیة والکمالات النظریة والعملیة والخروج عن عهدته
فی غایة ما یکون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلی الله علیه وسلم شیبتنی سورة هود ومن تاب

معك ای تاب من الشرك والکفر وشارکك فی الایمان وهو المعنی المعینة وهو معطوف علی المستکن
فی قوله فاستقم وحسن من تاکید لمکان الفاصل القایم مقامه وفی الحقیقة هو من عطف الجملة علی الجملة اذ
المعنی ویستقیم من تاب معك وقیل هو منصوب علی انه مفعول معه کما قاله ابو البقاء والمعنی استقم
مصاحبا لمن تاب معك ولا تطغوا ولا تنحرفوا عما حد لکم بافراط او تفریط فان کلا طرفی قصد
الامور ذمیم وانما سمی ذلك طغیانا وهو تجاوز الحد تغلیظا او تغلیبا لحال سایر المؤمنین علی حاله عم
انه بما تعملون بصیر فیجازیکم علی ذلك وهو تعلیل للامر والنهی وفی الایة دلالة علی وجوب
اتباع المنصوص من غیر انحراف بمجرد الرای فانه طغیان وضلال واما العمل بمقتضی الاجتهاد التابع
لعلل المنصوص فذلك من باب استقامة کما امر علی موجب النصوص الامرة بالاجتهاد ولا ترکنوا
ای لا تمیلوا ادنی میل الی الذین ظلموا ای الی الذین وجد منهم الظلم فی الجملة ومدار النهی هو الظلم
والجمع باعتبار جمعیة المخاطبین وما قیل من ان ذلك للمبالغة فی النهی من حیث ان کونهم جماعة مظنة
الرخصة فی مداهنهم انما یتم ان لو کان المراد النهی عن الرکون الیهم من حیث انهم جماعة ولیس کذلك
فتمسکم بسبب ذلك النار واذا کان حال المیل فی الجملة الی من وجد منه ظلم ما فی الافضاء الی
مساس النار هکذا فما ظنك بمن یمیل الی الراسخین فی الظلم والعدوان میلا عظیما ویتهالك علی مصاحبتهم
ومنادمتهم ویلقی شراشره علی مؤانستهم ومعاشرتهم ویبتهج بالتزیی بزیهم ویمد عینیه الی زهرتهم الفانیة ویغبطهم
بما اوتوا من القطوف الدانیة وهو فی الحقیقة من الحبة طفیف ومن جناح البعوض خفیف بمعزل من
ان یمیل الیه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والایة ابلغ ما یتصور فی النهی عن الظلم والتهدید
علیه وخطاب الرسول صلی الله علیه وسلم ومن معه من المؤمنین للتثبیت علی الاستقامة التی
هی العدل فان المیل الی احد طرفی الافراط والتفریط ظلم علی نفسه او غیره وقرئ ترکنوا علی لغة
تمیم وترکنوا علی صیغة البناء للمفعول من ارکنه وما لکم من دون الله من اولیاء ای من انصار
ینقذونکم من النار والجملة نصب علی الحالیة من قوله فتمسکم النار ونفی الاولیاء لیس بطریق نفی ان
یکون لکل واحد منهم اولیاء حتی یصدق مع ان یکون له ولی بل لمکان لکم بطریق انقسام الاحاد علی
الاحاد لکن لا علی معنی نفی استقلال کل منهم بنصیر بل علی معنی نفی ان یکون لواحد منهم نصیر بقرینة
المقام ثم لا تنصرون من جهة الله سبحانه اذ قد سبق فی حکمه ان یعذبکم بر کونکم الیهم ولا
یبقی علیکم وثم لتراخی رتبة کونهم غیر منصورین من جهته تعالی بعد ما اوعدهم بالعذاب
واوجبه علیهم ویجوز ان یکون منزلا منزلة الفاء بمعنی الاستبعاد فانه لما بین ان الله تعالی
معذبهم وان غیره لا ینقذهم انتج انهم لا ینصرون اصلا واقم الصلوة طرفی النهار ای غدوة وعشیة
وانتصابه علی الظرفیة لکونه مضافا الی الوقت وزلفا من اللیل ای ساعات منه قریبة من النهار
فانه من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف علی طرفی النهار والمراد بصلوتهم صلوة الغداة والعصر
وقیل الظهر مع العصر لان ما بعد الزوال عشی وبصلوة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا

بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات التى من جملتها
بل عمدتها ما امرت به من الصلوات يذهبن السيئات التى قلما يخلو منها البشر اى يكفرنها وفى
الحديث ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكباير وقيل نزلت فى ابى اليسر الانصارى
اذ قبل امراة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال صلى الله عليه
وسلم انتظر امر ربى فلما صلى صلوة العصر نزلت قال عليه السلام نعم اذهب فانها كفارة
لما عملت او المعنى من افتراقها كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة
الى قوله تعالى فاستقم مما بعده وقيل الى القران ذكرى للذاكرين اى عظة للمتعظين واصبر
ما امرت به فى تضاعيف الاوامر السابقة واما ما نهى عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا
فليس فى الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم الا ان يراد به ما لا يمكن عادة خلو البشر
عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من
وجد منه ظلم ما فان الاحتراز من امثاله من المشقة ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين
اى يوفيهم اجورهم اعمالهم من غير بخس اصلا وانما عبر عن ذلك بنفى الاضاعة مع ان عدم اعطاء
الاجر حقيقة كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال
نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه من القبائح وابراز
الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود مع
افادة فائدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى ان الصبر على ذكر
من باب الاحسان فلولا كان فهلا كان من القرون الكائنة من قبلكم على راى من
جوز حذف الموصول مع بعض صلته او كائنة من قبلكم اولوا بقية من الراى والعقل او
اولو فضل وخير وسموا بها لان الرجل انما يستبقى مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا
فى الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ومنه ما قيل فى الزوايا خبايا
وفى الرجال بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اى فهلا كان منهم ذووا
ابقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه ويؤيده انه قرئ اولو بقية وهى المرة من
مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره اى اولو مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون
نزوله لاشفاقهم ينهون عن الفساد فى الارض الواقع منهم حسبما حكى عنهم الا قليلا
ممن انجينا منهم استثناء منقطع اى لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم على تلك الصفة على ان من
للبيان لا للتبعيض لان جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تخصيصا
لاولى البقية على نهى المذكور الا للتقليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرا قومك القران
الا الصلحاء منهم مريدا الاستثناء الصلحاء من المخصصين على القران نعم يصح ذلك ان جعل استثناء
من النفى اللازم للتحضيض فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح

حينئذ على البدلية واتبع الذين ظلموا بمباشرة الفساد وترك النهى عنه ما اترفوا فيه اى انعموا
من الشهوات واهتموا بتحصيلها اما المباشرين فظاهر واما المساهلون فلما لهم فى ذلك من نيل حظوظهم
الفاسدة وقيل المراد بهم تاركو النهى وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشرى الفساد فى
الظلم والاجرام عبارة وكانوا مجرمين اى كافرين فهو بيان لسبب استيصال الامم المهلكة وهو
فشو الظلم واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهى عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف على مضمر
دل عليه الكلام اى لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين معهم فى الحكم
والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب وعلى استيناف يترتب
على قوله الا قليلا اى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشرى الفساد
وتاركى النهى عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اى اتبعوا
الاتراف وكونهم مجرمين لان التابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او
على اتبع اى اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا عليهم
بانهم قوم مجرمون وقرئ واتبع اى اتبعوا جزاء ما اترفوا فيكون الواو للحال ويجوز ان يفسر به المشهورة
ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اى ما صح وما استقام بل استحال فى الحكمة
ان يهلك القرى التى اهلكها حسبما بلغك انباؤها ويعلم من ذلك حال ما عداها من القرى الظالمة و
اللام لتاكيد النفى وقوله بظلم اى ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اى ظالما لها والتنكير للتفخيم
والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك بالكلية بتصويره بصورة
ما يستحيل صدوره عنه تعالى والا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة
اهل السنة وقد مر تفصيله فى سورة آل عمران عند قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله
تعالى واهلها مصلحون حال من المفعول والعامل ولكن لا باعتبار تقيده بما وقع حالا من فاعله
اعنى بظلم لدلالته على تقيده بما وقع حالا لباء للسببية اى لا يهلك القرى بسبب اشراك اهلها
وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته
فى حقوقه تعالى وعن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق العباد الفقراء على حقوق الله الغنى
الحميد وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم وانت تدرى ان مقام النهى عن المنكرات التى
اقبحها الاشراك بالله لا يلايمه فان الشرك داخل فى الفساد فى الارض دخولا اوليا ولذلك كان ينهى
كل من الرسل الذين قصت انباؤهم امته اولا عن الاشراك ثم عن ساير المعاصى التى كانوا يتعاطونها فالوجه
حمل الظلم على مطلق الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصى وحمل الاصلاح على اصلاحه
والاقلاع عنه بكون بعضهم متصدين للنهى عنه وبعضهم متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم
عليه من الشرك وغيره من انواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجتمعة على الحق
ودين الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشا ذلك فلم يكونوا متفقة على الحق ولا يزالون

مختلفين في الحق اى مخالفين له كقوله تعالى وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات
بغيا بينهم الا من رحم ربك الا قوما قد هداهم الله تعالى بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا
فيه اى لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف الشامل لما يصدر من المحق والمبطل ياباه الاستثناء المذكور
ولذلك اى لما ذكر من الاختلاف خلقهم اى الذين بقوا بعد السا وهم المختلفون فاللام للعاقبة
او للترحم فالضمير لمن واللام في معناها او لهما معا فالضمير للناس كافة واللام بمعنى مجازى عام لكلا
المعنيين وتمت كلمة ربك اى وعيده وقيل او قوله للملئكة لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين اى من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا اى وكل نبا فالتنوين
عوض من المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله تعالى من انباء الرسل بيان لكلا وقوله
تعالى ما نثبت به فؤادك بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف في كلا المفعول
المطلق لنقص اى كل اقتصاص اى كل اسلوب من اساليبه نقص عليك من انباء الرسل وقوله سبحانه
ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص زيادة تثبيته عليه السلام
وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل احوال
الامم السالفة في تماديهم في الضلال وما لقى الرسل من جهتهم من مكابرة المشاقة وجاءك في هذه
السورة او الانباء المقصوصة عليك الحق لا محيد عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين اى الجامع
بين كونه حقا في نفسه حلى باللام دون ما هو وصف ماله القياس الى غيره وتقديم الظرف اعنى في
هذه على الفاعل لان المقصود بيان منافع السورة والانباء المقصوصة فيها واشتمالها على ذكر من
المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا في غيرها ولان عند تاخير ما حقه التقديم تبقى النفس
مترقبة اليه فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب
اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق وما يتعظون به ويتذكرون اعملوا على مكانتكم
على حالكم وجهتكم التي هي عدم الايمان انا عاملون على حالنا وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر
به وانتظروا بنا الطوائر انا منتظرون اى ننزل بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة ولله غيب
السموات والارض واليه يرجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرئ على البناء للفاعل من
رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون
مرجع الامور كلها الى الله عز وجل وفي تاخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها
وما ربك بغافل عما يعملون فيجازيكم بموجبه وقرئ تعملون على تغليب المخاطب اى انت وهم
فيجازى كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود
اعطى عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المعدودين فيها عليهم السلام وبعدد
من كذبهم وكان يوم القيمة من السعداء بفضل الله تعالى تمت بعون الله وتوفيقه

سورة يوسف مائة واحدى عشرة ايات مكية

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم

الر الكلام فيه وفي محله وفيما اريد بالاشارة والايات والكتاب في قوله تعالى تلك ايات الكتاب
عين ما سلف في مطلع سورة يونس المبين من ابان بمعنى بان اى الظاهر امره في كونه من عند الله تعالى
وفي اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقائقه
ولا يلتبس لديهم دقائقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اى المبين لما فيه من الاحكام والشرايع و
خفايا الملك والملكوت واسرار السالفين في الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص
وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فابانته انباؤه عن قصة يوسف عليه السلام فانه
قد روى ان احبار اليهود قالوا الرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل ال
يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف
الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لما سياتى ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف
الذاتي عقب ذلك بما يدل على الشرف الاضافي فقيل انا انزلناه اى الكتاب النعوت بما
ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب بقوله تعالى قرانا عربيا
اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المسارع الى الفهم عند اطلاقهما فالامر ظاهر وان
جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرانا لما عرفته فيما سلف والسر في ذلك انه اسم جنس في الاصل
يقع على الكل والبعض كالكتاب او لانه مصدر بمعنى المفعول اى انزلناه حال كونه مقروا وابلغناكم
لعلكم تعقلون اى لكى تفهموا معاينة طرا تحيطوا بما فيه من البدايع خبرا وتطلعوا على انه
خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك اى نخبرك ونحدثك
واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان من نقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال
تلا القران لانه يتبع ما حفظ منه اية بعد اية احسن القصص اى احسن الاقتصاص فنصبه على
المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام لما في اقتصاص اهل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول
اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل بما اوحينا اى بايحائنا اليك هذا القران اى هذه
السورة فان كونها موحات منبئ عن كون ما في ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرانيتها لتحقيق
ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحي غير المتلو واما لظهوره من السؤال المشركين بتلقين
علماء اليهود واحسنيته لانه قد اقتص على ابداع الطرايق الرائقة واعجب الاساليب الفائقة اللائقة
كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الاولين والاخرين وان كان لا يتميز الغث من السمين
ولا يفرق بين الشمال واليمين وفي كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القران لما في قوله تعالى قرانا
عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتامل او نقص عليك احسن ما يقص من الانباء وهو قصة
آل يعقوب عليه السلام على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالنبا والخبر او مصدر سمى به المفعول
كالخلق والصيد ونصب احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا يخفى كمال حسنه

وان كنت ان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الواقع اسمًا لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر
والمعنى وان الشان كنت **من قبله** من قبل ايحائنا اليك هذه السورة **لمن الغافلين** عن هذه
القصة لم تخطر ببالك ولم يقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه هو حق والتعبير عن عدم العلم بالغفلة
لاجلال شان النبى صلى الله عليه وسلم وان غفل عنه بعض الغافلين **اذ قال يوسف** نصبٌ
باضمار اذكر وشروع فى القصة انجاز الموعد باحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير
كونه مفعولا بدل الاشتمال فان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه
اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبرى لا عربى لخلوه عن سبب اخر غير التعريف وفتح السين
وكسرها على بعض القراات بناء على التلقب بدلا على انه مضارع بنى للمفعول او الفاعل من اسف لشهادة
المشهور بعجمته **لابيه** يعقوب بن اسحق بن ابرهيم عليهم السلام وقد روى عنه عليه السلام
ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم **يا ابت** اصله يا ابى فعوض
عن الياء تاء التانيث لتناسبهم فى الزيادة فلذلك قلبت هاء فى الوقف على قراءة ابن كثير وابى
عمرو ويعقوب وكسرتها لانها عوض مناسبها وفتحها ابن عامر فى حل القران لانها حركة اصلها
ولان الاصل يا ابتا فحذف الالف وبقى الفتحه وانما لم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض والمعوض
وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها
لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب **انى رايت** من الرؤيا
لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك هذا تاويل رؤياى ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور
البديعة فى عالم الشهادة لا يختص برؤيته راء فيكون تامة كبرى لا يخفى على احد من الناس
احد عشر كوكبًا والشمس والقمر روى عن جابر رضى الله تعالى عنه ان يهوديا جاء الى الرسول
صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنى يا محمد عن النجوم التى راهن يوسف عليه السلام فسكت
النبى صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال عليه السلام اذا
اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال عليه السلام جريان والطارق والزيال وقابس
وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف
والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها وقيل الشمس
والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوانه وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب
لاظهار مزيتهما وشرفهما على ساير الطوالع بعطفهما عليها كما فى عطف جبرئيل وميكائيل على الملئكة
عليهم السلام وقد جوز ان تكون الواو بمعنى مع اى رايت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد
ان يكون ذلك اشارة الى تاخر ملاقاته يوسف عليه السلام لهما عن ملاقاته لاخوته وعن وهب
ان يوسف عليه السلام راى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة فى الارض
كهيئة الدائرة واذا عصا صغيرة تثبت عليها حتى قلعها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اباك

ان

ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على
ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه
اربعون سنة وقيل ثمانون **رايتهم لى ساجدين** استيناف ببيان حالهم التى راهم عليها
كان سائلا سال فقال كيف رايتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء فى الضمير لوصفها بوصف
العقلاء اعنى السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو الاهم مع ما فى ضمنه فى رعاية
الفاصلة **قال يا بنىّ** صغره للشفقة اولها ولصغر السن وهو ايضا استيناف مبنى على سؤال من قال
فما قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤيا العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام من هذه الرؤيا ان
يوسف عليه السلام يبلغه تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين
كما فعل بابائه والكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك وله من معانات المشاق
ومقاسات الاحزان وان كان واثقا بان الله تعالى سيحقق ذلك لا محالة وطمعا فى حصوله بلا مشقة
لا تقصص رؤياك هى ما فى المنام كما ان رؤية ما فى اليقظة فرق بينهما بحرفى التانيث كما فى القربى والقربة
وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما يكون باتصال
النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغها من تدبير البدن او فى فراغ فتصور بما فيها مما
يليق من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك
فتصير مشاهدة ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية و
الجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والاحتاجت اليه **على اخوتك فيكيدوا** نصب باضمار ان
اى فيفعلوا **لك** اى لاجلك ولاهلاكك **كيدًا** مسارا سخا لا تقدر على التفصى عنه او خفيا عن
فهمك لا تتصدى لمدافعة وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم
ليسوا بقادرين على تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب اكد من ان يقال فيكيدوك
كيدا اذ ليس فيه دلالة على كون نفس الفعل مقصود الايقاع وقيل انما جئ باللام لتضمينه معنى
الاحتيال المتعدى باللام ليفيد معنى المضمن والمضمن فيه للتاكيد اى فيحتالوا لك ولاهلاكك
حيلة وكيدًا والمراد باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكائدهم من بنى علاته الاحد عشر وهم
يهودا وروبيل وشمعون ولاوى وريالون ويشجر ودينه بنو يعقوب من ليا بنت
خالته ودان ونفتالى وجاد واشر بنوه من سريتين زلفه وبلهة وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب
الاحد عشر واما بنيامين الذى هو شقيق يوسف عليه السلام وامهما راحيل التى تزوجها يعقوب
عليه السلام بعد وفات اختها ليا فى حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل تحت
هذا النهى اذ لا يتوهم مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم فى الرؤيا اذ لم يكن معهم فى
السجود ليوسف عليه السلام والمراد نهيه على اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا **ان الشيطان**
للانسان عدو مبين ظاهر العداوة فلا يالو جهدا فى اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير

فيه وهو استيناف كان يوسف عليه السّلام قال كيف يصدر ذلك عن اخوتى الناشئين فى بيت
النبوّة فقيل انّ الشيطان يحملهم على ذلك ولما نبهه عليهما السّلام على ان لرؤياه شانا عظيما يستتبع
منافع وحذره اشاعتها المؤدية الى ان يحول اخوته بينها وبين ظهور اثارها وحصولها ابوعم واسبيل
وصولها شرع فى تعبيرها وتاويلها على وجه اجمالى فقال **وكذلك** اى ومثل ذلك الاجتباع البديع
الذى شاهدت اثاره فى عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك وتحسبه وعلى وقفه
يجتبيك ربّك يختارك لجناب كبريائه ويستنبئك افتعال من حباه اذا جمعه ويصطفيك على اشراف
الخلايق وسرات الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرّويا فى عالم الشهادة حسبما عاينه من غير
قصور والمراد بالتشبيه بيان المضاهات المتحققه بين الصور المرتبة فى عالم المثال وبين ما وقعت
هى صورا واشباحا له من الكاينات الظاهرة بحسبها فى عالم الشّهادة اى كما سخرت لك تلك الاجرام العظام
سخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه الاستكانة ومراده بيان
اطاعة ابويه واخوته له لكنه انّما لم يصرّح به حذرا من اذاعته **ويعلّمك** كلام مبتداء غير داخل تحت
التشبيه اراد به عليه السّلام تاكيد مقالته وتحقيقها وتوطين نفس يوسف عم بما اخبر به على طريقة
التعبير والتاويل كانه قال وهو يعلّمك **من تاويل الاحاديث** اى ذلك الجنس من العلوم اوطرفا صالحا
منه فتطلع على حقية ما اقول ولا يخفى ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث على تلقى ما سياتى بالقبول والمراد
بتاويل الاحاديث تعبير الروى اذ هى احاديث الملك ان كانت صادقة اواحاديث النفس او الشيطان
ان لم تكن كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل لاجمع احدوثة وقيل كانهم
جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع وقيل هو تاويل غوامض كتب
الله تعالى وسنن الانبياء عليهم السّلام والاول هو الاظهر وتسمية التعبير تاويلا لانه جعل المرئى ايلا
الى ما يذكر المعبّر بصدد التعبير ورجعه اليه فكانه عليه السّلام اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف
عم من تعبيره لرؤيا صاحبى السجن ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما يبلغه الله تعالى اليه
عليه السّلام من الرياسة العظمى التى عبر عنها باتمام النعمة وانّما عرف يعقوب عليه السّلام ذلك منه
عليه السلام من جهة الوحى اواراد كون هذه الخصلة سببا لظهور امره عليه السّلام على الاطلاق فيجوز
ح ان يكون معرفته عليه السّلام بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلايل والامارات
والمخايل بان من وفقه الله تعالى لمثل هذه الرّؤيا لا بد توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها وتمييز ما هو
افاقى منها مما هو انفسى كيف لا وهى تدل على كمال تمكّن نفسه عليه السّلام فى عالم المثال وقوة تصرفاتها
فيه فيكون اقبل لفيضان المعارف المتعلقة بذلك العالم وبما يحاكيه من الامور الواقعة بحسبها فى
عالم الشهادة ومما يحاكيه واقوى وقوفا على النسب الواقعة بين الصّور المعاينة فى احد ذينك العالمين
وبين الكاينات الظاهرة على وفقها فى العالم الاخر وان هذا الشّان البديع لا بد ان يكون انموذجا
لظهور امر من اتصف ومدار الجريان احكامه فان لكل نبى من الانبيا عليهم السلام معجزة بها يظهر اثاره

ويجرى احكامها **ويتم نعمته عليك** بان يضمّ الى النبوّة المستفاوة من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط
ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوّة والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجى ولما اشرنا
اليه من كون اثره وسيلة الى تمام النعمة ويجوز ان يعدّ نفس الرّؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون
جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا لها تماما لتلك النّعمة **وعلى ال يعقوب** وهم اهله من بنيه
وغيرهم فان رؤية يوسف عليه السّلام اخوته كواكب يهتدى بانوارها من نعم الله تعالى عليهم
لدلالتها على مصير امرهم الى النبوّة فيقع كل ما يخرج من القوّة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك تماما
لتلك النعمة لامحالة واما اذا اريد بتمام النعمة الملك فكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار انهم
يغتنمون اثاره من العزّ والجاه والمال **كما اتمها على ابويك** نصب على المصدرية اى ويتم نعمته
عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك وهى نعمة الرّسالة والنبوّة واتمامها على ابرهيم عم باتخاذه
خليلا وانجائه من النّار ومن ذبح الولد وعلى اسحاق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب
والاسباط من صلبه وكلّ ذلك نعم جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوّة ولا يجب فى تحقيق التّشبيه كون ذلك
فى جانب المشبه به مثل ما وقع فى جانب المشبه من كلّ وجه **من قبل** اى من قبل هذا الوقت اومن
قبلك **ابرهيم واسحق** عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما اباجده وابا ابيه للاشعار
بكمال ارتباطه بالانبياء الكرام عليهم السّلام وتذكير معنى الولد سرّ ابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به فى ضمن
التعبير الاجمالى لرؤياه والاقتصار فى المشبه به على ذكر اتمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب
الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضى سابقة النعمة المستدعيه للاجتباء لامحالة **ان ربّك** استيناف لتحقيق
مضمون الجمل المذكورة اى يفعل ما ذكر لانه **حكيم** بكلّ شئ فيعلم من يستحق الاجتباء وما يتفرع عليه من
التعليم المذكور واتمام النّعمة العامة على الوجه المذكور **عليم** فاعل لكلّ شئ حسبما يقتضيه الحكمة و
المصلحة فيفعل ما يفعل كما سجرى على سنن علمه وحكمته والتعرّض لعنوان الربوبيّة فى الموضعين
لتربية تحقق وقوع ما ذكر من الافاعيل هذا وقد قيل فى تفسير الاية الكريمة اى وكما اجتباك لمثل هذه
الرّؤيا الدّالة على شرف وعزّ وكمال نفس يجتبيك ربّك للنبوّة والملك اوللامور عظام ويتم نعمته
عليك بالنبوّة اوبان يصل نعمة الدّنيا بنعمة الاخرة حيث جعلهم فى الدّنيا انبياء وملوكا ونعمة الاخرة وهو
نقلهم عنها الى الدّرجات العلى فى الجنّة كما اتمها على ابويك بالرّسالة فتامّل والله الهادى **لقد
كان فى يوسف واخوته** اى فى قصّتهم والمراد بهم ههنا اما جميعهم فان بنيامين ايضا حقه من
القصّة اوبنو علاة المعدودون فيما سلف اذ عليهم يدور رحاها **ايات** علامات عظيمة الشان
دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة **للسّائلين** لكلّ من سال عن قصّتهم وعرفها او
الطّالبين للايات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها والمنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج
تحت قوله تعالى وكاين من اية فى السموات والارض يمرّون عليها وهم عنها معرضون فالمراد بالقصّة
نفس المقصوص اوعلى نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم لمن ساله من المشركين او اليهود عن قصتهم

فاخبرهم بذلك على ماهى عليه من غير سماع من احد ولا ممارسة شئ من الكتب فالمراد بها اقتصاصها
وجمع الآيات ح للاشعار بان اقتصاص كلّ طائفة من القصّة آية بيّنة كافية فى الدلالة على نبوّته
صلى الله تعالى عليه وسلم على نحو ما ذكر فى قوله تعالى مقام ابرهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله
تعالى آيات بيّنات لا لما قيل من انّه لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى وقرا ابن كثير آية وفى بعض
المصاحف عبرة وقيل انّما قصّ الله تعالى على النبى صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغى اخوته عليه
لما راى من بغى قومه عليه ليتاسّى به **اذ قالوا ليوسف واخوه** اى شقيقه بنيامين انما لم يذكر
باسمه تلويحا بان مدار المحبّة اخوته ليوسف من الطّرفين الا ترى الى انهم كيف اكتفوا باخراج يوسف
من البين من تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف احبّ **الى ابينا منّا** وحّد الخبر مع تعدد المبتدا
لان افعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا عرّف وجب الفرق
واذا اضيف جاز الامران وفائدة لام الابتداء فى يوسف تحقيق مضمون الجملة وتاكيده **ونحن
عصبة** اى والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبّة والعصبة والعصابة العشرة
من الرجال فصاعدا سموا بذلك لانّ الامور تعصب بهم **انّ ابانا** فى ترجيحهما علينا بالمحبّة مع فضلنا
عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقسله **لفى ضلال** اى ذهاب عن طريق التعديل
اللّائق وتنزيل كلّ منا منزلته **مبين** ظاهر الحال روى انه كان احب اليه لما يرى فيه من مخائل
الخير وكانت اخوته يحسدونه فلمّا راى الرّؤيا ضاعف له المحبّة بحيث لم يصبر عنه فتضاعف
حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قصّ عنهم **اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا** من جملة ما حكى بعد
قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا للباقين بقضيّة الصغر فكانّهم رضوا بذلك كما يروى
ان القائل شمعون او دان والباقون كانوا راضين الا من قال لا تقتلوا الخ فجعلوا كانّهم
القائلون وادرجوا تحت القول المسند الى الجميع او قاله كلّ واحد منهم مخاطبا للبقيّة وهو اوّل على
مسارعتهم الى ذلك القول وتنكير ارضا واخلاؤها من الوصف للابهام اى ارضا منكورة بعيدة
مجهولة من العمران ولذلك نصبت نصب الظروف المبهمة **يخل** بالجزم جواب للامر اى يخلص **لكم
وجه ابيكم** فيقبل عليكم بكلّيّة ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا يساهمكم فى محبّته احد فذكر الوجه لتصوير
معنى اقباله عليهم **وتكونوا** بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان والواو بمعنى مع مثل قوله
ولا تكتموا الحقّ وايثار الخطاب فى لكم وما بعده للمبالغة فى حملهم على القبول فان اعتناء المرء بشان نفسه
واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل **من بعده** من بعد يوسف اى من بعد الفراغ من امره او قتله
او طرحه **قوما صالحين** تائبين الى الله تعالى عمّا جنيتم او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه
بعذر تمهدونه او صالحين فى امور دنياكم بانتظامها بعده بخلو وجه ابيكم **قال قائل منهم** هو يهودا
وكان احسنهم فيه رايا وهو الذى قال فلن ابرح الارض الآخ وقيل روبيل وهو استيناف مبنىّ على سؤال
من سال وقال اتفقوا على ما عرض عليهم من خصلتى الصنع ام خالفهم فى ذلك احد فقيل قال قائل منهم

لاتقتلوا

لا تقتلوا يوسف اظهره فى مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه واستعظاما لقتله وهو هو فانه يروى انّه
قال لهم القتل عظيم ولم يصرّح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولويّة ما عرضه عليهم بقوله **و
القوه فى غيابت الجبّ** اى قعره وغوره سمى بها لغيبته عن عين النّاظر والجبّ البئر التى لم تطو ابعد لانها ارض
حبت جبّا من غير ان يزاد على ذلك شئ وقرا نافع فى غيابات الجبّ فى الموضعين كانّ لتلك الجبّ وقرئ
غيابات وغيبة **يلتقطه** ياخذه على وجه الصّيانة عن الضّياع والتلف فان الالتقاط اخذ شئ مشرف
على الضّياع **بعض السّيارة** اى بعض طائفة تسير فى الارض واللام فى السّيارة كما فى الجبّ وما فيهما وفى
البعض من الابهام لتحقيق ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذى هو تنائى يوسف عنهم
بحيث لا يدرى اثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التانيث لان بعض السّيارة سيّارة كقوله
تعالى كما شرقت صدر القناة من الدّم ومنه قطعت بعض اصابعه **ان كنتم فاعلين** بمشورتى
لم يبت القول عليهم بل انّما عرض عليهم ذلك تاليفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رائه وحذرا من نسبتهم
له الى التحكم والافتيات او ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه لا محالة ولما كان
هذا مظنّة لسؤال سائل يقول فيما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك منه اولا فاجيب بطريق الاستيناف
على وجه ادرج فى تضاعيفه قبولهم له بما سيجئ من قوله واجمعوا ان يجعلوه فى غيابت الجب فقيل **قالوا
يا ابانا** خاطبوه بذلك تحريكا لسلسلة النسب بينه وبينهم وتذكيرا للرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف
ليتسبّبوا بذلك الى استنزاله عليه السّلام عن رايه فى حفظه منهم لما احسّ منهم بامارات الحسد والبغى
فكانهم قالوا **ما لك** اى اىّ شئ لك **لا تامنّا** اى لا تجعلنا امناء **على يوسف** مع انّك ابونا ونحن
بنوك وهو اخونا **وانّا له لناصحون** مريدون له الخير ومشفقون عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة
والمقة قطّ والقراءة المشهورة بالادغام والاشمام وعن نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام
ارسله معنا غدا الى الصّحراء **يرتع** اى يتسع فى اكل الفواكه ونحوها فان الرّتع هو الاتساع فى الملاذ
ويلعب بالاستباق والتناضل ونظائرهما ممّا يعدّ من باب التاهب للغزو وانما عبّروا عن ذلك
باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه من استصحاب يوسف عليه السّلام بتصويرهم له بصورة
ملائم حاله عم وقرئ نرتع ونلعب بالنون وقرا ابن كثير نرتع من ارتعى ونافع بالكسر والياء فيه
وفى يلعب وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرّفع على الابتداء **وانّا له
لحافظون** من ان يناله مكروه اكّدوا مقالتهم باصناف التّاكيد من ايراد الجملة الاسميّة وتحليتها
بان واللّام واسناد الحفظ الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا فى تحصيل مقصدهم **قال** استيناف
مبنىّ على سؤال من يقول فماذا قال يعقوب عليه السّلام فقيل قال **انّى ليحزننى** اللام للابتداء
كما فى قوله عز وجل ان ربّك ليحكم بينهم **ان تذهبوا به** شدّة مفارقته علىّ وقلّة صبرى عنه ومع
ذلك اخاف **ان ياكله الذّئب** لان الارض كانت مذابة والحزن الم القلب بفوت المحبوب
والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاوّل الى الذّهاب به المفوّت لاستمرار

مصاحبته ومواصلته ليوسف والثانى الى ما يتوقع نزله من اكل الذئب وقيل راى فى المنام انه قد
شد عليه السلام ذئب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة ان البلاء موكل بالمنطق وقرأ
ابن كثير ونافع فى رواية اليزيدى بالهمز على الاصل وابو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا
وقيل استقامة من تذائبت الريح اذا هاجت من كل جانب وقال الاصمعى الامر بالعكس وهو اظهر
لفظا ومعنى **وانتم عنه غافلون** لاشتغالكم بالرتع واللعب اولقلة اهتمامكم بحفظه **قالوا لئن
اكله الذئب ونحن عصبة** اى والحال انا جماعة كثيرة جديرة بان يعصب بنا الامور العظام وتكفى
الخطوب بارائنا وتدبيراتنا واللام الداخلة على الشرط موطئة للقسم وقوله **انا اذا لخاسرون**
جواب مجزئ عن الجزاء اى لهالكون ضعفا وخورا وعجزا اومستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا
جدوى فى حياتنا اومستحقون لان يدعى علينا بالخسار والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم
حيث اكل الذئب بعضهم وهم حضور وقيل ان لم نقدر على حفظه وهو اعز شئ عندنا فقد هلكت
مواشينا اذن وضرناها وانما اقتصروا على جواب خوف يعقوب عليه السلام من اكل الذئب
لانه السبب القوى فى المنع دون الحزن لقصر مدته بناء على انهم ياتون به عن قريب **فلما ذهبوا
به واجمعوا** اى ازمعوا ان يجعلوه مفعول لاجمعوا ازمعوا **ان يجعلوه** مفعول لاجمعوا يقال
اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا فى الافعال التى قويت الدواعى الى فعلها **فى
غيابت الجب** قيل هى بئر بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلثة فراسخ من منزل
يعقوب عليه السلام بكنعان التى هى من نواحى الاردن كما ان مدين كذلك واما ما يقال من انها
بئر بيت المقدس فيرده التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم اباهم عشاء ذلك اليوم فان بين منزل
يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب لما محذوف ايذانا بظهوره واشعارا
بان تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله اتوا من الاذية ما فعلوا يروى انهم لما برزوا به الى
الصحراء اخذوا يؤذونه ويضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهودا اما
عاهدتمونى ان لا تقتلوه فاتوا به الى البئر فتعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فدلوه فيها فتعلق
بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا لابيه فقال يا اخوتاه
ردوا على قميصى اتوارى به فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك فدلوه فيها
فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان فى البئر ماء فسقط فيه ثم اوى الى الصخرة فقام عليها وهو يبكى فنادوه
وظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهودا وكان ياتيه بالطعام كل يوم و
يروى ان ابرهيم عليه السلام حين القى فى النار وجرد عن ثيابه اتاه جبرئيل عليه السلام بقميص
من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابرهيم الى اسحق الى يعقوب عليه السلام فجعله يعقوب فى تميمة
وعلقها فى عنق يوسف عليه السلام فجاءه جبرئيل عليه السلام فاخرجه من التميمة فالبسه اياه
واوحينا اليه عند ذلك تبشيرا له بما يؤول اليه امره وازالة لوحشته وايناسا له قبل كان ذلك

قبل

قبل ادراكه كما اوحى الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا قال الحسن كان له سبع عشرة
سنة **لتنبئنهم بامرهم هذا** اى لتتخلص مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال ولتحدثن اخوتك
بما فعلوا بك **وهم لا يشعرون** بانك يوسف عليه السلام لتباين حاليك حالك هذا وحالك
يومئذ لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك من اوهامهم وقيل لبعد العهد المبدل للهيئات
المغير للاشكال والاول ادخل فى التسلية روى انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم
لهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرنى هذا الجام انه
كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم انطلقتم به والقيتموه فى غيابت الجب
وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بالايحاء على معنى
انا انسناه بالوحى وازلنا عن قلبه الوحشة التى اورثوه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه
مرهق ومستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله تعالى وهم لا يشعرون
متعلق باوحينا لا غير **وجاؤا اباهم عشاء** اخر الليل وقرئ عشيا وهو تصغير عشى وعشى
بالضم والقصر جمع اعشى اى عشوا من البكاء **يبكون** متباكين روى انه لما سمع يعقوب عليه
السلام بكاءهم فزع وقال ما لكم يا بنى واين يوسف عليه السلام **قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق** اى متسابقين فى العدو والرمى وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال
والتناضل ونظائرهما **وتركنا يوسف عند متاعنا** اى ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرهما
فاكله الذئب عقيب ذلك من غير مضى زمان يعتاد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد
يطرح المتاع عادة الا فى مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عليه السلام عنده من باب الغفلة
وترك الحفظ الملتزم لاسيما اذا لم يبرحوا ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا ان لم نقصر فى محافظة ولم
نغفل عن مراقبته بل تركناه فى مامننا ومجمعنا بمرأى منا لان ميدان السباق لا يكون عادة
الا بحيث يتراءى غايتاه وما فارقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما كان
وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا فى هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا فى امره **ولو كنا**
عندك وفى اعتقادك **صادقين** موصوفين بالصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف عليه
السلام فكيف وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو فى امثال هذه المواقع لبيان تحقق
ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة
له على الاجمال بادخالها على ابعدها واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته
او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشئ متى تحقق مع المنافى القوى فلان
يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شئ من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة
على نظيرتها المقابلة لها الشاملة بجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله فى سورة
البقرة عند قوله تعالى اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فى سورة الاعراف عند

قوله تعالى اولو كنا كارهين **وجاؤا على قميصه** محله النصب على الظرفية من قوله بدم اى جاؤا
فوق قميصه **بدم** كما تقول جاء على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف فى تقدم الحال على المجرور
فيما اذا لم يكن الحال ظرفا **كذب** مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اى
مكذوب فيه او المعنى ذى كذب اى ملابس للكذب وقرى كذبا على انه حال من الضمير اى جاؤا
كاذبين او مفعول له وقرات عايشة رضى الله تعالى عنها بغير المعجمة اى كدر وقيل طرى قال
ابن جنى اصله من الكذب وهو النوف البياض الذى يخرج على اظفار الاحداث كانه عم
قد اثر فى قميصه روى انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب عم
بخبر يوسف عم صاح باعلى صوته وقال اين قميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه
بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذئبا احلم هذا اكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه وقيل
كان فى قميص يوسف عليه السلام ثلث ايات كان دليلا ليعقوب عم على كذبهم والقاه على وجهه
فارتد بصيرا ودليلا على براة يوسف عم حين قد من دبر **قال** استيناف مبنى على سؤال فكانه
قيل ما قال يعقوب عم هل صدقهم فيما قالوا اولا فقيل قال لم يكن ذلك **بل سولت لكم**
انفسكم اى زينت وسهلت قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والتسويل تقدير شئ فى النفس
مع الطمع فى اتمامه قال الازهرى كان التسويل تفعيل من سوال الانسان وهو امنيته التى يطلبها
فتزين لطالبها الباطل وغيره واصله مهموز وقيل من السؤال وهو الاسترخاء **امرا** من الامور
منكرا لا يوصف ولا يعرف **فصبر جميل** اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل واشبه وفى
الحديث الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه اى الى الخلق والا فقد قال يعقوب عم انما اشكو بثى وحزنى
الى الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال طول الزمان
وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوى فقال يا ربى خطيئة فاغفرها لى وقد
ابى فصبرا جميلا **والله المستعان** اى المطلوب منه العون وهو انشاء منه عم للاستعانة المستمرة
على ما تصفون على اظهار حال ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه علم فى الكذب
قال سبحانه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجئ بل قوله تعالى فصبر جميل
عسى الله ان ياتينى بهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف
والصبر على الرزء فيه يا باه تكذيبه عليه السلام لهم فى ذلك ولا يساعده الصيغة فانها قد غلبت
فى وصف الشئ بما ليس فيه كما اشير اليه **وجاءت** شروع فى بيان ما جرى على يوسف عم فى الجب
بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته وبين ابيه والتعبير بالمجئ ليس بالنسبة الى مكانهم فان
كنعان ليس بالجانب المصرى من مدين بل الى مكان يوسف عم وفى ايثاره على المرور والاتيان
او نحوهما ايماء الى كونه عليه السلام فى الكرامة والزلفى عند مليك مقتدر والظاهر ان الجب كان فى الام
النباء فان المتبادر من اسناد المجئ الى السيارة مطلقا فى قوله عز وجل وجاءت **سيارة** الى رفقة

تسير

تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذى يقتضيه قوله تعالى فيما سلف
يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان فى قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعات فاخطاوا
الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا نعذب حين القى فيه عليه السلام **فارسلوا واردهم**
الذى يرد الماء ويستقى لهم وكان ذلك مالك بن ذعر الخزاعى وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم
يذكر منتهى المجئ اعنى الجب للايذان بان ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحا **فادلى دلوه** اى
ارسلها الى الجب والحذف لمعرفته فتدلى بها يوسف فخرج **قال** استيناف مبنى على سؤال يقتضيه
الحال **يا بشرى هذا غلام** كانه نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث فازت بنعمة باردة
واى نعمة مكان ما يوجد مباحا من الماء وقيل هو اسم صاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرا غير
الكوفيين يا بشراى واما ل فتحة الراء حمزة والكسائى وقرا ورش بين اللفظين وقرا يا بشرى بالادغام
وهى لغة وبشراى على قصد الوقف **واسروه** اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا
امره ووجدانهم له فى الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء ليبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة
يوسف وذلك ان يهودا كان ياتيه كل يوم بطعام فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا
الرفقة وقالوا هذا غلامنا ابق منا فاشتروه منهم وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه
من البعد **بضاعة** نصب على الحالية اى اخفوه حال كونه بضاعة اى متاعا للتجارة فانها قطعة
من المال بضعت عنه اى قطعت للتجارة **والله عليم بما يعملون** وعيد لهم على ما صنعوا من
جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشرى وما دبروا فى ذلك من الحيل **و**
شروه اى باعوه والضمير للوارد واصحابه **بثمن بخس** زيف ناقص العيار **دراهم** بدل من ثمن
اى لا دنانير **معدودة** اى غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانا مقدارا بعد بيان نقصانه
فى نفسه اذ المعتاد فيما لا يبلغ اربعين العد دون الوزن فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انما
كانت عشرين درهما وعن السدى انها كانت (اثنين صح) عشرين درهما **وكانوا** اى البايعون **فيه** فى يوسف
من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك
انهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينزعه
منه فيبيعه من اول مساوم باوكس ثمن ويجوز ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكى
وهم غير راغبين فى شراه خشية ذهاب ما لهم لما ظن فى اذنهم من الاباق والعدول عن صيغة
الافتعال المنبئة عن الاتخاذ لما مر من اخذهم انما كان بطريق البضاعة دون الاجتباء والاقتناء
وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه
قيل فى اى شئ زهدوا فقيل زهدوا فيه لان ما يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول **وقال الذى**
اشتراه من مصر وهو العزيز الذى كان على خزائنه واسمه قطفير وبيان كونه من مصر لترتيبه
ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس

وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد القليقي ومات في حيوة يوسف عم بعد ان امن به فملك بعده قابوس
بن مصعب فدعاه الى الاسلام فابى وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عليه عاش اربعمائة سنة
لقوله عز وجل ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف
عليه السلام والاية من قبيل خطب الاولاد باحوال الاباء واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل
بعشرين دينارا او زوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه فترافعوا في ثمنه حتى
بلغ ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنه اذ ذاك سبع عشرة
سنة واقام مع ما مر عليه من مدة لبثه في السجن ثلث عشر سنه اواستوزره الريان وهو ابن مائة
وعشرين سنة وتوفي وهو ابن مائة وعشرين سنة لامرأته راعيل او زليخا وقيل اسمها هو الاول
والثاني لقبها واللام متعلقة بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني
تعهده **عسى ان ينفعنا** في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا **او نتخذه ولدا** اى نتبناه وكان
ذلك لما تفرس فيه عليه السلام من مخائل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز
مصر وابنة شعيب التي قالت يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنه **وكذلك**
نصب على المصدرية وذلك اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد للتفخيم اى مثل
ذلك التمكين البديع **مكنا ليوسف في الارض** اى جعلنا فيها مكانا يقال مكنه فيه اى اثبته فيه
ومكن له فيه اى جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الاخر قال عز وجل
وكم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اى ما لم نمكنكم فيها ومكنا لهم في
الارض الخ والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما في منزل العزيز او مكانا عليا في قلبه حتى امر امراته دون
ساير حواشيه باكرام مثواه جعلنا له مكانة رفيعة في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين
اهلها ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قوله تعالى
ولنعلمه من تاويل الاحاديث اى نوفقه لتعبير بعض المناجات التي عمدتها رؤيا الملك وصاحبي السجن
لقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي سواء جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام ويستدعيها
النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين مكنا ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها كافة محال محبته
ليترتب عليه ما ترتب مما جرى بينه عم وبين امراة العزيز ولنعلمه بعض تاويل الاحاديث وهو تاويل
الروى المذكورة فيؤدي ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف عم للاشعار بعدم كونه مرادا
بالذات او جعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة البالغة فعلنا ذلك انما هي باعتبار
اشتماله على ذلك التمكين فاذن الحق ان يكون ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى مكنا ليوسف على ان
يكون هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه عزيز فيها
لا عن تمكين اخر يشبه هو به كما مر في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة الى مصدر
الفعل المذكور بعده لا الى جعل اخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم للدلالة على فخامة شان المشار

اليه

اليه افخاما لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي ان يحقق
المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض مصر بالامر والنهي فهو من اثار ذلك التعليم ونتايجه
المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه المؤدية اليه فلا سبيل الى جعله غاية له ولم يعهد منه عليه السلم
في تضاعيف قضاياه العمل بموجب المقامات المنبهة على الحوادث قبل وقوعها عهدا مصححا لجعله غاية
لولايته وما وقع من التدارك في امر السنين فانما هو عمل بموجب الرؤيا السابقة المعهودة اللهم
الا ان يراد بتعليم تاويل الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن
الانبياء عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ مكنا له في ارض مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني
كتب الله تعالى واحكامها ودقايق سنن الانبياء عليهم السلام فيقضي بها فيما بين اهلها والتعليم
الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كان غير متاخر عن تمكينه بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى
شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة من النوازل متاخر عن ذلك
صالح لان يكون غاية له تمكين **والله غالب على امره** لا يستعصي عليه امر ولا يمانعه شيء بل انما
امره لشيء اذا اراد ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شؤونه المتعلقة بيوسف عليه السلام
ولا يكله الى غيره وقد اريد به من الفتن ما اريد مرة غب مرة فلم يكن الا ما اراد الله له من
العاقبة الحميدة **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** ان الامر كذلك فيأتون ويذرون زعما
منهم ان لهم من الامر شيئا وانى لهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل او لا يعلمون لطايف صنعه و
خفايا فضله **ولما بلغ اشده** اى منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلثين
الى الاربعين وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم والاول هو الاظهر لقوله **اتيناه حكما**
حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفقها او نبوة **وعلما** اى تفقها في الدين وتنكيرهما
للتفخيم اى حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما فلما ما اتاه الله تعالى عند تكامل قواه سواء كانا
عبارة عن النبوة والحكم بين الناس او غيرهما كيف لا وقد جعل ابناؤهما جزاء لعمله عليه السلام حيث
قيل **وكذلك** اى مثل ذلك الجزاء العجيب **نجزي المحسنين** اى كل من يحسن في عمله فيجب
ان يكون ذلك بعد انقضاء اعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان والشدايد وفسر
العلم بعلم تاويل الاحاديث ولا صحة له الا ان يخص بعلم تاويل رؤيا الملك فان ذلك حيث
كان عند تناهي ايام البلاء صح ان يعد ايتاؤه من جملة الجزاء واما رؤيا صاحبي السجن فقد لبث
عليه السلام بعد تعبيرها في السجن بضع سنين وفي تعليق الجزاء المذكور بالمحسنين اشعار بعليته
الاحسان له وتنبيه على انه سبحانه انما اتاه ما اتاه لكونه محسنا في اعماله متقنا في عنفوان امره
هل جزاء الاحسان الا الاحسان **وراودته التي هو في بيتها** رجوع الى شرح ما جرى عليه في
منزل العزيز بعد ما امر امراته باكرام مثواه وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف الى هنا اعتراض
جيء به انموذجا للقصة ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عم من الفتن التي ستحكى بتفاصيلها له

غاية جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السّلام محسن فى جميع اعماله لمن يصدر عنه فى حالتى السرّآء والضرّآء
مايخل بنزاهته ولايخفى ان مدار حسن التخلّص الى هذا الاعتراض قبل تمام الاٰية الكريمة انّما هو التمكين
البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الانجاء السّابق تحت الاشارة بذلك فى قوله تعالى وكذلك
مكنا كما فعله الجمهور ناء من التقريب فتامّل والمراودة المطالبة من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب
شئ ومنه الرّائد لطالب الماء والكلاء وهى مفاعلة من واحد نحو مطالبة الدّاين ومماطلة المديون
ومداوات الطّبيب ونظايرها مما يكون من احد الجانبين الفعل ومن الاخر سببه فان هذه الافعال
وان كانت صادرة عن الجانب الاخر جعلت كانّها صادرة عنهما وهذا باب لطيف الملك مبنى على
اعتبار دقيق تحقيقه ان سبب الشئ يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما فى قولهم كما تدين تدان كما
تجزى تجزى فان فعل البادى وان لم يكن جزاء لكنّه سببا للجزاء اطلق عليه اسمه وكذلك ارادة القيام
الى الصّلوة فاذا قرات القران وهذه قاعدة مطّردة مستمرة ولما كانت اسباب الافعال المذكورة
فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فان مطالبة الدّاين للمماطلة التى هى من
جانب الغريم وهى منه للمطالبة التى من جانب الدّائن وكذا مداوات الطّبيب للمرضى الذى
هو من جانب المريض وكذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السّلام نزل صدورها
عن محالها بمنزلة صدور مسبّباتها التى هى تلك الافعال فبنى الصّيغة على ذلك وروعى جانب
الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السّبب فتامّل ويجوز ان يراد بصيغة المغالبة
وقيل الصّيغة على بابها بمعنى انّها طلبت فيه الفعل وهو منها الترك ويجوز ان يكون من الرويد
وهو الرّفق والتحمل وتعديتها بعن لتضمّنها معنى المخادعة فالمعنى خادعته عن نفسه اى فعلت
ما يفعل المخادع لصاحبه عن شئ لا يريد اخراجه عن يده وهو يحتال ان ياخذ منه وهى عبارة عن
التمحّل فى مواقعته اياها والعدول عن التصرّح باسمها للمحافظة على السّر اوللاستهجان ان يذكره
وايراد الموصول لتقرير المراودة قرب الوساد وطول السّواد ولاظهار كمال نزاهته عليه السّلام فان
عدم ميله اليها مع دوام مشاهدته لمحاسنها واستعصائه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادى لكونه
عليه السّلام فى اعلى معارج العفة والنّزاهة **وغلّقت الابواب** قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل
بصيغة التفعيل دون الافعال وقيل للمبالغة فى الايثاق والاحكام **وقالت هيت لك** وقرئ
بفتح الهاء وكسرها مع فتح التّاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت بخير وهت كحيث اسم فعل معناه اقبل
وبادروا اللّام للبيان اى لك اقول هذا كما فى هلمّ لك وقرئ هيئ على صيغة الفعل بمعنى هيهات يقال
هاء يهئ كجاء يجئ اذا تهيّا وهيئت لك واللام صلة للفعل قال معاذ الله اى اعوذ بالله معاذا مما
تدعوننى اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هايل يجب ان يعاذ
بالله تعالى للخلاص منه وماذاك الا لانه عليه السّلام قد شاهده بما اراه الله تعالى من البرهان
النيّر على ما هو عليه حدّ ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل **ان ربى احسن مثواى**

تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجيّة مما عسى يكون موثرا عندها وداعيا لها اعتباره بعد التنبيه
على سببه الذاتى الذى لا يكاد تقبله لما سوّلته لها نفسها والضمير للشّان ومدار وضعه موضعه ادّعاء
شهرته المعينة عن ذكره فائدة تصدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره
فى الذّهن فان الضّمير لا يفهم منه من اوّل الامر الّا شان مبهم له خطر فيبقى الذّهن مترقبا لما يعقبه فيتمكّن
عند وروده له فضل تمكن فكانه قيل ان الشّان الخطير هذا وهو ربى اى سيّدى العزيز احسن مثواى
اى احسن تعهّدى حيث امرك باكرامى فكيف يمكن ان اسئ اليه بالخيانة فى حرمه وفيه ارشاد لها الى
رعاية حق العزيز بالطف وجه وقيل الضّمير لله عز وجل وربى خبر ان واحسن مثواى خبر ثان او هو
الخبر والاوّل بدل من الضّمير والمعنى انّ الحال هذا فكيف اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة وفيه
تحذير لها عن عقاب الله عزّ وجل وعلى التقديرين ففى الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير تعرّض لاقتضائها
الامتناع عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية فى الدلالة على استحالته وكونه مما لا يدخل
تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى **انّه لا يفلح الظّالمون** تعليل للامتناع المذكور غبّ تعليل والفلاح
الظّفر وقيل البقاء فى الخير والمعنى افلح دخل فيه كاصبح واخواته والمراد بالظّالمين كل من ظلم كائنا من
فيدخل فى ذلك المجازون للاحسان بالاساءة والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوّليا وقيل الزناة
لانهم ظالمون لانفسهم وللمزنى **ولقد همّت به** بمخالطته اذ الهمّ لا يتعلق بالاعيان اى قصدتها
وعزمت عليها عزما جازما لا يلويها عنه صارف بعد ما باشرت مباديها وفعلت ما فعلت من
المراودة وتغليق الابواب ودعوته عليه السّلام الى نفسها بقولها هيت لك ولعلّها تصدّت هنالك
لافعال اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره الى الهرب نحو الباب والتاكيد
لدفع ما عسى يتوهم من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما فى مقالته عليه السّلام من الزواجر **وهمّ
بها** بمخالطتها اى مال اليها بمقتضى الطّبيعة البشريّة وشهوة الشباب وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل
تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا الا يرى الى ما سبق من استعصامه المبنى عن كمال كراهته
له ونفرته وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو الا تسجيل باستحالة صدور الهم منه عليه السّلام تسجيلا محكما
وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه فى صحبة همها فى الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى
تباينهما حيث لم يلزم فى قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او همّ كل منهما بالاخر وصدّر
الاوّل بما يقرر وجوده من التوكيد القسمى وعقب الثانى بما يعفو اثره من قوله عز وجل **لولا ان راى
برهان ربّه** اى حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها كمال ايقانه
بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين الذى يتجلى هناك حقائق الاشياء بصورها
الحقيقية وتخلع عن صورها المستعارة التى تظهر فى هذه النشاءة على ما نطق به قوله عليه السّلام حفّت
الجنّة بالمكاره وحفّت النّار بالشهوات وكان عليه السّلام قد شاهد الزّنا بموجب ذلك البرهان
النيّر على ما هو عليه فى حدّ ذاته اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل

من الاستعصام والحكم بعدم افلاح من يتركبه وجواب لولا محذوف يدل عليه الكلام اى لولا مشاهدية
برهان ربه فى الشان الزنا بجرى على موجب ميله الجبلى ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ماهو
عليه من قضية البرهان وفائدة هذه الشرطية بيان ان امتناعه عليه السلام لعدم مساعدة من
جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعى الداخلة وترتب المقدمات الخارجية الموجبة
لظهور الاحكام الطبعية هذا وقد نص ائمة الصناعة على ان لولا فى امثال هذه المواقع جار من حيث
المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق كما فى مثل قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا
ان صبرنا عليها فلا يتحقق هناك هم اصلا وقد جوز ان يكون وهم بها جواب لولا جرى على قاعدة
الكوفيين فى جواز التقديم فالهم ح على معناه الحقيقى فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما
همت به ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصائه وما يتفرع عليه انتفى الهم راسا هذا وقد فسر
هم عزم بانه عليه السلام حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه تكته سراويله وقعد بين شعبها وروئية
للبرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث ثم وثم الى ان تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على
انملة وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا
معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينزجر ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل
لجبرئيل عليه السلام ادرك عبدى قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل عليه السلام وهو يقول
يا يوسف انعمل على السفهاء وانت مكتوب فى ديوان الانبياء وقيل راى تمثال العزيز وقيل قيل ان كل
ذلك الا خرافات واباطيل تمجها الاذان وتردها العقول والاذهان ويل لمن لاكها ولفقها
او سمعها وصدقها **كذلك** الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الارادة المدلول عليها بقوله
تعالى لولا ان راى مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل او الى التثبيت اللازم له
اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه **لنصرف عنه السوء** على الاطلاق فيدخل فيه جناية السيد دخولا اوليا
والفحشاء والزنى لانه مفرط القبح وفيه اية بينة وحجة قاطعة على انه عليه السلام لم يقع منه هم بالمعصية
ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من خارج فصرفه تعالى
عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتامل وقرئ ليصرف على اسناد الصرف الى ضمير الرب **انه
من عبادنا المخلصين** تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم اخلصهم
الله تعالى لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا دينهم لله سبحانه
وعلى كلا المعنيين فهو منتظم فى سلكهم داخل فى زمرتهم من اول امره بقضية الجملة الاسمية لا ان
ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء منه عليه السلام بالكلية
واستبقا الباب متصل بقوله ولقد همت به وهم بها لولا ان را برهان ربه وقوله كذلك الى اخره اعتراض
جئ به بين المعطوفين تقريرا للنزاهته عليه السلام كقوله تعالى وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات

والارض والمعنى لقد همت به وابى وهو استبقا اى تسابقا الى الباب البرانى الذى هو المخلص ولذلك وحد
بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر واوصل الفعل الى المجرور نحو واذا كالوهم او ضمن الاستباق معنى
الابتداء واسناد السبق فى ضمن الاستباق اليهما مع ان مرادها مجرد منع يوسف ولا يوجب الانتهاء الى
ولا يوجب الانتهاء الى الباب لانها لما رايته يسرع الى الباب ليتخلص منها اسرعت هى ايضا لتسبقه اليه
وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن اسراعها اثره بذلك مبالغة **وقدت قميصه من دبر** اجتذبته
من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق عرضا هو القط وقد قيل فى وصف على كرم الله وجهه
انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض قط واسناد القد اليها خاصة مع ان القوة يوسف ايضا دخلا
فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة التامة واما للايذان بمبالغتها فى منعه عن الخروج وبذل مجهودها فى
ذلك لفوت المحبوب او لخوف الافتضاح **والفيا سيدها** اى صادفا زوجها واذا الملكة ليوسف
عليه السلام صحيحا لم يقل سيدهما قيل العيان مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم للمراة **لدى الباب**
اى البرانى كما مر روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب
قالت استيناف مبنى على سؤال سائل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز عند الباب فقيل قالت
ما جزاء من اراد باهلك سوءا من الزنا ونحوه **الا ان يسجن او عذاب اليم** ما نافية اى ليس
جزاؤه الا السجن او العذاب الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او الاستفهامية اى اى شئ جزاؤه
غير ذلك او ذلك ولقد اتت فى تلك الحالة التى تدهش الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة
المريبة بحيلة جمعت فيها غرضها وهما تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عليه السلم
عن رايه فى استعصائه عليها وعدم مواتاته على مرادها بالقاء الرعب فى قلبه من مكرها طمعا فى موافقته
لها كرها عندما يئسا عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونن من الصاغرين
ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام امرا محققا مفروغا غنيا عن الاخبار
بوقوعه وان ماهى عليه من الافاعيل لاجل تحقيق جزائها فهى تريد ايقاعه حسبما يقتضيه قانون
الايالة وفى ابهام المريد تهويل لشان الجزاء المذكور بكونه قانونا مطردا فى كل حق احد كائنا من كان
وفى ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز اعظام للخطب واغراء له على تحقيق ما يتوخاه بحكم الغضب والحمية
قال استيناف وجواب عما يقال فماذا قال يوسف عليه السلام ح فقيل قال **هى راودتنى عن نفسى**
اى طالبتنى للمواتات لا انى اردت بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما اسند
اليه من الخيانة وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من الامرين فى التعبير عنها بضمير الغيبة
دون الخطاب او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الايماء الى الاعراض عنها **وشهد شاهد
من اهلها** قيل هو ابن عمها وقيل هو الذى كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما
يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوز ان يكون بعض اهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر فاغضبه
الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وانما القى الله سبحانه الشهادة الى من هو

من اهلها ليكون ادلّ على نزاهته عليه السلام والبعد للتهمة وقيل كان الشّاهد ابن خال لها صبيًا فى المهد
انطقه الله تعالى ببراءته وهو الاظهر فانه روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن
ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف عليه السلام وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن
ابى هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال فى هذه الصورة
بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم **ان كان قميصه قدّ من قبل** اى علم انه قد من قبل ونظيره
احسنت الىّ فقد احسنت اليك فيما قبل فان معناه ان تعتدّ باحسانك الىّ فاعتدّ باحسانى السابق
اليك **فصدقت** بتقدير قد لانها تقرب الماضى الى الحال اى فقد صدقت وكذا الحال فى قوله فكذبت
وهى وان لم تصرّح بانّه عليه السلام راودها سوءا الا ان كلامها حيث كان واضح الدلالة عليه اسند
اليها الصّدق و[illegible] كذب بذلك الاعتبار يقربان للانشاءة **وهو من الكاذبين** وهذه الشرطيّة
حيث لا ملازمة عقليّة ولا عاديّة بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة فى شئ وانما ذكرت
توسيعا للدّايرة وارخاء للعنان الى جانب المراة باجراء ما عسى يحتمله الحال فى الجملة بان ينع القد من
قبل بمدافعتها له عليه السّلام عن نفسها عند ارادته المخالطة والتكشف مجرى الظاهر الغالب الوقوع
تقريبا لما هو المقصود باقامة الشهادة لكونها من قبيل الاقوال وتقديرا القول اى شهد قائلا الى اخره
اعنى مضمون الشرطيّة الثانية التى هى قوله عز وجل **وان كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهو
من الصّادقين** الى التسليم والقبول عند السّامع لكونه اقرب الى الوقوع وادل على المطلوب
وان لم يكن بين طرفيها ايضا ملازمة وحكاية الشرطيّة بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال
او بتقدير القول اى شهد قائلا الخ. وتسميتها شهادة مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصّدق والكذب لتاديتها
مؤداها بل لانها شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها امّا على تقدير كون الشّاهد هو الصّبى
فظاهر اذ هو اخبار بهما من قبل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطيّة للايذان بان ذلك ظاهر
من العلايم ايضا وامّا على تقدير كونه غيره فلان الظّاهر ان صورة الحال معلومة له على ما هى عليه اما مشاهدة
او اخبارا فهو متيقن بعدم مقدم الشرطيّة الاولى وبوجود مقدم الشرطية الثّانية ومن ضرورته
الجزم بانتفاء تالى الاولى وبوقوع تالى الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه عليه السّلام لكنّه
ساق شهادته مساق ما هو من الخروج والطعن حيث صوّرها بصورة الشرطيّة الاولى تعليق لصدقها
بما يستحيل وجوده من قدم القميص من قبل فيكون محالا لا محالة ومن ضرورته تقرر كذبها والثانية
تعليق لصدقه عم بامر محقق الوجود وهو قده من دبر فيكون محققا البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامراة
زوجنى نفسك فقالت لى زوج فكذبها فى ذلك فقالت ان لم يكن لى زوج فقد زوجتك نفسى
فقبل الرّجل فاذ الازواج لها فهو نكاح اذ تعليق الشئ بامر مقرّر تحقيق له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم
لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كانّهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتانيث والعلمية
وقرئ بسكون العين **فلمّا راى قميصه قدّ من دبر** كانّه لم يكن راى ذلك بعد او لم يتدبره فلما تنبه

له وعلم حقيقة الحال **قال انّه** اى الامر الّذى وقع فيه التساجر وهو عبارة عن ارادة السّوء التى اسندت
الى يوسف وتدبير عقوبته بقولها ما جزاء من اراد باهلك سوءا الى اخره لكن لا من حيث صدورتلك
الارادة والاسناد عنها بل مع قطع النّظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى **من كيدكنّ** اى من جنس
حيلتكنّ ومكركن ايتها النّساء لا من غيركنّ عن الافادة وتدبيرا العقوبة وان لم يتمكن تجريده عن الاضافة
اليها الا انّها صوّرته بصورة الحقّ افاد الحكم بكونه من كيدكن افادة ظاهرة فتامّل وتعميم الخطاب للتبشير
على ان ذلك خلق طبق عريق ولا يحسبا هذا لها القدر وحدها سجيّة نفس كل غاسه هند ورجع الضمير
الى قولها ما جزاء من اراد باهلك سوء فقط عدول عن البحث عن اصل ما وقع فيه النزاع من ان ارادة
السّوء ممّن هى الى البحث عن شعبة من شعبه وجعله للسّوء او للامر المعتبر به عن طمعها فى يوسف
عليه السّلام يا باه الخبر فان الكيد يستدعى ان يعتبر مع ذلك هنات اخر من قبلها [illegible] اشرنا اليه ان
كيدكن عظيم فانّه الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا فى النّفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النّساء
ما لا اخاف من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء **ان كيدكنّ
عظيم** ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرّجال **يوسف** حذف عنه حرف
النّداء لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله **اعرض عن هذا** اى عن هذا
الامر وعن التحديث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك **واستغفرى** انت يا هذه **لذنبك**
الذى صدر عنك وثبت عليك **انك كنت** بسبب ذلك **من الخاطئين** من جملة
القوم المتعمدين للذنب او من جنسهم يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار و
التذكير لتغليب الذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مواخذتها وقيل
كان قليل الغيرة **وقال نسوة** اى جماعة من النساء وكن خمسا امراة السّاقى وامراة الخبّاز وامراة
صاحب الدواب وامراة صاحب السّجن وامراة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المراة وتانيثه
غير حقيقى كتانيث اللمة وهى اسم لجماعة النساء والنبه وهى اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله
تاء التّانيث **فى المدينة** ظرف لقال اى اشعن الامر فى مصر او صفة لنسوة **امراة العزيز**
اى الملك يريدون قطفير واضافتهن لها اليه بذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او اسمه
ليست لقصد المبالغة فى اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوى الاخطار اميل كما
قيل اذ ليس مرادهنّ تفضيح العزيز بل هى لقصد الاشباع فى لومها بقولهن **تراود فتيها**
اى تطالبه بمواقعته لها وتتحمّل فى ذلك وتخادعه **عن نفسه** وقيل منه الفاحشة وايثارهنّ
لصيغة المضارع للدلالة على المراودة والفتى من الناس هو الشاب واصله فتى لقولهم فتيان
والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد ههنا وفى الحديث لا يقل احدكم
عبدى وامتى وليقل فتاى او فتاتى وتعبيرهن عن يوسف عم بذلك مضافا اليها لا الى العزيز
الّذى لا يستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربّما يشعر بنوع عزّة لابانة ما بينهما من التباين البيّن

الناشى عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما مرّ من المبالغة والاشباع فى اللوم فان من
لا زوج لها من النساء او لها زوج دنى قد تعذر فى مراودة الاخدان لا سيما اذا كان فيهم علو الجناب
واما التى لها زوج واى زوج عزيز فمراودتها لغيره لا سيما لعبدها الذى لا كفاءة بينها وبينه اصلا
وتماديها فى ذلك غاية الغى ونهاية الضلال قد شغفها حبا اى شق حبة شغاف قلبها وهو
حجابه او جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب حتى وصل الى فؤادها وقرئ شعفها بالعين من شعف
البعير اذا هناه فاحرقه بالقطران وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الشغفة الحب القاتل
والشعف حب دون ذلك وكان الشعبى يقول الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان
او حال من فاعل تراود او من مفعوله وايا ما كان فهو تكرير للوم وتاكيد للعذل ببيان اختلال
احوالها القلبية كاحوال القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث الابنية مصير
الى الاسند لال على الاجلى بالاخفى ومن حيث اللمية ميل الى تمهيد العذر من قبلها لسن بذلك المقام
وانتصاب حبا على التمييز لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه انا لنريها
اى نعلمها علما مناخما للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة فى ضلال
عن طريق الرشد والصواب او سنن العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او مظهر لامرها
بين الناس فالجملة مقررة لمضمون الجملتين التابعين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها
بانها فى امرها على خطاء عظيم وانما لم يقلن انها لفى ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر
عنهن مجازفة بل عن علم وراى مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هى عليه فلما سمعت
بمكرهن باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعانى وهو مقتها و
تسمية مكرا لكونه خفية منها كمكر الماكرين وان كان ظاهرا لغيرها وقيل استكتمهن سرها فافشينه
عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت
اربعين امراة منهن الخمس المذكورات واعتدت اى حضرت وهيات لهن متكا اى ما يتكئن
عليه من النمارق والوسائد او رتبت لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام و
الشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى الرجل ان ياكل متكئا وقيل متكا طعاما من
قولهم اتكانا عند فلان اى طعمنا قال جميل فظللنا بنعمة واتكانا وقال مجاهد متكاء طعاما يحز حزا
كان المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همز وقرئ
بالمد باشباع حركة الكاف كمنتزاح فى منتزح وينباع فى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد واهدت
متكة لبنى ابيها تخب بها العثمثمة الوقاح او ما يقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكا من تكئ اذا اتكى
واتت كل واحدة منهن سكينا لتستعمله فى قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن
من اللحوم والفواكه ونحوها وهن متكئات وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن وقالت
ليوسف عليه السلام وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه واضرابها

والعطف بالواو وربما يشير الى ان قولها اخرج عليهن اى ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن
ليتم غرضها من استغفارلهن فلما راينه عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام
اى فخرج عليهن فراينه وانما حذف تحقيقا لمفاجاة رؤيتهن كانما تفوت عند ذكر خروجه عليهن
كما حذف لتحقيق السرعة فى قوله عز وجل فلما راه مستقرا عنده بعد قوله انا اتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك وفيه ايذان بسرعة امتثاله عم بامرها فيما لا يشاهد مضرته من الافاعيل اكبرنه
عظمته وهبن حسنه الفائق وجماله الرائع الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل
القمر ليلة البدر على ساير الكواكب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رايت يوسف ليلة المعراج
كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلالؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل
معنى اكبرن حضن والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام اى حضن له شدة
الشبق كما قال المتنبى خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت الخدور العواتق قطعن
ايديهن اى جرحنها بما فى ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج
الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما فعلن وفى التعبير عن الجرح بالقطع ما لا يخفى من الدلالة على كثرة
جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به وقلن حاش لله تنزيها له سبحانه عن صفات
النقص والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع واصله حاشا كما قراه ابو عمرو فى الدرج فحذفت
الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف جر يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء فلا يستثنى به الا ما يكون
موجبا للتنزيه فوضع موضعه فمعنى حاش الله تنزيه الله وبراءة الله وهى قراءة ابن مسعود واللام
لبيان المنزه والمبرا كما فى سقيا لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة ابى السمال حاشا بالتنوين
وقراءة ابى عمرو بحذف الالف الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف الاولى فان التصرف من خصايص الاسم
فيدل على تنزيله منزلة وعدم التنوين لمراعات اصله كما فى قولك جلست من عن يمينه وقوله غدت
من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا للفتحة الالف فى
الاسقاط وحاش الاله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف عليه السلم
اى صار فى ناحية من ان يقارف ما رمته به لله اى لطاعته او لمكانه او جانب المعصية لاجل الله ما هذا
بشرا على اعمال ما بمعنى ليس وهى لغة اهل حجاز لمشاركتهما فى نفى الحال وقرئ بشرى على لغة تميم
وبشراى بعبيد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من الجمال العبقرى الذى لم يعهد مثاله
فى البشر وقصرنه على الملكية بقولهن ان هذا الا ملك كريم بناء على ما ذكر فى العقول من ان
لا حى احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه فى الحسن
والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال قالت فذلكن الفاء فصيحة والخطاب للنسوة
والاشارة الى يوسف عليه السلام بالعنوان الذى وصفته به الان من الخروج فى الحسن والجمال
عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة مبتداء والموصول خبره والمعنى ان كان الامر

كما قلتن فذلكن الملك الكريم التالى عن المراتب البشرية هو الذى لمتننى فيه اى عيرتننى فى الافتتان
به حيث ربأتن بمحلى بنسبى الى العزيز ووضعتن قدره بكونه من المماليك او بالعنوان الذى وصفته به
فيما سبق بقولهن امراة العزيز عشقت عبدها الكنعانى فهو خبر لمبتداء محذوف اى فهو ذلك
العبد الكنعانى الذى صورتن فى انفسكن وقلتن فيه وفى ما قلتن من هو وما قولكن فينا واما ما يقال
نعنى ان كن لم تصوّرنه بحق صورته ولو صوّرنه بما عاينتن لعذرتنى فى الافتتان به فلا يلايم المقام فان
مرادها بدعونهن وتمهيد ما مهّدته لهن سكيهن وسد بهن ماصدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك
بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال فحق المعتذر قبل ظهور معذرته وقد قيل فى تعليل الملكية ان
ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من الخواص الملكية وهو ايضا لا يلايم قولها
فذلكن الذى لمتننى فيه فان عنوان العصمة مما بنا فى تمشية مرامها ثم بعد ما اقامت عليهن الحجة واوضحت
لديهن عذرها وقد اصابهن من قبله عليه السلام ما اصابها باحت لهن ببقية سرها فقالت ولقد
راودته عن نفسه حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم امتنع طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة يدل على
الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كانه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها كما فى استمسك واستجمع
الراى وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه عليه السلام شئ مخل باستعصائه بقوله معاذ الله
من الهم وغيره اعترفت لهن او لا بما كن يسمعنه من مراودتها له واكدته اظهارا لابتهاجها بذلك
ثم زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم يمل اليها قط ثم زادت عليه ايضا انها
مستمرة على ما كانت عليه عزم عوتبة عنه لا بلوم العواذل ولا باعراض الحب فقالت ولئن
يفعل ما امره اى امر به فيما سياتى كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير كما فى
امرتك الخير فالضمير للموصول وامرى اياه اى موجب امرى ومقتضاه فيما مصدرية والضمير ليوسف
عليه السلام وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها عليه عليه السلام واقتضاء للامتثال
بامرها ليسجنن بالنون المثقلة اثرت بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك او ابهاما لسرعة ترتب
ذلك على ذلك على عدم امتثاله لامرها كانه لا يدخل بينهما فعل فاعل وليكونن بالمخففة من
الصاغرين اى الاذلاء فى السجن وقد قرئ الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورة اولى لان النون كتب
فى المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه ساد مسد الجوابين
ولقد انت بهذا الوعيد المنطوى على فنون التاكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف عليه السلام انها ليست
فى امرها على خيفة ولا خيفة من احد فتضيق عليه الحيل ويعيى به العلل وينصحن له ويرشدنه الى موافقتها
ولما كان هذا الابراق والارعاد منها مظنة لسؤال سائل يقول فيما صنع يوسف عليه السلام قيل
قال مناجيا لربه عز سلطانه رب السجن الذى وعدتنى لا لقاء فيه وقرا يعقوب عليه السلام بالفتح
على المصدر احب الى اى اثر عندى لانه مشقة قليلة ناخذ اثرها راحات جليلة ابدية مما يدعوننى
اليه من مواتاتها التى تودى الى الشقاق والعذاب الاليم وهذا الكلام منه عليه السلام مبنى على

مامر

مامر من انكشاف الحقايق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها فصيغة التفضيل ليست على بابها
اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران اهونهما واقربهما على الايثار السجن
والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة خوفا من الحن والاقتصار على ذكر السجن من حيث
ان الصغار من فروعه مستتبعاته واسناد الدعوة اليهن جميعا لان السورة رغبته فى مطاوعتها
وخوفه من مخالفتها وقيل دعوته الى انفسهن وقيل انما ابتلى عم بالسجن لقوله هذا وكان
الاولى به ان يسال الله تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسال
الصبر والا تصرف اى ان لم تصرف عنى كيدهن فى تحبيب ذلك الى وتحسينه لدى بان
يثبتنى على ما انا عليه من العصمة والعفة اصب اليهن اى اهل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية
الطبيعة وحكم القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء
والصالحين فى قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى والقدر
عن انفسهم ومبالغة فى استدعاء لطفه فى صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له بالمدافعة كقول المستغيث
ادركنى والا هلكت لا انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة والعفة وفى نفسه داعية تدعوه الى هواهن
والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ
اصب اليهن من الصبابة وهى رقة الشوق واكن من الجاهلين اى الذين لا يعملون بما يعلمون
لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء والجاهل سواء او من السفهاء بارتكاب ما يدعوننى اليه
من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذى تضمنه قوله والا تصرف عنى
كيدهن الخ فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه والطفه كما مر وفى اسناد الاستجابة الى الرب
مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته
على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء المتضرعين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم
اى ظهر للعزيز واصحابه المتصدين للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف عليه السلام بالكتمان والاعراض
عن ذلك من بعد ما راوا الايات الصارفة لهم عن ذلك البداء وهى الشواهد الدالة على براءته عليه
السلام وفاعل بدا اما مصدره او الراى المفهوم من السياق والمصدر المدلول عليه بقوله ليسجننه
والمعنى بدا لهم بدا او راى او سجنه المختوم قائلين والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول
المقدر حالا من ضميرهم وما كان ذلك البداء بالاستنزال المراة لزوجها وفتلها منه فى الذروة
والغارب وكان مطاوعا لها تقوده حيث شاءت قال السدى انها قالت للعزيز ان هذا العبد
العبرانى قد فضحنى فى الناس يخبرهم بانى راودته عن نفسه فاما ان ياذن لى فاخرج فاعتذر الى الناس
واما ان تحبسه فحبسه ولقد اراد به بذلك تحقيق وعيدها لتلين به عريكته وتنقاد لها لما انصرمت
حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب
بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم وخاطب به العزيز ومن عنده

من اصحاب الرّاى المباشرين للسجن والجلس **حتّى حين** انقطاع قالة الناس وهذا بادى الرّاى عند العزيز
وزويه واما عندها محى بدلله السجن ويسخره لها ويحسب النّاس انّه الجرم وقرئ عتى حين بلغة هذيل
وَدَخَلَ مَعَهُ اى فى صحبة **السِّجْنَ فَتَيَانِ** من فتيان الملك ومما لكيه احدهما شرابية والاخر خبّازه
روى ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسمّا الملك فى طعامه وشرابه فاجاباهم الى ذلك ثم الساقى نكل عن
ذلك ومضى عليه الخباز فسم الخبز فلمّا حضر الطّعام قال الساقى لا تاكل ايّها الملك فان الخبز مسموم وقال
الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشرب مسموم فقال الملك للسّاقى اشربه فشربه فلم يضره وقال للخبّاز
كله فابى فجرب بدابه فهلكت فامر بحبسهما فاتفق ان ادخلاه معه وتاخير عن المفعول لما مرّ غير مرّة من
الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقدم
الظّرف على المفعول الصّريح فى قوله تعالى فاوجس فى نفسه خيفه وتاخير السّجن عن الظّرف لايهام العكس
ان يكون الظّرف خبرا مقدّما على المبتداء ويكون الجمله حالا من فاعل دخل فتامّل **قال احدهما** استيناف
مبنىّ على سوال من يقول ماصنعا بعد ما دخل معه السّجن فاجيب بانه قال احدهما وهو الشرابى **انّى
ارانى** اى رايتنى والتعبير بالمضارع لاستحضار الصّورة الماضية **اعصر خمرًا** اى عنبا سماه بما يؤل
اليه لكونه المقصود من العصر وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفى القراءة ابن مسعود اعصر عنبا **وقال
الاخر** وهو الخبّاز **انّى ارانى احمل فوق راسى خُبزًا** تاخير المفعول عن الظّرف لما مرّ انفا وقوله
تاكل الطّير منه اى تنهس منه صفة للخبز او استيناف مبنى على السّؤال **نبّئنا بتاويله** بتاويل
ماذكر من الروسين او ماروى باجراء الضّمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار
به الى متعدّد كما فى قوله فيها خطوط من سواد وبلق كانه فى الجلد توليع البهق اى كان ذلك والسر
فى المصير الى اجراء الضّمير مجرى اسم الاشارة مع انه لاحاجة اليه بعد تاويل المرجع بما ذكر او بما روى ان
الضّمير انما يعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرّض لحال من احواله فلا ينبغى تاويله باحد
الاعتبارين الا باجرائه مجرى اسم الاشارة الذى يدلّ على المشار اليه باعتبار الذى جرى عليه فى
الكلام فتامل هذا اذا قالاه معا او قاله احدهما من جهتهما معًا واما اذا قاله كلّ منهما اثر ما قصّ ما راه
فالخطاب المذكور ليس عبارتهما ولا عبارة احدهما من جهتهما ليتعدّد المرجع بل عبارة كلّ منهما نبئنى بتاويله
مستقر الماراه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة فى الحكاية دون المحكى على طريقة قوله عزّ وجل يا ايها
الرّسل كلوا من الطّيبات فانّهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل خوطب كلّ منهم فى زمانه بصيغة مفردة خاصة به
انا نريك من المحسنين تعليل لعرض رؤياهما عليه واستفسارهما منه عم من الذين يجيدون
عبارة الرّؤيا لما راياه يقصّ عليه بعض اهل السّجن اى فاحسن الينا بكشف عمتنا ان كنت قادرا على
ذلك روى انه عم كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق مكانه اوسع له واذا احتاج جمع
له وعن قتاده وكان فى السّجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا توجروا
فقالوا بارك الله عليكم ما احسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف

ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السّجن لو استطعت خليت
سبيلك ولكنّى احسن جوارك فكن فى اى بيوت السّجن شئت وعن الشعبى انهما تحالما له ليمتحناه فقال
الشرابى ارانى فى بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها فى كاس
الملك وسقيته وقال الخباز انى رانى وفوق راسى ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير
تنهس منها **قال لا ياتيكما طعام ترزقانه** فى مقامكما هذا حسب عادتكما المطردة **الّا نبّاتكما
بتاويله** استثناء مفرّغ من اعم الاحوال اى لا ياتيكما طعام فى حال من الاحوال الا حال ما نباتكما به
بان بينت لكما ماهية وكيفيّه وسائر احواله **قبل ان ياتيكما** واطلاق التاويل عليه اما بطريق
الاستعارة فان ذلك بالنسبة الى مطلق الطّعام المبهم بمنزلة التاويل بالنظر الى ما روى فى المنام
وشبيه واما بطريق المشاكلة حسبما وقع فى عبارتهما من قولهما نبّئنا بتاويله ولا يبعد ان يراد بالتاويل
الشئ الايل لا المال فانه فى الاصل جعل شئ ايلا الى شئ اخر فكما يجوز ان يراد به الثّانى يجوز ان يراد
به الاول فالمعنى الّا نباتكما بما يؤل اليه من الكلام والخبر المطابق وكان عم يقول لهما اليوم
ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيجدانه كذلك ومراده عم بذلك بيان كل ما يهمهما من
الامور المترقبه قبل وقوعها وانما تخصيص الطّعام بالذكر لكونه عريقا فى ذلك بحسب الحال مع ما فيه
مراعات حسن التخلّص اليه مما استفتاه من الرويين المتعلقين بالشراب والطّعام وقد جعل
الضمير لما قصا من الرويين على معنى لا ياتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الّا اخبرتكما بتاويل
ما قصصتما على ما قبل ان ياتيكما ذلك الطّعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستعجال فى التنبيه وانت
خبير بان النظم الكريم ظاهر فى تعدد اتيان الطّعام والاخبار بالتاويل وتجددهما وان المقام مقام
اظهار فضله لانهما لما نعتاه عليه السّلام بالانتظام فى سمط المحسنين وانهما قد علما ذلك حيث قالا
انا نريك من المحسنين توهم عليه السّلام فيهما خيرا وتوجّها الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذى اثير
عما فى عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض فى ذلك مقدّمة تزيدهما علما بعظم شانه وثقة
بامره ووقوفا على علوّ طبقته فى بدايع العلوم توسّلا بذلك الى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص اليها
من كلامهما فكانه قال تاويل ما قصصتما علىّ فى المنام حيث رايتما مثاله فى المنا وانّى ابين لكما لكل
جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدّمة المنام حتى ان الطّعام الموظف الذى
ياتيكما كلّ يوم ابيّنه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه ذلك ليس من قبيل علوم الكهنة والقرابين
بل هو فضل الهىّ يؤتيه من يشاء ممّن يصطفيه للنبوّة فقال **ذلكما** اى ذلك التاويل والاخبار
بالمغيبات ومعنى البعد فى ذلك الاشارة الى علوّ رتبته وبعد منزلته **ممّا علّمنى ربّى** بالوحى
والالهام اى بعض منه اى من ذلك الجنس الذى لا يحوم حول ادراكه العقول ولقد دلّهما بذلك
على انّ له علوما جمّة ما سمعاه قطعة من جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب
اتباعه ملة ابائه الانبياء العظام عليهم السّلام وامتناعه عن الشرك فقال **انّى تركت ملّة قومٍ**

لا يؤمنون بالله وهو استيناف مبنى وقع جوابا عن سؤال نشأ من قوله ذلكما مما علمنى ربى وتعليلا له للتعليم الواقع صلة للموصول لتاويله الى معنى انه مما علمنى ربى لهذا السبب دون غيره لا لمضمون الجملة الخبرية لان ماذكر بصدد التعليل ليس بعلة لكون التاويل المذكور بعضا مما علمه ربه اولكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه فكانه قيل لماذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لانى تركت ملة الكفر اى دينهم الذى اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها راسا كما يفصح عنه قوله ماكان لنا ان نشرك بالله من شئ لا تركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك لكونه ادخل بحسب الظاهر فى اقتدائهما به عم والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليس بايمان به تعالى كما هو زعمهم الباطل على ما مر فى قوله تعالى مع انه عمل غير صالح وهم بالآخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون على الخصوص دون غيرهم لافراطهم فى الكفر واتبعت ملة اباءى ابرهيم واسحق ويعقوب يعنى انه انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة اباءه الكرام ولم يتبع ملة قومه كفروا بالمبداء والمعاد وانما قاله عم ترغيبا لصاحبيه فى الايمان والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم عن ذكر اتباعه لملة اباءه لان التخلية متقدمة على التحلية ماكان اى ماصح وما استقام فضلا عن الوقوع لنا معاشر الانبياء عليهم السلام لقوة نفوسنا ووفور علومنا ان نشرك بالله من شئ اى شئ كان من ملك او جنى او انسى فضلا عن الجماد البحث ذلك اى التوحيد المدلول عليه بقوله ماكان لنا ان نشرك بالله من شئ من فضل الله علينا اى ناشئ من تاييده لنا بالنبوة وترشيحه ايانا لعبادة الامة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد وداعية نعمة جليلة وفضل علينا بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا وحيث عبر عن ذلك بذلك العنوان عبر عن التوحيد الذى يوجبه بالشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون اى لا يوحدون فان التوحيد مع كونه من آثار ماذكر من التاييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة وانما وضع الظاهر موضع الضمير الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه الى المجموع الموسم بعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لساير الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك ان تقول ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها فى دلائل التوحيد التى مهدها فى الانفس والآفاق وقد اعطى ساير الناس ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اى لا يصرفون تلك القوى والمشاعر الى ما خلقت هى له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد الآفاقية والانفسية والعقلية والنقلية يا صاحبى السجن اى يا صاحبىّ فى السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة فى مدار الاشجان ودار الاحزان التى تصفو فيها

المودة

المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالاته وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال ءارباب متفرقون لا ارتباط بينهم ولا اتفاق يستعبد كما كل منهم حسبما اراد غير مراقب للاخرين مع عدم استقلاله خير لكما ام الله المعبود بالحق الواحد المنفرد بالالوهية القهار الغالب لا يغالبه احد وبعد ما نبههما على فساد تعدد الارباب بين لهما سقوط آلهتهما عن درجة الاعتبار راسا فضلا عن الالوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه اى من دون الله شيئا الا اسماء فارغة لا مطابق لها فى الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت عبادتهم لتلك الاسماء فقط سميتموها جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم فى البطلان حيث كانت بلا مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم واباؤكم بمحض جهلكم وضلالتكم ما انزل الله بها اى بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها ان الحكم فى امر العبادة المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات اذ هو الواجب لها بالذات الموجد للكل والمالك لامره امر استيناف مبنى على سؤال ناشئ من قوله ان الحكم الا لله فكانه قيل فما ذا حكم الله تعالى فى هذا الشان فقيل امر على السنة الانبياء عليهم السلام ان لا تعبدوا اى بان لا تعبدوا الا اياه حسبما تقضى به قضية العقل ايضا ذلك اى تخصيصه تعالى بالعبادة الدين القيم الثابت المستقيم الذى تعاضدت عليه البراهين عقلا ونقلا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين القيم لجهلهم بتلك البراهين او لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلى والسلطان النقلى وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقداره الرفيع ومرتبة علمه الواسع شرع فى تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب فقال يا صاحبى حذارا مشافهته بما يسوءه فيسقى ربه اى سيده خمرا روى انه عليه السلام قال لما رايت من الكرامة وحسنها الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلثة فثلثة ايام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرا عكرمة فيسقى ربه على البناء للمفعول اى يسقى ما يروى به واما الآخر وهو الخباز فيصلب فتاكل الطير من راسه روى انه عليه السلام قال له ما رايت من السلال الثلث ثلثة ايام ثم تخرج فتقتل قضى اى اتم واحكم الامر الذى فيه تستفتيان هو ما رأياه من الرؤيين قطعا لا مآله الذى هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الآخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه اذ الاستفتاء انما يكون فى الحادثة لا فى حكمها يقال استفتى الفقيه فى الحادثة اى طلب منه بيان حكمها ولا يقال استفتاه فى حكمها يقال استفتى وكذا الافتاء فانه يقال افتى فلان فى الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال افتى فى حكمها او جوابها بكذا ومما هو علم فى ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتونى فى رؤياى معنى

استغناءهما فيه طلبهما لتاويله بقولهما نبئنا بتاويله وانّما عبّر عن ذلك بالامر وعن طلب تاويله
بالاستغناء تهويلا لامره وتفخيمًا لشانه اذ الاستغناء انما يكون فى النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب
وايثار صيغة الاستقبال مع سبق استغنائهما فى ذلك لما انهما بصدده الى ان يقتضى عليه السّلام
من الجواب وطره واسناد القضاء اليه مع انه من احوال مآله لانه فى الحقيقة عين ذلك المآل
وقد ظهر فى عالم المثال بتلك الصّورة واما توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وحداه
فى قولهما نبئنا بتاويله لا لان الامر ما انهما به وسجنا لاجله من سم الملك فانهما لم يستغنيا فيه ولا
فيما هو صورته بل فيما هو صورة لماله وعاقبته شامل وانما اخبرهما بذلك تحقيقا لتعبيره
وتاكيدا له وقيل لما عبّر رؤياهما جحدًا وقالا ما راينا شيئا فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما
او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعى الى جحود الشرابى الا ان يكون ذلك لمراعاة
جانبه **وقال** اى يوسف عليه السلام **للذى ظنّ انّه ناج** اوثر على صيغة المضارع مبالغة فى
الدّلالة على تحقق النجاة حسبما يفيده قوله تعالى قضى الامر الذى فيه تستفتيان وهو السر
فى ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذى ظنه ناجيا منهما من صاحبيه وانما ذكر بوصف
النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك وعنوان التقرب المفهوم من التعبير
المذكور وان كان ادخل فى ذلك وادعى الى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف فارق يدور
عليه الامتياز بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السّلم
اى صاحبه لان التوصية المذكورة لا تدور على ظنّ النّاجى بل على ظنّ يوسف عليه السّلام وهو
بمعنى اليقين كما فى قوله تعالى ظننت انى ملاق حسابيه فالتعبير بالوحى كما ينبئ عنه قوله تعالى
قضى الامر الخ وقيل هو بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضا اجتهادى **اذكرنى**
بما انا عليه من الحال والصّفة **عند ربّك** سيّدك وصفنى له بصفتى الّتى شاهدتها **فانسيه**
الشّيطان اى انسى الشرابى بوسوسته والقائه فى قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر والا فالانساء
فى الحقيقة لله عز وجل والفاء للسببيّة فان توصيته عليه السّلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه
كانت باعثة لما ذكر من الانساء **ذكر ربّه** اى ذكره يوسف عليه السّلام عند الملك
والاضافة لادنى ملابسة او ذكر اخبار ربّه **فلبث** اى يوسف عليه السلام بسبب ذلك
الانساء او القول **فى السجن بضع سنين** البضع ما بين الثّلث الى التسع من البضع وهو القطع و
اكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين وروى عن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم رحم الله اخى
يوسف عليه السلام لو لم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا بعد الخمس والاستعانة
بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السّلام الاخذ بالعزيمة **وقال**
الملك الريان **انّى ارى** اى رايت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية **سبع بقرات**
سمان جمع سمين وسمينة ككرام فى جمع كريم وكريمة يقال رجال كرام ونسوة كرام **ياكلهنّ** اى

اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصّورة تعجيبًا والجملة حال من البقرات او صفة لها **سبع**
عجاف اى سبع بقرات عجاف وهى جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا يجمع على فعال
ولكن عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين على الاخر وانّما لم يقل سبع عجاف بالاضافة
لانّ التمييز موضوع لبيان الجنس والصّفة ليس بصالحة لذلك فلا يقال ثلثة ضخام واربعة غلاظ
واما قولك ثلثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والرّاكب مجرى الاسماء روى انه راى
سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال فابتلعت العجاف السّمان **وسبع سنبلات خضر** قد انعقد **واخر**
يابسات اى وسبعًا اخر يابسات قد ادركت والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روى ولعل عدم التعرض
لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال البقرات **يا ايّها الملاء** خطاب للاشراف من العلماء والحكما **افتونى فى**
رؤياى هذه اى عبّروها بينوا حكمها وما تؤل اليه من العاقبة والتعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر
رؤياه **ان كنتم للرّؤيا تعبرون** اى تعلمون عبارة جنس الرّؤيا مستمرا وهى الانتقال من الصّور الخيالية
المشاهدة فى المنام الى ما هى صور وامثلة لها من الامور الافاقيّة او الانفسيّة الواقعة فى الخارج من العبور
وهو المجاوزة تقول عبّرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه اولتها اى ذكرت مآلها وعبّرت الرّؤيا
عبارة اثبت من عبّرتها تعبيرا والجمع بين الماضى والمستقبل للدّلالة على الاستمرار كما اشير اليه واللام
للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل او لتضمين تعبرون معنى فعل متعدّ باللام كانه
قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز ان يكون للرّؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان
مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر اخر **قالوا** استيناف مبنى على السّؤال كانّه قيل فماذا قال
الملاء للملك فقيل قالوا هى **اضغاث احلام** اى تخاليطها جمع ضغث وهو فى الاصل ما جمع من
اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه القوّة المتخيلّة من احاديث النفس ووساوس الشّيطان
وتريها فى المنام والاحلام جمع حلم وهى الرّؤيا الّتى لها عاقبة تؤل اليها وتعتنى بامرها وجمعوها وهى
رؤيا واحدة مبالغة فى وصفها بالبطلان كما فى قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمايم لمن لا يملك الا فرسا
واحدًا وعمامة فردة او لتضمنها اشياء مختلفة من البقرات السبع السّمان والسّبع العجاف والسّنابل
السبع الخضر والاخر اليابسات فتامّل حسن موضع الاضغاث مع السّنابل فلله درّ شان التّنزيل **وما**
نحن بتاويل الاحلام اى المنامات الباطلة الّتى لا اصل لها **بعالمين** لا لان لها تاويلا ولكن لا نعلمه
بل لانه لا تاويل لها وانما التاويل للمنامات الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم بقصور علمهم
وانّهم ليسوا بنحارير فى تاويل الاحلام مع ان لها تاويلا كما يشعر به عدولهم عما وقع فى كلام الملك من العبارة
المعربة عن مجرّد الانتقال من الدّال الى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التاويل
المنبئ عن التصرّف والتكلف فى ذلك لما بين الآل والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم
بتاويله **وقال الّذى نجا منهما** اى من صاحبى يوسف عليه السّلام وهو الشرابى **وادّكر** بغير المعجمة
وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اى تذكر يوسف عليه السلام وشؤنه التى شاهدها ووصيته بتقريبه

رؤيا الملك واشكال تاويلها على الملاء **بعد امة** اى مدة طويلة وقرئ امة بالكسر وهى النعمة اى بعد
ما انعم عليه بالنجات وامة اى نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره فى الصلة وقيل معطوفة
على نجا وليس بذاك لان حق كل من الصفة والصلة ان يكون معلومة الانتساب الى الموصول و
الموصوف عند المخاطب كما عند التكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد
العلم بها صفات وانت تدرى ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الجملة فلا مجال لنظمه مع نجات المعلومة
فى سلك الصلة **انا انبئكم بتاويله** اى اخبركم به بالتلقى عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسى
ولذلك لم يقل انا افتيكم فيها وعقبه بقوله **فارسلون** اى الى يوسف وانما لم يذكره ثقة بما سبق
من التذكر وما لحق من قوله **يوسف ايها الصديق** اى ارسل اليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه
بالمبالغة فى الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس انواره
فهو من باب براعة الاستهلال **افتنا فى سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات
خضر واخر يابسات** اى فى رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة ما سبق من معاملته ولدلالة
مضمون الحادثة عليه حيث لا امكان لوقوعه فى عالم الشهادة اى بين لنا ما لها وحكمها وحيث عاين
علو رتبته عليه السلام فى الفضل عبر عن ذلك بالافتاء ولم يقل كما قال هو وصاحبه اولا نبئنا بتاويله
وفى قوله افتنا مع انه المستفتى وحده اشعار بان الرؤيا ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة
وانه فى ذلك معبر وسفير كما اذن بذلك حيث قال **لعلى ارجع الى الناس** اى الى الملك ومن
عنده او الى اهل البلدان كان السجن فى الخارج كما قيل فانبئهم بذلك **لعلهم يعلمون** ذلك ويعلمون
بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما انت فيه من الحال فتخلص منه وانما لم يبت القول فى ذلك
مجارات معه على نهج الادب واحترازا عن المجازفة اذ لم يكن على تعين من الرجوع فربما احترم دونه
لعل المنايا دون ما تعدانى ولا من علمهم بذلك فربما لم يعلموه **قال** استيناف مبنى على السؤال كانه
قيل فماذا قال يوسف عليه السلام فى التاويل فقيل قال **تزرعون سبع سنين دابا** قرئ بفتح
الهمزة وسكونها وكلاهما مصدر داب فى العمل اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل
تزرعون اى دائبين او تدابون دابا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال اول عليه السلام البقرات
السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم يواظبون
سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذى هو مصداق البقرات السمان
وتاويلها ودلهم فى تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال **فما حصدتم** اى فى كل سنة **فذروه
فى سنبله** ولا تذروه كيلا ياكله السوس كما هو شان غلال مصر ونواحيها ولعله عليه السلام استدل
على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين
للزراعة لم يامرهم بها وجعلها امرا محقق الوقوع وتاويلا للرؤيا ومصداقا لما فيها من البقرات السمان
الا قليلا مما تاكلون فى تلك السنين وفيه ارشاد منه عليه السلام لهم الى التقليل فى الاكل والاقتصار

على سنتنا

دون البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعد اتمام ما امرهم به شرع فى بيان
بقية التاويل التى يظهر منها حكمة الامر المذكور فقال **ثم ياتى** وهو عطف على تزرعون فلا حاجة
لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة فى الزراعة على انه يحصل بالاخبار بذلك ايضا **من بعد
ذلك** اى من بعد السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى وصفهن
ياكلن ما قدمتم لهن من الحبوب المتروكة فى سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عم بذلك كان
لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه حال الناس فيهن مجازى كما فى نهاره صائم وفيه
تلويح بانه تاويل لاكل العجاف السمان واللام فى لهن ترشيح لذلك فكان ما ادخر فى السنابل من الحبوب
شئ قد هيئ وقدم لهن كالذى يقدم للنازل والا فهو فى الحقيقة مقدم للناس فيهن **الا قليلا
مما تحصنون** تحرزون لبذور الزراعة **ثم ياتى من بعد ذلك** اى من بعد السنين الموصوفة
بما ذكر من الشدة واكل الغلال المدخرة **عام** لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلى لها
من عام القحط وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق **فيه يغاث الناس**
من الغيث اى يمطرون يقال غيثت البلاد اذا مطرت فى وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا
الله تعالى اى امدنا برفع المكاره حين اظلتنا **وفيه يعصرون** اى ما من شانه ان يعصر من العنب
والقصب والزيتون والسمسم ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفاء عنه
بذكر الغيث المستلزم له عادة كما اكتفى به عن ذكر تصرفهم فى الحبوب اما لان استلزام الغيث المستلزم
له ليس كاستلزامه للحبوب اذ المذكورات تتوقف صلاحها على مباد اخرى غير المطر واما لمراعات
جانب المستفتى باعتبار حالته الخاصة به بشارة له وهى التى يدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس
فى القرات بالفوقانية وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكريره فيه اما للاشعار باختلاف
اوقات ما يقع فيه من الغيث والعصر زمانا وهو ظاهر وعنوانا فان الغيث والغوث من فضل الله
تعالى والعصر من فعل الناس واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام ولاجله قدم فى الموضعين
على الفعلين فان المقصود الاصلى بيان انه يقع فى ذلك العام هذا النفع وذلك النفع لا بيان
انهما يقعان فى ذلك العام كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم
فى ساير السنين بمنزلة العدم بالنسبة الى عامهم ذلك وان يكون ذلك فى الاخير لمراعات الفواصل
وفى الاول لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة
ويجوز ان يكون المبنى للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اى يغيثهم الله
ويغيث بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى
مطرت وتعديته واما بحذف الجار وايضا الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا العام
المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحى فبشرهم بها بعد
ما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير اللائق فى شانه ابانة لعلو كعبه ورسوخ قدمه فى الفضل وانه

فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية **سبع شداد** اى سبع سنين صعاب على الناس صح

محيط بعالم يخطر ببال احد فضلا عما يرى صورته فى المنام على نحو قوله لصاحبه عند استفتائهما فى منامهما
لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله واتماما للنعمة عليهم حيث لم يشاركه عليه السلام فى بوقوعها
احد ولو برؤيته مايدل عليها فى المنام وقال الملك بعدما جاءه السفير بالتعبير وسمع منه ما سمع من
نقير وقطمير ائتونى به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه اى يوسف عليه السلام الرسول
واستدعاه الى الملك قال ارجع الى ربك اى سيدك فاسئله ما بال النسوة اللاتى قطعن
ايديهن اى فتشه عن شانهن وانما لم يقل فاساله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد فى التفتيش
لتبين براءته وتتضح نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام فى البحث للتفصى عما توجه اليه
واما الطلب فمما يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالى به وانما لم يتعرض لامراة العزيز مع ما لقى منها ما لقى
من مقاسات الاحزان ومعانات الاشجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها
حيث اعتقدها مقيمة فى عدوة العداوة واما النسوة فقد كان يطمع فى صدعهن بالحق وشهادتهن
باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدى ولم يصرح
بما ذنبهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله ان ربى بكيدهن عليم
مجاملة معهن واحترازا عن سوء مقالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن متى
سمعن بنسبتهن الى الفساد قال استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فما كان بعد ذلك فقيل
قال الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن اى شانكن وهو الامر الذى يحق لعظمته
ان يخاطب المرء فيه صاحبه اذ راودتن يوسف وخادعته عن نفسه ورغبته فى طاعة مولاته
هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة قلن حاش لله تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته ما
علمنا عليه من سوء بالغن فى نفى جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت امراة العزيز
وكانت حاضرة فى المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها
بما قالت لهن ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونن
من الصاغرين فاقرت قائلة الان حصحص الحق اى ثبت استقرارا وتبين وظهر بعد خفاء
قاله الخليل وقيل هو ماخوذ من الحصة وهى القطعة من الجملة اى تبين حصة الحق من حصة الباطل
كما تتبين حصص الاراضى وغيرها وقيل بان وظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة
راسه وقرئ على البناء للمفعول من حصحص البعير مباركه اى القاها فى الارض للاناخة قال فحصحص
فى صم الصفا ثفناته وناء بسلمى نوءة ثم صمما والمعنى اقر الحق فى مقره ووضع فى موضعه ولم ترد بذلك
مجرد ظهور ما ظهر بشهادتهن من مطلق نزاهته عليه السلام فيما احاط به علمهن من غير تعرض
لنزاهته فى ساير المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر بمحضر العزيز ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت
فى ذلك بل ارادت ظهور ما هو متحقق فى نفس الامر وثبوته من نزاهته عليه السلام فى محل النزاع وخيانتها
فقالت انا راودته عن نفسه لا انه راودنى عن نفسى وانه لمن الصادقين اى فى قوله

حين افتريت عليه هى راودتنى عن نفسى وارادت بالان زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن
فتامل ايها المنصف هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصماء من الشهادة بها و
الفضل ما شهدت به الخصماء وانما تصدى عليه السلام لتمهيد هذه المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة
ساحته عما قرف به لا سيما عند العزيز قبل ان يحل ما عقد كما يعرب عنه قوله عليه السلام لما
رجع اليه الرسول واخبره بكلامهن ذلك اى ذلك التثبت المؤدى الى ظهور حقيقة الحال
ليعلم اى العزيز انى لم اخنه فى حرمته كما منه علما لا علما مطلقا فاذلك لا يستدعى تقديم
التفتيش على الخروج من السجن بل قبل ما ذكر من نقض ما امره ولعله لمراعاة حقوق السيادة
لان المباشرة للخروج حينئذ قبل ظهور بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك مما يوهم
الافتيات على رايه واما ان يكون ذلك لئلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك مجالا لامضاء ما فصل له
فلا يليق بشانه عليه السلام فى الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب اى بظهر الغيب
وهو حال من الفاعل او المفعول اى لم اخنه وانا غائب عنه او وهو غائب عنى او ظرف اى بمكان
الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة واياما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة
وغاية اجتنابه عنها عند تعاضد اسبابها وان الله اى وليعلم ان الله تعالى لا يهدى كيد
الخائنين اى لا ينفذه ولا يسدده بل يبطله ويزهقه او لا يهديهم فى كيدهم ايقاعا للفعل على الكيد
مبالغة كما فى قوله تعالى يضاهؤن قول الذين كفروا اى يضاهؤنهم فى قوله وفيه تعريض بامراته
فى خيانتها امانته وبه فى خيانته امانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعد ما راوا الايات نزاهته عليه
ويجوز ان يكون ذلك لتاكيد امانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله عز وجل امره واحسن عاقبته
وما ابرئ نفسى اى لا انزهها عن السوء قاله عليه السلام هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وربا بمكانها
عن التزكية والاعجاب بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد
ولد ادم عليه السلام ولا فخر او تحديثا بنعمة الله عز وجل عليه وابرازا لسره المكنون فى شان افعال العباد
اى لا انزهها عن السوء من حيث هى ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق
من الله عز وعلا ان النفس البشرية التى من جملتها نفسى فى حد ذاتها لامارة بالسوء مائلة
الى الشهوات مستعملة للقوى والالات فى تحصيلها بل انما ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته
كما يفيده قوله الا ما رحم ربى من النفوس التى يعصمها عن الوقوع فى المهالك ومن جملتها نفسى
او هى امارة بالسوء فى كل وقت الا وقت رحمة ربى هى التى تصرف عنها السوء كما فى قوله ولا هم
ينقذون الا رحمة ان ربى غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعترى النفوس بموجب طباعها ومبالغ
فى الرحمة لها بعصمتها من الجريان لمقتضى ذلك وايثار الاظهار فى مقام الاضمار مع التعرض لعنوان
الربوبية لتربية مبادى المغفرة والرحمة وقيل الى هنا من كلام امراة العزيز والمعنى ذلك الذى قلت
ليعلم يوسف انى لم اخنه ولم اكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع وما ابرئ والمعنى

ذلك الذى قلت ليعلم يوسف انى لم اخنه قلت فى حقه ما قلت وفعلت به وما فعلت ان كلّ
نفس لامارة بالسوء الاما رحم ربّى اى الانفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف ان ربّى
غفور لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تاسه عليه السّلام فى الخروج عن السجن
لعدم رضاه عليه السّلام بملاقات الملك وامره بين بين ففعل ما فعل حتى يتبيّن نزاهته وانه انّما
سجن بظلم عظيم ما له من الفضل ونباهة الشان لسلماه الملك بما يليق به من الاعظام والاجلال
وقد وقع **وقال الملك ائتونى به استخلصه** اجعله خالصًا لنفسى وخاصًا بى **فلمّا كلّمه** اى فاتوا
به فحذف الايذان بسرعة الاتيان به فكانه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب معه زمان
اصلا والضمير المستكن فى كلمة ليوسف والبارز للملك اى فلما كلّما يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد
منه ما شاهد **قال انك اليوم لدينا مكين امين** ذو مكانة ومنزلة رفيعة **امين** مؤتمن على كلّ
شئ واليوم ليس بمعيار لمدّة المكانة والامانة بل هو ان التكلم والمراد تحديد مبدائهما احترازا
عن احتمال كونهما بعد حين روى انه عليه السّلام لما جاءه الرسول خرج من السّجن ودعا لاهله
واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهمّ انّى اسئلك بخيرك من خيره واعوذ بعزتك
وقدرتك من شره ثم سلّم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان ابائى وكان
الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجّب منه فقال احبّ ان اسمع منك رؤياى
فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير وفوّض اليه امره
وقيل توفى قطفير فى تلك الليالى فنصبه وزوّجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افراسم
وميشا ولعلّ ذلك انّما كان بعد تعيينه عم لما عيّن له امر من الخزائن كما يعرب عنه قوله عزّ وجل **قال
اجعلنى على خزائن الارض** اى ارض مصر واما مرها من الايراد والصّرف **انى حفيظ** ممن لا يستحقها
عليم بوجوه التصرّف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطّالب ممّن يقدر على اقامة
العدل واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجاير او الكافر وعن مجاهد انه اسلم الملك على يده
عليه السّلام ولعلّ ساره عليه السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم امور السّلطنة
اذ ذاك من تدبير امر السّنين حسبما فصّل فى التاويل لكونه من فروع تلك الولاية لا لمجرد عموم
الفائدة وجموم العائدة كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى ما ساله عليه السلام من جعله خزائن
الارض ايذانا بان ذلك امر لا مردّ له غنى عن التصريح به لاسيّما بعد تقديم ما يندرج تحته احكام السلطنة
بحذافيرها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كلّ ذلك من الله عزّ وجل وانّما
الملك آلة فى ذلك فعل **وكذلك** اى مثل ذلك التمكين البديع **مكنّا ليوسف** اى جعلنا له مكانًا
فى الارض اى ارض مصر روى انها كانت اربعين فرسخًا فى اربعين وفى التعبير عن الجعل المذكور
المسئول بالتمكين فى الارض مسندا الى ضميره عز سلطانه من شريفة عليه السلام والمبالغة فى كمال
ولايته والاشارة الى حصول ذلك من اوّل الامر لا انه حصل بعد السؤال ما لا يخفى **يتبوّء** ينزل

من بلادها **حيث نشاء** ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها كما يتصرف الرجل
منزله وقرا ابن كثير بالنون وروى ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورواه بسيفه ووضع له سريرا
من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه السّلام اما السّرير فاشد به ملكك واما الخاتم
فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسى ولا لباس ابائى فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا
بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض اليه الملك امره واقام العدل بمصر واحبته
الرجال والنساء وباع من اهل مصر فى سنى القحط الطّعام فى السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفى الثانية
بالحلى والجواهر وفى الثالثة بالدّوات ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعًا فقالوا ما راينا
كاليوم ملكًا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتازين اكثر
من حمل بعير تقسيطا بين النّاس **نصيب برحمتنا** بعطائنا فى الدنيا من الملك والغنا وغيرهما من النّعم
من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية الى المشيّة **ولا نضيع اجر المحسنين** بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان
مدار المشيّة المذكورة احسان من يصيبه الرحمة المرقومة وانها اجر له ولدفع توهم انحصار ثمرات
الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد **ولاجر الآخرة** اى اجرهم فى الآخرة فالاضافة
للملابسة وهو النعيم المقيم الذى لا نفاد له **خير لهم** اى للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول
فقيل **للذين امنوا وكانوا يتّقون** تنبيها على ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والثبات
على التقوى المستفاد من جمع صيغتى الماضى والمستقبل **وجاء اخوة يوسف** ممتازين لما اصاب
ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم يعقوب عليه السّلام جميعًا غير
بنيامين **فدخلوا عليه** اى على يوسف عم وهو فى مجلس ولايته **فعرفهم** لقوة فهمه وعدم مباينة
احوالهم السّابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه هيأتهم وزيهم فى الحالين ولكون
همّته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لاسيما فى زمن القحط وعن الحسن ما عرفهم حتى تعرفوا له **وهم
له منكرون** اى والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه عم فى نفسه ومنزلته
وزيه ولاعتقادهم انه هلك وحيث كان انكارهم له امرا مستمرًا فى حالتى المحضر والمغيب اخبر عنه بالجملة
الاسميّة بخلاف عرفانه عليه السّلام اياهم **ولمّا جهّزهم بجهازهم** اى اصلحهم بعدتهم من الزاد وما
يحتاج اليه المسافر واوفر كائهم بما جاؤا هم من الميرة وقرئ بكسر الجيم **قال ائتونى باخ لكم من ابيكم**
لم يقل باخيكم مبالغة فى اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه السّلام انّما قال له لما قيل من انهم
سالوه عليه السّلام حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك وشرطهم ان يأتوا به لا لما قيل
من انه لما راوه وكلموه بالعربيّة قال لهم من انتم فانى انكركم فقالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة
اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن اخوة بنوا واحد وهو
شيخ كبير صدّيق نبىّ من الانبياء عليهم السّلام اسمه يعقوب عليه السّلام قال كم انتم قالوا كنّا
اثنى عشر فهلك منا واحد فقال كم انتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادى عشر قالوا هو ابيه يتسلّى به

من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم سم عنوما وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلا لايعرفن فيها احد
فيشهد لنا قال ندعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم
فاخترعوا فاصاب القرعة شمعون فخلفوه عنده اذ لايساعده ورود الامر بالاتيان به عند التجهيز
ولا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان هما فى الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل على تقدير عدم الاتيان
به ولا جعل بضاعتهم فى رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به بطريق المراودة ولا تعليلهم
عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان استبقاء شمعون لو وقع لكان ذلك
طامة نسى عندها كل قيل وقال **الا ترون انى اوف الكيل** اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع
كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له مستمرة **وانا خير المنزلين** جملة
حالية اى الا ترون انى اوف الكيل لكم ايفاء مستمرا والحال انى فى غاية الاحسان فى انزالكم وضيافتكم
وقد كان الامر كذلك وتخصيص الرؤية بالايفاء لوقوع الخطاب فى اثنائه واما الاحسان فى الانزال
فقد كان مستمرا فيما سبق ولحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام بطريق
الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم والاقتصار فى الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته مع معهم
فى ذلك كمعاملته مع غيرهم فى مراعات مواجب العدل واما الضيافة فليس للناس فيها حق فخصهم
فى ذلك بما شاء **فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى** من بعد فضلا عن ايفائه **ولا تقربون**
بدخول بلادى فضلا عن الاحسان فى الانزال والضيافة وهو اما نهى او نفى معطوف على محل الجزاء
وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار مرة بعد اخرى وان ذلك كان معلوما له عليه السلم
قالوا سنراود عنه اباه اى سنخادعه عنه ونحتال فى انتزاعه من يده ونجتهد فى ذلك وفيه
تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله **وانا لفاعلون** ذلك غير مفرطين فيه ولا متوانين
او لقادرون عليه لا نتعايى به **وقال** يوسف عليه السلام **لفتيانه** غلمانه الكيالين جمع
فتى وقرئ لفتيته وهى قلة له **اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم** فانه وكل بكل رحل رجلا يعبى فيه
بضاعتهم التى شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم وخوفا
من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوفاه من رجوعهم
باخيه كما يوذون به قوله **لعلهم يعرفونها** اى يعرفون حق ردها والتكرم فى ذلك او لكى يعرفوها
وهو ظاهر التعلق بقوله **اذا انقلبوا الى اهلهم** فان معرفتهم لها مقيدة بذلك لكن لما كان ابتداؤها
حـ قيدت به **لعلهم يرجعون** حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء البدلين ولا سيما
عند اعواز البضاعة من اقوى الى الرجوع وما قيل انما فعله عم لما لم يؤمن الكرم ان ياخذ من ابيه
واخوته ثمنا فكلام حق فى نفسه ولكن يابه التعليل المذكور واما ان علية الجعل المذكور للرجوع
من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم لا يستحلون امساكها فمداره حسبانهم انها
بقيت فى رحالهم نسيانا وظاهر ان ذلك مما لا يخطر ببال احد اصلا فان هيئة التعبية تنادى بان

ذلك

ذلك بطريق التفضل الا يرى انهم كيف جزموا بذلك حين راوها وجعلوا ذلك دليلا على
التفضلات السابقة كما ستحيط خبرا **فلما رجعوا الى ابيهم قالوا** قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع
يا ابانا منع منا الكيل اى فيما بعد وفيه ما لا يخفى من الدلالة على الامتيار مرة بعد مرة معهودا
فيما بينهم وبينه عليه السلام **فارسل معنا اخانا** بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع
عدم كونه معهم **نكتل** بسببه من الطعام ما نشاء وقرئ حمزة والكسائى بالياء على اسناد الى الاخ لكونه
سببا للاكتيال او يكتل لنفسه مع اكتيالنا **وانا له لحافظون** من ان يصيبه مكروه **قال هل
امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه** يوسف عليه السلام من قبل وقد قلتم فى حقه ايضا ما قلتم
ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض الامر الى الله **فالله خير حافظا** وقرئ حفظا
وانتصابهما على التميز والحالية على القراءة الاولى توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة **وهو ارحم الراحمين**
فارجوا ان يرحمنى بحفظه ولا يجمع على مصيبتين وهذا كما ترى ميل منه عم الى الاذن والارسال
لما راى فيه من المصلحة **ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم** اى تفضلا وقد علموا ذلك بما
مر من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال المدغمة الى الراء كما قيل قيل وكيل **قالوا** استيناف
مبنى على السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح **يا ابانا
ما نبغى** اى نطلب فسر البغى بالطلب فيما اما استفهامية منصوبة به فالمعنى ماذا نبتغى وراء ما وصفنا
لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعى امتثال امره والمراجعة اليه فى الحوائج وقد كانوا اخبروه
بذلك وقوله له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من ال يعقوب
عليه السلام ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى **هذه بضاعتنا ردت الينا** جملة مستانفة موضحة
لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته كانهم قالوا كيف لا واخذه بضاعتنا ردها الينا تفضلا
من حيث لا ندرى بعد ما من علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه ولم يريدوا به
الاكتفاء بذلك مطلقا والتقاعد عن طلب نظائره بل ارادوا الاكتفاء به فى استيجاب الامتثال
لامره والالتجاء اليه فى استجلاب المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى **ردت الينا** حال من بضاعتنا
والعامل معنى الاشارة وايثار صيغة البناء للمفعول للايذان بكمال الاحسان الناشئ عن كمال
الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل **ونمير
اهلنا** اى نجلب اليهم الطعام من عند الملك معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة
اى فنستظهر بها ونمير اهلنا **ونحفظ اخانا** من المكاره حسبما وعدنا فما يصيبه من
مكروه **ونزداد** اى بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الاصل المزيد **كيل
بعير** اى وسق بعير زايد على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط **ذلك** اى ما حمله اباعرنا
كيل يسير اى كيل قليل لا يقوم باودنا فهو استيناف وقع تعليلا لما سبق كانه قيل اى حاجة
الى الازدياد فقيل ما قيل او ذلك الكيل الزائد شئ قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه

لايتعاظمه اواى مطلب نطلب من مهماتنا والجمل الواقعة بعد توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض المطالب او متمكنين من تحصيله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما يصيبه شئ من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله لا تنفسن كيل بعير فاى شئ نبغي وراء هذه المباغي وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب عم اى اى شئ تبغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه اليه والجملة الاستئنافية موضحة لذلك او اى شئ نبغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة عن الشاهد المدلول عليه لفحوى الانكار وامّا نافية فالمعنى ما نبغي شيئا غير ما راينا من احسان الملك في وجوب المراجعة اليه او ما نبغي غير هذه المباغي وقيل ما نطلب منك بضاعة اخرى والجملة المستانفة تعليل واما اذا فسر البغي بمجاوزة الحد فيما نافية فقط والمعنى ما نبغي في القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الموجب لما ذكر والجملة المستانفة لبيان ما ادّعوا من عدم البغي وقوله ونمير اهلنا عطف على ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه ونحصّل امثاله من ميرة اهلنا وحفظ اخينا فان ذلك اهون شئ بواسطة احسانه وقد جوّز ان يكون كلاما مبتدأ اى جملة اعراضية تذييلية على معنى وسعي ونمير اهلنا وشبه ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب ان اسعى وانت خبير بان شان الجمل التذييلية ان يكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقرره له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق ابلج وان قوله ونمير الخ وان ساعدنا في حمله على معنى سعي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك او ما نبغي في الرأى وما نعدل عن الصّواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل الى اخرها تفصيل وبيان لعدم بغيهم واصابة رأيهم اى بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وزيت فتامّل قال لن ارسله معكم بعد ما عاينت منكم ما عاينت حتى تؤتون موثقا من الله اى ما اتوثق به من جهة الله عزّ وجل وانما جعله موثقا منه تعالى لان توكيد العهود به دون فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عزّ وعلا لتأتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتنني الّا ان يحاط بكم اى الّا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الّا ان تهلكوا واصله من احاطه العدوّ فان احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعمّ الاحوال او اعم العلل على تاويل الكلام بالنفي الذى ينساق اليه اى لتأتنني به ولا تمتنعن منه في حال من الاحوال او لعله من العلل الّا حال الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقسمت عليك لمّا فعلت والّا فعلت اى ما اريد منك الّا فعلك وقد جوّز الاول بلا تاويل ايضا اى لتأتنني به على كلّ حال الّا حال الاحاطة بكم وانت تدرى انّه حيث لم يكن الاتيان به من الافعال الممتدّة الشّاملة للاحوال على سبيل المعيّة كما في قولك لالزمنك الّا ان تعطيني حقى ولم يكن مراده عليه السّلام مقارنته على سبيل البدل لما عدا الحال المستثنى كما اذا قلت صلّ الّا ان تكون محدثا بل مجرّد تحققه ووقوعه من غير اخلال به كما في قولك لاحجن العام

الّا ان احصر فان مرادك انما هو الاخبار بعدم منع ما سوى حال الاحصار عن الحج لا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال على سبيل البدل كما هو مرادك في مثال الصّلوة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه فال المعنى الى الثاني ولم المذكور فلمّا آتوه موثقهم عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السّلام قال الله على ما نقول اى على ما قلنا في اثناء طلب الموثق وايتائه من الجانبين وايثار صيغة الاستقبال لاستحضار صورته المؤدى الى تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته وكيل مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحثهم على مراعاة ميثاقهم وقال ناصحا لهم لما ازمع على ارسالهم جميعا يا بنيّ لا تدخلوا مصر من باب واحد نهاهم عن ذلك حذارا من اصابة العين فانهم كانوا ذوى جمال وشارة حسنة وقد كانوا تجملوا في هذه الكرة اكثر مما في المرّة الاولى وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف النوبة الاولى فكانوا مسّه لم يوكل ناظر وطموح كل طامح واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم ليست مما ينكر وقد ورد عنه عليه السّلام ان العين حق وعنه عليه السّلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد كان صلى الله عليه وسلم يعوّذ الحسنين رضى الله تعالى عنهما بقوله اعوذ بكلمات الله التّامّة من كلّ شيطان وهامّة ومن كلّ عين لامّة وكان يقول كان ابوكما ابرهيم يعوّذ بها اسمعيل واسحق عليهم السّلام رواه البخارى في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول من باب واحد مستلزما للدّخول من ابواب متفرّقة وكان في دخولهم من بابين او ثلثة بعض ما في الدخول من باب واحد من نوع اجتماع مصحّح لوقوع المحذور قال وادخلوا من ابواب متفرّقة بيانا لما هو المراد بالنهى وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهارا لكمال العناية به وايذانا بانه المراد بالامر المذكور لا تحقيق شئ آخر وما اغنى عنكم اى لا انفعكم ولا ادفع عنكم بتدبيرى من الله من شئ اى شيئا مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع القدر ولم يرد به عليه السّلام الغاء الحذر بالمرّة كيف لا وقد قال قائلا ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل اراد بيان ان ما وصّاهم به ليس مما يستوجب المراد محالة بل هو تدبير في الجملة وانما التاثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وان ذلك ليس بمدافعة للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه ان الحكم مطلقا الّا لله لا يشاركه احد ولا يمانعه شئ عليه لا على احد سواه توكّلت في كلّ ما اتى واذر وفيه دلالة على ان ترتيب الاسباب غير مخل بالتوكل وعليه دون غيره فليتوكّل المتوكّلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة على الجملة مع تقديم الصّلة للاختصاص مفيدا بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكّل بالله عزّ وجلّ على فعل نفسه وبالفاء سببيّة فعله لكونه سببا لفعل غيره من المقتدين به فيدخل فيه بنوه دخولا اوّليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكّل فيما هم بصدده على الله عزّ وجلّ مقترنين بما وصّاهم به من التدبير ولمّا دخلوا من حيث امرهم ابوهم من الابواب المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها وانما اكتفى بذكره لاستلزامه الانتهاء عمّا نهوا عنه ما كان ذلك

الدّخول يعني فيما سياتي عند وقوع ما وقع عنهم عن الدّاخلين لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم
والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقيق المقارنة الواجبة بين جواب لمّا ومدخوله فان عدم الاغناء
بالفعل انّما يتحقق عند نزول المحذور لا وقت الدخول وانّما المتحقق حينئذ ما افاده الجمع المذكور من علم كون
الدّخول المذكور مغنيا فيما سياتي فتامّل من الله من جهته من شئ اى شيئا ممّا قضاه عليهم مع كونه
مظنّة لذلك فى بادى الرّاى حيث وصّاهم به يعقوب عم وعملوا بموجبه واثقين بجدوا من فضل الله
تعالى فليس المراد بيان سببيّة الدّخول المذكور لعدم الاغناء كما فى قوله تعالى فلمّا جاءهم نذير ما زادهم
الّا نفورا فان مجئ النّذير هناك بسبب لزيادة نفورهم بل بيان عدم سببيه للاغناء مع كونها متوقّعة
فى بادى الرّاى كما فى قولك خلف ان يعطينى حقى عند حلول الاجل فلمّا حلّ لم يعطى شيئا فان المراد
بيان عدم سببية حلول الاجل للاعطاء مع كونها مرجوّة بموجب الحلق لا بيان سببيّة لعدم الاعطاء
فالمال بيان عدم ترتب الغرض المقصود على التدبير المعهود مع كونه مرجوّا لا بيان ترتب عدمه لوجوده
عليه ويجوز ان يراد ذلك ايضا بناء على ماذكره عليه السّلام فى تضاعيف وصيته من انّه لا يغنى
عنهم من الله شيئا فكانّه قيل ولمّا فعلوا ما وصّاهم به لم يفد ذلك شيئا ووقع الامر حسبما قال
عم فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع المتوقّع فتامّل **الّا حاجة** استثناء منقطع اى ولكن حاجة و
خرازة كائنة **فى نفس يعقوب قضاها** اى اظهرها ووصّاهم بها دفعا للخاطرة غير معتقد ان
للتدبير تاثيرا فى تغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل قضاها للدّخول على معنى ان ذلك الدّخول
قضى حاجة فى نفس يعقوب وهى ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرّقة فالمعنى ما كان ذلك
الدخول يغنى عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة فى نفس يعقوب ارادته فالاستثناء
منقطع ايضا وعلى التقديرين لم يكن للتّدبير فائدة سوى دفع الخاطرة واما اصابة العين فانما لم تقع
لكونها غير مقدرة عليهم لا انها اندفعت بذلك مع كونها مقضيّة عليهم **وانّه لذو علم** جليل
لما علّمناه لتعليمنا اياه بالوحى ونصب الادلّة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان التدبير
له حظّه من التاثير حتى يتبيّن الخلل فى رايه عند تخلّف الاثر وحيث بتّ القول بانه لا يغنى عنهم
من الله شيئا فكان الحال كما قال وفى تاكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى
ذاته سبحانه من الدّالة على جلالة شان يعقوب عليه السّلام وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى
ولكنّ اكثر النّاس لا يعلمون اسرار القدر ويزعمون انه يغنى عند الحذر واما ما يقال من ان
المعنى لا يعلمون ايجاب الحذر مع انه لا يغنى شيئا من القدر فيا باه مقام بيان تخلّف المطلوب عن
المبادى **ولمّا دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه** بنيامين اى ضمّه اليه فى الطّعام او فى منزل او
فيهما روى انهم لما دخلوا عليه قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك
عندى فاكرمهم ثم اضافهم واجلسهم مثنى مثنى فبقى بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخى يوسف
حيّا لاجلسني معه فقال يوسف اخيكم قريبا واجلسه معه مائدته وجعل يواكله ثم انزل لكلّ اثنين

منهم بيتنا فقال هذا لا ثانى معه فيكون معنى فبات يوسف عم يضمه اليه ويشم رايحته حتى اصبح وساله
عن ولده فقال لى عشرة بنين اسمعت اسماؤهم من اسم اخ لى هلك فقال له الحب ان اكون اخاك
بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب عم ولا راحيل فبكى يوسف وقام
اليه وعانقه وتعرّف اليه وعند ذلك **قال انّى انا اخوك** يوسف عم **فلا تبتئس** اى فلا
تحزن **بما كانوا يعملون** بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا وجمعنا بخير ولا تعلمهم بما
اعلمتك قال له ابن عبّاس رضى الله تعالى عنهما وعن وهب انه لم يتعرّف اليه بل قال له انا اخوك
بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقا منهم من الحسد والاذى فقد امنتهم
وروى انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت باغتمام والدى بى فاذا احسبتك يزداد غمّه ولا سبيل
الى ذلك الّا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالى فافعل ما بدا لك قال اوس ساعى فى رحلك ثم
انادى عليك بانّك سرقته لننهيا لى ردك بعد تسريحك معهم قال افعل **فلمّا جهّزهم بجهازهم
جعل السّقاية** اى المشربة قيل من ذهب وقيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل
كانت تسقى بها الدّواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضّة وقيل من ذهب وقيل فضة مموهة
بالذهب وقيل كانت اناء مستطيلة تشبه الملوك الفارسى الذى يلتقى طرفاه يستعمله الاعاجم
وقيل كانت مرصعة بالجواهر **فى رحل اخيه** بنيامين وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره
اجهلهم حتى انطلقوا **ثمّ اذّن مؤذّن** نادى مناد **ايّتها العير** وهى الابل التى عليها الاحمال
لانها تعير اى تذهب وتجئ وقيل هى قافلة الحمير كثير حتّى قيل لكلّ قافلة عير كانها جمع عير
واصلها فعل مثل سقف وسقف ففعل به ما فعل ببيض وعيد والمراد اصحابها كما فى قوله صلى الله
عليه وسلم يا خيل الله اركبى روى انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف عم حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا
من العمارة ثم امر بهم فادركوا ونودوا **انّكم لسارقون** هذا الخطاب ان كان بامر يوسف عم
فلعلّه اريد بالسّرقة اخذهم له من ابيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب والّا هو من قبل
المؤذن بناء على زعمه والاول هو الاظهر الاوفق للسّباق وقرا اليمانى سارقون بلا لام **قالوا** اى
الاخوة **واقبلوا عليهم** جملة حالية من ضمير قالوا اجئ بها للدّلالة على انزعاجهم ممّا سمعوه
لمباينته لحالهم **ماذا تفقدون** اى تعدمون تقول فقدت الشئ اذا عدمته بان ضلّ عنك لا بفعلك
والمال ماذا ضاع عنكم وصيغة المستقبل لاستحضار الصّورة وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته
فقيدا او على التقديرين فالعدول عمّا يقتضيه الظّاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم
باظهار انه لم يسرق منهم شئ فضلا ان يكونوا هم السّارقين له وانّما الممكن ان يضيع منهم شئ فيسالونهم
انه ماذا وفيه ارشاد لهم الى مراعات حسن الادب والاحتراز عن المجازفة ونسبة البرئ الى ما لا خير
فيه لا سيما بطريق التوكيد فلذلك غيّروا كلامهم حيث **قالوا** فى جوابهم **نفقد صواع
الملك** ولم يقولوا سرقتموه او سرق وقرئ صاع وصوع وصوع بفتح الصّاد وضمّها وباهمال العين

واعجامها من الصّباغة ثم قالوا تربية لما تلقوه من قبلهم وارادة لاعتقاد انه انما بقى فى رحلهم اتفاقا
ولمن جاء به من عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش حمل بعير من الطعام جعلا له لا على نيّة تحقيق
الوعد لجزمهم بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد فى رحله وانا به زعيم
كفيل اوديه اليه وهو قول المؤذن قالوا تالله الجمهور على ان التاء بدل من الواو ولذلك لا تدخل
الا على الجلالة المعظمة او الرب المضاف الى الكعبة او الرحمن فى قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز
وقيل من الباء وقيل اصل بنفسها واياما كان ففيه تعجّب لقد علمتم علما جازما مطابقا للواقع
ما جئنا لنفسد فى الارض اى لنسرق فانه من اعظم انواع الفساد او لنفسد فيها اىّ افساد كان
ممّا عز او هان فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة ونفى المجئ للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى
المقام من نفى الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجئ الذى يترتب عليه ذلك ولو بطريق الاتفاق مجيئا
لغرض الفساد ومفعولا لاجله ادعاء لاظهار كمال قبحه عندهم وتربية لاستحالة صدوره عنهم كما قيل فى
قوله تعالى ما يبدل القول لدى وما انا بظلام للعبيد الدال بظاهره على نفى المبالغة فى الظلم دون نفى
الظلم فى الجملة الذى مقتضى المقام من ان المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما مفرطا
فى الظلم فكانهم قالوا ان صدر عنا افساد كان مجيئنا لذلك مريدين به تقبيح حاله واظهار كمال
نزاهتهم عنه يعنون انه قد شاع بينكم فى كرّتنا مجيئنا ما نحن عليه وقد كانوا على غاية ما يكون من
الديانة والصيانة فيما ياتون ويذرون حتى روى انهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم مكعومة لئلا
تتناول زرعا او طعاما لاحد وكانوا مثابرين على فنون الطاعات وعلمتم بذلك انه لا يصدر
عنّا افساد وما كنّا سارقين اى ما كنا نوصف بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك لان العلم باحوالهم
الشاهدين يستلزم العلم باحوالهم الغائبة وانما لم يكتفوا بنفى الامرين المذكورين بل استشهدوا
بعلمهم بذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم من تاء القسم قالوا اى اصحاب يوسف عم
فما جزاؤه الضمير للصّواع على حذف المضاف اى فما جزاء سرقته عندكم وفى شريعتكم ان كنتم
كاذبين لا فى دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيها بل فيها يستلزمه ذلك من نفى كون
الصّواع فيهم كما يوذنون به قوله عز وجل قالوا جزاؤه من وجد اى اخذ من وجد الصّواع فى رحله
حيث ذكر بعنوان الوجدان فى الرّحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك مستلزما لها فى اعتقادهم
المبنى على قواعد العادة ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق سنة انما جزاء السّارق دون
من وجد فى يده مال غيره كيف ما كان فتامّل واحمل كلام كلّ فريق على ما لا يزاحم رايه فانه اقرب الى
معنى الكيد وابعد من الافتراء وقوله فهو جزاؤه تقرير لذلك الحكم اى فاخذه جزاؤه كقولك حق
الضّيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه مبتداء والجملة الشرطيّة كما هى على اقامة الظاهر مقام
المضمر والاصل جزاؤه مبتداء من وجد فى رحله فهو هو على ان الاول لمن والثانى للظّاهر الذى وضع
موضعه كذلك اى مثل ذلك الجزاء الاوفى نجزى الظّالمين بالسرقة تاكيد للحكم المذكور غب تاكيد

وبيان

وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عمّا فعل بهم غافلون فبدا يوسف
عليه السّلام بعد ما رجعوا اليه للتفتيش باوعيتهم باوعية الاخوة العشرة اى بتفتيشها قبل
تفتيش وعاء اخيه بنيامين لنفى التهمة روى انه لما بلغت النوبة الى وعائه قال ما اظنّ هذا اخذ
شيئا فقالوا والله لا نترك حتى ننظر فى رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اى السقاية
او الصواع فانه يذكر ويؤنث من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه
على رجعه الى اخيه قصدا الى زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما فى اشاح فى وشاح
كذلك نصب على المصدرية والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه وكذا ما فى ذلك من معنى
البعد اى مثل ذلك الكيد العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على
السنتهم وبحملهم عليه بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله عز وجل كدنا ليوسف
صنعنا له ودبّرنا لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التى رتبها من دسّ الصّواع وما يتلوه فاللام
ليست كما فى قوله فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى
ما كان لياخذ اخاه فى دين الملك استيناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له كما
قيل لماذا فعل ذلك فقيل انه لم يكن لياخذ اخاه بما فعله فى دين الملك فى امر السارق اى فى سلطانه
قاله ابن عباس رضى الله عنهما او فى حكمه وقضائه قاله قتادة الاية لان جزاء السّارق فى دينه
انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب عليه
السّلام فلم يكن يتمكن بما صنعه من اخذ اخيه بالسرقة التى نسبها اليه فى حال من الاحوال الّا ان
يشاء الله اى الا حال مشيئة التى هى عبارة عن ارادته لذلك الكيد او الا حال مشيئته للاخذ بذلك
الوجه ويجوز ان يكون الكيد عبارة عنه وعن مباديه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف عليه
السّلام وقومه الى ما صدر عنهم من الافعال الاقوال حسبما شرح مرتبا لكون لا على ان يكون القصر المستفاد
من تقديم المجرور ماخوذا بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا اخر اذ لا معنى لتقليله
تحرز يوسف عم عن اخذ اخيه فى دين الملك فى امر السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك
الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا له لم نكتف ببعض من ذلك الكيد البالغ لانه لم يكن ياخذ اخاه فى دين
الملك به الا حال مشيئتنا له بايجاد ما يجرى مجرى الجزء الصورى من العلة التامة وهو ارشاد اخوته
الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغى ان يحمل القصر فى تفسير من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمناه
اياه واوحينا به اليه مثل ذلك التعليم المستتبع لما شرح مرتبا علمناه دون بعض من ذلك فقط الخ وعلى
كلّ حال فالاستثناء من اعم الاحوال كما اشير اليه ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب اى لم يكن باخذ
اخاه لعلة من العلل او بسبب من الاسباب الّا لعلة مشيئته تعالى او الا بسبب مشيئته تعالى وايّاما كان فهو
متصل لان اخذ السّارق اذا كان ممن يرى ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين
الملك وقيل يعنى الاستثناء الّا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت تدرى ان المراد به

ماعليه حينئذ فتعبيره محل بالاتصال وارادة مطلق ما يتدين به اعم منه ومما يحدث تفضى الى
كون الاستثناء من قبيل التعليل بالمحال اذا المقصود بيان عجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه
ح ولم يتعلق المشية بالجعل المذكور اذ ذاك وارادة عجز مطلقا تؤدى الى خلاف المراد فان
استثناء حال المشية المذكورة من احوال عجزه عليه السلام مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور
فتدبر وقد جوز الانقطاع اى لكن اخذه بمشية الله تعالى واذنه فى دين غير دين الملك نرفع
درجات اى رتبا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض
اى الى درجات والمفعول قوله تعالى من نشاء اى نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه
المصلحة كما رفعنا يوسف عليه السلام وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة
غير مختصة بهذه المادة والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وفوق كل ذى علم من اولئك
المرفوعين عليم لا ينالون شاوه واعلم انه ان جعل الكيد عبارة عن المعنيين الاولين
فالمراد برفع يوسف عم ما اعتبر فيه بالشرطية او الشرطية من ارشاده عليه السلام الى
دس الصواع فى رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة لاستبقاء اخيه مما يتم من قبله
والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن ممكنا من اخذ اخيه بدونه او ارشدنا
كلا منهم ومن يوسف عم فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات
الى قوله تعالى عليم توضيح لذلك رفع على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه اذ ليس ذلك
بحيث لا يعزب عن علمه شئ بل انما نرفع كل من نرفع حسب استعداده وفوق كل واحد منهم عليم
لا يقادر قدر علمه ولا يكتنه كنهه نرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد
رفع يوسف عليه السلام الى ما يليق به من الدرجات العاليه وعلم ان ما حواه دارج علمه لا نفى
بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان وكانه عليه السلام لم يكن على يقين من
صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان ذلك الى الله عز وجل وجودا وعلما
والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفى صيغة المبالغة مع التنكير والالتفات الى
الغيبة من الدلالة على فخامة شانه عز وعلا وجلالة مقدار علمه المحيط ما لا يخفى واما ان جعل عبارة
عن التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة عن ذلك التعليم والافتاء وان لم يكن داخلا
تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه بواسطة الوحى والتعليم والمعنى مثل ذلك
التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم ما عدا الافتاء الذى سيصدر على اخوته
اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان
لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العاليه من العلم ومدح ليوسف عليه السلام برفعته
اليها وقوله وفوق كل ذى علم عليم تذييل له اى نرفع درجات عالية من العلم من نشاء رفعه وفوق
كل منهم عليم هو اعلى درجة فسال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما فوق كل عالم عالم الى ان ينتهى العلم

الى الله تعالى والمعنى ان اخوته يوسف عم كانوا علماء الا ان يوسف عم افضل منهم وقرئ درجات
من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث نسب الية الفوقية لا الى درجته ويجوز كون العليم
فى هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل اى وفوق كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا
منهم الى درجته اللائقة والله تعالى اعلم قالوا ان يسرق يعنون بنيامين فقد سرق
اخ له من قبل يريدون به يوسف عم وما جرى عليه من جهة عمته على ما قيل من انها كانت تحضنه
فلما شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت لا تصبر عنه ساعة وكانت لها منطقة
ورثتها من ابيها اسحق عليه السلام فاحتالت لاستبقاء يوسف عم فعمدت الى المنطقة فحزمتها
عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحق عليه السلام فانظروا من اخذها فوجدوها
محزومة على يوسف عم فقالت انه لى سلم افعل به ما اشاء فخلاه يعقوب عليه السلام عندها حتى
ماتت وقيل كان اخذ فى صباه صنما لابى امه فكسره والقاه فى الجيف وقيل دخل كنيسة فاخذ
تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه فاسرها يوسف اى اكن الحزازة الحاصلة مما
قالوا فى نفسه لا انه اسرها لبعض اصحابه كما فى قوله تعالى واسررت لهم اسرارا ولم يبدها
لهم لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تاكيد لما سبق قال اى فى نفسه وهو استيناف مبنى
على سوال نشاء من الاخبار بالاسرار المذكور كانه قيل فماذا قال فى نفسه فى تضاعيف ذلك
الاسرار فقيل قال انتم شر مكانا اى منزلة حيث سرقتم اخاكم من ابيكم طفقتم تفترون
على البرئ وقيل بدل من اسرها والضمير للمقالة المفسرة بقوله انتم شر مكانا والله اعلم
بما تصفون اى عالم علما بالغا الى اقصى المراتب بان الامر ليس كما تصفون من صدور السرقة
منا بل انما هو افتراء علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل على علمه كيف لا وليس لهم
بذلك من علم قالوا عند ما شاهدوا مخائل اخذ بنيامين مستعطفين يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا
بذلك الاخبار بان له ابا فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا الاخبار بان له ابا شيخا كبيرا اى فى
السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة يتعلل به عن شقيقه الهالك فخذ احدنا مكانه فليس احد عنده
بمنزلته من المحبة والشفقة انا نراك من المحسنين الينا فاتمم احسانك بهذه التتمة او المتعودين
بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله اى نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فحذف الفعل
واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار الا من وجدنا متاعنا عنده لان اخذنا
له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار صيغة المتكلم مع الغير مع كون الخطاب من
جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك الى سنن الملوك او للاشعار بان الاخذ والاعطاء ليس
مما يستبد به بل هو منوط باراء اولى الحل والعقد وايثار من وجدنا متاعنا عنده دون من سرق
متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب فى الكلام مع تمام المرام فانهم لا يحملون وجدان الصواع فى الرحل
على محمل غير السرقة انا اذا اى اذا اخذنا غير من وجدنا متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون فى مذهبكم

ومالناذلك ومالنا وهذا المعنى هو الذى اريد بالكلام فى اثناء الجوار وله معنى باطن هو ان الله عزّ وجل
انّما امرنى بالوحى ان اخذ بنيامين لمصالح علمها الله فى ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف
الوحى فلمّا استيئسوا منه اى يئسوا من يوسف واجابته لهم اشد ياس بدلالة صيغة الاستفعال وانّما
حصلت لهم هذه المرتبة من ياس لما شاهدوه من عوذه بالله ممّا طلبوه الدّال على كون ذلك عنده فى
اقصى مراتب الكراهة وانّما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عزّ وجل ومن تسميته ظلما بقوله انا اذًا
لظالمون خلصوا اعتزلوا وانفردوا عن النّاس نجيًّا اى ذوى نجوى على ان يكون بمعنى النجوى و
التناجى او فوجا نجيًّا على ان يكون بمعنى المناجى كالعشير والسّمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى
وقرّبناه نجيًّا ويجوز ان يقال هم نجى كما يقال هم صديق لانه بزنة المصادر من الزفير والزئير قال
كبيرهم فى السن وهو روبيل او فى العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا
عند التناجى على الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرًا عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم
موثقًا عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكون الحلف باسمه الكريم ومن
قبل اى من قبل هذا ما فرّطتم فى يوسف قصّرتم فى شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا له لناصحون
وانا له لحافظون وما مزيدة او مصدريّة ومحل المصدر النصب عطفا على مفعول تعلموا اى الم تعلموا
ان اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السّابق فى شان يوسف عليه السّلام ولا خير فى الفصل بين العاطف
والمعطوف بالظرف وقد جوّز النّصب عطفًا على اسم انّ والخبر فى يوسف عليه او من قبل على معنى الم
تعلموا ان تفريطكم السّابق وقع فى شان يوسف عليه السلام او ان تفريطكم الكائن او كائنا فى شان
يوسف عليه السّلام وقع من قبل وفيه ان مقتضى المقام انّما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا
بكون تفريطهم السّابق واقعًا فى شان يوسف ع م كما هو مفاد الاوّل ولا بكون تفريطهم الكائن فى
شانه واقعا من قبل كما هو مفاد الثانى على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة
ولا صلة ولا حالا الا عند البعض كما تقرّر فى موضعه وقيل فى محل الرّفع والحقّ هو النّصب عطفا على مفعول
تعلموا اى ما فرطتموه بمعنى قدّمتموه فى حقه من الخيانة واما النصب عطفا على اسم انّ او الرّفع على الابتداء
فقد عرفت حاله فلن ابرح الارض متفرّع على ما ذكره وذكّرهم اياهم من ميثاق ابيه وقوله لتاتننى به
الا ان يحاط بكم اى فلن افارق ارض مصر جريا على قضيّة الميثاق حتى ياذن لى ابى فى البراح
بالانصراف اليه فكانّ ايمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السّلام او يحكم
الله لى بالخروج منها على وجه لا يودى الى نقض الميثاق او بخلاص اخى بسبب من الاسباب روى
انهم كلّموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحنّ صيحة لا تبقى بمصر
حامل الا القت ولدها ووقفت كل شعرة فى جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب ع م اذا غضبوا لا
يطاقون خلا انه اذا مس من غضب واحد منهم سكن غضبه فقال يوسف عليه السّلام لابنه قم الى جنبه
فمسّه فعل ما قال روبيل من هذا البلد بذر امن بذر يعقوب ع م وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم

الاباالحق

الّا بالحقّ والعدل ارجعوا انتم الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق وقرئ سُرّق اى نسب الى السّرقة
وما شهدنا عليه الا بما علمنا وشهدنا ان الصّواع استخرج من وعائه وما كنّا للغيب اى باطن الحال حافظين
فما ندرى ان حقيقة الامر كما شاهدنا ام بخلافه او ما كنّا عالمين حين اعطيناك الموثق انه سيسرق او انا
نلاقى هذا الامر او انك تصاب به كما اصبت بيوسف عليه السّلام واسال القرية التى كنّا فيها
اى مصر او قرية بقرب بها لحقهم المنادى عندها اى ارسل الى اهلها واسالهم عن القصّة والعير التى
اقبلنا فيها اى اصحابها فان القصّة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب
عليه السلام وقيل من صنعاء وانّا لصادقون تاكيد فى محل القسم قال اى يعقوب عليه السلام وهو
استيناف مبنى على سؤال نشا ممّا سبق فكانّه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما قال فقيل
قال يعقوب ع م عند ما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا وانما حذف للايذان بان مسارعتهم الى قبوله
ورجوعهم به الى ابيهم امر مسلّم غنىّ عن البيان وانّما المحتاج اليه جواب ابيهم بل سوّلت اى زينت
وسهّلت وهو اضراب لا عن صريح كلامهم فانّهم صادقون فى ذلك بل عما يتضمّنه من ادعاء البراءة عن
عن التسبب فيما نزل به وانّه لم يصدر منهم ما يؤدّى الى ذلك من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر
كذلك بل زينت لكم انفسكم امرًا من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السّارق بسرقته
فصبر جميل اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان ياتينى بهم جميعًا بيوسف عليه
السّلام واخيه والمتوقف بمصر انّه هو العليم بحالى وحالهم الحكيم الذى لم يبتلنى الا لحكمة بالغة وتولّى
اى اعرض عنهم كراهة لما سمع منهم وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشدّ الحزن والحسرة اضافة الى
نفسه والالف بدل من الياء فناداه اى يا اسفى تعال فهذا اوانك وانّما تاسّف على يوسف مع انّ
الحادث مصيبة اخويه لان رزاه كان قاعدة الارزاء غضا عنده وان تقادم عهده اخذ بمجامع قلبه
لا ينساه ولانه كان واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعًا فى ايابهما واما يوسف عليه السّلام فلم يكن فى
شانه ما يحرّك سلسلة رجائه سوى رحمة الله تعالى وفضله وفى الخبر لم تعط امة من الامم انّا لله وانّا اليه
راجعون الّا امّة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الا ترى الى يعقوب عليه السّلام حين اصابه ما اصابه
لم يسترجع بل قال ما قال والتجانس بين لفظى الاسف ويوسف ع م ممّا يزيد النظم الكريم بهجة كما فى قوله عزّ
وجلّ وهم ينهون عنه وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله ثم كلى من كلّ الثمرات وجئتك
من سبا بنبا يقين ونظائرها وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت
سواد العين وقلبته الى بياض كدر وقيل قد عمى بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفًا روى انه
جفت عينا يعقوب ع م من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عامًا وما على وجه الارض اكرم
على الله عزّ وجل من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم انّه سال جبرئيل
ع م ما بلغ من وجد يعقوب عليه السّلام على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر
قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله تعالى ساعة قط وفيه دليل على جواز التاسّف والبكاء عند

النوائب فان الكفّ عن ذلك مما لايدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشرائد ولقد
بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم عم وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول
ما يسخط الرب وانا عليك يا ابرهيم عم لمحزونون وانما الذى لايجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والساحة
ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب وعن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم انه بكى على
ولد بعض بناته وبجوز نفسه فقيل يا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكى وقد نهيتنا عن البكاء
فقال لما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح فهو
كظيم مملو من الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه لايظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى وهو
مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل كقوله تعالى والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ
اذا اجترعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها فى جوفه قالوا تالله تفتؤ اى لاتفتؤ ولا تزال
تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفى كما فى قوله فقلت يمين الله ابرح قاعدا لعدم الالتباس
بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفى البتة حتى تكون حرضا مريضا
مشفيا على الهلاك وقيل الحرض من اذابه هم او مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك يؤنث ويثنى ولا يجمع
والنعت منه بالكسر كدنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغربت او تكون من الهالكين اى الميتين
قال انما اشكوا بثى البث اصعب الهم الذى لاتصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اى نشيره
فكانهم قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم انى لا اشكوا بثى اليكم او الى غيركم حتى تتصدوا
لتسليتى وانما اشكو همى وحزنى الى الله ملتجاء الى ابى جنابه متضرعا لدى بانه فى دفعه وقرئ بفتحتين
وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجوا ان يرحمنى ويلطف فى ولا يخيب رجائى او
اعلم وحيا او الهاما من جهة ما لا تعلمون من حيات يوسف عم قيل راى ملك الموت عليه السلام فى المنام
فساله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف عم انه يسجد له ابواه واخواته سجدا يا بنى اذهبوا
فتحسسوا اى تعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب اى تطلبوا من يوسف
واخيه اى من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبة اختيارية لا لعسير ازالتها ولا تيأسوا من روح الله
لاتقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اى من رحمته التى يحيى بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض
ما ابهم فى قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله انه لا ييأس من
روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم بالله تعالى وصفاته فان العارف لايقنط فى حال من
الاحوال فلما دخلوا عليه اى على يوسف عم بعد ما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك
ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا به واشعارا بان ذلك امر محقق لايفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز
اى الملك القادر المتمنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة
مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجى السحاب
قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراف صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل

ولاقط وقيل دراهم زيوفا لاتؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى السعاف مرامهم
يبعث الشفقة ويهز العطف والرافه وتحريك سلسلة المراحمة ثم قالوا فاوف لنا الكيل اى تممه
لنا برد اخينا الينا قاله الضحاك وابن جريج وهو الانسب بحالهم نظرا الى امر ابيهم او بالايفاء او بالمسامحة
وقبول المزجية او بالزيادة على ما يساويها تفضلا وانما سموه تصدقا تواضعا او ارادوا التصدق
فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على ان اختصاص حرمة الصدقة بنبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدوا
بما امروا به استجلابا للرافعة والشفقة ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنوا على ان
ما يساقوا كلام ذو وجهين فان قولهم وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين يحتمل الحمل على
المحملين فعلة عليه السلام حمله على المحمل الاول ولذلك قال مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم
من طلب ارا ضيهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط
وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما فى وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك افرادهم له عن يوسف
عليه السلام واذلاله بذلك حتى كان لايستطيع ان يكلمهما الا بعجز وذلة اى هل تبتم عن ذلك بعد
علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك اقدمتم على ذلك
او جاهلون عاقبة وانما قال له نصحا وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى عجزهم ولمسكنتهم لا معاتبة
وتثريبا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه منقطعا عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم
من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض فى طلب بنيامين بل يجوز ان يقف عليه السلام بطريق الوحى
او الالهام على وصية ابيه وارساله اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلما راهم قد اشتغلوا عن ذلك قال
ما قال وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل ابن اسحق
ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بناء البلاء اما جدى فشدت
يداه ورجلاه فرمى به فى النار فنجاه الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما واما ابى فوضع السكين على
قفاه ليقتل ففداه الله تعالى واما انا فكان لى ابن فكان احب اولادى الى فذهب به اخوته الى البرية
ثم اتونى بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى
ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته وانا اهل بيت
لانسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلم
فلما قراه لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ما قال وقيل لما قراه بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا
والظفر كما ظفروا قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكد وه بان واللام قالوه استغرابا
وتعجبا وقرئ انك بالايجاب قيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بسناياه وقيل
رفع التاج عن راسه فراوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة ويعقوب مثلها وقرئ ائنك
او انت يوسف عم على معنى ائنك يوسف عم او انت يوسف عم فحذف الاول لدلالة الثانى عليه
وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن مسالهم وقد زاد عليه قوله وهذا اخى اى من ابوى

مبالغة فى تعريف نفسه وتفخيما لشان اخيه وتكملة لما افاده قوله هل علمتم ما فعلتم بيوسف عم واخيه
حسبما يفيده قوله قد منّ الله علينا فكانه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من التفريق والاذلال فانا يوسف
عم وهذا اخى قد منّ الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة بعد الذلة والانس بعد
الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لردّ بنيامين بانه اخى لا اخوكم فلا وجه
لطلبكم ثم علّل ذلك بطريق الاستيناف التعليلى بقوله انه من يتق اى يفعل التقوى فى جميع احواله
او يق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطّاعات او عن المعاصى
الّتى يستلذها النفس فانّ الله لا يضيع اجر المحسنين اى اجرهم وانما وضع المظهر موضع المضمر تنبيها
على ان المنعوتين بالتقوى والصّبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك
وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنّا وان الشّان كنّا لخاطئين لمتعمدين
للذنب اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك
قال لا تثريب اى لا عتب ولا تانيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشى للكرش ومعناه
ازالته كما ان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال فضرب
مثلا للتقريع الذى تذهب بماء الوجوه وقوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر خبر اللا
اى لا اثربكم او لا تثريب مستقرّ عليكم اليوم الذى هو مظنة له فما ظنك بساير الايّام او بقوله
يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم وعفا عن حرمتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الرّاحمين
يغفر الصّغاير والكباير ويتفضل على التايب بالقبول ومن كرمه عليه السّلام ان اخوته ارسلوا اليه
انّك تدعونا الى طعامك بكرة وعشيّا ونحن نستحيى منك بما فرط منا فيك فقال عليه السّلام
ان اهل مصر وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الىّ بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع
بعشرين درهما ما بلغ وقد شرفت بكم الان وعظمت فى العيون حيث علم النّاس انكم اخوتى وانى
من حفدة ابرهيم عم اذهبوا بقميصى هذا قيل هو الذى كان عليه ح وقيل هو القميص المتوارث الّذى
كان فى التعويذ امره عليه السلام جبرئيل عم بارساله اليه عليه السّلام واوحى اليه ان فيه ريح
الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفى فالقوه على وجه ابى يات بصيرا يكن بصيرا او يات الىّ بصيرا ويصدقه
قوله واتونى باهلكم اجمعين اى ياتى وغيره ممّن ينتظمه لفظ الاهل جميعا من النساء والذرارىّ
قيل انما حمل القميص يهوذا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فافرحه كما احزنته وقيل
حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما فصلت العير خرجت عن
عرش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرا ابن عبّاس رضى الله تعالى
عنهما انفصل العير قال ابوهم يعقوب عليه السّلام لمن عنده انّى لاجد ريح يوسف اوجده الله سبحانه
ما عبق بالقميص من ريح يوسف عم من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا لولا ان تفنّدون اى
تنسبونى الى الفند وهو الخرف وانكار العقل وفساد الرّاى من يقال شيخ مفند ولا يقال عجوز مفنّدة

اذ لم تكن فى شبيبتها ذات راى فتفند فى كبرها وجواب لولا محذوف اى لصدّقتمونى قالوا تالله
انك لفى ضلالك القديم لفى ذهابك عن الصواب قدما فى افراط محبّتك ليوسف عم ولهجك بذكره
ورجائك للقائه وكان عندهم انّه قد مات فلمّا ان جاء البشير وهو يهوذا القاه اى القى البشير
القميص على وجهه اى وجه يعقوب عم او القاه يعقوب عم على وجه نفسه فارتدّ عاد لما انتقش
فيه من القوة قال الم اقل لكم يعنى قوله انى لاجد ريح يوسف عم فالخطاب لمن كان عنده بكنعان
او قوله ولا تيأسوا من روح الله فالخطاب لبنيه وهو الانسب بقوله انى اعلم من الله ما لا
تعلمون فان مدار النهى المذكور انما هو العلم الذى اوتى يعقوب عليه السّلام من جهة الله
سبحانه وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اى الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم
بالتحسس ونهيتكم عن الياس من روح الله تعالى اعلم من الله ما لا تعلمون من حيوة يوسف عم روى
انه عم سال البشير كيف يوسف عليه السّلام فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اىّ دين
تركته قال على دين الاسلام قال عليه السّلام الان تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انّا كنّا
خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه ان يصفح عنه ويستغفر له فكانهم كانوا على ثقة من عفوه عليه
السّلام ولذلك اقتصروا على استدعاء الاستغفار او ارجوا ذلك فى الاستغفار قال سوف استغفر
لكم ربّى انّه هو الغفور الرّحيم وهذا مشعر بعفوه قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل
الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره الى ان يستحل لهم من يوسف عليه السّلام او يعلم
انه قد عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه روى عنه انّه استقبل القبلة قائما
يدعو وقام يوسف عليه السّلام خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى
بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبرئيل عليه السّلام فقال انّ الله تعالى قد اجاب
دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صحّ ثبت نبوتهم وان ما صدر عنهم
انّما صدر قبل الاستنباء وقيل المراد الاستمرار على الدّعاء فقد روى انّه كان يستغفر
كلّ ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة وقيل قام الى الصّلوة فى وقت السّحر فلما فرغ رفع يديه
فقال اللّهمّ اغفر لى جزعى على يوسف عليه السّلام وقلة صبرى عنه واغفر لولادى لدى
ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين فلمّا دخلوا على يوسف
روى انه وجّه يوسف عليه السّلام الى ابيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهّز اليه بمن معه فاستقبله
يوسف عليه السّلام والملك فى اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب
عم وهو يمشى متوكّئا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا
بل ولدك فلمّا لقيه قال السّلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف عم يا ابت بكيت
علىّ حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكنى خشيت ان يسلب دينك فيحال
بينى وبينك وقيل ان يعقوب عليه السّلام وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين

رجل وامراة وكان حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى
الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتى الف **اوى اليه ابويه** اى اباه وخالته
وتنزيلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب فى قوله عز وجل واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق
اولان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه وقال الحسين وابن اسحق كانت امه فى الحيوة فلا
حاجة الى التاويل ومعنى اوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما وكانه عم ضرب فى الملتقى مضربا فنزل
فيه فدخلوا عليه فاواهما اليه **وقال ادخلوا مصر ان شاء الله امنين** من الشوائد والمكاره
قاطبة والمشية متعلقة بالدخول على الامن ورفع ابويه عند نزولهم بمصر على العرش على السرير تكرمة
لهما فوق ما فعله لاخوته **وخروا له** اى ابواه واخوته **سجدا** تحية له فانه كان السجود عندهم جاريا
مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس الفاشية
فى التعظيم والتوقير وقيل ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه ويابا ه الخرور وقيل خروا
لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى **قال يا ابت هذا تاويل رؤياى** التى رايتها وقصصتها
عليك من قبل فى زمن الصبا **قد جعلها ربى حقا** صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف
عليه السلام بمنزلة القبلة وجعل اللام كما فى قوله السر اول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتاخره
عن الرفع على العرش ليس بنص فى ذلك لان الترتيب الذكرى لا يجب كونه على وفق الترتيب
الوقوعى فلعل تاخيره عنه ليصل به ذكر كونه تعبير الرؤياه وما يتصل به من قوله **وقد احسن**
بى المشهور استعمال الاحسان بالى وقد يستعمل بالباء ايضا كما فى قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا
وقيل هذا بتضمين لطف وهو الاحسان الخفى كما يؤذن به قوله تعالى **ان ربى لطيف لما يشاء**
وفيه فائدة لا تخفى اى لطف بى محسنا الى غير هذا الاحسان اذ اخرجنى من السجن بعد ما ابتليت
به ولم يصرح بقصة الجب حذرا من تثريب اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب
خرورهم سجدا واكتفاء بما يتضمنه قوله تعالى **وجاء بكم من البدو** اى البادية **من بعد ان نزغ**
الشيطان بينى وبين اخوتى اى افسد بيننا بالاغواء واصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجرى
يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ عليه السلام فى الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان
ان ربى لطيف لما يشاء اى لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجئ على وجه الحكمة والصواب ما من
صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل **انه هو العليم** بوجوه المصالح **الحكيم** الذى يفعل
كل شئ على قضية الحكمة روى ان يوسف عليه السلام اخذ بيد يعقوب عم فطاف به فى خزائنه
فادخله فى خزائن الورق والذهب وخزائن الحلى وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك
فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بنى ما اعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمانى
مراحل قال امرنى جبريل عم قال اوما تسأله قال انت ابسط اليه منى فسأله قال جبريل عليه السلم
الله تبارك وتعالى امرنى بذلك لقولك اخاف ان ياكله الذئب قال فهلا خفتنى وروى ان

يعقوب

يعقوب عليه السلام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه
اسحق عليه السلام فمضى بنفسه ودفنه ثمه ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما
تم امره وعلم انه لا يدوم له تاقت نفسه الى الملك الدائم الخالد فتمنوا الموت فقال رب العالمين
من الملك اى بعضا منه عظيما وهو ملك مصر **وعلمتنى من تاويل الاحاديث** اى بعضا من ذلك
كذلك ان اريد بتعليم تاويل الاحاديث تفهيم غوامض اسرار الكتب الالهية ودقائق سنن الانبياء
عليهم السلام فالترتيب ظاهر واما ان اريد به تعليم تعبير الرؤى كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك
عليه فى الذكر لانه بمقام تعداد النعم الفائضة عليه من الله سبحانه والملك اعرف فى كونه نعمة
من التعليم المذكور وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة فى نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق
لان التعليم هنالك وارد على نهج العلة الغائية للتمكين فان حمل على معنى التمليك لزم تاخره عنه
واما الواقع ههنا فمجرد التاخير فى الذكر والعطف بحرف الواو لا يستدعى ذلك الترتيب فى الوجود
فاطر السموات والارض مبدعهما وخالقهما نصب على انه صفة للمنادى او منادى اخر وصفه
تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة فى ترتيب مبادى ما يعقبه من قوله **انت وليى** مالك
امورى **فى الدنيا والاخرة** او الذى يتولى بالنعمة فيهما واذا قد اتممت على نعمة الدنيا **توفنى** فتضى
مسلما والحقنى بالصالحين من ابائى او بعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة فانما تتم النعمة بذلك
قيل لما دعانا الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر فى دفنه وتشاحوا فى ذلك حتى هموا بالقتال
فراوا ان يصنعوا له تابوتا من مرمر فجعلوه ودفنوه فى النيل بمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا
واحدا فى التبرك به وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى عليه ولقد
توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل بنوا اسرائيل تحت ايديهم بقوا بادين يوسف
عم وابائه ان يبعث الله تعالى موسى ذلك اشارة الى ما سبق من نبإ يوسف عم وما فيه من معنى
لما مر مرارا من الدلالة على بعد منزلته او كونه بالانقضاء فى حكم البعيد والخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو مبتداء وخبره من انباء الغيب الذى لا يحوم حوله احد وقوله نوحيه اليك
خبر بعد خبر او حال من الضمير فى الخبر ويجوز ان يكون ذلك اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته
ويكون الخبر نوحيه اليك وما كنت لديهم بريدا خوة يوسف عليه السلام **اذ اجمعوا امرهم**
وهو جعلهم اياه عليه السلام فى غيابت الجب **وهم يمكرون** به يبغون له الغوائل حتى تقف
على ظواهر اسرارهم وبواطنها وتطلع على سرائرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفى حضوره
عليه السلام فى مشهد اجماعهم فقط بل فى ساير المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع القصة
واخفى احوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولكن المراد الزام المكذبين والمعنى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك
اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب امر لا يشك فيه المكذبين

والمعنى ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك اياه سوى ذلك اذ عدم سماعك
ذلك من الغير وعدم مطالعتك للكتب امر لا شك فيه المكذبين ايضا ولم تكن بين اظهرهم
عند وقوع الامور حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار فكانهم يشكون في ذلك فيدفع
شكهم وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر من النباء وهو الحق للواقع وما ينقله اهل الكتاب ليس على ما هو
عليه يعني ان مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة واذ ليس بالحضور فهو
بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت بجانب الغربي
اذ قضينا الى موسى الامر **وما اكثر الناس** يريد به العموم او اهل مكة **ولو حرصت** اي على ايمانهم وبالغت
في اظهار الايات القاطعة الدالة على صدقك **بمؤمنين** لتصميمهم على الكفر واصرارهم على
العناد روى ان اليهود وقريشا لما سالوا عن قصة يوسف عم وعدوا ان يسلموا فلما اخبرهم بها على
موافقة التوراة فلم يسلموا حزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له ذلك **وما تسالهم عليه** اي على
الانبياء او على القران **من اجر** من جعل كما يفعله حملة الاخبار **ان هو الا ذكر** عظة من الله تعالى
للعالمين كافة لا ان ذلك مختص بهم وكاين من اية اي كاين عدد شئت من الايات والعلامات
الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير هذه الاية التي جئت بها في السموات
والارض اي كائنة فيهما من الاجرام الفلكية وما فيهما من النجوم وتغير احوالها ومن الجبال في البحار وساير
ما في الارض من العجايب الفائتة للحصر **يمرون عليها** اي وفي مصحف عبد الله والارض يمشون
عليها والمراد ما يرون فيها من اثار الامم الهالكة وغير ذلك من الايات والعبر **وهم عنها
معرضون** غير ناظرين اليها ولا متفكرين فيها **وما يؤمن اكثرهم بالله** في اقرارهم بوجوده
وخالقيته **الا وهم مشركون** بعبادتهم لغيره او باتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا او بقولهم
باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا او بالغور والظلمة وهي جملة حالية اي لا يؤمن
اكثرهم الا في حال شركهم قيل نزلت الاية في اهل مكة وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب
افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله اي عقوبة تغشاهم وتشملهم **او تاتيهم الساعة بغتة**
فجاءة من غير سابقة علامة **وهم لا يشعرون** باتيانها غير مستعدين لها **قل هذه سبيلي** وهي
الدعوة الى التوحيد والايمان بالاخلاص وفسرها بقوله **ادعوا الى الله على بصيرة** بيان وحجة واضحة
غير عمياء او هي حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الاشارة انا تاكيد للمستكن في ادعوا وعلى
بصيرة لانه حال منه او مبتداء خبره على بصيرة **ومن اتبعني** عطف عليه **وسبحان الله وما انا
من المشركين** مؤكد لما سبق من الدعوة الى الله **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا** رد لقولهم
لو شاء الله لانزل ملائكة **نوحي اليهم** كما اوحينا اليك وقرئ بالياء **من اهل القرى** لانهم اعلم واحلم
واهل البوادي فيهم الجهل والجفاء والقسوة **افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين
من قبلهم** من المكذبين بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك **ولدار الاخرة** اي لدار الحال والساعة

او الحيوة

او الحيوة الاخرة **خير للذين اتقوا** الشرك والمعاصي **افلا تعقلون** فتستعملون عقولكم لتعرفوا
خيرية دار الاخرة وقرئ بالياء على انه غير داخل تحت قل **حتى اذا استيأس الرسل** غاية لمحذوف دل
عليه السياق اي لا يغرنهم تماديهم فيما هم فيه من الدعة والرخاء فان من قبلهم قد امهلوا حتى
ايس الرسل عن النصرة عليهم في الدنيا او من ايمانهم لهم في الكفر وتماديهم في الطغيان من غير وازع **وظنوا
انهم قد كذبوا** كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او كذبهم رجاؤهم فانه يوصف بالصدق
والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت
حتى استشعروا القنوط وهموا ان لا نصر لهم في الدنيا **اذا جاءهم نصرنا** فجاءة وعن ابن عباس رضي الله
عنهما وظنوا انهم قد اختلفوا ما وعدهم الله من النصر فان صح ذلك عنه فلعله اراد بالظن ما يخطر
بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب واما الظن الذي
هو ترجح احد الجانبين على الاخر فلا يتصور ذلك من احاد الامة فما ظنك بالانبياء عليهم السلام وهم
ومنزلتهم في معرفة شئون الله تعالى منزلتهم وقيل الضمير ان للمرسل اليهم وقيل الاول لهم والثاني
للرسل وقرئ بالتشديد اي ظن الرسل اي ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به لما تراخى عنهم
ولم يروا له اثرا او على ان الاول لقومهم **فنجي من نشاء** هم الرسل والمؤمنون بهم وقرئ فننجي
على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجي **ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين** اذا نزل
بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم المشية **لقد كان في قصصهم** اي قصص الانبياء عليهم السلام
واممهم وينصره قراءة من قرا بكسر القاف او قصص يوسف عم واخوته **عبرة لاولي الالباب**
لذوي العقول المبرات عن شوائب احكام الحس **ما كان** اي القران المدلول عليه بما سبق
دلالة واضحة **حديثا يفترى ولكن** كان **تصديق الذي بين يديه** من الكتب السماوية وقرئ
بالرفع على انه خبر مبتداء محذوف اي ولكن هو تصديق الذي بين يديه **وتفصيل كل شيء** مما يحتاج
اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو يستند الى القران بالذات او بوسط **وهدى** من الضلالة
ورحمة ينال بها خير الدارين **لقوم يؤمنون** اي يصدقونه لانهم المنتفعون به واما من عداهم
فلا يهتدون بهداه ولا ينتفعون بجدواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف
فانه ايما مسلم تلاها وعلمها اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة
ان لا يحسد مسلما تمت بعون الله تعالى

سورة الرعد اربعون ايات مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

المر اسم للسورة ومحله اما الرفع على انه خبر لمبتداء محذوف اي هذه السورة مسماة بهذا الاسم
وهو اظهر من الرفع على الابتداء اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا وقوله تعالى **تلك** على الوجه
الاول مبتداء مستقل على وجه الثاني مبتداء ثان او بدل من الاول اشير به اليه ايذانا بفخامته واما

النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرا واذكر فتلك مبتداء كما اذا جعل المر مسرود على نمط التعديد
او بمعنى انا الله اعلم وارى على ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والخبر على التقادير
قوله تعالى آيات الكتاب اى الكتاب العجيب الكامل الغنى عن الوصف به المعروف بذلك من بين
الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به فهو عبارة عن جميع القرآن او عن جميع المنزل حسبما مر فى
مطلع سورة يونس عليه السلام اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغنى عن النعت وبه يظهر ما اريد
من وصف الآيات بوصف ما اضيفت اليه من نعوت الكمال بخلاف ما اذا جعل عبارة عن السورة
فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة فى الاتصاف بذلك المغنية عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن
جميع آياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذى مر
تفصيله فى سورة يونس عليه السلام والذى انزل اليك من ربك اى الكتاب المذكور بكماله
لا هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع فى كل ما نطق به الحقيق بان يخص به الحقية لعراقته
فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية ساير الكتب السماوية
لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه وفى التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة
المبنى للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا الى ضميره عليه السلام من الدلالة على فخامة
المنزل التابعة لجلالة شان المنزل وتشريف المنزل اليه والايماء الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى ولكن
اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر والتامل فيه فعدم ايمانهم متعلق
بعنوان حقيته لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا كما قيل ولانه ورد على طريقة
الوصف دون الاخبار الله الذى رفع السموات اى خلقهن مرتفعات على طريقة قولهم سبحانه
من كبر الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم يكن كذلك والجملة مبتداء وخبر كقوله وهو
الذى مد الارض بغير عمد اى بغير دعائم جمع عمود بمعنى عماد كرسل ورسول وايراد صيغة الجمع
لجميع السموات لا لان المنفى عن كل واحدة منها عمد لا عماد ترونها استيناف استشهد به على ما ذكر
من رفع السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جئ بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هى قدرة الله سبحانه
وتعالى ثم استوى اى استولى على العرش بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستواء
على العرش صفة لله عز وجل بلا كيف واياما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه
فلا حاجة الى جعل كلمة ثم للتراخى فى الرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد
منهما من الحركات وغيرها كل من الشمس والقمر يجرى حسبما اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة
فيها تتم دورته كالسنة للشمس والشهر للقمر فان كلا منهما يجرى كل يوم على مدار معين من المدارات
اليومية او لمدة ينتهى فيها حركاتهما ويخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل او لغاية يتم عندها
ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما يدبر بما صنع من الرفع والاستواء والتسخير اى بعض ويقدر حسبما
تقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر الخلق كله وامر ملكوته وربوبيته يفصل الآيات الدالة على كمال

قدرته وما بلغ حكمته اى ياتى بها مفصلة وهى ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية
الحادثة شيا فشيا المستتبعة للآثار الغريبة فى السفليات على موجب التدبير والتقدير فالجملتان
اما حالان من ضمير استوى وقوله وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستواء واما مفسرتان له والاولى
حال منه والثانية من الضمير فيها او كلاهما من ضماير الافعال المذكورة وقوله كل يجرى لاجل
مسمى من تتمة التسخير او خبران من قوله الله خبرا بعد خبر والموصول صفة للمبتداء جئ به للدلالة على
تحقيق الخبر وتعظيم شانه كما فى قول الفرزدق ان الذى سمك السماء بنا لنا بيتا دعائمه اعز واطول
لعلكم عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها بلقاء ربكم بملاقاته للجزاء توقنون فان من
تدبر ما حق التدبيرات المبينة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد بنيت على السنة الانبياء عليهم
السلام ان ذلك ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذن لا بد من الايقان بالجزاء ولما قرر
الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلايل السفلية فقال وهو الذى مد الارض اى بسطها طولا
وعرضا قال الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه فقيه دلالة على بعد مداها وسعة اقطارها
وجعل فيها رواسى اى جبالا ثوابت فى احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام الثقيلة ولم يذكر
الموصوف لاغناء غلبة الوصف بها عن ذلك وانحصار مجئ فواعل جمعا لفاعل فى فوارس وهوالك
ونواكس انما هو فى صفات العقلاء واما فى غيرهم فلا يراعى ذلك اصلا كما فى قوله تعالى اياما معدودات
وقوله الحج اشهر معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها راسية صفة لجمع القلة اعنى
اجبلا ويعتبر فى جمع الكثرة اعنى جبالا انتظاما لطائفة من جموع القلة وتنزيل كل منها منزلة
مفردها كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جمعية كل من صيغتى الجمعين انما هى باعتبار الافراد التى
تحتها لا باعتبار جمع القلة للافراد وجمع الكثرة بجموع القلة فكل واحد منهما جمع جبل لا ان جبالا
جمع اجبل كما ان طوائف جمع طائفة ولا الى ان يلتجا الى جعل الوصف المذكور بالغلبة فى عداد الاسماء
التى تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هى فى الجمع دون المفرد والتعبير عن الجبال
بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها وانهارا مجارى واسعة والمراد ما يجرى فيها من
المياه وفى نظمها مع الجبال فى معمولية فعل واحد اشارة الى ان الجبال منشاء للانهار وبيان لفائدة
اخرى للجبال غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة
على تمكنه وتقلبه وهى تعمسه بالماء والكلاء ومن كل الثمرات متعلق بجعل فى قوله تعالى جعل
فيها زوجين اثنين اى اثنينية حقيقية وهما الفردان اللذان كل منهما زوج الآخر واكد به الزوجين
لئلا يفهم ان المراد بذلك الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينية ذلك اثنينية اعتبارية
اى جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة فى الدنيا ضربين وصنفين اما فى اللون كالابيض
والاسود او فى الطعم كالحلو والحامض او فى القدر كالصغير والكبير او فى الكيفية كالحار والبارد وما اشبه
ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثانى استينافا لبيان الكيفية ذلك الجعل يغشى الليل

النهار استعارة تبعية تمثيلية مبنية على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاغطية
اى يستر النهار بالليل والتركيب وان احتمل العكس ايضا بالحمل على تقديم المفعول الثانى على الاول فان
ضوء النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشى وعد هذا فى تضاعيف
الايات السفلية وان كان تعلقه بالايات العلوية ظاهرا باعتبار ان ظهوره فى الارض فان
الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من
حيث العقد والانضاج على انهما ايضا زوجان متقابلان مثلها وقرئ يغشى من التغشية **ان فى
ذلك** اى فيما ذكر من مد الارض وايثارها بالرواسى واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاق الليل
النهار وفى الاشارة بذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه فى بابه لايات باهرة وهى اثار تلك الافاعيل
البعد به جلت حكمة صانعها ففى على معناها فان تلك الاثار مستقرة فى تلك الافاعيل منوطة بها
ويجوز ان يشار بذلك الى تلك الاثار المدلول عليها بتلك الافاعيل ففى تجريدية **لقوم يتفكرون**
فان التفكر فيها يؤدى الى الحكم بان تكوين كل من ذلك على هذا النمط الرائق والاسلوب اللائق لابد
له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد **وفى الارض
قطع** جملة مستانفة مشتملة على طائفة اخرى من الايات اى بقاع كثيرة مختلفة فى الاوصاف ممن
طيبت الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة الى غير ذلك **متجاورات** اى متلاصقات وفى
بعض المصاحف قطعا متجاورات اى جعل فى الارض قطعا **وجنات من اعناب** اى بساتين كثيرة
منها **وزرع** من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات
عليه مع كونه عمود المعاش لظهور حالها فى اختلافها ومباينتها لسائرها ورسوخ ذلك فيها وتاخير
قوله تعالى **ونخيل** لئلا تقع بينها وبين صفتها وهى قوله تعالى **صنوان وغير صنوان** فاصلة والصنوان
جمع صنو كقنوان وقنو وهى النخلة التى لها راسان واصلها واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بنى تميم
وقيس وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى
وفى الارض قطع متجاورات فى هذا السلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال
والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الارض ودحاها للايماء الى كون تلك الاحوال
صفات راسخة لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات **يسقى** اى ما ذكر
من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتانيث مراعاة للفظ والاول اوفق بمقام بيان اتحاد
الكل فى حالة السقى **بماء واحد** لا اختلاف فى طبعه سواء كان السقى بماء الامطار او بماء الانهار **و
نفضل** مع تاخذ اسباب الشباب بمحض قدرتنا واختيارنا **بعضها على بعض** اخر منها **فى الاكل** فيما يحصل
منها من الثمر والطعم وقرئ بالياء على البناء للفاعل ردا على يدبر ويفصل ويغشى على البناء للمفعول وفيه
ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال استناد الفعل الى فاعل اخر مغن عن بناء الفعل للفاعل
ان فى ذلك الذى فصل من احوال القطع والجنات **لايات** كثيرة عظيمة ظاهرة **لقوم يعقلون**

يعلمون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم فى الجزم بان من قدر على ابداع
هذه البدايع تلك الثمار المختلفة فى الاشكال والالوان والطعوم والروايح فى تلك القطع المتباينة
المتجاورة وجعلها حدائق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هى اهون فى القياس وهذه الاحوال
وان كانت هى الايات انفسها لا انها فيها الا انه قد جردت عنها امثالها مبالغة فى كونها اية ففى
تجريدية مثلها فى قوله تعالى لهم فيها دار الخلد او المشار اليه الاحوال الكلية والايات
افرادها الحادثة شيئا فشيئا فى الازمنة واحادها الواقعة فى الاقطار والامكنة والمشاهدة لاهلها
ففى على معناها وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولاتها اظهر مما سبق على كونها ايات
بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض فى الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك
فى الخواص والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تامل وتفكر كانه لا حاجة فى ذلك الى التفكر
ايضا وفيه تعريض بان المشركين غير عاقلين **وان تعجب** يا محمد من شئ **فعجب** لا اعجب منه حقيق
بان يقصر عليه التعجب **قولهم** بعد مشاهدة ما عد ذلك من الايات الشاهدة بانه تعالى على كل شئ
قدير **ائذا كنا ترابا** على طريقة الاستفهام الانكارى المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار
وهو فى محل الرفع على البدلية من قولهم على انه بمعنى المقول او فى محل النصب على المفعولية منه على
انه مصدر فالعجب على الاول كلامهم وعلى الثانى تكلمهم بذلك والعامل فى اذا ما دل عليه قوله
ائنا لفى خلق جديد ونبعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجهه اليه فى حالة
منافية له وتكرير الهمزة فى قولهم ائنا لتاكيد الانكار وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى الخلق الجديد
بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعداد له وفيه من الدلالة على عتوهم على تماديهم
فى النكير ما لا يخفى وقيل وان تعجب من قولهم فى انكار البعث فعجب قولهم والمال وان تعجب فقد
تعجب فى موضع التعجب وقيل وان تعجب من انكارهم البعث فعجب قولهم الدال عليه فتامل وقد
جوز كون الخطاب لكل من يصلح له اى ان تعجب يا من ينظر فى هذه الايات من قدرة من هذه افعاله
فازداد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلايل قدرته تعالى البعث وهو اهون من هذه والانسب بقوله
ويستعجلونك بالسيئة الاول وقوله فعجب خبر مقدم على المبتدا للقصر والتسجيل من اول الامر بكون
قولهم ذلك امرا عجيبا ويجوز ان يكون المبتدا لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى
وان تعجب فالعجب الذى لا عجب وراه قولهم هذا فاعجب منه وعلى الاول وان تعجب فقولهم هذا عجب
لا عجب قوله اولئك مبتدا والموصول خبره اى اولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث رثما عاينوا ما فصل
من الايات الباهرة الملجئة لهم الى الايمان لو كانوا يبصرون **الذين كفروا بربهم** وتمادوا
فى ذلك فان انكارهم لقدرته عز وجل كفر به واى كفر **واولئك** مبتدا خبره قوله **الاغلال فى اعناقهم**
اى مقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او مغلولون يوم القيمة **واولئك** الموصوفون بما ذكر
من الصفات **اصحاب النار هم فيها خالدون** لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل ليس لتخصيص الخلود

بمنكرى البعث خاصة بل بالجميع المدلول عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم **ويستعجلونك**
بالسيئة بالعقوبة الى انذروها وذلك حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم
بالعذاب استهزاء منهم بانذاره **قبل الحسنة** اى العافية والاحسان اليهم بالامهال **وقد خلت من**
قبلهم المثلات اى عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون ولا يحترزون حلول مثلها
بهم والجملة الحالية لبيان ركاكة رائهم فى الاستعجال بطريق الاستهزاء اى يستعجلونك بها مستهزئين
بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على امثالهم من
المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من
المماثلة ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بضمتين باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم
وسكون الثاء تخفيف المثلات جمع كركبة وركبات **وان ربك لذو مغفرة** عظيمة **للناس على ظلمهم**
انفسهم بالذنوب والمعاصى ومحلها النصب على الحالية اى ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى ربك
لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتاخيرها **وان ربك**
لشديد العقاب يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتاخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعنه عليه
السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ لاحد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد **ويقول**
الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم
كفرهم بايات الله تعالى التى تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من جنس الايات
وقالوا **لولا انزل عليه اية من ربه** مثل ايات موسى وعيسى عليهما السلام عنادا ومكابرة والا ففى ادنى
اية انزل عليه عليه السلام غنية وعبرة لاولى الالباب **انما انت منذر** مرسل للانذار من سوء
عاقبة ما يأتون ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك
وبدحل بما لامر بدعليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوا من الايات مرسل
للانذار من سوء عاقبة ما يأتون ويذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم
به نبوتك وبدهل ذلك بما لامر بدعليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان **ولكل قوم**
هاد معين لا بالذات بل بعنوان الهداية يعنى لكل قوم نبى مخصوص له هداية مخصوصة يقتضى
اختصاص كل منهم بما يختص به حكم لا يعلمه الا الله تعالى او لكل قوم هاد عظيم الشان قادر على
ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم وانكارهم
للايات المنزلة عليك واز داؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره
المنبئين على الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبى وكل نبى بجنس معين من الايات انما هو
للحكم الداعية الى ذلك اظهارا لكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدى الا من تعلق بهدايته مشيئته
التابعة لحكم استأثر بعلمه فقال **الله يعلم ما تحمل كل انثى** اى تحمله فيما موصولة اريد بها ما فى
بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعد الى واحد او اى شئ تحمل

وعلى اى حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهى استفهامية معلقة للعلم او طمها فهى
مصدرية **وما تغيض الارحام وما تزداد** اى تنقصه وتزداده فى الجثة كالخديج والتام وفى المدة كالمولود
فى اقل مدة الحمل والمولود فى اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك ولد فى سنتين وهرم بن حيان
فى اربع ومن ذلك متعديان كما فى قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا وقوله ونزداد
كيل بعير او لازمان قد اسند الى الارحام مجازا وهما لما فيها **وكل شئ** من الاشياء **عنده بمقدار**
بقدر لا يمكن تجاوزه عنه كقوله انا كل شئ خلقناه بقدر فان كل حادث من الاعيان والاعراض
له فى كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد بالعندية
الحضور العلمى بل العلم الحضورى فان تحقق الاشياء فى نفسها فى اى مرتبة كانت من مراتب الوجود والاستعداد
لذلك علم له ولذلك بالنسبة الى الله عز وجل **عالم الغيب** اى الغائب عن الحس **والشهادة** اى
الحاضر له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدأ محذوف
او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله تعالى يعلم الخ **الكبير** العظيم
الشان الذى كل شئ دونه **المتعال** المستعلى على كل شئ بقدرته او المنزه عن نعوت المخلوقات وبعد
ما بين سبحانه انه عالم بجميع ما يأتون وما يذرون من الاحوال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه
بين السر والعلن فقال **سواء منكم من اسر القول** فى نفسه **ومن جهر به** اظهره لغيره **ومن هو**
مستخف مبالغ فى الاختفاء كانه مختف **بالليل** وطالب للزيادة **وسارب** بارز يراه كل احد **بالنهار**
من سرب سروبا اى برز وهو عطف على من هو مستخف او على مستخف ومن عبارة من الاثنين كما فى قوله
تعالى فان عاهدتنى لا تخوننى نكن مثل من يا ذئب يصطحبان كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف
بالليل وسارب بالنهار والاستواء وان اسند الى من اسر ومن جهر والى المستخفى والسارب لكنه فى الحقيقة
مسند الى ما اسروه وما جهر به او الى الفاعل من حيث هو فاعل كما فى الاخرين وتقديم الاسرار و
الاستخفاء لاظهار كمال علمه تعالى فكانه فى التعلق بالخفيات اقدم منه بالظواهر والا فنسبته الى
الكل سواء لما عرفته آنفا **له** اى لكل ممن اسر وجهر والمستخفى والسارب **معقبات** ملئكة تعتقب فى
حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبة اذا جاء على عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون
اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب جمع فادغمت التاء فى القاف والتاء للمبالغة او المراد بالمعقبات
الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب او معقبة على تعويض الياء من احدى القافين **ومن بين يديه**
ومن خلفه من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم واخر **يحفظونه من امر الله** من باسه حين اذنب
بالاستمهال والاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ
به وقيل من بمعنى الباء وقيل من امر الله صفة ثابتة لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة
حول السلطان يحفظونه فى توهمه من قضاء الله تعالى **ان الله لا يغير ما بقوم** من النعمة والعافية **حتى**
يغيروا ما بانفسهم من الاعمال الصالحة وملكاتها لذلك **فلا مرد له** فلا رد له والعامل فى اذا مادل

عليه الجواب **وما لهم من دونه من وال** بل امرهم ويدفع عنهم السّوء الذى اراده الله تعالى بهم بما قدمت
ايديهم من تغير ما بهم وفيه دلالة على ان تخلف مراده تعالى محال وايذان بانه بما باشره من انكار
البعث واستعجال السّيئة واقتراح الاية قد غيّر واما بانفسهم من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله
تعالى وعذابه **هو الذى يريكم البرق خوفا** من الصّاعقة **وطمعًا** فى المطر فوجه تقديم الخوف على الطمع
ظاهر لما ان المخوف عليه النفس او الرزق العسد والطموع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف ايضا
من المطر لكن الخائف منه غير الطّامع فيه كالحراف والحرّاث ويا باه الترتيب اللهمّ الا ان يتكلف
ما اشير اليه من ان المخوف عتيد والمطموع فيه مترقب وانتصابهما اما على المصدرية اى يتخافون
خوفا ويطمعون طمعًا او على الحاليّة من البرق او المخاطبين باضمار ذوى او يجعل المصدر بمعنى المفعول
او الفاعل مبالغة او على العليّة بتقدير المضاف اى ارادة خوف وطمع او بتاويل الاضافه ليتحد فاعل
والفعل المعلل واما جعل المعلل من الرؤية التى تضمنها الارادة على طريق قول النابغة وحلت بيوتى
فى يفاع ممنّع يخال به راعى الحمولة طائرا فداء على ان الاتيان معادى ولا نستوى حتّى يمسن حائرا اى
احللت بيوتى حذارا فلا سبيل الله لان ما وقع فى معرض العلة الغائيّة لاسيما الخوف لا يصلح علة لرؤيتهم
وينشئ السّحاب الغمام المنسحب فى الجوّ **الثقال** بالماء وهى جمع ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امراة كريمة ونسوة
كرام **ويسبّح الرّعد** اى سامعوه من العباد الراجين للمطر ملتبسين **بحمده** اى يصيحون بسبحان الله
والحمد لله واسناده الى الرعد لحمله لهم على ذلك او يسبح الرعد نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته
على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبىّ صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سُبحانَ
من يُسبّح الرعد بحمده واذا اشتدّ يقول اَللّهُمّ لا تقتُلْنا بِغضَبِكَ وَلا تُهلِكنا بعذابِكَ وَعافِنا
قَبلَ ذلِكَ وعن على كرّم الله وجهه سبحان من سبحت له وعن ابن عبّاس رضى الله عنهما ان اليهود
سالت النبى صلى الله عليه وسلم عن الرّعد فقال ملك من الملئكة موكّل بالسّحاب معه مخاريق من نار
يسوق بها السّحاب وعن الحسن من خلق الله تعالى ليس بملك **والملئكة** اى يسبح الملئكة **من خيفته**
من هيبته واجلاله وقيل الضّمير للرّعد **ويرسل الصّواعق فيصيب بها من يشاء** فيهلكه بذلك **وهم**
اى الكفرة المخاطبون فى قوله تعالى هو الذى يريكم البرقَ وقد التفت الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن
درجة الخطاب واعراض عنهم وتعديد الجنايا تهم لدى كل من يستحق الخطاب كانّه قيل هو الذى يفعل
امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب الثقال وارسال الصّواعق الدّالة على كمال
علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين الى الرّعد نفسه او الملك الموكّل به والملئكة ويعملون
بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى **وهم** اى الكفرة الذين حكيت هناتهم مع ذلهم
وهوانهم وحقارة شانهم **يجادلون فى الله** اى فى شانه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون من انكار البعث
واستعجال العذاب استهزاء واقتراح الايات قالوا والعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذّى
يريكم البرق الخ او على قوله تعالى يعلم ما تحمل واما العطف على قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل

فلا مجال له لان قوله تعالى الله يعلم الخ استيناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظايره من استعجال العذاب
وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل الحال اى فيصيب بالصّواعق من يشاء وهم فى الجدال
وقد اريد بما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبغيانه الغوائل قد خلا المسجد وهو عليه السّلام جالس فى نفر من الاصحاب رض فاستشرفوا
لجمال عامر وكان من اجمل النّاس وقد كان اوصى الى اربد انه اذا رايتنى اكلهم محمدا صلى الله عليه
وسلم فدر من خلفه واضربه بالسّيف فجعل يكلّمه عليه السّلام فاخترط من سيفه شبرا فحبسه الله تعالى
فلم يقدر على سلّه وجعل عامر يومى اليه فراى النبى صلى الله عليه وسلم الحال فقال اللهم اكفنيهما بما شئت
فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة فى يوم صحو صائف فاحرقته وولى عامر هاربا فنزل فى بيت
امراة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه وركب فرسه فجعل يركض فى الصّحراء ويقول
ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لى محمد وصاحبه يعنى ملك الموت لانفذتهما
برمح فارسل الله ملكا فلطمه بجناحه فارداه فى التراب فخرجت على ركبته فى الوقت غدة عظيمة فعاد
الى بيت السّلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلوليّة ثم دعا بفرسه فركبه فاجراه
حتى مات على ظهره وقيل اريد به ما روى عن الحسن انه كان رجل من طواغيت العرب فبعث النبى
صلى الله عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال لهم اخبرونى عما تدعوننى اليه
ما هو ومم هو من ذهب ام من فضة ام من نحاس ام من حديد ام من درّ فاستعظموا مقالته فرجعوا
الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا ما راينا رجلا اكبر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال عليه السلام ارجعوا
فرجعوا اليه فما زاد على مقالته الاولى واخبث فرجعوا اليه عليه السلام واخبروه بما صنع فقال عليه السّلام
ارجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه اذا ارتفعت سحابة ورعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرق
الكافر فجاؤا يسعون ليخبروه عليه السّلام بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم قالوا
او حى النبى صلى الله عليه وسلم **وهو شديد المحال** اى والحال انه شديد المماحلة والمكايدة لاعدائه
من محله اذا كاده وعرّضه للهلاك ومنه تمحّل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو محال من المحل بمعنى
القوة وقيل محول من الحول والحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انّه مفعل من حال
يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا فى القوة والقدرة كقولهم فساعد الله
اشد وموساه احد **له دعوة الحقّ** اى الدعوة الثابتة الواقعة فى محلها المجابة عند وقوعها و
الاضافة للايذان بملابستها للحق واختصاصها به وكونه بمعزل من شائبة البطلان والضياع والضّلال
كما يقال كلمة الحق وقيل له دعوة الله سبحانه اى الدعوة اللائقة بحضرته كما فى قوله عليه السّلام فمن
كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والتعرض لوصف الحقية لتربية معنى الاستجابة
والاولى هو الاوّل لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا فى ضلال وتعلق الجملتين بما قبلهما ان
كانت الاية نزلت فى شانهما او من حيث انه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم

بحلول محاله عليهم وتحذير لهم باجابة لدعوته عليهم **والذين يدعون** الى الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف
العايد **من دونه** من دون الله عز وجل **لا يستجيبون لهم** شئ من طلباتهم **الا كباسط كفيه الى الماء**
اى الاستجابة كائنة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه من بعيد كالاستجابة مصدر من المبنى للفاعل
على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعنى لا يستجيبون ويجوز ان من المبنى للمفعول ويضاف الباسط بناء على استلزام
المصدر من المبنى للفاعل للمصدر من المبنى وجودا وعدما فكانه قيل لا يستجيبون لهم شئ فلا يستجاب لهم
استجابة الاستجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء كما فى قوله وغصة دهر يا ابن مروان لم تدع
من المال الا مسحت او مجلف اى لم ندع فلم يبق الا مستحق او مجلف اى لم ندع **ليبلغ** اى الماء بنفسه من
غير ان يوخذ بشئ من الاناء ونحوه **فاه وما هو** اى الماء **ببالغه** يبالغ فيه لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولا
يستطيع اليه فضلا عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين فى عدم حصول لهم
فى دعاء الهتهم على شئ اصلا وركاكة راءيهم فى ذلك بحال عطشان هائم لا يدرى ما يفعل قد بسط كفيه من
بعيد الى الماء سقى وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه فى جميع مفردات الاطراف فان الماء فى نفسه
شئ نافع بخلاف الهتهم والمراد نفى الاستجابة كانت فى مدة الصورة التى ليست فيها شائبة الاستجابة قطعا
فهو فى الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء وكباسط بالتنوين **وما دعاء الكافرين**
الا فى ضلال اى ذهاب وضياع وخسار **ولله** وحده **يسجد** يخضع وينقاد لا لشئ غيره استقلالا ولا
اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد **من فى السموات والارض** من الملئكة والثقلين **طوعا وكرها**
اى طايعين وكارهين او انقياد طوع وكره او حال طوع او كره فان خضوع الكل لعظمة الله عز وجل وانقياده
لاحداث ما اراده فيهم من احكام التكوين والاعدام شاؤا او ابوا وعدم مداخلة غيره بل غيره حكمه تعالى فى تلك
الشؤن مما لا يخفى على احد **وظلالهم** اى تنقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعنى الانس حيث ينصرف
على مشيئته وتتانى لارادته فى الامتداد والتقلص والفئ والزوال **بالغدو والاصال** ظرف للسجود المقدر
او حال من الظلال وتخصيص الوقتين بالذكر مع ان انقيادها متحقق فى جميع اوقات وجودها لظهور ذلك
منهما والغدو جمع غداة والاصال جمع اصيل وقيل جمع اصل وهو جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل
الغدو مصدر ويؤيده انه قد قرئ والايصال اى الدخول فى الاصيل هذا وقد قيل ان المراد حقيقة
السجود فان الكفرة حال الاضطرار وهو المعنى بقوله تعالى كرها يخصون السجود سبحانه قال تعالى واذا
ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد ان يخلق الله تعالى فى الظلال فهما وعقولا بها تسجد الله
سبحانه كما فى خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح فظهر منها آثار التجلى كما قاله ابن الانبارى ويجوز ان يراد
بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود لاصحابها وانت خبير بان اختصاص سجود الكافر حالة الضرورة
والشدة بالله سبحانه لا يجدى فان سجودهم الاصنامهم حالة الرخاء مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور
فالوجه حمل السجود على الانقياد ولان التحقيق انقياد الكل فى الابداع والاعدام له تعالى ادخل فى التوبيخ عن
اتخاذ اولياء من دونه من تحقيق سجودهم له تعالى وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كونه غيرهم ايضا كذلك

لانهم العمدة وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على انه بين ذلك بقوله عز وجل **قل من رب السموات**
والارض فانه لتحقيق ان خالقهما ومتولى امرهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله سبحانه وقوله قل الله
امر بالجواب من قبله عليه السلام اشعارا بانه متعين للجوابية فهو والخصم فى تقريره سواء او امر حكاية
اعترافهم ايذانا بانه امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احك اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم من الحجة والقمهم الحجر
او امر تلقينهم ذلك ان تلعثموا فى الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون اوذاك ولا يقدرون على انكاره
قل الزاما لهم وتبكيتا **افاتخذتم لانفسكم** والهمزة لانكار الواقع كما فى قولك اضربت اباك لا لانكار
الواقع كما فى قوله اضربت ابى والفاء للعطف على مقدر بعد الهمزة اى اعلمتم ان ربهما هو الله الذى ينقاد
لامره من فيهما كافة فاتخذتم **من دونه اولياء** عاجزين لا يملكون **لانفسهم نفعا** يستجلبونه
ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة على جلب النفع لغيرهم ودفع الضرر عنه لا على ان يكون الانكار
متوجها الى المعطوفين معا كما فى قوله تعالى افلا تعقلون اذ اقدر المعطوف عليه لا تسمعون بل الى ترتب
الثانى على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه والمعنى بعد ان علمتم ان ربهما هو الله جل جلاله اتخذتم
من دونه اولياء عجزة والحال ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليته فعكستم الامر كما فى قوله
تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه افتتخذونه وذريته اولياء من دونى ووصف الاولياء ههنا
بعدم المالكية للنفع والضر فى ترشيح الانكار وتاكيده كتقييد الاتخاذ هناك بالجملة الحالية اعنى قوله تعالى
وهم لكم عدو فان كلا منهما ينفى الاتخاذ المذكور ويؤكد انكاره **قل** تصويرا لارائهم الركيكة بصورة
المحسوس **هل يستوى الاعمى** الذى هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها **والبصير** الذى هو الموحد
العالم بذلك او للاول عبارة عن المعبود الغافل والثانى اشارة الى معبود العالم بكل شئ **ام هل**
تستوى الظلمات التى هى عبارة عن الكفر والضلال **والنور** الذى هو عبارة عن التوحيد والايمان
وقرئ بالياء ولما دل النظم الكريم على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون الله سبحانه
فى الضلال المحض والخطاء البحت بحيث لا يخفى على احد وانهم فى ذلك كالاعمى الذى لا يهتدى الى شئ اصلا
ولبس لهم فى ذلك شبهة تصلح ان يكون منشاء لغلطهم وخطائهم فضلا عن الحجة اكد ذلك فقيل **ام جعلوا**
لله اى بل اجعلوا لله **شركاء خلقوا كخلقه** سبحانه والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع مع وقوعه
وقوله خلقوا كخلقه هو الذى يتوجه اليه الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا يتعلق به الانكار بهذا
المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا الله تعالى شركاء خلقوا كخلقه **فتشابه الخلق عليهم** بسبب ذلك وقالوا
اخلقوا هؤلاء كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك منشا لخطائهم بل انما جعلوا
له شركاء وهو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التعريض بركاكة رائهم والتهكم بهم **قل** تحقيقا
للحق وارشادا لهم اليه **الله خالق كل شئ** كانه خالق سواه فيشاركه فى استحقاق العبادة **وهو**
الواحد المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية **القهار** لكل ما سواه فكيف يتوهم ان يكون له شريك
ويعد ما مثل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والمتوحد والتوحيد بالبصر والنور مثل الحق الذى هو القرآن

العظيم فی فیضانه من جناب القدس علی قلوب حالیه عنه متمادیة الاستعداد وفی جریانه علیها ملاحظة
وعلی الالسنة مذاکرة تلاوة وفی ثباته فیهما مع کونه ممدا لحیوتها الروحانیة وما یتلوها من الملکات السنیة
والاعمال المرضیة بالماء النازل من السماء السائل فی اودیة یابسة لم تجر عادتها بذلک سیلانا منقدرا بمقدار
اقتضته الحکمة فی احیاء الارض وما علیها الباقی فیها حسبما یدور علیه منافع الناس وفی کونه حلیه
یتحلی به النفوس ونتصل الی البهجة الابدیة ومتاعا یتمتع به فی المعاش والمعاد بالذهب والفضة وسایر الفلزات
التی یتخذ منها انواع الالات والادوات وتبقی منتفعا بها مدة طویلة ومثل ذلک الباطل الذی ابتلی به
الکفرة لقصور نظرهم فیهما من غیر مداخلة فیهما واخلال بصفائهما من الزبد الرابی فوقهما المضمحل سریعا
فقیل انزل من السماء ای من جهتها ماء ای کثیرا او نوعا منه وهو ماء المطر فسالت بذلک اودیة
واقعة فی مواقعه لا جمیع الاودیة الامطار لا یستوعب الاقطار وهو جمع واد وهو مفرج بین جبال او تلال
ادا کام علی الشذوذ کناد واندیة وناج وانجیة قالوا وجهه ان فاعلا یجیء بمعنی فعیل کناصر ونصیر وشاهد
وشهید وعالم وعلیم وحیث جمع فعیل علی افعلة کجریب واجربة جمع فاعل ایضا علی افعلة فان ارید بها
ما یسیل فیها مجازا فاسناد السیلان الیها حقیقی وان ارید معناها الحقیقی فالاسناد مجازی کما فی جری النهر
وایثار التمثیل بها علی الانهار المستمرة الجریان لوضوح المماثلة بین شانها وشان ما مثل بها کما اشیر
الیه بقدرها ای سالت ملتبسة بمقدارها الذی عینه الله تعالی واقتضته حکمته فی نفع الناس او
بمقدارها المتفاوت قلة وکثرة بحسب تفاوت محالها صغرا وکبرا لا بکونها مالئة لها منطبقة علیها
بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم لقلة موارد الماء وکثرتها بکبرها المستدعی لکثرة الموارد فان مورد السیل
الجاری فی الوادی الصغیر اقل من موارد السیل الجاری فی الوادی الکبیر هذا ان ارید بالاودیة ما یسیل
فیها اما ان ارید بها معناها الحقیقی فالمعنی سالت میاهها بقدر تلک الاودیة علی نحو ما عرفته انفا او یراد
بضمیرها میاهها بطریق الاستخدام ویراد بقدرها ما ذکر اولا من المعنیین فاحتمل السیل الجاری فی
تلک الاودیة ای حمل معه زبدا ای غثاء ورغوة وانما وصف ذلک بقوله تعالی رابیا ای عالیا منتفخا
فوقه بیانا لما ارید بالاحتمال المحتمل لکون المحمول غیر طاف کالاشجار الثقیلة وانما لم یدفع ذلک الاحتمال
بان یقال فاحتمل السیل فوقه للایذان بان تلک الفوقیة مقتضی شان الزبد لا من جهة المحتمل تحقیقا
للمماثلة بینه وبین ما مثل به من الباطل الذی شانه الظهور فی بادی الرای من غیر مداخلة فی الحق
ومما یوقدون علیه فی النار ای یفعلون الایقاد علیه کائنا فی النار والضمیر للناس اضمر مع عدم سبق
الذکر لظهورها وقرئ بالخطاب ابتغاء حلیة او متاع ای طلب اتخاذ حلیة وهی ما یعتنون ویتجمل
به کالحلی المتخذة من الذهب والفضة او اتخاذ متاع وهو ما یتمتع به من الاوانی والالات والمتخذة من الرصاص
والحدید وغیر ذلک من الفلزات زبد خبث مثله مثل ما ذکر من زبد الماء فی کونه رابیا فوقه فقوله
زبد مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائیة دالة علی مجرد کونه مبتدا وناشئا منه لا تبعیضیة معربة
عن کونه بعضا منه کما قیل لاخلال ذلک بالتمثیل وفی التعبیر عن ذلک بالموصول والتعرض لما فی خبر الصلة

من إیقاد النار علیه جری علی سنن الکبریاء باظهار التهاون به کما فی قوله تعالی فاوقد لی یا هامان علی الطین
واشارة الی کیفیة حصول الزبد منه بذوبانه وفی زیادة فی النار اشعار بالمبالغة فی الاعتمال للاذابة
وحصول الزبد کما اشیر الیه وعدم تعرض لاخراجه من الارض لعدم دخل ذلک العنوان فی التمثیل کما ان
العنوان انزال الماء من السماء دخلا فیه حسبما فصل فیما سلف بل له اخلال بذلک کذلک ای مثل ذلک
الضرب البدیع المشتمل علی نکتة رائقة یضرب الله الحق والباطل ای مثل الحق ومثل الباطل والحذف
للانباء کما تماثل بین الممثل والممثل به کان المثل المضروب عین الحق والباطل وبعد تحقیق التمثیل مع الایماء
فی تضاعیف ذلک الی وجوه المماثلة مع ابدع وجوه وانفعها حسبما اشیر الیه فهو موافقها بین عاقبة
کل من المثلین علی وجه التمثیل مع التصریح ببعض ما به المماثلة من الذهاب والبقاء تتمة للغرض من التمثیل
من الحث علی اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل فقیل فاما الزبد من منهما فیذهب
جفاء ای مرمیا به وقرئ جفالا والمعنی واحد واما ما ینفع الناس منهما کالماء الصافی والفلز الخالص
فیمکث فی الارض واما الماء فیثبت بعضه فی منافعه ویسلک بعضه فی عروض الارض الی العیون
والقناة والانهار واما الفلز فیصاغ من بعضه انواع الحلی ویتخذ من بعضه اصناف الالات والادوات
فینتفع بکل من ذلک انواع الانتفاعات مدة طویلة فالمراد بالمکث فی الارض ما هو اعم من المکث فی
نفسها ومن البقاء فی ایدی المتقلبین فیها وتغییر ترتیب اللف الواقع فی القذلکة الموافق للترتیب الواقع فی
التمثیل لمراعاة الملائمة بین حالتی الذهاب والبقاء وبین ذکرهما فان المعتبر انما هو بقاء الباقی بعد
ذهاب الذاهب لا قبله کذلک یضرب الله ای مثل ذلک الضرب العجیب یضرب الامثال فی کل باب
اظهارا لکمال اللطف والعنایة فی الارشاد والهدایة وفیه تفخیم لشان هذا التمثیل وتاکید لقوله کذلک
یضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا علی التمثیل الاول او بجعل ذلک اشارة الیهما جمیعا
وبعد ما بین شان کل من الحق والباطل حالا ومالا اکمل بیان شرع فی بیان حال کل منهما ما لا تکمیلا للدعوة
ترغیبا وترهیبا فقیل للذین استجابوا لربهم اذ دعاهم الی الحق بفنون الدعوة التی من جملتها ضرب
الامثال فانه الطف ذریعة الی تفهیم القلوب الغبیة واقوی وسیلة الی تسخیر النفوس الابیة وابراز لا
والد المعاصی فی هیئة المانوس فای دعوة اولی منه فی الاستجابة والقبول الحسنی ای المثوبة الحسنی وهی
والذین لم یستجیبوا له وعاندوا الحق الجلی لو ان لهم ما فی الارض من اصناف الاموال جمیعا بحیث
لم یشذ منه شاذ فی اقطارها او مجموعا غیر متفرق بحسب الازمان ومثله معه لافتدوا به
ای بما فی الارض ومثله معه جمیعا لیتخلصوا عما بهم وفیه من تهویل ما یلقاهم ما لا یحیط به البیان
فالموصول مبتداء والشرطیة کما فی خبره لکن لا علی انها وضعت موضع السوی فوقعت فی مقابلة
الحسنی الواقعة فی القرینة الاولی لمراعاة حسن المقابلة فصار کانه قیل وللذین لم یستجیبوا له
السوی کما توهم فان الشرطیة وان دلت علی کمال سوء حالهم لکنها بمعزل من القیام مقام لفظ السوی مصحوبا
باللام الداخلة علی الموصول او ضمیره وعلیه یدور حصول المرام وانما الواقع فی تلک المقابلة سوء الحساب

في قوله تعالى **اولئك لهم سوء الحساب** وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتداء في هذه الجملة عبارة
عن المؤل الواقع مبتداء في الجملة السابقة كان خبرها اعنى الجملة الظرفية خبرا عن الموصول في الحقيقة
ومبيّنا لابهام مضمون الشرطيّة الواقعة خبرا عنه اوّلا ولذلك العطف فصار كانه قيل في الذين
لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب وذلك في قوة ان يقال وللذين لم يستجيبوا له سوء الحساب
مع زيادة تاكيد فتمّ حسن المقابلة على ابلغ وجه واكده ثم بيّن مؤدّى ذلك فقيل **وماويهم** اى
مرجعهم **جهنّم** وفيه نوع تاكيد لتفسير الحسنى بالجنه **وبئس المهاد** اى المستقرّ والمخصوص بالذم
محذوف وقيل اللام في قوله للذين استجابوا الاستجابوا الحسنى لربهم متعلقة بقوله يضرب الامثال
السالفة وقوله الحسنى صفة للمصدر اى استجابوا الاستجابوا الحسنى وقوله والذين لم يستجيبوا له معطوف
على الموصول الاوّل وقوله ان لهم الخ كلام مستانف مسوق لبيان ما اعدّ لغير المستجيبين من العذاب
والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين المستجيبين والكافرين المعاندين اى هما مثلا الفريقين
وانت خبير بان عنوان الاستجابة وعدمها لامناسبة بينه وبين ما يدور عليه امر التمثيل وان
الاستعمال المستفيض دخول اللام على من يقصد تذكره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في
قوله سبحانه ضرب الله مثلا للذين امنوا امراة فرعون ونظائره على ان بعض الامثال المضروبة لاسيما
المثل الاخير الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين للحق والباطل ولامساغ لجعل الفريقين مضروبا
لهم ايضا بان يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس اذ الاوجه لتنويعهم الى المستجيبين
وغير المستجيبين فتامل **افمن يعلم انما انزل اليك من ربك** من القران الذى مثل بالماء المنزل من
السماء والابريز الخالص في المنفعة والجدوى **الحقّ** الذى لا حق وراءه والحق الذى اشير اليه بالامثال
المضروبة فيستجيب له **كمن هو اعمى** عمى القلب لا يشاهده وهو نار على علم ولا يقدر قدره وهو في اقصى
مراتب العلوّ والعظم فيبقى حاير في ظلمات الجهل وغياهب الضّلال او لا يتذكر بما ضرب من الامثال
اى كمن لا يعلم ذلك الا انه اريد زيادة تقبيح حاله فعبّر عنه بالاعمى وايراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه
الانكار الى ترتب توهّم المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الامثال وبين المصير والمال كانه
قيل ابعد ما بيّن حال كلّ من الفريقين وما لهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استونف فقيل **انما يتذكّر** بما
ذكر من المذكرات فيقف على ما بينهما من التفاوت والتنائى **اولوا الالباب** اى العقول الخالصة
المبراة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم **الذين يوفون بعهد الله** بما عقدوا على انفسهم من
الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى وما عهد الله عليهم في كتبه **ولا ينقضون الميثاق** ما وثقوه
على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد
تخصيص وفيه تاكيد للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل **والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل**
من الرحم وموالات المؤمنين والايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق من غير تفريق بين احد منهم ويندرج
فيه مراعات جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق بهم من الهرة والدجاج **ويخشون ربهم**

خشية

خشية جلال وهيبة ورهبة فلا يعصونه في امره به **ويخافون سوء الحساب** فيحاسبون انفسهم قبل ان
يحاسبون وفيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قيل **والذين صبروا** على كل ما يكرهه النفس
من الافعال والتروك **ابتغاء وجه ربهم** طلبا لرضاه خاصة من غير ان ينتظروا الى جانب الخلق
رياء اوسمعة والا الى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه المذكور ملاك الامر في كل
ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة على صيغة الماضي اعتناء بشانه ودلالة على وجوب تحققه فان
ذلك لابد منه امّا في انفس الصلات كما في الاولى والرابعة والخامسة او في اظهار احكامها في
الصلات الثلث المذكورات فانها وان استغنت عن الصبر في انفسها حيث لا مشقة على النفس في
الاعتراف بالربوبيّة والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجري على موجبها غير خال عن الاحتياج
اليه **واقاموا الصّلوة** المفروضة **وانفقوا ممّا رزقناهم** اى بعضه الذى يجب عليهم انفاقه
سرًّا لمن يعرف بالمال ولمن لا يتهم بترك الزكوة او عند انفاقه واعطائه من يمنعه المروه من اخذه
ظاهرا **وعلانية** لم يكن كما ذكروا الاوّل في التطوع والثّاني في الفرض **ويدرؤن بالحسنة السّيّئة**
اى يجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة فيمحوها عن ابن عبّاس رضي يدفعون بالحسن
من الكلام ما يرد عليهم من سئ غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا
وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا راوا منكرا امروا بتغيير وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار
كمال العناية بالحسنة **اولئك** المنعوتون بالنعوت الجليلة والملكات الجميلة وهو مبتداء خبره الجملة
الظرفيّة اعنى قوله **لهم عقبى الدّار** اى عقبى الدنيا وما ينبغي ان يكون مال امر اهلها وهي الجنه
وقيل الجار والمجرور خبر لاولئك وعقبى الدّار فاعل الاستقرار واياما كان فليس فيه قصر حتى يرد
ان بعض ما في حيز الصّلة ليس من العزايم التى يخل اخلالها بالوصول الى حسن العاقبة والجملة للموصولات
المتعاطفة او استيناف لبيان ما استوجبوا بتلك الصّفات اى جعلت الموصولات المتعاطفة صفات
لاولى الالباب على طريق المدح من غير ان يقصد ان يكون للصّلات المذكورة مدخل في التذكر **جنّات
عدن** بدل من عقبى الدّار ومبتداء خبره **يدخلونها** والعدن الاقامة ثم صار علما للجنة من الجنان
اى جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنّة **ومن صلح من ابائهم** جمع ابوى كل واحد منهم فكانه
قيل من ابائهم وامّهاتهم **وازواجهم وذرّيّاتهم** وهو عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ ذلك
للفصل بالضمير الاخير او مفعول معه والمعنى انّه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان يبلغ مبلغ فضلهم
تبعا لهم تعظيما لشانهم وهو دليل على ان الدّرجه تعلو بالشفاعة وان الموصوف بتلك الصّفات
يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنّة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصّلاح
قطع للاطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد حبل الانساب **والملئكة يدخلون عليهم من كلّ باب**
من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف قائلين **سلام عليكم** بشارة لهم بدوام السّلامة
بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذه الكرامة العظمى **بما صبرتم** اى بسبب صبركم او بدل

ما احتملم من ميثاق ومتاعبه والمعنى لئن نعيتم فى الدنيا لقد استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بما ذكر من بين
الصلات السابقة لما قدمناه من ان له دخلا فى كل منها وانى شيئا منها لا يعتد به الا بان يكون لابتغاء وجه
الرب تعالى وتقدس **فنعم عقبى الدار** اى فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والاصل نعم
بسكون العين بنقل حركتها الى النون تارة وبدونه اخرى وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يأتى
قبور الشهداء على راس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفاء الاربع
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين **الذين ينقضون عهد الله** اريد بهم من يقابل الاولين ويعاندهم
فى الاتصاف بنقائص صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه من الاعتراف والقبول **ويقطعون**
ما امر الله به ان يوصل من الايمان بجميع الانبياء المجمعين على الحق حيث يؤمنون ببعضهم ويكفرون
ببعضهم ومن حقوق الارحام والموالات المومنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الامور
المعدودة فيما سلف وانما لم يتعرض لنفى الخشية والخوف عنهم صريحا لدلالة النقض والقطع على ذلك
واما عدم التعرض لنفى الصبر المذكور فلانه انما اعتبر تحققه فى ضمن الحسنات المعدودة لسمن معدا
بهن فلا وجه لنفيه عمن بينه وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا وجه لنفى الصلوة والزكوة ممن لا يحوم
حول اهل الايمان بالله تعالى فضلا عن فروع الشرايع وان اريد بالانفاق التطوع ففيه مندرج تحت
قطع ما امر الله تعالى بوصله واما دراء السيئة بالحسنة فانتفائه عنهم ظاهر مما سبق ويحق فان من يجازى
احسانه عز وجل بنقض العهد ومخالفة الامر ويباشر الفساد بدا حسبما يحكيه قوله عز وجل **ويفسدون**
فى الارض اى بالظلم وتهييج الفتن وكيف يتصور منه مجازات الاساءة بالاحسان على ان ذلك
يشعر بان له وخلاف الافضاء الى العقوبة التى ينبئ عنها قوله تعالى **اولئك** الخ اى اولئك الموفون بما
ذكر من القبائح **لهم** بسبب ذلك **اللعنة** اى الابعاد من رحمة الله تعالى **ولهم** مع ذلك **سوء الدار**
اى سوء عاقبة الدار وعذاب جهنم فانها دارهم لان ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة
ولا يخفى انه لا دخل له فى ذلك على اكثر التفاسير فان مجازات السيئة بمثلها ماذون فيها ودفع الكلام
التى بالحسن وكذا الاعطاء عند المنع والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يورث تركه تبعة واما
ما اعتبر اندراجه تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا خير فى ذلك لان اعتباره
من حيث انه من مستتبعات الاخلال بالعزائم بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك ساير
الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتاكيد والايذان باختلافهما واستقلال كل منهما فى الثبوت **الله يبسط**
الرزق اى يوسعه **لمن يشاء** من عباده **ويقدر** اى يضيقه على من يشاء حسبما يقتضيه الحكمة من
غير ان يكون له مدخل فى ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسط للكافر املاء واستدراجا وربما يضيقه
على المؤمن زيادة لاجره فلا تغتر ببسط الكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن **وفرحوا** اى اهل مكة فرح اشر
وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى **بالحيوة الدنيا** وما بسط لهم فيها من نعيمها **وما الحيوة الدنيا** وما تبعها
من النعيم **فى الآخرة** فى جنب نعيم الآخرة **الا متاع** الا شئ يسير يتمتع به كعجالة الراكب وزاد الراعى

والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الآخرة والحال ان ما اشروا به فى جنب ما اعرضوا عنه شئ قليل
النفع سريع النفاد **ويقول الذين كفروا** اى اهل مكة وايثار هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم
عقيب ذكر فرحهم بالحيوة الدنيا لذمهم والتسجيل عليهم بالكفر فيما حكى عنهم من قولهم **لولا انزل**
عليه اية من ربه فان ذلك من اقصى مراتب المكابرة والعناد كان ما انزل عليه عليه السلام
من الايات العظام الباهرة ليس باية حتى اقترحوا ما يقتضيه الحكمة من الايات المحسوسة التى لا يبقى
لاحد بعد ذلك كافة بعدم القبول ولذلك امر فى الجواب بقوله تعالى **قل ان الله يضل من**
يشاء اضلاله مشية تابعة للحكمة الداعية اليها ان يخلق فيه الضلال لصرف اختياره الى تحصيله
ويدعه منهمكا فيه بعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد كمن كان على صفتكم فى المكابرة
والعناد وشدة الشكيمة والغلو فى الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل اية **ويهدى اليه**
الى جنابه العلى الكبير هداية موصولة لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص بالمهتدين
وفيه من تشريفهم ما لا يوصف **من اناب** اقبل الى الحق وتأمل فى تضاعيف ما نزل من دلائله
الواضحة وحقيقة الانابة الدخول فى نوبة الخير وايثار ايرادها فى الصلة على ايراد المشية كما فى الصلة
الاولى للتنبيه على الداعى الهداية بل الى مشيتها والاشعار بما دعا الى المشية الاولى من المكابرة وفيه
حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايثار صيغة الماضى للايماء الى استدعاء الهداية
لسابقة الانابة كما ان ايثار صيغة المضارع فى الصلة الاولى للدلالة على الاستمرار المشية حسب استمرار
مكابرتهم **الذين امنوا** بدل من اناب فان اريد بالهداية المستمرة فالامر ظاهر لظهور كون الايمان
مؤديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين امنوا الذين صار امرهم الى الايمان كما فى قوله تعالى هدى
للمتقين الصائرين الى التقوى والا فالايمان لا يؤدى الى الهداية نفسها او خبر مبتدأ محذوف اى هم الذين امنوا
او منصوب على المدح **وتطمئن قلوبهم** اى تستقر وتسكن بذكر الله بكلامه المعجز الذى لا ريب فيه كقوله
وَهٰذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ وقوله إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وانا له لحافظون ويعلمون ان لا اية اعظم
منه فيقترحوها والعدول الى صيغة المضارع لافادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الايات
وتعددها **الا بذكر الله** وحده **تطمئن القلوب** دون غيره من الامور التى يميل اليها النفوس من
الدنيا ذبات وهذا ظاهر اما ساير المعجزات فالقصر من حيث انها ليست فى افادة الطمانينة بالنسبة
الى من لم يشاهدها بمثابة القران المجيد فانه معجزة باقية الى يوم القيمة يشاهدها كل احد وتطمئن به
القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب وافئدتهم هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى
ولم يعدوه اية وهو اظهر الايات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق
والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او بذكر دلائله الدالة على وحدانيته
او بذكره جل وعلا وانسا به وتبتلا اليه فالمراد بالهداية دوامها واستمرارها **الذين امنوا وعملوا**
الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما رمز اليه اى قلوب الذين امنوا وفيه

ايماء الى ان الانسان انما هو القلب او مبتداء وخبره الجملة الدعائية على التاويل اعنى قوله طوبى لهم او
خبر مبتداء مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها الفعلان وطوبى مصدر من طاب كبشرى
و زلفى والواو منقلبه من الياء كموقن وموسر وقرئ مكوى الاعرابى طيبى بسلم الياء والمعنى اصابوا اخيرا و
محلها النصب كسلاما لك او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها فى معنى الدعاء كسلام عليك يدل
على ذلك القراءة قوله تعالى وحسن مآب بالنصب والرفع واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك
كذلك مثل ذلك الارسال العظيم الشان المصحوب بهذا المعجزة الباهرة ارسلناك فى امة قد خلت
اى مضت من قبلها امم كثيرة قد ارسل اليهم رسل لتتلوا لتقرا عليهم الذى اوحينا اليك
من الكتاب العظيم الشان وتهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل الابهام
ثم البيان كما فى قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما سيرد وحسن
قبولها له عند وروده عليها وهم اى والحال انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذى وسعت
كل شئ رحمته واحاطت به نعمته والعدول الى مظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث ان الارسال ناشئ
منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروا قدره ولم يشكروا نعمة لاسيما ما انعم
به بارسال مثلك اليهم وانزال القرآن الذى هو مدار المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت
فى مشركى مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو اى الرحمن الذى كفرتم به وانكرتم معرفته
ربى الرب فى الاصل بمعنى التربية وهى تبليغ الشئ الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف به مبالغة
كالصوم والعدل وقيل هو نعت اى خالقى ومبلغى الى مراتب الكمال وايراده قبل قوله لا اله
الا هو اى لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان الاستحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل
ان اباجهل سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعوا
الهين فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية عليه توكلت فى جميع امورى
لاسيما فى النصرة عليكم لا على احد سواه واليه خاصة متاب اى توبتى كقوله تعالى واستغفر
لذنبك امر عليه السلام بذلك انابة لفضل التوبة ومقدارها عند الله تعالى وانها صفة الانبياء
وبعثا للكفرة على الرجوع عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه عليه السلام حيث امر بها وهو منزه
عن شائبة اقتراف ما يوجبها من ذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصى مما
لا بد منه اصلا وقد فسر المتاب بمطلق الرجوع فقيل مرجعى ومرجعكم وزيد فيحكم بينى وبينكم وقد
قيل فيسى على مصابرتكم فتامل ولو ان قرآنا اى قرآنا ما وهو اسم ان والخبر قوله تعالى سيرت
به الجبال وجواب لو محذوف لانسياق الكلام اليه بحيث يلفعه السامع من التالى والمقصود
اما بيان عظم شان القرآن العظيم وفساد راى الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلى ولم يعدوه من
قبيل الآيات فاقترحوا غيره مما اوتى موسى وعيسى عليهما السلام واما بيان غلوهم فى المكابرة والعناد
وتماديهم فى الضلال والفساد فالمعنى على الاول لو ان قرآنا سيرت به الجبال اى بانزاله او بتلاوته

عليها وزعزعت عن مقارها كما فعل ذلك بالطور لموسى عليه السلام او قطعت به الارض اى شققت
وجعلت انهارا وعيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه او جعلت قطعا متصدعا او
كلم به الموتى اى بعد احيى بقراءته عليها كما احييت لعيسى عليه السلام لكان هذا القرآن لكونه
الغاية القصوى فى الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا
هذا القرآن على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله لا فى الاعجاز اذ لا مدخل له فى هذه
الآثار ولا فى التذكير والانذار والتخويف لاختصاصها بالعقلاء مع انه لا علاقة لها بتكليم الموتى
واعتبار فيض العقول اليها مخل بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور فى المواضع الثلثة على المرفوع
لما مر غير مرة من قصد الابهام ثم التفسير لزيادة التقرير لان بتقديم ما حقه التاخير تبقى النفس
مستشرفة ومترقبة الى المؤخر انه ما ذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة او فى الموضعين
للخلو لا لمنع الجمع واقتراحهم وان كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل العجيبة على يده
عليه السلام لا بظهورها بواسطة القرآن لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله فى زعمهم
على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة فى بيان اشتماله عليها وانه حقيق بان يكون مصدر الكل
خارق وابانة لركاكة رائهم فى شانه الرفيع كانه قيل لو ان ظهور ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة
لكان مظهرها هذا القرآن الذى لم يعدوه آية وفيه من تفخيم شانه العزيز ووصفهم بركاكة العقل
ما لا يخفى بل لله الامر جميعا اى له الامر الذى عليه يدور فلك الاكوان وجودا وعدما يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعوا اليه من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنه الشرطية من معنى النفى
لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه اى لو ان قرآنا فعل به ما ذكر لكان ذلك هذا
القرآن ولكن لم نفعل بل فعل ما عليه الشان الآن لان الامر كله له وحده فالاضراب ليس
بمتوجه الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يؤدى اليه ذلك من كون الشان على ما كان لما تقتضيه
الحكمة من بناء التكليف على الاختيار افلم ييأس الذين آمنوا اى افلم يعلموا على لغة هوازن
او قوم من النخع او على استعمال الناس بمعنى العلم المتضمنة له ويؤيده قراءة على وابن عباس وجماعة من
الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين افلم يتبين بطريق التفسير والفاء للعطف
على مقدر اى اغفلوا عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا ان لو يشاء الله على ضمير الشان
وتخفيف ان لهدى الناس جميعا باظهار امثال تلك الآثار العظيمة فالانكار متوجه الى المعطوفين
جميعا او علموا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه الى ترتب المعطوف
على المعطوف عليه اى تخلف العلم الثانى عن العلم الاول وعلى التقديرين فالانكار انكار الوقوع
كما فى قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا انكار الواقع كما فى قولك الم تخف الله حتى عصيته ثم ان
مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كانه
قيل الم يعلموا ان الله لو شاء هدايتهم لهداهم وانه لم يشاءها وذلك لانهم كانوا يودون ان يظهر

ما اقترحوا من الايات ليجتمعوا على الايمان وعلى الثانى لوان قرانا فعل به ما فصل من التعاجيب لما امنوا
به كقوله تعالى ولو نزلنا اليهم الملئكة وكلمهم الموتى الاية فالاضراب حينئذ متوجه الى ما سلف من
اقتراحهم مع كونهم فى العناد على ما شرح اى فليس ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان
شاء لم يات به حسبما يستدعيه داعية الحكمة من غير ان يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح واليأس بمعنى
القنوط اى لم يعلم الذين امنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من ايمانهم حتى احبوا ظهور مقترحاتهم
فالانكار متوجه الى المعطوفين او اعلموا ذلك فلم يقنطوا من ايمانهم فهو متوجه الى وقوع المعطوف عليه
اى الى تخلف القنوط عن العلم المذكور والانكار على التقديرين انكار الواقع كما فى قوله تعالى فلا تتقون
ونظائره لا انكار الوقوع فان عدم قنوطهم منه مما لا مرد له وقوله تعالى أفلا تتقون ان لو يشاء الله الخ
متعلق بمحذوف اى افلم ييئسوا من ايمانهم علما منهم او عالمين بانه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وانه
لم يشاء ذلك او بامنوا اى افلم يقنط الذين امنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييأس
من ايمانهم المؤمنين بمضمون الشرطية وبعد تحقق مقدمها المنفهم من مكابرتهم حسبما بحكيه كلمة لو قالوا
لوصف المذكور من دواعى انكار ياسهم وقيل ان اباجهل واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان كنت نبيا سير بقرائتك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا وتتخذ فيها البساتين والقطائع وقد سخرت لداود
فليست باهون على الله منه ان كنت نبيا كما زعمت او سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمن عليه السلام لنتجر
عليها الى الشام فقد شق علينا قطع الشقة البعيدة او ابعث لنا به رجلين او ثلثة ممن مات من ابنائنا
فنزلت فمعنى تقطيع الارض قطعها باليسر ولا حاجة الى الاعتذار فى اسناد الافاعيل المذكورة الى القران
كما احتيج اليه فى الوجهين الاولين وعن الفراء انه متعلق بما قبله من قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما
اعتراض وهو بالحقيقة دال على الجواب والتقدير ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض
او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير فى كلم به الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره **ولا يزال الذين**
كفروا من اهل مكة **تصيبهم بما صنعوا** اى بسبب ما صنعوا الامن الكفر والتمادى فيه وعدم بيانه اما
للقصد الى تهويله او استهجانه وهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على الموصول من علية الصلة له مع ما فى
صيغة الصنع من الايذان برسوخهم فى ذلك **قارعة** واهبة تقرعهم وتقلقهم وهو ما كان نصيبهم
من انواع البلايا والمصايب من القتل والاسر والنهب والسلب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا
من ارادة التفسير اثر الابهام لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من بيان ان مدار الاصابة من
جهتهم اثر ذى اثير **او تحل** تلك القارعة **قريبا** اى مكانا قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم
شرارها شبهت القارعة بالعدو المتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة تارة والحلول اخرى ففيه استعارة
بالكناية وتخييل وترشيح **حتى ياتى وعد الله** اى موتهم او القيامة فان كلا منهما وعد محتوم الاهل
له وفيه دلالة على ان ما يصيبهم عند ذلك من العذاب فى غاية الشدة وان ما ذكر سابقا معه يسيره
بالنسبة اليه ثم حقق ذلك بقوله تعالى **ان الله لا يخلف الميعاد** اى الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى

الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس رضى الله عنهما اراد بالقارعة السرايا التى
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعثها وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويف بالهجوم عليهم فى ديارهم
فالاصابة والحلول من احوالهم ويجوز على هذا ان يكون قوله تعالى او تحل قريبا من دارهم خطابا للرسول
صلى الله عليه وسلم مرادا به حلوله الحديبية والمراد بوعد الله ما وعد به من فتح مكة **ولقد استهزئ**
برسل كثيرة خلت **من قبلك فامليت للذين كفروا** اى تركتهم ملاوة من الزمان فى امن ودعة
كما على للبهيمة فى المرعى وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقى من المشركين من التكذيب والاقتراح
على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر مطرد قد فعل ذلك
برسل كثيرة كائنة من قبلك فاهلت الذين فعلوه به والعدول فى الصلة الى وصف الكفر ليس لان المحل
لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين الوصفين اى فاهليت للذين كفروا مع استهزائهم لا باستهزائهم
فقط **ثم اخذتهم فكيف كان عقاب** اى عقابى اياهم وفيه من الدلالة على تناهى كيفيته فى الشهرة
والفظاعة ما لا يخفى **افمن هو قائم** اى رقيب مهيمن **على كل نفس بما كسبت** كائنة من كانت **بما كسبت**
من خير او شر لا يخفى عليه شئ من ذلك بل يجازى كلا بعمله وهو الله سبحانه والخبر محذوف اى كمن ليس
كذلك انكار لذلك وادخال الفا لتوجه الانكار الى توهم المماثلة عقيب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين
من الاملاء المديد والاخذ الشديد ومن كون الامر كله تعالى وكون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته
تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة الى ان ياتى وعد الله كانه قيل الامر كذلك فمن هذا شانه كما ليس
فى عداد الاشياء حتى تشركوه به فالانكار متوجه الى ترتب المعطوف اعنى توهم المماثلة على المعطوف عليه
المقدر اعنى كون الامر كما ذكر فى قولك اتعلم الحق فلا تعمل به لا الى المعطوفين جميعا كما اذا قلت الا تعلمه
فلا تعمل به وقوله تعالى **وجعلوا لله شركاء** جملة مستقلة جئ بها للدلالة على الخبر او حالية اى افمن
هذه صفاته كما ليس كذلك او افمن هذا شانه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع المضمر
للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما وللتنبيه على استحقاق العبادة مع ما فيه من البيان بعد الابهام
بايراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله تعالى **قل سموهم** تبكيت لهم اثر تبكيت اى سموهم من هم
وماذا اسماؤهم او صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون الشركة **ام تنبئونه**
اى بل اتنبئون الله **بما لا يعلم فى الارض** اى بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم الله تعالى ولا يعزب
عنه مثقال ذرة فى السموات والارض وقرئ بالتخفيف **ام بظاهر من القول** بل اتسمونهم
بشركاء بظاهر من القول من غير ان يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجى كافورا كقوله تعالى ذلك
قولهم بافواههم وهاتيك الاساليب البديعة التى ورد عليها الاية الكريمة منادية على انها خارجة
من قدرة البشر من كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين **بل زين للذين كفروا**
وضع الموصول موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر **مكرهم** تمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام
بشركهم **وصدوا عن السبيل** اى سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها

وقرئ بفتحها اى صدوا الناس او من صد صدودًا ومن يضلل الله اى يخلق فيه الضلال بسوء اختياره
او يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب شاق فى الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وسائر
ما يصيبهم من المصائب فانها انما يصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب الآخرة اشق من ذلك بالشدة والمدة
وما لهم من الله من عذابه المذكورين من واق من حافظ يعصمهم من ذلك من الاولى صلة للوقاية
والثانية مزيدة للتاكيد مثل الجنة اى صفتها العجيبة الشان التى فى الغرابة كالمثل التى وعد المتقون
عن الكفر والمعاصى وهو مبتداء خبره محذوف عند سيبويه اى فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله تعالى
تجرى من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير المحذوف من الصلة العائد الى الجنة
اى وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شان زيد يأتيه الناس ويعظمونه او حذف محذوف اى مثل الجنة
جنة تجرى اه أكلها ثمرها دائم لا ينقطع وظلها ايضا كذلك لا تنسخه الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا تلك
اى الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا اى الكفر والمعاصى ومالهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين
النار لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين والذين آتيناهم الكتاب اى المسلمون
من اهل الكتاب كعبد الله ابن سلام وكعب واضرابهما ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون
بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود فى التورية
والانجيل ومن الاحزاب اى من احزابهم وهو كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة
نحو كعب بن الاشرف والسيد والعاقب اسقفى نجران واتباعهما من ينكر بعضه وهو الشرائع الحادثة
انشاء او نسخا لا ما يوافق ما حرفوه والا لنعى عليهم من اول الامر ان مدار ذلك انما هو جنايات ايديهم
واما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم فانهم ايضا يفرحون
به لكونه مصدقا لكتبهم فى الجملة فح يكون قوله تعالى ومن الاحزاب اه تتمة بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر
بعضه قل الزاما لهم وردًا لانكارهم انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اى شيئا من الاشياء او لا افعل
الاشراك به والمراد قصر الامر بالعبادة على الله لا قصر الامر مطلقا على عبادته خاصة اى قل لهم انما امرت
فيما انزل الى بعبادة الله وتوحيده وظاهر ان لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك
كقوله تعالى قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا
فما لكم تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشركُ به بالرفع على الاستيناف اى وانا لا اشرك به اليه الى الله
تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد ادعوا الناس لا الى غيره او لا
الى شئ آخر مما لم يطبق عليه الكتب الالهية والانبياء عليهم السلام فما وجه انكارهم واليه الى الله تعالى وحده
مآب مرجعى للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امر عليه السلام بان
يخاطبهم بذلك الزامًا وتبكيتا لهم ثم شرع فى رد انكارهم لفروع الشرائع الواردة ابتداء او بدلا من الشرائع
المنسوخة ببيان الحكمة فى ذلك فقيل وكذلك انزلناه اى ما انزل اليك وذلك اشارة الى مصدر انزلنا
او انزل اليك ومحله النصب على المصدرية اى مثل ذلك الانزال البديع المنتظم لاصول مجمع عليها وفروع

منتشعبة اى مخالفة وموافقة حسبما يقتضيه قضية الحكمة والمصلحة انزلناه حُكْمًا حاكما يحكم فى القضايا
والواقعات بالحق او يحكم به كذلك والتعرض لذلك العنوان مع ان بعضه ليس بحكم لتربية وجوب
مراعاته وتحتم المحافظة عليه عربيا مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك اشارة الى ان ذلك احدى
مواد المخالفة للكتب السابقة مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على
اشتمال الانزال على اصول الديانات المجمع عليها حسبما يفيده قوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الخ
يأباه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وانه لكل اجل كتاب فان المجمع عليها لا يتصور
فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم التى يدعونك اليها من تقرير الامور المخالفة لما انزل
اليك من الحق كالصلوة الى بيت المقدس بعد التحويل بعد ما جاءك من العلم العظيم الشان الفائض من
ذلك الحكم العربى او العلم بمضمونه ما لك من الله من جنابه العزيز والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد
الاسم الجليل لتربية المهابة قال الزهرى لا يكون الها حتى يكون معبودا وحتى يكون خالقا ورازقا ومدبرا
من ولى يلى امرك وينصرك على من يبغيك الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم
يستلزم نفى الناصر على العدو نفى الواقى من نكايته ادخل على المعطوف حرف النفى للتاكيد كقولك ما لى
دينار ولا درهم او ما لك من باس الله من ناصر وواق لاتباعك اهواءهم وامثال هاتيك القوارع انما هى
لقطع اطماع الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات فى الدين واللام فى لئن موطئة للقسم ولقد ارسلنا رسلا
كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا كما جعلناها لك وهو رد لما كانوا
يعيبونه صلى الله عليه وسلم بالزواج والولادة كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول ياكل الطعام الخ وما
كان لرسول منهم اى ما صح وما استقام ولم يكن فى وسعه ان يأتى بآية مما اقترح عليه مما
التمس منه الا باذن الله ومشيته للتنبيه على الحكم والمصالح التى عليها يدور امر الكائنات لا سيما
مثل هذه الامور العظام والالتفات لما قدمناه ولتحقيق مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل
اى لكل مدة ووقت من المدد والاوقات كتاب حكم معين يكتب على العباد حسبما يقتضيه الحكمة
فان الشرائع كلها لاصلاح احوالهم فى المبدأ والمعاد وقضية ذلك ان يختلف حسب اختلاف احوالهم
المتغيرة بحسب تغير الاوقات كاختلاف احوال المرضى بحسب الاوقات يمحوا الله ما يشاء اى
ينسخ ما يشاء نسخه من الاحكام لما يقتضيه الحكمة بحسب الوقت ويثبت بدله ما فيه المصلحة او يبقيه
على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء او يمحو من ديوان الحفظة
الذين ديدنهم كتبة كل قول وعمل ما لا يتعلق به الجزاء ويثبت الباقى او يمحو سيئات التائب ويثبت
مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت آخرين او يمحو الفاسدات من العالم الجسمانى ويثبت الكائنات او
يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو الاجل والسعادة والشقاوة وبه قال ابن عمر وابن مسعود رض والقائلون به
يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا رواه جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم والانسب
تعميم كل من المحو والاثبات يشمل الكل ويدخل فى ذلك مواد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد

وعنده امّ الكتاب اى اصله وهو اللوح المحفوظ اذ مامن شئ من الذاهب والثابت الّا وهو مكتوب
فيه كما هو واما نرينّك اصله ان نرك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمه الحقت النون بالفعل
بعض الّذى نعدهم اى وعدناهم من ازال العذاب عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية
الحال الماضية او نعدهم وعدا متجدّدا حسب ما يقتضيه الحكمة من انذار غب انذار وفى ايراد البعض
رمز الى رادة بعض الموعود او نتوفينّك قبل ذلك فانّما عليك البلاغ اى تبليغ احكام الرسالة
بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد الّذى من جملتها وعلينا لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم
السيّئة والمواخذة بها اى كيفما دارت الحال اريناك بعض ما وعدهم من العذاب الدّنيوى او لم نركه
فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ الرّسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر
ولا يضجرك تاخره فان ذلك لما نعلم من المصالح الخفيّة ثمّ طيّب عليه السّلام بطلوع تباشير فقال اولم
يروا استفهام انكارى والواو للعطف على مقدّر يقتضيه المقام اى انكروا نزول ما وعدناهم او اشكوا
او لم ينظروا فى ذلك ولم يروا انّا ناتى الارض اى ارض الكفر ننقصها من اطرافها بان نفتحها
على المسلمين شيأ فشيأ قوله عز سلطانه افلا يرون انا ناتى الارض ننقصها نلحقها بدار الاسلام ونذهب
منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من ذلك ومثله قوله عز سلطانه افلا يرون انا ناتى
الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل ناتى او من مفعوله وقرئ بالتشديد
وفى لفظ الاتيان المؤذن بالاستواء المحتوم الاستيلاء العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما فى قوله عز وجل
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والله يحكم ما يشاء كما يشاء وقد حكم الاسلام بالعزة
والاقبال وعلى الكفر بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخائل والآثار وفى الالتفات من التكلم الى
الغيبة وبناء الحكم الى الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة
الى العلة ما لا يخفى وهى جملة اعتراضية جئ بها للتاكيد فحوى ما تقدمها قوله تعالى لا معقّب لحكمه اعتراض فى
اعتراض لبيان علوّ شان حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحاليّة كانّه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاء
زيد لا عمامة على راسه اى حاسرا والمعقب من يكرّ على الشئ فيبطله وحقيقته من يعقبه ويقفيه بالرد و
الابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب له لانه يقفى غريمه بالاقتضاء والطّلب وهو سريع الحساب
فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم فى الآخرة بافانين العذاب غبّما عذّبهم بالقتل والاسر والاجلاء حسبما يرى وقال
ابن عبّاس رضى الله عنهما سريع الانتقام قد مكر الكفّار الّذين خلوا من قبلهم من قبل كفّار مكّة
بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانّه لا عبرة بمكرهم ولا تاثير
بل لا وجود له فى الحقيقة ولم يصرح بذلك اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله اعنى قوله تعالى فللّه المكر
اى جنس المكر جميعًا لا وجود لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث
كان جميع ما ياتون وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرّد الكسب من غير فعل ولا تاثير حسبما
بيّنه قوله عز وجل يعلم ما تكسب كلّ نفس ومن قضيّة عصمة اوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية

لكلّ نفس جزاء ما تكسبه ظهر ان ليس لمكرهم بالنسبة الى من مكروا بهم عين ولا اثر وان الامر كله لله تعالى يؤاخذهم
بما كسبوا من فنون المعاصى التى من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او لله المكر الّذى باشروه جميعًا
لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبياء بل هو بعينه مكر من الله تعالى بهم لا يشعرون حيث لا يحيق
المكر السّئ الّا باهله وسيعلم الكفّار حين يقضى بمقتضى علمه فيوفى كلّ نفس جزاء ما تكسبه لمن عقبى الدّار
اى العاقبة الحميدة من الفريقين وان جهلوا ذلك يومئذ وقيل السّين لتاكيد وقوع ذلك وعلمهم
به وقرئ سيعلم الكافر على رادة الجنس والكافرون والكفراء اهله والذين كفروا وسيعلم على صيغة
المجهول من الاعلام اى سيخبر ويقول الّذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤساء اليهود على تجدّد
ذلك واستمراره منهم قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم فانه قد اظهر على رسالتى من الحجج القاطعة
والبيّنات السّاطعة ما فيه مندوحة عن شهادة شاهد آخر ومن عنده علم الكتاب اى اهل القرآن
وما عليه من النظم المعجز او من هو من علماء علم الكتاب الذين اسلموا لانّهم يشهدون بنعته عليه السّلام
فى كتبهم والآية مدنية بالاتفاق او من عنده علم اللّوح المحفوظ وهو الله سبحانه اى كفى شاهدا بيننا بالّذى
يستحق العبادة فانه قد شحن كتابه بالدعوة الى عبادته وايدنى بانواع التّاييد وبالّذى يختصّ بعلم
ما فى اللّوح من الاشياء الكائنة التى من جملتها رسالتى وقرئ من عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاوّل
مرتفع بالظّرف المعتمد على الموصول او مبتداء خبره الظّرف ومتعيّن على الثّانى ومن عنده علم الكتاب
بالكسر وبناء المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرّعد اعطى من
الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب يكون الى يوم القيمة من الموفين بعهد الله عز وجل والله اعلم

سورة ابرهيم خمسون واربع ايات مكية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الر الكلام فيه وفى محله غير مرّة وقوله تعالى كتاب خبر له على تقدير كونه مبتداء وللمبتداء مضمر
على تقدير كونه خبر المبتداء محذوف او مسرودا على نمط التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا
المبتداء المحذوف وقوله تعالى انزلناه اليك صفة له وقوله تعالى لتخرج النّاس متعلق بانزلناه
اى لتخرجهم كافة بما فى تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه من عند الله عز وجل الكاشفة
عن العقايد الحقة وقرئ ليخرج به النّاس من الظّلمات من عقائد الكفر والضّلال التى كلها ظلمات
محتضة وجهالات صرفة الى النّور الى الحق الّذى هو نور بحت لكن لا كيف ما كان فانك لا تهدى من
احببت باذن ربّهم اى بتيسيره وتوفيقه وللانباء عن كون ذلك منوطا باقبالهم الى الحق كلّما
يفصح عنه قوله تعالى ويهدى اليه من اناب استعير له الاذن الذى هو عبارة عن تسهيل الحجاب
لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية الّتى هى عبارة عن تبليغ الشئ
الى كماله المتوجّه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الانزال لاخراجهم
جميعًا وعدم تحقق الاذن بالفعل فى بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سوء اختيارهم غير مخلّ بذلك

والباء متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اى ملتبسين باذن ربهم وجعله حالا من فاعله يا باه اضافة
الرب اليهم لا اليه وحيث كان الحق مع وضوحه فى نفسه وايضاحه لغيره موصولا الى الله عز وجل استعير
له النور تارة والصراط اخرى وقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه الابدال بتكرير العامل كما فى
قوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم واخلال البدل والبيان بالاستعارة انما هو فى الحقيقة لا فى
المجاز كما فى قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل هو استيناف
مبنى على سؤال كانه قيل الى اى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد واضافة الصراط اليه تعالى لانه مقصد
او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب فى سلوكه ببيان ما فيه من الامن والعاقبة الحميدة الله
بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة للاختصاص بالمعبود بالحق كالنجم فى الثريا
وقرئ بالرفع على هو الله اى العزيز الحميد الذى اضيف اليه الصراط الذى له ملكا وملكا
ما فى السموات وما فى الارض اى ما وجد فيهما داخلا فيهما او خارجا عنهما متمكنا فيهما كما مر فى آية الكرسى
ففيه على القراءتين بيان لكمال فخامة شان الصراط واظهار لتحتم سلوكه على الناس قاطبة وتجويز الرفع
على الابتداء بجعل الموصول خبرا منساه الغفول عن هذه النكتة وقوله عز وجل وويل للكافرين
وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور بالقيل وهو نقيض الوال وهو النجاة واصله
النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك من عذاب الشديد متعلق
بويل على معنى يولولون ويضجون منه قائلين يا ويلاه كقوله تعالى دعوا هنالك ثبورا الذين
يستحبون الحيوة الدنيا اى يوثرونها استفعال من المحبة فان الموثر للشئ على غيره كانه يطلب
من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الآخرة اى الحيوة الآخرة الابدية ويصدون
الناس عن سبيل الله التى بين شاءتها والاقتصار على الاضافة الى الاسم الجليل المنطوى على كل
وصف جميل لزوم الاختصار وهو من صده صدا وقرئ يصدون من اصد المنقول من صد صدودا
اذا نكب وهو غير فصيح كاوقف فان فى صده وقفه لمندوحة عن تكلف النقل ويبغونها اى
يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اى يطلبون لها عوجا اى زيغا واعوجاجا وهى ابعد
شئ من ذلك اى يقولون لمن يريدون صده واضلاله انها سبيل ناكبة وزائغة غير مستقيمة ومحل
موصول هذه الصلات الجر على انه بدل من الكافرين او صفة له فيعبر كل وصف من اوصافهم
بازاء ما يناسبه من المعانى المعتبرة فى الصراط فالكفر المبنى عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحيوة
الدنيا الفانية المفصحة عن وخامة العاقبة بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء
كونه مامونا وفيه من الدلالة على تماديهم فى الغى ما لا يخفى او النصب على الذم او الرفع على الابتداء
والخبر قوله تعالى اولئك فى ضلال بعيد وعلى الاول جملة مستانفة وقعت معللة لما سبق من لحوق
الويل بهم تاكيدا لما اشعر به بناء الحكم على الموصول اى اولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة من
استحباب الحيوة الدنيا على الآخرة وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووضعها بالاعوجاج وهى منه

٥٤٠

بنزه فى ضلال عن طريق الحق بعيد بالغ فى ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال
الضال الا انه قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهياء ويجوز ان يكون المعنى فى
ضلال ذى بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا او فى جعل
الضلال محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وما ارسلنا اى فى الامم الخالية من قبلك
كما سيذكر اجمالا من رسول الا ملتبسا بلسان قومه متكلما بلغة من ارسل اليهم من الامم المتفقة
على لغة سواء بعث فيهم اولا وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش وبلسن بضمتين وضم وسكون
كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى الترجمة
ممن له يؤمر به وحيث لم يكن مراعات هذه القاعدة فى شان سيدنا صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم اجمعين
لعموم بعثة الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل اليه حسبما تعدد السنة
الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدى التحريف مع ان استقلال بعض من ذلك بالاعجاز
دون غيره مئنة لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر قريب من الالجاء وحصل البيان بالترجمة
والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المبنى عن العزة وجلالة الشان المستتبع لفوائد غنية عن البيان
على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا بد لكل امة من معرفة توافق الكل وتحاذيه
حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو فى خصلة فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا او متعددا
وفيه من التعذر ما لا يخفى ثم لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته عليه السلام قومه الذين
بعث فيهم ولغتهم افضل اللغات نزل الكتاب المبين بلسان عربى مبين وانتشرت احكامه فيما بين الامم
اجمعين وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبرئيل
عليه السلام او كل من نزل عليه من الانبياء عليهم السلام بلغة من نزل عليهم ويرده قوله تعالى
ليبين لهم فانه ضمير القوم وظاهر ان جميع الكتب لم ينزل لتبيين العرب وفى رجعه الى قوم كل نبى كانه
قيل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قوم محمد عليه السلام ليبين الرسول لقومه الذين ارسل اليهم
ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اى يخلق فيه الضلال بمباشرة اسبابه المودية
اليه او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدى بالتوفيق ومنح الالطاف
من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل
المنطوى على الصفات لتفخيم شانهما وترشيح مناط كل منهما والفاء فصيحة مثلها فى قوله تعالى فقلنا
اضرب بعصاك البحر فانفلق كانه قيل فبينوه لهم فاضل الله منهم من شاء اضلاله لما لا يليق الا
به وهدى من شاء هدايته لاستحقاقه لها والحذف للايذان بان مسارعة كل رسول الى ما امر به و
جريان كل من اهل الخذلان والهداية على سننه امر محقق غنى عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة
الاستقبال لاستحضار الصورة او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة
عليهم السلام وتقديم الاضلال على الهداية اما لانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن

او للمبالغة فى بيان ان لا تاثير للتبيين والتذكير من قبل الرسول وان مدار الامر انما هو مشيته تعالى
بابهام ان ترتب الضلالة على اسرع من ترتب الابتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الاخراج من
الظلمات الى النور باذن الله تعالى **وهو العزيز** فلا يغالب فى مشيته **الحكيم** الذى لا يفعل شيئًا
من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة وتبيين
الطريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد **ولقد ارسلنا موسى**
شروع فى تفصيل ما اجمل فى قوله عز وجل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الاية **باياتنا**
اى ملتبسًا بها وهى معجزاته التى اظهرها لبنى اسرائيل **ان اخرج قومك** بمعنى اخرج لان الارسال فيه
معنى القول او بان اخرج كما فى قوله تعالى وان اقم وجهك فان صيغ الافعال فى الدلالة على المصدر سواء
وهو المدار فى صحة الوصل والمراد بذلك اخرج بنى اسرائيل بعد مهلك فرعون **من الظلمات** من الكفر
والجهالات التى ادتهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الهًا كما لهم الهة **الى النور** الى الايمان بالله وتوحيده
وساير ما امروا به **وذكرهم بايام الله** اى بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عليه السلام اذكروا
نعمة الله عليكم لكن كما يلوح به قوله اذ انجيكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم
الجليل للايذان بفخامة شانها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقومه كما يوهمه
الاضافة الى ضمير المتكلم اى عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل ايام الله وقائعه
التى وقعت على الامم قبلهم وايام العرب وقائعها وحروبها وملاحمها اى انذرهم وقائعه التى وقعت
الامم الدارجة ويرده ما تصدى عليه السلام بصدد الامتثال من التذكير بكل من السراء والضراء مما
جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما تلى عليك **ان فى ذلك** اى فى التذكير بها او فى مجموع تلك
النعماء والبلاء او فى ايامها **لايات** عظيمة او كثيرة دالة على وحدانيته تعالى وقدرته وعلمه وحكمته
فهى على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير
لها كونه مناط الظهورها وعلى الثالث عن تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية التذكير لها ظاهر واما
على الثانى فعن كل واحدة من تلك النعماء والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع
او كلمة فى تجريدية مثلها فى قوله تعالى لهم فيها دار الخلد **لكل صبار** على بلائه **شكور** لنعمائه
وقيل لكل مؤمن والتعبير عنهم بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اى لكل من يليق
بكمال الصبر والشكر او الايمان ويصير امره اليها لا لمن اتصف بها بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير
المذكور السابق على التذكير المؤدى الى تلك المرتبة فان من تذكر ما فاض وانزل عليه او على من
قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر او الايمان لا يكاد يفارقها وتخصيص الايات بهم
لانهم المنتفعون بها لا انها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل وتقديم الصبار
على الشكور لتقديم متعلق الصبر اعنى البلاء على متعلق الشكر اعنى النعماء وكون الشكر عاقبة الصبر **واذ قال
موسى لقومه** شروع فى بيان تصديه عليه السلام لما امر به من التذكير للاخراج المذكور واذ منصوب

على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع
فيه من الحوادث قد مر سره غير مرة اى اذكر لهم وقت قوله عليه السلام **لقومه اذكروا نعمة الله
عليكم** بدا عليه السلام بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهى اليه اميل والظرف متعلق بنفس النعمة
ان جعلت مصدرًا او بمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسمًا اى اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته
كائنة عليكم وكذا كلمة اذ فى قوله تعالى **اذ انجيكم من ال فرعون** اى اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه
اياكم من ال فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم او بدل اشتمال من نعمة الله
مرادا بها الانعام او العطية **يسومونكم** يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصل السوم الذهاب
فى طلب الشئ **سوء العذاب** السوء مصدر ساء يسوء والمراد به جنس العذاب السئ او استعبادهم
واستعمالهم فى الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما لا يحصر ونصب على انه مفعول ليسومونكم
يذبحون ابناءكم المولودين وانما عطف على يسومونكم اخراجًا له عن مرتبة العذاب المعتاد وانما
فعلوا ذلك لان فرعون راى فى المنام او قال له الكهنة انه يولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا فى ذلك
فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا **ويستحيون نساءكم** اى يبقونهن فى الحيوة مع الذل والصغار ولذلك
عد من جملة البلاء والجمل احوال من ال فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما جميعًا لان فيها ضمير كل
منهما **وفى ذلكم** اى فيما ذكر من افعالهم الفظيعة **بلاء من ربكم** اى ابتلاء منه لا ان البلاء عين
تلك الافعال اللهم الا ان يجعل فى تجريدية فنسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين
عظيم لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب
كما لا يلوح به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المال الذى هو الانجاء او
باعتبار ان بلاء المؤمن تربية له **واذ تاذن ربكم** من جملة مقال موسى عليه السلام لقومه معطوف
على نعمة الله اى اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم اى اذن ايذانا بليغا لا يبقى معه شائبة
شبهة لما فى صيغة التفعل من معنى التكلف المحمول فى حقه سبحانه على غايته التى هى الكمال وقيل هو معطوف
على قوله تعالى اذ انجاكم نعمته تعالى فى هذين الوقتين فان هذا التاذن ايضا نعمة من الله تعالى عليكم بنالون
بها خيرى الدنيا والاخرة وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه السلام
اولا بنعمائه تعالى عليهم صريحًا وضمنه تذكر ما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانيا بذكر ما جرى
من الله سبحانه من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد بتذكير
الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هى محيطة بذلك اذا ذكرت ذكر ما فيها كانه
مشاهد معاين **لئن شكرتم** يا بنى اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك
من النعم والالاء الفائتة للحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة **لازيدنكم** نعمة الى نعمة **ولئن كفرتم** ذلك
وغمطتموه **ان عذابى لشديد** فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض
بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف اى لاعذبنكم واللام

فى الموضعين موطئة للقسم ومن كلّ من الجانبين ساد مسدّ جوابى الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتاذن لانه
ضرب من القول او لقول مقدّر بعده كانّه قيل واذ تاذن ربكم فقال الخ وقال موسى ان تكفروا نعمه
تعالى ولم تشكروها انتم يا بنى اسرائيل ومن فى الارض من الخلائق جميعا فان الله لغنى عن شكركم و
شكر غيركم حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد او محمود يحمده الملئكة
بل كلّ ذرّة من ذرّات العالم ناطقة بحمده والحمد حيث كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان ادلّ
على كماله سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان اى ان تكفروا لم يرجع وباله الّا عليكم فان الله تعا
لغنى عن شكر الشاكرين ولعله عليه السّلام انّما قاله عند ما عاين منهم دلائل العناد ومخائل الاصرار على
الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترّغيب ولا التعرض بالترّهيب او قاله غبّ تذكيرهم بما ذكر من قول
الله عز سلطانه تحقيقًا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع فى الترهيب بتذكير ما جرى على الامم
الخالية فقال الم ياتكم نبؤا الذين من قبلكم ليتدبّروا ما اصاب كلّ واحد من حزبى الكافر والمؤمن
فتقلعوا عما هم عليه من الشرّ وينيبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله سبحانه خطابًا للكفرة
فى عهد النبىّ صلى الله عليه وسلّم فيختصّ تذكير موسى عليه السّلام بما اختصّ ببنى اسرائيل من السّرّاء
والضّراء والايّام بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد وايضا لا يظهر وجه تخصيص
تذكير الكفرة الذين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلّم بما اصاب اولئك المعدودين مع ان غيرهم اسوة
لهم فى الخلوّ قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول او عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح
وثمود والذين من بعدهم اى بعد هؤلاء المذكورين عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعا
لا يعلمهم الّا الله اعتراض او الموصول مبتداء ولا يعلمهم الخ خبره والجملة اعتراض او الموصول مبتداء
انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الّا الله سبحانه وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدنان واسمعيل
رض ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود رض اذا قرا هذه الاية قال كذب النسابون يعنى انهم يدعون
علم الانساب وقد نفى الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استيناف لبيان نباءهم بالبيّنات
بالمعجزات الظاهرة والبيّنات الباهرة فبيّن كل رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات
الى النور فردّوا ايديهم فى افواههم مشيرين بذلك الى السنتهم وما يصدر عنها من المقالة اعتناء
منهم بشانها وتنبيهًا للرّسل على تلقيها والمحافظة عليها واقناطا لهم عن التصديق والايمان باعلام ان لا
جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اى على زعمكم وهى البيّنات التى اظهروها حجّة على صحّة رسالاتهم
كقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا ومرادهم بالكفر بها الكفر بدلالتها على صحة رسالتهم او فعضّوها
غيظًا وضجرًا ممّا جاءت به الرّسل كقوله تعالى عضّوا عليكم الانامل من الغيظ او وضعوها عليها تعجّبًا منه
واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتًا للانبياء وامرا لهم باطباق الافواه او ردّوها فى افواه الانبياء
عليهم السّلام يمنعونهم من التكلم تحقيقًا او تمثيلا او جعلوا ايدى الانبياء فى افواههم تعجّبًا من عتوّهم
وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم افى الله شك الخ وقيل الايدى بمعنى الايادى عبّر بها عن مواعظهم

ونصائحهم

ونصائحهم وشرايعهم التى هى مدار النعم الدينيّة والدّنياوية لانهم لمّا كذّبوها فلم يقبلوها فكانهم ردّوها
الى حيث جاءت منه وانا لفى شكّ عظيم ممّا تدعوننا اليه من الايمان بالله والتّوحيد فلا ينافى شكّهم
فى ذلك كفرهم القطعى بما ارسل به الرّسل من البيّنات فانّهم كفروا بها قطعًا حيث لم يعتدّوا بها ولم
يجعلوها من جنس المعجزات ولذلك قالوا فاتونا بسلطان مبين وقرئ تدعونا بالادغام مريب
موقع فى الرّيبة من ارابه او ذى ريبة من اراب الرّجل وهى قلق النفس وعدم اطمانانها بالشئ قالت
رسلهم استيناف مبنى على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالت لهم رسلهم فاجيب
بانهم قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقاء افى الله شكّ بادخال الهمزة على الظرف
للايذان بان مدار الانكار ليس نفس الشكّ بل وقوعه فيما يكاد يتوهّم فيه الشكّ اصلا منقادين
عن تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا انتم فى شك مريب من الله تعالى مبالغة فى تنزيه ساحة
السّبحان عن شائبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اى افى شانه سبحانه من وجوده ووحدته ووجوب
الايمان به وحده شك مّا وهو اظهر من كلّ ظاهر واجلى من كلّ جلىّ حتى تكونوا من قبله فى شك مريب
وحيث كان مقصدهم الاقصى الدّعوة الى الايمان والتّوحيد وكان اظهار البيّنات وسيلة الى ذلك لم
يتعرّضوا الجواب عن قول الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم به واقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثمّ
عقبوا ذلك الانكار بما يوجبه من الشّواهد الدّالة على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السّموات والارض
اى مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام انيق شاهد بتحقّق ما انتم منه فى شكّ وهو صفة الاسم
الجليل او بدل منه وشكّ مرتفع بالظّرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتداء على انّ الظّرف خبره
يفضى الى الفصل بالموصوف والصّفة بالاجنبىّ اعنى المبتداء والفاعل ليس باجنبىّ من رافعه وقد جوّز
ذلك ايضا يدعوكم الى الايمان بارساله ايّانا لا انّا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم ممّا
تدعوننا اليه ليغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لياكل معى من ذنوبكم
اى بعضها وهو ما عدا المظالم ممّا بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجبّه قيل هكذا وقع فى جميع القرآن
فى وعد الكفرة دون وعد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعلّ ذلك لما ان المغفرة حيث جاءت فى
خطاب الكفرة مرتبة على محض الايمان وفى شان المؤمنين مشفوعة بالطّاعة والتجنّب عن المعاصى
ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ويؤخّركم
الى اجل مسمّى الى وقت سمّاه الله تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا استيناف كما سبق
ان انتم اى ما انتم الّا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعونه من النبوّة تريدون صفة ثانية
لبشر حملا على المعنى كقوله تعالى ابشر يهدوننا او كلام مستانف اى تريدون بما تصدون له من الدّعوة و
الارشاد ان تصدّونا بتخصيص العبادة بالله سبحانه عمّا كان يعبد اباؤنا اى عن عبادة ما استمرّ
اباؤنا على عبادته من غير شئ يوجبه والّا فاتونا اى ان لم يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعم
كما تدعونه فاتونا بسلطان مبين يدل على فضلكم واستحقاقكم لتلك المرتبة او على صحّة ما تدعونه

من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبد اباءنا عن جد ولقد كانوا اتوهم من الايات الظاهرة والبينات
الباهرة تخر له صم الجبال ولكنهم انما تقولون ما يقولون من العظائم مكابرة وعنادًا او اراءة لمن دراءهم
ان ذلك ليس من جنس ما يطلق عليه السلطان المبين **قالت لهم رسلهم** مجاراة معهم فى اول
مقالتهم وانما قيل لهم لاختصاص الكلام بهم حيث اريد الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك
فى الله سبحانه فان ذلك عام وان اختص بهم ما يعقبه **ان نحن الا بشر مثلكم** كما تقولون
ولكن الله يمن بالنبوة **على من يشاء من عباده** يعنون ان ذلك عطية من الله نعم
يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير واعية توجيه قالوا تواضعًا وهضمًا للنفس
او ما نحن من الملئكة بل نحن بشر مثلكم فى الصورة او فى الدخول تحت الجنس ولكن الله تعالى يمن
بالفضائل والكمالات والاستعدادات هى التى يدور عليها فلك الاصطفاء للنبوة **وما كان** وما
صح وما استقام **لنا ان ناتيكم بسلطان** اى بحجة من الحج فضلا عن السلطان المبين بشئ من الاشياء
وسبب من الاسباب **الا باذن الله** فانه امر يتعلق بمشيته تعالى ان شاء كان والا فلا **وعلى الله** وحده
دون ما عداه مطلقًا **فليتوكل المؤمنون** امرهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حمل انفسهم
عليه اثر ذى اثير الاثرى الى قوله عز وجل **وما لنا** اى اى عذر لنا **ان لا نتوكل على الله** اى فى
ان لا نتوكل عليه والاظهار لاظهار النشاط بالتوكل عليه والاستعداد بذكر اسمه تعالى وتعليل
التوكل **وقد هدانا** اى والحال انه قد فعل بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا **سبلنا** اى ارشد
كلا منا سبيله ومنهاجه الذى شرع له واوجب عليه سلوكه فى الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب
القلق والاضطراب القادح فى التوكل قالوا على سبيل التوكيد القسمى مظهرين لكمال العزيمة **ولنصبرن
على ما اذيتمونا** بالعناد واقتراح الايات وغير ذلك مما لا خير **وعلى الله** خاصة **فليتوكل
المتوكلون** اى فليثبت المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد هو المراد ومما سبق من ايجاب
التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنين والتعبير عنهم بذلك ذكر اتصافهم به ويجوز ان
يراد وعليه فليتوكل من يتوكل دون غيره **وقال الذين كفروا** لعل هؤلاء القائلين بعض المتمردين
العاتين الغالين فى الكفر من اولئك الامم الكافرة التى نقلت مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم
كقوم شعيب واحزابهم ولذلك لم يقل وقالوا **لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا**
لم يقنعوا بعصيانهم الرسل ومعاندتهم الحق بعد ما راوا البينات الفاسه للحصر حتى اجترؤا على مثل
هاتيك العظمة التى لا يكاد يحيط بها دائرة الامكان فحلفوا على ان يكون احد الحالين والعود اما
بمعنى مطلق الصيرورة او باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر فى الاعراف وسياتى فى الكهف
فاوحى اليهم اى الرسل **ربهم** مالك امرهم عند تناهى كفر الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية لا مطمع
بعدها فى ايمانهم **لنهلكن الظالمين** على اضمار القول او على اجراء الايحاء مجراه لكونه ضربا منه **ولنسكننكم
الارض** اى ارضهم وديارهم عقوبة لهم لنخرجنكم من ارضنا كقوله تعالى واورثنا القوم الذين

كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها **من بعدهم** اى من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم
بالياء اعتبارا لاوحى كقولهم حلف زيد ليخرجن غدًا **ذلك** اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين
واسكان المؤمنين ديارهم اى ذلك الامر محقق ثابت **لمن خاف مقامى** موقفى وهو الموقف الذى يقف
فيه العباد يوم يقوم الناس لرب العالمين او قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل لفظ المقام مقحم **وخاف وعيد**
وعيدى بالعذاب او عذابى الموعود للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين
واستفتحوا اى استنصروا الله على اعدائهم كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا وسالوه
القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل
للكفرة وقيل للفريقين فانهم سالوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ
بلفظ الامر عطفًا على لنهلكن الظالمين اى اوحى اليهم ربهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا **وخاب** اى خسر
وهلك **كل جبار عنيد** متصف بضد ما اتصف به المتقون اى فنصروا وعند استفتاحهم وظفروا
بما سالوا وافلحوا اكل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان من المطلوب
او ذلك باعتبار انهم على الحق او استفتح الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار
عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد لا ان بعضهم ليس كذلك وانهم لم يصبهم الخيبة واستفتحوا
جميعًا فنصر الرسل وانجز لهم الوعد وخاب كل عات متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان غب الطلب وفى
اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة **من ورائه جهنم** اى بين يديه فانه مرصد لها واقف
على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الاخرة وقيل من وراء حيوته وحقيقته ما توارى عنك **ويسقى**
معطوف على مقدر جوابا عن سؤال سائل كانه قيل فماذا يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى **من ماء**
مخصوص لا كالمياه المعهودة **صديد** وهو قيح اى دم مختلط بمدة يسيل من الجرح حال مجاهد وغيره هو
ما يسيل من اجساد النار وهو عطف بيان لماء ابهم اولا ثم بين بالصديد تهويلا للامر وتخصيصه بالذكر
من بين عذابها يدل على انه اشد انواعه **يتجرعه** قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه استيناف
مبنى على السؤال كانه قيل فماذا يفعل به فقيل يتجرعه اى يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش
او استيلاء الحرارة عليه **ولا يكاد يسيغه** اى يقارب ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص به
فيشربه بعد اللتيا والتى جرعة غب جرعة فيطول عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه على تلك
الحال فان السوغ انحدار الشراب فى الحلق بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفى ما ذكر جميعًا وقيل
لا يكاد يدخله فى جوفه وعبر عنه بالاساغة لما انها المعهودة فى الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه
او مفعوله او منهما جميعًا **وياتيه الموت** اى اسبابه من الشدائد **من كل مكان** وتحيط به من
الجهات او من كل مكان حده حتى من اصول شعره وابهام رجله **وما هو بميت** اى والحال
انه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجئ اسبابه لا سيما من جميع الجهات حتى لا ينتهى لما غشيه من
اصناف الموبقات **ومن ورائه** من بين يديه **عذاب غليظ** يستقبل كل وقت عذابًا اشد

واشق مما كان قبله ففيه وقع ماينوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما فى عذاب الدنيا وقيل هو
الخلود فى النار وقيل هو جنس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل
مكة فى سنيهم التى ارسلها الله تعالى عليهم بدعوته صلى الله عليه وسلم وخيبتهم فى ذلك
وقد وعدلهم بدل ذلك صديد اهل النار **مثل الذين كفروا بربهم** اى صفتهم وحالهم
العجيبة الشان التى هى كالمثل فى الغرابة وهو مبتداء خبره قوله تعالى **اعمالهم كرماد** كقولك
صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب وهو استيناف مبنى على سؤال من قال ما بال اعمالهم
التى عملوها فى وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة الملهوفين
وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى ال امرهم الى هذا المال فاجيب بان
ذلك كرماد **اشتدت به الريح** جملة واسرعت الذهاب به **فى يوم عاصف** العصف
اشتداد الريح وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة وانما السكور لريحها شبهت صنايعهم
المعدودة لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه بها اليه
تعالى برماد طيرته الريح العاصفة او استيناف مسوق لبيان اعمالهم للاصنام او مبتداء خبره
محذوف كما هو راى سيبويه اى فيما يتلى عليك مثلهم وقوله اعمالهم لاصنامهم وقيل
اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد وخبره **لا يقدرون** اى يوم القيمة **مما كسبوا** من
مهلك الاعمال **على شىء** ما اى لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب كذهاب الرماد المذكور
وهو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم روية الاثر لاعمالهم للاصنام مع ان لها عقوبات
هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه تهكم بهم
ذلك اى ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شىء **هو الضلال**
البعيد عن طريق الحق والصواب او عن نيل الثواب **الم تر** خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
والمراد به امته وقيل لكل احد من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية روية القلب وقوله
تعالى **ان الله خلق السموات والارض** ساد مسد مفعوليها اى الم تعلم انه تعالى خلقهما **بالحق**
ملتبسة بالحكمة والغرض الصحيح الذى يحق ان تخلق عليه وقرى خالق السموات والارض **ان يشا**
يذهبكم يعدمكم بالمرة **ويات بخلق جديد** اى يخلق بدلكم خلقا اخر مستانفا لا علاقة بينكم
وبينهم رتب قدرته تعالى على ذلك على قدرته تعالى على خلق السموات والارض على هذا النمط
البديع ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر خلق مثل هاتيك الاجرام العظيمة كان على
تبديل خلق اخر بهم اقدر ولذلك قال **وما ذلك** اى اذهابكم والاتيان بخلق جديد مكانكم
على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور
دون مقدور ومن هذا شانه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه **وبرزوا لله**
جميعا اى يبرزون يوم القيمة وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه كما فى قوله سبحانه

ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ولانه لا ماضى ولا استقبال بالنسبة اليه سبحانه والمراد بروزهم
من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا
انها تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله على انفسهم **فقال الضعفاء** الاتباع جمع
ضعيف والمراد ضعف الراى وانما كتب بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة **للذين استكبروا**
لرؤساءهم الذين استتبعوهم واستغووهم **انا كنا** فى الدنيا **لكم تبعا** فى تكذيب الرسل فى
الاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب فى جمع غائب او مصدر نعت به مبالغة او على اضمار
اى ذوى تبع **فهل انتم مغنون** دافعون عنا والفاء للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد
التوبيخ والعتاب والتقريع والتبكيت **من عذاب الله من شىء** من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية
للتبعيض واقعة موقع المفعول اى بعض الشىء الذى هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض
اى بعض شىء هو بعض عذاب الله والاعراب كما سبق ويجوز ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا
اى فهل انتم مغنون عنا بعض العذاب بعض الاغناء ويعضد الاول قوله تعالى فهل انتم مغنون
عنا نصيبا من النار **قالوا** اى المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع والاعتذار عما فعلوا بهم
لو هدانا الله اى للايمان ووفقنا له **لهديناكم** ولكن ضللنا فاضللناكم اخترنا لكم ما اخترناه
لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم واغنيناه عنكم كما عرضناكم له ولكن
سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص **سواء علينا اجزعنا** مما لقينا **ام صبرنا** على ذلك
اى مستو علينا الجزع والصبر فى عدم الانجاء والهمزة وام لتاكيد التسوية كما فى قوله تعالى سواء عليهم
ءانذرتهم ام لم تنذرهم وانما اسندوهما ونسبوا استواءهما الى ضمير المتكلم للمخاطبين ايضا مبالغة فى النهى
عن التوبيخ باعلام انهم شركاء لهم فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الخ من
كلام الفريقين على منوال قوله تعالى ذلك ليعلم انى لم اخنه ويؤيده ما روى انهم يقولون تعالوا نجزع
فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك
يقولون ذلك ولما كان عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى فى ذلك
فقالوا **ما لنا من محيص** من منجى ومهرب من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم
مكان كالمبيت والمصيف او مصدر كالمغيب والمشيب وهى جملة مفسرة لاجمال ما فيه الاستواء
فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او بدل منه وقال الشيطان الذى اضل كلا الفريقين
واستتبعهما عند ما عتباه وبما قاله الاتباع للمستكبرين **لما قضى الامر** اى احكم وفرغ منه وهو
الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا فى محفل الاشقياء من الثقلين **ان الله**
وعدكم وعد الحق اى وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء
ووعدتكم اى وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام شفعاؤكم ولم يصرح
ببطلانه لما دل عليه قوله **فاخلفتكم** اى موعدى على حذف المفعول الثانى اى نقضته جعل خلف

وعدٍ كالاخلاف منه كانّه كان قادرًا على انجازه وانّى له ذلك **وما كان لى عليكم من سلطان** اى تسلّط
او حجّة تدلّ على صدقى **الّا ان دعوتكم** الّا دعائى ايّاكم اليه وتسويله وهو ان لم يكن من باب السّلطان
لكنّه ابرزه فى مبرزه على طريقة تحيّة بينهم ضرب وجميع مبالغة فى نفى السّلطان من نفسه كانّه قال انّما
يكون لى عليكم سلطان اذا كان مجرّد الدّعاء من بابه ويجوز كون الاستثناء منقطعًا **فاستجبتم لى** فاسرعتم
اجابتى **فلا تلومونى** بوعدى ايّاكم حيث لم يكن ذلك على طريقة القسر والالجاء كما يدلّ عليه الفاء وقرئ
بالياء على وجه الالتفات كما فى قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم **ولوموا انفسكم** حيث
استجبتم لى باختياركم حين دعوتكم بلا حجّة ولا دليل بمجرّد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربّكم اذ دعاكم
دعوة الحقّ المقرونة بالبيّنات والحجج وليس مراده التنصّل عن توجّه اللائمة اليه بالمرّه بل بيان انّهم احق
بها منه وليس فيه دلالة على استقلال العبد فى افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفى فى ذلك ان يكون
لقدرته الكاسبة التى عليها يدور فلك التكليف مدخل فيه فانّه سبحانه انّما يخلق افعاله حسبما يختاره
وعليه يترتب السّعادة والشّقاوة وما قيل من انّه يستدعى ان يقال فلا تلومونى ولا انفسكم فان
الله قضى عليكم الكفر واخبركم عليه مبنى على عدم الفرق بين مذهب اهل الحقّ وبين مسلك الجبريّة **وما انا بمصرخكم**
اى بمغيثكم ممّا انتم فيه **من العذاب** وانما قال انتم بمصرخىّ ممّا انا فيه وانّما تعرّض لذلك مع انّه لم يكن
فى حيز الاحتمال مبالغة فى بيان عدم اصراخه ايّاهم وايذانا بانّه ايضا مبتلى بمثل ما ابتلوا به ومحتاج الى
الاصراخ فكيف من اصراخ الغير ولذلك اثر الجملة الاسميّة فكان ما مضى كان نجوا بامنه عن توبيخهم
وتقريعهم وهذا جواب عن استغاثتهم واستعانتهم به فى استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر الياء
انّى كفرت اليوم **بما اشركتمون من قبل** اى باشراككم ايّاى بمعنى تبرات منه واستنكرته كقوله تعالى
ويوم القيمة يكفرون بشرككم يعنى ان من اشراككم لى بالله سبحانه هو الذى يطعمكم فى نصرتى لكم بان كان
لكم علىّ حقّ حيث جعلتمونى معبودا وكنت اودّ ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم
اقبله منكم بل برات منه ومنكم فلم يبق بينى وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لادم بالذى
اشركتمونيه وهو الله عزّ وجلّ كما فى قوله سبحان ما سخّر كن لنا فيكون تعليلا لعدم اصراخه فان الكافر
بالله سبحانه بمعزل من الاغاثة سواء كان ذلك بالمدافعة او الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهم
ايّاه فلا وجه له اذ لا احتمال له حتّى يحتاج الى التعليل ولان تعليل عدم اصراخهم بكفره يوهم انهم
سبيل من ذلك لولا المانع من جهته **انّ الظالمين لهم عذاب اليم** تتمة كلامه او ابتداء كلام
من جهة الله عزّ وجلّ وفى حكاية امثاله لطف للسّامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا
عواقبهم **وادخل الّذين امنوا وعملوا الصّالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربّهم**
اى بامره او بتوفيقه وهدايته وفى التعرض لوصف الرّبوبيّة مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد
اللّطف بهم والمدخلون هم الملئكة عليهم السّلام وقرئ على صيغة التّكلم فيكون قوله تعالى باذن ربّهم
متعلقا بقوله **تحيّتهم فيها سلام** اى تحييهم الملئكة بالسّلام باذن ربّهم **الم تر** الخطاب للرّسول

صلى الله عليه وسلم وقد علّق بما بعده من قوله تعالى **كيف ضرب الله مثلا** اى كيف اعتمده ووضعه
فى موضعه اللّائق به **كلمة طيّبة** منصوب بمضمر اى جعل كلمة طيّبة هى كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالتسبيح
والتحميد والاستغفار والتوبة والدّعوة **كشجرة طيّبة** اى حكم بانّها مثلها لانّه تعالى صيّرها مثلها
فى الخارج وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرّف زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون
كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتداء محذوف اى هى كشجرة وان يكون اول مفعولى ضرب اجراء
له مجرى جعل قد اخر من ثانيهما اعنى مثلا لئلا يبعد عن صفته التى هى كشجرة وقد قرئت بالرّفع على الابتداء
اصلها ثابت اى ضارب بعروقه فى الارض وقرا انس بن مالك رضى الله عنه كشجرة طيبة ثابت
اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب بقرينة اعنى قوله تعالى **وفرعها** اى اعلاها **فى السّماء** فى جهة العلوّ
ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع **تؤتى اكلها** تعطى ثمرها **كلّ حين** وقته الله
تعالى لاثمارها **باذن ربّها** بارادة خالقها والمراد بالشجرة المنعوتة امّا النخلة كما روى مرفوعًا او شجرة
فى الجنّة **ويضرب الله الامثال للنّاس لعلّهم يتذكّرون** لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير
فانّه تصوير للمعانى بصور المحسوسات **ومثل كلمة خبيثة** هى كلمة الكفر والدّعاء اليه او تكذيب الحقّ
او ما يعمّ الكلّ او كلّ كلمة قبيحة **كشجرة خبيثة** اى كمثل شجرة خبيثة قيل هى كلّ شجرة لا يطيب ثمرها
كالحنظل والكشوت ونحوهما وتغيير الاسلوب للايذان بان ذلك غير مقصود الضرب والبيان وانّما
ذلك امر ظاهر يعرفه كل احد **اجتثّت** استوصلت واخذت جثّة بالكلّيّة **من فوق الارض**
لكون عروقها قريبة منها **ما لها من قرار** استقرار عليها **يثبت الله الّذين امنوا بالقول الثّابت**
الّذى ثبتت بالحجّة عندهم وتمكن فى قلوبهم وهو الكلمة الطيّبة التى ذكرت صفتها العجيبة **فى الحيوة
الدّنيا** فلا يزالون عنه اذا افتتنوا فى دينهم كزكريّا ويحيى وجرجيس وشمعون والّذين فتنهم
اصحاب الاخدود **وفى الاخرة** فلا يتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولا يدهشهم اهوال
القيمة او عند سؤال القبر روى انّه عليه السّلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثمّ يعاد روحه فى جسده فيأتيه
ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان من ربّك وما دينك وما نبيّك فيقول ربّ الله ودينى الاسلام ونبيى
محمّد صلى الله تعالى عليه وسلم فينادى مناد من السّماء انه صدق عبدى فذلك قوله تعالى يثبت الله
الّذين امنوا بالقول الثابت وهذا مثال ايتاء الشجرة المذكورة اكلها كلّ حين قال الثعلبى فى تفسيره اخبرنى
ابو القاسم بن حبيب وسنة ست وثمانين وثلثمائة قال سمعت ابا الطّيّب محمد بن على الخياط يقول
سمعت سهيل بن عمّار العتكى يقول رايت يزيد بن هرون فى منامى بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال
أتانى فى قبرى ملكان فظّان فقالا من ربّك وما دينك ومن نبيّك فاخذت بلحيتى البيضا
فقلت لهما المثلى هذا وقد علّمت النّاس جوابكما ثمانين سنة فذهبا **ويضلّ الله الظّالمين** اى يخلق
فيهم الضّلال عن الحقّ الذى ثبت المؤمنين عليه حسب ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل
ما يقابله ووصفهم بالظّلم امّا باعتبار وصفهم للشئ فى غير موضعه وامّا باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدّلوا

نعمة الله التى فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا يثبت فى مواقف الفتن ولا يهتدى الى الحق فالمراد بالذين آمنوا حينئذ المخلصون فى الايمان الراسخون فى الايقان كما ينبئ عنه التثبيت لكنه يوهم كون كلمة التوحيد اذا كانت لا عن ايقان داخلة تحت ما لا قرار له من الشجرة المضروبة مثلا **ويفعل ما يشاء** من تثبيت بعض واضلال آخرين حسبما يوجبه مشيئته التابعة للحكم البالغة المقتضية لذلك وفى اظهار الاسم الجليل فى الموضعين من الفخامة وتربية المهابة ما لا يخفى مع ما فيه من الايذان بالتفات فى مبتداء التثبيت والاضلال فان مبداء صدور كل منهما عنه سبحانه وتعالى من صفاته العلى غير ما هو مبداء صدور الآخر **الم تر** تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد مما صنع الكفرة من الاباطيل التى لا تكاد توصف عمن له ادنى ادراك اى الم تنظر **الى الذين بدلوا نعمة الله** اى شكر نعمته تعالى بان وضعوا موضعه **كفرا** عظيما وغمطا لها او بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبوها فصاروا مستبدلين بها كفرا كاهل مكة حيث خلقهم الله تعالى سبحانه واسكنهم حرمه الامن الذى يجبى اليه ثمرات كل شئ وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وقتلوا واسروا يوم بدر فصاروا اذلاء مسلوبى النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش بنوا المغيرة وبنوا امية اما بنوا المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنوا امية فتمتعوا الى حين كانهما ارادا لان ما سيتلى من قوله عز وجل قل تمتعوا الاية **واحلوا** اى انزلوا **قومهم** بارشادهم اياهم الى طريقة الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ هو فرع الحلول كقوله تعالى يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار **دار البوار** دار الهلاك داره **جهنم** عطف بيان لها وفى الابهام ثم البيان ما لا يخفى من التهويل **يصلونها** حال منها او من قومهم اى داخلين فيها مقاسين لحرها او استيناف لبيان كيفية الحلول او مفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور ح تعريضهم للهلاك بالقتل والاسر لكن كقوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار انسب بالتفسير الاول **وبئس القرار** على حذف المخصوص بالذم اى بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم وصليهم وجه الدوام والاستمرار **وجعلوا** عطف على احلوا وما عطف عليه داخل معهما فى حيز الصلة وحكم التعجيب اى جعلوا فى اعتقادهم وحكمهم **لله** الفرد الصمد الذى ليس كمثله شئ وهو الواحد القهار **اندادا** اشباها فى التسمية او فى العبادة **ليضلوا** قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا **عن سبيله** القويم الذى هو التوحيد ويوقعوهم فى ورطة الكفر والضلال ولعل تغيير الترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم نعمة الله تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المؤدى الى احلالهم دار البوار لتثنية التعجيب وتكريره والايذان بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار البوار واتخاذ الانداد للاضلال امر يقضى منه العجب ولو سيق النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجيب من مجموع الحالات الثلث كما فى قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح وايا ما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم

من

من اتخاذ الانداد ولكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية تهديدا لاولئك الضالين المضلين وتنصيصا عليهم وايذانا بانهم لشدة ابائهم قبول الحق وفرط انهماكهم فى الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال احقاء بان يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشانهم ولا ينهوا عنه بل يؤمروا بمباشرته مبالغة فى التخلية والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبة الوخيمة ويقال لهم **تمتعوا** بما انتم عليه من الشهوات التى من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس فى عبادة الاصنام **فان مصيركم الى النار** ليس الا فلا بد لكم من تعاطى ما يوجب ذلك ويقتضيه من احوالكم بل هى فى الحقيقة صورة لدخولها ومثال له حسبما يلوح به قوله سبحانه واحلوا قومهم دار البوار الى آخره فهو تعليل للامر المامور وفيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف او قل لهم تصويرا لحالهم وتعبيرا عما يلجئهم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم فى التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم مامورون بذلك من قبل آمر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون لامره كداب مامور ساع فى طاعة آمر مطاع فليس قوله تعالى فان مصيركم الى النار حينئذ تعليلا للامر بل هو جواب شرط ينسحب عليه الكلام كانه قيل هذه حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد لا فى الامر **قل لعبادى الذين آمنوا** خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لوظايف العبودية بحقوقها وترك العطف بين الامرين للايذان بتباين حالهما باعتبار المقول تهديدا وتشريفا والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب اى قل لهم اقيموا وانفقوا **يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم** اى يداوموا على ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف فى قوله محمد تفد نفسك كل نفس اذا ما خفت من امر تبالا لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا قد اقيما مقامهما وليس بذاك **سرا وعلانية** منتصبان على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر المذكور اى انفاق سر وعلانية والاحب فى الانفاق اخفاء المتطوع واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع الكفرة **من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه** فيبتاع المقصر ما يتلافى به تقصيره او يفتدى به نفسه والمقصود نفى عقد المعاوضة وتخصيص البيع بالذكر للايجاب من قبل البايع **ولا خلال** ولا مخالة فيشفع له خليل او يسامحه بمال يفتدى به نفسه او من قبل ان ياتى يوم لا اثر فيه لما لهجوا انتهاضه من البيع والمخالة والانتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله سبحانه والظاهر ان من متعلقة بانفقوا بتذكير اتيان ذلك اليوم لتاكيد مضمونه كما فى سورة البقرة من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما يتدارك به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع آثار البيع والخلال الواقعين فى الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعى الى الاتيان بما يبقى عوائده ويدوم فوائده من الانفاق فى سبيل الله عز وجل

اومن حيث ان ادخال المال وترك انفاقه انما يقع غالبا للتجارات والمهادات فحيث لا يمكن ذلك في الآخرة
فلا وجه الادخار الى وقت الموت وتخصيص التاكيد بذلك لميل الطباع الى المال وكونها مجبولة على حبه
وانصبه به ولا يبعد ان يكون تاكيدا لمضمون الامر لاقامة الصلوة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون
بالاشتغال بالبياعات والمخالات كما في قوله تعالى اذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرئ بالفتح
فيهما على ارادة النفى العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابى هو وقوعه في جواب هل فيه بيع
اوخلال الله مبتداء خبره الذى خلق السموات وما فيها من الجواهر العلوية والارض وما فيها
من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة
شكرا النعمة شرع في تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام
والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها وتقريعا للكفرة المخلين بها الواضعين موضعها الكفر والمعاصى و
في جعل المبتداء الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام
وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الآثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة
على قوة السلطان وانزل من السماء اى السحاب فان كل ما علاك سماء او من الفلك فان المطر منه يبتدئ
الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبية
من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا وايا ما كان فمن ابتدائية ماء اى نوعا منه هو المطر وتقديم
المجرور على المنصوب او باعتبار كونه مبتداء لنزوله او لتشريفه كما في قولك اعطاه السلطان من خزائنه
مالا او لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاخرج به بذلك الماء من الثمرات الفائتة من الحصر
اما لان صيغ الجموع يتعاور بعضها موضع بعض واما لانه اريد بمصروها جماعة الثمرة التى في قولك
ادركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم تعيشون به وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس
مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا
ورزقا حالا منه او مصدرا من اخراج لانه بمعنى رزق او للتبعيض بدليل قوله تعالى واخرجنا به ثمرات
كانه قيل انزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل ماء ولا اخرج
بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كان مشيئته عز وجل وقدرته لكن
جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب او اودع الماء قوة
فاعلة وفي الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد
كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لما ان له تعالى في انشائها مدرجا من طور الى طور صنائع وكلما يجدد
فيها لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك في ابداعهما دفعة وقوله لكم صفة لقوله
رزقا ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم وسخر لكم الفلك بان اقدركم على صنعتها واستعمالها
بما الهمكم كيفية ذلك لتجرى في البحر جريانا بما لارادتكم بامره بمشيئته التى بها ينط كل شئ وتخصيصه
بالذكر للتنصيص على ان ذلك ليس بمزاولة الاعمال واستعمال الآلات كما يتراءى من ظاهر الحال وسخر

لكم الانهار ان اريد بها المياه العظيمة الجارية في الانهار العظام كما يومى اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها
جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجنانهم وما اشبه ذلك
وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يدأبان في سيرهما
وانارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما اصلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار
يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائضة عليهم
وابرز كل واحدة في جملة مستقلة تنويها لشانها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون كل منهما
نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفي التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار بالتسخير من
الاشعار بما فيها من صعوبة الماخذ وعزة المنال والدلالة على عظم السلطان وشدة المحال ما لا يخفى
وتاخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمه من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات
من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها الذكر الارض المستدعى لذكر انزال الماء منها اليها الموجب
لذكر اخراج الرزق الذى من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار او للتفادى عن توهم كون
الكل اعنى خلق السموات والارض وتسخير الشمس والقمر نعمة واحدة كما مر في قصة البقرة واتاكم من
كل ما سالتموه اى اعطاكم بعض جميع ما سالتموه حسبما يقتضيه مشيئته التابعة للحكمة والمصلحة
كقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او اتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه
وينط به انتظام احوالكم على الوجه المقدر فكانكم سالتموه او كل ما طلبتموه بلسان الاستعداد او كل ما
سالتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شئ واتاه كل الناس وعليه قوله
عز وجل فتحنا عليهم ابواب كل شئ وقيل الاصل واتاكم من كل ما سالتموه وما لم تسالوه فحذف الثانى
لدلالة ما ابقى وقرئ بتنوين كل على ان ما نافية ومحل ما سالتموه النصب على الحالية اى اتاكم من كل
غير سائليه ان تعدوا نعمة الله التى انعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا بحصرها ولو اجمالا فانها غير
متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظ بها
ففيه ايذان بعدم بلوغه مرتبة معتدا بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من
افراد الناس وان كان في اقصى مراتب الفقر والافلاس ممنوا باصناف العنايا مبتلا بانواع
الرزايا وهو بحيث لو تاملته الفته متقلبا في نعم لا تحد ومنن لا تحصى ولا تعد كانه قد اعطى كل ساعة
وان من النعماء ما حواه حيطة الامكان وان كنت في ريب من ذلك فقدر انه ملك ملك اقطار
العالم ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز
بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما في الدنيا من اصناف الاموال من غير ند يزاحمه ولا شريك
يساهمه بل قدر ان جميع ما فيهما من حجر ومدر يواقيت غالية ونفائس درر ثم قدر انه قد وقع من
فقد مشروب او مطعوم في حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل يشترى وهو في تلك الحال بجميع ماله
من الملك والمال لقمة تنجيه عن رداه او شربة تروية من ظماه ام يختار الهلاك فيذهب الموالى

والاهلاك • بغير بدل يبقى عليه • ولانفع يعود اليه • كلا بل يبذل لذلك كل ما يجود به البدان • كائنا
ما كان • وليس في صفقته شائبة الخسران • فاذن تلك اللقمة والشربة • خيرهما فى الدنيا بالف رتبة •
مع انهما فى طرف التمام • بنا لهما منى شاء من الليالى والايام • اذ قدر انه قد احتبس • عليه النفس •
فلا دخل منه مخرج • ولا خرج منه ما ولج • والحين قد حان • اتاه الموت من كل مكان • اما يعطى ذلك
كله بمقابلة نفس واحد • بل يعطيه وهو لربه حامد • فاذن هو خير من الدنيا بجملتها ومطالبها برمتها
مع انه قد اتح له كل ان من انات الليالى والايام • حال اليقظة والمنام • هذا من الظهور والجلاء • بحيث
لا يكاد يخفى على احد من العقلاء • وان رمت العثور على حقيقة الحق • والوقوف على كل ما جل من
السردق • فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقة الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود • وما يتبعه من الكمالات
اللائقة • بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية • من العلاقة لما استقر له القرار • ولا اطمأنت
به الدار • الا فى مطمورة العدم والبوار • ومهاوى الهلاك والدمار • لكن يفيض عليه من الجناب
الاقدس • تعالى شانه وتقدس • فى كل زمان يمضى • وكل ان يمر وينقضى • من انواع الفيوض المتعلقة
بذاته • ووجوده وساير صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية • ولا يحيط به نطاق التعبير • ولا
يعلمه الا العليم الخبير • وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء • لا يستحقه بقاء • وانما ذلك من جناب
المبتداء الاول عز وجل وكما لا يتصور وجوده ابتداء • ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطارى لان
الاستمرار والدوام خصايص الوجود الواجبى • وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور
الوجودية التى هى شرايط وان وجب كونها متناهية • لوجوب تناهى ما دخل تحت الوجود لكن
المامور العدمية التى لها مدخل وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة فى ان يكون لشئ واحد موانع
غير متناهية وانما الاستحالة فى دخولها تحت الوجود فاذن تلك الموانع التى لا تتناهى على العدم
اعنى نفادها على العدم مع امكان وجودها فى نفسها من كل ان من انات وجوده نعم غير متناهية
لا دعاء وكذا الحال فى وجودات علله وشرايط القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا فى كمالات التابعة
لوجوده فالنتح انه يفيض عليه كل ان نعم لا تتناهى • من وجوده شئ فسبحانك سبحانك • ما اعظم
سلطانك • لا يلاحظك العيون بانظارها • ولا يطالعك العقول بافكارها • شانك لا يضاهى •
واحسانك لا يتناهى • ونحن فى معرفتك • والتوفيق لاداء حقوق نعمتك • لا نحصى ثناء عليك • لا اله
الا انت نستغفرك • ذنوب اليك ان الانسان لظلوم مر نظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعه
فى غير موضعه او يظلم نفسه بتعريضها للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلم فى الشدة يشكو ويجزع
كفار من افراده ويدخل فى ذلك الذين بدلوا نعمة الله كفرا الخ دخولا اوليا واذ قال ابرهيم اى واذكر
وقت قوله عليه السلام والمقصود من تذكيره ما وضع فيه من مقالاته عليه السلام على نهج التفصيل
والمراد به تاكيد ما سلف من تعجيب صلى الله عليه وسلم ببيان فن اخر من جناياتهم حيث كفروا بالنعم
الخاصة بهم بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابرهيم عليه السلام حيث اسكنهم بمكة زادها الله

فيها

فيها لاقامة الصلوة الاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر نعم الله تعالى وساله تعالى ان يجعله بلدا امنا
ويرزقهم من الثمرات ويهوى قلوب الناس اليهم من كل اوب سحيق فاستجاب الله له سبحانه دعائه
وجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شئ فكفروا بتلك النعم العظام واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار و
جعلوا لله تعالى اندادا وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا البلد يعنى مكة شرفها الله سبحانه امنا اى
ذا امن او امنا اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر فى سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب
اجعل هذا بلدا امنا ان المسئول هناك البلدية دا الامن معا وههنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول
الثانى للجعل وجعل البلد صفة للمفعول الاول فان حمل على تعدد السؤال فلعله عليه السلام سال اولا
كلا الامرين فاستجيب له فى احدهما وتاخر الاخر الى وقته المقدر لما يقتضيه من الحكمة الداعية
اليه ثم كرر السؤال كما هو المعتاد فى الدعاء والابتهال او كان المسئول اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما
فى ساير البلاد وقد اجيب اليه ايضا وثانيا الامن المعهود او كان هو المسئول فيهما وقد اجيب اليه
ايضا لكن السؤال الثانى للاستدامة والاقتصار على ذلك لان المقصود الاصل او لان المعتاد فى البلدية
الاستمرار بعد التحقيق بخلاف الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر
ان المسئول كلا الامرين وقد حكى اذلاء واقتصر ههنا على حكاية سؤال الامن لا لمجرد ان نعمة الامن
ادخل فى استيجاب الشكر فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل بل لان السؤال البلدية
قد حكى بقوله تعالى فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم اذ المسئول هويتها اليهم للمساكنة معهم
لا للحج فقط هو عين سؤال البلدية قد حكى بعبارة اخرى وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة
كما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر
هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر وجعلت تقول الى من تكلنا فى هذا البلقع وهو لا يرد عليها
جوابا حتى قالت الله امرك بهذا فقال نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على
ثنية كداء اقبل على الوادى فقال ربنا انى اسكنت الاية وانما فصل ما بينهما تثنية للامتنان وايذانا
بان كلا منهما نعمة جليلة مستتبعة لشكر كثير كما فى قصة البقرة واجنبنى وبنى بعدنى واياهم ان نعبد
الاصنام واجعلنا منه فى جانب بعيد اى ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن
عبادة الاصنام وقرئ اجنبنى من الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبنى شره وشره واهل الحجاز
فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على ان عصمة الانبياء عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر
انما المراد ابنه اولاده الصلبية فلا احتجاج به لابن عيينة رض على ان احدا من اولاد اسمعيل عليه
السلام لم يعبد الصنم وانما كان لكل حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون ويسمونه الدوار
فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعرى كيف وشنعت عليه بما فى القران
العظيم من قوارع تنعى على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كما على ما مر منه رب انهن اى الاصنام
اضللن كثيرا من الناس اى تسببن له كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا وهو تعليل لدعائه وانما

صدره بالنداء باعتنائه ورغبته فی استجابته **فمن تبعنی منهم** فی ما ادعوا الیه من التوحید وملة
الاسلام **فانه منی** ای بعضی قاله علیه السلام مبالغة فی بیان اختصاصه به اومتصل فی لاینفک عنی
فی امر الدین **ومن عصانی** ای لم یتبعنی والتعبیر عنه بالعصیان للایذان بانه علیه السلام مستمر
علی الدعوة وان عدم اتباع من لم یتبعه انما هو لعصیانه لا لانه لم یبلغه الدعوة **فانك غفور رحیم** قادر
علی ان تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفیه ان كل ذنب فلله تعالی ان یغفره حتی الشرك خلا
ان الوعید قضی بالفرق بینه وبین غیره **ربنا** اثر ضمیر الجماعة لا لما قیل من تقدم ذکره وذکر بنیه
والا لراعاه فی قوله رب انهن الخ بل لان الدعاء المصدر به وما اورده بصدد تمهید مبادی اجابته
من قوله **انی اسکنت** الایة متعلق بذریته فالتعرض لوصف ربوبیته تعالی لهم ادخل فی القبول
واجابة المسئول **من ذریتی** ای بعضهم او ذریة من ذریتی فحذف المفعول وهو اسمعیل علیه
السلام وما سیولد له فان اسکانه حیث كان علی وجه الاطمینان متضمن لاسکانهم روی ان هاجر
ام اسمعیل علیه السلام كانت لسارة فوهبها من ابرهیم علیه السلام فلما ولدت له اسمعیل علیه
السلام غارت علیهما فناشدته بخرجهما من عندها فاخرجها الی ارض مکة فاظهر الله تعالی عین
زمزم **بواد غیر ذی زرع** ای لایکون فیه ذرع اصلا وهو وادی مکة شرفها الله سبحانه
عند بیتك طرف لاسکنت کقولك صلیت بمکة عند الرکن لا انه صفة لواد او بدل منه
اذ المقصود اظهار کون ذلك الاسکان مع فقدان مبادیه بالمرة لمحض التقرب الی الله تعالی
والالتجاء الی جواره الکریم کما ینبئ عنه التعرض لعنوان الحرمة المؤذن بعزة الملجا وعصمته علی
المکاره فی قوله تعالی **المحرم** حیث حرم التعرض له والتهاون به اولم یزل معظما ممنعا یهابه
الجبابرة فی كل عصر اومنع منه الطوفان فلم یستول علیه ولذلك سمی عتیقا وتسمیته اذ ذاك بیتا ولم
یکن له بناء وانما كان نشزا مثل الرابیة تاتیه السیول فتاخذ ذات الیمین وذات الشمال لبیت
باعتبار ما سیؤل الیه الامر من بنائه علیه السلام فانه ینزع الی اعتبار عنوان الحرمة ایضا کذلك
بل انما هی باعتبار ما كان من قبل فان تعدد بناء کعبة المعظمة مما لاریب فیه وانما الاختلاف
فی کمیة عدده وقد ذکرنا فی سورة البقرة بفضل الله سبحانه **ربنا لیقیموا الصلوة** متوجهین
الیه متبرکین به وهو متعلق باسکنت وتخصیصها بالذکر من بین سائر شعائر الدین لفضلها
وتکریر النداء وتوسیطه لاظهار كمال العنایة باقامة الصلوة والاهتمام بعرض ان التعرض من
اسکانهم بذلك الوادی البلقع ذلك المقصد الاقصی والمطلب الاسنی وكل ذلك لتمهید مبادی
اجابة دعائه واعطاء مسئوله الذی لایتسنی ذلك المرام الابه ولذلك ادخل علیه الفا فقال **فاجعل**
افئدة من الناس ای افئدة من افئدتهم فمن للتبعیض ولذلك قیل لو قال افئدة الناس لازدحمت
علیهم فارس والروم واما ما زید علیه من قولهم ولحجت الیهود والنصاری فغیر مناسب للمقام
اذ المسئول توجیه القلوب الیهم للمساکنة معهم لا توجیهها الی البیت للحج والا لقیل تهوی الیه

فانه

فانه عین الدعاء بالبلدیة قد حکی بعبارة اخری کما مر او لابتداء الغایة کقولك القلب منی سقیم ای افئدة
ناس وقری افئدة علی القلب کادر فی ادور اوعلی انه اسم فاعل افدت الرحلة ای عجلت ای جماعة من
الناس وافدة بطرح الهمزة من الافئدة اوعلی النعت من افد **تهوی الیهم** تسرع الیهم شوقا ووداد
وقری علی البناء للمفعول من اهواه غیره وتهوی من باب علم ای تحب وتعدیته بالی لتضمنه من الشوق
والنزوع واول اثار هذه الدعوة روی انه مرت رفقة من جرهم ترید الشام فراوا الطیر یحوم علی الجبل فقالوا
ان هذا الطائر لعائف علی الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان اشئت کنا معك وانسناك
والماء ماءك واذنت لهم وكانوا معها الی ان شب اسمعیل علیه السلام وماتت هاجر فتزوج
اسمعیل منهم کما هو المشهور **وارزقهم** ای ذریتی الذین اسکنتهم هناك اومع من ینحاز الیهم
من الناس وانما لم یخص الدعاء بالمؤمنین منهم کما فی قوله وارزق اهله من الثمرات من امن منهم
بالله والیوم الاخر کتفاء بذکر اقامة الصلوة **من الثمرات** من انواعها بان یجعل بقرب منه قری
یحصل فیها ذلك او یجبی الیه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتی انه یجتمع فیه الفواکه الربیعیة
والصیفیة والخریفیة فی یوم واحد روی عن ابن عباس رضی الله عنهما ان الطائف كانت
من ارض فلسطین فلما دعا ابرهیم علیه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالی ووضعها حیث
وضعها رزقا للحرم وعن الزهری انه تعالی نقل قریة من قری الشام فوضعها بالطایف لدعوة ابرهیم
علیه السلام **لعلهم یشکرون** تلك النعمة باقامة الصلوة واداء سائر مراسم العبودیة وقیل اللام
فی لیقیموا لام الامر والمراد امرهم باقامة الصلوة والدعاء من الله تعالی بتوفیقهم لها ولا یناسبه
الفاء فی قوله تعالی فاجعل افئدة الخ وفی دعائه علیه السلام من مراعات حسن الادب والمحافظة
علی قوانین الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرافة ما لایخفی فانه علیه
السلام بذکر کون الوادی غیر ذی زرع بین كمال افتقارهم الی المسئول وبذکر کون اسکانهم عند
البیت المحرم اشار الی ان جوار الکریم یستوجب افاضة النعیم وبعرض کون ذلك الاسکان مع كمال
اعواز مرافق المعاش لمحض اقامة الصلوة واداء حقوق البیت تهد جمیع مبادی اجابة السؤل و
لذلك قرنت دعوته علیه السلام بحسن القبول **ربنا انك تعلم ما نخفی وما نعلن** من الحاجات
وغیرها والمراد بما نخفی ما یقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء اولا ای تعلم ما نظهره وما لانظهره فان
علمه تعالی متعلق بما لایخطر بباله مما فیه من الاحوال الخفیة فضلا عن اخفائه وتقدیم ما لایخفی علی
ما لانعلق لتحقیق المساوات بینهما فی تعلق العلم بهما علی ابلغ وجه مکان تعلقه بما یخفی اقدم منه بما
یعلن اولان مرتبة السر والخفاء متقدمة علی مرتبة العلن اذ ما من شئ یعلن الا وهو قبل ذلك
خفی فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولی اقدم من تعلقه بحالته الثانیة ومقصده علیه السلام ان
اظهار هذه الحاجات وما هو من مبادیها وتتماتها لیس لکونها غیر معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودیة
والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك وعرض الافتقار الی ما عندك والاستعجال لنیل ایادیك

ونكرير النداء للمبالغة فى الضراعة والابتهال وضمير الجماعة لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسرّه وعلنه بل
بجميع خفايا الملك والملكوت وقد حققه بقوله على وجه الاعتراض **وما يخفى على الله من شئ فى الارض**
ولا فى السّماء لما انه العالم بالذات فما من امر يدخل تحت الوجود كائنا ما كان فى زمان من الازمان الاّ وجوده
فى ذاته علم بالنسبة اليه سبحانه وانّما قال وما يخفى على الله الخ دون ان يقول ويعلم ما فى السّموات و
الارض تحقيقا لما عناه بقوله تعالى يعلم ما يخفى من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة
خفاء بالنسبة الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى العلوم المخلوقات وكلمة فى متعلقة بمحذوف وقع
صفة لشئ اى من شئ كائن فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية منهما
او يخفى وتقديم الارض على السّماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين للتفاوت
بالنسبة الى علومنا والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمعة للصّفات لتربية المهابة والاشعار
بعلّته الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللّطيف الخبير والايذان بعمومه لانّه ليس بشأن
يختصّ او بمن يتعلّق به بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب لذكره تعالى بعنوان مصحّح لمبدأيته الكل وقيل هو من
كلام الله عزّ وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه السّلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن
للاستغراق على الوجهين **الحمد لله الّذى وهب لى على الكبر** اى مع كبرى ويأسى على الولد قيد الهبة
به استعظاما للنعمة واظهار الشكرها **اسمعيل واسحق** روى انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين
سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتى عشرة سنة او مائة وسبعة عشر سنة **انّ ربّى** ومالك امرى
لسميع الدّعآء لمجيبه من قولهم سمع الملك كلامه اذا اعتد به وهى من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل
اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو
وصف له تعالى بان ذلك الجميل سنة المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان
بتضاعف النعمة فيها حيث وقعت بعد الدّعاء بقوله رب هب لى من الصّالحين فاقترنت الهبة بقبول
الدّعوة وتوحيد ضمير المتكلّم وان كان عقيب ذكرهما لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصّة وهما من النعم
لا من المنعم عليهم **ربّ اجعلنى مقيم الصّلوة** مثابرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول
دعوته لذرّيته ايضا حيث قال **ومن ذرّيتى** اى بعضهم من المذكورين ومن يسير سيرتهما من اولادهما
للاشعار بانّه المقتدى فى ذلك وذرّيته اتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد كما فى قوله ربّنا
اسكنت الخ فان اسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور بطريق التمهيد للدعاء الذى
هو مخصوص بذرّيته وانما خصّ هذا الدّعاء ببعض ذرّيته لعلمه من جهة الله تعالى ان بعضا منهم لا يكون
مقيم الصّلوة كقوله تعالى ربّنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذرّيتنا امّة مسلمة لك **ربّنا وتقبّل دعآء**
اى دعائى هذا المتعلق بجعلى وجعل بعض ذرّيتى مقيمى الصّلوة ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام
ولذلك جئ بضمير الجماعة **ربّنا اغفر لى** اى ما فرط منّى من ترك الاولى فى باب الدّين وغير ذلك ممّا لا
يسلم منه البشر **ولوالدىّ** وقرئ بالتوحيد ولابوى وهذا الاستغفار منه عليه السّلام انّما كان قبل

٥٥٠

تبيّن الامر له عليه السّلام وقيل اراد بوالديه آدم وحوّا وقيل بشرط الاسلام ويردّه قوله تعالى الاّ قول
ابرٰهيم الاية وقد مرّ فى سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسيأتى تمامه فى سورة مريم بفضل الله عزّ وجل
وللمؤمنين كافّة من ذرّيته وغيرهم وللايذان باشتراك الكل فى الدّعاء بالمغفرة جئ بضمير الجماعة **يوم يقوم**
الحساب اى يثبت ويتحقق محاسبة اعمال المكلّفين على وجه العدل استعير له من ثبوت القائم على
الرّجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد تهويله وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا
او حذف المضاف كما فى واسئل القرية واعلم ان ما حكى عنه عليه السّلام من الادعية والاذكار وما
يتعلق بها ليس بصادر عنه على الترتيب المحكى ولا على وجه المعيّة بل صدر عنه فى ازمنة متفرّقة
حكى مرتبا للدّلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره فى الملّة وارشاد النّاس اليها والتضرّع الى الله
تعالى لمصالحهم الدينيّة والدنيويّة **ولا تحسبنّ الله غافلا عمّا يعمل الظّالمون** خطاب لرسول الله صلعم
والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم حسبانه عزّ وجل كذلك نحو قوله ولا تكوننّ من المشركين ونظائره
مع ان الايذان بكونه واجب الاحتراز عنه فى الغاية حتّى نهى عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عليه السلام
حتى حسبانه تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتعبير عنه بذلك للمبالغة فى النّهى والايذان بانّ
ذلك الحسبان بمنزلة حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه
لو كان لكان للغفلة عمّا يوجبه من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلّم
ووعد له اكيد ووعيد للكفرة وساير الظالمين شديدا ولكلّ احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم
للجهل بصفاته تعالى والاغترار بانها له وقيل معناه لا تحسبنّه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عمّا عملوا بل
معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك نقيرا وقطميرا والمراد بالظّالمين اهل مكّة ممّن عدّت
مساويهم من تبديل نعمة الله كفرا واحلال قومهم دار البوار واتخاذ الايذان كما يؤذن به التعرض لحكمة
التاخير المبنى عنه قوله تعالى قل تمتّعوا الاية او جنس الظّالمين وهم داخلون فى الحكم دخولا اوّليا **انّما**
يؤخّرهم يمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيويّة ولا يعجّل عقوبتهم حسبما يشاهد وهو استيناف وقع تعليلا
للنهى السّابق اى دم على ما كنت عليه من عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتاخير ما تستوجبه
من العذاب الاليم اى تاخيره للتشديد والتغليظ او لا تحسبنّه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تاخيرها
انما ذلك لاجل هذا او لا تحسبنّه تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لما ترى من التاخير
انما هو لهذه الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التاخير عليهم مع ان المؤخّر انما هو عذابهم لتهويل الخطب
وتفظيع الحال ببيان انهم متوجّهون الى العذاب مرصدون لامرها لا انهم باقون باختيارهم وللدّلالة على
انّ حقّهم من العذاب هو الاستيصال بالمرّة وان لا يبقى منهم فى الوجود عين ولا اثر وللايذان بان المؤخّر
له من جملة العذاب وعنوانه ولو قيل انّما يؤخّر عذابهم الخ لما فهم ذلك **ليوم** هائل **تشخص فيه الابصار** ترتفع
ابصار اهل الموقف فيدخل فى زمرتهم الكفرة المعهودون دخولا اوّليا اى تبقى مفتوحة لا تتحرك اجفانهم
من اقل ما يرونه واعتبار عدم قرارها فى اماكنها امّا باعتبار الارتفاع الحسّى فى جرم العين وامّا بجعل

الصّيغة من تشخص من بلد الى بلد وسار فى ارتفاع **مهطعين** مسرعين الى الدّاعى مقبلين عليه بالخوف والذلّ
والخشوع اومقبلين بابصارهم عليه لايقلعون عنه ولايطرفون هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر ههُنا
بالنظر الى الدّاعى قيل **مقنعى رؤسهم** اى رافعيها مع ادامة النظر من غير التفات الى شئ قاله العتبىّ وابن
عرفة اوناكسيها ويقال اقنع راسه اى طاطاها ونكسها فهو من الاضداد وهما حالان مما دل عليه الابصار
من اصحابها او الثانى حال متداخلة من الضمير فى الاوّل واضافته غير حقيقته فلاينافى الحالية **لايرتدّ اليهم**
طرفهُم لايرجع اليهم تحريك اجفانهم حسبما يرجع اليهم كل لحظة بل لحظة يبقى اعينهم مفتوحة لانطرف ولا
ترجع اليهم اجفانهم التى هى آلة الطّرف فيكون اسناد الرجوع الى الطّرف مجازيا اوهو نفس الجيض قال
الفيروزابادى العين الطرف لايجمع لانه مصدر فى الاصل واسم جامع للعين اولايرجع نظرهم الى انفسهم
فضلا عن ان يرجع الى شئ آخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال اوبدل من مقنعى الخ اواستيناف والمعنى
لايزول ما اعتراهم من شخوص الابصار وتاخيره عما هو من تتمته من الاهطاع والاقناع مابينه وبين
الشخوص المذكور من المناسبة لتربية هذا المعنى **وافئدة**[illegible] خالية من العقل والفهم لفرط الحيرة والدّهش
كانها نفس الهواء الخالى عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء اى لاقوّة ولا راى فيه
واعتبار خلوها عن كل خير لايناسب المقام وهو اما حال عاملها لايرتدّ مفيدة لكون شخوص ابصارهم
وعدم ارتداد طرفهم بلافهم ولا اختيار اوجملة مستقلة **وانذر النّاس** خطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد اعلامه ان تاخيرهم لماذا اومرلهم بانذارهم اوتخويفهم منه والمراد بالناس الكفّار المعتبر عنهم
بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار بان المراد بالانذار هو
الزّجر عماهم عليه من الظّلم شفقة عليهم لا التخويف الازعاج والايذاء فالمناسب عدم ذكرهم لعنوان الظلم او
النّاس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمّهما من حيث كونهما
فى الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصّة اى انذرهم وخوفهم **يوم ياتيهم العذابُ** المعهود وهو اليوم
الّذى وصف بما لايوصف من الاوصاف الهائلة اعنى يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات
والقاء الملئكة بلاشكرى او يوم هلاكهم بالعذاب الا العاجل ويا باه القصر السّابق **فيقول الّذين**
ظلمُوا اى فيقولون والعدول عنه الى ماعليه النّظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بان القوه
من الشدّة انما هو لظلمهم وايثاره على صيغة الفاعل حسبما ذكر اوّلا للايذان بان الظّلم فى الجملة كاف فى الافضاء
الى ماذكر من الاهوال من غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالنّاس
من يعمّ المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار اويقول كلّ من ظلم بالشرك والتكذيب من
المتعذرين وغيرهم من الامم الخالية فان اتيا العذاب يعمّهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرّسل **ربّنا**
اخّرنا ردّنا الى الدّنيا وامهلنا **الى اجل قريب** الى امدّ وحدّ من الزّمان قريب **نجب دعوتك** اى الدعوة
اليك والى توحيدك اودعوتك لنا على السنة الرّسل ففيه ايماء الى انّهم صدقوهم فى انّهم مرسلون من
عند الله تعالى **ونتبع الرّسل** فيما جاؤنا به اى نتدارك بالمرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرّسل الجمع

اما باعتبار

امّا باعتبار اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرّسول عليه امّا باعتبار ان المحكى كلام الظالمى الامم جميعًا
والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها **اولم تكونوا** اقسمتم من قبل على اضمار القول معطوفا على فيقول
اى فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخر وا فى الدّنيا ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا
وسفها **مالكم من زوال** مما انتم عليه من التّمتع بالحظوظ الدّنياويّة اوبانسبة لحال حيث بنيتم مشيدًا و
املتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التاخير وبعد
مداه اوما لكم من زمان من هذه الدّار الى دار اخرى للجزاء كقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لايبعث
الله من يموت وصيغة الخطاب فى اقسمتم كما فى قوله خلف بالله ليخرجنّ وهو داخل فى التوبيخ من ان
يقال ما لنا مراعات لحال المقسم البيهقى عن محمد بن كعب القرظى رحمه الله انّه قال لاهل النار خمس
دعوات يجيبهم الله تعالى فى اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلّموا بعدها ابدًا يقولون ربّنا امتنا
اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم الله تعالى ذلكم بانّه واذا دعى الله وحده
كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير ثم يقولون ربّنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل
صالحًا انا موقنون فيجيبهم الله تعالى فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا الاية ثمّ يقولون ربّنا اخّرنا
الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرّسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم الاية ثم يقولون
ربّنا اخرجنا نعمل صالحًا غير الذى كنّا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمّركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربّنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قومًا ضالين
فيجيبهم الله تعالى اخسئوا ولاتكلّمون فلايتكلّمون بعدها ابدًا ان هو الّا زفير وشهيق وعند ذلك انقطع
رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح فى بعض واطبقت عليهم جهنّم اللّهمّ انا بك نعوذ وبكنفك نلوذ عزّ
جارك وجلّ ثناؤك ولا اله غيرك **وسكنتم** من السّكنى بمعنى تبوّء والايطان وانما استعمل بكلمة فى حق
قيل **فى مساكن الّذين ظلمُوا انفسهم** جريا على الاصل لانه منقول عن مطلق السكون الّذى حقه
التّعدية بها اومن السّكون واللبث اى قررتم فى مساكنهم مطمئنين سايرين سيرتهم فى الظلم بالكفر
والمعاصى غير محدثين لانفسكم بما لقيه لقوا الاوّلون بسبب ما اجترحوا من الموبقات وفى ايقاع الظلم
على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظّلم انلة الى صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدّم
من الامم المهلكة على تقدير اختصاص الاستمهال والخطاب السّابق بالمنذرين واما اوائلهم من قوم
نوح وهود على تقدير عمومهما للكلّ وهذا الخطاب وما يتلوه باعتبار حال واخرهم **وتبيّن لكم** بمشاهدة
الاثار وتواتر الاخبار **كيف فعلنا بهم** من الاهلاك والعقوبة بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف
منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت هى عليه
دلالة واضحة اى فعلنا العجيب بهم كما مرّ فى قوله تعالى ليسجننّه وقرئ بيّن **وضربنا لكم الامثال** اى
بيّنا لكم فى القران العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين اوعلى السنة الانبياء عليهم السّلام
على تقدير عمومه بجميع الظّالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم الامور التى هى فى الغرابة كالامثال

المضروبة لكل ظالم لتعبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم ومآلكم على مآلهم وتنتقلون من حلول العذاب
العاجل الى حلول العذاب الآجل فتزتدعوا عما كنتم فيه من الكفر والمعاصى وبيّنا لكم انكم مثلكم فى الكفر
واستحقاق العذاب والجمل الثلث فى موقع الحال من ضمير اقسمتم اى اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم فى مساكن
المهلكين بظلمهم وتبيّن لكم كيف فعلنا التعجيب بهم ونبّهناكم على جلية الحال بضرب الامثال وقوله عز
وجل **وقد مكروا مكرهم** حال من الضمير الاول فى فعلنا بهم او من الثانى او منهما جميعًا وانما قدم عليه
قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة ارتباطه بما قبله اى فعلنا بهم ما فعلنا والحال انهم قد مكروا
فى ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم استفرغوا فى عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد معهود بحسب
لا يقدر عليه غيرهم فالمراد تناهيهم فى استحقاق ما فعل بهم او وقد مكروا مكرهم المذكور فى ترتيب مبادى
البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال قدرتهم وحقارتها عند قدرته
سبحانه **وعند الله مكرهم** اى جزاء مكرهم الذى فعلوه على ان المكر مضاف الى فاعله او اخذه تعالى
بهم على انه مضاف الى المفعول له وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا وذكرا او لكونه فى صورة المكر
فى الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز وجل كيف فعلنا بهم لا انه
وعيد مستانف والجملة حال من الضمير فى مكروا اى مكروا مكرهم وعند الله جزاؤه او ما هو اعظم منه و
المقصود بيان فساد رايهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه **وان كان مكرهم** فى العظم والشدة
لتزول منه الجبال اى وان كان مكرهم فى غاية المتانة والشدة وعبّر عن ذلك بكونه مسوّى ومعدًّا
لازالة الجبال من مقارّها لكونه مثلا فى ذلك والجملة المصدّرة بان الوصلية معطوفة على جملة مقدّرة
والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذى يحيق بهم ان لم يكن مكرهم لتزول منه الجبال وان كان الخ
وقد حذف ذلك حذفا مطّردا لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة فان الشئ اذا تحقق عند وجود
المانع القوىّ فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما فى ان الوصلية من التاكيد المعنوى
والجواب محذوف دل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم وقيل ان نافية واللام لتاكيدها
كما فى قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وينصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم فالجملة حينئذ حال من
الضمير فى مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم اى مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه
الجبال على انها عبارة عن آيات الله تعالى وشرائعه ومعجزاته الظاهرة على ايدى الرسل السالفة عليهم
السلام التى هى بمنزلة الجبال الراسيات فى الرسوخ واما كونه عبارة عن امر النبى صلى الله عليه وسلم القرآن
العظيم كما قال فلا مجال له اذ الماكرون هم المهلكون لا الساكنون فى مساكنهم من المخاطبين وان خصّ الخطاب
بالمنذرين وقيل هى مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول منه ما هو كالجبال فى الثابت مما ذكر
من الآيات والشرائع والمعجزات والجملة كما هى حال من ضمير مكروا اى مكروا مكرهم المعهود وان الشان كان
مكرهم لازالة الآيات والشرائع على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر كذلك وكان شان الآيات والشرائع
مانعا من مباشرة المكر لازالة وقد قرا الكسائى لتزول بفتح اللام على انها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة

حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم اى عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث
تزول منه الجبال اى فى غاية الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كى وقرئ وان كاد مكرهم
هذا هو الذى يقتضيه النظم الكريم وينساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير فى مكروا للمنذرين
والمراد بمكرهم ما افاده قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يخرجوك الاية وغيره من
انواع مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه ان يكون قوله تعالى وقد مكروا الخ حالا من
القول المقدّر اى فيقال لهم ما يقال والحال انهم ما فعلوا من الاقسام المذكور مع ما بينا فيه من السكون
فى مساكن المهلكين وتبيّن احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم اى لم يكن الصادر عنهم
مجرد الاقسام الذى وبّخوا به بل تجبّروا وعلى مثل هذه العظيمة وقوله تعالى وعند الله مكرهم حال من ضمير
مكروا حسبما ذكر من قبل وقوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال مسوق لبيان عدم تفاوت
الحال فى تحقق الجزاء بين كون مكرهم قويّا او ضعيفًا كما مرّ هناك وعلى تقدير كون ان باقية فهو حال
من ضمير مكروا والجبال عبارة عن امر النبى صلى الله عليه وسلم اى قد مكروا والحال ان مكرهم ما كان
لتزول منه هاتيك الشرائع والآيات التى هى فى القوّة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة
واللام مكسورة يكون حالا منه ايضا على معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى انه
لم يكن يصحّ ان يكون منهم مكر كذلك لما انّ شان الشرائع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام
فهو حال من قوله تعالى وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فليتامّل **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله**
لم يرو به والله سبحانه اعلم ما وعدهم بقوله تعالى اِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا الآية وقوله كَتَبَ اللّٰهُ لَاَغْلِبَنَّ اَنَا
ورسلى كما قيل فانه لا اختصاص له بالتعذيب لا سيّما الاخروى بل ما سلف آنفا من وعده بتعذيب
الظالمين بقوله تعالى انما يؤخّرهم الآية كما يفصح عنه الفاء الداخلة على النهى الذى اريد به تثبيته عليه
السلام على ما كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقّن بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم
يوم اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد ما
وعدهم بذلك كما فصّلت كلّ منهم فى القرآن العظيم كانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين
يوم القيمة واخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما يسالونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به
وقرّعناهم بعدم تاملهم فى احوال من سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم
باهلاكهم فدم على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا **ان الله عزيز** غالب لا يماكر
وقادر لا يقادر **ذو انتقام** لاوليائه من اعدائه والجملة تعليل للنهى المذكور وتذييل له
وحيث كان الوعد عبارة عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد
بل تعرض لوصف العزة والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل وعبّر عنه
بالمكر **يوم تبدل الارض غير الارض** ظرف لمضمر مستانف ينسحب عليه النهى المذكور اى يجزيهم يوم
الخ او معطوف عليه نحو وارتقب يوم تبدل الارض او للانتقام او يأتيهم العذاب بعينه ولكن له احوال

جمة بذكر كل مرّة بعنوان مخصوص والتقييد به مع عموم انتفائه للاوقات كلها للافصاح عما هو المقصود
به من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم يأتيهم العذاب
اونصب باذكر او باضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الخ وفيه ايضا ما فى الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتذار
ولا يجوز ان ينتصب بقوله مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لان قوله
تعالى انّ الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبال بها فاصلا واعلم ان التّبديل قد يكون
فى الذات كما بدّلت الدّراهم دنانير وعليه قوله عزّ وجل بدّلناهم جلودًا غيرها وقد يكون فى الصّفات
كما فى قولك بدّلت الحلقة خاتمًا اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى تبدل الله سيّاٰتهم حسنات على
بعض الاقوال والاٰية الكريمة ليست بنصّ فى احد الوجهين فعن علىّ كرم الله تعالى وجهه تبدّل ارضًا
من فضّة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود تبدل الارض بارض كالفضّة بيضاء نقيّة لم يسفك
فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هى تلك الارض وانما تغيّر صفاتها وانشد
وما الناس بالناس الذى عهدتهم وما الدار بالدّار التى كنت تعلم وتبدل السّموات بانتشار كواكبها و
كسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابًا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رض انه
صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فسط وتمدّ مدّ الاديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا
امتًا **فى السّموات** اى وتبدّل السّموات غير السّموات حسبما مرّ من التفصيل وتقديم تبديل الارض
لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا **وبرزوا** اى الخلايق او الظالمون المدلول عليهم
بمعونة السياق والمراد بروزهم من اجداثهم التى فى بطون الارض وظهورهم باعمالهم التى كانوا يعملونها
سرًّا ويزعمون انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك ولعلّ اسناد البروز اليهم مع انه لاعمالهم
للايذان بتشكلهم باشكال تناسبها وهو معطوف على تبدّل والعدول الى صيغة الماضى للدلالة على
تحقق وقوعه او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينهما وبين صاحبها الواو **لله الواحد القهّار**
للحساب والجزاء والتعرّض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المها واظهار بطلان الشرك وتحقيق
الانتقام فى ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق اتيان العذاب الموعود على تقدير كونه ظرفًا
بدلًا من يوم يأتيهم العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلّاب لا يغاز وقادر لا يضار ولا يغارّ كان
فى غاية ما يكون من الشدّة والصعوبة **وترى المجرمين** عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع
لاستحضار الصّورة او للدلالة على الاستمرار واما البروز فهو دفعىّ لا استمرار فيه وعلى تقدير
حالية برزوا فهو معطوف على تبدّل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدّم على تقدير كونه ينجزه **يومئذ**
يوم اذ برزوا لله عزّ وجل او يوم تبدّل اذ تبدل الارض او يوم اذ ينجز وعده **مقرّنين** قرن بعضهم
مع بعض حسب اقترانهم فى الجرايم والجرائر او قرنوا مع الشياطين الذين اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا
من العقائد الزّائغة والملكات الردية والاعمال السيّئة غب تصوّرها ههنا وتشكلها بما يناسبها من الصّور
الموحشة والاشكال الهائلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين **فى الاصفاد** فى الصّفد

او الاغلال

او الاغلال وهو امّا متعلق بقوله تعالى مقرّنين او حال من ضميره اى مصفدين **سرابيلهم** اى قمصانهم
من قطران جملة من مبتداء وخبر محلها النّصب على الحالية من المجرمين او من ضميرهم فى مقرّنين
رابطتها الضّمير فقط كما فى كلمته فوه الى فىّ او مستانفة والقطران ما يتحلّب من الابهل فيطبخ
فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدّة الشّديدة وقد يصل حرارته الى الجوف وهو
اسود منتن يسرع فيه اشتغال النار يطلى به جلود اهل النّار حتّى يعود طلاؤه لهم
كالسّراويل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقته واسراع النّار فى
جلودهم واللّون الموحش والنّتن على انّ التّفاوت بينه وبين ما نشاهده وبين النارين
لا يكاد يقادر قدره فكان ما نشاهده منهما اسماء مسمياتها فى الآخرة فبكرمه العميم نعوذ و
بكنفه الواسع نلوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجوهر النّفس من الملكات
الرّديه والهيئة الموحشة فتجلب اليها الالام والغموم بل وان يكون القطران المذكور عين ما لابسوه
فى هذه النشاة وشعلوه شعارا لهم من العقايد الباطلة والاعمال السيّئة المستجلبة لفنون
العذاب قد تجسدت فى النشاة الاخرة بتلك الصّورة المستتبعة لاشتداد العذاب
عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنّه ولطفه وقرئ من قطران اى نحاس مذاب متناه
حره **وتغشى وجوههم النّار** اى تعلوها وتحيط بها النّار التى تمس جسدهم المسربل بقطران
وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور مع عمومه لساير اعضائهم لكونه اعزّ الاعضاء الظّاهرة
واشرفها كقوله تعالى افمن يتقى بوجهه سوء العذاب الخ ولكونها مجمع المشاعر والحواس
التى خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها فى تدبّره كما ان الفواد
اشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على
الافئدة او لخلوها عن القرآن المغنى عن ذكر غشيان النّار لها ولعلّ تخليتها عنه
ليتعافوا عند انكشاف اللّهب احيانًا ويتضاعف عذابهم بالخزى على رؤس الاشهاد
وقرئ تغشى اى تتغشّى بحذف احدى التّائين والجملة نصب على الحاليّة لا على
ان الواو حاليّة لانّه مضارع مثبت بل على انّها معطوفة على الحال قاله ابو البقاء
ليجزى الله متعلّق بمضمر اى يفعل بهم ذلك ليجزى كلّ نفس مجرمة **ما كسبت**
من انواع الكفر والمعاصى جزاء موافقًا لعملها وفيه ايذان بان جزاؤهم مناسب
لاعمالهم او بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدّل والضمير للخلق وقوله
وترى المجرمين الى اخره اعتراض بين المتعلق والمتعلّق به اى برزوا للحساب
ليجزى الله كلّ نفس مطيعة او عاصية ما كسبت من خير او شرّ وقد اكتفى بذكر
عقاب العصاة تعويلا على شهادة لاسيّما مع ملاحظة سبق الرّحمة الواسعة **انّ
الله سريع الحساب** اذ لا يشغله شان عن شان فيتمه فى اعجل ما يكون من الزمان فيوفى

الجزاء بحسبه اوسريع المجئ باتى عن قريب اوسريع الانتقام كما قال ابن
عباس رضى الله تعالى عنهما فى قوله وهو سريع الحساب **هذا** اى ماذكر من قوله
سبحانه ولاتحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب **بلاغ** كفاية فى
العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة اوكل
القران المجيد من فنون العظات والقوارع **للناس** للكفار خاصة على تقدير اختصاص
الانذار بهم فى قوله تعالى وانذر الناس اولهم وللمؤمنين كافة على تقدير
شموله لهم ايضا وان كان ما شرع مختصا بالظالمين **ولينذروا به** عطف
على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ اى كفاية لهم فى ان ينصحوا وينذروا به
اوهذا ابلاغ لهم ليفهموه وينذروا به على ان البلاغ بمعنى الابلاغ كما فى
قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ اومتعلقة بمحذوف اى ولينذروا به انزل
اوتلى وقرئ لينذروا به من نذر بالشئ اذا علموا حذره واستعد له **وليعلموا**
بالتامل فيما فيه من الدلايل الواضحة التى هى اهلاك الامم واسكان
اخرين مساكنهم وغيرهما سبق وحق **انما هو اله واحد لا شريك له** وتقديم
الانذار لانه الداعى الى التامل المؤدى الى ما هو غاية من العلم المذكور
والتذكير فى قوله تعالى **وليذكر اولوا الالباب** اى ليذكروا
ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤن الله عز
وجل ومعاملته مع عبادته فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات
التى يتصف بها الكفار ويتدرعوا بما يحظيهم من العقايد الحقة
والاعمال الصالحة وفى تخصيص التذكر باولى الالباب تلويح باختصاص
العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ذكرنا من القوارع
المسوقة لشانهم لاكل السورة المشتملة عليها وعلى ما سبق للمؤمنين
ايضا فان فيه ما يفيدهم فايدة جديدة وحيث كان ما يفيده
البلاغ من التوحيد وما يترتب عليه من الاحكام بالنسبة الى
الكفرة امرا حادثا وبالنسبة الى اولى الالباب الثبات على ذلك
حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثانى بالتذكر
وروعى ترتيب الوجود مع ما فيه من الحكم بالحسنى والله
سبحانه اعلم ختمنا الله بالسعادة والحسنى ورزقنا الفوز
بمرضاته فى الاولى والعقبى امين عن النبى صلى الله تعالى
عليه وسلم من قرا سورة ابرهيم عليه السلام اعطى من الاجر

عشر

عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد والحمد لله وحده تمت